ذخائر العرب
٢٥

# الموازنة

## بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي
- ٣٧٠ هـ

تحقيق
السيد أحمد صقر

الطبعة الرابعة

دار المعارف

ذخائر العرب
٢٥

# الموازنة

## بين شعر أبى تمام والبحترى

لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى
— ٣٧٠ هـ

تحقيق
السيد أحمد صقر

١

الطبعة الرابعة

دار المعارف

# الموازنة

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله سبحانه وتعالى إذ قدر لى أن أكون أول طابع لكتاب الموازنة بين الطائيين ، الذى ألفه أبو القاسم : الحسن بن بشر الآمدى المتوفى ، سنة سبعين وثلثمائة .

ولست أرتاب فى أن قولى هذا سيقع من نفس القارئ وعقله موقع العجب والإنكار . ولكنى على ثقة من أن عجبه سيزول ، وإنكاره سيحول إذا مامضى فى قراءة هذه السطور. وإنما قلت ذلك وأنا أعلم أنى قد سبقت إليه، وأنه قد طبع عدة مرات أولاها فى مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٢٨٧ هـ عن نسخة خطية كتبها عبد الكريم بن أحمد بن إدريس الصفدى ، فى شهر صفر من سنة ١١٢٩ هـ . وكانت هذه الطبعة هى الأصل لكل الطبعات التى صدرت بعدها .

وثانيتها فى مطبعة جريدة الإقبال ببيروت سنة ١٣٣٢ هـ .
وثالثتها فى مطبعة محمد صبيح وهى غير مؤرخة .
ورابعتها فى مطبعة حجازى بالقاهرة سنة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م .
ثم أعيد طبعها سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

وجميع هذه الطبعات ناقصة ومملوءة بالتحريف . ومن عجب أنها تشتمل على نصوص تشير إلى ذلك النقص .

ألم يقل الآمدى : « وأنا أبتدئ بذكر مساوى هذين الشاعرين لأختم بذكر محاسنهما ، وأذكر طرفاً من سرقات أبى تمام وإحالاته ، وغلطه ، وساقط شعره ، ومساوى البحترى فى أخذ ما أخذه من معانى أبى تمام ، وغير ذلك من غلط فى بعض معانيه . ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى ؛ فإن محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك . ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأورد

باباً لما وقع فى شعريهما من التشبيه ،وباباً للأمثال أختم بهما الرسالة، ثم أتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما ، وأجعله مؤلفاً على حروف المعجم ؛ ليقرب تناوله . . .» .

وكل من يقرأ كلام الآمدى لابد أن يقول لنفسه : وأين باب التشبيه ، وباب الأمثال اللذان قال الآمدى : إنه سيختم بهما كتابه ؟ وأين المختارات من شعر الشاعرين المجردة عن الموازنة ، والمؤلفة على حروف المعجم ؟

إن هذه الأبواب الثلاثة لاوجود لها فى النسخ المطبوعة . ومعنى ذلك بداهة أن الكتاب ناقص تعوزه الموضوعات التى لم ينشر حرف منها من قبل . على أن بعض تلك الزيادة موجودة فى النسخة الخطية الوحيدة الموجودة بدار الكتب المصرية .

وتبتدئ الزيادة فى طبعتنا هذه من صفحة ٤٥٨ ، وهى تشتمل على سبعة أبواب ، هى :

محو الرياح للديار .

ماقالاه فى سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها أيضاً .

باب آخر فى وصف الديار وساكنيها .

الدعاء للديار بالسقيا والخصب والنبات .

مايخلف الظاعنين فى الديار من الوحش وغيرها .

ماقالاه فى الوقوف على الديار وفى تعنيف الأصحاب إياهما على ذلك .

ماجاء عنهما فى ترك البكاء على الديار والنهى عنه .

وقد ملأت هذه الأبواب فى هذه الطبعة ثمانين صفحة ، غير الزيادات التى جاءت فى ثنايا القسم المطبوع قبلها .

والزيادة ليست مقصورة على هذه الأبواب فقط . ولكنها زيادة عظيمة تستغرق الجزء الثانى والثالث من طبعتنا هذه .

ومن أجل ذلك رأيت أن أنقل بعضها ، ليعلم القارئ أى خير ذاده عنه الطابعون للكتاب من قبل ؟

أما الزيادة التى تستغرق الجزء الثانى ، فهذه عناوينها :

ما قالاه في شدة الحب والوجد والتشوق والغرام والحزن وانتجاز المواعيد ، وإخلافها ، ونحو ذلك . وفي الشوق والصبابة .

ما قيل في ائتلاف المحبين .

باب في نوح الحمام .

باب في وصفهما للأيام التي خلت ، والأزمان التي حمداها ، والتذكر لها ، والأسى عليها .

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من هذا الباب .

ما جاء عنهما في طروق الخيال .

ما قالاه في الشيب والشباب .

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب .

كره النساء للمشيب .

نزول الشيب قبل حينه .

البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا .

الاعتذار من الشيب .

مدح الشيب والتعزى عنه .

ذكر الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال .

● باب في ذكر الزمان ، وذكر ظلمه واعوجاجه ، وتعذر الرزق على ذوى الحزم والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز . وفي التعزى والصبر والقناعة . وما قالاه في ضد ذلك من بعد الهمة ، والنهوض في طلب الرزق ، والسير على الإبل ، وقطع الفيافي . وفي مواعظ وآداب .

ماقالاه من هذه المعاني في وسط الكلام .

في المواعظ والآداب .

في الصبر والقناعة .

ذم ذوى الغنى على البخل ، وذكر مساعدة الدهر لذوى الجهل ، وتحامله على أهل الفضل والعقل .

ماقالاه في طلب الرزق والنهوض إليه .

وما ذكرا فيه سرى الإبل :

باب الشحوب والتغيير من الأسفار .

● الأبواب التى خرجا فيها من النسيب إلى المديح .

وجه آخر من الخروج ، وهو خروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء .

وجه آخر من خروجهما إلى المدح ، وهو وصف الرياح ، وتشبيه أخلاق الممدوح بها .

وجه آخر من خروجهما إلى المدح .

● باب المديح .

أول مابدأ به من مدائحهما :

ذكر السؤدد والمجد وعلو القدر .

ثم مايخص الخلفاء من ذلك دون غيرهم :

من ذكر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها .

ذكر الملك والدولة .

وذكر مايخص أهل بيت النبوة من المدح دون من سواهم :

من ذلك ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم .

وذكر الآلة التى كانت للنبى عليه السلام فصارت إليهم :

وذكر الآثار .

وذكر علو القدر ، وعظم الفضل .

وذكر تأييد الدين وتقوية أمره .

وذكر الرأفة والرحمة .

وذكر الجلال والجمال والبهاء والجهارة والهيبة .

وذكر ماينبغي أن يمدح به الخلفاء من الجود والكرم .

وذكر ماينبغي أن يمدحوا به من الشجاعة والبأس .

* * *

وبانتهاء هذه الموضوعات ، تنتهى مخطوطة دار الكتب المصرية .

* * *

وأما موضوعات الجزء الثالث التى جاءت فى النسخ الأخرى ، فإنها تكاد تكون ضعف موضوعات الجزء الثانى .وكنت على نية سردها . لولا أنى رأيت المقام قد طال ، وخشيت على القارئ الملال ؛ فرأيت أن أشير إلى بعض الموضوعات الهامة التى تناولها الآمدى بالدرس والموازنة ؛ ليعلم القارئ من علمها ، ويتصور مقدار عظمها .

فمن تلك الموضوعات :

كتاب الجود ، والوصف ، والفخر ، والعتاب ، والوعيد ، والهجاء ، والاعتذار ، والشراب ، ومعاطاة الندمان ، ووصف الغلمان ، والتوجع من العلل والنكبات ، ووصف قصائدهما والبأس والنجدة ، والمراثى .

وكل باب من هذه الأبواب يحتوى على عدة فصول تروعك كثرتها إذا ما ذكرت لك تفصيل بعضها وحسبى . أن أقتصر على التمثيل بثلاثة أبواب : وهى باب الجود ، وباب المراثى ، وباب البأس والنجدة .

أما باب الجود فقد قال الآمدى فى صدره : « هذا باب يعول عليه الشعراء فى المديح ؛ لأن الجود قد يكون فى الملاك والسوقة والشريف والدون .

وأنا الآن أميز فى هذا الكتاب أنواع الجود والكرم ، وأنتزع من القصائد الأبيات المتجانسة ، وأبوبها أبواباً ، وأوازن بينها ليصح القول ويلوح التفضيل .

فأبتدئ بما قالاه فى الرجاء والتأميل ، وفى الوعد وإنجازه ، وفى الابتداء بالعطاء وفى البشر عند السؤال ، وفى الإكثار من العطاء ، والقصد والإسراف ، وتعجيل العطاء ، ومتابعة العطاء ، وتشبيه جود الجواد بالسحاب والغيث والأنواء وبالبحر ، وفى خبط الجواد بنائله من غير تمييز ، وفى عذل الجواد على الجود ، وفى تعجرف الجواد على ماله حتى يتلفه ، ودفع جود الجواد وعطاياه لنوائب الدهر ، وإعطاء الجواد حتى لا يجد من يعطيه ، وفى التذاذ الجواد بالجود ، وإغناء الجواد للسائلين حتى يكونوا مسئولين ، واكتساب الشرف بالعطاء ، وفى اعتذار الجواد بعد العطاء والاعتذار له ، وفى إخفاء الجواد لنائله ، وفى شفاعة الجواد إلى غيره مما يجود به ، وفيما استن

الكريم للناس من الكرم حتى اقتدوا به ، وفى نوادر من باب الجود ، وفى الاعتداد بنعم الممدوحين ، وفى الشكر والثناء » .

* * *

وأما باب المراثى فقد بدأه الآمدى بقوله :

« قد جرت العادة فى كل باب أن تعتبر فيه الابتداءات ، فيجب أن أقدم ابتداءات هذا الباب . قال أبو تمام :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر  وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

قد عابه قوم من متقدمى الشيوخ بهذا ، وقالوا: قوله : " كذا " إشارة إلى مجهول غير معروف ، وقالوا : كان ينبغى أن يقول كما قال البحترى :

انظر إلى العلياء كيف تضام  ومآتم الأحساب كيف تقام

فأوضح المعنى بقوله : " ومآتم الأحساب كيف تقام " . وليس هذا العجز بمبين عن معنى صدره كما ذكروا ، وإنما هو قسم منسوق على قسم آخر له معنى غير معناه . فقوله : " انظر إلى العلياء كيف تضام " مثل قول أبى تمام : " كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر " وإنما نظر كل واحد منهما إلى الجيوب تشقق ، والستور تهتك ، والأعلام تمزق ، والرماح تكسر . فإن مثل هذا يفعل عند هلاك السادة من الأمراء وغيرهم ، والخيل إنما تعقر عند قبورهم ، وأشباه هذا . فلما عاين هذان الشاعران من الأمر ما عايناه ، قال هذا : " فليجل الخطب وليفدح الأمر " وقال ذاك " انظر إلى العلياء كيف تضام " . ونظر البحترى إلى كثرة النساء وعظم أقدارهن وانهتاكهن وما يفعلن بأنفسهن ، فأتم البيت بأن قال : " ومآتم الأحساب كيف تقام " لأن المآتم هى اجتماع النساء فى الفجائع ومساعدة بعضهن لبعض . فما على أحدهما فيما قاله طعن » .

وإنما عنيت بإيراد هذا النص لأهميته فى توثيق الكتاب ، ولأن الآمدى قد أشار إليه فى القسم المطبوع منه بقوله ص ٣٩١ : « وذكر أبو عبيد الله : محمد بن داود بن الجراح فى كتابه ، أن مما عيب من ابتداءات الطائى قوله : كذا فليجل الخطب . . . وأما قوله : " كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر " فليس بمعيب عندى ، وقد ذكرته فى ابتداءات المراثى وأخبرت بمعناه » .

وكان هذا القول خليقاً بأن يلفت نظر الطابعين إلى خلو طبعاتهم من باب المراثى.

وبعد أن فرغ الآمدى من الموازنة بين الابتداءات فى المراثى ، وازن بينهما فى أنواع تلك المعانى ، وهى :

عموم الفجيعة وجلالة الرزء .

البكاء على الفقيد .

زوال الصبر على المفجوع

ذم الدهر والأيام لاخترامهما الفقيد .

تولى العيش وذهابه وتغير الأشياء لفقده .

تخطى المنايا إلى الأشرف فالأشراف ، والأفضل فالأفضل .

ذكر السؤدد والمجد والعلا وبكائها على الميت وقبحها بعده .

ذكر انقطاع الأمل والرجاء من الطالبين وقعودهم عن الطلب .

ذكر سقوط الحزن وخفة المصائب بعد الفقيد .

ذكر شماتة الأعداء والحساد وتهديد القاتلين .

ذكر صبر المقتول واختياره القتل على الفرار .

ذكر تحقير القاتل وتهوين أمره .

ذكر القبور والدعاء لها بالسقيا وتشييع الميت ، وذكر النعش والكفن .

الذكر الجميل وحسن الحديث بعد الفقيد .

ذكر تعديل مناقب الميت بعده .

ذكر من يخلف الميت ويسد مسده .

مرثية الصغار .

* * *

وأما « باب البأس والنجدة » فيشتمل على الفصول الآتية :

ما قالاه فى وصف الجيش وكثافته .

ما قالاه فى الرأى والتدبير فى الحرب والمكر والخديعة وإمضاء العزم .

ما قالاه فى وصف الحرب .

ذكر وصف رجال الحرب .

ذكر تشبيه الأبطال بالسباع .

ما قالاه فى وصف الدروع .

ذكر وصف القوانس والبيض .

ذكر وصف السرايات .

ذكر وصف الخيل فى الحرب .

ذكر المسير إلى أرض العدو والنزول عليها ، والظفر والفتوح .

ذكر من انهزم ونجا بحشاشته ، ومن أسر .

ذكر الصلب على الجذوع وحمل الرءوس .

ذكر الحرب فى البحر .

ما قالاه فى حرب ذوى الأرحام ، والحض على صلحهم والصفح عنهم .

ما قالاه فى أوصاف الخيل .

* * *

وفى هذه الأمثلة ، ما يظهرك على ضخامة القسم الذى لم يسبق نشره من كتاب الموازنة .

* * *

ومن أجل ذلك كله ، قلت فى صدر كلامى : إنى أحمد الله إذ قدر لى أن أكون أول طابع لكتاب الموازنة ، وأظن أن عجب القارئ من قولى ذاك وإنكاره له قد زالا الآن .

* * *

والحق الذى لامرية فيه أن كتاب الموازنة خليق بإعجاب القراء ، جدير بإكبارهم . ولا أحسب أن أحداً منهم بعد قراءته له فى هذه الطبعة سينكر علىّ قولى : إن الآمدى أعظم نقاد الأدب العربى ، وإمامهم الذى لايضارع ولا يجارى . وإنه فى تاريخ النقد أمة وحده فى دقة منهجه ، وأصالة رأيه ، وعمق فكره

وحسن عرضه ، ونصاعة أسلوبه ، وشدة إخلاصه للمهمة الشاقة التى جرد عزمه لها ، وانتدب نفسه للنهوض بها ، وصبرها على تحمل أعبائها ، حتى خرج الكتاب من بين يديه مستحصداً قويماً ، وافياً بالغرض الذى أراغ إليه ، جامعاً لأشتات المعانى ، ملماً بأطراف الأحاديث التى يتطلبها مثل هذا البحث الكبير ؛ كما سنبين ذلك عند تحليل الكتاب ، وترجمة صاحبه ، ووصف مخطوطاته فى مقدمة الجزء الأخير إن شاء الله .

* * *

ولاريب فى أن ظهور كتاب الموازنة فى هذه الطبعة الكاملة سيرفع من قدر الآمدى ، وينبه من ذكره وما كان خاملا ، ولكن بعض الذكر أنبه من بعض ، كما يقول الشاعر القديم . وسيكون ظهورها كذلك فتحاً مبيناً ، ومصدراً خصيباً للأبحاث الجديدة فى النقد الأدبى ، وستكشف أضواؤه القوية مسارب الوهم ، ومزالق الخطإ فيما كتبه المحدثون عنه . وإن فى نصوصه لثقافاً متيناً يقيم منآدها ، ويصلح معوجها ، وسلاحاً صليباً يأتى على معظمها ، ويقلبه رأساً على عقب ، ويحفز الأحياء من كتابها إلى إنشائها من جديد ، وتأسيسها على دعائم قويمة من الأفكار والآراء التى اشتمل عليها الكتاب ، ولم يظهروا عليها إلا فى هذه الطبعة الكاملة التى بذلت وسعى فى نشرها ، وعاقنى مقامى فى الكويت عن تصحيح ملازمها فى أثناء طبعها .

* * *

وإنى — على نهجى الذى انتهجت منذ أول كتاب نشرت — أدعو النقاد إلى إظهارى على أوهامى فيها ، وتبيين ما دق عن فهمى من معانيها ، أوندّ عن نظرى من مبانيها ؛ وفاء بحق العلم عليهم ، وأداء لحق النصيحة فيه ، لأبلغ بالكتاب فيما يستأنف من الزمان ، أمثل ما أستطيع من الصحة والإتقان .

والنشر فن خفى المسالك ، عظيم المزالق ، جم المصاعب ، كثير المضايق ؛ وشواغل الفكر فيه متواترة ، ومتاعب البال وافرة ، ومبهظات العقل غامرة ، وجهود الفرد فى مضماره قاصرة ؛ يؤودها حفظ الصواب فى سائر نصوص الكتاب ، ويعجزها ضبط شوارد الأخطاء ، ورجعها جميعاً إلى أصلها ؛ فيأتى الناقد وهو موفور الجمام فيقصد قصدها ، ويسهل عليه قنصها .

ومن أجل ذلك قلت — وما أزال أقول — : إنه يجب على كل قارئ للكتب القديمة أن يعاون ناشريها بذكر مايراه فيها من أخطاء ؛ لتخلص من شوائب التحريف والتصحيف الذى منيت به ، وتخرج للناس صحيحة كاملة . والله ولى التوفيق .

السيد أحمد صقر

الكويت فى { ٢٧ من ذى الحجة ١٣٧٩ هـ
٢٢ من يونيو ١٩٦٠ م }

# الموازنة

## بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو القاسم : الحسنُ بن بِشرِ بنِ يَحْيَى الآمِدِيُّ :

هذا ما حَثَثْتَ – أدام الله لك العز والتأْييد والتوفيق والتسديد – [عليه وبعثتنى] [1] على تقديمه ، من الموازنة بين أبى تَمَّامٍ : حبيبِ بن أَوْسٍ الطائىّ ، وأبى عُبادةَ : الوليدِ بن عبيد [2] الْبُحْتُرِىّ فى شعريهما .

وقد رسمتُ من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة ، وأحسن فى اعتماد الحق ، [وتحرى الصدق] [3] وتَجَنُّب الهوى – المعونة بمنه [4] ورحمته.

ووجدتُ – أطال الله بقاك [5] – أكثر من شاهدتُه ورأيته من رواة أشعار [6] المتأخرين ، يزعمون أن شعر أبى تمام : حبيب بن أوس الطائى لا يتعلّق بجيّده [7] جيّد أمثاله ، ورديُّه مطَّرح [8] مرذول ؛ فلهذا كان [9] مختلفاً لا يتشابه ، وأن شعر الوليد بن عبيد البحترى صحيحُ السَّبْك ، حسن الدِّيباجة [10] ، ليس فيه سفْسافٌ ولا ردىّ ولا مطْروح [11] ، ولهذا صار [12] مستوياً يشبه بعضُه بعضاً .

---

(١) الزيادة من «ك»

(٢) م ، ك «عبيد الله البحترى»

(٣) الزيادة من ك

(٤) ط «منه»

(٥) ط ، ك «عمرك»

(٦) ط «الأشعار»

(٧) م «بجيد»

(٨) ط «مطروح ومرذول»

(٩) م ، ك «ولهذا ما صار»

(١٠) ط «الديباج»

(١١) م «متطرح» و ك «مطرح»

(١٢) فى ك : «ماصار»

ووجدتهم فاضلوا بينهما لغزارة شعريهما ، وكثرة جيّدهما وبدائعهما ، ولم يتفقوا على أيِّهما أشعر ؟ كما لم يتفقوا على أحد ممن وقع التفضيل بينهم من شعراء الجاهلية والإسلام والمتأخرين ، وذلك لميل من[1] فضل البحتريَّ ، ونسبه إلى حلاوة اللفظ[2] ، وحسن التخلص[3] ، ووضْع الكلام فى مواضعه[3] ، وصحة العبارة ، وقُرْب المأْتَى[4] ، وانكشاف المعانى . وهم الكتابُ والأَعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة .

وميْلِ[5] من فضَّل أبا تمام، ونسبه[6] إلى غموض المعانى ودقَّتها ، وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج . وهؤلاء أهلُ المعانى والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفىّ الكلام[7] . وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقةً ، وذهب[8] إلى المساواة بينهما ، وإنهما لمختلفان ؛ لأَن البحترى أعرابىُّ الشعر ، مطبوع ، وعلى مذهب الأَوائل ، وما فارق عمُودَ الشعر المعروف ، وكان يتجنَّب التعقيد ومُستكره الأَلفاظ[9] ووحْشِىَّ الكلام ؛ فهو بأَن يُقَاس بأَشْجع السُّلمِى ومنصور [ النَّمرى ] وأبى يعقوب المكفوف [ الخريمى ] وأمثالهم من المطبوعين — أولى .

ولأَن أبا تمامٍ شديدُ التكلف ، صاحبُ صنعةٍ ، ويستكرهُ[10] الأَلفاظ والمعانى ، وشعرهُ لا يشبه أشعار الأَوائل ، ولا على طريقتهم ؛ لما فيه من

---

( ١ ) فى ط ، م : « ذلك كن فضل »
( ٢ ) فى ط ، م « النفس »
( ٣ ) فى ك : « التلخيص »
( ٤ ) ط « المآتى »
( ٥ ) فى ط ، م « ومثل »
( ٦ ) سقطت من ك
( ٧ ) فى ك : « ولئن »
( ٨ ) فى ك : « وذهب قوم »
( ٩ ) م ، ك « اللفظ »
( ١٠ ) ط « ومستكره »

الاستعارات البعيدة ، والمعانى المولَّدة ، فهو بأن يكون فى حيِّز مسلم بن الوليد ومن حذا حذْوه — أحقُّ وأشبه .

وعلى أنى لا أجد من أقرنه به ؛ لأنه ينحطّ عن درجة «مسلم» ؛ لسلامة شعر «مسلم» وحسنِ سبكه ، وصحة معانيه . ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأُسلوب ؛ لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته .

* * *

ولست أُحبُّ أن أطلق القول بأَيهما[١] أشعر عندى ؟ لتباين الناس فى العلم ، واختلاف مذاهبهم فى الشعر ، ولا أرى أن يفعل ذلك فيستهدِفَ لذم أحد الفريقين[٢] ؛ لأن الناس لم يتفقوا على أى الأَربعة أشعر ؟ فى امرئ القيس والنابغة وزهير والأَعشى ، ولا فى جرير والفرزدق والأَخطل ، ولا فى بشَّار ومرْوان [والسيد] ، ولا فى أبى نُواس وأبى العتاهية ومُسْلم [والعباس ابن الأَحنف] [٣] ؛ لاختلاف آراء الناس فى الشعر ، وتباين مذاهبهم فيه .

فإن كنتَ — أدام الله سلامتك[٤] — ممن يفضِّل سهْل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السَّبْك ، وحسنَ العبارة ، وحلو اللفظ ، وكثرة الماء والرَّونق ؛ فالبحترى أشعر عندك ضرورة .

وإن كنتَ تميل إلى الصنعة ، والمعانى الغامضة التى تسْتَخرج بالغَوْص والفكرة ، ولا تَلْوِى على ما سوى[٥] ذلك ؛ فأَبو تمام عندك أشعر لا محالة .

---

(١) فى ك : «فأقول أيهما»

(٢) م ، ك «إحدى الفرقتين»

(٣) م ، ك «والأحنف»

(٤) فى ك : «كرامتك»

(٥) ط «على غير»

فأما أنا فلست أُفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكنى أوازن[1] بين قصيدة وقصيدة[2] من شعرهما إذا اتَّفَقَتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، ثم أقول[3] : أيهما أشعر فى تلك القصيدة ، وفى ذلك المعنى ؟ ثم احْكمْ أنت حينئذ [إن شئت] على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علماً بالجيد والردىء .

* * *

وأنا أبتدئ بذكر ما[4] سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذَين الشاعرين على الفرقة الأُخرى ، عند تخاصمهم فى تفضيل أحدهما على الآخر[5] ، وما ينعاه بعْضٌ على بعضٍ ؛ لتتأمل ذلك ، وتَزْداد بَصيرةً وقُوةً فى حكمك إن شئتَ أن تحكم ، واعتقادك فيما لعل أن تعتقده[6] .

## احتجاج الخصمين

١ ـ قال صاحب أبى تمام : كيف يجوز لقائل أن يقول : إن البحترى أشعر من أبى تمام وعن أبى تمام أخذ ، وعلى حذوه احتذى ، ومن معانيه اشتق ؟ وتتلمذ له[7]! حتى قيل : الطائى الأكبر ، والطائى الأصغر ؛ واعترف البحترى بأن جيد أبى تمام خيرٌ من جيده ، على كثرة جيد أبى تمام ، فهو بهذه الخصال أن يكون أشعرُ من البحترى أولى من أن يكون البحترى أشعر منه .

(١) فى ط ، م : « أقارن »
(٢) ط « بين قصيدتين »
(٣) ط « فأقول »
(٤) ط « بما »
(٥) فى ك « صاحبه »
(٦) ط « تعتقد احتجاج الخصمين به » ! ، وفى م : « لعلك تعتقده »
(٧) ط « وباراه » !

٢ ـ قال صاحب البحترى: أما الصحبة فما صحبه ولا تتلمذ له(١) ولا روى ذلك أحدٌ عنه(٢) ، ولا نَقَله ، ولا رأى(٣) قط. أنه محتاج إليه ، ودليل هذا [هو] الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبى سعيد : محمد بن يوسف الثَّغْرى وقد دخل إليه البحترى بقصيدته التى أولها :

* أأفاق صبٌّ مِنْ هوًى فَأُفِيقَا * (٤)

وأبو تمام حاضر ، فلما أنشدها علَّق أبو تمام أبياتاً كثيرة منها ، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال : أيها الأمير ، ما ظننت أن(٥) أحدًا يُقدِم على أن يسرق شعرى وينشده بحضرتى حتى اليوم ، ثم اندفع ينشد ما حَفِظه ، حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة ، فبُهِتَ البحترى ، ورأى أبو تمام الإنكار فى وجه أبى سعيد : محمد بن يوسف ، فحينئذ قال أبو تمام : أيها الأمير ، والله ما الشعرُ إلَّا لَهُ ، ولقد(٦) أحْسَنَ فيه الإحسانَ كلَّه ، وأقبل يُقَرظه ويصف معانيه ، ويذكر محاسنَه ، ثم جعل يفخر باليمن ، وأنهم ينبُوع الشعر ، ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف للبحترى الجائزة .

فهذا الخبر الشائع (٧) يُبطل ما ادعيتم ؛ إذ كان من يقول هذه القصيدة التى هى من عين شعره وفاخر كلامه ، وهو لا يعرف أبا تمام إلا أن يكون بالخبر ،

---

(١) ط ، ك « ولا تلمذ »

(٢) سقطت من م ، ك

(٣) ط « ولا أرى »

(٤) عجزه كما فى ديوانه ٧٢٢ « أم خان عهداً أم أطاع صديقا » وانظر أخبار بى تمام ١٠٥ والأغانى ١٨/١٦٩

(٥) سقطت من م

(٦) ط « وإنه أحسن الإحسان »

(٧) فى ط « الخبرالشنيع » وهو تحريف شنيع !

يستغنى عن أن يَصْحَبه أو يتلمذ له أو لغيره فى الشعر .

وقد[١]أخبرنى أنا رجُلٌ من أهل الجزيرة يكنى أبا الوضاح – وكان عالماً بشعر أبى تمام والبحترى وأخبارهما – أن القصيدة التى سمعها أبو تمام من البحترى عند محمد بن يوسف – وكان اجتماعهما وتعارفهما – القصيدةُ التى أولها :

فِيمَ ٱبْتِدَارُكما ٱلْمَلاَمَ وَلُوعَا      [أَبَكَيْتَ إِلَّا دِمْنَةً وربُوعَا] [٢]

وأنه لما بلغ إلى قوله :

فِى منْزِلٍ ضَنْكٍ تَخَالُ بِهِ الْقَنَا      بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَيْنَ ضُلُوعا[٣]

نهض إليه أبو تمام فقبَّل بين عينيه : سرورًا به ، وتَحَفِّياً[٤] بالطائية ، ثم قال : أبىٰ الله إلا أن يكون الشعر يَمنِيًّا .

قال صاحب البحترى[٥] : إلا أنَّا – مع هذا – لا نُنْكِرُ[٦] أن يكون قد استعار بعض معانى أبى تمام ؛ لقرب البلدين ، وكثرة ما كان يطرُق سمع البحترى من شعر أبى تمام فَيُعَلِّق شيئاً من معانيه ، معتمِدًا للأخذ أو غير معتمد .

---

(١) سقطت من م ، ك

(٢) ديوانه ٢٥٧

(٣) فى ك والديوان ص ٢٥٩ « فى معرك ضنك »

(٤) فى ك : « وتحققا »

(٥) فى ط «صاحب أبى تمام » وعلق عليها الشيخ محمدمحيى الدين بقوله: « فى المطبوعات كلها : صاحب البحترى ، وليس بذاك » !

وأدنى تأمل يدل على أن تغييره لما اتفقت عليه النسخ هو الذى ليس بذاك ، فإن كلام صاحب البحترى لم ينته بعد ، وإنما قال الآمدى : قال صاحب البحترى لأنه ذكر رواية أخرى لم يروها صاحب البحترى وهى التى بدأها بقوله : وقد أخبرنى أنا ، ولما فرغ منها رجع إلى سرد بقية الكلام الأول وأشار إلى ذلك بقوله : قال صاحب البحترى

(٦) ط « إلا أنه . . . . لا ينكر »

وليس[1] ذلك بمانع من أن يكون البحترىُّ أشعَرَ منه ؛ فهذا[2] كُثَيِّر قد أخذ عن جميل ، وتَلْمذ له ، واسْتَقَى من معانيه ، فما رأينا أحدًا[3] أطلق على كُثَير أن جميلاً أشعر منه ، بل هو – عند أهل العلم بالشعر والرواية – أشعر من جميل .

وهذا ابنُ سلَّام الْجُمحِيُّ ذكره فى كتابِ « الطبقات » فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام[4] وجعله مع الْبعِيث والْقُطَامى ، وذكر[5] أنه عند أهل الحجاز خاصةً أشعرُ من جرير والفرزدق والأَخطل ، وجعل جَميلاً فى الطبقة السادسة مع عبد الله بن قَيْس الرُّقَيَّاتِ والأَحْوص ونُصَيْب[6] ، إلا أنه قال : إن جميلا يتَقَدَّمه فى النسيب[7].

وهذا غير مقبول منه ؛ لأَنه إنما يحكيه عن نفسه ، وأهلُ الحجاز إنما قدموا كُثَيرًا من أَجل نَسيبه ، وحُسْن تَصرفه فيه . و [قد] حكى عن جرير فى بعض الروايات أنه قال : كُثَير أَنْسبُنا .

---

( ١ ) الكلام فى جميع النسخ متصل من قول صاحب البحترى ، ولكن الشيخ محيى الدين حذف واو « وليس » وزاد قبلها قال صاحب البحترى ، وصدرها برقم ٤ ليصح له تغييره السابق للنص فهو وهم على وهم !

( ٢ ) فى ك . « هذا »

( ٣ ) فى ط ، م : « أن أحدا »

( ٤ ) راجع طبقات الشعراء ٤٥٢

( ٥ ) م ، ك « وحكى »

( ٦ ) طبقات الشعراء ٥٣٩

( ٧ ) نص عبارة ابن سلام فى الطبقات ٤٦١ « وكان لكثير فى التشبيب نصيب وافر ، وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً فى النسيب ، وله فى فنون الشعر ما ليس لجميل ، وكان جميل صادق الصبابة ، وكان كثير يتقول ولم يكن عاشقاً »

ويدلّ على تقدمه فى النسيب قولُ أبى تمام فى قصيدة يمدح بها أبا سعيد الكاتبى[١] أولها :

* مِنْ سَجَايَا الطُّلول أنْ لاَ تُجِيبا[٢] *

لوْ يُفَاجِي ذِكْرُ الْمدِيحِ كَثِيرًا بمعانيه خَالَهُنَّ نَسِيبا[٣]

طَاب فِيهِ الْمدِيحُ والْتَذَّ حتَّى فَاقَ وصْفَ الدِّيَارِ والتَّشْبيبا[٤]

أراد أن كُثَيرا لو فاجأه هذا المديحُ ـ على حُسْن نسيبه ـ لخاله نسيباً [من حسنه]

وخصَّ كُثَيرًا [بهذا] لشهرته [بحسن] النسيب وبراعته [فيه] ، فاحتمل ضرورة الشعر ، وردَّ كُثَيِّرًا إلى التكبير فقال : كَثِيرًا ؛ ولم يقل جَميلاً ولا جريرًا ولا غيرهما ، مما لا ضرورة فى اسمه .

وعلى أن « كُثَيِّرًا » [قد][٥] ذكر اسمه [فى شعره] مكبرًا : إما[٦] ضرورة ، وإما اعتمادًا لتفخيم اسمه وأن لا يأْتى به مُحقَّرًا ، فقال :

وقَال لِي الْوَاشُونَ : وَيْحَكَ ! إنَّهَا بغَيْرِكَ حقًّا يا كَثِيرُ تَهِيمُ

وقد ذكر أبو تمام كُثَيِّرًا فى مواضع أخَر ، فجاء به مكبرًا فى قصيدة يمدح بها الحسن بن وهْب ويصفه بالبلاغة ، وذلك قوله[٧] :

---

(١) م ، ك « الصامتى » وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغرى راجع ديوان أبى تمام بشرح التبريزى ١٦٤/١ وأخبار أبى تمام ٢٢٧ وهبة الأيام ٢٨٨

(٢) عجزه كما فى ديوانه بشرح التبريزى ١٦٤/١ « فصواب من مقلة أن تصوبا » قال التبريزى : « تصوب : من صاب السحاب إذا جاء بالمطر »

(٣) فى ديوانه « ذكر » كما فى م وفى ط والتبريزى « ركن » والهاء فى معانيه راجعة على الممدوح . والبيت فى الديوان مؤخر عن تاليه

(٤) قال التبريزى : « لأن أطيب الشعر ما كان تشبيباً ، وقد صار مدحه ألذ وأطيب » .

(٥) الزيادة من ك

(٦) فى ك : « فإما »

(٧) ط « وهو »

فَكأَنَّ قُسًّا فِى عُكاظٍ يَخطُبُ(١) وكَثِيرَ عزَّةَ يَوْمَ بَيْنٍ يَنْسِبُ(٢)

وذلك لعلم أَبى تمام بتقدُّم كُثَيِّر فى النسيب على غيره ، وشهرته بالتجويد فيه ، على(٣) أن جميلاً لا شعر له مما يُعتدُّ به إلا فى النسيب والْغَزَل .

فقد علمتم الآن أن هذه خلَّة(٤) لا توجب لكم تفضيل أَبى تمام على البحترى من أَجل أنه أَخذ شيئاً من معانيه .

وأَما قول البحترى : « جيِّدُه خير من جَيدِى ورديئى خيرمن رديئه »(٥) فهذا الخبر – إن كان صحيحاً – فهو للبحترى ، لا عليه ؛ لأَن قوله هذا يدلُّ على أَن شعر أَبى تمام شديد الاختلاف ، وشعره شديدُ الاستواء ، والمستوى الشعر أَولىٰ بالتقدمة من المختلف الشعر ، وقد أَجمعنا(٦) – نحن وأَنتم – على أَن أَبا تمام يعلو علوًّا حسناً وينحط انحطاطاً قبيحاً ، وأَن البحتريّ يعلو ويتوسط(٧) ، ولا يسقط ، ومن لا يسقط ولا يُسَفْسِفُ أَفْضلُ ممن يسقط ويسفسف .

* * *

والذى أَرويه(٨) عن أَبى على : محمد بن العلاء السجستانى – وكان

---

(١) هذا صدر بيت عجزه : « وكأن ليل الأخيلية تندب »

(٢) وهذا صدر البيت الذى يليه وعجزه : « وابن المقفع فى اليتيمة يسهب » راجع ديوانه بشرح التبريزى ١/١٤٢ و ص ٤٠ بيروت

(٣) فى ك : « هذا على »

(٤) ط « حالة »

(٥) قال ذلك للحسين بن على الباقطانى وقد سأله : أيما أشعر أنت أو أبو تمام ، كما رواه الصولى فى أخبار أبى تمام ٦٧ وقد عقب عليه بقوله : « وقد صدق البحترى فى هذا ، جيد أبى تمام لا يتعلق به أحد فى زمانه ، وربما اختل لفظه قليلا لا معناه ، والبحترى لا يختل » وانظر الأغانى ١٨/١٦٨ .

(٦) ط « اجتمعنا »

(٧) ط « بتوسط »

(٨) ط « نرويه » ، ك : « أرويه أنا » .

صديق البحترى ـ أنه قال ، سُئل البحترىُّ عن نفسه وعن أبى تمام ، فقال : كان[١] أغوص على المعانى [ منى ] ، وأنا أقومُ بعَمُود الشعر [ منه ] . وهذا الخبر هو الذى يعرفه الشاميون ، دون غيره .

وسمعت أبا علىٍّ : محمدَ بن العلاء أيضاً يقول : كان البحترىُّ عند نفسه أشعر من أبى تمام و [ من ] [٢] سائر الشعراء المحدَثِين [ أو أكثر الشعراء المحدثين ] .

وقد ذكر أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجرّاح فى كتابه الذى ذكر فيه أخبارَ الشعراء نحوًا من ذلك[٣] .

قال أبو على : محمد بن العلاء : كان البحترى إذا شرِب وأنس أنشد شعره[٤] وقال : ألا تسمعون ؟ ألا تعجبون ؟ قال : وكان ـ مع هذا ـ [ من ] أحسن الناس أدب نفس ، لا يُذكر [ له ] شاعر محسن أو غيرُ محسن إلا قرَّظَه ، ومدحه ، وذكر أحسن ما فيه .

قال أبو على : ولِمَ لا يفعل ذلك ؟ وقد أسقط فى أيامه أكثر من خمسمائة شاعر ، وذهب بخبزهم[٥] ، وانفرد بأَخذِ جوائز الخلفاء والملوك[٦] دونهم . فلو لم يفعل ذلك إلا اسْتِكْفَافاً [ لهم ] [٧] وحذَرا من بيت واحد يندر فيبقى على الزمان ـ لكان من الحظ له أن يفْعله .

(١) ط « هو »
(٢) الزيادة من ك
(٣) وهو غير كتاب « الورقة » ، على ما نعتقد
(٤) فى ك : « شعر نفسه »
(٥) ط « بخيرهم »
(٦) ليست فى ك .
(٧) الزيادة من ك

[قال] : وكذلك كان أبو على : دِعْبِلُ بن على الخزاعى يهجو الملوك والخلفاء ولا [يكاد] يعرض لشاعر[١] إلا ضرورة ، وقد حذَّر فى أول كتابه الذى ألفه فى الشعراء من التعرض للشاعر ، ولو كان من أدْوَن الناس طبقة[٢] فى الشعر ، وقال : رُبَّ بيت جرى على لسان مُفْحَم قيل فيه : «رُبَّ رمية من غير رام»[٣] فسارت به الركبان ، ولذلك يقول فى بعض شعره :

لاَ تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لِامْرِئٍ طَبِن    ما راضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِى الشَّفَةِ[٤]
فَرُبَّ قَافِيةٍ بالْمزْحِ جارِيَةٍ    مشْئُومةٍ لَمْ يُرَدْ إنْماؤُها نَمتِ

* * *

ثم نرجع إلى قول الخصمين :

* * *

٣ ـ قال صاحب أبى تمام : فأبو تمام انفرد بمذهب اخترعه ، وصار فيه أولا وإماماً متبوعاً ، وشُهِر به حتى قيل : مذهب أبى تمام[٥] ، وطريقة أبى تمام ، وسَلك الناسُ نَهْجَه ، واقْتَفَوْا أَثَرَهُ . وهذه فضيلة عَرِىَ عن[٦] مثلها البحترى .

* * *

٤ ـ قال صاحب البحترى : ليس الأمر فى اختراعه لهذا المذهب على ما

---

(١) ط «لشاعرهم»
(٢) ط «الشاعر . . . صنعة»
(٣) مثل يضرب للمخطئ يصيب أحياناً ، راجع جمهرة الأمثال ١١٠ ومجمع الأمثال ١/٣١٠
(٤) الموشح ٣٨٠ والعمدة ١/٦١ وذيل أمالى القالى ١١٢ والكامل ١/٣٥٤ وأمالى المرتضى ٢/٢٧٠ وديوان دعبل ١٣٧
(٥) فى ط ، م : «هذا مذهب أبى تمام»
(٦) فى ك : «من»

وصفتم[١] ولا هو بأَول فيه ، ولا سابق إليه ، بل سلك فى ذلك سبيل مُسْلم ، [بن الوليد] [٢] ، واحتذى حذْوه ، وأَفرط وأَسرف وزال عن النَّهْج المعروف ، والسَّنن المأْلوف ، وعلى أن مسلماً أَيضاً غيرُ مبتدِع لهذا المذهب ، ولا هو أَولٌ فيه ، ولكنه رأَى هذه الأَنواع التى وقع عليها اسمُ البديع – وهى : الاستعارة ، والطِّباق ، والتجنيس – منثورة[٣] متفرقة فى أَشعار المتقدمين ، فقصدها ، وأَكثر فى شعره منها ، وهى فى كتاب الله عز وجل [أَيضاً] موجودة ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾[٤] وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾[٥] وقال : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾[٦] فهذا من الاستعارة التى هى [مجاز] فى القرآن .

* * *

وقال امرؤ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطى بِجوْزِهِ ... وأَرْدف أَعْجازًا وناءَ بِكَلْكَلِ[٧]

فجعل الليل يتمطَّى ، وجعل له أَردافاً[٨] وكلْكَلاً .

وقال زهير :

صَحا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلْمى وأَقْصَرَ بَاطِلُهْ ... وَعُرِّىَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ[٩]

(١) ط « لاختراعة . . . ما وصفته »

(٢) من ك

(٣) ط « منشورة »

(٤) سورة مريم : ٣ والبديع ١٩ وإعجاز القرآن ١٠١ والصناعتين ٢٧٢ .

(٥) سورة يس : ٣٧ والبديع ١٩ وإعجاز القرآن ٤٠٤ والصناعتين ٢٧٣ .

(٦) سورة الإسراء : ٢٤ والبديع وإعجاز القرآن ١٠١ .

(٧) البديع ٢٥ والصناعتين ٢٨٣ ونقد الشعر ٦٧ والعمدة ١/٢٤٥ والموشح ٣١ ودلائل الإعجاز ٦٢ وطبقات الشعراء ٧١ وديوانه ١٠٠ وسر الفصاحة ١١٣ وإعجاز القرآن ١١٢ وقراضة الذهب ١٥ . وفى ك : « تمطى بصلبه »

(٨) فى ك : « أردافا »

(٩) البديع ٢٦ وديوانه ٢٤ وسر الفصاحة ١١٥ وإعجاز القرآن ١١٣ والوساطة ٣٣ ، ٢٠٦ والصناعتين ٢٨٢ وقراضة الذهب ١٦ ومعاهد التنصيص ٢/١٧١ وأسرار البلاغة ٢٦ ، ٤٥ والمصباح ٦٣

فجعل للصبا[1] أفراساً ورَواحل .

[وقال طفيل الغنوى :

وجعلت كورى فوق ناجية  يقتات شحم سنامها الرحل[2]

فجعل الرحل يقتات السنام] .

وقال لَبيدٌ الجعفرى[3] :

وغَداةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وقِرَّةٍ  إذْ أَصْبحتْ بِيدِ الشَّمال زِمَامُهَا[4]

فجعل للشَّمال يدًا ، وللغداة زماماً .

فهذه كلها استعارات .

* * *

وقال عز وجل فى الجناس[5] : ﴿وأَسْلَمْتُ مع سُلَيْمَانَ للهِ ربِّ الْعالَمِين﴾[6]

[وقال] : ﴿فأَقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّم﴾[7] .

وقال النبى عليه السلام : «عُصَيَّةُ عَصَتِ الله ورسُولَهُ ، وغِفَارٌ غَفَرَ الله لها ، وأَسْلَمُ سَالمها الله »[8] .

وقال القُطَامِىُّ :

فلمَّا ردَّها فى الشَّولِ شَالَتْ  بِذَيَّالٍ يكُونُ لَها لفاعَا[9]

---

(١) ط « الهوى »

(٢) البديع ٣٠ وديوانه ص ٦٢ ونقد الشعر ٦٧ والصناعتين ٢٨٣ وسر الفصاحة ١١٣ واللسان ٣٧٩/٢ والعمدة ١/٢٤٤ وأسرار البلاغة ٤٣

(٣) فى ط « الجعفى » وهو تحريف

(٤) البديع ٣٣ وشرح القصائد العشر ١٥٨ والعمدة ١/٢٣٩ والوساطة ٣٣ والصناعتين ٢٨٥ وأسرار البلاغة ٤٣ . وفى ط « الغداة يدا وللشمال زماماً » وهو خطأ واضح .

(٥) ط ، ك « التجنيس »

(٦) سورة النمل: ٤٤ والبديع ٥٥ وإعجاز القرآن ١٢٧ والصناعتين ٣٢٢

(٧) سورة الروم : ٤٣ والبديع ٥٦ والصناعتين ٣٢٢ وإعجاز القرآن ١٢٧

(٨) البديع ٥٦ والصناعتين ٣٢٣ وعجاز القرآن ١٢٧ وإمتاع الأسماع ١/١٧٢ — ١٧٣

(٩) البديع ٥٦ وديوانه ٤٣ والصناعتين ٣٢٨ وإعجاز القرآن ١٣٠ . والشول : طروقة الفحل. ردها : لأنه ظن أنها لم تحمل فشالت بذنبها لأنها لاقح . وذيال : ذنب طويل ولفاع : ثوب تلتفع به

وقال أيضاً :

كنيِّةِ الحىِّ مِنْ ذِى القَيْظَةِ احْتَمَلُوا ... مُسْتَحْقِبِينَ فؤادًا ماله فادِ[١]

وقال جرير :

وما زَال معقُولاً عقَالٌ عنِ النَّدى ... ومازَال مَحْبُوساً عَنِ الخيرِ حابِسُ[٢]

وقال ذو الرمة :

كأَنَّ البُرَى والْعاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ ... علَى عُشَرٍ نَهَّى بهِ السَّيْل أَبْطَحُ[٣]

وقال امرؤ القيس :

لَقَدْ طَمَحَ الطَّماحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِه ... لِيُلْبِسَنى مِنْ دَائهِ ما تَلَبَّسا[٤]

وقال الفرزدق :

خُفَافٌ أخفَّ اللهُ عنْهُ سَحَابَهُ ... وأَوْسَعهُ مِنْ كلِّ سافٍ وحَاصِبِ[٥]

ذكر ذلك كله أبو العباس : عبدُ الله بن المعتز فى « كتاب البديع » .

وقال : ومن الطباق قولُ الله تعالى : ﴿ ولَكُمْ فى الْقِصَاصِ حياةٌ ﴾[٦] .

---

(١) ديوانه ٨ وسر الفصاحة ١٨٤ والشعر والشعراء ٢/٧٠٣ وفى ط « القيظ فاحتملوا » وفى ديوانه ٨ « من ذى الغضبة . . . أسيراً ماله » احتملوا من مرعى تعذر عليهم حتى نزلوا فى مكان غيره ، كنية الحى ، يقول : ما للكواعب ودعتنى كما ودعنى حتى كنت كلفاً بهم فظعنوا واستحقبوا فؤادى وهو الأسير الذى لا يفديه أحد . أراد : ماله من يفديه . ويروى من ذى الغيضة ، وهو مكان »

(٢) ديوانه ٣٢٦ « عن العلى » البديع ٥٦ « عن المجد حابس » سر الفصاحة ١٨٤ وأخبار أبى تمام ٢٦٤ والصناعتين ٣٢٨ وفى زهر الآداب ٢/٣٦٩ عقال بن محمد ، جد الفرزدق وحابس بن عقال ، أبو الأقرع بن حابس أحد المؤلفة قلوبهم .

(٣) البديع ٥٧ نقد الشعر ٦١ العمدة ١/٢٩٣ والصناعتين ٣٢٧ والكامل ٢/٦٩٢ وفى ديوانه ٨١ « البرى : الخلاخيل . والعاج : أسورة تتخذها نساء الأعراب من العاج ، وواحد البرى : برة ، وكل حلقة تسميها العرب برة . عيجت : لويت على العشر . والعشر : شجر ناعم لين ، شبه سوقها وسواعدها به فى استوائه ولينه . نهى به السيل أبطح ، يقول : ينهى الأبطح السيل بالعشر إلى مكان ينبت فيه . والأبطح : بطن الوادى

(٤) البديع ٥٩ والصناعتين ٣٢٥ والكامل ٢/٧٤٠

(٥) البديع ٥٩ ونقد الشعر ٦١ والصناعتين ٣٢٥ ديوانه ١/٢٩ « جفاف أجف »

(٦) سورة البقرة : ١٧٩ والبديع ٧٤ والصناعتين ١٧٥ وإعجاز القرآن ١٢٢ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم [ للأنصار ] [١] «إنَّكُم لتكثُرُونَ عِند الفَزَعِ ، وتَقِلُّونَ عِند الطَّمعِ» [٢].

وقال زهير :

لَيْثٌ بِعَثَّر يَصْطَادُ الرِّجال إذا ... ما اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أقْرانه صَدَقَا [٣]

فطابق بين الصدق والكذب .

وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ :

بِسَاهِمِ الْوجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَباجِلُهُ ... يُصَانُ وهْو لِيوْمِ الرَّوْعِ مبْذُولُ [٤]

فطابق بين قوله «يصان» وبين قوله «مبذول» .

فتتبع مسلمُ بن الوليد هذه الأنواع واعتمدها [٥] ، ووشَّح شعره بها ، ووضعها في مواضعها [٦] ، ثم لم يَسْلم مع ذلك من الطعن ، حتى قيل : إنه أول من أفسد الشعر ، روى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، قال : حدثني محمد بن قاسم بن مهرويه ، قال : سمعت أبي يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم اتبعه أبو تمام ، واستحسن مذهبه ، وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الأصناف ، فسلك

(١) من ك

(٢) البديع ٧٤ البيان والتبيين ٢/١٦ والصناعتين ٣٠٩ وإعجاز القرآن ١٢٣

(٣) ديوانه ٥٤ والبديع ٧٨ ونقد الشعر ٢٣ والعمدة ٢/٦ كذب : لم يصدق في الحملة ، والقرن : الكفء في القتال ، وعثر : جبل بتبالة أو من ديار مذحج أو واد بالعقيق ؛ كما في معجم البكري ٣/٩٢١ .

(٤) البديع ٧٩ والصناعتين ٣١٢ والعمدة ٢ / ٦ وديوانه ٣٣ . بساهم الوجه : أي قليل لحم الوجه لطول غزوه ولعتقه . والأبجل : عرق في الرجل ، لم تقطع أباجله : لم يفصده البيطار لداء أصابه .

(٥) ط «واعتدها»

(٦) في ط ، م : «موضعها»

طريقاً وعرًا ، واستكره الألفاظ والمعانى ، ففسد شعره ، وذهبت طَلاوته ، ونشف ماؤه .

وقد حكى عبد الله بن المعتز فى هذا الكتاب الذى لقبه [ بكتاب ] البديع[١] أن بشّارًا وأبا نُواس ومُسلم بن الوليد ومَنْ تَقَيَّلهم لم يسْبِقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر فى أشعارهم فعرف فى زمانهم . ثم إن الطائى تفرّع فيه ، وأكثر منه ، فأحسن فى بعض ذلك ، وأساء فى بعض ، وتلك عُقْبى الإفراط ، وثمرة الإسراف .

قال : وإنما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيت والبيتين فى القصيدةِ ، وربما قرئ من شعر أحدهم قصائدُ من غير أن يوجد فيها بيت واحد بديع ، وكان يُسْتَحسن ذلك منهم إذا أتى نادرًا ، ويزداد حُظْوة بين الكلام المرسل . وقد كان بعضهم يشبه الطائى فى البديع بصالح بن عبد القدوس فى الأمثال . ويقول : لو أن صالحاً[٢] نثر أمثاله فى تضاعيف شعره وجعل بينها فصولاً من أبياته ، لسبق أهل زمانه وغلب على ميدانه . قال ابن المعتز : وهذا أعدل كلام سمعته .

* * *

قال صاحب البحترى : فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبى تمام لهذا المذهب وسبقه إليه ، وصار استكثاره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنوبه ، وأكبر عيوبه ، وحصل للبحترى أنه مافارق عمود الشعر وطريقته المعهودة ، مع ماتجده كثيرًا فى شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، وانفرد بحسن العبارة ،

---

(١) راجع ص ١٥ — ١٦

(٢) ط « كان صالح »

وحلاوة الألفاظ[1] ، وصحة المعانى . حتى[2] وقع الإجماع على استحسان شعره واستجادته ، وروى شعره واستحسنه سائرُ الرواة على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم ؛ فمن نَفَق على الناس جميعاً أَوْلى بالفضل[3] ، وأحقُّ بالتقدمة .

* * *

٥ ـ قال صاحب أبى تمام : إنما أعرض عن شعر أبى تمام من لم يفهمه ؛ لدقة معانيه ، وقصور علمه عنه ، وفهمته العلماء وأهل النَّقَاذ[4] فى علم الشعر ، وإذا عَرَفَتْ هذه الطبقةُ فضله لم يضرّه[5] طعنُ من طعن بعدها عليه .

٦ ـ قال صاحب البحترى : فابنُ الأعرابىّ وأحمد بن يحيى الشيبانى ـ وقبلهما دِعْبِل بن علىٍّ الخُزاعى ـ قد كانوا علماء بالشعر وبكلام العرب ، وقد عرفتم مذاهبهم فى أبى تمام وإرذالهم لشعره[6] وطعْن دعبل عليه ، وقوله[7] : إن ثلث شعره محال ، وثلثه مسروق ، وثلثه صالح . رواه[8] أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الشعراء ، عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن الهيثم بن داود عن دعبل .

[وحكى أيضاً] عن دعبل أنه قال : ما جعله الله من الشعراء ، بل شعره بالخطب وبالكلام المنثور أشبه منه بالشعر . ولم يُدْخله فى كتابه المؤلَّف فى الشعراء .

---

(١) فى ك : « اللفظ»
(٢) ط « وحيث »
(٣) فى ط ، م : « بالفضيلة »
(٤) ط « فهمه عنه وفهمه العلماء والنقاد »
(٥) فى ك : « لم يضرره »
(٦) ط « وازدراءهم بشعره »
(٧) ط « وقولهم »
(٨) ط « وروى »

وقال ابن الأعرابى فى شعر أبى تمام : إن كان هذا شعرًا فكلام العرب باطل ، روى[١] ذلك أبو عبد الله : محمد بن داود ، عن البحترى ، عن ابن الأعرابى .

وحكى محمد بن دواد أيضاً عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة ابن محمد ــ وكان عالماً بالشعر ــ أنه قال : أبو تمام يريد البديع فيخرُج إلى المحال .

وروى [أيضاً] عنه أنه قال : دخل إسحاق بن إبراهيم الْمَوْصِلى على الحسن بن وهب وأبو تمام يُنْشِده ، فقال له إسحاق : يا هذا لقد شَدَّدْتَ على نفسك . وذكر أيضاً ذلك أبو العباس : عبدُ الله بن المعتز بالله فى كتاب البديع[٢] .

وغير هؤلاء العلماء ممن أسقط[٣] شعره كثيرٌ : منهم أبو سعيد الضرير ، وأبو العَمَيْثل الأعرابى صاحبا[٤] عبد الله بن طاهر [والقيمان بأمر خزانة الحكمة] بخراسان ، وكانا من أعلم الناس بالشعر ، وكان عبد الله بن طاهر لا يسمع من شاعر إلا إذا امتَحناه وعرض عليهما[٥] شعره ورضياه ، فقصدهما أبو تمام بقصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر وأولها :

هُنَّ عوادِى يُوسُفٍ وصَوَاحِبُهْ ... فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ الثَّأر طالِبُه[٦]

---

(١) م « وروى كذلك »
(٢) ص ١٠٣ وانظر الوساطة ٧٠ والصناعتين ٤٦
(٣) ط « أفسدوا »
(٤) ط « صاحب »
(٥) ط « وأنشدهما »
(٦) ط ، ك « النجح » وديوانه بشرح التبريزى ١/٢٢٣ « أدرك السؤل » وهما روايتان . وانظر أخبار أبى تمام ١١٥ وهامشها .

فلما سمعا هذا الابتداء أعرضا عنه ، وأسقطا القصيدة ، حتى عاتبهما أبو تمام ، وسألهما [ استتمام ] النظر فيها . فلولا أنهما مرا[1] ببيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة علَى عبد الله بن طاهر وأخذا له الجائزة — لكان[2] قد افتضح وخابت سَفْرته ، وخسرت صفْقته . والبيتان :

وركْبٍ كَأطْرافِ الأسِنَّةِ عرَّسُوا ... علَى مِثْلِهِـــا واللَّيْلُ تَسطُو غَياهِبُهْ
لِأمْرٍ علَيْهِمْ أنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ ... ولَيْس علَيْهِمْ أنْ تَتِمَّ عواقِبُهْ[3]

أخذ معنى البيت الأول من قول الْبَعِيث :

أطافَتْ بشُعْثٍ كالأَسِنَّةِ هُجَّدٍ ... بِخاشِعةِ الْأَصْوَاءِ غُبْرٍ صُحُونُها[4]

وأخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر :

غُلامٌ وغَى تَقحَّمَها فأَبْلَى ... فَخَانَ بلاءَهُ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ[5]
فَكَانَ على الفَتَى الْإِقْدامُ فِيها ... ولَيْس علَيْهِ ما جنَتِ الْمنُونُ[6]

ولما أوصلا إليه الجائزة قالا له : لم لاتقول ما يفهم ؟ فقال لهما : لم لا تفهمان ما يقال ؟ فكان هذا مما استحسن من جوابه .

وهذا أبو العباس : محمدُ بن يزيد المبردُ [ كان معرضاً عنه ] ، وما

---

(١) ط « ظفرا »

(٢) م ، ك « كان » .

(٣) ذكر أبو هلال فى ديوان المعانى ١/١٤٠ وقال : ليس فى المضاء والعزيمة أجود منهما » .

(٤) م ، ك « أطاف » ،م : « الأصوات » أى ساكنة الأصوات ومنه قوله تعالى: «وخشعت الأصوات للرحمن» ، أى سكنت والأصواء والصوى : أعلام من حجارة منصوبة فى الفيافى المجهولة يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها . ومعنى غبر صحونها : لا يهتدى للسير فى أوساطها . وفى ك فوق صحونها : « متونها »

وانظر أخبار أبى تمام ١١٧ .

(٥) اللسان ١٧/ ٣٠٤ وديوان المعانى ١/١٤٠ وأخبار أبى تمام ٥٣ ، ١١٨ وفى م ، ك « بلاء الزمن » والصناعتين ٢٠٦

(٦) فى اللسان « قال ابن برى : المنون : يريد بها الدهور بدليل قوله فى البيت قبله : فخان بلاء الدهر الخئون » .

علمناه دَوَّن(١) له كبير شيء؛ وهذه كتبه وأماليه وإنشاداته تَدُلُّ على ذلك ، وكان يفضل البحترى ، ويستجيد شعره ، ويكثر إنشاده ، ولا يُمليه ؛ لأن البحترى كان باقياً فى زمانه .

وأخبرنا أبو الحسن الأخفش رحمه الله قال : سمعت أبا العباس : محمد بن يزيدَ المبرد يقول :ما رأيت أشعر من هذا الرجل — يعنى البحترى— ولولا أنه ينشدنى كما ينشدكم(٢) لملأتُ كتبى وأمالىّ من شعره .

قال صاحب البحترى(٣) : فقد بطل احتجاجكم بالعلماء ، وتفضيلهم لشعره(٤) .

* * *

٧ـ [قال صاحب أبى تمام : أما احتجاجكم بدعبل فغير مقبول ولا معوّل(٥) ] عليه ؛ لأن دِعْبِلاً كان يشْنأ أبا تمام ويحسُده ، وذلك مشهور معلوم منه ؛ فلا يقبل قول شاعر فى شاعر .

وأما ابن الأعرابى فكان شديد التعصُّب عليه ؛ لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يَرِد عليه من معانيه مالا يفهمه ولا يعلمه ، فكان إذا سُئل عن شىء منها يأنف أن يقول : لا أدرى ؛ فيعدل إلى الطعن عليه .

والدليل على ذلك أنه أُنْشِد يوماً أبياتاً من شعره وهو لا يعرف(٦) قائلها ، فاستحسنها وأمر بكَتْبها ، فلما عرف أنه قائلها قال : خرِّقوا .

---

(١) م ، ك « روى »
(٢) ط « لما أنشدكم »
(٣) ط « صاحب أبى تمام » وهو خطأ بين !
(٤) ط « وتفضيلكم شعره عليه ، لأن دعبلا »
(٥) فى ك : « معمول »
(٦) ط « لا يعلم »

والأبيات من أرجوزته التى أولها :

وعاذِلٍ عَذَلْتُــهُ فِى عذْلِهِ فَظَنَّ أَنِّى جاهِلٌ مِنْ جهْلِهِ[١]

و [إذا] كان ابنُ الأَعرابى – مع علمه وتقدُّمه – قد حمل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر ، فما تُنكرون أن تكون حالُ سائر من ذكرتموه أيضاً كحاله[٢] ؟

* * *

٨ – قال صاحب البحترى : لا يلزم ابن الأَعرابى من الظلم والتعصب ما ادَّعيتم ، ولا يلحقه نقصٌ فى قصور فهمه عن معانى [شعر] شاعر عَدَل فى شعره عن مذاهب العرب [المأْلوفة] إلى الاستعارات البعيدة الْمُخرِجة للكلام إلى الخطإِ أَو الإِحالة ، بل العيبُ والنقص فى ذلك يلحقان أَبا تمام ؛ إذ عدل عن المحجَّة إلى طريقة يجهلها ابنُ الأَعرابى وأَمثاله .

وأَما ما استحسنه ابن الأَعرابى من شعر أَبى تمام [على أنه لأَعرابى] وأَمر بكَتْبه[٣] ، ثم بتخريقه لمّا علم أنه قائله – فذلك غير مُنكَر ، ولا مُدْخِل[٤] ابن الأَعرابى فى التعصُّب ولا الظلم ؛ لأَن الذى يورده الأَعرابى – وهو محتذٍ على غير مثال – أَحلى فى النفوس ، وأَشهى إلى الأَسماع ، وأَحق بالرواية[٥] والاستجادة مما يورده المتحذى على الأَمثلة وعُذرُ ابن الأَعرابى فى هذا واضح[٦] ، وقد سبقه الأَصمعى وذلك أَن إسحاق بن إبراهيم الموصلى أَنشد الأَصمعى :

---

(١) ديوانه ٥٠٤ وأخبار أبى تمام ١٧٥ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/٢٢ والجليس والأنيس (مخطوط) ومروج الذهب ٤/٧٣

(٢) ط « أيضاً أن تكون . . . مثل حاله »

(٣) م « بكتبته »

(٤) ط « ولا يدخل »

(٥) ط « بالزيادة »

(٦) ط « فى هذا إذا قد صح »

هلْ إلَى نَظْرَةٍ إلَيْكِ سبِيلُ فيُرَوَّى الصَّدَى ويُشفَى الغَلِيلُ
إنَّ ما قَلَّ مِنْكِ يَكْثُرُ عِنْدِي وكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

فقال له [الأصمعى] : لمن تنشدنى ؟ فقال : لبعض الأعراب ، قال : والله هذا هو الدِّيباجُ الخسروانى ، قال : فإنهما لليلتهما ، فقال : لا جرم والله إن أثر الصنعة والتكلُّف بيِّنٌ عليهما(١) .

حدثنا بهذا الحديث أبو الحسن علىُّ بن سليمانَ الأخفشُ النحوىُّ ، قال: حدثنا أبو الحسن المهرانى(٢) ، قال : حدثنى أبو خالد : يزيد بن محمد المهلبى ، قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، قال : أنشدت الأصمعى ، إلا أنه ذكر عن إسحاق أنه [لما] قال له : فإنهما لليلتهما ، قال الأصمعى : أفسدتَهما [علىّ](٣) .

فالأصمعى فى هذا غيرُ ظالم : لأن إسحاق – مع علمه بالشعر ، وكثرة روايته – لا ينكر له أن يُورِدِ مثل هذا ؛ لأنه يقوم فى النفس أنه قد احتذاه على مثال ، وأخذه من(٤) متقدِّم ، وإنما يُستَطْرف مثله من الأعرابى الذى لا يعوِّل إلا على طبعه وسليقته .

وابن الأعرابى فى أبى تمام أعذَرُ من الأصمعى فى إسحاق ؛ لأن أبا تمام كان مُغْرَماً مشغوفاً بالشعر ، وانفرد به ، وجعله وُكْدَه ، وألَّف فيه كتباً ، واقتصر من كل علم عليه ، فإذا أورد المعنى المستغرب لم يكن ذلك [منه]

---

(١) راجع تاريخ بغداد ٣٤٢/٦ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٢٤/٢ وأخبار أبي تمام ١٧٥ – ١٧٦ والوساطة ٤٩ وأمالى القالى ١٩٦/١ وسمط اللآلى ٤١٠/١ ، ٤٧٢ والأغانى ٧٥/٥ – ٧٦ ومعجم الأدباء ٤٠/٦ والصناعتين ٣٩٥

(٢) ط « البهرانى »

(٣) من ك

(٤) فى ط ، م : « عن »

ببِدْع[١] ؛ لأنه يأْخذ المعانى ويحتذيها ، فليست له[٢] فى النفوس حلاوة ما يورده الأَعرابى [ القح ] .

* * *

٩ ـ قال صاحب أَبى تمام : فقد أَقررتم لأَبى تمام بالعلم بالشعر[٣] والرواية ، ولا محالة أَن العلم فى شعره أَظهر منه فى شعر البحترى ، والشاعر العالم أَفضل من الشاعر غير العالم .

* * *

١٠ ـ قال صاحب البحترى : قد[٤] كان الخليل بن أَحمد عالماً شاعرًا ، وكان الأَصمعى عالماً شاعرًا ، وكان الكسائى كذلك ، وكان خَلَفُ بن حيَّان الأَحمرُ أَشْعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقةَ منْ كان فى زمانهم من الشعراء غير العلماء ؛ فقد صار[٥] التجويد فى الشعر ليست علتُه العلم ، ولو كانت علته العلم لكان منْ يتعاطاه من العلماء أَشعر ممن ليس بعالم .

فقد سقط فضل أَبى تمام من هذا الوجه على البحترى ، وصار [ البحترى ] أَولى بالفضل[٦] ؛ إذ كان معلوماً شائعاً أَن شعر العلماء دون شعر الشعراء .

ومع ذلك فإن أَبا تمام تعمد[٧] أَن يدُلَّ فى شعره على علمه باللغة وبكلام العرب ؛ فتعمد إدخال[٨] أَلفاظ غريبة فى مواضع كثيرة من شعره ، وذلك نحو قوله :

---

(١) ط « ببدع له »
(٢) « فليس لها »
(٣) ط « والشعر »
(٤) ط « فقد »
(٥) ط « كان »
(٦) ط « أفضل وأولى بالسبق »
(٧) ط « يعمل [ على ] أن »
(٨) ط « فيعمد لإدخال »

هُـنَّ البحـارى يا بُجيرُ أَهْدَى لَهَا الأَبْؤُسَ الْغُوَيْرُ(١)

قوله :

* قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فى الْغَلَواء(٢) *

وقوله :

* أَقَرْمَ بكْرٍ تُبارى أَيُّهَا الْحَفَضُ(٣) *

وهذا فى شعره كثير موجود ، والبحترى لم يقصد هذا ولا اعتمده ، ولا كان له عنده فضيلة ، ولا رأى أنه علم ؛ لأنه نشأ ببادية مَنْبج ، وكان يتعمّد(٤) حذف الغريب والوحْشِىّ من شعره ليقربه على فهم من يمدحه(٥) ، إلا أن يأْتيه طبْعه باللفظة بعد اللفظة فى موضعها من غير طلب لها ، ويرى أن ذلك أنفق له ، فَنَفَق ، وبلغ المراد والغرض ، ويدلك على ذلك أنه كان يُكنى أَبا عُبادة ، ولما دخل العراق تكنّى بأَبى الحسن ؛ ليزيل العنجهية والأَعرابية ، ويساوى فى مذاهبه أهل الحاضرة ، ويتقرب(٦) بهذه الكنية إلى أهل النباهة(٧) والكتّاب من الشيعة .

---

(١) الوساطة ٢٢

والابؤس : جمع بأس ، والغوير غار ، يشير إلى المثل المشهور « عسى الغوير أبؤسا » وهو يضرب للرجل يخبر بالشىء فيتهم فيه . راجع جمهرة الأمثال ١٤٣

(٢) ديوانه بشرح التبريزى ٢٢ — ٢٥ والموشح ٣٠٥ والصناعتين ٤٣٥

وعجزه : « كم تعذلون وأنتم سجرائى » ومعنى قدك : حسبك واتئب : استحى ، مأخوذ من الإبة هى الحياء ، والمراد بالغلواء : الزيادة فى اللوم ، وقد خرج بقوله : كم تعذلون ، من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع . والسجراء الأصدقاء . يقول : كم تعذلوننى وأنتم أصحابى وخلطائى وتعلمون ما بى .

(٣) عجزه فى ديوانه ١٨٠ « ونجمها أيهذا الهالك الحرض » وهو مطلع قصيدة يمدح بها خالد ابن يزيد الشيبانى ويهجو رجلا فاخره فى المجلس . وفى هامش م « خ : تباهى » والقرم : السيد العظيم وتبارى : تفاخر ، والحفض : الضعيف القليل الشأن . والحرض : السافل الذى لا يرجى خيره ولا يخاف شره .

(٤) فى ك : « يتعمل » وهو تصحيف

(٥) « من فهم من يمتدحه »

(٦) ط « ويقرب »

(٧) م « التناية »

وقد ذكر بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن ، وأنه لما اتصل بالمتوكّل وعرف مذهبه [ فى التعصب ] [١] عدل إلى أبى عُبادة . والأول أثبتُ .

وقد حكى أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح [ فى كتاب الشعراء] أن « أبا عُبادة » كنية البحترى القديمة .

فشتَّان ماهما [٢] مِنْ حضَرِىٍّ تشبَّه بأهل البدو فلم ينفق فى البادية ولا عند أكثر الحاضرة ، وبدوِىٍّ تحضَّر فنفق فى البدو والحضر .

* * *

١١ ــ قال صاحب أبى تمام : فقد عرَّفناكم أن أبا تمام أتى فى شعره بمعانٍ فلسفية ، وألفاظٍ عربية [٣] ، فإذا سمع بعضَ شعره الأعرابىٌّ لم يفهمه ، وإذا [٤] فسِّر له فهمه واستحسنه .

* * *

١٢ ــ قال صاحب البحترى : هذه دعاوٍ منكم على الأعراب فى استحسان شعر صاحبكم إذا فهموه ، ولا يصح ذلك إلا بالامتحان [٥] ، ولكنكم معترفون ومُجمعون مع من هو معكم وعليكم أن لصاحبكم إحساناً وإساءة [٦] ، وأن الإحسان للبحترى دون الإساءة ، ومَنْ أحسنَ ولم يسئْ أفضلُ ممن أحسن وأساء .

* * *

(١) يريد تعصبه على آل البيت ، راجع مقاتل الطالبيين ٥٩٧ .

(٢) ط « ما بينهما » وهما سواء ، وإن كان الأصمعى قد أبى شتان ما بينهما ، راجع اللسان ٢/٣٥٣ – ٣٥٤

(٣) ط « غريبة »

(٤) ط « فإذا »

(٥) فى ك : « إلا بامتحان »

(٦) ط « إحسانات وإساءات »

١٣ـ قال صاحب أبي تمام : ما أجمعنا معكم [على] (١) أن صاحبكم لم يسئ ، بل هو (٢) قد أساء في قوله :

يُخْفِي الزُّجاجَةَ لَوْنُها فَكَأَنَّهَا ... فِي الكَفِّ قائمةٌ بِغَيْرِ إناءِ (٣)

وهذا وصف للإناء ، لا للشراب ؛ لأنه لو ملئ (٤) الإناء دِبساً لكان هذا وصفه (٥) .

وقال :

ضَحِكاتُ فِي إثْرِهِنَّ العَطايا ... وَبُرُوقُ السَّحابِ قَبْلَ رُعُودِهْ (٦)

فأقام البرقَ مقام الضحك ، والرعدَ مقام العطايا ، وإنما كان يجب أن يُقيم الغيثَ مُقام العطايا ، لا الرعد . وله لُحُون في شعره معروفة منها قوله :

* ونَصَبْتَهُ عَلَماً بِسامُرَّاء * (٧)

وقوله :

* نبرات مَعْبَدَ في الثَّقِيل الأَوَّلِ * (٨)

---

(١) من ك

(٢) ليست في ك

(٣) ديوانه ٧٤٥

(٤) ط « ملأ »

(٥) في م ، ط : « صفته »

(٦) ديوانه ٥٧٦ والموشح ٣٤٢

(٧) صدره كما في ديوانه ٧٤٦ « أخليت منه البذ وهى قراره » والضمير في منه يعود على بابك المذكور في الأبيات السابقة . والبذ : حصن بابك بأذربيجان أو بينها وبين أران ؛ على ما في معجم البكرى ١/٢٣٥ والقاموس ١/٣٥٠

(٨) صدره كما في ديوانه ٧٣٢ ، ٣/١٧٤٨ « هزج الصهيل كأن في نغماته » والهزج : صوت مطرب ، والصهيل : صوت الفرس

وانظر ديوان المعاني ٢/١٦٦ وزهر الآداب ١/٣٠٨ ونهاية الأرب ٥١/٠

وقد ذكر أبو العلاء هذا البيت في عبث الوليد ٨٧ وعقب عليه بقوله : « الذى يوجبه رأى أهل البصرة كسر الدال في معبد ، ويجوز الفتح على مذهب أهل الكوفة . . . »

[ وقوله :

عَرِّجْ بِذِى سَلمٍ فَثَمَّ المنزِلُ لِيقولَ صَبٌّ ما يشاءُ ويفْعلُ] (١)

وقوله :

عَرِّجْ عَلَى حَلَبٍ [ فَحَىٌّ مَحلَّةٌ مَأْنوسَةٌ فيها لِعَلْوَةَ مَنزِلُ ] (٢)

وأشباه لهذا كثيرة ؛ فقد تساويا فى الغلط .

* * *

١٤ ـ قال صاحب البحترى : ما نَعَيْنا على أبى تمام اللحن ـ وهو فى شعره أكثر وأشنع (٣) ـ فتنعوا مثلة على البحترى ؛ لأن اللحن لا يكاد يَعْرَى منه أحد من الشعراء المحدَثين ، ولا سلم منه شاعر من شعراء الإسلاميين (٤) ، وقد جاء فى أشعار المتقدمين ما علمتم من [ الإقواء وغير الإقواء ] (٥) مما لا يقوم العذرُ فيه إلا بالتأويلات البعيدة .

وعلى أنه ليس شىء مما عبتم به البحترى [ من اللحن ] (٦) خارجًا عن مقاييس العربية ولا بعيدًا من الصواب ، بل قد جاء مثلُه كثيرًا (٧) فى أشعار القدماء والأعراب والفصحاء ، ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه .

ونحن لو رُمْنَا أن نُخرج ما فى شعر أبى تمام من اللحون (٨) لكثر ذلك

---

(١) الذى فى ديوانه ٣/١٥٧ ، ٢٤ بيروت :

لولا تعنفنى لقلت المــنزل معنى تبينــه ومعنى مشكل
وبوقفة يشفى غليــل صبــابة ويقول صب ما أراد ويفعل

ولا وجود للشطر الأول فيهما . وفيه طبع المعارف ٣/١٧٧٥ « مغى . . . ومغى »

(٢) لم يرد هذا البيت فى م ، ك وورد فى ط « وقوله : عرج على حلب » وقد أكلت البيت من ديوانه ٢٣ بيروت ومصر ٢/١٥٦

(٣) ط « كثير لو تتبع »

(٤) ط « ولا يسلم . . . من الشعراء »

(٥) ط « من الألفاظ مما »

(٦) من ك

(٧) ط « كثير »

(٨) ط « اللحن »

واتسع ، ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ، ولا يجد المتأوِّلُ له مخرجاً منه إلا بالطلب والحيلة والتمحل الشديد[١] ، وذلك نحو قوله :

ثَانِيهِ فى كبِدِ السَّماء ، ولَم يكُن لِاثْنَيْنِ ثان إذْ هُما فِى الْغارِ[٢]

معنى هذا البيت أنَّ بابَكَ صار فى الصَّلْب جارًا لمازيّار ، وهو ثانيه فى كبد السماء ، ولم يكن ثانياً لاثنين إذ هما فى الغار : أى هو ثانى اثنين فى الصَّلب الذى[٣] هو رذيلة ، وليس هو ثانياً [لاثنين] فى الغار ؛ لأن تلك فضيلة[٤] ؛ فكان يجب أن يقول فى البيت[٥] : «ولم يكن لاثنين ثانياً» لأنه خبر يكن ، واسمها هو اسم بابك مضمر فيها ؛ فليس إلى غير النصب سبيل فى البيت ، وإلا بطل المعنى وفسد ، وفسادُهُ أنك إن[٦] أخليت «يكن» من ضمير بابك وجعلت قوله «ثانى» اسمها كان ذلك خطأً ظاهرًا قبيحاً : لأنك إذا قلت : كان زيد وعمرو اثنين ، ولم يكن لهما ثان ، كنت مخطئاً ؛ لأن الاثنين[٧] أحدهما ثان للآخر ، وكذلك إذا قلت : كانوا ثلاثةً ، ولم يكن لهم ثالث ، كنت مخطئاً ؛ لأن أحد الثلاثة هو ثالثهم ، وإنما تكون مصيباً إذا قلت : كانا اثنين ، ولم يكن لهما ثالث ، [أو كانوا][٨] ثلاثةً ، ولم يكن لهم رابع .

وأيضاً فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن فى البيت فائدة ألبتة ؛ لأنه كان

---

(١) م ، ك «والتمحل والشدة»

(٢) ديوان أبي تمام ١٥٤ ودلائل الإعجاز ٦٦ ، وقبله :

ولقد شفى الأحشاء من برحائها أن صار بابك جار مازيار

(٣) م ط «لمازيار الذى»

(٤) ط «لأن هذه»

(٥) م «وكان يجب أن يقول لاثنين»

(٦) ط «إذا»

(٧) ط «اثنين»

(٨) ط «ثالث وثلاثة»

يكون المعنى حينئذ أن بابك ثانى ما زيّار [ فى كبد السماء ، ولم يكن للاثنين اللذين كانا فى الغار ثان ] ، فأىُّ فائدة فى هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش؟ وأىُّ تعلق لهذا المعنى بما قبله فى البيت ؟

وقال فى آخر قصيدة[١] :

شَامتْ بُرُوقَكَ آمالِى بِمِصْر ، ولَوْ أَضْحتْ على الطُّوسِ لم تَسْتَبْعِدِ الطوسا[٢]

فأدخل فى طوس الألف واللام ، وهى اسم بلدة معرفة[٣] .

وقال :

* إحْدى بنِى بكْرِ بْنِ عبْدِ مناهِ[٤] *

وإنما هى منَاة [بالتاء] فى الإدراج ، كما قال الله عز وجل : ﴿ ومنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخْرَى ﴾[٥] وإنما تكون هاءً فى الوقف ، لا مع[٦] الحركة والدَّرْجِ .

* * *

وقال فى هذه القصيدة :

* لَوْلَا صِفَاتٌ فِى كِتَابِ الْباهِ[٧] *

وإنما هى الباءة يا هذا[٨] فى تقدير الباعة ، وإن كان قد حكى الباه فى بعض اللغات الرديئة ، والردىء لا يُقْتَدى به[٩] .

---

(١) م م « فى قصيدته » وفى ك : « وفى قصيدة »

(٢) فى ديوان أبى تمام ١٧٢ « أضحت بطوس لما قصرت عن طوسا» وفى ك : « أستبعد »

(٣) ط « معرفة »

(٤) عجزه كما فى ديوانه ٣٤١ « بين الكثيب الفرد فالأمواه »

(٥) سورة النجم : ٢٠

(٦) ط « بالهاء . . . لا فى »

(٧) صدره « لم يجتمع أمثالها فى موطن » وفى م « حتى صفات »

(٨) ط « الباءة بالمد فى تقدير »

(٩) ط « لا يعتد به »

وقال :

فكَمْ لِي مِنْ هَوَاءِ فِيكِ صافٍ غَذِيٍّ جوُّهُ وَهَوًى وَبِيّ[١]

فشدد « غذى » وهو مخفف[٢].

وقال فى قصيدة[٣] :

* على الأعادِيِّ مِيكالٌ وجِبْرِيلُ *

فأوقع الإعراب على [ الياء من ] الأعادى ، وذلك غير جائز لمتأخر .

وقال :

تسعين ألفاً وتسعيناً ومِثْلُهُما كَتائِبُ الْخَيْلِ تَحمِيها الأراجيلُ[٤]

فنوَّنَ النون من « تسعين »[٥] وهذا لا يُسَوِّغُه محدثٌ . ونحو هذا مما ليست بنا حاجة إلى ذكره ؛ لأنا لم نتتبعه ولا عبناه به ؛ لما وصفناه به[٦] فى باب اللحن وكثرته فى أشعار المتأخرين ، وإنما عبناه بخطائه فى معانيه. وإحالاته وبعد[٧] استعاراته ، وكثرة ما يورده من الساقط والغث البارد ، مع سوء سَبْكه ، ورداءة طبعه ، وسخافة لفظه ، مما سنذكره فى باب آخر من الاحتجاج عليكم .

* * *

وأما ما عبتم البحترى به فى قوله :

يُخْفِي الزُّجاجةَ لَوْنُها فكأنَّها فى الكفِّ قائِمةٌ بِغيرِ إِناء

(١) ديوان أبى تمام ٣٤٣ « فى هواء »
(٢) ط « فلقل : غذى وهو غذ بالتخفيف »
(٣) م « فى قصيدته »
(٤) ط « ستين ألفاً وسبعيناً »
(٥) ط « « سبعين »
(٦) ط « وصفنا فى باب »
(٧) ط « وإحالته فى استعارات »

فما زالت الرواةُ وشيوخُ أهل العلم والأَدب يستحسنون[١] هذا البيت ويستجيدونه له ، وذكَرهُ عبد الله بن المعتز ـ وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر ـ فى باب ما اختاره من التشبيه فى كتابه الذى نسبه إلى البديع[٢] ، ولكنكم تأَولتم فى إنشاده ، ثم أعظمتم[٣] وأكبرتم أن تَنْعَوْا على شاعر مُحْسن [مكثر] بيتاً واحدًا ، فما زلتم تبحثون[٤] وتتحملون حتى وجدتم له ثانياً يحتمل من التأْويل ما احتمل[٥] الأَول ، وهو قوله :

ضَحِكاتٌ فى إثرِهنَّ الْعطَايا وبُروقُ السّحابِ قَبل رُعُودِهْ[٦]

وكلا البيتين إلى الصواب أقرب ، ومن الخطإ أبعد .

وأما قوله :

يُخْفِى الزُّجاجةَ لوْنُها فكأَنَّها فى الْكفِّ قائِمةٌ بِغيرِ إناءِ

فإنما قصد إلى وصف هيئة الشراب فى الإناء ، ولم يقصد وصف الشراب خاصة ، ولا الإناء[٧] ، كما ادعيتم ، ولو أراد وصف الإناء لكان مصيباً ؛ لأَن الزجاجة أيضاً توصف كما يوصف ما[٨] فيها ، وتقع المبالغة فى نعتها ، وقد جاء فى أوصاف[٩] أوانى الشراب ما جاء ، ومن أحسن ما قيل فى ذلك قول على بن العباس بن جُريج الرومى يصف قدحاً :

(١) م « يستحسن »
(٢) البديع ٧٣ – أوربا ، ١٢٩ مصر وانظر ما سبق ص ٢٦ – ٢٧
(٣) ط « ولكنكم أبيتم إلا إفساده ، ثم أجلبتم وأكثرتم »
(٤) ط « تتمنون » !
(٥) ط « وجدتم أبياتا تحتمل . . . ما يحتمله »
(٦) ديوان البحترى ٥٧٦
(٧) ط « ولم يقصد إلى وصف . . . ولا إلى الإناء »
(٨) ط « يوصف ما فيها » وفى م : « توصف بما فيها »
(٩) ط « فى وصف »

تنفُذُ العينُ فيه حتى تراها ... أخطأتْهُ من رقة الْمُسْتَشَفٌ(١)
كهواء بلا هَبَاء مشُوبٍ ... بضياء ، أرقّ بذاك وأصْفِ
وَسَطَ القَدْر ، لم يُكبَّر لِجرْعٍ ... مُتَوالٍ ، ولم يُصَغّر لرَشْفِ
لا عجول على العقول جهول ... بل حليمٌ عنهنّ فى غير ضَعْفِ(٢)
[ ما رأى الناظرون قدًّا وشكلا ... فارساً مثله على بطن كفٍّ ](٣)

فالزجاجة إذا صفَت ورقت وسلمت من الكدر اشتدّ صفاؤها(٤) وبريقها ، فإذا وقع فيها الشراب الرقيقُ اتصل الشعاعان ، وامتزج الضياءان(٥) ، فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر ، ولو صببنا(٦) دِبْساً أو عسلًا أو لبناً أو ماء كَدِرًا فى إناء هذه صفته(٧) فى الرقة لما خفى الإناء على الناظر ؛ لأن هذه الأشياء لا شعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الإناء وضوئه .

وقد سبقه إلى هذا المعنى علىٌّ بن جبلَةَ فقال :

كأنَّ يد النَّدِيم تُدِيرُ مِنْهَا ... شُعاعاً لا تُحيطُ عليْهِ كاسُ

وقال الآخر — أنشدناه(٨) أبو الحسن : علىٌّ بن سليمان الأخفشُ — :

فإذا ما مُزِجتْ فى كأْسِهَا ... فَهْى والْكأْسُ معاً شَىْءٌ أحدْ(٩)

فأنتم فى هذه المعارضة بالخطإ أجْدرُ ، وبالعيب أحْرى .

---

(١) ديوانه ٣٣ وأمالى القالى ١/٢٨٠ وزهر الآداب ٢/٨٦٧

(٢) ط « من غير »

(٣) هذا البيت من ك

(٤) م ، ك « صقالها »

(٥) ط « الضوءان »

(٦) ط « ولو جعلها »

(٧) م ، ك « هذا وصفه »

(٨) ط « آخر أنشده » م « أنشدناه على »

(٩) ط « وإذا »

وأما[١] قوله :

* وبُرُوقُ السَّحابِ قَبْل رُعُودِهْ *

فإنه أقام الرعد مُقام الغيث ؛ لأنه مقدّمة له ، وعلَم من أعْلاَمه ، ودليل من أقوى دلائله ، ألا ترى أن برْق الْخُلَّب لا رعْد [معه ، فإذا كان البرق ذا رعد فقلَّما يخلف] ؛ وقد قال الأعشى :

والشِّعْرُ يسْتَنزِلُ الْكَرِيم كما اسْـ ... ـتَنْزَل رعْدُ السَّحابةِ السَّبلاَ[٢]

فجعل الرعدَ هو الذى يستنزل المطر .

وقال الكميت :

وأنْتَ فى الشَّتْوةِ الجمادُ إذَا ... أخْلَف مِنْ أنجُم رواعِدُها

وإذا كان البرق ذا رعْد فقلَّما يُخلف .

ومثل هذا فى كلام العرب — عما ينُوب [فيه][٣] الشىء عن الشىء ، إذا كان متصلاً به ، أو سبباً من أسبابه ، أو مجاورًا له — كثيرٌ ؛ فمن ذلك قولهم للمطر : سماء ، وقولهم[٤] : ما زلنا نطأُ السماءَ حتى أتيناكم[٥] ، قال الشاعر :

إذا سقط السَّماءُ بِأَرْض قَوْمٍ ... رعيْنَاهُ وإنْ كانُوا غِضَابا[٦]

---

(١) ط « فأما »

(٢) ديوانه ١٥٧ والسبل : المطر بين السحاب والأرض

(٣) فى ك : « كثير »

(٤) ط « ومنه »

(٥) الأمالى ١/١٨١

(٦) ط « إذا نزل » البيت لمعود الحكماء من قصيدة له فى المفضليات ٣٥٩ وهو له فى معجم الشعراء ٣٩١ والاقتضاب ٣٢٠ واللسان ١٢٣/١٩ والخزانة ١٧٤/٤ ، وهو غير منسوب فى مشكل القرآن ١٠٢ والأمالى ١٨١/١ ومقاييس اللغة ٩٨/٣ والصناعتين ٢٧٦ ، وصدره كذلك فى الصاحبى ٦٣ ونسبه ابن رشيق لجرير فى العمدة ٢٣٧/١ .

أَراد إذا سقط المطرُ رعيناه ، أى[١] رعينا النَّبْتَ الذى يكون عنه ، ولهذا ما سمَّوْا[٢] النبت نَدًى ؛ لأَنه عن الندى يكون .

وقالوا : ما به طِرْقٌ ، أى ما به قوة ، والطِّرْقُ : الشحم ، فوضعوه موضع القوة ؛ لأَن القوة عنه تكون .

وقولُهم للمزَادة : راوية ، وإنما الراوية : البعيرُ الذى يستقى[٣] عليه فسميت باسم البعير لأَنه يحملها[٤] .

ومن ذلك الحفَضُ متاعُ البيتِ ، فسمى البعير الذى يحمله حفَضاً .

ومن ذلك قول المسيَّبِ بن علَس :

* وتَمُدُّ ثِنْىَ جديلها بِشِراعِ [٥] *

أَراد بدَقَل ، فقال : بشراع ؛ لأَن الشراع عليه يكون .

وهذا باب واسع ، وأشهر[٦] من أن يحتاج إلى استقصائه .

* * *

وبعد ، فلو كان هذان البيتان خطأً ــ كما [زعمتم و] ادعيتم وأخذتم على هذا الشاعر المجمع على إحسانه ، غلطاً فى غيرهما من[٧] شعره ــ لما كان بذلك داخلاً فى جملة المسيئين ، ولا الخاطئين[٨] فى الشعر ؛ لجودة

---

(١) ط « يريد إذا . . . يريد رعينا »

(٢) ط « ولهذا سمى »

(٣) فى ط ، م : « يستقى عليه الماء »

(٤) فى ط ، م : « فسمى الوعاء الذى يحمله باسمه » والكلمة الأخيرة سقطت من م .

(٥) صدره ، كما فى ديوانه ٣٥٤ « وكأن غاربها رباوة مخرم » والمفضليات ٦٢ والصناعتين ٧١ والوساطة ١٢ وفى الشعر والشعراء ١ / ١٣٠ « أراد تمد جديلها بعنق طويلة ، والجديل : الزمام . وأراد أن يشبه العنق بالدقل فشبهها بالشراع . قال ابن الأعرابى : لم يعرف الشراع من الدقل . وليس هذا عندى غلطا ، والشراع يكون على الدقل ، فسمى باسمه ، والعرب تسمى الشىء باسم غيره إذا كان معه وبسببه ... »

(٦) فى ط ، م : « وأيسر »

(٧) ط « المجتمع . . . من غيرهما فى »

(٨) فى ك : « الخطائين »

نظمه ، واستواء نَسْجِه ، ووقوع لفظه فى مواقعه ، ولأن معانيه تصحُّ فى النقد[١] ، وتخلُصُ على [السبرو] السبك ، وأبو تمام يتبهرجُ شعره عند التفتيش والبحث ، ولا تصح معانيه على التفسير والشرح .

١٥ ـ قال صاحب أبى تمام : لئن أسرفتم فى الذمّ ، وبالغتم على صاحبنا فى الطعن ، وتجاوزتم الحدَّ الذى يقف عنده المحتجُّ المناظر ، إلى مذهب المتسقِّط المغالط ، والمتعصِّب المتحامل ـ فلسنا ندفع[٢] أن يكون صاحبُنا قد أوهم فى بعض[٣] شعره ، وعدل[٤] عن الوجه الأوضح فى كثير من معانيه. وغيرُ منكرٍ لفكرٍ نَتَج من المحاسن [مثل][٥] ما نَتَج ، وولَّد من البدائع [مثل] ما ولَّد ـ أن يلحقه الكلال فى الأوقات ، والزلل فى الأحيان ، بل من الواجب لمن أحسن إحسانَه أن يسامح فى سهره ، ويُتَجاوز له عن زلله ، فما رأينا أحدًا من شعراء الجاهلية [والإسلام] سلم من الطعن ، ولا مِن أخذ الرواة عليه الغلط والعيب ، هذا الأصمعى قد عاب آمرأ القيس بقوله:

وأرْكَبُ فِى الرَّوْعِ خَيْفَانَةً     كَسا وجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ[٦]

وقال : شبه شَعَرَ الناصية بسعف النخلة ، والشَّعَر إذا غطَّى العين لم يكن الفرس كريماً ، وذلك هو الغَمَم ، والذى يُحمد من الناصية الجَثْلةُ ، وهى[٧] التى لم تفرط فى الكثرة فتكونَ الفرسُ غمّاء ، والغَمَم مكروه ، ولم

(١) ط « بالنقد »
(٢) م « فلسنا » ط « نمنع »
(٣) فى ك : « بعض من شعره »
(٤) ط « قدوهم . . . وعدا »
(٥) من ك
(٦) ديوانه ٨٠ واللسان ١٠/٤٥١ والوساطة ١٠ والموشح ٣٥ ، ٨٩ وعيار الشعر ٩٩ وصبح الأعشى ٢/١٩٩
والخيفانة : الجرادة ، ويقال : فرس خيفانة على التشبيه لها بالجرادة لخفتها وضمورها .
(٧) سقطت من م

تفرط فى الخِفة فتكونَ الفرس سَفْواءَ ، والسفاء أيضاً مكروه فى الخيل ، والجيِّدُ ما قال عبيد [ بن الأَبرص ] [١]

مُضَبَّرٌ خَلْقُهَا تَضْبِيرًا ينْشَقُّ عن وجْهِهَا السَّبِيبُ [٢]

روَى ذلك عنه أبو حاتم : سهْل بن محمد السِّجِسْتَانى .

وقال أيضاً : سمعت الأَصمعى يقول : أخطأَ امرؤُ القيس فى قوله :

لَهَا متْنَتَانِ خَظَاتَا كما أَكَبَّ علَى سَاعِدِيهِ النَّمِرْ [٣]

لأَن المتن لا يوصف بكثرة اللحم يُستحب منه التَّعريق ، وكذلك الوجه كما قال طُفَيل الغنوى [٤] :

* مُعرَّقَةُ الأَلْحِي تَلُوحُ مُتُونُها [٥] *

وأُخِذَ عليه [٦] قوله فى وصف الفرس :

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ ولِلسَّاقِ دِرَّةٌ ولِلزَّجْرِ مِنْهُ وقْعُ أَخْرجَ مُهْذِب [٧]

---

( ١ ) من ك

( ٢ ) ديوانه ٩ وشرح المعلقات العشر ٣١٠ وجمهرة أشعار العرب ١٠١ والموشح ٣٥ ويقال : فرس مضبر الخلق : أى موثق الخلق مدمج والسبيب : شعر الناصية

( ٣ ) ديوانه ٨١ واللسان ١٧/٢٨٤ والمتن : الظهر وفيه لغة أخرى وهى المتنة ، ويذكر يؤنث. والخاظى : الكثير اللحم ، انظر مذهب الكسائى والفراء واختلاف العلماء فى أصل قوله : خظاتا فى اللسان ١٨/٢٥٤ – ٢٥٥

( ٤ ) ليست فى م ولا فى ط

( ٥ ) عجزه كما فى ديوانه ١٥ « تثير القطا فى منقل بعد مقرب »

ويروى : « فى منهل » وهى رواية اللسان ٢/١٦٢ حيث ذكره شاهداً على أن المقرب : سير الليل . وفى الديوان : معرقة الألحى : قليلة لحم الوجوه ، وليس على متونها لحم فكأن موضع اللحم يلوح . أراد أنها ملحوبة الظهور ؛ لأن الفرس إذا كثر لحم متنه فهو هجين . والمنقل : الطريق فى الجبل . والمقرب الطريق يختصر لقربه .

( ٦ ) ط « عليه فى قوله »

( ٧ ) م « مذهب » ديوانه ٣٨ وقد «أهوج منعب » وهى رواية اللسان ٢/٢٦٢ وانظر الصناعتين ٧٤ واللسان ٢/٢٤١ ، ٢٨١ والموشح ٢٩ ، ٨٧ وعيار الشعر ٩٦ وصبح الأعشى ٢/٩٩ والمعانى الكبير ١/٨١ .

والهوب : يعنى جريه حين زجره ، وللساق درة : أى إذا غمز در بالجرى. والأخرج : الظليم ، وهو ذكر النعام. ومهذب : أى مسرع فى سيره. يقول : إذا ضرب بالسياط التهب فى جريه ، وإذا مرى بالساق در.

وقالوا[١] : هذه فرس بطيئة ؛ لأنها تُحوِجُ إلى السوط ، وإلى أن تُركض بالرجل وتزجر .

ويقال : إن أول من عابه بهذا البيت زوجته لمّا احتكم إليها هو وعَلْقمة الفَحْل ، فغلَّبت علقمة [ عليه ][٢] ، فطلقها[٣] .

وقد أخِذَ أيضاً عليه قولُه :

أَغَرَّكِ مِنِّى أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِى     [ وأنك مهما تأمرى القلب يفعل ][٤]

وقالوا : إذا لم يغْرِها[٥] هذا فأَىُّ شىء يغر ؟

* * *

وعِيب زهير بن أَبى سُلْمى بقوله[٦] :

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ ماؤُهَا طَحِلٌ     عَلَى الْجُذُوعِ يَخَفْنَ الْغَمْرَ والْغَرَقَا

وقالوا : ليس خروج الضفادع من الماء خوف الغَمْر والغرق ، وإنما ذلك[٧] لأنها تبيض فى الشطوط[٨] .

* * *

وعِيب على كعب ابنِهِ قولُه :

---

(١) ط « وقال »

(٢) من ك

(٣) راجع الأغانى ١٧٤/٢١

(٤) ديوانه ١٢٨ شرح المعلقات العشر ٢٢ والصناعتين ٧٣ والبصائر والذخائر ٢٦ والموشح ٣٦ والعقد ٣٥٧/٥ وما بين القوسين من ك

(٥) ط « وقال إذا لم يغرى »

(٦) فى ك : « وعيب على زهير قوله »

(٧) ديوان زهير ٤٠ والشعر والشعراء ١٠١/١ وصبح الأعشى ١٩٨/٢ والوساطة ١٠ واللسان ٤٧٢/١ ، ٤٢٤/١٣ والعمدة ٢٣٩/٢ والصناعتين ٧٢ والموشح ٤٧ – ٤٨ والعقد ٣٥٨/٥ وفى ط « الغم » وهى كذلك فى المزهر ٥٠٢/٢ . يخرجن : أى الضفادع المذكورة فى البيت السابق والشربات : الأحواض التى تحفر حول جذوع النخيل ، طحل : كدر

(٨) هذا النص منقول من الشعر والشعراء ١٠١/١ .

* ضَخْمٌ مُقَلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها *[١]

وقالوا : إنما توصف النجائب بدقة[٢] المذْبح .

* * *

وأخِذ على النابغة قولُه يصف عُنُق المرأة بالطول :

إذَا ٱرْتَعَشَتْ خاف الْجبانُ رِعاثَها ومنْ يتعلَّقْ حيْثُ عُلِّق يَفْرَقِ[٣]

[ فجعل القرط يخاف ويفرق ] .

وهذا قريب من قول أبي نُوَاس :

[ وأخفت أهل الشرك حتى إنه ] لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِى لَمْ تُخْلَقِ[٤]

بل أبو نُواس أعذَرُ ؛ لأَن قوله[٥] « لتخافك » يريد لتكاد تخافك ، والشعراءُ تُسقط « تكاد » فى الشعر وهى تريدها .

وجاء فى القرآن مثل ذلك ، قال تعالى : ﴿ وإنْ كَانَ مكْرُهمْ لتَزُول مِنهُ الْجِبالُ ﴾[٦] [ أى لتكاد تزول ! ] .

---

( ١ ) عجزه : « فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل » ديوانه ١٠ وشرح بانت سعاد لابن هشام ١٢٢ والعمدة ٢/٢٣٦ والشعر والشعراء ١/١٠٢ وقال الأصمعى فى قوله : ضخم مقلدها : هذا خطأ من الصفة ، لأنه قال : هى غليظة الرقبة ، وخير النجائب ما يدق مذبحه ويعرض منحره ، وفعم مقيدها : ممتلىء رسغها . وبنات الفحل : يعنى بها النوق ، أى لها فضل عليهن فى عظم خلقها وفى م « مقبلها » وهو تحريف

( ٢ ) ط « برقة » وما فى م يوافق ما فى الشعر والشعراء الذى نقل عنه المؤلف هذا التعليق

( ٣ ) الشعر والشعراء ١/١٢٣ وديوانه ٧٦ بيروت
وارتعشت المرأة : تحلت بالرعاث ، وهو القرط ، ويفرق : يخاف

( ٤ ) ديوانه ٦٢ والوساطة ٦٠ ، ٤٤١ ونقد الشعر ١٨ والموشح ٧٨ ، ٢٤٥ ، ٢٦٩ والعمدة ٢/٥٩ وعيار الشعر ٤٨ والشعر والشعراء ٢/٧٧٦ والعقد ١/٤٥ ، ٥/٣٣٤ وما بين القوسين من ك

( ٥ ) ط « لقوله »

( ٦ ) سورة إبراهيم : ٤٦ وانظرمشكل القرآن ١٣٠ والصناعتين ٣٥٧ وقد قرأ على وابن عباس وابن مسعود : « وإن كاد » كما فى القراءات الشاذة لابن خالويه ٦٩ .

وقال الشاعر :

يتَقَارضُونَ إذا الْتَقَوْا فِى موْطنٍ نظَرًا يُزِيلُ مواطئَ الأَقْدامِ[1]

[2]أى : نظرًا يكاد يُزيل[2] ، فأضمر يكاد ، واللام إذا جاءت كانت أدلّ عليها ، قال تعالى : ﴿وبلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحناجِرَ﴾[3] أى : كادت .

* * *

وأُخِذَ على النابغة قوله :

أَلِكْنِى يا عُيَيْنَ إِلَيْكَ قَوْلاً ستَحْمِلُهُ الرُّواةُ إِلَيكَ عنِّى[4]

وقالوا : قوله أَلكنى ، أَى كُنْ لى رسولا ، فكيف يكون أَلكنى [ إليك قولا أى كن رسولى إلى نفسك ، ثم يقول ستحمله الرواة ] إليك عنى ؟ فاعتذر له الأَصمعى ، وقال : هذا مما حملته الرواة على النابغة ! كأَنه يدفع أَن يكون قاله .

* * *

وأُخذ على المسيب قوله :

وقَد أَتَنَاسى الْهمَّ عِنْد ٱحتِضَارِهِ بِنَاجٍ علَيْهِ الصَّيْعرِيَّةُ مُكْدَمِ[5]

وقالوا : الصيعرية سمةُ[6] للنوق ، لا للفحول ، فسمعه طَرفَةُ بن العبد

---

( ١ ) البيت غير منسوب فى مشكل القرآن ١٣٠ واللسان ٩/٨٣ ، ١٢/١٠ ، والبيان والتبيين ١/١١ والصناعتين ٣٥٧ وعجزه كذلك فى مقاييس اللغة ٣/٢١ وشرح الحماسة للمرزوقى ١/٢٢١

( ٢ ) ما بين الرقمين ساقط من م

( ٣ ) سورة الأحزاب : ١٠ وانظر مشكل القرآن ١٣٠ والصناعتين ٣٥٧

( ٤ ) الصناعتين ٧٧ وفى ديوانه ١٠٨ ، ١١٣ مصر « سأهديه إليك إليك عنى » .

( ٥ ) البيت للمسيب فى ديوانه ٣٥٩ واللسان ٦/١٢٧ ، ١٢/٢٤١ وعيار الشعر ٩٦ والموشح ٧٦ ، ٨٧ ونسبه أبو هلال فى الصناعتين ٨٥ للمتلمس ، ولكنه قال بعد ذكر قصته مع طرفه ٨٦ : « وروى هذا الحديث له مع المسيب بن علس » ونسبه ابن قتيبة للمتلمس فى الشعر والشعراء ١/١٣٥ وكذلك أبو الفرج فى الأغانى ٢١/٢٠٣ نقلا عن المفضل الضبى ثم عاد فنقل عن ابن السكيت روايتين تنسب أولاهما البيت إلى المتلمس ، وتنسبه الثانية إلى المسيب

( ٦ ) ط « قال . . . صفة » .

– وهو صبى – فقال : استَنْوق الجملُ ، وضحك منه [ فذهبت مثلا ] [١] .

ويقال : إن المسيب قال [ له ] : أَخْرِجْ لسانك يا فتى ، فأَخرجَهُ ، فقال : ويْلٌ لهذا من هذا ، يعنى رأسه من لسانه .

* * *

وأخذ على المرقَّش [ الأَصغر ] قوله :

صَحَا قَلْبُهُ عنْهَا سِوى أَنَّ ذِكْرةً ... إذا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الأَرْضُ قائمًا [٢]

وقالوا : مَنْ إذا ذُكِرَت له [٣] دارت به الأَرضُ ، ليس بصاح .

* * *

وأُخذ على عدىّ بن زيد قوله :

* يَبُذُّ الجياد فَارِهاً مُتَتابِعاً * [٤]

وقالوا : لا يقال للفرس فاره ، وإنما يقال له : جواد ، وكريم . والفارهُ : للبغل وللحمار .

وأُخذ عليه أَيضاً قولُه فى صفة الخمر :

والْمُشْرِفُ الهندىّ يُسقَى به ... أَخْضَر مطموثاً بماء الحريضْ [٥]

(١) جمهرة الأمثال ١٤ والبيت فيها للمتلمس .

(٢) الأغانى ٥/١٩٤ والشعر والشعراء ١/١٦٧ ، ١٦٩ والصناعتين ٧٣ وصبح الأعشى ٢/١٧٩ وفى م « منها » و ط « ذكره » !

(٣) ط « ذكر دارت » !

(٤) صدره : « فصاف يفرى جله عن سراته » أى صاف هذا الفرس يكاد يشق جلده عما تحته من السمن ، لسان ١١/٢٠ ، ١٧/٤١٧ وانظر الشعر والشعراء ١/١٨٢ وشعراء النصرانية ٤٧٢ والعقد ٥/٣٦٠ وفى م ، ط « متتابعاً » والتصويب من اللسان ، ومعنى متتابعا : مسرعاً .

(٥) المشرف : قدح لهم كانوا يشربون فيه ، ويروى : « والمشرف المصقول » ، « المشمول » أى الطيب ، ويقصد بأخضر : شراباً أخضر ، وهو أجود الخمر ، والمطموث : الممزوج ورواية العقد ٥/٦٣٠ واللسان ٨/٢٨٩ والمعانى الكبير ١/٤٤٩ والشعر والشعراء ١/١٨٢ « بماء الخريص» ورواه ابن الأعرابى «كماء الخريص» والخريص : الخليج ، وماء خريص : أى بارد وفى الصناعتين ٩٦ : «كماء الحريص»

وكان صدر البيت سليما فى المطبوعة التى طبع عنها الشيخ محمد محيى الدين ، ولكنه غيره إلى « المشرف الهيدب يسعى به » وشرح الهيدب بأنه «الذى عليه أهداب تتذبذب من بجاد ونحوه» ثم قال : =

الحريص : سحابة تحرص وجه الأرض : أى تَقْشره لشدتها ، ويقال : الحريص اسم نهر بناحية الحِيرة ، فوصف الخمر بالخضرة ، وما وصفها بذلك أحد غيره .

* * *

وأُخذ على الأعشى قولُه :

وقَد غَدوتُ إلى الْحانُوتِ يتْبعُنى ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ (١)

وقالوا : هذه الألفاظ. كلُّها التى بعد « شاوٍ » متقاربة فى المعنى (٢) .

* * *

وقرئ على الأصمعى قول أَبى ذؤيب الهذلى :

قَصرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشُرِّج لَحْمُها ... بِالنَّىِّ فَهْىَ تَثُوخُ فِيها الإِصْبَعُ (٣)

---

= وكان فى أصول هذا الكتاب « والمشرف الهندى يسقّيه » وهو تحريف من عدة وجوه، ووقع على الصواب فى الصناعتين »!

والصواب الذى رآه الشيخ واقعاً فى الصناعتين هو الخطأ المحض كشرحه للهيدب الذى يفسد به المعنى . وقد أخطأ ناشرا الصناعتين كذلك فى شرح الهيدب بأنه : « سحاب يقرب من الأرض كأنه مستدل يكاد يمسكه من قام براحته » ومصدر خطأ الأساتذة هو تعليق المرحوم محمد أمين الخانجى على هذه اللفظة فى طبعته لكتاب الصناعتين ص ٧١ فقد شرحها بثلاثة شروح ، نقل الأول ناشر الموازنة ،ونقل الثانى ناشرا الصناعتين ، والشرح الثالث خطأ كذلك فقد قال : الهيدب : العبام من الأقوام الفدم » وإنما نصصت عليه لئلا يأتى ناشر آخر فينقله دون تبصر ولا إدراك .

(١) ديوانه ٤٥ واللسان ١٣ /٣٨٥ والخزانة ٣/٥٤٧ والشعر والشعراء ١/١٦ ، ٢٢٠ والتبيان ٣/ ١٧٦وشرح المعلقات العشر ٢٧٩ والصناعتين ٣٣٥ والعقد ٥/ ٣٦٠ وإعجاز القرآن ٣٢٦ والمعانى الكبير ١ / ٣٧٩ وفيه : الشاوى : الشواء ، والمشل : السائق السريع السوق ، والشلول : المسرع والشلشل : الخفيف ، وشول : خفيف أيضاً ، ويروى : شمل : أى طيب النفس والريح »

(٢) فى اللسان ٣/٣٨٥ « والألفاظ متقاربة ، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة »

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٦ وجمهرة أشعار العرب ١٣٢ والمفضليات ٤٢٧ — ٤٢٨ والشعر والشعراء ٢ / ٦٣٧ واللسان ٣ / ٤٨٨ ، ٢٠ / ٢٢٤ والصناعتين ٧٨ والفصول والغايات ٤٧٢ والوساطة ١١

ومعنى قصر : حبس اللبن للفرس ، شرج لحمها : أى صار شرجين شحما ولحماً ، والنى : الشحم ، وتثوخ : تغيب ، مثل تسوخ . والمعنى : لو أدخلت فيه إصبع من كثرة لحمها لدخلت .

تَـأْبَى بِدِرَّتِها إذا ما استُكْرِهتْ      إلاَّ الحمِـيم فإنَّهُ يتَبضَّعُ[١]

فقال : هذه الفرس [لا] تُساوى دِرْهمين ؛ لأنه جعلها كثيرة اللحم ، رِخْوَةً تدخل فيها الإصبعُ ، حرُونا ، إذا حُرِّكت قامت ، إلا العرق فإنه يسيل .

* * *

وقرئَ على الأصمعى [أيضاً][٢] قول أبي النجم :

* يسبحُ أخراه ويطْفُوا أَوَّلهْ *[٣]

فقال : حِمار الكَسَّاح ـ إذًا ـ أفْرَهُ منه .

* * *

وعاب الأصمعىُّ ذا الرمة فى قوله :

حتَّى إذا دَوَّمَتْ فِى الأَرْضِ أَدْرَكَه      كِبْرٌ ولَوْ شاءَ نَجَّى نَفْسَهُ الْهَرَبُ[٤]

وقال : الفصحاء لا يقولون دَوَّمَ فى الأَرض[٥] ، وإنما يقولون : دَوَّمَ فى

---

(١) البيت فى اللسان ١٥/٤٥ ، وفيه ٩ / ٣٦٢ « إذا ما استغضبت » « يتبضع : يتفتح بالعرق ويسيل متقطعاً » ، وكان أبو ذؤيب لا يجيد فى وصف الخيل ، وظن أن هذا مما توصف به . قال ابن برى : تأبى هذه الفرس أن تدر لك بما عندها من جرى إذا استغضبتها ؛ لأن الفرس الجواد إذا أعطاك ما عنده من الجرى عفوا فأكرهته على الزيادة — حملته عزة النفس على ترك العدو . يقول : هذه تأبى عند إكراهها ولا تأبى العرق»

(٢) من ك

(٣) الشعر والشعراء ٢/٥٨٦ والوساطة ١١ والعقد الفريد ٥/٣٦٦ والمعانى الكبير ١/٣٠ والأغانى ٩/٨٣ وكلها توافق رواية المخطوطة ومطبوعة الجوائب ١٨ ولكن الشيخ محي الدين غيرها إلى « يسبح أولاده ويطفو آخره » من غير أن يشير إلى ما فعل ليوافق ما فى الصناعتين ! ومن العجب أن البيت على هذه الصورة المغيرة يخلو من العيب الذى أخذه عليه الأصمعى ؛ فإن الجواد إنما يوصف بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه ، ولا يوصف بأنه تسبح أخراه ، لأنه إذا سبح أخراه كان حمار الكساح أسرع منه على حد عبارة الأصمعى .

(٤) ديوانه ٢٤ « راجمه كبر » وكذلك جمهرة أشعار العرب ١٨٤ واللسان ١٥/١٠٥ حديث ذكره شاهدا على أن دومت الكلاب : أمعنت فى السير ، والشعر والشعراء ١/٥١٨ وهو مصدر الآمدى فى هذا النص .

(٥) راجع نقد على بن حمزة لرأى الأصمعى هذا فى اللسان ١٥/١٠٥

السَّماء[١] ، إذا حلَّق ، ودوَّى فى الأَرض ، إذا ذهب .

وكان الأَصمعى أَيضاً يعِيبه فى قوله :

* ونَقْرِى عبيط الشَّحْمِ والماءُ جامِسُ *[٢]

ويقول : إنما يقال للماء : جامد ، وللسمن وما أَشبهه[٣] : جامس . وروى ذلك عنه أَبو حاتم .

* * *

وحكى أبو نصر عن الأَصمعى قال : كنا نظن الطِّرِمَّاحَ شيئًا حتى قال :

وَأَكْرَهُ أَنْ يَعِيبَ عَلَىَّ قَوْمِى هِجَائِى الْأَرْذَلِينَ ذَوِى الْحِناتِ[٤]

لأَنها إِحْنَةٌ وإِحَنٌ ، ولا يقال حنات .

* * *

وأُخذ على الآخر قوله :

فَمَا رقَدَ الوِلْدَانُ حتَّى رأَيتُهُ على البَكْرِ يَمْرِيهِ بساقٍ وحافرِ[٥]

فسمَّى رجْلَ الإنسان حافرًا ، وهذه استعارةٌ فى نهاية القبح .

وكذلك قول الآخر :

قَد أَفْنَى أَنامِلَهُ عضُّهُ فأَمسى يَعَضُّ علىَّ الْوَظيفا[٦]

(١) م « وإنما دوم » ط « فى الهواء »

(٤) صدره : « نغار إذا ما الروع أبدى عن البرى » ديوانه ٣٢٣ « ونقرى سديف » وكذلك فى حماسة ابن الشجرى ٥٤ والمختار من شعر بشار ٢٢٣ ورواية المخطوطة توافق رواية اللسان ٣٤١/٧ والصناعتين ١١٠ والسديف : شحم السنام ، والعبيط من اللحم : ما كان سليما من الآفات .

(٣) ط : « وقال . . . للجامد من السمن وما أشبهه »

(٤) ديوانه ١٣٤

(٥) البيت لجبيهاء الأشجعى من قصيدة فى حماسة ابن الشجرى ٢٨٥ واللسان ٢٨٣/٥ وهو غير منسوب فى مشكل القرآن ١١٦ والصناعتين ٣٠١ والموشح ٩١ ونقد الشعر ٦٧ وسر الفصاحة ١٥١ وفى عيار الشعر ١٠٣ لمزرداعى الزنج ( ؟ )

(٦) قاله صخر الغى ، كما فى ديوان الهذليين ٧٣/٢ « أنامله أزمه » أفنى أنامله ، يقول : يعض على يديه من الغيظ ، والأزم : العض ، والوظيف : الذراع . وهو غير منسوب فى الصناعتين ٣٠١ فى ط ، ك « فأضحى » .

فجعل له وظيفا مكان الرِّجْل .

وكذلك قول الآخر :

سأَمْنَعُها أَو سَوْفَ أَجْعلُ أَمْرَها إِلَى مَلكٍ أَظْلافُهُ لَمْ تُشَقَّقِ[١]

وقال الحُطيئة :

قَرَوْا جارَكَ الْعَيْمَانَ لَمَّا جفَوْتَهُ وقَلَّص عن برْدِ الشَّراب مشافرُهْ[٢]

* * *

وعيب على أيمن[٣] بن خُرَيم قوله يمدح بشر بن مروان :

فإِنَّا قَدْ وجدْنا أُمَّ بِشْرٍ كأُمِّ الأُسْدِ مِذْكارًا ولُودًا[٤]

وقالوا : أخطأَ فى أنْ جعل أُم الأَسد ولُوداً ؛ لأَن الحيوانات الكريمة عسرة نَزْرَة النَّتاج .

والصوابُ قول الآخر[٥] :

بُغَاثُ الطَّير أَكْثَرُها فِراخاً وأُمُّ الصَّقرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ[٦]

وقال جرير :

صارتْ حَنِيفَةُ أَثْلاثاً فَثُلْثُهُمُ مِن الْعَبِيدِ وثُلْث مِنْ مَوالِيها[٧]

( ١ ) قاله عقفان بن قيس بن عاصم ، اللسان ١١/١٣٤ وسمط اللآلى ٢/٧٤٦ وهو غير منسوب فى الصناعتين ٣٠١ وأبواب مختارة ٣٨ وأمالى القالى ٢/١٢٠ ومشكل القرآن ١١٦

( ٢ ) ديوانه ١٢ « لما تركته » وعيار الشعر ١٠٣ والموشح ٩١ والصناعتين ٣٠١ ومشكل القرآن ١١٧ والعيمة : شهوة اللبن ، والعطش

( ٣ ) ترجمته فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/١٨٧ – ١٨٩

( ٤ ) الموشح ٢٢٣ ونقد الشعر ٧٢ والصناعتين ١٠٠

( ٥ ) ط « قول كثير »

( ٦ ) البيت فى اللسان ٢/٣٧٧ لكثير أو غيره ، ٤٢٣ لعباس بن مرداس ، وكذلك حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ٣/١١٥ ونسبه أبو عبيد البكرى فى اللآلى ١/١٩٠ لمعود الحكماء ، والحصرى فى زهر الآداب ١/٣٥٥ لكثير ، وهو فى ديوانه ٢٠٣ وغير منسوب فى العقد ١/٣٢٤ ونقد الشعر ٧٣ والصناعتين ١٠٠ والموشح ٢٢٣

( ٧ ) ديوانه ٣٠٠ ونقد الشعر ٧٧ وسر الفصاحة ٢٢٥ والموشح ٨٤ ، ١٢٦ والصناعتين ٣٤٣

فقيل لرجل من بنى حنيفة : من أى الأَثلاث أنت ؟ فقال : من الثلث الملغى .

وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلى عمارة بن عقيل ينشد لجرير :

لَمَّا تذَكَّرتُ بالدَّيرَيْنِ أَرَّقنى    صوْتُ الدجاج ِوقَرْعٌ بالنَّواقيسِ (١)

فقال : أخطأَ والله أبوك ، التأْذينُ لا يكون [إلاَّ] فى أول الليل ، وقال من طلب العذر لجرير : أراد (٢) [أرقنى] (٣) انتظار صوت الدجاج .

* * *

وعاب الأَخطل الفرزدق فى قوله :

أَبنِى غدانَةَ إنَّنِى حرَّرْتُكُمْ    فَوهبْتُكُمْ لِعطِيَّةَ بن جَعالِ (٤)

لوْلاَ عطِيَّةُ لاجتدعتُ أُنوفَكُم    مِن بينِ أَلْأَم أَعْيُنٍ وسِبالِ (٥)

قال : وكيف يهبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء ؟ وقال عطية حين بلغه الشعر : ما أسرع ما رجع أخى فى هبته (٦) !

ومدح الفرزدق الحجاج ـ وقد دخل عليه ـ ببيت واحد ، فقال :

ومنْ يَأْمَنُ الْحَجَّاجَ ـ والطَّيْرُ تَتَّقِى    عُقُوبتَهُ ـ إلَّا ضَعيفُ الْعزَائِمِ (٧)

فقال له الحجاج : الطير تتّقى الثوبَ ، وتتقى الصبى ، ما جئت بشىء ! وإنما أراد الفرزدق الطائر الذى يطير فى السماء فليست تناله يدٌ .

* * *

(١) ديوانه ٣٢١ والصناعتين ١١٠

(٢) ليست فى ط

(٣) من ك

(٤) ديوان الفرزدق ٧٢٦ والأغانى ٨/٢٩٥ (دار الكتب) ، ١٩/٥٠ بولاق والعمدة ٢/٢٢٨ وقد أخطأ أبو هلال العسكرى فى الصناعتين ٨٨ فنسبه إلى جرير

(٥) فى ديوانه والأغانى وغيرهما : « آنف وسبال »

(٦) نقل المؤلف هذا النص من الشعر والشعراء ١/٤٥٣

(٧) الموشح ١١٢ والصناعتين ١٠١

وعِيب على الأخطل قوله فى عبد الملك بن مروان[١] :

وقَدْ جعل اللهُ الْخِلاَفَةَ مِنْهُمُ لِأَبْيَضَ لا عَارِى الْخِوانِ ولا جَدْبِ[٢]

وقالوا : هذا لا يُمْدح به خليفة .

وأراد أن يمدح رجلاً[٣] من بنى أسد كان أجاره ، فهجاه ، وكان يقال لقوم الرجل : الْقُيُون ، يُعَيَّرُون بذلك ، فقال :

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَيْنا وأُنبَؤُهُ فالْيوْم طُيِّر عن أَثْوابهِ الشَّرر[٤]

أى : فاليوم نفى ذلك عن نفسه ، فما زاد على أن نبَّه عليه ، وقد كان له فى المادح مُتَّسعٌ .

وأراد أن يهجو سُويْد بن منْجُوف [ السدوسى ] [٥] فمدحه ، وذلك قوله :

فَما جِذْعُ سُوءٍ خَرَّب السُّوسُ وسْطَهُ لِمَا حمَّلَتْه وائِلٌ بِمُطِيقِ[٦]

[ فقيل له : والله ما يرضى قومه أن يحملوه أمرهم ، فكيف وائل كلها ؟ ]

* * *

وأُخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن أبى سود[٧] :

إذا الْتَقتِ الأَبْطالُ أَبْصَرْتَ لونه مُضِيئاً ، وأَعْنَاقُ الْكُماةِ خُضُوعُ[٨]

( ١ ) ط ، ك « وأخذ » م « قوله فى المدح »

( ٢ ) ديوانه ٢١ « فيكم بأبيض » والموشح ١٤١ « لأزهر » والصناعتين ٧٥ « لأبلج » والشعر والشعراء ١/٤٦٠ ، وفى ك : « فيهم »

( ٣ ) هو سماك بن مخرمة ، راجع الأغانى ٧/١٨٤ وديوانه ٢٢٢

( ٤ ) م « الشررا » والبيت فى ديوانه ٢٢٣ والشعر والشعراء ١/٤٦٠ والموشح ١٣٤ والصناعتين ٨٦ وطبقات فحول الشعراء ٤٠٤

( ٥ ) من ك

( ٦ ) ديوانه ١٩٥ « السوس أصله » ، ط « فما جذع » والشعر والشعراء ١/٤٦١ والصناعتين ٨٦ والأغانى ٧/١٨٤ والموشح ١٣٥

( ٧ ) م « ابن أبى أسود » ط « ابن أبى سويد » وقد رثاه الفرزدق بقوله :

لقد رزئت حزما وحلما ونـائلا تميم بن مر يـوم مات وكيع

( ٨ ) ط وديوانه ٥٠٩ « أبصرت وجهه » ونسبه فى الصناعتين ٣٤٣ خطأ لجرير

فقالوا : أساءَ القِسْمة ، وأخطأَ الترتيب ؛ وإنما كان يجب [1] أن يقول : أبصرته سامياً وأعناق الكماة[2] خضوع ، أو أبصرت لونه مضيئاً وألوان الكماة كاسفة .

* * *

ومن خطأ الشعر قول عَدِى بن الرِّقاع يذكر الله تبارك اسمه :

وكَفُّكَ سَبْطَةٌ ونَداكَ سحٌّ وأَنْتَ الْمرْءُ تَفْعلُ ما تَقُولُ[3]

فجعل ربه مرْءًا .

وعابه الأَصمعى فى قوله :

لَهُمْ رايةٌ تَهدِى الجموع كأَنَّها إذا خَطَرت فى ثَعْلبِ الرُّمحِ طائرُ[4]

وقال : الراية لا تخطر ، إنما الخَطَران للرمح .

* * *

ومن فاسد اللفظ وقبيحه قولُ ذى الرمَّة :

فأَضْحَتْ مبادِيها قِفارًا رُسُومُها كأَنْ لَمْ ـ سِوَى أَهْلٍ مِنَ الْوحْشِ ـ تُؤْهَلِ[5]

أراد : كأَن لم تُؤْهَلْ سوى أَهل من الوحش .

* * *

ومن خطإِ المدح قولُ الكميت يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فى ط ، م : « ينبغى »

(٢) ط « الملوك » وفى م : « الرجال »

(٣) ط « بسطه » م « سمح » والصناعتين ١٠١ « ونداك غمر »

(٤) ط والصناعتين ٩٦ «لهم» وفى اللسان ١/٢٣١ «والثعلب: طرف الرمح الداخل فى جبة السنان » .

(٥) ديوانه ٥٠٦ « قفارا بلادها » وتأويل مشكل القرآن ١٦٠ وهو الذى غفل عنه المؤلف ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٣٣ والخزانة ٣/٦٢٦ « فأضحت معانيها » ومباديها : حيث يبدون فى الربيع ، والبلاد : جمع بلدة ، وهى القطعة من الأرض ، وتؤهل : تعمر بأهلها

إِلَى السِّراجِ الْمُنِيرِ أَحْمَدَ لاَ تَعْدِلُنِى رَغْبَةٌ ولا رَهَب[١]
عَنهُ إِلَى غَيرِهِ ولَو رَفَعَ النَّ اسُ إِلَىَّ العُيُونَ وارْتَقَبُوا
وقِيل : أَفْرَطْتَ ، بل قَصَدْتُ ،ولَو عَنَّفَنى الْقائلُونَ أَو ثَلَبُوا
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسانُ ولَو أُكْثِرَ فِيكَ الضَّجَاجُ واللَّجَبُ

فمن [ذا][٢] يعنِّفه ويؤنبه على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكثر عليه فيه الضَّجاج واللجب ؟ وهذا لو كان قاله بين المشركين وفى صدر الإسلام لعل العذر كان يتَّسع له فيه ، وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بأَن قال : إنه[٣] لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم خاصةً بهذا الخطاب ، وإنما أَراد أَهل بيته ؛ لأَنه قال فيهم من الشعر ما قد قال ولأَن بنى أمية كانت تعنف من يمدحهم ، وتنكر أَشد النكير على من يتحقق بهم[٤] ويُغْرق فى الثناء عليهم والوصفِ لهم .

وعيب أَيضاً الكميت بأَن جمع بين[٥] كلمتين لا تُشْبِه إحداهما الأخرى ، وذلك قوله :

وقَدْ رأَيْنا بهَا خَوْدًا مُنَعَّمةً رُودًا تَكامَلَ فيهَا الدَّلُّ والشَّنَبُ[٦]

وقالوا : [الدَّلُّ لا يكون مع الشنب] إنما يكون مع الغَنَج أَو نحوه ،

---

(١) الهاشميات ٥٨ – ٥٩ وشرح شواهد الشافية ٣١١ وتفسير الطبرى ١/٣٨٣ – ٣٨٤ والعمدة ٢/١٣٥ – ١٣٦ ومجمع البيان ١/١٨٢ وأمالى المرتضى ٢/٨٠ والحيوان ٥/١٧٠

(٢) من ك

(٣) من ك

(٤) ط «أشد الإنكار على من يتخونهم»

(٥) من ك

(٦) الموشح ١٩٣ «منعمة بيضا» وردا : ممشوقة حسنة الشباب . والشنب : برد الفم الأسنان .

والشَّنبُ إنما يكون مع اللَّعس أو ما يجرى مجراه من أوصاف الثغر والفم [والشفة] ؛ والجيِّدُ ما قاله ذو الرمة :

لَمْياءُ فى شَفَتيها حوَّةٌ لَعسٌ وفى اللِّثاتِ وفى أنْيابها شَنَبُ[1]

ولو استقصينا هذا الباب لطال جداً ، وإنما أوردنا ههنا منه مثالاً لتعلموا أن فحول الشعراء ـ الذين غلبوا عليه ، وافتتحوا معانيه ، وصاروا قُدوةً [فيه] ، واتبعهم الشعراء ، واحتذوْا على حذْوِهم ، وبَنَوْا على أصولهم ـ ما عُصموا من الزلَل ، ولا سلموا من الغلط .

هذا فى المعانى التى هى المقصد والمرمى والغرض .

وأما ما بوَّبه النحويون من عيوب الشعر فى الإقواء والإكفاء والسِّناد ، وغير ذلك مما هو عيْبٌ فى اللفظ دون المعنى ـ فليست بنا حاجة إلى ذكره ؛ لكثرته وشهرته .

وكذلك ما أخذَتْه الرواة على المتأخرين ـ من الغلط والخطإ واللحون ـ فاش[2] أيضاً وأكثر من أن يحتاج إلى أن نبرهنه أو ندل عليه[3] ؛ فلم يكن أحد من متقدِّمٍ ولا متأخر فى خطئه ولا سَهوه ولا غلطه بمجهول الحق ، ولا مجحود الفضل بل عفَّى عندكم إحسانه على إساءته ، وغطى[4] تجويده على تقصيره ، فكيف خصصتم أبا تمام دون غيره بالطعن ، وعبتموه دون منْ سواه بالزلل والوهم[5] ؟ ولم يك فى ذلك بِدْعاً ، ولا به منفردًا ، ولا إليه

(١) ديوانه ٥ واللسان ١/٤٨٨ ، ٨/٩١ ، ١٨/٢٢٦ وفى م « بيضاء فى » واللعس : سواد يعلو شفة المرأة البيضاء ، والحوة : سمرة الشفة .

(٢) ط « واللحن أشهر أيضاً »

(٣) ط « على ذلك »

(٤) ط « وعلا »

(٥) ط « والوهن »

سابقًا ؛ وبخستموه(١) حق الإحسان الذى انتشر فى الآفاق ، وسارتِ به الركبان . وتمثل به المتمثل ،وتأدَّب بحفظه وإنشاده المتأدب ،مما إنْ ذكرناه لم تنكروه ، وأقررتم بفضيلته ، وأجمعتم [معنا] على استجادته ، واستحسانه فهل الظلم المستقبحُ والتعصُّبُ المستبشع(٢) إلا ما أنتم مُرتكبوه وخابطون فيه ؟

* * *

١٦ ــ قال صاحب البحترى : أما أخذ السهوِ والغلطِ على من أخذ عليه(٣) من المتقدمين والمتأخرين فى البيت الواحد والبيتين والثلاثة ، وربما سَلِم الشاعر المكثِرُ من ذلك ألبتة ، وتعرَّى(٤) منه حتى لا تؤخذ عليه لفظة ، وأبو تمام لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عِدَّة أبيات يكون فيها مخطئاً ، أو مُحيلا ، أو عن الغرض عادلا ، أو مستعيرًا استعارة قبيحة ، أو مفسدًا للمعنى الذى يقْصده بطَلب الطِّباق والتَّجنيس ، أو مُبهما [ له ](٥) بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم . ولا يوجد له مخرج ، مما لو عددناه لما أتى عليه الإحصاء كثرة فكيف يكون ما أخذ على الشعراء من الوهم وقليل الغلط عذرًا لمن لا تُحصى معايبُه ومواقعُ الخطإِ فى شعره ؟ وعلى أن أكثر ما عَدَدْتُمُوه ــ مما أخذته الرواة على الشعراء ــ صحيح ، والسهو فيه إنما دخل على الرواة ، ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه .

* * *

١٧ ــ قال صاحب أبى تمام : فَبِم تدفعون(٦) قول البحترى يرثى أبا تمام ودِعبِلاً ويذمُّ منْ بقى بعدهما من الشعراء(٧) :

(١) ط « فبخستم حق »
(٢) ط « المستهجن » و م « فهذا الظلم . . . غير ما أنتم »
(٣) م « أخذ من »
(٤) م « وربما الشاعر . . . بتة وبعرى »
(٥) من ك
(٦) ط « تدافعون » ، وفى ك : « فبماذا تدفعون »
(٧) فى ك بعد هذا : حيث يقول

قَدْ زاد فى كَلفى وأوقَد لَوْعتى مثْوى حبِيبٍ يوم ماتَ ودِعْبلِ(١)
وبقاءُ ضَرْب الخثعميِّ وشِبْهِهِ من كل مُضطَرِبِ القريحةِ مُجْبِلِ(٢)
أَهلِ المعانى المستحيلةِ — إن همُ طلبوا البراعة — والكلامِ المقفَلِ(٣)
أَخَوىَّ لا تَزَلِ السَّماءُ مُخِيلَةً تَغشا كُما بحيا السّحابِ الْمُسْبلِ(٤)
جدثٌ لَدى الأَهْوازِ يبْعُدُ دُونهُ مسْرى النَّعِىِّ ورِمَّةٌ بالْمَوْصِلِ(٥)

فمحال أن يرثى البحترى أبا تمام ويذكر مَنْ بَعْده من الشعراء بأَن قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة وعنده أن أبا تمام تلك صفته ، فلم تنكرون فضل من يَعترف البحترى بفضله ، ويشهد فى الشعر له به ، وتنسبون العيبَ إليه وهو ينفيه عنه(٦) ، وتلحقونه به وهو يبرئه منه ؟ !

* * *

١٨ ـ قال صاحب البحترى : ولِمَ لا يفعل البحترى ذلك وقد كان هو وأبو تمام بعْد اجتماعهما وتعارفهما متصافييْن(٧) على القرب والبعد ، ومتحابَّيْنِ متلائمين على الدنو والشَّحط ، يجمعها النسب والطلب والمكتَسَب ، ولم يكن [أيضاً](٨) فى زمانهما شاعر مشهور يفد على الملوك ويجْتَدِى بالشعر وينتسب

(١) الأبيات فى ديوانه ٣/١٧٩٠ وأخبار أبى تمام ٢٧٤ والأول فى شذرات الذهب ٢/١١٢ وهو مع الرابع والخامس فى هبة الأيام ٥٠ ومعاهد التنصيص ٢/٢٠٦
وفى ط « زاد فى حزنى »

(٢) ط « مخبل » وأخبار أبى تمام « مهمل » والخثعمى هو أحمد بن محمد الخثعمى قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان ٤/٤٣٨ كنيته أبو عبيد الله ويقال : أبو العباس ، كان يتشيع ويهاجى البحترى
(٣) فى أخبار أبى تمام « المعضل » وفى ك : « البداعة »
(٤) فى أخبار أبى تمام « بحيا مقيم مسبل » وفى هبة الأيام « بسماء مزن »
(٥) فيهما : « على الأهواز » والمدفون بها دعبل ، وبالموصل أبو تمام
(٦) ط « وهذه صفته عنده »
(٧) م « متصافيين يجمعهما النسب والطلب والمكتسب »
(٨) من ك

إلى طيِّ سواهما ، فليس بمنكَر أن يشهد أحدهما بالفضل لصاحبه ، ويصفه بأَحسن ما فيه ، وينْحله ما ليس له ، وخاصةً فى الشعر ؛ ولا سيما[١] تأْبين الميت ؛ فإن العادة جرت بأَن يُعطَى من التقريظ والوصف وجميل[٢] الذكر أضعاف ما كان يستحقه [ حيا ] [٣] ، فلا تَدفعُوا العِيان فلن يمحو وصفُ [٤] البحترى أبا تمام فى حياته وتأْبينُه إياه بعد وفاته — ما ظهر من مقابحه وفضائح شعره .

* * *

١٩ — قال صاحب أَبى تمام : فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيرًا من العلماء بالشعر يقولون : جيد أَبى تمام لا يتعلق به [٥]جيد أَمثاله ، وإذا كان كل جيد دون جيده لم يضره ما يؤْثَرُ من رديئه .

* * *

٢٠ — قال صاحب البحترى : إنما صار جيد أَبى تمام موصوفاً لأَنه يأْتى فى تضاعيف الردىء الساقط ، فيجىء رائعاً لشدة مباينته ما يليه فيظهر فضله بالإضافة ، ولهذا ، ما قال له أَبو هِفَّان : إذا طَرحتَ دُرَّةً فى بحر خُرْءٍ فمن الذى يغوص عليها ويخرجها غيرك؟

والمطبوعُ الذى هو مستوِى الشعر قليلُ السقط لا يبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة ، ومن أَجل ذلك صار جيد [ شعر ] [٦] أَبى تمام معلوماً وعددُهُ[٧] محصورًا .

---

(١) فى ط ، م : « ثم فى تأبين الميت »
(٢) م « والجميل من الذكر »
(٣) من ك
(٤) ط « يمحق »
(٥) م ، ك « به وإذا »
(٦) من ك
(٧) م ، ك « وعدداً »

وهذا عندى — أنا — هو الصحيح ؛ لأنى نظرت فى شعر أبى تمام والبحترى [فى سنة سبع عشرة وثلثمائة ، واخترت جيدهما ] وتلقَّطت محاسنهما ، ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الأوقات ؛ فما من مرة إلا وأنا أُلحِق فى اختيار شعر البحترى ما لم أكن اخترته من قبل ، وما علمت أنى زدتُ فى اختيار شعر أبى تمام ثلاثين بيتاً على ما كنت اخترته قديماً .

* * *

٢١ـ قال صاحب أبى تمام : أفتنكرون كثرة ما أخذَه البحترى من أبى تمام ، وإغراقه فى الاستعارة من معانيه ؟ فأيّما(١) أولى بالتقدمة : المستعيرُ ، أم المستعارُ منه ؟

* * *

٢٢ ـ [قال صاحب البحترى] : قد ابتدأنا بالجواب عن هذا فى صدر كلامنا ، ونحن نُتِمُّه(٢) فى هذا الموضع إن شاء الله تعالى .

أما ادِّعاؤكم كثرةَ الأَخذ منه فقد قلنا : إنه غير منكَر أن يكون أَخذ منه لكثرة(٣) ما كان يرد على سمع البحترى من شعر أبى تمام فيعتلق(٤) معناه : قاصدًا للأَخذ ، أَو غيرَ قاصدٍ ، ولكن ليس كما ادعيتم وأدعاه أبو الضياء بشر بن يحيى(٥) فى كتابه ؛ لأَنا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه ، وتجرى طباع الشعراء عليه ، فجعله مسروقاً ، وإنما السَّرَق يكون فى البديع الذى ليس للناس فيه اشتراك ، فما كان من هذا الباب فهو الذى

(١) فى م ، ط : « فأيهما »
(٢) فى ك : « نتممه »
(٣) ط « من كثرة »
(٤) فى ط ، م : « فيتعلق »
(٥) ط « ابن تميم »

أخذه البحترى من أبى تمام ، لا ما كَثَّر فيه[١] أبو الضياء وحَشَا به كتابه .

وأنا أذكر هذين البابين[٢] فى موضعهما من [هذا] الكتاب[٣] ، وأبين ما أخذه البحترى من أبى تمام على الصحة ، دون ما اشتركا فيه ؛ إذ كان غير منكر لشاعرين [مكثرين] متناسبين ومن أهل بلدين متقاربين أن يتفقا فى[٤] كثير من المعانى ، ولا سيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد فى الأشعار ذكره ، وجرى فى الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله .

وبعد :

فينبغى أن تتأملوا محاسن البحترى ، ومختار شعره ، والبارعَ من معانيه ، والفاخِرَ من كلامه؛ فإنكم لا تجدون فيه على غَزْره وكثرته حرفاً واحدًا مما أخذه عن أبى تمام ، وإذا كان ذلك إنما يوجد فى المتوسط من شعره فقد قام الدليل على أنه لم يعتمد أخذه ، وأنه إنما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده .

تَمَّ احتجاج الخصمين بحمد الله .

(١) ط « لا ما ذكره »
(٢) ط « هذين الشيئين »
(٣) فى ك : « هذه الرسالة »
(٤) فى ط ، م : « على »

## منهج الآمدى فى الكتاب

وأنا أبتدئ بذكر مساوى هذين الشاعرين لأختم [ بذكر ](١) محاسنهما.

وأذكر طَرَفاً من سرقات أبى تمام ، وإحالاته ، وغَلَطه ، وساقط شعره ، ومساوى البحترى فى أخذ ما أخذه من معانى أبى تمام ، وغير ذلك من غلطه فى بعض معانيه .

ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة(٢) إذا اتفقنا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنًى ومعنًى ؛ فإن محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك [وتنكشف] .

ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوّده (٣) من معنًى سلكه ولم يسلكه صاحبه .

وأفرد باباً لما وقع فى شعريهما من التشبيه ، وباباً للأمثال ، أختم بهما الرسالة .

ثم أتبع(٤) ذلك بالاختبار المجرد من شعريهما ، وأجعله مؤلفاً على حروف المعجم ؛ ليقرب تناوله(٥) ، ويسهل حفظه ، وتقع الإحاطة به ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) من ك

(٢) ط « بين قصيدتين »

(٣) م « بجودة »

(٤) ط « وأضع ذلك » وهو تحريف

(٥) ط « متناوله »

## سرقات أبي تمام

كان أبو تمام مُستَهْتَرًا[١] بالشعر، مشغوفاً به، مشغولا مدةَ عمره بتبحره[٢] ودراسته، وله كتبُ اختيارات [مؤلفة] فيه مشهورة معروفة.

فمنها «الاختيار القبائلىّ الأكبر» اختار فيه من كل [قبيلة] قصيدة، وقد مر على يَدَىَّ هذا الاختيار.

ومنها اختيار آخر ترجمتُه[٣] القبائلى اختار فيه قطعاً من محاسن أشعار القبائل، ولم يوردْ فيه كبيرَ شيء [للشعراء] المشهورين.

ومنها الاختيار الذى تلقط فيه محاسنَ شعراء[٤] الجاهلية والإسلام، فأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هَرْمَة، وهو اختيار مشهور معروف [يعرف] باختيار شعراء الفحول.

ومنها اختيار تلقَّط فيه أشياء من [أشعار] المقلِّين والشعراء المغمورين غير المشهورين، وبَوَّبه أبواباً، وصدره بما قيل فى الشجاعة وهو أشهر اختياراته، وأكثرها فى أيدى الناس، ويُلقب بالحماسة.

ومنها اختيار المقطعات، وهو مُبَوَّب على ترتيب[٥] الحماسة، إلا أنه ذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين، وصَدَّره بذكر الغزل، وقد قرأتُ هذا[٦] الاختيار، وتلقطت منه نُتَفاً وأبياتاً كثيرة، وليس بمشهور شهرة غيره.

---

(١) مستهترا: مولعا به، وفى م، ط: «مشتهرا» وهو تحريف

(٢) ط «بتخيره»

(٣) م «ترجمته اختار قطعاً»

(٤) سقطت من م وفى ط «شعر»

(٥) فى ك: «تأليف»

(٦) م «فى هذا الكتاب وهذا الاختيار منه نتفاً»

ومنها اختيار مجرد فى [١]أشعار المحدثين ، وهو موجود فى أيدى الناس . فهذه الاختبارات تدل على عنايته بالشعر ، وأنه اشتغل به ، وجعله وُكْدَه [ وغرضه ] [٢] ، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه ، وإنه ما فاته كبير شىء[٣] من شعر جاهلى ولا إسلامى ولا محدث إلا قرأه وطالع فيه[٤] ، ولهذا ما أقول : إن الذى خفى من سرقاته أكثرُ مما ظهر منها[٥] ، على كثرتها .

وأنا أذكر ما وقع إلىّ فى كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته أنا منها واستخرجته ؛ فإن ظهرتُ بعد ذلك منها على شىء ألحقته بها ، إن شاء الله .

١ ـ قال الكميت الأكبر ، وهو الكميت بن ثعلبة :

فلا تُكْثِروا فيها الضَّجَاجَ فَإِنَّهُ ... مَحَا السَّيْفُ مَاقَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا[٦]

أخذه الطائى فقال :

* السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ[٧] *

وذلك أن أهل التنجيم كانوا حكموا بأن المعتصم لا يَفْتَح عمورية ، وراسلته الروم : إنا نجد فى كُتُبنا أن مدينتنا هذه لا تفتح إلا فى وقت

( ١ ) فى ط ، م : « من »

( ٢ ) من ك

( ٣ ) ط « فإنه ما شىء كبير » وفى م « مافاته كثير من »

( ٤ ) ط ، ك « واطلع عليه »

( ٥ ) ط « مما قام »

( ٦ ) ذكره المؤلف فى المؤتلف والمختلف ١٧٠ والمرزبانى فى معجم الشعراء ٣٤٧ وابن قتيبة فى الشعر والشعراء أثناء ترجمة سالم بن دارة ١/٣٦٣ والبحترى فى حماسته ١٥ . وفى ط « ولا . . اللجاج » والضجاج : المجادلة والمشاغبة . وفى ط « فيه »

( ٧ ) ديوانه ٧ وأخبار أبى تمام ٣٠

إدراك التين والعنب ، وبيننا وبين ذلك الوقتِ شهورٌ يمنعك من المُقام فيها البردُ والثلج . فأَبى أن ينصرف ، وأَكبَّ عليها حتى فتحها فأَبطل ما قالوه ، فلذلك قال الطائى :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فى حَدِّه الحدُّ بيْن الجدّ واللَّعِب

وهو أحسن ابتداءاته .

٢ – وقال النابغة يصف يوم حرب :

تَبْدُو كَوَاكِبُه وَالشَّمْسُ طالِعَةٌ ... لا النُّورُ نُورٌ وَلا الإِظْلامُ إِظْلام[1]

أَخذه الطائى ، وذَكَرَ ضوءَ النهار وظلمة الدخان فى الحريق الذى وصفه فقال[2] :

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْماءُ عاكِفَةٌ ... وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فى ضُحًى شَحِبِ

فالشَّمْسُ طالِعَةٌ مِنْ ذا ، وقَدْ أَفَلَتْ ... وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذا ، وَلَمْ تَجِبِ

٣ – وقال الأَعشى :

وإِنَّ صُدُورَ الْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ... ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ[3]

أَخذه الطائى فقال :

مِنَ الْقِلاصِ اللَّوَاتى فى حَقَائبها ... بِضاعَةٌ غَيْرُ مُزْجاةٍ مِنَ الْكَلِم[4]

٤ – وقال مسلم بن الوليد فى وصف الخمر :

قُتِلَتْ وعاجلها المديرُ فلم تُقَدْ ... فإذا به قد صَيَّرَتْهُ قتيلا[5]

---

(١) ديوانه ٦١ وأمالى المرتضى ١/٥٢ والصناعتين ١٩٧

(٢) م « وصفه فقال »

(٣) ديوانه ١٤٩ « وإن عتاق »

(٤) ديوانه ٢٦٨ والقلاص : جمع قلوص وهى الناقة الشابة ، وغير مزجاة أى جيدة كاملة

(٥) ط « ولم يقد » ديوانه ٤٨ « فلم تفظ » يقول : قتلت بالمزاج ، وعاجلها المدير بالشرب ولم تفظ بعد ، فإذا به قد صيرته قتيلا ، أى قد أسكرته .

أخذه الطائى فأحسن الأخذ ، فقال :

إذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بِوِتْرٍ تَوَقَّرتْ عَلَى ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرِّجْلِ[١]

فإن كان أخذه[٢] من دِيك الجنّ فلا إحسان له [ فيه ] ؛ لأنه أتى بالمعنى بعينه ، قال ديك الجن :

تظل بأيدينا تتعتع روحُها وتأْخذ من أقدامنا الراحُ ثارَها[٣]

كذا وجدته فيما نقلت ، وليس ينبغى أن نقْطَع على أيهما أخذ من صاحبه ؟ لأنهما كانا فى عصر واحد .

* * *

٥ ـ وقال الأعشى :

وَأَرَى الْغَوَانِيَ لا يُوَاصِلْنَ امْرَأً فَقَدَ الشَّبابَ وقدْ يَصِلْنَ الْأَمْرَدَا[٤]

فأخذ الطائى المعنى وألطفه[٥] ، فقال :

أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً مَنْ كانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا[٦]

٦ ـ وقال البَعِيث [ الحنفى ] :

وَإِنَّا لَنُعْطِى الْمَشْرَفِيَّةَ حَقَّها فَتَقْطَعُ فى أَيْمَانِنَا وَتُقَطَّعُ[٧]

فقال الطائى :

فَمَا كُنْتُ إلا السَّيْفَ لَاقَى ضَرِيبَةً فَقَطَّعَها ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَطَّعَا[٨]

---

(١) ديوانه ٤٢٠ وم « توفرت . . . من الدحل » وهو تحريف

(٢) ط « وإن . . . أخذه »

(٣) التشبيهات ١٨١ وفى م « نظل » و ط « تقعقع »

(٤) ديوانه ١٥٠

(٥) ط « والصفة »

(٦) ديوانه ٨٨ وقال الشريف المرتضى فى الشهاب ١٠ « ولعمرى إن بين البيتين تشابهاً ، إلا أن أبا تمام زاد على الأعشى بقوله : من كان أشبههم بهن خدوداً ، فعلل ميل النساء إلى المرد ، والأعشى أطلق من غير تعليل »

(٧) الوساطة ٣٢٩ وأخبار أبى تمام ١٠٠

(٨) ديوانه ٣٧٥ وأخبار أبى تمام ٩٨ ومروج الذهب ٤/٧٢

٧ – وقال الطائى :

وركْبٍ كأَطرافِ الأَسِنَّة عَرَّسُوا عَلَى مِثلها والليْلُ تَسْطُو غياهِبُهْ(١)
لأَمْرٍ عليهمْ أن تَتِمَّ صُدُورُهُ وليس عليهِمْ أن تَتِمَّ عوَاقِبُـهْ

أخذ صدر البيت الأَول من قول كُثَيِّر :

وركْب كأَطْرافِ الأَسِنَّةِ عَـرَّجُوا قَلائِصَ فى أَصْـلابِهِنَّ نُحُولُ(٢)

ويشبه قول البَعيث :

أَطافَتْ بشُعْثٍ كالأَسِـنَّةِ هُجَّدٍ بِخاشِعـةِ الأَصْواءِ غُبْرٍ صُحُونُهَا(٣)

وأخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر :

غُـلامُ وغًى تقَحَّمَها فَأَبْلَى فَخَـانَ بَلاءَهُ الزمنُ الْخَؤونُ(٤)
فكانَ عَلَى الْفَتَى الإِقْدَامُ فِيهَا وليس عليهِ ما جَنتِ الْمَنُونُ

٨ – وقال جِرَانُ الْعَوْد يصف الخيال :

سَقْياً لِزَوْدِكَ مِنْ زَوْرٍ أَتاكَ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ عنهُ وهْوَ مَشغُولُ(٥)

فذكر العلة فى طروق الخيال ، وهو السابق إلى هذا(٦) المعنى ، فأَخذه العباس بن الأَحنف فقال :

خَيالُكِ حينَ أَرْقُدُ نُصْب عينى إلى وقْتِ أنتباهِى ما يَزُولُ(٧)

---

(١) راجع ص ٢١
(٢) ديوانه ٧ وفى ظ « عرسوا »
(٣) راجع ص ٢١
(٤) راجع ص ٢١
(٥) ديوانه ٥٥ وحماسة ابن الشجرى ١٧٧
(٦) فى م ، ط : « لهذا »
(٧) أمالى القالى ١/٢٢٩

وليس يَزُورُنى صِلةً ، ولـكنْ حَدِيثُ النَّفْسِ عَنْكِ بهِ الْوَصُولُ[١]

فتبعه الطائى فقال :

زَارَ الْخَيالُ لَها ، لا ، بَلْ أَزارَكَهُ فِكْرٌ إذا نامَ فِكْرُ الناس لم يَنَمِ[٢]

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

نَمْ فَمَا زارَكَ الْخَيالُ وَلٰكِنَّـ ـكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيالِ[٣]

٩ ـ وقال أبو تمام الطائى :

أَمَّا الْهِجاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمدْحُ عنك، كَما عَلِمْتَ ،جَلِيلُ[٤]

فاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

أخذه من قول [ أبى ] هشام المعروف بالخلق[٥] ، أحد الشعراء البصريين ، يهجو بشار بن برد :

بِذِلَّة وَالِدَيْكَ كَسَـبْتَ عِزًّا وَبِاللُّؤْمِ اجْتَرَأْتَ عَلَى الْجَوَابِ[٦]

---

( ١ ) ط « هو الوصول »

( ٢ ) ديوانه ٢٦٨ « فكر الخلق » وفى ط « فكر الخلو » وأمالى المرتضى ١/٥٤٢ وأمالى القالى ١/٢٢٩ وحماسة ابن الشجرى ١٧٦

( ٣ ) ديوانه ٤٥٩

( ٤ ) ليسا فى ديوانه ، وقد أوردهما البديعى فى هبة الأيام ١٦٠ ضمن أهاجى أبى تمام لأبى المغيث موسى ، وقبلهما :

أمويس قل لى : أين أنت من الورى لا أنت معـلوم ولا مجهـول

ثم قال : « والبيتان الأخيران ينسبان لغير أبى تمام » والأبيات فى ديوان المعانى ١/١٧٨ لمسلم ابن الوليد وهى له فى هجاء دعبل ، كما قال أبو الفرج فى ترجمة مسلم المنقولة من الأغانى فى آخر ديوانه ١٦٤ (طبع الهند) وأغرب المبرد فنسبهما لدعبل فى الكامل ٢/٧٩٨ - ٧٩٩ ونسبهما الشريف المرتضى لمسلم ١/٤٨٨ وفى ط « والمديح فيك » وهو خطأ

( ٥ ) ط « بالحلو » وفى هامش ك : « ع قال لى أبو عبيد المرزبانى : هذا أبو هشام : عمرو الظالمى الباهلى يعرف بابن الحليق . والخلق هو أبو مسلم . كان فى أيام المأمون

وفى معجم الشعراء للمرزبانى ٢١٦ عمرو بن عبد الرحمن بن الخلق أبو هشام الباهلى الظالمى شاعر مكثر ، كان على عهد المنصور والمهدى والرشيد . هاجى بشارا الأعمى فانتصف منه

( ٦ ) البيت لأبى هشام فى أخبار أبى تمام ٤٢ ونسبه الثعالبى خطأ للبحترى فى المنتحل ١٤٤ وليس فى ديوانه . وفى ديوان المعانى ١/١٧٩ من غير نسبة . وفى معجم الشعراء للمرزبانى ٢١٦

وأخذه إبراهيم بن العباس فقال وأجاد وأحسن[١] :

نَجَا بكَ عِرْضُكَ مَنْجَى الذُّبابِ ... حَمَتْهُ مَقَــاذِيرُهُ أَنْ يُنَالا[٢]

١٠ ـ وقال الطائى :

وَالشَّيْبُ إِنْ طَرَدَ الشَّبابَ بَيَاضُهُ ... كالصُّبْحِ أَحْـدَثَ لِلظَّلَامِ أُفُولا

أراد قول الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهضُ فِى الشَّبابِ كَأَنَّه ... لَيْــلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ[٣]

فقَصَّر عنه .

١١ ـ وقال قيس بن ذَرِيح :

بَلِيغٌ إذا يَشْكُو إلَى غَيْرِها الْهَوَى ... وَإِنْ هُوَ لاقاها فَغَــيْرُ بَلِيغِ

أخذه الطائى فقال :

لِمَ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِرَاقِ تَبَلُّدِى ... وبَرَاعَةُ الْمُشْتَاقِ أَنْ يَتَبَلَّدَا[٤]

١٢ ـ وقال الحطيئة :

إِذَا هَمَّ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ ... حَصَانٌ عَلَيْهَا لُؤْلُؤٌ وَشُنُوفُ[٥]

---

(١) ط « فأجاد »

(٢) ط ، ك « مقاذره » وهو فى الطرائف ١٦٣ وآمالى المرتضى ١/٤٨٨ وديوان المعانى ١/١٧٩ والمنتحل ١٣٢ وأخبار أبى تمام ٤٣ ومعاهد التنصيص ٤/٥٣

(٣) ديوانه ٤٦٧ « فى السواد » وهو فى الصناعتين ٢٥٤ ، ٣١٤ والأغانى ١٩/١٦ والموشح ١٠٣ وإعجاز القرآن ١٢٥ والكامل ١/١٨ والاقتضاب ١٤٦ واللسان ٧/٩٧ ، ١٤/١٣٠ والشعر والشعراء ١/١٣ ووفيات الأعيان ٦/٢٤٤ ومعاهد التنصيص ١/١٩ وأساس البلاغة ٢/٣٦ ، ٤٨٥ وطبقات فحول الشعراء ٣١٢ وديوان المعانى ٢/٨٧ ونثار الأزهار ٦٥ والعمدة ١/٢٣٧ وحماسة البحترى ١٨٣ ودلائل الإعجاز ٧٥

(٤) ديوانه ١٢٥

(٥) ديوانه ٤١ « كماب عليها » . وفى م ، ك « لؤلؤ وزبرجد » وهو خطأ ، وفى هامش ك تعليقاً عليها فى شعره وشنوف . وأول القصيدة :

أمن أجل دار مربع ومصيف ... لعينيك من ماء الشئون وكيف

فأخذه كُثَير فقال :

إذا ما أراد الغزوَ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ ... حَصَانٌ عَلَيْهَا نظمُ دُرٍّ يَزِينُهَا (١)

وأخذه الطائى فخلط ؛ لقصده إلى مجانسة اللفظ [ والمطابقة ] ؛ فقال :

عَدَاكَ حُرُّ الثُّغورِ الْمُسْتَضامَة عَنْ ... بَرْدِ الثُّغور ، وعَنْ سَلْسالِهَا الْحَصِبِ (٢)

١٢ ــ وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وَثِقْنَ بها ... فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِى كلِّ مُرْتَحَلِ (٣)

أخذه الطائى فقال :

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبَان أعْلامِهِ ضُحًى ... بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فى الدِّماء نَوَاهِلِ (٤)

أَقَامتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّها ... مِنَ الْجَيْشِ إلَّا أنَّها لَمْ تقَاتِلِ

فأتى فى المعنى بزيادةً ، وفى قوله : « إلا أنها لم تُقاتل » وجاء به فى بيتين . [ وأخطأ أيضاً فى المعنى بقوله : « فى الدماء نواهل » والنهل : هو الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثانى والعقبان لا تشرب الدماء ، وإنما

( ١ ) ط « إذا هم بالأعداء . . . عليها عقد » والبيت فى ديوانه ٢/٣٤ وأمالى القالى ١/١٣ والأغانى ٨ /٣٥ وطبقات فحول الشعراء ٤٦٠ والعقد ٤/٤٠٧

( ٢ ) ديوانه ١٠ و ط « الحصب » وفى شرح التبريزى ١/٦٨ « عداك : صرفك ، والثغور : جمع ثغر ، وهو موضع مخافة العدو ، والمستضامة : التى ضامها العدو وأذلها .

والثغور الثانية : جمع ثغر وهو الفم . والمراد بالسلسال هنا : الريق ، والحصب : الذى فيه الحصباء ، وهى صغار الحصى – وجعله الريق حصبا لأن فيه الأسنان يقول : صرفك عن برد هذا الريق فى ثغور الحسان – ما فى قلبك من أمر الثغور التى أبيحت وتمكن العدو منها وفى هذا البيت مطابقة بين الحر والبرد ، ومجانسة بين الثغور والثعور .

( ٣ ) ديوانه ١٠ والصناعتين ٢٢٦ والشعر والشعراء ٢/٨١١ وهبة الأيام ١٩٠ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/٤٢٩ والإبانة والذخيرة ١/٢٤٢ والصبح المنبى ٣٧ وأخبار أبى نواس ١٦٤ ومعاهد التنصيص ٣/٥٩ .

( ٤ ) ديوانه ٢٤٨ وأخبار أبى تمام ١٦٤ والوساطة ٢٧١ والصبح المنبى ٣٧ والإبانة . . . والخزانة ٢/١٩٦ والذخيرة ١/٢٤٢

تأكل اللحم] (١) .

وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى ؛ فأولُ من سبق إليه الأَفْوَه الأَوْدِيّ ، وذلك قوله :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثارِنا رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارْ (٢)

فتبعه النابغة فقال :

إذا مَا غزَا بالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ (٣)
جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إذا ما الْتَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

فأخذه حُمَيد بن ثَوْر فقال يصف الذئب :

إِذَا مَا غَـدَا يَوْماً رَأَيْتَ غَيَـايَةً مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِى هُوَ صَانِعُ (٤)

---

(١) الزيادة من م ويقول الجرجانى فى الوساطة ٢٧١ « زعم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله : « إلا أنها لم تقاتل » فهو المتقدم ، وأحسن من هذه الزيادة عندى قوله : « فى الدماء نواهل » وإقامتها مقام الرايات ، وبذلك يتم حسن قوله : إلا أنها تقاتل »

(٢) الطرائف ١٣ والوساطة ، ٢٧٠ والصناعتين ٢٢٥ وهبة الأيام ١٨٨ والذخيرة ١/٢٤٢

(٣) ديوانه ٤٣ وفى ط وهامش ك « ما غزوا » وانظر الخزانة ٢/١٩٦ وأخبار أبى نواس ١٦٤ ودلائل الإعجاز ٣٨٤ وهبة الأيام ١٩٠ والصناعتين ٢٢٥ والصبح المنبى ٣٧ والشعر والشعراء ١/١٢١ وفيه أن العلماء أخذوا عليه أنه « جعل الطير تعلم الغالب من المغلوب قبل التقاء الجمعين ، والطير قد تتبع العساكر للقتلى ،ولكنها لا تعلم أيها يغلب » والذخيرة لابن بسام ١/٣٤٢ – ٣٤٣ وفيه أن ابن شهيد يرى أن كل هؤلاء الشعراء « قصر عن النابغة ؛ لأنه زاد فى المعنى ودل على أن الطير إنما أكلت أعداء الممدوح ، وكلامهم كلهم مشترك يحتمل أن يكون ضد ما نواه الشاعر ، وإن كان أبو تمام قد زاد فى المعنى » ويقول الصولى فى أخبار أبى تمام ١٦٥ : « ولا أعلم أحداً قال فى هذا المعنى أحسن مما قاله النابغة ، وهو أولى بالمعنى ، وإن كان قد سبق إليه لأنه جاء به أحسن » ويرى القاضى الجرجانى فى الوساطة ٢٧١ « أن الأفوه الأودى قد فضل الجماعة بأمور : منها السبق ، وهى الفضيلة العظمى ، والآخر قوله : « رأى عين » فخبر عن قربها ؛ لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر ، وإنما يكون قربها متوقعاً للفريسة . وهذا يؤيد المعنى ، ثم قال : « ثقة أن ستمار » فجعلها واثقة بالميرة ، ولم يجمع هذه الأوصاف غيره ، وأما أبو نواس فإنه نقل اللفظ ولم يزد فيفضل »

(٤) يصف ذئباً يتبع الجيش طمعاً فى أن يتخلف رجل يثب عليه ؛ لأنه من بين السباع لا يرغب فى القتلى ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه . والغيابة : كل شىء أظل الإنسان مثل السحابة والغبرة والظل . والبيت فى الوساطة ٢٧١ والخزانة ٢/١٩٧ وأخبار أبى نواس ١/١٦٤ وهبة الأيام ١٨٨ وقد خرجه الميمنى من مصادر كثيرة – ليست هذه من بينها – فى تعليقه على الديوان ١٠٦

وقال أَبو نُوَاس :

تَتَأَيَّا الطَّيْرُ غُــدْوَتَهُ ثِقَةً بِالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ[١]

[تتأيّا] أى : تتعمد وتقصد .

* * *

١٤ ــ وقال منصور النَّمَرِىُّ فى مدح الرشيد :

وَعَيْنٍ مُحِيطٍ بِالْبرِيَّةِ طَرْفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُها وَبَعِيدُها

أَخذه أَبو تمام فقال :

أَطَلَّ على كُــلِّ الآفاقِ حتى كَأَنَّ الأَرْضَ فِى عَيْنَيْهِ دَارُ[٢]

[ويروى طلى] . عجز هذا البيت حَسَن جداً ، وبيت النمرى أَحبُّ إلىَّ ؛ لأَن معناه أَشرح .

١٥ ــ وقال مسلم بن الوليد

فَلَمَّا انْتَضَى اللَّيْلُ الصَّباحَ وَصَلْتَهُ بحَاشِيَةٍ مِنْ لَــوْنِهِ الْمُتَوَرِّدِ[٣]

أَخذه أَبو تمام فقال :

حُطَّتْ إلى قبَّةِ الإِسْلامِ أَرْحُلُهُ وَالشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ وَرْساً على الأُصُلِ[٤]

[أَو أَخذه من قول النمرى :

أَجَدّ ولمّا يجمعِ الليلُ شملَه فما حلَّ إلا وهْو وَرْدُ المغاربِ]

---

(١) ط « غزوته » وما فى م يوافق ما فى الديوان ٦٩ والصناعتين ٢٢٦ والذخيرة ١/٢٤٢ وفى أخبار أبى نواس « تتأتى الطير » وفى الصبح المنبى ٣٧ وهبة الأيام « يتوفى الطير » وفى الوساطة ٢٧١ « تتأبى » وشرحها الناشران بقولهما « تتأبى تتعمد » ! وهو خطأ . ومعنى من جزره : أى من قتل الممدوح

(٢) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ٢/١٥٥ « كلى : جمع كلية ، واستعارها للآفاق ، لأن من اطّلع على كلية الشىء فقد خبر أمره ، إذ كانت الكلية لا تكون إلا فى الباطن »

(٣) م « وصلته » وفى ديوانه ٦٢ « من فجره » انتضى : أظهر والمتورد : الأحمر ، يعنى الصبح يريد أنهم وصلوا سير الليل بسير النهار .

(٤) ديوانه ٢٥٠ « إلى عمدة »

هذا ما ذكره ابن المنجم ، والذى أظن أنه أخذه من قول الآخر :

* وَالشَّمْسُ صَفْرَاءُ كَلَوْنِ الْوَرْسِ *

١٦ - وقال المرار[١] الْفَقْعَسِىُّ فى وصف الأثافىّ :

أَثَرُ الْوُقودِ عَلَى جَوَانبها بِخدُودِهِنَّ كأَنَّهُ لَطْمُ[٢]

فأخذه أبو تمام فقال :

أَثافٍ كالْخدُودِ لُطِمْنَ حُزْناً وَنؤْىٌ مثْلُ ما انْفَصمَ السِّوَارُ[٣]

أوردَ المعنى فى مصراع ، وأتى فى المصراع الثانى بمعنى آخر يليق به فأجاد ، إلا أن بيت المرار أشرح وأظهر معنًى ؛ لقوله : « أثر الوقود[٤] على جوانبها » فأبان المعنى الذى من أجله أشبهت الخدود[٥] الملطومة .

١٧ - وقا أبو نُوَاس :

فالْخَمْرُ يَاقوتَةٌ وَالْكأْسُ لُؤْلُؤَةٌ مِنْ كَفِّ لُؤْلُوَةٍ مَمْشوقَةِ الْقَدِّ[٦]

أخذه أبو تمام فقال وأساء :

أَوْ دُرَّةٌ بَيْضاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ حَبَـلًا على ياقوتةٍ حَمْراء[٧]

لأن قوله : « [ أطبقت ] حبلا » كلام مستكره [ قبيح ] جدًّا .

---

( ١ ) سقطت من الخطية

( ٢ ) البيت له فى أمالى المرتضى ٢/٣٤

( ٣ ) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ٢/١٥٣ « وقال المرزوق : شبه الأثافى فى أن أعلاها سواد فى حمرة بخدود حمر لطمت حتى اسودت ، وشبه النؤى لتثلمه ودروس بعض منه وبقاء بعض منه بسوار متكسر » وانظر الوساطة ٢٤٦ وأمالى المرتضى ٢/٤٣ .

( ٤ ) ط « وأوضح معنى . . . أثر الورود » !

( ٥ ) ط « أشبه الخدود » وفى م « شبهت بالخدود »

( ٦ ) ديوانه ٢٦٥ « كف جارية »

( ٧ ) ديوانه ٣ وشرح التبريزى ١/٣٧ « شبه الكأس بدرة لم تثقب والخمر بياقوتة حمراء ، فكأنها حمل فى جوفها وهى حبلى بها »

١٨ ـ وقال أبو تمام :

نَقِّل فؤادَكَ حَيث شِئتَ من الهوَى ما الحُبُّ إلا للحبيب الأوّلِ (١)

أخذه من قول كُثَير :

إذا وصلَتْنا خُلةٌ كَىْ تُزيلَهَا أبيْنا ، وقُلنا : الحاجِبيَّةُ أوَّلُ (٢)

وذكر محمد بن داود بن الجرّاح فى كتابه أنه أخذ المعنى من قول ابن الطَّثْرِيَّةِ إذ يقول :

أتانى هَواها قبل أن أعْرِفَ الهوَى فصادفَ قَلباً فارِغاً فتمَكّنا (٣)

وهذا أجود ما قيل فى هذا المعنى ؛ لأنه ذكر العلة .

١٩ ـ وقال أبو تمام :

وما سافَرْتُ فى الآفاقِ إلاّ ومِن جدْواكَ راحِلتى وزادِى (٤)

مُقيمُ الظَّنِّ عِندكَ والأَمانى وإن قلِقتْ ركابِى فى البلاد

أخذه من قول أبى نُواس :

وإن جرَت الألفاظ يوْماً بمِدْحةٍ لِغَيرِكَ إنساناً فأنتَ الذى نَعنى (٥)

---

(١) ديوانه ٤٥٧ وأخبار أبى تمام ٢٦٣ والصناعتين ٢٠٤ ، ٤١٨ والبيان والتبيين ٣/٣١٣ والحيوان ١/١٦٩ والأغانى ١٧/١٤٦ والعقد ٣/٤٧٠ ، ٦/١٠٢ غير منسوب ودلائل الإعجاز ٣٧ ومعاهد التنصيص ١/٢٢٩

وانظر تخريج المستشرق ويتر لهذا البيت فى أسرار البلاغة ١٠٨

(٢) الخزانة ٢/٢٨٢ والشعر والشعراء ١/٤٨٨ ودلائل الإعجاز ٢٧٩ وديوانه ٢/٣١ «إذا أرادت خلة أن تزيلنا » وفى أخبار أبى تمام ٢٧٤ « لتزيلها »

(٣) البيت له فى حماسة ابن الشجرى ١٤٥ وأخبار أبى تمام ٢٦٤ والزهرة ٢٢ ويعقب عليه داود الأصفهانى بقوله : « ولعمرى إن هذا من نفيس الكلام ، غير أن فى البيت ضعفاً ، وذلك أنه جعل سبب تمكن الهوى من قلبه أنه صادفه خالياً لم يسبقه إليه غيره ، وليست هذه أحوال أهل التمام إذ كل من صادف محلا لا يدافع عنه لم يتعذر عليه طريق التمكن منه » وقد نسبه الجاحظ فى البيان والتبيين ٢/٤٢ والحيوان ١/١٦٩ لمجنون بنى عامر

(٤) ديوانه ٨٩ وشرح التبريزى ١/٣٧٨ وأخبار أبى تمام ١٤١ والوساطة ٢٤٥

(٥) ديوانه ٦٦ وأخبار أبى تمام ١٤٢ والوساطة ٢٤٤

وقد كان ابن أبي دُؤَاد سأله عن هذا المعنى حين أنشده القصيدة ، فقال : أهو مما اخترعته ؟ فقال : [هو ما اخترعته ، فقال : بل] [١] أخذته من قول [الحسن] ابن هانى :

* وإن جَرَت الألفاظُ يوْماً بمِدْحةٍ *

٢٠ – وقال ابن الخياط فى قصيدة يمدح بها المهدى – فأجازه جائزة فرّقها فى الدار ، فبلغه فأضعفَ له الجائزة – :

لَمستُ بِكَفِّى كَفّه أَبْتَغِى الغِنَى ... ولم أَدْرِ أَنَّ الجُودَ مِن كَفِّه يُعْدِى [٢]

أخذه أبو تمام فقال :

عَلَّمنى جُـودُكَ السَّماحَ فما ... أَبقَيتُ شَيئاً لَدىَّ مِن صِلتِكْ [٣]

وبيت ابن الخياط أبلغ وأجود .

٢١ – وقال [أبو على] [٤] دِعْبَل بن على :

وإنَّ امْرأً أَسْدَى إلىَّ بِشافعٍ ... لَدَىَّ يُرَجِّى الشكرَ مِنِّى لَأَحمقُ [٥]

شَفِيعَكَ فَاشكرْ فِى الْحَوائجِ ؛ إنَّه ... يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يخلقُ

فأخذه أبو تمام فقال وألطف المعنى وأحسن اللفظ :

فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطَـائِهِ ... وَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَىَّ مُرَّ سُؤالِهِ [٦]

---

(١) الزيادة من م .

(٢) الأغانى ١٨/٩٤ وأخبار أبى تمام ١٥٩ والوساطة ٢١٦ والصناعتين ٢٠٠ وأمالى المرتضى ١/٥٢٢ . وأحكام القرآن ١/٤٦ وآداب الشافعى ١٤٠ ، ٣٣١ والبيت فى الأغانى ٣/١٥٠ طبع الدار لبشار ضمن حكاية .

(٣) البيت له فى الأغانى ١٥/١٠٤ ، والوساطة ٢١٦ وأخبار أبى تمام ١٥٨ والصناعتين ٢٠٠

(٤) من ك

(٥) الصناعتين ٢١٣ وأخبار أبى تمام ٦٤ والأغانى ١٥/١٠١ وفيها « إليه ويرجو »

(٦) ديوانه ٢٤٠' ويقال : إن رجلا سأل دعبلا عن شاهد يؤيد ما كان يدعيه من أن أبا تمام كان يتبع معانيه فيأخذ ها فأنشده هذا الشعر ، وإن الرجل قال له : لئن كان أخذ هذا المعنى وتبعته فما أحسنت ، وإن أخذه منك لقد أجاده فصار أولى به منك ، فغضب دعبل ، راجع الأغانى ١٥/١٠١ وأخبار أبى تمام ٦٣

وَإذا امْرُؤٌ أسدى إلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّها مِنْ مَالِهِ

٢٢ – وقال مسلم بن الوليد فى الحجاب ، فأخطأ فى المعنى :

كَذٰلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِى تَحَجُّبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْفِرًا عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ

أخذه أبو تمام فقال :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ منكَ لِى أَمَلاً إنْ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ(١)

إلا أن لبيت أبى تمام وجهاً من الصواب ، قد ذكرته فى باب من هذا الكتاب مع ما أُخذ على مسلم بن الوليد فى بيته من العيب .

٢٣ – وقال النابغة الجعدى :

وَتَسْتَلِبُ الدُّهْمَ الَّتِى كانَ رَبُّهَا ضَنِيناً بِهَا ، وَالْحَرْبُ فِيهَا الْحَرائِبُ(٢)

فأخذه أبو تمام فقال وقصر عنه :

لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأْىَ الْعَيْنِ توفَلِسٌ
وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرَبِ(٣)

أو أخذه من قول إبراهيم بن المهدى :

ومُسْعِرُو الحَرْبِ وَاسْمُ الْحَرْبِ قد عَلِمُوا
لَوْ يَنْفَعُ العِلْمُ – مُشْتَقٌ مِنَ الحَرَبِ(٤)

---

( ١ ) ديوانه ٢٢ وديوان المعانى ١/١٦١ وأخبار أبى تمام ٢٢٢

( ٢ ) ديوانه ١٣٠ وأخبار أبى تمام ٥٥ وفى ديوان المعانى ٢/٦٦ « وتستلب المال » والبيت فى التحذير من الحرب .

( ٣ ) شرح التبريزى ١/٧٠ وديوانه ١٠ و ط « نوفلس » وجواب لما مذكور فى البيت التالى هو :

غدا يصرف بالأموال جريتها فعزه البحر ذو التيار والحدب

الحدب : ارتفاع الماء تارة وانخفاضه أخرى . يقول : لما رأى توفلس الحرب تجرى إليه بالرجال كما تجرى السيول – بذل للمعتصم أموالا ليرجع عنه فعزه ، أى غلبه ، يريد المعتصم وجيشه »

( ٤ ) فى أخبار أبى تمام ٥٥ « هم هيجوا الحرب »

٢٤ – وقالت مريم بنْت طارق ترثى أخاها فى أبيات أنشدناها ابن الأنبارى(١) فى أماليه :

كنَّا كَأَنْجُم لَيْـلٍ بيننا قمرٌ    يَجْلُو الدُّجَى ،فهوى مِنْ بيننا القَمَرُ(٢)

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى [جميعاً] ، فقال :

كأن بَنى نبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ    نجُومُ سَمَاءٍ خرَّ مِنْ بَيْنِهَا البَدْرُ(٣)

أو أخذه من قول جرير يرثى الوليد بن عبد الملك :

أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبتهُمْ    مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنها القَمَرُ(٤)

ولست أدرى أيُّهما أخذ من صاحبه ؟ أمريمُ أخذت من جرير ؟ أم جرير أخذ منها ؟

وروى دِعْبلِ بن على الخزاعى لأبى سُلْمى المزنى – من ولد زهير ، واسمه مكنفٌ – الذى يهجو بَنى القَعْقاع آلَ ذُفافة العبسيين(٥) فيقول :

إنَّ الضُّرَاطَ بِهِ تَعَاظَمَ مَجْدُكمْ    فَتَعَاظَـمُوا ضَرِطاً بَنِى القَعْقَاعِ(٦)

قال دعبل : فلما مات ذُفافة رثاه أبو سُلْمى فقال :

أَبَعْدَ أَبِى العَبَّاس يُستَعْتَبُ الدَّهْرُ    ومَا بَعْدَهُ لِلدَّهْرِ عُتْبَى ولا عُذْرُ(٧)

[إذا ما أبو العبـاسِ خَلَّى مكانَه    فلا حملت أنثى ولا مسّها طُهْرُ]

---

(١) م « أنشدنا إياها إبراهيم الأنبارى »

(٢) البيت لصفية الباهلية فى عيون الأخبار ٣/٦٦ وحماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ٢/٩٤٩ وديوان المعانى ١/١٧ وأخبار أبى تمام ١٣٣ وفى العقد ٣/٢٧٨ لأعرابية . وروى للخنساء فى بعض نسخ ديوانها ١٣٤

(٣) ديوانه ٣٦٩ وعيون الأخبار ٣/٦٦

(٤) ديوانه ٢٩٧ وأخبار أبى تمام ١٣٤

(٥) ط « العبسى »

(٦) فى الأغانى ١٥/١٠٦ وأخبار أبى تمام ٢٠٠ « تصاعد جدكم »

(٧) الموشح ٣٢٨ والأغانى ١٥/١٠٧ والوساطة ١٨٨ وأخبار أبى تمام ٢٠٠ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/٢٥ وبين هذه المصادر اختلاف كثير فى ألفاظ القصيدة .

ألاَ أيُّهَا النَّاعِى ذُفافَةَ ذا النَّدَى ... تَعِسْتَ وَشَلَّتْ مِنْ أَنَامِلِكَ العَشْرُ
وَلاَ مَطَرَتْ أرْضاً سَماءٌ ، وَلاَ جَرَتْ ... نجُومٌ ، وَلاَ لَذَّتْ لِشَارِبِهَا الْخَمْرُ
كَأَنَّ بَنِى القَعْقاعِ يوم وَفاتِهِ ... نجُومُ سَماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها البَدْرُ[1]
تُوُفِّيَتِ الآمالُ بَعْدَ وفاته ... فأَصْبَحَ فِى شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفْرُ[2]
يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ العُلَا ... وَيَبْكِى عَلَيْهِ البَأْسُ والمجْدُ وَالشِّعْرُ[3]
وما كانَ إلاَّ مالَ مَنْ قَلَّ مالُهُ ... وَذُخْرًا لِمَنْ أمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذخْرُ

قال أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجرّاح ؛ قال أبو محمد اليزيدى : أنشدنى دِعْبِلٌ هذه القصيدة ، وجعل يعجّبنى من الطائى فى ادعائه إياها ، وتغييره بعض أبياتها .

٢٥ ــ وقال مسلم بن الوليد يرثى :

فاذْهَبْ كما ذَهَبَتْ غَوادِى مُزْنةٍ ... أَثْنَى عَلَيها السَّهْلُ والأَوْعارُ[4]

أخذ أبو تمام المعنى وقصّر فى العبارة ، فقال :

وَقَفْنا فقلْنا بعدَ أَنْ أُفْرِدَ الثَّرَى ... بِهِ ما يُقالُ فِى السَّحابةِ تُقْلِعُ[5]

وتقصيرُه عن مسلم أن مسلماً قال : « أثنى عليها السهل والأوعار » فأراد أن هذه السحابة عمَّت بنفعها .

وفى قول أبى تمام : « ما يقال فى السحابة تقلع » إبهام ، لأنه لم يُفْصح بالثناء عليها وأنها نفعت ، وقد يقال فى السحابة إذا أَقْلَعَتْ ما هو غير

---

(١) ط ، ك والوساطة « بعد وفاته »

(٢) فى أخبار أبى تمام والأغانى « يوم وفاته » وفى ط وبقية المصادر « بعد ذفافة »

(٣) هذا البيت والذى يليه ليسا فى الأغانى ولا فى أخبار أبى تمام

(٤) ديوانه ٢٣٨ وحماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ٢/٩٤٥ وأمالى القالى ١/٢٧٦ وزهر الآداب ٢/٦٦٥ وفى ط « السهل والأجبال » وهو تحريف

(٥) ديونه ٣٧٣ « وقمنا فقلنا بعد أن أفراد الندى »

المدح والثناء ، إذا أتت(١) فى غير حِينها ، وفى غير وقت الحاجة إليها ، وكثيرًا ما يضرُّ المطر إذا كانت هذه حالَه .

وإن كان أبو تمام لم يُرد هذا القِسْم ، وإنما أراد القسم الآخر فقد قصَّر(٢) فى العبارة والشرح ، ألا ترى إلى قول الشاعر الأَول ما أحْسَنَ ما شَرَط ! وهو طَرَفَةُ :

فَسَقَى دِيارَكِ غَيرَ مُفْسِدِها صَوْبُ الرَّبيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِى(٣)

قال : « غير مفسدها » لما دعا لها بالسُّقْيا التى تدوم .

وقال البحترى :

أَلَحَّ جُودًا فَلم تَضْرُرْ سَحائِبُهُ وَرُبَّما ضَرَّ عِنْدَ الْحَاجَةِ الْمَطَرُ(٤)

وقول أبى تمام : « ما يقال فى السحابة تقلع » يحتاج إلى تفسير مع مَسرِقته [ المعنى ](٥) .

٢٦ ـ وقال العباس بن الأَحنف :

سأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا(٦)

أَخذه الطَّائى فقال :

أَآلِفَةَ النَّحِيبِ ، كَمِ افْتِرَاقٍ أَظلَّ فكانَ داعِيَةَ اجْتِماعِ(٧)

وبيت الأَعرابى ـ وهو عُرْوة بن الوَرْد ـ أَجْوَدُ من بيتيْهما [ ومنه أَخذا ] :

---

(١) ط « نزلت »

(٢) ط « الآخر فقط ، فقصر » !

(٣) ديوانه ٦٢ « فسقى بلادك » ومعاهد التنصيص ١/٣٦٢

(٤) ديوانه ٢/٩٥٦

(٥) من ك

(٦) البيت للعباس فى دلائل الإعجاز ٢٠٧ ومعاهد التنصيص ١/٥١ والوساطة ٢٢٩ وصبح الأعشى ٢/٢٥٨ وهو غير منسوب فى الكامل ١/١٧٣ وفى ك : « قيل عمرو بن لجأ »

(٧) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزى ٢/٣٣٦ والوساطة ٢٢٩ والصبح المنبى ١٥١ والكامل ١/١٧٤ وعيون الأخبار ١/٢٣٤ والصناعتين ٢٢٠ وأمالى المرتضى ٢/٢٥٦

تقولُ سُلَيْمى : لوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنا ولم تَدْرِ أَنِّى لِلْمُقامِ أُطَوِّفُ[١]

٢٧ ــ وقال أبو تمام :

أُسَرْبِلُ هُجْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذًا لَهَجَانِى عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِى[٢]

أخذ المعنى من قول بعض الخوارج[٣] وسامَه قَطَرِىُّ بن الْفجاءَة قِتالَ الحجاج فأَبى ؛ لأَن الحجاج كان مَنَّ عليه ، فقال :

أَأُقاتِلُ الْحَجَّاجَ عنْ سُلْطانِهِ بيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّها مَوْلاتُهُ[٤]
إِنِّى إِذًا لَأَخُو الدَّناءَةِ وَالذى عَفَّتْ على إِحْسَانِهِ جَهَلاتُهُ
ماذا أَقُولُ إِذا وقفتُ إِزاءَهُ فى الصَّفِّ وَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلاتُه
أَأَقُولُ : جارَ عَلَىَّ ؟ لا ، إِنِّى إِذًا لَأَحَقُّ مَنْ جارتْ عليهِ وُلاتُهُ
وَيُحَدِّثَ الأَقْوَامُ أَنَّ صَنائعاً غُرِسَتْ لَدَىَّ فَحَنظَلَتْ نَخَلاتُه

٢٨ ــ وقال قيس بن الخَطِيم :

قَضَى لها اللهُ حِينَ صوَّرَهَا الْ خالِقُ أَن لا يُكِنَّها سَدَفُ[٥]

أخذه أبو تمام فقال :

فنَعِمْتُ من شَمْسٍ إذا حُجِبتْ بَدَتْ مِنْ نُورِها فَكَأَنَّها لَمْ تُحجَب[٦]

---

(١) ديوان عروة ٩٣ والكامل ١/١٧٣ والوساطة ٢٢٩ والأغانى ٢/١٩٤ وغير منسوب فى عيون الأخبار ١/٢٣٤ والصناعتين ٢٢٠ ومعاهد التنصيص ١/٥٢ وفى الأغانى والديوان ، ك : « لو أقمت لسرنا »

(٢) ديوانه ١٢٩ وشرح التبريزى ٢/١١٦ « أألبس » وأخبار أبى تمام ٢٠٤ ودلائل الإعجاز ٣٨٣ ومعاهد التنصيص ١/٣٦ وزهر الآداب ٢/٨٥٥

(٣) هو عامر بن حطان الشارى ، كما فى إعتاب الكتاب ٢٦ وغرر الخصائص ٢٣٩

(٤) زهر الآداب ٢/٨٥٥ لعمران بن حطان ، وغير منسوبة فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/٦٧ وأخبار أبى تمام ٢٠٥ والأول والثالث كذلك فى الصناعتين ٢١٥ ودلائل الإعجاز ٣٨٣ وانظر بقية القصيدة فى غرر الخصائص

(٥) ديوانه ١٧ والأصمعيات ٢٢٧ والأغانى ٢/١٦٨ والمختار من شعر بشار ١٤٢ ومجموعة المعانى ٢١٣ والصناعتين ١٩٨ والوساطة ٢٩٧

(٦) ديوانه ١٢ وفى شرح التبريزى ١/١٠١ « أى نعمت من جارية كالشمس فى حسن وجهها ونوره إلا أنها إذا حجبت خرق نور وجهها الحجاب فبدت ، والشمس بخلاف ذلك »

أو أخذه من قول أبي نواس :

تَرَى ضَوْءها من ظاهرِ الكأْسِ ظاهرًا عليْكَ ، وَلَوْ غَطَّيْتَها بِغِطَاءِ[١]

٢٩ ــ وقال مسلم بن الوليد :

يُصِيبُ منكَ ، معَ الآمالِ ، طالِبُها حِلْماً وعِلْماً وَمَعْرُوفاً وَإِسْلامَا[٢]

أخذه أبو تمام فقال وأبرّ[٣] عليه وإن كان بيت مسلم أجْمَعَ للمعنى :

تَرمى بِأَشْباحِنا إلَى ملكٍ نَأْخُذُ من مالِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ[٤]

٣٠ ــ وقال أبو نُوَاس :

تَبْكى البدورُ لضحكِهِ وَالسَّيفُ يَضْحكُ إنْ عَبَسْ[٥]

أراد بالبدور [ ههنا ] جمع بَدْرة . أخذه أبو تمام وقصر عنه فقال :

كلَّ يومٍ لهُ وكلّ أوانٍ خُلقٌ ضاحكٌ وَمالٌ كَئيبُ[٦]

فبإزاء هذا البيت قولُ أبي نواس : «تبكى البدور لضحكه» وقوله : « والسيف يضحك إن عبس » فَضْلٌ .

٣١ ــ وقال جرير :

* وهُنَّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ أرْكَانا *[٧]

أخذه أبو تمام فجعله فى [ وصف ][٨] الخمر ، فقال :

---

( ١ ) ديوانه ٥٤ ط الحلبى ، والوساطة ٢٩٧ وفى هامش ك « فى شعره : ساطعاً عليه »

( ٢ ) ديوانه ٥٦

( ٣ ) ط « وبرز »

( ٤ ) ديوانه ٥٢ وشرح الصولى ١/٢٧٦ والموشح ٣٢٦ وأخبار أبي تمام ١٧٧

( ٥ ) شرح التبريزى ١/٢٩٩ ولم يرد فى ديوانه

( ٦ ) ديوانه ٥٨ وشرح التبريزى ١/٢٩٩

( ٧ ) صدره : « يصرعن ذا اللب حتى لا صراع به » ديوانه ٥٩٥ وشرح التبريزى ١/٣٤ والشعر والشعراء ١/١٢

( ٨ ) من ك

وَضَعِيفةٍ فَإذا أصابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ ، كَذلكَ قُدْرَةُ الضُّعَفاءِ

٣٢ – وقال رجل من بنى أسد ، وكان أبو عبد الله الحرشى [١] أحد شعراء الشاميين أنشدنيه لبعض شعراءِ بنى أسد :

تَغَيَّبتُ كى لا تَجْتَوِينى دِيارُكُم ولو لم تَغِب شمسُ النهارِ لَمُلَّتِ [٢]

[ وظننته مصنوعاً حتى وجدت عبد الله بن المعتز بالله ، ذكر فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعراءِ عجز هذا البيت [ وهو ] [٣] : * ولو لم تغب شمس النهار لملت * للكميت ابن زيد] [٤]

أخذه الطائى فقال :

فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ [٥]

فأما قول القائل [٦] :

فإنى رأيتُ القَطْرَ يُسْأَمُ دَائباً ويُسْأَلُ بالأَيدى إذا هو أمسكا [٧]

فمن أبى تمام أخذه ؛ لأنه متأخر بعده .

٣٣ – وقال مسلم بن الوليد :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهَجٍ كَأَنهُ أَجلٌ يَسْعَى إلى أَملِ [٨]

---

( ١ ) ط « الجرشى » و م « الحوشى »

( ٢ ) ط « لا تحتوينى »

( ٣ ) من ك

( ٤ ) الشطر للكميت فى ديوان المعانى ٢٣٩/٢

( ٥ ) روضة العقلاء ٩٧ وفى ط وديوانه ١٠١ وشرح التبريزى ٢٣/٢ « إلى الناس » وكذلك فى أخبار أبى تمام ٦١ والموشى ٢٨ ونهاية الأرب ٤٢/١ وديوان المعانى ١٩٠/٢ وأسرار البلاغة ١١٢ وفى ط ، م : « إلى الخلق »

( ٦ ) ط « قول الإيادى »

( ٧ ) غير منسوب فى الموشى ٢٨ وروضة العقلاء ٩٧ وديوان المعانى ٢٣٩/٢ وفى م « دائماً » وفى ك « ويطلب » وقبله :

عليك بإقلال الزيـارة إنهـا تكون متى دامت إلى الهجر مسلكا

( ٨ ) ط « على نهج » وفى ديوانه ٩ « واليوم ذو » يقول : هو موف على مهج يوفى عليها بالقتل فى يوم ذى رهج ، أى غبار من الحرب ، يعمل فى الناس عمل الأجل فى الأمل .

فأخذه الطائى فقال وقصّر :

رَآهُ الْعِلْجُ مُقتحِماً عليه ... كما اقْتَحَم الفناءُ على الْخُلُود[1]

٣٤ - وقال قَطَرِىّ بن الفُجاءة :

ثُمَّ انْثَنَيْتُ وقد أصبتُ ولم أُصَبْ ... جَذعَ البصيرةِ قارِحَ الإقدام[2]

أخذه أبو تمام فقال - [وكأنه عكس المعنى وكلاهماجيد حسن] - :

ومُجَرَّبون سقاهُم من بأْسِهِ ... فإذا لُقُوا فَكأَنَّهمْ أَغْمارُ[3]

وقد كرر هذا المعنى فى بيت آخر فقال :

كَهلُ الأَناةِ فتَى الشَّذاةِ ، إذا غَدا ... للحرب كان الماجدَ الغِطْرِيفا[4]

٣٥ - وقال الآخر :

يَبيعُ ويَشترى لهمُ سواهمْ ... ولكنْ بالطِّعانِ هُمُ تجارُ

أخذه[5] الطائى فقال وقصّر وغير المعنى وجاء بغرض آخر :

لُفُظٌ لِأَخلاقِ التِّجارِ ، وإنهم ... لِغَدٍ بِما ادَّخروا له لَتِجَارُ[6]

---

(١) ديوانه ١٠٥ وشرحه ٢/٣٧

(٢) من أبيات فى حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ١/١٣٨

(٣) ديوانه ١٤٨ وفى شرح التبريزى ٢/١٨٧ « كسر الراء أبلغ من فتحها . سقاهم من بأسه : أى ركب فيهم من طبعه من النجدة والثبات فإذا لقوا فى الحرب فكأنهم أغمار ، أى لم يجربوا الأمور »

(٤) ديوانه ٢٠٧ وشرح التبريزى ٢/٣٨٢ « كان القشعم» والقشعم : المسن . والشذاة : بأس الرجل ونفاذه . والغطريف : الحدث . يقول : يتأنى فى الأمور تأنى الشيخ ، ويعجل إلى البأس عجلة الشاب ، فهو مسن حدث فى الحالين » .

(٥) ط « ويروى بالرماح أخذه . . . »

(٦) لقد كتب تحتها فى « خ : لغدا » كما فى ط . وهما روايتان .

ويروى : « لغدا بكسب الصالحات » وفى ديوانه ١٤٨ « وإنهم بكثير ما فضلوا به لتجار » وقد شرح الشيخ « محمد محيي الدين » البيت على رواية الأصل فأخطأ فى شرحه إذ يقول : « يعنى أنهم يتركون أخلاق التجار لدناءتها ، ولكنهم لكثرة ما أحرزوا من المحامد والمكرمات ولكثرة ما اكتسبوا بها من ثناء وحمد ، يشبهون التجار فقد اشتروا حمد الناس وثناءهم عليهم بكريم سجاياهم ، فكانوا الرابحين » والصواب ما قاله التبريزى فى شرحه ٢/١٧٨ « أى يلفظون أخلاق التجار فى الدناءة وتدقيق=

٣٦ ـ وقال أبو نُوَاس يمدح الخصيب :

فما جازهُ جودٌ ، ولا حلَّ دونهُ ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصيرُ(١)

أخذه أبو تمام فقال [ يمدح بن أبي دؤاد ، فقصر عنه] :

إليك تناهَى المَجْدُ من كلِّ وِجهةٍ يصيرُ فما يَعْدُوكَ حيثُ تصيرُ(٢)

٣٧ ـ وقال جرير يهجو الأخطل :

مازِلتَ تَحْسَبُ كُلّ شيءٍ بعــدهم خيــلاً تكُرُّ عليكمُ ورجالاً(٣)

أخذه أبو تمام فقال :

حَيرانَ يَحْسِبُ سِجْفَ النَّقْعِ من دَهَشٍ سقفاً يُحاذِرُ أن ينقضَّ أوجُرُفَا(٤)

وأخذ جرير المعنى من قول الله تعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوّ ﴾(٥)

٣٨ ـ وقال مسلم بن الوليد يرثى :

سلكَتْ بِك العربُ السبيلَ إلى العُلى حتى إذا سبقَ الرَّدى بِك حاروا(٦)

= النظر فيما يتعلق بمنافع الدنيا ، لكنهم مع ذلك تجار بالأعمال الصالحات لتربحهم عند الله سبحانه» وفى هامش ك « ع ، سماعى : لغدا بكسب الصالحات تجار » وهى نص فى المعنى الذى ذهب إليه التبريزى .

(١) ديوانه ٩٩ والوساطة ٢٨٤ وفى ط « يسير . . . يسير »

(٢) ديوانه ١٦٠ وفى شرح التبريزى ٢/٢١٨ « تقديره : يصير حين تصير فما يعدوك »

(٣) ديوانه ٤٥١ ونقائض جرير والأخطل ١٨٩ والمختار من شعر بشار ٩ والحيوان ٥/٢٤٠ وشرح شواهد الشافية ١٢٥ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٢٧ وهو غير منسوب فى الصناعتين ٢٢١ وحماسة البحترى ٢٦١ ومشكل القرآن ٧ وديوان المعانى ١/١٩٥ ونهاية الأرب ٣/٣٥٦ . وفى ك : « عليهم »

(٤) ط : « نقى بجازد » وفى ديوانه ٢٠٢ وشرح التبريزى و ك ٢/٣٦٩ « طوداً » وفيه : « السجف : بمعنى الستر ، والنقع : الغبار ، والطود : الجبل . يقول : هذا المنهزم من خوفه يحسب أن ستر الغبار طود يريد أن ينقض عليه أو جرف واد ، لأنه الجرفة من شأنها أن تنهار »

(٥) سورة المنافقين : ٤ وقد أخذ المؤلف فكرة أخذ جرير لمعنى الآية من ابن قتيبة فى مشكل القرآن ٦

(٦) ترجمته من كتاب الأغانى الملحقة بآخر الديوان ٢٣٨ « حتى إذا بلغ المدى » ويروى : « سبق المدى » وفى ط « داروا » وانظر الشعر والشعراء ١/٨١٧ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٢/٩٤٥ ـ ٩٤٦

نفضتْ بِكَ الأَحلاسَ نفضَ إقامةٍ  ...  واسترجعتْ نُزَّاعَها الأَمصارُ(١)

[ أخذه(٢) مسلم من قول النابغة :

وإن يَهلكِ النعمانُ تعر مطيةٌ  ...  وتُخبأْ فى جوفِ العُبابِ قُطوعُها ] (٣)

أخذه أبو تمام فقال :

تُوُفِّيَتِ الآمالُ بعدَ مُحمَّدٍ  ...  فأَصبح فى شغل عن السَّفَرِ السَّفْرُ(٤)

أو أخذ ذلك من [ قول ] أبى سُلْمى يرثى ذُفافةَ العبسى كما ذكر دِعْبِلٌ(٥)

٣٩ ــ وقال توبة بن الحميِّر :

يقولُ أُناسٌ : لا يضيرك نأْيُها  ...  بلى كُلُّ ما شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُها(٦)

أخذه أبو تمام فقال وزاد فيه :

لا شَىْءَ ضائرُ عاشِقٍ ، فإذا نَأَى  ...  عنه الحبيبُ فكُلُّ شَىْءٍ ضائِرُهْ(٧)

٤٠ ــ وقال عنترة :

فشككْتُ بالرُّمْحِ الأَصمِّ ثِيابُه  ...  ليس الكريمُ عَلَى القنا بِمُحرَّمِ(٨)

---

(١) النزاع : جمع نازع ، وهو البعيد والغريب . يعنى أن المقيم موضعه رفض الترحال بعد موته ، والمسافر عاد إلى مقره يأساً من كسب المال .

وفى هامش ك فى قال ع : فى كتابى : « نفضت بك الأيام أحلاس المنى » .

(٢) فى « لا ليس هذا أخذه »

(٣) ديوانه ٧٣ « ويلق إلى جنب الفناء قطوعها » والقطوع : جمع قطع ، وهى الطنفسة تكون تحت الرحل على كتفى البعير . يقول : إن هلك النعمان ترك كل وافد الرحلة ولم يستعمل مطيته ورمى بأدواتها إلى جنب الفنار استغناء عنها . وما بين القوسين من م

(٤) ديوانه ٣٦٨

(٥) راجع ص ٦٩ – ٧٠

(٦) أمالى القالى ١/٨٨ والشعر والشعراء ١/٤١٣ وفى ط « لا يضرك »

(٧) ديوانه ١٥٥ وشرح التبريزى ٢/٢١٠

(٨) شرح القصائد العشر ١٩٦ وفى ط « الرمح الطويل » وهما روايتان .

أخذه أبو تمام فقال :

يَحْمِلنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ، سُمْرُ القنا     بإهابه أولى من السِّربال(١)

قال ذلك لأنه ظن أن عنترة أراد الثياب نفسها ، وإنما أراد عنترة بقوله « ثيابه » نفسَه .

٤١ – وقال مسلم بن الوليد :

يكسو السيوفَ نفوس النَّاكِثِينَ به     ويجعلُ الهامَ تِيجانَ القنا الذُّبُلِ(٢)

أخذه أبو تمام – وأساء الأخذ وتعسف اللفظ – فقال :

أَبْدَلْتَ أَرْؤُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرِيهةِ مِن     قَنـا الظُّهُورِ قَنا الخَطِّيِّ مُدَّعَما(٣)

أو أخذا المعنى جميعاً من قول جرير :

كأَنَّ رُؤُوسَ القوم فوق رماحِنا     غداةَ الوغَى تِيجانُ كسرى وقيصرا(٤)

٤٢ – وقال امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إليها بعدَما نَام أَهلُها     سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حالاً على حالِ(٥)

أخذه أبو تمام ، وعدل به إلى وجه المديح ، فقال :

سَمَا لِلْعُلا من جـانبَيها كلَيهما     سُمُوَّ عُبابِ الماءِ جاشت غواربُهُ(٦)

---

(١) ديوانه ٢٦١

(٢) ديوانه ١٠ « دماء الناكثين » وعجزه فى ديوان المعانى ٢/٧١ . يريد بقوته يكسو السيوف دماء الناكثين به ، أى يطلبها بدمائهم ، فجعل تلك الدماء كسوة لسيفه ، ومن روى يكسو السيوف رؤوس الناكثين ، أى يحمل السيوف على رؤوس الناكثين ، ويحمل الهام تيجان القنا الذبل : أى يجعل الرؤوس فى أسنة الرماح .

(٣) ديوانه ٣٠٣ وفى الوساطة ٢٢٤ « وقد عد هذا من سرقات أبى تمام ولست أراه كذلك ؛ لأنه ليس فيه أكثر من رفع الرؤوس على القنا ، وهذا مشترك لا يسرق ، فأما إبدال القنا بقنا فلم يعرض له مسلم ولا جرير ، وهى ملاحظة بعيدة . وأقرب من ذلك إليه قول أبى تمام :

من كل ذى لمة غطت ضفائرها     صدر القناة فقد كادت ترى علما »

(٤) الوساطة ٢٢٣ وعجزه فى ديوان المعانى ٢/٧١

(٥) ديوانه ١٤٠ والشعر والشعراء ٢/٨٥

(٦) ديوانه ٤٥ وشرح التبريزى ٢٣٤

وما قيل فى إخفاء الحركة والدبيب أبلغ ولا أبرع من بيت امرئ القيس هذا .

٤٣ – وقال الفرزدق يهجو جريرًا :

أنتم قَرارةُ كُلِّ مَدْفعِ سَوْءَةٍ  ولكُلِّ سائلةٍ تَسِيرُ قرارُ[1]

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعاً فقال :

وكانت لــوعةً ثم اطمأَنَّتْ  كَذَاك لِكُلِّ سائلةٍ قرارُ[2]

٤٤ – وقال محمد بن بشير الخارجى – من خارجة عَدْوانَ – :

وإذا رأيتَ شقيقه وصديقه  لم تَدرِ أيُّهما ذَوو الأَرحامِ[3]

فأخذه أبو تمام فقال :

فلوْ أبصرْتَهم والزائريهِمْ  لَما مِزْتَ البعيدَ مِن الحميمِ[4]

فقصَّر عن الأول .

٤٥ – وقال بعض الأعراب يصف المصلوبَ[5] ، أنشده ثعلب :

قامَ ولمَّا يَستعِنْ بِساقهِ  آلَفَ مَثواه على فِراقِه[6]

* كأنما يَضحكُ فى أَشْداقه[7] *

---

(١) ديوانه ٤٦٨/٢ « دافعة تسير » وفى ديوان المعانى ١٧٥/١ « كل معدن ... تسيل قرار »

(٢) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ١٥٣/٢ وفى ديوان المعانى « وكانت زفرة »

(٣) من أبيات له فى أمالى الزجاج ٨٩ ومعجم الشعراء ٤١٢ وحماسة أبى تمام بشرح التبريزى ٨٠٩/٣ ورويت لعمر بن عمير فى معجم الشعراء ٢٤٥ ولابن هرمة فى البيان والتبيين ١٦٨/١ ، ٣٣٣/٢

(٤) ديوانه ٢٨٩ وفى ط « الحميم من البعيد »

(٥) فى الكامل ٧٦٢/٢ « وقال آخر فى صفة مصلوب وهو يزيد المهلبى » وفى التشبيهات ٢٤ لابن الرومى

(٦) بعده فى التشبيهات :

كأنه فى السبح من رشاقه  رأى حبيبا هم باعتناقه

(٧) فى الكامل : « أراد بياض الشريط فى فيه » وفى ط « فى إشراقه »

فأخذ أبو تمام قوله : « آلف مثواه على فراقه » فقال :

لا يبرحون ومَن رآهم خالَهم ... أبدًا على سَفَرٍ منَ الأسفارِ (١)

٤٦ – وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سُبِقَ إليه :

لا يَستطيعُ يزيدُ مِن طَبيعتِه ... عن المُرُوءةِ والمَعروفِ إحْجاما (٢)

أخذ أبو تمام المعنى فكشفه وأحسن اللفظ وأجاده ، فقال :

تَعوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حتى لوَ انّهُ ... دَعاها لِقَبضٍ لم تُجِبه أنامِلُه (٣)

٤٧ – وقال ذو الرمة :

ولَيل كَجِلْبابِ العَروسِ ادَّرعْتُه ... بأَرْبعةٍ والشخصُ فى العَيْنِ واحِدُ (٤)

أَحَمُّ عِلافِىٌّ ، وأَبيَضُ صارِمٌ ... وأَعْيَسُ مَهْرِىٌّ ، وأَرْوَعُ ماجِدُ

أخذه أبو تمام [ فقال ] وقصّر وليس هو المعنى بعينه :

البِيدُ والعِيسُ والليْلُ التَّمامُ مَعاً ... ثلاثةٌ أبدًا يُقْرَنَّ فى قَرَنِ (٥)

والذى تبع ذا الرمة فأحسن الاتباع [ الوليد بن عبيد ] البحترىُّ فى قوله :

---

( ١ ) ديوانه ١٥٤ وفى شرح التبريزى ٢/ ٢٠٨ « لسواد وجوههم وتشمرهم »

( ٢ ) ديوانه ٥٥ يمدح يزيد بن مزيد الشيبانى ، وفيه : « عن المنية » أى لا يستطيع يزيد من طبيعته انصرافاً عن التقحم للمنية فى الحرب ، لا عدولا عن العطاء

( ٣ ) ديوانه ، ك ٢٣٢ « ثناها . . . لم تطعه »

( ٤ ) مجموعة المعانى ١٩٠ ونثار الأزهار ١٥ ، ١٩ وديوان المعانى ١/ ٣٤٢ والصناعتين ٢٣٣ ، ٢٤٧ وأمالى المرتضى ١/ ٤٨ وأخبار أبى تمام ٨٣ والعمدة ١/ ٢٦٧ واللسان ٧/ ١٦٢ والحيوان ٣/ ٢٥٠

شبه سواد الليل بجلباب العروس وهو أخضر ، والخضرة الشديدة راجعة إلى السواد ولذلك تجمع العرب بينه وبين الخضرة . وجاء فى ديوانه : « جبت الليل بأربعة » ثم فسر الأربعة فقال : أحم : أسود ، يعنى الرحل . علافى : منسوب إلى علاف حى من العرب يعملون الرحال . والأبيض : سيف صارم قاطع . والأعيس : الأبيض ، يعنى بعيره . وأشعث يعنى نفسه . والماجد : الكثير المفاخر ، هذه الأربعة شخصها فى العين واحد لاجتماعها فى سواد الليل والمهرى من الإبل : منسوب إلى مهرة حى من عرب اليمن. والأروع : الذى يروعك بجماله وهيبته .

( ٥ ) الصناعتين ٢٣٣ وأخبار أبى تمام ٨٢ وفى ديوانه ٣٣٤ « العيس والهم والليل »

يا خَلِيلَىَّ بِالسَّوَاجِيرِ مِن وُدْ ... دِ بْنِ مَعْنٍ وبُحتُرِ بنِ عُتود[١]

أُطلُبــا ثالِثاً سِواىَ فإنِّى ... رابعُ العِيسِ والدُّجَى والبِيدِ[٢]

٤٨ ـ وقال النابغة الذبيانى ، وكان الأصمعى يتعجب من جَودَته :

وعَيَّرَتْنى بَنو ذُبْيانَ رهبتَه ... وهلْ علىَّ بأَنْ أَخْشاكَ مِن عارِ[٣]

أخذه أبو تمام فقال وزاد [ فيه ] ذِكر الموت :

خَضعوا لِصَوْلَتِكَ التى هى عِندهمْ ... كالموْتِ يَأْتى لَيس فيه عارُ[٤]

٤٩ ـ وقال كعب بن زهير يمدح قريشاً :

لا يَقعُ الطعنُ إلا فى نُحورِهمُ ... وما لَهم عن حِياضِ المَوت تَهليلُ[٥]

أَخذه أبو تمام ـ على ما ذكر[٦] بعض الرواة ـ فقال يرثى بنى حُمَيد :

لوْ خَرَّ سَيفٌ مِن الجوزاءِ مُنْصَلِتٌ ... ما كانَ إلا على هاماتِهم يَقَعُ[٧]

ويروى الشاميون أن أبا تمام سئل عن هذا المعنى ، فقال : أخذته من قول نادبة : لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما أخطأ .

فأما قول كعب : « لا يقع الطعن إلا فى نحورهم » فإنه [ إنما ][٨] أراد أنهم لا يولون الدبر ، وليس من معنى أبى تمام فى شىء .

---

(١) ديوانه ٦٩٢

(٢) الصناعتين ٢٣٤ وأخبار أبى تمام ٨٣

(٣) ديوانه ٥٨ وفى ط ، ك « خشيته » وهما روايتان .

(٤) ديوانه ١٤٦ وشرح التبريزى ٢/١٧٠ وفيهما « خشعوا » وأخبار أبى تمام ٩٩

(٥) ديوانه ٢٥ « ما إن لهم » قال السكرى : « يقال : هلل الرجل : إذا جبن فى حملته . قال الأصمعى : لا يفرون ولا ينهزمون فيقع الطعن فى نحورهم . وقال غيره هلل الرجال : إذا هرب . وإنما أراد أنهم يواجهون القتال » وفى ك : « ليس لهم »

(٦) ط « كما قال لى بعض »

(٧) فى الموشح ٣٢٣ وأخبار أبى تمام و ط و ك : « من العيوق منصلتا » وفى ديوانه ٣٧١ « منصلت »

(٨) من ك

٥٠ ــ وقال [ أبو تمام ] يصف الراية :

تَخفِقُ أَثْنَــاؤها على مَلِكٍ يرَى طِرادَ الأَبطالِ مِن طَرَدِهْ[١]

أخذه من قول أبى نواس :

* تعُدُّ عينَ الوَحشِ مِن أَقواتها *[٢]

وأخذه أبو نواس من قول أبى النجم :

* تعدُّ عاناتِ اللوَى مِن مالِها *[٣]

٥١ ــ وقال أبو تمام يستهدى نبيذًا :

وَهْيَ نَزْرٌ لوَ انّها مِن دُموعِ الصَّـ ـبِّ لم تَشْفِ مِنه حَرَّ الغَليلِ[٤]

أخذه من قول الآخر أو أخذه الآخر منه ، والمعنيان متشابهان :

لوْ كانَ ما أَهْدَيْتَهُ إِثمِدًا لم يَكفِ إلاَّ مُقَلةً واحِدهْ[٥]

٥٢ ــ وقال يصف [ غناء ][٦] مغنية تغنى بالفارسية :

ولم أَفْهمْ مَعانِيهَا ، ولكِنْ وَرتْ كَبِدى فلم أَجْهَل شَجاها[٧]

أخذه من قول الحسين بن الضحاك [ الخليع ] على ما فى قول الخليع من المناقضة :

---

( ١ ) ديوانه ٩٣ أثناؤه أى أعطافه . وفى شرح التبريزى ١/٤٤١ « تخفق أفياؤه » قال المرزوقى : أى أفياء هذا العلم ، فقاتلة الشجعان عنده صيد »

( ٢ ) الشعر والشعراء ٢/٥٨٧ وديوانه المعانى ٢/١٠٩ « عير الوحش » وديوانه ٢٠٩ وقبله : « بأكلب تمرح فى قداتها »

( ٣ ) الشعر والشعراء ٢/٥٨٧

( ٤ ) ديوانه ٤٠٧ وأخبار أبى تمام ١٨٥

( ٥ ) البيت لأبى مالك الرسعنى ، كما فى أخبار أبى تمام ١٨٦

( ٦ ) من ك

( ٧ ) ديوانه ٤٦٧ الكامل ٣/٨٥٢ وديوان المعانى ١/٣٢٥ وأخبار أبى تمام ٢١٤ وزهر الآداب ١/١٥٢ وفى ط « شجت كبدى »

وما أفهمُ ما يَعنِى مُغَنِّينا إذا غَنَّى[1]
سِوَى أَنِّىَ مِن حُبِّى لَه أَستَحْسِنُ المَعنَى

لأنه قال : «وما أفهم ما يعنى [مغنينا] » ثم قال : « أستحسن المعنى » وإنما أراد بالمعنى اللحنَ ، لا معنى القول .

وأجود من ذلك كله قول حُمَيد بن ثَوْر يصف الحمامة :

ولم أرَ مِثلى شاقَه صوتُ مِثلِها ولا عَربيًّا شاقه صوْتُ أعجَما[2]

٥٣ ـ وقال الفرزدق يرثى امرأة كانت[3] حاملا :

وجَفْنِ سلاحٍ قد رُزِئتُ فلم أَنُحْ عليه ولم أبعَثْ عليهِ البَواكيا[4]
وفى بَطنِه من دارمٍ ذُو حفِيظةٍ لوَ انَّ المَنايا أمهَلَته ليــاليا

أخذه أبو تمام فأجاد الأخذ وأحسن اللفظ[5] وأصاب فى التمثيل ، فقال [يرثى ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر ][6] :

لَهفِى على تِلكَ المَخايلِ فيهما لوْ أُمهِلَتْ حتى تكونَ شَمائلا[7]
إنَّ الهلالَ إذا رأَيتَ نمُوَّه أَيقَنْتَ أنْ سيَكونُ بَدرًا كاملا

٥٤ ـ وقال أبو تمام :

صَلتان أعْداؤه حَيثُ حَــلُّوا فى حَديثٍ مِن ذِكرِه مُستَفاضِ[8]

(١) أخبار أبى تمام ٢١٥

(٢) ديوانه ٢٧ وانظر تخريجه هناك وفى أخبار أبى تمام ٢١٥ والحيوان ١٩٧/٣

(٣) ط ، ك « امرأة له ماتت »

(٤) ديوانه ٨٩٤ « وغمد سلاح » و « وجوفه من . . . أنسأته لياليا » وفى م « وفى طيه » وانظر تخريجه فى أخبار أبى تمام ٢٢٠

(٥) ط « فقال . . . وأجاد اللفظ وأحسن الأخذ »

(٦) الزيادة من ط

(٧) ديوانه ٣٨٠ « تلك الشواهد » و « أن سيعود بدراً » وانظر تخريجه فى هامش أخبار أبى تمام ٢١٨ وأسرار البلاغة ١٢٢ طبع ريتر

(٨) ديوانه ١٨٧ وشرح التبريزى ٣١١/٢ « من عزمه » وصلتان : ماض فى أمره وفى ط «حيث كانوا » وهما روايتان .

فأخطأ فى قوله : «مستغاض» وإنما هو مستفيض . وقد احتجَّ له محتج بأن قال : أراد مستفاض فيه ، وإنما جعلهم يُفيضون فى ذكره لأنهم أبدًا على حال وَجَلٍ واحتراس من إيقاعه بهم ؛ فهم لا يقطعون ذِكرَه لشدة الخوف منه ، ألا تراه قال : «حيث حلوا» أى : هم بهذه الحال قريباً كانت دارهم منه أو بعيدة ؟

وأخذ هذا المعنى من قول [الأعشى] أعشى باهِلةَ يرثى أخاه لأمه المنتشر :

لا يأْمنُ القومُ مُمساهُ ومُصْبَحَه  فى كلِّ فَجٍّ وإنْ لم يَغزُ يُنتَظَرُ[(١)]

أو من قول عُرْوة الصَّعاليكِ :

وإن بَعُدوا لا يَأْمَنونَ اقترابَه  تَشَوُّفَ أهلِ الغائبِ المُتَنَظَّرِ[(٢)]

وهذان البيتان جميعاً أوضحُ[(٣)] وأشرحُ وأجودُ من بيت أبى تمام .

وقد قيل : إنه أراد أن أعداءه يُقرُّون بفضله ، ويُفيضون فى ذكر مناقبه . وذلك محتمل ، والمعنى الأول أقوى [وأقيس] وأفشى فى كلامهم .

٥٥ ـ وقال بشار بن بُرد :

شرِبْنا منْ فؤادِ الدَّنِّ حتى  تَركنا الدَّنَّ ليسَ لهُ فؤادُ[(٤)]

أخذه أبو تمام فقصَّرَ عنه . فقال :

غَدتْ وهْىَ أَوْلى مِن فؤادِى بِعَزْمَتى

ورُحْتُ بما فى الدَّنِّ أَوْلى مِن الدَّنِّ[(٥)]

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١٧٥ والكامل ٣ / ١٣٣٠ وجمهرة أشعار العرب ١٣٧ والأصمعيات ٩٢ والمكاثرة ١٤ وأمالى اليزيدى ١٧ وأمالى المرتضى ٢ / ٢٣ ومختارات ابن الشجرى ١٠

(٢) ديوانه ٨٠ وفى طبعة مصر ٩٣ «تشوق»

(٣) م «أصح»

(٤) ديوانه ٣ / ٥٢ وفيه : «من بنات الدن»

(٥) ديوانه ٣٣٩

[ وقال أبو نواس :

ما زلتُ آخذُ روحَ الزِّقِّ فى لطفٍ ... وأستبيحُ دمًا من غيرِمجروحِ (١)

حتى غدوتُ ولى رُوحانِ فى بدنى ... والدَّنُّ مطَّرَحٌ جسمٌ بلا روحِ ] (٢)

٥٦ ـ وقال الأخطل :

تَدِبُّ دَبيباً فى العِظامِ كأنَّه ... دبيبُ نِمالٍ فى نقاً يتَهيَّلُ (٣)

أخذه أبو تمام فأفسد المعنى ، فقال :

إذا الرَّاحُ دبَّتْ فيهِ تَحسِبُ جسمَهُ ... لِمَا دَبَّ فيهِ قريةً من قُرى النَّملِ (٤)

٥٧ ـ وقال أبو دُؤاد الإيادى :

لا أَعُــدُّ الإقتار عُدمًا ولكنْ ... فَقْدُ مَنْ قدْ رُزِئتهُ الإِعْدَامُ (٥)

أخذ أبو تمام صدر [ هذا ] البيت ، فقال :

لا يَحسَبُ الْإِقلال عُدْماً بلْ يَرى ... أَنَّ المُقِلَّ مِنَ المُرُوءَةِ مُعْدِمُ (٦)

٥٨ ـ وقال أبو الهندى :

وتَرى سُهيْلًا فى السماءِ كأَنَّهُ ... ثوْرٌ وعَارَضَهُ هِجانُ الرَّبرَبِ (٧)

أخذه أبو تمام فقال :

أُراعِى من كوَاكِبِهِ هِجاناً ... سَواماً لا تَريعُ إلى المُسِيمِ (٨)

---

(١) ديوانه طبع الحلبى ٢٣٣ « روح الدن . . . وأستقى دمه من جوف مجروح »

(٢) فى ديوانه : « انثنيت ... فى جسد . . . جسما »

(٣) فى ديوانه ٤ وغير منسوب فى ديوان المعانى ١/٣١٣ وفى ط « كأنها »

(٤) فى ديوانه ٤٢٠ « إذا هى دبت فى الفتى خال جسمه »

(٥) الأصمعيات ٢١٥ والشعر والشعراء ١/١٩١ والأغانى ١٥/٩٤ والخزانة ٤/١٩٠ ، ١٩١

(٦) ديوانه ٢٨٤

(٧) الأغانى ٢١/٢٧٦ « كأنه نور » وفى ط « يعارضه » وفى اللسان ١/٣٩٤ « الربرب : القطيع من بقر الوحش »

(٨) ديوانه ٢٨٨ والهجان هنا : البيضاء . والسوام : الإبل الذاهبة على وجهها حيث شاءت فى المرعى . لاتريع : لا ترجع إلى راعيها وهو المسيم . فشبه بها الكواكب التى يراعيها فى ليله الطويل

٥٩ – وقال أبو نواس :

شُقِقْتُ مِنَ الصِّبا وَاشْتُقَّ منِّى ... كما اشْتُقَّتْ مِنَ الكرْمِ الْكرُومُ (١)

أخذه أبو تمام فقال :

أَلَذُّ مُصافاةً مِنَ الظِّلِّ فى الضُّحى ... وأَكرَمُ فى اللأْواء عُودًا منَ الْكرْمِ (٢)

٦٠ – وقال مسلم بن الوليد :

تَمْضِى المَنايا كما تمضِى أَسِنَّتُهُ ... كأَنَّ فى سَرْجِه بدْرًا وضِرغامًا (٣)

أخذه أبو تمام فقال :

فَتًى منْ يَدَيْهِ الْبأْسُ يَضْحكُ والنَّدَى ... وفى سَرْجِه بدرٌ ولَيثٌ غَضَنْفرُ (٤)

٦١ – وقال ابن هَرْمة :

اسْتَبْقِ عيْنَيْكَ لا يُودِ البُكا بهما ... واكْفُفْ بَوادِرَ منْ عيْنَيْكَ تَسْتَبِقُ (٥)

لَيْسَ الشُّؤونُ وإنْ جادَتْ بباقيةٍ ... ولاَ الجُفونُ على هٰذَا ولا الْحَدَقُ

أخذه أبو تمام فقال (٦) :

فما يبقَى على إدْمانِ هذَا ... ولاهذا ، الْعُيُونُ ولا القُلوبُ (٧)

٦٢ – وقال أبو تمام يهجو السرَّاجَ :

يا ابْنَ الْخَبِيثَةِ لِمْ تُعرِّضُ صخْرَةً ... صَمَّاءَ منْ مَجْدِى بعِرْضِ زُجاج ؟ (٨)

---

(١) ديوانه ٣٠٧ ط الحلبى

(٢) ديوانه ٤١١ وفى م « وألزم » وهو تحريف

(٣) ديوانه ٥٤ والكامل ٧٦١/٢

(٤) ديوانه ١٥٩ وشرح التبريزى ٢١٥/٢

(٥) فى ط بعد هذا البيت : « أخذه أبو تمام فقال » ! وفى ك : « استبق دمعك »

(٦) فى ط بدل هذه العبارة « وقال أيضاً »

(٧) ط « ولا يبقى »

(٨) ط « بعرض » ديوانه ٣٢٩

أخذه من قول الآخر وأظنه بشارًا :

ارْفُقْ بعَمْرٍو إذا حرَّكْتَ نسبتَهُ فإنَّهُ عَرَبيٌّ من قواريرِ (١)

٦٣ ـ وقال [ العديل بن الفرج ] :

مهَامِهُ أشْباهٌ كأنَّ سَرَابَها مُلاءٌ بكف الْغاسلاتِ رحيضُ (٢)

أخذه أبو تمام فقال :

وبِساطٍ كأنما الآلُ فيهِ وعَليْهِ سَحْلُ المُلاءِ الرَّحيضُ (٣)

٦٤ ـ وقال أبو تمام :

فاشْمَعَلُّوا يُلَجْلِجُونَ دُءُوباً مُضَغاً لِلكلالِ فِيها أَنِيضُ (٤)

أخذه من قول زهير :

تُلجلجُ مُضْغةً فيها أنيضٌ أَصلَّتْ فَهْيَ تحْتَ الكَشْحِ داءُ (٥)

٦٥ ـ وقال أبو نُواس :

سَنَّ للنَّاس النَّدَى فَنَدُوا فكَأَنَّ البُخْلَ لم يكُنِ

( ١ ) فى العقد ٦/١٣٧ « أرفق بنسبة عمرو حين تنسبه »

( ٢ ) الشعر والشعراء ١/٣٧٥ « بأيدى » وحماسة ابن الشجرى ١٩٩ والبيان ١/٣٩١ والخزانة ٢/٣٦٨ « الغانيات » والأغانى ٢٠/١٢ « الراحضات » والمختار من شعر بشار ٢٩٢ « الناسجات »

( ٣ ) ديوانه ١٨٢ وشرح التبريزى ٢/٢٩٠ والبساط : الأرض الواسعة ، والسحل : ثوب أبيض . وفى ط « سحق » والسحق : ثوب أبيض . والرحيض : المغسول

( ٤ ) ديوانه ١٨٢ وقد فسره ناشر الديوان محيى الدين الخياط بقوله : اشمعلوا : ساروا متفرقين مرحاً . يلجلجون : يضجون . دءوباً : جادين الكلال التعب ، الأنيض : الخفقان »

وقد نقل هذا الشرح الخاطىء الشيخ « محمد محيى الدين» فى هامش ط ٧٥ .

والصواب ما جاء فى شرح التبريزى وما نقله ناشره عن الآمدى والخارزنجى ٣٩١ . وهو : اشمعلوا : أسرعوا وجدوا . ومضغا : جمع مضغة وهو ما يمضغ ، ولجلج المضغة فى فيه : إذا أدارها ولم يسغها ، واستعار اللجلجة ها هنا للدءوب . والأنيض : اللحم الذى لم ينضج وتقدير الكلام : مضغاً للكلال فيها لحم أنيض ، على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامة . يعنى أن الركب يلجلجون أى يديرون من الإبل أنفسا قد صارت مضغا ، أى أقطاعاً من لحم للكلال الذى نالهن .

( ٥ ) ديوانه ٨٢ . الأنيض هنا : الفساد والتغير ، وأصلت : أنتنت ، والكشح : الجنب . يقول : أخذت هذا المال فأنت لا تأخذه ولا ترده ، كما يلجلج الرجل المضغة فلا يبتلعها ولا يلقيها . فإن حبسته فقد انطويت على داء .

أخذه أبو تمام فقال :

مَضوْا وكأَنَّ المكْرُماتِ لدَيهِمُ لكَثْرةِ مَا أَوصَوْا بهِنَّ شرائعُ[١]

٦٦ – وقال فى الغَزَل :

مُسْتَحيلٌ أنْ تحتَويكَ الظُّنونُ كَيْفَ يُحْوَى مالا تَراهُ العُيُونُ
غَيْرَ أنَّا نقُولُ : إنَّكَ خَلْقٌ حـــركاتٌ موصولةٌ وسكونُ[٢]

أخذه من قول أبى نواس وقصَّر عنه :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخ لْقَ مِنْ ضَعيفٍ مَهينِ[٣]
يَسُوقُهُ مَنْ قَـــرَارٍ إلى قَرَارٍ مَكينِ[٤]
حتى بدَتْ حَرَكاتٌ مخْلوقةٌ مِنْ سكُونِ

٦٧ – وقال أبو العتاهية :

كم نِعْمَةٍ لا نُسْتقِلُّ بشُكْرِها لله فى طىِّ المكاره كامِنهْ[٥]

أخذه الطائى فقال وأحسن ؛ لأنه جاءَ بالزيادة التى هى عكس المعنى[٦] الأول :

قدْ يَنْعِمُ اللهُ بالْبلوَى وإنْ عَظُمَتْ ويَبْتَلِى اللهُ بعْضَ الْقوْمِ بالنِّعَمِ[٧]

---

(١) ديوانه ٤٧٩ و م «ما وصلوا»

(٢) ط «مفعولة»

(٣) ديوانه ١٩٩

(٤) فى الديوان «من هواء» وبعده :

فى الحجب شيئاً فشيئاً يحـــور دون العيـــون

(٥) ط ، ك «لا يستقِل . . . لله فى طى المكاره» ديوانه ص ٦٥٠ جامعة دمشق والصناعتين ٢٢٧ وعيون الأخبار ٥٢/٣

(٦) ط «الشىء»

(٧) ديوانه ٣١٦

٦٨ - [ وقال آخر :

ليستْ تكونُ المكرُما تُ بغير إنفاقِ الدراهمْ

فأخذ الطائى فقال :

ولم يجتمعْ شرقٌ وغربٌ لقاصدٍ ولا المجدُ فى كف امرئٍ والدراهمُ ] (١)

٦٩ - وقال آخر - ولست أدرى أهو قبل الطائى أم فى أيامه ؟ - :

ما كنتُ أَحسِب أَنَّ بَحْرًا زاخِرًا عَمَّ الْبرِيَّةَ كُلَّها إرْوَاء (٢)

أَضحَى دَفِيناً فى ذِرَاعٍ وَاحِدٍ مِنْ بعدِ ما مَلَكَ (٣) الفَضاء فَضاء

[ من قولهم : ضاءت الشمس وأضاءت ]

فقال الطائى وأبرَّ عليه وعلى كل من ذكر هذا المعنى :

وكيفَ احتمالى لِلسحابِ صَنيعَةً بإِسْقائها قَبْرًا وفى لَحْدِهِ الْبَحْرُ (٤)

٧٠ - وقال آخر :

نُؤْىٌ كما نقَصَ الهلالَ مُحاقهُ أَوْ مِثْلَ ما فَصَمَ السِّوَارَ الْمِعْصمُ (٥)

أخذه أبو تمام فقال :

* ونُؤْىٌ مِثلما انفَصَمَ السِّوارُ * (٦)

٧١ - وقال آخرُ فى السحاب :

كَأَنَّ صَبِيَيْن باتا طُولَ لَيْلِهِمَا يَسْتَمْطِرانِ على غُدارنه الْمُقَلا (٧)

---

(١) ديوانه ٢٨٦

(٢) م « الإرواء »

(٣) ك : « ملأ »

(٤) ديوانه ٣٧٠ « للغيوث صنيعة » و م « بإسقائه »

(٥) أمالى المرتضى ٢/٣٤ ، وشرح ديوان المتنبى المنسوب للعكبرى ٢/١٤٢ .

(٦) سبق أنه أخذه من المرار الفقعسى : ص ٦٤ - ٦٥

(٧) ط « كأن عينين »

فقال الطائى وحوَّل المعنى وأجاد :

كَأَنَّ الْغَمامَ الغُرَّ غَيَّبْنَ تحْتَها    حَبِيباً فما تَرْقَى لَهُنَّ مَدَامِعُ(١)

٧٢ ـ وقال الطائى :

وَلَيْستْ بالْعَوَانِ العَنْسِ عِندى    ولا هِىَ مِنكَ بالبِكْرِ الكَعَابِ(٢)

أخذه من قول الفرزدق :

وَعِندَ زِيادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطاءَهُمْ    رِجالٌ كَثِيرٌ قدْ تَرَى بِهِمُ فَقْرا(٣)

قُعُودٌ لدَى الأَبوابِ طلاب حاجةٍ    عَوانٍ من الحاجاتِ أَوْ حاجةً بِكْرَا(٤)

٧٣ ـ وقال آخر وهو منقذ الهلالى(٥) :

أَىُّ عيشٍ عيْشِى إذا كُنْتُ منهُ    بَينَ حِلٍّ وبَيْن وشك الرَّحيلِ ؟(٦)

كلُّ فجٍّ مِنَ البــلادِ كَأَنِّى    طالبٌ بعضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ

فقال الطائى :

كأَنَّ له دَيْناً على كلِّ مَشْرِقٍ    مِنَ الأَرْضِ أَوْ ثاراً لَدَى كُلِّ مَغْرِب(٧)

٧٤ ـ وقال آخر ، وأنشده ابن أَبى طاهر والأَخفش للأَرقط بن زُغَيْل(٨) :

نَهْنِهْ دُمُوعَكَ مِنْ سحٍّ وتَسْجامِ    اَلْبينُ أَكْثَرُ من شَوْقِى وأَسقامِى

وما أَظُنُّ دُموعَ العَينِ راضِيةً    حتَّى تَسُحَّ دَماً هطْلًا بِتَسْجامِ

---

(١) ديوانه ٤٧٨ « كأن السحاب »

(٢) ديوانه ٥٦ ، وشرح التبريزى ١/٢٩٠

(٣) ديوانه ٢٢٦ ، والأغانى ١٩/٣١

(٤) م « قعود على » ط « طالب »

(٥) ط « الآخر وهو معبد » و م : « الهذلى » قال المرزبانى فى معجم الشعر ٤٠٤ : منقذ ابن عبد الرحمن بن زياد الهلالى بصرى خليع ماجن متهم فى دينه يرمى بالزندقة كان فى صدر الدولة العباسية .

(٦) ط « وبين وقت »

(٧) ديوانه ٢٤ وشرح التبريزى ١/١٥٩ وفى ط « كأن لها » و م « ثأرا على »

(٨) ط « ابن دعبل » وفى ك « وقال الأرقط بن زغيل »

أخذ الطائى معنى البيتين ولفظهما ، فقال :

ما اليومُ أوّلَ تَوديعى ولا الثانى   ٱلبَيْنُ أكْثَرُ مِن شوقى وأحْزانى [١]

وما أظنُّ النَّوى تَرْضَى بما صنَعَتْ   حتى تُبلِّغَنِى أقصى خُراسانِ [٢]

٧٥ ــ وأنشدنى ابنُ أبى طاهر لدعبل :

إن جاءهُ مُرْتَغِباً سائِلٌ   آلَتْ إليه رَغْبَةُ السَّائِلِ [٣]

أخذه أبو تمام فقال :

وإنّى لأرْجُو عاجِلاً أنْ تَرُدَّنى   مواهِبُهُ بَحْرًا تُرَجَّى مَواهِبِى [٤]

٧٦ ــ وقال دِعْبِلُ بن على :

وأسمَرُ فى رأسِهِ أزْرَقٌ   مِثلُ لِسانِ الحيَّةِ الصَّادِى [٥]

أخذه الطائى فقال :

مُثقَّفات سَلَبْنَ الرُّومَ زُرْقَتَهـا   والْعُرْبَ سمرتها ، والعاشِقَ الْقَضَفا [٦]

فزاد ـ [فى] [٧] المعنى بأن شبَّه زُرْقَتَها بزرقة الروم ، وسمرتها بسمرة العرب [وبذكر القضف] . ولكن قول دِعْبِل : « مثل لسان الحية الصادى » معنى ما [٨] لحسنه نهاية .

٧٧ ــ وقال أبو نواس :

وأطْعَمَ حتى ما بِمكّةَ آكِلٌ   وأعطَى عَطايا لمْ تكنْ بِضِمارِ [٩]

(١) ديوانه ٣٢٣
(٢) فى الديوان ، ك « حتى تشافه بى » و م « تبلغ بى »
(٣) ط « آلت عليه »
(٤) ديوانه ٤٣ وشرح التبريزى ١ / ٢٢٢
(٥) عيون الأخبار ١ / ١٣٠ ونهاية الأرب ٦ / ٢٢١ والتشبيهات ١٤٧
(٦) ديوانه ٢٠٣ وشرح التبريزى ٢ / ٣٧١ وفى م « والعرب ألوانها » و ط « أدمتها » وهى روايات . والقضف : الدقة والنحافة
(٧) من ك
(٨) ط « الصاوى ليس »
(٩) ط « عطاء لم يكن بضمان »

أخذ الطائى معنى صدْر البيت ، فقال :

فَنَوَّلَ حتى لم يَجِدْ مَنْ يُنيلُهُ وحارَبَ حتى لمْ يَجِدْ مَنْ يُحارِبُهُ(١)

٧٨ – وقال أبو نواس فى أرجوزة يصف فيها الحمام ويمدح قوماً :

بِشْرُهُمُ قبلَ النَّوالِ اللَّاحِقِ كالبَرْقِ يَبْدُو قَبْلَ جوْدٍ دافِقِ

والْغيثُ يَخْفى وقْعُهُ لِلرَّامِقِ إنْ لمْ تَجِدْهُ بِدَلِيلِ الْبارِقِ(٢)

أخذ المعنى أبو تمام فقال :

يَسْتَنْزِلُ الأَمَلَ البَعيدَ بِبِشْرِهِ بُشْرَى الْخَميلَةِ بالرَّبيعِ المُغْدِقِ(٣)

وكذا السَّحائِبُ قَلَّمَا تَدْعُو إلى مَعْرُوفِهَا الرُّوَّاد ما لمْ تَبْرُقِ(٤)

٧٨ – وقال أبو العتاهية :

وإنَّا إذا ما تَرَكْنا النَّوا لَ فلمْ نَبْغِهِ فيه يَبْتَدِينا(٥)

وإنْ نحنُ لم نبْغِ معرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبدًا يَبتغينـــا

وقال مسلم بن الوليد فى معنى بيت أبى العتاهية الأول :

أَخٌ لى يُعطِينى إذا ما سأَلتُهُ ولوْ لمْ أُعَرِّضْ بالسُّؤَالِ ٱبْتَدانيا

وأخذ أبو تمام معنى [ هذا ](٦) البيت ومعنى بيت(٧) أبى العتاهية الأول ، فقال :

---

(١) ديوانه ٤٥ وشرح المرزوقى ١/٢٣٤

(٢) ط « يجده »

(٣) ديوانه ١٢٣ و ط « بشر » وشرح التبريزى ٢/٤١٨ وفيه : قال المعرى : « الخميلة : الأرض السهلة . والربيع : المطر الذى يجىء فى الربيع . والمغدق : الذى يجىء بالغدق وهو الماء الكثير . ويروى : بشرى المخيلة . أى كما تبشر السحابة التى قد أخالت بالمطر . والخميلة هى الرواية » .

(٤) فى الديوان والشرح « إن لم »

(٥) ط « السؤال منه فلم نبغه يبتدينا » وفى الوساطة ٧٤ : « السؤال فلم نبغ نائله يبتدينا »

(٦) من ك

(٧) م « أبو تمام هذا المعنى فى هذا البيت وبيت »

ورأيتَنى فسأَلْتَ نفسَكَ سَيبَها لِى ثمَّ جُدْتَ وما انتظَرْتَ سُؤالى[١]

أو لعله أخذه من قول منصور النمرى :

رَأَيْتُ المُصْطفى هارون يُعْطى عطاء ليسَ يَنْتظِرُ السُّؤالا

وأجود من هذا كله قولُ سَلْم الخاسر :

أعطاكَ قبلَ سُؤَالِهِ فكفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤال

وأخذ أبو تمام معنى بيت أبى العتاهية الثانى ، فقال :

كالغيث إنْ جِئْتَهُ وافاكَ رَيِّقُهُ وإنْ تَحَمَّلْتَ عنهُ جدَّ فى الطَّلب[٢]

٨٠ ــ وقال مسلم :

وما كانَ مِثْلِي يعترِيكَ رَجاؤُهُ ولكِنْ أَسَاءتْ شيمَةٌ من فتًى محْضِ[٣]

أخذه أبو تمام وزاد زيادة حسنةً[٤] فقال :

فإنْ كانَ ذنْبِي أنَّ أحسَنَ مَطلبِى أساءَ ففى سُوءِ القَضَاءِ لِىَ العُذْرُ[٥]

٨١ ــ وأنشد أبو تمام فى الحماسة[٦] :

تَرِدُ السِّباعُ معِى فأُلْ فَى كالمُدلِّ مِن السِّباعِ

فأخذ المعنى[٧] فقال :

أبَنَّ مع السباعِ الماءَ حتى لخَالَتْه السِّباعُ مِن السباعِ[٨]

---

(١) ديوانه ٢٤٧

(٢) ديوانه ١٦ « وإن ترحلت عنه لج » وك : « كان فى الطلب » وفى شرح التبريزى ١/١١٩ « ريقه : أوله وهو فيعل من راق يروق . يقول : هو جواد كالغيث ، إن قصدت ناحيته وافاك أول مائه ، وإن حلت عنه تبعك وجد فى طلبك ، أى يجود عليك حيث كنت »

(٣) ديوانه ٢١٨

(٤) م « أبو تمام فقال »

(٥) ديوانه ٤٧٥ وأخبار أبى تمام ٥١

(٦) يريد بها الوحشيات ، والبيت فيها آخر قصيدة لعبد الله بن ثعلبة اليشكرى الأزدى

(٧) ط « المعنى من فيه فقال »

(٨) شرح التبريزى ٢/٣٣٧ وفى الديوان « السباع الغيل » ويروى : « السباع القفر »

٨٢ ـ وقال النظار بن هاشم الأسدى[١] :

يَعِفُّ المرْءُ ما استَحْيا ويَبْقَى    نَباتُ العُودِ ما بَقِىَ اللِّحاءُ
وما فى أنْ يعيشَ المرْءُ خَيرٌ    إذا ما المرْءُ زايَلَه الحَياءُ

أخذ أبو تمام معنى البيتين وأكثرَ لفظهما ، فقال :

يعيشُ المرْءُ ما اسْتحيا بِخَيْرٍ    ويَبقَى العُودُ ما بقِىَ اللِّحاءُ[٢]
فلا واللهِ ما فى العَيشِ خَيرٌ    ولا الدُّنيا إذا ذهَب الحَياءُ

٨٣ ـ وقال أبو نُواس :

أَبِنْ لى كَيفَ صِرْتُ إلى حرِيمى    ونَجمُ الليلِ مُكْتحِلٌ بِقارِ[٣]

أخذه أبو تمام فقال :

إلَيْكَ هَتكْنا جُنْحَ لَيلٍ كأنَّهُ    قدِ اكتحلَتْ منه البِلادُ بإثْمِدِ[٤]

٨٤ ـ وسمع أبا نواس قال[٥] :

يَبكى فيُذْرِى الدرَّ مِنْ نَرْجِسٍ    ويَلطِمُ الوَردَ بِعُنَّـــابِ[٦]

فقال ـ وأساءَ كل الإساءة [ وقصر ] وقبَّح [ فى ][٧] صدر البيت ـ :

مَلْطومةٌ بالوَردِ أُطلِقَ طَرْفُها    فى الخَلقِ فهْوَ من المَنونِ مُحكَّمُ[٨]

(١) فى ط « الأزدى » وهو تحريف ، قال البكرى فى شرح الأمالى ٨٢٦/٢ « النظار بن هشام . . . من بنى أسد ، شاعر إسلامى »

(٢) ديوانه ٤٨٥ وجاء فى مجموعة المعانى ٢٨ « وقال أبو تمام ووجدتها فى مجموع شعره ، وقد أورد منها بيتين فى حماسته ولم يسم قائلهما . . . » وهما فى روضة العقلاء ٤٣ من غير نسبة .

(٣) الصناعتين ٢٢٢ « وجنح الليل » والتشبيهات ١٩

(٤) ديوانه ١٠٣ والصناعتين ٢٢٢ والتشبيهات ١٩ وشرح التبريزى ٣٠/٢

(٥) ط « وسمع أبو نواس يقول »

(٦) ديوانه طبع الحلبى ٣٥٠ والصناعتين ٢٠١ والوساطة ٣٢٢ ونهاية الأرب ٤٦/٧

(٧) من ك

(٨) ديوانه ٢٨٤ « مظلومة الورد » وهو تحريف . وقد عقب القاضى الجرجانى على التبيين فى الوساطة ٣٧ فقال : « فسبق أبو نواس بفضل التقدم والإحسان ، وحصل هو على نقص السرق والتقصير ، لكنه أحسن فى بقية البيت فجبر بعض ذلك النقص »

٨٥ – وقال أبو تمام :

ومما كانتِ الحُكماءُ قالتْ : لِسانُ المَرْءِ منْ خَدَمِ الفُؤادِ[١]

أخذه من الجعد بن ضمام : أحد بنى عامر بن شيبان ، وذكره أبو تمام فى اختيار[٢] القبائل :

إنَّ البَيانَ مع الفؤادِ ، وإنما جُعل اللسانُ بِما يَقول رَسُولا

٨٦ – وقال طريح الثقفى يرثى قوماً :

فلِلّهِ عَيـنَا مَن رَأى قَطُّ حادِثاً
كَفَرْسِ الكِلابِ الأُسْدَ يومَ المُشَلَّلِ[٣]

أخذه أبو تمام فأجاد الأخذ ، فقال :

من لم يُعايِنْ أبَا نَصرٍ وقاتِلَه فما رأى ضَبُعاً فى شِدقِهِ سَبُعُ[٤]

وهذا معنى مُتَداوَل ، وقد يجوز أن يكون الطائى أخذه من غير هذا الموضع .

٨٧ – وقال مروان بن أبى حَفْصة :

ما ضَرَّنى حَسَدُ اللِّئام ، ولم يَزَلْ ذُو الفَضْلِ يَحسدُهُ ذَوُو التقْصِير[٥]

(١) ديوانه ٨٠ وشرح التبريزى ٣٧٩/١

(٢) ط « ابن حمام . . . بن سنان . . . فى اختيارات »

(٣) الفرس : القتل .

(٤) ديوانه ٣٧٢ « فى شدقها »

وقال الشيخ « محمد محيى الدين عبد الحميد » فى تعليقه عليه ص ٨٢ « وأنشده الشربينى ١١٦/١ مع بيت تال له ، وذكر أنه أخذه من بيتين ليزيد المهلبى يرثى فيهما المتوكل »

وقد عجبت من قول الشربينى إن أبا تمام أخذ معنى بيته من قول المهلبى فى رثاء المتوكل المقتول فى سنة ٢٤٧ فى حين أن أبا تمام مات سنة ٢٣٢ . وقد زال عجبى عندما رجعت إلى الشربينى وألفيته يقول : « وقال يزيد المهلبى يرثى المتوكل :

علتك أسياف من لا دونـه أحـد وليس فوقك إلا الواحد الصمد
وأصبح النـاس فوضى يعجبـون به لبثـا صريعاً تندى حوله النقد

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب : من لم يعاين . . . » وفى ك « شوقها »

(٥) الوساطة ٢٤٢

أخذه أبو تمام فقال :

* وذُو النَّقصِ فى الدُّنْيا بِذِى الفَضْلِ مُولَعُ[١] *

٨٨ ـ وقال أبو دَهْبَل الجُمَحِى :

مَا زِلْتَ فى العَفْوِ للذُّنُوبِ وَإِطْـ　　لاَقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِقِ[٢]

حتى تَمَنَّى البُرَاةُ أَنَّهُمُ　　عِنْدَكَ أَمْسَوْا فى القِدِّ وَالْحَلَقِ[٣]

أخذه أبو تمام فقال :

وَتَكَفَّلَ الْأَيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ　　حَتَّى وَدِدْنَا أَنَّنَا أَيْتَامُ[٤]

٨٩ ـ وقال زيد الخيل الطائى :

وَأَسْمَر مَرْبُوعٌ يَرَى مَا أَرَيْتَهُ　　بَصِيرٌ ـ إذا صوَّبْتُه ـ بالْمَقاتِلِ[٥]

أخذه أبو تمام فقال :

مِنْ كُلِّ أَسْمَرَ نَظَّارٍ بلاَ نَظَرٍ　　إلى الْمَقَاتِلِ مَا فى مَتْنِهِ أَوَدُ[٦]

٩٠ ـ وقال أبو نُخَيْلَة [ السعدى ][٧] فى مَسْلمة بن عبد الملك :

وَنَوَّهْتَ لى باسمى ، وَمَا كانَ خَامِلاً

وَلكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِن بَعْضِ[٨]

---

(١) صدره : « لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف » ديوانه ١٩٠ وشرح التبريزى ٢/٢٣٥

(٢) حماسة أبي تمام بشرح المرزوقى ٤/١٦٢٠ والصناعتين ٢٠٥ والعانى : الأسير . والغلق : المتروك لا يفك

(٣) فى م ، ك « البراء » .

(٤) شرح الحماسة للمرزوقى ٤/١٦٢٠ والصناعتين ٢٠٥ وديوانه ٢٨٠

(٥) ط « ما رأيته »

(٦) ديوانه ٩٩ وشرح التبريزى ٢/١٨ « من كل أزرق »

(٧) من ك

(٨) أمالى القالى ١/٣٠ وزهر الآداب ٢/٩٢٥ ورواه المؤلف فى المؤتلف والمختلف ١٩٣ « وأحييت لى ذكرا » وهو فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/٣١٨ والجليس والأنيس . . . والمستطرف ١/٢٨٠ وعيون الأخبار ٣/١٦٥ وفى ط « ونوهت من ذى ذكرى » وحماسة ابن الشجرى ١١٧

أخذه أبو تمام فقال :

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضاحِى ٱمْتِدَادًا ، ولمْ أَكُن
بَهِيماً ، وَلا أَرْضِى مِنَ الْأَرْضِ مَجْهَلاَ(١)

ولٰكِنْ أَيادٍ صَادَفَتْنِى جِسَامُهَا
أَغَرَّ فَخَلَّتْنى أَغَرَّ مُحَجَّلاَ(٢)

٩١ ـ وقال المسيب بن عَلَس :

هُمُ الرَّبِيع عَلَى مَنْ كَانَ خِلَّهُمُ
وَفى الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشائيمُ(٣)

وقال عِلاقة بن عُركِىّ التَّيمى(٤) يرثى قوماً :

وَكُنْتُمْ قَدِيماً فى الحُرُوبِ وَغَيْرِهَا
مَيامِينَ فى الأَدنِى لأَعْدَائكُمْ نُكْدَا(٥)

ومثله قول كعب بن الأَجْذَم(٦) :

بَنُو رَافِعٍ قَوْمٌ مَشائيم لِلْعِدَى
مَيَامِينُ لِلْمَوْلَى وَلِلْمُتَحَرِّمِ(٧)

أخذ الطائى هذا المعنى ، فقال فى مدح أبى سعيد :

إذا مــا دَعَوْناهُ بـأَجْلَحَ أَيْمنٍ
دَعَاهُ وَلَمْ يَظْلِمْ بـأَصْلَعَ أَنْكَدِ(٨)

٩٢ ـ وقال دُكَيْن الراجز :

* عَارِى الحَصَى يَدْرُس ما لَمْ يُلْبَسِ *

(١) ديوانه ٢٥٢ والأوضاح : جمع وضح وهو : الضوء والبياض من كل شىء . والبهيم : المجهول الذى لا يعرف . والمجهل : التى لا يهتدى فيها لانعدام الأعلام والجبال بها

(٢) ط « فوافت بى » وديوانه ٢٥٢ « فألفت بى » ورواه البكرى فى اللآلى ١/١٣٥ « فأوفت بى » كما فى ك والأغر : الشريف . والمراد بالأغر المحجل : السيد المشهور

(٣) ديوانه ٣٥٩ وفى الوساطة ٢٩٩ « من ضاف أرحلهم »

(٤) ط « غلافة . . . التميمى » وفى الوساطة ٢٩٩ « علاثة بن عربى »

(٥) ط « للأدنى »

(٦) ط « ابن الجزم » وهو تحريف وفى معجم الشعراء ٣٤٤ « الأجدم »

(٧) الوساطة ٣٠٠

(٨) ديوانه ١٠١ وشرح التبريزى ٢/٢٤ « الجلح : انحسار الشعر عن مقدم الرأس ، وهو محمود ، والصلع مذموم . يقول: ندعوه نحن بالسعادة واليمن ويدعوه عدوه بابك بأنكد لأن أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى كان نكداً على بابك الخرمى وقد رماه بقاصمة الأصلاب » .

أخذه الطائى فقال :

تُجَدَّدُ كُلَّما لُبِسَتْ ، وتَبْقَى　　إذا ابتُذِلَتْ ، وتَخْلُقُ فى الحِجابِ[(١)]

أو أخذه من قول الآخر[(٢)] [يصف طريقاً] :

عَوْدٌ على عَوْدٍ منَ القُدْمِ الأُوَلْ　　يُميتُهُ التَّرْكُ ويُحييهِ العَمَلْ[(٣)]

٩٣ ـ وقال تميم بن أبى بن مُقْبل :

قَدْ كُنْتُ رَاعِيَ أبْكارٍ مُنَعَّمَةٍ　　فَالْيومَ أَصْبَحْتُ أَرْعَى جِلَّةً شُرُفَا[(٤)]

يريد عجائز[(٥)] .

أخذه الطائى فقال ـ وعَدَل بشطر المعنى[(٦)] إلى وجه آخر فأحسن ـ :

كُنْتُ أرعَىَ الخُدُودَ ، حتَّى إذاما　　فارَقونى أمسيت أَرْعَى النُّجُوما[(٧)]

٩٤ ـ وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

والمالُ يَغْشَى رجالاً لا طَبَاخَ بهم　　كالسيل يغشى أصول الدِّندِنِ البالى[(٨)]

---

(١) ديوانه ٥٦ وشرح التبريزى ١/٢٩٠ « يقول : كلما ذكرت هذه النعم التى لك على وأظهرت تجدد ذكرها واستجرت مثلها ، وإذا سترت وحجبت أخلقت » وفى م ، ك « وتبلى * وتخلق وجنتاها فى النقاب » والشطر الثانى هو عجز البيت التالى فى الديوان وروايته :

إذا ما أبرزت زادت ضيــاء　　وتشحب وجنتاها فى النقاب

(٢) ط « قول الراجز »

(٣) قاله بشير بن النكث ، كما فى اللسان ٤/٣١٧ : « لأقوام أول ، العود الأول : الجمل المسن ، والعود الثانى : الطريق القديم ، وهكذا الطريق يموت إذا ترك ويحيا إذا سلك » .

وجاء فى ط بعد البيت : « يعنى طريقاً »

(٤) البيت له فى ديوانه ص ١٨٥ و منتهى الطلب .

(٥) فى هامش م « أى مسنة »

(٦) ط « بشطر البيت »

(٧) ديوانه ٢٩٠ « أرعى البدور » و ط « بقيت أرعى »

(٨) ديوانه ٣٢٧ واللسان ٤/٦ « لا طباخ بهم : لا عقل لهم . والدندن : ما بلى وعفن من أصول الشجر ، وقد جاء هذا البيت فى شعر لحية بن خلف الطائى . . . »

أخذه الطائى فقال :

لَا تُنْكِرِى عَطَلَ الكريمِ مِنَ الغِنَى     فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمكانِ العَالِى[١]

٩٥ ـ وقال أبو تمام فى وصف الشِّعر :

ولٰكِنَّهُ صَوبُ العقُول : إذا انجلَتْ     سَحَائبُ منْهُ أُعْقِبتْ بسَحائبِ[٢]

أخذه من قول أَوْسٍ :

أَقولُ بما صَبَّتْ علىَّ غمامَتِى     ودَهْرِىَ فى حَبْلِ العشِيرة أَحْطِبُ[٣]

٩٦ ـ وقال أمية بن أَبى الصَّلْتِ :

عَطاؤُكَ زَينٌ لِامْرِئٍ إن حَبَوتَهُ     بخَيْرٍ ، وما كلُّ العطاء يَزِينُ[٤]

أخذه الطائى فقال :

ما زلْتُ مُنْتَظِرًا أُعجُوبةً زَمَناً     حتَّى رأيتُ سُؤَالاً يجْتنى شَرَفا[٥]

٩٧ ـ وقال كثير :

ونازَعنِى إلى مَدْحِ ابْنِ لَيلَى     قوَافيها مُنَازَعةَ الطِّرَابِ[٦]

---

(١) ديوانه ٢٤٦

(٢) ديوانه ٤٣ وشرح التبريزى ٢٢٢/١ وزهر الآداب ١٠٨/١

(٣) أخبار أبى تمام وزهر الآداب ١٠٩/١ وفى المعانى الكبير ٧٩٨/٢ « على عمايتى » يقول بما جربت وما علمت مما مضى من دهرى ، وهو مثل » وعمايته : همه وشجنه .

(٤) الأغانى ٣/٨ « حبوته ببذل » وهو فى طبقات فحول الشعراء ٢٢٢ والوساطة ٣١٥ وديوان المعانى ٤٦/١ والصناعتين ٤١ والمثل السائر ٣٨١/٢ وصبح الأعشى ١٨٦/٢ ودلائل الإعجاز ٣٧٨

(٥) ديوانه ٢٠١ وشرح التبريزى ٣٦٦/٢ « أعجوبة عننا » مصدر عن يعن بمعنى ظهر . وهما روايتان . والأولى فى المثل السائر ، والثانية فى دلائل الإعجاز ، وقد فسرها « محمد رشيد رضا » بقوله : « عننا : أى معترضة تأتى بلا سبب » وهو خطأ .

(٦) ابن ليلى ممدوح كثير : هو عمر بن عبد العزيز . وفى ط « منازعة الغراب » والطراب : جمع طرب ، وهو المشوق .

أخذه الطائى فقال :

تَغايَرَ الشِّعْرُ فيه إذْ سَهِرتُ لهُ  حتَّى ظَنَنْتُ قَوافيهِ سَتَقْتَتِلُ[١]

٩٨ ـ وقالت محياة بنت طليق من بنى تَيْم الله بن ثعْلبة :

نَعى ابْنَىْ مُحِلٍّ صوتُ ناعٍ أَصَمَّنى  فَلا آبَ مَحْبُوراً بَريدٌ نَعاهما[٢]

وقال سفيان بن عبد يَغُوثَ النَّصْرى[٣] :

صَمَّتْ لهُ أُذُنَاىَ حِين نعيتهُ  ووَجَدْتُ حُزْناً [ دائماً ] لَمْ يَذْهَبِ

أخذه الطائى فقال :

أَصمَّ بكَ النَّاعى وإنْ كانَ أَسْمَعا  وأَصْبَحَ مَغْنَى الجُودِ بعْدَكَ بَلْقعا[٤]

ونحوه قول الحارث بن نَهِيك الدارمى :

وفَقَّأَ عَيْنَىَّ تَبْكاؤُهُ  وأَوْرَثَ فى السَّمْعِ منِّى صَمَمْ

٩٩ ـ وقال شقران بن عِرْباض القشيرى[٥] :

فَما السَّائلُ المَحْرُومُ يَرْجعُ خائباً  ولٰكِنْ بَخيلُ الأَغْنياءِ يخيبُ

وقال آخر وهو الشجاع الهاتف[٦] فى خبر عن ابن الكلبى ورواه ابن دريد :

لاتَزْهدَنْ فى اصْطِناعِ العُرْفِ مِنْ أحدٍ  إنَّ الَّذِى يُحْرَمُ المعرُوفَ مَحْرُومُ

أخذه أبو تمام فقال :

فإنِّىَ ما حُورِفْتُ فى طَلَبِ الغِنَى  ولكِنَّكم حُورِفْتُمُ فى المكارِمِ[٧]

---

( ١ ) ديوانه ٢٢٧ وفى م « قوافيها »

( ٢ ) ط « ابنى مجل . . . آب محمودا »

( ٣ ) م « البصرى »

( ٤ ) ديوانه ٣٧٤

( ٥ ) ط « سمران . . . القسرى »

( ٦ ) ط « الفائق »

( ٧ ) ط « وإنى . . . ولكنما » ك والديوان ٢٢٠/٣ طلب العلا

١٠٠ – وقال عنترة :

* والطَّعنُ مِنّى سابقُ الآجَالِ[١] *

وإنما أراد : والآجال سابقة طعنى ؛ يريد لشدة خوفه إذا سدّد سنانه للطعن .

فأخذه الطائى ، وغيره تغييرًا حسناً ، فقال :

يَكادُ حينَ يُلاقِى الْقِرْنَ منْ حَنَقٍ  قَبْلَ السِّنَانِ على حَوْبائهِ يَرِدُ[٢]

١٠١ – وقال عدىٌّ بن الرِّقاع يمدح بعض بنى مروان :

وإذا رأَيْتَ جمَاعة هوَ فِيهم  بَينْتَ سُؤْدَدَهُ وإن لَمْ تَسْأَلِ[٣]

أخذه الطائى فقال :

يَحْمِيــهِ لَأْلَاؤُهُ أَوْ لوْذَعِيَّتُــهُ  منْ أن يُذَالَ بمَنْ أو مِمَّنِ الرَّجُلُ[٤]

فقصَّر عدىٌّ بالممدوح[٥] ؛ إذ جعله إذا كان فى جماعة لا يُعْرف حتى تنبئ عنه شمائله ، وتبعه أبو تمام فى التقصير .

١٠٢ – وقال أبو تمام :

طَلَبُ المَجْدِ يُورِثُ المَرْءَ خَبْلًا  وهمُوماً تُقَضْقِضُ الحَيْزُوما[٦]
فَــتَرَاهُ وهْوَ الخَلِيُّ شَجِيًّا  وتَراهُ وهُو الصَّحيحُ سَقيما

أخذ [معنى] قوله: «وهموماً تقضقض الحيزوما» من قول لَقيط الإيادى :

---

(١) صدره «وأنا المنية حين تشتجر القنا» ديوانه ١٢٩ والوساطة ٢٩٢
(٢) ديوانه ٩٧ وشرح التبريزى ٢/١٤
(٣) ط «نبثت»
(٤) ديوانه ٢٢٨ و ط «ولوذعيته عن»
(٥) م «بالمدح»
(٦) ديوانه ٢٩٢

لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إلاَّ رَيْثَ يُفْزِعُه هَمٌّ يَكادُ سناه يَحْطِمُ الضِّلَعَا[١]

وأخذ معنى قوله :

ولَّهَتْهُ العُلَى فَلَيْسَ يَعُدُّ الـ بُؤْسَ بُؤْساً . ولاَ النَّعيمَ نعِيما[٢]

من قول لقيط أيضاً :

لاَ مُتْرَفاً إنْ رخاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ ولا إذا عَضَّ مكْرُوهٌ بهِ خَشَعَا[٣]

١٠٣ – وقال أبو العارم الطائى :

غبىٌّ العين أو فَهِمٌ تَغَابَى عن الشدَّات والفِكَرِ القَوَاصى[٤]

أخذه أبو تمام ، فقال وزاد عليه وأحسن :

لَيْسَ الغَبِىُّ بِسَيِّدٍ فى قَومِهِ لكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتغَابِى[٥]

أو أخذه من قول دِعْبِل :

تُخَالُ أَحْيَاناً بهِ غَفْـلةٌ مِنْ كَرَمِ النَّفْسِ ، ومَا أَغْلَمَهْ !

١٠٤ – وتمثلَتْ فاطمة الزهراء عليها السلام ، عند وفاة النبى عليه الصلاة والسلام – فيما رُوى عنها ولا أعرف صحته :

صُبَّتْ علَىَّ مَصَائبٌ لَوْ أَنَّها صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ عُدْنَ لَيَالِيا

ومثله قول الطائى :

عادَتْ لَهُ أَيَّامُهُ مُسْوَدَّةً حتى تُوُهِّمَ أَنَّهُنَّ لَيالِى[٦]

---

(١) مختارات ابن الشجرى ٥ « يبعثه . . . سناه يقصم » وفى ط « يبعثه . . . حشاه يحطم »

(٢) ديوانه ٣٩٣ « تيمته العلى »

(٣) مختارات ابن الشجرى ٥

(٤) م « عن الشذان والعكر »

(٥) ديوانه ٢٠ وشرح التبريزى ١/٩٣

(٦) ديوانه ٢٤٦ وفى م « حتى تبين »

١٠٥ ـ وقال ابن أُذَينة :

أَسْعَى لَهُ فَيُعَنِّينِى تَطَلُّبُهُ ... ولَوْ قَعَدْتُ أَتَانى لا يُعَنِّينِى[1]

أخذه الطائى فقال :

الرِّزْقُ لاَ تَكْمَدْ عَلَيْهِ فإِنَّهُ ... يَأْتِى ولَمْ تَبْعَثْ إليهِ رَسُولا[2]

١٠٦ ـ وقال الطائى :

وَجَّهَ العِيسَ وَهْىَ عِيسٌ إلى اللـ ... ـهِ فَآبَتْ مِن الهوَاجِرِ شيمَا[3]

أخذه من قول ابن هرْمَةَ :

بدأنا عَلَيْها وهْىَ عِيسٌ فأَصْبَحَتْ ... مِنَ السَّيْرِ جُوناً داميات الغَوَارِبِ[4]

١٠٧ ـ وأنشد الأُشْنَانْدَانِىُّ فى « المعانى » يذكر الإبل :

رَدَّتْ عَوارِىَّ غِيطَانِ الفَلاَ ، ونَجَتْ ... بِمثْلِ إيبَالَةٍ مِنْ حائلِ العُشَرِ[5]

---

( ١ ) البيت لعروة بن أذينة ، كما ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٥٤ وقبله :

لقد علمت وما الإسراف من خلق ... أن الذى هو رزق سوف يأتينى

وهو فى الأغانى ٢١/١٦٢ والعقد ٣/٢٠٥ ، ٥/٢٨٩ والشعر والشعراء ٢/٥٦٠ وأمالى المرتضى ١/٤٠٨

( ٢ ) ديوانه ٢٤٣ « لا تحرص عليه »

( ٣ ) ط « فآضت » أى صارت ، وفى ديوانه ٢٩٢ « فآلت مثل القسى حطيما » والشيم : الإبل السوداء .

( ٤ ) ط « بدأت . . . لاحقات الغوارب » والعيس : الإبل البيضاء يخالط بياضها شيء من الشقرة . والجون : جمع جون ، وهو الأسود . ولاحقات : ضامرات . والغوارب : جمع غارب ، وهو أعلى مقدم السنام .

( ٥ ) فى معانى الشعر للأشناندانى ٥١ « يريد أنها كانت رعت الغيطان فسمنت ، فلما سافر عليها ضمرت . فكأنها ردت على الغيطان ما استعارت منها من لحمها وشحمها . والإيبالة : الحزمة من الحطب . والحائل : الذى أتى عليه الحول . والعشر : ضرب من الشجر . يقول : نجت الناقة وقد صارت مثل الإيبالة » وهو غير منسوب فى شرح المقامات للشريشى ١/١٢٤ وشرح ديوان أبى تمام للتبريزى / ٢٣١

أخذه أبو تمام فقال :

فكَم جِزْعَ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غارِبٍ  وبالأمس كانت أتْمَكَتْهُ مذانِبُه[١]

١٠٨ ـ وقال أبو تمام :

لو أَصْخْنا مِن بعدها لسمِعْنا  لِقُلوبِ الأيام منكَ وَجِيبا[٢]

أخذه من قول أبي نواس :

حتّى الذى فى الرِّحْمِ لَمْ يَكُ صورة  لِفُؤّادِهِ مِنْ خوفِهِ خفقانُ[٣]

١٠٩ ـ وقال آخر :

يا حبَّذا ريحُ الجنُوب إذا غدتْ  بالفجرِ وهْى ضَعيفةُ الأنفـاسِ
قد حُمِّلتْ بَرْدَ الثَّرَى وتحمَّلتْ  عَبَقاً من الجَثْجَاث والبَسْبَاسِ[٤]

أخذه الطائى فقال :

أَرْسى بنَاديكَ النَّدَى وتنفَّستْ  نَفَساً بعَقْوَتِكَ الرِّياحُ ضعيفا[٥]

١١٠ ـ وقال نُصَيب :

وقدْ عادَ ماءُ الأَرْضِ بحرًا فزادَنى  على ظَمَئى أن أبحَرَ المشربُ العذبُ[٦]

---

(١) ديوانه ٤٤ وشرح المقامات للشريشى ١/٢٢٤ وشرح التبريزى ١/٢٣٠ « جزع الوادى: منعطفه. وجب : قطع . والذروة : أعلى الشىء . وأتمكته : أسمنته وأطالته . والمذانب : مسايل الماء فى الأودية . وفى م ، ك « ومن قبل كانت »

(٢) ديوانه ٢٧ وشرح التبريزى ١/١٧٤ « من بعدها أى من بعد الضربة ، أو هذه الحرب . والإصاخة : إمالة الأذن للسمع . والوجيب : صوت حركة القلب »

(٣) ديوانه طبع الحلبى ٥٢ وفى ط والوساطة ٦٠ « لم يك نطفة »

(٤) الجثجاث : شجر أصفر الزهر ، طيب الريح . وفى اللسان ٧/٣٢٧ « قال أبو حنيفة : البسباس ، من النبات الطيب الريح »

(٥) شرح التبريزى ٢/٣٧٧ « أرسى : أقام . يدعو للمنزل بالخصب وتنسيم الرياح ؛ لأن النسيم ينفع ولا يضر ، وربما ضرت الريح القوم » ويروى « نفساً بعرصتك » وعقوة الدار : ساحتها ، وكذلك عرصتها »

(٦) فى اللسان ٥/١٠٣ « ملحاً فزادنى على مرضى » وماء بحر : ملح . وأبحر : صار ملحاً

أخذه أبو تمام فقال :

كانتْ مُجاوَرَةُ الطُّلولِ وأَهلِهَا زَمَناً عذابَ الوِرْدِ فهْى بحَارُ[١]

١١١ ـ وقال غيلان بن سلمة الثقفى يصف فرساً :

نَهْد كَتَيْس أَقبَّ مُعتدِل كأنَمَا فى صهيلهِ جرَسُ[٢]

أخذه أبو تمام فقال :

صَهْصَلِقٌ فى الصَّهيلِ تحْسِبَهُ أُشْرِجَ حُلقومُهُ على جَرَسِ[٣]

١١٢ ـ وقال الفرزدق :

قِياماً يَنظرُون إلى سعيــدٍ كأَنَّهُمُ يرَوْنَ بهِ هلالا[٤]

أخذه أبو تمام فقال :

رَمَقُوا أَعالِىَ جِذعِهِ فكأَنما رمقوا الهِلالَ عشيَّةَ الإفطارِ[٥]

١١٣ ـ وقال ابن مناذر فى البرامكة :

إذا وردُوا بطحاءَ مكةَ أشرقتْ بيحْيَى وبالفضلِ بن يحيَى وجعفر[٦]

لهمْ رِحلَةٌ فى كلِّ عام إلى العِدَى وأخرى إلى البيت العتيقِ المشَهَّر[٧]

---

(١) ديوانه ١٤٥ وشرح التبريزى ١٦٦/٢ «أى كانت عذاباً لنا بحضورهم ، فلما رحلوا عنها صارت مجاورة الطلول بعدهم بحار الورد ، أى ملاحه

(٢) النهد : الضخم القوى . والأقب : الدقيق الخصر الضامر البطن .

(٣) ديوانه ١٧٠ وشرح التبريزى ٢٣٩/٢ « صهصلق : شديد الصوت . وأشرج : شد . أى هو مع شدة صوته طيب الصهيل . وهذا يستحب لأنه دال على سعة جوفه »

(٤) ديوانه ٦١٨ وهو فى مدح سعيد بن العاص . وفى ط « قيام »

(٥) ديوانه ١٥٣ وشرح التبريزى ٢٠٤/٢ وأخبار أبى تمام ٩٥ « وجدوا الهلال » والبيت فى شأن صلب بابك الخرمى

(٦) لمحمد بن مناذر فى معجم الأدباء ٥٧/١٩ وقبله :

ستظلم بغداد ويجلو لنـا الدجى بمـكة ما عشنا ثلاثة أبحـر

(٧) ط « يوم إلى »

أخذه أبو تمام فقال :

حين عَفَّى مقام إبليس سامى بالمطايا مقــامَ إبْراهيما[١]

١١٤ ـ وقال أبو تمام :

تَحَيَّوْا بالأَسنَّة ثُمَّ ثَنَّوْا مُصَافَحَةً بأَطْرافِ الرِّماحِ[٢]

أخذ قوله : « تحيوا بالأَسنَّة » من قول مسلم بن الوليد :

تَحَيَّوْا بأَطْرافِ الْقَنَا وَتَعَانَقُوا مُعَانَقَةَ الْبَغْضاءِ غَيْرِ التَّوَدُّدِ[٣]

وأخذ قوله : « مصافحة بأَطراف الرماح »[٤] من قول أبي اللحام التغلبي[٥] :

دَلَفْتُ لَهُ بأَبْيَضَ مَشْرَفيٍّ كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلسَّلامِ[٦]

١١٥ ـ وقال جرير فى يزيد بن معاوية :

الْحَزْمُ والجُودُ وَالإيمانُ قَدْ نَزَلُوا عَلَى يَزِيدَ أمينِ اللهِ فَاخْتَلَفُوا

أَلم به أبو تمام فقال :

مَنِ البَأْسُ وَالمَعْرُوفُ والْجُودُ وَالتُّقَى عِيالٌ عَلَيْهِ ، رِزْقُهُنَّ شَمائِلُه[٧]

فقال : « عيال عليه » . وهو نحو قول جرير : « نزلوا على يزيد » . أو لعل أبا تمام أخذه من قول دعبل :

تَنَافَسَ فيهِ الْبَأْسُ والحزمُ والتُّقى وَبَذلُ النَّدَى حَتَّى اَصْطَحَبْنَ ضَرَائِرَا[٨]

(١) ديوانه ٢٩٢

(٢) ط « فحيوا » وفى م ، ك « بأطراف الصفاح »

(٣) ديوانه ٦٦ وفى ط « فحيوا »

(٤) م ، ك « الصفاح »

(٥) ،ط « أبى إسحاق » وانظر معجم الشعراء ٥١٥

(٦) ط « دنوت له »

(٧) ديوانه ٢٣٠

(٨) ط « اللهى حتى اصطبحن »

١١٦ – وقال الكميت يصف الخيل :

يَفْقهْنَ عَنْهُمْ إذا قالُوا ، ويَفْقَهُهُمْ مُسْتَطْعِمٌ صاهِلٌ منها ومُنْتَحِمُ(١)

أخذه أبو تمام فقال :

وهْوَ إذا ما نَاجَاهُ فارِسُهُ يَفْهَمُ عَنْهُ مَا تَفْهَمُ الإِنْسُ(٢)

١١٧ – وقال الكميت (٣)أيضاً :

وأَدْنَيْنَ البُرُودَ عَلَى خُدُود يُزَيِّنَّ الْفَدَاغِمَ بِالأَسِيلِ(٤)

الفداغم : الوجوه(٥) اللَّحِيمَةَ.

فقال أبو تمام :

وثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الخُدودِ صِيانَةً وَشْيَ البُرُودِ بمُسْجَفٍ ومُمَهَّدِ(٦)

١١٨ – وقال الأُبَيْرِدُ الرِّياحىُّ(٧) :

وَكُنْتُ أَرَى هَجْرًا فِرَاقَكَ ساعةً أَلَا،لا،بَلِ المَوْتُ التَّفرُّقُ وَالهَجْرُ(٨)

أخذه أبو تمام فقال :

المَوْتُ عِنْدِى وَالفِرا قُ كلاهُما مالا يُطَاقُ(٩)

(١) م « وتفقههم » و ط « صاهل منهم » والنحيم : صوت من صدر الفرس .

(٢) ديوانه ١٦٧ وشرح التبريزى ٢/٢٢٧ وفى م : « ما ناجاه قائده »

(٣) ليست فى م

(٤) ط « وألقين »

(٥) ط « يريد بالفداغم الرخوة اللحيمة »

(٦) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٢/٤٧ ، وشى الخدود : حمرتها وبياضها . والمسجف : المسبل

(٧) فى ك : « اليربوعى » وكلاهما صحيح قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص ٢٤ : هو الأبيرد اليربوعى . وهو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع . شاعر مشهور مقل محسن

(٨) أمالى اليزيدى ٢٦ وذيل أمالى القالى ٢ وانظر سمط اللآلى ٣/٤

(٩) ديوانه ٤٥٣

١١٩ ـ وأنشد أبو العباس المبرد للعُتْبيّ :

أَضْحَت بِخَدِّى للدُّموعِ رُسُومُ أَسَفاً علَيْكَ وفى الفُؤادِ كُلومُ[١]
وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فى المَواطِنِ كلِّها إِلَّا علَيْك ، فإِنَّه مَذْمومُ

قال : وأخذه الطائى فقال فى إدريس بن بَدر السامى[٢] :

دُمُوعٌ أَجابَتْ دَاعِيَ الحُزْنِ هُمَّعٌ تُوصِّلُ مِنَّا عَن قُلوبٍ تَقَطَّعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعى لابِسُ الصَّبْرِ حَازِماً فأَصْبَحَ يُدْعَى حَازماً حِينَ يَجْزَعُ[٣]

قال : وجاء به الطائى فى موضع آخر ، فقال :

الصَّبْرُ أَجْمَلُ غيْرَ أَنَّ تَلَدُّدًا فى الحُبِّ أَحْرَى أَن يكونَ جَميلا[٤]

١٢٠ ـ وقال الراجز ، أنشده يعقوبُ بن السِّكيت :

قدْ أَصْبحَتِ العقْدَةُ صلْعاءَ اللِّمَمْ وأَصبَحَ الأَسْوَدُ مَخْضوباً بدَمْ[٥]

العقدة : موضع ذو شجر لا ينتقى فيذهب . وصلعاء اللمم واللمم : الجمام[٦] ، وهو جمع لِمَّة ، فجعله مثلاً لرؤوس النبت أكلَتْه الإبل فصارت لممُه صُلْعاً ، والأَسود : الحية تطؤه الإبل فتقتله .

فظفر بهذا [ المعنى ] أبو تمام ، فقال :

حتى تعمّمَ صُلْعُ هاماتِ الرُّبَى من نَوْرِه وتأَزَّرَ الأَهضامُ[٧]

---

( ١ ) فى الكامل ١/٢٨٦ وقال العتبى محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات . . . » ثم قال : « وأحسب أن حبيباً الطائى سمع هذا فاسترقه فى بيتين : أحدهما قوله فى إدريس بن بدر الشامى : دموع ... والآخر . . . الصبر أجمل . . . »

( ٢ ) فى الكامل وأصول الموازنة المخطوطة والمطبوعة « الشامى » وفى ديوانه ٣٧٢ « السامى من ولد سامة بن لؤى »

( ٣ ) بين هذا البيت وسابقه تسعة أبيات فى الديوان

( ٤ ) فى ط « تلذذى » والديوان « تلذذا » وهو تصحيف فيهما

( ٥ ) منسوب لبعض الأعراب فى الوساطة ٢٠٥ وفى ط : « قد أضحت »

( ٦ ) ط « شجر لا يفنى فيذهب وصلعاء اللمم : اجماجم » وهو تحريف عجيب

( ٧ ) ديوانه ٢٧٩ وفى الوساطة « من دونه »

والأهضام : ما انخفض من الأرض .

* * *

ووجدت ابن أبى طاهر [قد] حرّج سرقاتِ أبى تمام ، فأصاب فى بعضها ، وأخطأ فى البعض ؛ لأنه خلط الخاصّ من المعانى بالمشترك بين الناس : مما لا يكون مثله مسروقاً .

١ – فمن السَّرَق [ الصحيح ] قولُ أبى تمام :

كما كادَ يُنْسى عهدُ عَمياءَ بِاللِّوى ولٰكنْ أَمَلَّتْهُ عَليهِ الحمائِمُ[١]

أخذه من قول العتّابى :

بَكى فاسْتملَّ الشَّوقَ من ذى حَمامَةٍ أَبَتْ فى غُصونِ الأَيكِ إلاّ تَرنُّما[٢]

[ أظن أن قوله من ذى حمامة ] أراد[٣] من صوت حمامة ، دعته إليه الضرورة ، وليس هذا موضع « ذى »[٤] .

وقوله : « أملته » من قول العتابى : « فاستمَلّ » . وقد جاء مثله فى أشعارهم .

* * *

٢ – وقال : أخذ قوله :

لا تَنْشِجنَّ لَها فإن بكاءَها ضَحِكٌ . وإنَّ بكاءَك اَسْتِغرامُ[٥]

---

( ١ ) ديوانه ٢٨٥ وفى الوساطة « وقد كاد »

( ٢ ) ط « واستمل . . . من فى . . . إلا الترنما »

( ٣ ) ط « أظن قوله فى حمامة أراد » وما بين القوسين من ك

( ٤ ) ط « موضع فى »

( ٥ ) ديوانه ٢٧٩ « لا تشجين » وما فى م يوافق ما فى الزهرة ١/٢٤٢

من قول الآخر .

وإنى إن بكيتُ بكيتُ حقًّا وإنَّكِ فى بكائِكِ تكْذِبينَا[١]

* * *

٣ – وقال أبو تمام[٢] :

* فَنَوَّلَ حتى لَمْ يَجِدْ مَن يُنيلُه *

أخذه من قول على بن جَبَلة :

أعطيْتَ حتى لَمْ تَجدْ لكَ سائِلاً وبَدأتَ إذْ قَطعَ العفَاةُ سُؤَّالهَا

وقد ذكرتُ أخذهُ هذا المعنى – فيما تقدم – من غير ابن جَبَلة[٣] .

* * *

٤ – وقال : [ أخذ قوله ] :

إنِّى لأَعْجَبُ ممنْ فى حَقيبَتِه منَ المَنِىِّ بُحورٌ كَيفَ لا يَلدُ[٤]

من قول مروان :

لو كانَ يَحمِلُ مِنْ هٰذَا الوَرَى أَحدٌ لكُنتَ أَوّلَ خَلْقٍ جاءَبالوَلدِ[٥]

ومن قوله أيضاً :

لوْ كانَ يُخْلَقُ فى بَطْنِ امْرِئٍ وَلَدٌ لأَصْبحَ البَطْنُ مِنهُ ضَامناً ولدَا

* * * *

( ١ ) فى الزهرة ١/٢٤٢ من أبيات لنبهان العبشمى :

غلبتك فى البكاء بأن ليلى أواصله وأنك تهجعينا
وأنى أشتكى فأقول حقا وأنك تشتكين فتكذبينا

( ٢ ) من ك

( ٣ ) راجع ص ٩٤

( ٤ ) ديوانه ٣٤٣ يهجو عتبة بن أبى عاصم

( ٥ ) ط « كان يحمل . . . الورى ذكر . . . خلق الله »

٥ – وقال أبو تمام[١] :

يَحمِيــهِ لَأْلاؤُهُ أو لَوْذَعِيَّتُهُ عن أن يُذَالَ بِمَنْ أو مِمَّنِ الرَّجُلُ[٢]

أخذه من قول حسان :

إذَا مَا تَرَعْرَعَ فِينا الغُلا مُ فما إن يُقالُ لَهُ : مَنْ هُوَهْ؟[٣]

وقد ذكرتُ أخذه هذا المعنى – فيما تقدم – من غير حسان[٤] .

* * *

٦ – وقال أبو تمام[٥] :

فلاَ تَطْلُبُوا أَسْيافَهُم فى جُفُونِهــا فَقَدْ أُسكِنَتْ بَيْنَ الطُّلَى والجَمَاجِمِ[٦]

أخذه من قول عنترة :

ولم يَعلَم جَرِيَّةُ أَنْ نَبْلِي يكونُ جَفِيرَها البطَلُ النَّجِيدُ[٧]

* * *

٧ – وقال أبو تمام :

يتَجَنَّبُ الآثامُ ثمّ يَخافُها فكأَنَّما حَسَناتُهُ آثامُ[٨]

---

(١) من ك

(٢) سبق ص ١٠٤

(٣) ديوانه ٤٢٢

(٤) راجع ص ١٠٤

(٥) من ك

(٦) ديوانه ٣٨٧ والطلى : الأعناق .

(٧) ديوانه ٤٩ « هل يدرى جرية » و م « ولم تعلم جوية » وجرية : رجل من بنى عمرو بن الهجيم كان له مع عنترة قصة والنبل : السهام . والجفير : الكنانة الجعبة التى تجعل فيها السهام . والنجيد : الشجاع الشديد البأس السريع الإجابة إلى ما دعى إليه

وقد شرح الشيخ «محمد محيى الدين عبد الحميد» البيت بما يلى : « الجفير : جعبة من جلود لا خشب فيها ، أو جعبة من خشب لا جلود فيها . يريد أن مكان سيفى وغمده الذى أضعه فيه هو البطل النجيد » .

ولست أدرى كيف فسر الشيخ كلمة « نبلى » بسيفى ؟ !

(٨) ديوانه ٢٨٠ بمدح المأمون

أخذه من قول أبي العتاهية :

لم يَنْتَقِصْنى إِذْ أَسَأْتُ وزادنى حتّى كَأَنَّ إِسَاءَتى إِحْسَان(١)

* * *

٨ ـ وقال الطائى :

أَلا أَيُّها الرَّبْعُ الَّذى خَفَّ آهِـلُهْ لَقَدْ أَدْرَكَتْ فيكَ النَّوَى ماتُحاوِلُهْ(٢)

[ أخذه من قول العرجى :

أَلا أيها الربع الذى بان آهله لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله] (٣)

* * *

٩ ـ وقال :

لا تُذِيلَنْ مَصُونَ هَمِّـك وَانْظُرْ كَمْ بِذِى الأَيْكِ دَوْحَةً مِن قَضِيبِ(٤)

أَخذه من قول الأَشهب [ بن رميلة ] :

عَلَّ بَنِىَّ يَشُدُّ اللهُ أَزْرَهُمُ والدَّوْحُ يُنْبِتُ عِيداناً فيَكْتَهِلُ

* * *

١٠ ـ وقال أبو تمام :

أَظَلَّهُ البَيْنُ حتى إِنَّهُ رَجُلٌ لوْ ماتَ مِن شُغْلِهِ بالبَيْنِ ماعَلِمَا(٥)

أَخذه من قول أَبي الشِّيص :

فكَمْ مِن مَيْتَةٍ قَدْ مُتُّ فيهِ ولٰكِنْ كانَ ذاك ومَا شَعَرْتُ(٦)

---

(١) ط « تنتقصنى . . . وزدتنى »

(٢) ديوانه ٢٢٩ « أجل أيها . . . الذى بان »

(٣) فى ديوان العرجى ٢٠

ألا أيها الربع الذى خف أهله وأمسى خلاء موحشا غير آهل

(٤) ديوانه ١/١٢٧ وشرح التبريزى ١٢/٧١ « بذى الأثل » . والمعنى : لا تذيلن صغير همك ، أى لا تهمل نظرك فيه فإن كان خيراً فإنه يثمر وتعظم المنفعة به ، وإن كان مما يحذر فإنه لا يؤمن أن يغلب ويتفاقم ، وهذا المعنى قصده نهشل بن حرى فى قوله :

قال الأقارب : لا يغررك كثرتنا وأغن شأنك عنـا أيهـا الرجل

عل بنى . . . ويكتهل . فهذا مثل قوله : كم بذى الأثل دوحة من قضيب »

(٥) ديوانه ٣٠٢ (٦) ط « وكم »

[ وبيت أبي تمام أجود ] .

* * *

١١ – وقال في وصف الرماح :

كَأَنَّها – وهْيَ في الأَكْبَادِ والغَةٌ وفي الكُلَى – تَجِدُ الغَيْظَ الذي تَجِدُ[1]

أخذه من قول النَّمَرِيّ :

وَمُصْلَتَاتٍ كأَنَّ حِقْدًا مِنْها على الْهَامِ وَالرِّقاب[2]

* * *

١٢ – وقال :

إذا ماأَغَارُوا فاحتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ أَغارَتْ عَلَيْهِمْ فاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ[3]

أخذه من قول الآخر :

إذا أَسْـلَفَتْهُنَّ المَلَاحِمُ مَغْنَماً دَعَاهُنَّ مِنْ كَسْبِ المَكَارِمِ مَغْرَمُ[4]

* * *

١٣ – وقال أبو تمام :

وَرَكْبٍ كأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا على مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ

[ أخذه من قول كثير :

وركب كأطراف الأسنة عرسوا قلائص في أصلابهن نُحولُ ]

وقد ذكرتُ أخذه هذا المعنى – فيم تقدم – من [ غير ] كُثَير[5] .

* * *

١٤ – وقال أبو تمام .

تُوُفِّيَتِ الآمالُ بَعْدُ مُحَمَّدٍ فَأَصْبَحَ مَشْغُولاً عَنِ السَّفَرِ السَّفْرُ

---

(١) ديوانه ٩٩ وشرح التبريزي ٢/١٧ « في الأوداج والغة »

(٢) في الوساطة ٢٤٣ « حقداً بها »

(٣) ديوانه ٤٨٠

(٤) غير منسوب في الوساطة ٣٠٢

(٥) راجع ص ٦١ – ٦٢

أخذه من قول عصابة الجَرْجَرائى : (١)

أَلاَ فى سَبِيلِ اللهِ آمالُكَ التى　　تُوُفِّينَ لمَّا اغْتالكَ الْحَدَثانُ(٢)

وقد تقدم [أيضاً] ذكر هذا وأخذه [إياه] من موضع آخر(٣) .

* * *

١٥ ـ وقال أبو تمام :

* تَعْلِيقُها الإِسْرَاجُ وَالإِلْجَامُ(٤) *

أخذه من قول جرير :

حَرَاجِيجُ يُعْلَفْنَ الذَّمِيل كأَنَّها　　معاطِفُ نَبْع أَو حَنِيُّ الشَّرَاجِعِ(٥)

* * *

١٦ ـ وقال :

ذاكَ الذِى كانَ لَوْ أَنَّ الأَنامَ لهُ　　نَسْلٌ لَما رَاضَهُمْ جُبْنٌ وَلابَخَلُ(٦)

أخذه من قول أبي السِّمْط (٧) :

---

(١) ط «عصام الجرجانى» وهو تحريف . وأخبار عصابة فى معجم البلدان ٣/٨٠ وطبقات الشعراء لابن المعتز ٣٩٩ – ٤٠١

(٢) فى هامش ك : ع : «آمالى»

(٣) راجع ص ٧٢ – ٧٣ و ٨٠

(٤) صدره : «بسواهم لحق الأياطل شزب» ديوانه ٢٨١ والعلوق : ما تعلقه الإبل ، أى ترعاه ، يقال : ما فى الأرض علاق ، أى ما فيها مرتع ، قال الأعشى :

وفـلاة كأنها ظهر ترس　　ليس إلا الرجيع فيها علاق

الرجيع الجرة . يقول : لا تجد الإبل فيها علاقاً إلا ما ترده من جرتها ، وفى ط «تعليفها» والديوان كالمخطوطة «تعليقها» ويرى الشيخ محيي الدين ناشر ط أن ما فيها هو الصواب !

(٥) ديوانه ٣٦٠ والحراجيج : جمع حرجوج ، وهى الناقة الضامرة الجادة القلب ، والذميل : ضرب من السير السريع اللين . والشراجع : جمع شرجع ، وهو النعش

(٦) ديوانه ٢٢٨ وفى ط «لما عابهم»

(٧) ط «أبى الشميط» وهو تحريف . وأبو السمط هو مروان بن أبى حفصة

لَوْ كانَ جَدٌّ كُمُ شريكٌ وَالِدًا ... لِلناسِ لم تَلِدِ النِّسَاءُ بخيلاً

* * *

١٧ ـ وقال :

حَمراء مِنْ حَلَبِ الْعَصِير كَسَوْتُها ... بَيْضَاء مِنْ حَلَبِ الْغَمامِ الرَّقْرَقِ

أخذه من قول مسلم :

صَفْرَاءُ مِنْ حَلَبِ الكُرُوم كَسَوتُها ... بَيْضَاءَ مِنْ حَلَبِ الْغُيُوم الْبُجَّسِ (١)

* * *

١٨ ـ وقال : أخذ قوله :

* بَيَاضُ الْعَطايا فى سَوَادِ المَطالِبِ * (٢)

[ من قول بعض العرب :

همامٌ عطاياهُ بدورٌ طوالعٌ ... على آمِليه فى سوادِ المطالبِ] (٣)

[ و ] من قول الأخطل :

رَأَيْنَ بَياضاً فى سَوَادٍ كأَنَّهُ ... بَياضُ الْعَطايا فى سَوَادِ المَطَالِبِ

* * *

١٩ ـ [ وقال ] : أخذ قوله :

نادَمْتُ ذِكْرَكَ والظَّلْماءُ عاكِفَةٌ ... فكَانَ يا سَيِّدِى أَحْلى مِنَ الشَّهدِ (٤)

من قول ابن أبى أمية :

كَمْ لَيْلَةٍ نادَمَنِى ذِكرُهُ ... يُسْعِدُنِى المثلثُ والزيرُ

* * *

(١) ديوانه ١٠٨ « من صوب الغيوم » وفى ط « من حلب العصير كسوتها »

(٢) صدره « وأحسن من نور تفتحه الصبا » ديوانه ٤٢ وشرح التبريزى ١/٢١٢

(٣) ما بين القوسين ليس فى ك

(٤) ط « ناجيت »

٢٠ ـ وأخذ قوله :

* وَالْعيشُ غَضٌّ وَالزَّمانُ غُلامُ[١] *

من قول الأخطل :

سَعَيْتَ شَبابَ الدَّهْرِ لَمْ تَسْتَطِعْهُمُ    أفالْآنَ لما أَصْبَحَ الدَّهْرُ فانِيا ؟[٢]

* * *

٢١ ـ و [قال] : أخذ قوله :

ذَاكَ الذِى أَحصى الشُّهُورَ وَعَدَّها    طَمعاً لِيَنتجَ سَقْبَةً من حائلِ[٣]

من قول أعرابي :

إنَّا وَجَدْنا طَرَدَ الهَوَامِلِ    خيرًا من التَّأْنانِ والمَسَائلِ[٤]

وعدةِ العــامِ وعامٍ قابِلِ    ملْقُوحةً فى بطْن نابٍ حائلِ[٥]

* * *

٢٢ ـ وأخذ قوله :

يُخْشَونَ حتى ما يَشُكُّ عَدُوُّهُمْ    أَنَّ المنايا الْحُمْرَ حىٌّ منْهُمُ[٦]

---

(١) صدره : « ولقد أراك فهل أراك بغبطة » ديوانه ٢٧٩

(٢) ديوانه ٦٦

(٣) ديوانه ٥٠٢ وقبله :

ما خلقت حواء أحمق لحية    من سائل يرجو الغنى من سائل

والسقب : ولد الناقة ، والأنثى سقبة . من حائل : غير حامل

(٤) ط « التاتان والمسائل » وهو تحريف وفى م « طرد الحوامل »

وقد استشهد بهما فى اللسان ١٦/١٦٨ على أن التأنان وهو صفة واقع موقع المصدر الذى هو الأنين وقد ذكر أولهما أيضاً ١٤/١٣٥ وقال « وابل هوامل : مسيبة لاراعى لها . أراد أنا وجدنا طرد الإبل المهملة وسوقها سلا وسرقة ، أهون علينا من مسألة الناس والتباكى إليهم » وفى هامش اللسان ١٦/١٦٨ أن الصاغانى صوب زيادة مشطور بين المشطورين وهو : « بين الرسيسين وبين عاقل »

(٥) فى اللسان « ملقوحة : بمعنى ملقحة ، والمعنى أنها عدة لا تصح لأن بطن الحائل لا يكون فيه سقب ملقحة »

(٦) ديوانه ٢٨٥ و ط « يعلون » ومعناها : يظهرون على أعدائهم

من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ أنَّ قَوْماً يُخْلقُونَ منيَّــةً ... منْ بأْسِهِمْ كانُوا بنى جِبرِيلا[١]

* * *

٢٣ ـ وأخذ قوله :

لَوْ كان فى الدُّنْيا قَبِيلٌ آخَرٌ ... بإزائِهِمْ ما كانَ فِيها مُعْدِمُ

من قول بشار :

لَوْ كانَ مِثلكَ آخَرٌ ... ما كانَ فى الدُّنيَا فَقيرْ[٢]

* * *

٢٤ ـ وقال فى قوله :

رمذا الصُّدودَ فلَمَّا اقتاد أَرْسُنَنَا ... حَنَّتْ حَنِينَ عَجُولٍ بَيْنَنا الرَّحِمُ[٣]

من قول الأسود بن يَعْفُر :

سَمَا بصَرى لمَّا عَرَفْتُ مكانَهُ ... وَأَطَّتْ إلىَّ الْوَاشجَاتُ أَطيطَا[٤]

٢٥ ـ و [قال] : أخذ قوله :

صَفْرَاءُ صُفْرَةَ صِحَّة قَدْ رَكَّبَتْ ... جُثمانَهُ فى ثَوْبِ سُقْمٍ أصفرِ[٥]

من قول على بن أديم[٦] الكوفى :

---

(١) ديوانه ٥٠ ، ٣٦ (طبع الهند)

(٢) البيت له فى الأغانى ٣/٣٩ فى مدح عقبة بن مسلم ؛ وقبله :

يا واحد العرب الذى ... أمسى وليس له نظير

وقد عاد صاحب الأغانى فذكر ٣/٩٠ أن البيتين لابن المولى فى مدح يزيد بن حاتم .

(٣) ديوانه ١٠ ؛ وفى اللسان ١٣/٤٥٤ « العجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها الثكلى لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعاً »

(٤) أطت : أنت حنيناً . والمراد بالواشجات : القرابات المشتبكة المتصلة

(٥) ديوانه ١٣٩٦

(٦) فى معجم الشعراء ٢٨٣ « على بن أديم الكوفى البزاز ، كان فى صدر الدولة العباسية ..» وفى ط « على بن رزين » وفى المعجم ٢٨٣ « على بن رزين الخزاعى ، هو أبو دعبل بن على الشاعر » وفى جمهرة الأنساب ٢٢٩ « على بن رزين بن على بن رزين ابن أخى دعبل »

بَيْضَــاءُ رُعْبُوبَةٌ صفْرَاءُ مِنْ غَيْرِ [داءِ]

* * *

٢٦ ــ وقال فى قوله :

* لمْ تَكْمَدِى فَظَنَنْتِ أَنْ لَمْ يَكْمَدِ[1] *

من قول بعضهم :

لا تُنْكِرِى جَزَع المُحِبِّ ؛ فإِنَّهُ يطْوِى على الزَّفَرَاتِ غَيْرَ حشَاكِ

[وأَخذه من قول مسلم :

قــد أَوْلعَتْهُ بطول الهجرِ غِرَّتُه لو كان يعرف طعم الهجر ماهَجَرا ][2]

* * *

٢٧ ــ وقال فى قوله :

سقى الغَيْثُ غَيْثاً وَارَتِ الأَرْضُ شَخْصَهُ
وَإِنْ لمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلا قَطْرُ[3]

من قول شقيق بن سُلَيْك العامرى[4]

* سَقاكَ الْغيثُ إِنك كُنْتَ غَيثَا *

* * *

٢٨ ــ وقال قوله :

أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ الْحادِثاتِ مُحَمَّدًا يكُونُ لِأَثْوابِ الندى أَبَدًا نَشْرُ ؟[5]

---

(١) صدره : « كشف الغطاء فأوقدى أو أخمدى » ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٢/٤٣ لم تكمدى أى لم تعشق فظننت بى مثل ذلك . يقول : قد باح السر ، فإن شئت فلومى وإن شئت فذرى » .

(٢) ديوانه طبع الهند ١٢٠ « طول الهجر» الغرة : الغفلة عن تجربة الأمور . يقول : تذيقنى العذاب بهجرها وتأتى ذلك بجهل عما ألاقى ، فلو عرفت ذلك ما هجرتنى » وما بين القوسين ليس فى ك

(٣) ديوانه ٣٧٠

(٤) هذا يوافق ما فى عيون الأخبار ٤/٦٢ وفى ط « عقيق بن سليك » وفى م ، ك « شقيق بن سليل الغاضرى » وجاء فى قصيدة لمهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليباً :

سقاك الغيث إنك كنت غيثا ويسراً حين يلتمس اليسار

(٥) ديوا ٣٦٩ وهبة الأيام ١٤٦ و ط « لأثواب العلى »

من قول أبي نواس :

طَوَى المَوْتُ ما بَيْنى وبَيْنَ مُحَمَّد وَلَيْس لِمَا تَطْوِى المَنِيَّةُ ناشِرُ(١)

* * *

٢٩ ـ وقال فى قوله(٢) :

* وَمِنَ الْعَجَائِبِ ناصحٌ لا يُشْفقُ(٣) *

من قول المخبَّل :

لن يَعْدَمَ الْغاوى على الْغَىِّ لائماً وَإِنْ هُوَ لمْ يُشْفِقْ عليهِ يلُومُ(٤)

* * *

٣٠ ـ وقال فى قوله(٥) :

مَنْ شَرَّدَ الإِعْدَامَ عَنْ أَوْطانه بالبذل حتى اسْتُطْرِفَ الإِعدامُ(٦)

من قول الأعشى :

هُمْ يَطْرُدُونَ الفقْرَ عَنْ جَارِهِمْ حَتَّى يُرَى كالْغُصْنِ النَّاضِرِ(٧)

وفى بيت أبى تمام زيادةٌ حسنة ، وهى قوله : «حتى استطرف الإعدام» .

* * *

(١) ديوانه ١٢٩ و ١٠٨ طبع الحلبى وأخبار أبى نواس ١/٧٠ والنقد ٣/٢٥٤

(٢) ط «وقوله أيضاً»

(٣) فى ديوانه ٤٩٩

عمرى لقد نصح الزمان وإنــه لمن العجائب ناصح لا يشفق

(٤) حماسة البحترى ٢٣٦ و ط «ولا يعدم»

(٥) ط «وأخذ قوله»

(٦) ديوانه ٢٨٠

(٧) ديوانه . . .

٣١ ـ وقال فى قوله :

حَلَفْتَ ، إنْ لمْ تَثَبَّتْ ، أنَّ حافِرَهُ
مِنْ صخرِ تَدْمُرَ أوْ مِنْ وجْهِ عُثْمانِ[١]

من قول الآخر :

لَوْ أنَّ حافِرُ بِرْذَوْنِى كأوْجُهِكُمْ بنى بُدَيلٍ لَما أنْعَلْتُهُ أبدًا[٢]

[ باب ]

ومما نسبه ابن أبى طاهر فيه إلى السَّرَق وليس بمسروق ؛ لأنه مما يشترك الناسُ فيه من المعانى ، ويجرى على ألسنتهم .

ومنه ما نسبه إلى السَّرَق والمعنيان مختلفان .

٣٢ ـ [ فمما نسبه إلى السرق وليس بمسروق ] قول أبى تمام :

ألَمْ تَمُتْ يا شَقِيقَ الْجُودِ من زَمَنٍ فقالَ لى : لمْ يَمُتْ مَنْ لمْ يَمُتْ كَرَمُهُ[٣]

وقال : أخذه من [ قول ] العتَّابى :

رَدَّتْ صَنائِعُه إلَيْهِ حَياتَهُ فَكأنَّهُ مِنْ نَشْرِها مَنْشُورُ[٤]

ومثل هذا لا يقال فيه مسروق ؛ لأنه قد جَرَى فى عادات الناس ـ إذا مات الرجل من أهل الفضل والخير ، وأثنى عليه بالجميل ـ أن يقولوا : ما مات مَنْ خلَّف مثل هذا الثناء ، ولا من ذُكر بمثل هذا الذكر . وذلك شائع فى كل أمة ، وفى كل لسان[٥] :

---

(١) ديوانه ٢٠١ طبع مصر والصناعتين ٣٩٩ والعمدة ٢/٣٨ ودوان المعانى ١/١٩٨ وزهر الآداب ٢/١٠١٥ ومعجم الأدباء ١٩/٢٥٠ وأبار أبى تمام ٦٨ وإعجاز القرآن ١٥٨ ويريد بعثمان : عثمان بن إدريس السامى .

(٢) ط « لو كان »

(٣) ديوانه ٣٨٧ و ط « مذ زمن »

(٤) فى الكامل ٣/١١٩٧ من أبيات لقطرب فيما يرى الأخفش .

(٥) م « كل إنسان »

٣٣ – وقول أبي تمام :

إذا عُنِيتُ بِشَيءٍ خِلْتُ أَنِّيَ قَدْ أَدْرَكْتُهُ ، أَدْرَكَتْنِي حِرْفَةُ الأَدَبِ[١]

قال : أخذه من قول الخُرَيْمِىّ :

أَدْرَكَتْنِي – وذاك أول دأبي – بِسِجِسْتَانَ ، حِرْفَةُ الآدَابِ[٢]

و « حرفة الآداب » لفظة قد اشترك فيها الناسُ ، وكثرت على الأفواه ، حتى سقط أن [ نظن أن ] واحدًا يستملها من آخر .

هذا قول ابن أبي طاهر ، ولم يقل أبو تمام : « أدركتني حرفة الأدب » ؛ إنما قال : « أدركتني حرفة العرب » . وقد ذكرتُ غلطه في هذه اللفظة عند ذكر البيت في الموازنة .

* * *

٣٤ – وقال في قوله :

لَوْ يَعْلَمُ العافُونَ كَمْ لَكَ في النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ أو فرحةٍ ، لَمْ تُحْمَدِ[٣]

أخذه من قول بشار :

لَيْسَ يُعْطِيكَ للرَّجاءِ وَلاَ الخَوْ فِ ، وَلٰكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ الْعَطاءِ[٤]

وما إخاله احْتَذَى في هذا البيت[٥] على قول بشار : لأن بشارًا قال : [ إنه ] ليس يعطيك رغبة في جزاء يرجوه ولا خيفة من مكروه ، ولكن لالتذاذه العطيةَ .

---

( ١ ) ديوانه ٤٧١ « عنيت لشأو »

( ٢ ) ط « بذاك أولى دائى »

( ٣ ) شرح التبريزى ٢/٥٢١ وهامش ك « لذة وقريحة » وفى ديوانه ١١٣ « من فرحة وقريحة لم تخمد » بالخاء المعجمة ، وهو تحريف ، وإن خرجه الشيخ محيى الدين ناشر ط «على أن هذه الجملة صفة لقريحة » !

( ٤ ) ديوانه ١/١١١ والأغانى ٣/٤٤ والمختار من شعر بشار ٩٣

وأراد أبو تمام أن الطالبين لو علموا التذاذه للندى لم يحمدوه . فالمعنيان إنما اتفقا من طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط . وهذا ليس من بديع المعانى التى يختص بها شاعر [ دون غيره ] ، فيقال : إن واحدًا أخذه من الآخر ؛ لأن العادة جارية بأن يقال : فلان لا يعطى متكارهاً ولا متكلِّفاً ؛ بل يُعْطى عن نية صادقة ، ومحبة لبذل المعروف تامة . ونحو هذا من القول .

* * *

٣٥ ـ وقال فى قوله :

* لَوْ كانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الحَيِّ فى فحَمٍ[٢] *

من قول الأغلب :

قَدْ قاتَلُوا لوْ يَنْفُخُونَ فى فَحَمْ ما جَبُنُوا ولا تَوَلَّوْا منْ أَمَمْ[٢]

وهذا معنى شائع من معانى كلام[٣] العرب ، وجارٍ فى الأمثال أن يقولوا : قد فعلت كذا ، واجتهدت فى كذا لو كنت أنفخ فى فحمٍ ؛ لأن النفخ فى الفحَم يُحيِي النار ويشعلها ، والنفخ فى حطب ـ ليس بفحم[٤] ولا أَخَذَتِ النار فيه ـ لا يُورِى نارًا .

* * *

٣٦ ـ وقال فى قوله :

* وَالمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤال سَؤُولِ

( ١ ) ليست فى م

( ٢ ) صدره « لم يألكم مالك صفحاً ومغفرة » ديوانه ٢٦٩

( ٣ ) فى اللسان ١٥ / ٣٤٤ « وفى المثل : لو كنت أنفخ فى فحم ، أى لو كنت أعمل فى عائدة ، قال الأغلب العجلى : هل غير غار هد غاراً فانهدم * قد قاتلوا لو ينفخون فى فحم *وصبروا لو صبروا على أمم * يقول : لوكان قتالهم يغنى شيئاً ، ولكنه لا يغنى ، فكان كالذى ينفخ ناراً ولا فحم ولاحطب ، فلا تتقد النار . يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمراً لايجدى عليه » وانظر مجمع الأمثال ٢ /١٨٦ وإصلاح المنطق ١١٠

( ٤ ) من ك

( ٥ ) ط « بفحم إذا أخذت » وهو تحريف يفسد المعنى .

من قول محمود(١) :

فارْغَبْ إلى مَلكِ المُلوكِ ، ولَا تكُنْ
بادِي الضَّراعةِ طَالباً مِنْ طالِب

ومثل هذا لا يكون مسروقاً ؛ لأنه جار على الألسن أن يقال : وقع سائل على سائل ، ومُجْتَدٍ على مجتد(٢) ، ووقع البائس على الفقير ، وأمثال هذا.

* * *

٣٧ – وقال فى قوله :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌّ آلِفٌ لِلحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ(٣)

من قول أعرابى :

هِمَّتُهُ قَدْ عَلَتْ وقُدْرَتُهُ فى اللَّحْدِ بَيْنَ الثَّرَى مَعَ الكَفَنِ(٤)

وهذا أيضاً من المعانى المشتركة الجارية فى العادة أن يقولوا : همته فى عَلاءٍ وجده فى سَفال ، وهمته ناطقة وجَدُّه أخرس ، وهمة ذات حِرَاك وجَدّ ساكن ، وهمة فلان ترفعه وجَدُّه يَضَعه ، وأشباه هذا .

* * *

٣٨ – [ ومما نسبه إلى السرق والمعنيان مختلفان قوله ] :

تُقَبِّلُ الرُّكْنَ رُكْنَ الْبَيْتِ نافِلَةً وظَهْرُ كفِّكَ مَعْمُورٌ مِنَ القُبَلِ(٥)

[ وزعم أنه ] من قول عبد الله بن طاهر :

أَعْلَتْ لَهُ ذِكْرَهُ فكافأها بأَنْ توالت فى ظَهْرِها القبلُ(٦)

---

(١) هو محمود الوراق .

(٢) فى الطبعة الثانية من ط « ومجتهد على مجتهد » وهو تحريف واضح الفساد .

(٣) ديوانه ١٨١ وشرح التبريزى ٢/٢٨٩ والصناعتين ٢٢٦ وأخبار أبى تمام ٨٧ والموشح ٣٣٢ وديوان المعانى ١/١٠٩ والوساطة ٣٥٠

(٤) البيت غير منسوب فى شرح التبريزى ٢/٢٨٩

(٥) ديوانه ٢٥١

(٦) ط « مكافأة بأن توالى »

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر قُبَل الكف . وهذا ليس من المعانى المبتدَعَة ؛ لأن الناس أبدًا يقولون : ما خُلق وجههُ إلا للتحية وكَفّه إلا للتقبيل [١] .

كما قال دِعْبِل :

فَبَاطِنُهــا لِلنَّدَى وَظَاهِرُها للقُبَلْ [٢]

ومثل هذا مما نطقوا به كثيرًا ؛ فلا يكون عندى مسروقاً [٣]

* * *

٣٩ ـ وقال فى قوله :

نَظَرَتْ فالْتَفَتُّ مِنْها إلى أحْـ لَى سَوَادٍ رَأَيتُه فى بَيَاضِ [٤]

من قول كُثَيِّر :

وَعَنْ نَجْلاءَ تَدْمَعُ فى بَيَاضٍ إذا دَمَعَتْ وتَنْظُرُ فى سَوَادِ

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر البياض والسواد ، والألفاظ غير محظورة . وأبو تمام إنما [٥] قال : « فالتفت منها إلى أحلى سواد » يعنى حدقتها ، « فى بياض » يعنى شَحْمة عينها . [وهذا هو الصحيح ، وقد قيل : سواد عينها] [٦] فى بياض وجهها ، وكُثَيِّر أراد أن عينها تدمع فى بياض إذا دمعت ، يريد خَدّها ، وتنظر فى سواد ، يريد حدقتها . وهذا المعنى [٧] غير ذاك .

---

(١) ط « للقبل »

(٢) البيت لإبراهيم بن العباس الصولى فى الأغانى ٩/٢٩ وديوان المعانى ٢/٢١٥ والصناعتين ٢٢٤ وحماسة ابن الشجرى ١١٥ وزهر الآداب ١/٣٠١ ونهاية الأرب ٢/٩٤

(٣) م « فلا تكون مسروقة »

(٤) ديوانه ١٨٧ وشرح التبريزى ٢/٣٠٩

(٥) ليست فى م

(٦) الزيادة من ط

(٧) ليست فى م

* * *

٤٠ ـ وقال فى قوله :

كَمْ مِنْ يَدٍ لوْلا ما أُخَفِّفُها ... بهِ منَ الشُّكْرِ لم تُحْمَلْ ولم تُطَقِ[١]
باللهِ أَدْفَعُ عَنِّى ثِقْلَ فادحِها ... فإنَّنى خائفٌ منهْا على عُنُقى[٢]

من قول أبى نواس[٣] :

لا تُسْدِيَنَّ إلىَّ عارفَةً ... حتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ ما سَلَفا[٤]

[ والمعنيان مختلفان : لأَن أبا نواس قال ] :

أَنْتَ امرؤٌ جَلَّلْتَنى نِعَماً ... أَوهَتْ قُوَى شُكرِى فقَدْ ضَعُفَا[٥]

فذكر أن نِعَم الممدوح قد غلبت الشكر ، فاستعفاه[٦] من نعمة أخرى حتى يقوم بشكر السالفة .

وأبو تمام قال : لولا ما أخففها به من الشكر لم أطق حملها ، ثم أحسن وألطف فى قوله : « فإننى خائف منها على عنقى » .

ومعنى أبى نواس أجود وأبرع .

* * *

٤١ ـ وقال فى قوله [ ويدخل فى الباب الأَول ] :

أَعْمِلِ التَّنْفَ والطِّلاء وقِدْماً ... كانَ صَعْباً أَن تُشْعَبَ القَارُورَهْ[٧]

---

( ١ ) ديوانه ٢٠٩ وشرح التبريزى ٢/ ٤٠١ « يامنة لك »

( ٢ ) ويروى « حق فادحها » قال الصولى : « وهذا البيت من الغاية التى لم يسبق إليها »

( ٣ ) ط « أبى نواس والمعنيان مختلفان لأن أبا نواس قال » وهو اضطراب فى نسق الكلام .

( ٤ ) ديوانه ٧١ وقبله :

قد قلت للعباس معتذراً ... من ضعف شكريه ومعترفا

والأبيات فى ديوان المعانى ١/ ١٢٧ وعلق عليها أبو هلال بقوله : « وهو أول من أتى بهذا المعنى ، إلا أنه عبر عنه عبارة طويلة ، وأحد أدواء الكلام فضل ألفاظه على معانيه » وانظر زهر الآداب ١/ ٣٢٢ والصناعتين ٢١٥ وشرح المقامات للشريشى ١/ ٢٦٨

( ٥ ) ط « فقد »

( ٦ ) فى م ، ط : فاستعفى

( ٧ ) ط « وقديماً »

من قول الأعشى :

كَصدْعِ الزُّجاجَة لا تَستَطيـ ... ـعُ كَفُّ الصَّناعِ لها أَن تُحيرَا[1]

وهذا معنى [مبتذل] متداول مشهور من معانيهم فى الزجاج ، قد نطق به الناس . وأكثروا فيه ، حتى سقط أن يقال : إن أبا تمام أخذه من الأعشى ، وقد تقدم فيه المسيَّب بن عَلَس ، فقال :

بانَتْ وَصَدْعٌ فى الفؤاد لها ... صَدعَ الزُّجاجَةِ لَيْسَ يَتَّفِقُ[2]

[وقال آخر :

* كصدع الزجاجة لا يلتئمْ *

وقال آخر :

* مثل صدع الزجاجةِ أعْيَا الصَّنَاعا *

وكما قال الآخر :

وتَفَرَّقَتْ نِيَّاتُهُمْ فَتَصَـدَّعُوا ... صَدْعَ الزُّجاجَةِ ما لَها تيفَاقُ

ومثله كثير .

* * *

٤٢ — وقال فى قوله :

إذا سَيْفُهُ أَضْحَى على الْهَامِ حاكماً ... غَدا العَفْوُ مِنْهُ وهْوَ فى السَّيْفِ حاكمُ[3]

من قول مسلم بن الوليد :

يَغْدُو عَدُوُّكَ خائفاً ؛ فإذا رأى ... أَنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى العِقَابِ رجاكا[4]

(١) ديوانه ٦٧ « ما تستطيع » وفى ط بعد البيت : « قلت : وقد وقع فى شعر الأعشى أيضاً قوله :

فبانت وفى الصدر صدع لها ... كصدع الزجاجة لا يلتئم

وهى زيادة كاتب على الكتاب أدخلها الناسخ والطابع فى صلبه . وفى ديوان الأعشى ٢٨ « صدع بها »

(٢) فى ط ، م « وصدع القلب كان لها » والبيت فى الشعر والشعراء ١ / ١٣٠

(٣) ديوانه ٢٨٧

(٤) ط « يعدو » و م « على العقاف »

والمعنيان مختلفان : لأن أبا تمام قال : إذا حكم سيفُ[١] الممدوح على الهام حكم عفوه على السيف .

ومسلم قال : إن عدوَّ الممدوح يخافه ؛ فإذا رأى أن قد قدر على العقاب رجاه ؛ فليس هذا المعنى[٢] من ذلك فى شىء .

* * *

٤٣ – وقال فى قوله :

فإنْ هَزِئْتُمْ سَلَلْنَاهَا وقَدْ غَنِيَتْ دَهْرًا وهَامُ بَنِى بَكْرٍ لها غِمْدُ[٣]

من قول سعد بن ناشب[٤] :

فإن أَسْيَافَنَا بيض مُهَنَّدَةٌ عُتْقٌ ، وآثارُها فى هامكم جُدُدُ[٥]

والمعنيان مختلفان ؛ لأن أبا تمام قال : «وهام بنى بكر لها غمد» ؛ وهذا قال : «وآثارها فى هامكم جدد» فهذا غير ذاك .

[ وقال فى قوله :

رُمْنَا الصُّدودَ فلما اختار أُلْفَتَنَا حنَّت حنين عَجُولِ بيننا الرَّحِمُ

من قول الأسود بن يَعْفُر :

سما بصرى لمَّا عرفت مكـــانَه وأَطَتْ إلىَّ الوَاشِجَاتُ أَطِيطا

فهذا قال : إنه لما عرفه أطت إليه الواشجات أى الحقوق والقرابة والرحم .

(١) م «السيف»

(٢) ليست فى م

(٣) م «فإن هربتم . . فقد» وفى ديوان المعانى ٢/٥١ :

وإن هربتم سللناها فما غمدت إلا وهام بنى بكر لها غمد

(٤) م «ابن ثابت» وهو على الصواب فى ديوان المعانى ٢/٥١

(٥) م «فإن . . بيضا» و ط «فى هامهم»

أى حنت إليه . وأبو تمام قال : لما صددنا وفارقنا الألفة حنت بيننا الرحم فهذا كقول قيس بن الخَطِيم فى حربهم :

لمـــا بدت نحـــونا جباهُهُم حنَّت إلينا الأَرْحَامُ والصُّحُفُ

أى لما صافّونا للحرب حنت إلينا الرحم والصحف . يريد العهود ، والله أعلم ] [1]

* * *

٤٤ ـ وقال فى قوله :

فَلو كانتِ الأَرْزَاقُ تَجرِى على الحِجَى هَلَكْنَ إذًا مِن جَهْلِهِنَّ البَهائمُ [2]

من قول أبى العتاهية :

إنَّما النَّاسُ كالبَهائمُ فى الرِّزْ قِ ، سَواءٌ جَهُولهُمْ والحَليمُ [3]

وبين المعنيين خلاف ؛ لأن أبا العتاهية أراد أن رزق كل نفس يأْتيها جاهلةً كانت أو حليمة [4] كما يأْتى البهائم . وهذا قائم فى الفطر والعقول ؛ تتفق [5] الخواطر فى مثله .

وأبو تمام قال : إن الرزق لو جرى على قَدْر العقل [6] لهلكت البهائم [من جهلها] . وهذه زيادة فى المعنى حسنة ، وإن كان إلى معنى [7] أبى العتاهية يؤول .

* * *

(١) ما بين القوسين من ك

(٢) ديوانه ٢٨٦ « كانت الأقسام » وفى م « الأقدار »

(٣) ديوانه ص ٣٤٠ . جامعة دمشق

(٤) ط « أو عالمة » !

(٥) ط « فتتفق »

(٦) ط « قدر أهله »

(٧) ط « إلى مذهب »

٤٥ ــ وقال فى قوله :

وأَشْجَيْتُ أَيَّامى بِصَبرٍ حلَوْنَ لى عَواقبُه ، والصَّبرُ مُرٌّ عواقبهْ

[ كذا رواه ابن أَبى طاهر ] [١] .

من قول أَبى الشِّيص :

يُصَبِّرِنى قومٌ بَرَاءٌ من الهوَى وللَصَّبرُ تارَاتٍ أَمرٌ مِن الصَّبرِ

فقول[٢] الناس : الصبر مر ، والصبر كاسمه صبر . وقولهم : الصبر محمود العاقبة ، وإن كان مرًّا . لا يكون [ مثل هذا ] [٣] مسروقاً[٤] فيقال : إن واحدًا أخذه من آخر ، فقال أبو الشيص[٥] : إن للصبر تارات يكون فيها أمرَّ من الصبر ، أى : له تارات يكون فيها شديدَ المرارة . وقال أَبو تمام[٦] : أَشجيت أيامى بصبر حلت لى عواقبه ، ثم قال : والصبر مر عواقبه ، يريد فى الحلق [أى] لو جرعتهُ لكان مقطعه شديدَ المرارة ؛ وإنما قال هذا ليجمع[٧] فى البيت[٨] حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه .

هذا تفسيره على ما رواه ابن أَبى طاهر ، ولم يقل أَبو تمام : والصبر مر عواقبه ، وإنما قال : «والصبر مثل اسمه صبر[٩] » .

* * *

(١) بعد هذا فى هامش ك : ع كذا رواه ابن أبى طاهر وهو فى شعره : «والصبر مثل اسمه صبر »

(٢) م « فيقول »

(٣) من ك

(٤) م « لا يكون مثل هذا مسروقاً »

(٥) ط « وقول أبى الشيص »

(٦) ط « وقول أبى تمام » وفى ك : وقال أبو تمام : إنى أشجيت

(٧) ط « ليجتمع له »

(٨) من ك

(٩) ديوانه ٤٧٥

٤٦ – وقال فى قوله :

لئِن ذَمَّتِ الأَعداءُ سُوءَ صَباحِها فلَيْسَ يؤدِّى شكْرَها الذِّئْبُ والنَّسْرُ[١]

من قول مسلم [بن الوليد] :

لَوْ حاكَمْتكَ فَطالَبَتْكَ بِذَحْلِها شَهِدَتْ عَلَيكَ ثَعالِبٌ ونُسُورُ[٢]

وذِكْرُ وقوعِ الذئاب وغيرها والنسور وما[٣] سواها من الطير على القَتْلَى – مَعْنًى متداول ومعروف ، وهو فى بيت أبى تمام غيره فى بيت مسلم ؛ لأَن مسلماً قال لممدوحه : لو حاكمتك – يريد الفِرْقة أو العُصَب التى لقيتْكَ – فى مطالبتك بمَنْ قتلتَ منها ، لشهدَتْ عليك الثعالب والنسور .

وأَبو تمام قال على سبيل الاستهزاء : لئن ذَمَّتِ الأَعداءُ سوءَ صباحها ، فليس يؤدِّى الذئب والنسر شكرها ؛ لكثرة ما أَكلا منها . وهذا المعنى[٤] غير ذاك[٥] ، والله أَعلم .

---

(١) ديوانه ٤٧٧

(٢) ديوانه ١٢٥ . « عليك ملاحم » وفى م « مطالعتك بذحلها »

(٣) م « وبما »

(٤) م « من أكلا . . فهذا معنى »

(٥) جاء فى ك بعد ذلك : « تم الجزء الأول من الموازنة ، على ما جزأه مؤلفه ، والحمد لله كثيراً ، وصلى الله على محمد عبده و رسوله ، وسلم تسليما »

# الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

[ قال أبو القاسم : الحسنُ بن بشرٍ بن يَحيى الآمِدِيُّ عفا الله عنه ] [١] :

قد ذكرتُ فى الجزء الأول احتجاجَ كل فرقة من أصحاب أبى تمام [٢] والبُحْتُرِى على الأُخرى فى تفضيل أحدهما على الآخر ، وقلت : إنى أبتدئُ - بعد هذا [٣] - بذكر معايبهما ؛ لأَختم الكتاب بوصف محاسنهما ؛ فأتبعت ذلك بما خَرَّجْته من سَرِقات أبى تمام وبَيَّضت آخر الجزءِ لأُلحق به ما وجدته منها فى دواوين الشعراء فعلَّمت عليه ، وما [ لعلى ] أجده بعد ذلك ؛ فإنه كثير السرق [ جدًّا ] .

وقد سمعت أبا على : محمدَ بن العلاء السجستانى يقول : إنه ليس له معنًى انفرد [ به ] واختَرَعَه إلا ثلاثة معان ، وهى قوله :

تـأْبَى عَلَى التَّصْرِيدِ إلا نَائِلاً ... إلا يَكُنْ ماءً قُرَاحاً يُمْذَقِ [٤]

نَزْرًا كما اسْتَكْرَهْتَ عائرَ نَفْحَةٍ ... من فأْرَةِ الْمِسكِ التى لم تُفْتَقِ [٥]

---

( ١ ) الزيادة من ط

( ٢ ) ط ، ك « تمام حبيب بن أوس الطائى وأبى عبادة الوليد بن عبيد الله البحترى »

( ٣ ) ط « هذا الباب »

( ٤ ) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزى ٢/٤٠٧ والتصريد : قطع الشرب وتنغيصه . والقراح من الماء الخالص الذى لا يمازجه غيره . « يقول : تأبى هذه المرأة المحبوبة مع تقليلها النوال ، إلا نيلا ممنوقاً غير خالص ، ووصلا مشوباً بالامتناع ، فلا تصافى الرجال ولا تترك الإطماع ، فيكون حبيبها أبداً معذباً من جهتها » ويروى « باتت على التصريد » وفى م ، ك « إلا يكن محضاً فراحاً نمنق »

( ٥ ) قال التبريزى : « أى نيلها عندى قليل كأنه عائر من ريح فأرة المسك . والعائر : أصله فى الخيل والسهام ، يقال : فرس عائر : إذا ذهب على وجهه فى الأرض . ويروى : « نزراً كما استنهكت » أى عطاء نزراً لا غناء فيه كالرائحة التى تفلت من فأرة مسك لم تفتق ، أى بعد نائلها كشمة من هذه الفأرة ، ولا تغنى هذه الشمة غناء ، فكذلك نائلها »

وقوله :

بَنِى مالِكٍ قَدْ نَبَّهَتْ خاملَ الثَّرَى قُبُورٌلكم مُسْتَشْرِفاتُ المَعالِمِ[١]
رَواكِدُ قِيسَ الْكَفِّ منْ مُتناوِلٍ وَفيها عُلًى لا تُرْتَقى بالسَّلالِمِ[٢]

وقوله :

وَإذا أَراد اللهُ نشرَ فضيلةٍ طُوِيَتْ أَتاحَ لها لسانَ حَسُود[٣]
لَوْلا اشتعالُ النَّارِ فيما جاوَرَتْ ما كانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو على ، بل أرى أن له — على كثرة ما أخذه من أشعار الناس ومعانيهم — مُخْتَرَعاتٍ كثيرةً ، وبدائع مشهورة ، وأنا أذكرها عند ذكر محاسنه بإذن الله .

[ وأما هذان المعنيان فقد رأيت مثلهما فى أشعار الناس ولعلى أن أخرجهما فيما أخرج من سرقاته ] [٤] .

ومع هذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقاتِ من كبير عيوبه ؛ لأنه بابٌ ما يَعْرَى منه أحد من الشعراء إلا القليل ، بل الذى وجدتهم يعيبونه[٥] كثرة خطائه وإخلاله وإحالاته[٦] ، وأغاليطه فى المعانى والألفاظ

وتأملت الأسباب التى أدَّته إلى ذلك فإذا هى ما رواه أبو عبد الله محمدُ ابن دواد بن الجرَّاح فى كتاب « الورقة » عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن محمد[٧] [ الطائى ] أن أبا تمام يريد البديعَ فيخرج إلى

---

(١) ديوانه ٣٨٦

(٢) فى الديوان : « رواكد قيد الشبر »

(٣) ديوانه ٨٥ وشرح التبريزى ١/٤٠٢

(٤) ما بين القوسين من ك

(٥) فى ك : « ينعونه »

(٦) ط « وجدتهم ينعونه عليه كثرة غلطه وإحالته »

(٧) ط « بن أحمد »

المُحَال(١) .

وهذا نحوُ ما قاله أبو العباس : عبد الله بن المعتزّ بالله فى كتابه الذى ذكر فيه البديع(٢) .

وكذلك ما رواه محمد بن دواد عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه : أن أول من أفسد الشعر : مُسْلم بن الوليد ، وأن أبا تمام اتبعه وسلك فى البديع مذهَبَه فتحير فيه . كأنهم يريدون إغراقَه فى طلب(٣) الطِّبَاق والتجنيس والاستعارات ، وإسرافه فى التماس هذه الأبواب وتوشيحِ شعره بها ، حتى صار كثيرٌ مما أتى [ به ] من المعانى لا يُعْرَف ولا يعلم غرضه فيها إلا بعد الكَدِّ والفكر وطول التأمل ، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحدْسِ ، ولو كان أخذَ عفْوَ هذه الأشياء ولم يُوغِلْ فيها ، ولم يجاذب الألفاظ والمعانى مجاذَبة ويَقْتَسرها مُكارَهة ، وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجمامه(٤) غير مُتْعَب ولا مكدود ، وأورد من الاستعارات ما قرُب وحسن(٥) ، ولم يُفْحش ، واقتصر من القول على ما كان محذوًّا [ على ] حَذْوِ الشعراء المحسنين — ليسلم من هذه الأشياء التى تُهَجِّن الشعر وتذهب بمائه ورونقه ، ولعل ذلِك أن يكون ثلثَ شعره أو أكثر منه — لظننته كان يتقدَّم عند أهل العلم بالشعر أكْثَرَ الشعراء المتأخرين ، وكان قليله حينئذٍ يقوم مقامَ كثير غيره ؛ لما فيه من لطيف المعانى ومستغرَب الأوصاف(٦) ، لكنه شَرِهَ إلى إيراد

---

(١) هذا النص من الأقسام الضائعة من كتاب الورقة . وقد ذكر المؤلف فيما مضى ص ١٩

(٢) البديع ٥٥

(٣) ط « إسرافه فى طلب »

(٤) ط « بجهامه » !

(٥) فى ط ، م : « قرب فى حسن »

(٦) فى ط ، م « الألفاظ لكن »

كل ما جاش به خاطره ولَجْلَجَهُ فكرهُ ، فخَلط الجيدَ بالردىء ، والعينَ النادر بالرَّذْل الساقط ، والصوابَ بالخطأ . وأفرط المتعصبون له فى تفضيله ، وقدَّموه على من هو فوقه من أجل جيده ، وسامحوه فى رديئه ، وتجاوزوا له عن خطائه ، وتأولوا له التأول البعيد فيه . وقابل المنحرفون عنه إفراطاً بإفراط فبَخَسُوه حقه ، واطَّرحوا إحسانه ، ونَعَوا سيئاته[١] ، وقدَّموا عليه مَنْ هو دونه . وتجاوز بعضُهم ذلك إلى القدح[٢] فى الجيد من شعره ، وطعن فيما لا مطعن عليه فيه[٣] ، واحتجَّ بما لا تقوم حجة به ، ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قولا حتى ألَّف فيه[٤] كتاباً ، وهو أبو العباس : أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلي المعروف بالعزيز[٥] ، ثم ما علمته وضع يده من غلطه وخطائه إلا على أبيات يسيرة ، ولم يُقم على ذلك[٦] الحجة ، ولم يهتد لشرح العلة ، ولم يتجاوز فيما نعاه[٧] بعدها عليه الأبياتَ التى تتضمن بعيد[٨] الاستعارة وهجين اللفظ . وقد بينت غلطه[٩] فيما أنكر [ عليه ] من الصواب فى جزء مفرد[١٠] إن أحَبَّ القارئ [ له ] أن يجعله من جملة هذا الكتاب ويصِلَه بأجزائه فَعَلَ ذلك إن شاء الله تعالى : فإن الذى[١١] تضمَّن يدخُل فى محاسن أبى تمام التى ذكرتُ أنى أختِم كتابى هذا بها وبمحاسن البحترى .

* * *

(١) فى ك « إساءاته »
(٢) م « وبعضهم تجاوز ذلك أن قدح »
(٣) فى ط ، م « فيما لا يطعن فيه »
(٤) ط « ألف فى ذلك »
(٥) ط « المعروف بالفريد »
(٦) م ، ك « لم يقم فيها على الحجة »
(٧) م « بغاه »
(٨) ط « بعد »
(٩) ط « خطأه »
(١٠) م « جزء مطرد »
(١١) ط « فالذى »

وأنا الآن أذكر ما غَلِط فيه أبو تمام من المعانى والألفاظ ، مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المذاكرة والمفاوضة ، وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته ، بعد أن أسقطت منه كلَّ ما احتمل التأويل ، ودخل تحت المجاز ، ولاَحَتْ له أدنى علة .

* * *

وأنا أبتدئ بالأبيات التى ذكرتُ أن أبا العباس أنكرها ، ولم يُقِم الحجة[1] على تبيين عيبها وإيضاح الخطإ فيها ، ثم أستقصى الاحتجاجَ فى جميع ذلك ؛ لعلمى بكثرة [ المعارضين و ] مَنْ لا يجوّز على [ هذا ] الشاعر [ الغلط ] ، ويوقع له التأول البعيد ، ويورد الشبه والتمويه . وبالله أستعين، وهو حسبى ونعم الوكيل .

١ ـ أنكر أبو العباس : أحمد بن عُبيد الله على أبى تمام قوله :

هادِيهِ جِذْعٌ مِنَ الأَراكِ ، وما تحت الصَّلا مِنْهُ صَخْرَةٌ جَلْسُ[2]

وقال : هذا من بعيد خطائه أن شَبَّه عُنُقَ الفرس بالْجِذْع ، ثم قال «جذع من الأراك» ومتى رأى عيدان الأراك تكون جذوعاً ؟ أو تشبه بها أعناق[3] الخيل !

وأخطأ أبو العباس فى إنكاره على أبى تمام أنْ شبَّه عُنُقَ الفرس بالجذع، وتلك[4] عادة العرب ، وهو فى أشعارها أكثر من أن يحصى ، وقد بينت ذلك فيما غلط فيه أبو العباس على أبى تمام .

---

(١) سقطت من م ، ك

(٢) ديوانه ١٦٧ وشرح التبريزى ٢/٢٢٦ « خلف الصلا » وهاديه : عنقه ، والعرب تشبه هوادى الخيل بجذوع النخل ، وإنما اختار الطائى جذع الأراك لأنه أملس . والصلا : واحد الصلوين وهما عظمان يكتنفان الذنب . وصخرة جلس : أى صلبة ثقيلة

(٣) م « وتشبه بأعناق »

(٤) ط « وذلك »

وأصاب أبو العباس فى إنكاره أن تكون عيدانُ الأَراك جذوعاً ، وإن لم يلخص المعنى ؛ لأَن عيدان الأَراك لا تَغْلُظُ حتى تصير كالجذوع ، ولا تقاربها .

فإن قيل : فإن الشجرة من الأَراك قد تعظم حتى تصير دَوْحَةً يَسْتَظِل بها الجماعة من الناس والسِّربُ من الوحش ، وذلك معروف موجود ، وقد قال الراعى :

غذاه وحَوْلىٌّ الثَّرَى فوق مَتْنِهِ    مَدَبُّ الأَتِىِّ والأَرَاكُ الدَّوائحُ[1]

والدوائح [وهى] العِظام منه ، جمع دَوْحَة .

قيل : إن الأَمر وإن كان كذلك فى بعض شجر الأَراك من علوها وتشعب أَغصانها ، فإن قائم الشجرة وعيدانَها لا يغلظ ولا يمتلئُ امتلاءً يقارب الجذوع ولا ما هو دونها فى الغلاظ . ولو انتهت إلى هذه الحالة — وذلك غير معلوم — لما قيل لها أَيضاً جذوع ؛ لأَن الجذوع إنما هى للنخل[2] فقط .

وقد يقال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخلة [أيضاً : جذع] قال الراجز :

بِكلِّ طِرْفٍ أَعْوَجِىٍّ صَهَّالْ    يَمْشِى إذا ما قِيدَ مَشْىَ المُخْتالْ[3]

* تحتَ هَوادٍ كجُذوعِ الأَوْقالْ *

فقال : « كجذوع الأَوقال » جمع وقْلة وهى شجرة المقل ؛ لأَن فيها شبهاً من النخل من جهة الخوص والليف .

فإن قيل : فقد قال ذو الرمة :

---

(١) فى اللسان ٣/٢٦١ « غداة »

(٢) ط « الجذع إنما هو للنخلة »

(٣) أعوجى : فرس منسوب إلى أعوج ، وهو حصان تنسب الخيل الكرام إليه . والهادى : العنق ، وجمعه هواد .

وَهادٍ كَجِذْعِ السَّاجِ سامٍ يَقُودُهُ مُعَرَّقُ أَحناءِ الصَّبِيَّيْنِ أَشْدَقُ(١)

قيل : ذو الرمة إنما قال ذلك على التشبيه ؛ لأن العود من الساج يشبه الجذع المنحوت فى غلظه وهيئته ، وعودُ الأَراك منْ أبعد شيء من ذلك ؛ لأنه لا يمتد ولا يستوى استواءَ الجذع ولا غيره من أجناس الشجر التى تمتد أبدانها علوًّا امتدادًا مستوياً ، وذلك لدقته وشدة التوائه وتشعبه .

* * *

٢ - وأنكر أبو العباس قول أبى تمام :

رَقِيقُ حَواشى الحِلِم لوْ أنَّ حلمَهُ بِكفَّيْكَ ما مَارَيْتَ فى أَنَّهُ بُرْدُ(٢)

وقال : هذا [ و ] الذى أضحك الناس منذ سمعوه [ و ] إلى هذا الوقت . ولم يزد على(٣) هذا شيئاً .

والخطأ فى هذا [ البيت ] ظاهر ؛ لأَنى(٤) ما علمت أحدًا من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة ، وإنما يوصف بالعظم والرجحان والثقل والرزانة ، ونحو ذلك ، كما قال النابغة :

وَأَعْظَمُ أَحلاماً وَأَكثرُ سَيِّدًا وأَفضلُ مَشفوعاً إِليهِ وشافِعَا(٥)

وكما قال الأخطل :

شُمْسُ العداوَةِ حتَّى يُسْتَقادَ لهُمْ وأَعظَمُ النَّاسِ أَحلاَماً إذا قدَرُوا(٦)

---

(١) ديوانه ٣٩٧ والصناعتين ٧٢ والسامى : المرتفع ، والمعوق : الذاهب اللحم ، والأحناء : جمع حنو وهو الجانب . والصبيان : جانبا اللحيين الأسفلين . والأشدق : واسع الشدق . وفى م « معرض أحناء »

(٢) ديوانه « أن خلقه » وفى الوساطة ٧٦ والصناعتين ١١٩ وشرح التبريزى ٢/٨٨ « حلمه » وفيه وفى هامشه كلام كثير حول هذا البيت للمرزوقى وابن السيد البطليوسى وابن المستوفى وابن قتيبة

(٣) م « وكم يرد » وهو تحريف

(٤) م « إنى »

(٥) ديوانه ٧٤ وفى ط والصناعتين ١١٩ نقلا عن الموازنة « وأكبر سيدا » .

(٦) ديوانه ١٠٤ والأغانى ١٠/٥ والشعر والشعراء ١/٤٧٠ والصناعتين ١١٩

وكما قال أبو ذؤيب :

وَصَبرٌ على حَدَثِ النَّائِباتِ　　وَحِلْمٌ رَزِينٌ وقلبٌ ذكىٌّ(١)

وكما قال عدِىّ بن الرِّقاع فى مثل ذلك :

أَبَتْ لكمُ مَواطِنُ طيِّباتٌ　　وأحلامٌ لكمْ تزِنُ الجبالا(٢)

وقال عدى أيضاً :

فى شِدَّةِ العقدِ والحلمِ الرَّزِينِ وَفى الـ　　ـقَوْلِ التَّبيتِ إذا ما اسْتُنْصِتَ الكَلِمُ

وقال :

الجامعُ الحلْمَ الأَصيلَ وسُؤْددًا　　غَمْرًا يُعاشُ بِهِ وحِكْمَةَ حازِمِ(٣)

وقال :

قَرْمٌ لهُ مَع دينِه وَتمامه　　حِلْمٌ إذا وُزِنَ الحلومُ ثَقيلُ(٤)

وقال الفرزدق :

أَحلامُنا تزِنُ الجبالَ رَزَانةً　　وَتَخالنا جِنًّا إذا ما نَجْهلُ(٥)

وقال أيضاً :

إنَّا لَتُوزَنَ بالجِبالِ حُلومنا　　وَيزِيدُ جاهِلُنا على الجهَّالِ(٦)

وكما قال الآخر :

وعظيمُ الحلْمِ لوْ وازَنْتَهُ　　بِثَبيرٍ أَوْ بِرَضْوَى لرَجَحْ

---

(١) ديوان الهذليين ١/٦٨ والصناعتين ١١٩

(٢) الصناعتين ١٢٠

(٣) ط « يقاس به »

(٤) القرم : السيد

(٥) ديوانه ٧١٧

(٦) ديوانه ٧٣٠ والصناعتين ١٢٠ وفى مجموعة المعانى ٤٥ « وقال حسان بن حنظلة :

أحلامنا تزن الجبـال رزانـة　　ويزيد جاهلنا على الجهال

ومثل هذا كثير فى أشعارهم ، ألا تراهم(١) إذا ذمُّوا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون : خفيف الحلم ، وقد خَفَّ حلمه [ وطاش حلمه ]

وقال عياض بن كثير الضَّبى :

تنابلةٍ سُودٍ خِفـــافٍ حُلُومُهُمْ ذَوِى سَرَبٍ فى الحىِّ يَغْدُو ويَطرُقُ(٢)

[ وقال عُقَيْبة(٣) بن هبيرة الأسدى :

أبنو المغيرة مثلُ آلِ خُوَيْلدٍ يا للرِّجال لِخِفَّةِ الأَحلامِ ](٤)

وقال قَدُّ بن مالك(٥) الأَسدى

كأَنَّ جَرادةً صَفْرَاءَ طارَتْ بأَحلامِ الغواضر أجمَعِينا

جعلها صفراء لأنها ذكر ، وهو(٦) أَسرع من الأنثى وأخف .

وقال ابن قيس الرُّقَيَّات ، ووجدتها فى ديوانه ، والصحيح أنها(٧) لأبى العباس الأَعمى:

---

(١) ط « ألا ترى أنهم إذا »

(٢) الصناعتين ١٢٠ وفى ط ، ك « قبائله سود ... ذوو نيرب » والشرب : المسلك فى خفية . والنيرب : الشر والنميمة .

(٣) فى الحيوان ١٩٢/٣ « عقبة الأسدى » وعقب عليه الأستاذ « عبد السلام هارون » بقوله : « لم أر له ذكراً فيما لدى من المراجع » وكذلك ورد فى الكتاب لسيبويه ٣٤/١ ، ٣٥ ولعقيبة محاورة مع معاوية بن أبى سفيان وهجاء لأبى بردة بن أبى موسى الأشعرى فى العقد ٦١/١ ، ٢١٩/٥ والخزانة ٣٤٣/١ قال البغدادى « عقيبة بن هبيرة الأسدى جاهلى إسلامى وفد على معاوية »

(٤) البيت فى الحيوان مع آخرين فى مدح عبد الله بن الزبير . وفى م « ابنى المغيرة » وهم بنو مروان ، فأمهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية . وآل خويلد : هم بنو الزبير ابن العوام بن خويلد .

(٥) ط « علقمة بن هبيرة » وهو خطأ واضح . وفى معجم الشعراء ٣٣٩ « قد بن مالك ... بن أسد . . . وهو من أبيات أنشدها الفراء :

لعمر أبيك يا سلم بن هند لقد لاقيت منك الأقورينا

كأن جرادة . . .

(٦) ط « وهى أسرع »

(٧) ط « ووجدتها . . . أنهما »

حلماءُ إذا الحُلومُ ٱستُخِفَّتْ بوجوهٍ مِثلِ الدنانيرِ مُلْسِ[١]

وقال قيس بن عمير الكِنانى :

كمثلِ الحصى بكرٌ ولكن خيانةٌ وغَدْرٌ وَأَحْلَامٌ خِفافٌ عَوَازِبُ

فهذه طريقة وصفهم للحلم . ولما[٢] مدحوه بالثقل والرزانة ، ذمُّوه بالطَّيْش والخفة .

وأيضاً فإن البُرْدَ لا يوصف بالرقة ، وإنما يوصف بالمتانة والصَّفاقة ، وأكثر ما يكون ألواناً مختلفة . كما قال يزيد بن الطَّثْرِيَّة :

أَشاقتكَ أطلالُ الدِّيارِ كأنَّما مَعارِفُها بالأَبرَقَيْنِ بُرُودُ

والأَبرق والبراق[٣] من الأَرض : ما كان فيها حجارة ورمل ؛ فقيل « بَرْقاء » لاختلاف الأَلوان فيها ، ومن ذلك الحبلُ الأَبرق الذى فُتل[٤] من قُوًى مختلفة الأَلوان ؛ فلذلك شبه الشاعر معارفَ الديار[٥] بالبرود لاختلاف ألوان البرود .

ولولا أنه قال « رقيق حواشى الحلم » لظننت أنه [ما] شبهه بالبُرْد إلا لمتانته . وهذا عندى من أفحش الخطإ .

ثم قوله « [ لو أن حلمه ] بكفيك » كلام فى غاية [ القبح و] السخافة ، وأظن أبا العباس بن عمار إنما أنكر هذه اللفظة فقط .

وإنى لأَعجب من آتباع البحترى إياه فى البُرْدِ – مع شدة تجنبه الأَشياء المنكَرَة عليه – حيث يقول :

---

(١) فى ط ،م « وإنما . . . وذموه »

(٢) ط « بحلوم إذا . . . ووجوه مثل »

(٣) ط « والبرقاء »

(٤) م « الذى فيه »

(٥) م « معارف البراق »

وَلَيَالٍ كُسينَ مِنْ رِقَّةِ الصَّيْـ ـفِ فَخَيَّلْنَ أَنَّهُنَّ بُرُودُ[١]

وكيف لم يجد شيئاً يجعله مثلاً فى الرقة غير البرد ؟ ولكن الجيد فى وصف الحلم قولُه متبعاً للمذهب الصحيح المعروف :

خَفَّتْ إلى السُّؤْدَدِ المجْفُوِّ نَهْضَتُهُ وَلَوْ يُوَازِنُ رَضْوَى حِلْمُهُ رَجَحَا[٢]

وقوله :

فَلَوْ وُزِنَتْ أَرْكَانُ رَضْوَى وَيَذْبُلٍ وَقِيسَ بها فى الْحِلْمِ خَفَّ ثَقِيلُها[٣]

وأَبو تمام لا يجهل هذا من أَوصاف الحلم ، ويعلم أَن الشعراءَ إليه يتقصدون[٤] ، وإياه يعتمدون ، ولعله قد أَورد مثله ، ولكنه يريد أَن يبتدع فيقع فى الخطإ .

* * *

٣ ـ وأَنكر أَبو العباس على أَبى تمام قوله :

مِنَ الهِيفِ لَوْ أَنَّ الخَلاخِلَ صُيِّرَتْ لَهَا وُشُحاً جَالَتْ عَلَيْهَا الخَلاخِلُ[٥]

ولم يذكر موضع العيب فيه . ولا أُراه علمه ، و [ أَنا أَذكره وأَلخصه فأَقول : إن ] هذا الذى وصفه أَبو تمام ضدّ ما نطقت به العرب ، وهو من[٦] أَقبح ما وُصف به النساء ؛ لأَن من شأْن الخلاخل والْبُرِينِ أَن تُوصَف بأَنها تَعَضُّ فى الأَعْضاد والسواعد ، وتضيق فى الأَسوق[٧] ، فإذا جعل خلاخلَها[٨] وُشُحاً تجول عليها فقد أَخطأَ الوصف ؛ لأَنه لا يجوز أَن يكون الخلخالُ

---

(١) ديوان البحترى ٦٤

(٢) ديوان البحترى ٥٦

(٣) م « ويذبل وقدر بهما »

(٤) ط « من أمر الحلم . . . إليه تقصد وإياه »

(٥) ديوانه ٢٥٦ والصناعتين ١٢٠ والوساطة ٧٧

(٦) من ك

(٧) فى ط ، م « السوق »

(٨) ط « فى الأسواق . . . خلاخيلها »

الذى من شأنه أن يَعضّ بالساق وِشاحاً جائلاً على جسدها ؛ لأن الوشاح هو ما تَقَلَّده المرأة متّشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصبّ جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهى إلى العجز[1] ويلتقى طرفاه على الكشح الأيسر ؛ فيكون منها فى موضع حمائل السيف من الرّجُل . وإذا كانت هذه صورةَ الوشاح فغير جائز [وصفه بالقصر والضيق ، بل الواجب] أن يوصف بالسّعة والطول ليدل على تمام المرأة وطولها ، ويكون ذلك لائقاً بتشبيه النساء فى البيت الثانى بقَنَا الخطّ . وإنما يُوصَف الوشاح بالقَلَق والحركة ليستدل بذلك على دقة الخصر ؛ لأنه يَقلق هناك إذا كان الخصر دقيقاً والبطن ضامراً ، بل حركته تدل على ضُمْر البطن أكثر ، وليس طوله فى نفسه مما يدل على امتلاء ولا خَمَص . وإذا كان الخلخال – وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها – وشاحاً للمرأة فإنه يأخذ أعْلَى جسدها كله ، و [هذه] إذا كانت كذلك فقد مُسِخت إلى غاية القماءة والصِّغر ، وصارت فى هيئة الجُعَل[2] .

وقد تصف العرب الخَصْر بالدقة ، ولكن تعطى كل جزء من الجسد قِسْطَه من الوصف كما قال امرؤ القيس :

طِوَالِ الْمتُونِ والْعَرَانين كالْقَنا ... لِطَافِ الخُصُورِ فى تَمَامٍ وإِكْمالِ[3]

ألا تراه لما قال «لطاف الخصور» قال «فى تمام وإكمال» .

ولو قال هذا الشاعر «لو أن الخلاخل صيرت لها حُقبًا» لصح له المعنى ، كما قال منصور النَّمَرِى :

---

(١) ط «إلى العجب وتلتقى» وهو خطأ عجيب

(٢) الجعل : دابة سوداء كالخنفساء ، وقيل هو أبو جعران بفتح الجيم ، كما فى اللسان ١٣/١١٨

(٣) ديوانه ١٤٢ «سباط البنان . . . والقنا»

فَلَوْ قِسْتَ يَوْماً حِجْلَها بِحِقابِها ... لَكانا سَواءً ، لاَ ، بَلِ الحِجْلُ أَوْسَعُ (١)

فجعل حجلها – وهو الخلخال – أوسعَ من حقابها ، والحقاب ما تديره المرأة على خصرها ، فهو يختص بالخصر ، وكذلك النِّطاق ، والوشاحُ لا يختص بالخصر ، وإنما يُعلَق (٢) حتى ينتهى إليه إذا كان الخصر دقيقاً والبطن ضامرًا ، فاتبعَ أبو تمام منصورًا فى المعنى فأخطأ .

ومن عادة العرب أنها لا تكاد تذكر الهَيَفَ وطىّ الكَشْح ودِقة الخصر إلا إذا ذكرت معه من الأعضاء ما يُسْتَحَب فيه الامتلاء والرىّ والغلظ ، على ما عرفتك ، كما قال ذو الرمة :

عَجْزَاءُ مَمْكُورَةٌ خُمْصَانَةٌ قَلِقٌ ... عنها الوِشَاحُ ، وتَمّ الجِسْمُ والقَصَبُ (٣)

وكما قال أيضاً :

أَناةٌ تَلوثُ المِرْطَ مِنْها بِدِعْصَةٍ ... رُكام ، وتَجْتابُ الوِشاحَ فَيَقْلَقُ (٤)

وكما قال [ أيضاً :

وفى العاج منها والدَّماليجِ والبُرَى ... قَنًا مالئٌ للعين ريَّانُ عَبْهَرُ ] (٥)

تَرَى خَلْفَها نِصْفاً قَناةً قَوِيمَةً ... ونِصْفاً نَقاً يَرتَجُّ أَو يَتَمَرْمَرُ (٦)

---

(١) الصناعتين ١٢٠ نقلا عن الموازنة

(٢) م « يقلق»

(٣) ديوانه ٤ والصناعتين ١٢١ وديوان المعانى ١/ ٢٥٠ وجمهرة أشعار العرب ١٧٧ والعجزاء : هى العظيمة العجز . والممكورة : حسنة طى الخلق مجدولة . وخمصانة : أى ضامرة البطن كالجائعة . قلق وشاحها لضمور بطنها ، ولو كانت ضخمة البطن لما قلق وشاحها . والقصب : العظام التى لها مخ.

(٤) ديوانه ٣٩٢ والأناة : البطيئة القيام . تلوث : تثنى . المرط : الإزار . الدعصة : كثيب الرمل . ركام : بعضه على بعض . تجتاب : تلبس . الوشاح : القلائد . تقلق من ضمر بطنها .

(٥) ديوانه ٢٢٦ والعاج : المراد به الأسورة ، البرى : الخلاخل . قنا : أوصال . عبهر : غليظ ممتلئ .

(٦) يتمرمر : يهتز لنعومته . وقد جاء فى اللسان ٧/ ١٧ «قال أبو منصور الأزهرى : معنى ترتج وتمرمر واحد ، أى ترعد من رطوبتها »]

وكما قال الشَّنْفَرَى :

فَدَقَّتْ وجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأُكْمِلتْ    فَلَوْ جُنَّ إنسانٌ منَ الحُسْنِ جُنَّتِ[١]

أى دقَّ منها ما ينبغى أن يَدِق ، وجلَّ منها ما ينبغى أن يجل ؛ وهذا هو كمال الوصف .

وقال تميمُ بن أُبَىٍّ بن مُقْبل :

هِيفُ المُرَدَّى رَدَاحٌ فى تَأَوُّدِها    مخْطُوفَةٌ مَنْتَهى الأَحْشاءِ عُطْبُولُ[٢]

فقال « هيف المردَّى » ثم قال « رَدَاح » والرَّدَاح : العظيمة العجز ، وهذا كقول ذى الرُّمة « [ ترى ] خلفها نصفا قناة قويمة » .

وقوله : « عطبول » يريد : طويلة[٣] العنق . وقال تميم أيضاً :

مِنَ الْهِيفِ مِبْدَانٌ ترى نُطُقاتِها    بِمَهْلَكَةٍ أَخْرَاصُهُنَّ تَذَبْذَبُ[٤]

فجعلها هَيْفَاء ، وهى الخميصة البطن ، [ ثم ] قال « مبدان » ؛ فصار البَدَن لا يمنع من الهَيَف ، ولا يضادّه .

وقال تميم أيضًا :

---

(١) المفضليات ١٠٩ والأغانى ٢١/١٣٩ والحيوان ٣/١٠٨ والعقد ٦/٤١٢ وفى اللسان ٦/٦ « اسبكرت الجارية : استقامت واعتدلت »

(٢) ديوان تميم ٢٨٠ و الهيف : جمع أهيف وهيفاء وهى الضامرة البطن . ويقال : امرأة هيفاء المردى : أى ضامرة موضع الوشاح . والتأود : التثنى . ومخطوفة منتهى الأحشاء . يعنى أنها هيفاء ضامرة الخصر ، خفيفة لحم الجنب وعطبول : طويلة العنق ، جميلة فتية ممتلئة

(٣) فى ط ، م عطبول : قويمة العنق

(٤) ميدان : سمينة مكتنزة اللحم . والنطقات : جمع نطق والنطق : جمع نطاق ، وهو ثوب له تكة تلبسه المرأة ثم تشد تكته على وسطها . بمهلكة : يعنى أنها تعقد نطاقها بموضوع دقيق كأنه المهواة بين الجبلين ، كما قال ذو الرمة :

ترى قرطها فى واضح الليت مشرفاً    على هلك فى نفنف يتطوح

والأخراص : جمع خرص – بالضم والكسر – وهو حلقة صغيرة من الحلى خاصة بالأذن والذبذبة : تحرك الشىء المعلق فى الهواء . وفى مثله يقول الشاعر :

عليهن لعس من ظباء تبالة    مذبذبة الخرصان باد نحورها

وبيت تميم فى ديوانه ص ١٨

وَمَنْ دَقَّ مِنها الخَصْرُ حَتَّى وِشَاحُهَا يَجُولُ ،وَقَدْغُمَّ الخلاَ خِيلُ والقُلْبُ[١]

وقال على بن علقمة الجسْرى[٢].

ترى حِجْلَهَا ملآن ليس بزائد يجول، ولم تَمْلأْ وشاحاً ولاعقدا[٣]

وذلك من شأن الوشاح ؛ لأن من[٤] سبيله أن يكون جائلا إذا انتهى إلى خَصْرها لدقته ، ومن شأن العِقْد أن يجول أيضاً على عنقها وترائبها[٥] لقلة اللحم هناك ، وذاك المحمود من الوصف . وقال امرؤ القيس :

* عَلَىَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ[٦] *

وقال طَرَفَةُ بن العبد :

ومَلْأَى السِّوَارِ مَعَ الدُّمْلُجَيْنِ وَأَمَّا الْوِشَاحُ عليها فَجَالا[٧]

وقال عَلْقَمَة بن عَبَدة :

صِفْرُ الْوِشَاحَيْنِ مَلْأَى الْمِرطِ خَرْعبةٌ كأَنَّها رَشَأٌ فى البيتِ مَلزُومُ[٨]

وقال المرَّار :

---

(١) فى الصناعتين « وقد دق » وفيها وفى ط « الخلاخيل والقلبا » والقلب : السوار . وفى م « الخلاخل » هذا ولعل كلمة « غم » مصحفة عن « صم » فإنه يريد وصفها بامتلاء الساقين والمعصمين . كما قال الشاعر : « براقة الجيد صموت الخلخل »

(٢) ط « بن أبى علقمة الجرى » ثم غيره ناشرها فى الطبعة الثانية وجعله « الجرمى » دون بينة وقال : « ووقع فى الأصول الجرى وهو تطبيع »

(٣) البيت لعلى بن عقلمة فى حماسة ابن الشجرى ١٨٩

(٤) م « وقال وذلك لأن الوشاح من سبيله »

(٥) ط « وترائقها » وهو تحريف

(٦) صدره : « هصرت بفودى رأسها فتمايلت » ديوانه ١٢٩ وشرح القصائد العشر ٢٧

(٧) الصناعتين ١٢١ نقلا عن الموازنة

(٨) ديوانه ٦١ والمفضليات ٣٩٨ وديوان المعانى ١/٢٥٠ وفى م « ملء القرط » صفر الوشاحين : ضامرة البطن . الدرع : القميص . الخرعبة : الناعمة . الرشأ : الظبى الصغير . ملزوم : أى تربيه الجوارى فى البيوت يلزمنه ولا يفارقنه إعجاباً به . قال ابن الأنبارى: يقول : هى خالية الوشاحين لضمر بطنها ، وهى تملأ إزارها لعظم عجيزتها وضخم أوراكها .

بِيضُ العَوارِضِ بُدَّنٌ أَبْدَانُهَا     رُجُحُ الرَّوادِفِ ضُمَّرُ الأَخصار[(١)]

وقال كثير :

كَسَوْنَ الرَّيْطَ ذا الهُدبِ اليمَانى     خُصُورًا فوْقَ أَعجازٍ ثِقالِ

وقال كُثير أَيضاً :

يَجُولُ الوِشَاحُ بأَقْرابِهَا     وَتأْبى خَلاخِلُها أن تَجُولا[(٢)]

وقال آخر :

عُقَيْلِيَّة أمَّا مَلاَثُ إزارِها     فَدِعْصٌ وَأمَّا خَصرُها فَبَتيلٌ[(٣)]

يريد كأنه لدِقَّته مقطوعٌ مما يليه . وهذا كله ضِدٌّ ما قاله أبو تمام .

فإن حمل بعضُ مَنْ يريد إقامة العذر له نفسَه على أن يقول : إنما ذهب فى قوله «جالت عليها الخلاخل» إلى قول الناس[(٤)] : فُلان يدخل فى الخاتم لظَرْفه ولين أَخلاقه ، لا للين مفاصله[(٥)].

قيل : هذا من كلام العامة . وقول أبى تمام : «من الهيفِ» يمنع [من ][(٦)] هذا التأَول ، ويحجز عنه ؛ لأن الهيفَ الخميصاتُ البطون ، الواحدة هَيْفاء . وإلى هذا ذهب ، لا إلى وصف الأَخلاق و [رقة] الطباع .

---

(١) العوارض : الثنايا ، سميت عوارض لأنها فى عرض الفم . بدن : سمينة ضخمة . أبدانها : أعضاؤها ، يقال : إنها لحسنة الأبدان ، وقال حميد بن ثور «لينة الأبدان» كأنهم جعلوا كل جزء منها بدناً ، ثم جمعوه على هذا . ورجح : جمع رجاح ، وهى الثقيلة العجيزة

(٢) ديوانه ١٥٤ . والقرب بالضم : الخاصرة ، وجمعها أقراب

(٣) البيت ليزيد بن الطثرية كما فى حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ١٣٤٠/٣ وأمالى القالى ١٩٦/١ وعلق عليه أبو عبيد البكرى بقوله : «قال أبو بكر الصولى : هذا الشعر للعباس بن قطن الهلالى ، وما أخلق هذا القول بالصواب ؛ لأن هذا الشعر لم يقع فى ديوان شعر ابن الطثرية وقد جمعت منه كل رواية» . وانظر تخريج الميمنى له فى السمط ٤٧١/١ . وقال المرزوقى : «الملاث : الموضع الذى يدار به الشيء ، والمراد به ههنا العجز . وشبهها بالدعص ، وهو الرمل المجتمع ، لكثرة اللحم عليها واكتنازه . والبتيل : المضيم الدقيق ، يعنى أنها دقيقة الخصر ، جليلة العجز» . وفى م «فنبيل» .

(٤) ط «إلى قولهم»

(٥) ط «لا لضيق مفاصله» وهو تحريف عجيب .

(٦) من ك

فإن قال قائل : إنما قال « لو أن الخلاخل صيرت لها وشحاً » أى لو ساغ ذلك وجاز ، كما يقال : لو دخل أحد فى سم الخياط[١] لرقته وحسن أخلاقه لدخل زيد وكما قال الشاعر :

* لو طَارَ ذو حافرٍ مِنْ سُرعةٍ طارا[٢] *

وكما قال الآخر :

لو كانَ يَقْعُدُ فوقَ الشمسِ مِن كَرَمٍ
قومٌ لِسُؤْدَدِهِم أو مَجدِهِم قَعَدُوا[٣]

قيل : هذا مذهب حَسَن معروف من مذاهبهم ، ولكن ليس بينه وبين قول أبى تمام شبه ، وإنما كان يشبهه [ أن ] لو قال « لو أن الخلاخل تكون مكان الوشاح لجال عليها » ولو قال هذا أيضاً لكان يُعَد مخطئاً ؛ لأنه سواء عليه قال هذا أو قال قصُرَ ظهرُها أو نقصَ خلْقها أو ضم بعض أعضائها إلى بعض حتى يكون خلخالها مكان وشاحها لجال عليها ، ومثل هذا لا يقوله أحد إلا الكنجِى[٤] [ أ ] وأبو العبَر ، ولفظ بيته أقبح من هذا وأشنع ؛ لأنه إنما أخرجه مُخرَج الحقيقة أو ما يقارب الحقيقة ، نحو قول القائل : لو تغطَّتْ هند بشعرها لغطَّاها ، ولو سترت وجهها بذراعها لسترها[٥] ، ولو مسستها لساختِ الإصبع فيها ، أو لأَدْمَتها[٥] . وهذا ضرب من المبالغة وهو إلى الحقيقة أقرب . وليس من الأبيات المذكورة فى شىء ولا على سياقة ذلك

---

( ١ ) م « فى سم أى أرقته » وهو خطأ

( ٢ ) صدره : « يكاد فى شأوه لولا أسكنه » وهو لمعاوية بن مرداس كما فى معاهد التنصيص ٣/ ٤٠

( ٣ ) البيت لزهير ، كما فى ديوانه ٢٨٢ « أو كان يقعد . . . قوم بأولهم » والعمدة ٢/ ١٢٤ « فوق الجم » والعقد ٥/ ٢٩١ وهو فى أمالى القالى ١/ ١٠٥ لأبى جويرة العبدى

( ٤ ) ط « الكشحى » و ك « الكتنجى »

( ٥ ) ط « لسيرته »

اللفظ ، والإحالةُ فيما مخرجه مخرج الحقيقة أقبحُ من الإحالة فيما مخرجه مخرج التوسع والمبالغة .

وبعد فإن أبا تمام إنما قال : من الهيف ، والهيفاء هى الضامرة البطن ، وقد تكون ضامرة مطوية وخصرهاغيردقيق ؛ لأنها قد تكون من ضمرها عريضة الحقوين ، فيضطرب الوشاح هناك ؛ لأنه إنما يجرى من أحد جانبيها على حقو واحد .

واضطراب الوشاح لا يدل على دقة الخصر خاصة ؛ لأنه قد يضطرب والخصر غير دقيق . وصمته ولزومه لا يوجب عرض الخصر لا محالة ؛ لأنه غير مطيف به ، وإنما يقع طرفه على أحد جانبيه ، فما وجه جعل الخلخال فى موضع الوشاح ؟

فإن قيل : لم يذهب إلى دقة الخصر ، وإنما ذهب إلى وصف البطن بالضمر ، لأنه قال : من الهيف والهيف . الضوار البطون .

قيل : فهذا موضع غلطه وإحالته ؛ لأن ضيق الخلخال والوشاح لا يوجب ضمر البطن . ولا يدل على ذلك أيضاً طوله ولا قصره : وإنما يدل على الضمر حركته لا غير ، وطوله إنما يدل على طول الظهر . وقصره على قصره . والخلخال بمعزل عن ذلك كله .

وإنما سمع أبو تمام قول على بن جبلة :

فلو قِسْتَ يوماً حِجْلَها بِحِقَابِها لكانا سواء ، لا بل الحِجْلَ أَوْسَعُ

فاتبعه فأخطأ وأحال ؛ لأن الحقاب لا يخص غير الخصر ، فأراد ابن جبلة أن يدل على دقة الخصر فقال : لو قيس خلخالها بحقابها لكانا سواء وكان الخلخال أوسع ؛ لأن الخلخال مستدير كاستدارة الحقاب ، ودقة الخصر تقتضى ضيق الحقاب . كما أن تمام الظهر وطول القناة يقتضى

طول الوشاح وطول حمائل السيف ؛ لأنهما يخصان القامة ، ألا ترى إلى قول أبي نواس :

أَشَمُّ طوالُ السَّاعدين كأنَّما يُنَاط نِجَادُ سيفهِ بلواء

وكما قال البحترى :

ينوس إذا تمطى فى النجاد] [١]

وكان ينبغى لأبى تمام لمَّا وصف النساءَ فى البيت التالى بالطول والتمام

[فقال :

* قنَا الخطِّ. إلاَّ أنَّ تلك ذوَابلُ *

أن يصف الوُشُحَ ] [٢] بالطول والتمام ، لأن الوشح[٣] من المرأة فى موضع حمائل السيف [من الرجل] فكيف[٤] يجعلها مثلَ الخلاخل ويجعل الخلاخل مثلهَا ؟ وقد يبالغ الشاعر فى أشياء حتى يخرج فيها إلى المحال ويخرج بعضها مخرج النوادر[٥] فيستحسن ولا يستقبح ، نحو قول الشاعر :

مَنْ رَأى مِثْلَ حِبَّتى تُشبهُ البَدْرَ إذْ بَدَا[٦]
تدخلُ اليومَ ثمَّ تد خل أَرْدَافُهَا غَدَا[٧]

ومثل هذا كثير .

وقد بالغ[٨] النابغة فى وصف عنق المرأة بالطول ، فقال :

---

(١) الزيادة من ك

(٢) ما بين القوسين سقط من ك

(٣) ط « الوشاح »

(٤) م « إلا أن يجعلها » وفى ك « لا أن . . . »

(٥) ط « منها . . . النادر »

(٦) هما للمؤمل بن أميل ، كما فى البديع ١٢٠ والصناعتين ٣٦٢ وديوان المعانى ١/٢٥١

(٧) ط « يدخل اليوم خصرها ثم أردافها »

(٨) ط « وقد قال »

إذا ارتعشَت خافَ الجبانُ ٱرْتِعاشَهَا ... ومَنْ يَتعلَّقْ حيثُ عُلِّقَ يَفرَقِ[١]

فجعل القُرْطَ يخاف أن يسقط من هناك فيهلك ، وإنما أخرج هذا كالمثل : أى لو كان مما يقع منه الخوف لخاف . وقال ذو الرمة :

والقُرْطُ فى حُرَّةِ الذِّفْرَى مُعلَّقُهُ ... تباعدَ الحبلُ منهُ فهْو يَضْطرِبُ[٢]

فدل بقوله « تباعد الحبل منه » على طول عُنُق المرأة .

فهذه المبالغة لائقة مستحسنة ؛ لأنه دل على الوصف بالشىء الذى يخَصُّ الموصوف ، لا بالشىء الذى يخص غيره .

ولو كان أبو تمام قال « لو أن الخلاخيل صُيِّرَت لها نطقاً » لكان [ قد ] أتى بالصواب ؛ لأن النطاق هو كل ما يُدار على الخصر مثل المِنْطَقَة من سير كان أو ثوب أو غيرهما ، أو لو قال « حُقباً » ؛ لأن الحِقَاب والنِّطاق بمنزلة واحدة ، وأظنه أراد أن يقول هذا فغلط فجعل مكانه الوشاح .

وقد بالَغَ أبو العتاهية فى وصف الخصور بالدقة ، فقال :

ومُخَصَّرَاتٍ زُرْنَنَا ... بَعدَ الهُدُوِّ من الخُدُورِ

نُفُجٌ رَوادِفُهنَّ يَلْـ ... بَسْنَ الخواتِم فى الخصور[٣]

لم يرد أن خواتمهنَّ فى خصورهن ؛ لأن هذا محال ، وإنما ذهب إلى مثل قولهم : جَفنة يقعد فيها خمسة ، أى لو قعدوا فيها لوسعتهم .

---

(١) ط ، ك « رعاشها » وقد سبق ص ٤٠ .

(٢) ديوانه ٦ وجمهرة أشعار العرب ١٧٨ وفى اللسان ٥/٢٥٦ « وحرة الدفرى : موضع مجال القرط . وقيل : حرة الذفرى صفة أى أنها حسنة الذفرى أسيلتها » وفى ديوانه : « القرط فى أذن عتيقة الذفرى ؛ لأن الحرة هى العتيقة من كل شىء ، والعتيق : الكريم . وقوله: تباعد الحبل منها : أى تباعد حبل العنق من القرط لأنها طويلة العنق ليست بوقصاء . والذفريان : ما عن يمين العنق ويساره »

(٣) فى اللسان ٣/٢٠٥ « وامرأة نفج الحقيبة : إذا كانت ضخمة الأرداف والمآكم » . وأنشد « نفج الحقيبة بضة المتجرد »

وقال الآخر :

لَهَا حافِرٌ مثلُ قَعبِ الوليـ ... ـدِ يتَّخِذُ الفـأْرُ فيهِ مَغارَا[١]

أى : لو اتخذ فيه مغارًا لوسعه . فكذلك قوله : «يلبسن الخواتم فى الخصور » أى تصلُح خصُورهن أن تدخُل فى خواتمهن لدقتها [ على المبالغة ][٢] وكلُّ ما دنا من المعانى من الحقائق[٣] كان أَلْوَطَ بالنفس ، وأحلى فى السمع وأولى بالاستجادة .

فهذا ما أنكره أبو العباس مما أبو تمام فيه غالط ، وهو ثلاثة أبيات .

٤ ـ ومما أخطأ فيه الطائى البيتُ الذى بعد قوله :

منَ الهيفِ لوْ أنَّ الخلاخلَ صُيِّرَتْ ... لهَا وُشُحاً جالتْ عليها الخلاخلُ

وهو قوله :

مَهَا الوحْشِ إلاَّ أنَّ هَاتَا أوانِسٌ ... قَنَا الخطِّ إلاَّ أنَّ تلِكَ ذَوَابِلُ[٤]

وإنما قيل للرماح[٥] « ذوابل » للينها وتثنيها ، فنفى ذلك عن قُدود النساء

---

( ١ ) البيت لعوف بن عطية بن الخزع فى المفضليات ٤١٤ والاقتضاب ٣٣٤ ، ٣٣٨ والمعانى الكبير ١٦٩/١ والخزانة ٢٠/٤ وفى ديوان المعانى ١١٤/٢ « ويشبه الحافر بالقعب ، فن قديم الشعر فى ذلك قول امرئ القيس ، "لها حافر مثل قعب الوليد" وقد نقل هذه العبارة الشيخ محيى الدين وعقب عليها بقوله : ولم أجده فى شعر امرئ القيس المنشور فى العقد الثمين » وقد ظن الشيخ أن أبا هلال يقصد بيت عطية هذا فقال ما قال ، ولكنه يقصد قول امرئ القيس الموجود فى ديوانه ٨٠

لها حافر مثل قعب الوليد ... ركب فيه وظيف عجر

والعقب : قدح من خشب مقعر ، شبه به حافر الفرس فى السعة . والمغار : الجحر الذى يغور فيه ، أى يدخل . وهذا من الممكن الذى يخرجه العرب مخرج الواجب ، فظاهر الكلام : أن الفأر يتخذ فيه مغاراً على الحقيقة والوجوب ، والمراد : أن الفأر لو فعل ذلك لأمكنه .

( ٢ ) الزيادة من ك

( ٣ ) ط « بالحقائق » وفى ك « وكل ما كان من المجازات أقرب إلى الحقائق »

( ٤ ) الوساطة ٤٤

( ٥ ) ط « للقنا »

التى من أكمل أوصافها[١] التَّثنِّى واللِّينُ والانعطافُ ، كما قال تميم بن أُبىّ ابن مُقبل :

يَهْزُزْن لِلمَشى أوصالاً مُنعَّمةً هَزَّ الجنُوبِ ضُحَى عِيدانَ يَبْرِينا[٢]

أوْ كاهتِزازِ رُدَينىٍّ تداوَقَـهُ أَيْدِى التِّجارِ فزادُوا مَتْنَهُ لِينا[٣]

فشبه تميم قدودَهن بالرُّدينى للينه وتثنيه لا غير .

هذا أجود من كل ما قاله الناسُ فى مشى النساء وحسن قدودهن .

وقوله «مها الوحش» أراد : كمَهَا الوحش إلا أن هاتا أوانس . فوضع المشبّه به فى مكان المشبه ، وهذا فى كلامهم شائع مستفيض .

[تراه فى مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله][٤] .

* * *

٥ ـ ومن خطائه قوله[٥]

قَسَم الزَّمانُ رُبُوعَها بين الصَّبا وقبُولِهـا ودَبُورِها أَثْلاثَا[٦]

لأن الصبا هى القبول ، وليس بين أهل اللغة وغيرهم فى ذلك خلاف .

فإن قيل : إنما سميت الصبا قبولا لأنها تقابل الدَّبُور ؛ فلعله استعار هذا الاسم[٧] للدبور فقال «بين الصّبا وقبولها» يريد الدّبور[٨] لأنها تقابل

---

(١) ط «صفاتها»

(٢) البيتان لابن مقبل فى اللسان ١١/٤٠٢ وفى ديوانه ٣٢٧ ، ٣٢٨ عنه ، ويبرين اسم موضع ، راجع معجم ما استعجم للبكرى ٤/١٣٨٩

(٣) ط «تداوله» وفى اللسان «. . والمعروف تداوله» ويقال : ذق هذه القوس : أى انزع فيها لتخبر لينها من شدتها

(٤) من ك

(٥) ط ، ك «ومما أخطأ فيه الطائى أقبح خطأ قوله»

(٦) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزى ١/٣١٥ والصناعتين ١٢١

(٧) م «هذا الأسماء»

(٨) م «للدبور» .

الصبا [فكأنه أراد بين الصبا] ومقابلتها ، أى الريح المقابلة لها .

قيل : هذا غلط من التأويل [من وجوه] :

منها أنه قد ذكر الدبور فى البيت مرّة ؛ فلا يجوز أن يأتى بها مرة ثانية .

ومنها : أنه ما سُمع من العرب «زَيْدٌ قَبُولَكَ» بمعنى : مُقابلك ، ولا «دار زيد قبول دار عمرو» بمعنى مُقابلتها ؛ وإنما خُصّت الصَّبا وحدها بهذا الاسم لأنها تأتى من الموضع الذى يُقبل منه النهار ، وهو مطلع الشمس ، وقيل دَبُور لأنها[1] ضدُّها ، أَخذ[2] من أَقبل وأدبر . ولو جاز[3] هذا فى كلامهم أو ساغ فى لغتهم أو كان[4] مسموعاً مثله[5] منهم – لساغ أن تُسمَّى الشَّمال أيضاً قبولا ؛ لأنها تقابل الجنوب ، أو أن تسمى الجنوب قبولا ؛ لأنها تقابل الشمال . وما أظن أحدًا يدَّعى هذا ، ولا يستجيز أن يعارض بمثل هذه المعارضة ، ولا أن يُحدِث لغة غير معروفة ، ويَنْسُب إلى العرب ما لم تقله[6] ولم تنطق به .

ومنها – وهى أوكدها[7] فى فسادها هذا التأويل – أنه قال «بين الصبا[8] وقبولها ودبورها أثلاثاً» وقوله «أثلاثاً» يدلّك أنه أراد ثلاث رياح ، وأنه توهَّم أن القبول ريحٌ غيرُ الصَّبا ، وهذا واضح .

(١) فى ط ، م : «دبورها ضدها»

(٢) ط «وقيل لها دبور لأنها ضدها أخذه»

(٣) م «ولو جاد»

(٤) «كان مثله»

(٥) من ك

(٦) ط «ما لم تعلمه»

(٧) ط «وهى أولاها»

(٨) م «من» وهو تحريف

والجيد قول البحترى :

مَتْرُوكةٌ لِلرِّيح بَين شَمالِها ... وجنُوبِها ودَبُورِها وقبُولِها[١]

فجاء بالرياح الأربع .

وقال البحترى أيضاً :

شَنِئْتُ الصَّبا إذ قِيلَ وجَّهنَ قصدَها ... وعادَيتُ من بينِ الرِّياح قبولها[٢]

فقوله «وجَّهن» يعنى الحُمولَ ، والهاء فى «قبولها» راجعةٌ إلى الرِّياح . وهذا مما[٣] يُوهمك أنه أراد رِيحَيْنِ ، وإنما أراد ريحاً واحدة وسماها باسمها[٤] فقال : شنئت الصَّبا ، وعاديت القبول: أى أبغضت هذين الاسمين ؛ لأن حمول الظاعنين توجَّهت نحوها ، ولم يقل إن الحمول توجَّهن إلى وجهين مختلفين .

وحكى ابن الأعرابى — أو حُكى عنه — أنه قال : القبول كلُّ[٥] ريح طيبة المس ليِّنة ، لا أذى فيها ، سُميت قَبولا لأن النفس تقبلها . وأظن الأخطل — إن كانت الرواية صحيحة — لهذا قال :

فإنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بِدِرْهَمَيْها ... فإنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ[٦]

أى : طيبة لاتمنعنا [من] الانصراف والسير .

وهذه ليست من الريح التى ذكرها أبو تمام فى شىء ؛ لأن هذه على هذا الوصف قد تكون الشمال ، وتكون الجنوب ، وتكون الصَّبا ، وذاك إنما[٧] أراد

(١) ديوانه ٣٤٥ ، ٣/١٧٩٦ «أن قيل» والصناعتين ١٢٢
(٢) ديوانه ٥١١ والصناعتين ١٢٢
(٣) ليست فى ك
(٤) ط «باسميها»
(٥) ط «كله»
(٦) ديوانه ١٢٦ واللسان ١٤ /٦٢ والأغانى ٧/١٨٣ وفى م ، ك «فإن يمنع . . . درهميها» .
(٧) م «فإنما»

ريحاً بعينها ؛ لأنه قال : « بين الصبا وقبولها » فجعلها مضافة إليها ، كما لو قال «بين الشمال وجنوبها »[١] لأنهما ريحان معروفتان ، وهما أختان[٢] تَعتقِبان ، وكذلك لو قال « بين الصبا ودبورها » وكذلك لو قال «بين الدبور وقبولها »[٣] أو « بين القبول وشمالها » فإذا ذُكرت القبولُ مع هذه الرياح المعروفة[٤] [فليس يراد بها إلا القبول المعروفة التى] هى الصبا ، وليس هذا موضع القبول التى هى الريح اللينة المسّ الطيبة على ما ذكر ؛ لأنه وصف[٥] مجهول ، يجوزُ أن يكون لكل ريح فلا يقع فى هذا الموضع ؛ لأنك إذا عنَيتها بقولك : قد هبت[٦] الصبا وقبولها [أو الشمال وقبولها] لم يدر أى ريح هى ، فما معنى[٧] إضافتها إلى الريح المعروفة التى هى إذا لاَنَ مسُّها جاز أن تسمى بذلك الاسم ؟ هذا خُلْفٌ من القول إذا قيل .

وأيضاً فإن أبا تمام إنما أراد أنَّ هذه الرياح عفت هذه الديارَ ، وذهبت بها ؛ فما وجه ذكره لريح طيبة لينة المس مع الدبور ؟ هذا محال أن يكون أراده ، كيف والديار يُدْعَى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة لئلا تعفوها ؛ ألا ترى [إلى] قول أبى تمام :

أَرْسى بنادِيكَ النَّـدَى وتَنَفَّسَـتْ     نَفَساً بعَقْوَتِك الرِّياحُ ضَعيفا[٨]

---

(١) م « بين يعتقبان وشمالها »
(٢) ط « أختان مختلفتان تعتقبان »
(٣) ط « القبول ودبورها »
(٤) ط « الرياح المعروفة كانت هى »
(٥) م « لأنه مجهول »
(٦) ط « قد نفيت » وهو تحريف شنيع !
(٧) ط « هى فى معنى » !
(٨) شرح التبريزى ٢/٣٧٧ وديوانه ٢٠٦ « أرسى بعرصتك » وهما روايتان .

وقال البحترى :

وإذا هبَّتِ الرِّياحُ نَسيماً فعَلَى رَبع دارِها والجَنابِ[١]

[ فشرط أن تكون الرياح نسيما . وقال :

رَاحَتْ لأَرْبُعِكِ الرِّياحُ مريضةً وأَصابَ مَغناكِ الغمامُ الصَّيِّبُ ][٢]

فَشَرَطَ أن[٣] تكون الرياح مريضةً لئلا تعفوها وتمحوها .

فإن قيل : فلعله أراد[٤] بين الصبا وقبولها أى : بين الصبا وسهلها ولينها ، ولا يكون يريد بالقبول اسمها المعروف ، وإنما يريد الاسمَ الذى يقَع للريح[٥] اللينة المس ، فكأنه قال «بين القبول وقبولها» كما تقول[٦] : «جاءنا عباسٌ وعَبّاسهُ» أى : ووجهه المعبِّس[٧] ، و«أتانا الضحّاكُ وضحاكه» أى : ووجهه الضَّحّاك : لأن التعبيس والضَّحِكَ فى الوجه ، و «قد فَتَنَتْنَا حَوراءُ بحورائها»[٨] أى : بعينها الحوراء .

قيل : هذا كله لفظ سائغ مستقيم ، غير أنّا ما سمعنا مثل هذا فى الريح ، ولا علمناه فى اللغة ، ولا وجدنا فى الشعراء أحدًا قال : «الصبا وقبولها» ولا «الجنوب وقبولها» ولا «الشمال وقبولها» أى سَهْلها وليِّنها .

ولو أراد الطائى ذلك لكان أيضاً مخطئاً ؛ لأن الريح لينها وشديدَها ريحٌ واحدة ، وقد قال أبو تمام «أثلاثا» فدلَّ على أنه أراد ثلاثَ رياحٍ . وإن

(١) فى ديوانه ، ك ٥٦٣ « الجنوب . . . فعلى رسم »
(٢) ديوان البحترى ٦٨٢
(٣) م « فشرطان » وهو تحريف
(٤) م « أراد الصبا »
(٥) م « الريح »
(٦) ط « وقبولها يقال جاءنا »
(٧) ط « العباس »
(٨) م « بحوراتها »

كان أراد ريحاً أخرى غير الصبا فقد قدمتُ القول فى أن ذلك غير سائغ ولا مستقيم .

وقد استقصى أصحَابُ «الأَنْواء» فى كتبهم ذكر الرياح وأوصافها ونُعوتها ، واستشهدوا بأكثر ما سمعوه من أشعار العرب فيها ، وبالغ أبوحنيفة الدِّينَوَرِىُّ فى ذلك؛ فما منهم أحد ذكر أن القَبول غيرُ الصَّبا ، وإنما قال ابن الأَعرابى فى نوادره : إن العرب تسمِّى كلَّ ريح طيبَةٍ لينةِ المسّ قبولاً وقال الأَخطل :

فإن تَبْخَل سَدُوسُ بِدِرهَمَيْها  فإنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قبُولُ[1]

فإنما أراد الصَّبا ؛ لأَنها ريحٌ محبوبةٌ تُنسب إلى الطيب ، وهى دائمة الهبوب لينة المس معتدلة فى أكثر أوقاتها . أى فإن تمنع[2] سَدُوس نائلَها فإن الريح طيبة قبول ، أى هى صباً لا تمنعنا من الانصراف والرحيل .

فإن كان ما ذكره ابن الأَعرابىّ صحيحاً[3] فإنهم إنما قالوا لكل ريح لينة [قبولا ، تشبيهاً لها بالصبا ، كأَنهم إن هبت شمال لينة] ، قالوا : هذه الصبا ، أو هذه القبول ، أى كالصبا أو كالقبول ، فأَسقطوا حرف التشبيه ، وجعلوا المشبه فى مكان المشبه به ، كما تقول إذا شمِمْتَ أترجَّة[4] طيبةَ العرْف : هذه المسك ، وإذا رأَيت وجهاً جميلاً قلت : هذا هو البدر ، وإن شئت كان المعنى : هذه المسك حقًّا ، وهذا هو البدر يقينا ، ولو هبت شمال شديدة مُزْعجة حتى تقول[5] : هذه هى الدبور بعينها ـ لكان هذا من أسوغ

---

(١) سبق ص ١٦٠ ورواية م ، ك هنا كرواية هناك .

(٢) ط «منعت»

(٣) ط ، ك «صحيحاً وهو الصحيح إن شاء الله» . . . إنما قالوه لكل ريح طيبة لينة

(٤) ط «شممت رائحة»

(٥) م «يقول»

كلام وأصحه[١] . فإن كانت العربُ سَمَّت الشمال والجنوبَ – إذا هَبَّتا هبوباً سهلاً ليناً – قبولاً ، فإنما شبهوها[٢] بالصَّبا وأعاروها اسمها . وإنما قيلَ لها قَبُول لأَنها تـأْتى من مَطْلع الشمس ، وهو[٣] الموضع الذى يُقْبل منه النهار ، وقيل للدبور دَبور لأَنها تَهُبُّ من حيث يُدْبر ، وقد قيل غير ذلك ، وهذا هو الصحيح . وقد حكى بعضهم[٤] عن النَّضْر بن شُمَيل أَنه قال : الْقَبول ريح تلى الصَّبا[٥] ما بينها وبين الجنوب . وهذا غير معروف ولا معمول[٦] عليه [ وقد ذكر بعضهم أن قوماً سموا الشمال قبولا . قال : وليس ذلك بثبت ولا معمول عليه ] إلا أن يكون قاله على هذا [ الوجه ] الذى ذكرته [ على التشبيه ] والله أَعلم .

وبيت أَبى تمام لا يحتمل أن يُتـأَول فيه الريح ؛ لأَنه أَراد مَحْوَ الدار[٧] ولا تُذكر فى محو الدار القبول الخفيفة الهبوب[٨] الطيبة المس مع الدبور التى لا تكاد تهُب ، فإن هبت لم تـأْت إلا شديدة مزعجة .

وقال آخر ممن لا تمييز معه أَراد بين الصبا وقبولها ، أَى : الريح التى قَبَلتها[٩] ، كأَنها قابلتها فَقَبَلْتَهَا فهى قَبُولها ، يعنى ريحاً من الرياح ، كما تقول فاخرته فَفَخَرْتُه ، وخاصمته فخَصَمته .

---

(١) ط « كلام وأفصحه وإن »
(٢) م « فإنما يشبهونها . . . وأعادوها اسما »
(٣) م « الشمس ويكون الموضع . . . من النهار »
(٤) ط « وقد قيل عن »
(٥) م « للصبا »
(٦) فى ط ، م : « معول » وكذا فيما بعده .
(٧) ط « فيه هذه الريح . . . الديار »
(٨) م « الدار الخفيفة والهبوب »
(٩) م « « قبلها »

قيل : هذا خطأ من وجوه ؛ منها أن الريح التى تقابل الصَّبا مقابلةً صحيحة هى[١] الدبور، وقد ذُكِرَت فى البيت الأَول ؛ فلا يجوز أن يريدها[٢].

ومنها : أنك لاتقول قابَلْتُ زيدًا فَقَبَلْته ، مثل فاخرته ففخرته ؛ لأَنك إذا قابلته فقد صرت قُبالته وصار قبالتك ؛ فليس أَحدكما فى هذا بأَفضَلَ من الآخر ، وذلك مثل قولك : وَاجَهْتُه ، ووازيته ، وساويته ، وحاذَيتُه[٣] ؛ لأَنك[٤] فى هذه الأَحوال[٥] مثله وهو مثلُك ؛ فلا يجوز أن تقول فيه : فَعَلته[٦] ، أى غلبته .

ومنها : أنك إذا قلت : زيد ضاربٌ عمرًا ، وضَرُوبُ عمرٍو[٧] ، وقاتلٌ بكرًا ، وقَتُولُ بكرٍ[٨] ، لم تدل على أنه كانت [هناك] مضاربة بينهما أو مقاتلة ؛ لأَنه[٩] يجوز أن يكون الضرب وقع من أحدهما ولم يقع من الآخر ، [وكذلك القتل] ؛ فلذلك لا يدل قوله « قبولها » [على] أنه كانت هناك مقابلة ، كما لا يدل قولك « زيد ضاربُ عمرو » على أنه كانت مُضارَبة بينهما حتى غَلَبَ زيد عمرًا بالضرب . وإذا لم يكن على الشيء دليل لم تقم به حجة .

* * *

---

(١) م « من الدبور »

(٢) م « أن يديرها » ، ط « يرددها »

(٣) ط « واجهته وآزيته » وفى م « ومجازيته »

(٤) م « إنك . . . الأحوال »

(٥) فى ك « الأفعال »

(٦) م ، ك « ففعلته »

(٧) م « وضروب عمراً »

(٨) فى ك « ضارب عمرو أو . . . وقاتل بكر أو »

(٩) « لأنه لا يجوز »

٦ – ومن خطائه[١] قولُه :

وصَنِيعَة لَكَ ثَيِّبٍ أَهْدَيْتَها وَهْيَ الكَعَابُ لِعائذٍ بِكَ مُصْرِمِ[٢]
حَلَّتْ مَحلَّ البِكْرِ مِنْ مُعْطًى وقَدْ زُفَّتْ مِنَ المُعطى زِفافَ الأَيِّمِ[٣]

غَلَّطَه قومٌ[٤] فى البيتين جميعاً ، وقالوا : أراد بقوله «وصنيعة لك» أى : للممدوح «ثيب» أى : قد افترُعت[٥] «أهديتهَا وهى الكعاب لعائذ بك [أى على عائذ بك] مصرم» أى : قليل المال ، وجاء بالكَعَاب على أنها تقوم مقامَ البكر ليجعلها فى البيت ضد الثيب فتصحُّ له القِسْمة . أى هذه الصنيعة ثيِّبٌ عندك ؛ لأنك[٦] قد اصْطنعْت مثلها مرارًا ، وهى الكعاب – يريد البكر– عند هذا العائذِ بك؛ لأنها أول ما اصطنعته إليه أوّلا[٧] لأنها أكبر صنيعة صنعتها عنده .

قالوا : والكعَاب [هى] التى [قد] كعَبَ ثدْيُها ، فقد[٨] تكون بكرًا وتكون ثيباً ، فليست ضدًّا للثيب[٩] فى البيت ، ولا تصحّ بها قسمته : لأن اسم الكعاب لايزول عنها إذا افترُعت حتى يَنْهدَ ثديها ويرتفع .

قالوا : واعتمد أن يشرح هذا [المعنى] فى البيت الثانى فقال :

* حَلَّتْ محلَّ البكرِ مِنْ مُعطًى[١٠] *

---

(١) م «ومن غلطه»
(٢) ديوانه ٣١٣
(٣) الوساطة ٧٧
(٤) م «غلط» ط «غلطه وقع فى البيتين»
(٥) م «قد اضرعت»
(٦) ط «أى قد»
(٧) ط «إليه أولأنها»
(٨) ط «وقد»
(٩) ط «للبكر»
(١٠) أكمل البيت فى ط وليس ثمة ما يبرره .

وذلك [ هو ](١) معنى قوله « وهى الكعاب لعائذ بك » ثم قال : « زفت من المعطى زفاف الأَيم » ، وهو يريد معنى قوله : « وصنيعة لك ثيّب » . على أن الأَيم هى الثيب .

وقالوا هذا خطأ ؛ لأَن الأَيم هى التى لا زوج لها ، بكرًا كانت أَو ثيباً .

قال الله عز وجل : ﴿وأَنكِحوا الأَيامَى منكُم والصَّالحينَ مِنْ عِبادِكمْ وَإِمَائكمْ﴾(٢) ، أفتراه أَراد(٣) أَنكحوا الثيبات من النساء دون الأَبكار ؟ إنما أَراد تبارك اسمُه : انكحوا النساء اللواتى لا أَزواج لهن . فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل فى الآية ، قال الشماخ :

يَقرُّ بعْينى أَنْ أُحَدَّثَ أَنهَا ... وَإِنْ لم أَنَلْها أَيِّمٌ لمْ تَزوَّج(٤)

وهذا هو [ المعنى ] المعروف فى كلامهم .

وهذا الذى ذكروه من غلطه فى الأَيِّم هو كما ذكروا(٥) ، فأَما ما ادَّعَوه فى البيت الأَول من الغلط فى الكعَاب بأَن(٦) أَقامها مُقامَ البكر ، فليس ذلك بغلط ، والمعنى صحيح ، وقد جاءَ مثلُه فى أَشعار العرب ، قال قدامة ابن ضرار(٧) الحنفى :

[ غدَاة خطبْنَا الْبيضَ بالْبيضِ عنْوَةً ... وأُبْنَ إلينَا ثَيِّباتٍ وَكعَّبا(٨)

أَراد بالكُعَّب الأَبكار ](٩) ،

---

(١) من ك
(٢) سورة النور : ٣٢
(٣) ط « قال »
(٤) ديوانه ٧
(٥) م « الذى ذكره . . . كما قال وذكره »
(٦) ط « لمن »
(٧) م « بن حراز » و ك « حزار »
(٨) البيض : النساء ، بالبيض : بالسيوف
(٩) الزيادة من ط

وقال جرير يهجو امرأة :

وقد حملت ثمانيةً وتمَّتْ لِتاسِعةٍ وتَحْسَبُها كعاباً[١]

فأقام الكعاب مقام البكر ، وجعلها ضدًّا للثيب . ومثله فى كلامهم [كثير] موجود وإنما فعلوا ذلك — وإن كانت الكاعبُ قد تكون بكرًا [وقد] تكون ثيباً — لأن أول أحوال الكواعب أن يكن قد ناهزن حدَّ البلوغ وبدأت ثُدُيُّهنَّ بالتكعب ؛ فهنَّ[٢] فى هذه الحال أكثر ما يكن أبكارًا وغير ذات أزواج .

وقال عَمْرُو بن مَعْدِ يكْرِب :

تَرَكوا السَّوَامَ لنا وكلَّ خَرِيدةٍ بَيْضَاءَ خرْعَبةٍ وأُخرَى ثيِّبِ[٣]

فأقام الخريدة مقام البكر ، وجعلها ضد الثيب . فى البيت [والخريدة الدرة] والخريدة هى الحييَّة . حكى اللحيانى قال : سمعت[٤] أعرابيًّا من كلب يقول : الخريدةُ الدرَّة التى تُثقب وهى من النساء البكر ، والخَرْعَبة : اللينة المفاصل الطويلة ، وهذه قد تكون [بكرًا وتكون] ثيباً ، إلا أنه جعلها بكرًا ؛ لأن الحياءَ أكثر ما يكون فى الأبكار .

فقد صحَّ معنى بيت أبى تمام الأول فى الكَعَاب، وبقى الغَلَط[٥] قائماً فى الأيم ، [٦]ونجعلها فى البيت الثانى ضد البكر[٧].

---

(١) ديوانه ٦٤

(٢) م « أحوال الكاعب أن تكون قد ناهزت . . فهى فى هذه »

(٣) السوام : الإبل الراعية .

(٤) م « سمعنا »

(٥) م « الغلط إنما هو »

(٦) من ك

(٧) ط « الثيب »

فإن قيل : فلم لم تجز[١] لأبى تمام إقامة الأيم فى البيت الثانى[٢] مقام الثيب : إذ كانت الأيم قد تكون ثيباً ، كما أقمتَ الكعاب فى البيت الأول[٣] مقام البكر ] إذ كانت الكعاب قد تكون بكرًا ، وتتجاوز له فى هذا كما تجاوزت فى ذلك[٤] ؟

قيل : لفظة كَعاب تدلّ بصيغتها على صغر السن كما عرفتك ، فهى فى الأكثر تكون بكرًا غير مُفْتَرَعة ؛ ولذلك استحسنوا أن أقاموا الكَعاب مقام البكر ، ولفظة أيم لا تدل على حدّ[٥] السّن ، من صغر ، ولا كبر ، ولا بكورة ، ولا افتراع ؛ فلا تجوز إقامتها مقام الثيب بحال .

وقد غلط فى الأيم بعضُ كبار الفقهاء[٦] فجعلها مكان الثيب ، وذلك لحديث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم[٧] فإنه لحقه السهو فى تأويله فحمله على غير معناه ؛ فلعل أبا تمام أيضاً[٨] من هذا الوجه قد لحقه الغلط .

وقد ذكر أبو تمام معنى هذين البيتين فى موضع آخر ، فقال –[٩]يذكر صنيعةً أيضاً :

---

(١) ط « فلم لا يكون »

(٢) ط ، م « الأول »

(٣) ط ، م « الثانى »

(٤) ط « كما نتجاوز فى تلك »

(٥) ط « فى السن »

(٦) يقصد الإمام الشافعى ، كما قال القاضى الجرجانى ٧٨ « . . . وإنما نبذت منه نبذاً اقتضاها فصل أصبته لبعض من اعترض على أبى تمام ، جمع فيه بينه وبين الشافعى فى التكير ووازن بين قوليهما فى الخطأ . . . »

(٧) يريد قوله عليه السلام : « الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها » قال الجرجانى فى الوساطة ٧٧ « فذهب الشافعى إلى أن المراد بالأيم الثيب ، وليس يحفظ عنه ولا يوجد فى شىء من كتبه أن الأيم والثيب فى اللغة عبارتان عن معنى واحد ، فيجد العائب طريقاً إلى عيبه . . . » وخلاصة رأى الشافعى فى الحديث « أن الأيم غير البكر ، وليس غير الأبكار إلا الثيب » . وهو تأويل سديد ضل عنه تفكير الآمدى

(٨) من ك

(٩) ط « فقال وقد ذكر »

وليْسَتْ بالْعَوَانِ الْعَنْسِ عِنْدِى ولاَ هِىَ مِنكَ بالْبِكرِ الكَعابِ[١]

والعَوَان : هى التى بين المُسِنَّة والصغيرة السن ، وهى التى قد عرفت الأمور ، وجرَت عليها التجربة ؛ ولذلك قيل : العَوَانُ لا تُعَلَّم الخمرَة[٢] ، ومنه قيل : حَرْبٌ عَوَان ، وهى التى قُوتِلَ فيها مرَّة بعد مرة، وإنما استعير لها اسم المرأة فى هذه الحال ، كما قال الشاعر :

* الحَرْبُ أَوَّلَ ما تكونُ فَتيَّةٌ *[٣]

فاستعار لها أولَ ما تبدأ وتنشأُ اسمَ الفتاة ، فأراد أبو تمام أن هذه الصنيعة ليست بالعَوان عندى ، أى ليست صنيعةً قد تقدمتها لك لدىَّ صنائع تشبهها لعظمها وجلالها ، ولا هى [منك] بالبكر التى ليست مع ذلك[٤] بكر صنائعك ، بل [قد] أَسْدَيْتَ كثيراً مثلها إلى غيرى .

وهذا هو المعنى الذى قصده فى البيتين المتقدمين ، إلا أنه جعل « العَنَس » ههنا فى موضع العانس كأنه أراد أن يقول وليست بالعوان العانس[٥] عندى فغلطَ فقال « العَنَس » ، والعانس : التى يحبسها أهلها عن التزويج حتى جاوزت حَدَّ الفتاة .

والعَنس : اسم من أسماء الناقة ، وهى التى قد انتهت فى شدتها وقوتها ، فأين وَصْفُ الناقة من وصف المرأة ؟

---

(١) ديوانه ٥٦ وقد سبق ٩٣

(٢) فى جمهرة الأمثال ١٣٩ « يضرب مثلا للعالم بالأمر المجرب له . والخمرة مثل الجلسة ، أى هى عالمة بالاختمار فلا حاجة إلى تعليمه »

(٣) عجزه « تسعى ببزتها لكل جهول » وهو لعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، كما فى اللسان ٩/٤١٦ وانظره فى الشعر والشعراء ١/٣٣٣ وعيون الأخبار ١/١٢٧

(٤) ط « وذلك لكبر »

(٥) م « الأحانس » ط « الأحابس »

فإن قيل[١] : فإن أبا تمام لم يرد غير العَنَس ، ولم يرد العانس ؛ لأنه لو أراد العانس لكان مخطئاً من وجه غير ما ذكرته ، وهو أن العوَانَ – فيما ذكر[٢] بعضُ أهل اللغة – الثيبُ ، وقيل : إنها التى [قد] كان لها زوج ، وجرير قد أفصح بأنها ذاتُ الزوجِ فى قوله :

وأَعْطَوْا كما أَعطَتْ عَوَانٌ حُلِيَّها أَقَرَّتْ لبَعلٍ بعْدَ بَعلٍ تُرَاسِلُهْ[٣]

فكيف يكون العانس وصفاً للعَوَان[٤] والعانس هى التى حُبست عن التزويج ؟ قال عامر بن جُوَيْن[٥] الطائى :

وَاللهِ ما أَحبَبْتُ حُبَّكِ عانِساً ولا ثَيِّباً لوْ أَنَّ ذاكِ أَتانى

فجعلها ضد الثيب ، والعنس أولى بأن تكون وصفاً للعوَان من العانس ، ويكونان جميعاً من أوصاف [العوان لأن العوان إذا أريد بها] الناقة ، وهى دون[٦] المسنة وفوق الفتية ؛ فهى حينئذ الكاملة . والعنس : الناقة التى قد انتهت فى قوتها ؛ فهما صفتان متفقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من أوصاف النوق ، كما استعار البكر الكعاب من أوصاف النساء .

قيل : هذا غلط من الاحتجاج ، وتعسُّف من التأول ، وإنما يُسْتَدَل ببعض الألفاظ على بعض ، كما يستدل على المعنى بما يَقْتَرِن ويتصل به ؛ فيكون فى ذلك بيان وإيضاح . أما العَوَان والبكر – وإن كان قد وُصف بهما غير المرأة من البهائم وغير البهائم – فإن البكر فى البيت لا تكون مستعارة إلا من أوصاف النساء ، من أجل ما اقترن بها من لفظ الكعاب التى هى

(١) م « فإن قال »
(٢) م ، ك « زعم »
(٣) ديوانه ٤٨٢ « عوان حايلها »
(٤) م « للكعوب »
(٥) م « بن جرير » وهو تحريف راجع المعمرين ٤٠ والخزانة ٢٥/١
(٦) م « فهى »

مخصوصة بوصف الجارية التى [قد] كَعَبَ ثديُها ؛ فلا تكون العَوَان فى صدر البيت من أوصاف النوق ، والبكر فى آخره من أوصاف النساء ، فعلمنا أنه لم يرد بالعنْس إلا العانس فغلط. كأنه أراد [أن] هذه الصنيعة ليست فى حال ما هى عندى بالعَوَان العانس ، ولا فى حال ما هى عندك بالبكر الكعاب ؛ لأن المرأة [قد] تكون كاعباً وبكرًا فى حال ، وعواناً وعانساً فى حال أخرى ؛ فتنتقل فى هذه الأوصاف . والعنس لا موضع لها ههنا .

وأما قوله « إنه لو أراد العانس كان مخطئاً ؛ لأن العانس هى التى حبست عن التزويج حتى جازت حد الفتاة فلا يكون وصفاً للعَوَانِ لأن العوان عند أهل اللغة الثيب » ـ فيقال [له] : إنما كان يسوغ لك هذا التأويل لو زَالَ اسم العنوس عن المرأة إذا تزوّجت ، فأما وهو[1] وهو باقٍ عليها بعد التزويج الذى صارت به ثيباً فلم لا يكون وصفاً للعَوَان التى هى أيضاً ثيب عندك ، ألا ترى إلى قول كُثَيِّر :

وإنَّ طِلَابِى عَانِساً أُمَّ وِلْدَةٍ ... لَمِمَّا تُمَنِّينَا النُّفوسُ الْكَوَاذِبُ[2]

فقال « عانساً » وجعلها أم ولده .

فإن قال : فلعلّ أبا تمام لم يرد هذا ، وإنما أراد بالعنس مصدر عَنَسَت المرأةُ تَعْنُسُ عَنْساً وعُنوساً . فجعل المصدرَ وهو عَنْس وصفاً للعَوَان مكان العانس ، والمصادر قد تجعل أوصافاً فى موضع[3] أسماء الفاعلين .

قيل له[4] : المعروف فى مصدر عَنَست المرأة هو العُنُوس ، ولم يسمع العَنْس ، وعلى أن الأصمعى قد أنكر عَنَست مخففاً ، وقال : إنما هو

(١) م « ماهو »
(٢) ط « فإن . . . لما تمنينى »
(٣) فى ط ، م « مكان »
(٤) ط « له المصدر »

عُنِّست تُعَنس تَعْنِيساً [بالتشديد] ، حكى ذلك عنه يعقوب بن السِّكيت .

وهَبْ [أنه] قد جاء العَنْس مصدر عَنَست ، فليس فى كل موضع يسوغ أن تكون المصادر أوصافاً ، وإنما تكون أوصافاً على وجه من الوجوه وطريقةٍ من اللفظ ، وهى قولهم : إنما زيد دَهْرَهُ أكلٌ ونوم[١] ، وإنما عمرو أبدًا قيامٌ وقعودٌ [فإن شئت كان المعنى : إنما زيد ذو أكل ونوم ، وإنما عمرو ذو قيام وقعود] ؛ فتقيم المضاف إليه مقام المضاف ؛ لأنه يدل عليه ، أو تجعل زيدًا نفسه الأكل والنوم ، وعمرًا القيام والقعود على المبالغة ؛ لأن ذلك كثير منهما ، كما قالت الخنساء :

تَرْتَع ما رَتَعَتْ حَتىَّ إذا ادَّكَرَتْ ... فَإنَّما هِىَ إقْبَالٌ وَإدْبَارُ[٢]

فجعلت الناقة هى الإقبال والإدبار ، لأن ذلك كثر منها ، وإن شئت كان المعنى ذات إقبال وإدبار ؛ فأقمت المضاف إليه مقام المضاف .

فهذه طريقة الوصف بالمصادر ، وإذا تأوَّلتَ بالعنْس المصدرَ فى قوله «وليست بالعَوَان العَنْس» كان ذلك كقولك: ليست هند بالصبية الصِّغر[٣] ، تريد الصغيرة ، ولا دَعْد بالهَرمة الكِبر[٤] ، تريد الكبيرة ؛ وهذا لا يسوغ فى منطق ، ولا يعرف[٥] فى لغة . ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفاً على نحو ما ذكرته ؛ فيقال : هندٌ الْحُسْنُ كله ، ودعد الجَمال أجْمعه ، وزيد الهَرَم أقْصَاه ، وعَبدُ الله البُغْضُ[٦] نَفْسُه ، والتِّيهُ عيْنه . فإن شئت كان

---

(١) م «زيد دهر لكل ويوم»

(٢) ديوانها ٧٨ والكامل ١٢١٤/٣ واللسان ١٣٥/١٩ والأغانى ١٣٨/١٣ وأمالى المرتضى ٤٦٥/١

(٣) م «الصغير»

(٤) ليست فى م

(٥) ط «ولا يعد»

(٦) م «وعند»

المعنى هندٌ صاحبةُ الحسْن كله ، ودعد ذات الجمال أجمعه ، وزيد أخو الهرم ، وعبد الله ذو التيه ؛ فأقمت المضاف إليه مُقام المضاف ، كما قال الله عز وجل : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ التِى كُنَّا فِيهَا﴾(١) يريد أهل القرية . وإن شئت جعلت هندًا هى الحسن ، ودعدًا هى الجمال ، على المبالغة ، [لما كانتا غايتين فيهما . وجعلت زيدًا هو الهرم وعبد الله هو التيه] لمَّا كانا متناهيين فى هذين الوصفين .

ولو كان أبو تمام اقتصر على ذكر العَوَان والبكر ـ وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء فى هذا المعنى ، ولم يخلط بهما العَنْس والكعَاب والثيب والأَيِّم(٢) ـ لكان قد سلك الطريقَ المستقيم وأتى باللفظ المألوف المستعمل ، وتخلص من فاحش الخطإ ، وإنما أراد معنى الفرزدق فى قوله :

وَعِندَ زِيادٍ لَو تُرِيد عَطَاءَهُم ... رِجَالٌ كثِير قَدْ تَرَى بِهِمُ فَقْرَا(٣)

قُعُودٌ لَدَى الأَبْوَابِ طلاب حَاجةٍ ... عَوَانٍ منَ الحَاجَاتِ أَوحَاجَةٍ بِكْرَا(٤)

أى : منهم طالبُ حاجةٍ عوانٍ ، أى حاجة قد عرفها وصارت عادة له ورسما يتطلبه فى كل حين ؛ ومنهم طالب حاجة بكر ، أى أولَ ما يلتمسه منه ويترجمه(٥) عنده . فأحبَّ أبو تمام أن يَزيدَ على هذا المعنى ويُغْرِب فأخرجه ذلك إلى الخطإ .

وقد أحسن محمد بن حازم الباهلى فى قوله :

أَبا جَعْفَرٍ يابْنَ الجَحاجِحَةِ الغُرِّ ... بَدَتْ حاجةٌ وَالحُرُّ يـأْوِى إلى الحُرِّ(٦)

---

(١) سورة يوسف : ٨٢

(٢) فى ك «والثيب والبكر»

(٣) ديوانه ٢٢٦ « يريد . . . يرى . . . » وفى ط « عطاء »

(٤) ط « طالب »

(٥) فى ط ، م « ويقترحه »

(٦) الجحاجحة : جمع جحجاح ، وهو السيد الكريم

وَقَدْ لَبِسَتْنِى مِنكَ بالأَمْسِ نِعمةٌ فَهَلْ لَكَ فى أخرى عَوَانٍ إلى بِكْرِ
على أَنَّهُ إنْ أَمْكَنَتَ أَوْ تَعَذَّرَتْ فإنَّكَ بَيْنَ الشُّكْرِ مِنِّىَ وَالعُذْرِ

فهذه طريقة الشعراء فى العَوَان والبكر .

٧ـ ومن خطائه قوله :

الوُدُّ لِلقُرْبى ، ولٰكنْ عُرْفُه لِلأَبْعدِ الأوطانِ دُون الأَقْرَبِ[١]

لأنه نَقَصَ الممدوح مرتبةً من الفضل ، إذ[٢] جعل وُدَّه لذوى قرابته ، ومَنَعهم عُرْفه ، وجعله فى الأَبعدين دونهم . ولا أعرف له فى هذا عذرًا يتوجه .

وقد عارضنى فى هذا البيت غيرُ واحدٍ ممن ينتحل نُصْرَةَ أبى تمام .

فقال بعضهم : إن العُرف [هو] ما يتبرع به الإنسان ؛ فلذلك جعله فى الأَباعد ، فأَما الأَقارب فإن بِرّهم وصِلَتهم من الحقوق الواجبة اللازمة .

قلت : إن كنتَ تريد الحقوقَ التى تلزم [وتجب من طريق الحكم] فإن ذلك إنما هو للآباء والأَجداد والأُمهات والأَولاد والإخوة والأَخوات والأَعمام والأَخوال [ومن لا تجوز فيهم المناكحات] إذا كانوا فُقَرَاءَ محتاجين؛ فيجب لهم من الإنفاق عليهم بقدر القوت والكفاية ، وهذا لايخرج [عن] أن يسمى معروفاً ، ألا تَراهم يقولون : أَنِلْ أَباكَ مِنْ مَعْروفك ، أو أَنِلْ أمك من معروفك ؛ فلا يكون هذا قبيحاً ، بل حسناً[٣] ، وقال الله عز وجل فيما فَرَضَ للنساء[٤] : ﴿وَعلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوتهُنَّ بالمَعْرُوف﴾[٥] فقد صار الفَرْضُ ههنا معروفاً ؛ لأَن المعروف [ههنا] هو الحسن الجميل من

---

(١) ديوانه ١٤ وفى شرح التبريزى ١/١٠٨ « أى يخص قرابته بالود والمحبة دون العطاء ؛ لأنهم غير محتاجين ، وعرفه لمن لا نسب بينه وبينه » وهو فى الصناعتين ١٢٢

(٢) فى ط ، م « وجعل »

(٣) ط « بل حقاً »

(٤) ط « على النساء »

(٥) سورة البقرة : ٢٣٣

القول والفعل الذى قد(١) عُرفت المصلحةُ فيه فصار معهودًا [معتادًا] إذا ورد لم تنفر منه النفوس فتنكره وهذا لا يكون الإنسان محمودًا به إذا أعطاه هذه الطبقة من أهله حتى يُمدَح بفعله ويُفْتَخر له به ، بل يكون مذموماً إذا اقتصر عليه ولم يتجاوزه [إلى التوسعة عليهم والإغناء لهم إن كان من ذلك متمكناً وعليه مقتدراً ، فما بال الآن غير هؤلاء] من الأقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم ، وهم بنو الأعمام الذين هم الأَعْضَادُ والعُدة ، وبهم تكون النُّصرة ، وكذلك بنو الأَخَوَات وبنو الأَخوال لم يجعل المعروف الذى هو تبرع(٢) فى الأباعد دونهم ويخرجون منه .

وإن [كنت] أردت الحقوق التى يُلْزِمها الإنسانُ نفسَه تكرُّماً وتفضلا فذلك حقيقة العُرْف الذى يتبرع المرء به ، ويحمد عليه ، ويمتدح بفعله إياه ، وَإعطائه له ، ويُذم إذا منعه . والأقاربُ على اختلاف(٣) طبقاتهم وأنسابهم أولى [به] من الأباعد ؛ فمن جعله فى الأباعد دونهم فذلك منه غاية اللؤم ، ونهاية العقوق ، وعين الحمق ، وإن وصفه واصفٌ به فقد بالغَ فى ذمه ، وتناهى فى هجائه.

وقال آخر(٤) قوله « الود للقربى » قد جمع لهم الود(٥) والعرف وغيره ؛ لأن المودة تشتمل على ذلك كله ، والعُرْفُ الذى خَصَّ به الأَبْعَدِينَ لا يجمع الوداد ؛ إذ ليس كل من أَسْدَيْتَ إليه معروفاً فقد(٦) وَدِدْتَه : فقد أعطى ذوى القربى أَكْثَرَ مما أعطى الأبعدين .

(١) سقطت من م
(٢) ط « هو يتبرع به »
(٣) ط « الاختلاف فى »
(٤) فى ط بدلها : « فقال »
(٥) م « بالود »
(٦) ليست فى ك

فقلت له : وليس كل من وددته أيضاً فقد أَسْدَيْتَ[١] إليه نائلا ولا معروفاً ، ولا تتضمن لفظة الودّ غير المحبة فقط .

وعلى أن قوله « دون الأَقرب » توكيد يوجب إخراج الأَقارب من العُرف ، وتخليصه[٢] للأَبعدين ، فما يغنى[٣] هذا التأْويل الذى تأَوَّلته .

فأَقام على أن الودّ يجمع العُرْف والصِّلة . وهذا غير معروف ، ولا موجود فى كلام الناس .

وقد قال المقنَّعُ الكِنْدىُّ :

فإنَّ الَّذِى بَيْنِى وَبَيْنَ بَنِى أَبِى ... وَبَيْنَ بَنِى عَمِّى لمُخْتَلِفٌ جِدًّا[٤]

إذا جَمعُوا صَرْمى مَعاً وَقَطِيعتى ... جَمعْتُ لهُمْ منى مَعَ الصِّلةِ الوُدَّا[٥]

فأَفصح هذا بأَنه يَجمع لهم بين الصلة والود . وقال البحترى :

مَوَدَّةٌ وَعطَاءٌ مِنْـــكَ نِلْتُهمَا ... وَرُبَّ مُعْطَى نَوَالٍ غَيْرِ مَوْدُودِ[٦]

فقال « مودة وعطاء منك نلتهما » فلو كانت المودَّة لا تكون إلا ومعها عطاء لما يكن لهذا القول معنى ، وكذلك البيتُ قبله ، وقال « ورُبَّ مُعْطى نوالا غير مودود » ، [ وكذلك تقول : رب معطى نوال غير مودود ][٧] ورب مودود غير معطى نوال . أَلا ترى إلى قول الأَعشى :

بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فى النَّفْس حَاجَتَها ... بَعْدَ ٱئْتِلافٍ ، وَخَيْرُ الْوُدِّ ما نَفَعا[٨]

---

(١) م ، ك « أوصلت »

(٢) فى ط ، م : « وتحصيله »

(٣) ط « عن العرف وتخليصه للأبعد فى معنى هذا » وفى م « مما ينفى هذا التأويل »

(٤) حماسة البحترى ٢٤٠ ، والصناعتين ١٢٢

(٥) رواه البحترى

وإن قطعوا منى الأواصر ضلة ... وصلت لهم منى المحبة والودا

(٦) ديوانه ٣٤٧

(٧) الزيادة من ك

(٨) ديوانه ١٣٠ والصناعتين ١٢٢ وتفسير الطبرى ١٠٦/١ طبع المعارف وفى م « باتت » وأسأرت من السؤر بمعنى أبقت .

فأراد أن الودَّ قد يكون ولا نفع معه ، وقال أبو تمام[١] :

قَرَانى اللُّهَى وَالْوُدَّ حَتَّى كَأَنَّما ... أَفَادَ الغِنَى مِنْ نَائِلِى وَفَوَائِدِى

وعارض آخر بمثل هذه المعارضة سواء ، فأجبته بمثل هذا الجواب ، وقلت له : فإن كان الأمر على ما تزعمُ وتركناك[٢] وشهوتك فى أن الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقض أيضاً[٣] هذا الشاعرُ نفسَه فى البيت ؛ لأنه إن كان أراد بقوله « الود للقربى » المحبةَ والمعروف جميعاً ، فقد قال فى عجز البيت « ولكن عرفه فى الأبعد الأوطان دون الأقرب » فأخرج الأقرب [من العرف] بقوله « دون » فلو كنتَ تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الأقرب ، كان ذلك أقلَّ قبحاً من المناقضة .

فقال : إنما أراد بقوله «ولكن عرفه فى الأبعدِ الأوطانِ دون الأقرب» إفْرَادَ العُرف للأبعد ، وألا يجمعه[٤] له مع وده[٥] كما جمعهما للأقرب .

فقلت : فقوله « دون » يفسد عليك هذا التأول[٦] ، وما أراك إلا وقد أوضحت به[٧] الإحالة والمناقضة وبينتهما ؛ لأنك فى هذا كقائل قال : الود والمال جميعاً لزيد ، والمال لعمرو مفردًا دون زيد . فكيف يجمع المال مع الود لزيد أولاً ويُفْرِد عمرو[٨] به دون زيد آخرًا ؟ وهذا أقبح ما يكون من

---

(١) م ، ك : « وقال البحترى » وهو خطأ فالبيت فى ديوان أبى تمام ١١٧ وشرح التبريزى ٢/٧٣ واللهى : الأموال . وأفاد : بمعنى استفاد .

(٢) ط « على شهوتك »

(٣) ط « ناقض إذا هذا » ك « ناقض إذا فى البيت »

(٤) ط « للأبعد وإلا فجمعه »

(٥) ط ، م « الود »

(٦) ط « التأويل »

(٧) من ك

(٨) ط « عمرا »

المناقضة . وإنما كان يصح هذا[١] الكلام أن لو قال : الود والمال لزيد ، والمال لعمرو دون الود . فيكون قد أخرج عمرًا من الود إخراجاً مؤكدًا بقوله « دون الود » فأما الكلام الأول فمتناقض كما عرفتك . وكذلك بيت أبي تمام كان يُتأول على هذا أن لو قال « دون الود » لا دون الأقرب ، وما ظننت أن أحَدًا يدَّعى مثل هذه الدعوى ، ولا أن حاجة تدعو إلى مثل هذا الاحتجاج .

ويجب أن يقال لهذا المعارض : هل يجب[٢] عندك أن تكون مودة لا معروف معها ، إذ ليس كل من وددته فقد أنلته معروفاً ؟ فإن قال « لا » كابَرَ وسقط كلامه ، وإن قال « نعم » قيل : فقد خرجت لفظة الود[٣] عن أن تدلَّ بمجردها على المعروف إلا[٤] بشيء يَقْترن بها .

وقال آخر : إنما أخرج أقاربه من المعروف لأنهم فى غنى وسعة بغنائه وسعة حاله ؛ فلذلك أفردهم بالود .

قلت له : فإذا[٥] كانوا أغنياء بغنائه فقد أوسعهم من معروفه ؛ فما كان ينبغى للشاعر أن يَشترط[٦] للأباعد دونهم .

وقلت له : وكيف يُعلم أنهم أغنياء وليس فى ظاهر لفظ[٧] البيت دليل عليه ؟ قال : كذا نوى وأراد . قلت : ليس العملُ على نية المتكلم ، وإنما العمل على ما توجيه[٨] معانى ألفاظه ، ولو حمل[٩] قول كلِّ قائل وفعلُ كل

---

(١) م « بهذا »
(٢) م ، ك « يجوز »
(٣) م « الود أن . . . لا بشيء »
(٤) م « لا »
(٥) ط « فإن »
(٦) ط « يشرط »
(٧) ط « فى داخل البيت »
(٨) ط ، ك « على توجيه »
(٩) ط « حملت »

فاعل على نيته لما نسِبَ أحد إلى غلط. ولا خطأ فى قول ولا فعل ، ولكان من سَدَّد سَهْماً وهو يريد غرضاً فأصاب عينَ رجل فذهبت[١] ـ غير مخطئ ؛ لأنه ما اعتمد إلا الغرض ، ولا نوى غير القرطاس .

وقال آخر : أراد بقوله « ولكن عرفه فى الأبعد الأوطان دون الأقرب » أى : بَعْدَ الأقرب [ كما ] تقول : جاء[٢] الأمير فمن دونه ، أى : فمن بَعْدَه .

قلت : فإنما معنى « فمن دونه » أى فمن هو أَدْوَنُ منه فى الرتبة ، بعده كان مجيئه أو قبله .

وقال آخر : إنما أراد أبو تمام بقوله « دون الأقرب » أى : فضلا عن الأقرب ، أو[٣] : فكيف الأقرب ، لأن[٤] هذا مذهب الناس أن يضعوا « دون » فى هذا الموضع فيقولوا : أنا أَرْضَى بالقليل دون الكثير [ أى : فضلا عن الكثير ][٥] وأنا أَقْنَعُ بقُرْص من شعير دون ما سواه ، أى : فَضْلًا عمَّا سواه ، وهذا مذهبٌ صحيح معروف .

قلت له : هذا توهُّم منك فاسد ، وتأول لهذا الكلام على غير وجهه المقصود ؛ لأن معنى « دون » عند أهل العربية[٦] التقصيرُ عن الغاية ؛ فمعنى قوله « أنا أرضى بالقليل دون الكثير » أى أرضى بالقليل ولا أنتهى إلى الكثير ؛ أى لا أطمح إليه ، وأقنع[٧] بقُرْص من شعير ولا أنتهى إلى ما سواه ؛ فهذه

---

(١) م « فذهب »
(٢) ط « جاءنى »
(٣) ط « أى »
(٤) ط « وإن كان هذا مذهباً للناس »
(٥) الزيادة من ط
(٦) ط « أهل اللغة »
(٧) ط « وأرضى »

حقيقة معنى اللفظ . فأما ما تأولته فإنما هو بمعنى بَلْهَ التى تأتى فى الكلام وموضعُها دَعْ ، كقول كُثَيِّر :

بَسَطْت لِبَاغِى الْعُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً يَنَالُ الْعِدَا ، بَلْهَ الصَّدِيق ، فُضُولُها

أى : تنال العدا فَدَعِ الصديقَ ، أى : لا تَصِلُ إلى العدا إلا بعد أن تصل إلى الصديق . و « دون » لا تتضمن هذا المعنى ولا تؤديه .

قال[1] : فقد تأتى « دون » بمعنى فوق ، كما تأتى فوق بمعنى دون ، فى قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[2] ذُكر أن معناه فما دونها ؛ لأن « فوق » قد تكون دون عند ما هو فوقها ؛ و « دون » قد تكون فوق عندما هو دونها[3] ؛ فيجوز أن يكون أراد الشاعر بقوله « دون الأقرب » أى : فوق الأقرب ، بمعنى زيادة على ما أعطاه الأقرب ، أو تكون « دون » ههنا بمعنى أمام [لأن بعض أهل اللغة جعلها من الأضداد ، وأنها تأتى بمعنى خَلْف وبمعنى أمام][4] مثل وَرَاء ، فيكون معنى[5] قوله « دون الأقرب » أى : أمام عرفه فى الأقرب ، أى : قبله .

قلت له : أما ما قيل فى قوله عز وجل (فما فوقها) [أن] معناه فما دونها ، فإن أهل العربية على خلاف ذلك ، وليس لهذه اللفظة[6] عندهم إلا وجهان ؛ أحدهما : أن يكون فما فوقها [بمعنى] فما هو أكبر منها[7] ؛ لأن البعوضة نهاية[8] فى الصغر ؛ فيكون المعنى أنه تعالى لا يستحى أن يضرب

(١) م « ولا تؤديه فإن فقد »
(٢) سورة البقرة : ٢٦
(٣) ط « تحتها »
(٤) الزيادة من ط
(٥) م « بمعنى »
(٦) ط « اللغة »
(٧) م « أكثر »
(٨) ط « غاية »

مَثَلاً ما بين [ هذا ] الشيء الذى هو غاية الصغر إلى ما هو فوقه ، أى : ما زاد عليه وتجاوزه .

والوجه الآخر : [ أن يكون فما فوقها بمعنى ] فما فوقها فى الصغر ، وهذا قول أبي العباس : محمد بن يزيد المبرد وأبي إسحاق الزجاج ، والكسائى من[1] قبلهما ، وأبى عبيدة ، وما أظن غير هؤلاء [ من النحويين ] يقول إلا مثل ذلك .

وأما ما ذكرْتَه من أن « دون » تأْتى بمعنى خَلْف [ وأمام ][2] وأنها[3] عند أهل العربية من الأضداد مثل « وراء » ـ فقد أخبرتك أن معناها عند أهل [ اللغةو ] العربية التقصير عن الغاية ، وإذا كان الشيء وراء الشيء أو أمامه أو يَمْنة [ منه ] أو شأْمة ، صَلَح فى ذلك كله أن تقول : هو دونه ، ألا ترى أنك إذا قلت « بيوت بنى فلان دون الْحَرَّة » صلح أن تكون دونها إلى مَهَبِّ الشَّمال ، أو إلى مَهَبِّ الجنوب [ أو إلى ][4] غيرهما من الجهات ؛ فلا يعلم المخاطب أىَّ الجهات التى تَعْنى[5] ؛ فليس هذا من الأضداد فى شيء ، وإنما جعلها قوم من الأضداد لمّا رأوها تُسْتَعمل فى هذه الوجوه لما فيها من الإبهام .

وكذلك « وراء » إنما هي من الْمُوَاراة والاستتار ؛ فما اسْتَتَر عنك فهو وَرَاء : خَلْفَك كان أو قدَّامك ، هذا إذا لم تَرَه ولم تُشاهده ، فأَمّا إذا رأيته فلا يكون أمامك وراء[6] ، وإنما قال لبيد :

---

(١) م « ومن »
(٢) من ك
(٣) ط « وأمام فإنها »
(٤) الزيادة من ط
(٥) م . ك « المخاطب أين الجهة حتى يعلمه فليس »
(٦) ط « أمامك ووراءك »

أَلَيْسَ وَرَائى إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِى لُزُومُ الْعَصا تَحْنَى عَلَيْها الأَصابعُ[١]

بمعنى أليس أمامى ؛ لأنه قال ذلك قبل أن يَرى ويُشاهد نفسه وقد لزم العصا .وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[٢] قالوا : إنه كان[٣] أمامهم ، وصَلَح ذلك لأنهم لم يُعاينوه ولم يشاهدوه . فقد وضح لك الآن معنى[٤] « دون » وأنها لا تخرج عن بابها الذى[٥] وُضعت له ، ألا ترى أنك تقول : نزلتُ القرية[٦] دون النخل ؛ فيجوز أن تكون القريةُ أمام النخل ، وخلفه ، ويكون[٧] المعنى أنك أفردت القرية بنزولك ، ولم تُعَرِّج على النخل ، وكذلك « لقيت زيدًا دون عمرو » و « أكلت السمك دون اللبن » أخرجتَ عمرًا من لقائك ، واللبن[٨] من أكلك . فكذلك قول الطائى « دون الأقرب » قد أخرجهم من العرف ، وهذا لا شىء أوضح منه .

وقد حمل بعضهم نفسَه على أن قال : إنما[٩] أراد الطائى « لكن عرفه فى الأبعد الأوطان دون عرفه فى الأقرب » .

وهذا من أفحش الخطإ ، لأن قوله « دون الأقرب » مثل قولك : وُدِّى لزيد دون عمرو : فليس معناه كمعنى قولك : ودى لزيد دون [ ودِّى ] لعمرو ؛ لأنك فى الأول قد أخرجت عمرًا من الود وأفردت به زيدًا ، وفى الثانى جعلت

---

(١) م « عليها الأصالع » والبيت فى اللسان ٢٠/٢٦٩ والشعر والشعراء ١/٢٣٦ والأغانى ١٤/٩٩

(٢) سورة الكهف : ٧٩

(٣) م « إنما قالوا كان »

(٤) م « ذلك الآن بمعنى »

(٥) ط « التى » م « وصف له »

(٦) ط « فى القرية »

(٧) ط « أن يكون »

(٨) م ، ك « والسمك »

(٩) من ك

الود لزيدٍ دون الود لعمرو ، أى أقلَّ منه ؛ فهذا معنى ، وذاك معنى[١] آخر.

وأيضاً فلو اعتمد أبو تمام هذا المعنى لكان قد أخرج « لكن » التى تدخل للاستدراك من أن يكون استدْرَكَ بها شيئاً : فلا يكون لها فى البيت معنى ألبتة.

وقال آخر ممن يلتمس العذر لأبى تمام : إنما هذا على طريق الإيثار كما يؤثر الإنسان على نفسه ، فكذلك يؤثر على أقاربه .

قيل له : الإيثار على النفس حَسَنٌ[٢] جدًّا ، وصاحبه ممدوح ، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٣] وكما قال أبو خِراش[٤] الهذلى[٥] :

أَرُدُّ شُجَاعَ الجُوعِ لو تعْلَمِينَهُ ... وَأُوثِرُ غَيرِى مِنْ عِيالِكِ بالطُّعمِ[٦]

وكما قال عُرْوة بن الْوَرْدِ :

أُقسِّمُ جِسْمِى فى جُسُوم كَثيرَةٍ ... وَأَحْسُو قَرَاحَ الماءِ وَالماءُ بارِدُ[٧]

فالإيثار إنما يكون إيثارًا وَيقَعُ الحمدُ به إذا آثر الإنسان غيرَه على نفسه أو على ولده ، فى بعض الأحوال ، فأمّا إذا آثر بعضَ الطالبين على بعض بغير سبب يُعلم ، فهو بذلك مذموم غير ممدوح ، فكيف إذا آثر البعيدَ على القريب ؟

---

(١) من ك

(٢) م « كسن جدا » !

(٣) سورة الحشر : ٩

(٤) م « أبو كراش » !

(٥) من ك

(٦) ديوان الهذليين ٢/١٢٨ وفى اللسان ١٠/٣٩ « وتزعم العرب أن الرجل إذا طال جوعه تعرضت له فى بطنه حية يسمونها الشجاع وقال أبو خراش الهذلى يخاطب امرأته . . . وقال الأصمعى : شجاع البطن شدة الجوع وأنشد بيت أبى خراش أيضاً » والطعم : الطعام . وفى ك « شجاع البطن »

(٧) ديوانه ١٤١ وتهذيب الألفاظ ١٩٧ والاقتضاب ٣٧٢ جسمه ههنا : طعامه . يقول : أقسم ما أريد أن أطعمه فى محاويج قوى ومن يلزمنى حقه والضيفان . والماء القراح : الذى لا يخالطه لبن ولا غيره . والماء بارد : أى فى الشتاء

وقد جاء فى أشعار العرب من الحثّ على بر الأقارب ومن حَمْد مَنْ وصلهم وذمٌّ[1] من حَرَمهم ، ما هو أكثر وأشهر من أن يخفى .

قال زهير :

وَلَيْسَ مَانِعَ ذى قُرْبى وذِى رَحِمٍ ... يَوماً ، وَلا مُعْدِماً مِنْ خَابِطٍ وَرَقا[2]

وقال أبو دُوَاد الإيادىّ :

إذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجالِ لِنَفْعِهِـمْ

فَرِشْ وَاصْطَنِعْ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ ترمى[3]

وقال حاتم الطائى :

لا تعْذُلِينى علَى مالٍ وَصلْتُ بِهِ ... رَحماً قَرِيباً ؛ فَخَيرُ المَالِ ماوَصلا[4]

وقال أوس بن حَجَر :

أَلَيْسَ بوَهَّابٍ مُفِيدٍ وَمُتلِفٍ ... وَصُولٍ لِذِى القُرْبَى هَضِيمٍ لمُهْتَضِمْ[5]

وقال زهير :

وَذِى نَسَبٍ ناءٍ بعيدٍ وَصَلْتَهُ ... بمَالٍ وما يَدْرِى بأَنَّكَ وَاصِلُهْ[6]

وقال كُثَيِّر :

بسَطتَ لِباغى العُرْفِ كَفًّا بَسيطَةً

يَنَالُ العِدَا بَلَهَ الصَّدِيق فُضُولُها

---

(١) م « وذلك من »

(٢) ديوانه ٥٣ « والعرب تقول إذا ضرب الرجل الشجر ليحت ورقه فيعلفه ماشيته : قد خرج يختبط الشجر . والورق يسمى الخبط . ويقال للرجل : إن خابطه ليجد ورقاً : أى أن سائله ليجد عطاء . أى يكون لخابط المعروف فى واد به ورق ، فسمى من طلب بغير يد سالفة ولا معروف — خابطاً . والإعدام أن تمنع الرجل ما يريد .

(٣) البيت له فى الصناعتين ١٢٣ وراش السهم : ركب عليه الريش

(٤) ديوانه ١١٧ « رحما وخير سبيل المال »

(٥) هكذا فى الأصل والذى فى ديوانه ص ١٢٤ . هضيم لمهضم

(٦) ديوانه ١٤٣ وفى م « وما مدريه أنك »

فهذا المعنى أولى بالصواب من قول الطائى ؛ لأنه أراد أن عُرْفَه ينال العدا فضلا عن الصديق : لأن قوله « بله الصديق » أى فَدَعِ الصديق لأنه لا يصل إلى العِدَا إلا بعد أن يصل إلى الصديق .

وقال كُثَير أيضاً :

لأَهْلِ الوُدِّ والقُرْبَى عليهِ صنائِعُ بثُّها بَرٌّ وَصُولُ
ولِلفُقَرَاءِ عائِدَةٌ ورَحْمٌ فلا يُقْصَى الفقيرُ ولا يُعِيلُ[1]

ألا تراه بدأ بأهل ودّه وقرابته فجعل صنائعه[2] فيهم ، ثمَّ ثَنَّى بالفقراء ، فجعل لهم عائدة ورَحماً ، أى رحمة .

وقال كثير أيضاً :

ولمْ يَبلُغِ السَّاعونَ فى المجْدِ سَعيهُ ولمْ يُفضِلوا إفضَالهُ فى الأقارِب
جَزَتْكَ الجوَازِى عنْ صَدِيقِكَ نَضْرَةً وحُيِّيتَ منْ مأْوَى طَرِيدٍ وراغِب[3]
وصاحب حق معصم بكَ حقَّهُ وجار ابن ذى قربى وآخر جانب[4]
رأَيْتُكَ والمَعرُوفُ مِنْكَ سَجيَّةٌ تَعُمُّ بِخيْرٍ كُلَّ جادٍ وغائِب

« جادٍ » يقال : فلان[5] يَجدُو ويجتَدِى ، أى : يعم بالمعروف من هو بحضرتك [ يسألك ] [6]ومن هو غائب عنك ؛ فجعل كثير ، كما ترى ، معروفه عُموماً فى الأقارب وفى الأباعد إلى الحاضر والغائب .

وقال ابنُ هَرْمَة :

كمْ نائِلٍ وصِلاتٍ قَدْ نَفَحْتَ بها ونِعْمةٍ مِنك لا تحْصَى أيادِيها

(١) فى ك « ولا يعول »

(٢) ط « منافعه »

(٣) ط « وقربت »

(٤) ط « وصاحب قوم » . م « وجابر ذى »

(٥) من ك (٦) من ك

[عندَ الأَقارِبِ والأَقْصَيْنَ نَفعُهُما     بِيضٌ روائِحُها تحدُو غوادِيها] (١)

وقال كنانة بن عبد ياليل الثَّقَفى .

صلاةٌ وتسبيحٌ وإعطاءُ سائل     وذُو رَحِمٍ تنالُهُ مِنكَ إصبعُ (٢)

يريد بقوله إصبع معروف ونائل .

وقال إسماعيل بن يسار النسائى (٣) :

وإذا أصبتَ من النوافِلِ رَغْبةً     فَامنحْ عَشيرَتَكَ الأَدانى فَضْلَها (٤)

وقال المُسَيَّبُ بن عَلَس فى منع الأَقارب :

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَصِلُ الأَبْعدينَ     ويَشقَى بهِ الأَقْرَبُ الأَقْرَبُ (٥)

وقال الحارث بن كَلَدة الثقفى يذم فاعل ذلك :

مِنَ الناسِ مَنْ يَغْشى الأَباعِدَ نَفعُهُ     ويَشْقَى بهِ حَتى المماتِ أَقارِبُهْ (٦)

فإنْ يَكُ خَيرٌ فالبعيدُ يَنالُهُ     وإنْ يَكُ شَرٌّ فابْنُ عَمِّكَ صاحِبُهْ

فقد تراه كيف ذم على حرمان القريب.

وقال مُسافر بن أَبى عمرو بن أمية [بن عبد شمس] (٧) فى [نحو] ذلك :

تَمُدُّ إلى الأَقصىٰ بِثَدْيِكَ كُلِّه     وأَنْتَ على الأَدْنَى صَرُورٌ مُجَدَّدُ

وإنَّكَ لوْ أَصْلَحْتَ مَنْ أَنْتَ مُفْسِدٌ     تَـوَدَّدَكَ الأَقْصى الَّذِى تَتَوَدَّدُ

الصَّرور (٨) : الضيق حلمة الثدى ، والمجدَّد : الذى قد انقطع لبنه .

(١) سقط من م
(٢) ط « وإعطاء نائل »
(٣) م « بن بشار النساء »
(٤) م « فانهج عشيرتك »
(٥) ديوانه ٣٥١ والصناعتين ١٢٣
(٦) الصناعتين ١٢٣
(٧) ما بين القوسين من ك
(٨) م « الصرورة »

فهذه طريقة القوم فى هذا ، وهو مذهب سائر الأمم .

وأما قول أبى تمام :

وربَّما عَدَلتْ كَفُّ الكَرِيم عن الـ ... قَوْمِ الحضُور ونالَتْ معشراً غُيُبَا[١]

فليس هو من بيته الأول فى شىء ، وما أدرك فيه الغرض ، كأنه يَعْذر من فَعلَ هذا : أى ربما اتفق أن يَفعله من غير قصد ، وليس أيضاً[٢] بمحمود.

وقد ذهب البحترى إلى نحو ما ذهب إليه أبو تمام فقال :

بَل كانَ أقرَبَهُمْ مِنْ سَيبِهِ نَسباً ... مَنْ كان أبعدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِما[٣]

إلا أنه لم يخرجهم من معروفه ، وإن كان أيضاً قد دخل تحت الإساءة .

ونحو هذا قول البحترى أيضاً :

غَدَا قِسمَةً عَدْلاً : فَفِيكمْ نَوَالُهُ ... وفى سِرِّ نَبْهانَ بنِ بنِ عمْرو مآثره

ولا عَجَبٌ أنْ تشهدُوا الطعنَ دُونَهُ ... وما عشَرتُكم فى نَدَاهُ عَشائرُه[٥]

فأى قسمة عَدْل ههنا : أن يجعل نواله[٦] فى غير قومه ، ويقتصر بهم على أن يحوزوا[٧] الفخر بمآثره ؟ وإن كان قد دل بقوله « وما عَشرَتكم فى نداه عشائرهْ » على أنه لم يحرمهم نواله ألبتة .

والأحسن فى هذا قوله :

فإن تَنفرِد عنَّا قُشيْرٌ بِمَجْدِهِ ... فلم تنفرِدْ عنَّا بِنائِله الجَزْلِ[٨]

---

(١) ديوانه ٢٢ وشرح التبريزى ١/٢٤٢ ويروى : « عن النصح المقيم ونالت حسدا غيباً »

(٢) ط « هذا » مكان « أيضاً »

(٣) ديوانه ٥٣٢ وقد نقله مع التعليق عليه صاحب الصناعتين ١٢٣

(٤) ديوانه ٢٥٢/٨٨١ المعارف « وفى سرو »

(٥) ط « وما عجب » و م « أن يشهدوا . . . فى نداء »

(٦) ط ، م « نداء »

(٧) ط « أن يحروا الفخر لمآثره »

(٨) ديوانه ٣٦٢ ، ٣/١٨٠٧ وفى م « لمجده »

فأعطاهم المجد والنائل جميعاً .

وشبيه بهذا أو قريب منه قوله :

عَطاؤُك ذا القُربى جَزِيلٌ وفوقَهُ عَطاؤُك فى أهل الشناعة والبعدِ[١]

فقال « عطاؤك ذا القربى جزيل » ثم قال « وفوقه عطاؤك فى أهل الشناعة والبعد » فقوله « وفوقَهُ » أى أجْزَلُ منه ، وقد يكون « فوقه » بمعنى زيادة عليه [ كما تقول لم يقنع بكذا وكذا حتى فعل فوقه كذا وكذا : أى زيادة عليه ][٢] والمعنى الأول بالبيت أليقُ .

والجيدُ فى هذا البعيدُ من العيب قولُه :

ظلَّ فيها البعيدُ مِثلَ القريبِ الـ مُجتَبى والعدُوُّ مِثلَ الصَّديق[٣]

[ يريد نعمته ]

ولا أعرف لأبى تمام فيما قال عذرًا يتوجَّهُ ، ولا وجدت فيما تصفحته من أشعار العرب ما يجانسه إلا قول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسى :

لِمَن يَزُورُكَ مِن أَشرَافِنا لَطَفٌ وذِى القَرَابَةِ إدناءٌ وتَقريبُ

وأظن أبا تمام عثر به واستغربه فأخذ المعنى وزاد عليه زيادةً أخرجته إلى ذمِّ الممدوح ؛ لأن هذا الشاعر قال « لمن يزورُكَ من أشرافنا لَطَف » أى : بر ، « ولذى القرابة إدناءٌ وتقريب » ولم يقل إدناء وتقريب دون البر ، كما قال أبو تمام ؛ لأن البر واللُّطَف إذا كانا للغريب الزائر ، وكان الإدناء والتقريب فى تلك الحال لذى القرابة — فقد[٤] يجوز أن [ يمنحه البر واللطف فى حال أخرى ووقت آخر ، ولا يوصل ] البر إليه فى وقت إيصاله إلى

---

( ١ ) ديوانه ٦١٢ « القربى علو »

( ٢ ) الزيادة من ك

( ٣ ) ديوانه ٤٣٧ ، ٣/١٤٨٩ والصناعتين ١٢٣

( ٤ ) ليست فى م و ط « يجوز أن يهيجه البر إليه »

الغريب ، وهذا كله[1] يقع فى الأكثر ، فلا عيب على هذا الشاعر فيما قاله

ولله در أبى عُبَادة الوليد بن عبيد الله البحترى إذ يقول [ فى هذا المعنى ] [2] :

ما إن يزَالُ النَّدَى يُدْنِى إلَيْهِ يدًا مُمْتَاحَةً مِنْ بَعيد الدَّارِ والرَّحِمِ [3]

وقوله :

ومَــا أَضَعْتَ الحَقَّ فى أَجْنَبٍ فَكَيْفَ تَنْسَى واجِباً فى الشَّقيقْ ؟[4]

* * *

٨ - ومن خطأ [ أبى تمام ] [5] قوله :

يَدِى لِمَنْ شاءَ رَهْنٌ لم يَذُقْ جُرَعاً من رَاحَتَيْكَ دَرَى ما الصَّابُ والعَسَلُ [6]

لفظ هذا البيت مبنىٌّ على فساد ؛ لكثرة ما فيه من الحذف ؛ لأنه[7] أراد بقوله « يدى لمن شاء رهن » أى أصافحه[8] وأبايعه معاقدة أو مراهنه إن كان لم يذق جُرَعاً من راحيتك دَرَى ما الصَّابُ والعسلُ . ومثل هذا لا يسوغ ؛ لأنه حذف « إن » التى تدخل للشرط ، ولا يجوز حذفها ؛ لأنها إذا حُذفت سقط معنى الشرط ، وحَذَف « مَنْ » وهى الاسم الذى صلته « لم يذق » فاختلّ البيت ، وأشكل معناه .

والحذفُ لعمرى كثيرٌ فى كلام العرب ، إذا[9] كان المحذوف مما تدلّ عليه جملة الكلام ، قال الله عز وجل : ﴿ أَوَ لَم يَتَفكَّرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ

(١) ط « وهذا إن كان يقع » وفى ك فوق كله كلمة كذا

(٢) من ك

(٣) ديوانه ٦٥٤ ، ٣/١٩٧٤ والصناعتين ١٢٣ وفى ط « فإن ذاك الندى »

(٤) ديوانه ١٦٢

(٥) من ك

(٦) ديوانه ٣٢٨ والوساطة ٧٧

(٧) م « فكأنه »

(٨) ط « أى أسابقه . . . كان من لم »

(٩) فى ك « إلا أنه إذا كان » وهو خطأ

اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[١] أراد تبارك اسمه أَوَ لم يتفكروا فيعلموا [أنه ما خلق ذلك إلاَّ بالحق ، أَوَلم يتفكروا فيقولوا] وأشباه هذا كثير .

ومن باب الحذف والاختصار قولُه تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعدَ إِيمانِكُم﴾[٢] قال أبو عبيدة[٣] : العرب تختصر الكلام لعلم المخاطب بما أريد[٤] ، كأَنه أراد : فيقال لهم أَكفرتم بعد إيمانكم .

وقوله عز وجل : ﴿إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾[٥] يفسر : ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات .

وفى الشعر مثل هذا موجود ، قال الشاعر :

لَوْ قُلْتَ مَا فِى قَومِها لَم تِيثَمِ ... يَفْضُلُها فى حَسَبٍ ومِيسَمِ[٦]

يريد أحد يفضلها ، فحذف «أحد» لأَن الكلام يدلّ عليه ، ذكر ذلك سيبويه[٧] . وأنشد [أيضاً] فى باب الحذف :

وما الدَّهْرُ إلاَّ تارَتَانِ فَمِنْهُما ... أَموتُ وأُخرَى أَبتَغِى العَيْشَ أَكْدَحُ[٨]

يريد فمنهما تارة أموت[٩] .

---

(١) سورة الروم : ٨
(٢) سورة آل عمران : ١٠٦
(٣) قال ذلك فى مجاز القرآن ١٠١
(٤) م «أراد»
(٥) سورة الإسراء: ٧٥ وقد سقط التعقيب على الآية من م والذى فى مجاز القرآن ٣٨٦ «مختصر ، كقولك : ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات، فهما عذابان : عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة»
(٦) لحكيم بن معية الربعى وانظر تخريج الميمنى له فى السمط ٢/٨٣٠
(٧) راجع سيبويه ١/٣٧٥
(٨) البيت لابن مقبل ، كما فى سيبويه ١/٣٧٦ واللسان ٣/٤٠٥ ، ٥/١٦٤ والكامل ٣/٩٠٨
(٩) ليست فى م

فإن تـأول متـأوِّلٌ هذا البيتَ على ألفاظٍ أُخَرَ محذوفة غير اللفظ الذى ذكرته ، فالاختلال[1] بعدُ قائم [فيه] ؛ لكثرة ما حذف منه ، وسقوط الدليل عليه .

* * *

٩ ـ ومن خطائه قولُه[2] :

شهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مغَانيكُمُ بَعدى ... ومَحّتْ كَمَا مَحَّتْ وشَائعُ من بُرْدِ[3]

جعل الوشائعَ حواشىَ الأَبراد[4] أو شيئاً منها ، وليس الأمر كذلك ، إنما الوشائع : غزْلٌ من اللُّحْمة ملفوف يجرُّه الناسج بين طاقات السَّدَى عند النَّساجة . قال ذو الرمة :

بهِ مَلعَبٌ منْ مُعْصِفَاتٍ نَسَجنَهُ ... كَنَسْج اليَمانى بُرْدَهُ بِالْوَشائع[5]

فـأما قول كُثيِّر :

دِيارٌ عَفَتْ منْ عَزَّةَ الصَّيْفَ بَعدَ ما ... تُجـدُّ عَلَيْهِنَّ الْوَشيعَ المُنَمْنَمَا

فإنما أراد بالوشيع هنا ما سُدَّ[6] به الخصاصة بين الشيئين ، وهذه وشائع الغزل والمنمنم : مأخوذ من النَّمَّام . أى : بعد ما كانت هذه الديار تُجدُّ بالوشيع ، أى : تخصص [به] خيامها[7] .

---

(١) م « فالاختلاف »

(٢) ديوانه ١٢٧ وشرح التبريزى ٢/١٠٩ والوشائع : الطرائق ، ومح : أخلق ، وشهدت : حلفت ، كأنه قال : والله لقد أقوت .

(٣) ط « البرد »

(٤) سقطت كلمة الأمر من م

(٥) ديوانه ٣٥٥ به : أى بالطلل . المعصفات : رياح شداد نسجنه : يعنى الملعب ، مررن عليه ثم عدن ، فهذا سدى وهذا الإلحام . والوشائع : لفائف الغزل ، ويقال : وشعت المرأة الغزل : إذا لفته على يديها للعمل . وفى م ، ك « مجفلات نسجنه »

(٦) م « ما شد »

(٧) م « يخصص جنابها »

ومثل أبي تمام لا يسوغ [ له ] الغلط فى مثل هذا ؛ لأنه حَضَرى ، وإنما يتسامح فى [ مثل ] ذلك البدويُّ الذى يريد الشىء ولم يُعاينه فيذكر غيره لقلة خُبْره بالأشياء التى تكون بالأمصار . فأما أبو تمام فليست هذه حاله ، بل ما جهل هذا ، ولكنه سامح نفسه فيه ، ألا ترى إلى قوله فى موضع آخر يصف قصيدته :

الْجِدُّ والْهَزْلُ فى تَوْشِيعِ لُحْمَتِها والنبل والسخف والأشجان والطَّرَبُ[١]

فقال فى «توشيع لحمتها» .

* * *

١٠ — ومن خطائه قولُه :

لَو كانَ فى عَاجِلٍ من آجِلٍ بدَلٌ لَكانَ فى وعْدِهِ من رِفْدِهِ بدَلُ[٢]

ولم لا يكون[٣] فى عاجل من آجل بدلٌ؟ والناسُ كلُّهم على اختيار العاجل وإيثاره وتقديمه على الآجل ، ألا ترى قولَ القائل الذى قد صار مثلاً :

والنَّفسُ مُولَعَةٌ بحبِّ العَاجِلِ[٤] *

والعاجل أبدًا هو المطلوبُ والمرغوب فيه ، حتى إن قليلَه يُؤثَر على كثير الآجل ، كما قال الآخر :

أَعاذِلَ ، عاجِلُ ما أَشْتَهِى أَحَبُّ مِنَ الأَكْثَرِ الرَّائِثِ[٥]

كأنه يريد عاجل ما أشتهى مع القلة أَحبُّ إلىّ من الأكثر المبْطِئ ،

(١) ديوانه ٥١ وشرح التبريزى ١/٢٦٤ «توشع : من قولهم : وشعت البرد ، إذا جعلت فيه ألواناً وطرائق . يقول تصرفت فى هذه القصيدة بجد وهزل ، وفيها طرب لمن مدحت وحزن لمن ذممت .

(٢) ديوانه ٢٢٧

(٣) م «ولو لم يكن»

(٤) هو جرير ، كما فى ديوانه ٤١٥ وصدره : «إنى لآمل منك خيراً عاجلا»

(٥) قاله عبيد الله بن عتبة بن مسعود ، كما فى الأغانى ٨/٩٦ ونقد الشعر ٨٥ والموشح ٢٣٣ وسر الفصاحة ٢٠٤ وهو غير منسوب فى عيون الأخبار ٢/١٨٠ والصناعتين ١٨٨

فمن شأن العاجل أبدًا أن يكون أفضلَ الأعواض والأبدال من كل آجل إذا كان فى الخير ، فعاجل الخير خير من آجله ، كما أن عاجل الشر شر من آجله ؛ لأن العاجل شىء قد وقع : إن كان خيرًا فقد حصل نفعه ، أو شرًا فقد تعجّل ضرره[١] وآجل الخير يُخْشى فَوْته ، وربما وقع الإخفاق منه ، كما أن آجل الشر يُرجى زواله ، وربما لم يقع ، فكيف لا يكون العاجلُ بدلاً أو خَلَفًا من الآجل ؟

فإن قال قائل : إن الذى أراده أبو تمام وقاله صحيح ، ومذهبه فيه مستقيم ؛ لأن العاجل لا يكون أبدًا بدلاً ولا خلَفاً من الآجل : لأن البدَل لا يكون قبل المبدول منه[٢] ، ولا الخلفَ يتقدم[٣] ما هو خلف له ؛ لأنه إنما قيل له خلف لإتيانه خَلْفَ الذى هو قُدَّامه ؛ فأبو تمام إنما أنكر أن يكون العاجلُ بدلاً أو خلفاً من الآجل على هذه السبيل .

قيل : هذا غلط من التأويل أو مغالطة : لأنه ليس على هذا الوجه مَنَع أبوتمام من أن يكون العاجلُ بدلاً من الاجل ؛ فيحتج بأن هذا أولى بالتقديم وهذا أولى بالتأخير من طريق الترتيب ، وإنما أراد أنه لا يقوم مقامه فى الحاجة إليه ، فكيف [لا] يكون الأول يقوم مقام الثانى والمقدّم[٤] مقام المتأخر ؟ وكان وَجْه الكلام الذى يصحّ به المعنى ويستقيم أن يقول : لو كان فى عاجِلِ قولٍ[٥] بدلٌ من آجل فعل ، لكان فى وعده من رِفْدهِ بَدَل .

فإن قال : فهذا الذى أراده أبو تمام .

---

(١) ط « شره »

(٢) ط « البدل . المبدل »

(٣) ط « على ما »

(٤) ط « والمتقدم »

(٥) م « قوله »

قيل : ليس الأمر كذلك ؛ لأن طريقة لفظه فى البيت أن يكون معناه لو كان فى شىء عاجل من شىء آجل بدل

وبعد ؛ فلو أراد ما ظننتَه وذهبتَ إليه – وذاك ليس بمعلوم ، ولا فى البيت عليه دليل – لم يُلتفَت إلى إرادته ؛ لأنك إذا فككت[١] الإضافة من عاجل قول أو آجل فعل ففرقت[٢] بين المضاف والمضاف إليه ، لم يدلّ أحدهما على الآخر ؛ لأن لفظة «عاجل» لا تدلّ غيرَ مضافةٍ على ما تدلّ عليه لفظة «عاجل قولٍ» كما أن لفظة «آجل» لا تدل على «آجلِ فعلٍ» ولا يدلان أيضاً على شىءٍ معين[٣].

كما أن قولك : زيد أولُ ناطق وآخِرُ ساكتٍ ، وعمرو أولُ خارجٍ [وآخر][٤] قادمٍ ، وبكر أولُ آخذ[٥] وآخر تارك ؛ إذا أفردت «أول» و «آخر» لم يدلا [مفردين] على شىء مما أضيف إليه . ألا ترى أن الأصمعى أنكر على ذى الرُّمة قولَه يصف الوتر :

* كأنه فى نِياطِ القوْسِ حُلْقُومُ *

فقال حُلْقُوم ماذا ؟ إذ كان يجب أن يقول : حلقوم طائر ، أو حلقوم قطاة[٥] ونحوهما مما يشبه الوتَر فى الدقة ، وإلا فقد يكون الحلقوم حلقوم فيل ، أو حلقوم بعير . وهذا من الأصمعى إنكار صحيح ، وإن كان لا يلزم

---

(١) ط «فصلت»
(٢) ط «شىء مضمر»
(٣) الزيادة من ط
(٤) م «آخر . . . تارك»
(٥) ط «أو غيرهما . . . الرقة»

ذا الرمة فيه ما يلزم أبا تمام ؛ لأن العرب لا تُشَبه الوتر إلا بحلقوم طائر[1] ، وذلك قول الراجز [لأمٍ كحلقومِ الحُبَارِى

وقال الآخر : ][2]

* لأمٍ مُمَرٍّ مثل حلقومِ النُّغَرْ ؟[3] *

أخذه أبو نواس[4] فقال :

* [ لأم كحلقوم النُّغر *

وقال الراجز] :

* لأمٍ كَحُلْقومِ الْقطاةِ يُعَرَّفُ *

فأبو تمام [ إنما ] أراد أن هذا الممدوح يقوم وَعْدُه بصحته[5] مَقام عطيته ، وأَحَبَّ الإغراب[6] على رَسْمه فأخطأ فى تمثيل ما مثل بذكر العاجل والآجل ؛ لأنه أطلق القولَ عموماً ؛ فلا يدل على الخصوص .

والجيد النادر فى هذا قول البحترى :

لو قليلٌ كفى امْرَأً مِن كثيرٍ    لاكْتفينَا بِقوْلِهِ مِن فِعالِهْ[7]

وأحسن الراعى فى قوله :

ضافِى العَطيَّةِ : رَاجيه وسائلُهُ    سِيَّانِ ، أفلحَ مَنْ يُعْطِى ومن يَعِدُ

١١ – ومن خطأ أبي تمام قوله :

بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فى عَرْضِ مِثْلِهِ    وَوَجْدِىَ مِنْ هٰذَا وهٰذاكَ أَطْوَلُ[8]

(١) ط « الطائر »

(٢) الزيادة من ك

(٣) ط « حلقوم الوتر » وهو خطأ . والنغر : طائر يشبه العصفور

(٤) ط « أبو تمام »

(٥) ط « يقيم وعده لصحته »

(٦) ط « الإغراق » .

(٧) ديوانه ٥٧٢ ، ٣ / ١٨٤٥

(٨) ديوانه ٢٤٤ والصناعتين ١٢٧

فجعَلَ للدهر — وهو الزمان — عَرَضاً ، وذلك مَحْض المحال ، وعلى أنه ما كانت [به] إليه حاجة ؛ لأنه قد استوفى[١] [المعنى بقوله «كطول الدهر» فأتى على الغَرَض فى المبالغة][٢] .

فإن قيل : فلم لا يكون سَعَةً ومجازًا [فى الكلام][٣] ؟

قيل : هذه[٤] الألفاظ صيغتها صيغة الحقائق ، وهى بعيدة من المجاز : لأن المجاز فى هذا له صورة معروفة ، وألفاظ مألوفة معتادة ، لا يُتَجاوز فى النطق[٥] بها إلى ما سواها ، وهى قول الناس : عِشْنا فى خَفْضٍ ودَعَة زمناً طويلاً عريضاً ، وما زلنا فى رَخاءٍ ونعمةٍ الدهْرَ الطويلَ العريض . [فإنما أراد تمامه[٦] وكماله واتساعه لهم بما أحبوه ؛ لأنهم إذا وَصَفُوا بالطول والعرض ماله طول وعرض على الحقيقة ، فإنما يريدون] تمامه وكماله وسَعَته ، نحو قولهم : ثوبٌ طويل عريض ، أى تامّ واسع ، وأرض طويلة عريضة ، أى تامة فى الطول والسَّعة ، وكذلك إذا وصفوا ما ليس له طول ولا عرض على الحقيقة فإنما يريدون التمام والكمال ، ألا ترى إلى قول [الشاعر وهو] الراعى :

أَنْتَ ٱبْنَ فَرْعَىْ قُرَيْشٍ لَوْ تُقَايِسُها ... فى المَجْدِ صارَ إِلَيْكَ العَرْضُ والطُّول[٦]

[فاستعار للمجد ههنا الطول والعرض ؛ لأنه أراد : صار إليك المجد بتمامه وكماله .

(١) م «استوفى بالمبالغة»
(٢) الزيادة من ط
(٣) الزيادة من ك
(٤) ط «هذه ألفاظ صنعتها صنعة الحقيقة» . وك «هذه ألفاظ صيغتها صيغة الحقيقة»
(٥) ط «فى النظر»
(٦) فى ط ، م : بقوله «إتمامه»
(٧) الصناعتين ١٢٧ لكثير وفى ط «لوتقاسمها»

وكذلك قول كثير :

بِطَاحِىٌّ له نسبٌ مُصَفًّى وأخلاقٌ لها عرضٌ وطولُ ](١)

أى : لها سَعَة وتمام وكمال(٢) ، فى الفضائل والمحاسن .

وكذلك قوله :

إذا ابْتَدَرَ النَّاسُ المَكارِمَ بَزَّهُمْ عَرَاضَةُ أَخْلَاقِ ابْنِ لَيْلَى وطُولُها(٣)

أى بَزَّهم سعة(٤) أخلاقهِ وتمامُها وكمالُها فى الفضل : لأن الأخلاق تمدح بالسَّعة وتذم بالضيق ، إلاَّ أن الأكثر فيما يأْتى من كلامهم(٥) العرض ، إنما يراد به(٦) السَّعة إذا جاء مفردًا عن الطول ، نحو قولهم : فلان فى نِعْمَة عريضة ، وله جاهٌ عريض ، وكما قال الله عز وجل : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ﴾(٧) أى سَعَتها ، وكما قال الله عزوجل فى موضع آخر : ﴿وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾(٨) ، وكما قال تميم ابن أبىّ بن مُقبل :

يَقْطَعْنَ عَرْضَ الأَرْضِ غَيْرَ لَوَاغِبٍ وكَأَنَّ بَحْرَيْها لَهُنَّ صَحَارِ(٩)

أى : يقطعْن سَعة الأرض ، وكما قال الآخر :

سأَجْعلُ عَرْضَ الأَرضِ بَيْنِى وبينكم وأَجعَلُ بيْتِى فى غَنِىٍّ وأَعْصُرِ(١٠)

(١) ديوانه ٢/ ١٦٨ والصناعتين ١٢٧ وفى اللسان ٣/٢٣٧ « وقريش البطاح : الذين ينزلون أباطح مكة ، وقريش الظواهر : الذين ينزلون ما حول مكة »

(٢) ط « وكمال والفضائل المحاسن » وهو تحريف

(٣) فى اللسان ٩/٢٦ « وقد عرض يعرض عرضاً مثل صغر صغرا ، وعراضة بالفتح ، قال جرير : إذا ابتدر . . . وطولها » ولكن البيت لا يوجد فى ديوان جرير

(٤) ط « بزهم منه أخلاقه »

(٥) ط ، م « إلا أن أكثر ما يأتى فى كلامهم »

(٦) ط « العرض المراد به »

(٧) سورة آل : عمران ١٣٣

(٨) سورة فصلت : ٥١ .

(٩) م « وكأن محزنها » والبحران : جمع بحر ، وهو الريف يريد أنهن يأخذ سبيلهن قدماً لا يعجبن بشىء كأن الريف أمامهن صحراء قاحلة . والبيت فى ديوانه ١٢٢ .

(١٠) ط « وبينهم » وغنى وأعصر : قبيلتان .

وكما قال العجاج :

إذا تَغَشَّوْا بعدَ أرضٍ أرضَا     حَسِبْتَهم زادوا عليها عرضا[١]

أى سعة وكثرة ، وكما قال تميم أيضاً :

حتّى إذا الرِّيحُ خَبَّتْ بِالسَّفَا خَبَباً     عَرْضَ البِلَادِ أَشَتَّ الأَمْرُ وَاخْتَلَفَا[٢]

أى : سعة البلاد ؛ فهذا إذا جرى على هذا اللفظ المستعمل[٣] حَسُن ولم يقبح ، وإذا عدلت[٤] به عن هذه الطريقة وهذه الألفاظ المألوفة إلى ما يشبه الحقائق أو يقاربها كنت مخطئاً ؛ لأنك إذا قلت : مضى لنا فى الخَفْض والدَّعَة دهر طويل وكان[٥] طوله كعرضه — لم يجز ذلك ؛ لأن هذا [على هذا] الترتيب كأنه[٦] وصف للأشياء المجسَّمة ، كما قال الطائى :

* بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فى عَرْضِ مِثْلِهِ *

فكانَ بهذا[٧] اللفظ كأنه يذرع ثوباً ، أو يمسح أرضاً ، أو يصف بالاجتماع والتدوير[٨] رجلاً ؛ كما قال تميم بن أبىّ بن مُقْبِل :

وكُلُّ يَمَانٍ طُولُهُ مِثْلُ عَرْضِهِ     فَلَيْسَ لهُ وصْلٌ ولا طَرَفَانِ[٩]

فإن قيل : فإذا جعلت للزمان العرض الذى هو سعة على المجاز ، فَلِم[١٠]

---

(١) تمشوا يقال : عشا الإبل وعشاها : أرعاها ليلا . وهذا شبيه بقول الشاعر : « بات يعشيها بعضب باتر » أى أقام لها السيف مقام العشاء . والعجاج يريد أنهم إذا قطعوا أرضاً بعد أرض ، ويؤيد ذلك الرواية ديوانه ٣٥ . « وإن علوا » وفى ط « تغشوا »

(٢) م « حنت بالسفا جنباً » وخبت : أسرعت . والسفا : التراب . وأشت الأمر وشت : أى تفرق . وفى منتهى الطلب ورقة ٤٠ « هاجت » والبيت فى ديوانه ١٨٠

« حتّى إذا الريح هاجت بالسفا خبتا »

(٣) م « المستقبل »

(٤) ط « عدل »

(٥) ط « كأن »

(٦) ط « كان وصفاً لأشياء مجسمة »

(٧) ط « هذا »

(٨) ط « والتزوير » ! وهو تحريف عجيب

(٩) ط « له أصل »

(١٠) ط « لم »

لا تجعل له العرض الذى هو خلاف الطول على المجاز ؟

قيل[1] : العرض الذى هو خلاف الطول حقيقة ، والزمان لا عرض له على الحقيقة فكيف تكون الحقيقة مجازًا ؟

فإن قيل : إن الزمان لا يُوصَفُ بالسعة [أبدًا] ، كما لا يوصف بالعرض ؛ فلِم استعرت له العرض الذى هو السعة ؟

قيل : العرض – وإن جاء وصفاً وحِلْية للزمان فى قولهم : عاش فلان فى نعمة زمناً طويلاً عريضاً – فإنما صلح لأنك وصَلته بالطول ، وقرَنته به ، فكأن المعنى عاش فى زمن تمّ له وكمل واتسع بما أحبه ، كما أخبرتك ، والزمان قد يوصف بالسعة فيقال : قد اتَّسع لك الوقت والزمان فى فعل[2] كذا ، ولا يقال عَرَض لك [فى الوقت سعة] ، [ولا يقال عَرُض][3] والعرض ههنا هو السعة ، ولكن جرى[4] هذا على حسب ما استعملوه ، وإنما [يراد] فى الوقت فسْحة لك وامتداد ، يراد به معنى الطول . وقال ضِرارُ ابن الخطاب :

[ ولولا هاجر وبنو قتال ] وَمَا لاَقَيْتُ فى الزَّمَنِ العَرِيضِ[5]

فذكر العرض مفردًا من الطول : أى الزمن الذى اتَّسع له .

وقد يجوز – إن قلت : عاش فى الخير دهرًا عريضاً – أن تُريد بالعرض سعةَ الخير فيه ، لا سعته[6] فى نفسه ، كما قالوا : «ليل نائم» أى يُنام

(١) ط « قيل له »

(٢) ط « فى مثل »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ط « أجرى . . . ما استعملوه »

(٥) م « والزمن »

(٦) م « لا سعته فى سعته فى نفسه »

فيه ، و « لَمْحٌ باصر » أى يُبْصَرُ به[1] . وإنما تُستعار اللفظة لغير ما هى له ، إذا آحْتَمَلت معنى يصلح لذلك الشىء الذى استعيرت له ويليق به ؛ لأن الكلام إنما هو مبنىٌّ على الفائدة فى حقيقته ومجازه ، وإذا لم تتعلق اللفظة [ المستعارة بفائدة فى النطق فلا وجه لاستعارتها . ولو كان الزمان يوصف] بالعرض على الحقيقة ـ وهذا[2] محال ـ لَمَا كان [ له ] فى بيت أبى تمام معنى ؛ لأنه إنما أراد أن يبالغ فى طول وَجْده ؛ إذ كان[3] الوجد [ إنما ] يوصف بالطول ، كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما ، فيقال : طال وَجْدِى ، وطال شَوْقى ، وطال غرامى . وكذلك الزمان إنما يوصف بالطول ؛ فيقال : طال ليلى ، وطال نهارى . فما كانت حاجته[4] إلى العرض ؛ و [هو] إنما فضل وَجْدَه على الدهر وعلى اليوم الذى جعله كالدهر ، من جهة الطول لا من جهة العرض ، ألا تراه قال :

* وَوَجْدِىَ مِنْ هٰذا وهٰذاكَ أَطْوَلُ *

وقد ذكر أبو تمام العرض فى بيت آخر فقال :

إنَّ الثَّنَاءَ يَسِيرُ عَرْضاً فِى الوَرَى ... وَمَحَلُّهُ فى الطُّولِ فَوْقَ الأَنْجُمِ[5]

وكيف يعقل[6] سَيْر الثناء عَرْضاً فى الورى ، وهو لم يحدّد موضعاً بعينه فيحسن ذكر الطول والعرض فيه ؟ ! فيكون كما قال الراعى :

وجَرَى على حدب الصُّوَى فَطَرَدْتُهُ ... طَرْدَ الْوَسِيقَةِ فى السَّمَاوَةِ طُولاً[7]

---

(١) ط ، ك « فيه »
(٢) م « فهذا »
(٣) ط « إذ كل »
(٤) ط « حاجة »
(٥) ديوانه ٣١٤
(٦) ط « كيف جعل »
(٧) ط « على حرب » وفى اللسان ١٢/٢٦٠ « الوسيقة : القطيع من الإبل يطردها الشلال ، ـــ

فحسن أن يقول[١] « طولاً » لأنه ذكر السماوة .

وكما قال النابغة ـ ويقال : إنه محمول عليه ـ :

جُنِبْنَ مَع الغُطَاطِ يُقَدْنَ حَتَّى    قَطَعْنَ الحَزْنَ عَرْضاً والرِّمالا[٢]

فصلح لأنه ذكر أنهن قَطَعن عرْض[٣] الحَزْن والرمال .

ومثل قول أبى تمام قول المَرَّار :

فَلَوْ كانَتْ تَجُوبُ الأَرْضَ عَرْضاً    ولكِنْ جَوْبُهُنَّ الأَرض طُـولاَ

وله ولبيت أبى تمام معنى غامض يصحان به ، وأنا أذكره مع شرح المعانى الغامضة من شعر أبى تمام .

ومما يشبه قولَ أبى تمام :

* بيوم كطول الدهر[٤] فى عرض مثله *

أو يقاربه ـ قولُ الكُمَيْتِ يصف عَدَدَ[٥] قومٍ بالكثرة :

كاللَّيْل ، لا ، بَلْ يَضْعَفُو    نَ عَلَيْه مِنْ بَادٍ وحاضِرْ

وكيف يتحصّل مقدار الليل حتى يتحصل ضِعْفُه ؟ وهذا[٦] يصحُّ على السَّبْر[٧] والتفتيش ، إذا حصل معناه ، وذلك لأن[٨] الليل لا يغشى الأرض كلها بظلمته ، وإنما يغشى بعضها . فلعل الكميت أراد أنهم يأخذون من

=وسميت وسيقة لأن طاردها يجمعها ولا يدعها تنتشر عليه فيلحقها الطالب فيردها ، والوسيقة من الإبل ونحوها ما غصبت » والسماوة : بادية مشهورة . وفى ك : « مسير »

(١) م « أن يقال »

(٢) الغطاط : الصباح وفى م « حين مع »

(٣) ط « أرض الحزن »

(٤) م « كطول الأرض »

(٥) ط « عدة »

(٦) ط وك « وهذا أيضاً »

(٧) فى م ، ط : « التمييز »

(٨) ط « أن »

الأرض ضعف ما أخذه الليل منها إذا غشيها على سبيل المبالغة ، كما قال الأحمر بن شجاع[١] الكلبي :

بِجَأْوَاءَ تُعْشِى النَّاظِرِين كأَنَّها
دُجَى اللَّيْلِ ، بل هِى مِنْ دُجَى اللَّيْلِ أَكْثَرُ[٢]

* * *

١٢ – وقال أبو تمام :

وَرُحْبَ صَدْرٍ لَوَ انَّ الأَرْضَ وَاسِعَةٌ    كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ[٣]

وهذا أيضاً غلط ؛ من أجل أن كل بلد يضيق بأهله ، وليس ضيقته[٤] من جهة ضيق الأرض ؛ لأن الأرض لو كانت [واسعة] عشرَة أضعافها فى المقدار أو ألفَ ضعفٍ مثلَها ، لما كان ذلك بموجبٍ أن يكونَ الحَزْنُ أو الصَّمان [أو الغول] أو نجد أو مكة أو المدينة أو الكوفة أو البصرة ، فى قدر مساحة كل ناحية منها [أو] أوسع وأزيد مما هى عليه الآن ، إذ لم يختطَّ[٥] البصرةَ والكوفةَ مَن اختطهما ولا أَسَّس مكة والمدينة من أسسهما على قدر سعة الأرض وضيقتها[٦] ، ولا صار قدرُ الحَزن والصَّمان هذا القدرَ فى ذَرْعِهما ومساحتها

(١) ط « سجاع »

(٢) ذكره الآمدى ضمن أبيات فى المؤتلف والمختلف ٣٥ و فى ط « بجاراً تخشى » والجأواء : الخيل والإبل الحمراء التى تضرب حمرتها إلى السواد . والكتيبة الجأواء : التى يعلوها لون السواد لكثرة الدروع

(٣) ديوانه ٩٧ وفى شرح التبريزى ٢ / ١٢ : « يقع فى النسخ عن أهله . قال المرزوقى : الرواية : عن أهلها ، والضمير يرجع إلى الأرض . والمعنى : لو اتسعت الأرض اتساع صدره لكان كل من فيها الساعة حينئذ يسعهم بلد ويحتملهم ولا يضيق عنهم » . وانظر الصناعتين ١٢٤ والوساطة ٧٥ ، ٣٧٤ ، ٤٢٠

(٤) ط وك « ضيقه »

(٥) م « لم تحط . . . من احطتهما »

(٦) ط « وضيقها »

على قدر مساحة الأرض وذرعهما بقسط أخذاه منها ، وإنما ذلك على[١] حسب [ الاتفاق فى كل بقعة وعلى حسب ][١] ما أدّى إليه الاجتهاد والاختيار ممن أسّس كل بلدة ، ومَصَّرَ كل مصر .

وكان ينبغي له[٢] أن يقول : ورُحْبَ صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يسعْها الفلك أو لضاقت عنها السماء ، أو أن يقول : لوْ أن سَعَة كل بلد [ أو مصر ] كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد . وكان حينئذ يكون المعنى مستقيماً .

والجيد الصحيح فى هذا المعنى[٣] قولُ البحترى :

مَفَازَةُ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ لَمْ يَكن ... لِيَسْلُكَها إلا سُلَيْكُ الْمقَانِبِ[٤]

أى : لم يكن[٥] ليسلكه إلا بدليل لسَعته ، وأيضاً فإن الجزء من الأرض هو ما يكون فيه[٦] الحيوان والنبات ، وإنما مقداره [ على ما يقوله أهل الهندسة ] الربع من الأرض وأقل من الربع ، والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزءاً من ألف جزء من ذلك . فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة إنما هو من أجل ضيق الأرض ؟

فإن قيل : [ فإنما أراد بقوله : « لو أن الأرض واسعة »[٧] أى لو أن البلدان واسعة . قيل ] : لا يدل قوله « الأرض » وهو لفظُ عمومٍ على البلدان التى هى

---

(١و١) ط « على حسب الأخلاق فى كل سعة وعلى حسب ما أدى » وما بين القوسين من ك .

(٢) من ك

(٣) م « هذا قول »

(٤) ديوانه ٧١٩ « ولم تكن ليسلكها » وسليك المقانب : هو سليك بن السلكة المترجم فى الشعر والشعراء ١ / ٣٢٤ والأغانى ١٨/ ١٣٣ وكان أدل الناس بالأرض . وفى الصناعتين ١٢٤ « على أن قوله : مفازة صدر استعارة بعيدة » وفى ط ، م « ليسلكه فردا »

(٥) م « لم يسلكه »

(٦) ط « فيه من »

(٧) من ك

مخصوصة ، ولا يكون الغلط.[١] إلاّ هكذا : أن يريد القائل لفظة تدل على معنى . فيأتى بأُخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة .

* * *

١٣ – ومن خطائه [٢] قولُه :

وَكُلَّمَا أَمْسَتِ الْأَخْطَارُ بَيْنَهُمُ هَلْكَى تَبَيَّنَ مَنْ أَمْسَى لَهُ خَطَرُ[٣]
لَوْلَمْ تُصَادِفْ شِيَاتُ الْبَهْمِ أَكْثَرَ مَا فى الخَيْلِ لَمْ تُحمَدِ الأَوْضَاحُ والْغُرَرُ[٤]

فالأَوضاح : هى البياض فى الأَطراف ، وقد يكون أيضاً فى البَهْم ، وكذلك[٥] أَيضاً الغُرَر قد توجد فى الْبَهْم كثيرة ، وهذا فساد فى ترتيب البيت ؛ لأنه ليس إذا وُجدت شيات الْبَهْم – [وهى صغار الغنم – أَكثر ما فى الخيل ، أَو وجدت شِياتُ أَكْثَرَ ما فى البَهْم][٦] ، كان ذلك موجباً لحمد الأَوضاح والغرر . [وإنما كان يصحُّ نظمُ الكلام لو لم توجد الأَوضاح والغُرَر فى الْبهم][٧] ، حتى تكون مخصوصة بالخيل ؛ فيقول : لو لم تعدم الأَوضاح والغرر[٨] فى البهم لما حمدت فى الخيل ، فأَما أن توجد شِيات البهم فى الخيل كثيرًا أَو شيات الخيل فى البهم دائماً ، فليس هذا

---

(١) ط « يكون اللفظ إلا » وهو تحريف

(٢) م و ك « ومن غلطه »

(٣) ديوانه ١٠٥ وفى شرح التبريزى ٢ /١٨٧ « يقول : كلما أذل الشام فصغر قدرهم وقل خطرهم ، ازداد من له خطر جلالة ، كما أن الشىء لا يعرف إلا بضده »

(٤) الشيات : جمع شية، وهى كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره . والبهم بالضم : جمع بهيم . أى لو لم يكن أكثر الخيل بهما على لون واحد لم تحمد الغر المحجلة ، وكذلك إنما حمد الفضلاء لأن أكثر الناس جهال »

(٥) م « وذلك »

(٦) ما بين كلمتى « البهم » ساقط من ك

(٧) الزيادة من ط

(٨) م « ذو الفرر »

بموجب حَمْدَ الأَوضاح والغرر فى الخيل ؛ لأَن الغرر والأَوضاح [ أيضاً ] موجودة فى الغنم . وقال مخارق بن شهاب[١] [ المازنى يصف المِعْزَى وَتيس الغنم ] :

وَرَاحَتْ أُصَيْلالاً كأَنَّ ضُرُوعَهَا ... دِلاءٌ ، وفيهَا وَاتِدُ الْقَرْنِ لَبْلَبُ[٢]

لَهُ رَعَثَــاتٌ كالشُّنُوفِ وَغُرَّةٌ ... شَدِيخٌ وَلَوْنٌ كالْوَذِيلَةِ مُذْهَبُ[٣]

فذكر أن له غُرَّة .

وقال آخر فى وصف عنز [ سوداء ] :

سَوْدَاءُ إلاَّ وضحاً فى الشَّوَى ... كأَنَّمَا الجَوْزاءُ فى الأَكْرُعِ[٤]

فذكر بياض أكرعها ، وذلك موضع التحجيل . بلى[٥] لو قال : « لو لم تَقِلْ[٦] الأَوضاحُ والغرَرَ فى الْبهم لما حُمدت فى الخيل » لكان أقربَ إلى الصواب ؛ لأَنى أظنها فى البهم أَقلّ ، وفى الخيل أكثر . وليس فى هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك .

* * *

---

(١) ط « طارق بن شهاب » وهو تحريف

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ٢/٧٧ والحيوان ٥/ ٤٨٩ والأول له فى اللسان ٢/ ٢٣٠ وفيهم « أصيلاناً » ومعناهما واحد وأصيلال : تصغير أصلان وهو جمع أصيل . وواتد : منتصب . وأراد باللبلب : شفقة التيس على المعزى التى أرسل فيها ، فهو ذو لبلبة عليها أى ذو شفقة

(٣) فى اللسان ٢/٤٥٧ « ورعثتا الشاة : زنمتاها تحت الأذنين ، ورعثت العنز : ابيضت أطراف زنمتها . والشنوف : جمع شنف ، وهو القرط الأعلى . وفى اللسان ٣/٥٠٦ « يقال لغرة الفرس إذا كانت مستديرة : وتيرة ، فإذا سالت وطالت فهى شادخة ، وقد شدخت شدوخاً : اتسعت فى الوجه » والوذيلة كما فى اللسان ١٤/٢٤٩ المرآة ، طائية . والسبيكة من الفضة المجلوة »

(٤) الوضح : البياض . والشوى : الأطراف . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق العارى من اللحم . وفى م « الحوراء »

(٥) م ، ط : « بل »

(٦) م « بلى لو لم يقل »

١٤ – ومن خطإ المديح قوله :

سَأَحْمَدُ نَصْرًا مَا حَيِيتُ ، وإنَّنِى    لَأَعْلَمُ أَنْ قَدْ جَلَّ نَصْرٌ عَنِ الحَمْدِ(١)

لأنه(٢) رفع الممدوح عن الحمد الذى نَدَبَ الله عباده [ إليه ] بأن(٣) يذكروه به ، وينسبوه إليه ، وافتتح فُرْقَانَهُ فى أول سورة(٤) بذكره ، وحَثَّ عليه . وللعرب فى ذكر الحمد ما هو كثير فى كلامها وأشعارها ، ما فيهم مَنْ رَفَعَ أحدًا عن أن يحمد ولا من استقلَّ الحمدَ للممدوح ، قال زُهَير بن أبى سُلْمى :

مُتَصَرِّفٍ للحمد مُعْـتَرِفٍ    للرُّزْءِ نَهَّاضٍ إلى الذِّكْرِ(٥)

[ فقوله : متصرف للحمد ] أى : حيثما رأى خلة تكسبه الحمد الْتَمَسها وطلبها .

وقال زهير أيضاً(٦) :

أليس بِفَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ    ثِمَالِ الْيَتَامَى فى السِّنِينَ مُحَمَّدِ(٧)

فقوله « محمد » أى : يُحمد كثيرًا .

وقال الأعشى :

وَلٰكِنْ عَلَى الْحَمْـدِ إنْفَاقُهُ    وقَدْ يَشْتَرِيهِ بِأَغْلَى الثَّمنْ(٨)

---

(١) ديوانه ١١٦ وشرح التبريزى ٢/٦٦ والصناعتين ١٢٤ .

(٢) ط « فإنه »

(٣) م « أن يذكرون »

(٤) ك « أوائل سورة »

(٥) ديوانه ٩٣ والصناعتين ١٢٤ متصرف : يتصرف فى كل باب خير حيثما رأى حمداً انصرف إليه . معترف صابر إذا نزلت به نازلة صبر لها

(٦) ليست فى ك

(٧) ديوانه والصناعتين ١٢٤ ثمال اليتامى : أى يطعمهم فى السنين الشداد . والغمامة : السحابة .

(٨) ديوانه ٢١ والصناعتين ١٢٥

[وقال أيضاً :

يَشترِى الحمدَ بأَغلَى بَيعةٍ ۞ واشْتراءُ الحمدِ أدْنَى المرْبَحْ[1]]

وقال أيضاً :

إلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كانَ كَلالُهَا ۞ إلى المَاجِدِ الْفَرْعِ الجَوَادِ المحمدِ[2]

فوصفه بأن جعله محمدًا ، أى يُحْمد كثيرًا .

وقال آخر [وهو الحطيئة] :

* وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ المَحَامِدِ يُحمَدِ[3] *

فهذه هى الطريقة المعهودة[4] المعروفة فى كلام العرب .

ولو قال الطائى : «لو جلَّ أحد عن المدح لجللتَ عنه» كان أعذر ؛ كما قال البحترى :

لَوْ جَلَّ خَلْقٌ قَطُّ عَنْ أُكْرُومَـــةٍ ۞ تُثْنَى جَلَلْتَ عَنِ النَّدَى وَالْبَاس[5]

أى : كنتَ تَجلُّ لعلوّ شأْنك عن أن يقال : سخىّ ، أو شجاع ؛ إذ كان هذان الوصفان قد يُوصَف بهما من هو دونك .

وقال البحترى أيضاً :

وَالحَمْدُ أَنْفَسُ مَا تَعَوَّضَهُ امْرُؤٌ ۞ رُزِىَ التِّلادَ إنِ المَرَزَّأُ عُوِّضَا[6]

فأما قول البحترى :

كَيْفَ نُثْنِى عَلَى ابْنِ يُوسُفَ ؟ لاَ ۞ كَيفَ سَرَى مَجْدُهُ فَفَاتَ الثَّناءَ[7] !

---

(١) الربح : النماء فى التجارة

(٢) ديوانه ١٣٢

(٣) ديوانه ٢٤ والصناعتين ١٢٥ وصدره : «تزور امرأً يؤتى على الحمد ماله» وفى م «أثمان المكارم»

(٤) من ك

(٥) ديوانه ٣٨٦ والصناعتين ١٢٥ وفى م، ط «تبنى»

(٦) ديوانه ٢٩١

(٧) ديوانه ٧١٣ وفى م «شرى» وط «فعاب الثناء» ! وهو تحريف

ففوته[١] الثناء إنما معناه عظم أن يدركه ويبلغ حده ، ألا تراه قال : « كيف نثنى على ابن يوسف لا كيف » أى : لا طريق إلى كيفية[٢] الثناء التى يستحقها وتليق به ، ثم قال : « سرى[٣] مجده ففات الثناء » قطعاً من الكلام الأول .

١٥ - ومن خطائه قولُه :

ظَعَنُوا فكانَ بُكاىَ حَوْلاً بَعْدَهُمْ ثُمَّ ارْعَوَيْتُ ، وذاكَ حُكْمُ لَبيدِ[٤]
أَجْدِرْ بجِمْرَةِ لَوْعَةٍ إطْفاؤُها بالدَّمْعِ أَنْ تَزْدادَ طُولَ وَقُودِ[٥]

وهذا خلاف ما عليه العرب ، وضدُّ ما يعرف من معانيها ؛ لأن المعلوم من شأن الدمع أن يطفئ الغليل ، ويُبْرِد حرارة الحزن ، ويزيل شدة الوجد ، ويُعْقِب الراحةَ ، وهو فى أشعارهم كثير موجود يُنْحى به هذا النحو من المعنى ؛ فمن ذلك قول امرئ القيس :

وَإنَّ شِفائى عَبْرَةٌ مُهراقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارِسٍ منْ مُعَوَّلِ[٦]

وقول ذى الرمة :

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِى نَجِىَّ الْبَلابِلِ[٧]

---

(١) ط « فعيبه »

(٢) ط « كيف الثناء الذى يستحقه ويليق »

(٣) م ، ك « شرى » وط « فعاب الثناء »

(٤) ديوانه ٨٢ وشرح التبريزى ١ / ٣٩٢ والصناعتين ١٢٥ وفى م « حولا كاملا » وهو يريد قول لبيد المشهور :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(٥) فى شرح التبريزى « أى : جمرة تطفأ بالدمع حقيق بأن تزداد التهاباً وتوقداً . يعنى أن البكاء لا ينفع ، بل التعزى وعزيمة الجنود تغنى عن ذلك »

(٦) شرح القصائد العشر ٨ والصناعتين ١٢٦ وتشنيف السمع بانسكاب الدمع ٢٤

(٧) ديوانه ٤٩٢ والصناعتين ١٢٦

وقول الفرزدق :

فَقُلْتُ لَهَا إنَّ البُكاءَ لَراحةٌ ... بِهِ يَشْتَفِى مَنْ ظَنَّ أَنْ لا تَلاقِيَا[١]

وهو كثير فى أشعارهم ، ما عَدَل به أحد منهم عن هذا المعنى[٢] ، وكذلك المتأخرون على هذه السبيلِ[٣] سلكوا ، وأبو تمام من بينهم قد ذكر هذا المعنى ، وكرره فى شعره متبعاً لمذاهب الناس ؛ فمن ذلك قولُه :

نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لم تُنْظَم ... والدَّمْعُ يَحمِلُ بَعْضَ ثِقل المُغْرَمِ[٤]

وقال فى موضع آخر :

واقِعاً بالخُـــدودِ والبَرْدُ مِنْهُ ... واقِعٌ بالْقُلُوبِ والأَكْبادِ[٥]

[وقال أيضاً :

فافزَعْ إلى ذُخْرِ الشُّؤونِ وغربِها[٦] ... فالدمعُ يُذهِبُ بعضَ جهْدِ الجاهد]

وقال :

فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تَجُودَ بمَائهـــا ... والدَّمْعُ مِنْهُ خاذِلٌ ومُواسِى[٧]

وقال أيضاً :

فَلَعَلَّ عَبْرَةَ ساعةٍ أَذْرَيْتَهَا ... تَشْفِيكَ مِنْ إرْبابِ وجْدٍ مُحْوِلِ[٨]

فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذى جَرَت العادة به فى وصف الدمع ،

---

(١) ديوانه ٨٩٥ والصناعتين ١٢٦

(٢) فى ك « الموضع »

(٣) ط ، ك « المتأخرون هذا السبيل سلكوا . . . بينهم ركب »

(٤) الصناعتين ١٢٥ وفى ديوانه ٣١٢ « بعض شجو »

(٥) الصناعتين ١٢٥ وفى الديوان وشرحه « والحرمنه » وهما روايتان . يعنى أن الدمع يسيل على الخدود وبرده فى القلب والكبد لأنه ينقع الغلة ويشفى الحرقة

(٦) ك « وعزبه »

(٧) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزى ٢/٢٤٢ « أن تعين بمائها » وهما روايتان . وفى م « والدمع منها »

(٨) ديوانه ٢٣٣

لكان المذهبَ [ الصحيح ] المستقيم ، ولكنه استعمل[١] الإغراب فخرج إلى ما لا يُعْرَف فى كلام العرب ، ولا مذاهب سائر الأُمم .

وقد تبعه على هذا الخطأ البحترىُّ ، فقال :

فَعلامَ فَيْضُ مَدامعٍ تَدِقُ الجَوَى　　وعَذابُ قَلْبٍ فى الحِسانِ مُعَذَّبِ[٢]

قوله : « تَدِقُ[٣] الجوى » من قولهم : « لم يَدِقِ الأَرضَ منه شىء » أى : لم يصل ، وفى شعر امرئ القيس فى قافية[٤] : « مَوْدِق » أى[٥] : أثَرى ، وأصله من الدنو فكأَن قوله[٦] : « تدق الجوى » أى : تُدْنِى[٨] الجوى ، يقال : أتان وديق ، أى : تدنو من الفحل ، ومنه الوَدِيقة الهاجرة ؛ لدنو الحر ، وقيل لقَطر المطر : وَدْقٌ لانحلالِه[٨] من السحاب ، ودُنُوِّه من الأَرض.

* * *

١٦ — ومن خطائه قولُه :

رَضِيتُ وَهلْ أَرْضَى إذا كان مُسْخِطِى
مِنَ الأَمْرِ ما فِيهِ رضَى مَنْ لَهُ الأَمْرُ[٩]

فمعنى [ هل فى ] هذا البيت التقرير ، والتقرير على ضربين : تقرير للمخاطب على فعل قد مَضَى ووَقَع ، أو على فعل هو فى الحال ليوجب المقرر

(١) ط « أحب »

(٢) ديوانه ١٢٢ والصناعتين ١٢٦

(٣) م « بذق . . . قولهم : ما بدق ».

(٤) ط « ما فيه » ، م : « فيما فيه » والآمدى يشير إلى قول امرئ القيس ١١٩ :
دخلت على بيضاء جم عظامها　　تعفى بذيل الدرع إذا جئت مودق

(٥) ط « أى على »

(٦) ط ، م : « فكأنه قال »

(٧) م « تدق »

(٨) ط « لانحلابه »

(٩) ديوانه ٤٧٥ والصناعتين ١٢٦

بذلك ويحققه ، ويقتضى من المخاطب فى الجواب الاعتراف به ، نحو قوله : هل أكرمتك ؟ هل أحسنت إليك ؟ هل أودك وأوثرك ؟ و [هل] أقضى حاجتك ؟

وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينفى[1] أن يكون قد وقع ، نحو قوله : هل كان منى إليك قط شىء كرهته ؟ وهل عرفت منى غير الجميل ؟

فقوله فى البيت الأول[2] «وهل أرضى» تقرير لفعل ينفيه عن نفسه ، وهو الرضا ، كما يقول القائل : وهل يمكننى المقام على هذه الحال ؟ أى لا يمكننى ، وهل يصبر الحر على الذلّ ؟ وهل يَرْوَى زيد ؟ و [هل] يشبع عمرو؟ فهذه [كلها] أفعال معناها النفى ، فقوله «وهل أرضى [illegible] نفى للرضا ، فصار المعنى ولست أرضى ؛ إذ كان الذى يُسْخطنى ما فيه رضا [من له الأمر : أى رضا][3] اللهِ تعالى ، وهذا خطأ منه فاحش .

فإن قال قائل : فلم لا يكون قوله «وهل أرضى» تقريراً على فعل هو فى الحال ليؤكده من نفسه ، نحو قوله : هل أودك [وهل أوثرك] ؟ ونحو قول الشاعر :

هَلُ أكرِمُ مَثْوَى الضَّيْفِ إنْ جَاءَ طَارِقاً
وَأَبْذُلُ مَعْـــرُوفِى لَهُ دُونَ مُنْكَرِى

قيل له : ليس قول القائل لمن يخاطبه «هل أودك ؟ «هل أوثرك» ؟ وقوله «هل [illegible] أصلح للخير» أو «هل أكتم السر» أو «هل أقنع بالمَيْسُور» ؟ [illegible] «هل رضيت» ، «وهل أرضى» لأن[4] صيغة

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) الزيادة من ط

(٤) [illegible]

هذا الكلام دالة على [أنه قد نفى الرضا عن نفسه ؛ بإدخاله الواو على] [١] «هل» وإنما يشبه هذا قول القائل : «وهل [أودك] إذا كانت فعالك كذا» ؟ «وهل أصلح للخير عندك إلا إذا كنت تعتقد غير ذلك فىّ» ؟ «وهل ينفع فى زيد العتابُ» ؟ كقول الشاعر :

* وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّارِ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ [٢] *

وقول ذى الرمة :

وَهَلْ يَرْجِعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ الأَسى ثَلاَثُ الأَثَافِى والدِّيار البَلاَقِعُ [٣]

لأن الواو ههنا كأنها عطفَتْ جواباً على قول [٤] قائل : إن فلاناً سيصْلُح ويرجع إلى الجميل ، فقال آخر :

* وَهَلْ يُصْلِحُ العَطَّار مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ *

وكقول ذى الرمة :

أَمَنْزِلَتَىْ مَىٍّ سَلاَمٌ عَلَيْكُمَا هَلِ الأَزْمُنُ اللاَّئى مَضَيْنَ رَوَاجِعُ [٥]

لمّا علم أن التسليمَ غيرُ نافعٍ عاد على [٦] نفسه فقال : «وهل يرجع التسليم» وكما قال امروُ القيس :

* وَإِنْ شِفَائى عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ *

ثم قال :

* وَهَلْ عِنْدَ رَبْعٍ دَارِسٍ مِن مُعَوَّلِ ؟ *

وكذلك قولُ أبى تمام «رضيت» ثم قال «وهل أرضى إذا كان مُسخطى»

---

(١) الزيادة من ط

(٢) غير منسوب فى الكامل ١/٢٦٩ وصدره «تدس إلى العطار سلعة بيتها» وقبله :
عجوز ترجى أن تكون فتية وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر

(٣) ديوانه ٣٣٢ وط «يكشف العمى . . . الآثافى والرسوم»

(٤) م «قول القائل قال»

(٥) ديوانه ٣٣٢ وهو أول القصيدة والبيت السابق هو الثانى فيها

(٦) سقطت من م

إنما معناه ولست أرضى . فكان(١) وجه الكلام أن يقول : رضيت وكيف لا أرضى [ أو لم لا أرضى ] إذا كان الذى يسخطنى(٢) ما فيه رضا الله تعالى ، وكذا أراد فأخطأ فى اللفظ ، وأحال المعنى عن جهته إلى ضده .

فإن قيل : إن « هل » هنا بمعنى « قد » ، وإنما أراد الطائى رضيت وقد أرضى . كما قيل(٣) [ فى قول ] الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ﴾(٤) [ إن المعنى ] : قد أتى .

قيل : هذا إنما قاله قوم من أهل التفسير ، واتبعهم قوم من النحويين . وأهلُ اللغة جميعاً على خلاف ذلك : ولم(٥) يأْت فى كلام العرب [ وأشعارها « هل قام زيد » بمعنى قد قام زيد ، وإذا كان ذلك معدوماً فى كلام العرب] (٦) ولغتها فكيف يجوز أن يؤخذ به أو يعمل(٧) عليه ؟ وقد قال أبو إسحق الزجاج وجماعةٌ من أهل العربية فى قوله عز وجل : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ) معناه ألم يأْت ؟ على سبيل التقرير . وهب الأمر فى هذا كما ذكروا(٨) . والخلاف ساقط فيه . فإن بيت أبى تمام لا يحتمل من التأْويل ما احتملته الآية ؛ لأن « هل » إنما شبَّهها من شبهها بقد إذا وليت الفعل(٩) الماضى خاصة . وأبو تمام إنما أوقعها على الفعل المستقبل وإذا وقعت على

---

(١) م « وكان »

(٢) ط « كان مسخطى »

(٣) م ، ط « كما قال »

(٤) سورة الدهر : ١

(٥) ط « إذ لم »

(٦) الزيادة من ط وفيها « ولغاتها »

(٧) ط « أو يعول »

(٨) م « ذكر » ، ك « ذكره »

(٩) ط « وليت لفظ الماضى »

المستقبل [١] سقط عنها أن تضارع قد ؛ لأن قد ههنا[٢] تكون بمعنى ربما . و « هل » ليس فيها ذلك .

وبعد : فإذا[٣] كان الرجل إنما أراد بهلْ معنى قد فلم لم يقل : رضيت وقد أرضى ؛ فيأتى بلفظة « قد » نفسها إذ كان [ إنما ] يريد الخبر . ولا يأتى بهل فيلتبس الخبر الذى إيّاه قصد بالاستفهام ؟ فإن البيت كان يستقيم بقد [ كما يستقيم بهل ] ويغنينا عن الاحتجاج الطويل .

وقد استقصيت القولَ فى هذا الباب[٤] وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره فى معنى قد وهل ولخصته فى جزءٍ مفرد ، وإنما فعلت ذلك الكثرة من عارَضَنى فيه ، وادَّعى الدعاوى الباطلة فى الاحتجاج لصحته .

* * *

١٧ ــ ومن خطائه قولُه فى البُكاء على الديار[٥] :

دارٌ أُجِلُّ الْهَوَى من لم أُلِمَّ بِهَـا ... فى الرَّكْبِ إلاَّ وَعَيْنِى مِنْ مَنائِحِها[٦]

وهذا لفظ مُحال عن وجهه : لأن « إلاَّ » ههنا تحقيق وإيجاب ، فكيف يجوز أن يكون عينه من منائحها إذا لم يُلم بها ؟ وإنما وَجْه الكلام [ أن يقول ] : « دار أجل الهوى عن أن ألم بها [ إلاَّ وعينى من منائحها . أو أجل الهوى عن أن ألم بها ] وليس عينى من منائحها » وقد كنت أظن

(١) الزيادة من ك . وفى ط م « . . فسقط »

(٢) ط ، ك « قد حينئذ قد تكون »

(٣) فى ط ، م : « فإن »

(٤) ط ، ك « البيت »

(٥) ط « الدار »

(٦) ديوانه ٧٢ وشرح التبريزى ١ / ٣٤٧ وانظر رد ابن المستوفى على الآمدى فى هامش صفحة الشرح . والمعنى على رواية الديوان : أجل الهوى عن أن ألم بالدار إلا أنا باكٍ ، أى إلا [illegible] بكيت . وفى م ، ط : « إن لم ألم بها »

أن أبا تمام على هذا نظم الشعر ، وأن غلطاً وقع[١] فى نقل البيت ، حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التى لم تقع فى يد « الصولى » وأضرابه ، فوجدت البيتَ فى غير نسخة مثبتاً على هذا الخطإ .

* * *

١٨ – ومن خطائه أيضاً فى وصف الربع[٢] وساكنه ، قولُه :

قَدْ كُنْتَ مَعْهوداً بِأَحْسَنِ ساكِنٍ ثَاوٍ وَأَحْسَنِ دِمْنَةٍ وَرُسُومِ[٣]

والربع لا يكون رسماً إلا إذا فارقه ساكنوه ؛ لأن الرسم هو الأثر الباقى بعد ساكنه[٤] .

والصواب قولُ البحترى :

يا مَغَانِى الأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومَا وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِى مَلُومَا[٥]

وقال امرؤ القيس :

* وهلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ من مُعَوَّلِ *

قال[٦] ذلك : لأن الرسم يكون دارساً وغير دارس . وقال :

قِفا نبك مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وعِرْفانِ
وَرَسْمٍ عَفَتْ آياتُهُ مُنْذُ أَزْمانِ[٧]

* * *

١٩ – ومن خطائه أيضاً قولُه :

قالَ الْجَمِيعِ لَقَدْ عفَوْتَ حَمِيدَا وَكَفَى عَلَى رُزْئى بِذَاكَ شَهِيدَا[٨]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) ديوانه [illegible] وشرح [illegible] ٢ / ٢٠ [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) ديوانه ٢٢[illegible]
(٦) [illegible]
(٧) ديوانه ١٨٤
(٨) ديوانه [illegible] التبريزى ١ / ٢٠٤

أراد وكفى بأنه مضى حميدًا شاهدًا على أنى رُزِئت ، وكان وجْه الكلام أن يقول : وكفى برزئى شاهدًا على أنه[١] مضى حميدًا ؛ لأن حميدًا من الطلل قد مضى ، وليس بشاهد ولا معلوم ، ورزؤه بما يظهر[٢] من تفجُّعه مشاهد معلوم ؛ فلأن يكون الحاضر شاهدًا على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهدًا على الحاضر

فإن قيل : إنما أراد أن يستشهد على عظيم رُزْئه عند من لم يعلمه .

قيل : فمن لا يعلم قَدْر مرزئته التى بعضُها ظاهر عليه ، كيف يعلم ما مضى من حميد أمر الطلل حتى يكون ذلك شاهدًا على هذا ؟ !

فإن قيل : هذا إنما جاء به على القلب .

قيل : المتأخر لا يُرَخَّص[٣] له فى القلب ؛ لأن القلب إنما جاء فى كلام العرب على السهو ، والمتأخرُ إنما يَحتَذى على أمثلتهم ، ويقتدى بهم ؛ وليس ينبغى له أن يَتْبعهم فيما سَهَوْا فيه .

فإن قيل : فقد جاء القلب فى القرآن ، ولا يجوز أن[٤] يقال : إن ذلك على سبيل السهو ولا الضرورة ؛ لأن كلام الله عز وجلّ يَتعالَى عن ذلك ، وهو قوله : ﴿ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولى القُوّة﴾[٥] وإنما العصبة تنوءُ بالمفاتيح : أى تنهض بثقلها ، وقال عز وجل : ﴿ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى﴾[٦] وإنما هو [ثم] تدلَّى فَدَنا ، وقال : ﴿وإنَّه لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٧] أى : وإن

(١) ط « على أن . . . لأن حمد أمر الطلل »

(٢) ط « بما ظهر . . . شاهد »

(٣) م « لا يركض » وهو تحريف

(٤) ط « أن يكون ذلك »

(٥) سورة القصص : ٧٦ وانظر تأويل مشكل القرآن ١٥٣ ، ١٥٧

(٦) سورة النجم : ٨

(٧) سورة العاديات : ٨

حبه للخير لشديد . ولهذا أشباه كثيرة فى القرآن .

قيل : [١] هذا ليس بقلب ، وإنما هو صحيح مستقيم ؛ إنما أراد الله تعالى اسمه : ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ، أى : تميلها من ثقلها ، ذكر ذلك الفرَّاءُ وغيره ، وقالوا : إنما المعنى [٢] لَتُنِئُ العصبةَ .

وقوله : ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ قيل : المعنى إنه لحبِّ المال [٣] لشديد ، والشدة : البخل ، يقال : « رجل شديدٌ ومتشدد » أى : بخيل ، يريد إنه لحبه [٤] المال لَبَخِيل متشدد ، أى [٥] لأجل [٦] حبه المال يبخل .

وقالوا فى قوله عز وجل : ﴿ثمَّ دَنَى فَتَدَلَّى﴾ : إنما كان تدلِّيه عند دُنوِّه واقترابه ، كما قال أبو النجم :

* قبْلَ دُنُوِّ الْأُفْقِ مِنْ جَوْزَائِهِ * [٧]

والجوزاءُ إذا دَنتْ من الأفق فقد دنا الأُفقُ منها ، فهذا ليس من القلب المستكره . ومثلُه فى الشعر كثير ، ومنه قول الشاعر :

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجاؤُهُ ... كأَنَّ لونَ أَرْضِهِ سَماؤُهُ [٨]

قالوا [٩] : كان الوجه أن يقول : كأن لون سمائه من غبرتها لونُ أَرضه ، وليس الأمر فى ذلك بواجب ؛ لأَن أَرضه وسماءَه [١٠] مضافان جميعاً إلى الهاء ،

---

(١) م « قيل هذا ليس بالقضية ، أى يميلها من نقلها »

(٢) م « المعنى ليس بالعصبة »

(٣) م ، ك « المال البخيل »

(٤) م « لحبه المال بخيل » . وفى ط : « لحب المال لبخيل »

(٥) ط ، ك : « يريد إنه لحب المال » !

(٦) م « من أجل »

(٧) أمالى المرتضى ١/٢١٧ وسر الفصاحة ١٠٨ وتأويل مشكل القرآن ١٥٠

(٨) قاله رؤبة ، كما فى ديوانه ١ تأويل مشكل القرآن ١٥١ وأمالى ابن الشجرى ١/ ٢٢٩-٢٣٠ والصاحبى ١٧٢ وأبواب مختارة ٣٤ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٢٨ وأمالى المرتضى ٢/٢١٦

(٩) ط « قوله كأن لون أرضه سماؤه أى كأن . . . »

(١٠) م « وسماءه جميعاً كانا فيه إلى الهاء »

وهى كناية عن المهمة ، فأيهما يشبَّه(١) بصاحبه كانا فيه سواء ، وإنما تَغْبَرُّ آفاق السماء من الجدْب واحتباس القطر .

وقال الحطيئة :

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ والْعير مُمْسِكٌ     على رَغْمِهِ ما أَمْسكَ الْحَبْلَ حافِرُهْ(٢)

قالوا : وكان الوجه أن يقول : ما أمسك الحافر(٣) حبلهُ . وكلاهما متقاربان ؛ لأن الحبل إذا أمسك الحافر فإن الحافر أيضاً قد شغل الحبل .

فهذا كله سائغ(٤) حسن . ولكن القلب القبيح(٥) لا يجوز فى الشعر ، ولا [يجوز مثله](٦) فى القرآن . وهو ما جاء فى كلامهم على سبيل الغلط ، نحو قول خِدَاش بن زُهَير :

وتُرْكَبُ خيلٌ لا هَوَادَةَ بَيْنَها     وَتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّياطِرَةِ الحمْرِ(٧)

وإنما الضياطرة هى التى تشقى(٨) بالرماح .

وكقول الآخر :

(١) م « شبهتهما »

(٢) ديوانه ١٠ وتأويل مشكل القرآن ١٤٩ وتفسير الطبرى ١٤/٨٤ قال السكرى : « يقول : مادام الحمار مقيداً فهو ذليل معترف بالهون ، وهذا مقلوب . أراد : ما أثبت الحبل حافره فقلب ، فجعل الفاعل مفعولا والمفعول فاعلا »

(٣) م ، ك « الحبل حافره »

(٤) م « شائع »

(٥) م « القبيح فى الشعر لا يجوز مثله فى القرآن هو »

(٦) من ك

(٧) ط « خيلا . . . وتعصى الرماح » والهوادة : المصالحة والموادعة . ونعصى : نضرب ونطعن . والضياطرة : جمع ضيطر ، وهو اللئيم الضخم . والبيت من قصيدة لخداش فى جمهرة أشعار العرب ١٠٨ « خيلا » وهو فى تأويل مشكل القرآن ١٥٢ والصاحبى ١٧٢ والكامل ١/ ٢٧٤ وسر الفصاحة ١٠٦ والأضداد للسجستانى ١٥٣ وأمالى المرتضى ١/٤٦٦ واللسان ٦/١٦٠ والأضداد لابن الأنبارى ٨٥ وتفسير الطبرى ١٧/٢٠ ، ٢٠/ ٦٩

(٨) م ، ك « تعصى »

كانتْ فَرِيضَةَ ما تقولُ كما      كان الزِّناءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ [١]

وإنما الرجم فريضة الزناء .

وكقول الفرزدق يصف ذئباً :

وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ ومَا كانَ صَاحِباً      رَفَعْتُ لِنارِى مَوْهِناً فَأَتانى [٢]

وإنما أراد[٣] رفعها للذئب ، أنشده المبرد[٤] ، وقال : القلب جائز للاختصار ، إذا لم يدخل الكلام لبْسٌ. كأنه[٥] يجيز ذلك للمتقدمين[٦] دون المتأخرين ، وما علمت أحدًا قال « للاختصار » غيره ، فلو قال لإصلاح الوزن[٧] أو للضرورة . كما قال غيره ، كان ذلك أشبه .

ويجوز أن يكون الفرزدق فى [هذا] البيت سها أو اضطر لإصلاح الوزن ، وأبو تمام وغيره من المتأخرين لا يُسَوِّغون[٨] مثل هذا .[ وإنما أراد أبو تمام : وكفى بما يظهر من تفجيعى بهذا الرزء الذى رزئته ، شاهدًا [ لك][٩] على أن الطلل مضى حميدًا ، فقلت . وليس له أن يقلب فى مثل هذا] لأنه القلب المستكره .

---

(١) غير منسوب فى تأويل مشكل القرآن ١٥٣ وأمالى المرتضى ١/٢١٦ وسر الفصاحة ١٠٦ ونسبه فى اللسان ١٩/٧٩ للجعدى

(٢) ديوانه ٨٧٠ « دعوت لنارى » والأطلس : الأغبر . وعسال : نسبة إلى مشيته ، يقال : مر الذئب يعسل ، وهو مشى خفيف كالهرولة

(٣) ك « وإنما النار رفعها للذئب »

(٤) فى الكامل ١/٣٢٠ « قوله : رفعت لنارى ، من المقلوب ، إنما أراد رفعت له نارى . والكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصاء »

(٥) م « فإنه » وط « ذلك للمتقدمين »

(٦) ط ، م « للعرب الأوائل »

(٧) م ، ك « الأوزان والضرورة »

(٨) م « لا يصوغون من هذا شيئاً »

(٩) من ك

فإن قيل : إنه لم يُرِد القلب ، وإنما أراد وكنى على رزئى بمحمود أمر الطلل شهيدًا .

قيل : فأَىَّ شيء ٱستشهدَ ؟ وأين شهيدُه ؟

* * *

٢٠ – ومن خطائه قوله فى باب الفراق :

دَعا شَوْقُهُ يا نَاصِرَ الشَّوقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِى وَوابِلُهْ[١]

أراد أن الشوقَ دعا ناصرًا ينصره فلبَّاه الدمع ، بمعنى أنه يخفّف لاعج المشوق[٢] ، ويطفئ حرارته . وهذا إنما هو نُصْرَة للمشتاق على الشوق ، والدمع إنما هو حرْبٌ للشوق ؛ لأنه يَثْلمه ويتخوّنه ويكسر[٣] حَدَّه ، كما قال البحترى :

وبُكاءُ الدِّيارِ مِمَّا يَرُدُّ الشَّـ ـوْقَ ذِكْرًا والْحُبَّ نِضْوًا ضَئِيلا[٤]

قوله « يرد الشوق ذكرًا » أى : يخففه ويثلمه حتى يصير ذكرًا[٥] لا يُقلق ولا يزعج كإقلاق الشوق ، وقوله « والحب نضوا » أى يصغره ويمحقه ، [كما قال جرير :

فَلَمَّا ٱلتَقَى الحَيَّانِ أُلْقِيَتِ ٱلْعَصَى ومات ٱلْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ][٦]

فلو كان الدمع ناصرًا للشوق لكان يُقَوِّيه ويزيد فيه ، ألا ترى أنك تقول : قد ذبحنى الشوقُ إليك ، فالشوق عدُوُّ المشتاق وحرْبه ، والدمع سلمه[٧] لتخفيفه عنه ، وهو حرب للشوق ، وليس بهذا الخطإ خفاء .

(١) ديوانه ٢٣٠

(٢) ك ، ط « الشوق »

(٣) ط « ويكسر منه »

(٤) ديوانه ٦٨٧

(٥) م « تذكرا »

(٦) الزيادة من ط . والبيت فى ديوانه ٤٧٨

(٧) ط « سلم »

وقد تبعه البحتريُّ فى هذا الخطإ فقال يعنى [١] الديار التى وقف عليها :

نَصرتُ لها الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمُعٍ تَلاَحَقْنَ فِى أَعْقابِ وَصْلٍ تَصَرَّما [٢]

* * *

٢١ ــ ومن خطائه فى معنى الشوق قوله :

يكفيكه شوْقٌ يُطِيلُ ظَماءَهُ فَإِذا سقاهُ سَقاهُ سُمَّ الأَسْوَدِ [٣]

فقوله « شوْقٌ يطيل ظماءه » غلط ؛ لأن الشوق هو الظمأ نفسه ، ألا ترى أنك تقول : أنا عطشان إلى رؤيتك ، وظمآن ، ومشتاق ، بمعنى واحد ؟ فكيف يكون الشوق هو المطيل للظمأ وكيف يكون هو الساقى ، والمحبوب هو الذى يظمئ ويسقى [٤] ! لا الشوق [وهذا خطأ] .

* * *

٢٢ ــ ومن خطائه قولُه :

أَمَرَ التَّجَلُّدَ بالتَّلَدُّدِ حُرْقَةٌ أَمَرَتْ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُومِ [٥]

جعل الحرقَة آمرةً للتجلد بالتلدُّد ، والحرقة التى يكون معناها التلدد تُسقط التجلد ألبتة وتذهب به ، فأما أن يجعله متلددًا فإن هذا من أحمق المعانى وأولاها بالاستحالة ، وأيضاً [٦] فأىُّ لفظ أسخف من أن يجعل الحرقة آمرة [وإن كان ليس بخطإ] وإنما العادة فى مثل هذا أن تكون باعثةً أو جالبة أو نحو هذا ، وأما الأمر فليس هذا موضعه .

(١) م « يعنى »

(٢) ديوانه ٣٥٥

(٣) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٢/٤٣ وظماءه : عطشه . والأسود : الحية التى لا ينجو لديغها . وفى ط « يكفيك شوق قد يطيل »

(٤) ك ، ط « ويستقى أو البعد أو الهجر لا الشوق فكيف يكون الشوق يطيل شوقه »

(٥) ديوانه ٣٠٥

(٦) م « وهو أيضاً »

[ ولو كان قال :

أفنى التجلد بالتلدد حرقة أفنت جمود دموعه بسجوم

كان أولى بالصواب ][1] .

* * *

٢٣ – ومن خطائه قوله :

مِنْ حُرْقَةٍ أَطْلَقَتْها فُرْقَةٌ أَسَرَتْ قَلْباً وَمِنْ غَزَلٍ فى نحْرِه عَذَلُ[2]

قوله « أطلقتها فرقة » أى أبرزتها[3] وأظهرتها ، وإنما[4] قال « أطلقتها » من أجل قوله « أسرت قلباً » ليطابق بين الإطلاق والأسار[5] ، وقوله « أسرت قلباً » يعنى الفرقة ، [ وهو ][6] معنى ردىء ؛ لأن القلب إنما يأسره ويملكه شدةُ الحب ، لا الفراق ، فإن لم يكن مأسوراً قبل الفراق فما كان هناك حب ، فلم حَضَر للتوديع ؟ وما كان وجه البكاء والاستهلال والزَّجَل[7] الذى ذكره قبل البيت ، والقصة الفظيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم ؟ أو ما[8] علم أن للفراق لوعة صعبة [ ونارًا محرقة ] عند وروده وفجأته[9] فلا يسمى ذلك أسرًا[10] ولا علاقة ! وإنما هو[11] محنة تطرأ على أسير الحب ،

(١) هذه زيادة ط ك وفى ط « ولو قال بعثت » أو « جلبت » لكان له

(٢) ديوانه ٢٢٧ وفى ط « ومن عذل . . . غزل »

(٣) ط « أى ثورتها »

(٤) م « وإنما عزل قال »

(٥) ط « والأسر »

(٦) زيادة من ط

(٧) م وط « والرجل » « والوجل » والآمدى يشير إلى الزجل فى البيت السابق وهو :

ولو ترانا وإياهم وموقفنا فى موقف البين لاستهلالنا زجل

(٨) ط « وما علم » وم « علمت أن الفراق »

(٩) م « ومحانه »

(١٠) م « إساراً »

(١١) ط « وإنما يسمى »

وربما قتلته كما يقتل الأَسير ، فالفراقُ إنما له لَوْعَة ثم تبرد نارهُ ، وتخمد وقتاً فوقتاً[١] ، حتى يَدْرس « الحب»[٢] ؛ والفراق[٣] يفكُّ أسر الحب ، ويُنْسى الخليلَ خليلَه إذا امتدبه زمان ؛ ألا ترى إلى قول زُهَير بن جناب[٤] :

إذا ما شِئْتَ أَنْ تَسْلَى حَبِيباً ... فأَكْثِرْ دُونَه عَدَدَ اللَّيالِي
فَما أَنْسَى خَلِيلَكَ مِثْلُ نأْيٍ ... وما أَبْلَى جَدِيدَكَ كابْتِذَالِ[٥]

وقول الآخر :

يُنْسِي الْخَلِيلَيْنِ طُولُ النَّأْيِ بَيْنَهُما ... وَتَلْتَقِي طُرُقٌ شَتَّى فَنَأْتَلِفُ[٦]

فهذا هو المعنى الصحيح المعروف ، فإن[٧] كان تقدم أبا تمام فى هذا المعنى من تبعه ، وحذا على حذوه ، فالردىء ، لا يؤتَم به[٨] .

ولعله سمع معنى سائغاً حسناً فأَفسده بسوء عبارته ، وكثيرًا ما يفعل هذا.

وكان ينبغي أن يقول : من حرقة بعثتها فرقة ، أو أظهرتها فرقة جرحت قلباً ؛ حتى يكون أسيرَ الهوى وقتيلَ الفراق .

فإن قيل فلم لا يكون « أسرتَ قلباً » للحرقة لا للفراق[٩] ؟

[قيل : لا يكون ذلك ؛ لأن الأَسر إذا قَبُح أن يكون فعلا للفرقة][١٠]

---

(١) من ك

(٢) ط « والفراق . . . وقتاً وقتاً »

(٣) ط « فالفراق »

(٤) « زهير الكلبى » وترجمته زهير بن جناب الكلبى فى المؤتلف والمختلف ١٣٠

(٥) فى المؤتلف : « ولا أبلى »

(٦) ط « فيأتلف » .

(٧) ط « وإن كان قد »

(٨) م « لا يؤثر به »

(٩) ط « أسرت قلبه الحرقة للفراق »

(١٠) الزيادة من ط

قبح أيضاً أن يكون فعلا للحرقة ؛ لأن الفرقة هي التي جلبت الحرقة ، فشأنها كشأنها .

* * *

٢٤ – ومن خطائه قولُه :

ما لِامْرِئٍ خَاضَ فِى بَحْرِ الْهَوَى عُمُرٌ
إلاَّ وَلِلْبَيْنِ فِيه السهل والجلَدُ(١)

وهذا عندى خطأٌ إن كان أراد بالعمر مدة الحياة ؛ لأنه اسم واحد للمدة بأسرها ؛ فهو لا يتبعَّض (٢) فيقال : لكل جزء منه عمر ، فكما لا يقال : ما لزيد رأس إلاَّ وفيه شَجَّة أو ضربة ، وما له لسان إلا وهو ذرِب [ أو فصيح ] (٣) ، فكذلك لا يقال : ما له عمر إلا وهو قصير ، وإنما يسوغ هذا فيما فوق الواحد ، مثل أن تقول : ما له ضلع إلا مكسورة ، وما له يد إلا وفيها أثر ، ولا رجْل إلا وبها حَنَف . وليس قولهم : « ما له عيش إلا مُنَغَّص ولا حياة إلا كَدِرة » (٤) مثل قولك : ما له عمر إلا قصير ، ولو قلته ؛ لأن عيش الإنسان ليس هو (٥) مدة حياته بأسْرها ؛ لأنك قد تقول : كان عيشى بالعراق طيباً ، وكانت حياتى بمصر (٦) لذيذة ، وكان عيشى بالحجاز أطيب من عيشى باليمن .

---

(١) ديوانه ٩٧ وفى شرح التبريزى ١١/٢ « يقول : ما هوى أحد إلا وقد جعل البين والفراق عمره بين الشدة واللين ، فيكون تارة مسروراً ، وأخرى مغتماً » والهاء فى منه تعود على عمر . والجلد : الأرض الصلبة »

(٢) م « لا ينتقص »

(٣) الزيادة من ط

(٤) م « إلا قدرة »

(٥) ط « ليس له »

(٦) ط « بمكة »

ولا تقول : كان عمرى ؛ لأن العمر هو المدة بأسرها ، والعيش والحياة ليسا[1] كذلك ؛ لأنهما يتبعّضان[2] .

فإن قيل : فأنت [ قد ] تقول : ما لزيد رأس حسن ، ولا أنف أشمّ ، ولا لسان ذَرِب .

قيل : إنما صلح[3] هذا من أجل النفى ؛ لأنك إنما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة ، ولا لسان من الألسُن الذَّرِبة ؛ وإذا دخلت « إلا » ههنا فقد جعلت المنفى موجَبًا وحقيقة ، وإذا قلت « ليس لزيد رأس إلاَّ حسن » فقد أوجبت له عدَّةَ رؤوس ، وهذا خطأ ، وكذاك سبيل العُمر .

وإن كان أراد بالعمر منزلة الذى يتوطنه ويعمره[4] ، فذلك هو المعمر ، وما علمت أحدًا[5] سماه عمرًا إلا أن يكون دَيْر النَّصارى [ فإنهم ][6] يسمونه عمرا ، وما كان يمنعه أن يقول « وطن » مكان عمر ؛ لأن لفظهما ومعناهما واحد ، وقد يكون للإنسان عدة أوطانٍ يُوَطّنها[7] .

وقد ذكر العمر فى موضع آخر من شعره وهو يريد مدة الحياة ؛ فقال :

إذا مارِقٌ بِالغَاْرِ جاوَرَ عُمْرَهُ فَذَاكَ حَرِىٌّ أَنْ تَئِيمَ حَلاَئِلُهْ[8]

أراد أنه إن جاور عمره — أى قارنه[9] — بالغدر فقد عرَّضه للزوال والنفاد ،

(١) م « ليست »
(٢) م « ينتقصان »
(٣) ط « قيل يصلح »
(٤) م « ويعمر » ، ك « يوطنه ويعمره »
(٥) ط « أن أحداً »
(٦) الزيادة من ط
(٧) ط « توطنها »
(٨) م « جاوز » وديوانه ٢٣١ « حاول غدرة »
(٩) ط « قاربه »

وهذا من عَويص ألفاظه ، وما أراد بالبيت[١] إلا مدة الحياة أيضاً ؛ لأن ما قَبْل البيت وما بعده عليه يدل .

* * *

٢٥ ـ وقال فى على بن الجهم :

هِىَ فُرْقَةٌ مِنْ صاحِبٍ لَكَ ماجِدِ ... فَغَدًا إذَابَةُ كُلِّ دَمْعٍ جامِدِ[٢]

فَافْزَعْ إلَى ذُخْرِ الشُّؤُونِ وَعَذْبِهِ ... فالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الجاهِدِ[٣]

وَإذا فَقَدْتَ أخاً ولَمْ تفْقِدْ لَهُ ... دَمْعاً ولا صبْرًا ، فَلَسْتَ بِفاقِدِ

قوله « يذهب بعض جهد الجاهد » أى : بعض جهد الحزن الجاهد ، أى: الحزن الذى جَهَدَك فهو الجاهد لك ، ولو كان استقام له [ أن يقول ][٤] « بعض جهد المجهود » لكان أحسن وأليق ، وهذا أغرب وأظرف ، وقد جاء أيضاً فاعل بمعنى مفعول ؛ قالوا « عِيشَةٌ راضية » بمعنى مَرْضِيَّة ، و « لمح باصر » وإنما هو مُبْصَر فيه ، وأشباه لهذا [ كثيرة ][٥] معروفة ، ولكن ليس فى كل شىء[٦] يقال ، وإنما ينبغى أن ينتهى فى اللغة إلى حيث انْتَهَوْا ولا يتعدى[٧] إلى غيره ؛ فإن اللغة لا يقاس عليها .

وقوله « فلم تفقد له دمعاً ولا صبرًا » من أفحش الخطأ ؛ لأن الصابر لا يكون باكياً ، والباكى لا يكون صابرًا ؛ فقد نَسَقَ بلفظة على لفظة وهما

(١) ك ، ط « بالبيت الأول »

(٢) ديوانه ٨٦ وشرح التبريزى ١/٤٠٦

(٣) شرح التبريزى ١/٤٠٦ والديوان ٨٦ . ويروى : « وعونه » ، « وغربه » ، وهى التى وقعت فى أصول ط وقال عنها ناشرها الشيخ محيى الدين : « فى الأصول : وغربة وهو تحريف شنيع » !

(٤) زيادة من ك

(٥) من ط

(٦) ط « فى كل حال »

(٧) م « ولا يتعداه »

نعتان متضادان[١] ، ومعناه أنك إذا فقدت أخاً فأدام البكاء عليك فلست بفاقد . ولم يرد فلست بفاقد شخصه ؛ وإنما أراد لست بفاقد ودّه ولا أُخُوَّته ، أى هو[٢] محصّل لك غير مفقود وإن كان غائباً عنك . وإلى هذا ذهب ، إلا أنه أفسده بذكر الصبر مع البكاء ، وذلك خطأ ظاهر .

ولو كان قال «فلم تفقد له دمعاً ولا جزعاً» أو «دمعاً ولا شوقاً [أو دمعاً] ولا قلقاً» لكان المعنى مستقيماً . وظننته قد[٣] قال نحو[٤] هذا وأن غَلَطاً وقع فى كُتْب البيت عند النقل ؛ فرجعت[٥] إلى أصل «أبى سعيد السكرى» وغيره من الأُصول القديمة ، فلم أجدْه إلا «دمعاً ولا صبرًا» وذلك غفلة منه عجيبة .

وقد لاح لى معنًى أظنه — والله أعلم — إياه[٦] قصد ، وهو أن يكون أراد إذا فقدت أخاً فلم تفقد له دمعاً — أى فواصل[٧] البكاء عليه — فلَسْتَ بفاقده ، على ما [قدمت] ذكره : أى قد[٨] حصل لك وصار ذخرًا من ذخائرك ، وإن غاب عنك أو غيبت[٩] عنه ، وإن لم تفقد له صبرًا — أى وإن صَبر عنك — فلست [أيضاً] بفاقد : لأنه إن صَبَرك[١٠] وسَلاَكَ

---

(١) ك ، ط «متضادان ولا يجوز أن يكونا مجتمعين»
(٢) ط «وهو»
(٣) من ك
(٤) ط «غير هذا . . . فى كتابه» وفى م «أو غلطا»
(٥) ط «حتى رجعت»
(٦) ط «إليه»
(٧) ط «أى يواصل»
(٨) ط «فقد»
(٩) ط «وغبت»
(١٠) من ك

فليس ذاك بأخٍ تُعَوّل(١) عليه ، فلست أيضاً بفاقده : لأنك لا تعتدُّ به موجودًا ولا مفقودًا .

ولكن ذهب على أبي تمام أن هذا غير جائز ؛ لأنه وصف رجلا واحدًا بالوصفين جميعاً ، وهما متضادان . ولو كان جعلهما وصفين لرجلين ، فقال :

وإذا فقَدْتَ أخاً لِفقدكَ باكِياً ... أَوْ صابِرًا جَلْدًا فلَسْتَ بفاقِدِ

أي : لست بفاقد هذا لأنه محصل لك ، أو لست بفاقد هذا(٢) لأنه غيرُ(٣) ناس مودَّتك — لكان(٤) المعنى سائغاً حسناً واضحاً . أو لو جعله شخصاً واحدًا وجعل له أحد الوصفين ، فقال :

وإذا فقَدْتَ أخاً فأَسْبَلَ دَمْعَهُ ... أَوْ ظَلَّ مُصْطَبِرًا فلسْتَ بفاقِدِ

لكان أيضاً سائغاً على هذا المذهب .

أو [ لو ] كان استوى له فى ذلك اللفظ بعينه أن يقول « فلم تفتقد له دمعاً أو صبرًا » حتى لا يجعل له إلا أحدهما — لساغ ذلك ، لكنه نَسَقَ بالصبر على الدمع فجعلهما جميعاً له ، ففسد المعنى .

وهذا(٥) وأشباهه الذى قاله الشيوخ فيه : إنه يريد البديع ، فيخرج إلى المحال .

* * *

---

(١) ط « يعول »
(٢) م « هذه »
(٣) ليست فى ك
(٤) م « فكان »
(٥) ط « فهذا »

٢٦ – وقال أبو تمام :

لَمَّا اَسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَانْصَرَمَتْ أَوَاخِرُ الصَّبْرِ إِلاَّ كَاظِماً وَجِمَا[1]

رَأَيْتُ أَحْسَنَ مَرْئِيٍّ وَأَقْبَحَهُ مُسْتَجْمِعَيْنِ لِيَ التَّوْدِيعَ وَالْعَنَمَا

العنم : شجر له أغصان [لطيفة غَضَّة كأنها بَنَان جارية ، الواحدة عَنَمة ][2]. كأنَّه استحسن أصابعها[3] واستقبح إشارتها إليه بالوداع ، وهذا خطأٌ فى [هذا] المعنى . أتُراه ما سمع قولَ جرير :

أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنا سُلَيْمَى بِفَرْعِ بَشَامَةٍ ؟ سُقِيَ الْبَشَامُ ![4]

فدعا للبَشَام بالسُّقْيا ؛ لأنها ودَّعته به فسرَّ بتوديعها .

وأبو تمام استحسن إصبعها ، واستقبح إشارتها [مودعة] . ولعمرى إن منظَر الفراق منظر قبيح ، ولكن إشارة المحبوبة بالتوديع[5] لا يستقبحها إلا أجهل الناس بالحب ، وأقلهم معرفةً بالغزل[6] ، وأغلظهم طبعاً ، وأبعدهم فهماً .

* * *

٢٧ – وقال [وهو من خطائه][7] :

فَلَوَيْتَ بالموعود أَعْناقَ الورى وحَطَمْتَ بالإنجاز ظَهْرَ الْمَوْعِدِ[8]

---

(١) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزى ٣/١٦٧ وقد ذكر الشريف المرتضى أن أبا العباس بن عمار عابهما على أبى تمام ونقل قوله ثم كر عليه بالنقد العنيف . راجع أمالى المرتضى ٢/٢٥٤ – ٢٥٧

(٢) زيادة من ط

(٣) ط « أصبعها »

(٤) ديوانه ٥١٢ وأمالى المرتضى ١/٥٤١ ، ٢/٢٥٦ والصناعتين ٣٩٢ والبديع ١٠٧ والعمدة ٢/ ٤٤ وإعجاز القرآن ١٤٩ وفى اللسان ١٤ / ٣١٧ « البشام : شجر واحدته بشامة . يعنى أنها أشارت بسواكها فكان ذلك وداعها ولم تتكلم خيفة الرقباء »

(٥) ك ، ط « بالوداع لا يستقبحه »

(٦) م « بالقول »

(٧) من ك

(٨) شرح التبريزى ٢/٥٣ وفى الديوان ١١٣ « بالمعروف أعناق المنى » وظن الشيخ =

حَطْم ظهر الموعدِ بالإنجاز استعارةٌ قبيحة جدًّا ، والمعنى أيضاً فى غاية الرداءة ؛ لأن إنجاز الوعد هو تصحيحه وتحقيقه ، وبذلك جرت العادة أن يقال : قد صَحَّ وعدُ فلانٍ ، وتحقَّق ما قال ؛ وذلك إذا أنجزه . فجعل أبو تمام فى موضع صحة الوعد حَطْم ظهره ، وهذا إنما يكون إذا أخلف الوعد وكذب ، [ألا ][1] تراهم يقولون : قد مَرَّض فلانٌ وعْدَه ، وعلَّله ، ووعَدَ[2] وَعْدًا مريضاً ؛ فإذا أخلف وعده فقد أماته ، والإخلاف هو الذى يَحْطم ظهرَ الموعد ، لا الإنجاز . ولا خفاءَ بفساد ما ذهب إليه ، وكان[3] ينبغى أن يقول : وحطمت بالإنجاز ظهر المال[4] ، لأن الموعد حينئذ كان يصح ويسلم ، ويتلف المالُ .

* * *

٢٨ ــ وقال :

إذا وعدَ انْهَلَّتْ يَدَاهُ فأَهْدَتا ... لَكَ النُّجْحَ محمُولاً على كاهلِ الوعْد[5]

كاهلُ الوعد إذا حَمَل النُّجْحَ فمن[6] سبيله أن يكون صحيحاً مسلماً ، لا أن يكون محطوماً[7] كما قال فى البيت الأول ؛ فهذه استعارة صحيحة فى[8] هذا البيت ، وإن كان « كاهل الوعد » قبيحاً .

* * *

=« محى الدين » أنها الصواب فقال : « وقع فى الأصول : أعناق الورى وتصويبه الذى ذكرناه عن الديوان » ولم يرد فى شرح التبريزى غير تلك الرواية المزعوم غلطها « يريد أنك عطفت أعناق الناس إليك بما وعدتهم من الإحسان ، ثم عجلت الإنجاز وأزلت الموعد »

(١) زيادة فى ط

(٢) م « ووعدت »

(٣) م « وكان بمعنى »

(٤) ط « المال لا الموعد وحينئذ فالموعد كان »

(٥) ديوانه ١٢٨ وشرح التبريزى ٢/١١٣

(٦) ط « من »

(٧) م « بما »

(٨) ط « على »

٢٩ - ومثلُ هذا البيت الأَوَّل فى الفساد أو قريب منه ، قولُه :

إذا مارَحًى دارَتْ أَدَرْتَ سماحةً رَحى كُلِّ إنجازٍ على كُلِّ موْعِدِ(١)

وهذا إتلافُ الموعد وإبطاله ؛ لأَنه جعله مطحوناً بالرحَى ؛ وإنما ذهب إلى أن الإنجاز إذا وقع بطل الوعد . وليس الأَمر كذلك ؛ لأَن الوعد ليس بضد للإنجاز ؛ فإذا صحَّ هذا بطل ذاك ، بل الوعدُ الصادقُ طرَفٌ [ من ](٢) الإنجاز ، وسبب من أَسبابه : فإذا وقع الإنجاز فهو تمام الوعد ، وتصحيح له وتحقيق وتصديق ، فهو فى هذه الاستعارة غالط . والمعنى الصحيح قوله :

أَبَلُّهُمْ ريقاً وَكَفًّا لِسائلٍ وأَنْضرهُمْ وعْدًا إذا صَوَّحَ الوعْدُ(٣)

فتصويح(٤) الوعد هو أَن يُخْلفه الواعد فيبطل ، ولا يصح ؛ لأَنه من صَوَّح النبت : إذا جف . ومثله فى الصحة قوله :

تَزْكُو موَاعدُه إذا وعْدُ امْرِئٍ أَنْسَاكَ أَحلامَ الْكَرَى الأَضْغاثا(٥)

فهذا هو المعنى الصحيح : أَن يكون الوعد يزكو ، لا أَن يبطل ويذهب . ولله در [ أَبى سحق ](٦) إبراهيم بن هَرْمَةَ إذ يقول :

يَسبقُ بالفعل ظَنَّ سائلهِ ويَقتُلُ الرَّيْثَ عنْدَهُ العَجَلُ(٧)

---

(١) ديوانه ١٠٤ وشرح التبريزى ٣١/٢ « أى كأنك تطحن برحى الإنجاز المواعيد » .

(٢) زيادة من ط .

(٣) ديوانه ١٢٢ وفى شرح التبريزى ٩١/٢ « صوح : أى يبس ولم يكن له منفعة ، أخذ من تصويح الروض وهو يبسه والتواؤه . يحتمل أن يكون أراد أنه إذا سأله السائل لم يحمله البخل على أن يعيا بالجواب ، فعل من يحصر وييبس ريقه فى فمه » . وفى م « أبلهم ربعاً »

(٤) م « فتصريح »

(٥) ديوانه ٦٥ وفى شرح التبريزى ٣٢٢/١ « أضغاث الأحلام : هو المختلط منها المشتبه ، وأصله من الضغث وهو أن يقبض الرجل ملء كفه من النبت فيكون منه ضروب مختلفة . والمعنى : وعد هذا المخلف يزيد على أضغاث الأحلام فى البطلان والإلغاء » .

وفى طبعه الجوائب « إذا وعد امره » وجعلها الشيخ« محيى الدين» « إذا وعد امرأ » والبيت على هذا تغيير يقلب المعنى من المدح إلى القدح ! ! !

(٦) زيادة من ط وهى كنيته كما فى الأغانى ١٠٩/٤ .

(٧) م « ويقبل » وهو تحريف .

فهذه الاستعارة الصحيحة أن يَقْتلَ العجلُ الإبطاء ، لا أن يقتل الإنجاز الوَعْدَ . فأما قولُه :

نَوُمٌّ أبا الحُسيْنِ ، وكانَ قِدْماً فَتًى أعْمَارُ موْعِدِه قِصارُ[١]

وقولُ البحترى :

وجعلْتَ فِعلكَ تِلْوَ قَوْلكَ قاصرًا عُمْرَ العدُوِّ بِهِ وعُمْرَ المَوْعِد[٢]

فإنَّ عمر الموعد مدةُ وقته ، فإذا أنجز صار مالا ؛ فنفاد وقته ليس بمبطل له ، بل ذلكَ نقْله من حال إلى حال أخرى .

ألا ترى إلى البحترى كيف كشف عن هذا المعنى ، وجاء بالأمر من فَصِّه ؟ فقال :

يُوليكَ صدْرَ اليَوم قاصِيَةَ الْغِنَى بمَواهبٍ قدْ كُنَّ أمْس مواعدَا[٣]

فبطلانُ الموعْد هو بطلان الشىء [ الذى الموعِدُ واقعٌ به ، وصحته هو صحة ذلك الشىء ] [٤] ثم أتبع البحترى هذا البيت بأن قال :

سَوْمُ السَّحائبِ ما بَدَأنَ بَوارقا فى عارضٍ إلاَّ انْثَنيْنَ رَوَاعِدَا[٥]

[ العارض : السحاب ] . فجعل البوارق مثالا للمواعد ، وجعل الرواعد [ التى ] هى البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة ، مثالا للغيث [ الذى هو العطايا ] [٦] ؛ فالرواعد ليست بمبطلة للبوارق : بل هى [ هى ] ؛ لأن تلك نور يحدثه ازدحام [ السحاب ، والرعد صوت ذلك الازدحام ] ؛ فالبرق يرى أولا ، والرعد يسمع آخرًا ، [ وهو هو ] وذلك لأن[٧] العين أسبق

( ١ ) ديوان أبى تمام ١٤١ وشرح التبريزى ٢/١٥٦ ونؤم : نقصد ، وأبو الحسين : محمد ابن الهيثم

( ٢ ) ديوانه ٤٦١

( ٣ ) ديوانه ٦٤٧ « بعوائد قد » ، ٢ / ٨٢٣ المعارف

( ٤ ) زيادة من ط

( ٥ ) ط « شيم » والديوان « إلاثنين »

( ٦ ) زيادة من ط

( ٧ ) ط « أن »

إلى الإبصار من الأذن إلى الاستماع[١] ؛ لأن العين ترى الشيء في موضعه ، والأذن لا تسمع الصوت إلا إذا وصل إليها ؛ فشبهها [البحترى] بالمواعيد التي تحولُ مواهب[٢] ، وهذا أحسن ما يكون من التمثيل وأصحه ، وإنما أقام الرواعد مُقام المواهب لأنه قد يكون بَرْقٌ ولا مطر معه[٣] [دائماً] ، ولا يكاد يكون رعدٌ إلا وَمعه مطر ؛ ثم إن التشبيه صح بأن صار الرعد بعد البرق .

وما أحسن ما قال خلف بن خليفة الأقطع :

مواعدُهُم فعلٌ إذا ما تَكلَّموا    بتلك التي إنْ سُمِّيَتْ وجبَ الفعلُ[٤]

يعني قول « نعم » . فجعل الوعد هو الفعل نفسه ، لصحته وصدقه .

وقد مثل البحترى أيضاً الموعد وكيف تحول عطاء ، تمثيلا آخر حَسناً ، فقال :

وشكرْتُ منك مواهباً مشكورَةً    لوْ سِرْنَ في فلَكٍ لَكُنَّ نجُومَا[٥]

ومواعِـدًا لو كُنَّ شـيئاً ظاهرًا    تُفضى إليـهِ العينُ كُنَّ غيومَا

وذلك لأن الْغَيم يصير مَطَرا ، كما أن الموعد يصير عطاء .

فأبو تمام — فيما يذهب إليه — غالط ؛ لأنه وضع الاستعارة[٦] في غير موضعها .

* * *

(١) ط « للاستماع »

(٢) ط « بالمواعد التي تجر المواهب »

(٣) ط « فيه »

(٤) حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ٤/١٧٧٤ وفي ط : « فتلك »

(٥) ديوانه ٨٨ ، ٣/١٩٦٨ « مواهباً مشهورة » وفي م « لو سرت »

(٦) ط « الاستعارات »

٣٠ – ومن خطائه قولُه :

فَلَوْ ذهَبَتْ سِناتُ الدَّهر عنْهُ ... وَأَلْقِىَ عنْ مَناكِبهِ الدِّثارُ[١]

لَعَدَّلَ قِسْمَةَ الأَرْزاقِ فِينا ... وَلكنْ دَهْرُنا هـذا حِمارُ

قوله « وألقى عن مناكبه الدثار » لفظ ردىء ، وليس من المعنى الذى قَصَده فى شىء ، وصَدْرُ البيت لائق بالمعنى ؛ فلو كان أتبعه بما يكون [ مثله ][٢] فى معناه بأَن يقول : فلو ذهبت سناتُ الدهر عنه واستيقظ من رقدته أو انتبه من نومه[٣] أو انكشف الغطاء عن وجهه ؛ لكان المعنى يمضى[٤] مستقيماً ؛ لأَن مَنْ كان ذا سِنَةٍ أو نَوْم أو مغطًّى عن وجهه أو عينيه ، فإنه [ لا يبصر الرشدو ][٥] لا يكاد يهتدى لصواب . وإنما هذه كلها استعارات ، والمراد بها هداية القلب وإبصاره وفَهْمه ، وقد جَرَت العادة باستعارتها فى هذا المعنى .

فأَما دِثَار المناكب فليس من هذا الباب فى شىء ؛ إذ قد يُبْصر الإنسان رُشْده ويهتدى لصواب أَمره وعلى مناكبه دِثارٌ وعلى ظهره أَيضاً حِمْل ، ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطاء على العين : لأَنه إنما يراد [ به ] نوم القلب والتغطية عليه ؛ لأَن الإنسان إنما يقال له « قد عمى قلبك » و « قد عميَت عن الصواب عَيْنُك » و « قد غطِّىَ على فهمك » ؛ ولا يقال : قد غُطِّيت بالدثار عن الصواب مناكبك ولا ظهرك . ولفظة الدِّثار أَيضاً إنما

---

(١) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ٢ / ١٥٤ « استعار السنات للدهر ، وهو جمع سنة ، والسنة : النعاس . والدثار ما تدثر به الإنسان فوق شعاره ، وذكره ههنا لأن السنة تؤدى إلى النوم ، والنائم من شأنه أن يتدثر »

(٢) زيادة من ط

(٣) ط « لاستيقظ . . . وانتبه من نومته وانكشف »

(٤) ط « المعنى يمضى مستقيماً »

(٥) زيادة من ط

تستعمل لمنع الهواء والبرد ، لا لمنع الفهم والرشد[١] .

* * *

٣١ – ومن خطائه قولُه :

وَأَرَى الْأُمُورَ الْمُشْكلاتِ تَمَزَّقَتْ ظُلُمَاتُهَا عَنْ رَأْيِكَ الْمُتَوَقِّدِ[٢]

عَنْ مِثْلِ نَصْلِ السَّيْفِ إلاَّ أَنَّه مُذْ سُلَّ أَوَّل سَلَّةٍ لَمْ يُغْمَدِ

فَبَسَطْتَ أَزْهَرَها بِوَجْهٍ أَزْهَرٍ وَقَبَضْتَ أَرْبَدَهَا بِوَجْهٍ أَرْبَدِ

فقال « الأمور المشكلات » وجعل لها ظلمات ، فكيف يقول : فبسطت أزهرَها ، والزُّهْرُ هي النَّيرة[٣] ، والمشكلات لا يكون منها شيء نَيِّر ! [ وكأنه ][٤] يريد أن الأُمور المشكلات[٥] منها جيد قد أَشكل الطريقُ إليه ، ومنها ردىء قد جُهلت أَيضاً حاله : فهي كلها مظلمة ، فيمزق[٦] ظلماتِها برأيه ، ويكشف عن الجيد منها ويبسطه[٧] ، أي يستعمله ، ويكشف عن رديئها ويَقْبِضه أي يكفُّه ويطرحه . ولكن ما كان[٨] ينبغي له أن يقول : « بوجه أزهر » و « بوجه أربد » ؛ لأَنه لا صُنْع للوجه ههنا ولا تأثير ؛ لأَن الصنع إنما هو للرأي وللعقل[٩] : فإذا رأى ذو الرأي اسْتنارت به[١٠] الأَشياء المظلمة ،

---

(١) قال ابن المستوفي – كما في هامش شرح التبريزي « هذا الذي أنكره الآمدي غير منكر ؛ لأن النائم غالباً يتدثر بالدثار ، ألا ترى إلى قول الله تعالى : « يا أيها المدثر » وكذلك قوله تعالى « يا أيها المزمل » فثاني البيت متعلق بأوله تعلقاً صحيحاً ، ويريد بالسنات حقيقة النوم »

(٢) ديوانه ١١٣ وشرح التبريزي ٢/٥٢

(٣) ط « النيرات . . . . لا يكون شيء منها نيرا »

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « المشكلة »

(٦) م « فتمزق »

(٧) م « وتبسطه »

(٨) م « ولكن ما ينبغي أن »

(٩) م « للرأي من الفعل »

(١٠) ط « استبان منه »

وانفتحت المُغْلَقَةُ ؛ أو رأى أن يُغْلق أمرًا مفتوحاً إذا كان الصواب موجباً ذلك عنده ؛ فالرأى على الأحوال كلها [أزهر][1] مُسفر ، والوجه على الأحوال كلها أبيض ، وإذ لم يك[2] أبيض فى لونه . والعاجز إذا ورد عليه الأمر يَبْهظه تبين[3] الكآبة فى وجهه ؛ ولله در منصور النمرى حيث يقول :

يُرَى سَاكِنَ الأَوْصالِ باسطَ وجْهِهِ ... يُرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالأُمورُ تَطِيرُ[4]

فقال : « ساكن الأوصال باسط وجهه » فدلّ على قلة اكتراثه بالأمور التى تَرِدُ عليه ، وقول أبى تمام : « بوجه أرْبَدِ » لا معنى له ؛ لأنه من صفة[5] الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه ، وهو عندى فى ذلك غالط ، وفى ذلك مسىء .

* * *

٣٢ - ومن خطائه قولُه [يذكر سير الإبل][6]

كالأَرْحَبِىِّ المذكّى سَيْرُهُ الْمَرَطَى ... وَالْوَخْدُ والْمَلْعُ والتَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ[7]

فالأَرْحَبِىُّ من الإبل : منسوب إلى أَرْحَب[8] ، حىٌّ من هَمْدان تنسب إليهم النجائب .

---

(١) زيادة من ط

(٢) ط « وليس يريد أبيض »

(٣) ط « تبينت »

(٤) ط « ترى »

(٥) ط « من صفات »

(٦) من ك

(٧) ديوانه ٤٨ وفى شرح التبريزى ١/٢٥٢ « كان بعض الناس يقول لأبى تمام : أنا أستحسن قول امرئ القيس :

وتعرف فيه من أبيه شمائلا ... ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

سماحة ذا وجود ذا ووفاء ذا ... ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

فذكر أربعة ورد عليها أربعة أصناف . فلقيه أبو تمام بعد مدة فقال له : أنشدتنى بيتى امرئ القيس وتستحسن ذكره لأربعة ورده عليهم أربعة أصناف ، وقد ذكرت خمسة ورددت عليهم خمسة أصناف ، وأنشده البيتين » يريد هذا والذى قبله وهو :

وزير حق ووالى شرطة ورحا ... ديوان ملك وشيعى ومحتسب

(٨) م « إلى رحب »

والمذكى : الذى قد انتهى فى سنه وقوّته .

والمَرَطَى من عَدْو الخيل : فوق التَّقْريب ودون الإهْذَاب[١].

والوَخْد : الاهتزاز فى السير مثل وَخْد النعام .

والمَلْع من سير الإبل : السريع .

والتقريب من عَدْو الخيل معروف . والْخَبَبُ : دونه .

وليس التقريب من عَدْو الإبل ، وهو فى هذا الوصف مخطئٌ ، وقد يكون التقريب لأَجْنَاسٍ من الحيوان ، ولا يكون للإبل ، فإنَّا ما رأَينا [ قطُّ ] [٢] يقرب تقريب الفرس .

والْمَرَطى أَيضاً : من عَدْو الخيل ؛ ولم أره فى أَوصاف [ سير ] الإبل ولا عدوها[٣] .

* * *

٣٣ ـ ومن خطائه قوله :

وَمشْهَدٍ بَيْنَ حُكْيمِ الذُّلِّ مُنْقَطِـعٌ ... صَالِيهِ ، أَوْ بِحِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ[٤]

جَلَّيْتَ والْمَوْتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ ... وَقَدْ تَفَرْعَنَ فِى أَفْعَالِهِ الأَجَلُ

فقوله : « بين حكم الذلّ » لو كان حكم الذلّ أَشياءَ متفرقة لصلحت[٥] فيها « بين » غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحدة ، وكذلك [ حكم ] [٦] العز والعز ، فكما لا يقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال[٧] هذا ؛ لأَن « بين » إنما هى وَسط بين شيئين .

---

( ١ ) اللسان ٩/٢٧٨ وفى م « ودون الإلهاب »

( ٢ ) زيادة من ط

( ٣ ) ط « ولا سيرها » .

( ٤ ) ديوانه ٢٢٨

( ٥ ) ط « لصحت »

( ٦ ) زيادة من ط

( ٧ ) م « يقال : ركذا لأن »

فإن قال : إن حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومَنْ يصلى بها[١] ؛ فكأنه ذهب بقوله « بين » إلى معنى وسط ، أى ومشهد وسط حكم الذل .

قيل : وَسط لا يحلّ محل بَيْن ، وبين لا يحل محل وسط ؛ لأنك تقول : البئر وسط الدار ، ولا تقول : البئر بين الدار ، وتقول : المال بيننا نصفين ، ولا تقول : المال وسطنا . والمعنى الذى بنى أبو تمام البيتَ عليه سياقَة [٢] لفظهِ أن يقول : ومشهدٍ بين حكم الذل وحكم العز ، أو[٣] ومشهد بين الذل والعز ، محجمٌ من يصلاه – وهو الذليل – أو مُقْدم – وهو العزيز – جلَّيته وكشفته . [وهو] يعنى الممدوح ؛ فحذف أحد القسمين الذى لا يصلح «بين » إلا به مع القسم الآخر ، وجعل قوله «منقطع » فى موضع مُحْجِم ، و «متصل » فى موضع مُقْدم . [وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع] [٤] وقد أغراه الله بوضع الألفاظ فى غير موضعها[٥] من أجل الطِّباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به . وقوله «وقد تفرعن فى أفعاله الأَجل » معنى فى غاية الركاكة والسخافة ، وهو من ألفاظ العامة ، وما زال الناس يعيبونه به ، ويقولون : اشتقَّ للأَجَلِ الذى هو مُطِلٌّ على كل النفوس فعلاً من اسم فِرْعَوْن ، وقد أتى الأَجل على نفِس فِرْعَوْنَ وعلى نفس كل فرعونٍ كان فى الدنيا .

* * *

(١) ط « يصلاها »
(٢) ك « فسياقة »
(٣) ط « ى »
(٤) زيادة من ط
(٥) ط « مواضعها »

٣٤ – ومن خطائه قوله :

سَعَى فَاسْتَنْزَلَ ٱلشَّرَفَ اقْتِسارًا ... وَلَوْلا السَّعْىُ لَمْ تَكُنِ الْمَساعِى[١]

قوله « سعى فاستنزل الشرف اقتسارا » ليس بالمعنى الجيد ، بل هو عندى هجاء مصرح ؛ لأنه[٢] إذا استنزل الشرفَ فقد صار غير شريف[٣] ، وذلك أنك إذا ذَمَمْتَ رجلاً شريفاً شريف[٤] الآباء ، كان أبلغَ ما تذمُّه به أن تقول : قد حَطَطْتَ شرفَك ، ووضَعْتَ من شرفك .

وقد وكَّده بقوله : « اقتسارا » .

وقوله : « ولولا السعى لم تكن المساعى » فبئس السعى والله سَعَى ؛ لأن الشرف[٥] لا يُحَطُّ إلا بالأَم ما يكون من الأفعال ، وكأنه إنما أراد سعى نحو[٦] الشرف بنفسه فأفسد المعنى بذكر استنزاله إياه ، [كأنه][٧] لو لم يستنزله ما كان يكون حاوياً [له][٧] ، فهلا قال : تَرَقَّى إلى الشرف الأعلى فحوَاه ، أو بلغ النجم ، أو علا على الشمس . كما قال الآخر :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ ... قَوْمٌ بِسُؤْدَدِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا[٨]

* * *

٣٥ – ومن خطائه قوله :

يَقِظٌ وَهْوَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِغْضَا ... ءً عَلَى نَائِلٍ لَهُ مَسْرُوقِ[٩]

---

(١) ديوانه ١٩٤ وشرح التبريزى ٢/٣٣٩ ويروى : « اقتدارا »
(٢) م « لأنه ليس إذا » .
(٣) م « شريف . . . وذلك أنه »
(٤) م « رجلا بشريف الآباء »
(٥) م « الشرف بنفسه فاسد المعنى إلا بألأم »
(٦) ط « سعى فحوى الشرف نفسه »
(٧) زيادة من ط
(٨) سبق فى ص ١٥٣
(٩) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزى ٢/٤٤٥

قوله «على نائل له مسروق» خطأً ؛ لأن نائله هو ما يُنيله ، فكيف يكون مسروقاً منه ؟ وهل يكون الهجو إلا هكذا : أن يجْعَل نائله مأْخوذاً منه على سبيل السرقة ، وإنما اعتمد المطابقة لما وصفه بالتيقظ. جعله ممن يسرق منه ؛ إذ كان من شأْن المتيقظ. أن لا يغفل حتى يستتم[1] عليه السرق ، وقد كان يصح هذا المعنى لو قال : على مال له مسروق ، حتى يكون يعطى ماله اختياراً لجوده ، [وَيُغْضى إذا سرق منه لكرمه] [2].

* * *

٣٦ – ومن خطائه قولُه :

لَوْ يَعْلَمَ الْعافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى ... مِنْ لَذَّةٍ وَقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ[3]

ويروى «من لذة أَو فَرْجَة»[4] أى : من لذة وافتراج ، أى ابتداع واستخراج ، وهذا عندى غلط. : لأن هذا الوصف الذى وصفه به[5] داعيةٌ إلى[6] أن يَتَناهى الحامدُ له فى الحمد ، ويجتهد فى الثناء[7] لا أن يَدَعَ حَمْده . وإنما ذهب إلى أن الإنسان إنما يحمد على الشيء الذى يتكلَّفه [ويتجشَّمه][8] ويتحمل المشقة فيه ، لا على الشيء الذى له بواعث شهوة له[9] من نفسه وشدة صبابة إليه ومحبة لفعله ، ومَنْ كان غرامُه بالجود هذا الغرام فعلى ذلك يجب أن يحمد ويمدح .

(١) م «يستمر»
(٢) زيادة من ط
(٣) سبق ص ١٢١ ويرى الصولى أن أبا تمام نقل قول المأمون : «إنى لأعشق العفو حتى أظن أنى لا أوجر عليه» وجعله فى الجود
(٤) ط «من لذة ومن فرجة» والزيادة منها
(٥) من ك
(٦) من ك
(٧) ط «فى الثناء بأن لا يدع حمده» وهو تحريف
(٨) زيادة من ط
(٩) من ك

فأما قول البحترى :

وَلَقَدْ أَبَدْتَ الْحَمْدَ حَتَّى لَوْ بَنَتْ     كَفَّاكَ مَجْدًا ثَانِياً لَمْ تُحْمَدِ[١]

فمذهب صحيح ، يريد أنك قد أفنيت الأوصاف والمحامد ؛ فإن جئت بنوع ومن المكارم تَبْنِي به مجدًا آخر ، لم يَقْدِر مَن يحمدك ويثنى عليك على أكثر مما قدم[٢] .

* * *

٣٧ - ومن خطائه قوله :

تَنَاوَلُ الْفَوْتَ أَيْدِى الْمَوْتِ قادِرَةً     إذا تَنَاوَلَ سَيْفاً مِنْهُمُ بَطَلُ[٣]

قوله : « تناول الفوت أيدى الموت » عويص من عويصاته ، وهو أيضاً محال . وإنما سمع قول سَعْد بن مالك[٤] يقول :

هَيْهَاتَ حالَ الْمَــوْتُ دُو     نَ الْفَوْتِ وَانْتُضِىَ السِّلاحُ[٥]

والْفَوْت : هو النجاة ، أى : حال الموت دون النجاة ، وهذا صحيح مستقيم ، فقال هو « تناول الفوت أيدى الموت » وهذا محال ؛ لأن النجاة لا تتناولها يدُ الموت ولا تصل إليها ، وإلَّا لم تكن نجاة .

وهذا من تقعره[٦] الذى يخرجه إلى الخطإ ، وإنما قَصَد إلى ازدواج الكلام فى الفوت والموت ، ولم يتأمل المعنى .

---

(١) ديوانه ٤٦١ « فلقد بنيت المجد حتى »

(٢) ط « مما تقدم »

(٣) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزى ٣/١٨

(٤) قال المؤلف فى المؤتلف والمختلف ١٣٥ : « سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة ، أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها فى الجاهلية »

(٥) له فى حماسة أبى تمام بشرح التبريزى ٢/٧٨ « أراد أن الموت قد حال دون أن يفوت الرجل فيذهب عن هذه الحروب منهزماً ، يريد أنه ليس إلا القتل أو الغلب »

(٦) ط « من تعقيده »

والوَجْهُ الصحيح قولُ البحترى :

تَتَدَانَى الْآجالُ ضَرْباً وَطَعْناً حِينَ يَدْنُو فَيَشْهَدُ الْهَيْجَاءَ[(١)]

* * *

٣٨ - ومن خطائه قولُه :

واكْتَسَتْ ضُمَّرُ الجِيَادِ الْمَذَاكِى مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَا دَماً وَحَمِيماً[(٢)]

فى مَكَرٍّ تَلُوكُها الحَرْبُ فِيهِ وَهْىَ مُقْوَرَّةٌ تَلُوكُ الشَّكِيما[(٣)]

وهذا معنى قبيح جدًّا : أن جَعَلَ الحربَ تلوك الخيل ، من أجل قوله «تلوك الشكيما» . و «تلوك الشكيما» أيضاً ههنا خطأٌ ؛ لأن الخيل لا تلوك الشكيم فى المكرّ وحَوْمَة الحرب ، وإنما تفعل ذلك واقفةً لا مكرّ لها .

فإن قيل : إنما أراد أن الحرب تلوكها كما تلوك هى الشكيم .

قيل : هذا تشبيه ، وليس فى لفظ البيت عليه دليل ، وألفاظ التشبيه معروفة ، وإنما طرح أبا تمام فى هذا قلةُ خبرِه بأمر الخيل ، ألا ترى إلى قول النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللُّجُمَا[(٤)]

والصيام ههنا القيام : أى خيل واقفة [مستغنى عنها لكثرة خيلهم فهى واقفة ][(٥)] وخيل تحت العجاج فى الحرب ، وخيل تعلك اللجما قد أسرجت وألجمت وأعِدَّت للحرب .

---

(١) ديوانه ٧١٣

(٢) ديوانه ٢٩٣ وشرح التبريزى ٣/٢٢٩ والحميم هنا : العرق

(٣) مقورة : ضامرة

(٤) ديوانه ٩٥ واللسان ١٢/٣٥٧ ، ١٥/٢٤٤ والمعانى الكبير ٢/٩١٥ والبحر المحيط ٢/٢٦ ومجمع البيان ١ /٢٧١ ومقاييس اللغة٣/٣٢٣ وغير منسوب فى الصاحبى ٤٦

(٥) زيادة من ط

والشاعر الحصين[١] كان أحذق من أبي تمام وأعلم بأمر الخيل ، قال :

وَإذا احْتَبَى قَرَبُوسَهُ بِعِنانِهِ عَلَكَ الشَّكِيمَ إلى انْصِرافِ الزَّائِرِ[٢]

وإلا فمتى رأى فرساً يجرى وهو يلوك شكيمه ؟

فأما قول أنس بن الريان :

أَقُودُ الجيادَ إلى عَامِرٍ عَوَالِكَ لُجْمٍ تَمُجُّ الدِّمَاءَ[٣]

فإن القود قد يكون فى خلاله تلبُّثٌ[٤] وتوقُّف تلوك فيه الخيلُ لجمها ، والمَكَرُّ لا يستقيم ذلك فيه [ بحال ] .

فأما قول [ أبى ][٥] حُزَابَةَ التميمى :

خاضَ الرَّدَا فى العِدَا قِدْماً بِمُنصُلِهِ والْخَيْلُ تَعْلُكَ ثِنْىَ الْمَوْتِ بِاللُّجُمِ[٦]

فإنما جعل ثنى[٧] الموت مثلاً ، والثنى : حطام النبات اليابس ، ولم يرد أن الخيل تعلك اللجم على الحقيقة .

* * *

٣٩ — ومن خطائه قوله :

والحَرْبُ تَرْكَبُ رَأْسَهَا فى مَشْهَدٍ عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حلِيمِ[٨]

فى سَــاعة لَوْ أَنَّ لُقْماناً بِهَا وهُوَ الحَكيمُ لَكانَ غَيْرَ حَكيمِ

جَثَمَتْ طُيُورُ المَوْتِ فى أَوْكارِهــا فَتَرَكْن طَيْرَ الْعَقْلِ غَيْرَ جُثُومِ[٩]

---

(١) ط « الحصينى » وهو تحريف

(٢) فى معاهد التنصيص ٢/١٣٢ ليزيد بن مسلمة

(٣) م « علائك »

(٤) م « تثبت »

(٥) الزيادة من ط وأبو حزابة ، هو الوليد بن حنيف ، وقد ترجم له أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى ١٩/١٥٢ — ١٥٦

(٦) ط « قدما عنصله . . . ثن » وهو تحريف

(٧) ط « جعل ثن . . . والثن » وهو تحريف

(٨) ديوانه ٣٠٧ وشرح التبريزى ٣/٦٦

(٩) فى ديوانه ٣٠٨ « طيور الهلك »

فالبيتان الأولان جيدان ، وقوله «جثمت طيور الموت فى أوكارها» بيت رديء[1] القسمة ، رديء المعنى ؛ لأنه جعل طير الموت فى أوكارها جاثمةً : أى ساكنة لا ينفّرها شىء ، وطيرَ العقل غير جُثُومٍ ؛ يعنى أنها نفرت فطارت ، يريد طيران عقولهم من شدة الرَّوْع ، وما كان ينبغى أن يجعل طير الموت جثوماً فى أوكارها ، وإنما كان الوجه أن يجعلها جاثمة على رءوسهم ، ووُقَّعاً[2] عليهم . فأما أن تكون جاثمة فى أوكارها فإنها فى السلم و[3] فى الأمن جاثمة فى أوكارها أيضاً ، وطير العقل ليست بضدٍّ لطير الموت ، [وإنما هى ضد لطير الجهل ، وطير الحياة هى الضد لطير الموت ][4] . ولو كان قال :

جَثَمَتْ طُيُورُ المَوْتِ فوق رُؤُوسهم ... فَتَرَكْنَ أَطْيارَ الْحَياةِ تَحُومُ[5]

لكان أشْبَهَ وأليَقَ ، أو لو قال :

سَقَطَتْ طُيُورُ الروع فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... فَتَرَكْنَ طيرَ العقلِ فى التَّحْويم[6]

لكان أيضاً قريباً من الصواب ؛ لأنهم يقولون : طار عقله من الرَّوع ، فإذا ثاب إليه عقله وسكن قيل : قد أَفْرَخَ رَوْعُه ، وهذا مَثَل ، وذلك أن الطائر إذا أفرخ لزم عُشَّه وفراخَه ، وقد يجوز أن يكون «أفرخ رَوْعُه» أى : ذهب ؛ لأن الطائر إذا أفرخ وطارت فراخه انتقل عن ذلك العش .

وقولهم «جثم الطائر» إنما هو أن يلصق جُثْمانه بالأرض ، فذهب[7] إلى أن طيور الموت ساكنة ، وطيور العقل منزعجة طائرة .

---

(١) ط «رديء فى . . . رديء فى»

(٢) ط «أو واقعة»

(٣) ط «أو»

(٤) زيادة من ط

(٥) ط «الموت فى أوكارها»

(٦) ط «طيور الموت . . . فتركن أطيار العقول فى التحويم»

(٧) ط «يذهب»

وقوله «غير جُثُوم» لا ينوب مناب طائرة ولا منزعجة ؛ لأن الطائر قد [لا] يكون جاثماً و[1]يكون قائماً على رجليه ساكناً مطمئنًّا ، وهذه حاله فى أكثر أوقاته ؛فقد حمل المعنى على لفظ لا يليق به ، ولا يؤدى [إليه] التأدية الصحيحة عنه .

* * *

٤٠ – ومن خطائه قولُه فى وصف الفرس :

مَا مُقْرِبٌ يَخْتَالُ فى أَشْطَانِهِ     مَلْآنُ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلَهْوُقِ[2]

قوله «ملآن من صَلف [به]» يريد التِّيهَ والكبر ، وهذا مذهب العامة فى هذه اللفظة ؛ فأما العرب فإنها لا تستعملها على هذا المعنى ، وإنما تقول : قد صَلِفَتِ المرأة عند زوجها ، إذا لم تَحْظَ عنده ، وصَلِفَ الرجلُ كذلك ، إذا كانت زوجته تكرهه . وقال جرير :

إنِّى أُوَاصِلُ مَنْ أَرَدْتُ وِصالَهُ     بِحِبالِ لا صَلِفٍ وَلاَ لَوَّامِ[3]

والصَّلِف : الذى لا خير عنده ، ومَثَل يضرب «رُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَة»[4] يعنون الرعد بغير مطر .

فهذا معنى الصلف فى كلامهم ، وعلى هذا قد ذم أبو تمام الفرَس من حيث أراد أن يمدحه .

والتلهوق : هو لطف المداراة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة ، ومنه قولُ الأَغلب الْعِجْلى [فى مفاحشاته] يصف مداراة رجل[5] امرأةً [حتى] نال منها [مراده] :

---

(١) ط «وقد»

(٢) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزى ٢/٤٠٩ . والمقرب الفرس . والمراد بالأشطان هنا : الأرسان . «أى كأن فيه من حسن انتصابه وسموه صلفاً وتلهوقاً ، أى مرحاً ونشاطاً كالجنون»

(٣) ديوانه ٥٥١ وفى ط «ولا كوام» وهو تحريف

(٤) فى جمهرة الأمثال ١٠٩ «يضرب مثلا للبخيل الواجد . والراعدة : السحابة ذات الرعد . . . والمعنى أنه ممنوع مع كثرة ماله كالسحابة الكثيرة الماء لا تجود بغيث» وهو فى اللسان ١١/٩٩

(٥) ط «رجل له»

فَلَمْ يَزَلْ بِالْحَلِفِ النَّجِيِّ لَها وَبِالتَّلَهْوُقِ الخَفِيِّ
أَنْ قَدْ خَلَوْنا بِفَضاءٍ بَقِيٍّ وَغابَ كُلُّ نَفَسٍ مَخْشِيّ[١]

وقد ذكر أبو عبيد[٢] القاسم فى «الغريب المصنَّف» فى أول نوادر الأسماء التهوقَ ، وقال : وهو مثل التملُّق.

وما أرى أبا تمام فى وَضْع هاتين اللفظتين [فى هذا الموضع] إلا غالطاً[٣].

* * *

٤١ — وقال أبو تمام :

عَطَفُوا الْخُدُورَ عَلَى الْبُدُورِ وَوَكَّلُوا ظُلَمَ السُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ نُهَّدِ[٤]
وَثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صِيانَةً وَشْيَ الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ

البيت الأول حَسَن حُلْو ، وأخذ قوله «وثنوا على وشْى الخدود صيانة وشى البرود» من قول الكُمَيْت :

وأَدْنَيْن الْبُرُودَ عَلَى خُدُودٍ يُزَيِّنَّ الْفَدَاغِمَ بِالأَسِيلِ[٥]

وقوله «بِمُسْجَفٍ وممهد» فالمسجَفُ يريد سِتر بابِ الْجَحَلَةِ ، وكلُّ ستر[٦] مشقوق فكلُّ شق منها سِجفٌ ، وكذلك سِجف الخِباء ، والمسجّف : المرخى ، والتسجيف : إرخاءُ السجفين ، وقوله «بمسجف» أى من مسجف وممهد ؛ فجعل الباء فى موضع «من» ، كما قال عنترة :

(١) م «الفضاء فى . . كل لقش»
(٢) ط ، م «أبو عبيدة» وهو خطأ
(٣) قال ابن المستوفى كما فى هامش شرح التبريزى ٤١٠ «إنما بنى أبو تمام معنى الصلف على ما أرادته العامة ، وهو العجب والتيه ، وإن كان هذا لا يسوغ استعماله لكونه عامياً ، وكذلك قوله : وتلهوق ، وإن كان لفظاً عربياً إلا أنه مستبشع ، وهو موضوع فى غير موضعه فى بيته ، فقد جمع بين اللفظ العامى واللفظ الحوشى»
(٤) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٤٦/٢ «بحور عين نهد»
(٥) سبق ص ١١٠
(٦) ط «وكل باب . . . فكل ستر»

شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ　　زَوْراءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ [١]

أى : من ماء الدحرضين .

والممهَّد : الْوِطَاء الذى يُوَطَّأُ تحت المرأة ، فكيف يكون ذلك منسوقاً [٢] على السِّجْفِ الذى ذكر أنهم ثَنَوْه على وشى الخدود ؟ والممهَّد ليس هذه حاله ، فيعطفَه عليه .

فإن قيل : فيكون [٣] محمولاً على قول الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجكِ فِى الْوَغَى　　مُتَقَلِّدًا سَيْفاً وَرُمْحا [٤]

والرُّمح لا يُتَقلد ، وقول الآخر :

* وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونا [٥] *

والعيون لا تُزَجَّج ، وإنما أراد ذاك : متقلدًا سيفاً وحاملا رمحاً ، وأراد هذا : وزجَّجن الحواجب وكحّلن العيونا .

---

( ١ ) ديوانه ١٤٧ وشرح القصائد العشر ١٨٦ وشرح المعلقات للزوزنى ١٤٤ واللسان ١٥/ ٩٥ وأساس البلاغة ١ / ٢٨١ والصاحبى ٧٦ وأدب الكاتب ٥١٧ والاقتضاب ٤٤٧ وسر الفصاحة ٦٥ فى أمالى المرتضى ٢ / ٨٤ « معناه : شربت من ماء الدحرضين » وقال ابن السيد : « والدحرضان : وماءان يقال لأحدهما : وشيع للآخر : الدحرض ، فلما جمعهما غلب أحدهما على الآخر . وزوراء : مائلة منحرفة . وأراد بالديلم : الأعداء » . وانظر هامش تأويل مشكل القرآن ٤٣١

( ٢ ) ط « ذلك مشرفاً »

( ٣ ) ط « كيف لا يكون »

( ٤ ) نسبه الأخفش فى تعليقه على الكامل ١ / ٢٨٩ لعبد الله بن الزبعرى وروايته هناك « ياليت زوجك قد غدا » وهو كذلك من غير نسبة فى اللسان ٣ / ١١١ ، ٤٣٠ ، ٩ / ٣٩١ ومجمع البيان ١ / ١١١ وتفسير الطبرى ١ / ٤٧ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤ ، ٢ / ٢٦٠ ، ٣٧٥ والبحر المحيط ٢ / ٤٦٤ ، ٦ / ٤٨٥ وتأويل مشكل القرآن ١٦٥

( ٥ ) صدره : « إذا ما الغانيات برزن يوماً » وهو للراعى كما فى اللسان ٣ / ١١١ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٦٣ وغير منسوب فى تأويل مشكل القرآن ١٦٥ وأساس البلاغة ١ / ٣٩٤ وأبواب مختارة ١٥ والصناعتين ١٨٢

قيل : متقلّد السيفِ هو حامله أيضاً ، فحَسُن أن يعطف [ الرمح ] على السيف ؛ لأنهما جميعاً محمولان .

وكذلك زججن وكحلن هما جميعاً زِينةٌ ، فحَسُن عطف أحدهما على الآخر .

والممهَّد لا يشرك الستر فى شىء من تغطية الوجه[1] ولا صيانته ، ولا بنيت ألفاظ البيت إلا على ستر الخدود بالستور ، ولا يتعلق[2] الممهد بالمعنى بإضمار لفظ ولا غيره .

* * *

٤٢ - ومن خطائه قوله :

بِقَاعِيَّةٍ تَجْرِى عَلَيْنَا كُؤُوسُهَا فَتُبْدِى الَّذِى نُخْفِى وَتُخْفِى الذِى نُبْدِى[3]

ذهب فى هذا إلى أن الخمر تُخفى الذى نبديه[4] فى حال الصَّحو من الحِلم والوقار والكف عن الهزل واللعب ، « وتبدى الذى نخفى »[5] أى : الذى نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله ؛ لأنه فى الطبيعة والغريزة ، والذى كنا نُظهره إنما هو تصنُّع وتكلف ، ويدخل فى هذا ما يبوح به المحب من الحب الذى كان يكتمه فى صَحْوه ويُظهر ضدَّه ، أو ما يبوح به من بُغْض زيد وكان يظهر فى صَحْوه مودَّته وينافقه[6] وكذلك ما يظهره السكر من بُخْل البخيل

---

( ١ ) م « تغطية الواحدة »

( ٢ ) م « ولا يتعلق التمهيد على المعنى . . . ولا تأويل » .

( ٣ ) ديوانه ١١٥ وفى شرح التبريزى « فنبدى الذى تخفى ونخفى الذى تبدى » وهو تحريف . بقاعية : نسبها إلى البقاع ، وهو موضع بدمشق ، تنسب إليه الخمر

( ٤ ) م « تبديه »

( ٥ ) م « تخفى »

( ٦ ) ط « مودته ومنافعه » وهو تحريف

ومَنْع(١) ما كان يتجمل(٢) ببذله فى الصَّحو ، أو ما يظهره من السماحة التى كان(٣) لا يسمح بمثلها فى صحوه خوفَ العاقبة ونحو هذا ، وما سقط. قول الحكماء(٤) : « [إن](٥) الشراب يثير [كل] ما وجد » أى : يظهر كل ما فى النفس من خير وشر وحَسَن وقبيح ؛ فكلُّ شىء يظهره الإنسان وليس فى اعتقاده ولا نيته – فإن الذى يضمره ويكتمه فى نفسه هو ضده ، فإذا أظهر السكرُ اعتقاد المعتقد الذى هو الصحيح ، فإن ضدَّه مما كان يتصنع(٦) بإظهاره يَبْطل ويتلاشى ؛ لأن الشراب يخفيه ويطويه فى الضمير حتى يكون مكتوماً كما كانت الحقيقة مكتومة ، هذا محال ؛ لأن القلبَ هو مَحلُّ المعتقدات ؛ فلا يجوز أن يجتمع فيه(٧) الشىء وضده ، والاعتقادات لا تكون باللسان ؛ لأن اللسان يكذب ، والقلب لا يتضمن إلا الحقيقة .

وقول أبى تمام : « فتبدى الذى نخفى »(٨) قول صحيح .

[وقوله](٩) : « وتخفى الذى نبدى » لفظ(١٠) فاسد ؛ لأن تخفى معناه تكتم وتستر ، والذى قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعبر عنه بأنك أخفيته ولا كتمته .

فإن قيل : ولم لا يكون هذا توسعاً ومجازًا ؟

---

(١) م « فيمنع »
(٢) ط يتحمله »
(٣) م « كان الشح يمنعها . . . وخوف العافية »
(٤) ط « من قول »
(٥) زيادة من ط
(٦) ط « يتجمل »
(٧) ط « فيها »
(٨) م « يخفى »
(٩) زيادة من ط
(١٠) ط « اللفظ »

قيل : المجاز فى مثل هذا لا يكون ؛ لأن الشىء الذى تكتمه[١] وتطويه إنما أنت خازنٌ له وحافظٌ ؛ فهو ضد للشىء الذى تزيله وتُبْطِله ، والأضداد لا يستعمل أحدها فى موضع الآخر إلا على سبيل المجاز .

* * *

٤٣ ــ ومن خطائه قوله فى وَصْف فَرَس :

وَبِشُعْلَةٍ تبدو كَأَنَّ فُلُولَها ... فِى صَهْوَتَيْهِ بَدْءُ شَيْبِ الْمَفْرِقِ[٢]

قوله « فلولها » يريد ما تفرق[٣] منها فى صهوتيه ، والصَّهْوة : موضع اللبد ، وهو مقعد الفارس من الفرس ، وذلك الموضع أبدًا ينحت شعره لَغَمْز السرج إياه فينبت أبيض ؛ لأن الجلد هناك يرقّ ، وأنت تراه فى الخيل كلها على اختلاف شِياتها ، وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل ؛ فهذا خطأ من هذا الوجه .

وهو خطأ من وجه آخر ، وهو أن جعله شُعْلة ، والشعلة لا تكون إلا فى الناصية أو الذنب ، وهو أن يبيضّ عرضها وناحية منها ، فيقال : فرس أشعل وشَعْلاء ؛ وذلك[٤] من عيوب الخيل ؛ فإن كان ظهر الفرس أبيضَ خلقةً فهو أَرْحَل[٥] ، ولا يقال أشعل .

وقد أخذ البحترى قوله « بَدْءُ شَيْبِ المفرق » فجاء به حسناً جدًّا ، ثم سلم من العيب ، فقال :

---

(١) م « يكتمه ويطويه وإنما »

(٢) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزى ٤١١/٢ « كأن قليلها » وهما روايتان . وفيهما وفى ط « وبشعلة نبذ » ولم يشرح التبريزى معناها . وقد شرحه ناشر الديوان « محيى الدين الخياط » بقوله « نبذ : مطروحة » وقد نقله الشيخ « محمد محيى الدين » ناشر ط . وهو شرح خاطئ . والصواب أن يقال : نبذ : أى فيها شيب قليل ، جاء فى اللسان ٤٩/٥ « وفى الرأس نبذ أى يسير من شيب »

(٣) م « ما يفرق »

(٤) ط « وذلك عيب »

(٥) اللسان ٢٩٧/١٣ وفم « أرجل »

وبِشُعْلةٍ كالشَّيْبِ مَرَّ بمَفرِقَىْ  غَزِلٍ لَها عن شَيْبِه بِغرَامِهِ[١]

فقال «بشعلة» ولم ينصّ على موضعها ، ومعلوم أنه أراد بياضاً فى الناصية ، وقال «مر[٢] بمفرقَىْ غَزِلٍ» فأوضح أنه ذاك الموضِعَ أراد وقال «لها عن شيبه بغرامه» فأتى بشيء يفوق كل حُسْن . إلا أن البياض فى الناصية من عيوب الخيل ، وكذلك البياض [فى الذَّنَب ، ليس بين الناس][٣] فى ذلك اختلاف ، ويقال لبياض الناصية أيضاً : السَّعَفُ .

وأيضاً فإن البحترى وصف فرساً أدهم [أغر] فقال :

جَذْلانُ تَلطمُهُ جوَانِبُ غُرَّةٍ  جاءتْ مَجيءَ البدْرِ عندَ تمامِهِ[٤]

فأى حُسْنٍ يكون لبياض الناصية على بياض غرة ؟

ومن قبيح وصْف شياتِ الخيل ، قولُ أبي تمام فى [وصف] هذا الفرس أيضاً :

مسوَدُّ شَطْرٍ مثلَ ما اَسْوَدَّ الدُّجَى  مُبْيَضُّ شطْر كابْيضاضِ المَفرِقِ[٥]

شَطْر الشيء : جانبه وناحيته ، قال الله عز وجل : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ﴾[٦] أى ناحيته .

وقد يُراد بالشَّطر نصفُ الشيء ، يقال : قد شاطرتك مالى ، أى : ناصفتك ، فهذا هو الأكثر الأعمُّ فيما يستعملون ، وذلك من أقبح شِيات الأبلق على ظاهر هذا المعنى . ولم يُرده أبو تمام ، وإنما أراد بالشطر ههنا

---

(١) ديوانه ٤٣٣ «فى شعلة»
(٢) م «مر بمعنى فى غزل» وهو تحريف
(٣) الزيادة من ط
(٤) ديوانه ٤٣٢
(٥) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزى ٢/٤١٤ وفيهما «كابيضاض المهرق» أى الحريرة البيضاء ، وهما روايتان . قال التبريزى : «هذا البيت يومى به إلى الشملة ، يريد أنه مقسوم على شعرة سوداء وشعرة بيضاء . وظاهر لفظه يوهم من لا يعلم أن نصفه بكليته : أسود سواداً متصلا ، وليس كذلك»
(٦) سورة البقرة : ١٥٠

البعض والجزء ، أى مسودّ جزء مبيضّ جزء ؛ فجاء بالشطر لأنها لفظة أحسن من الجزء ومن البعض فى هذا الموضع [ والله أعلم ] .

والجيدُ النادر قولُ البحترىٍّ :

أَوْ أَبْلَقٍ يَلْقَى العُيُونَ إِذَا بَدَا      من كلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٍ ، بِنَمُوذَجِ[١]

وقد جعله[٢] أبو تمام فى أول الأبيات أَشْعَلَ بقوله : و «بشعلة [نَبْذٍ][٣]» ثم جعله ههنا أبلق ؛ فهذا الفرس هو الأشعل الأبلق على مذهبه فى هذا التشبيه .

ولا يُنْكر[٤] هذا من ابتداعاته .

* * *

٤٤ ـ [ [٥]ومن خطائه قوله:

فكم دِيةٍ تِمٍّ غَدَوْتَ تَسُوقُها      لها أَثَرٌ فى تالِدِى غيرُ تالدِ[٦]

وليست دياتٍ من دماءٍ هرَقْتَها      حرَاماً ولكنْ من دِماءِ القصائدِ

قوله : «فكم دية تِمٍّ» أى تامة ، يعنى عشرات الألوف التى كان يصله بها .

وقوله : «لها أثر فى تالدى» أى فى مالى الذى ورثته عن آبائى «غير تالد» أى غير[٧] ميراث . يقول : هى زائدة فى ميراثى الذى ورثته عن آبائى ومُقَوِّيةٌ له ، وهى غير ميراث منك ، بل صلة وتفضل. وإنما لم يذكر أنه

(١) ديوانه ٤٣٠

(٢) م «وقد جعلها»

(٣) م «بيد» وهو تحريف

(٤) ط «ولا ينكر مثل»

(٥) من هنا إلى قوله وإنما تأكل اللحوم سقط من ك

(٦) ديوانه ١١٩ وشرح التبريزى ٢/٧٦ .

(٧) م «خير» .

أراد أنها قوّت أصلَ مالِه الذى عليه يُعَوِّل ، وزادت فيه ، وإذا قوت أصل المال القديم [فهى] (١) للطريف أيضاً مُقَوِّية . ثم قال :

وليست دياتٍ من دماء هرقْتَها    حراماً ولكنّ من دماء القصائدِ

فأتى فى هذا بأقبح ما يكون من الخطإ وأشنعه ، وهجا ممدوحه . وهذا أبو الحسن بن الهيثم بن شبابة ظن أنه مادحه ، فكيف يكون الممدوح قاتلا لمدائحه التى فيها وصف مفاخره ومناقبه ، وهى مشيدة بذكر معاليه وشرف آبائه وفيها إحياء ذكرهم ؟ فإذا سفك دماءها فقد محا ذلك كله وهدمه وأبطله وأماته ، وجازى القصائد بضد ما تستحقه من تدوينها وروايتها وحفظها وإدامة إنشادها . ثم لم يقنع حتى جعل سفك دمائها حلالا بقوله :

وليست ديات من دماء هَرَقْتَها    حراماً ولكن من دماء القصائد

وحسبه بهذا خطأً وجهلا وتخليطاً ، وخروجاً عن العادات فى المجازات والاستعارات .

وقد قال فى آخر هذه القصيدة :

بِسَبَّاحَةٍ تَنْسَاقُ مِنْ غيرِ سائقٍ    وتَنْقَادُ فى الآفاق من غير قائدِ (٢)
جَلَامِدُ تَخطوها اللّيالى وإنْ سَرَتْ    لها مُوضِحاتٌ فى رُؤُوس الجلامِدِ (٣)

فكيف تكون مقتولة مسفوكة الدم ، وهى تنساق من غير سائق وتنقاد فى الآفاق من غير قائد ؟ وكيف تكون كالجلامد تخطوها الليالى ولا تؤثر فيها ، وهى أميتت وأبطلت ؟

---

(١) زيادة يقتضيها المقام

(٢) ديوانه ١١٩ وشرح التبريزى ٢/٧٧ « بسياحة »

(٣) قال التبريزى : « جلامد : يعنى القصائد ، شبهها بالجلامد لطول بقائها على الدهر . وقوله : « موضحات فى رءوس الجلامد » يقول : إنى ذممت قوماً لهم شرف مثل شرف الجبال التى تشتمل على الجلامد فغادرت فيها القصائد موضحات ، أى شجاجاً ، من الشجة الموضحة التى تظهر العظم »

فإن قيل : هذا كله إنما جاء به على الاستعارة لا على الحقيقة .

قيل : الاستعارة لا تستعمل إلا فيما يليق بالمعانى ، ولا تكون المعانى به متضادة متنافية . ولهذا حدود إذا خرجت عنها صارت إلى الخطإ والفساد .

٤٥ ــ ومن خطائه قوله :

وقد ظُلِّلَتْ أعْناقُ أعْلامِهِ ضُحًى بِعِقبانِ طَيرٍ فى الدِّماء نَوَاهِلِ[1]

نواهل من النَّهَل ، وهو الشُّرب الأَول . والعَلَلُ : الشرب بعد الشرب .

والعقبان وسائر جوارح الطير لا تشرب الدماء ، وإنما تأْكل اللحوم .

---

(١) ديوانه ٢٤٨ « عقبان أعلامه » والوساطة ٢٧١ وخزانة الأدب ٢/١٩٦ وهبة الأيام ١٩٠ والصبح المنى ٣٧ والإبانة عن سرقات المتنبى ٣٨

# الجزء الثالث

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشر بنِ يَحْيى الآمِدىُّ :

قد ذكرتُ فى الجزء الثانى [من كتاب] الموازنةِ بين شعر أبى تمام والبحترى خَطَأَ[1] أبى تمام فى الألفاظ والمعانى ، وبَيَّضْت آخرَ الجزء لأُلحِقَ به ما يمر من ذلك فى شعره ، وأستدركه من بعدُ فى[2] قصائده .

وأنا أذكر فى هذا الجزء الرَّذْلَ من ألفاظه[3] ، والساقطَ من معانيه ، والقبيحَ من استعاراته ، والمستكْرَهَ المتعقِّد من نَسْجه ونَظمه ، على ما رأيت [المتذاكرين بأشعار] المتأخِّرين يتذاكرونه ، وينعَوْنَه عليه ويعيبونه [به] وعلى أنى وجدتُ لبعض ذلك نظائر فى أشعار المتقدمين فعلمتُ أنه بذلك اغترَّ ، وعليه فى العذر اعتمد ؛ طَلَبًا منه للإغراب[4] والإبداع ، ومَيْلا إلى وَحْشِيِّ المعانى والألفاظ .

وإنما كان يندر من هذه الأنواع المستكرهة على لسان الشاعر المكثر[5] البيت [الواحد] والبيتان فَيُتَجاوز له عنه ؛ لأن الأعرابى لا يعول[6] إلا على قريحته ولا يعتصم إلا بخاطره ، ولا يستقى إلا من قليبه[7] ، فأما المتأخِّر الذى يَطْبع على قَوَالِبَ ، ويَحْذو على أمثلة ، ويتعلم الشعر تعلماً ، ويأخذه تلقناً : فمن شأنه أن يتجنَّب المذموم [منه] ، ولا يتبع من

(١) ط « أبى تمام حبيب بن أوس الطائى وشعر أبى عبادة البحترى وخطأ »

(٢) م « من بعد معانيه »

(٣) م « لمن اللفظ »

(٤) ط « للإغراق »

(٥) ط « الشاعر المحسن . . أو البيتين يتجاوز له عن ذلك »

(٦) فى غير ك « لا يقول »

(٧) فى غير ك : « قلبه »

تقدَّمه إلا فيما استُحْسِن منهم ، واستُجيد لهم ، واخْتِير من كلامهم ، أو فى المتوسط السالم إذا لم يقدر على الجيد البارع ، ولا يوقع الاختيار[١] والاستكثار مما جاء عنهم نادرًا ومن معانيهم شاذًّا ، ويجعله حجة له وعذرًا ؛ فإن الشاعر قد يُعاب أشدَّ العيب إذا قصد بالصنعة سائرَ شعره ، وبالإبداع جميعَ فنونه ، فإنَّ تلك[٢] مُجَاهدةٌ للطبع[٣] ومغالبة للقريحة مخرِجةٌ[٤] سهلَ التأليف إلى سوء التكلفِ وشِدَّةِ التعمُّل ، كما عيب صالحُ بن عبد القُدوس وغيرُه ممن سلك هذه السبيل حتى سقط شعره ؛ لأن لكل شيء حدًّا إذا تجاوزَهُ المتجاوز سُمِّىَ مُفْرِطاً ، وما وقع الإفراط فى شىء إلا شانَه وأحال[٥] إلى الفساد صحتَه ، وإلى القبح حسنَه وبهاءَهُ ، فكيف إذا تتبَّع الشاعرُ مالا طائل تحته[٦] ؛ من لفظة مستغثة لمتقدم ، أو معنًى وَحْشِيٍّ فجعله إماماً ، واستكثر من أشباهه ، ووشَّح شعره بنظائره إنَّ[٧] هذا لعينُ الخطإ ، وغايةٌ فى سوء الاختيار .

---

(١) ط « الاحتطاب » ك : « الاحتكار »

(٢) من ك

(٣) فى غير ك : « مجاهدة الطبع ، ومغالبة القريحة »

(٤) م « ومخرجة »

(٥) ط « وأعاد »

(٦) ط ، ك « فيه من لفظة شنيعة »

(٧) فى غير ك : « وإن »

## باب

## ما جاء[١] فى شعر أبى تمام من قبيح الاستعارات

١ ـ فمن مَرْذول ألفاظه وقبيح استعاراته قولُه :

يَا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ    أَضْجَجْتَ هٰذا الأَنامَ مِنْ خُرُقِكْ[٢]

٢ ـ وقوله :

سَأَشْكُرُ فُرْجَةَ اللَّببِ الرَّخِيِّ    وَلِينَ أَخَادِعِ الدَّهْرِ الأَبِيِّ[٣]

٣ ـ وقوله :

فَضرَبْتَ الشِّتَاءَ فى أَخْدَعَيْهِ    ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا رَكُوباً[٤]

٤ ـ وقوله :

تَرُوحُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وتَغْتَدِى    خُطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ[٥]

٥ ـ وقوله :

أَلَا لَا يَمُد الدَّهْرُ كَفًّا بِسَيِّئٍ    إِلَى مُجْتَدِى نَصْرٍ فَيُقْطَعْ من الزند[٦]

---

(١) من ك

(٢) ديوانه ١١٠ والوساطة ٣٩ ، ٦٨ ، ٤٤٦ والصناعتين ٦٠ ، ٣٠٣

(٣) ديوانه ٣٤٤ « فرجة الليت » فى الوساطة ٦٨ والصناعتين ٣٠٤ « أخادع الزمن » واللبب : موضع المنحر من كل شىء واللبب : البال ، يقال : فلان فى بال رخى ولبب رخى : أى فى سعة وخصب وأمن . وفى اللسان ٩/٤١٩ « الأخدعان : عرقان من جانبى الرقبة قد خفيا وبطنا ..، والجميع الأخادع ورجل شديد الأخدع : ممتنع أبى ، ولين الأخدع بخلاف ذلك » وفيه ١٨/ ٤ « رجل أبى : ذو إباء شديد إذا كان ممتنعا »

(٤) ديوانه ٢٧ وشرح التبريزى ١/١٧٤ والوساطة ٦٨ والصناعتين ٣٠٤ والعود : الجمل المسن ركوبا : مذللا . يريد فصيرت الشتاء سهلا

(٥) ديوانه ١٩٠ والصناعتين ٣٠٣ وفى شرح التبريزى ٢/ ٣٢٤ « كما يصرع المجنون ، لأن مثله لا يصدر عن عاقل »

(٦) شرح التبريزى ٢/ ٦٤ : يريد نصر بن منصور بن بسام . ويروى « فتقطع من زند » وفى ط والصناعتين ٣٠٤ « فتقطع للزند »

٦ ــ وقوله :

والدَّهْرُ أَلأَمُ مَنْ شَرِقْتَ بِلُؤْمِهِ إِلَّا إِذا أَشْرَقْتَــهُ بِكَرِيمِ (١)

٧ ــ وقوله :

تَحَمَّلتُ ما لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفكَّرَ دَهْرًا أَىُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ (٢)

٨ ــ وقوله يَصِفُ قصيدته :

تَحُلُّ يَفَاعَ الْمَجْدِ حَتَّى كَأَنَّهَا عَلَى كُلِّ رَأْسٍ مِنْ يَدِ الْمَجْدِ مِغْفَرُ (٣)
لَهَا بَيْنَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ مَزَامِرٌ مِنَ الذِّكْرِ لَمْ تُنْفَخْ وَلَاهِىَ تُزْمَرُ (٤)

٩ ــ وقوله :

به أَسْلَمَ الْمَعْرُوفُ بالشَّامِ بَعْدَ مَا ثَوَى مُنْذُ أَوْدَى خالِدٌ وَهْوَ مُرْتَدُّ (٥)

[ وقوله ] :

أَمَا وَأَبِى أَحْـدَاثِهِ إِنَّ حادِثاً حَدَابِىَ عَنْكَ الْعِيسَ لَلْحَادِثُ الْوَغْدُ (٦)

١٠ ــ وقوله :

جَذَبْتُ نَداهُ غُدوَةَ السَّبتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيعاً بَينَ أَيدِى الْقَصَائِدِ (٧)

---

(١) ديوانه ٣٠٨ والصناعتين ٣٠٤
(٢) ديوانه ٣٤٥ والصناعتين ٣٠٤
(٣) ديوانه ١٦٠ والصناعتين ٣٠٤ . وفى ك : « من يد المدح »
(٤) شرح التبريزى ٢/ ٢١٦ « ولا تتزمر » وهما روايتان
(٥) ديوانه ١٢٢ والصناعتين ٣٠٤ وفى شرح التبريزى ٢/٩١ « أى ارتد المعروف بإبائه منذ أودى خالد ، أى مات ، فأسلم بك وانقاد . قال أبو العلاء المعرى : يعنى خالد بن يحيى البرمكى ، لأنه كان فارسيا ، فتقرب إلى الممدوح بذكره ، لأن الممدوح ، (وهو محمد بن الهيثم) أيضا من فارس ، وهذا أشبه من أن يعنى خالد بن يزيد ، أو خالد بن عبد الله القسرى ، أو خالد بن يزيد بن معاوية » .
(٦) ديوانه ١٢١ وفى شرح التبريزى ٢/ ٨٤ « ويجوز أن يعنى بأبى أحداثه الدهر ، والشعراء مولعة بذمه . والمراد بالوغد : الساقط الذى لا خير فيه ولا مروءة له » . وفى ك « عذابى عنك »
(٧) ديوانه ٩٥ وشرح التبريزى ٢ / ٥

١١ – وقوله :

لَوْ لَمْ تُفَتِّ مُسِنَّ الْمَجدِ مُذْ زَمَنٍ   بالْجُودِ وَالْبَأْسِ كانَ الْجُودُ قَد خَرِفَا[١]

١٢ – وقوله :

لَدَى مَلِكٍ مِن أَيْكَةِ الْجُودِ لَم يَزَل   عَلَى كَبِدِ الْمَعرُوفِ مِن فِعلِهِ بَرْدُ[٢]

١٣ – وقوله :

فِى غُلَّةٍ أَوقَدَتْ عَلَى كَبِدِ النَّـ   ـائِلِ نَارًا أَخْنَتْ عَلَى كَبِدِهْ[٣]

إِيثار شَزْرِ القُوَى يَرَى جسد الـ   ـمعروف أَولى بالطبِّ من جَسدِه[٤]

١٤ – وقوله :

حَتَّى إِذا ٱسوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا   فِيهِ فَغُودِرَ وَهوَ مِنْهُمْ أَبلَقُ[٥]

١٥ – وقوله :

فما ذُكِّرَ الدَّهرُ الْعَبُوسُ بِأَنَّهُ   لَهُ ٱبنٌ كَيَومِ السَّبتِ إِلَّا تَبَسَّمَا[٦]

---

(١) ديوانه ٢٠٤ وشرح التبريزى ٢/ ٣٧٥ وعجزه فى الصناعتين ٣٠٥ . لو لم تفت : أى تعد إليه القتاء والشباب

(٢) ديوانه ١٢١ والصناعتين ٣٠٥ وشرح التبريزى ٢ / ٨٧ وفى م ، ك « إلى ملك فى أيكة . . . من نيله برد »

(٣) ديوانه ٩٥ والصناعتين ٣٠٥ « وعلى كبد النائل ناراً أخنت » وفى م ، ك « كبد المعروف ناراً أعيا » وفى شرح التبريزى ١/٤٤٨ « تعيي على كبده » أى أوقدت الغلة التى آثرنى فيها ناراً على كبد العطية بأن حولته إلى ونقلته عن صاحبه ، تلك النار كانت أعيت على كبد الشاعر ، لأنه لم يكن يجد ما يشفيه منها ، وقال الصولى : « الهاء فى كبده لأبى تمام يقول كان أملى وما آخذه من ابن أبى داود قد بطل وذهب »

(٤) قال التبريزى : « يقول : آثرنى إيثار رجل قوى فى رأيه وحزمه ، والشزر : المحكم من الفتل ، واستعار للمعروف جسداً يقول : هذا الرجل يداوى المعروف ليزيل مرضه ، وهو على شفائه أحرص منه على شفاء جسده إذا اعتل »

(٥) الصناعتين ٣٠٥ وديوانه ٥٠٠ « بيض إذا اسود » وفى م « توضحت منه »

(٦) ديوانه ٢٩٧

١٦ ـ وقوله :

وكَم أحرَزَتْ مِنْكُم عَلَى قُبْحِ قَدِّها صُرُوفُ النَّوَى مِن مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ[١]

١٧ ـ وقوله يصف الروض[٢] :

إذَا الْغَيثُ غَادَى نَسجَهُ خِلْتُ أَنَّه مَضَت حِقْبَةٌ حَرْسٌ لَهُ وَهْوَ حائِكُ[٣]

١٨ ـ وقوله :

وَلَا اجْتُذِبَتْ فُرْشٌ مِنَ الأَمْنِ تَحْتَكُمْ هِيَ المثل فِى لِينٍ بِهَا وَالأَرَائِكُ[٤]

١٩ ـ [ وقوله :

إذَا لَلَبِسْتُمْ عارَ دَهْرٍ كأَنَّمَا لَيَالِيهِ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِى عَوَارِكُ ][٥]

٢٠ ـ وقوله يرثى غلاماً[٦] :

أَنْزَلَتْهُ الأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ فى الرِّكابِ[٧]

---

( ١ ) ديوانه ١٢٧ والصناعتين ٣٠٥ وشرح التبريزى ٢/ ١١٠ أى كم فرق بينى وبين حبائب لى صروف الدهر . وقوله : على قبح قدها أى على قبح صورتها ، لا أنه جعل لها قائداً مثل قد الإنسان » وفى م ، ك « وكم ملكت منا »

( ٢ ) ط « يصف الأرض »

( ٣ ) ديوانه ٢٢٤ والصناعتين ٣٠٥ وفى ط « نسجها » وفى شرح التبريزى ٢/ ٤٥٩ « سدى نسجه » وهى روايات . أى إذا أصاب الغيث ندى هذه الأرض وجاده وزينه بالأنوار والزهر — حسبت أنه كان يحوكها ويصنعها زماناً من الدهر » . وفى ك « ولا جذبت » .

( ٤ ) ديوانه ٢٥٥ « لا استلبت فرش » وشرح التبريزى ٢/٤٦٥ والمثل : جمع مثال وهو الفراش . والأرائك : الوسائد

( ٥ ) الزيادة من ط ، ك وهو فى ديوانه ٢٢٥ وشرح التبريزى ٢/٤٦٤ « عوارك : أى حيض ، يقول : صرتم فى عار كأن أوقاتكم فيها عوارك نساء لأنها نجسة ، وإذا وصف الرجل بأنه قد دخل فى غدر ومأثم قيل : كأن عليه ثياب الحائض »

( ٦ ) الصناعتين ٣٠٥ وفى ط « غالبا »

( ٧ ) ديوانه ٣٥٤ فى رثاء محمد بن الفضل الحميرى

٢١ ـ وقوله :

كَأَنَّنِى حِينَ جَرَّدْتُ الرَّجَاءَ لَهُ عَضْباً صَبَبْتُ به مَاءً عَلَى الزَّمَنِ[١]

٢٢ ـ وقوله يصف فرساً :

وَكَأَنَّ فَارِسَهُ يُصَرِّفُ إِذْ بَدَا فِى مَتْنِهِ ابْناً لِلصَّباحِ الأَبْلَقِ[٢]

وأشباه هذا مما إذا تتبَّعته فى شعره وجدته [ كَثيرًا ] ؛ فجعل كما ترى ـ مع غَثَاثة هذه الألفاظ ـ للدهر أَخْدَعا ، ويَدًا تُقْطَع من الزند . وكأنه يُصْرَع . وجعله[٣] يشرق بالكرام . [ويفكر] ويتبسم ، وأن الأيام بنون له[٤] ، والزمان أبلق ، وجعل للمدح يداً ، ولقصائده مزامير إلا أنها لا تنفخ ولا تزمر ، وجعل المعروف مُسْلماً تارةً ومرتدًّا أخرى ، والحاثَ وغْدًا ، وجَذَب ندى الممدوح بزعمه جذبةً حتى خر صريعاً بين أيدى قصائده ، وجعل المجد ما يجوز[٥] عليه الخرف ، وأن له جسدًا وكبدًا ، وجعل لصروف النوى قَدًّا ، وللأمن فُرُشاً[٦] ، وظن أن الغيث كان دهرًا حائكاً ، وجعل للأيام ظهرًا يركب ، والليالى كأنها عَوَارك ، والزمان كأنه صُبَّ عليه ماء ، والفرس كأنه ابن للصباح[٧] الأبلق ، وهذه استعارات فى غاية القَبَاحة والهَجَانة [ والغثاثة ] والبعد من الصواب .

---

(١) ط « غضا . . لها ماء » وفى ديوانه ٣٣٤ « غضا أخذت به سيفا من الزمن »

(٢) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزى ٢/٤١٥ وفى م ، ك « يضرب إذا غدا » والصناعتين ٣٠٥

(٣) ط « ويحل ويشرق »

(٤) ط « الأيام تنزله »

(٥) ط « مما يحقد عليه الخوف » و م « الحرف »

(٦) م « فرسا »

(٧) ط « ابن الزمان »

وإنما استعارت[١] العربُ المعْنى لما ليس [هو] له إذا كان يقاربه : أَو يناسبه أَو يشبهه[٢] فى بعض أَحواله ، أَو كان سبباً من أَسبابه ؛ فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشىء الذى استعيرت له ، وملائمة لمعناه ، نحو قول امرئ القيس :

فقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بصلبه  وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بكَلْكَلِ[٣]

وقد عاب امرأَ القيس بهذا البيت[٤] مَنْ لم[٥] يعرف موضوعات المعانى [والاستعارات] ولا المجازات[٦] وهو فى غاية الحسن والجودة والصحة ، لأَنه[٧] قَصَدَ وَصْفَ أَحوال الليل الطويل فذكر امتداد وَسَطه ، وتثاقُلَ صدره للذهاب والانبعاث ، وترادف أَعجازه وأَواخره شيئاً فشيئاً ، وهذا عندى منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أَشد ما يكون على مَنْ يُراعيه ويترقَّب تصَرُّمه ، فلما جعل له وَسَطًا يمتد وأَعجازًا مرادفة[٨] للوسط. وصَدْرًا متثاقلا فى نهوضه حَسُن أن يستعير للوسط اسم الصُّلْب ، وجعله متمطِّياً من أجل امتداده ؛ لأَن تمطَّى وتمدَّد بمنزلة واحدة ، وصلح أَن يستعير للصدر اسم الكَلْكَل من أَجل نهوضه .

وهذه أَقرب الاستعارات من الحقيقة[٩] ، لشدة ملاءَمَة معناها لمعنى ما استعيرت له .

---

(١) م « استعارات »
(٢) ط « أو يدانيه »
(٣) سبق ص ١٤ وفى ط « بجوزه »
(٤) ط « بهذا المعنى »
(٥) فى ك « من لا يعرف »
(٦) فى ك « والمجازات »
(٧) ط « وهو إنما . أجزاء الليل » ، ك « لأنه إنما »
(٨) ط ، ك « رادفة »
(٩) الحقيقة وأسد ملاءمة لمعناها لما »

وكذلك قول زهير :

* وَعُرِّىَ أَفْرَاسُ الصِّبَا ورَوَاحِلُهْ[١] *

لما كان من شأْن ذى الصِّبا أن يوصف أبدًا بأَن يقال : ركِب هَوَاه ، وجَرَى فى مَيْدَانه ، وجَمَحَ فى عِنانه ، ونحو هذا ، حسُن أن يُسْتعار للصبا اسم الأَفراس ، وأَن يجعل النزوع عنه[٢] أن تُعَرَّى أفراسُه ورواحله ، وكانت هذه الاستعارة أَيضاً من أَلْيَقِ شىء بما استعيرت له .

ونحو ذلك قول طُفَيل الْغَنَوى :

وَجَعَلْتُ كُورِى فَوْقَ نَاجِيَةٍ يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنامِهَا الرَّحْلُ[٣]

لما كان شَحْمُ السنام من الأَشياءِ التى تُقْتات ، وكان [ الرحْل ][٤]أبدًا يتخوّنُه[٥] ، ويتنقَّص منه ، ويذيبه ـ كان[٦] جعلُه إياه قوتاً للرحل من أَحسن الاستعارات وأَليقها بالمعنى .

وكذلك قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا أَبْلِغِ النُّعْمانَ عَنِّى رِسَالَةً فَمَجْدُكَ حَوْلِىٌّ وَلُؤْمُكَ قَارِحُ[٧]

لما جعل مجدَه حديثاً[١] غيرَ قديم حَسُن أن يقال « حَوْلِىّ » لأَن العرب إذا نسبت الشىءَ إلى الصغر وقِصَر المدة قالوا : حَوْلِىّ ؛ لأَن أقل عدد الأَحوال ـ وهى السنون ـ حَول واحد ، ولهذا قال حسان :

(١) سبق ص ١٥
(٢) من ك
(٣) سبق ص ١٥
(٤) زيادة من ط
(٥) ط « يتخوفه »
(٦) ط م « ويذيبه تجعله إياه »
(٧) البديع ٣١ والصناعتين ٣٨٤ ونقد الشعر ٦٧
(٨) فى ك « جزعا »

لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِىُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ    رِّ عَلَيْها لَأَنْدَبَتْها الكُلُومُ[١]

لم يرد بالحولىّ من ولد الذّرّ ما أتى عليه الحول ، ولكنه أراد بالحولى أَصْغَرَ ما يكون من الذر ، وإنما أخذ ذلك من قول امرئ القيس :

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْدَبَّ مُحْوِلٌ    مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنْها لأَثَّرَا[٢]

ومما يدلك[٣] على صحة هذا المعنى وأَنَّ الحولىَّ إنما يراد به الصِّغَر دون معنى الحول قولُ الراجز .

* واسْتَبَقَتْ تَخْذِفُ حَوْلِىَّ الْحَصَى[٤] *

فأراد بحولىّ الحصى ما صغر منه[٥] ، وقول الآخر أنشده ثعلب :

تلقَّطُ حَوْلِىَّ الْحَصَى فى مَنازِلٍ    مِنَ الْحَىِّ أَضْحَتْ بِاللَّحَيَّيْنِ بَلْقَعَا[٦]

ولما جعل لؤمه قديماً حسن أن يقول « قارح » .

ونحو ذلك قول أبى ذؤيب :

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَهَا    أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ[٧]

لما كانت المنية ــ إذا نزلت بالإنسان وخالطته ــ صلحَ[٨] أن يقال : نشبت فيه ، وحسن[٩] أن يستعار لها اسمُ الأظفارِ ؛ لأن النشوب قد يكون بالظفر ، وعلى هذا جاءت الاستعارات فى كتاب الله تعالى ، نحو قوله

---

(١) ديوانه ٣٧٧ والحيوان ٤/١٦ وأندبتها : أثرت فيها . والكلوم : الجروح

(٢) ديوانه ٧٤ والصناعتين ٣٦٠ واللسان ١٣/٢٠٧ والإتب : قميص قصير مشقوق الوسط لا أكمام له تلبسه المرأة .

(٣) فى غيرك « يدل »

(٤) ط « تخذف »

(٥) ط « أصغره »

(٦) اللحيين : اسم موضع

(٧) ديوان الهذليين ١/٣ وانظر تخريجه فى المفضليات ٤٢٠

(٨) ط « صح »

(٩) ط « وصح »

عز وجل : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ [١] لما كان الشيب يأخذ فى الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يُحيله إلى غير حالِهِ الأولى كالنار التى تشتعل فى الجسم من الأجسام فتُحيله[٢] إلى النقصان والاحتراق ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فإذا هُم مُظْلِمُون﴾[٣] لما كان انسلاخ الشئ من الشيء هو أن يتبرأ منه ويتزيَّلَ عنه[٤] حالا فحالا كالجلد عن[٥] اللحم وما شاكلهما — جعل انفصال النهار عن الليل شيئاً فشيئاً حتى يتكامل الظلام انسلاخاً ، وكذلك قوله عز وجل : ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[٦] لما كان الضرب بالسَّوْط من العذاب استعار[٧] للعذاب سوطا .

فهذا مَجْرَى الاستعارات فى كلام العرب.

* * *

وأما قول أبى تمام «ولين أخادع الدهر[٨] الأَبى» فأى حاجة دعته[٩] إلى الأخادع حتى يستعيرها للدهر؟ [وقد][١٠] كان يمكنه أن يقول: ولين معاطف الدهر الأبى ، أو لين جوانب الدهر ، أو خلائق الدهر ، كما تقول : فلان سَهْلُ الخلائق ، ولين الجانب[١١] ، ومُوطأ الأكناف ، ولأن الدهر

---

(١) سورة مريم : ٤
(٢) م « وتحيطه » وهو تحريف
(٣) سورة يس : ٣٧
(٤) فى غير ك : « منه »
(٥) ط « من اللحم . . شاكلها »
(٦) سورة الفجر : ١٣
(٧) ط « استعير . . . سوط »
(٨) ط « الزمن . . . يستعيرها للزمن »
(٩) الزيادة من ك
(١٠) من ك
(١١) ط « الجوانب »

قد يكون سَهْلًا وحَزْنًا ولينًا وخشناً [١] على قدر تَصَرُّف الأحوال فيه ؛ فإن [٢] هذه الألفاظ كانت أولى بالاستعمال فى هذا الموضع . وكانت تنوب [له] عن المعنى الذى قَصَدَه ويتخلَّص من قبح الأخادع ؛ فإن فى الكلام مُتَّسعاً ، ألا ترى إلى قوله ما أحسنه وأصحه[٣] .

لَيَالِىَ نَحْنُ فى وَسَنَاتِ عَيْشٍ ... كأَنَّ الدَّهْرَ عَنَّا فى وَثَاقِ[٤]

وَأَيَّاماً لَنَـا وَلَهُ لِدَاناً ... غَنِينا فى حَوَاشِيهَا الرِّقَاقِ[٥]

فاستعار للأيام [رقَّة] الحواشِى ، وقوله :

أيَّامنا مَصْقُولَةٌ أطْرَافُهَـا ... بِكَ ، وَالليالِى كُلُّها أَسْحَارُ[٦]

وأبلغ من هذا وأبعد من التكلف وأشبه بكلام الأوائل[٧] قوله :

سَكَنَ الزَّمَانُ فَلاَ يَدٌ مَذْمومَةٌ ... لِلْحَادِثاتِ وَلَا سَوَامٌ تُذْعَر[٨]

فقد تراه كيف يَخْلِطُ الحسنَ بالقبيح ، والجيدَ بالردىء ، وإنما قبح الأخدع[٩] لمَّا جاءَ به مستعارًا للدهر ، ولو جاءَ فى غير هذا [الموضع] [١٠] أو أتى [به] حقيقة ووضعه فى موضعه لما[١١] قبح ، نحو قول البحترى :

---

(١) ط « وصعبا »

(٢) ط « لأن »

(٣) ط « وما أوضحه »

(٤) شرح التبريزى ٢ / ٤٢٦ والصناعتين ٢٨٨ والديوان ٢١٥ « سنبكى بعده غفلات عيش » وهما روايتان

(٥) م ، ك « وأيام . . لدان » وفى الديوان وشرحه والصناعتين « عرينا » ويروى : « نعمنا فى حواشيها »

(٦) ديوانه ١٥٨ وشرح التبريزى ٢ / ١٨١

(٧) ط « وأشبه بكلام العرب »

(٨) ديوانه ١٥٨ وشرح التبريزى ٢/١٩٧

(٩) ط « الأخادع »

(١٠) م « هذا وأتى حقيقه »

(١١) فى غير ك « ما »

* وأعتقْتَ مِنْ ذُلِّ المَطامِعِ أَخْدَعِى[١] *

ونحو قوله :

* وَلَا مَالَتْ بِأَخْدَعِك الضِّياعُ[٢]

وممَّا يزيد على كل جيِّد قول الفرزدق :

وَكُنَّا إذا الْجَبَّار صَعَّرَ خَدَّه ضَرَبْناه حَتَّى تَسْتَقيمَ الأَخادِعُ[٣]

* * *

فأَما قوله « فضربت الشتاء فى أُخدعيه » فإن ذكر الأَخدعين [ههنا] – على قبحها – أَسْوَغُ ؛ لأَنه قال « ضربةً غادرته عَوْدًا رَكوباً » وذلك أَن العَوْدَ المسِنُّ من الإِبل [ والبعير أَبدًا] يضْرَب على صفحتى عنقه فيذل ؛ فقربت الاستعارة ههنا من الصواب قليلا .

ومن القبيح فى هذا قوله :

يا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضجَجْتَ هٰذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ[٤]

فأَىُّ[٥] ضرورةٍ دعته إلى الأَخدعين ؟ و [قد] كان يمكنه أَن يقول « قوم[٦] من اعوجاجك » أَو « قوم معوج صنعك »[٧] أَو : يا دهر أَحْسِنْ بنا الصنيع ؛ لأَن الأَخْرَقَ هو الذى لا يُحْسِن العملَ ، وضده الصَّنَعُ .

وكذلك قوله :

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْرًا أَىُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ[٨]

---

(١) ديوانه ٩١ « من رق » وصدره : « وإنى وإن أبلغتنى شرف العلى »
(٢) ديوانه ٢٢٨ وصدره : « فما رفع التصفح منك طرفاً » وفى م « الطباع »
(٣) ديوانه ٥١٩
(٤) سبق ص ٢٦١
(٥) فى غير ك « أى » .
(٦) من ك
(٧) ك « ما تعوج من صنعك أى »
(٨) سبق ص ٢٦٢

فجعل للدهر عقلا[١] ، وجعله مفكرًا فى أى العبأين أثقل ، وما شىء هو[٢]أبعد من الصواب من هذه الاستعارة ، وكان الأَشْبَهُ والأَلْيَقُ بهذا المعنى لما قال «تحملت ما لو حمل الدهر شطره» أن يقول : لتضعضع ، أو لانهدّ ، أو لأَمن الناس صروفه ونوازله[٣] ، ونحو هذا المعنى[٤]مما يعتمده أهل المعانى فى البلاغة والإفراط .

وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقةً فى أشعار القدماء كما عرفتك[٥] لا تنتهى فى البعد إلى هذه المنزلة ، فاحتذاها ، وأحبَّ الإبداع ، والإغراب[٦]بإيراد أمثالها ، فاحتطب ، واستكثر منها .

فمن ذلك قولُ ذى الرمة :

تَيَمَّمْنَ يَا فُوخَ الدُّجَى فَصَدَعْنَهُ ... وَجَوْزَ الْفَلَا صَدْعَ السُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ

فجعل للدجى يافوخا .

وقولُ تأبط شرًّا :

نَحُزُّ رِقَابَهُمْ حَتَّى نَزَعْنَا ... وَأَنْفُ الْمَوْتِ مَنْخِرُهُ رَثِيمُ[٧]

فجعل للموت أنفاً .

وقولُ ذى الرمة :

يُعِزُّ ضِعَافَ الْقَوْمِ عِزَّةَ نَفْسِهِ ... وَيَقْطَعُ أَنْفَ الْكِبْرِيَاءِ عَنِ الْكِبْرِ[٨]

(١) فى ك « دهرا » وهو خطأ
(٢) ط « وما معنى أبعد »
(٣) م « ونوادره »
(٤) من ك
(٥) راجع ص ٢٦١
(٦) ط « الإبداع وأغراق فى إيراد »
(٧) رثيم ورتيم : مكسور
(٨) ديوانه ٢٧٣ « تعز ضعاف الناس »

فجعل للكبرياء أنفاً .

وقول مَعْقِل بن خُوَيْلد الهذلى ، أو غيره :

تُخَاصِمُ قَوْماً لا تَلَقَّى جَوَابَهُمْ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ أَنْفِ لِحْيَتِكَ الْيَدُ[١]

فجعل للحية أنفاً : أى قبَضْتَ يَدَكَ على طرف لحيتك كما يفعل النادمُ أو المهمومُ ، وما أظن ذا الرمة أراد بالأنف إلا أولَ الشىء والمتقدمَ منه ، كما قال[٢] يصف الحمار :

إِذَا شَم أَنْفَ الصيْفِ أَلْحَقَ بَطْنَهُ مِرَاسُ الأَوَابِى وَامتِحَان الكَوَائم[٣]

وقال أبو العباس : عبد الله بن المعتز بالله فى كتاب « سرقات الشعراء » وبهذا البيت[٤] اغترَّ الطائىُّ حتى أتى [ بما أتى ] به[٥] [قال أبو القاسم ][٦] وإنما أراد ذو الرمة بقوله « أنف الصَّيْف »[٧] : [أول الصيف] كقولهم « أنف النهار » : أى أوله [ورعينا أنف الغيث أى أوله] قال امرؤ القيس :

قَدْ غَدَا يَحْـمِلُنى فى أَنْفِهِ لاحِقُ الإِطْلَيْنِ مَحْبُوكُ مُمَرْ[٨]

وقوله « فى أنفه » أى فى أول جريه وأشده ، ويقال « فى أنفه » فى أنف

---

(١) البيت لمعقل فى ديوان الهذليين ٢/١٦٧ ولأبى خراش فى اللسان ١٠/ ٣٥٦ . وأنف كل شىء أوله ، يقول كنت غلاما حدثا لا تعاتب ، واليوم قد أخذت بلحيتك .

(٢) فى ك « كقوله »

(٣) ط « أنف الضيف .. مراسى الأواس ... الكرائم » وهو تحريف . وفى ديوانه ٦٢١ « أنف البرد. إذا شم الفحل أنف البرد ، وأنف البرد أوله ، ألحق بطنه : أضمر، ممارسة الأوابى: تكتم حملها . وامتحنها أى يختبرها هل حبلت أم لا فإن كانت حبلت وإلا رد عليها الضرب لتحبل » .

(٤) ط « وهذا . . غر »

(٥) زيادة من ط

(٦) ما بين القوسين من ك

(٧) ط « الضيف »

(٨) ديوانه ٩٠ « لاحق الأيطل » والأيطل : الخاصرة
محبوك : شديد الخلق . ممر : سوى الأعضاء صحيحها

الغَيْثِ الذى ذكره فى أوله ، يقول : لم يطأ هذا الغيث أحد قبلى ، ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب أبو العباس .

وكذلك قول أعرابى يصف البرق :

إذا شيمَ أَنْفَ اللَّيْلِ أَوْمَضَ وَسْطَه سَناً كابْتِسَامِ الْعَامِرِيَّةِ شَاغِفُ(١)

إنما أراد إذا شيم أول الليل .

وقول الآخر : أنشدَنَاه الأخفش عن ثعلب يذم رجلا(٢) :

مَا زَالَ مَذْمُوماً عَلَى آستِ الدَّهْرِ ذَا حَسَدٍ يَنْمِى وعَقْلٍ يَحْرِى(٣)

فجعل للدهر استا .

وقول شاتم الدهر وهو أحد شعراء عبد القيس :

ولَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَعْرًا سَبِيلُهُ وَأَبْدَى لَنَا ظَهْرًا أَجَبَّ مُسَلَّعَا(٤)

ومَعْرَفَةً حَصَّاءَ غَيْرَ مُفَاضَةٍ عَلَيْهِ وَلَوْناً ذَا عَثَانِينَ أجدعا(٥)

---

(١) ط « شيم » يقال : شام السحاب والبرق نظر إليه أين يقصد وأين يمطر

(٢) فى الأغانى ١٨ / ١٤١ عن العتبى قال : لما حبس عمر بن هبيرة الفرزدق ، وهو أمير العراق ، أبى أن يشفع فيه أحداً ، فدخل عليه أبو نخيلة الراجز فى يوم فطر ، فوقف بين يديه وأنشأ يقول :

أطلقت بالأمس أسير بكر فهل فداك نفرى ووفرى
من سبب أو حجة أو عذر ينجى التميمى القليل الشكر
من حلق القيد الثقال السمر ما زال مجنونا على است الدهر
ذا حسب يعلى وعقل يزرى هبه لأخوالك يوم الفطر

(٣) لأبى نخيلة فى اللسان ١٧/٣٩٠ « ذا حمق » وغير منسوب فيه ١٨ / ١٨٧ « فى بدن ينمى » يقال : مازال فلان على است الدهر مجنونا : أى لم يزل مجنونا دهره كله . ويحرى : ينقص وجاء فى ط « ما زال مذموما . . . ذا حسد . . . « يجرى» ! وفى ك « ما زال مجنونا »

(٤) ذكرها أبو تمام فى الحماسة الصغرى ، وهى المعروفة بالوحشيات ( القطعة رقم ٣٦٢ ) وفى م « أحب » وهو تحريف . والأجب : المقطوع السنام ، والمسلع : المشقق .

(٥) م « ومعرفة خصاء » و ط « أجمعا » وفى الوحشيات : « بالعثانين أجدعا » والمعرفة بالفتح : منبت عرف الفرس . وحصاء : لا شعر عليها . ذا عثانين : مغبراً . أجدع : مقطوع الأذن .

وَجَبْهَةَ قِرْدٍ كالشِّرَاكِ ضَئِيلَةً ... وَصَعِّرَ خَدَّيْهِ وَأَنْفاً مُجَدَّعَا[١]

فجعل للدهر ظهرًا أجبّ[٢] ، ومعرَفَةً حَصّاءَ[٣] ، ولوناً ذا عثانين ، وشبه جبهته جبهة قرد ، وجعل له[٤] أنفاً مجدعاً ، وهذا الأعرابى إنما تملّح[٥] بهذه الاستعارات فى هجائه للدهر ، وجاء بها هازلًا[٦] .

ومثل هذا فى كلامهم قليل جدًّا ، ليس[٧] مما يعتمد ويجعل أصلا يُحتَذَى عليه ويستكثر منه [ويستعمل فى الجد كما يستعمل فى الهزل] .

* * *

٢٣ – ومن ردىء استعاراته وقبيحها وفاسدها قولُه :

لَمْ تُسْقَ بَعْدَ الْهَوَى مَاءً أَقَلَّ قَذًى ... مِنْ مَاءِ قَافِيَـةٍ يَسْقِيكَهُ فَهِمُ[٨]

فجعل للقافية ماءً على الاستعارة ؛ فلو أراد الرونَقَ لصلح ، ولكنه قال «يسقيكه» ففسد[٩] معنى الرونق ؛ لأنك إذا قلت «هذا ثوب له ماء [أو لفظ له ماء]» لم تجعل الماءَ مشروباً [على الاستعارة] فتقول : ما

---

(١) وبعده فى الوحشيات :

هناك ذكرت الذاهبين أولى النهى ... وقلت لعمرو والحسام به ألا دعا
فإنى أرى الحيين كعبا ودراما ... أصابهم دهر وإن كان مفجعا
أرى كل مأفون وكل حزنبل ... وترعية بهـدارية قد تضلعا
وسامى المعانى يبتغيها لنفسه ... فيالك دهراً لا يزال مروعا

والحزنبل القم[illegible] [illegible]ية : الراعى ابن الرعاة ، تطلع : امتلأ

(٢) م «أحب»

(٣) م «خضاء»

(٤) فى غير ك : «وجعل أنفه»

(٥) ط ملح »

(٦) ط « ، ك «هازئا»

(٧) فى ك «ليس مثله»

(٨) فى ك «كماء قافية»

(٩) ط «فبئس معنى»

شربت ماء [أعذب] (١) من ماء ثوب شربته عند فلان ، ورأيته على فلان(٢) وكذلك لا تقول : ما شربت ماء أعذب من ماء « قِفَا نَبْكِ » ، أو أعذب من ماء [قصيدة] كذا ؛ لأن للاستعارة حدًّا تصلح فيه ، فإذا تجاوزته(٣) فسدت وقبحت .

فأما قولهم « فلان حلو الكلام » و « عذب المنطق » أو « كأن ألفاظه فُتَات السكر » فهذا كلام الناس على هذه السياقة ، وليس يريدون حلاوة على اللسان ، ولا عذوبة فى الفم ، وإنما يريدون عذباً فى النفوس ، وحُلْوًا فى القلوب ، كما قال [هو أعنى أبا تمام] :

يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُهَا أَرَجاً، وَتُؤْكَلُ بالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ(٤)

وكذلك قولهم « حلو المنظر » إنما يريدون حلوًا(٥) فى العين ، ولا تقول : ما ذقت أحلى من كلام فلان ، ولا ما(٦) شربت أعذب من ألفاظ فلان(٧) ؛ لأن هذا القول صيغة الحقيقة ، لا الاستعارة ، ولكنْ يقال : هذا كلام يصلح أن يُتَنَقَّل به ، وزيد يُشْرَب مع الماء لحسن أخلاقه وحلاوته ، وعمرو يؤكل ويشرب لرقة طبعه ، ولا تقول : ما شربت أعذب من عمرو ، ولا ما أكلت أحلى من عبد الله ، فاعرف(٨) هذا ؛ فإن حدود الاستعارة معلومة .

(١) زيادة من ط

(٢) ط ، ك « فلان الملك »

(٣) فى غير ك « جاوزته »

(٤) ديوانه ٣٩ وشرح التبريزى ١/ ١٣٦

(٥) ط « حلاوة »

(٦) من ك

(٧) ط « عمرو »

(٨) ط « فاعلم »

فأما قوله(١) :

لَمَكاسِرُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ أَطْيَبُ وَأَمَرُّ فى حَنَكِ العدوّ وَأَعْذَبُ(٢)

فالمكاسر : الأخلاق ، وإنما أراد أمرّ فى حنك العدو إذا نطق بها ، أو أمر فى حنكه أن يذكرها ، أو يخبر بها ، وأعذب فى حنك وليه ووَدِيدِهِ ، إذا سترها ، وكما قال زُهَير :

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فيها أَنِيضٌ أَصَلَّتْ فَهْىَ تَحْتَ الْكَشْحِ داءُ(٣)

لأنه أراد كلمةً فصلح أن يقول أنيض : أى لم تنضج ، وأصلّت : تغيرت وأنتَنَتْ ، وذلك لما جعلها مضغة أى لقمة فى فيه ؛ فهذا طريق الاستعارة فيما يصلح منها(٤) ويفسد ؛ فتفهَّمْه فإنه واضح .

فأما قوله :

لا تَسْقِنى ماءَ الْمَلامِ فَإِنَّنِى صَبٌّ قدِ اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بُكائى(٥)

فقد عِيبَ ، وليس بعيب عندى ؛ لأنه لما أراد أن يقول «قد استعذبت ماء بكائى» جعل للملام ماءً ؛ ليقابل(٦) ماء بماء وإن لم يكن للملام ماء على الحقيقة ، كما قال الله عز وجل : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾(٧) ومعلوم أن الثانية ليست بسيئة ، وإنما هى جزاء عن السيئة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنْ

(١) فى ك « فأما قول أبى تمام أيضا »

(٢) ديوانه ٣٨ وشرح التبريزى ١/١٣٤ « المكاسر : جمع مكسر ، وهو الأصل مثل العنصر ، تقول العرب : فلان طيب المكسر إذا كان لين الجانب حسن الخلق » . وفى ط ، ك « حنك الحسود »

(٣) سبق ص ٩٠

(٤) من ك

(٥) ديوانه ٢ وشرح التبريزى ١/٢٥ « أى لا تلمنى فإنى عاشق قد ألفت البكاء واستعذبته فلا أكاد أقلع عنه للومك إياى فكف عنى » وانظر أخبار أبى تمام ٣٣ — ٣٧ وسر الفصاحة ١٣٢ — ١٣٦

(٦) ط « ليقابل ما أراد »

(٧) سورة الشورى : ٤٠

تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُم ﴾[١] والفعل الثانى ليس بسُخْرِية ، ومثلُ هذا فى الشعر والكلامِ كثير مستعمل ، فلما كان [فى] مجرى العادة أن يقول قائل : أغلظت لفلان القول ، وجَرَّعته منه كأْساً مرة ، أو سقيته منه أمرَّ من العلقم ، وكان الملامُ مما يُستعمل فيه التجرع على الاستعارة — جعل له ماء على الاستعارة ، ومثل هذا كثير موجود .

وقد احتج محتج لأبى تمام فى هذا بقول ذى الرمة :

أَدارًا بِحُزْوَى هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً ... فَمَاءُ الهَوَى يَرْفَضُّ أَوْ يَتَرَقْرقُ[٢]

وقول الآخر :

وكأْسٍ سَبَاها التَّجْرُ مِنْ أَرْضِ بابِلٍ ... كَرِقَّةِ مَاءِ البين فى الأَعْيُنِ النُّجْلِ

وهذا لا يشبه ماء الملام ؛ لأن ماء الملام استعارة ، وماء الهوى ليس باستعارة ؛ لأن الهوى يُبكى ؛ فتلك الدموع [هى ماء الهوى على الحقيقة ، وكذلك البين يبكى : فتلك الدموع] هى ماء البين [على الحقيقة ][٣].

فإن قيل : فإن[٤] أبا تمام أبكاه الملام ، والملام قد يبكى على الحقيقة ؛ فتلك الدموع هى ماء الملام على الحقيقة .

قيل : لو أراد أبو تمام ذلك لما قال «قد استعذبت ماء بكائى» لأنه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكائه[٥] أيضاً ، ولم يكن يَسْتَعْفِى منه .

* * *

(١) سورة هود : ٣٨

(٢) احتج له الصولى بهذا البيت فى أخبار أبى تمام ٣٤ والبيت فى ديوان ذى الرمة ٣٨٩

(٣) زيادة من ط

(٤) فى ك «فإن قيل إن أبا تملم إنما . . .»

(٥) ط «بكاه»

(٦) ط «استعاراته»

٢٤ – ومن رديء استعارته[١]، وقبيحها قوله :

مُقَصِّرٌ خُطُوَاتِ الْبَثِّ فِي بَدَنِي ‏ ‏ عِلْماً بِأَنِّيَ مَا قَصَّرْتُ فِي الطَّلَبِ[١]

فجعل للبث – وهو أشد الحزن – خطواتٍ فى بدنه ، وأنه قد قصرها ؛ لأنه[٢] ما قصر فى الطلب ، وهذا من وساوسه المحكمة ، وإنما أراد أنه[٣] قد سَهَّلَ أمرَ الحزنِ عليه أنه ما قصَّر فى الطلب ؛ لأنه لو قصر لكان[٤] يأسف ويشتد جزَعه ، فجعل للحُزن خُطًى فى بدنه قصيرةً لما جعله سهلًا خفيفاً . وهذا ضد المعنى الذى أراده ؛ لأن الخطَى إذا طالت [أخذت من الشيء الذى تمر عليه أقل مما تأخذه الخطى القصيرة ، فعلى هذا] يجوز أن يقع قلبه أو كبده بين تلك الخطى الطويلة فلا يمسها من البث – وهو الحزن – قليلٌ ولا كثير .

فإن قيل : إنما أراد [أن] [٥] الحزن هو [فى] [٤] قلبه خاصة ، وأن قوله « فى بدنى » أى فى قلبى ، لأن قلبه فى بدنه .

قيل : الأمر واحد فى أن الخطى إذا طالت على الشيء – قلبِهِ كان أو ما سواه – أخذت منه أقلَّ مما تأخذه إذا قصرت .

فإن قيل : أراد بطول الخطَى الكثرةَ وبقصرها القلة .

قيل : هذا غلط من التأول[٦] ، وليس العملُ على إرادته ، وإنما العمل على توحيه معانى ألفاظه .

---

(١) ديوانه ٤٧١ وشرح التبريزى (مخطوطة الدار) ٧٦٧ « خطرات الهم » وفى م ، ك « مقصرا . . . علمى »

(٢) م « أنه »

(٣) م « أراد به قد »

(٤) فى غيرك « كان »

(٥) الزيادة من ط

(٦) ط « التأويل »

وبعد ؛ فمن أعجب الوسواس[١] خطوات البث فى البدن .

* * *

٢٥ — ومن ردىء استعارته [ وبعيدها ] وقبيحها قولُه :

جَارَى إلَيْهِ البَيْنُ وَصْلَ خَرِيدَةٍ ... مَاشَتْ إليهِ المَطْلَ مَشْىَ الأَكْبَدِ[٢]

الهاء فى « إليه » راجعةٌ إلى المحب ، يريد أن البين [ ووَصْل الخريدة تجاريا إليه ، فكأنه أراد أن يقول : إن البين ][٣] حالَ بينهوبين وصلها ، واقتطعها عن أن تصله ، وأشباه هذا من اللفظ. المستعمل الجارى [ فى العادة ] ؛ فعدل إلى أن جعل البين والوصل تجارَيَا إليه ، كأن[٤] الوصل فى تقديره جرى إليه يريده فجرى البين ليمنعه ، فجعلهما متجاريين ، ثم أتى فى المصراع[٥] الثانى بنحو من هذا التخليط. فقال : ما شت إليه المطلَ مشى الأكبَدِ[٦] ، فالهاء هنا راجعة إلى الوصل : أى لما عزمَتْ على أن تصله عزمتْ عزم متثاقل مُماطل فجعل عزمها مشياً ، وجعل المطل مماشياً لها .

فيا معشر الشعراء والبلغاء ويا أهل اللغة العربية : خبِّرُونا كَيْفَ يُجارِى البينُ وصلَها ؟ وكيف تماشى هى مطلها ؟ ألا تسمعون ؟ ألا تضحكون ؟

* * *

وأنشد[٧] أبو العباس بن المعتز فى كتاب « سرقات الشعراء » لِسَلْم الخاسر يَعيبه بردىء الاستعارة فى قوله يرثى موسى الهادى :

---

(١) ط « فإن من أعجب العجب »

(٢) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٢ / ٤٤ — ٤٥

(٣) زيادة من ط

(٤) ط « وأن »

(٥) ط « بالمصراع »

(٦) الأكبد هنا : الفرس الذى يشتكى كبده فيبطىء فى سيره

(٧) فى ك « أنشدنا »

لَوْلَا المقادير مَا حَطَّ الزَّمَانُ بِهِ  لا ، بَلْ تَوَلَّى بِأَنْفِ كَلْمُهُ دَامِى

وقال : هذا ردىء كأنه من شعر أبى تمام الطائى ، وليت [1] لم يكن لأبى تمام من ردىء الاستعارة إلاَّ مثل استعارة «سَلْم» هذه أو نحوها ، ونعوذ بالله من حرمان التوفيق .

(١) ط « ولو لم »

## ماجاء فى شعر أبى تمام من قبيح التجنيس

ورأى أبو تمام أيضاً المجانس من الألفاظ متفرقاً(١) فى أشعار الأوائل ، وهو ما اشتق بعضهُ من بعض ، نحو قول امرئ القيس :

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ ... لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا(٢)

وقوله أيضاً :

وَلَكِنَّنِي أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ... وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي(٣)

وقول الْقُطَامِى :

وَلَمَّا رَدَّهَا فى الشَّوْلِ شَالَتْ ... بِذَيَّالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعَا(٤)

وقول ذى الرمة :

كَأَنَّ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ ... عَلَى عُشَرٍ يَرْمِى بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحِ(٥) .

وقول رجل من عبس :

وَذَلِكُمْ أَنَّ ذُلَّ الْجَارِ حَالَفَكُمْ ... وَأَنَّ أَنْفَكُمُ لَا يَعْرِفُ الْأَنَفَا(٦)

---

(١) ط « شرفا » !

(٢) سبق ص ١٧

(٣) ك ، ديوانه ١٤٦ « ولكنما »

(٤) سبق ص ١٦

(٥) سبق ص ١٦

(٦) نقد الشعر ٦١ والعمدة ٢/٢٩٢ وسر الفصاحة ١٨٤ والبديع ٥٨ وإعجاز القرآن ١٢٩

وقول مسكين الدَّارمي :

وَأَقْطَعُ الْخرْقَ بِالخَرْقَاءِ لَاهِيَـةً
إذا الكَوَاكِبُ كانَتْ فِي الدُّجَى سُرُجَا(١)

وقول حَيَّان بن ربيعة الطائي :

لَقَدْ عَـلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي لَهُمْ حَدٌّ إِذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ(٢)

وقول النعمان بن بشير لمعاوية :

أَلَمْ تَبْتَدِرْكُم يَوْمَ بَدرٍ سُيُوفُنَا وَلَيْلُكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ نَائِمُ(٣)

وقول جرير :

فَمَا زَالَ مَعْقُولًا عقَالٌ عَنِ النَّدَى وَمَا زَالَ مَحْبُوساً عَنِ الْخَيْرِ حابِسُ(٤)

وقول الفرزدق :

خُفَافُ أَخفَّ اللهُ عَنْهُ سَحابَهُ وَأَوسَعَهُ مِنْ كُلِّ سافٍ وحَاصِبِ(٥)

وكأن [قول](٦) هذين الشاعرين فى تجنيس ما جنَّساه من هذه الألفاظ وحاجتهما(٧) إليه يشبه قول النبى صلى الله عليه وسلم «عُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ، وغِفَار غفَرَ اللهُ لَهَا، وأَسْلَمُ سَالمها الله»(٨).

(١) البيت لمسكين فى البديع ٥٨ ونقد الشعر ٦١ وسر الفصاحة ١٨٤، وأخطأ أبو هلال العسكرى فذكر صدره منسوبا للنابغة فى الصناعتين ٣٢٦. والخرق: الفلاة الواسعة، سميت بذلك لانخراق الريح فيها. والخرقاء: الناقة التى لا تتعهد مواضع قوائمها، وبعير أخرق: يقع منسمه بالأرض قبل خفه.

(٢) البديع ٥٨ ونقد الشعر ٦١ والصناعتين ٣٢٧ وحماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ١/٢٨٨ وفى المؤتلف والمختلف للآمدى ٩٨ حبان، بفتح الحاء والباء — وفيه: «لقد علم العمائر.. ذو وجد» قال المرزوقى: يقول: شهدت القبائل أن قومى يجدون فى الحرب إذا تدجج أهلها فى الأسلحة ويبلون فيها ولا يقصرون. وفى ك «ذو وحد»

(٣) البديع ٥٩ والصناعتين ٣٢٧ ونقد الشعر ٦١ وهو محرف فى الأغانى ١٤/١٢٦ وفى ك عقال عن

(٤) سبق ص ١٦

(٥) سبق ص ١٧

(٦) الزيادة من ك

(٧) ط «وحاجهما»

(٨) راجع ص ١٦

ونحو هذا مما تعمَّد الشعراء[1] لتجنيسه قول جَنْدَل بن الراعي :

فَمَا عَمَرَتْ عَمْرٌو وَقَدْ جدَّ سَعْيُهَا      وَمَا سَعِدَتْ يَوْمَ الْتَقَيْنَا بَنُو سَعْدِ[2]

ومن ألطف ما جاء من التجنيس وأحْسَنِه فى كلام العرب قولُ القُطَامى :

كنيّة الحيّ من ذى القَيْظَةِ احتملوا      مُسْتَحْقِبينَ فؤادًا ما له فادى[3]

ومثل هذا فى أشعار الأوائل موجود ، لكن[4] إنما يأْتى منه فى القصيدة البيتُ الواحد أو البيتان ، على حسب ما يتفق للشاعر ، ويحضر فى خاطره ، وفى الأكثر لا يعتمده ، وربما خلا ديوان الشاعر المكثرِ منه ؛ فلا تُرَى له[5] لفظة واحدة .

فاعتمده الطائى ، وجعله غَرَضه ، وبنى أكثر شعره عليه ، فلو كان قَلَّل منه واقتصر على مثل قوله :

* يا رَبْعُ لَوْ رَبَعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومِ[6] *

وقوله :

* أَرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمِ[7] *

وقوله :

* يا بُعْدَ غايَةِ دَمْعِ العَيْنِ إنْ بَعُدُوا[8] *

(١) فى ك : « تعمل الشعر »

(٢) ك ، م « جد وقعها — ولا »

(٣) سبق ص ١٦

(٤) م « لكنه »

(٥) ك ، ط « فيه »

(٦) عجزه : « مستسلم لجوى الفراق سقيم » وهو فى ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزى ٣ / ٢٦١

(٧) ديوانه ٢٨٧ وشرح التبريزى ٣ / ١٦٠ ورامة : اسم موضع . وفى م « كنت رامة »

(٨) عجزه : « هى الصبابة طول الدهر والسهد » ديوانه ٩٦ وشرح التبريزى ٢ / ١٠ ومعنى قوله : يا بعد غاية دمع العين ، معناه : ما أشقك ! وفى م « إذ بعدوا »

وأشباه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى – لكان قد أتى على[1] الغَرَض ، وتخلص من الهُجْنة والعيب .

فأما أن يقول :

قَرَّتْ بِقَرَّانَ عَيْنُ الدِّينِ وَانشترتْ    بالأشْتَرَيْنِ عُيُونُ الشِّرْكِ فَاصْطُلِمَا[2]

فإن انشتار[3] عيون الشرك فى غاية الغَثَاثَة والقباحة ، وأيضاً فإن انشتار العين ليس بموجب للاصطلام .

وقوله :

إنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعُو    نٌ ، وَمَنْ عَقَّ مَنْزِلًا بِالعَقِيقِ[4]

وقوله :

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ    فِيهِ الظُّنُونُ أَمَذْهَبٌ أَمْ مُذْهَبُ[5]

(١) ط « بالغرض »

(٢) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزى ٣/١٦٩ الصناعتين ٣٣٥ وسر الفصاحة ١٨٥ ودلائل الإعجاز ٢٧٧ وأسرار البلاغة ١٦ « واشتَرت » وقران : اسم مكان ببلاد الحزمية : والاشتار من أمراض العين أن يرتفع جفنها الأعلى حتى لايغطى بياضها . وأشتر : موضع بين نهاوند وهمذان . والاصطلام : الاستئصال

(٣) ك ، ط « فانشتار »

(٤) ديوانه ٢١٥ وشرح التبريزى ٢/٤٣١ والصناعتين ٢٣٥

(٥) ديوانه ٣٩ وشرح التبريزى ١/١٣٦ والبديع ٧٣ والموشح ٣٠٩ ودلائل الإعجاز ٢٧٧ وأسرار البلاغة ٦ . بمذهبه : أى بطريقته ، والمعنى ذهبت بطريقته السماحة أى غلبت عليه ، كما يقال : ذهب فلان بالمجد أى حازه وصار له . وقوله : التوت فيه الظنون : أى اختلفت ولم تحقق شيئاً واحداً . وقوله : أمذهب أم مذهب : أى طريقة هو وخلق أم مذهب ، من قول العامة بفلان مذهب ، إذا كان يلج فى الشىء ويعزى به وقيل : المذهب بالفتح واحد المذاهب ، والمذهب بالضم : اللوح والسفر من الكتب التى فيها السير ، أى ذهبت السماحة بمذهبه كل مذهب فأخذ من كل شىء حظا فلا يدرى أمذهبه مذهب ، أم هو السفر الذى تتشعب فيه المذاهب لسعتها وافتنانها فى كل فن . وقال المرزبانى : « يريد غلبت على مذهبه السماحة فكأن فيها مذهبا يظنه بعض الناس » وقال المرزوقى : « المذهب بضم الميم : الجنون والمعنى : أن السماحة قد غلبت عليه واستولت على شمائله وسجاياه ، فهو يفرط فيها ويسرف فى لزومها ، حتى قيل على طريق التشكك : أهذا خلق ومذهب أزم جنون ومذهب» وشرح المرزوقى هو الشرح

وقوله :

* خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِى خُشَيْنِ[١] *

فهذا كله تجنيسٌ فى غاية البشاعة[٢] والركاكة والهجانة ، ولا يزيد زيادة على قبح قوله :

فَاسْلَمْ سَلِمْتَ مِنَ الآفَاتِ ما سَلِمَتْ
سِلامُ سَلْمَى وَمهْما أَوْرَقَ السَّلَمُ[٣]

فإن هذا من كلام المُبَرْسَمِين[٤] .

وقد عابه أبو العباس عبدُ الله بن المعتز ببعض هذه الأبيات فى « كتاب البديع » ، جاء بها فى قبح التجنيس .

و [قد جاء من التجنيس] فى أشعار العرب ما يُستكره ، نحو قول امرئ القيس :

* وَسِنٍّ كَسُنَّيْقٍ سَنَاءً وَسُنَّمَا[٥] *

ولم يعرف الأصمعى هذا [ولا أبو عمرو] ، وقال أبو عمرو : وهو بيت مَسْجِدِىّ : أى من عمل أهل المسجد .

وقال الأصمعى : السن : الثور ، ولم يعرف سنيقا[٦] ، ولا سنما ،

(١) عجزه : « وأنجح فيك قول العاذلين » ديوانه ٣٢١ وشرح التبريزى ٢٩٧/٣ بنو خشين : قبيلة من اليمن
(٢) ط « الشناعة »
(٣) السلام : الحجارة الصلبة ، وسلمى : جبل طيء ، والسلم : شجر له شوك يدبغ بورقه وقشره .
(٤) فى ك « المبلسمين »
(٥) فى ديوانه ١١١ « وسنم * ذعرت بمدلاج الهجير نهوض » . والمعانى الكبير لابن قتيبة ٧٧٣/٢ والصناعتين ٣٣٥
(٦) ك ، م « سنيق ولا سنم »

ويقال : سنيق جبل ، ويقال : أَكَمَةٌ ، وسنم ههنا : البقرة [الوحشية [1]] ، سناء : أى ارتفاعاً ، ويروى «سناما» [2] أى ارتفاعاً أيضاً ، من «تسنَّمْتُ [3] الجبَل» علوته .

وقول الأعشى :

* شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ [4] *

وهذا عند أهل العلم من جنون الشعراء [5] .

وقرأ هذه القصيدة على أبى الحسن على بن سليمان [الأخفش] النحوى قارئ ، فلما بلغ إلى هذا البيت قال أبو الحسن : صُرِعَ واللهِ الرجلُ .

وما زلت أراهم يستكرهون قول ذى الرمة :

* عَصَا قَسٍّ قُوسٍ لِينُها وَاعْتِدَالُها [6] *

ويروى «عَصَا عَسَّطُوسٍ» [7] وقد قيل : إنه الخيزران .

وهذا إنما جاء من هؤلاء مفلتاً [8] نادرًا ؛ لأنك لو اجتهدت أن ترى للواحد منهم حرفاً واحدًا [9] ما وجدته .

والطائىُّ استفرَغ وُسْعه فى هذا البابِ ، وجَدَّ فى طلبه ، واستكثر منه ، وجعله غَرَضَه ! فكانت إساءته فيه أكثَرَ من إحسانه ، وصوابُه أقلَّ من خطئه [10] .

---

(١) زيادة من ط

(٢) م «سنما»

(٣) ط « سنمت »

(٤) سبق ص ٤٣

(٥) ك ، ط « الشعر »

(٦) صدره « على أمر منقد العفاء كأنه » ديوانه ٥٣٢ واللسان ٨ / ١٧ . والعفاء : الوبر ، ومنقد العفاء عنه ، يعنى الحمار ، والقس : العابد من النصارى . والقوس : المنارة التى يكون فيها الراهب نفسه . شبه الحمار بعصا القس العابد فى ملاستها واعتدالها

(٧) م « عمى عنسطوس » والعسطوس : من رؤوس النصارى . والعسطوس : ضرب من الشجر

(٨) ط « مقللا »

(٩) ك و م « واحداً ثانيا مثله ما وجدت »

(١٠) ط « خطائه »

## ما يستكره للطائى من المطابق

[ ورأى [١] الطائى الطِّبَاقَ فى أشعار العرب ، وهو أكثر وأوجد فى كلامها [ مما قدمت ذكره ] [٢] من التجنيس ، وهو : مقابلة الحرف بضدّه أو ما يقارب الضد ، وإنما قيل « مطابق » ، لمساواة أحد* القسمين صاحبه ،وإن تضادًّا أو اختلفا فى المعنى. ألا ترى إلى قولهم فى أحد المعنيين - إذا لم يشاكل صاحبه : ليس هذا طَبَقَ هذا ، وقولهم فى المثل : «وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَةَ» [٣] والطبق للشىء إنما قيل له طَبَقٌ لمساواته إياه فى المقدار ، إذا جُعِل عليه ، أو غُطِّى به ، وإن اختلف الجنسان ، قال** الله عز وجل : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طبَقاً عَنْ طَبَقٍ [٢]﴾ أى : حالا بعد حال ، ولم يرد تساويهما فى تمثيل [٥] المعنى ، .وإنما أراد عز وجلّ - وهو أعلم [٦] - تساويهما فيكم ، وتغييرهما إياكم ؛ بمرورهما عليكم ، ومنه قول العباس بن عبد المطلب :

[ينقل من صالب إلى رحم]   إذا مضى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ [٧]

أى : جاءت حال أخرى تتلو الحالَ الأُولى ، ومنه طِباق الخيل ، يقال : طابَقَ الفرسُ ، إذا وقَعَت قوائمُ رجليه فى موضع قوائم يديه فى المشى أو العَدو ، وكذلك [مشى] *** الكلاب ، قال الجعْدىُّ :

---

( ١ ) الزيادة من ط

( ٢ ) الزيادة من ك

( ٣ ) جمهرة الأمثال ٢٠٢ ، ومجمع الأمثال ٢/٣٥٩    * فى ك « إحدى »

( ٤ ) سورة الانشقاق : ١٩    ** فى ك «وقول»

( ٥ ) فى ك « فى نفس »

( ٦ ) ك : « أعلم وأحكم »

( ٧ ) من أبيات فى مدح النبى عليه السلام فى أمالى الزجاجى ٤٤ والفائق للزمخشرى ٢/٢٨١ والمختار من شعر بشار ١٣٩ ونهاية الأرب ٢/٣٦٢ والزيادة من ك وفى م ، ط « إذا انقضى عالم » والطبق : القرن من الناس

*** الزيادة من ك

* طِباقَ الكِلابِ يَطأْن الهَراسا[١] *

فهذه[٢] حقيقة الطباق ، إنما هو مقابلة الشيء بمثل الذى هو على قَدْرِه ، فسَمَّوا المتضادين – إذا تقابلا – متطابقين[٣].

ومنه قول زهير :

لَيْثٌ بِعَثَّر يَصْطَادُ الرِّجالَ إذا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِه صَدَقَا[٤]

فطابق بين قوله « كَذَّب » وبين [ قوله ][٥] « صدقا » .

وقول طُفَيْلٍ الغَنَوىّ يصف فرساً :

* يُصَانُ وَهْوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ[٦] *

فطابق بين قوله « يُصَانُ » و [ بين ][٧] قوله « مبذول » .

وقول طرفة [ بن العبد ][٨] :

بَطِيءٍ عَنِ الجُلَّى سَرِيعٍ إِلَى الْخنا [ ذلول بِأَجماع الرجالِ مُلَهَّدِ ]

فطابق بين « بطىء » و « سريع » .

فلو اقتصر الطائى على ما اتفق له فى هذا الفن من حلو اللفظ[٩] وصحيح المعنى نحو قوله :

---

( ١ ) صدره « وخيل يطابقن بالدارعين » هو فى المعانى الكبير ١/٤٦ والصناعتين ٣٠٧ واللسان ١٢/٨٠ وفى ٨/١٣٤ « الهراس : شوك كأنه حسك . والمطابقة أن تضع أرجلها مواضع أيديها وتقدم أيديها حتى تبصر مواقعها ، يريد أنها لا تريد الهرب فهى تتثبت فى مشيها كما تمشى الكلاب فى الهراس متقية له » وفى م « الهراشا »

( ٢ ) ط « فهذا . . . لمثل » وفى ك « فهذا حقيقة . وانطباق »

( ٣ ) ط « مطابقين »

( ٤ ) سبق ص : ١٧

( ٥ ) زياده من ك و ط

( ٦ ) سبق ص : ١٧

( ٧ ) زيادة من ك و ط

( ٨ ) ديوانه ٣٥ وفى شرح القصائد العشر ٩٦ « الجلى : الأمر العظيم الذى يدعى له ذوو الرأى . الذلول والذليل المقهور . وأجماع : جمع جمع وهوظهر الكف إذا جمعت أصابعك وضممتها والملهد : المضروب .

( ٩ ) ط « الألفاظ »

* نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمِ (١) *

ونحو قوله :

* جُفُوفَ البِلَى أَسْرَعْتَ فِى الغُصْنِ الرَّطْبِ (٢) *

ونحو (٣) قوله :

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالبَلْوَى وإِنْ عَظُمَتْ ... وَيَبْتَلِى اللهُ بَعْضَ القَوْمِ بالنِّعَمِ (٤)

وأشباهِ هذا من جيد أبياته .

ثم تجنَّبَ مثلَ قوله :

قَدْ لَانَ أَكْثَرُ مَا تُرِيدُ ، وَبَعْضُهُ ... خَشِنٌ ،وَإِنِّى بالنَّجَاحِ لَوَاثِقُ (٥)

وقوله :

لَعَمْرِى لَقَدْ حُرِّرْتَ يَوْمَ لَقِيتَهُ ... لَوَ اَنَّ القَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُبَرِّدِ (٦)

وقوله :

وَإِنْ خَفَرَتْ أَمْوَالَ قَوْمٍ أَكُفُّهُمْ ... مِنَ النَّيلِ والْجَدْوَى فَكَفَّاهُ مِقْطَعُ (٧)

ونحو هذا مما يكثُرُ إن ذكرته ، = لتهذَّب (٨) عُظْمُ شعره وسَقَطَ . أكثر ما عيب عليه منه .

---

(١) سبق مع عجزه فى ص : ٢١٠

(٢) عجزه « وخطب الردى والموت أبرحت من خطب » ديوانه ٣٥٦

(٣) م « وهو قوله »

(٤) ديوانه ٣ / ٢٨٠ ( شرح التبريزى )

(٥) ديوانه ٢٢٢ وشرح التبريزى ٢ / ٤٥٢

(٦) ديوانه ١٠١ وشرح التبريزى ٢ / ٢٥ « حررت : من الحرارة التى هى خلاف البرودة ، يقول : كنت قربت قتله غير أن القضاء نجاه » وهو فى الصناعتين ٣٢٠ والوساطة ٦٨ والموشح ٣٠٨ نقلا عن رسالة ابن المعتز فى محاسن شعر أبى تمام ومساويه

(٧) ديوانه ١٩١ وفى شرح التبريزى ٢ / ٣٣٠ « يقول : إذا كانت يد الرجل كالخفير لماله تحفظه من السؤال ، فكفاه مقطع أى يقطع فيهما الطريق على المال ، لأن العادة جارية بأن المال يؤخذ فى قطع الطريق »

(٨) ط « ذكرته ذهب عظيم . . . وأكثر » وفى م « مما عيب » . وقوله : « لتهذيب » ، جواب قوله فى الصفحة السالفة : « فلو اقتصر الطائى »

وهذا باب [١] أعنى – المطابق – لقَّبه أبو الفرج قُدَامة بن جعفر [الكاتب] فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر : « المتكافئ » ، وسمى ضرباً من المتجانس [٢] المطابق ، وهو : أن تأتى بالكلمة [٣] مثل الكلمة سواء فى تأليفها واتفاق حروفها ، ويكون معناهما مختلفاً ، نحو قول الأَفْوَاه الأَوْدِى :

وَأَقْطَعُ الهَوْجَلَ مُسْتأْنِساً بِهَوْجَلٍ عَيْرَانَةٍ عَنْتَرِيسْ [٤]

والهوجل الأول : الأرض البعيدة ، والهوجل الثانى : الناقة العظيمة الخلق الموثّقة .

وقول أبى دُوَاد الإيادىّ :

عَهِدْتُ لَهَا مَنْزِلاً دَارِساً وَآلا عَلَى الماءِ يَحْمِلْن آلاَ [٥]

فالآل الأول : أعْمِدةُ الخيامِ ، والآل الثانى : ما يرفع الشُّخُوصَ .

وقول [٦] زياد الأَعْجَم :

وَنُبِّئْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ وَلِلُّؤْمِ فيهم كَاهِلٌ وَسَنَامُ [٧]

وما علمت [أن] [٨] أحدًا فَعلَ هذا غير أبى الفرج ؛ فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته [٩] معنى الملقَّبات ، وكانت الألقاب [١٠] غير محظورة ؛

---

(١) ك « باب من »

(٢) ط « المجانس »

(٣) ط « الكلمة . . . معناها مخالفا »

(٤) نقد الشعر ٦٠ وديوانه ١٦ وسر الفصاحة ١٨٥ والعمدة ١/ ٢٩٠ والصناعتين ٤٢٠ وإعجاز القرآن ١٢٣

(٥) نقد الشعر ٦٠ واللسان ٣٩ والعمدة ١/ ٢٨٨ وإعجاز القرآن ١٢٤

(٦) ك، ط « وقال »

(٧) ط « فيه » و م « منهم » وهو فى نقد الشعر ٦٠ والبديع ٥٨ وسر الفصاحة ١٨٤ والصناعتين ٣٠٧ والأغانى ١١ / ١٧١ وإعجاز القرآن ١٢٣

(٨) زيادة من ط

(٩) م « بموافقته »

(١٠) ط « الألفاظ »

فإنى لم أكن أحبُّ له أن يخالف مَنْ تقدَّمه ، مثل أبى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم فى هذه الأنواع وألَّفَ فيها ؛ إذ قد سبقوا[١] إلى التلقيب ، وكَفَوْه المؤونة .

وقد[٢] رأيت قوماً من البغداديين يسمُّون هذا النوع [من] [٣] المجانس : المماثل ، ويلحقون به الكلمة إذا تردَّدت وتكررت[٤] ، نحو قولِ جرير :

تَزَوَّدْ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا ... فَنِعْمَ الزَّادُ زادُ أَبِيكَ زَادا[٥]

[وبابه قليل] [٦].

---

(١) ط « سبقوه إلى اللقب »
(٢) م « ومذ »
(٣) الزيادة من ك
(٤) ك « وتكررت فى البيت »
(٥) ديوانه ١٣٥
(٦) زيادة من ط وفى ك : « وهو قليل »

## وهذا باب

### فى سوء[1] نسجه ، وتعقيد [نظمه][2] ، ووحشىِّ ألفاظه

وما أكثرَ[3] ما تراه من ذلك ، وتجده فى شعره ، وأظنه سمع بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زهير بن أبى سُلْمى لما قال [فيه] : «كان لا يُعاظِلُ بين الكلام ، ولا يتتبع حُوشِيَّه . ولا يمدح الرجل إلا بما فى الرجال »[4] فلم يَرْتَضِ[5] ما قاله عمر ، وأَحَبَّ أن يستكثر مما ذَمَّه وعابه .

وقد فسر أَهْلُ العلم هذا من قول عمر : وذكروا معنى المعاظلة . وهى : مُداخلة الكلام بعضه فى بعض ، وركوب بعضه[6] لبعض . كَقَولك[7] : تعاظَلَ الجراد ، وتعاظلت الكلاب . ونحوهما مما يتعلق بعضه ببعض عند السِّفاد ، وأكثر ما يستعمل فى هذين النوعين .

وكذلك فَسَّرُوا [معنى] حُوشِىّ الكلام . وهو [اللفظ الغريب] الذى لا يتكرر فى كلام العرب كثيرًا ؛ فإذا ورد ورد مُسْتَهْجَناً . وقالوا فى معنى قوله : «وكان لا يمدح الرجل إلا بما[8] فى الرجال » أنه أراد : لا يمدح السوقة بما يمدح به الملوك ، ولا يمدح[9] التجار وأصحابَ الصناعات بما يمدح به الصعاليك والأَبطال وحملة السلاح ؛ فإن الشاعر إذا فعل ذلك فقد وصف

---

(١) ط « فى سوء نظمه وتعقيد ألفاظ نسجه »
(٢) الزيادة من ك
(٣) ط « وأكثر . . . أظنه سع ما »
(٤) الشعر والشعراء ١/٨٧
(٥) ط « يرتفض هذا لشعره »
(٦) ك « بعض »
(٧) ك و م « من قولك »
(٨) ط « بما يكون » .
(٩) ليست فى ك

كل فريق بما ليس فيه ، فذكروا هذه الجمل ، ثم[١] مثلوا لها أمثلة تزيد ما قاله عمر رضى الله عنه وضوحاً وبياناً ، إلا أبو الفرج قدامة بن جعفر فإنه[٢] ذكر ذلك فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر ومثل له أمثلة ، فغلط فى أمثلة المعاظلة غلطاً قبيحاً ، وقد ذكرت ذلك فى كتاب بَيَّنْتُ فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه .

* * *

وأنا أذكر ههنا ما إليه قصدت من تبيين[٣] ما فى شعر أبى تمام من هذه الأنواع ، فإنها كثيرة . وأورد من كل نوع قليلاً[٤] يستدل به على الكثير فأقول :

إن من المعاظلة التى قد لخصت معناها فى الكتاب على « قدامة » شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها ببعض ، وأن يداخل لفظة [من أجل لفظة ][٥] تشبهها [أو][٥] تجانسها ، وإن أخلّ[٦] بالمعنى بعض الإخلال .

١ ـ وذلك كقول أبى تمام :

خان الصفاء أَخٌ خان الزَّمانُ أخاً عَنْهُ فلمْ يَتخوَّنْ جِسْمَهُ الْكَمَدُ[٧]

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت ، وهى سبع كلمات آخرها قوله : « عنه » ما أشد تشبث بعضها ببعض ، وما أقبح ما اعتمده من إدخال

---

(١) ك ، م « ولم يمثلوا »

(٢) ك « فإنه لما ذكر »

(٣) ط « من سائر »

(٤) ط « فيستدل » . . . وفى م « فأما قوله »

(٥و٥) زيادة من ك ، ط

(٦) ك ، ط « اختل المعنى . . . الاختلال »

(٧) ديوانه « الزمان له أخا » وفى شرح التبريزى المخطوط ٦٣٦ « كان الزمان له أخا »

ألفاظٍ فى البيت من أجل ما يشبهها . وهى قوله[١] : «خان» و «خان» و «يتخون» وقوله : «أخ» و «أخا» .

وإذا[٢] تأملت المعنى – مع ما أفسده من اللفظ – لم تجد له حلاوة ، ولا فيه كبير فائدة ؛ لأنه يريد : خان الصفاء أخٌ خان الزمان أخاً من أجله إذ لم يتخوَّن جسمَه الكمد .

٢ – وكذلك قوله :

يا يَوْمَ شَرَّدَ يَوْمَ لَهْوِى لَهْوُهُ بِصَبَابتِى وَأَذَلَّ عِزَّ تَجَلُّدِى[٣]

فهذه الألفاظ إلى قوله : «بصبابتى» كأنها[٤] [أيضاً][٥] سلسلة فى شدة تعلق بعضها ببعض . وقد كان أيضاً يستغنى[٦] عن ذكر اليوم فى قوله «يوم لهوى» ؛ لأن التشريد إنما هو واقع بلهوه . فلو قال : «يا يوم شرد لهوى» لكان أصحَّ فى المعنى من قوله : «يا يوم شرد يوم لهوى» وأقرَب فى اللفظ ؛ فجاء باليوم الثانى من أجل اليوم الأول ، وباللهو الثانى من أجل اللهو الذى قبله ، ولهو اليوم [أيضاً] بصبابته هو[٧] من وساوسه وخطائه[٨] ، ولا لفظ [هو] أولى بالمعاظلة من هذه الألفاظ .

---

(١) ط «وهو خان»

(٢) ك ، ط «فإذا»

(٣) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٢ / ٤٥ «تقديره : يايوم شرد لهوه بصبابتى يوم لهوى وأزال صبرى» .

(٤) م «كأنه»

(٥) الزيادة من ك

(٦) ط «استغنى»

(٧) ط «هو أيضا»

(٨) ك ، م «وخطراته»

٣ ونحو قوله [أيضاً] [١] :

يَوْمٌ أَفَاضَ جَوًى أَغاضَ تَعَزِّياً   خاضَ الْهَوَى بَحْرَىْ حِجاهُ الْمُزْبِدِ [٢]

فجعل اليوم أفاض جَوًى ، والجوى أغاضْ تعزِّياً ، والتعزِّى موصولاً به «خاض الهوى» إلى آخر البيت ؛ وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه ، مع أنه قال [٣] «أَفاض» و «أَغاض» و «خاض» [وهى] ألفاظ أوقعها فى غير مواقعها [٤] ، وأَفعال غير لائقة بفاعلها ، وإن كانت مستعارة ؛ لأَن المستعمل فى هذا أن يقال : قد عُلِم ما بفلان من جَوًى ، وظَهَر ما يكتمه من هَوًى ، وبان عنه العزاء أو ذهب عنه التعزى [٥] ، فأَما أن يقال : فاض الجوى ، أو أفيض ، أو غاض [التعزى] أو أغِيضَ ؛ فإنه ـ وإن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة ـ قبيحٌ جدًّا .

وكذلك خَوْضُ الهوى بحرَ التعزِّى معنًى فى غاية البعد والهَجانة ، ثم اضطر إلى أن قالْ «بَحْرَىْ حجاه المزبد» فوحَّد المزبد ، وخفضه ، وكان وجهه أن يقول : «المزبدين» صفة للبحرين ، فجعله صفة للحجى . ويقال إنه أراد ببَحْرَىْ حِجاه المزبد : قلبه ودماغه ؛ لأَنهما موطنان للعقل ، وذلك [٦] محتمل ، إلا أنه جعل المزبد وصفاً للحجى ، ولا يوصف العقل بالإزباد ، وإنما يوصف به البحر . وهذا وإن كان يُتَجَاوز فى مثله ، فإنه [٧]

---

(١) زيادة من ط
(٢) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى/٤٦
(٣) ط ، م «مع أن أفاض»
(٤) ط «موضعها»
(٥) فى ط «عنه العزاء والتعزى»
(٦) ك ، م «وذاك»
(٧) ط «فإنه إلى»

الوجه الأردأ ، عَدَلَ به [إليه] خبث[١] الطريقة عن الوجه الأوضح .

وإذا[٢] تأملت شعره وجدت أكثره مبنيًّا على [ مثل] هذا[٣] وأشباهه .

وفيما ذكرته[٤] من هذ الأمثلة من شعره ما دلَّك على[٥] سواها .

فإن قال قائل : إن هذا الذى أنكرته وذَمَمته فى الأبيات المتقدمة وفى هذا البيت : من [شدة] تشَبُّث الكلام بعضِه ببعض ، وتعلُّق كل لفظةٍ بما يليها ، وإدخال كلمة من أجل أخرى تشبهها وتجانسها ـ هو المحمود من الكلام ، وليس من المعاظلة فى شىء ، ألا ترى أن البلغاء والفصحاء لمَّا وَصفوا ما يستجاد ويستحب من النثر والنظم قالوا : هذا كلام يدل بعضُه على بعض ، ويأخذ[٦] بعضُه برقاب بعض ؟

قيل : هذا صحيح من قولهم ، ولم يريدوا [به] هذا الجنس من النثر والنظم ، ولا قصدوا هذا النوع من التأليف ، وإنما أرادوا المعانى إذا وقعت ألفاظها فى مواقعها ، وجاءت الكلمة مع أختها المشاكِلة لها التى تقتضى أن تجاورها لمعناها[٧] : إما على الاتفاق ، أو التضاد[٨] ، حسبما تُوجبهُ قسمة الكلام ، وأكثر الشعر الجيد هذه سبيلُه ، وذلك نحو قولُ زهير بن أبى سَلْمَى :

سَئِمْتُ تَكالِيفَ الْحَياةِ ، ومَنْ يَعِشْ ثَمانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ[٩]

---

(١) م « وحيث الطريقة » ، فى ط « وجنب الطريق »
(٢) ط « فإذا »
(٣) زيادة من ط ، ك
(٤) ط « وقد ذكرت . . . ما دل »
(٥) ك : « على ما سواها »
(٦) ط « وآخذ »
(٧) ك ، م « بمعناها »
(٨) م « فالتضاد »
(٩) ديوانه ٢٩ وشرح القصائد العشر ١٢٢

لما قال : « ومن يعش ثمانين حولا »(١) وقدم فى أول البيت « سئمت » اقتضى أن يكون فى آخره « يسأم » .

وكذلك قوله أيضاً :

السِّتْرُ دُونَ الْفاحِشات وَما ... يَلْقاكَ دُونَ الخَيْرِ مِنْ سِتْرِ(٢)

فالستر الأول اقتضى الستر الثانى .

وكذلك قوله :

وَمَنْ لا يُقَدِّمْ رِجْلَهُ مُطْمَئِنَّةً ... فَيثْبِتَها فى مُسْتَوَى الأَرْضِ، تَزْلَقِ(٣)

لما قال : « ومن لا يقدم رجله مطمئنة » اقتضى أن يأتى فى آخر البيت « يزلق » .

وكذلك قولُ امرئ القيس :

أَلاَ إنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلمَرْءِ قُنْوَةً ... وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسا(٤)

اقتضى « العدم » فى البيت أن يأتى بعد « قنوة » وكذلك(٥) اقتضى قوله : « وبعد المشيب » [قوله :] « طول عمر وملبسا » .

وكذلك قوله :

فَإنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ(٦) ... وإنْ تَقْصِدُوا لِدَم نَقْصِدِ(٧)

---

(١) م « عاما »

(٢) ديوانه ٩٥ وفى ك ، م « ولا »

(٣) ديوانه ٢٥٠

(٤) ديوانه ٩٩ وفى م « بعد اليوم »

(٥) م « ولذلك »

(٦) عجز هذا الشطر كما فى ديوانه ٦١ « وإن تبعثوا الحرب لا نقعد »

(٧) هذا عجز بيت آخر وصدره فى ديوانه ٦١ « وإن تقتلونا نقتلكم »

كل لفظة تقتضى ما بعدها .

فهذا هو الكلام الذى يدلُّ بعضُه على بعضٍ ، ويأْخذ بعضُه برقاب بعض ؛ وإذا أَنشدت صدر البيت علمت ما يأْتى فى عَجُزه ؛ فالشعر الجيد – أَو أَكثره – على هذا مبنىّ ، وليست بنا حاجة إلى زيادة[1] فى التمثيل على هذه الأَبيات .

(١) ط « الزيادة »

# [حوشى الكلام وما يستكره من الألفاظ]

وأما قول عمر رضى الله عنه فى زهير : « إنه كان لا يَتَتَبَّعُ حُوشِىَّ الكلام » فإن أبا تمام كان لعَمْرى يتتبعه ، ويتطلبه ، ويتعمل[1] لإدخاله فى شعره ، فمِنْ ذلك قولُه :

أَهْلَسُ أَلْيَسُ لَجَّاءٌ إِلَى هِمَمٍ تُغَرِّقُ العيس فى آذِيِّهَا اللِّيسَا[2]

ويروى « أَهيس أَليس » والأَهيس : الجادّ[3] ، وهذه الرواية أجود . وهى مثل[4] :

* إِحْدَى لَيَالِيك فَهِيسِى هِيسِى[5] *

والهُلَاسُ : السُّلَالُ من [شدة] الهزال ؛ فكأَن قوله : « أَهلس » يريد خفيف اللحم .

والأَلْيَسُ : الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة ، وهو الذى لا يكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يظفر أو يهلك .

فهاتان[6] لفظتان مستكرهتان إذا آجتمعتا ، [ثم] لم يقنع بأَهلس أَليس حتى[7] قال فى آخر البيت : « الليسا » يريد جمع أَليس .

---

(١) ط « ويتعمد إدخاله »

(٢) م « نجاء إلى » وفى م والوساطة ٢٢ وديوانه ١٧٢ وشرح التبريزى ٢/٢٥٨ « تغرق الأسد » قال التبريزى : « يقال : رجل أليس : إذا كان شجاعا لا يبرح موقفه فى الحرب ، وأهيس من قولهم : هاس يهيس ، إذا وطئ شديداً ، أو سار سيراً عجلا

(٣) م « الحاد . . . أجود فى مثل »

(٤) ك « وفى مثل »

(٥) شرح التبريزى ٢/ ٢٥٨ وفى اللسان ٨ / ١٣٩ وبعده : « لا تنعمى الليلة بالتعريس » وهيسى : أى سيرى أى سير كان

(٦) ك و م « فهما »

(٧) ط « ثم »

وقوله :

وَإِنْ بُجَيْرِيَّةٌ بَانَتْ جَأَرْتُ لَهَا إِلَى ذُرَى جَلَدِى فَاسْتُوْهِلَ الْجَلَدُ[١]

فقال : «بجيرية» و «جأرت لها» وهذه الألفاظ وإن كانت معروفة مستعملة فإنها إذا اجتمعت اسْتُقْبِحَتْ[٢] وثقلت .

وكذلك قوله :

* هُنَّ الْبَجَارِىُّ يَا بُجَيْرُ[٣] *

والبجارى : جمع بُجْرِيَّة ، وهى الداهية .

وقوله :

بِنَدَاكَ يُوسَى كلُّ جرْحٍ يَعْتَلِى رَأبَ الأُسَاةِ بِدَرْدَبِيسٍ قَنْطَرِ[٤]

الدردبيس والقنطر[٥] : من أسماء الدواهى .

وقوله :

* قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فى الْغُلَوَاءِ[٦] *

وزاد[٧] هذه الألفاظ هجنة [أنها] ابتداء قصيدة .

وقوله :

لَقَدْ طَلَعتْ فِى وَجْهِ مِصْرَ بِوَجْهِهِ بلا طائرٍ سَعْدٍ وَلاَ طائرٍ كَهْلِ[٨]

(١) ديوانه ٣٦٧ وشرح التبريزى المخطوط ٦٣٦ والصناعتين ٣٠ وفى ط « نابت » و م ك « إلى أيدى » .

(٢) م ك « استهجنت »

(٣) سبق ص ٢٦

(٤) ديوانه ٣٩٦ وشرح التبريزى المخطوط ٧٣٦ . ويؤسى : يداوى ويصلح . والرأب : الإصلاح ، والأساة : الأطباء

(٥) ك « وهما »

(٦) سبق ص ٢٦

(٧) ط « ومثل هذه هجنة ( لايكون ) فى ابتداء القصيدة »

(٨) طلعت : أى وساس الآمال المذكورة فى البيت التالى وهو :

وساوس آمال ومذهب همة مخيمة بين المطية والرحل

فى ديوانه ٤٢١ « طائر سهل »

وإنما سمع قول بعض الهذليين :

فلَوْ كانَ سلمى جارَهُ أو أجارَهُ  رِيَاحُ بْنُ سَعْدٍ رَدَّهُ طائرٌ كَهْلُ[1]

ووجدت فى تفسير أشعار هذيل : أن الأصمعى لم يعرف قوله : «طائر كهل» وقال بعضهم : كهل : ضخم .

وما أظنّ أحدًا قال : «طائر كهل» غير هذا الهذلى ، فاستغرب أبو تمام معنى الكلمة فأتى بها ، وأحَبَّ أن لا تفوته . فمثل هذه الألفاظ لا يستعملها شاعر [مقدم] إلاّ أن يأتى فى جملة شعره منها اللفظة أو اللفظتان ، وهى فى شعر أبى تمام كثيرةٌ فاشية .

وقد أنكر الرواةُ على زهير – مع ما قاله عمر فيه : «كان لا يتتبع حوشى الكلام» – قولَه :

نَقِيٌّ تَقِيٌّ لَمْ يُكَثِّرْ غَنِيمَةً  بِنَهْكَةِ ذِى قُرْبى وَلاَ بِحَقَلَّدِ[2]

واستشنعوا[3] «حقلد» وهو : السيئ الخلق ، ولا يُعْرف فى شعره لفظة هى أنكر منها ، وليس مجيئه بهذه اللفظة[4] الواحدة قادحاً فيما وصفه به عمر رضى الله عنه .

وأكثر ما ترى هذه الألفاظ الْوَحْشِية فى أراجيز الأعراب[5] ، نحو قول بعضهم .

---

(١) البيت لأبى خراش الهذلى ، كما فى اللسان ١٤/١٢٢ وأساس البلاغة ٢٤/٣٩ وفى ديوان الهذليين ٢/١٦٥ « يريد : سلمى بن معقل من بنى صاهلة ، ورياح بن سعد من بنى زليفة . وقوله طائر كهل ، أراد رجلا كهلا عظيم الشأن » وفى ك : « الهذليين ، وهو صخر الغى » .

(٢) ديوانه ٢٣٤ والصناعتين ٣٠ وصبح الأعشى ٢/٢١٦ النهكة : النقص والإضرار والحقلد : الضيق البخيل السيئ الخلق . أى لم يكثر ما له بظلم قرابته وأخذ ما لهم .

(٣) ط « بحقلد وهى » وفى ك : « فاستبشعوا »

(٤) ك « الكلمة »

(٥) ك : « العرب وما شاكل ذلك . أنشد أبو حاتم »

[وأنشده أبو حاتم] :

* فَشَحَا جَحَافِلَهُ جُرَافٌ هِبْلَعُ[١] *

وقول آخر[٢] :

* غَرْباً جَرُورًا وجُلَالاً خُزَخِزْ[٣] *

[الغرب : الدلو . والجرور : العظيم . والجلال : الشديد والخُزَخِز : القوى ][٤]

وأنشد الأصمعى :

وآخذ طعم السقاء سَامِطُ وخَاثِرٌ عُجَالِطُ عُكَالِطُ[٥]

إذا ذهب عن اللبن حلاوةُ الحلَب[٦] ولم يتغير فهو سَامِط ، وإذا خَثَرَ اللبن جدًّا حتى يَتَكَبَّد[٧] فهو عُكَلِط [وعُجَلِط ] .

---

(١) صدره : « وضع الخزير فقيل : أين مجاشع ؟ » وهو لجرير ، كما فى ديوانه ٣٤٥ واللسان ، ٥/٣١٩ ، ١٠/٢٤٦ ، ٣٦٩ وغير منسوب فى سر الفصاحة ٦٤ . الخزير : عصيدة فيها لحم .

وشحا : فتح ، وجحافل الخيل : أفواهها ، والجحفلة من الخيل والحمر والبغال بمنزلة الشفة من الإنسان والمشفر للبعير . ورجل جراف : شديد الأكل لا يبقى شيئا . والهبلع : العظيم اللقم الأكول

وفى ط « فشجا » وهو تحريف

(٢) ط « أنشد أبو تمام وقول »

(٣) م « غربا مروراً وجلالا فرفرة » وط « عربا مروراً وجلالا مرمر » وقال ناشرها الشيخ محمد محيي الدين : « مع طول البحث فيما بين يدى من كتب اللغة ومجاميع الشعر ، لم يتيسر لى العثور على تحقيق هذا الشاهد فأثبته كما هو فى أصول الكتاب غير متحمل تبعته » .

والشاهد فى الصحاح ٢/٨٧٤ واللسان ٧/٢١٢ وصدره فيهما : « أعددت للورد إذا الورد حفز » والرجز غير منسوب فى سر الفصاحة ٦٤

والورد : الماء الذى يورد ، ووقت يوم الورد بين الظمأين . وحفز : حث وساق ، أودنا . والغرب : الدلو الكبير الذى يستقى به . جروراً : أى يجر على شفير البئر لبعد قعرها . والجلال : البعير الضخم الكريم . والخزخز : القوى الشديد

(٤) الزيادة من ك

(٥) ط « وأجد . . للقاء » و فى ط و م « عجلط » وكذلك هو فى سر الفصاحة ٦٤

(٦) ط « الحليب »

(٧) ط « حتى تخن فهو عكالط وقال آخر »

وقول الآخر أنشده الأصمعي :

(١) فى رَبْرَبٍ خِمَاصٍ يَأْكُلْنَ مِنْ قُرَّاص

* وَحَمَصِيص وَاصٍ *

واص : نبتٌ متصل بعضه ببعض .

وإذا كان هذا يُستهجَن(٢) من الأعرابي القُحِّ الذى لا يتعمَّل(٣) له ولا يتطلَّبُه(٤) ، وإنما يأتى به على عادته وطبعه ؛ فهو من المحدَثِ الذى ليس هو من لغته ولا من ألفاظه ولا من كلامه الذى تجرى عادتُه به ـ أَحْرَى أن يُسْتَهجن .

ولهذا ما أنكر الناسُ على رؤبة استعمالَه الغريب الوَحْشِيّ ، وذلك لتأخره وقرب عهده ، حتى زهد كثير من الرواة فى رواية شعره ، إلا أصحاب اللغة [والغريب] .

وقد ذكر أبو العباس عبدُ الله بن المعتز فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعراء ومعايبهم ، عن العَنَزِيّ ، قال : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمى الذَّارِع(٥) ، قال : حدثنى ابن عائشة ، قال :

قال أبو العتاهية لابن مُنَاذر : إن كنت أردتَ بشعرك شعر العجاج

(١) قبله فى اللسان ٨ / ٣٣٨ « يارب شاة شاص » وشاص : متنصب . وخماص : ضامرات البطون : والقارص : اللبن الذى يحذو اللسان . والحمصيص : بقلة حامضة تجعل فى الأقط . تأكلها الناس والإبل والغنم . وآص : متصل مثل واص ، كما فى اللسان . والأبيات فى المعانى الكبير ١/١٨٠ . وما هنا فى سر الفصاحة ٦٤

(٢) ط « يستحسن » وزاد قبلها الناشر « لا »

(٣) م « لا يستعمل » وهو تحريف

(٤) م ، ط « ولا يطلبه »

(٥) ط « الزراع . . . ابن أبى عائشة » وهو خطأ . والخبر رواه المرزبانى فى الموشح ٢٩٥

ورؤية فما صنعت شيئاً ، وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا ، أرأيت قولك :

* وَمَنْ عَادَاكَ لاقى المَرْمَرِيسَا(١) *

أىُّ شىء فى المَرْمَرِيس(٢) [أعجبك] ؟

ووجدت أبا عبيدة ذكر فى كتاب الخيل فى باب ما يُسْتدل به على جَوْدة الفرس وهو يُحْضِرُ « بيضة مَرْمَرِيس [وهامة مَرْمَرِيس] ، وهى الضخمة » وأراد ابن مناذر الداهية .

وقد جاء أبو تمام بالدَّرْدَبيس ، وهى أخت المَرْمَرِيس ، فقال :

بنَدَاكَ يُوسى كل جُـرْح يَعْتَلِي رأبَ الأساة بدَرْدَبِيسٍ قَنْطَرِ(٣)

[وهى : الداهية أيضاً ، وكذا القَنْطر ](٤) .

---

(١) ط « يلق »

(٢) م « بالمرميس » . والزيادة من ط

(٣) م « بنداك يرأب » وقد سبق البيت فى ص ٣٠١

(٤) زيادة من ط

## باب
# فيما كثر فى شعره من الزحاف واضطراب الوزن[١]

وذلك هو[٢] ما قاله دِعْبِلُ بن على الخُزاعي وغيره من المطبوعين : إن شعر أبى تمام بالخُطَبِ وبالكلام المنثور أشْبَهُ منه[٣] بالكلام المنظوم .

١ ــ فمن ذلك قوله :

وأَنْتَ بِمِصْرٍ غَايَتِى وَقَرَابَتِى  بِهَا ، وَبَنُو أَبِيكَ فِيها بَنُو أَبى[٤]

وهذا من أبيات النوع الثانى من الطويل ، ووزنه « فَعُولُنْ مَفَاعِيلُن » وعروضه وضَرْبه « مَفَاعِلُنْ » فحذف نونَ « فَعُولُنْ » من الأجزاء الثلاثة الأُوَل[٥] وحذف الياء من « مفاعيلن » التى[٦] فى المصراع الثانى ، وذلك كله يسمى المقبوض ؛ لأنه [حذف][٧] خامسه .

٢ ــ وكذلك[٨] قوله من هذا النوع :

كَساكَ مِنَ الأَنْوَارِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ  وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ وَأَحْمَرُ سَاطِعُ[٩]

---

(١) فى ك « الأوزان »
(٢) م « وهو »
(٣) ك ، م « منه بالمنظوم »
(٤) ديوانه ٢٥ وفى شرح التبريزى ١/١٦٢ « وبنو الآباء » وهما روايتان . يقول : أنت غاية مناى بمصر ، وأنت قرابتى لأنى أمت إليك بحرمة الأدب ووسيلته وإن لم يكن بيننا قرابة النسب بها ، يعنى بمصر
(٥) م « الأولة »
(٦) ط « التى هى » . مقبوضا
(٧) زيادة من ك ، ط
(٨) م « ومن ذلك »
(٩) ديوانه ٤٧٨

فحذف النون من أجزاء[١] «فعولن» كلها ، وهى أربعة ، وحذف الياء من «مفاعلين» التى فى المصراع الثانى أيضاً ، كما فعل فى البيت قبله .

٣ — ومن ذلك قوله من هذا النوع أيضاً :

يَقُولُ فَيُسْمِعُ وَيَمْشِى فَيُسْرِعُ ويَضْرِبُ فى ذَاتِ الإلٰهِ فَيُوجِعُ[٢]

فحذف النون من «فعولن» الأولى[٣] ، والياء من «مفاعيلن» التى تليها ، ومن «فعولن» التى هى أول المصراع الثانى ، وذلك كله [أيضاً] يسمى مقبوضاً ، وهو[٤] من الزحاف الحسن الجائز إلا أنه إذا جاء على [هذا] التوالى والكثرة [فى البيت الواحد] قبح جداً .

٤ — وقال :

لَمْ تَنْتَقِضْ عُرْوَةٌ مِنْهُ وَلا قُوَّةٌ لٰكِنَّ أَمْرَ بَنِى الآمَالِ يَنْتَقِضُ[٥]

وهذا من النوع الأول من البسيط . ووزنه «مُسْتَفعِلُنْ فَاعِلُنْ» . وعروضه وضربه «فَعِلن» فزاد فى عروضه [وهو فَعِلُن] حرفاً فصار «فاعلن» لأنه قال : «قُوَّة» فشدد ، وذلك إنما يجب[٦] له فى أصل الدائرة لا فى هذا الموضع ، فإن خفَّفها حتى تصير على وزن «فَعِلن» فيتَّزن البيت — كان مخطئاً من [طريق اللغة] .

---

(١) ط «من آخر»

(٢) ديوانه ١٩١ وشرح التبريزى ٢/٣٢٦ وفيه ٣٢٧ «وأخذ أبو تمام هذا البيت من قول عائشة رضى الله عنها فى وصف عمر : كان إذا قال أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع»

(٣) ط «الأول»

(٤) ط «وهى»

(٥) ديوانه ١٨١ وشرح التبريزى ٢/٢٨٦ «منه ولا بسبب» أى لم يؤثر فيه أحواله وفى العزل ولكن فى زمر عفاته

(٦) ط «إنما يحسب» دم «إلا فى»

ثم(١) نقص [من] «فاعلن» الأولى من المصراع [الثانى] الألف فصار «فعلن». وهذا يسمى مَخْبُوناً ؛ لأنه حذف ثانيه.

٥ – وقال :

إلى المُفَدَّى أبى يَزِيدَ الَّذِى     يَضِلُّ غَمْرُ الْمُلُوكِ فى ثَمَدِهْ(٢)

وهذا من النوع الأول من المنسرح، ووزنه :

مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ     مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ

فحذف السين من مستفعلن [الأولى ومن مستفعلن] التى هى أول المصراع [الثانى] فبقى «متفعلن» وهذا يُنْقَلُ إلى «مفاعلن» ويسمى مَخْبُوناً ؛ لأنه حذف ثانيه.

وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة(٣) فبقى «مستعلن» فينقل إلى «مُفْتعلن» ويقال له : مَطْوِىّ ؛ لأنه ذهب رابعه.

وحذَف الواو من «مَفْعُولات» الأُولى والثانية، فصار «فاعلات» ويقال له أيضاً : مَطْوِىّ ؛ فأفسد البيت(٤) بكثرة الزحاف. وتقطيعُهُ :

إِلَلْمفَدْ * دَا أَبِى يَ * زِيدَ الَّذِى * يَضِلْلُغَمْ * رُلْمُلُوكِ * فِيثَمَدِهْ

مَفَاعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفاعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُفْتَعِلُنْ

٦ – ثم قال فى هذه القصيدة :

جِلَّةُ أَنْمَارِهِ وَهَمْدَانِهِ     وَالشُّمُّ مِنْ أَزْدِهِ وَمِنْ أُدَدِهْ(٥)

---

(١) ط « ثم حين نقص . . . الأول »

(٢) ديوانه ٩٢ وشرح التبريزى ١/٤٣٦ . ويريد بأبى يزيد : خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى . والثمد : الماء القليل . أى يقل كثير الملوك فى قليله

(٣) م « الآخرة فبقى مستفعلن »

(٤) ك « فأفسد وزن البيت » .

(٥) ديوانه ٩٤ وشرح التبريزى ١/ ٤٤٧ وم « والشمر »

فحذف الفاء من «مستفعلن» الأولى، فعادت إلى «مفتعلن» وحذف الواو من «مفعولات» الأولى «ومفعولات» الثانية] فصارت «فَاعلات».

وحذَف الفاء من «مستفعلن» الأخيرة فصارت «مفتعلن». وتقطيعه:

جِلْلَتأَنْ * مارِهِيوَ * هَمْدَانِهِى * وَشْشُمْمُمِنْ * أَزْدِهِى وَ * مِنْأُدَدِهْ

مُفْتَعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُفْتَعِلُنْ

وهذه الزحافات جائزة فى الشعر وغير منكرة إذا قَلَّت، فأَما إذا جاءت فى بيت واحد فى أكثر أَجزائه فإن هذا فى غاية[1] القبح، ويكون بالكلام المنثور أَشبه منه بالشعر الموزون.

٧ـ ومن هذا النوع من المنسرح قوله:

وَلَمْ يُغَيِّرْ وَجْهِى عَنِ الصِّبْغَةِ آلْ ... أُولى بِمَسْفُوعِ اللَّوْنِ مُلْتَمِعِهْ[2]

وتقطيعه:

وَلَمْ يُغَىْ * يِرْ وَجْهِيعَ * نِصْصِبْغَتِلْ * أُوْلى بِمَسْ * فوعِلْلَوْنْ * مُلْتَمِعِهْ

مَفَاعِلُنْ * مَفْعُولات * مُسْتَفعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولات * مُفْتَعِلُنْ

فحذف السين من «مستفعلن» الأولى فصارت «مفاعلن» وحذف الفاء من «مستفعلن» الأخيرة فصارت [«مُسْتَعِلن» فنقل إلى][3] «مفتعلن»

* * *

ومثل هذه الأَبيات فى شعره كثير إذا أَنت تَتَبَّعته، ولا تكاد ترى فى أَشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً.

* * *

تم السفر الثانى من الموازنة على ما جزأه مؤلفه، رحمه الله تعالى

والحمد لله رب العالمين

---

(١) ط «فى نهاية»

(٢) ديوانه ١٩٦ شرح التبريزى ٢/٣٤٥ «لم تغير» وفى م «بمسفوح» هو خطأ. يقال: سفع وجهه: إذا أصابته النار بحرها والشمس بوهجها فغيرت لونه، والتمع منه، يعنى أنه أعطاه بلا سؤال وحفظ ماء وجهه

(٣) الزيادة من ك

بسم الله الرحمن الرحيم

## وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرٍ الآمِدِيُّ :

لما[1] كنت خَرَّجت مساوىَ أبي تمام وابتدأت [منها] بسرقاته — وجب أن أبتدئ من مساوى البحترى بسرقاته ؛ فإنه [قد] أخذ من معانى مَنْ تَقَدَّم من الشعراء ، وتأخر[2] أخْذًا كثيرًا .

وحكى [أبو عبد الله محمد بن داود] بن الجراح فى كتابه [الذى سماه الورقة :] [3] أن ابن أبى طاهر أعلمه أنه أخرج للبحترى ستمائةِ بيتٍ مسروق ، ومنها ما أخذه من أبى تمام خاصة مائة بيت .

وكان[4] ينبغى أن لا أذكر السرقات فيما أخرَّجه من مساوى هذين الشاعرين ؛ لأننى قد قَدَّمت القولَ فى[5] أن مَنْ أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يَرَوْنَ سرقات المعانى من كبير مساوى الشعراء ، وخاصة المتأخرين إذ[6] كان هذا باباً [ما] تعرى منه متقدم ولا متأخر ، ولكن أصحاب أبى تمام ادعوا أنه أول[7] وسابق ، وأنه أصل فى الابتداع والاختراع ؛

---

(١) فى هامش ك : « وهو أول الجزء الثانى منقولا من نسخة عبد السلام البصرى »

(٢) ط « ومن »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ط « فكان »

(٥) م « وان »

(٦) م « أولى أن . . . بابا يعرى »

(٧) ط « أول سابق »

فوجب إخراج ما استعاره من معانى الناس ؛ ووجب[1] من أجل ذلك إخراج ما أخذه البحترى أيضاً من معانى الشعراء . ولم أستقص بابَ البحترى ، ولا صرفت[2] الاهتمام إلى تتبعه ؛ لأن أصحاب البحترى لم يدعوا[3] ما ادعاه أصحابُ أبى تمام [لأبى تمام] ، بل استقصيت[4] ما أخذه من أبى تمام خاصة : إذ كان من أقبح المساوى أن يتعمد[5] الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه ما أخذه البحترى من [معانى] أبى تمام ، ولو كان عشرة أبيات ، فكيف والذى أخذه منها[6] يزيد على مائة بيت ؟

فأما مساوى البحترى — من غير السرقات — فقد حرصت[7] واجتهدت [فى] أن أظفر له بشىء يكون بإزاء ما أخرجتُه من مساوى أبى تمام فى سائر الأنواع التى ذكرتها ، فلم أجد فى شعره — لشدَّة تحرزه ، وجَوْدة طبعه ، وتهذيب ألفاظه[8]— من ذلك إلا أبياتاً يسيرة أنا ذاكرها[9] عند الفراغ من سرقاته إن شاء[10] الله تعالى .

---

(١) ط « فوجب »
(٢) ط « ولا قصدت »
(٣) م « لم يدعيا » وط « ما ادعوا »
(٤) م « بل استقضب »
(٥) م « يعتمد . . . ديوان كل »
(٦) ط « منه »
(٧) ط « دققت »
(٨) ك ، م « لألفاظه »
(٩) ط « أذكرها »
(١٠) فى ط « سرقاته ، فإن مر بى منها شىء ألحقته به . . . »

## سرقات البحترى

١ ـ قال [ البحترى ] :

يُخْفِى الزُّجاجَةَ لَوْنُها فَكَأَنَّها ... فِى الْكأْسِ قائِمَةٌ بِغَيْرِ إناءِ[١]

أخذه من قول على بن جَبَلَةَ[٢] :

كأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْها ... شُعاعاً لايُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ[٣]

٢ ـ وقال أيضاً :

كالرُّمْحِ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً ... مُنْقادَةً تَحْتَ السِّنَانِ الأَصْيَدِ[٤]

أخذه من قول بَشّار :

خُلِقُوا قَادَةً وكانوا سَوَاءً ... كَكُعُوبِ الْقَناةِ تَحْتَ السِّنانِ[٥]

وأخذه أبو تمام [ أيضاً ] فقال :

جَمَعْتَ عُرَى أَعْمالِهِ بَعْدَ فُرْقَةٍ ... إِلَيْكَ كما ضَمَّ الأَنابِيبَ عامِلُ[٦]

---

( ١ ) التشبيهات ١٧٣ وقد سبق ص ٢٨ وفى ك « فى الكف قائمة »

( ٢ ) ط « جبلة حيث يقول »

( ٣ ) التشبيهات ١٧٣

( ٤ ) ديوانه ٤٦١ « خلف السنان »

( ٥ ) ط « خلقوا . . . فكانوا »

( ٦ ) ديوانه ٢٥٧ وشرح التبريزى ١٢٢/٣ « أى ضممت ما انتشر من أمور الملك » وفى ك : « عرى أعبائه » وفى الصناعتين ١٩٩ أنه أخذه من قول الحبال الربعى :

أولئك إخــوان الصفاء رزئتهم ... فــا الكف إلا إصبع ثم إصبع

وفى م « غرى أعيانه . . . عاسل »

٣ – وقال البحترى :

أَعْطَيْتَنِى حَتَّى حَسِبْتُ جَزِيلَ مَا أَعْطَيْتَنِيهِ وَدِيعَةً لَمْ تُوهَبِ (١)

أخذه من قول الفرزدق :

أَعْطانِىَ الْمَالَ حَتَّى قُلْتُ :يُودِعُنِى أَوْ قُلْتُ :أَعطِى ءالاقدَرَ آهُ لَنا (٢)

وبيت البحترى أجود .

٤ – وقال البحترى :

أَرُدُّ دُونَكِ يَقْظَـاناً وَيَأْذَنُ لِى

عَلَيْكِ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنانا (٣)

أخذه من قول قَيْس بن الْخَطِيم :

مَاتَمْنَعِى يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِينَهُ فِى النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ (٤)

٥ – وقال البحترى :

مُلُوكٌ يَعُدُّونَ الرِّماحَ مَخَاصِرًا إذا زَعْزَعُوهَا وَالدُّرُوعَ غَلَائِلا (٥)

وهذا مثل قول محمد بن عبد الملك الْفَقْعَسى ، ولعله منه أخذه :

وَلاَ لَاقَيا كَعْبَ بْنَ عَمْرٍو يَقُودُهُمْ أَبُو دهم تَنسجُ الْحَدِيدِ ثِيَابُهَا (٦)

٦ – وقال البحترى :

كوعول الهضاب رُحْن وَمَا يَدْ لِكْنَ إِلاَّ صُمَّ الرِّمَاحِ قُرُونَا (٧)

(١) ديوانه ٦٠٢

(٢) ط « قلت أعطيت »

(٣) ديوانه ٤/١٤٩ م المعارف أمالى المرتضى ١/٥٤٥ وطيف الخيال ٣٤ نقلا عن الموازنة فى الكتابين

(٤) ديوانه ٥ وأمالى المرتضى ١/٥٤٥ وطيف الخيال ٣٤ وفى م « ومحسوب »

(٥) ديوانه ٧١٠ ، ٣/١٦٠٦

(٦) م « أبو دهر » ط « ثيابا »

(٧) ديوانه ٢٤٧

وهذا من نَادر[١] المعانى ، وما أعرف مثله إلا قول نصر بن الحجاج بن علاط السلمى ، ولعله منه أخذه :

تَرَى غَابَةَ الْخَطِّىِّ فَوْقَ مُتُونِهِمْ ... كما أَشْرَفَتْ فَوْقَ الصِّوَارِ قُرُونُها[٢]

٧ ـ وقال البحترى :

يَنال الْفَتَى ما لَمْ يُؤَمِّلْ وَرُبَّمَا ... أَتَاحَتْ لَهُ الأَقْدَارُ مَا لَمْ يُحَاذِرِ[٣]

أخذه من قول الآخر وأنشده ثَعْلَبٌ :

وَحَذِرْتُ مِنْ أَمْرٍ فَمَرَّ بِجَانِبِى ... لَمْ يَلْقَنِى . وَلَقِيتُ مَا لَمْ أَحْذَرِ[٤]

٨ ـ وقال البحترى :

وَإِذا الأَنْفُسُ اخْتَلَفْنَ فَمَا يُغْـ ... ـنِى اتِّفَاقُ الأَسْمَاءِ وَالأَلْقابِ[٥]

أخذه من قول الفرزدق :

وَقَدْ تَلْتَقِى الأَسْمَاءُ فى النَّاسِ والْكُنَى
كَثِيرًا وَلَكِنْ فُرِّقُوا فِى الْخلائقِ[٦]

٩ ـ وقال البحترى :

لَمْ تَخْطُ بَابَ الدِّهْلِيزِ مُنْصَرِفاً ... إِلاَّ وَخَلْخَالُها مَعَ الشُّنُفِ[٧]

أخذه من قول أبى نُوَاس[٨] :

* قَدْ جَمَعُوا آذانَهُ وَعَقْبَهُ *

---

(١) ط « نوادر . . وما عرف . . . بن حجاج »

(٢) م « الحظى . . . كما أشرقت » ط « فوق بيوتهم » وفى ديوان المعانى ٢/٦١ « وقد أحسن القائل فى صفة الرماح على العواتق : ترى غابة . . فوق رؤوسهم » والصوار : القطيع من البقر ، كما فى اللسان ٦/١٤٦ .

(٣) ديوانه ٣٥٠ ، ٢ /٩٦٢ وفى م « أناخت به الأقران »

(٤) فى ك « لم يَنْكُنِى » وفى م « لم يكنى »

(٥) ديوانه ٥٦٤ « وإِنّ الأنفس »

(٦) ديوانه ٢/٥٧٨ « فقد . . . ولكن لا تلاقى الخلائق »

(٧) ديوانه ٦٤٢ ، ٣/١٤١١

(٨) م « أبى نواس رجز »

١٠ ـ وقال البحترى :

وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيانِ قَلْبِكِ لِى ... عَمْدًا ، إذا كانَ قَلْبِى فِيكِ يَعْصِينِى[١]

أخذه من قول الحُسَين[٢] بن الضحاك الخليع :

وتَطمَعُ أنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سُعْدَى ... وتَزعُمُ أنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكا ؟[٣]

وبيت البحترى أجود .

١١ ـ وقال محمد بن وهيب[٤] :

هل الدَّهْرُ إلاَّ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي ... وَشِيكا ، وَإلاَّ ضِيقَةٌ تَتَفَرَّجُ[٥]

أخذه البحترى فقال :

هَلِ الدَّهْرُ إلاَّ غَمرةٌ وَانْجِلاؤُهَا ... وَشِيكاً ، وَإلاَّ ضِيقَةٌ وَانْفِرَاجُهَا[٦]

١٢ ـ وقال فى وصف الذئب :

فَأَتْبَعْتُها أُخْرَى فَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا ... بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ والرُّعْبُ وَالْحِقْدُ[٧]

وقال فى هذا المعنى :

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَغَى ... مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكِتْمَانِ[٨]

أخذه من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى :

والضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مُرْهَفٍ ... وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ[٩]

---

(١) ديوانه ٤١٨

(٢) م « الحسن » وهو تحريف

(٣) فى ك « أتطمع » .

(٤) م « فقال . . . وهب » وهو تحريف

(٥) م « فتفرج » والبيت فى الوساطة ١٩٢

(٦) ديوانه ٢١٧ والوساطة ١٩٢

(٧) ديوانه ١٧٣ ومعاهد التنصيص ٢/ ١٧٣ وفى م « فصلها » وهو تحريف وفى ك « فضلها »

(٨) الصناعتين ٢٣٤ .

(٩) الصناعتين ٢٣٤ ومعاهد التنصيص ٢/ ١٧٢ والمطول على التلخيص ١/ ٤٠٩ . وفى ك « أبيض صارم » .

إلا أن قول عمرو «والطاعنين مجامع الأضغان» فى غاية الجودة والإصابة ؛[١] لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم . فإذا وقع الطعن فى موضع الطعن فذلك غاية كل مطلوب .

١٣ ــ وقال البحترى :

إِلَى فَتًى يُتْبِعُ النُّعْمى نَظائِرَهَا　　كالبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجاً بِأَمْوَاجِ[٢]

أخذه من قول أبى دَهْبل الجمحى :

وَلَيْلَةٍ ذاتِ أَجْرَاسٍ وَأَرْوِقَةٍ　　كالبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجاً بِأَمْوَاجِ[٣]

وهذا إنما أراد قول امرئ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ [ أَرْخَى سُدُولَهُ　　عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي ][٤]

١٤ ــ وقال البحترى :

مُحرِّك رَأْسَــه تَوَهُّمُهُ　　مِنْ عَظْمَةٍ قائماً عَلَى شَرَفِ[٥]

يشبه قول الآخر :

كأَنَّ أَبا السِّميّ إذا تَغَنَّى　　يُحاكِي عاطِساً فِي عَيْنِ شَمْسِ[٦]

١٥ ــ وقال البحترى :

سَقَمٌ دُونَ أَعْيُنٍ ذات سُقْمٍ　　وَعَذابٌ دُونَ الثَّنايا الْعِذَابِ[٧]

---

(١) فى ك « وإصابة المعنى »

(٢) ديوانه ٣٨٧ وفى م « إلى متى » وهو تحريف

(٣) الأجراس : جمع جرس ، وهو الوقت ، يقال : مر جرس من الليل، أى وقت وطائفة منه . وفى م « أحراس » والأروقة : جمع رواق ، وهو ستر الظلام

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « محركا » وديوانه ٦٤٣ ، ٣/١٤١٤ « قد قام من عظمة على » .

(٦) ط « أبا الشمى » .

(٧) ديوانه ٥٦٣

أخذه من قول بشار :

ذات الثنايا العِذابِ   مِن دُونِهن عَذَابُ (١)

١٦ – وقال البحترى :

وكأنَّ في جِسمي الَّذِي   في ناظرَيْكِ مِنَ السَّقَم (٢)

أخذه من قول منصور بن الفرج :

حلَّ في جسمي ما كا   ن بعينيك رخيما (٣)

١٧ – وقال البحترى :

تَجِدُ بَدْرَ الدُّجَى يَدْنُو بِشَمْسٍ   إِلَى مِنَ الرَّحِيقِ الْخُسْرُوَانِى (٤)

أخذه من قول الخليع :

قَمَراً يَحْمِلُ شَمْساً   مِنْ رَحِيقٍ خُسْرُوَانِى (٥)

١٨ – وقال البحترى :

كأنَّ سُهَيْلاً شَخْصُ ظَمْآنَ جانحٍ

مِنَ الأُفْقِ فِى نِهْيٍ مِنَ الأَرْضِ يَكْرَعُ (٦)

أخذه من قول [ محمد بن يزيد ] الحصنى [ السلمى ] (٧) يصف النجوم :

---

(١) ط « عذاب »

(٢) ديوانه ١٣ والوساطة ٢٢٢

(٣) الوساطة ٢٢٢ وفى ك ، م « فى جسمك » وهو تحريف

(٤) ديوانه ١٤٥ « تجد شمس الضحى تدنو » وكذلك ديوانه طبع مصر ٢ / ٢٧٨

(٥) ط « الخمر . . . الخسروانى »

(٦) ديوانه ٣٠٧ وفى م « فى نهر »

(٧) زيادة من ط قال المرزبانى فى معجم الشعراء ٤١٩ « أبو الأصبغ ، محمد بن يزيد بن مسلمة ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، يعرف بالحصنى . كان ينزل حصن مسلمة بديار مضر فنسب إليه . وهو شاعر محسن مكثر مدح المأمون وهجا عبد الله بن طاهر » وترجم له ابن المعتز فى طبقات الشعراء ٢٩٩ – ٣٠١ .

حَتَّى إِذَا مَا الحُوتُ فِى حَوضٍ مِنَ الدَّلْوِ كَرَعْ[١]

١٩ ـ وقال البحترى :

قَوْمٌ إِذَا شَهِدُوا الْكَرِيهَةَ صَيَّرُوا كُمَمَ الرِّمَاحِ جَمَاجِمَ الأَقْرَانِ[٢]

أخذه من [قول] مسلم بن الوليد[٣] :

يَكْسُو السُّيُوفَ رُؤُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجعَلُ الْهَامَ تِيجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ[٤]

وأخذه[٥] مسلم من قول جرير :

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا
غَدَاةَ الْوَغَى تِيجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا[٦]

٢٠ ـ وقال البحترى :

وَلِمْ لا أُغَالِى بِالضِّيَاعِ وَقَدْ دَنَا عَلَىَّ مَدَاهَا وَاسْتَقَامَ لِعُوجَاجُهَا[٧]

إِذَا كَانَ لِى تَرْبِيعُهَا وَاغْتِلالُهَا وَكَانَ عَلَيْكُمْ عُشْرُهَا وَخَرَاجُهَا[٨]

أظنه ـ والله أعلم ـ حذا على قول شَبيب بن البَرْصَاء :

تَرَى إِبِلَ الجَارِ الغَرِيبِ كَأَنَّمَا بِمَكَّةَ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ مَرَادُهَا[٩]

يَكُونُ عَلَيْنَا نَقْصُهَا وَضَمَانُهَا وللجار،إِنْ كَانَتْ تَزِيدُ ، ازْدِيَادُهَا[١٠]

---

(١) الأنواء لابن قتيبة ٣٣

(٢) الكمم : جمع كمة وهى القلنسوة

(٣) م « مسلمة »

(٤) سبق ص ٨١ وفى م ، ك « نفوس الناكثين له »

(٥) ك و م « أو أخذه »

(٦) سبق ص ٨١

(٧) ديوانه ٢١٨

(٨) فى الديوان « وكان عليك كل عام خراجها » وفى م « تربيعها » وتربيعها : أخذ ربعها ، واغتلالها : استخراج غلتها

(٩) م « ثوى إبل » والأخشبان : جبلا مكة ، كما فى معجم ما استعجم ١٢٣/١ ومرادها : مواطن ارتيادها

(١٠) ط « يكون عليه » وهو خطأ

٢١ـ وقال أبو صَخْر الهذلى :

[أغَرُّ أسـيدىٌّ تَرَاهُ كأنّهُ ... إذا جَدَّ يُعْطِى مَالَهُ وَهْوَ لاعِبُ

أخذه البحترى فقال ][1] :

وَادِعٌ يَلْعَبُ بِالدَّهْرِ إذا ... جَدَّ فى أُكْرُومَةٍ قُلْتَ هَزَلَ[2]

٢٢ـ وقال عبد الصمد بن المعذَّل :

ظَبْىٌ كأَنَّ بِخَصْرِهِ ... مِنْ دِقَّةٍ ظَمَأً وَجُوعَا[3]

إنِّى عَلِقْتُ لِشِقْوَتِى ... يَا قَوْمِ مَمْنُوعاً منوعا[4]

أخذه البحترى فقال :

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَها ... فلوَ انَّها بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ[5]

فزاد على عبد الصمد بقوله : « فلو انها بذلت لنا لم تبذل » .

٢٣ـ وقال البحترى :

سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّماءُ عَلَيْهِمُ ... مُحْمَرَّةً فكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا[6]

---

(١) زيادة من ط

(٢) ديوانه ٣٣٣

(٣) البيتان له فى الصناعتين ٢٣٤ والأول غير منسوب فى ديوان المعانى ١/ ٢٥١ « من ضمره » وفى ط « من رقة »

(٤) م « ممنوعا ممنوعا » و ط « ممنوعا منيعا » ورواية صدره فى الصناعتين : « ومن البلية أننى »

(٥) ديوانه ٧٣٠ والصناعتين ٣٣٤ وفى إعجاز القرآن ٣٣٩ « فالبيت — على ماتكلف فيه من المطابقة وتجشم الصنعة — ألفاظه أوفر من معانيه ، وكلماته أكثر من فوائده ، وتعلم أن القصد وضع العبارات فى مثله ، ولو قال : هى ممنوعة مانعة ، كان ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ، ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان »

(٦) ديوانه ٦٨٤ والوساطة ٢٥٢

وهذا مثل قول الحِنتِف بن السِّجْف الضَّبِّى[١] ويجوز أن يكون أخذه منه :

وَفَرَّقْتُ بين ابْنَىْ هُتَيْمٍ بطَعْنَةٍ ... لَها عانِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ إزارا[٢]

قوله : «لها عاند» يعنى الدم .

٢٤ ــ وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى[٣] :

وَإِنِّى لَيَدْعُونِى لِأَنْ أَسْتَزِيدَها ... فُؤَادِى ، فأَخْشَى سُخْطَها وَأَهابُها[٤]

ونحوه قول البحترى ويجوز أن يكون منه أخذ[٥] .

وَعَتَبْتِ مِنْ حُبِّيكِ حَتَّى إنَّنِى ... أَخْشَى مَلامَكِ أَنْ أَبُثَّكِ مَابى[٦]

٢٥ ــ وقال أبو نُوَاس :

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا ... مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ[٧]

---

(١) قال الشيخ « محمد محيى الدين عبد الحميد » : « لم يتم لنا مع كثير المراجعة تحقيق هذا الاسم » .

وقد ترجم له الآمدى فى المؤتلف والمختلف ١٠٧ ، وقال : « وهو الذى قتل ابنى هتيم العامريين : عامراً ، وطارقا ، من بنى عوف بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . عادى بينهما فقتلهما ، وهزمت بنو عامر ، فقال الحتف فى ذلك :

وفرقت بين ابنى هتيم بطعنة ... لها عاند يكسو السليب إزارا
وجدت بنفس لا يجاد بمثلها ... وقد كان نبح النابحات هرارا
حفاظا وذبا عن حريمى ونصرة ... ولم أتحمل فى المواطن عارا

(٢) ط « ابنى هميم » . وفى الوساطة٢٥٢ « ابنى هشيم » وهو تحريف فيهما . ويؤكد صواب المخطوطة ورواية المؤتلف والمختلف أن الفرزدق قال فيهما ــ كما فى ديوانه ٨٥٨ ــ :

ونحن قتلنا ابنى هتيم وأدركت ... بجيراً بنا ركض الذكور الصلادم

وفى النقائض ٣٨٨ : « ابنى هتيم : هما من بنى عمرو بن كلاب ، قتلهما بنو ضبة يوم دارة مأسل ، وهو يوم أخذوا إبل النعمان » . وفى الوساطة « لها عائد » وهو تحريف .

(٣) ط « عبد الرحمن » وهو تحريف . ويؤيد ما فى م فى شرح الحماسة التبريزى ١٠٨/١ ، ٣٤٤/٢ والمرزوق ١١٠/١ ، ٨٧٩/٢

(٤) ط « وأخشى » .

(٥) ط « أخذه منه » .

(٦) ديوانه ٣٤١ .

(٧) ديوانه ٥٩ طبع الحلبى . وفى م و ط « منك يبكى » .

أخذه البحترى فقال :

فَكَمْ لَكَ فى الأَمْوَالِ مِنْ يَوْمِ وَقْعَةٍ
طَــوِيلٍ مِنَ الأَهْوَالِ فِيهِ عَوِيلُها[1]

٢٦ ـ وقال جابر بن السُّلَيك الهمْدانى :

أَرْمِى بِهَا اللَّيْلَ قدَّامِى فَتنغشِم بى ... إذ الكَوَاكِبُ مِثْلُ الأَعْيُنِ الحُولِ[2]

أخذه البحترى فقال :

وَخَــدَانُ الْقِلاَصِ حُولا إذا قَا ... بَلْنَ حُولاً مِنْ أَنجُمِ الأَسْحَارِ[3]

٢٧ ـ وقال عُرْوة بن الوَرْد :

مُطِلاًّ عَلَى أَعْـدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ ... بِسَاحَاتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيحِ الْمُشَهَّرِ[4]
فإِنْ بَعُدُوا لا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ ... تَشَوُّفَ أَهْلِ الغَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ[5]

---

(١) ديوانه ١٧٨٢/٣ م « من الأموال » وهو تحريف

(٢) ط « فيهشم » وهو تحريف . ومعنى فتغشم بى : أى تمضى مسرعة لا تلوى على شىء

(٣) ديوانه ٤٤٥ ، ٩٨٧/٢ وعبث الوليد ١٩٧

(٤) ديوانه ٧٨ ، ٨٠ وجمهرة أشعار العرب ١١٥ والشعر والشعراء ٦٥٨/٢ والأصمعيات ٣٩ وشرح الحماسة للمرزوقى ٤٢٣/١ ، ٤٢٤ والتبريزى ٣٩٥/١ والكامل ١١٦/١ وشرح الشواهد الكبرى للعينى بهامش الخزانة ٦٥٢/٣ والخزانة ١٩٦/٤ واللسان ٧٥/٧ والميسر والقداح ٦٤ . مطلا : أى مشرفا على أعدائه ، أى يغزوهم أبدا فهو مطل عليهم ، يعنى عاليا عليهم . يزجرونه أى يصيحون به كما يزجر القدح إذا ضرب به . والمنيح ههنا : الثامن من القداح وهو لا نصيب له ، وإنما يجال لتكثير القداح . وقبل البيت :

ولكن صعلوكا صفيحــة وجهه ... كضوء شهاب القابس المتنور

قال المرزوقى يقول : ولكن الفقير الوضىء الوجه الذى يبذل جهده ويبتذل نفسه فى طلب غناه ويقصر سعيه على ما يبلغ عذره فيشرف على أعدائه غازيا ومغيرا وهم يزجرونه حالا بعد حال ، ويكرهو عليهم وقتا بعد وقت كما يزجر هذا القدح فى خروجه ومع ذلك يرد »

(٥) يقول : إن بعد أعداؤه لم يهله بعدهم أن يغزوهم ولا يأمنون ذلك منه ، فهم ينتظرونه فى كل ساعة كما ينتظر أهل الغائب غائبهم متى يقدم ، فأعينهم إليه يتشوفونه

أَلَمَّ به البحتري فقال :

فَتَرَى الأَعَادِى ما لَهُمْ شُغُلٌ إلا تَوَهُّمَ مَوْقِعِ يَقَعُهْ[١]

٢٨ ـ وقال البحترى :

عَلَىَّ نَحْتُ الْقَوَافِى مِنْ مَقَاطِعِها وَمَا عَلَىَّ لَهُمْ أَن تَفْهَمَ الْبَقَرُ[٢]

ذكر «على بن يحيى المنجّم» أن البيت للمجثم[٣] الرّاسبى ، وكان شاعرًا اتصل بمحمد بن منصور بن زياد فكسب معه [ألف] ألف دينار[٤] فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد البرمكى فأساء صحبته ، فهجاه ، فقال[٥] :

شَتَّانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ حَىٌّ أَمَاتَ وَمَيِّتٌ أَحْيَانِى
فَصَحِبْتُ حَيًّا فِى عَطَايا مَيِّتٍ وَبَقِيتُ مُشْتَمِلاً عَلَى الخُسْرَانِ

* * *

فهذا ما مرّ بى من سرقات[٦] البحترى من أشعار الناس على تَتَبُّعٍ فخرَّجتها. ولعلى لو استقصيتها لكانت نحو ما خرجته من سرقات أبى تمام أو تزيد[٧] عليها ، وعلى أنى قد بيضت فى آخر الباب[٨] ، فمهما مر بى [من] شىء [منها] ألحقته به ، إن شاء الله تعالى .

(١) ديوانه ٢٣٧ ، ٢/ ١٢٥٠
(٢) ديوانه ٦٧٣ وفى ط « على إذا لم »
(٣) م « وأن البيت للمختمر »
(٤) ك ، ط « درهم »
(٥) م « وقال »
(٦) ط « سرقة »
(٧) م « أو زيد »
(٨) ط « انى . . . الكتاب »

## وهذا ما أخذه البحترى من معانى أبى تمام خاصة

مما نقلته من صحيح ما خرَّجه أبو الضياء : بشر بن يحيى[١] الكاتب ؛ لأنه استقصى ذلك استقصاءً بالَغَ فيه حتى تجاوزه[٢] إلى ما ليس بمسروق .

فكفانا مؤونة الطلب .

١ـ قال أبو تمام :

فَسَوَاءٌ إجابَتِى غَيْرَ داعٍ ... وَدُعائِى بِالْقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبِ[٣]

فقال البحترى :

وَسَأَلْتَ من لا يَسْتَجِيبُ فَكُنْتَ فِى ... استخْبَارِهِ كَمُجِيبِ مَنْ لا يَسْأَلُ[٤]

* * *

٢ـ وقال أبو تمام :

فكادَ بِأَنْ يُرَى لِلشَّرْقِ شَرْقاً ... وَكادَ بِأَنْ يُرَى لِلغرْبِ غَرْبَا[٥]

فقال البحترى :

فأكُون طَوْراً مَشْرِقاً لِلمَشْرِقِ الْـ ... أقْصى وَطَوْراً مَغْرِباً لِلمَغْرِبِ[٦]

* * *

٣ـ وقال أبو تمام :

وإذَا أرادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ[٧]

---

(١) ط « بشر بن تميم »

(٢) ط « تجاوز »

(٣) ديوانه ٣٦ والموشح ٣٣١ وفى شرح التبريزى ١٢٦/١ « يقول : لست ممن يقف على الأطلال يخاطبها ويبانها ويشركها فى زعمه فى لوعته ويستحملها على تقديره بعض جزعه ، فسواء عندى فى الاستحالة أن أجيب من غير أن أدعى ، وأن أدعوها لا يجيب . » وفى م « ودعائى الفقر » وهو تحريف .

(٤) ديوانه ٢٥ ، ١٧٥٤/٣ والموشح ٣٣١ وفى ط « وسألت مالا . . وكنت »

(٥) الموشح ٣٣٩

(٦) ديوانه ٦٠١ والموشح ٣٣٩

(٧) سبق ص ١٣٨

فقال البحترى :

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إذا أَنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْها بِحاسِدِ (١)

٤ ـ وقال أبو تمام :

فإنْ تَكُنْ وَعْكَةٌ قَاسَيْتَ سَوْرَتَها فالْوِرْدُ حِلْفٌ لِلَيْثِ الْغَابَةِ الأَضَمِ (٢)

إنَّ الرِّياحَ إذا مَا أَعْصفَتْ قَصَفَتْ عِيدانَ نَجْدٍ وَلَمْ يَعْبَأْنَ بالرَّتَمِ (٣)

فقال البحترى :

وَلَسْتَ تَرَى شَوْكَ الْقَتَادَةِ خَائِفاً رياحَ السَّمُومِ الآخِذاتِ مِنَ الرَّنْدِ (٤)

وَلاَ الْكَلْبَ مَحْمُوماً وَإنْ طَالَ عُمْرُهُ أَلَا إنَّمَا الحمَّى عَلَى الأَسَدِ الْوَرْدِ (٥)

٥ ـ وقال أبو تمام :

رَأَيْتُ رَجَائى فِيكَ وَحْدَكَ هِمَّةً وَلَكِنَّهُ فى سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ (٦)

فقال البحترى :

ثَنَى أَمَلِي فَاحْتَازَهُ عَنْ مَعَاشِرٍ يَبِيتُونَ وَالآمالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ (٧)

---

(١) ديوانه ٥٤ والموشح ٣٣٩ وأخبار أبى تمام ٧٧ والمختار من شعر بشار ٧٠ وزهر الآداب ٢٠٢/١ وفى م، ك « ولن تستثير »

(٢) ديوانه ٣١٥ وشرح التبريزى ٢٧٩/٣ « فإن يكن وصب عانيت سورته » وفى ط « تكن وقعة » والورد : الحمى ، والأضم : الغضبان

(٣) فى شرح التبريزى : « يقال عصفت الريح وأعصفت ، بمعنى . والعيدان : جمع عيدانة وهى النخلة الطويلة ، وربما استعمل ذلك فى السدر . والرتم : ضرب من الشجر »

وأخطأ الشيخ محيى الدين فى قوله : « نجد : شجر » وهو فى هذا الخطأ تابع لمحيى الدين الخياط الذى يقول فى تعليقه على الديوان : « النجد : شجر كالتيرم » ! وفى م ، ك « ولم يعرضن للرتم »

(٤) ديوانه ٢١٤ « عود القتادة » وفيه وفى ط « سموم الرياح »

(٥) هذا البيت مقدم على سابقه فى الديوان وروايته : « وما الكلب » والورد : الذى يشبه لونه لون الورد ، كما فى اللسان ٤٧٠/٤

(٦) ديوانه ١٩٢ وشرح التبريزى ٣٣٣/٢

(٧) ديوانه ٧٢ وفى م « والآمال فيك »

٦ـ وقال أبو تمام :

بمُحَمَّدٍ وَمُسَوَّدٍ وَمُحَسَّدٍ ... وَمُكَفَّرٍ ومُمَدَّح وَمُعَذَّلِ[(١)]

فقال البحترى :

ذاكَ المُسَـــوَّدُ والمُمَجَّـ ... ـدُ والمكَفَّرُ وَالمُحَسَّدْ[(٢)]

٧ـ وقال أبو تمام :

وَقَدْ قَرَّبَ المَرْمَى البَعِيدَ رَجَاؤُهُ ... وَسَهَّلَتِ الأَرْضَ العَزَازَ رَكائِبُهْ[(٣)]

فقال البحترى :

أَدَارَ رَجاهُ فاغْتَدَى جَنْدَلُ الفَلا ... تُرَابًا ، وقَدْ كانَ التُّرَابُ جَنَادِلَا[(٤)]

٨ ــ وقال أبو تمام :

رَافِــعٌ كَفَّهُ لِبِرِّى فَمَا أَحْـ ... ـسَبُهُ جاءَنِى لِغَيْرِ اللَّطَامِ[(٥)]

فقال البحترى :

وَوَعْدُ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسٍ انْـ ... ـقبَاضِهِمُ أَوَعْدٌ أَمْ وَعِيدُ[(٦)]؟

---

(١) ديوانه ٢٣٦ وشرح التبريزى ٣ / ٤٤ وقبله :

حتى تقر عيــوننا وقلوبنا ... بالمـاجد المتقبل المستقبل

وفى الديوان « بمحمد ومكند » وهو تحريف صوابه : « ومكفر » كما فى الشرح ، والمكفر : المعظم من قولهم : كفر الذمى إذا وضع يديه على صدره وهو يريد التعظيم الرئيس والخضوع له . كما قال الشاعر :

فإذا سمعت بحرب قيس بعدها ... فضعــوا السلاح وكفروا تكفيرا

(٢) ديوانه ٥٨٣ « المرجى والمبجل والمؤمل والمحسد » و ط « المحمد والمسود والمكرم »

(٣) شرح التبريزى ١/٢٣٣ وفى الديوان ٤٥ « العرار » وهو تحريف . والعزاز : الصلب من الأرض

(٤) ديوانه ٧١١ وفى م « أدار رواه »

(٥) فى ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزى ٣/٢١٠ « رافعاً » وفى الديوان و ط « لسبرى » وشرحه الشيخ محيى الدين بالاختبار ، وهو خطأ

(٦) ديوانه ٤١٤

٩ ـ وقال أبو تمام :

وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاهُ أَحْلَى عَلَى أُذُنَيْهِ مِنْ نَغَمِ السَّمَاعِ[١]

فقال البحترى :

نَشْوَانَ مِنْ طَرَبِ السُّؤَالِ كَأَنَّمَا غَنَّاهُ مَالِكُ طَيِّئٍ أَوْ مَعْبَدُ[٢]

١٠ ـ وقال أبو تمام :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ فإذا لَقُوا فكأنَّهُمْ أَغْمَارُ[٣]

فقال البحترى :

مَلِكٌ لَهُ فِى كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ إِقْدَامُ غِرٍّ واعْتِزامُ مُجَرَّبِ[٤]

١١ ـ وقال أبو تمام :

لا المَنْطِقُ اللَّغْوُ يَزْكُو فى مَقاوِمِهِ يَوْماً ، ولا حُجَّةُ المَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ[٥]

فقال البحترى :

إنْ أَغْفَلوا حُجَّةً لم يُلْفَ مُسْتَرِقاً لَهَا ، وَإن وَجِمُوا فى الأَمرِ لم يَجِمِ[٦]

١٢ ـ وقال أبو تمام :

مَجْدٌ رَعَى تَلَعاتِ الدَّهْرِ وَهْوَ فَتًى حَتَّى غَدا الدَّهْرُ يَمْشِى مِشْيَةَ الْهَرِمِ[٧]

---

(١) ديوانه ١٩٤ وشرح التبريزى ٢/٣٣٩ « معتف يرجوه » وقد وضع هذا البيت فى م مكان بيت البحترى السابق

(٢) ديوانه ٦٩٠ والوساطة ٢٠١ وأخبار أبي تمام ٨١ « يطرب السؤال » وكذلك فى ك

(٣) سبق ص ٧٨

(٤) ديوانه ٦٠٢ « إقدام ليث »

(٥) شرح التبريزى ١/٢٥٤ وفى الديوان « حجة الملهوب » وهى خطأ . وشرحها ناشره بقوله : الملهوب : المهيج ، ونقل هذا الشرح الشيخ محيى الدين ! والمقاوم : جمع مقام

(٦) ديوانه ٦٥٤ وط « وإن يهموا فى القول لم يهم » ولم يهم : لم يخطىء

(٧) ديوانه ٢٦٩ وشرح التبريزى ٣/١٨٧ وفى اللسان ١٩/٣٨٥ « والتلعة : أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع إلى تلعة أسفل منها . وهى مكرمة من المنابت » وفى م « قلعات » وهو تحريف

فقال البحترى :

صَحِبُوا الزَّمَانَ الفَرْطَ إلا أنَّهُ … هَرِمَ الزَّمَانُ وعِزُّهُمْ لَمْ يَهْرَمِ[(١)]

١٣ـ وقال أبو تمام :

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالْوَرَى … مَعِى ، ومتى مَا لُمْتُهُ لمتهُ وَحْدِى[(٢)]

فقال البحترى :

أَأَشْكُو نداهُ بَعْدَ ماوَسِع الْوَرَى … وَمَنْ ذَا يَذُمُّ الغَيْثَ إِلَّا مُذَمَّمُ[(٣)]

١٤ـ وقال أبو تمام :

الْبِيدُ وَالعِيسُ واللَّيْلُ التَّمامُ مَعاً … ثَلاَثَةٌ أَبَدًا يُقْرَنَّ فِى قَرَنِ[(٤)]

فقال البحترى :

أُطْلُبا ثالِثاً سِـوَاىَ فإنِّى … رَابعُ العيسِ وَاللَّجى وَالْبِيدِ[(٥)]

١٥ـ وقال أبو تمام :

وما نَفْعُ مَنْ قَدْ ماتَ بالأَمْسِ صَادِياً … إذا مَا سماء اليَوْمِ طالَ انْهِمَارُهَا[(٦)]

فقال البحترى [وقصر] :

واعْلَمْ بأَنَّ الغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ … لِلنَّاسِ ما لَمْ يَاتِ فى إبَّانِهِ[(٧)]

---

(١) ديوانه ١٢٥ ، ٤ /٢٠٨٤ المعارف والفرط : المتقدم

(٢) ديوانه ١٢٩ وشرح التبريزى ٢/ ١١٦ ومعاهد التنصيص ١/٣٧ وأخبار أبي تمام ٢٠٤ وهبة الأيام ١٥٥ وسر الفصاحة ٩٥ . وفى ط « وإذا ما لمته »

(٣) ديوانه ٦٨ وفى ط « بعد أن »

(٤) سبق ص ٨٣

(٥) سبق ص ٨٤

(٦) ديوانه ٣٩٩ وشرح التبريزى المخطوط ٧٤٠ ولكن الشيخ محيى الدين عدها غلطا وصوبها « بات » لتوافق رواية الديوان . وفى ط « إذا ما السماء »

(٧) ديوانه ٧٠٦

١٦ـ وقال أبو تمام :

تَــكادُ مَغانِيهِ تَهَشُّ عِراصُها ... فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إلَى كُلِّ رَاكِبِ(١)

فقال البحترى :

لَوْ أنَّ مُشْتاقاً تَكَلَّفَ فوق ما ... فِى وُسْعِهِ لَمَشَى إليْكَ الْمِنبَرُ(٢)

١٧ـ وقال أبو تمام :

وَكَيْفَ احْتمالِى لِلسَّحابِ صَنيعَةً ... بإسْقَائِهَا قَبْرًا وفى لَحْدِهِ البَحْرُ(٣)

فقال البحترى :

مَلآنُ مِنْ كَرَمٍ ؛ فَلَيسَ يَضُرُّهُ ... مَرُّ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَهْوَ جَهامُ(٤)

١٨ـ وقال أبو تمام :

فَلْيَشْكُرُوا جنْحَ الظَّلاَمِ وَدَرْوَذًا ... فَهُمُ لِدَرْوَذَ والظَّلامِ مَوَالِى(٥)

فقال البحترى :

نَجا وَهْوَ مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَهَا ... عَلَيْهِ ، وَمَنْ يُولَ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرِ(٦)

---

(١) ديوانه ٤١ وفى شرح التبريزى ١/٢١٢ « العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار ، واستعار لها المشاشة التى هى البشر والأريحية . يقول : من شهوته لإعطاء المال وبذله تكاد عراض مغانيه تسير إلى من يسير إليها طالبا نيله »

(٢) ديوانه ١٨ ، ٢/١٠٧٣ و ط « ولو . . . غير ما »

(٣) سبق ص ٩٢

(٤) ديوانه ٤٨٩ ، ٣/١٩٥٠ والجهام : السحاب الذى فرغ ماؤه

(٥) شرح التبريزى ٣/١٣٩ وفى الديوان ٢٦٢ و ط « ودروزافهم لدروز » وفى م « واشكروا فهم له رود » وهو تحريف

(٦) ديوانه ٤٠٠ ، ٢/٩٨٥ « مضى وهو »

١٩ـ وقال أبو تمام :

أَنْتَ الْمُقِيمُ فَمَا تَغْدُ رَوَاحِلُهُ    وَعَزْمُهُ أَبَدًا مِنْهُ عَلَى سَفَرِ (١)

فقال البحترى :

مُسَافِرٌ وَمَطَــايَاهُ مُحَلَّلَةٌ    غُرُوضُهَا وَمُقِيمٌ وَهْوَ مُرْتَحِلُ (٢)

٢٠ـ وقال أبو تمام :

وَتَشَرَّفُ الْعلْيا ، وَهَلْ بِكَ مَذْهَبٌ    عَنْهَا وَأَنْتَ عَلَى الْمَكَارِمِ قَيِّمُ ؟ (٣)

فقال البحترى :

مُتَقَلْقِلِ الْعَزَمَاتِ فِى طَلَبِ الْعُلا    حَتَّى يَكُونَ عَلَى الْمَكَارِمِ قَيِّمَا (٤)

٢١ـ وقال أبو تمام :

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِــدٍ    وَلا الْمَجْدُ فِى كَفِّ امْرِئٍ وَالدَّرَاهِمُ (٥)

فقال البحترى :

لِيَفِرْ وَفْرُكَ الْمُوَفِّى وَإِنْ أَعْـ    وَزَ أَنْ يُجْمَعَ النَّدَى وَوُفُورُهُ (٦)

---

(١) ديوانه ٤٠٠ وشرح التبريزى المخطوط ٧٤١ وفى ط « فما تعلوا » وفى م « فما تسرى . . وعزمه . على سهر » وفى ك « فما نسرى رواحله وطرفه . . على سهر »

(٢) ديوانه ٧١٨ ، ١٧٦٤/٣ والغروض : جمع غرض ، وهو حزام الرحل . وفى م «مسافرون . . . عروضها » وهو تحريف

(٣) تشرف : أى تطلع لها . وضبط فى ط تبعا لضبط الديوان بضم التاء وكسر الراء ، وهو خطأ . وفى م و ك « على المعالى » .

(٤) ديوانه ٢٣٠ وفى م و ك « مقلقل الأحشاء . . . على المعالى »

(٥) ديوانه ٢٨٦ وفى شرح التبريزى ١٧٨/٣ « أى كما لا يجتمع السير نحو الشرق والغرب فى حالة واحدة من سائر واحد ، كذلك لا يجتمع الشرف والمعالى لرجل مع إمساكه المال ؛ لأن المجد يكتسب ببذل المال وإتلاف الرغائب »

(٦) ديوانه ٥٠٧ ، ٢/٢ ٩١٢ المعارف « وفرك الملق » وفى م « ليفسر وفرك . . أن تجمع » وهو تحريف

٢٢ ـ وقال أبو تمام :

فَوَقَّرْتَ يَافُوخَ الْجَبَانِ عَلَى الرَّدَى    وَزِدْتَ غَدَاةَ الرَّوْعِ فِى نَجْدَةِ النَّجْدِ[١]

فقال البحترى :

وَيَغْدُو وَنَجْدَتُهُ فى الْوَغَى    تُدَرِّبُ نَجْدَاتِ فُرْسَانِهِ[٢]

٢٣ ـ وقال أبو تمام :

ما زالَ وَسْوَاسِى لِعَقْلِى خادِعاً    حَتَّى رَجا مَطَرًا وَلَيْسَ سَحابُ[٣]

فقال البحترى :

وَعَجِيبٌ أَنَّ الْغُيُوثَ يُرَجِّيـ    ـهِنَّ مَنْ لا يَرَى مَكَانَ الْغُيُومِ[٤]

٢٤ ـ وقال أبو تمام :

بكلِّ صَعْبِ الذُّرَى مِنْ مُصْعَبٍ يَقِظٍ    أَقَامَ مُتَّئِدًا أَمْ سَارَ مُعْتَزِمَا[٥]

فقال البحترى :

لا يَبْرَحُ الْحَزْمُ يَسْتَوْفِى صَرِيمَتَهُ    أَقَامَ مُتَّئِدًا أَمْ سَارَ مُعْتَزِمَا[٦]

٢٥ ـ وقال أبو تمام :

لَرَدَدْتُ تُحْفَتَهُ عَلَيْهِ وَإِنْ عَلَتْ    عَنْ ذاكَ وَاسْتَهْدَيْتُ بَعْضَ خِصَالِهِ[٧]

---

(١) ديوانه ١٣٢ وفى شرح التبريزى ١٢٣/٢ « ووقرت : من الوقار ، يقال : هو مطمئن الهامة عند الفزع : إذا كان رابط الجأش» وفى م « وزدن غداة » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٥٧٣ وفى م « نجدان » وهو تحريف

(٣) ديوانه ٤٨٨ وشرح التبريزى المخطوط ٧٠١ وفى م « زجا » وهو تحريف

(٤) ديوانه ١٩٣٧/٤٧٠ وفى ط « أن الغيوم »

(٥) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزى ١٦٩/٣ « إن حل متئداً أو » « من مصعب : أى من بنى مصعب رهط إسحاق بن إبراهيم الممدوح . والمعنى : من كل صعب الذرى يقظ من بنى مصعب يقول : أكثرت القتل بمعونة كل صعب جسور من بنى مصعب ، متيقظ فى حالتى حلوله ومسيره »

(٦) ديوانه ٥٣٢ « عزيمته » وفى اللسان ٢٢٧/١٥ « والصريمة : العزيمة على الشىء وقطع الأمر » .

(٧) ديوانه ٢٣٩ وفى شرح التبريزى ٥٧/٣ وقبله :

لو كان يهدى لامرئٍ ما لا يرى    يهدى لعظم فراقه وذياله

وقال أبو تمام أيضاً[١] :

وَانْفحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيمِكَ نَفْحَةً … إِنْ كَانَتِ الأَخْلاقُ مِمَّا تُوهَبُ[٢]

فقال البحترى :

لا تَسَلْ رَبَّكَ الكثيرَ وَسَلْهُ … خَصْلَةً تَسْتَفِيدُها مِنْ خِصَالِه[٣]

٢٦ ـ وقال أبو تمام :

غَرِيبَةٌ تُؤْنِسُ الآدَابَ وَحْشَتُهَا … فَمَا تَحُلُّ على قَوْمٍ فَتَرْتَحِلُ[٤]

فقال البحترى :

ضَوَارِبَ فى الآفاقِ لَيسَ بِبَارِحٍ … بِهَا مِنْ مَحَلٍّ أَوْطَنَتْهُ ارْتِحَالُها[٥]

٢٧ ـ وقال أبو تمام :

كأنَّمـــا خامَرَهُ أَوْلَقٌ … أَوْ غَازَلَتْ هامَتَهُ الْخَنْدَرِيسْ[٦]

فقال البحترى :

وَتَخَالُ رَيْعانَ الشَّبابِ يَرُوعُهُ … مِنْ جِنَّةٍ أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلِ[٧]

---

= أى لو كان يهدى لامرئ ما لا يتهيأ إهداؤه لعظم فراقه إذا زال عن صاحبه – لرددت تحفته وسألته أن يهدى لى بعض خصاله المحمودة ، ولكن لا سبيل إلى ذلك . وفى م « ازددت لحفته . . . وإن غلت فى السوم » . وفى ك : « وإن غلت فى السوم »

(١) م « وقوله »

(٢) ديوانه ٤٠ وفى شرح التبريزى ١ / ١٤٤ « يقول : خذ العبد إليك ، وأعطنى من أخلاقك ما هو أحسن منه ، وإن كان الكريم إذا وفد وفداً لم يرتجعه »

(٣) ديوانه ٥٧٢ « الخطير وسله خصلة تستعيرها »

(٤) ديوانه ٢٢٩ يقصد بالغريبة : قصيدته

(٥) ديوانه ٢٢٤ ، ٣ / ١٦٩٤ ويريد بالضوارب : قصائده الغريبة . وفى ط « ليس بنازح »

(٦) ديوانه ١٧٩ وشرح التبريزى ٢ / ٢٨٠ . خامره : أى خالط هذا الفرس الموصوف . أولق : جنون ، وغازلت من مغازلة النساء ، ذكره مستعاراً . والخندريس : الخمر القديمة . وفى م و ك « أو خالطت »

(٧) ديوانه ٢ ، ٧٣٢ / ٣ ، ١٧٤٨ « وتظن » والأفكل : الرعدة كما فى اللسان ١٤ / ٤٥

٢٨ ـ وقال أبو تمام :

حَمْدٌ حُبِيتَ بِهِ وَأَجْـرٌ حَلَّقَتْ مِنْ دُونِهِ عَنْقَاءُ لَيْلٍ مُغْرِبُ (١)

فقال البحترى :

فَأَنْتَ تُصِيبُ الحَمْدَ حَيْثُ تَلَأْلَأَتْ

كَوَاكِبُهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تُصِبِ الأَجْرا (٢)

٢٩ ـ وقال أبو تمام :

تُدْعَى عَطاياهُ وَفْرًا وَهْىَ إِنْ شُهِرَتْ كانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَعْفُوهُ مُؤْتَنِفَا (٣)

فقال البحترى :

وإذا اجْتَدَاهُ المجْتَدُونَ فإِنَّهُ يَهَبُ الْعُلَى فى سَيْبِهِ المَوْهُوبِ (٤)

٣٠ ـ وقال أبو تمام :

وَتَلْبَسُ أَخْـلاقاً كِراماً كأَنَّهَا عَلَى الْعِرْضِ مِنْ فَرْطِ الْحَصَانَةِ أَدْرُعُ (٥)

فقال البحترى :

قَوْمٌ إذا لَبِسُوا الدُّرُوعَ لِمَوْقِفٍ لَبِسُوا مِنَ الأَحْسَابِ فِيهِ دُرُوعَا (٦)

---

(١) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزى ١/١٣٤ يعنى غلاما كان وهبه له الحسن بن سهل . يقول كما قال الصولى : قد جلب إليك هذا الغلام حمداً وشكراً لما أهديته إلى ، ولكن ليس لك فى إهدائه أجر ، لأنك أهديته لأسوبه الحرام ، فكأن أجره طارت به عنقاء مغرب . وفى م « مجد . . . به وأخر . . . . معرب » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٥٥٩ و م « وأنت . . . المجد »

(٣) ديوانه ٢٠١ وشرح التبريزى ٢/٣٦٥ ومؤتنفا : أى مستقبلا ، ويعفوه : يسأله ، ووفراً : أى غنى ؛ لأن كل من أعطاه هذا فقد استغنى عن الناس كلهم ، وهو يعطى سرا وجهراً ، فعطاياه فى السر إن شهرت كانت فخراً مؤتنفاً وشرفاً مستطرفا لسائله ، لأنه شريف العطاء ، فمن أعطاه أكسبه إعطاؤه فخراً وغنى

(٤) ديوانه ١٧٧ « فى نيله الموهوب » والسيب والنيل : العطاء ، واجتداه : سأله . ١/٢٤٨ معارف

(٥) ديوانه ٣٧٣

(٦) ديوانه ٢٥٨ ، ٢/١٢٥٥ « لبستهم الأعراض فيه دروعا » وفى م و ك « لبستهم الأجساد » .

٣١ ــ وقال أبو تمام :

لَمَّا أَظَلَّتْنِي غَمَامُكَ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهْيَ شُهُودِي(١)

فقال البحترى :

وَمُعْتَرِضِينَ إِنْ حاوَلْتُ أَمْرًا بِهِمْ شَهِدُوا عَلَيَّ وهُمْ شُهُودِي(٢)

٣٢ ــ وقال أبو تمام :

أَنْضَرَتْ أَيْكَتِي عَطاياكَ حَتَّى صارَ ساقاً عُودِي وكانَ قَضِيبَا(٣)

فقال البحترى :

حَتَّى يَعُودَ الذِّئْبُ لَيْثاً ضَيْغَماً والْغُصْنُ سَاقاً والْقَرَارَةُ نِيقَا(٤)

٣٣ ــ وقال أبو تمام :

* فَمَا تَصْطادُ غَيْرَ الصَّيدِ(٥) *

فقال البحترى :

* تصطاد الفوارس صيدها(٦) *

---

(١) ديوانه ٨٤ وشرح التبريزى ١/٤٠١ « يقول : أصغيت إلى قولى وتحققت أمرى فكف أعدائى فعلك معى »

(٢) ديوانه ٢٨٤ : إن عظمت أمراً » وفى ط « ومعترضون »

(٣) ديوانه ٢٨ وفى شرح التبريزى ١/ ١٧٩ « أى جعلتها نضيرة ، والنضارة : الخضرة ، وأصل الأيكة الشجر الملتف » وفى ك « حتى عاد غصنى ساقا »

(٤) ديوانه ٧٢٥ والصناعتين ٢٢٨ . والنيق : الجبل الطويل كما فى اللسان ١٢/ ٢٤٢

(٥) بقية البيت كما فى ديوانه ٨٢ وشرح التبريزى ١/٣٨٩ :

وحشية ترمى القلوب إذا اغتدت وسنى فما . . . . .

قال المرزوقى : « وحشية : يجوز أن يكون أراد أنها فى حسنها كالوحشية ، ويجوز أن يكون أراد أنها تنفر عن الريب ، فكأنها وحشية . وقوله : فما تصطاد غير الصيد ، يجوز أن يكون عنى أنه لا يرومهن ولايهم بهن إلا الكبار من الرجال المتكبرون ، لعزتهن وجلالهن فى النفوس ، ويجوز أن يكون أراد أنهن لا يتواضعن إلا لرمى الرجال المعجبين بأنفسهم ظرفاً وعزة . قال الصولى : وسنى : كأنها ناعسة من النعمة

(٦) تتمته كما فى ديوانه ٤٦٥ :

على أنى أخشى على دار أمنها بنى الروع يصطاد . . .

٣٤ ـ وقال أبو تمام :

الآنَ حِينَ غَرَسْتُ فِى تِلْكَ الرُّبَى ... تِلْكَ الْمُنَى وبَنَيْتُ فَوْقَ أَسَاسِ (١)

فقال البحترى :

غُفْلُ الرِّجالِ بَنَوْا عَلَى جَدَدِ الثَّرَى ... لَمَّا بَنَوْا ، وبَنَيْتُ فَوْقَ أَسَاسِ (٢)

٣٥ ـ وقال أبو تمام :

فَعَلامَ الصُّدُودُ فى غَيْرِ جُرْمٍ ... والصُّدُودُ الْفِراقُ قَبْلَ الْفِراقِ (٣)

فقال البحترى :

عَلَى أَنَّ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ النَّوَى ... لَدَىَّ ، وَعِرْفَانَ الْمَشِيبِ هُوَالعَذْلُ (٤)

٣٦ ـ وقال أبو تمام :

وَفَتًى إذا جَنَفَ الزَّمَانُ فَمَا يُرَى ... إلاَّ إلى عَزَمَاتِهِ يَتَظَلَّمُ (٥)

فقال البحترى :

وَلَوْ أَنْصَفَتْنِى سُرَّ مَرَّاءُ لَمْ أَكُنْ ... إلى العِيسِ مِنْ إيطَانِهَا أَتَظَلَّمُ (٦)

(١) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزى ٢/٢٥٢ « فالآن . . . فى كرم الثرى » وفى ط « فى كرم النـدى » .

(٢) فى ديوانه ٣٨٦ :

فإذا بنى غفل الرجال بنى على ... جدد بنيت على ذرى وأساس

(٣) ديوانه ٤٥٣ وشرح التبريزى المخطوط ٦٨٤ .

(٤) الوساطة ٢٣٢ وفى ديوانه « النوى المشت وعرفان » .

(٥) ديوانه ٢٨٦ وشرح التبريزى ٣/٢١٤ « ظلم الزمان » وهما روايتان . وفى م و ك « خيف »

(٦) ديوانه ٦٧ وفى ط « من قطانها » وإيطانها : اتخاذها وطنا ،

وقال الشيخ محيى الدين « العيس : جمع أعيس ، وهو الكريم من الإبل ، وأراد بها الرجال الكرام » وقد أصاب فى نقل معنى العيس ، وأخطأ فى بيان المراد منها . ذلك أن البحترى لم يرد من العيس أى شىء غيرها ؛ لأنه يقول : لو أنصفتنى مدينة سرمن رأى لأقمت بها ولم أعمد إلى العيس متظلما من توطنها لتزيل ظلامتى بالارتحال عنها ، وبعد البيت :

لقد خاب فيها جاهد وهو ناطق ... وأعطى منها وادع وهو مفحم

٣٧ ــ وقال أبو تمام :

مِنْ دَوْحَةِ الكَلِمِ الَّذِى لَمْ يَنْفَكِكْ ... وَقْفاً عَلَيْكَ رَصِينُهُ مَحْبُوسا (١)

فقال البحترى :

وَلَكَ السَّلامَةُ والسَّلامُ فإِنَّنِى ... غَادٍ وَهُنَّ عَلَى عُلاكَ حَبائِسُ (٢)

٣٨ ــ وقال أبو تمام :

وكَذَاكَ لَمْ تُفْرِطْ كآبَةُ عاطِلٍ ... حَتَّى يُجاوِرَها الزَّمَانُ بِحَالِ (٣)

فقال البحترى :

وَقَدْ زادَها إِفْرَاطَ حُسْنٍ جِوَارُهَا ... خَلائِقَ أَصْفارٍ مِنَ المَجْدِ خُيَّبِ (٤)

٣٩ ــ وقال أبو تمام :

وما العُرْفُ بالتَّسْويفِ إلاَّ كَخُلَّةٍ ... تَسَلَّيْتَ عَنْها حِينَ شَطَّ مَزارُها (٥)

فقال البحترى :

وكُنْتُ وَقَدْ أَمَّلْتُ مُرًّا لِحَاجَتِى ... كَطالِبِ جَدْوَى خُلَّةٍ لا تُوَاصِلُ (٦)

٤٠ ــ وقال أبو تمام :

آسادُ مَوْتٍ مُخْدِراتٌ مالَها ... إلا الصَّوَارِمَ والقَنا آجامُ (٧)

---

(١) ديوانه ١٧٨ وشرح التبريزى ٢/٢٧٣ « الكلم الذى . . . رصينها »

(٢) ديوانه ٣٨١ وقبله :

هذى القصائد قد زففت صباحها ... تهدى إليك كأنهن عرائس

(٣) ديوانه ٢٦٠ وشرح التبريزى ٣/١٣٢ « بحالى »

(٤) ديوانه ٧٥ والضمير فى زادها يعود على أخلاق الممدوح المذكورة فى البيت السابق ١/١٩٢ من ك .

(٥) ديوانه ٣٩٩ وشرح التبريزى المخطوط ٧٤٠ « وما النفع » والخلة : الخليلة ، وشط : بعد .

(٦) ديوانه ٦٦٢ ، ٣/١٨٦٨ فى هجاء مر بن على بن مر ، الطائى ، وفيه « مراً لنائل » .

(٧) ديوانه ٢٨١ وشرح التبريزى ١٥٦ والمخدر : الذى اتخذ الأجمة خدراً . وفى م و ك « ما لها غير »

فقال البحترى :

حشدَتْ حَوْلَها سِباع المَوَالِي   وَالعَوَالِي غابٌ لِتِلْكَ السِّباعِ (١)

٤١ ـ وقال أبو تمام :

ولاذَتْ بِحِقْوَيْهِ الخِلافَةُ والتقَتْ   عَلَى خِدْرِها أَرْماحُهُ ومَناصِلُهْ (٢)

فقال البحترى :

لاذَتْ بِحقْوَيْهِ الخِلاَفَةُ ، إنَّهَا   قِسْمٌ لأَفْضَلِ هاشِمٍ فالأَفْضَلِ (٣)

٤٢ ـ وقال أبو تمام :

قَدْ جاءَنا الرَّشَأُ الَّذِى أَهْدَيْتَهُ   خِرِقاً وَلَوْ شِئْنا لَقُلْنا المَرْكَبُ (٤)

فقال البحترى :

حَمَلْتُ عَلَيْهِ فى سَبِيلِ فُتُوَّةٍ   هىَ الثَّغْرُ خَلْفَ المَجْدِ بَلْ تَفْضُلُ الثَّغْرَا (٥)

٤٣ ـ وقال أبو تمام :

وقَدْ تَأْلَفُ العَيْنُ الدُّجَى وَهْوَ قَيْدُها   وَيُرْجَى شِفَاءُ السُّمِّ والسُّمُّ قاتِلُ (٦)

---

(١) ديوانه ١٣٢ ، ٢/١٢٤٤ والعوالى : الرماح

(٢) ديوانه ٢٣١ وشرح التبريزى ٣/٢٦ وفى م « فالتقت » وهو تحريف . والحقو : الخصر ومشد الإزار من الجنب . والعرب تقول : عذت بحقود : إذا استجرت به واعتصمت ليمنعك

(٣) ديوانه ١٦ « عاذت بحقواك » ، ٣ / ١٦٢٧ « بحقويك »

(٤) ديوانه ٤٠ وفى شرح التبريزى ١/١٤٢ « يعنى الغلام الذى أهداه إليه الحسن بن وهب . والخرق : الذى قد دهش وتحير كأنه رشأ ، وهو مع ذلك يصلح للتمتع . وأصل الخرق الضعف فى القوائم من النعمة »

(٥) ديوانه ٥٥٩

(٦) ديوانه ٢٥٩ وفى شرح التبريزى ٣/١٢٨ « قال المرزوقى : المرذول من الأمور والمعضول من الأسباب قد يعلق الرجاء بهما إذ مست الحاجة إليهما ودعت الضرورة نحوهما ، كما أن العين الرمدة تنتفع بالظلمة وإن كانت قيداً لشعاعها . والسم كلحوم الحيات وما أشبهها يتداوى به وإن كان قاتلا فى نفسه »

فقال البحترى :

وَيَحْسُنُ دَلُّها والمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيل(١)

٤٤ ـ وقال أبو تمام :

أَوْرَقْتَ لِي وَعْدًا وَثِقْتُ بِنُجْحِهِ بِالأَمْسِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُثْمِرِ(٢)

فقال البحترى [وقصر] :

والوَعْدُ كالْوَرَقِ الْجَنِيِّ تَأَوَّدَتْ مِنهُ الغُصُونُ ونُجْحُهُ أَن يُثْمِرَا(٣)

٤٥ ـ وقال أبو تمام :

إِنَّ الهِلالَ إذا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيقَنْتَ أَنْ سَيَكونُ بَدْرًا كامِلا

فقال البحترى :

مِثْلُ الهِلالِ بَدَا فَلَمْ يَبْرَحْ بِهِ صَوْغُ اللَّيالِي فِيهِ حَتَّى أَقْمَرَا(٤)

٤٦ ـ وقال أبو تمام :

نَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إلى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ(٥)

فقال البحترى :

نَغْدُو فَإِمَّا اسْتَمَحْنا مِنْ مَوَاهِبِهِ فَضْلاً وَإِمَّا اسْتَفَدْنا مِنْهُ آدَابَا(٦)

---

(١) ديوانه ٣٠٠ ، ٣ / ١٨٢٢

(٢) م « لنا وعداً »

(٣) فى ديوانه ٣٧٧ « كالورق النضير . . . ونجحها » ولم يرو هذا البيت فى م و ك وورد بدله :

أفديك مورق موعد لم يغذنى من قول باع إنه لم يثمر

وليس له ، وإنما هو لأبى تمام ، كما فى ديوانه ٣٩٧ وشرح التبريزى المخطوط ٧٤٧

(٤) ديوانه ٣٧٨ ، ٢/٩٧٩ .

(٥) ديوانه ٥٢ وشرح التبريزى ١/٢٧٦ . ترمى : أى العيس . وفى م « بنا أشباحنا » وفى أخبار أبى تمام ١٧٧ « تحمل أشباحنا »

(٦) م « استجنا » . . وفيها وفى ك : « وإما استعرنا »

٤٧ ـ وقال أبو تمام :

وَمَا خَيْرُ بَرْقٍ لاحَ فِى غَيْرِ وَقتِهِ ... وَوَادٍ غَدَا مَلْآنَ قَبْلَ أَوَانِهِ(١)

فقال البحترى :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِى إِبَّانِهِ(٢)

٤٨ ـ وقال أبو تمام :

لا يَكْرُمُ النَّائِلُ المُعْطَى وَإِنْ أُخِذَتْ
مِنْهُ الرَّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ(٣)

فقال البحترى :

عَلَّمْتَنِى الطَّلَبَ الشَّرِيفَ ورُبَّمَا ... كُنْتُ الْوَضِيعَ مِنِ اتِّضَاعِ مَطَالِبِى(٤)

٤٩ ـ وقال أبو تمام :

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ ... نَفَساً بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَا(٥)

فقال البحترى :

رَاحَتْ بِرَبْعِكَ الرِّيَاحُ مَرِيضَةً ... وَأَصَابَ مَغْنَاكِ الْغَمَامُ الصَّيِّبُ(٦)

---

(١) ديوانه ٣٢٠ وشرح التبريزى ٣/٢٩٦

(٢) ديوانه ٧٠٦ وسبق ص ٣٢٨

(٣) ديوانه ٤٨ وشرح التبريزى ١/٢٥٠ « لن يكرم الظفر . . . به الرغائب » وفى ط « السائل المعطى » قال المرزوقى : « إنما العرف يكرم والنوال يشرف ، متى صين طلب العافى الزائر من المطل ، ولم يهن ولم يبتذل بالتسويف والدفاع »

(٤) ديوانه ٦٩٨ وفى ط « وإنما كنت » . ١ / ١٦٢ معارف

(٥) سبق ص ١٠٧ ، ١٦١

(٦) سبق ص ١٦٢ وفى ط « ضعيفة » ( ٦٨٢ )

٥٠ ـ وقال أبو تمام :

الْوُدُّ لِلْقُرْبَى ولكِنْ رِفْدُهُ لِلأَبْعَدِ الأَوْطَانِ دُونَ الأَقْرَبِ(١)

فقال البحترى :

بَلْ كَانَ أَقرَبَهُمْ مِنْ سَيْبِهِ سَبَباً مَنْ كانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمَا(٢)

٥١ ـ وقال أبو تمام :

شَرْخٌ مِنَ الشَّرَفِ المُنِيفِ يَهُزُّهُ هَزَّ الصفيحَةِ شَرْخُ عُمْرٍ مُقْبِلِ(٣)

فقال البحترى :

أَدْرَكْتَ مَا فَاتَ الكُهُولَ مِنَ الحِجَى

فى عُنْفُوانِ شَبَابِكَ المُسْتَقْبَلِ(٤)

٥٢ ـ وقال أبو تمام :

بَعَثْنَ الْهَوَى فِى قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائِماً

فَقُلْ فى فُؤَادٍ رُعْنَهُ وَهْوَ هَائِمُ(٥)

---

(١) سبق ص ١٧٥

(٢) سبق ص ١٨٨ وفى م « من حزمه » وهو تحريف

(٣) شرح التبريزى ٣/٥٠

وقد ظن الشيخ محيي الدين أن قوله : « شرخ عمر مقبل » خطأ فغيره إلى « عمر مبقل » ليوافق ما فى الديوان ص ٢٣٧ وقال فى شرحه نقلا عن هامش الديوان أيضاً : « الشرخ : العرق . والمنيف ؛ العالى ، والصحيفة : السيف العريض . والشرخ الثانى : أول الشباب ، والغمر : الكريم ، والمبقل : الذى نبت شعر وجهه » .

ورواية الديوان محرفة . والمراد بالشرخ الأول : الأصل . والممدوح بالبيت أبو الوليد بن أحمد بن أبى دؤاد الإيادى .

(٤) ديوانه ٦٨٢ ولم يرد هذا البيت فى م و ك وورد بدله فيهما :

فاسلم لشرخ مكارم مستقبل أنف وبرد شبيبة مستقبل

والبيت ليس للبحترى ولكنه لأبى تمام فى ديوانه بعد بيته السابق ، وروايته فيه : « فاسلم لجدة سؤدد . . »

(٥) ديوانه ٢٨٥ وشرح التبريزى ٣/١٧٧ بعثن : أى الحمائم المذكورة فى البيت قبله .

فقال البحترى :

فَبَعَثْنَ وَجْدًا لِلْخَلِيِّ وَزِدْنَ فِى ... بُرَحَاءِ وَجْدِ الْهَائِمِ الْمُسْتَهْتَرِ[١]

٥٣ ـ وقال أَبو تمام :

غُرَّةٌ بُهْمَةٌ أَلَا إِنَّمَا كُنْـ ... ـتُ أَغَرًّا أَيَّامَ كُنْتُ بَهِيمَا[٢]

فقال البحترى :

عجبَتْ لِتَفْوِيفِ الْقَذَالِ وَإِنَّمَا ... تَفْوِيفُهُ لَوْ كانَ غَيْرَ مُفَوَّفِ[٣]

٥٤ ـ وقال أَبو تمام :

وَما زالَتْ تُجِدُّ أَسًى وَشَوْقاً ... لَهُ وَعَلَيْهِ إِخْلَاقُ الرُّسُومِ

فقال البحترى :

فَهَيَّجَ وَجْدِى رَبْعُهَا وَهْوَ سَاكِنٌ ... وَجَدَّدَ شَوْقِى رَسْمُهَا وَهْوَ مُخْلِقُ[٤]

٥٥ ـ وقال أَبو تمام :

تَرَاهُ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ الْمَعَالِى ... فَتَحْسِبُهُ يُدَافِعُ عَنْ حَرِيمِ[٥]

فقال البحترى :

حامٍ عَنِ الْمَكْرُمَاتِ مُجْتَهِدًا ... ذَبَّ الْمُحَامِى عَنْ مَالِهِ وَدَمِهْ[٦]

---

(١) ديوانه ٣١ « وجد العاشق »

(٢) ديوانه ٢٩١ وشرح التبريزى ٣/٢٢٣ ، « والبهمة : من قولك : فرس بهيم ، وهو الذى لا يخالط لونه غيره ، كأنه أبهم عن الشيات أى أغلق دونها من أبهمت الباب إذ أغلقته . وجاز أن يجعل نفسه بهيما لأنه أراد الشعر وأنه أيام كان أسود لم تكن له غرة ، أى شيب » . وفى ك : « غرة سرة » .

(٣) ديوانه ٣/١٤١٦ والشهاب ٧ فى الصحاح ٤/١٤١٢ « وبرد مفوف : أى فيه خطوط بيض . وفى م « وإنما تقويفه . . . مقوف » ! والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان .

(٤) ديوانه ٥١٨ « فحرك بثى . . . وجدد وجدى »

(٥) ديوانه ٢٨٨ وشرح التبريزى ٣/١٦١ .

(٦) ديوانه ١٩٥ « جهد المحامى » . ٤/٤٠٦٤ .

٥٦ ـ وقال أبو تمام :

تَنَصَّلَ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ... إلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالوِدَادِ (١)

فقال البحترى :

أُقِرُّ بِمَا لَمْ أَجْنِهِ مُتَنَصِّلاً ... إلَيْكَ ، عَلَى أَنِّى إخالُكَ أَلْوَمَا (٢)

٥٧ ـ وقال أبو تمام :

وَتَنِدُّ عِنْدَهُمُ الْعُلَى إلَّا عُلًى ... جُعِلَتْ لَها مِرَرُ القَصِيدِ قُيُودَا (٣)

فقال البحترى :

وَالْمَجْدُ قَدْ يَأْبِقُ عَنْ أَهْلِهِ ... لَوْلَا عُرَى الشِّعْرِ الَّذِى قَيَّدَهْ (٤)

٥٨ ـ وقال أبو تمام :

شَكَّ حَشَاها بِخُطْبَةٍ عَنَنٍ ... كَأَنَّهَا مِنْهُ طَعْنَةٌ خَلْسُ (٥)

فقال البحترى :

فرَّجْتَ جونتها بِخُطْبَةِ فَيْصَلٍ ... مِثْلُ لَهَا فى الرَّوْعِ طَعْنَةُ فَيْصَلِ (٦)

---

(١) ديوانه ٨١ وشرح التبريزى ١/٣٨٦ . ربها : أى صاحب القصائد المنزهة عن السرق المكرمة عن المعنى المعاد ، كما قال فى البيت الذى قبله

(٢) ديوانه ٩٥

(٣) ديوانه ٩٠ وشرح التبريزى ١/٤٢٦ . تند : أى تشرد وتذهب ماضية على وجوهها . عندهم : عند العرب الأول . والمرر بكسر الميم ـ جمع مرة ، وأصلها الحبل الذى أجيد فتله . يقول : إن المكارم إذا لم تقيد بالشعر تتفرق وتتبدد . وفى م و ك « مرر القريض » .

(٤) ديوانه ٣١٥ .

(٥) ديوانه ١٦٨ وشرح التبريزى ٢/٢٣١ والضمير فى « حشاها » يعود على حومة الخطاب التى قد فرجها الحسن بن وهب ببلاغته وبيانه ، كما قال أبو تمام فى بيته السابق . والعنن : المعترضة ، من قولهم : عن الشىء يعن ، إذا بدا لك ، وخلس أى مختلسة سريعة .

(٦) م « فرجت حوضها » . ولم يرد البيت فى ديوان البحترى .

٥٩ ـ وقال أبو تمام :

جَمٌّ التَّوَاضُعِ والدُّنْيَا بِسُؤْدَدِهِ تَكادُ تَهْتَزُّ مِنْ أَقْطَارِها صَلَفَا[1]

فقال البحترى :

أَبْدَى التَّوَاضُعَ لما نَالَهَا رِعَةً عَنْهَا ونالتْهُ فَاخْتَالَتْ بِهِ تِيهَا[2]

٦٠ ـ وقال أبو تمام :

إِذَا أَطْلَقُوا عنهُ جَوَامِعَ غُلِّهِ تَيَقَّنَ أَنَّ المَنَّ أَيْضاً جَوَامِعُ[3]

فقال البحترى :

وَفِى عَفْوِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ عُقُوبَةٌ
تُقَعْقِعُ فى الأَعْرَاضِ إِنْ لَمْ يُعَاقِبِ[4]

٦١ ـ وقال أبو تمام :

قصُرْ بِبَذْلِكَ عُمْرَ مَطْلِكَ تَحْوِلِى حَمْدًا يُعَمَّرُ عُمْرَ سَبْعَةِ أَنسُرِ[5]

---

(١) شرح التبريزى ٢ / ٣٦٤ وديوانه ٢٠١ « لسؤوده » وفى م « بادى التواضع » والصلف : التيه . أى هو كثير التواضع والدنيا تتكبر بمكانه

(٢) ديوانه ٢٨ « نالمادعة » وهو تحريف وفى ط « فنالته » والرعة : الورع

(٣) ديوانه ٤٨٠ يفخر بقومه . عنه أى عن الأسير الذى إذا أسروه لم يأسر البغى عفوهم عنه ، كما قال فى البيت قبله . وفى ط « أطلقوه عن » وفى م « غلة » وهو تحريف . والجوامع : جمع جامعة ، وهى الحديدة التى تجمع يد الأسير إلى عنقه

وقد أخطأ الشيخ محيى الدين إذ فسرها بقوله : « وهى ضرب من الحلى يجمع اليدين إلى العنق » !!! والغل : القيد

قال التبريزى فى شرحه المخطوط ٧٨١ « يقول : إذا منوا على الأسير فأطلقوه تيقن أنه من الصنيعة فى جوامع تمنعه من أن يحاربهم أو يعرض لهم بما يكرهون . وكأنه من قول الخارجى : غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها »

(٤) ديوانه ٧٢١ وفى ط « يعلمون » وفى م « فى الأعواذ وإن لم تعاقب » . ١ / ٨٢ معارف

(٥) ديوانه ٣٩٧ وشرح التبريزى المخطوط ٧٣٧ وفى ط « وعدك تحولى شكراً » وفى م « وعدى تحتوى » . وفى ك « شكراً يعمر »

فقال البحترى :

وَجَعَلْتَ فِعْلَكَ تِلْوَ وَعْدِكَ قَاصِرًا    عُمْرَ الْعَدُوِّ بِهِ وَعُمْرَ الْمَوْعِدِ(١)

٦٢ – وقال أبو تمام :

دَعَا شَوْقُهُ يا ناصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً    فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِى وَوَابِلُه(٢)

فقال البحترى :

نَصَرْتُ لَهَا الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِعَبْرَةٍ    تَلَاحَقُ فى أَعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا(٣)

٦٣ – وقال أبو تمام :

مِنْ لَيْلَةٍ فِى وَبْلِهَا لَيْلَاء    فَلَوْ عَصَرْتَ الصَّخْرَ صَارَ مَاء(٤)

فقال البحترى :

أَشْرَقْنَ حَتَّى كادَ يُقْتَبَسُ الدُّجَى    وَرَطبْنَ حَتَّى كادَ يَجْرِى الْجَنْدَل(٥)

٦٤ – وقال أبو تمام :

بِرٌّ بَدَأْتَ بِهِ وَدَارٌ بابُها    لِلْخَلْقِ مَفْتُوحٌ وَوَجْهٌ مُقفَلُ(٦)

فقال البحترى :

إلَامَ بابُكَ مَعْقُودٌ عَلَى خُلُقٍ    وَرَاءَهُ مِثلُ مَدِّ النِّيلِ مَحْلولِ(٧)

* * *

فهذا ما أخذ البحترى من أبى تمام .

---

(١) ديوانه ٤٦١ « تلو قولك » وفى ط « نيلك تلو »

(٢) سبق ص ٢٢١

(٣) ديوانه ٣٥٥ « بأدمع تلاحقن » وفى م « قصرت له » وفى ط « تواصل فى أعقاب »

(٤) ديوانه ٤١٣ وشرح التبريزى المخطوط ٧٥٣ والأول فيهما مؤخر عن الثانى

(٥) ديوانه ٢٦ طبع بيروت وأشرقن : أى أيام المتوكل

(٦) ديوانه ٢٤٠ وشرح التبريزى ٥٨/٣ وفى م « بدأن »

(٧) ديوانه ٢٧٦ « معقوداً . . . مثل ماء المزن »

ولعل قائلا يقول : [ إنى ] قد تجاوزت فى هذا الباب ، وقَصَّرْت ، ولم أَستقص[١] جميع ، ما خرَّجه « أبو الضياء : بشر بن يحيى »[٢] من المسروق . وليس الأَمر كذلك ، بل قد استوفيتُ جميعه [ فأَوضحت ][٣] ، وتسامحت بأَنْ ذكرتُ ما لعلَّه لا يكونِ مسروقاً ، وإن اتفق المعنَيَانِ أَو تَقاربا. غير أَنى اطَّرحت سائر ما ذكر « أبو الضياء » بعد ذلك لأَنه لم يقنع بالمسروق الذى يشهد التأَملُ الصحيحُ بصحّته[٤] حتى تعدَّى ذلك إلى التكثير ، وإلى أَن أَدخل فى الباب ما ليس منه ، بعد أَن قَدَّم مقدمة افتتح بها كلامه ،فقال :

" ينبغى لمن نظر فى هذا الكتاب أَن لا يَعْجَل بأَن يقول :[٥] هذا مأْخوذ من هذا ، حتى يتأَمل المعنى دون اللفظ ، ويُعْمل الفكر فيما خفى . وإنما المسروق[٦] فى الشعر ما نُقل معناه دون لفظه ، وأَبعد آخذُه فى أَخذه " .

قال : " ومن الناس من يبعد ذهنه إلا عن مثل[٧] امرئ القيس وطَرَفة حين لم يختلفا إلا فى القافية ، فقال أَحدهما : « وتجمَّل »[٨] ؛ وقال الآخر : « وتجلَّد » .

قال : " فنى الناس طبقة أخرى يحتاجون إلى دليل من اللفظ مع المعنى[٩] ، وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة [ اللفظ ][١٠] الظاهر ، وهم قليل " .

---

( ١ ) ط « ولم تستقص »
( ٢ ) ط « بشر بن تميم »
( ٣ ) من ط وفيها « وسامحت »
( ٤ ) م و ك « لصحته . . . ذاك إلى »
( ٥ ) ط و ك « ما هذا »
( ٦ ) ط و ك « السرق »
( ٧ ) ط « بيت » وفى ك « بيتى »
( ٨ ) م « وتجمل » .
( ٩ ) م « مع النفى »
( ١٠ ) الزيادة من م

فجعل هذه التقدمة[١] توطئة لما اعتمده من الإطالة والحَشْر[٢] ، وأن يُقْبَلَ منه كلُّ ما يورده ، ولم يستعمل – مما وصَّى به من التأمل وإعمال الفكر – شيئاً ، ولو فعل ذلك لرجوتُ[٣] أن يُوَفَّقَ لطريق الصواب ، فيعلم أن السرقة[٤] إنما هى فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر ، لا فى المعانى المشتركة بين الناس التى هى جارية فى عاداتهم ، ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظِّنَّة فيه عن الذى يورده أن يقال : [إنه] أخذه من غيره .

غير أن «أبا الضياء» استكثر من هذا الباب ، وخلَطَ به ما ليس من السَّرَقِ فى شىء ، ولا بين المعنيين[٥] تناسب ولا تقارب ، وأتى بضَرْب آخر ادّعى أيضاً فيه السرق والمعانى مختلفة ؛ وليس فيه إلا اتّفاق ألفاظ[٦] ليس مثلها مما يحتاج واحد أن يأخذه من آخر ؛ إذ كانت الألفاظ مباحة غير محظورة ، فبلغ غرضه فى توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب .

وأنا أذكر [فى كل باب] من هذه الأبواب أمثلة يستدل بها[٧] على صحة ما ذكرناه[٨] ، ونجعلها قياساً على ما لم نذكره ؛ فإن فى البعض غِنًى عن الإطالة بذكر الكل .

١ – فمما أورده «أبو الضياء» من المعانى المستعملة الجارية مجرى[٩]

(١) ط «المقدمة»
(٢) ط «والحشد» وفى ك «الحشو»
(٣) م و ك «لجوزت وأن» وهو تحريف
(٤) ط و ك «السرق إنما هو»
(٥) م «بين النقيضين»
(٦) م و ك «الألفاظ . . ما احتاج»
(٧) ط «تدل على . . ما ذكرناه ونجعلها»
(٨) فى ك «ما ذكرته . . . ما لم أذكر»
(٩) ط «مجارى»

الأمثال ، وذكر أن البحترى أخذه من أبى تمام – قول أبى تمام :

جَرَى الْجُودُ مَجْرَى النَّوْمِ مِنْهُ ؛ فَلَمْ يَكُنْ
بِغَيْرِ سَمَاحٍ أَوْ طِعَانٍ بِحالِمِ[١]

وقول البحترى :

وَيَبِيتُ يَحْلُمُ بِالْمَكَارِمِ والْعُلَى　　حَتَّى يكُونَ الْمَجْدُ جُلَّ مَنَامِهِ[٢]

وهذا المعنى[٣] موجود فى عادات الناس ، ومعروف فى [ معانى ] [٤] كلامهم ، وجارٍ[٥] كالمثَلِ على ألسنتهم ، بأن يقولوا لمن أحب شيئاً أو استكثر منه : فلان لا يَحْلُم إلاّ بالطعام ، وفلان لا يحلم إلا بفلانة من شدة وَجْده بها ، وهذا الزَّنْجى ما حُلْمه إلا بالتمر ، ولا يقال لما[٦] كانت هذه سبيله : سَرَق ، وإنما يقال له : اتفاق ، فإن كان واحد سمع هذا المعنى أو مثله من آخر واحْتذاه[٧] فإنما ذكر معنًى قد عرفه واستعمله ، لا أنه أخذه أَخْذَ سرق[٨]

٢ – وأنشد لأبى تمام :

إِذَا القَصَائِدُ كانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ　　يَوْماً فَأَنْتَ لَعَمْرِى مِنْ مَدائِحِها[٩]

وذكر أن البحترى أخذه فقال :

---

( ١ ) ديوانه ٣٨٥ « جرى المجد » وشرح التبريزى المخطوط ٦٥٥ وفيهما « بغير طعان أو سماح » . وفى ك « مجرى الروح »

( ٢ ) ديوانه ٤٣٢

( ٣ ) ط « وهذا الكلام . . . ومعروف فى معانى »

( ٤ ) الزيادة من ك

( ٥ ) م « وحاز »

( ٦ ) ط « لمن »

( ٧ ) ك و م « فاحتذاه فإنما ذكره بمعنى »

( ٨ ) ط « سرقة »

( ٩ ) ديوانه ٧٤ وشرح التبريزى ١ / ٣٥٧ وفى م و ك « فى مدائحهم » يقول : كما يفتخر هؤلاء بالقصائد تفتخر بك القصائد .

وَمَنْ يَكُنْ فاخِرًا بِالشِّعْرِ يُذْكَرُ فِي ... أَضْعَافِهِ فَبِكَ الأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ[١]

وهذا غلط على البحترى ؛ لأن الناس لا يزالون يقولون : فلان يَزِينُ الشباب ولا تزينه ، ويجمِّل الولايةَ ولا تجمّله ، وفلانة تزيدُ فى حسن الحلى ولا يزيد فى حسنها ، وفلان تفخر[٢] به الأنسابُ ولا يفخَر بها . وهذا ليس من المعانى التى يجوز أن يدعى أحد من الناس أنه ابتدعها واخترعها أو سَبَق إليها ، ولا يجوز أن يكون مثل هذا — إذا اتفق فيه خطيبان ، أو شاعران — أن يقال : [ إن ][٣] أحدهما أخذ من الآخر .

٣ — وأنشد لأبى تمام :

ثُمَّ انقَضَتْ تِلكَ السِّنُونَ وَأَهْلُها ... فَكأَنَّها وَكأَنَّهُمْ أَحْلامُ[٤]

وذكر أن البحترى أخذه فقال :

وَأَيامُنَا فِيكَ اللَّوَاتِي تَصَرَّمَتْ ... مَعَ الوَصْلِ أَضْغَاثٌ وَأَحْلامُ نَائِمِ[٥]

وكأنه ما سمع الناس يقولون : ما كان الشباب إلا حلماً ، وما كانت أيامنا[٦] إلا نومة نائم ، وما أشبه ذلك من اللفظ ، فكيف يجوز أن يكون ذلك[٧] مسروقاً ؟

٤ — وذكر أن من ذلك قول أبى تمام :

* قَدْ يُقْدِمُ العَيْرُ مِنْ ذُعْرٍ عَلَى الأَسَدِ[٨]

---

( ١ ) ديوانه ٦٥٧ ، ٢/٩٥٨ المعارف « بالشعر يمدح » وفى م « فالشعر يذكر وأصنافه قبل » وهو تحريف

( ٢ ) ط « تفتخر »

( ٣ ) زيادة من ط

( ٤ ) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزى ٣/١٥٢

( ٥ ) ديوانه ٤٤٧ « الوصل أم أضغاث أحلام » وفى م و ك « وأيامنا فيها »

( ٦ ) ط « أيامه »

( ٧ ) فى ك « مثل ذلك »

( ٨ ) صدره : « أطلت روعك حتى صرت لى غرضاً » كما فى ديوانه ٤٩٥ وشرح التبريزى المخطوط . ٧١٢

وقول البحترى :

فَجَاءَ مَجِيءَ الْعَيْرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ     إِلَى أَهْرَتِ الشِّدْقَيْنِ تَدْمَى أَظَافِرُهْ(١)

أَوَ لم يسمع ما(٢) هو كالمجمع عليه من أن الْعَير إذا رأى السبعَ أقبل إليه من شدة خوفه منه ، حتى صار مثلا يُتَمثل به ، كما يُتَمثل بالفَراشة إذا تهافَتَتْ فى النار ، وفى ذلك أشعار وأمثال كثيرة ، ما أظن علمَها سقط عن البحترى .

٥ - ومن ذلك قول أبى تمام :

هَيْهَاتَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ ثَوَى     بِالصِّينِ لَمْ تَبْعُدْ عَلَيْكَ الصِّينُ(٣)

وقول البحترى :

يُضْحِى مُطِلاًّ عَلَى الأَعْدَاءِ لَوْ : «وَقَفُوا
بالصِّينِ فى بُعْدِها مَا استَبْعَدَ الصِّينا(٤)

وهذا جارٍ على أفواه العامة والخاصة والنساء والصبيان أن يضربوا المثل فى البعد بالصين ، وأن يوقعوا التهديد(٥) به ؛ فيقولوا : لو أنك بالصين لما بعدت علىّ ، فكيف لا يهتدى البحترى إلى مثل(٦) هذا ؟

٦ - ومن ذلك قول أبى تمام :

كأَنَّ بَنِى نَبْهانَ يَوْمَ وفَاتِهِ     نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ(٧)

---

(١) ديوانه ٢٥١ وأهرت الشدقين : واسعهما

(٢) فى ك « بما »

(٣) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزى ٣/٣٢١ « لم يعلم : أى بابك الخرمى »

(٤) ك وط « لو وقعوا فى الصين من بعدها» . وفى ديوانه ٤/٢٢٠٣ المعارف « يمسى قريبا من الأعداء » وفى ط : « بالصين من بعدها » .

(٥) م « التهدد »

(٦) ليست فى ك

(٧) سبق ص ٧٢

وقول البحترى :

فَإِذا لَقِيتَهُمُ فَمَوْكِبُ أَنْجُمٍ     زُهْرٍ وَعَبْدُ اللهِ بَدْرُ الْمَوْكِبِ[١]

وهذا معنى متقدِّم مبتذَل ،[قد][٢] جاء به النابغة وغيره ، وكثر على الأَلْسُنِ حتى صار أشهر من كل مشهور[٣] .

وبيت أبى تمام خاصة فإنما سَرَقه على ساقته[٤] من مريم بنت طارق ترثى أخاها :

كُنَّا كأَنْجُمِ لَيْلٍ بَينَهَا قَمَرٌ     يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنا القَمَرُ[٥]

[ أو من قول جرير يرثى الوليد بن عبد الملك :

أمسى بنوه وقد جَلَّتْ مصيبتهم     مثل النجوم هوى ما بينها القمر ][٦]

٧ – ومن ذلك قول أبى تمام :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌّ     آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حضِيضُ[٧]

وقول البحترى :

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعَزْمٍ قائِمٍ     فى كُلِّ نائِبَةٍ وَجَدٌّ قاعِدِ[٨]

وهذان المعنيان جنسهما واحد ، ولفظهما مختلف ، وهما شائعان [ فى الكلام ][٩] وجاريان فى الأمثال ، يقال[١٠] : فلان عالى الهمة ، وهمته فى

(١) ديوانه ١٢٣
(٢) الزيادة من ك
(٣) ط « مشتهر »
(٤) ط « سياقه » وفى ك « سياقته »
(٥) سبق ص ٧٢ وفى ك « بيننا »
(٦) سبق ص ٧٢ وفى ك : « من بينها »
(٧) سبق ص ١٢٦
(٨) ديوانه ٤٦٤ « كل نازلة » وفى م « متحيز » وهو تحريف
(٩) زيادة من ط وك
(١٠) م و ك « بأن يقولوا »

الثريا وحاله فى الحضيض ، وفلان يسامى[١] بهمته [النجم] ولكن [قد] قَعَد به حَظُّه ، ونحو هذا من اللفظ ؛ فليس يجوز أن يَعْتَوِرَ هذا المعنى شاعران فيقال : [إن] أحدهما أخذ من الآخر .

٨- ومن ذلك قول أبى تمام :

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ الْوَدَاعِ[٢]

وقول البحترى :

مَا لِشَيْءٍ بَشَاشَةٌ بَعْدَ شَيْءٍ كَتَلَاقٍ مُواشِكٍ بَعْدَ بَيْنِ[٣]

وهذا معنى مستفيض معروف ، ومنه قول الحجاج [بن يوسف][٤] :

لولا فَرْحَة الأَوبات لما عذبتهم[٥] إلا بالأسفار .

وغرض كل واحد من هذين الشاعرين فى هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه ؛ لأن أبا تمام ذكر أنه لا يفرح بالقدوم إلا مَنْ شَجَاهُ وحَزَنه[٦] التوديع .

وأراد البحترى أنه ليس شىء من المسرة والجذَل إذا جاء فى أثر شىء ما كالتلاقى[٧] بعد التفرق .

فليس - وإن كان جنس المعنيين واحدًا - يصح[٨] أن يقال : إن أحدهما

---

(١) ط « سام » .

(٢) ديوانه ١٩٣ وفى شرح التبريزى ٣٣٦/٢ « أى لم يعرف ترح الوداع من قولهم : وقفت فلانا على أمرى فهو موقوف عليه ، أى من لم يجد ألما للفراق لم يجد فرحا باللقاء » .

(٣) ديوانه ٤٠٥ وطبع مصر ٢٩٤/٢ وفى ط « بين بعد » .

(٤) من ط .

(٥) ط « لما عرفتهم » وهو تحريف .

(٦) ط « وأحزنه » وفى اللسان ٢٦٦/١٦ « حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم ، وقد قرئ بهما » .

(٧) م و ك « للتلاق » .

(٨) م و ك « وجب أن » .

أخذ من الآخر : لأن هذا قد صار جارياً فى العادات ، وكثيرًا على الألسن ، فالتُّهمَةُ ترتفع عن أن يأخذه(١) واحد من آخر .

٩ – ومن ذلك قول أبى تمام :

لَهُمْ نَشَبٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سَمَاحٌ ... وَأَجْسَامٌ وَلَيْسَ لَهُمْ قُلوبُ(٢)

وقول البحترى :

خَلْقٌ ممثَّلَةٌ بِغَيْرِ خَلائِقٍ ... تُرْجى ، وَأَجْسَامٌ بِلا أَرْوَاحِ

وهذا المعنى(٣) أيضاً هو أعْرَفُ فى كلامهم وأشْهَرُ من أن يحتاج شاعرٌ أن يأخذه من آخر ، وهم دائماً يقولون : ما فلان إلاَّ شَبَحٌ من الأشباح ، وما هو إلاَّ صورة فى حائط ، أو جسد فارغ ، ونحو هذا من القول الشائع المشتهر .

١٠ – ومن ذلك قول أبى تمام :

لاَ تَدْعُوَنْ نُوحَ بْنَ عَمْرٍو دَعْوَةً ... لِلْخَطْبِ إلاَّ أَنْ يَكُونَ جَلِيلا(٤)

وقول البحترى :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ ! وَمَا أَنْتَ بالْمَدْ ... عُوِّ إلاَّ لِكُلِّ أَمْرٍ كُبارِ(٥)

ونسى قولَ الناسِ : اخْتَرْ لعظيم الحوائج العظيمَ من الناس(٦) ، ولكبار الأمور كبيرهم ، وقال رجل لابن عباس : إن لى إليك حاجة صغيرة ، فقال : اطلب لها رجلاً صغيرًا .

(١) ط « يأخذ أحد عن أحد »
(٢) م « لهم نسب » وهو تحريف
(٣) ط « وهذا الكلام »
(٤) ديوانه ٢٤ ، وشرح التبريزى ٣ / ٧٠
(٥) ديوانه ٤٤٦ والكبار : الكبير ، والبيت فى مدح أبى جعفر بن حميد
(٦) ك « عظيم الناس »

١١ – ومن ذلك قول أبى تمام :

بِيضٌ فَهُنَّ إذا رُمِقْنَ سَوافِرًا صُوَرٌ ، وَهُنَّ إِذا رَمَقْنَ صِوَارُ[١]

وقول البحترى :

أَنّى لَحَظْتِ فَأَنْتِ جُؤْذَرُ رَمْلَةٍ وَإذا صَدَدْتِ فَأَنْتِ ظَبْىُ كِنَاسِ[٢]

وهذا يشبه[٣] أعين النساء بأعين البقر : ويمثلهن بالصِّوَار ، وبالظباء . وجُلّ كلام العرب عليه يجرى ؛ فلا يكون الشعراء فيه إلاّ متفقين .

١٢ – ومن ذلك قول أبى تمام :

ولَقَدْ جَهَدْتُم أَنْ تُزِيلُوا عِزَّهُ فإذا أَبَانٌ قَدْ رَسَا وَيَلَمْلَمُ[٤]

وقول البحترى :

وَلَنْ يَنْقُلَ الحُسَّادُ مَجْدَكَ بَعدَمَا تَمَكَّنَ رَضْوَى واطْمأَنَّ مُتَالِعُ[٥]

وهذا المعنى أيضاً شائع من معانيهم[٦] ، وكثير فى أشعارهم ، ومنه قول الفرزدق :

فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنا ثَهْلانَ ذا الْهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلْحَلُ ؟[٧]

---

(١) ديوانه ١٤٥ وفى شرح التبريزى ٢/١٦٧ « يقول : إذا رآهن الناظر فكأنهن صور من حسنهن ، وقوله : وهن إذا رمقن صوار ، أى عيونهن تشبه عيون بقر الوحش إذا نظرت »

(٢) ديوانه ٣٨٥ ، ٢/١١٣٤ « إما » وفى ط « أنى لحظت » وفى ك « إما لحظت » والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، كما فى اللسان ٥/١٩٤

(٣) ط و ك « تشبيه . . . تمثيلهن والظباء »

(٤) ديوانه ٢٧٤ وشرح التبريزى ٣/٢٠٠ وفى م « جهدتهم عن وجهدتم . . . » وهو تحريف. وفى ك « ولقد جهلتم عزه وجهدتم » وأبان ويلملم : جبلان ، كما فى معجم ما استعجم للبكرى ١/٩٥ ، ٤/١٣٩٨

(٥) ديوانه ٧٣ ورضوى ، ومتالع – بضم الميم – جبلان كما فى معجم ما استعجم ٢/٦٥٥ ، ٤/١١٨١

(٦) م « من معانيه » و ط « من أشعارهم »

(٧) ديوانه ٢/٧١٧/ وفى اللسان ١٣/١٨٤ « ما يتحلل » أى ما يتحرك عن مكانه . وثهلان جبل باليمن أو بالعالية ، كما فى معجم ما استعجم ١/٣٤٧ وفى هامش ك : « الذى أعرف ثهلان ذو بالرفع »

وقوله يخاطب جريرًا [ أيضاً ] (١) :

* فَرُمْ حَضَناً فانْظُرْ مَتَى أَنْتَ ناقِلُهْ(٢) *

أفترى البحترى ما سمع بهذا(٣) من قول الفرزدق ولا من قول غيره فنقله كما سمعه أبو تمام فنقله ؟

١٣ – ومن ذلك قول أبى تمام :

وَفى شَرَفِ الْحَدِيثِ دَلِيلُ صِدْقٍ ... لِمُخْتَبِرٍ عَلَى شَرَفِ الْقَدِيمِ (٤)

وقول البحترى :

عَلَى أَنَّا نُوَكَّلُ بِالأَدَانِى ... وتُخْبِرُنا الفُرُوعُ عَنِ الأُصُولِ

وهذا معنى شائع فى الكلام أيضاً ، مشهور كثير على الأفواه أن يقولوا : [ إن ] (٥) العروقُ عليها ينبتُ الشجر ، ومَنْ أشبه أباه فما ظلم ، والعَصَى (٦) من العُصَيَّة ، والغصن من الشجرة ، ودلَّتْ على الأم السَّخلَةُ ، ومثل هذا لا يكون مأخوذًا مستعارًا .

١٤ – ومن ذلك قول أبى تمام :

ولِذَاكَ قِيلَ : مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ ... صِدْقٌ ،وفِىَ بَعْضِ القُلُوبِ عُيُونُ (٧)

وقول البحترى :

وَإِذا صَحَّتِ الرَّوِيَّةُ يَوْماً ... فسواء ظَنُّ امْرِئٍ وَعِيانُهْ (٨)

(١) زيادة فى ط

(٢) صدره كما فى ديوانه ٧٣٧ « فإن كنت ترجو أن توازن دارماً » وحضن جبل ، كما فى معجم ما استعجم ٢/٤٥٥

(٣) ط « سمع هذا . . . غيره حتى سمعه »

(٤) ديوانه ٢٨٩ وشرح التبريزى ٣/١٦٣

(٥) ديوانه ٣/١٦٧١

وتستولى الشكوك عليه مالم ... تخبر الأصول عن الفروع

(٦) الزيادة من ك

(٧) ديوانه ٣٢٩ وفى شرح التبريزى ٣/٣٢٦ « من قولهم : إن المؤمن ينظر بنور الله » وفى م « ولذلك »

(٨) ديوانه ٣١٩

وهذا أيضاً من الأمثال المشهورة المتداولة[١] السائرة ، وهو قولهم : ظنُّ [العاقل] كيقين [غيره] ومنه[٢] قول أوْس بن حَجَر :

الألمعىّ الّذِى يَظُنُّ بِكَ الظَّـ ـنَّ كأنْ قَدْ رَأى وقَدْ سَمِعَا[٣]

١٥ ــ و [من ذلك] قول أبى تمام :

لا نَجْمَ مِنْ مَعْشَر إلاّ وهِمَّتُهُ عَلَيْكَ دائرَةٌ يا أيُّها القُطبُ[٤]

[وقول البحترى :

ما دارَ للمكْرُمَاتِ مِنْ فَلَكٍ إلا وزَاكِى أفْعَالِه قُطُبُهْ ][٥]

وكأنه ما سمع قول الناس : فلان قُطْبُ هذا الأمر ، وعلى فلان مَدار القصة ، ونحو هذا من القول الذى يستغنى الإنسان بما جَرَى منه فى عاداته أن يستعيره من غيره .

١٦ ــ ومن ذلك قول أبى تمام :

وأقلُّ الأشْيَاءِ مَحْصُولَ نَفْعٍ صِحَّةُ القَوْلِ وَالْفَعَالُ مَرِيضُ[٦]

وقول البحترى :

وَمَا لِمِثْلِى فِى القَوْلِ مِنْكَ رِضاً والْقَوْلُ فى الْمَجْدِ غَيرُ مَحْسُوبِ[٧]

---

(١) ط « المشهورة المبذولة »

(٢) ط « ومن ذلك »

(٣) فى اللسان ١٠/٢٠٣ « قال الأزهرى : الألمعى : الخفيف الظريف . وأنشد قول أوس ابن حجر » والبيت فى الكامل ٣/١٢٠٥ ومعاهد التنصيص ١/١٨٢ وفى ك « يظن لك »

(٤) ديوانه ٥٠ وشرح التبريزى ١/٢٦١ وفى م « فى معشر »

(٥) ديوانه ١٩٨ وجاء فى ط مكان هذه الزيادة : « بقى بيت البحترى لم يذكره ، وهو هذا :

ودارت بنو ساسان طرا عليهم مدار النجوم السائرات على القطب »

وكان خليقاً بالشيخ محيى الدين أن يضع هذا الكلام فى هامش الكتاب أو يضعه بين علامتين ويشير إلى أنه من تعليق بعض القراء ، وليس من صلب الكتاب

(٦) ديوانه ١٨٣ وشرح التبريزى ٢/٢٩٣ وفى م « والفعال قريض » وهو تحريف

(٧) ديوانه ٦٦٥ « ولا لمثلى » وفى م « وما كمثلى » ١/٢٦٧ معارف

وأبو تمام زعَم أن رَوْنَق القول بالمواعيد لا يتحصَّل منه نفع إذا لم يكن فعال ، وجَعل الصحة فى القول والمرض فى الفعل[١] مثلين على[٢] الاستعارة .

والبحترى إنما[٣] ذكر أنه لا يرضى بالقول ؛ لأن القول لا يُحْتَسب به للماجد بغير فعل ؛ فالغرضان مختلفان ؛ والمعنى معنى واحد شائع جارٍ فى عادات الناس أن يقولوا[٤] : إنما زيد كلام ، وإنما عمرو قول بلا فعل . ومثل هذا – مع كثرته على الألْسُنِ – لا يقال : إنه مسروق .

١٧ – ومن ذلك قولُ أبى تمام :

سَتَرَ الصَّنِيعةَ فَاسْتَمَرَّ مُلَعَّناً ... يَدْعُو عَلَيْهِ النَّائِلُ[٥] الْمَظْلُومُ

وقول البحترى :

لَكَافِرٌ مِنْكَ فَضْلَ نُعْمَى ... وَسَتْرُ نُعْمَى الكَرِيمِ كُفْرُ[٦]

فذكر أبو تمام رجلا ذَمَّهُ بِسَتْرِ الصنيعة[٧] ، وجعله مُلَعَّناً يدعو عليه النائل [ المظلوم ][٨] ، على الاستعارة .

والبحترى ذكر أن سَتْرَ النُّعمى كفر . وكِلَا اللفظين مستعملان[٩] شائعان [ جاريان ] على الألسن ؛ فلا يقال لمن تكلم بأحد[١٠] اللفظين : إنه استعارهُ من آخر[١١]

---

(١) ط « فى الأفعال »
(٢) فى ط « فى »
(٣) ك « فإنما »
(٤) م « يقول »
(٥) ديوانه ٣٠١ وشرح التبريزى ٣/٢٩٣ «سرق الصنيعة فاستمر بلعنة». و فى ط « واستمر »
(٦) ديوانه ٧١ « لذاكر »
(٧) ك « يستره للصنيعة » –
(٨) زيادة من ط
(٩) م « مستعملين . . . ولا »
(١٠) ك « بأحدهما »
(١١) ط « من الآخر »

١٨ ـ ومن ذلك قول أبي تمام :

شَهِدْتُ جسيماتِ العُلَى وَهُوَ غَائِبٌ وَلَوْ كانَ أَيْضاً شَاهِدًا كانَ غَائِبَا[١]

وقول البحترى :

بَشِيرًا لَكُمْ فِيهَا نَذِيرًا لِغَيْرِكُمْ لدى شاهِدٍ عَنْ مَوْضِعِ الفَهْمِ غائب[٢]

وهذا المعنى أيضاً جارٍ على الأفواه ، ومستعمل فى الكلام ، يعرفه العام[٣] كما يعرفه الخاص . وذلك قولهم :فلان شاهد كغائب ، وحاضر كمَنْ لم يحضر ، وفلان سَوَاء والعَدمُ .

١٩ ـ ومن ذلك قول أبي تمام :

دَعِينِي علَى أَخْلَاقِيَ الصُّمِّ لِلَّتِي هِيَ الوَفْرُ أَوْ سِرْبٌ تَرِنُّ نَوَادِبُهْ[٤]

وقول البحترى :

وَخْدُ القِلَاصِ يَرُدُّنِي لَكَ بالْغِنَى فى بَعْضِ ذَا التَّطْوَافِ أَوْ يُرْدِينِي[٥]

وهذان المعنيان أصلهما واحد ، وهو قول امرئ القيس :

* نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[٦] *

---

(١) ديوانه ١٧ وشرح التبريزى ١/١٤٩ وجسيمات العلى : ضخامها . وفى م « حسيمان » وهو تحريف

(٢) م « لكم فيه بدراً » و ط « له شاهد . . . غائب » والذى فى ديوانه :

نصحتكم لو كان للنصح موضع لدى سامع عن موضع النصح غائب
نذيراً لكم منه بشيراً لكم بـه وما لى ،فى هاتين قولة .. كاذب

(٣) ط « العامة كما تعرفه الخاصة » .

(٤) ديوانه ٤٤ وشرح التبريزى ١/٢٢٧ وفى م « التى» ويروى : « أخلاق الصميل» وهى جمع صامل ، وهو الصلب الشديد . يريد أنه إذا عزم على أمر لم يسمع قول العاذل ، فكأن أخلاقه صم على معنى الاستعارة . وقوله : للتى هى الوفر ، أى للرحلة التى تؤدينى إلى الوفر ، أى المال . والسرب : الجماعة من النساء . يقول : دعينى أرتحل فإما أن أتمول وإما أن يقوم على سرب نساء يندبن » .

(٥) ديوانه ٢١١ وقبله وهو المطلع :

ليس الزمان بمعتبى فـذرينى أرمى تجهم خطبـه بجبينى

والبيت فى ديوانه طبع مصر ٢/٢٨٠ وإن قال الشيخ محيى الدين : « لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر » ! ! والوخد : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو فى المشى. والقلاص : جمع قلوص ، وهى الفتية من الإبل ، بمنزلة الجارية الفتاة من النساء . البيت فى ديوانه ٤/٢٢٣٣ المعارف

(٦) صدره كما فى ديوانه ٧٢ « فقلت له لاتبك عينك إنما »

وشهرته وكثرة استعمال الناس إياه ، يغني البحتري عن أن يقال : إنه أخذه أو استعاره .

٢٠ — ومن ذلك قول أبي تمام :

كُحِلتُ بقُبحِ صُورَتِهِ فأمْسى لَها إنْسَانُ عَيْنِي في السِّياق[1]

وقول البحتري :

شَكَوْتَ قَذًى بعَيْنِكَ بَاتَ يَدْمِي كأَنَّكَ قَدْ نَظَرْتَ إلَى طمَاسِ[2]

وهذا أيضاً من المعاني التي تمنع شهرتُها وابتذالُ العامة والخاصة لها من أن يقال : [إنها مسروقة ، و][3] إن واحدًا يشم[4] فيها بآخر .

* * *

١ — ومما جاء به « أبو الضياء » على أنه مسروق ، والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسب — قول أبي تمام :

واقْسِمِ اللَّحْظَ بَيْنَنَا إنَّ في اللَّحْـ ـظِ لَعُنْوَانَ مَا يُجِنُّ الضَّميرُ[5]

وقال البحتري :

سَلَامٌ وَإنْ كانَ السَّلامُ تَحِيَّةً فَوَجْهُكَ دُونَ الرَّدِّ يَكْفِي المُسَلِّمَا[6]

وأبو تمام سأل مَنْ يُخَاطبه أن يُقْبِل عليه ، ويجعل قِسْطاً من النظر له ؛ لأن[7] إدامة النظر تدلُّ على المودة ، كما أن الإعراض يدل على البغضة[8] .

(١) ديوانه ٥٠١ وشرح التبريزي المخطوط ٧٢٦ « فأضحى » وهو في هجاء ابن الأعمش
(٢) ديوانه ٧٣٦ وطماس : اسم المهجو
(٣) زيادة من ط
(٤) ط « اتَّهم »
(٥) ديوانه ٣٩٨ وشرح التبريزي المخطوط ٧٣٤
(٦) ديوانه ١٢٨ ، ٤/٢٠٨٩ المعارف
(٧) ط « فإن »
(٨) ط « البغض »

والبحتريُّ إنما سَلَّم على الهيثم الغَنَوِى ، وذكر أن السلام تحية ، وأن وجهه لجماله وطلاقته يكفِى المسلِّم قبل رَدِّه [السلام] . والمعنيان مختلفان ، وليس لواحد[1] منهما من الدقة والغرابة ما ينسب أحدهما [إلى] أنه مَحْذُوٌّ[2] على الآخر أو مسروق [منه][3] .

٢ – ومن ذلك قولُ أبى تمام :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوَ انَّ الأَرْضَ وَاسِعَةٌ ... كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ[4]

وقول البحترى :

مَفَازَةَ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ ... لِيَسْلُكَها فَرْدًا سُلَيْكُ الْمَقَانِبِ[5]

فأبو تمام ذكر أن رَحْبَ صَدْرِ الممدوح و[أن] سَعَته تزيد على سعة الأرض ، فأسرف ، وأخطأ فى المعنى بما قدمت ذكره[6] فى باب خطئه فى المعانى .

والبحتريُّ ذكر سَعَة صدر الممدوح ، وجعل له مفازة على الاستعارة ، وذكر أنه لو تطرق لم يكن ليسلكها سُلَيكٌ الذى لم يكن [ليكبر][7] عليه سلوكُ أرض[8] وإن عَرُضت وطالت .

وإنما[9] أرادا جميعاً سعةَ صدر الممدوح ، كما جرت العادة بهذا الضرب

---

(١) لكوم « بواحد . . . من الدقة »
(٢) م « مجذو »
(٣) زيادة من ط
(٤) سبق ص ٢٠٣
(٥) سبق ص ٢٠٤ . . . وفى م « بسلكها »
(٦) ط « بما قد ذكرته . . . خطائه »
(٧) زيادة من ط
(٨) ط « الأرض »
(٩) ك وم « فإنما . . جمعاً »

من المدح ، فأفرطا ، ولكن سَلَكَ كل واحد منهما معنًى غير معنى صاحبه [ كلما تَرَى ] (١) .

٣ – ومن ذلك قول أبي تمام :

إِنَّمَا البِشْرُ رَوْضَةٌ فإِذَا ما　　كانَ بِرٌّ فرَوضَةٌ وغَدِيرُ (٢)

وقول البحترى :

فَإِنَّ العَطاءَ الجَزْلَ ما لَمْ تُحَلِّهِ　　بِبِشْرِكَ مِثْل الرَّوْضِ غَيْرَ مُنَوِّرِ (٣)

فأراد (٤) أبو تمام [أن] البشر مع البر كالروضة والغدير .

وأراد البحترى أن العطاء متى (٥) لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور.

فليس بين المعنيين اتفاق إلا فى ذكر البشر والروض ، والألفاظ غير محظورة على أحد (٦) .

٤ – ومن ذلك قول أبي تمام :

وَإِنِّىَ مَا حُورِفتُ فِى طَلَبِ الغِنَى　　وَلكِنَّمَا حُورِفْتُمُ فِى الْمَكَارِمِ (٧)

وقول البحترى :

إِذَا ابْتَدَا بُخَلاءُ النَّاسِ عارِفَةً　　يَتْبَعُهَا المَنُّ فالمَرْزُوقُ مَنْ حُرِمَا (٨)

فأراد (٩) أبو تمام أنه ليس بمَحْدود ولا مُحَارَف فى ملتمساته ومطالبه ،

---

(١) زيادة من ط و ك

(٢) ديوانه ٣٩٨ وشرح التبريزى المخطوط ٧٣٤ « إن فى البشر .. كان ببذل » وفى ك « كان و بر »

(٣) ديوانه ٢٨٠ ، ٢/٨٩١ المعارف « وكان العطاء »

(٤) م و ك « وأراد »

(٥) ط « ما لم »

(٦) ط « واحد »

(٧) سبق ص ١٠٣ وفى م « ما جوزفت . . . العلى .. جوزفتم » وفى ك « العلى »

(٨) ديوانه ٥٣١ « إذا بدا »

(٩) م « وأراد . . . ولا مجازف »

ولكن الذى أَمَّهم(١) وطلب ما عندهم حُورِفوا(٢) فى مكارمهم . وأحسن فى المعنى واللفظ كلَّ الإحسان .

وأراد البحترى أن البخيلَ إذا امتنَّ بمعروفه فالمرزوق من حُرِم ذلك المعروف.

فهذا المعنى غير معنى أبى تمام ، وليس بينهما اتفاق ولا تقارب .

٥ ــ ومن ذلك قول أبى تمام :

إذا شَبَّ نارًا أَقْعَدَتْ كُلَّ قائمٍ ... وَقامَ لَها مِنْ خَوْفِهِ كلُّ قاعِدِ(٣)

وقول البحترى :

ومُبَجَّل وَسَطَ الرِّجَالِ خُفُوفُهُمْ ... لِقِيامِهِ وَقِيامُهُمْ لِقُعُودِهِ(٤)

وليس أحد المعنيين من الآخر فى شىء ؛ لأن أبا تمام أراد أن الممدوح إذا شبَّ نار الحرب أقعدت كل قائم [أى كل قائم] لقتاله ومنابذته : أى(٥) تُزْعِج كلَّ واحد خوفاً وفَرَقاً . وذلك مأخوذ من قول الفرزدق :

أَتانِى وَرَحْلى بِالْمَدِينةِ وَقْعَةٌ ... لِآلِ تَمِيمٍ أَقْعَدَتْ كلَّ قائِمِ(٦)

وقوله : « وقام لها من خوفه كل قاعد » أى : [أنه] زال(٧) عن الطمأنينة [والهدوء] والقَرَار فقام ، وإنما يريد انزعاج الخائف ؛ فجعل ذلك قياماً له.

والبحترى إنما(٨) ذكر أن الرجال [إنما](٩) يَخِفُّون لقيام ممدوحه ، أى :

---

(١) ك « أملهم »
(٢) م « أملهم . . . جوزفوا »
(٣) ديوانه ٣٦٦ وشرح التبريزى المخطوط ٦٣٦
(٤) ديوانه ٦٥٩
(٥) م وك « ومنابذته أو أراد الحجر لها كل أحد »
(٦) ديوانه ٢/٨٥٣
(٧) م « أزال »
(٨) م وك « فإنما »
(٩) زيادة من ط

يُسْرِعون بين يديه إذا قام ، فإذا قعد قاموا إجلالا وهَيْبَةً ، لأن[1] من شأنه أن لا يجلس أحد بجلوسه ، وأن يكون الناس كلهم قياماً إذا جلس .

فالمعنيان مختلفان ، وليس بينهما اتفاق إلا فى ذكر القيام والقعود ، والألفاظ مباحة .

٦ – ومن ذلك قولُ أبى تمام :

وَرُب يَوْمٍ كأَيَّامٍ تركْتَ بِهِ ... مَتْنَ الْقَناةِ وَمَتْنَ القِرْنِ مُنْقَصِفَا[2]

وقول البحترى :

فِى مَعْرِكٍ ضَنْكٍ تَخَالُ بِهِ القَنا ... بَيْنَ الضُّلُوعِ إذا انْثَنَيْنَ ضُلُوعا[3]

وليس بين المعنيين اتفاق إلا فى أن الشاعرين وصَفا حال الطعن بالقنا[4] كيف يقع ؛ فذكر ذلك أن ممدوحه يَقْصِفُ مَتْنَ القِرْنِ ومتن القناة ، وشَبَّه هذا انطواء الرماح واعوجاجَها – إذا وقعت[5] بضلوع القوم – باعوجاج ضلوعهم . وهذا من التشبيهات الظريفة العجيبة ، وهو المعنى الذى استغربه واستحسنه أبو تمام [لما أنشد البحترى محمد بن يوسف القصيدة ، وذلك أول اجتماعهما وتعارفهما] على ما يرويه الشاميون .

٧ – ومن ذلك قول أبى تمام :

بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَها ، قَلَّما تَعْـ ... ـرِفُ فَقْدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبَا[6]

---

(١) ط « وأن »
(٢) ديوانه ٢٠٣ وشرح التبريزى ٢/٣٧١ وفى م « منقضفا »
(٣) سبق ص ٩ وفى م وك « إذا انحنين »
(٤) م وك « القنا »
(٥) م « إذا وقفت »
(٦) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزى ١/١٦٦ وقبله :
وكعابا كأنما ألبستها ... غفلات الشباب برداً قشيبا
وفى ط « يعرف فقد »

وقول البحترى :

فَاضَلَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ عُسْرِىَ فِى ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَفَاضَلَتْ شُهُبُهْ[١]

وليس بين المعنيين تناسب [ولا تقارب] ؛ لأن أبا تمام ذكر أن موضع فقدها بَانَ ، وأنه[٢] قليلا ما يعرف فقد الشمس إلا بعد غروبها . وهذا جارٍ فى عادات الناس واستعمالهم ، أن يقولوا : لا تَعْرف فضل الإنسان حتى تفقده ، ولا تَعرف فضل[٣] العافية إلا عند البَلِيَّةِ ، [ولا] قَدْرَ الدرهم إلا عند الحاجة [إليه] .

والبحترى أراد أن عُسْرَه بَيْنَ له عن مراتب إخوانه ، وفَضْل بعضهم على بعض [فى معونته وبرّه ، كما تتفاضل الشهب فى ظلمة الليل وبين[٤] فضل بعضهم على بعض] ، وأراد بالشهب الكواكب . وهذا معنى لطيف جدًّا ، [و] ليس من معنى[٥] أبى تمام فى شىء .

* * *

[هذا][٦] ، ومما ادعى فيه «أبو الضياء» على البحترى السَّرِقَة والاتفاق فى أكثر ذلك إنما[٧] هو فى الألفاظ التى ليست بمحظورة على أحد ، وقد مضى فيما قبل من هذا الباب أبيات .

١ - فمن ذلك قول أبى تمام :

إنَّ الصَّفائحَ مِنكِ قدْ نُضِدَتْ عَلى مُلْقَى عِظامٍ لَوْ عَلِمْتِ عِظامِ[٨]

(١) ديوانه ١٩٨ « الإخوان عدمى» وفى م « إخوانى .. وعن » وفى ك « وعن ظلماء »
(٢) ط « وأنه قلما »
(٣) ك « قد »
(٤) ط « ويبين »
(٥) ط «من معانى »
(٦) زيادة من ط
(٧) ط « فى ذلك أكثر فإنما هو من الألفاظ .. محظورة »
(٨) ديوانه ٢٧٥ وقبله :
ياتربة المعصوم تربك مودع ماء الحياة وقاتل الإعدام
وفى شرح التبريزى ٣/٣٠٣ « ياحفرة » وفى م « نضدت لمحاسن إلى » وهو تحريف

وقول البحترى :

مَسَاعٍ عِظامٌ لَيْسَ يَبْلى جَدِيدُهَا وَإِنْ بَلِيَتْ مِنْهُمْ رَمَائِمُ أَعْظُمِ[١]

فأراد[٢] أبو تمام أن عِظام الرجل الذى رثاه عظام[٣] القدر .

وأراد البحترى أن مساعى القوم عظام لا يبلى جديدها وإن بَلِيَتْ عظامهم .

وليس ههنا اتفاق إلا فى لفظ العظام لا غير .

٢ – ومن ذلك قول أبى تمام :

لا يَدْهَمَنَّكَ من دَهْمائِهِمْ عَدَدُ فإنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ كلَّهم بَقَرُ[٤]

وقول البحترى :

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِى مِنْ مَقَاطِعِهَا وَما عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ[٥]

فأراد أبو تمام أنه لا يجب أن ينظر إلى كثرة عددهم ، فإن أكثرهم بقر.

وذكر البحترى أن عليه أن يُجيد القول ، وليس عليه أن تفهمه البقر .

وما ههنا [أيضاً] اتفاق إلا فى لفظ[٦] البقر .

٣ – ومن ذلك قول أبى تمام :

* لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقولَ وَتَفْعَلا[٧] *

---

(١) ديوانه ٤٨٧ ، ٣ / ١٩٤٨

(٢) م « وأراد . . . الذى رباه »

(٣) ط « عظيم »

(٤) ديوانه ١٥٠ وشرح التبريزى ٢/١٨٦ « فإن جلهم » أو « كلهم » وفى ط « أو جلهم » من دهمائهم : أى من جماعتهم .

(٥) سبق ص ٣٢٣ .

(٦) ط « لفظة » .

(٧) عجزه كما فى ديوانه ٢٥٢ وشرح التبريزى ٣/٩٨ — : « ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا » أى لقد هان علينا أن نسأل بالقول ، وتعطى أنت بالفعل ، ونمدحك ببعض ما فيك من الفضائل وتكافئنا بالإفضال علينا »

وقول البحترى :

إنَّ الخلِيفةَ لَيْسَ يَرْقبُ فِى الَّذِى حاوَلْتُ إلَّا أَنْ نَقُولَ وَيَفْعَلا[١]

والاتفاق ههنا إنما هو فى القول والفعل[٢] .

٤ – ومن ذلك قول أبى تمام :

وَمَا يَوْمُ زُرْتَ اللَّحْدَ يَوْمُكَ وَحْدَهُ عَلَيْنَا ، وَلٰكِنْ يَوْمُ زَيْدٍ وَحاتِمِ[٣]

وقول البحترى :

بأَبْيَضَ وَضَّاحٍ كَأَنَّ قَمِيصَهُ يُزَرُّ عَلَى الشَّيْخَيْنِ زَيْدٍ وَحاتِمِ[٤]

أَفْتَرى البحترى ما سمع بذكر زيد الخيل ولا[٥] حاتم الطائى اللذين تَفْخَرُ بهما اليمن كلها ، فيشبه ممدوحه بهما – إلا من بيت أبى تمام ؟

٥ – ومن ذلك قول أبى تمام :

لَعَمْرُكَ مَا كَانوا ثَلاثَةَ إِخْوَةٍ وَلكِنَّهُمْ كانوا ثَلاثَ قَبائِلِ[٦]

وقول البحترى :

كانُوا ثَلاثَةَ أَبْحُرٍ أَفْضَى بهِمْ وَلَعُ الْمَنُونِ إِلَى ثَلاثَةُ أَقْبُرِ[٧]

فجعلهم أبو تمام ثلاثَ قبائل ، وجعلهم البحترى ثلاثة أبحر .

---

(١) ديوانه ٣ / ١٨٧٧ « طالبت . . تقول فيفعلا » م « أن يقول »

(٢) م « وهو فى يقول ويفعلا »

(٣) ديوانه ٣٨٦ وشرح التبريزى المخطوط ٦٥٥ « يوم عمرو وحاتم » والبيت فى رثاء هاشم ابن عبد الله الخزاعى

(٤) ديوانه ٤٤٨ « بأروع من طى كأن »

(٥) م و ك « وحاتم »

(٦) ديوانه ٣٨١ وشرح التبريزى المخطوط ٦٥٠ ثلاثة أخوة ، يعنى بهم أبا نصر محمداً وهو الأكبر ، ومحمدا وقحطبة ، بنى حميد .

(٧) ديوانه ٦٨٠ ، ٢ / ١٠٣٢ « أفضى بها » .

وليس ههنا اتفاق إلا فى لفظ[١] ثلاثة .

٦ـ ومن ذلك قول أبى تمام :

كَساكَ مِنَ الأَنْوارِ أَبْيَضُ ناصِعٌ      وأحمــر قانٍ وأَصْفَرُ فاقِعُ[٢]

وقول البحترى :

مِنْ وَاضِحٍ يَقَقٍ وأَصْفَرَ فاقِعٍ      وَمُضَرَّجٍ جَسَدٍ وأَحْمَرَ قانِى[٣]

أفترى البحترى لم يكن ليهتدى إلى أصفر فاقع وأحمر قانٍ لولا بيت أبى تمام ؟

٧ـ ومن ذلك قول أبى تمام :

لَوْلَا مُرَاقَبَةٌ فيكمْ لَغَادَرَكُمْ      فَرِيسَةَ الْمُرْهَفَيْنِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ[٤]

وقول البحترى :

زِنْتَ الْخِلَافَةَ إِشْرَافاً وحِيطَةً      وَذُدْتَ عَنْ حَقِّها بالسَّيْفِ والْقَلَمِ[٥]

وكذلك أيضاً لم يكن البحترى يهتدى إلى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما [له] أبو تمام !

---

(١) ط « فى ذكر »

(٢) سبق ص ٣٠٦ باختلاف . وقد سقط من شرح التبريزى المخطوط . وفى م و ك « وأحمر ساطع »

(٣) ديوانه ٦٢٦ ومضرج : أى ملطخ ، والجسد : الدم ، كما فى اللسان ٩٤/٤

(٤) ديوانه ٢٧٠ وشرح التبريزى ١٩١/٣ « لولا مناشدة القربى لغادركم حصائد » ويروى : « لولا مناشدة فيكم »

(٥) ديوانه ٦٥٤ « سست الخلافة .. عن حوضها » وفى ط « إشرافا وقد حبطت » وفى م و ك « إشراقا »

٨ ـ ومن ذلك قول أبى تمام :

أَبَى لِىَ نَجْرُ الْغَوْثِ أَنْ أَرْأَمَ الَّتِى ... أُسَبُّ بِهَا ، وَالنَّجْرُ يُشْبِهُهُ النَّجْرُ(١)

وقول البحترى :

سَيِّدٌ نَجْرُ الْمَعَالِى نَجْرُهُ ... يَمْلِكُ الْجُودُ عَلَيْهِ ما مَلَكْ(٢)

وقد كان ينبغى لأبى الضياء أن لا يُخَرِّج مثل هذا فى السَّرَق ، ولا يَفْضَح نفسه .

٩ ـ ومن ذلك قول أبى تمام :

مُتَوَاطِئُو عَقِبَيْكَ فِى طَلَبِ الْعُلَى ... وَالْمَجْدِ ثُمَّةَ تَسْتَوِى الأَقْدَامُ(٣)

وقول البحترى :

حُزْتَ الْعُلَى سَبْقاً ، وَصَلَّى ثانِياً ... ثُمَّ اسْتَوَتْ مِنْ بَعْدِهِ الأَقْدَامُ(٤)

١٠ ـ ومثله قول أبى تمام :

فِى غَذَاةٍ مَهْضُوبَةٍ كانَ فِيهَا ... نَاضِرُ الرَّوْضِ لِلسَّحَابِ نَدِيمَا(٥)

---

(١) ديوانه ٤٧٥ « بحر الغوث » وشرح التبريزى المخطوط ٧٧٥ وفى م « لى بحر . . . التى أبت بها والبحر . البحر » قال التبريزى : «النجر : الأصل . والغوث من طىء» وكل من لزم شيئا وألفه وأحبه فقد رئمه

(٢) ديوانه ٤٠٨ وسيد : يريد به عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر

(٣) ديوانه ٢٨٢ وقبله :

فبنو أبيك على نفاسة قدرهم ... فيهم وأنهم هم الأعـلام

وفى شرح التبريزى ١٥٨/٣ « متوطئو ، يقول : أنت المقدم فى طلب العلى ، وعشيرتك يقتدون بك ويطئون على عقبيك ، ثم يتقارب التفاضل بين الناس »

(٤) ديوانه ٤٨٩ /٣/ ١٩٥٢ وفى م « جزت . . . من بعدك الأقوام »

(٥) شرح التبريزى ٣ / ٢٣٠ وفى ديوانه ٢٩٣ و م و ك « فى غذاة » والغذاة : أرض طيبة التراب بعيدة من الماء ، ولذلك قالوا : أرض غذية ، أى أنها لا تحتاج إلى السقى لأنها لا تفتقر إلى ذلك . ومهضوبة : أى قد أصابتها هضبة من المطر ، أى دفعة منه

[ وقول البحترى :

قد تَعـالَتْ بك المُروءةُ حتى     قد حَسِبْناكَ لِلسِّماكِ نَدِيمَا ] (١)

وما يَجعل مثل هذا مسروقاً إلا مَنْ لا معرفة له بجلىّ المعانى فضلاً عن خفيها .

١١ ـ ومن ذلك قول أبى تمام يصف الفرس :

مِنْ نَجْلِ كلِّ تَلِيدَةٍ أعراقُهُ     طِرْفٍ مُعِمٍّ فِى السَّوَابِقِ مُخْوِلِ(٢)

وقول البحترى :

وَا فِى الضُّلوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ     يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مُعِمٍّ مُخْوِلِ(٣)

وما فى « معمٍّ مخول » من الغرابة حتى يتلقنه البحترى من أبى تمام على كثرته(٤) على الألسن ، وقول الناس فى مدح الفرس : كريم الآباء والأمهات ، وشريف الأنساب ، [ونحو هذا] ؟

١٢ ـ ومن ذلك قول أبى تمام :

فأَذْرَتْ جُماناً مِنْ دُمُوعٍ نِظامُهَا     عَلَى الْخَدِّ إِلَّا أَنَّ صَائِغَها الشَّفْرُ(٥)

---

(١) ديوانه ٢٧٤ « بك المآثر حتى » وفى م « حبسناك »

(٢) ديوانه ٢٣٥ وشرح التبريزى ٣/٤٣ والمراد بالتليدة هنا : الناقة الأصيلة الموروثة عن الآباء وطرف : كريم النسب كثير الآباء إلى جده الأكبر . وفى اللسان ١٥/٣١٨ « والعرب تقول : رجل معم مخول : إذا كان كريم الأعمام والأخوال كثيرهم ، قال امرؤ القيس * بجيد معم فى العشيرة مخول * »

(٣) ديوانه ٧٣١ وفى نقده يقول الباقلانى فى إعجاز القرآن ٣٤٨ — : « نبل المحزم مما تمدح به الخيل ، فهو لم يأت فيه ببديع . وقوله : يشد عقد حزامه ، داخل فى التكلف والتعسف لا يقبل من مثله وإن قبلناه من غيره ، لأنه يتتبع الألفاظ وينقدها نقداً شديداً ، فهلا قال : يشد حزامه ، أو يأتى بحشو آخر سوى العقد ؟ فقد عقد البيت بذكر العقد . ثم قوله : يوم اللقاء ، حشو آخر لا يحتاج إليه »

(٤) م « على كثرة » وفى ك « على كثرة ذكره »

(٥) شرح التبريزى المخطوط ٧٧٤ وفى ديوانه ٤٧٤ « فأبدت » و م و ك « وأذرت . . . نظامه . . . صائغه الشفر » وفى الديوان وشرحه « على الصدر »

وقول البحترى :

جَرَى فِى نَحْرِهَا مِنْ مُقْلَتَيْهَا جُمَانٌ يَسْتَهِلُّ عَلَى جُمَان[١]

فالاتفاق ههنا إنما هو فى لفظ «جُمَانٌ» وقول ذاك[٢] : «نظامها[٣] على الخد» وقول هذا : «جرى فى نحرها» لا[٤] يقتضى أن يكون أحدهما مأخوذًا من الآخر ؛ لأن الدمع على الخد يجرى[٥] ، وإلى النحر يَصِل . وهذه حال لا يجهلها أحد ممن[٦] وصف الدمع .

١٣ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَهَلْ لِلْقَرِيضِ الْغَضِّ أَوْمَنْ يَحُوكهُ عَلَى أَحَدٍ — إلا عَلَيْكَ — مُعوَّلُ[٧]

وقول البحترى :

وَعَلَيْكَ سُقْيَاهُمْ لَنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ فِى نَوْمَةٍ إِلَّا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ[٨]

فحَظَر على البحترى لفظة «معول» وحَرَّمَها عليه من أجل أن أبا تمام لفظ بها !

١٤ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَإِذا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنها مِنْ مَالِهِ[٩]

---

(١) ديوانه ٢١٢ ويستهل : ينصب بشدة

(٢) ط «ذلك»

(٣) م و ك «نظامه»

(٤) ط «فلا»

(٥) ط «جريه»

(٦) م و ك «من»

(٧) ديوانه ٢٤٥ وشرح التبريزى ٧٤/٣

(٨) ديوانه ٦٦٦ وفى طبعة مصر ٣٠٩/٢ وإن قال الشيخ محيى الدين : «لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر» !

(٩) وشرح التبريزى ٦٠/٣ وقد سبق ص ٧١ . وفى ك «أهدى إلى» .

وقول البحترى :

حَازَ حَمْدِى ، وَلِلرياحِ اللَّواقِى  تَجْلِبُ الْغَيْثَ مِثلُ حَمْدِ الْغيُومِ (١)

فمعنى أبى تمام مشترك بين الناس ، وليس مخترعاً [ له ] : لأنك تسمع أبدا قول القائل – إذا بلغ حاجته بشفاعة – أن يقول للشفيع : ما أعتدّ هذا إلا من الله ومنك ، فليس لأبى تمام فيه شىء أكثر من أن عَبَّر عنه (٢) بعبارة حسنة مكشوفة ، فالبحترى لم يأخذ المعنى منه ؛ لأنه فى العادات موجود ، ولكنه أبدع (٣) فى التمثيل ، وأغرب وأحسن .

* * *

---

(١) ديوانه ٤١٩ ، ٤ / ٢٠٧٢ المعارف وفى م و«حاز شكرى »

(٢) ط « عبر فيه »

(٣) ط « أحسن . . . وأبدع »

## وهذا الآن ما أخطأ فيه البحترى من المعانى

١ – قال البحترى :

ذَنَبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ  عُرْفٍ وَعُرْفٌ كالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ(١)

هذا خطأٌ من الوصف ؛ لأن ذَنَب الْفَرَس – إذا مس الأَرض – كان عيباً ، فكيف إذا سَحَبه . وإنما الممدوح من الأَذناب ما قَرُبَ من الأَرض ولم يمسَّها ، كما قال امرؤ القيس :

* بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ(٢) *

فقال « فويق » أَى : فوق الأَرض بقليل .

وقد عِيبَ(٣) على امرئ القيس قوله :

لَهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعَرُوسِ  تَسُدُّ بِهِ فَرْجَها مِنْ دُبُرْ(٤)

---

( ١ ) سقط من ديوانه طبع بيروت وهو فى طبعة المعارف ٣/ ١٧٤٦ وفى إعجاز القرآن ٣٥٢ « البيت وحسن الابتداء منقطع عما سبقه من الكلام . . وكان يحتاج أن يقول : ذنب كالرداء ، فقد حذف والوصل غير متسق ولا مليح . . . ثم قوله : كما سحب الرداء ، قبيح فى تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم فى العبارة إلا على إضمار أنه ذنب يسحبه كما يسحب الرداء . وقوله : يذب عن عرف ، ليس بحسن ولا صادق ، والمحمود ماذكره امرؤ القيس ، وهو قوله : * فويق الأرض ليس بأعزل * » .

* نقل البغدادى فى الخزانة ٤/٢١ هذا الكلام إلى قوله : « وإن لم يبلغ فى الطول إلى أن يمس الأرض »

( ٢ ) ديوانه ١٣٤ وشرح المعلقات العشر ٤٤ وصدره : « ضليع إذا استدبرته سد فرجه » وفى المعانى الكبير ١ / ١٤٩ « ضاف : سابغ ، سد فرجه : أى فرج ما بين فخذيه ، يريد كثرة الذنب . والعزل : أنْ يعزل ذنبه فى أحد الجانبين ، وذلك عادة لا خلقة »

( ٣ ) ك « عيب امرؤ القيس بقوله »

( ٤ ) ديوانه ٨١ . وانظر ما سبق ص ٣٨ و ٢٧٣

وما أرى العيب يلحق[١] امرأ القيس فى هذا ؛ لان العروس وإن كانت تسْحَبُ ذيلها ، وكان ذنب الفرس إذا مس الأرض فهو عيب ؛ فليس بمُنكر[٢] أن يشبه الذنب به [و] إن لم يبلغ [إلى] أن يمس الأرض ؛ لأن الشىء إنما يشبه بالشىء إذا قاربه[٣] ، أو دنا[٤] من معناه ، فإذا شابهه[٥] فى أكثر أحواله فقد صح التشبيه ، ولَاقَ به . ولان[٦] امرأ القيس لم يقصد طولَ الذنب أن يشبهه بطول ذيل العروس فقط ، وإنما أراد السبوغ[٧] والكثرة والكثافة . ألا تراه قال : «تسد به فرجها من دُبُرْ» .

وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفاً ، بل [قد] يكون رقيقاً[٨] نَزْرَ الشعر خفيفاً فلا يسد فرج[٩] الفرس ، فلما قال : «تسد به فرجها» علمنا أنه [إنما] أراد الكثافة والسبوغ مع الطول ، فإذا أشبه[١٠] الذنبُ الطويلُ [ذيلَ العروس][١١] من هذه الجهة ، وكان فى الطول قريباً منه ؛ فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجب للعيب ، ولا أن يكون ذنبُ الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضاً أنه قصد إلى أن الفرس يسحبه على الأرض .

---

(١) ط «لحق . . . العروس إذا كانت»
(٢) ط «ينكر»
(٣) ط «إذا قرب منه»
(٤) م «أو ضامن»
(٥) ط «فإذا أشبهه»
(٦) م و ك «لأن امرؤ»
(٧) م «الشيوع»
(٨) م و ك «دقيقاً» والزيادة من ك
(٩) ك «فروج»
(١٠) ط «فإنما»
(١١) زيادة من ط

وإنما العيب[١] فى قول البحترى : «ذنبٌ كما سُحِب الرداء» فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قولُ خِدَاش بن زُهَير :

لَهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْهَدِىِّ     إِلَى جُؤْجُؤٍ أَيْدِ الزَّافِرِ[٢]

الهدىّ : العروس التى تُهْدَى إلى زوجها ، وأَيّد : شديد ، والزافر : الصدر ؛ لأنها تزفر منه . وإنما أراد[٣] بذيل العروس طولَه وسُبُوغَه ، فشبه الذنبَ [الطويل] السابغ به ، وإن لم يبلغ فى الطول إلى أن يَمَسَّ الأَرض .

ومما يصحح[٤] ذلك قولهم : فرسٌ ذَيَّال ؛ إذا كان طويلا طويل الذنب ، وإن[٥] كان قصيرًا طويل الذنب قالوا : ذائل[٦] ، وإنما قالوا ذلك تشبيهًا للذنب بالذيل لا غير ، قال النابغة [الذبيانى] :

بِكلِّ مُدَجَّجٍ فى البَأْسِ يَسْمُو     إلى أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ[٧]

رفنّ ورفلّ واحد ، وهو : الطويل الذنب .

وقد استقصيت الاحتجاج لصحة بيت[٨] امرئ القيس فيما بينته من سهو [أبي العباس عبد الله][٩] بن المعتز فيما ادعاه على امرئ القيس من الغلط ، فى كتابه الذى جمع فيه «سرقات الشعراء» .

---

(١) م «وإنما أجيب»
(٢) المعانى الكبير ١ / ١٤٩
(٣) ط «فإنما»
(٤) م «يصح»
(٥) ط «فإذا»
(٦) فى المعانى الكبير ١ / ١٥٠ بعد ذلك : «والأنثى ذائلة»
(٧) المعانى الكبير ١ / ١٥٠ وفى م و ك «فى الناس» وفى ط وديوانه ١٩٠ «كالليث»
(٨) ط «لبيت»
(٩) زيادة من ط

٢ ــ وقال البحترى :

هَجَرَتْنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى عَا     دَاتِهَا فِى الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى[١]

وهذا [أيضاً] عندى غلط ؛ لأن خيالها يَتمثَّلُ له فى كل أحوالها ، كانت يقظى أو وَسْنَى [أو ميتة] . والجيد قوله :

أُرَدُّ دُونَكِ يَقْظاناً ، وَيَأْذَنُ لِى     عَلَيْكِ سُكْرُ الكرى إنْ جِئْتُ وَسْنانَا[٢]

فصحح المعنى وأتى به على حقيقته .

وكذلك قوله :

إذا ما تَبَادَلْنا النَّفائِسَ خِلْتَنَا     مِنَ الجَدِّ أَيْقاظاً ونَحْنُ نِيامُ[٣]

وقوله :

* نُعذَّبُ أَيْقاظاً وَنَنْعَمُ هُجَّدًا[٤] *

جيد أيضاً ؛ لأنه حملها[٥] على أن حالها مع خياله إذا نامت كحاله مع خيالها إذا نام ، وإن كان واحد منهما ينعَم منفردًا[٦] مع خيال صاحبه ؛ لأنهما ينعمان معاً فى حال واحد[٧] إذا نام أحدهما فرأى خيال الآخر .

وإنما أخذ معنى بيته الأول ــ وعليه بنى أكثر أوصافه للخيال ــ من[٨] قول قيس بن الخطيم :

---

(١) ديوانه ٤،٣٥٧/٢١٤٣ المعارف وأمالى المرتضى ٥٤٤/١ وطيف الخيال ٣٤ وفى م « وكانت »

(٢) سبق ص ٣١٤ .

(٣) فى ديوانه ٣٦٣ « ما تباذلنا » وأمالى المرتضى ٥٤٤/١ وهو فى طيف الخيال ٧٠

(٤) ديوانه ١٣٣ وصدره « ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا » .

(٥) م « حلمه لأن » وفى ك « حمله »

(٦) ط « مفرداً »

(٧) ط و ك « واحدة »

(٨) م « فى قول »

أنّى سَرَيْتَ وَكُنْتَ غَيْرَ سَرُوبِ ... وَتُقَرِّبُ الأَحْلامُ غَيْرَ قَرِيبِ[١]
مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِينَهُ ... فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ

وما أظن أحدًا سبق قيساً إلى هذا المعنى فى وصف الخيال ، وهو حسن جدًّا ، ولكنْ فيه أيضاً مقال لمعترض . وذلك هو الذى أوقع البحترى فى الغلط ؛ لأن قيساً قال : « ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه فى النوم » فأراد أنها أيضاً تؤتيه[٢] نائمة ، وخيال المحبوب يتمثل فى حال يوم المحبوب[٣] ويقظته كما ذكرت .

وكان الأجود لو قال : ما تمنعى فى اليقظة فقد تؤتينه فى النوم : أى ما تمنعينه فى يقظتى فقد تؤتينه فى حال نومى ، حتى يكون النوم واليقظة معاً منسوبين[٤] إليه ، إلا أنه يتّسع من التأول[٥] [فى هذا] لقيس مالا يتسع للبحترى ؛ لأن قيساً قال : «فقد تؤتينه فى النوم »[ولم يقل : فقد تؤتينه نائمة] فقد يجوز أن يُجْعل[٦] على أنه أراد ما تمنعى يقظى وأنا يقظان فقد تؤتينه فى [النوم ، أى فى] نومى . ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحترى ؛ لأن البحترى قال «وَسْنَى » ولم يقل فى الوسن[٧] .

---

(١) ديوانه ٥» وأمالى القالى ٢/٢٧٣ وطيف الخيال ٣٦ وزهر الآداب ٢/٨٨٠ وأمالى المرتضى ٢ / ٣٩٣ ، ٥٤١ وحماسة ابن الشجرى ١٨٩ وغير سروب أى غير مبعدة

(٢) م « تؤتينه »

(٣) ط « المحب »

(٤) ط « منسوبة »

(٥) ط « التأويل »

(٦) ك « يحمل »

(٧) قال الشريف المرتضى فى أماليه ٢ / ٢٤٥ « وقد يمكن من التأويل للبحترى ما أمكن مثله لقيس ؛ لكن الآمدى قد ذهب عن ذلك ؛ لأن البحترى لما قال : وسنى ، دل على حال الوسن ، والحال =

٣ ـ وقال البحترى فى مدح المعتز بالله :

لا الْعَذْلُ يَرْدَعُهُ وَلا الـ ـتَّعْنِيفُ عَنْ كَرَم يَصُدُّهْ[١]

وهذا عندى من أهجى[٢] ما مدح به خليفة وأقبحه ، ومن ذا يُعَنِّفُ الخليفة أو يصُده ؟ إن هذا بالهجو أولى منه بالمدح .

٤ ـ وقال البحترى :

تَشُقُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ كلَّ عَشِيَّةٍ جُيُوبَ الْغَمَامِ بَيْنَ بِكْرٍ وَأَيِّمِ

وهذا أيضاً غلط ؛ لأنه ظن أن الأَيم هى الثيب ، وقد غلط فى مثله أبو تمام ، وذكرته فى أغاليطه ، وسها أيضاً فيه «بعضُ كبار الفقهاء[٣]» فظن البحترى أن الأَيم هى الثيب ، فجعلها فى البيت ضدَّ البكر . والأَيم : هى التى لا زوج لها ، بكرًا كانت أو ثيباً ؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾[٤] أراد جل ثناؤه اللواتى لا أزواج لهن ؛ والثيب والبكر جميعاً داخلتان تحت الأَيم[٥] فتكون بكرًا وتكون ثيباً .

[ فإن قيل : إن الأَيم قد تكون ثيباً وإنما أراد الثيب .

= المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها فى النوم بالعادة ، كما أن الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة ؛ فقوله : وسنى ، ينبئ عن كونه هو أيضاً نائما ؛ وإنما أراد المقابلة فى زنة اللفظ بين يقظى ووسنى . وقوله : يقظى ، متى لم يحمل أيضا على هذا المعنى لم يصح ؛ لأنه لابد أن يريد بذلك : هجرتنا فى أحوال اليقظة ، ويكون معنى يقظى يتعدى إليه ؛ ألا ترى أن الآمدى حمل قول قيس : يقظى على معنى : وأنا يقظان ، وإن لم يبين الوجه ، فكيف ذهب عليه مثل ذلك فى قول البحترى ! وقوله: وسنى ويقظى مثل قول قيس : يقظى ، ولو مكن قيسا وزن الشعر من أن يقول : وسنى فى مقابلة يقظى لقاله وما عدل عنه إلى النوم؛ لأنه لم يكن عليه فى « وسنى » إلا ما عليه فى « يقظى » وما يتأول له فى أحد الأمرين يتأول له فى الآخر » وقد كرر هذا الكلام بنصه فى كتابه طيف الخيال ٣٥

(١) ديوانه ٦٣٣

(٢) ط « أهجن »

(٣) يقصد الشافعى ، كما سبق بيانه فى ص ١٦٩

(٤) سورة النور : ٣٢

(٥) م « تحت الآية قد تكون بكراً وقد تكون ثيبا . وإنما أراد الثيب »

قيل : أجل إنها تكون ثيباً] وتكون بكرًا ومعنسة [أيضاً] وكَعَابا ، إلا أن لفظة «أيم» لا تدل(١) على شيء من هذه الأوصاف ، وليست عبارة(٢) إلا عن التى لا زوج لها لا غير ، وقد شرحت هذا المعنى شرحاً شافياً فى غلط أبى تمام(٣) .

٥ ــ وقال البحترى :

شَرْطِيَ الإِنْصَافُ إِنْ قِيلَ اشْتَرِطْ وَصَدِيقِى مَنْ إذا صافَى قَسَطْ(٤)

وكان يجب أن يقول « أقسط » أى(٥) : عَدَلَ ، وقَسَطَ ــ بغير ألف ــ [إنما] معناه جار .

[قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً(٦)﴾ وقال : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٧) ](٨) .

٦ ــ وقال البحترى :

صِبْغَةَ الأُفْقِ بين آخِرِ لَيْلٍ مُنْقَضٍ شَأنُهُ وأَوَّلِ فَجْرِ(٩)

يصف فرساً أشقر أو خلوقيًّا ، والحمرة لا تكون بين آخر الليل وأول الفجر ، وهو عندى(١٠) فى هذا غالط ، لأن أول الفجر الزرقة ، ثم البياض ،

(١) ط « « لا تزول عن »
(٢) م « عبارة الأيم إلا عن » وفى ك « عبارة الأيم إلا عبارة عن »
(٣) راجع ص ١٦٨ - ١٦٩
(٤) ديوانه ١ ٧٤١ « وخليل » وفيه ٢ / ١٢٢٧ « لو قيل : اشترط وعدوى » وفى ط « إذا [illegible] »
(٥) م و ك « إذا »
(٦) سورة الجن : ١٥
(٧) سورة المائدة : ٤٢
(٨) زيادة من ط
(٩) ديوانه ٣٧٢
(١٠) م « عندى غلط فى هذا . الفجر البياض ثم الزرقة » وهو تحريف

ثم الحمرة عند بدوّ قَرْنِ الشمس ، كما أن آخر النهار عند غيبوبة الشمس الحمرة ، ثم البياض ، ثم الزرقة وهى آخر الشفق . و [قد] قال البحترى :

وَأَزْرَقُ الْفجرِ يبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ      وَأَوَّلُ الْغَيْثِ رَشٌّ ثمَّ يَنْسَكِبُ(١)

وقال آخر :

وأنْ يَسْجَعَ القُمْرِىُّ فيها إذا غَدَا      بركبانها قَرْنٌ مِنَ الشمسِ أَزْرَقُ(٢)

وكأن البحترى أراد أن يقول : بين آخر ليل منقض شأنه وأول نهار ؛ فيكون قد قابل بين الليل والنهار ، والحمرة قد تكون بين آخر الليل وأول النهار ، كما تكون بين آخر النهار وأول الليل ؛ فقال : «وأول فجر »(٣) [ضرورة] .

والجيد فى [مثل] هذا [المعنى] قول أبى تمام يصف فرساً أشقر :

[ضُمِّخَ منْ لَوْنِه فجاء] كأَنْ      قَدْ كُسِفَتْ فِى أَدِيمِهِ الشَّمسُ(٤)

٧ ــ وقال البحترى :

قِفِ العِيسَ قَدْ أدنى خُطاهَا كَلالُها      وَسَلْ دَارَ سُعْدى إنْ شَفاكَ سُؤالها(٥)

هذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد : لأنه قال : «قد أدنى خطاها كلالها » أى قارَبَ من خطوها الكَلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الدار التى تعرَّض لأن يشفيه سؤالها ، وإنما وقف لإعياء المطىّ .

(١) ديوانه ٧٠٨ « يأتى قبل . . . الغيث طل »

(٢) ط « بركبانه »

(٣) م « الفجر »

(٤) ديوانه ١٦٨ وشرح التبريزى ٢٢٨/٢ « ضمخ : أى لطخ . وفى الشمس قولان : أحدهما أنه ضمخ الشمس من لون هذا الفرس ، فجاء الفرس كأن قد كسفت فى أديمه وجلده لأنها توصف بشدة الاصفرار فى حال كسوفها . والثانى : أنه أراد ضمخ سائر ألوان الصفر من لون هذا الفرس ، فجاء هذا الفرس وكأن الشمس كاسفة فى لونه »

(٥) ديوانه ٢٥٦ ، ١٦٢٩/٣

والجيد قول عنترة ؛ لأنه(١) لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بأن شبه ناقته بالقَصْر ، فقال :

فَوَقَفْتُ فِيهــا ناقَتِى وَكَأَنَّها فَدَنٌ لِأَقْضِىَ حاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ(٢)

قال ذلك ليعلم أنه لم يقفها(٣) ليريحها .

وقد كشف ذو الرمة عن هذا المعنى فأحسن [ فيه ] وأجاد ، فقال :

أَنَخْتُ بها الوَجْنَاءَ لاَ مِن سَآمَةٍ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اثْنَينِ جَاءٍ وذاهِبِ

يقول : أنختها لأصَلِّى ، لا من سآمة بها . وقوله «لثنتين» يريد [ركعتى العصر] اللتين يَقصُرهما المسافر «بين اثنين جاءٍ» يريد الليل «وذاهب»(٤) يريد النهار .

فإن قيل : إنما قال : «قد أدنى خطاها كلالها» ليعلم أنه قصد الدار من شُقة بعيدة .

قيل : العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها ، فيقول الرجل لصاحبه أو صاحبيه ؛ قِفْ ، وقِفا . ولو كان هناك قصد إليها لكانوا إذا وصلوا لا يقولون : قف «ولا قفا ]وإنما ذلك تعريج على الديار ، فى مسيرهم(٥) وسأزيد فى شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار .

٨ـ وقال البحترى :

غَرِيبُ السَّجَايا مَا تَزَالُ عُقولُنا مُدَلَّهَةً فِى خَلَّةٍ مِنْ خِــلالِهِ(٦)

(١) م و ك «فإنه»

(٢) ديوانه ١٤٣ وشرح القصائد العشر ١٧٣ والفدن : القصر ، والمتلوم : المتمكث ، وعنى بالمتلوم نفسه

(٣) ط «لم يقف بها»

(٤) ك «يعنى»

(٥) ط «فى سيرها»

(٦) ديوانه ١٩٦ ، ١٦٢٤/٣

إذا مَعْشَرٌ صانوا السَّماحَ تَعَسَّفَتْ بِهِ هِمَّةٌ مَجْنونَةٌ فِى ابْتِذَالِهِ[١]

قوله : « إذا معشر صانوا السماح » معنى ردىء ؛ لأن البخيل ليس من أهل السماح فيكون له سماح يصونه . وسواءٌ عليه قال : صانوا السماح ، أو صانوا السخاءَ ، أو صانوا الجود ، أو صانوا الكرم ؛ فإن هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئاً ، وهو منهم بعيد ، فكيف يصونونه ؟

فإن قيل : إنما أقام السماح مُقام الشيء الذى يُسْمَح به ، وفى مَجَازات العراب ما هو أبعد من هذا .

قيل : البحترى لا يسوغ [له] مثل ذلك ، ولا يجوز له ؛ لأنه متأخر ، ولا سيما[٢] وليست ههنا ضرورة ؛ لأنه قد كان يمكنه أن يقول : « صانوا الثراء »[٣] مكان « صانوا السماح » .

---

(١) فيه « صانوا التلاد »
(٢) ط « ولا سيما أن ليست »
(٣) م « الثوى » وهو تحريف

## وهذا ما عيبَ به البحترى وليس بعيبٍ

وإنما ذكرته لئلا يظن ظان أنه صحيح ، وأنى [١] تخطَّيته .

فمن ذلك ما نعاه عليه أَصحاب أَبى تمام ، وهما بيتان ، وقد ذكرت احتجاج أَصحاب البحترى فيهما فى[٢] الجزء الأَول من هذا الكتاب[٣] ، وأَنا أعيد ذكرهما [ ها هنا ] لزيادةٍ عندى فى الاحتجاج يحتاج إليها .

١ ـ أنكروا عليه قوله :

يُخْفِى الزُّجاجَةَ لَوْنُها فَكأَنَّها فِى الكَفِّ قائِمَةٌ بِغَيْر إناء

وقالوا : لو ملِىء الإِناءُ دِبْساً لكانت هذه حاله .

والمعنى عندى صحيح لاعيب فيه ، ولا قَدْح ، وذلك أَن الرجل قد دَلَّ بهذا الوصف على أَن شُعاع الشراب [ فى غاية الغلبة ، وأَن الكأْس] فى غاية الرقة ، واعتمد أَنْ وَصَفَ الإِناءَ وما فيه و وَصْفَ الهيئةِ على ما هى عليه .

وإنما أَخذ المعنى من قول على بن جَبلَةَ :

كَأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْها شُعاعاً لا تُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ[٤]

أَلا ترى أَن هذا أَيضاً قد دل على أَن الكاس فى غاية الرقة ؟

ومثله قول الآخر :

---

(١) م « وأسند خطاته » وهو تحريف . وفى ك « خطأته »

(٢) م و ك « فيهما فيما قبل »

(٣) راجع ص ٢٧ — ٣٧

(٤) سبق ص ٣٤ و ٣١٣ .

إنَّما نعجُتنا موسُومـــةٌ ضُمِّنتْ حمراءَ تَرْمِي بِالزَّبَدْ؟(١)

وإذا ما نَزَلَتْ فى كأْسِها فَهْىَ وَالكاسُ مَعًا شَىْءٌ أَحَدْ(٢)

وقد أنشد «أبو العباس ثعلب» بيت البحترى هذا فى «أماليه» ، وقال : إنه أخذ المعنى من قول الأعشى :

تُريكَ القَذَى مِنْ دُونِها وهْىَ دُونَه إذا ذاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمَطَّقُ(٣)

[و] قال «أبو العباس» فى(٤) هذا البيت : [إنه] أجود ما قيل فى وصف الخمر ؛ لأنه جمع بين اللون والطعم ، ونحوه قول الآخر [وهو الأخطل](٥) :

وَلَقَدْ تُباكِرُنى عَلى لَذَّاتِها صَهْباءُ عَارِيَةُ القَذَى خُرْطُومُ(٦)

يريد أنها صافية ، فالقذى فيها لا يستتر .

ولم يعب(٧) «أبو العباس» البحترى ، ولا طعن فى بيته ، بل دلَّ(٨) إنشاده [له] وذكرُهُ فى موضع السرق ، على استجادته [له] واستحسانه إياه .

---

(١) كذا فى ط وفى م و ك «لقحتنا» ولست أعرف وجه الصواب فيها

(٢) م «ما بذلت» ورواه المؤلف فيما سبق ص ٣٤ «فإذا ما مزجت» .

(٣) ديوانه ١٤٧ وفى اللسان ١٢/٢٢٢ «التمطق والتلمظ : التذوق والتصويت باللسان ، وقيل : هو إلصاق اللسان بالغار الأعلى فيسمع له صوت ، وذلك عند استطابة الشىء . . . والتمطق بالشفتين : أن يضم إحداهما بالأخرى مع صوت يكون منهما ، وأنشد : * تراه إذا ما ذاقها يتمطق * »

(٤) ط «قال . . . وهذا الخمرة»

(٥) زيادة فى ط

(٦) ديوانه ٨٤ والشعر والشعراء ١/٢٢١ والخزانة ١/٥٥٢ وفيهما «عالية القذى والخرطوم : الخمر السريعة الإسكار

(٧) م «ولم يغلب»

(٨) ط «بل يدلك»

٢ ـ وأنكروا قوله :

ضَحِكاتٌ فى إثْرِهِنَّ العَطَايا     وبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ[١]

وقالوا : أقام الرعود مُقَام العطايا[٢] ، وإنما كان ينبغى أن يقيم الغيوث مُقَام العطايا .

وهذا جهل ممن قاله بمعانى[٣] كلام العرب ، ومعنى التمثيل فى البيت صحيح ؛ لأن الرعد مقدِّمة الغيث ، وقَلَّ[٤] رعدٌ لا يتلوه المطر ، وإذا كان هذا هكذا فقد صار[٥] كأنه أوله .

وإنما أخذ البحترى المعنى من قول بشار :

وَعْدُ الْجَوَادِ يَحُثُّ نَائِلَهُ     كالْبَرْقِ ثم الرَّعْدِ فِى أَثَرِهْ

[٦] فأقام الرعد مُقام الغيث ، ونحوه قول بشار أيضاً :

حَلَبْتُ بحمدى رَاحتَيْه فَدَرَّتَا     سَمَاحاً كما دَرَّ السحابُ على الرَّعْدِ[٦]

وأظنهما جميعاً أخذا المعنى من قول الأعشى :

وَالشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اسْـ     ـتَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلا[٧]

وأنشد ابن الأعرابى فى نوادره :

فَإِنْ لَمْ أُصَدِّقْ ظَنَّهُمْ بِتَيَقُّنِى     فَلا سَقَتِ الأَوْصالَ مِنِّى الرَّوَاعِدُ

(١) سبق ص ٢٨ و ٣٣ و ٣٥
(٢) م « العظايا » محرفة
(٣) م « معانى » محرفة
(٤) م « وكل » محرفة
(٥) ط « صار المعنى »
(٦–٦) ما بين الرقمين فى ط مؤخر عن بيت الأعشى
(٧) ديوانه ١٥٧ وسبق ص ٣٥

فجعل التي تسقى هي الرواعد .

وقال الكميت :

وَأَنْتَ فِي الشَّتْوَةِ الْجَمَادِ إذا أَخْلَفَ مِنْ أَنْجُمٍ رَوَاعِدها(١)

ومثل هذا كثير في كلامهم لا ينكره منكر .

وقد قال أبو تمام :

وكَذا السَّحائِبُ قَلَّمَا تَدْعُو إلى مَعْرُوفِهَا الرُّوَّادَ مَا لَمْ تبْرِقِ(٢)

فجعل البرق عند الرواد دليلَ الغيثِ ، وقد يكون برق لا مطر معه كثيرًا ، وبرق الخلَّب تلك (٣) حاله .

فالبحترى في أن أقام الرعد مُقَامَ الغيث أَعْذَرُ من أبي تمام ؛ لأنه قد يرتفع سحاب (٤) ويبرق ولا يمطر ، فإذا أرعد فلا يكاد يخلف .

٣ – ومن ذلك قول(٥) البحترى :

يا هِلالاً أَوْفَى بِأَعلى قَضِيبِ وَقَضيباً على كَثِيبٍ مَهِيلِ (٦)

وقالوا : هذا خطأ ؛ لأن الكثيب – إذا كان مَهِيلاً – فإنه يذهب ولا يستمسك ، وذلك مذموم من الوصف .

(١) سبق ص ٣٥
(٢) سبق ص ٩٥
(٣) ط « هذه »
(٤) ط « سحاب وبرق لا مطر فيه . . . لا يكاد » وفي م « أن يخلف » .
(٥) ك « قوله »
(٦) ديوانه ٦٠٣ ، ١٦٧٧/٣ وفي اللسان ١٩٦/٢ « قال الفراء الكثيب : الرمل ، والمهيل : الذى تحرك أسفله فينهال عليك أعلاه »

قالوا : والجيد قوله :

كالبَدْر غير مُخَيَّلٍ والغُصْنِ غيرَ مُمَيَّلٍ والدِّعْصِ غَيْرَ مُهَيَّلِ (١)

وقالوا : فقد تراه هنا كيف شرط فى الدِّعْصِ — لما شبه العَجُزَ به — أن جعله غير مهيل ؛ لأن العرب إذا شبهت أعجاز النساء بكثبان الرمل شَرَطَت فيها أن تكون ندية ، وأن تكونَ مَمْطُورَة ، [ كما قال الراجز :

جِئْنَ بأَعْجازٍ لَهُنَّ ناوِيَهْ] كأَنَّها الكُثْبانُ غِبَّ سارِيَهْ

ناوِيه : سِمان * ، من النِّى وهو الشحم ، كقول الآخر :

* مِثْلُ الْكَثِيبِ إذا ما بَلَّهُ الْمَطَرُ *

وكما قال مِرْدَاس(٢) بن أَبى عامر السُّلَمِى :

إذا هِى قَامَتْ فى النِّسَاءِ حَسِبْتَ مَا فُوَيْقَ نِطَاقِ الْعَقْدِ صَعْدَةَ سَأْسَمِ (٣)

---

(١) ديوانه ٧٣١ ، ٣/١٧٤٢ غير مخيل : غير محجوب بغيم . والدعص : الكثيب من الرمل

قال الباقلانى فى إعجاز القرآن ٣٤٠ « التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ، ولا فضيلة فى التشبيه بنحو ذلك.وإنما يبقى تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فى البيت ،وهذا أيضا قريب ؛لأن المعنى مكرر . ويبقى له بعد ذلك شىء آخر ، وهو تعمله للترصيع فى البيت كله إلا ان هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف ؛ لأن التشبيه بالغصن كاف ، فإذا زاد فقال : كالغصن غير معوج ، كان ذلك من باب التكلف خللا ، وكان ذلك زيادة يستغنى عنها . وكذلك قوله : كالدعص غير مهيل ، لأنه إذا انهال خرج أن يكون مطلق التشبيه مصروفاً إليه ، فلا يكون لتقييده معنى »

( * ) اللسان ٢٠/٢٢٤

( ٢ ) م « داس بن عامر » وهو تحريف . ومرداس بن أبى عامر ، أحد أزواج الخنساء ، ووالد العباس بن مرداس الشاعر ، راجع الأغانى ١٣/٦٤

( ٣ ) م « فوق » والنطاق : كل ما يشد به الوسط . والعقد : موضع ربط الإزار . والصعدة : القناة التى تنبت مستوية. والسأسم : شجرتتخذ منه القسى . وفى ط « مأسم » وهو تحريف . والنجاء : جمع نجو ، وهو السحاب الذى قد أراق ماءه ثم مضى . والسماك :النجم المعروف . والمجسم : الضخم المرتفع وفى م « المخيم » .

وقد ضبط الشيخ محمد محيى الدين كلمة « العقد » بكسر العين لأنه فهم أن الشاعر « شبه عنق المرأة فى استوائه بالقناة » ولم يذهب الشاعر إلى هذا التشبيه ، بل ذهب إلى تشبيه ما فوق خصرها بالقناة المستقيمة ، وما تحته بالكثيب الذى أصابه المطر . وفى هذا المعنى يقول بعض الشعراء :

خلقت غير خلقــة النسوان إن قمت فالأعلى قضيب بان

وإن توليت فــدعصتـــان وكل إد تفعـل العينـــان

وَأَسْفَلُ مِنْهُ ظَهْرُ دِعْصٍ أَصَابَهُ    نَجَاءُ السِّماكِ فى الكَثِيبِ الْمُجَسَّمِ (١)

وقال الأخضر بن جَابر الفَزَارى (٢) :

تَلُوثُ أَثْنَاءَ اللِّفَاعِ الأَتْحَمِى    بِمِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُدَيَّمِ (٣)

أراد الذى قد بَلته (٤) الدِّيمة ، وهى السحابة .

وقال جنْدل بن المُثنَّى الطُّهَوِىُّ :

لا بَلْ كَدَعْصَاءَ نَفَاهَا مُثْرِى    عَفْرَاءَ حُفَّتْ بِرِمَالٍ عُفْرِ (٥)

وقال امرؤ القيس :

كَحِقْفِ النَّقا يَمْشى الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ
بِمَا احْتَبَسَا مِنْ لِينِ مَسٍّ وَتَسْهَالِ (٦)

والحِقف : المستدير من الرمل ؛ لأن الريح تنخله (٧) وتجمعه ، وقال : «يمشى الوليدان فوقه » لأن الندى أصابه فهو صلب وفيه مع ذلك لين ونعمة.

وقد شبه امرؤ القيس أيضاً كَفَلَ الفرس بالدِّعْصِ النَّدى ، فقال :

لَهُ كَفَلٌ كالدِّعْصِ لَبَّدَهُ النَّدَى    إلى كاهِلٍ مِثْلِ الرِّتَاجِ الْمُضَبَّبِ (٨)

---

(١) فى ك « المخيم »

(٢) ترجم له الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٣٤

(٣) ط « بكرت » وهو تحريف ، والأثناء : جمع ثنى وهو ما انثنى من الثوب ، وهى معاطفه وتضاعيفه . واللفاع الأتحمى : الثوب الأحمر خاصة ، أو المخطط بالصفرة . وفى م و ك « تلوث أنبار »

(٤) م « بلت »

(٥) الدعصاء : أرض سهلة فيها رملة نداها مثرى : أى كثير . وفى هامش ك « نداها » و ط « نفاها » وهو تحريف تكلف فى شرحه ناشرها ص ٢٢٣ والعفرة : الغبرة فى حمرة

(٦) ديوانه ١٤٠ وفى م « فما احتسبا » وفيها وفى ك : « وإسهال »

(٧) ط « تنحله »

(٨) ديوانه ٣٦ وله هناك رواية أخرى . والرتاج : الباب ، والمضبب : الملبس بالحديد . وفى « مثل الرياج » وهو تحريف

[ وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وَإِنْ مَالَ الضَّجيع بهَا فَدِعْصٌ ... مِنَ الْكُثْبَانِ مُلْتَبِدٌ مَطِيرُ ] (١)

[ و ] قالوا : هذا [ هو ] الوصف المحمود (٢) ، والمعنى الصحيح من معانى العرب . ولولا أن تشبيه (٣) أردافه بالكثيب المُنْهَال خطأً لما قال البحترى فى بيته الآخر : « والدعص غير مهيل » .

وهذا المذهب الذى ذهبوا إليه لعمرى صحيحٌ من مذاهبهم ، إلا أن الشعراء إذا شبهت أعجاز النساء بكثبان الرمل (٤) ثُم وصفتها بالانهيال فإنما تقصد (٥) إلى تحرك أعجازهن عند المشى ، كما قال [ رؤبة بن ] (٦) العجاج :

إذا وَصَلْنَ الْعَوْمَ بِالْهِرْكَلِّ ... رَجْرَجْنَ مِنْ أَعْجَازِهِنَّ الْخُزْلِ (٧)

* أَوْرَاكَ رَمْلٍ وَالِجٍ فى رَمْلِ *

فقال : « أوراك رمل والج فى رمل » ووُلُوجه ، [ هو ] (٨) تحرُّكه ودخول بعضه فى بعض وكما قال الأعشى :

رَوَادِفُهُ تَثْنِى الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ ... إلى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَهَيِّلِ (٩)

---

( ١ ) زيادة من ط و ك

( ٢ ) ط « المجود »

( ٣ ) م « يشتبه الردافة » وهو تحريف . وفى ك « تشبيه الرادفة بالكثيب المهيل »

( ٤ ) ط « ووصفتها »

( ٥ ) م « يقصد »

( ٦ ) زيادة من ط

( ٧ ) الزيادة من ك

( ٨ ) ديوانه ١٣١ وفى م « وخرجن من أعجازهن » والعوم : السباحة ، وسير الإبل والسفينة ، كما فى اللسان ١٥/٣٢٧ والمراد هنا : السير السريع . والهركلة : ضرب من المشى فيه اختيال وبطء . والخزل : الثقيلة

( ٩ ) ديوانه ٢٢٦ وفى م و ك « ورابية »

نِيَافٌ كَغُصْنِ الْبَانِ تَرْتَجُّ إِنْ مَشَتْ
دَبِيبَ قَطَا الْبَطْحَاءِ فى كلِّ مَنْهَلِ [١]

فدل بقوله : « ترتج إن مشت » على أن قوله : « إلى مثل دعص الرملة المتهيل » إنما أراد تحرك[٢] عجزها فى حال مشيها .

وكذلك قول رُؤْبة :

مَيّالَةٌ مِثْلُ الكَثِيبِ الْمُنْهَالْ    عَزَّزَ مِنْهُ وَهْوَ مُعْطِى الأَسْهَالْ [٣]
* صَوْبُ السَّوَارِى مَتْنَهُ بالتَّهْتَالْ *

التهتال والتهتان واحد [٤] ، فقال : « مثل الكثيب المنهال » لما قال : [ إنها ] « ميالة » أى : أنها تتثنَّى فى مشيتها وتتحرك روادفها[٥] ، وشرط أنه « عزز منه صَوْبُ السوارى » أى شَدَّهُ ليمنع من سيلانه وذهابه ، وإنما أراد حالا بين الحالين ، ألا تراه قال : « وهو معطى الأسهال » [أى شدة] ضرب السوارى وهو مع ذلك يتهيل [٦] .

---

(١) نياف : مرتفعات مشرفات . ويقال : امرأة نياف : تامة الطول والحسن

(٢) م « تجرى عجزها » وهو تحريف

(٣) الثانى والثالث مع شرحهما فى اللسان ٧/٢٢٤ ، ١٤/٢١٣ وثلاثتها فيه ١٢/٣٤٩ « قال العجاج يصف الجارية : فهى ضناك كالكثيب . . . الضناك : الضخمة . كالكثيب الذى ينهال . عزز منه : أى سدد من الكثيب . ضرب السوارى : أى أمطار الليل ، فلزم بعضه بعضاً . شبه خلقها بالكثيب وقد أصابه المطر . وهو معطى الأسهال : أى يعطيك سهولة ما شئت » ورواية الأول فى اللسان كرواية ملحق ديوان العجاج ٨٦ وفى م « صوب السوارى » .

(٤) فى اللسان ١٤/٢١٣ « التهتال : مثل التهتان ، وسحائب هتل وهتن : هطل ، وقيل متتابعة المطر قال العجاج : غزز . . . » وفى م و ك « . . والتهتان بمنزلة واحدة . . . مثل الكميت » والكلمة الأخير محرفة

(٥) م و ك « أردافها ثم شرط . . »

(٦) ط « ضرب » وفى م ، ك « . . . مع ذلك سهل »

وقال ابن أَبى[1] سفيان الغَامِدِى :

ذَات شَوَى خدْلٍ وَخَصْرٍ أَبْتَلِ ... وَكَفَلٍ مِثْلِ الكَثِيبِ الأَهْيَلِ[2]

فأراد بالأهيل الذى يترجرج[3] عند المشى .

وقال الْمُقَنَّع الكِنْدِى :

إذا قامَتْ تَنُوءُ بِمُرْجَحِنٍّ ... كَدِعْص الرَّمْلِ يَنْهَال انْهِيَالا[4]

فجاء[5] بذكر الانهيال من أجل ذكره للقيام ، ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفاً .

وقال عبد الرحمن بن الحَكَم[6] :

كأَنَّ ما بَيْنَ قُصْرَاهَا وخِنْصَرِهَا ... مِنْهَا نَقًا دَمِثٌ مِنْ عَالجٍ هَارِ[7]

---

(١) ط « ابن أخى »

(٢) فى اللسان ١٩/١٧٨ « الشوى : اليدان والرجلان » والخدل : العظيم الممتلئ ، ويقال : امرأة خدلة وخلاء : ممتلئة الساقين والذراعين . وفى ط « شوى عبل » والعبل : الضخم . والمراد بالأبتل : الدقيق الضامر . وفى م « وكهل مثل » وهو تحريف

(٣) م ط « الذى يتدحرج »

(٤) تنوء بمرجحن : أى بعجز مهتز ، جاء فى اللسان ١/١٦٩ « والمرأة تنوء بها عجيزتها : أى تثقلها ، وهى تنوء بعجيزتها : أى تنهض بها مثقلة »

(٥) م و ك « فحسن ذكر الانهيال »

(٦) راجع ترجمته فى الأغانى ١٢/٧٢ — ٧٦

(٧) النقا : الكثب من الرمل . والدمث : السهل اللين . وفى اللسان ٣/١٥١ « وعالج : رمال معروفة بالبادية . . . وعوالج الرمال : جمع عالج ، وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه فى بعض » وهار : منهار

ويقول الشيخ « محمد محيى الدين عبد الحميد » : « القصرى : الضلع التى تلى الشاكلة بين الجنب والبطن . والقصيرى — مصغرة — مثله . وأراد بما بين قصراها وخنصرها : بطنها » ! ! !

وعلى هذا يكون الشاعر قد وصف محبوبته بأن بطنها تتحرك إذا مشت كما يتحرك الكثيب من الرمال عند إرادة الانهيال !

وسياق البيت يأبى هذا التفسير لأن الآمدى قد أورد قبله أربعة عشر بيتاً كلها فى تشبيه الردف بالكثيب ، ثم أعقب البيت بما يوضح معناه إذ يقول : « فدل بقوله : هار على أنه أراد تحرك روادفها »

ولو لم يسق الآمدى البيت هذا المساق ولم يشرحه هذا الشرح لما كان هناك مندوحة عن الذهاب إليه ؛=

قُصْرَاها : آخر الأَضلاع ، وهى القُصْرى(١) والقُصَيْرَى ، فدل بقوله : « هار » على أنه أراد تحرك رِدَافَتِها(٢) .

وكذلك قول البحترى :

* وقَضِيباً على كَثيبٍ مَهِيلٍ *

إنما أراد تحرك أردافه ، وقد دل على المشى بقوله :

* يا هلالاً أَوْ فى بأَعْلى قَضيب *

فالمعنيان لا يتناقضان ؛ لأَن الشاعر إن ذكر الانهيال فإنه أراد الحركة عند المشى ، وإن لم يذكر ذلك وشَرَطَ فى الكثيب الندى أو(٣) إصابة الغيث فإنما قصد أن يَنُصَّ(٤) على اجتماعه واستمساكه ؛ كما قال رؤبة :

* مَيَّالَةٌ مِثْلُ الكَثِيبِ المُنْهَالْ *

ثم قال :

عَزَّزَ منه وهو مُعْطِى الأَنْهالْ صَوْبُ السَّوارى مَتْنَه بالتَّهْتَالْ(٥)

فانتظم الوجهين(٦) جميعاً .

---

= لأن الشاعر قد حدد مراده تحديداً دقيقاً .

وبديهى أن ما يرى من المرأة المدبرة مهتزاً مترجرجا بين قصيرها وخنصريها إنما هو ردفها لا بطنها ، وجمال البطون فى ضمورها ودقة خلقها . وقبحها فى عظمها وتكرشها ، فإذا استرخت وترجرجت نبت عنها الأنظار والأذواق .

(١) ك : « القصيرة » .

(٢) ط « روادفها » وفى اللسان ١١/١٤ « والروادف : الأعجاز . . قال ابن سيده : ولا أرى أهو جمع ردف نادر ، أم هو جمع ردافة » وفى ك « رادفتها »

(٣) ط « الندى وإصابة »

(٤) ك « أن يبق »

(٥) ط « ضرب »

(٦) ط « الوجهان » وهو تحريف لأنه يريد أن يقول : إن رؤبة قد أصاب فى شعره المعنيين معا وحققهما

والذى شَرَح هذين المعنيين أتمَّ الشرح ، وأبرَّ فى الوصف على كل محسن — تميمُ بن أُبَىّ بن مقبل ، فى قوله يصف مشى النساء :

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقا لانَتْ جَـوَانِبُهُ ... يَنْهَالُ حِيناً وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينَا(١)

إنما(٢) أراد بقوله : « ينهال حيناً » تحركَ أعجازهنَّ إذا مَشَيْنَ كما يتحرَّك جانب الرملة للانهيال فينهاه الثرى وهو ما تحته من التراب والرمل الندى ، وهذا لا شىء أوضح منه .

٤ — ومن ذلك قوله :

مَتَى أَرَدْنا وَجَدْنا مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ ... مَسْعَاتِهِ أَوْ فَقَدْنا مَنْ يُدَانِيهِ(٣)

وقالوا : ليس هذا بالجيد ؛ لأنه وصفٌ يَشْرَكُ ممدوحَه فيه البقَّالُ [ والحمّال ](٤) والمرَّاق وباعةُ الدواء ولُقَّاط النوى ؛ لأن هؤلاء أيضاً متى شِئنا وجَدْنا من يقصر عن مسعاتهم ، وهو الحجام والكنَّاس والنَّبَّاش .

والبيت عندى صحيح ، وغرض البحترى فيه معروف ، ومثله [ أو نحوه ] قول الأعشى :

وأَخُو النِّسَاءِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ ... وَيَعُدْنَ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ(٥)

وهو لا يشاء ذلك [ بحال ، و ] إنما أراد أنَّ ذلك سهلٌ موجود فى النساء .

وكذلك قول البحترى : « متى أردنا وجدنا » أى : أن ذلك موجود سهل حاصل ، وإن لم يكن هناك إرادة ولا طلب ؛ لأن تلك حال قد عُلمت منه ، وقد صَحَّح المعنى ووكَّد المدحَ بقوله : « أو فقدنا من يدانيه » والبقال

---

( ١ ) ط « مالت » وانظر ما سبق ص ١٥٨

( ٢ ) ك « فإنما »

( ٣ ) الزيادة من ك

( ٤ ) ديوانه ١٧٥ وفى ط « وفقدنا »

( ٥ ) ديوانه ٩٨ « منه ويكن »

والمراق وأمثالهما غير مفقود من يدانيهم ؛ فجعل البحترىُّ أحدَ القسمين فى البيت معلقاً بالآخر : أى ذلك كله سهل موجود ، ولو اقتصر على نصف البيت(١) الأول كان لعمرى [ للقدح ](٢) فيه متعلَّق .

٥ - ومن ذلك قوله :

تَهَاجُرٌ أَمَمٌ لا وَصْلَ يَخْلِطُه ... إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفَيْنا إِذَا هَجَدا(٣)

قالوا : والطيفانِ لا يهجدان(٤) ، وإنما أراد [ أن يقول : ](٥) إذا هجدنا ، فقال : « إذا هجدا » .

وقد سمعت من يحتج فيه بما لا يبعد عندى من الصواب ، وهو أن قال : إنه أراد إلا تزاور نفسينا إذا هجدا ، فأقام الطيف مُقام النفس ، وقال : « هجدا » ولم يقل : « هجدنا » للفظ الطيف وهو مذكر .

وقال : إن النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾(٦) .

فقيل له : النفس لعمرى يطلق عليها النوم ، فإذا نامت رأت خيالات الأشياء التى ترى حقائقها فى اليقظة - فالنفس غير الخيال ، وقد تتمثل للنفس فى حال يقظتها [ خيالات الأشياء الغائبة عنها وصورها على ما هى عليه إذا رآها النفس فى حال يقظتها ](٧) وإن لم ترها العين ؛ فليس النفسُ من الخيال فى شىء .

---

(١) ط « على النصف الأول »

(٢) الزيادة من ك ، م

(٣) ديوانه ٤٦ وطيف الخيال ٣٧ وفى ط « هجرا » وهو تحريف من أجل ذلك قال الشيخ محيى الدين « لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر » وهو فيه ١/١٣٤

(٤) ط « لا يهجران . . . هجرنا . . . هجرا » وهكذا فى بقية الكلام

(٥) الزيادة من ك

(٦) سورة الزمر : ٤٢

(٧) الزيادة من ك

فقال[١] : فإذا كانت النفس والخيال يلتقيان فى النوم ، فلم لا أسميهما خَيَالَيْنِ – وإن كان أحدهما خيالا والآخر نفساً – على المجاز الذى تفعله العرب ؟

وهذا عندى احتجاج صحيح ، ويصح عليه معنى البيت .

٦ – ومما نسبوا فيه البحترى إلى سوء القسمة [٢] قوله :

فَكَأَنَّ مَجْلِسَهُ الْمُحَجَّبَ مَحْفِلٌ      وَكَأَنَّ خَلْوَتَهُ الْخَفِيَّةَ مَشْهَدُ[٣]

وقالوا : إنه ليس فى المصراع الثانى من الفائدة إلا ما فى الأول ؛ لأن مجلسه المحجّب هى خلوته الخفية ، وقوله : « محفل » كقوله : « مشهد » .

والمعنى عندى صحيح ؛ لأن المجلس المحجّب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصهم ، وفى الأكثر الأعم لا يسمى مجلساً إلا وفيه قوم ، ألا ترى إلى قول مُهَلْهِل :

* وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ[٤] *

أى : أهل المجلس ، على الاستعارة ؟

فجعل البحترىُّ مجلسَه الذى احتجَب فيه مع من يخصه كالمحفل ، والمحفل : هو الجمع الكثير ، والخلوة الخفية قد يكون فيها منفرداً ، وقد يكون معه محبوب[٥] فيها ، وبين المجلس والمحفل فرق ؛ فكأنه إذا خلا خلوة خفية ففيها[٦] معه من يشاهده – ومن يشاهده يجوز أن يكون واحداً

(١) ط « قال »
(٢) ط « التقسيم »
(٣) ديوانه ٦٩٠ .
(٤) صدره : « نبيت أن النار بعدك أوقدت » كما فى شرح الحماسة للمرزوقى ٢ / ٩٢٨
(٥) م « محبوبة » وفى ك : « محبوبة فبينها وبين المجلس فرق »
(٦) ط « وفيها »

أو اثنين - والمحفل لا يكون إلا عددًا كثيرًا . فهذا أيضاً فرق صحيح [ بين المحفل والمشهد ] .

وإنما أراد البحترى أنه لا يفعل فى مجلسه المحجّب إلا ما يفعله فى المحفل ، ولا يفعل فى خلوته الخفية إلا ما يفعله[1] مع مَنْ يشاهده ، ينسبه إلى شدة التصوُّن وكرم السريرة .

٧ - ومثله قوله :

أَمِينَ اللهِ ، دُمْتَ لَنَا سَلِيماً     وَمُلِّيتَ السَّلامَةَ وَالدَّوَامَا[2]

قالوا : فقوله[3] : « دمت لنا سليما » هو قوله : « ومُلِّيت السلامة والدواما » وهذا قبيح جدًّا .

وليس الأمر عندى كذلك ، بل القسمة صحيحة ؛ لأنه لما تقدم ذكر السلامة والدوام فى أول البيت قال فى عجزه : « ومليت السلامة » أى : أديمت لك تلك السلامة [ وذلك الدوام . وأجود من هذا أن يكون لما قال : دمت لنا سليما وَكَّدَ بذكر السلامة وفيها الألف واللام ؛ لأنها اسم الجنس ، وكذلك الدوام . فكأنه قال : مليت السلامة كلها والدوام كله . ثم إنه ][4] ليس بمنكر أن يقول [ القائل فى الدعاء ][5] « دام لك الدوام » كما يقول : طال طولك ، وقر قرارك ، وضلّ ضلالك ، وزال زوالك . وذلك كلام مستعمل حَسَن . ومعنى « مُلِّيت » : [ أى ] أُطِيلت لك وأديمت ، مثل تَمَلَّيت

---

( ١ ) ك : « ما يفعله إذا حضره من يشاهده »

( ٢ ) ديوانه ٣١

( ٣ ) ط « وقوله . . . فإن هذا »

( ٤ ) فى ط بدل هذه الزيادة « والملاوة - بكسر الميم وضمها وفتحها ، ذكر ابن السكيت لها ثلاث لغات وذلك الدوام وليس » وهى ليست من أصل الكتاب

( ٥ ) الزيادة من ك

[جيبك] وهو مأخوذ من المَلاوة والمَلَّاوَة[1] وهما الدهر ، والملوان : الليل والنهار ، ومنه قولهم : وَقَفْتُ مَلِيًّا .

٨ ــ وقال البحترى :

الْيَوْمَ أُطْلِعَ لِلْخِلَافَةِ سَعْدُهَا ۞ وَأَضَاءَ فِينَا بَدْرُها الْمُتَهَلِّلُ[2]

لَبِسَتْ جَلالَةَ جَعْفَرٍ فَكَأَنَّها ۞ سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهارُ الْمُقْبِلُ[3]

وقالوا : هذا معنى فاسد ؛ لأن السَّحَر طُرَّة النهار وأوله وبدء ضيائه ، والشىء فى مثل هذا لا يتجلل أوله ؛ لأن التجلل هو : أن يشتمل عليه ويغطيه ، والسحر أمام النهار أبدًا ، فلا يجوز أن يتغشّاه ؛ لأنه المتصل بالظلمة والمختلط بها والطارد لها ، فهو يدور حول « كرة الأرض » دائماً على صورة واحدة لا يتغير .

وهذه[4] عندى معارضة صحيحة ، إلا أن هذا معنى يُتَجَاوز فى مثله ؛ لأن البحترى إنما أراد تجلله النهار فى رأى أعيننا وما نشاهده ؛ لأن زُرْقة السحر لما استطار الضوء كان كأنه[5] شىء غَطَّى عليها ، وإن كانت حقيقتها أنها انتقلت[6] إلى قطر آخر من الأرض .

٩ ــ وقال البحترى :

لم أَرَ كالْهَجْرِ لَمْ يُرْحَمْ مُعَــذَّبُهُ ۞ وَالْوَصْلِ لم يَعْتَمِدْ مُعْطَاهُ بِالْحَسَدِ[7]

وهذا كان بعضهم يراه سهواً ، ويقول : إن المعذب بالهجر مرحوم ،

---

(١) ط « والملوة »

(٢) ديوانه ٢٥ « وأضاء فيه وفيه ٣/ ١٧٥٤ وفى ك : « وأضاء فيها » وهما فى مدح المتوكل

(٣) فى ديوانه طبع بيروت ، وفيه طبع المعارف « تجلله الصباح » « يجلله النهار »

(٤) ط « وهذا »

(٥) ط « صار »

(٦) ط « انقلبت »

(٧) ديوانه طبع مصر ١ /١٧٨ وفى م « لم يركم » وهو تحريف . وفى ط « وهذا بعضهم كان »

فأما من [١] يواصله حبيبه فمغبوط أبدًا ومحسود ، وقد قيل في ذلك من الأشعار ما هو أشهر وأكثر ، فمنها قولُ يزيد بن الطَّثْرية :

أَعُوذُ بِخَدَّيْكِ الْكَرِيمَيْنِ أَنْ يَرى ... لَنَا حَاسِدٌ فِى غُبَّرِ الْوَصْلِ مَطْمَعَا [٢]

وقول أبى صخر الهذلى :

فَقَدْ تَرَكَتْنِى أَحْسُدُ الطَّيْرَ أَنْ أَرَى ... أَلِيفَيْنِ مِنْهَا لَمْ يُرَوِّعْهُمَا النَّفْرُ [٣]

وقول جرير :

وَنُحْسَدُ أَنْ نَزُورَكُمُ - وَنَرْضَى ... بِدُونِ الْبَذْلِ - لَوْ عَلِمَ الْحَسُودُ [٤]

وقول جميل بن معمر :

لَوْلاَ الْوُشَاةُ لَزُرْتُكُمْ بِبِلادِكُمْ ... لكنْ أَخَافُ مَقَالَةَ الْحُسَّادِ

وقول عُتْبة بن بُجير [٥] الحارثى :

أَيَّامَ تَهْجُرُنِى لَيْلَى وَأَحْسُدُهَا ... وَأَطْيَبُ الْعَيْشِ عِنْدِى مُضْغَةُ الْحَسدِ

أى : هى تهجرنى وأنا أُحْسَدُها : أى أُحْسَد عليها .

وليس الأمر عندى فى هذا البيت [على] ما تأوَّله [هذا] المتأول وظَنَّه ، وذلك لأن البحترى لم يرد بقوله : «لم أر كالهجر» جنس الهجر [٦] ، ولا جنس الوصل ، فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل ، [كما] يقال : أَهْلَكَ الناسَ الدينارُ والدرهم ، وإنما أراد «لم أر كالهجر لم

---

(١) ط «الذى»

(٢) فى م و ك «فى غير» وغبر الوصل : بقيته

(٣) شرح الحماسة أبى تمام للمرزوقى ١٢٣١/٣ وفى أمالى القالى ١٤٩/١ «أغبط الوحش . . . لا يردعهما الذعر» وفى ك : «لا يروعهما» وانظر تخريج الأستاذ عبد العزيز الميمنى له فى السمط ٣٩٩/١ .

(٤) ديوانه ١٦٠ «وتحسد» وفى ط «ويحسد . . . ويرضى»

(٥) ط «ابن مجر» وهو تحريف

(٦) ط «حسن . . ولا حسن» وهو تحريف

يرحم معذبه » أى : كالهجر الذى هذه حاله [على طريق التعجب والوصل . ولم يعتمد معطاه بالحسد ، أى والوصل الذى هذه حاله . وهذا كما تقول : لم أر كالرجل يسيء فلا يذم . ويحسن فلا يشكر . أى كالرجل الذى هذه حاله] ولم يرد كل الرجال .

وكيف يظن مثل هذا بالبحترى وهو يقول :

وَنُحْسَدُ أَنْ تَسْرِى إِلَيْنَا مِنَ الْهَوَى عَقابيلُ يَعْتَادُ الجَوَى باعْتِيادِها[1]

فَكَمْ نَافَسُوا فِى حُرْقَةٍ إِثْرَ فُرْقَةٍ تَعَجَّبُ مِنْ أَنْفَاسِنا وَامْتِدادِها

فقد ترى كيف يزعم أنه يُحْسَد على الْجَوَى وعلى الْحُرَقِ ، فكيف على الوصل ؟

١٠ — وقال البحترى :

أَىُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ أَوْ سَحَابٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقٍ ؟[2]

عابه بعضهم بهذا ، وقالوا : قد يكون بَرْقٌ لا غيث معه ، وهو برقُ الخلَّب . والرجل لم يقل : لا برق إلا ومعه مطر ، وإنما قال : لا مطر إلا ومعه برق .

١١ — وسمعت من يعيب قوله :

كالرَّوْضِ مُؤْتَلِقاً بِحُمْرَةِ نَوْرِهِ وبَيَاضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ[3]

ويقول : النَّور هو الأبيض [خاصة] [4] ، والزهر هو الأصفر لا محالة ،

---

(١) ديوانه ١٠٩ « بعتاد الهوى » وفى م « يفتاد . . باغتيادها » وهو تحريف . والعقابيل : بقايا العشق

(٢) ديوانه ٤٣٦ وفى أمالى المرتضى ١ / ٦٠١ « أو سماء تندى » وفى م « أرى ليل » وهو تحريف وفى ط « يندى »

(٣) ديوانه ٧٠٠ والمشبه كتابة الحسن بن وهب وحكمه ١/١٦٥ معارف

(٤) الزيادة من ك

فإذا قلت : « فى هذا الروض أنوار مختلفةٌ » جاز ذلك ؛ لأنك تضم إلى البياض غيره فيجرى الاسم[1] على الجميع ، على سبيل المجاز ، كما يقال[2] : « الْعُمَرَانِ » لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، و « الْقَمَرانِ » للشمس والقمر ، وما أشبه ذلك .

وكذلك إذا قلت : « فيها أزهار كثيرة » جاز ذلك وإن كان فيها أبيض وأحمر وما سواهما مع[3] الصفرة تَوَسُّعاً ومجازًا ؛ فإذا فصلت مُعْتمدًا[4] لأن تخص كل جنس باسم ، كما فَعل البحترى – لم يجز[5] أن يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص ؛ فتقول حينئذ : يعجبنى مِنْ هذا الموضع صفرةُ زَهْرِهِ ، وبياضُ نَوْرِه ، وحُمْرة شقائقه . ولا يجوز أن تقول : يعجبنى حُمْرة نَوْره ، ولا بياض زهره ، كما قال البحترى ؛ لأن ذلك ؛ خطأ فى اللغة على ما استعملته العرب .

ولعمرى إن هذا هو الأشهر فى كلامهم ، والأغلب فى المأثورعنهم ، إلا أنهم قد جعلوا الزَّهر نَوْرًا ، والنَّوْرَ زَهَرًا ، وجاء ذلك فى الشعر ، قال عَدِىّ ابن زَيْد :

حتى تعاوَنَ مُشْتَكٌ لَهُ زَهَرٌ ... مِنَ التَّنَاوِيرِ شَكْلَ الْعِهْنِ فى اللُّوَّم[6]

---

(١) ط « الرسم »

(٢) ط « تقول »

(٣) ط « من »

(٤) ط « فصلت مقيدا [ اضطرت ] » وهو تحريف اضطره لهذه الزيادة

(٥) ط « ولم » وهو تحريف .

(٦) « فى اللسان ١٦/٤ وفى ١٤/٢٢٨ « من التهاويل » والمستك : الملتف . وتنويز الشجرة : إزهارها . يقال : أنارت الشجرة وأنورت : أى حسنت خضرتها ، من الإنارة ، وقيل أطلعت نورها . وقد سمى إدراك الزرع تنويرا ، وجمعه عدى به زيد فقال « وذى تناوير . . . » وفى اللسان ١٤/٢٣٨ « التهاويل : ما على الهوادج من الصوف الأحمر والأخضر والأصفر . ويقال للرياض إذا تزينت بنورها وأزاهيرها من بين أصفر وأحمر وأبيض وأخضر – : قد علاها تهويلها » . وفى ك « مشتك »

اللؤَم : جمع لأمَة ، ولُؤْمَة ، وهى مَتَاعُ الرَّحْلِ من الأَشِلَّة [١] والوَلايا وتكون مُوَشَّاة بالعِهْن والصوف المصبوغ بالحمرة وغير ذلك من الألوان ؛ فقال : « زهر » ثم قال : « من التناوير » وقال : « شكل العهن » .

وقال زُهَير بن مسعود [ الضَّبِّى ] :

وَمُنَوِّرٍ غَدِقُ النَّدَى قُرْيانُهُ    مِثْلُ الْعُهُونِ مِنَ الحَوَاضِرِ مُقْفِرُ [٢]

وقال أبو النَّجْم :

فالرَّوْضُ قَدْ نَوَّرَ فِى دَجْوَائِهِ    مُخْتَلِفُ الأَلْوَانِ فِى أَسْمائِهِ [٣]
نَوْرٌ تَحَارُ الشَّمْسُ فى حَمْرَائِهِ    مُكَلَّلاً بِالنَّوْرِ مِنْ صَفْرائِهِ [٤]

فقال : « بالنَّوْر من صَفْرائه » .

وقال حُمَيد بن ثَوْر :

كَأَنَّ عَلَى أَشْداقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ    إِذَا هُوَ مَدَّ الْجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا [٥]

---

( ١ ) الأشلة : جمع شليل ، وهو الحلس . والولايا : جمع ولية ، وهى البرذعة أو ما تحتها من كل ما ولى الظهر من كساء أو غيره

( ٢ ) م « غدق الثرى قربانه وفى ك « غدق الثوى » ط « من الخواطر مقمر » والغدق : الكثير . والقريان : جمع قرى – بفتح فكسر – وهو مجرى الماء فى الروض . وفى حديث قس : وروضة ذات قريان . الحواضر جمع حاضر ، ويعنى به القوم النزول على الماء . ومقفر : خال . يريد أنها روضة أنف أى لم يرعها أحد

وقال ناشر ط « أراد بالخواطر : الخطر ، وهى جمع خطرة ، مثل سدرة وسدر ، والخطرة : عشبة معروفة لها قضبة يجهدها المال ويغرز عليها » وهذا القول منقول من اللسان ٥/٣٣٧ وبعده « والعرب تقول : رعينا خطرات الوسمى ، وهى اللمع من المراتع والبقع . ومقمر : كثير أو أبيض أو مائل إلى الخضرة

( ٣ ) ط « نور فى حوائه » ومعنى فى دجوائه : أى فى عظمه وسعته وطول نبته وفى اللسان ١٨/٢٢٧ « الحواء مثل المكاء : نبت يشبه لون الذئب ، الواحدة حواءة »

( ٤ ) م « نورا . . . من حمرائه »

( ٥ ) ديوانه ٢٥ والشعر والشعراء ١/٣٥٠ وعيون الأخبار ٢/١٨٨ وفى اللسان ١٨/٢٢٤ « قال أبو زياد : من العشب الحنوة ، وهى شديدة الخضرة طيبة الريح ، وزهرتها صفراء وليست بضخمة ، قال جميل :

بها قضب الريحان تندى وحنوة    ومن كل أفواه البقول بها بقل »

يصف فرخ الحمامة وصُفْرة أشداقه ، ويشبهها بصفرة [زهر الحنوة لامحالة فقال] : نَوْر حَنْوة ، ولم يقل زهر حنوة .

وقال الأعشى :

وَشَمُولٍ تَحْسِبُ الْعَيْنُ – إِذَا صُفِّقَتْ – وَرْدَتَها نَوْرَ الذُّبَحْ[1]

والذُّبَح نبت ، ونَوْره أحمر شديد الحمرة ، ويقال [له] : «الذُّبَح»[2] .

وهذا كله دليل على أن هذه الأسماء تستعمل فى هذه الألوان كما ترى على اختلافها .

١٢ – وسمعت من يعيب قوله :

فَمُجدَّلٌ ومُرَمَّلٌ وَمُوَسَّدٌ وَمُضَرَّجٌ وَمُضَمَّخٌ وَمُخَضَّبُ[3]

ويقول[4] : إن قوله : «مضرج ومضمّخ ومخضّب» بمعنى واحد . وذكر أنه لو[5] أراد رجلا واحدًا أنه مُضَرَّج ومضمخ ومخضب – جاز ؛ لأن [كل] لفظة تكون مؤكدةً للأخرى ، قال : ولكنه [إنما][6] أراد فمنهم[7] مضرَّج [ومنهم مضمخ ومنهم] مخضَّب ، كما قسم[8] فى صدر البيت .

ولعمرى إن البحترى كذلك أراد ، وليس بمكنر [عندى ؛] لأن المضرّج[9]

---

(١) ديوانه ١٦٢ واللسان ١٢/٧١ وفيه ٣/٢٦٥ «إذا صفقت فى دنها» ويروى : بردتها لون الذبح » بردتها : لونها . ومعنى صفقت : حولت من إناء إلى إناء . والوردة : الحمرة ، يقال : عشية وردة : إذا احمر أفقها عند غروب الشمس

(٢) راجع اللسان ٣/٢٦٥

(٣) ديوانه ٦٨٤ وهو فى وصف قتلى الممدوح

(٤) م «ويقال» ط «ويقولون»

(٥) ط «أنه إن»

(٦) ط «منهم»

(٧) الزيادة من ك

(٨) ط «كما فهم»

(٩) ط «لأن التضرج من التضريج»

من الضَّرج وهى الحمرة المشرقة التى ليست بقانية ، والمضمَّخ يريد [به] غلظ الدم وأنه [قد صار] فى متانة الطيب الذى يتضمخ به ، والمخضب أراد أن الدم قد خَضَّبه كما يخضَّب بالحناء ؛ ففى كل لفظة ما ليس فى الأخرى ، وإن كانت الحمرة قد شَمِلت الجميع ؛ لأن المضرج يجوز أن يكون أراد به طراوة الدم : أى منهم حديث عهد بالقتل ومضمّخ(١) مَنْ قد خَثُر عليه الدم كأنَّ قتله قد تقدم قَبْل [قتل] الآخر ، والمخضَّب يجوز أن يكون [من قد](٢) مضى لقتله يوم أو أكثر فقد اسودَّ عليه الدم .

وهذه معانٍ كلها(٣) محتمل .

وقد يجوز أن يريد بقوله : «مضرج» سائر جسده ، وبالمضمخ أن السيف أخذ عوارضه وتحت لحيته ، وذلك موضع من مواضع التضميخ(٤) بالطيب ، وأراد بالمخضَّب أن السيف أخذ فى رأسه وفى يديه ورجليه ، وذلك موضع الخِضاب ، وقد يكون المضرج : المقطع [يقال](٥) : «ضَرَّجَه» إذا قطعه .

وهذه معان لطيفة(٦) ويجوز أن يعتدّ بها ، والوجه القوىُّ هو الأول .

١٣ – وسمعت قوماً ينكرون قوله فى وصف الخمر :

وَفَوَاقِعٌ مِثْلُ الدُّمُوعِ تَرَدَّدَتْ ... فِى صَحْنِ خَدِّ الكاعِبِ الْحَسْنَاءِ(٧)

ويقولون : إن الدموع لا تتردَّد فى الخد كما يتردد الحَباب فى الكأس ، وإنما الدمع يجرى ويتتابع .

---

(١) ط « والمضخ »
(٢) الزيادة من ك
(٣) م و ك « كلها معان كلها » و ط « محتملة »
(٤) ط « التضمخ »
(٥) زيادة من ط وفيها « ضرجته إذا قطعته »
(٦) ط و ك « وقد يجوز أن يعتذر بها »
(٧) ديوانه ٤٧٥ (١/٤ مصر)

والمعنى صحيح ، ولا عيب فيه ؛ لأن التردُّد قد يكون الْجَوَلان ، وقد يكون التتابع والتواتر ، يقال : قد تَتَابعت كُتُبى إليك ، وتردَّدت : بمعنى ، وتواترت رُسُلى وتتابعت ، والكتاب الأول[1] غير الثانى ، وكذلك قد يكون الرسول الأول غير الرسول الثانى : وإنما حَسُن أن يقال : تتابعت وتردَّدت لأن كل واحد [من الكتب يقال له : كتاب ، ويقال لكل واحد] من الرسل : رسول ؛ فلما ضَمَّهم اسم واحد حَسُن استعمالُ التتابع والتردد ، وإن كانت أشخاصاً متباينة ، وكل واحد غير الآخر .

وكذلك الدمع يحسن[2] أن يقال : قد تَتابعت دموعُه على خده ، وتردَّدت ، وإن كانت كلٌّ دمعة غير الأخرى . والْحَبابُ وإن جال فى الْقَدَح دائراً[3] فيه فإنهُ ربما جَرَى فيه على جهَةٍ واحدة ، كما يجرى الدمع على جهة واحدة .

وهذا من أحسن التشبيه وأليقه ؛ لأن الخمر قد يكون منها [ما هو] أحمر إلى التوريد الخفيف كحمرة الخد ، وخاصّة إذا أُرِقَّت بالماء ، كما قال الشاعر :

كُمَيْتٌ إذا فُضَّت ،أوفى الكأْس وَرْدَةٌ لها فى عِظامِ الشَّـارِبينَ دَبِيبُ

فإذا شبِّهت الخمرة بالخدّ وذكر الحَباب[4] فمن أليق ما شبه به وأحسنه وأصحّه الدمع ؛ لأن الدمع قد يقف فى الخد كوقوف الحَباب فى صحن الكأْس . وباب اختلاف حركة الحَباب و[5] حركة الدمع ، فليس كل شىء

(١) ط « هو غير »
(٢) ط « حسن »
(٣) ط « حائراً » .
(٤) م « ممن »
(٥) ط « أو »

يُشَبَّه بشيء يقع التشبيه فيه من جميع الجهات حتى لا يغادر منها شيئاً[١] قد يكون ، إنما شبه به ببعض ما فيه لا بكله .

١٤ ـ ورأيتَ مَنْ عاب قوله :

فَصَبَغْتُ أَخلاقى بِرَوْنَقِ خُلْقِهِ حَتَّى عَدَلْتُ أَجَاجَهُنَّ بِعَذْبِهِ[٢]

وقالوا : إنما كان ينبغى لما ذكر الأجاج والعذب أن يقول : « فمزجت » لا أن يقول : « فصبغت » ، أو لما قال : « فصبغّت أخلاقى » أن يقول : « حتى عدلت ألوانها[٣] بحسن لونه » .

وليست هذه المعارضة بشيء . والمعنى صحيح ، وذلك أنه ليس هناك صَبْغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافأ المعنيان ، ولا مشروب عذب ولا أجاج على الحقيقة فيستعمل ذكر[٤] المزاج ، و [إنما] هذه استعارات ينوب بعضها عن بعض . ويقوم بعضها مقام بعض ؛ لأنها ليست بحقائق فيما استعيرت له . ألا ترى أنك تقول : فلان قد شابك[٥] فلانا ، وخالطه ، ومازجه [وداخله] . وانصبغ به ، بمعنى واحد وإن كان بعضها أوكد من بعض ، ولا يكون هناك مُدَاخلة ولا ممازجة لجسم[٦] فى جسم ولا مخالطة على الحقيقة ؟

١٥ ـ ومما عيب عليه من التعسُّف والتعقيد فى اللفظ قوله :

فَتًى لَمْ يَمِلْ بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَنِ الْعُلَى إلى غَيْرِهَا شَيْءٌ سِوَاهُ مُمِيلُهَا[٦]

(١) ط « شيء وقد »
(٢) ديوانه ٧٠٠
(٣) ط « ألوانهن »
(٤) ط « بذكر »
(٥) ط « شارك »
(٦) ديوانه ٣ / ١٧٨٠ « يميلها » م « ممازجة فى جسم فى جسم »

وكان بعض الناس يرى أنه لاحنٌ [فيه] ، ويقول : إنه إنما أراد فتى لم يمِلْ بنفسه عن العلى شيء مميل نفسٍ سواه ، أى : ما يميل النفسَ عن المعالى من اللهو واللعب والدَّعة وحبِّ الراحة والضَّنِّ بالمال ، ونحو هذا من الأشياء الشاغلة عن السؤدد ، فقدَّم «سِوَاه» وكنى عن النفس بقوله «مميلها» بعد أن حَذَفَها .

قال : وذلك غير جائز ؛ لأنك إذا قلت : «لن يضرب هامة عمرٍو [أحد ضارب هامة غيره» ، فقدمت هامة غيره] فقلت : لن يضرب هامةَ عمرو واحدٌ[1] غير ضاربها ، وجعلت الهاء فى «ضاربها» كنايةً عن الهامة لتقدمها — لجاز[2] : إلا أن البصريين من النحويين يقولون : «هامة غيره[3] ضاربها هو» كما أنه لو قال : «شيء نفسُ سِوَاهُ مميلها هو» جاز .

فإن فَكَكْتَ[4] الإضافة وأسقطت «هامة» وقدمت غيره[5] فقلت : «لن يضرب هامةَ عمرو أحد غيره[6] ضاربها» لم يجز : لإسقاطك الهامة التى كنايتها الهاء فى قولك : «ضاربها» ، ولا تجوز الكناية عن غير مذكور [فى] مثل هذا ، فكذلك لا يجوز فى البيت «شيء سواه مميلها» وهو يريد شيء نفس سواه مميلها ؛ لأن الهاء فى قوله «مميلها» كناية عن النفس ؛ فلا يجوز إسقاط النفس .

وهذا لعمرى إن كان البحترى أراده فهو غالط ، غير أنه — والله أعلم —

---

(١) ك : «هامة غيره ضاربها»
(٢) ط «جاز»
(٣) ط «غير»
(٤) ط «فإن فصلت»
(٥) ط «غير»
(٦) ط «واحد غير»

إنما أراد فتًى لم يمل[١] بالنفسِ منه عن العلى إلى غيرها شيءٍ ، بخفض «شيء» على أن الممدوح هو الذى لم يَمل بنفسه عن العلى إلى شيء غيرها ، ثم قال «سواد مميلها» على الابتداء والخبر : أى لكن[٢] سواد من الناس مميلها ، فأضمر «لكن» وهذا سائغ ، وأنشد سيبويه :

عَلى الحَكَمِ المَأْتِيِّ يَوْماً إذَا قَضَى قَضِيَّتَهُ أَنْ لا يَجُورَ ، وَيَقْصِدُ[٣]

قال : أراد ولكنه يقصد ، فأضمر «لكن» فلذلك رفع «يقصد» .

وعلى أنه مستعمل كثير فاشٍ[٤] فى كلام الناس أن يقولوا : زيد لا يقعد عن المكارم وعمرو يقعد عنها ، وأنا لا أجفوك[٥] بكر [هو] الجافى لك ؛ فيكون الكلام مستغنياً بنفسه ؛ فلا يحتاج إلى إضمار .

فإن سلم البيت من عيب اللحن لم يَسْلَم من عيب التعسف . ولست أعرف بيتاً تعسف فى نظمه غير هذا [البيت] .

١٦ ـ ومن رديء التجنيس وقبيحه قوله :

أَمِنَّا أَنْ تُصَرَّعَ عَنْ سَمَاحٍ وَلِلآمَالِ فى يَدِكَ اصْطِراعُ[٦]

يقول : أمنا أن يغلبك غالبٌ يَصْرعك عن السماح ويمنعك منه ، وللآمال فى يدك اصطراع : أى تنافسٌ وتغالب وازدحام ، وقوله : «فى يدك» لأن العطاء إليها ينسب .

---

(١) ط «لا يميل»

(٢) ط «أى لأن»

(٣) البيت فى كتاب سيبويه وشرح الشواهده (١ / ٤٣١) لعبد الرحمن بن أم الحكم

(٤) ط «فى الكلام أن تقول»

(٥) ط «إنما بكر»

(٦) ديوانه ٢٢٨ ، ٢ / ١٢٤٦ فى مدح إبراهيم بن المدبر

وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر ، فقال يصف أخلاق الممدوح :

يَتَصَرَّعْنَ لِلرَّجَاءِ دُنُوَّ آلْ مُزْنِ وَالْوَدْقُ خارِجٌ مِنْ خِلالِهْ[١]

وهى ههنا أقل قبحاً منها فى البيت الأول . ولو [ كان ] [٢] قال : « يتدانين للرجاء دُنُوَّ المزن » كان أَحسَنَ فى اللفظ ، وأَوْفَقَ من أجل التجنيس ، ولكن « يتصرعن » أوكد فى المعنى ؛ لأَنه بمعنى[٣] يتساقطن ويتطرحن ، يريد الإسراع إلى الرجاء من غير ترفق ولا توقٍّ للانحطاط والوقوع ، ليدل على الحرص والشهوة .

وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر ، وأوقعها موقع الذم ، فقال :

مَنْ يَتَصَرَّعْ فى إِثْرِ مَكْرُمَةٍ فَدَأْبُهُ فى اتِّباعهَا دَأَبُهْ[٤]

يريد مَنْ يتساقط[٥] فى إثر مَكْرُمة إذا سَعَى لطلبها ولم يكن له نهوض فيها فدأب الممدوح دأبه المعروف المشهور منه ، أى : جِدُّه وإِلحاقه . وحرك الدأب الثانى وسكن الأول ، ومعناهما واحد .

ويجوز أن يكون أراد فدَأْبه فى اتباعها : أى عادته فى اتباعها دأبه ، أى : سَعْيُه وحَرَكته ، وهو أجود .

١٧ — ومن ردىء التجنيس أيضاً قوله :

حُيِّيتِ بَلْ سُقِّيتِ مِنْ مَعْهُودَةٍ عَهْدِى غَدَتْ مَهْجُورَةً مَا تُعْهَدُ[٦]

---

( ١ ) ديوانه ٥٧١ ، ٣٥/١٨٤٣ « دنو الغيم » وقبله

موسر من خلائق تتراءى من ضروب الربيــع أو أشكاله

( ٢ ) الزيادة من ك

( ٣ ) سقطت من ك .

( ٤ ) ديوانه ١٩٩ « فى ابتغائها »

( ٥ ) ط « تساقط »

( ٦ ) ديوانه ٦٨٩ وبعده :

لو كنت سامعة لبحث بلوعتى ولقلت : ما فعل الحسان الخرد

ويروى : «سقيت من معمورة» يخاطب الدِّمَنَ ، أي : عهدى بها معمورة[١] .

ومن رواه[٢] : «معهودة عهدى» أي : عهدى بها معهودة[٣] .

وقد يكون العهد[٤] من التعهُّد . ويكون قوله : «ما تعهد» أي : قد نسِيتِ ، وهذا يشبه[٥] تجنيسات أبي تمام .

---

(١) ط «معمورة معهودة»
(٢) ط «روى»
(٣) ط و ك «معهودة فغدت معهودة ما تعهد»
(٤) ط «تعهد»
(٥) ط «وهذه شبه»

# باب
# فى اضطراب الأوزان

وما رأيت شيئاً مما عيبَ به أبو تمام إلَّا وجدت فى شعر البحترى مثلَهُ ، إلا أنه فى شعر أبي تمام كثير وفى شعر البحترى قليل .

فمن ذلك اضطراب الأوزان فى شعر أبي تمام .

١ - وقد جاء في شعر البحترى بيتٌ هو عندى أقبح من كل ما عيب به أبو تمام في هذا الباب ، وهو قوله :

وَلِمَـاذا تَتَبَّعُ النَّفْسُ شَيْئاً  جَعَلَ اللهُ الْفِرْدَوْسَ مِنْهُ بَوَاء[١]

وكذلك وجدته فى أكثر النسخ . وهذا خارج عن الوزن ، والبيت من العروض هو البيت الأَوَّلُ من الخفيفِ [وهو] سُداسِيٌّ [ووزنه] :

فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاتُنْ * فَاعِلاتُنْ[٢] مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاتُنْ

وتقطيعه :

وَلِمَاذَا * تَتَبْبَعُنْ * نَفْسُشَيْئًا جَعَلَلْلاهُلْ * فِرْدَوْسَمِنْ * هُبَوَاءَ

---

(١) ديوانه ٤٤٤ « يجعل » وفى عبث الوليد لأبى العلاء المعرى ٢٦ :

ولماذا تكره النفس شيئا  جعل الله الخلد منه بـواء

كان فى النسخة : « جعل الله الفردوس منه بواء » وهو كسر ، والتغيير الذى ذكره ابن العميد : « جعل الله لخلد منه بواء » وقد جاء أبو عبادة فى شعره بمثل هذا وفى غير موضع ، من ذلك قوله :

وأحق الأيام بالحسن أن يؤ  ثر عنه يوم المهرجان الكبير

تقويمه : ذو المهرجان الكبير ، أو نحو ذلك . وهذا كسر متجانس ؛ لأنه زيادة حرفين الأول متحرك والثانى ساكن فى الوزن الذى يسمى الخفيف »

(٢) م « فاعلان . . فاعلان »

فَعِلاتُنْ * مَفَاعِلنْ * فَاعِلاتُنْ[1] فَعِلاتُنْ * مُستفْعِلُنْ – فَعِلاتُنْ

فحذف ألف « فاعلاتن » الأولى والثانية والأخيرة فصارت فعِلاتن ، وسين « مستفعلن » الأولى فصارت مَفَاعلن ، وذلك كله زحاف جائز .

وزاد فى البيت سَبَباً ، وهو حرفان : الهاء من اسم الله عز وجل ، واللام من لفظ الفردوس ، وهو[2] : هل إكفاء . ولا أعرف مثل هذا البيت .

وقد رأيت فى بعض النسخ : « جَعَلَ اللهُ الْخُلْدَ مِنْهُ بَوَاء »[3] فإن يكن هكذا قال فقد تخلَّص من العيب ، ويكون تقطيع البيت[4] :

* جَعَلَلْلاَ * هُلْخُلْد مِنْ * هُبَوَاءَ *

فعلاتن * مستفعلن * فعلاتن

٢ – وقال البحترى :

حَلَّأَتْنا عَنْ حاجَةٍ مَمْنُوعٍ مُبْتَغَاها وَحاجَةٍ مَمْطُولَهْ[5]

وهذا من العروض هو البيت الأولُ من الخفيف ، وتقطيعه :

حَلْلَأَتْنَا * عَنْحَاجَتِنْ * مَمْنُوعِنْ مُبْتَغاها * وَحَاجَتِنْ * مَمْطُولَةْ

فَاعِلاتُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولُنْ فَاعِلاتُنْ * مَفَاعِلُنْ * مَفْعولُنْ

وكان يجب أن تكون عروض البيت – وهى مفعولن الأولى – « فاعلاتن » ، ولا يجوز فيها « مفعولن » ، بل لو كان البيت مُصَرَّعًا لجاز فى عروضه

---

(١) م « فعلان »

(٢) ط « وهو إكفاء »

(٣) م « البيت من مستفعل هو افعلان وقال البحترى »

(٤) ديوانه ٤٧٥ « عن رفده فى منام » وحلأتنا : أى منعتنا سعدى البخيلة مما يسأل المحب

(٥) م « منوع »

« مفعولن » كما جاز فى ضَرْبه — وهى القافية — وذلك قوله : « ممطولة » . وأما جَعْله « مفاعلن » فى موضع « مستفعلن » الثانية فى البيت ، فذلك جائز من الزِّحاف .

وقد غير قومٌ هذه اللفظة فى البيت — وهى ممنوع — فقالوا : « بممنوع مبتغاها » أى : حلاَّتنا عن حاجة [ بمانع ] (١) منع مبتغاها من عائقٍ أو والٍ عليها ، ويكون « مبتغاها » فى موضع نصب بممنوع ، وهو [ وجه ] محتمل (٢) .

* * *

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشر بن يَحيى الآمِدِىُّ :

وأنا أذكر بإذن الله الآن فى هذا الجزء [ أنواع ] المعانى التى يَتَّفق فيها الطائيان ، وأُوَازِن بين معنًى ومعنًى ، وأقول : أيهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه . فلا تطالبنى (٣) أن أتعدَّى هذا إلى أن أُفصح لك بأيهما أشعر عندى على الإطلاق ؛ فإنى غير فاعل ذلك ؛ لأنك إنْ قَلَّدتنى (٤) لم تحصل لك الفائدة بالتقليد .

وإن طالبت بالعلل والأسباب التى أوجبت التفضيل ، فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمى مِنْ نَعْتِ مذهبيهما ، وذكر مساويهما (٥) فى سرقة المعانى من الناس [ وانتحالها ] (٦) ، وغلطهما فى المعانى والألفاظ ، و[ فى ] إساءة مَنْ أساء منهما فى الطِّباق والتجنيس والاستعارة ورَدَاءة النظم واضطراب الوزن ، وغير ذلك مما أوضحته فى مواضعه وبينته ، وما سيعود ذكره فى

(١) الزيادة من ك
(٢) فى ك « آخر معايب البحترى »
(٣) ط « فلا تطلبنى »
(٤) م « قلدتنى بشىء »
(٥) ط « وذكر مطلوبيهما فى سرقة معانى »
(٦) زيادة من ط

الموازنة من هذه الأنواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة ، وما ستراه من محاسنهما وبدائعهما وعجيب اختراعاتهما[١] ؛ فإني أوقع الكلامَ على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما فى الأشعار التى أرتبها فى الأبواب ، وأنص[٢] على الجيد وأفضّله ، وعلى الردىء وأرذله ؛ وأذكر من علل الجميع ما ينتهى إليه التخليص ، وتُحيط به العبارة[٣] . ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان ، ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهو[٤] علة مالا يُعْرف إلا بالدُّرْبَة ودائم التجربة وطول الملابسة . وبهذا يَفْضُل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة[٥] مَنْ سِواهم ممن نقصت تجربته[٦] ، وقلّت دُرْبَتُه ، بعد أن يكون هناك طَبْع فيه تقبُّل لتلك الصناعة[٧] وامتزاج [ بها ] ، وإلا فلا[٨] .

ثم أَكِلُكَ بعد هذا إلى اختيارك ، وما تقضى عليه فِطْنَتك وتمييزك ؛ فينبغى أن تنعم[٩] النظر فيما يرد عليك ، ولن ينتفع بالنظر إلا من يُحسن أن يتأمل ، ومن إذا تأمل علم ، ومن إذا علم أنْصَف .

ثم إن العلم بالشعر [ قد ] خُصَّ بأن يَدَّعيه كلُّ أحد ، وأن يتعاطاه مَنْ ليس من أهله ؛ فلم لا يدعى أحد هؤلاء المعرفة بالعِين والوَرِق والخيل والسلاح والرقيق والبَزّ والطيب وأنواعه ، ولعله قد لا بس من أمر الخيل وركوبها

---

( ١ ) ط « اختراعهما »
( ٢ ) ط « وأنبه . . . وأفضله على الردىء وأبين الردىء وأرذله »
( ٣ ) ط « به العناية . . . ما لم »
( ٤ ) ط « وهى »
( ٥ ) م « فن »
( ٦ ) ط « قريحته »
( ٧ ) ط « لتلك الطباع » وهو تحريف
( ٨ ) ط « وإلا لا يتم ذلك وأكلك بعد ذلك »
( ٩ ) ط « أن تتم »

والسلاح والعلم به[١] ، أو الرقيق واقتنائه أو الثياب ولبسها أو الطيب واستعماله ــ أكثَرَ مما عاناه من أمر الشعر وروايته ؛ فلا يتَّهم نفسَه فى المعرفة بالشعر[٢] تُهَمته إياها بالمعرفة ببعض هذه الأشياء مما عاناه وزاوله[٣] . وما بالُه ــ وقد ركب الخيل كثيرًا ــ لمَّا راقه من الفرس ملاحةُ سَبِيبه[٤] ، واستدارةُ كفَلِه ، وبريقُ شعره ، وحسن إشراقه [وجوده حُضْره ــ توقف عن ابتياعه حتى يشاور من يخبر[٥]أمره فى جنسه] وعِتْقِه[٦] ، وموضع نتاجه ، وصحة قوائمه ، وسلامة أعضائه ، وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة .

وكذلك السيف لَمَّا بَهَرَه جلاؤه ، وصِقَاله وصَفاء حديدته[٧] ــ لم يُمْض فيه اختياره على غيره من السيوف ، حتى شاور مَنْ يعرف حسنه[٨]وطبعه وجوهره وفِرِنْدَه ومضاءَهُ .

وكذلك لما أعجبه من ثوب الوشى حسنُ طَرْزِه[٩] ، وكثرة صوره ، وبديع نقوشه ، واختلاف[١٠] ألوانه ــ لم يبادر إلى إعْطاء ثمنه حتى رجع إلى أهل العلم بجوهره وكثرة مائه وجَوْدة رُقْعته وصحة نساجته وخلاص[١١]إبْرَيْسَمِه .

(١) ط « والعلم بذلك »
(٢) سقطت من ك
(٣) ط « وتناوله »
(٤) فى اللسان ١/٤٤٢ « السبيب من الفرس : شعر الذنب والعرف والناصية » وفى ك « شيبته »
(٥) ط « يجيز »
(٦) ط « إشرافه وعنقه »
(٧) ط « حديده » و م : « فلم يجعل فى اختياره »
(٨) ك « جنسه »
(٩) م « و ك « طروحه »
(١٠) ط « واختلاط »
(١١) ك « وخالص »

فكيف لم يفعل ذلك فى الشعر لَمَّا رَاقَهُ حسنُ وَزْنه وقوافيه ، ودقيق معانيه ، وما يشتمل عليه من مواعظ وأدب وحكم وأمثال(١) ؛ فلم يتوقَّف عن الحكم له على ما سواه حتى يرجع إلى من هو أعلم منه بألفاظه ، واستواء نظمه ، وصحة سبكه ، ووضع الكلم منه فى مواضعه ، وكثرة مائه ورَوْنقه ؛ إذ كان الشعر لا يُحكم له بالجودة إلا بأن تجتمع هذه الخلال فيه ؟ !

ألا ترى أنه قد يكون فَرَسَان سليمان من كل عيب ، موجودٌ فيهما سائرُ علامات العِتْق والجودة والنجابة ، ويكون أحدهما أفضَلَ من الآخر بفَرْق لا يعلمه إلا أهلُ الخبرة والدربة الطويلة .

وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال ، المتقاربتان فى الوصف ، السليمتان من كل عيب : قد يَفْرق بينهما العالمُ بأمر الرقيق ، حتى يجعل بينهما فى الثمن فضلا كبيرًا ، فإذا قيل له [وللنخَّاس](٢) : من أين فضلت أنت هذه الجارية على أختها ؟ ومن أين فضلت أنت هذا الفرس على صاحبه ؟ لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما ، وإنما يعرفه كلٌّ واحد منهما بطبعه ، وكثرة دربته ، وطول ملابسته .

وكذلك الشعر : قد يتقارب البيتان الجيِّدان النادران ، فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحدًا ، أو أيهما أجود فى معناه إن كان معناهما مختلفاً .

وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سَلاَّم الجُمَحى(٣) وأبو على : دِعْبِل ابن على الخُزَاعى ، فى كتابيهما .

(١) م و ك « لم »
(٢) زيادة من ط و ك
(٣) راجع طبقات فحول الشعراء بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ٦ — ٨.

وحكى إسحاق الموصلى قال : قال لى المعتصم : أخبرنى عن معرفة النَّغَم وبَيِّنْهَا لى . فقلت : إن من الأشياء أشياء تُحيط بها المعرفة ، ولا تؤديها الصفة .

قال : وسألنى محمد الأمين عن شعرين متقاربين ، وقال : اختر أحدهما ، فاخترت ، فقال : من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان ؟

فقلت : لو تفاوتا لأمكننى التبيين ، ولكنهما تقاربا وفضلت[1] هذا بشىء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان .

وقد قيل لخلف الأحمر[2] : إنك لا تزال تردُّ الشىء من الشعر ، وتقول : هو ردىء ، والناس يستحسنونه !

فقال : إذا قال لك الصَّيْرَفى : إن هذا الدرهم زائفٌ فاجهد جَهْدَك أن تنفقه فإنه لا ينفعك قولُ غيره : إنه جيد .

فمِنْ سبيل مَنْ عرف بكثرة النَّظَر فى الشعر والارتياض به وطول الملابسة له - أن يُقْضَى له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه[3] ، وأن يسلَّمَ له الحكم فيه ، ويُقْبل منه ما يقوله ، ويعمل على ما يمثله[4] . ولا يُنازَع فى شىء من ذلك ؛ إذ كان من الواجب أن يسلَّم لأهل كلِّ صناعة صناعتهم ، ولا يخاصمهم فيها ، ولا ينازعهم إلا مَنْ كان مثلهم نظيراً[5] فى الخبرة وطول الدُّرْبَة والملابسة[6] .

---

(١) ط « وفضل »
(٢) راجع طبقات فحول الشعراء ٨
(٣) م و ك « بأعوانه » !
(٤) ط « على تمثاله »
(٥) ط « نظرا »
(٦) ط « فإنه »

وإنه ليس فى وُسْع كل أحدٍ [منهم][1] أن يجعلك أيها السائل المتعنت أو المسترشد المتعلم فى العلم بصناعته كنفسه ، ولا يجد إلى قذف ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده أو مَنْ هو أخص الناس به سبيلا ، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة ، ولا حجة باهرة ، وإن كان ما اعترضت به اعتراضاً صحيحاً ، وما سألت عنه سؤالاً مستقيما ؛ لأن ما لا يدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام ، لا يجوز أن يحيط [محيط] به فى ساعة من نهار .

ثم إن العلم بالذى لا يُعْلم[2] فى أكثر أحواله إلا بالرؤية والمشافهة[3] لا يعرف حق المعرفة بالقول[4] والصفة ، وقد قيل : ليس الخبر كالمعاينة . وعلة ذلك بينة واضحة ، ومعلومة[5] ظاهرة ، وهى : أنه لا يمكنه أن يشاهد بك[6] جميع المعلومات التى اختبرها[7] وعلم علمه [منها] بملابستها فى السنين الطويلة . فمن المحال أن يقدر [على أن يصور لك عشرة آلاف فرس أو] أن يصف لك عشرة آلاف جارية أو عشرة آلاف سيف مختلفات الأجناس والجواهر [والأوصاف] فيجعلك مشاهدًا لذلك كله فى لحظة واحدة ووقت واحد ، ومُخبرًا[8] لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة فى كل نوع من ذلك وكل جنس فى تلك الساعة ، وهو إنما عَلِم ذلك على مرور

---

(١) الزيادة من ك

(٢) ط « الذى لا يعلم به »

(٣) ط « والمشاهدة »

(٤) م « فى الصفة »

(٥) ط « ومعلوم ظاهر هى أنه لا يمكن »

(٦) م « كل جميع »

(٧) ط « التى احتواها »

(٨) م و ك « ومجريا لك كل »

الأيام وطول الزمان ، وهذا محال[١] لا يمكن ولا يسوغ ولا يقدر عليه [أحد] [٢] إلا خالق الخلق وبارئ البشر .

وبعد : فلم لا تصدق نَفْسَك أيها المدعى ، وتعرفنا من أين طرأ عليك [العلم] [٣] بالشعر ؟ أمن أجل أن عندك خزانةَ كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء [٤] ؟ وأنك ربما قَلبْتَ ذلك وتصفحته أو حفظت القصيدة والخمسين منه ؟

فإن كان ذلك هو الذى قَوَّى ظنك ، ومَكَّن ثقتك بمعرفتك ، فلم لا تدعى المعرفَةَ بثياب بدنك ورحْل[٥] بيتك ونفقتك ؟ فإنك دائماً[٦] تستعمل ذلك وتستمتع به ، ولا تخلو من ملابسته ، كما تخلو فى كثير من الأوقات من ملابسة الشعر ودراسته[٧] ، حتى إذا رُمْتَ تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدنانير أو ابتياع ثوب أو شىء من الآلة — لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع إلى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ، ولم لَمَّا خِفْتَ الغَبِينة فى مالك فأذعنت وسلَّمت وأقررت بقلَّة المعرفة — لم[٨] تخش الغبينة والوَكْس فى عقلك فتسلِّم العلم بالشعر إلى أهله ؟ فإن الضرر فى غَبَن العقل أعظم من الضرر فى غبن المال .

فإن قلت : وما العلم بالخيل والبزِّ والرقيق والذهب والفضة التى لم

(١) ط « مجال »
(٢) الزيادة من ك
(٣) م « عليك العلم والشعر . . . أن عندى »
(٤) ط « وأنت . . . أو صحفته »
(٥) م « ورجل » ويعنى برحل منزله : أثاثه
(٦) ط « ونفقاتك . . دأبا »
(٧) فى ط « ودراسته وإنشاده »
(٨) ط « ولم »

يُطْبع الإنسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طُبِع على الكلام ؛ فكان كل أحد [يكون] متكلمًا ، وليس كل أحد صيرفيًا ولا بزازًا ولا نَخَاسا ؟

قيل : ولا كل أحد يكون شاعرًا ، ولا خطيباً ، ولا فى منطقه بارعاً ولا بليغاً[١] ولو كان ذلك كذلك لما رأيت أحدا يتكلم [فيستحسن كلامه ولا يستعاد[٢] ، وآخر يتكلم] فيُضْحَك منه ، فالإنسان المتكلم يعلم معانى ألفاظ لغته ، ولايعلم جيدها من رديئها [ومُتَخَيَّرَها من مرذولها][٣] ، كما أنه يعلم أيضاً أنواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق ، ويميز بين أجناسها ، ولا يعلم جيد كل جنس[٤] من رديئه ، وأرْفَعَه من أدونه[٥] . فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة ، فكذلك المعرفة بأجناس الكلام[٦] [من الشعر] والخطابة صناعة . فإذا رجعت فى[٧] المعرفة بتلك إلى أهلها فارجع أيضاً [فى المعرفة] بهذه إلى أهلها .

وبعد : فإنى أدُلُّك على ما[٨] يَنْتهى بك إلى البصيرة والعلم بأمر نفسك فى معرفتك بهذه[٩] الصناعة أو الجهل بها ، وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، فإن عَرَفت علّة

---

(١) ط « ولا منطيقا بليغا ولا بارعاً »
(٢) ك « ولا يستفاد »
(٣) زيادة من ط و ك
(٤) م « كل نفس »
(٥) ط « دونه »
(٦) م « بكل أجناس الكلام والحكاية » ! وط « بكل جنس من أجناس الكلام »
(٧) م « إلى »
(٨) ط « ما تنتهى إليه البصيرة »
(٩) ط « بأمر هذه »

ذلك فقد علمت ، وإن لم تعرفها فقد جهلت ، وذلك أن تتأمل شعر أَوْسِ ابن حجَر والنابغة الجعدى ؛ فتنظر من أين فَضَّلوا أوسا ، وتنظر فى شعرى[١] بشر بن أبى خازِم وتميم بن أُبَىّ بن مُقْبِل ، فتنظر من أين فَضَّلوا بشرا[٢].

وأخبرنى بعضُ الشيوخ عن أبى العباس ثعلب عن ابن الأعرابى عن المفضَّل : أن سائلاً سأله عن الرَّاعى وذى الرُّمَّة أيهما أشعر ؟ فصاح عليه صَيْحَةً منكرة : أى لا يقاس ذو الرمة بالراعى ، وكذلك غَيْرُ المفضل لا يَقِيسه به ولا يقارب بينهما .

فتأمل أيضاً شعرَىْ هذين[٣] فانظر من أين وقع [تفضيل الراعى أو غير هؤلاء من شاعرين أجمع على تفضيل أحدهما على الآخر فينظر من أينَ وقع ][٤] التفضيل .

فهذا الباب أقرب الأشياء لك إلى أن تعلم حالك فى العلم بالشعر ونقده .

فإن علمت من ذلك ما علموه ، ولاحت[٥] لك الطريقُ التى بها قَدّموا من قَدّموه وأَخّروا من أخروه ؛ فَثِقْ حينئذ بنفسك ، واحكم يسمع[٦] حكمك .

وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك فاعلم أنك بمَعْزِل عن الصناعة .

ثم إن كنت شاعرًا فلا تظهرن[٧] شعرك ، واكتمه كما تكتم سرك .

فإن قلت : إنه[٨] قد انتهى بك التأملُ إلى علم ما علموه — لم يقبل

---

(١) ط « فى شعر كثير بن [ عبد الرحمن و ] بشر »

(٢) ط « كثيرا »

(٣) م « هذين تفضيل الراعى ، أو غير هؤلاء من شاعرين أجمع على تفضيل أحدهما على الآخر فتنظر من أين »

(٤) الزيادة من ك

(٥) ط « ولاح »

(٦) ط « يستمع »

(٧) ط « فلا تظهر »

(٨) ط « إنك »

ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب ، فإن لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك فحتى تعلم شواهده[1] من فهمك ، ودلائله من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والردىء .

ثم إنى أقول بعد ذلك : لعلك — أكرمك الله — اغتررْت بأن شارفت شيئاً من تقسيمات المنطق ، أو جُمَلا[2] من الكلام والجدل . أو علمت أبواباً من الحلال والحرام ، أو حفظت صدرًا من اللغة ، أو اطلعت على بعض مقاييس العربية ، وأنك لما أخذت بطَرَف نوع من هذه الأنواع بمُعَاناة ومزاولة ومُتَّصِلِ عِناية فتوجهت[3] فيه ومهرت — ظننتَ أن كل ما لم تُلابسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى . وأنك متى تعرّضت له وأمْرَرْتَ[4] قريحتك عليه نَفَذَت فيه ، وكشفت [لك] عن معانيه . هيهات ! لقد ظننت باطلاً ، ورُمْت عسيرًا ؛ لأن العلم — [من] أىّ نوع كان — لا يدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه ، والإكباب عليه ، والجد فيه ، والحرص على معرفة أسراره وغوامضه .

ثم قد يتأتى جنسٌ من العلوم لطالبه ويتسهّل[5] ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر : لأن كل امرئ إنما ييسر[6] له ما فى طينته قبولُه ، وما فى طباعه تعلّمه .

فينبغى — أصلحك الله — أن تَقَفَ حيث وُقِف بك ، وتقنع بما قُسِمَ لك ، ولا تتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك .

(١) ط « شواهد ذلك . . . ودليله »
(٢) ط « وجملا . . . والجدال »
(٣) ط « فتوحدت . . وميزت »
(٤) م « وأبرزت »
(٥) ط «ويسهل» .
(٦) ط « يتيسر له ما فى طبعه قبوله وما فى طاقته تعلمه »

# باب
# فى فضل أبى تمام

وجدتُ أهل النَّصَفَة[1] من أصحاب البحترى ، ومَنْ يُقَدِّم مطبوعَ الشعر دون متكلَّفِه — لا يَدْفَعُون أبا تمام عن لَطيف المعانى ودقيقها ، والإبداع والإغراب فيها ، والاستنباط لها ، ويقولون : إنه وإن اختَلّ فى بعض ما يورده [ منها ] فإن الذى يوجد فيها من النادر المستحسن أكثر [ مما يوجد من السخيف المستَرْذل ، وإن اهتمامه بمعانيه أكثر ][2] من اهتمامه بتقويم ألفاظه ، على شدة[3] غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة ، وإنه إذا لاح له أخرجه بأى لفظ استوى من ضعيف أو قوىٍّ .

وهذا من أعدل[4] ما سمعته [ من القول ] فيه .

وإذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشىء الذى هو ضَالّة الشعراء وطَلِبَتهم ، وهو لطيف المعانى .

وبهذه الخلة دون ما سواها فُضِّل امرؤ القيس ؛ لأن الذى فى شعره — من دقيق المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة — فوق[5] ما فى أشعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام ، حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع أو أنواع ، ولولا لطيفُ المعانى

---

(١) ط « أهل البصرة » !
(٢) زيادة من ط ، ك
(٣) ط « على كثرة »
(٤) ط « أعدل كلام سمعته »
(٥) ط « ما استعار سائر » !

واجتهاد امرئ القيس فيها وإقباله عليها[١] — لما تقدم على غيره ، ولكان كسائر الشعراء[٢] [من] أهل زمانه : إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ، ولا لألفاظه من الْجَزالة والقوة ما ليس لألفاظهم .

ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجُّوا فى تقديمه بأن قالوا : هو أول من شَبَّه الخيل بالعِصِى ، وبالوحش[٣] والطير ، وأول من قال : «قَيْد الأوابد» وأول من قال كذا ، وقال كذا ، فهل هذا التقديم له إلا[٤] من أجل معانيه؟

وقالوا : وإذا[٥] كان قد اضطرب لفظُ أبى تمام واختلّ فى بعض المواضع ، فهل خلا من ذلك شاعر قديم أو محدث ؟

هذا الأعشى يَختل[٦] لفظه كثيرًا ، ويُسَفْسِف دائماً ، ويرقّ ويضعف ، ولم يجهلوا حقَّه وفَضْلَه حتى جعلوه نظيرًا للنابغة ، وألفاظ النابغة فى الغاية من البراعة والحسن ، وعديلاً لزهير الذى صَرَف اهتمامه كلَّه إلى تهذيب ألفاظه وتقويمها ، وألحقوه بامرئ القيس الذى جمع الفضيلتين ؛ فجعلوهم طبقةً ، وصار فضلُ كل واحد من غير الوجه الذى فضل منه[٧] صاحبه .

ولو أن أبا تمام حتى[٨] يخلو من كل لفظ جيد البتة ، أو لو أنه قال بالفارسية أو الهندية :

---

(١) م «فيها» و ك «وإقباله قبلها»
(٢) ط «شعراء»
(٣) ط «وذكر الوحش»
(٤) ط «إلا لأجل»
(٥) م و ك «وماذا يكون إذا اضطرب»
(٦) ط «يحيل»
(٧) م و ك «به»
(٨) ط «حى» فضل !

وَإِذا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ[١]
لَوْلا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيما جَاوَرَتْ ... مَا كانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ[٢]

أو قال :

هِيَ البَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدُ وَجْهِهَا ... إلى كلِّ مَنْ لاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدَّدِ[٣]

أو ما أشبه هذا من بدائعه حتى يفسر[٤] لنا [ ذلك ] مفسر بكلام عربي منثور ، أما كان يكون هذا شاعرًا محسناً يشابر شعراء زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه ؟ فكيف وبدائعهُ مشهورة[٥] ، ومحاسنه متداولة ، ولم يأت إلا بأبلغ لفظ وأحسن سَبْك ؟

---

(١) سبقا ص ١٣٨ ، ٣٢٤

(٢) ط « فضل عرف »

(٣) ديوانه ١٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٢٣ « تودد وجهها : حسنة ، وأن كل أحد يحبه » وفى م « يغنيها تبلد »

(٤) ط « يفسره لى محسنا باعثا »

(٥) ط م و ك « المشهورة .. المتداولة »

# باب
# فى فضل البحترى

ووجدت أكثر أصحاب أبى تمام لا يَدْفَعُون[١] البحتريَّ عن حُلْو اللفظ ، وجَوْدة الرّصف[٢] ، وحُسن الديباجة ، وكثرة الماء ؛ وأنه[٣] أقرب مأْخذًا ، وأسلم طريقاً من أبى تمام ، ويحكمون[٤] — مع هذا — بأن أبا تمام أَشْعَرُ منه .

وقد شاهدتُ وخاطبت منهم على ذلك عددًا كثيرًا .

وهذا[٥] مذهب مَنْ جُلُّ ما يراعيه من أمر الشعر دقيقُ المعانى ، ودقيق المعانى موجود فى[٦] كل أمة ، و [فى] كل لغة .

وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حُسْن التأتّى ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام[٧] ، ووَضْع الألفاظ فى مواضعها[٨] ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل فى مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة[٩] لمعناه ؛ فإن الكلام لا يكتسى البهاء والرَّوْنَق إلا إذا كان بهذا الوصف ، وتلك طريقة البحترى .

---

(١) م « لا يدفع »
(٢) ط « الوصف »
(٣) ط « فإنه »
(٤) ك « ثم يحكمون »
(٥) ط « وهذا رجل ما يراعيه » !
(٦) ط « فى كلامه »
(٧) م و ك « الكلم »
(٨) م « وإن لم يورد »
(٩) ك : « نافرة »

قالوا : وهذا أصل يحتاج إليه الشاعر والخطيب صاحب النثر ؛ لأن الشعر أجوده أبلغه ، والبلاغة إنما هى إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سَهْلة عذْبة مستعملة سليمة من التكلّف [ كافية ] ، لا تبلغ الهَذَر الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصاناً يقف دون الغاية ، وذلك كما قال البحترى :

والشعر لَمْحٌ تكْفِى إشارَتُهُ     وَلَيْسَ بِالْهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ[١]

وكما قال أيضاً :

وَمَعانٍ لَوْ فَصَّلَتْها القَوَافِى     هَجَّنَتْ شِعْرَ جَرْوَلٍ وَلَبِيدِ[٢]
حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الكَلامِ اخْتِيارًا     وَتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ
وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَدْرَكْـ     ـنَ بِهِ غَايَةَ المرَادِ البَعِيدِ

فإن اتفق — مع هذا — معنى لطيف ، أو حكمة غريبة ، أو أدب حسن ؛ فذاك[٣] زائد فى بهاء الكلام ، وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه ، واستغنى عما سواه .

قالوا : وإذا كانت طريقةُ الشاعر غيرَ هذه الطريقة ، وكانت عبارته مقصرة عنها ، ولسانه غير مدركٍ لها حتى[٤] يعتمد دقيق المعانى من فلسفة يونان أو حكمة[٥] الهند أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسفة ونَسْج مضطرب ، وإن اتفق فى تضاعيف ذلك شيء من

---

( ١ ) ديوانه ٢٠٥ ، ١/٢٠٩ معارف

( ٢ ) ديوانه ٦٩٤ فى مدح كتابة محمد بن عبد الملك الزيات . وجرول : اسم الحطيئة وفى ط « اللفظ الغريب . . . غاية المرام . والغريب . . . غاية المرام » والغريب تحريف يحمل المدح قدحا

( ٣ ) ط « فذلك »

( ٤ ) ط « مدرك لما يعتمد »

( ٥ ) ك : « حكم » . . . « أو آداب »

صحيح الوصف وسليم النظر[١] – قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة ، فإن شئت دعوناك حكيما ، أو سميناك فيلسوفاً ، ولكن لا نسميك شاعرًا ، ولا ندعوك بليغاً ؛ لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ، ولا على مذاهبهم ، فإن سَمَّيناك بذلك لم نُلْحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء .

وينبغى أن تعلم أن سوء التأليف ورداءة[٢] اللفظ يذهَب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعمِّيه حتى يحوج[٣] مستمعه إلى [طول] تأمل ، وهذا مذهب أبى تمام فى عُظْم شعره .

وحسنُ التأليف وبراعةُ اللفظ يزيد المعنى المكشوفَ بهاء وحسناً ورَوْنَقاً حتى كأنه قد أحدث فيه غرابةً لم تكن ، و زيادةً[٤] لم تعهد ، وذلك مذهب البحترى ، ولهذا[٥] قال الناس : لشعره ديباجة ، ولم يقولوا ذلك فى شعر أبى تمام .

وإذا جاء لطيف المعانى فى غير بلاغة[٦] ولا سَبْك جيد ولا لفظ حسن ، كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الْخَلق ، أو نقش[٧] العبير على خدّ الجارية القبيحة الوجه .

* * *

وأنا أجمع لك معانى هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم

(١) ط « الوصف وسليمه » وفى ك : « وسليم النظم »
(٢) ط « وردىء »
(٣) ط « يحتاج »
(٤) م « وتارة »
(٥) ط « ولذلك »
(٦) ط « غرابة » !
(٧) ط « أو نفث » ولست أدرى كيف ينفخ العبير أو ينقل على خدها ؟

بالشعر : زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء [وهى] : جودة الآلة ، وإصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف ، والانتهاء إلى تمام[1] الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها .

وهذه الخِلالُ الأربع ليست فى الصناعات وحدها ، بل هى موجودة فى جميع الحيوان والنبات .

ذكرتِ الأوائلُ أن كل مُحدَث مصنوع يحتاجُ[2] إلى أربعة أشياء : علة هيولانية وهى الأصل ، وعلة صورية ، وعلة فاعلة ، وعلة تمامية .

فأما الهيولانية[3] فإنهم يعنون : الطينةَ التى يبتدعها البارى جل جلاله ويخترعها ليصور ما شاء تصويره [منها] من رجل أو فرس أو جمل أو غيرها من الحيوان ، أو بُرَّة[4] أو كَرْمَة أو نخلة أو سِدْرَة أو غيرها من سائر أنواع النبات .

[والعلة الصورية : هى المعنى الذى يقصد البارى – جل جلاله – تصويره من رجل][5] .

والعلة التامية هى[6] : أن يُتمَّها تبارك اسمه ويفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها .

---

(١) ط « إلى نهاية . . . نقص منها

(٢) ط « محتاج »

(٣) ط « الهيولى »

(٤) فى اللسان ٥ / ١٢٠ « قال ابن دريد : البر أفصح من قولهم : القمح والحنطة ، واحدته برة »

(٥) الزيادة من ك

(٦) ط « هو »

وكذلك الصانع المخلوق فى مصنوعاته التى علّمه الله عز وجل إياها : لا تستقيم له وتَجُود إلا بهذه الأشياء الأربعة ؛ وهى :

آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجار ، وفضة الصائغ ، وآجُرّ البنّاء ، وألفاظ الشاعر والخطيب ، وهذه هى العلة الهيولانية التى قدموا ذكرها وجعلوها الأصل .

ثم إصابة الغرض فيما يقصد(1) الصانع صَنْعتَه ، وهى العلة الصّورية التى ذكروها(2) .

ثم صحة التأليف حتى لا يقع فيه خلل ولا اضطراب ، وهى العلة الفاعلة.

ثم أن ينتهى الصانعُ إلى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها ، وهى العلة التّامية .

فهذا قولٌ جامع لكل الصناعات [ و ] المخلوقات .

* * *

فإن اتّفق الآن لكل صانع بعدَ هذه الدعائم الأربع أن يُحْدِثَ فى صنعته معنى لطيفاً مستغرباً كما قلنا فى الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض — فذلك زائد فى حُسْن صنعته وجوْدتها ، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها .

وقد ذكَر بزرْجمَهر فضائل الكلام ورذائله ، وبعض ذلك داخل(3) فى الشعر ، فقال : إن فضائل الكلام خَمْسٌ إن نقصت(4) منها فضيلة واحدة

(1) ط « فيها بقصد » !
(2) ط « ذكرتها » !
(3) ط « دليل » !
(4) ط « لو نقص »

سَقَطَ فضلُ سائرها ، وهى : أن يكون الكلام صدقًا ، وأن يوقَع موقع الانتفاع به ، وأن يتكلم به فى حينه ، وأن يحسن تأليفه ، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة .

قال : ورذائله بالضد [من ذلك] ؛ فإنه إن كان صدقاً ولم يُوقع موقع الانتفاع به بطل فضل الصدق منه .

وإن كان صدقاً وأُوقع موقع الانتفاع به [ولم يُتكلم به فى حينه – لم يغنه الصدق ولم يُنتفع به .

وإن كان صدقاً وأُوقع موقع الانتفاع به] وتُكلِّم [به] فى حينه ولم يحسن تأليفه – لم يستقرّ فى قلب مستمعه ، وبطل فضل الخلال الثلاث منه .

وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به وتكلم به فى حينه وأحسن تأليفه ، ثم استعمل منه فوق الحاجة – خرج إلى الْهَذَر ، أو نقص عن التمام – صار مبتوراً وسقط منه فضل الخلال كلها .

وهذا إنما أراد به بُزُرْجمهر الكلامَ المنثور الذى يخاطبُ به الملوك ، ويقدّمه المتكلم أمام حاجته ، والشاعر لا يطالَبُ بأن يكون قوله صدقاً ، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به ؛ لأنه قد يقصد إلى أن [1] يوقعه موقع الضرر ، ولا أن يجعل له وقتاً دون وقت ، وَبقِيَت الخلتان الأُخْرَيان [وهما] واجبتان فى شعر كل شاعر . [وذلك] : أن يحسن تأليفه ، ولا يزيد فيه شيئاً على قدر حاجته .

فصحة التأليف فى الشعر وفى كل صناعة هى أقوى دعائمه بعد صحة

---

(١) ط « إلى أنه »

المعنى ، فكل من[١] كان أصحَّ تأليفاً كان أقوم بتلك الصناعة ممن[٢] اضطرب تأليفه[٣] .

* * *

وقد انتهيت الآن إلى الْمُوَازَنة [بينهما][٤] ، وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعْراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى إليها المقصد ، وهى المرمى والغرض ، وبالله أستعين على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى ، وتَرْك التحامل ؛ فإنه جلّ اسمه حسبى ونعم الوكيل[٥] .

* * *

وأنا أبتدئ بإذن الله من ذلك بما افتتحا به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ، ووصف الدِّمَن والأطلال ، والسلام عليها ، وتَعفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ؛ والدعاء بالسُّقيا لها والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يَخْلُف قَطِينها الذين كانوا حُلُولاً بها من الوحش ، وفى تعنيف الأصحاب[٦] ولومهم على الوقوف عليها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها ، وأقدّم من ذلك [ذكر] ابتداءات قصائدهما[٧] فى هذه المعانى ، إن شاء الله .

---

(١) ط « وكلما كان »

(٢) ط « مما »

(٣) فى ط بعد ذلك : « والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما »

(٤) الزيادة من ك

(٥) هذا آخر ما نسخه ك

(٦) ط « الصحابة . . . بها »

(٧) ط « قصائدهم »

# الابتداءاتُ بذكر الوقوف على الديار

١ ـ قال أبو تمام :

مَا فِى وقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ نَقْضِى ذِمَامَ الْأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ[١]

وهذا ابتداء جيد بالغ[٢] .

وقوله : «الأَدْرَاس» جمع دارس ، وقلَّما[٣] يُجمع فاعل على أفعال ، ومنه[٤] : شاهد وأشهاد ، وماجد وأمجاد ، وصاحب وأصحاب .

٢ ـ وقال أيضاً :

قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بالْمَعَاهِدِ وَإنْ هِىَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانِ ناشِدِ[٥]

أراد[٦] لنشدان الناشد الذى يقول : أين أهلُكِ يا دارُ ؟ كما ينشد الناشد الضَّالة إذا طلبها .

٣ ـ وقال أيضاً :

قِفْ بِالطُّلُولِ الدّارِسَاتِ عُلاثَا أَضْحَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاثَا[٧]

علاثة : اسم صاحبه ، أراد قف يا علاثة .

وهذان ابتداءان صالحان .

---

(١) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزى ٢/٢٤٢

(٢) ط « صالح »

(٣) ط « وقليل ما »

(٤) ط « ومثله » وفى شرح التبريزى : « والأدراس إن جعل جمع دارس فهو مثل شاهد وأشهاد وصاحب وأصحاب ، وإن جعل جمع دريس فهو مثل يتيم وأيتام وشريف وأشراف »

(٥) ديوانه ١١٦ وشرح التبريزى ٢/٦٨ وفى م « لنشوان » وهو تحريف

(٦) م « أراد أن ينشد »

(٧) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزى ١/٣١٤ والقطين : أهل الدار . والرثاث جمع رث وهو البالى

٤ ــ وقال أيضاً :

قِفْ نُؤَبِّنْ كِنَاسَ ذاك الْغَزَال إنَّ فِيها لَمَسْرَحاً لِلْمَقَالِ[١] .

التأبين : مَدْح الهالك ، والكِناس هنا : الرَّبْع ، وإنما يريد الْخَيْمة أو البيت من بيوتهم ، سماه كناساً لأنه جعَل المرأة غزالا : أى قِف بنا نَنْدبه فإن المقال يتَّسع فيه .

وهذا أيضاً بيتٌ جيد ومعنى حسن مستقيم .

٥ ــ وقال :

لَيْسَ الْوُقُوفُ يَكُفُّ شَوْقَكَ فَانْزِلِ وَابْلُلْ غَلِيلَكَ بِالْمَدَامِعِ يُبْلَلِ[٢]

وهذا معنى ظريف ، وقد جاء مثله فى الشعر ، قال الأصم الباهلى ــ واسمه عبد الله بن الحجاج[٣] ــ ولا أعرف غيره ، وأظن أبا تمام عثَر به واحتذى عليه ؛ لأنه كان مُولعاً بغرائب الألفاظ والمعانى :

أَتَنْزِلُ الْيَوْمَ بِالأَطْلالِ أَمْ تَقِفُ لا بَلْ قِفِ الْعِيسَ حَتَّى يَمْضِيَ السَّلَف

السلف : المتقدمون ، وإنما قال ذلك لأن الوقوف على الديار إنما هو وقوف المطىّ ، ولا يكادون يذكرون نزولاً .

وأنشد منشد قول كُثَيِّر وهو[٤] يسمع :

وَقَضَّيْنَ مَا قَضَّيْنَ ثم تَرَكْنَنِي بِفَيْفَا خُرَيْمٍ قَاعِدا أَتَلَدَّدُ[٥]

---

(١) ط « هذا الغزال »

(٢) ديوانه ٢٣٣ « غليلا بالدموع فيبلل » وفى شرح التبريزى ٢ / ٣٢ « بكفء شوقك . . تبلل فتبلل » يقول : شوقك يعظم أن يكون وقوفك كفواً له ، فانزل بمطيتك فى هذا الربع ؛ لأنه يستحق أن ينزل فيه » وفى م « فازل ذبلك عليلا » وهو تحريف

(٣) فى المؤتلف والمختلف ٤٤ « . . . شاعر خبيث إسلامى ، له قصائد يهجو فيها الفرزدق »

(٤) ط « وكثير »

(٥) ديوانه ١ / ١١٤ ومعجم ما استعجم ٣ / ١٠٣٨ « وأزمعن بيناً عاجلا وتركننى . . . قائما أتبلد » وفيفا خريم : اسم مكان . وفى م « بهيفا »

فقال كثير : [أنا](١) ما قلت كذا ، أترانى قاعدًا أصنع ماذا ؟ قيل : فجالساً ؟ قال : ولا هذا ! أجالساً كنت أبول ، قيل : فما قلت ؟ قال : واقفاً . يريد واقفاً على مطيته ، فهذا هو المعروف من عاداتهم .

وقد قال كثير :

خَلِيلَيَّ هــذَا رسم عَزَّةَ فَاعْقِلاَ ... قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حلَّتِ(٢)

والقَلُوص لا يَعْقلها راكبها إلا إذا نزل عنها ، والعَقْل فوق الركبة .

١ ــ وقال البحترى :

مَا عَلى الرَّكْبِ مِنْ وُقُوفِ الرِّكابِ ... فِى مَغَانِى الصِّبا وَرَسْمِ التَّصَابِى(٣)

التصابى : التفاعل من صَبَا يَصْبُو إذا اشتاق ، وإذا فعَلَ فِعْلَ الصبى .

٢ ــ وقال أيضاً :

ذَاكَ وَادِى الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلًا ... مُقْصِرًا من مَلاَمَتِى أَوْ مُطِيلاَ(٤)

[وهذان ابتداءان فى غاية الجودة](٥) .

٣ ــ وقال :

قِفِ الْعِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطاهَا كَلاَلُهَا ... وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا(٦)

وهذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد ؛ لأنه قال : « [قد] أدنى خطاها

(١) زيادة فى ط

(٢) فى ديوانه ١/٣٦ وط : « هذا ربع »

(٣) ديوانه ٥٦٢ د ١/٨٣ معارف القول الفائق ٨ ظ

(٤) ديوانه ٦٨٦ « من صبابة » وفى ط « عن »

(٥) زيادة من ط

(٦) سبق فى أخطاء البحترى ص ٣٧٩ .

كلالها » أى : قارَبَ من خطوها الكلالُ ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الديار التى تَعَرَّض لأن يشفيه ، وإنما وقف لإعياء المطى .

والجيد قولُ عَنْتَرَة :

فَوَقَفْت فِيهَا ناقتِي وَكَأَنَّهَا فَدَنٌ لِأَقْضِيَ حاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ[1]

فإنه لما أراد ذكر الوقوف احتاط بأن شبَّه ناقته بالفَدَن ، وهو القَصْر ، ليُعلم أنه لم يقفها ليريحها .

وقد كشف ذو الرمة هذا المعنى وأحسن فيه وأجاد ، فقال :

أَنَخْتُ بها الْوَجْنَاءَ لا مِنْ سَآمَةٍ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ جاءٍ وَذَاهِبِ[2]

يقول : أنختها لأصلى[3] ، لا من سآمة ، كذا فسروه . وقوله « لثنتين » يعنى [ركعتى العصر] اللتين يقصرهما المسافر « بين اثنين جاء » يريد الليل « وذاهب » يعنى[4] النهار .

فإن قيل : إنما قال : « [قد] أدنَى خطاها كلالها » ليُعْلَم أنه قصد الدار من شقة بعيدة [فيكون أبلغ فى المعنى] .

[illegible] لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها ، فإن كانت [واقعة] على سَنَن طريقهم[5] قال الذى له أَرَبٌ فى الوقوف لصاحبه أو أصحابه ؛ قِفْ ، وقِفا ، وقِفُوا . وإن لم تكن على سَنن الطريق قال : عُوجَا وعَرِّجَا ، وعُوجُوا وعَرِّجوا . كما قال امرؤُ القيس :

(١) سبق فى أخطاء البحترى ص ٣٧٩

(٢) سبق فى أخطاء البحترى ص ٣٧٩

(٣) ط « لأن أصلى . . . هكذا »

(٤) ط « يريد »

(٥) ط « الطريق »

عُوجا عَلى الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنَـا
نَبْكِى الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابنُ حِذَامِ (١)

وإذا عَرَّجوا كان التعريج أَشقَّ على الركب والركاب [من الوقوف] ؛ لأَن لها فى الوقوف حيث انتهت راحة ، والتعريج فيه زيادة فى تَعَبها وكَلاَلها ، وإن قَلَّت المسافة ، كما قال أبو تمام :

وَمَا بِكَ إِرْكَابى مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَباً ... أَلا إِنَّمَا حَاوَلْتَ رُشْدَ الرَّكائِبِ (٢)

لأَن هذا القول منه دلّ على التعريج والتردد فى الرسوم ، أو أن (٣) صاحبه أراد أَن يستمرَّ فى السير ولا يتعوّق (٤) بالوقوف فيعود ذلك عليها بضرر وإن أكسبها راحة ما فى الوقوف ، فقال [له] (٥) أبو تمام : «إنما حاولت رشد الركائب» لا رشدى .

فأَما الأَصمعى فإنه يرى التعريج أيضاً وقوفاً لا عدولا ، قال أبو حاتم : قلت له : ما معنى عَرَّج ؟ قال : وقفَ ، فقلت : يقال : عَرَّج إذا عَدَل ، فقال : لا ، وأنشد بيت ذى الرمة :

يا حَادِيَىْ بنتِ فضاضٍ أَمَا لَكُمَا ... حَتَّى نكلِّمَهَا هَمٌّ بِتَعْرِيجِ (٦)

---

(١) ديوانه ١٧٦ والمحيل : المتغير وقال ناشر ط « الطلل المحيل ومثله المحول : الذى أتى عليه الحول » !

(٢) ديوانه ٤١ وشرح التبريزى ١/٢٠٨ «قال المرزوقى : يخاطب لائمه فى الوقوف على الدار ، يقول : ليس بك – فيما تتكلفه من لومى – هدايتى وصرفى عن غيى إلى رشادى وإنما شق عليك وقوف الإبل بأحمالها ، فحملك الإشفاق عليها والحد فى المنع من حبسها على الإسراف فى العتب وتغليظ القول ، فأما أن يكون بك صلاحى فلا »

(٣) ط « وأن أصحابه أرادوا »

(٤) ط « ولا يترفق فى الوقوف » !

(٥) زيادة من ط

(٦) ديوانه ٧١ « يا جارتى بنت فصاص » وفى م « يكلمها »

أى : هَمٌّ بوقوف ، وهذا لا يمنع أن يكون هَمٌّ بعدول ، ونفس الاشتقاق يدل على العدول ، والله أعلم .

وقال كثير يصف السَّيْلَ :

فَطَوْرًا يَسِيلُ عَلَى قَصْدِهِ وَطَوْرًا يُعَرِّجُ أَلَّا يَسِيلا[١]

فلو كان هناك قصد إلى الدار من جماعتهم أو منه وحده[٢] لما لاموه ، ولا عنفوه على احتباسه وإطالته ، ولا استعجلوه وهو دائباً يسألهم التلوُّمَ عليه والتوقف معه .

وهذه طريقة القوم فى الوقوف على الديار ، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج إلى ذكره ، وتلك سبيل سائر المحدَثين ، وطريقة الطائيَّيْنِ : ما عَدَلاَ عنها ، ولا خرجا إلى غيرها . ألا ترى إلى قول أبى تمام :

مَا فِى وُقوفِكَ سَاعَةً مِنْ باسِ نَقْضِى ذِمَامَ الْأَرْبُعِ الْأَدْرَاسِ[٣]

كيف سأل صاحبه أن يقف [ عليه ] ساعةً ، ثم قال بعد بيت آخر :

لا يُسْعِدُ الْمُشْتَاقَ وَسْنَانُ الْهَوَى يَبِسُ الْمَدَامِعِ بارِدُ الْأَنْفاسِ[٤]

وقوله [ أيضاً ] :

لا تَمْنَعَنِّى وَقْفَةً أَشْفِى بهَا دَاءَ الفِرَاقِ فإنها مَاعُونُ[٥]

وقال البحترى :

يَا وهب هب لِى حيكَ وَقفَةَ مُسْعِدٍ يُعْطِى الأَسَى مِنْ دَمْعِهِ المَبْذُولِ[٦]

---

( ١ ) فى ملحق ديوانه ٢٣٧

( ٢ ) ط « ومنهم وحده » !

( ٣ ) سبق ص ٤٣٠

( ٤ ) فى شرح التبريزى ٢/٢٤٣ « الوسنان : الناعس ، واستعاره ها هنا للهوى ولم يستعمل ذلك من قبل الطائى . يقول : لا يسعدُ المشتاق إلا مشتاق مثله ، فأما من هواه ضعيف ومدامعه فاقدة للبكاء ، فهو سال لا يعين باكيا » .

( ٥ ) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزى ٣/٣٢٣

( ٦ ) ديوانه ٦١٠ ، ٣/١٦٦٢

[ وقوله أيضاً :

قِفْ بهـا وقفةً تردُّ عليهـا     أَدْمُعاً رَدَّها الهوى أَنْضَاءَ[١]

وقوله أيضاً :

ماذا عليكَ مِنَ انتظارِ مُتَيَّمٍ     بَلْ ما تَضُرُّكَ وقْفةٌ فى منزلِ ][٢]

قوله أيضاً :

خَلِّيَاهُ وَوَقفــةً فِى الرُّسُومِ     يَخْلُ مِنْ بَعْضِ بَثِّهِ الْمَكْتُومِ[٣]

ثم إنَّا ما علمنا أحدًا قصَدَ دارًا عَفَت من شقُة بعيدة ، واحدًا كان أو فى جماعة ، للتسليم[٤] عليها ، والمسأَلة لها ، ثم انصرفوا راجعين من حيث جاءوا ، فإن[٥] هذا ما سُمِع به ، ولا هو من أَغراضهم ، إذ ليس فيه جدوى ، ولا يؤدِّى إلى فائدة ، لأَن المحبوب إن كان حيًّا موجودًا فقَصْدُ رِباعه ومَوَاطنه التى هو قاطنها والإلمام به فيها أَولى وأَجْدى[٦] ، وإن كان ميتاً فالإلمام بناحية الأرض التى فيها حُفرته أَولى وأَحْرى ، وعلى أَنهم لا يكادون يَزُورون القبورَ ، وإنما وَقَفوا على الديار ، وعَرَّجوا عليها عند الاجتياز بها والاقتراب منها ؛ لأَنهم تذكروا عند مُشَارفتها أَوطارَهم فيها ، فنَازَعَتهُم نفوسهُم إلى الوقوف عليها ؛ والتلوُّم بها ، ورأَوا أَن ذلك من كَرم العهد وحُسْن الوفاء ، أَلا ترى إلى قول أَبى تمام :

أَمَوَاقِفَ الفِتْيَان تَطوِى لَمْ تَزُرْ     شَوْقاً وَلَمْ تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدًا[٧]

---

(١) ديوانه ٧١٢ وفى م « ردها الكوى » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٧٣١ « ما يضرك » وانظر نقد الباقلانى للبيت فى إعجاز القرآن ٣٤٢ – ٣٤٣

(٣) ديوانه ٥٩٤

(٤) م « للسلام . . والمسأَلة نجالها »

(٥) ط « وإن . . . من أَغراضها وليس »

(٦) ط « وأَحرى »

(٧) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزى ١ / ٤١٢ ويروى : الفتيات ، ولم نزر ، ولم نندب ويروى شرفا . وتطوى : أى تمر فيها وشرفا : أى مرتفعا ، وفى م « لم يرد اشعفا » وفى ط « أمواطن »

ويروى : «لم نزر شَعَفًا » أى : كيف نطوى هذه الرسوم والدمن التى هى مواقف أهل الفتوة[١] ، يريد الكرام ، ولم نزر[٢] حَزْناً لها ولا سَهْلا ؛ لأنه أراد بالشعف ما ارتفع[٣] من الأرض وعلا ، وأراد بالصعيد ما اطمأنَّ من الأرض وسفل ، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذى فيه التراب ، وأكثر ما يكون فيما اطمأن من الأرض ، لا فيما علا ، فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوَّة والمروءة ، وأنَّ طَيها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد . وما أحسن ما قال أبو نُوَاس :

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلى الدِّيارِ مُسَلِّماً    فَلِغيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الهِجْرَانُ[٤]

على[٥] طريقة القوم [المعتادة] .

وقال البحترى يخاطب نفسه أو صاحباً معه :

قِفِ العِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطاهَا كَلالُهَا
وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا[٦]

فمن زعم أن البحترى بهذا القول كان قاصدًا للدار وغَيْرَ مجتاز ، احتاج إلى دليل من لفظ البيت يدل عليه ، ولا سبيل له إلى ذلك .

فإن قيل : [و] لم لا يكون للمطية حق على من بَلَّغته منازلَ أحبابه[٧] يوجب أن يكرمها ويريحها ، كما قال أبو نُواس :

---

(١) م « أهل العيوم »

(٢) م « ولم تزر وعلا والصعيد ما اطمأن وسفل ، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذى فيه التراب حزنا لها » وهو خطأ

(٣) م « ما ارتفع من التراب ، وأكثر ما يكون فيما »

(٤) ديوانه ٥١ طبع الحلبي

(٥) م « فعلى »

(٦) سبق ص ٣٧٨ ، ٤٣٢

(٧) الأحباب »

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ[١]

قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الحَصى فَلَهَـا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

قيل : هذا أصلٌ آخر طريقُه غير طريق الوقوف على الديار ، ولا يقاس أصل على أصل، وإنما يقاس على الأَصل فروعُه التى تتفرَّع منه ، وهذا الشرط فى كل علم[٢] .

وقال أبو نُوَاس فى موضع آخر يخاطب ناقته أيضاً :

فلَمْ أَجْعَلْكِ لِلغِرْبانِ نُحْـلًا وَلَمْ أَقُلِ : اَشْرَقى بِدَمِ الْوَتينِ[٣]

يريد قول الشَّمَّاخ ، والشَّمَّاخ إنما قال :

إِذَا بَلَّغْتِنِى وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فَاشْرَقى بِدَمِ الْوَتِينِ[٤]

لأَنه رأى ناقته قد شفَّها السيرُ وهَزَلها وأنضاها حتى دَبِرَت ، وذلك قوله :

إِلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِى تَشَكَّى كُلوماً بَعْدَ مَحْفِدِها السَّمِينِ[٥]

فيقول : إذا بلغتنى[٦] عَرابةَ فلا أبالى أن تهلكى ، وهذا ليس بدُعاء عليها ، وإنما أراد أنك إذا بَلَّغتِنيه فقد بلغتُ الغنى وأدركتُ العوض منك ؛ فهذا معنى ، وقولُ أبى نواس [ له ] معنى آخر ، وليس بضد لقول الشماخ ،

---

( ١ ) ديوانه ٥٥ والخزانة ١ / ٥٥٤ ويريد بمحمد : الخليفة الأمين

( ٢ ) م « كل عل » !

( ٣ ) ديوانه ٥٦ ومحاضرات الراغب ١ / ٣٣٢ والصناعتين ٢١١ « إشرق » والنحل : العطاء والهبة

( ٤ ) ديوانه ٩٢ والخزانة ١ / ٤٥٣ ، ٢ / ٢٢٢ والكامل ١ / ١١٣ ، ١١٤ ، ٢ / ٦٤٥ والصناعتين ٢١٠ ومحاضرات الراغب ١ / ٣٣٢

( ٥ ) يعنى بالكلوم : الجراح التى يحدثها طول السير فى ظهرها وقد قال الشيخ محمد محيى الدين « المحفد بزنة المجلس أو بزنة المنبر – شىء كالمكتل تعلف فيه الإبل » ! والصواب : أن المحفد : السنام ، كما فى اللسان ٤ / ١٣٢ ورواية الديوان : « مقحدها » وشرحها الشيخ أحمد الشنقيطى بقوله: « المقحد » السنام . والمعنى: أهزلتها بسيرى عليها بعد سمنها » ورواية الخزانة كرواية الديوان ، وشرحها الرضى بالسنام ٢ / ٢٢٦

( ٦ ) م « إذا بلغتنيه فلا »

وإنما يضاده قول المرأة التي قالت : يا رسول الله ، نَذَرْتُ إن بَلَّغَتْنى ناقتى هذه إليكَ أن أنْحَرَها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَبئسَ مَا جَزَيتِها »[١] لأن هذه قصدَتْ أن جعلت جزاء التبليغ النحر ؛ فهذان المعنيان يتضادان ، وقول الشماخ خارج عنهما ، لأنه[٢] أصل ثالث .

والوجه الذى جاء به البحترى فى الوقوف على الديار وتحرز منه[٣] عنترة وذو الرمة — وجه غير هذه الوجوه ، وطريقة غير هذه الطرق ، ولم أقل إنه خطأ ،

وإنما قلت : إن المعنى غير جيد ، فإن التمسنا[٤] العذر للبحترى قلنا : إنه وصف حقيقة أمر العِيسِ عند الوصول إلى الدار ، وهذا مذهب من مذاهب العرب عام فى أن يَصِفُوا الشىء على ما هو ، وكما[٥] شوهد ، من غير اعتماد لإغراب ولا إبداع [ فربما ورد هذا الوجه على ألسنتهم أحسن من كل معنى بديع مستغرب ] ، وربما[٦] وقع فيه مثلُ هذا الخلل لقلة التحرّز[٧] .

وسترى للبحترى وغيره — فى هذا الكتاب — مِنْ هذا النوع فى مواضعه ما هو أجود من كل جيد ، إن شاء الله .

٤ — وقال البحترى :

عَرِّجْ بِذِى سَلَمٍ فَثَمَّ الْمنْزِلُ ... فيَقُولُ صَبٌّ مَا أَرَادَ وَيَفْعَلُ[٨]

وهذا ابتداء جيد ، وقد رواه قوم : « ليقولَ صب ما أراد ويَفْعَلُ »

---

(١) ورد فى الخزانة
(٢) ط « فإنه »
(٣) م « من مثله ذو الرمة »
(٤) ط « التمست »
(٥) ط « وعلى ما شوهد »
(٦) ط « وإنما »
(٧) ط « التجوز » !
(٨) سبق ص ٢٩ « ليقول »

والنصب أجود [ فى الروايتين ] ، والرفع له وجه ، والمتأخرون لا [ يكادون ] يَسْلَمُون من اللحن ، وهو فى أشعارهم كثير جداً .

٥ ــ وقال (أيضاً) :

كَمْ مِنْ وُقُوفٍ عَلَى الأَطْلالِ وَالدِّمَنِ ⁂ لَمْ يَشْفِ مِنْ بُرَحَاءِ الشَّوْقِ ذَا شَجَنِ[١]

وهذا أيضاً ابتداء جيد .

٦ ــ وقال أيضاً :

اسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ فى أَطْلالِهِمْ وَقِفَا ⁂ وَإِنْ أَجَدَّ بِلَى مَأْثُورِهَا وَعَفَا

يقال : أجد فى أمره من الانكماش ، وجَدَّ . وهذا ابتداء صالح .

٧ ــ وقال :

قِفَا فِى مغَانِى الدَّارِ نَسْأَلْ طُلُولَها ⁂ عَنِ النَّفَرِ اللائِينَ كانُوا حُلُولَها[٢]

وليس هذا الابتداء بالجيد ؛ من أجل قوله « اللائين » لأنها لفظة ليست بالحلوة ، وليست[٣] مشهورة .

فهذا ما ابتدآ به من ذكر الوقوف ، وأجعلهما فيه متكافئين ؛ من أجل براعة بيتَى البحترى الأولين ، وأنهما أجود من سائر أبيات أبى تمام ، ولأن للبحترى[٤] فى الباب التقصير الذى ذكرته وليس لأبى تمام مثله .

---

(١) ديوانه ٥٨١

(٢) ديوانه ٥١١ وفى ٣ / ١٧٩٦ « عن الأنس المفقود كانوا »

(٣) م « ولا مشتهاة »

(٤) ط « البحترى . . . التقصير . . . ذكرته له »

## التسليم على الديار

١ - قال أبو تمام :

دِمَنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقالَ سلامُ   كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الإِلْمَامُ(١)

هذا المصراع الأول فى غاية الجودة والبراعة والحسن [والصحة] والحلاوة ، وعجز البيت أيضاً جيد بالغ .

٢ - وقال :

سَلِّمْ عَلى الرَّبْعِ منْ سَلْمى بِذِى سلَمِ   عَلَيْه وَسْمٌ مِنَ الأَيَّامِ وَالقِدَمِ(٢)

وهذا ابتداء ليس بالجيد ؛ لأنه جاء بالتجنيس فى ثلاثة ألفاظ ، وإنما يحسن إذا كان بلفظتين ، وقد جاء مثله فى أشعار الناس ، والردىء لا يؤتم به ، قال الأبيْرد بن المُعَذَّر الرِّياحى(٣) :

جَزِعْتَ وَلم تَجْزَعْ مِنَ البَيْنِ مَجْزَعَا   وَكُنْتَ بِذكرِ الْجَعْفَرِيَّةِ مُولَعَا

وقد جعل بعض الرواة هذا البيت أول قصيدة لامرئ القيس على هذا الوزن ، وذلك باطل(٤) .

وما ينبغى للمتأخر أن يَحْتَذِى الأخذَ إلا للجيد المختار ؛ لِسَعة محاله ، وكثرة أمثلته .

---

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزى ٣/١٥٠

(٢) ديوانه ٢٦٧ وشرح التبريزى ٣/١٨٤ « ذو سلَم : موضع . ووسم غير معجمة ، أى علامة من الأيام والقدم ، وذلك إذا أنه نظر إليه علم أنه قد أتت عليه السنون والأحقاب » .

(٣) ط ، م « المعذل » والتصويب من المؤتلف والمختلف للآمدى ٢٤ وفى الأغانى ١٢/١٠ « ابن المعذر بن عبد بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح . . . شاعر فصيح بدوى . من شعراء الإسلام وأول دولة بنى أمية وليس بمكثر ولا ممن وفد إلى الخلفاء فدحهم »

(٤) فى ديوان امرئ القيس ، مما نسب إليه ، وروايته هناك ١١٤ « ولم أجزع . . . وعزيت قلبا بالكواعب مولعا » ، وفى م « ركبت بذكر »

وقال البحترى :

١ ـ هَذِى المَعَاهِدُ مِنْ سُعَادَ فَسَلِّمِ ۝ وَاسْأَلْ وَإِنْ وَجَمَتْ فلم تَتَكَلَّمِ[(١)]

٢ ـ وقال أيضاً :

أَمَحَلَّتَىْ سَلْمَى بِكاظِمَةَ اَسْلَمَا ۝ وَتَعَلَّمَا أَنَّ الهَوَى مَا هِجْتُمَا[(٢)]

وهذان ابتداءان جيدان .

٣ ـ وقال أيضاً :

حُيِّيتُما مِنْ مَرْبَعٍ وَمَصِيفِ ۝ كانَا مَحَلَّىْ زَيْنَبٍ وَصَدُوفِ[(٣)]

هذا ابتداء صالح .

٤ ـ وقال أيضاً :

مِيلُوا إلى الدَّارِ مِنْ لَيْلَى نُحَيِّيهَا ۝ نَعَمْ وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِيهَا[(٤)]

وهذا بيت[(٥)] ردىء ؛ لقوله « نعم » وليس بالمعنى إليها حاجةٌ ، فجاء بها[(٦)] حَشْوًا . ومن الحشو ما لا يقبح ، و « نعم » ههنا قبيحة ، وقد أولع بها كُثَيِّر بن عبد الرحمن فى ابتداءاته ، فقال :

أَمِنْ أم عَمْرٍو بِالْخَرِيقِ دِيَارُ ۝ نَعَمْ دَرِاسَاتٌ قَدْ عَفَوْنَ قِفَارُ[(٧)]

(١) ديوانه ١٢٤ ، ٤/٢٠٨٠ المعارف و ط « تولم »
(٢) ديوانه ٢٢٨ ، ٣/١٩٥٨ « أن الجوى »
(٣) ديوانه ٦٣٥ « من متربع » ، ٣/١٤٠٣
(٤) ديوانه ٢٦
(٥) ط « البيت »
(٦) ط « جاء »
(٧) ط « أمن آل » وهما روايتان ، وفيها وفى م : « بالحريق » والتصويب من معجم ما استعجم ٤٩٥/٢

وقال :

أَمِنْ آلِ سَلْمَى الرَّكْبُ أَمْ أَنْتَ سَائِلُ
نَعَمْ والْمَغَانِى قَدْ دَرَسْنَ مَوَاثِلُ

وقال :

أَهاجَكَ لَيْلَى إِذْ أَجَدَّ رحِيلُها نَعَمْ وَثَنَتْ لَمّا احْزَأَلَّتْ حَمُولُها[1]

احْزَألت : انتصبت وارتفعت[2].

وقال :

أَبَائِنَةٌ سُعْدَى ؟ نَعَمْ سَتَبِينُ كما انْبَتَّ مِنْ حَبْلِ القَرِينُ قَرِينُ

وهى فى كل هذه الأَبيات رديئة ، وموضعها من هذا البيت الأَخير أَصلح ؛ لأَن إسقاطها من الجميع يَحْسن ، ولا يحتاج الاستفهام فيها إلى جواب ، إلا هذا البيت فإن الاستفهام فيه يقتضى أن يكون «نعم» جواباً له ، ومع هذا فليس لها حلاوة ولا حسن . ولكُثَير استفهامات لا جواب لها على عادات الشعراء المحسنين .

منها قوله :

أَمِنْ آلِ قَيْلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدِيمُ[3]

وكل أبيات كُثَير أجود من بيت البحترى ؛ لأَن «نعم» فيها جواب ، وهى فى بيت البحترى حَشْو ، وقال البحترى فى بيته : «نحييها» والأَجود

(١) ط «أهاجتك»

(٢) كتب هذا التفسير فى م على الهامش . وفى م «اجزألت»

(٣) أمالى المرتضى ٢/٣٣ وفى معجم ما استعجم ٢/٥٤٨ «آل قتله» وفى م «ظلل تلوح» وفى ط «من آل»

« نحيِّها » لأنه جواب الأمر ، وقد يكون « نحييها » رفعاً على الحال ، والجواب ههنا أجود من الحال .

* * *

فهذا ما وجدته من تسليمها على الديار ، وأبو تمام عندى – فى قوله : « دِمَنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ سَلام » – أشعر من البحترى فى سائر أبياته .

وما سمعت من التسليم على الديار أحسن من قول أبى نُوَاس :

وَإِذا مَرَرْتُ عَلى الدِّيَارِ مُسَلِّمًا فَلِغَيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الْهِجْرَانُ[1]

* * *

(١) سبق ص ٤٣٧ .

## ما ابتدأ به من ذكر تعفية[١] الدهور والأزمان للديار

قال أبو تمام :

لَقَدْ أَخذَتْ مِنْ دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقْبُ أَنُحْلُ المَغَانى لِلْبِلَى هِىَ أَمْ نَهْبُ[٢]

أراد أَنُحْلٌ المغانى [هى] لِلْبِلى فحذف التنوين [٣] ، والْحُقْبُ : الدهر ، وجمعه أحقاب ، والحِقَبُ : السِّنُون ، واحدتها حِقْبة ، وقال : «لقد أخذت » فأَنَّثَ والْحُقْبُ مذكر ، وأظنه أراد أيام الدهر ولياليه ، ويقال : الحقب ثمانون سنة ، فعلى هذا قال «أَخَذَتْ » [فأَنث] .

وقال أيضاً :

قَدْ نَابَتِ الْجَزْعَ مِنْ أُرْوِيَّةَ النُّوَبُ وَاسْتَحْقَبَتْ جِدَّةً من رَبْعِها الْحِقَبُ[٤]

«واستحقبت » أى جعلتِ الحِقَبُ ـ وهى السنون ـ جِدَّةَ الربع فى حقيبتها .

والحقيبة : ما يحتقبه الراكب ، وهو وعاء يجعله خلفه إذا ركب ويُحْرِزُ فيه متاعه وزاده ، وهذه استعارة حسنة ، وإنما يريد أن الحقب سلبت الربع جدّته وذهبت بها[٥] .

---

(١) م « ابتداء ما ابتدآ . . تعقبة »

(٢) ديوانه ٣٠، وشرح التبريزى ١/١٨٤ « والنحل : العطية . تقديره : أنحل المغانى للبلى أم نهب ؟ فحذف التنوين للضرورة . يقول : أصيرت المغانى للبلى نحلا أم نهبا ؟ » وفى م « مارية »

(٣) م « البنون » !

(٤) شرح التبريزى ١/٢٤٤ وفى الديوان ٤٦ « من دارها » وفى ط « من ماوية » والجزع : المحلة قال التبريزى : « قوله : من أروية ، فيه حذف ، كأنه قال : من منازل أروية أو من أجزاعها أو نحو ذلك ، ليصح دخول « من » إذ كانت للتبعيض

(٥) قارن شرح الحقيبة هنا بشرحها فى التبريزى

وقال البحترى :

أَرُسُومُ دَارٍ أَمْ سُطُور كِتَابِ     دَرَسَتْ بَشَاشَتُهَا عَلَى الأَحْقَابِ [١]

أى : على مر السنين ، وهذا البيت أبرع من بيتى[٢] أبى تمام لفظاً ، وأجود سَبْكاً ، وأكثر ماء ورونْقاً ، وهو من الابتداءات النادرة العجيبة ، المشبهة لكلام الأوائل ؛ فهو فيه أشعر من أبى تمام .

---

(١) ديوانه ٣٤٠ ، ١/٢٩٤ معارف

(٢) م « بيت »

## وفى إقواء الديار وتعفّيها

١ ــ قال أبو تمام :

طَلَلَ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا
وَكَفَى عَلَى رُزْئِى بِذَاكَ شَهِيدَا[١]

أراد «وكفى بأنه مضى حميدًا شاهدًا على أنى رزئت» . وكان وجه الكلام أن يقول : وكفى برزئى[٢] شاهدًا على أنه مضى حميداً ، وقد استقصيت الكلام فى هذا فيما تقدم من أغاليط[٣] أبى تمام :

٢ ــ وقال أيضاً :

أَجَلْ أَيُّهَا الرَّبْعُ الذِى بَانَ آهِلُهْ
لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهْ[٤]

وهذا أيضاً ابتداء جيد .

٣ ــ وقال أيضاً :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِى وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائعُ مِنْ بُرْدِ[٥]

وهذا بيت ردىء مَعِيب ؛ لأَن الوشيعة والوشائع هو الغَزْلُ الملفوف من

---

(١) سبق ص ٢١٦ . وفى م « رزه نداك » وهو تحريف

(٢) ط « رزئى »

(٣) ط « فى غلط »

(٤) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزى ٣/ ٢١ « خف آهله » قال المعرى : « هذا لا يمكن أن يكون إلا على كلام متقدم ، لأن أجل فى نعم نعم ، ولا معنى لقولك هذه الكلمة إلا وقد سبقها كلام من غيرك . فكأنه ادعى أن الربع كلمه وشكا إليه ، فقال له : أجل أيها الربع ! . وخف أهله : ارتحل من كان فيه من السكان » .

(٥) سبق ص ١٩٢

اللحمة التى يُدَاخِلُها[١] الناسجُ بين السَّدى ، والبرد الذى تمت نساجته ليس فيه شىء يسمى وَشِيعة ولا وشائع ، وقد ذكرت هذا فى أغاليطه .

١ ـ وقال البحترى :

تِلْكَ الدِّيارُ وَدَارِسَاتُ طُلُولِهَا طَوْعُ الْخُطوبِ دَقِيقَها وَجَلِيلِهَا[٢]

٢ ـ وقال أيضاً :

يا مَغَانِى الْأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومَا وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِى مَلُومَا[٣]

٣ ـ وقال أيضاً :

لَمْ يَبْقَ فِى تِلْكَ الرُّسُومِ بِمَنْعِجِ إِمَّا سَأَلْتَ مُعَرَّجٌ لِمُعَرِّجِ[٤]

٤ ـ وقال أيضاً :

هَلَّا سَأَلْتَ بِجَوِّ ثَمْهَدْ طَلَلاً لِمَيَّةَ قَدْ تَأَبَّدْ[٥]

هذه كلها ابتداءات جيدة[٦] بارعة اللفظ صحيحة المعنى .

وأبيات أبى تمام أيضاً رائعة . ولكن فيها ما ذكرته .

---

(١) ط « يدخلها »
(٢) ديوانه ٣٤٥
(٣) ديوانه ٢٧٣
(٤) ديوانه ٤٢٨ ١/٣٩٩ معارف
(٥) ديوانه ٥٨٢ وفى اللسان ٤/٣٥ « تأبد المنزل : أى أقفر وألفته الوحوش »
(٦) ط « جياد »

## تعفية الرياح للديار

قال أبو تمام :

عَفَتْ أَرْبُعُ الْحِلاَّتِ لِلْأَرْبَعِ المُلْدِ لِكُلِّ هَضِيمِ الكَشْحِ مُغْرِبَةِ القَدِّ [١]

الحلات : جمع حِلَّة ، وهو الموضع الذى يَحُلُّونه ، يقال : حلَّة ومَحَلَّة ، والأربع الملد : يريد أَرْبَعَ نسوة [٢] مُلْد ، من قولهم : غصْنٌ أُمْلُود ، وهو [الغصن] الناعم ، و «أملود» لا يجمع على «مُلْد» و [ملد] هو جمع أَمْلَد .

و «هضيم الكشح» يريد ضامرة البطن .

وقوله : «مغربة القد» يريد أغربَ قدُّها : أى [٣] لها قَدٌّ غريبٌ فى الحسن ، وإنما أراد عَفَتْ أَربَعُ حِلال : أى مواطن ، لأَربع نسوةٍ [٤] ، وهذه تَكْلِفةٌ شديدة ، جاءت بلفظٍ غير حسن ولا جميل .

وكذلك « مغربة القد » من قول الشعراء المتأخرين : غريبُ الحسنِ ، وغريب القد . والكلمة إذا لم يؤتَ بها على لفظها المعتاد هجنت وقبحت .

وقوم يروونه : «أَرْبُع الحلاَّت» جمع رَبْع ، وذلك غلط . وإنما أراد الرجلُ العدَدَ : أى عفتْ أَرْبُعٌ لأَربَع .

---

(١) ديوانه ١٣٠ وشرح التبريزى ١١٨/٢ «مجدولة القد» قال المرزوقى : «أى عفت ديار هؤلاء الجماعات لمفارقة هؤلاء النسوة الأربع . والملد : جمع ملداء ، وهى الناعمة . والحلات : جمع حلة ، وهى جماعة من الناس وجماعة من بيوتهم»

(٢) ط «نساء ملد»

(٣) م «أى أنها قد غربت»

(٤) ط «وهذا تكلف شديد وقد» وفى اللسان ٢١٨/١١ يقال : حملت الشىء تكلفه : إذا لم تطقه إلا تكلفا ، وهو تفعلة»

ولا أعرف[١] لأبي تمام ابتداء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت . وهو ردىء اللفظ. قبيح النسج .

١ ـ وقال البحترى :

بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فاللِّوَى والأَجْرَعِ ... دِمَنٌ حُبِسْنَ على الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ[٢]

وهذا من ابتداءاتِهِ العجيبة[٣] النادرة وإحسانه فيه الإحسان المشهور .

وقوله : «بين الشقيقة فاللوى» كقول امرئ القيس : «بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ» والأصمعى يرويه بالواو ، وأهل العربية يقولون : الدخول مواضع متفرقة[٤] .

[وأكثر الشعراء يستعملون الفاء فى هذا الموضع] .

٢ ـ وقال البحترى :

أَصَبَا الأَصَائِلِ إنَّ بُرقَةَ مُنْشِدِ ... تَشْكُو اخْتِلافَكِ بِالْهُبوبِ السَّرْمَدِ[٥]

ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : إنهم ما سمعوا لمتقدم ولا متأخر فى هذا المعنى أَحْسَنَ من هذا البيت ، ولا أبرعَ لفظاً ، ولا أكثر ماء ولا رونقاً ، ولا ألطف معنًى .

٣ ـ وقال البحترى :

لا أَرَى بِالْبِرَاقِ وَسْماً يُجِيبُ ... أَسْكَتَتْ آيةُ الصَّبا والجَنُوبُ[٦]

وهذا ابتداء صالح .

---

(١) ط « ولا أعلم »

(٢) ديوانه ٧٢٧ ، ٢ / ١٢٨٦ « فالأجرع »

(٣) ط « الحسنة »

(٤) راجع معجم ما استعجم ٢/٥٤٨

(٥) ديوانه ٤٥٨ وفى ط « برقة تهمد »

(٦) ديوانه ١ / ٨١ طبع مصر د ١ / ١١٢ معارف القول ١٤ ظ

## وفى البكاء على الديار

١ ـ قال أبو تمام :

عَلى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلاعِبِ    أُذِيلَتْ مَصُوناتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ[١]

قد أنكر بعضهم قوله : « مصونات الدموع السواكب » ، وقال : كيف يكون من السواكب ما هو مَصُون ؟

وإنما أراد أبو تمام [أذيلت] مصونات الدموع التى هى الآن سواكب ، ولفظه يحتمل ما أراده ، والبيت جيد لفظاً ومعنى ونظماً .

٢ ـ وقال أيضاً :

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا    فَلا تَكُفَّنَّ مِنْ شَأْنَيْكَ أَوْ يكِفَا[٢]

هذا ابتداء حسن .

٣ ـ وقال أيضاً :

أَزَعَمْتَ أَنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتَيِّمُ    والدَّمْعَ فِى دِمَنٍ عَفَتْ لا يُسْجَمُ[٣]

٤ ـ وقال أيضاً :

قِرَى دارِهِمْ مِنِّى الدُّمُوعُ السَّوَافِكُ    وَإِنْ عَادَ صُبْحِى بَعْدَهُمْ وَهْوَ حَالِكُ[٤]

وهذان ابتداءان جيدان .

---

(١) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزى ١ / ٢٠٥ « أذيلت أى أهينت »

(٢) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٥٩ « شأنيك تثنية شأن ، وهى مجارى الدمع » ويروى « عن شانيك »

(٣) ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزى ٣ / ٢١٢

(٤) ديوانه ٢٢٣ وشرح التبريزى ٢ / ٤٥٦ وفى اللسان ١٢ / ٣٢٣ « سفك الدمع يسفكه سفكا فهو مسفوك وسفيك – : صبه »

٥ ـ وقال أيضاً :

تَجَرَّعْ أَسًى قَدْ أَقْفَرَ الْجَرَعُ الْفَرْدُ وَدَعْ حِسْىَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ مَاءَهُ الْوَجْدُ(١)

الجرع والأجرع والجرعاء : أرض ذاتُ رملٍ وحجارة مختلطة [وهى أرض] خشنة ، وقد قيل : رملة سهلة .

والحِسْىُ : ماء المطر يغيض فى الرمل [شيئاً](٢) قليلاً ثم يصل(٣) إلى الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب(٤) ، وجمعه أحساء .

١ ـ وقال البحترى .

مَتَى لاحَ بَرْقٌ أَوْ بَدَا طَلَلٌ قَفْرُ جَرَى مُسْتَهِلٌّ لا بَكِيءٌ وَلا نَزْرُ(٥)

وهذا بيت حَسْبُك به جودةً [وحسناً] وبراعة وفصاحة .

٢ ـ ونحوهُ قوله :

لَهَا مَنزِلٌ بَيْنَ الدَّخُول فَتُوضِحِ مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَيَّمِ تَسْفَحِ(٦)

هذا مثل قول امرئ القيس : «بين الدخول فحومل» .

وهذا أيضاً بيت جيد ، وليس كالأول .

٣ ـ وقال أيضاً :

أَفِى كُلِّ دَارٍ مِنْكَ عَيْنٌ تَرَقْرَقُ وَقَلْبٌ عَلَى طُولِ التَّذَكُّرِ يَخْفُقُ(٧)

---

(١) ديوانه ١٢٠ وشرح التبريزى ٢/٨٠

(٢) م «سنا»

(٣) ط «يصير»

(٤) فى اللسان ١٨/١٩٣ «الحسى : الرمل المتراكم أسفله جبل صلد ، فإذا مطر الرمل نشف ماء المطر ، فإذا انتهى إلى الجبل الذى أسفله أمسك الماء ، ومنع الرمل حر الشمس أن ينشف الماء ، فإذا اشتد الحر نبث وجه الرمل عن ذلك الماء ، فنبع بارداً عذباً»

(٥) ديوانه ٨٦ ، ٢/٨٤٣ المعارف

(٦) ديوانه ٦٣١

(٧) ديوانه ٥١٧ ، ٣/١٤٩٢

وهذا أيضاً غاية فى جودته وبراعته وكثرة مائه .

٤ ـ وقال أيضاً :

أَلَمَّا يَكْفِ فِى طَلَلٍ زَرُودِ بُكاؤُكَ دَارِسَ الدِّمَنِ الْهُمُودِ(١)

٥ ـ وقال أيضاً :

أَعَنْ سَفَهٍ يَوْمَ الْأُبَيْرِقِ أَمْ حِلْمِ وُقُوفٌ بِرَبْعٍ أَوْ بُكاءٌ على رَسمِ(٢)

هذه الأبيات الثلاثة كأنه منكر [فيها] على نفسه البكاء وقد أحسن فيما اعتمد من ذلك وأجاد ، وهو ضد ما ذهب إليه أبو تمام فى أبياته .

٦ ـ وقال البحترى وهو حسن جدًّا :

وُقُوفُكَ فِى أَطْـلالِهِمْ وَسُؤَالُهَا يُرِيكَ غُرُوبَ الدَّمْعِ كَيْفَ انْهِمَالُهَا(٣)

٧ ـ وقال [أيضاً] :

عِنْدَ الْعَقِيقِ فَمَاثِلاتِ دِيَارِهِ شَجَنٌ يَزِيدُ الصَّبَّ فى اسْتِعْبارِهِ(٤)

٨ ـ [وقال :

يَأْبَى الْخَلِيُّ بُكاءَ الْمَنْزِلِ الْخَالِى وَالنَّوْحَ فِى دِمَنٍ أَقْوَتْ وَأَطْلالِ](٥)

٩ ـ وقال :

أَبُكاءً فِى الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسُلُوًّا بِزَيْنَبٍ عن نَوَارِ(٦)

---

(١) الهامد : البالى

(٢) ديوانه ١٩٠

(٣) ديوانه ٢٢٢

(٤) ديوانه ٢٤٠ ، ٢ / ٨٦٦ المعارف

(٥) زيادة من ط .

(٦) ديوانه ٤٤٤ ، ٢ / ٩٨٨ وفى ط « عن زينب بنوار »

وهذا من البحترى تصرّف[١] فى البكاء على الديار حسن ، ومعان فيه مختلفة عجيبة ، كلها جيد نادر ، وأبو تمام لزم طريقة [واحدة][٢] لم يتجاوزها .

والبحترى فى هذا الباب أشعر .

(١) ط « وصف »
(٢) زيادة من ط

## سؤال الديار واستعجامها عن الجواب

١ ـ قال أبو تمام :

الدَّارُ نَاطِقَةٌ وَلَيْسَتْ تَنْطِقُ  لِدُثُورِهَا ؛ إنَّ الْجدِيدَ سَيَخْلُقُ

٢ ـ وقال فى مثل معناه :

وَأَبِى الْمَنَازِلِ إِنَّهَا لَشُجُونُ  وَعَلَى الْعُجُومَةِ إنها لتُبِينُ[١]

وهذا قسم[٢] شائع على ألْسُن العرب أن يقولوا[٣] لمن يعقل : [وأبيك لقد أحسنت] وأبيك لقد أجملت ، وكثرت على الألسن حتى تعدوا[٤] بها إلى ما لا يعقل ، قَسَماً وغير قسم ، وكذلك قالوا : لأمك الْهَبَل ، ولأَبيك[٥] الْوَيْلُ ، ثم قالوا [مثل] ذلك لما لا أم له وقام مُحْرِز[٦] بن المُكَعْبَرِ [الضبى] يرثى بِسْطَام بن قيس :

لِأُمِّ الأَرْضِ وَيْلٌ مَا أَجَنَّتْ  بحيثُ أَضَرَّ بالْحَسَنِ السَّبِيلُ[٧]

فجعل للأَرض أمًّا .

---

(١) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزى ٣ / ٣٢٣

(٢) ط « معنى »

(٣) ط « تقول » و م « لما »

(٤) ط « حتى حملوا »

(٥) م « ولأمك »

(٦) ترجم له المرزبانى فى معجم الشعراء ٤٠٥

(٧) الحسن اسم مكان قتل به بسطام بن قيس بن خالد الشيبانى ، كما فى معجم ما استعجم ٢/٤٤٨ ، ٤/ ١٣١٩ وفيه : « وقال ابن عنمة الضبى يرثى بسطاما ، وكان مجاوراً فى بنى بكر فأراد أن يتخلص منهم بتأبين بسطام : لأم الأرض . . . ما ألمت . . . . » وهى أبيات . وفى اللسان ١٦ / ٢٧٣ « . . قال عبد الله بن عنمة الضبى فى الحسن ، يرثى بسطام . . »

وقد قال البحترى :

لَعَمْرُ أَبِى الأَيَّامِ ما جَارَ حُكْمُهَـــا عَلَىَّ ، وَلا أَعْطيتُهَا ثِنْى مِقْوَدِى[١]

فجعل للأَيام أباً .

وقوله « شجون » جمع شَجَن ، وما أَقلَّ ما يجمع فَعَل على فُعُول . قالوا : أَسدوأسود ، وليس هو بتابه ، والشجن : الحاجة ، والشجن : الهم والحزن .

٣ ـ وقال أبو تمام :

منْ سجَايَا الطُّلولِ أَنْ لا تُجِيبَا فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلتِى أَنْ تَصُوبَا[٢]

صدر هذا[٣] البيت جيد ، وقوله « فصواب » [ لفظة ] ليست بجيدة فى هذا الموضع ، وإنما أراد التجنيس .

١ ـ وقال البحترى :

لا دِمْنَةٌ بِلِوَى خَبْتٍ وَلا طَلَلُ تَرُدُّ قَوْلًا على ذِى لَوْعَةٍ يَسَلُ[٤]

وهذا ابتداء جيد لفظه ومعناه .

٢ ـ وقال [ البحترى ] :

صَبٌّ يُخَاطِبُ مُفحَماتِ طُلول مِنْ مَائل بال وَمِنْ مَسْئولِ[٥]

أراد أنه بال[٦] والطلول بالية . وهذا ابتداء صالح .

---

( ١ ) ديوانه ٢٣١ ، ٧٧٢/٢ المعارف

( ٢ ) سبق ص ١٠ .

( ٣ ) ط « هذا . . صدره . . . بالجيدة »

( ٤ ) ديوانه ٧١٥ ، ١٧٥٨/٣

( ٥ ) ديوانه ٦١٠ ، ١١٦١/٣ وط « سائل باك »

( ٦ ) ط « باك . . باكية »

٣ ـ وقال [ البحترى ] :

عَزَمْتُ على المَنَازِل أن تُبِينَا      وَإنْ دِمَنٌ بَلِينَ كما بَلِينَا[١]

أى : عزمت عليها أن توضح لنا ، ويكون « تبين »[٢] بمعنى تُفصح هى فى نفسها ، يقال : بانَ الشيءُ وأَبَانَ .

وقوله : « وإن دِمَن بلين كما بلينا » أى : عزمت عليها أن تُبين لنا القولَ وإن كانت قد بَلِيَتْ كما بلينا نحن ، وهذا البيت ردىء العجز[٣].

٤ ـ وقال [ البحترى ] :

أَقِمْ عَلَّها أَنْ تَرْجعَ القَوْلَ أَوْ عَلِّ      أُخَلِّفُ فِيهَا بَعْضَ مَابى مِن الخَبْلِ[٤]

وهذا أيضاً بيت ردىء الصدر لفظه ومعناه ؛ لأنه أراد أن يقول : قف لعلها أن تَرْجع القولَ أو لعلّى ، فقال « أقم » مكان قِفْ ، وليست هذه اللفظة نائبةً عن تلك ؛ لأن الإقامة ليست من الوقوف فى شىء ، والدليل على أنه أراد أن يقول قف قولُه بعد هذا :

فَإِنْ لَمْ تَقِفْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكَ سَاعةً      فَقِفْها عَلى تِلْكَ الْمَعَالِمِ مِنْ أَجْلِى

وقال : « علها أو عَلى » وهما[٥] وإن كانتا لفظتين عربيتين فَلَعَلَّ أحسن من عَلَّ وأبرع ، وزاد فى تهجينها أنه كرَّرها فى مصراع .

وقوله : « أخلِّف فيها بعض ما بى من الْخَبْل » عَجُز حسن ، [ أى ][٦]

---

( ١ ) ديوانه ٥٥٣ ، ٤ / ٢٢٠٧ المعارف وفى م « نبينا »

( ٢ ) م « نبين . . يتضح »

( ٣ ) م « التفخر » ! !

( ٤ ) ديوانه ٣٦١ ، ٣ / ١٨٠٥

( ٥ ) م « فهما »

( ٦ ) زيادة من ط

أطْرَحه عنى ، أى : لعلى أبكى فأُخفف بعض ما بى من البكاء ، وإلى هذا المعنى[١] ذهب ، وإن لم يذكر[٢] البكاء فى البيت فقد ذكره من بعد .

٥ ـ وقال :

بِاللهِ يَا رِبْعُ لَمَّا زِدْتَ تِبْيانَا فَقُلْتَ لى الحَىُّ لَمَّا بَانَ لِمْ بَانَا[٣]

٦ ـ وقال أيضاً :

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما أَنْتَ قَائِلُهْ
وَأَبْدَى الْجَوَابَ الرَّبْعُ عَمَّا تُسَائِلُهْ[٤]

وهذا بيت غير جيد ؛ لأن عَجُز البيت مثل صدره سواء فى المعنى ، وكأنه بنى الأمر على أن الدار غير الربع ، وأن السؤال إن وقع وقع فى محلين[٥] اثنين .

والبيت أيضاً لا يقوم بنفسه ؛ لأنه[٦] جعله مَعلَّقاً بالبيت الثانى وهو قوله :

أَفِى ذَاكَ بُرْءٌ مِنْ جَوًى أَلْهَبَ الْحَشَا
تَوَقُّدُهُ وَاسْتَغْزَرَ الدَّمْعَ جَائِلُهْ[٧]

٧ ـ وقال [ أيضاً ] :

هَلِ الرَّبْعُ قَدْ أَمْسَتْ خَلاَءً مَنَازِلُهْ مُجيبٌ صَدَاهُ أَوْ يـخَبِّرُ سَائلُهْ[٨]

(١) م « إلى . . المغنى »
(٢) ط « لم يكن »
(٣) ديوانه ٤ / ٢١٤٩ المعارف م « ازددت » وفى ديوانه ٤/٢١٤٩ « لما ازددت تبياناً ... وقلت . . . . »
(٤) ديوانه ٥١ ، ٣ / ١٦١٠ وفى ط « ما أنت سائله »
(٥) م « بمجلين »
(٦) م « بنفسه وجعله »
(٧) م « العين خابله » !
(٨) ديوانه ٣ / ١٨٧٨ و م « يجيب »

وهذا ابتداء صالح .

٨ ــ وقال أيضاً :

عَسَتْ دِمَنٌ بالأَبْرَقَيْن خَوَالى تَرُدُّ سَلامِى أَوْ تُجيبُ سُؤَالى(١)

وهذا ابتداء حسن .

* * *

فهذا ما وجدته لهما من الابتداءات فى الباب ، وليس [ لهما ](٢) فيه بيت بارع .

والجيد [ فيه ] للبحترى قوله :

* لا دِمْنَةٌ بِلِوَى خَبْتٍ وَلاَ طَلَلُ(٣) *

وقوله :

* عَسَتْ دِمَنٌ بِالأَبْرَقَيْنِ خَوَالى *

والجيد لأَبى تمام بيتاه الأَولان ، ومعناهما غير معنى هذين البيتين [ وأَلطف] .

وبيتا البحترى أَجود لفظاً ، وأَصح سَبْكاً ، فاجعلهما(٤) فى هذا الباب متكافئين .

---

(١) ديوانه ٧٨٣ ، ٣ / ١٧٠١

(٢) زيادة من ط

(٣) سبق البيت فى ص ٤٥٦

(٤) ط « سبكا وهما فى هذا متكافئان »

## فيما يخلف الظاعنين فى الديار من الوحش وما يقارب معناه

١ ـ قال أبو تمام :

أَطْلاَلُهُمْ سُلِبَتْ دُمَاها الْهِيفَا واسْتُبْدِلَتْ وحْشاً بِهِنَّ عُكوفَا[1]

وهذا [أيضاً] بيت جيد لفظه ومعناه .

٢ ـ وقال أيضاً :

أَأَطْلاَلَ هِنْدٍ سَاءَ مَا اعْتَضْتِ مِنْ هِنْدِ
أَقايَضْتِ حُورَ العَيْنِ بِالعِينِ والرُّبْدِ[2]

العِينُ : بقر الوحش والظباء ، والرُّبد : النعام ، وقايضت : أبدلت .

وهذا بيت ليس بالجيد ، ولا [هو] بالردىء .

٣ ـ وقال أيضاً :

أَرَامَةُ كُنْتِ مَألَفَ كُلِّ رِيمِ لَوِ اسْتَمْتَعْتِ بالأُنْسِ القَدِيمِ[3]

وهذا ابتداء[4] جيد .

وقال البحترى :

١ ـ رَبْعٌ خلاَ مِنْ بَدْرِهِ مَغْنَاهُ وَرَعَتْ بِهِ عِينُ المَهَا الأَشْبَاهُ[5]

وهذا بيت حسن حلو .

---

(١) ديوانه ٢٠٥ وشرح التبريزى ٢ / ٣٧٦

(٢) ديوانه ١١٤ وشرح التبريزى ٢/ ٥٩

(٣) شرح التبريزى ٣/١٦٠ وفى الديوان ٢٨٧ وم « المقيم » وهما روايتان . وقد سبق فى الأمثال

(٤) ط « وهذا بيت »

(٥) « وزعت به »

٢ ـ وقال البحترى أيضاً :

عَهْدِى بِرَبْعِكَ مَأْنُوساً مَلاَعِبُهُ أَشْبَاهُ آرامِهِ حُسْناً كَوَاعِبُهُ[١]

وهذا بيت فى غاية الجودة والبراعة لفظهُ ومعناه .

٣ ـ وقال أيضاً :

عَهْدِى بِرَبْعِك مُثَّلاً آرَامُهُ يُجْلَى بِضَوْءِ خُدُودِهِنَّ ظَلاَمُهُ

وهذا بيت جيد اللفظ والمعنى ، ولفظ الأول أعلى[٢] وأبرع .

وقوله : « يجلى بضوء خدودهن ظلامه » حسن جدًّا .

٤ ـ وقال أيضاً :

أَرَى بَيْنَ مُلْتَفِّ الْأَرَاكِ مَنَازِلاَ مَوَاثِلَ لَوْ كانَتْ مَهَاهَا مَوَاثِلا[٣]

وهذا أيضاً بيت من أبرع ابتداءاته .

* * *

فهذا ما وجدته لهما فى هذا النحو ، والبحترى فى أبياته أشعر من أبى تمام فى أبياته .

(١) ديوانه ٧٨٦ وفى م « تربعك ما توساه . . أشباه أزال به » وهو تحريف
(٢) ط « أحلى »
(٣) ديوانه ٣ / ١٦٠٣

## وفيما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها

١ ـ قال أبو تمام :

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَرَاكَ دَرِيساً ... وَقِرَى ضُيُوفِكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا[(١)]

وهذا بيت من جيد الابتداءات وبارعها .

١ ـ وقال البحتري :

مَغَانِى سُلَيْمَى بِالعَقِيقِ ودُورُهَا ... أَجَدَّ الشَّجَى إِخْلاقُها وَدُثُورُهَا[(٢)]

وهذا بيت فى جودة بيت أبى تمام وبراعته .

٢ ـ وقال [أيضاً] :

لَعَمْرُ المَغَانِى يَوْمَ صَحْرَاءِ أَرْثَدِ ... لَقَدْ هَيَّجَتْ وَجْداً عَلى ذِى تَوَجُّدِ[(٣)]

٣ ـ وقال أيضاً :

مَا جَوُّ خَبْتٍ وَإِنْ نَأَتْ ظُعُنُهْ ... تَارِكُنَا أَوْ تَشُوقَنَا دِمَنُهْ[(٤)]

وقال أيضاً :

كُلَّمَا شَاءَتِ الرُّسُومُ المُحِيلَهْ ... هَيَّجَتْ مِنْ مَشُوقٍ صَدْرٍ غَلِيلَهْ[(٥)]

وهذه كلها ابتداءات جياد ، وهى مع بيت أبى تمام متكافئة .

---

(١) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزى ٢ / ٢٦٢ « القشيب : الجديد هنا . واللوعة : حرقة القلب والرسيس : ما يجده الإنسان فى قلبه من حزن أو هوى » وفى م « نقرى » وصوابها « تقرى » وهى رواية أخرى .

(٢) ديوانه ٣٨٣

(٣) ديوانه ٢٣٠ « لعمرى » وفى ط « صحراء أربد » وفى م « ذى توحد »

(٤) ديوانه ٣٣٤ وفى اللسان ١٨ / ١٧٣ « قال الأزهرى : الجو : ما اتسع من الأرض واطمأن وبرز وفى بلاد العرب أجوية كثيرة كل جو منها يعرف بما نسب إليه . فمنها جو غطريف إلخ » وخبت : اسم موضع

(٥) ديوانه ٤٧٥ « مشوق قلب » ، ٣ / ١٦٣٩

## الدعاء للدار بالسقيا

١ ــ قال أبو تمام :

أَسْقَى طُلُولَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ ... وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ[١]

٢ ــ وقال أيضاً :

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبَلُ الْعِهَادِ ... وَرَوَّضَ حَاضِرٌ منه وَبَادِى[٢]

وهذان ابتداءان جيدان .

٣ ــ وقال أيضاً :

يَا بَرْقُ طَالِعْ مَنْزِلاً بِالأَبْرَقِ ... وَاحْدُ السَّحَابَ لَهُ حُدَاءَ الأَيْنُقِ[٣]

قوله : « طالع » لفظة رديئة فى هذا الموضع قبيحة ، وقوله : « واحْدُ السحاب[٤] له حداء الأَينق » لفظه ومعناه جيدان فصيحان ، وإنما خص

---

(١) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزى ٣/٢٨٩ « أسقى وسقى بمعنى واحد . والمراد بالأجش : الرعد . والهزيم : يحتمل أن يكون من الصوت ، من ذلك قولهم : تهزم الأديم إذا تكسر وتشقق »

(٢) ديوانه ٧٨ وشرح التبريزى ١ / ٣٧٢
والسبل بالتحريك : المطر . والعهاد : جمع عهد ؛ وهو مطر بعد مطر يدرك آخره بلل أوله وفى الشرح . « وروض حاضر ، يعنى المكان الذى فيه الحاضر ؛ وكذلك المكان الذى فيه البادى ، سمى المكان باسم الناس ، لأن القوم إذا حضروا الماء قيل لهم : حاضر ، ولا يمتنع أن يعنى فى هذا البيت : الإنس إذ كان يمكن أن يقال : قد روضوا : إذا نبت لهم الروض » وفى ط « صوب العهاد وروى حاضر منهم »

(٣) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزى ٢/٤٠٦ « يقول للبرق : سق سحابك برعده وصوبه إليه ، كما تساق النوق بالحداء » .

(٤) م « واحد المجاز . . . لفظ ومعنى » وهو تحريف

البرق لأنه دليل الغيث .

٤ ــ وقال أيضاً :

أَيُّها الْبَرْقُ بِتْ بِأَعْلَى الْبِرَاقِ    وَاغْدُ فِيها بِوَابِلٍ غَيْدَاقِ[١]

الْبِرَاق: جمعُ بُرْقة ، مثل بُرْمة وبِرام ، وهى الأرض ذات الطين والْحَصَى تكون ذات ألوانٍ مختلفة .

وهذا بيت جيد ، ووَصَلَه ببيت هو غاية فى الحسن والحلاوة نأتى به إن شاء الله تعالى فى بابه .

٥ ــ وقال :

يا دارُ دَارَ عَلَيْكِ إرهَامُ النَّدَى    وَاهْتَزَّ رَوْضُكِ فِى الثَّرَى فَترَأَّدَا[٢]

يقال : أرهمت السماء ، إذا أتت بالرِّهَمة ، وهو المطر اللين ، يقال : رِهَمة وأرهام مثل[٣] أَكَمَة وآكام ، فإن قلت : «أرهام الندى» كان ذلك سائغاً .

وترأَّد : تثنىَّ لكثرة مابه وغَضَاضته ومنه «امرأة رُودُ الشباب» أى : غَضَّته .

وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النَّسْجِ .

١ ــ وقال البحترى :

نَشَدْتُكَ اللهَ مِنْ بَرْقٍ عَلَى إِضَمٍ    لَمَّا سَقَيْتَ جَنُوبَ الْحَزْنِ فَالْعَلَمِ[٤]

(١) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزى ٢ / ٤٤٧ والغيدان : الكثير الماء والجرى

(٢) ديوانه ١٢٥ وشرح التبريزى ٢/١٠١

(٣) ط «كأكمة»

(٤) ديوانه ٦٥٣ ، ٣ / ١٩٧٣ وفى م «حبوب»

وهذا بيت بارع اللفظ ، جيد المعنى ، وزاد فى جَوْدته قوله : « نشدتك الله » .

٢ ــ وقال أيضاً :

سُقِيتِ الْغَوَادِى مِنْ طُلُولٍ وَأَرْبُعِ ... وَحُيِّيتِ مِنْ دَارٍ لِأَسْمَاء بَلْقَعِ[١]

وهذا أيضاً بيت جيد اللفظ والمعنى ، ويدخل فى باب التسْليم على الديار لقوله : « وحييت من دار » .

٣ ــ وقال أيضاً :

أُناشِدُ الْغَيْثَ كَىْ تَهْمِى غَوَادِيهِ ... عَلى الْعَقِيقِ وَإِنْ أَقْوَتْ مَغَانِيهِ[٢]

وهذا [أيضاً] بيت جيد .

٤ ــ وقال أيضاً :

أَقام كُلُّ مُلِثٌ الْوَدْقِ رَجَّاسِ ... عَلى دِيَارٍ بِعُلْوِ الشَّامِ أَدْرَاسِ[٣]

ملثّ : دائم كثير ، ورجَّاس : مُصَوِّت[٤] ، يريد الرعد .

وهذا [illegible] كثير الماء والرَّوْنَقِ .

٥ ــ وقال أيضاً :

لا يَرِمْ رَبْعَكِ السَّحَابُ يَجُودُهْ ... تَبْتَدِى سَوْقَهُ الصَّبا أَوْ تَقُودُهْ[٥]

---

( ١ ) ديوانه ٨٨ ، ٢ / ١٢٣٧

( ٢ ) ديوانه ١٧٤ وفى ط « هل تهمى »

( ٣ ) ديوانه ٧٩٣ . والودق : المطر ، وأدراس : باليات

( ٤ ) م « مصوب » وهو تحريف

( ٥ ) ديوانه ١٨٨ لا يرم : لا يبرح . يجوده : يسقيه . وفى ط « تجوده »

٦ ـ وقال أيضاً :

سقَى دَارَ لَيْلى حَيْثُ حلَّتْ رُسُومُهَا
عِهَادٌ مِنَ الْوَسْمِيِّ وُطْفٌ غُيُومُها[١]

وهذان ابتداءان جيدان ، وليسا مثل ما تقدم .

٧ ـ وقال أيضاً :

سَقَى رَبْعَها سَحُّ السَّحَابِ وَهَاطِلُهْ وَإِنْ لَمْ يُخَبِّرْ آنِفاً مَنْ يُسَائِلُهْ[٢]

وهذا بيت[٣] ردىء العجز ؛ من أجل قوله « آنفاً » لأنها حَشْوٌ لا حاجة بالمعنى إليها .

* * *

فهذا ابتداء [به] من الدعاء للديار بالسقيا ، وهما عندي متكافئان .

---

(١) ديوانه ١٠٧ والعهاد : جمع عهد ، وهو المطر المتتابع . والوسمى : مطر الربيع ووطف : جمع وطفاء ، وهي السحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها . والغيوم : جمع غيم ، وهو السحاب

(٢) ديوانه ٢٢٥ ، ٣/١٦٩٦

(٣) ط « البيت . . . لأنه . . . لا حاجة للمعنى به »

## فى لوم الأصحاب فى الوقوف على الديار

١ ـ قال أبو تمام :

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إِدْمَانِى عَلَى الدِّمَنِ    وَحَمْلِىَ الشَّوْقَ مِنْ بَادٍ وَمكْتَمِنِ(١)

[ وهذا ابتداء صالح ] .

٢ ـ وقال أيضاً :

مَا عَهِدْنا كَذَا نَحِيبَ المَشُوقِ    كَيْفَ وَالدَّمْعُ آيَةُ المَعْشُوقِ(٢)

وهذا بيت ردىء جدًّا ، وقد ذكرتُ ما فيه فى باب ما(٣) ذكر له فى وسط الكلام فى تعنيف الأصحاب على الوقوف على الديار ، وهذا البيت ابتداء ، وإنما ذكرته هناك لأن معناه يتضح بالأبيات التى بعده ؛ فجعلته فى ذلك الباب .

وليس لأبى تمام ابتداء صالح فى لوم الأصحاب ، غير هذين البيتين .

فأما البحترى فإنه تصرف فيه فى ابتداءاتٍ جياد حسان بارعة حلوة .

١ ـ فمن ذلك قولُه :

فيم ابْتِدَارُكُمُ المَلامَ وَلُوعَا    أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعَا(٤)

وهذا بيت حسن ، وفيه سؤال ، وهو أن يقال : إنما لاموه على بكائه على الدِّمْنَةِ والربوع ، فما وجه اعتذاره بأنه لم يبك إلا دمنة وربوعا ؟

---

( ١ ) ديوانه ٣٢٣ وشرح التبريزى ٣ / ٣٣٧ والمكتمن : المضمر الخافى

( ٢ ) شرح التبريزى ٢ / ٤٣٠ وفى ديوانه ٢١٥ « بكاء المشوق » وهما روايتان

( ٣ ) م « ما ذكرناه فى وسط »

( ٤ ) ديوانه ٢٥٧ ، ٢ / ١٢٥٣ وفى ط « ابتداركما » « أنكيت إلا » وهو تحريف وقد سبق ص ٨

والجواب : أنه[١] أراد أبكيت إلا ما مِثْلُهُ يُبْكى ، وقد تقدَّمنى الناسُ فيه ولم ينكر ذلك على أحد ؟

٢ ـ وقوله :

خُذَا مِنْ بُكائِى فى المَنَازِلِ أَوْدَعَا وَرُوحَا على لَوْمى بِهِنَّ أَوِ اربَعَا[٢]

وهذا بيت جيد [ حسن ] .

٣ ـ وقوله أيضاً :

ذاكَ وَادِى الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلاً مُقْصِرًا من مَلامَتِى أَوْ مُطِيلاً[٣]

وهذا بيت جيد حسن ، بارع اللفظ والمعنى ، وقد ذكرته أيضاً فى باب الوقوف على الديار .

٤ ـ وقوله :

أَحْرَى الْخُطُوبِ بِأَنَ يَكُونَ عَظِيما قَوْلُ الْجَهُولِ : أَلاتَكُونُ حَلِيمَا[٤]

٥ ـ وقوله :

مَا أَنْتَ لِلكَلِفِ المَشُوق بِصَاحِبِ فَاذْهَبْ عَلى مَهَلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبِ[٥]

٦ ـ وقوله :

فى غيْرِ شَأْنِكَ بُكْرَتِى وَأَصِيلِى وَسِوَى سَبِيلِكَ فِى السُّلوِّ سَبِيلِى[٦]

---

( ١ ) « ما أراد ما بكيت »

( ٢ ) ديوانه ٧٠٢ . ، ٢ / ١٢٦٣ « من بكاه » ومعى اربعا : ارفقا واقتصرا

( ٣ ) ديوانه ٦٨٦ « من صبابة »

( ٤ ) ديوانه ٢٨٦ ، ٣ / ١٩٦٤

( ٥ ) ديوانه ٦٩٦

( ٦ ) ديوانه ١٧٧

٧ ـ وقوله :

بَعْضَ هٰذَا العِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ لَيْسَ ذَمُّ الْوَفَاءِ بالْمَحْمُودِ(١)

* * *

ولهما [أيضاً] فى تأنيب العُذَّال فى غير الوقوف على الديار ، ابتداءات ليس بضائر ذكرها ههنا .

١ ـ فمن ذلك قول أبى تمام :

تَقِى جَمحاتِى لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِى وَلَيْسَ جَنِيبِى إنْ عَذَلْتُ بِمُصْحِبِ(٢)

٢ ـ وقوله أيضاً :

دَأْبُ عَيْنِى الْبُكَاءُ وَالْحُزْنُ دَأْبِى فَاتْرُكِينِى ـ وُقِيتِ مَا بِى ـ لِمَا بِى(٣)

٣ ـ وقوله أيضاً :

كُفِّى وغاكِ فَإِنَّنِى لَكِ قَالِى لَيْسَتْ هَوَادِى عَزْمَتِى بِتَوَالِى(٤)

٤ ـ وقوله أيضاً .

لامَتْهُ لامَ عَشِيرُهَا وَحَمِيمُهَا مِنهَا خَلائِقَ قَدْ أَبَرَّ ذَمِيمُهَا(٥)

---

(١) ديوانه ٦٩١

(٢) ديوانه ٢٣ وفى شرح التبريزى ١ / ١٥٣ « تقِ : أمر من تقاه يتقيه مخففا . و « جمحاتى » : من جمح الفرس إذا عز فارسه . وقوله : « لست طوع مؤنبى » : أى لست مطيعه . و « الجنيب » : المجنوب ، وهو هواه وقلبه ، وإنما يجنبهما غيره ، ولكن أضافهما إلى نفسه لتعلقهما به . يخاطب عاذلته ، يقول : عذلك لا يجدى نفعاً . ويقال : أصحب الرجل : إذا تابع وانقاد . والمعنى : اتقينى فيما أتصعب فيه ، فإنى لا أطاوع المؤنب إذا أنب ، وليس قلبى بمنقاد لى إذ ألمت » وفى ط والديوان « وليس جيبى » وهو تحريف .

(٣) ديوانه ٣٥٥

(٤) وشرح التبريزى ٣ / ٧٦ وفى ديوانه ٢٤٦ « يكفى وغاك »

(٥) ديوانه ٣١٠ وشرح التبريزى ٣/٢٧٢ وعشيرها : معاشرها . وحميمها : قريبها . ويروى « قد أبن ذميمها » وأبن بالشىء : إذا لزمه

٥ ــ وقوله أيضاً :

مَتَى كانَ سَمْعِى خِلْسَةً لِلَّوَائِم وَكَيْفَ صَغَتْ للعَاذِلاتِ عَزَائِمِى[١]

وقوله أيضاً :

قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فى الْغُلَوَاءِ كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ سُجَرائى[٢]

وهذه كلها ابتداءات صالحة ، إلا هذا البيت الأخير ؛ فإن الناس عابوه . ذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجرَّاح فى كتابه : أن مما عيب من ابتداءات الطائى قوله :

[ * قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فى الْغُلَوَاءِ *

وقوله ] :

* كذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ *

وقوله :

* خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِى خُشَيْنٍ *

فأما قوله : « خشنت عليه » فهو لعمرى من تجنيساته القبيحة ، وعهدت مُجَّانَ البغداديين يقولون : قليل نورة يذهب بالخشونة .

وأما قوله : « كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر » فليس بمعيب عندى ، وقد ذكرته فى ابتداءات المراثى ، وأخبرت بمعناه .

وأما قوله : « قدك اتئب أربيت فى الغلواء » فإنها ألفاظ صحيحة فصيحة من ألفاظ العرب ، مستعملة فى نظمهم ونثرهم ، وليست من متعسف ألفاظهم ، ولا وحشىِّ كلامهم : ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أنْ جمعها فى مصراع

---

(١) ديوانه ٢٩٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢١٩ وفى ط « للعاذلين »

(٢) سبق ص ٢٦ و ٣٠١ .

واحد ، وجعلها ابتداء قصيدة ، ولم يفرق بينها بفواصل[١] فقال : «قدك اتئب أربيت في الغلواء» فصار قوله «قدك اتئب» كأنهما كلمة واحدة على وزن مُسْتَفعل ، وضم إليه «أربيت في الغُلَواء» فاسْتُهْجنت .

ولو جاء هذا في شعر أعرابي لما أنكروه ؛ لأن الأعرابي إنما ينظم كلامَه المنثور الذي يستعمله في مخاطباته[٢] ومحاوراته ، ولو خاطب أبو تمام بهذا المعنى في كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه إلا : حَسْبُكَ اسْتَحي زِدْتَ وَغَلَوْتَ. وهذا كلام حسن بارع .

قال : فمن شأن الشاعر الْحضَري أن يأتي في شعره بالألفاظ [العربية] المستعملة في كلام الحاضرة ، فإن اختار أن يأتي بما لا يستعمله أهلُ الحضرِ ، فمن سبيله أن يَجْعله من المستعمل في كلام أهل البدْوِ دون الوحشي الذي يقلّ استعمالهم إياه ، وأن يجعله متفرقاً في تضاعيف ألفاظه ، ويضعه في مواضعه : فيكون قد اتسع مجاله[٣] بالاستعانة به ، ودل على فصاحته وعلمه ، وتخلَّص من الهُجنة . كما أن الشاعر الأعرابي إذا أتى في شعره بالوحشيّ الذي يقل استعماله إياه في منثور كلامه وما يجرى[٤] دائماً في عادته ــ هَجَّنه وقَبحه ، إلا أن يضطر إلى اللفظة واللفظتين ، ويقلل ، ولا يستكثر ؛ فإن الكلام أجناس إذا أتى منه شيء مع غير جنسه بايَنَه ونافره وأظهر قبحه .

وقد تَصَرّف البحتري في هذا الباب أَحْسَنَ تصرف وأبلغه وأعجبه .

---

(١) ط : «إلا بفواصل [ يسيرة] » والكلمة الأخيرة زادها الناشر ليستقيم له الكلام ، ولكن أين هذه الفواصل اليسيرة ؟

(٢) م «في خطابه»

(٣) ط «مجاله بالاستعارة ودل»

(٤) ط «وما جرى»

١ ـ فمن ذلك قوله :

أَتَارِكِي أَنْتَ أَمْ مُغْرًى بِتَعْذِيبِي
وَلائِمِي فِي الْهَوَى إِنْ كَانَ يُزْرِي بِي(١)

٢ ـ وقوله أيضاً .

يُفَنِّدُونَ وَهُمْ أَدْنَى إِلَى الفَنَدِ     وَيُرْشِدُونَ وَمَا الْعُذَّالُ مِن رَشَدِي(٢)

٣ ـ وقوله أيضاً :

إِنَّما الغَيُّ أَنْ يَكُونَ شَدِيدًا     فَانْقُصَا مِنْ مَلامِهِ أَوْ فَزِيدَا(٣)

٤ ـ وقوله أيضاً :

أَلَمْ يكُ فِي وَجْدِي وَبَرْحِ تَلَدُّدِي     نِهَايَةُ نَهْيٍ لِلعَذُوِّ المُفَنِّدِ(٤)

٥ ـ وقوله أيضاً :

مَرَنَتْ مَسَامِعُهُ عَلَى التَّفْنِيدِ     فَقَضَى الْمَلامَ لأَعْيُنٍ وَخُدُودِ(٥)

٦ ـ وقوله أيضاً :

شُغْلانِ مِنْ عَذْلٍ وَمِنْ تَفنِيدِ     وَرَسِيسُ حُبٍّ طارِفٍ وَتَلِيدِ(٦)

٧ ـ وقوله أيضاً :

أَقْصِرَا لَيْسَ شَأْنِيَ الإِقْصَارُ     وَأَقِلاَّ لَنْ يُغْنِيَ الإِكْثَارُ(٧)

---

(١) ديوانه ٣٢٦ وفى ط « فى هوى »
(٢) ديوانه ١١٣ « وما التعذال » وفى ط « فى رشدى »
(٣) ديوانه ٤٥٠
(٤) فى ديوانه ٢/٨١٥ « المعارف : فهى للعذول »
(٥) ديوانه ٢ ، ٨ / ٨١٨ « فمضى »
(٦) ليس فى ديوانه المطبوع .
(٧) ديوانه ١٠٤ وفى م « أن يغنى » وهو تحريف

٨ ـ وقوله أيضاً :

قُلْتُ لِلاَّئِمِ فِى الْحُبِّ : أَفِقْ لا تُهَوِّنْ طَعْمَ شَىءٍ لَمْ تَذُقْ[١]

٩ ـ وقوله أيضاً :

أَمَا كانَ فِى تِلْكَ الرُّبُوعِ السَّوَائِلِ بَيَانٌ لِنَاءٍ أَوْ جَوَابٌ لِسَائِلِ[٢]

١٠ ـ وقوله أيضاً :

أَكْثَرتَ مِنْ لَوْمِ الْمُحِبِّ فَأَقْلِلِ وَأَمَرْتَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَأَجْمِلِ[٣]

١١ ـ وقوله أيضاً :

رُوَيْدَكَ إِنَّ شَأْنَكَ غَيْرُ شَانِى وَقَصْرَكَ لَسْتُ طَاعَةَ مَنْ نَهَانِى[٤]

١٢ ـ وقوله أيضاً :

يَكادُ عاذِلُنَا فِى الْحُبِّ يُغْرِينَا فَما لَجَاجُكَ فى لَوْمِ الْمُحِبِّينَا[٥]

١٣ ـ وقوله أيضاً :

عَذِيرِى فِيكِ مِنْ لاحٍ إِذَا مَـا شَكَوْتُ الْحُبَّ حَرَّقَنى مَلاَمَا[٦]

١٤ ـ وقوله أيضاً :

طَفِقَتْ تَلومُ وَلاَتَ حِينَ مَلاَمِهِ لاَ عِنْدَ كَرَّتِهِ وَلا إِحْجَامِهِ[٧]

ولا خفاء بفضل البحترى على أبى تمام فى هذا الباب .

وقد مضت الموازنة بين الابتداءات بذكر الديار والآثار ، وأما الان فأذكر ما جاء عنهما من ذلك فى وسط الكلام .

---

(١) ديوانه ٣٢١ ، ٣/١٤٧١ (٢) ليس فى ديوانه المطبوع

(٣) ديوانه ١٨٧ ، ٣ / ١٧٩٩ « فى لوم » وكذلك فى ط

(٤) ديوانه ١٤٤

(٥) ليس فى ديوانه المطبوع . فى ديوانه ٤/٢٢٠٠ المعارف

(٦) ديوانه ٢٩ وفى ط « قطعنى ملاما » (٧) ديوانه ٤٣١

## ما قالا فى أوصاف الديار والبكاء عليها

قال أبو تمام :

طَلَلَ الْجَمِيعِ لقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا ... وَكَفَى عَلَى رُزْئِى بِذَاكَ شَهِيدَا[١]

دِمَنٌ كأَنَّ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالباً ... دِمَنًا لَدَى آرَامِها وحُقُودَا[٢]

قرَّبْتَ نَازِحَةَ الْقلوبِ مِنَ الْجَوَى ... وَتركْتَ شَأْوَ الدَّمْعِ فِيكَ بَعِيدَا

خَضِلاً إِذَا الْعَبَرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا ... وَطَنًا سَرَى قَلِقَ الْمَحلِّ طَرِيدَا

وقوله : « وكفى على رزئى بذاك[٣] شهيدا » ليس بالجيد ، وقد ذكرت معناه [ فيما تقدم من ذكر معانيه ] فى باب الابتداءات عند ذكر البيت[٤] .

وقوله : « قَرَّبتَ نازحة القلوب من الجوى » يريد القلوب التى بَعُد عهدها بمرض الحب فأدنيتها من ذاك[٥] عند الوقوف عليك، يخاطب [ الطلل أو ] الدمن .

وقوله : « وتركت شأو الدمع فيك بعيدًا » أى دائماً طويلا . وقوله :

خضِلاً إذا العبراتُ لم تبرح لها ... وطناً سرى قَلِق المحل طريدَا

أى : مَنْ كان إنما يبكى فى وطنه على الحوادث التى تحدُث عليه[٦] فيه، سَرَى هذا الدمعُ قلق المحل طريدا ، أى اعتسف[٧] المسير لطوله حتى حلّ بهذه الدِّمن . وهذا نحو من قوله :

---

( ١ ) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزى ١ /٤١٠

( ٢ ) ط « دينا لدى » وهو تحريف قال التبريزى : « والدمن الأولى : جمع دمنة ، وهى آثار القوم فى الديار . والدمن الثانية : جمع دمنة أيضاً ، وهى الحقد ويقينه فى القلب . وعنى بالآرام : النساء ، شبهها بالظباء البيض »

( ٣ ) م « رزئى نداله » وهو تحريف

( ٤ ) راجع ص ٢١٧ و ٤٤٦

( ٥ ) ط « فأريتها من ذلك » وهو تحريف لأن الشاعر قال « قربت » ولم يقل : أريت !

( ٦ ) م « تحدث فيه »

( ٧ ) ط « إذا عسف . . . حتى يحل » وهو تحريف

فَمَا وَجدْتُ عَلى الأَحْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ دَمْعٍ على وَطَنٍ لى فى سِوَى وَطنِى[١]

فقوله : «على وطن لى» يعنى الرسوم والطلول التى يقف عليها .

وهذا من جيد ألفاظه وصحيح معانيه ، وغرضُه فيما وصف من الدمع غرضٌ حسن[٢] ، وأحسن منه [وألطف] وأغرب قوله :

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا فَلاَ تَكُفُّنَّ عَنْ شأْنَيْكَ أَوْ يَكِفَا[٣]
لاَ عُذْرَ للصَّبِّ أَنْ يَقْنِى السُّلُوَّ وَلا للدَّمْعِ بَعْدَ مُضِىِّ الحَىِّ أَنْ يَقِفَا[٤]
حَتَّى يَظلَّ بِمَاءٍ سَافِحٍ وَدَمٍ فى الرَّبْعِ يُحْسَبُ مِنْ عَيْنَيْهِ قَدْ رَعَفَا[٥]

وهذا المعنى ليس له ، وإنما أخذه من قول أبى وَجْزَة [السَّعْدى] :

عُيُونٌ تَرَامى بالرُّعَافِ كأَنَّهـا مِنَ الشَّوْقِ صِرْدَانٌ تَدِفُّ وتَلْمَعُ[٦]

قيل فى تفسيره : شبه الدمع وقد عَصْفَره الدم بالرُّعَاف ، وشبَّه العيون ــ وهى تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى ــ بالصِّردان تَنْتَفض تارة وتظهر قريباً[٧] من الأرض تارة .

وبيت أبى تمام أجود لفظاً ونظماً .

ولا أعلم[٨] البحترى ذهب إلى مثل هذا المعنى ، ولا للمعنى الذى قبله

---

(١) فى ديوانه ٣٣٣ وشرح التبريزى ٣ / ٣٣٨ «أو قد من دمع»
(٢) ط «غرض صحيح»
(٣) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ /٣٥٩ وقد سبق فى البكاء على الديار
(٤) يقنى السلو : يدخره ويمسكه . ويروى «يقنى الحياء»
(٥) قال التبريزى «تقديره : حتى يظل هذا الصب يحسب قد رعف من عينيه بماء سافح ودم ، لاختلاط الدمع بالدم»
(٦) ط «صردان تدب» وهو تحريف والصردان : جمع صرد ، وهو طائر ، والدفيف : أن يدف الطائر على وجه الأرض يحرك جناحيه ورجلاه بالأرض وهو يطير ، ثم يستقل . ويقال لمع الطائر بجناحيه يلمع وألمع بهما : حركهما فى طيرانه وخفق بهما»
(٧) ط «وتظهر عرضا» وهو تحريف
(٨) ط «ولا أظن»

[ في وصف الدمع ] . ولكنهُ يعتذرُ مرةً بقِلَّة دمعه ، ومرة يذكر كثرته ويفتخر بِغَزْرِه ، وفي كل ذلك يُحْسِنُ ويجيد .

فمن اعتذاره قوله في قصيدته التي أولها :

فِيمَ ابْتِدَارُكُمُ الْمَلامَ وَلُوعَا ... أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعَا(١)

يَا دَارُ غَيَّرها الزَّمَانُ وَفَرقَتْ ... عنها الْحَوَادِثُ شَملَهَا المجْمُوعا(٢)

لَوْ كانَ لِي دَمْعٌ يُحَسِّنُ لَوْعَتِي ... خَلَّيْتُه فى عَرْصَتَيْكِ خَلِيعا(٣)

لا تخطُي دَمْعِي إِلَيَّ فَلَمْ يَدَعْ ... فى مُقْلَتَيَّ جَوَى الْفِرَاقِ دُمُوعا

فقوله في ابتداء القصيدة : « أَبَكَيْتُ إلا دمنةً وربوعا » قد أخبر أنه بكى ثم قال : « لو كان لى دمع يحسن لوعتى » أى : لو كان لى دمع غزير يليق بلَوْعَتى ويبين(٤) عنها .

وكذلك قوله : « فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعاً » أى : دموعاً كافيةً أرضاها ، أو دموعاً تسعفنى(٥) : لأنه استقلَّ دَمعه واسْتَنْزره ، أو أن يكون انقطع دمعه .

ولله در كُثَيِّر إذ يقول :

وَقَضَّيْنَ مَا قَضَّيْنَ ثُمَّ تَرَكْنَنِي ... بفَيْفا خُرَيْمٍ وَاقِفاً أَتَلَدَّدُ(٦)

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْعَيْنِ ضَنَّتْ بمَائِها ... عَلَيَّ ولا مِثْلِي عَلى الدَّمْعِ يُحْسَدُ(٧)

---

(١) ديوانه ٢٥٧ ، ٢/١٢٥٣ وقد سبق هذا البيت فى صفحة ٨ و ٤٦٧

(٢) ط « أيدى الحوادث »

(٣) فى الديوان « خلفته » وفيه ٢ / ١٢٥٣ « لتركته »

(٤) ط « وينى »

(٥) ط « تسعى » و م « تسعنيى »

(٦) ديوانه ١ / ١١٤ « وأمعن بينا عاجلا وتركننى » وقد سبق البيت فى الوقوف على الديار

(٧) ديوانه ١ / ١١٨

وقال أبو تمام :

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَرَاكَ دَرِيسا ... تَقْرِى ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسا[١]

وَلئن حُبِسْتُ عَلى البِلى لَقَدِ اغْتَدَى ... دَمْعِى عَلَيْكَ إلى المماتِ حَبِيسَا[٢]

وأَرَى رُسُومَكَ مُوحِشاتٍ بَعْدَ مَا ... قَدْ كُنْتَ مَألُوفَ المحَلِّ أَنِيسَا[٣]

وَبَلاقِعاً حَتَّى كَأَنَّ قَطِينَهَا ... حَلَفُوا يَمِيناً أَخْلَفَتْكَ غَمُوسَا[٤]

وهذا كلام رَصِينٌ ، وقوله : « حلفوا يميناً أخلفتك » أى : كأنهم حلفوا يميناً أن يعود إليك فأخلفك ذلك .

ومن حلو معانيه وجيد ألفاظه فى البكاء على الديار . قولُه :

دِمَنٌ لَوَتْ عزمَ الفُؤادِ وَمُزِّقَتْ ... فِيها دُمُوعُ العَيْنِ كلَّ مُمَزَّقِ[٥]

وقال أيضاً :

سَقَى عَهْدَ الحِمَى سَبَلُ العِهَادِ ... وَرَوْضَ حَاضِرٌ مِنْهُ وَبَادِى[٦]

نَزَحْتُ بِهِ ركِيَّ العَيْنِ إنِّى ... رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ العَتَادِ[٧]

وهذا البيت فى غاية الجودة لفظه ومعناه إلا أنه وَصله بكل تخليط[٨] ،

---

( ١ ) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزى ٢ / ٢٦٢ وقد سبق البيت الأول فيما تهيجه الديار . . . وفى م « وقرى » وهما روايتان .

( ٢ ) ويروى « لبما اغتدى » قال التبريزى : « أى صرت »

( ٣ ) ويروى : « وأرى ربوعك »

( ٤ ) ط « أخلفتك » وفى شرح التبريزى عن المعرى : « هذا مبنى على الحديث المروى ، وهو قولهم : « الأعيان الكاذبة تترك الديار بلاقع » . يقول : كأن أهل هذا الربع حلفوا يمينا كاذبة فتركت ديارهم بلاقع . والغموس : التى تغمس فى الإثم »

( ٥ ) ديوانه ٢١١ وفى شرح التبريزى ٢ /٤٠٦ « لوت : أى ثنت ، أى كان فى الفؤاد تعديها والاستمرار على السير ، فلما انتهينا إليها ثنت هذا العزم وردته حتى تركنا السير ووقفنا عليها . ويروى : أى ممزق »

( ٦ ) ديوانه ٧٨ وشرح التبريزى ١ /٣٧٢ وقد سبق البيت الأول فى الادعاء للدار بالسقيا

( ٧ ) ويروى « لما رأيت » وفى م « ركى العهد » وهو تحريف

( ٨ ) ط « وصله بكلام غليظ »

فقال :

فَيَا حُسْنَ الرُّسُوم وَما تَمَشَّى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فى صُوَرِ البِعَادِ (١)

وهذا بيت فى غاية الرداءة والسخافة [لفظه] ومعناه [يريد] : فيا حسن الرسوم ولم يمش إليها الدهرُ : أى لم يُصبها الدهرُ ببعد أهلها عنها ، فأخرجه(٢) هذا المخرج القبيح المستهجن .

ومن إحسان البحترى المشهور فى هذا ، قولُه :

أَمَحِلَّتَيْ سَلْمى بِكاظِمَةَ اسْلَما وَتَعَلَّما أَنَّ الجوَى مَا هِجْتُمَا(٣)

هَلْ تُرْوِيَان مِنَ الأَحِبَّةِ هائماً أَوْ تُسْعِدَانِ عَلى الصَّبابَةِ مُغْرَمَا

أَبْكِيكُمَا دَمْعاً وَلَوْ أَنِّى عَلى قَدْرِ الْجَوى أَبْكي بَكَيْتُكُمَا دَمَا

ومن جيد أشعار(٤) أبى تمام فى هذا الباب أيضاً ، قوله :

أَرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كلِّ رِيم لَوِ اسْتَمْتَعْتِ بِالأُنَسِ الْقَدِيم(٥)

أَدَارَ الْبُؤْسِ حَسَّنَكِ التَّصَابى إِلَىَّ فَصِرْتِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ

لَئِنْ أَصْبَحْتِ مَيْدَانَ السَّوَافِى لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَيْدَانَ الْهُمُومِ(٦)

وَمِمَّا ضَرَّمَ الْبُرَحَاء أَنِّى شكَوْتُ فَمَا شكَوْتُ إِلى رَحِيمِ

أَظُنُّ الدَّمْعَ فِى خدِّى سَيُبْقِى رُسُوماً مِنْ بُكائِى فى الرُّسُومِ

---

(١) م « الدهر وصور » وهو تحريف

(٢) م « فأخرجه بهذا اللفظ »

(٣) ديوانه ٢٢٨ ، ٣/١٩٥٨ وفى ط « ان الهوى » وقد سبق هذا البيت فى التسليم على الديار . ص ٤٤٢

(٤) ط « شعر »

(٥) ديوانه ٢٨٧ وشرح التبريزى ٣/١٦٠ وفى م « الأنس المقيم » وقد سبق البيت صفحة ٤٦٠ .

(٦) فى شرح التبريزى « السوافى : جمع سافية ، وهى الريح التى تسفى التراب »

وهذا من أسهل كلامه[١] وأسلس نظمه ، ومن أبعد قولٍ من التكلف والتعسف ، وأشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة .

وقوله : « فصرتِ جنات النعيم » معنًى حسنٌ . ولكن فيه إسراف أن يجعل دارًا خلتْ من أهلها – دارَ بؤس وهو باكٍ فيها – جناتِ النعيم .

وقد أتى البحتريُّ بهذا المعنى متبعاً فيه أبا تمام ، ولكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال ، وتجنب الإفراط[٢] ، فقال :

يا مَغانِى الأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومَا ... وَغدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِى مَلُومَا[٣]

أَلِفَ الْبُوسُ عَرْصَتيْكِ وَقدْ كُنْـ ... ـتِ بِعَيْنَىَّ جَنَّـةً ونعيمَا

فقال : « ألف البؤس عرصتيك » ثم قال : « وقد كنت بعينى جنة ونعيما » فجعلها جنةً ونعيما فيما مضى . ومع هذا فإنى أقول : إن بيت أبى تمام أحسنُ ، وهو فى سائر أبياته أشعر .

وقال البحترى :

لعَمْرُ الرسُوم الدَّارِساتِ لقدْ غدَتْ ... بريًا سُعادٍ وَهْى طَيِّبَةُ الْعَرْفِ[٤]

بَكَيْنَـا فَمِنْ دَمْعٍ يُمَازِجُهُ دَمٌ ... هُنَاكَ وَمِنْ دَمْعٍ نَجُودُ بِهِ صِرْفِ

وهذا حسن جدًّا ، وإنما أخذ قوله : « بريًا سعاد وهى طيبة العَرْفِ » من قول الآخر[٥] ، أنشده الأخفش عن المبرد :

وَاسْتُودِعَتْ نَشْرَها الدِّيارُ فمَا ... تزْدَادُ إلَّا طِيباً عَلى الْقِدَمِ

---

(١) ط « أسهل الكلام »
(٢) ظ « واجتنب إفراطه »
(٣) ديوانه ٢٧٣
(٤) ديوانه ٤٤١ ، ٣ / ١٣٩٨ وفى ط « لعمرك إن الدارسات » .
(٥) م « قول آخر وأنشده الأخنس » وهو تحريف .

وهذا أجود من بيت البحترى ؛ لما فيه من الزيادة الحسنة ، وهو قوله : «فما تزداد إلا طيباً على القدم» .

وقال البحترى :

تُرَى اللَّيْلَ يَقْضِى عُقْبَةً مِنْ هَزِيعِهِ ... أَو الصُّبْحُ يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدِيعِهِ[1]
أَو الْمَنْزِلُ العَافِى يَرُدُّ أَنِيسَهُ ... بكاءً عَلى أَطْلالِهِ وَرُبُوعِهِ
إذا ارْتَفَقَ الْمُشْتَاقُ كَانَ سُهادُهُ ... أَحَقَّ بِجفْنَىْ عَيْنِه مِنْ هُجُوعِهِ[2]

وهذا لفظ[3] فَحْلٌ ، ومعان فى غاية الصحة والاستقامة .

وللبحترى فى وصف الديار والبكاء عليها مذهبٌ آخر ، وهو [حسن جدًّا . ومن ذلك] قوله :

أَبُكَاءً فِى الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ ... وَسُلُوًّا بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَارِ[4]
لا هنَاكَ الشُّغْلُ الْجَدِيدُ بِحُزْوَى ... عَنْ رُسُوم برامَتَيْنِ قِفَارِ
ما ظَنَنْتُ الأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمْحَى ... مِنْ صُدُورِ العُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيارِ[5]
دِمْنَةٌ رَدَّتِ الهَوَى الشَّرقَ غَرْباً ... وَأَمالَتْ نَهجَ الدُّمُوعِ الْجَوَارِى[6]

وهذا غرض حلو ، ومعنى لطيف .

---

(١) ديوانه ٣٧٢ « أم الصبح » ، ٢ / ١٢٧٥ وقد قال الشيخ محيى الدين « العقبة : بضم العين وسكون القاف — الشدة ويقولون : لقيت من فلان عقبة الضبع ، يريدون : لقيت منه شدة . . . ويقال للصبح صديع من الصدع الذى هو الشق ؛ لأن الظلام ينشق عنه »

ولست أرى رأيه فى تفسيره العقبة بالشدة ، لأن هذا يحيل معنى البيت . والمراد من العقبة هنا : آخر الهزيع لأن عقبة كل شىء آخره . والصديع : انصداع الصبح وهو انشقاقه ، لأن الليل ينشق عنه

(٢) م « إذا اتفق . . كان شهوده » وهو تحريف

(٣) ط « وهذا معنى »

(٤) ديوانه ٤٤٤ ، ٢ / ٩٨٦ وانظر ص ٤٥٣

(٥) سقط هذا البيت من ديوانه وهو ثابت فى طبعة مصر ٢ /٢٤

(٦) فى ديوانه و ط « نظرة ردت »

ومثله قوله ولكن ليس فيه ذكر البكاء :

أَبِيتُ بِأَعْلَى الحَزْنِ والرمْلُ دُونَهُ مَغَانٍ لَهَا مَجْفُوَّةٌ وَطُلُولُ[١]
وَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى الرِّيحَ غَرْباً مهبُّها فَقَدْ صِرْتُ أَهْوَى الرِّيحَ وَهْيَ قَبُولُ[٢]

قال[٣] ذلك : لأن القَبول هى الصبا ، ومهبُّها من مطلع الشمس .

ونحوه قوله :

كَلَّفَتْنِى أَرْيَحِيَّاتُ الصِّبَا طَلَقاً فِى الشَّوْقِ مُمْتَدَّ السَّنَنْ[٤]
نَقَلَتْنِى فى هَوًى بَعْدَ هَوًى وَابْتَغَتْ لِى سَكَناً بَعْدَ سَكَنْ

وقولُه :

مَا ظَنَنْتُ الأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمْحَى مِنْ صُدُورِ العُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيارِ[٥]

معنى حسنٌ ، وإنما أخذه منْ قول أَبى تمام :

زَعَمَتْ هَوَاكَ عَفَا الغَدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِنْهَا طُلُولٌ باللِّوَى وَرُسُومُ[٦]

وبيت البحترى أحلى وأبدع .

وقال البحترى فى وجه آخر ، وهو أيضاً حَسَن لطيف :

فِى كُلِّ يَوْمٍ دِمْنَةٌ مِنْ حُبِّهِمْ تُقْوِى وَرَبْعٌ بَعْدَهُمْ يَتَأَبَّدُ[٧]
أَوَ مَا كَفَانَا أَنْ بَكَيْنَا غُرُباً حَتَّى شَجَانَا بِالْمَنَازِلِ ثُهْمَدُ[٨]

---

(١) ديوانه ٣٤٣ « والرمل عنده »
(٢) ط « أرجو الريح » وفى الديوان « غربا مآبها »
(٣) ط « وذلك »
(٤) ديوانه ٦١٣ « فى الحب ممتد الرسن » ، ٢١٥٣/٤ المعارف
(٥) مضى آنفا صفحة ٤٨٠ .
(٦) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزى ٢٨٩/٣
(٧) ديوانه ٦٨٩
(٨) ط « غردا حتى شجتنا »

ومثله :

هُوَ الدَّمْعُ مَوْقُوفاً عَلى كلِّ دِمْنَةٍ     تُعَرِّجُ فِيها أَوْ خَلِيطٍ تُزَايِلُه[١]

تَرَادَفَهُم خَفْضُ الزَّمَانِ وَلِينُهُ     وَجَادَهُمُ طَلُّ الرَّبِيعِ وَوَابِلُهْ[٢]

وإنما حَذا البحترى هذا المعنى على حَذْوِ قول كُثيِّر :

وكُنْتُ امرأً بالغَوْرِ مِنِّى ضَمانةٌ     وأخْرَى بِنَجْدٍ . ما تُعِيدُ وما تُبْدى[٣]

فَطَوْرًا أَكُرُّ الطَّرْفَ نَحْوَ تِهامَةٍ     وطَوْرًا أَكُرُّ الطَّرْفَ كَرًّا إلى نَجْدِ

وَأَبْكِى إِذَا فَارَقْتُ هِنْدًا صَبابَةً     وَأَبْكِى إذا فارَقْتُ دَعْدًا عَلى دَعدِ[٤]

وهذا مالا مزيد فيه على حسنه وحلاوته[٥] . ومثله قولُ جرير :

أَخَالِدُ قَدْ عَلِقْتُكِ بَعْدَ هِنْدٍ     فَشَيَّبَنِى الْخَوالِدُ والهُنُودُ[٦]

هَوَى بِتِهامَةٍ وَهَوَى بِنَجْدٍ     فَبَلَّتْنِى التَّهــائِمُ والنُّجُودُ[٧]

[وقال جرير فى نحو المعنى :

إلى الله أَشكو أَنَّ بالغَور حاجةً     وأخرى إذا أبصرتُ نجداً بَدَا لِيَار[٨]

ومثله قوله أيضاً] :

أُحبُّ ثَرَى نجدٍ وبالْغَوْرِ حَاجَةٌ     فَغَارَ الْهَوَى يا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدَا[٩]

---

(١) ديوانه ٥١ « موقوف » ، ٣ / ١٦١١

(٢) فى الديوان « حفض النعيم »

(٣) ط « منى صريمة . . . ما يعنيك ما تبدى » وهو تحريف

(٤) م « إلى دعد »

(٥) ط « وطلاوته »

(٦) اللسان ٤/٤٥٠ وسيبويه ٢/٩٨ وفى ديوانه ١٦٠ « فبلتنى » وبين هذا البيت والذى يليه ثلاثة أبيات .

(٧) ط « فقتلنى »

(٨) ديوانه ٦٠٢

(٩) ديوانه ١٨٥

## وهذا باب فى وصف أطلال الديار وآثارها

قال أبو تمام :

قِفُوا نُعْطِ الْمَنَازِلَ مِنْ عُيُونٍ لَهَا فِى الشَّوْقِ أَحْسَاءٌ غِزَارُ[١]

عَفَتْ آيَاتُهُنَّ وَأَىُّ رَبْـعٍ يَكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الخِيَارُ[٢]

أَثَافٍ كالخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْناً وَنُؤْىٌ مِثْلُ مَا انْفَصَمَ السِّوَارُ

قوله : « أحساء » جمع حِسْىٍ ، وهو الماء يغيض فى الرمل ، فإذا وصل إلى الصلابة وقف فيُحْفَر عنه ويشرب .

[وقد قال فى موضع آخر :

* وَدَعْ حِسْىَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ ماءَه الوَجْدُ[٣] *

وقوله : « أثاف كالخدود لطمن حزناً » من قول المَرَّارُ الفقْعَسِى :

أَثَرُ الوقود على جوانبها بخلودهن كأنه لَطْمُ ][٤]

وقال البحترى :

عِوَضٌ مِنْهُمُ خَسِيسٌ ـ وَقَدْ حَلُّوا اللِّوى ـ مَنْزِلٌ بِوَجْرَةَ عَافِى[٥]

لَمْ تَدعْ مِنهُ مُبْلِيَاتُ اللَّيالِى غَيْرَ نُؤْىٍ تَسْفِى عَلَيهِ السَّوَافِى[٦]

---

(١) شرح التبريزى ٢/١٥٢ وفى الديوان ١٤٠ « أنواء غزار »

(٢) فى شرح التبريزى ٢/١٥٣ « لأن الزمان لا يجىء على اختياره ، بل يبليه ويخلقه »

(٣) صدره : « تجرع أسى قد أقفر الجزع الفرد » وهو مطلع قصيدة فى الديوان ١٢٠ وشرح التبريزى ٢/٨٠

(٤) سبق ص ٦٨

(٥) ديوانه ٣٦٧ « عرض منهم » ، ٣/١٣٨٥

(٦) فى ديوانه « فيه »

وَأَثَافٍ أَتَتْ لَهَا حِجَجٌ دُو ... نَ لَظَى النَّارِ مُثَّلٌ كالأَثَافِى

قوله : «مُثَّل» [أى] قائمة ثابتة «كالأثافى» . يريد الكواكبَ التى عند الفرقدين وهى ثلاثة ، قيل لها أثاف لشبهها بالأثافى ، فشبه البحترى الأثافىَّ بها لثباتها[1] وأنها مُثَّلٌ على مرِّ الدهر .

قال أبو حنيفة الدينورى فى كتابه كتاب[2] الأنواء : إن تثليثها طولًا ، ولو شبهها البحترى بالنَّسر الواقع ـ لأنه أشهر وأظهر وأقرب شبهاً ـ لكان ذلك أحسن [وأليق] وأكشف للمعنى من أن يشبهها بشىء إنما استعير له اسمها ، وليس يعرفه كل أحد ، ولكنه جاء [به] من أجل القافية .

وقال البحترى :

لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الدَّخُولِ فَتُوضِحِ ... مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَيَّمِ تَسْفَحِ[3]

عَفَا غَيْرَ نُؤْيٍ دَارِسٍ فِى فِنَائِهِ ... ثَلاثُ أَثَافٍ كالحَمَائِمِ جُنَّحِ

وهذا جيِّدٌ حسن وعلى مَنْهج الشعراء ، وأظنه أخذه من قول عَدِىٍّ بن زيد :

وثلاث كالْحَمَامَاتِ بِهَا ... بَيْنَ مَجْثاهُنَّ تَوْشِيمُ الْحُمَمْ[4]

وابن الأعرابى قال : لا يكون «مجثاهن» ، إنما هو «مجراهن» .

---

(١) ط «ثبوتها»

(٢) ط «فى كتابه فى الأنواء»

(٣) ديوانه ٦٣١

(٤) أورده أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى ٢/٤٠ وعقب عليه بقوله : «ويروى «توشيم العجم» والتوشيم أراد به آثار الوقود ، قد صار فيها كالوشم ، والثلاث : يعنى الأثافى التى تنصب عليها القدر» وفى م «بهاتين» وهو تحريف

أو من قول أبي نُوَاس :

كما اقتربتْ عند المبيت حمائمٌ ... بعيداتُ تُمْسِى مَالَهُنَّ وُكُونُ[١]

وهذا أجود من بيت عدى ومن بيت البحترى .

وقد شبه الأثافى بالحمائم غيرُ واحدٍ من الشعراء ، والبديع[٢] النادر فى وصف الأثافى قول كُثَيِّر :

أَمِنْ آلِ قَيْلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ ... وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلوحُ قَدِيمُ[٣]

لَعِبَ الرياحُ بِرَسْمِهِ فأَجَدَّهُ ... جُونٌ عَوَاكِفُ فى الرَّمَادِ جُثُومُ[٤]

سُفْعُ الْخُدُودِ كأَنَّهُنَّ ، وَقَدْ مَضَتْ ... حِجَجٌ ، عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمُ

قوله : « فأَجدَّه جُونٌ عَوَاكف » يعنى الأثافى ؛ لأن الريح لما كشفت عنها فظهرت سوداء [ كانت كأنها هى أجدّت الرسم ][٥] ، شبَّهها بالعوائد.

والجَوْن : الأسود . والجَوْن : الأبيض . وهو من الأسماء المتضادة . قال الأصمعى : ويقال : غابَتِ الجونة ، وطلعت الغزالة ، يعنى مَغيبَ الشمس وطلوعها . وهما اسمان من أسماء الشمس ، وإنما سميت الشمس جونة عند المغيب لما يعرض فيها من تغير اللون إلى السواد .

---

(١) ديوانه ٣٣٧ « كما اقترنت . . حمائم غريبات » وفى طبعة الحلبى ٣٢١ « كما اقتربت . . . غريبات » وفى م « ممسى » وفى ط « عند الممر حمائم عبيرات تمسى بينهن وكون » ! ! ! وهو تحريف يفسد المعنى ، ولست أدرى كيف يكون الحمائم « عبيرات » ، ولا أدرك معنى هذا الوصف !

(٢) ط « والبالغ النادر »

(٣) ديوانه ١/٢٥٣ وأمالى المرتضى ٢/٣٣

(٤) ط « لعب الزمان »

(٥) نقل الشريف المرتضى هذا التفسير فى أماليه ٢ / ٣٣ من غير عزو ثم قال : « ويحتمل وجه آخر ، وهو أن يكون معنى « أجدت » أنها حمت الرماد الذى أحاطت به ، عن لعب الرياح ، فبقى بحاله يستدل به المترسم ، فكأن الرياح درست الربع ومحته ، إلا ما أجدته هذه الأثافى من الرماد ، ومنعت الريح منه »

وقال حُمَيْد بن ثَوْر :

على أَنَّ سُحْقاً مِنْ رَمادٍ كأَنَّه     حَصَى إِثْمِدٍ بَيْنَ الصَّلاءِ سَحِيقُ[١]

وقال أبو سعيد المَخْزُومِي :

يبكى ثلاثاً كالحَمَام رُكَّدًا     تَسْفِى بها الرِّيحُ رَمَادًا أَرْمَدَا[٢]

كأَنما يَطْحَنَّ فيها إِثْمِدَا

وقال بشَّار بن بُرْد :

ومسجدُ شيخٍ كنتَ فى زمن الصِّبا     تُحَيِّيه أَحياناً وفيه نُكُوبُ[٣]

غدَا بثلاثٍ ما يَنَامُ رَقِيبُها     وأَبْقَى ثلاثاً ما لَهُنَّ رَقِيبُ

غدَا : يريد الشيخ غدا بثلاث ، أى بثلاث نسوة ما ينام رقيبها ، يعنى الشيخ أنه ما ينام عن رقيبها . وأبقى ثلاثاً ، يعنى الأثافى .

وأخذا أبو تمام قوله : «ونُؤْى مثل ما انْفَصَم السِّوَارُ» من قول آخر :

ونُؤْىٌ كما نَقَصَ الهلالَ مَحاقُه     أَو مثلُ ما فَصَمَ السِّوارَ المِعْصَمُ[٤]

وهذا العجز ما لحسنه نهاية .

وقال كُثَيِّر :

عرفتُ لسُعدى بعد عشرين حِجَّةً     بها دَرْسَ نُؤْيٍ فى المحلَّة مُنْحَنِ[٥]

قَدِيمٌ كَوَقْفِ العَاجِ ثُبِّتَ حوْلَهُ     مَغَارِزُ أَوتادٍ بِرَخْمٍ مُوَضَّنِ

---

(١) الذى فى ديوانه ٣٤ «فغادرن مسود الرماد كأنه» . والإثمد : حجر الكحل . والصلاء ، والصلاية : كل حجر عريض يدق عليه العطر ونحوه

(٢) ق : «رمددا»

(٣) م «أحييه» وهما فى ديوانه ١ /١٨١ – ١٨٢

(٤) نقله المرتضى فى أماليه ٢/٣٤ . وقد تقدم ص ٩٢

(٥) ديوانه ٢ / ٥٨ وأمالى المرتضى ٢/٣٤

قوله : « منحن » : مستدير. والوَقْفُ : السِّوار من الذَّبْل(١) ومن العاج . والرَّخْمُ : صخور عظام . والرَّخم أيضاً : هضاب صغار. والمُوَضَّنْ : هو الذى بعضه فوق بعض . يقول : ضربت الأوتاد بحجارة الرّخمة .

وما أحسن قول بشار :

ونُؤْىٌ كخَلْخَالِ الفتاةِ وصَائِمٌ أَشَجُّ على رَيبِ الزمان رَقُوبُ(٢)

قوله : الصّائِم الأَشجّ : يعنى الوتد . والصائم : القائم الثابت ؛ قال النابغة :

خيلٌ صِيَامٌ و[خيلٌ] غيرصائمةٍ يوم العَجَاجِ وخيلٌ تَعْلُكَ اللُّجُمَا(٣)

فجعله رَقُوبا لانفراده على الاستعارة .

والمرأة الرَّقُوب ، والشيخ الرَّقُوب : الذى لا يعيش له ولد ، والذى لا ولد له فهو ينتظره . والمستعمل فى الرّقبة أن يقال : رقيب ورَاقِب . وأظنُّه ذهب إلى توكيد الفعل . مثل قولهم : ضارب ، فإذا وكدوا قالوا : ضَروب ، كذلك شارب وشَرُوب ، وآكل وأَكُول : أى كثير الأكل والشّرب .

وقال أبو تمام :

والنُّؤْىُ أَهْمِدَ شَطْرُهُ فكأنَّهُ تَحْتَ الحوادِثِ حاجبٌ مَقْرُونُ(٤)

وهذا أيضاً فى وصف النؤى حسنٌ .

---

(١) فى اللسان ١٣/ ٢٧٢ « الذبل : شىء كالعاج ، وهو : ظهر السلحفاة البرية يتخذ منه السوار »

(٢) ديوانه ١ / ١٨١ وأمالى المرتضى ٢ / ٣٥

(٣) ديوانه ٩٥ وفى اللسان ١٥ / ٢٤٤ « تحت العجاج » . وقد تقدم ص ٢٤٣ .

(٤) ديوانه ٣٢٨ وأمالى المرتضى ٢/ ٣٥ وفى شرح التبريزى ٣ / ٣٢٤ « الحوادث : السحاب والأمطار »

ولست أعرف للبحترى فى مثل هذا شيئاً ، إلا ما يشتبه[1] فيه ، وهو قوله :

آثار نُؤْيٍ بالفِنَاء مُثَــلَّمٍ وزِمَامُ أشعَثَ بالعراء مُشَجَّجِ[2]

وهذا على مذاهب الناس . وقال النَّابغة :

رمادٌ ككُحْلِ العينِ ما إنْ تُبِينُه ونُؤْىٌ كجِذْمِ الْحَوضِ أَثْلَمُ خاشِعُ[3]

ووصل البحترى بيته بأن قال :

دِمَنٌ كمثلِ طَرَائقِ الوَشْيِ آنْجَلَتْ لمَعَاتُهُنَّ عن الرِّداء المُنْهَجِ[4]

يَضْعُفْن عَن إذْ كارِنَا عَهْدَ الصِّبَا أو أَنْ يُهِجْنَ صبابةً لم تَهْتَجِ

ولرُبَّ عيشٍ قد تبسَّم ضَاحكًا عن طُرَّتَىْ زمنٍ بِهِنَّ مُدَبَّجِ[5]

وهذا كله على مذاهب الناس .

ونحو قوله : « كمثل طرائق الوشى » قولُ النابغة :

على العُصُرِ الخالى كأَنَّ رُسُومَهَا بتهنيّة الركنين وَشْىٌ مرجَّعُ[6]

مرجع بعضه على بعض فى النساجة .

وقال كُثَيِّر :

مَغَانِى ديارٍ لا تزالُ كأَنَّها بأصعدة الشُّطَّار رَيْطٌ مُضَلَّعُ

وقال كُثَيِّر أيضاً :

غَشِىَ الركبُ رَبْعَها فَعجِبْنَا مِنْ بِلَاهُ وما المَدَى بِقَدِيمِ

---

(١) ق « ما لا تشبيه »

(٢) ديوانه ٢ / ٤٢٨

(٣) فى ديوانه ( ٧١ : ط الهلال ) : « . . لأيا أبينه . . »

(٤) ديوانه « من الرداء » . ١/٤٠٠ معارف

(٥) م « عن طريق زمن »

(٦) ديوانه ١ / ٢٧

كحواشِى الرِّداء قد مَحَّ مِنْهُ     بَعْدَ حُسْنٍ عصائبُ التَّسْهِيمِ

وهذا حسن جدًّا .

وقول البحترى : « يضعفن عن إذْكارِنَا عهد الصِّبا » يعنى لطول عهدهنّ ودُرُوسِهِنَّ .

وقد تصرّف شعراءُ الجاهلية والإسلام فى وصف آثار الديار أحسن تصرّف ، وأتوا فيه بكل تشبيه مستحسن ، ومعنى مستغرب فمنه قول طرَفَة :

* تَلُوحُ كبَاقِى الوَشْمِ فى ظاهر اليدِ(١) *

الوشم : أثر الحِنَّاء ، وخصّ ظاهر اليد : لأن دُرُوسَه أسْرَع .

وقال لَبِيد :

وجَلا السُّيولُ عن الطُّلولِ كأنَّها     زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَها أقلامُها(٢)

وهذا ما زلت أسمع العلماء تعجب من حسنه ولطافة معناه . وكان الفرزدق إذا أنشده يسجد ويقول : إنا نعرف مكان السجود فى الشعر كما تعرفونه فى القرآن(٣) .

وقال آخر ، وأنشده إسحاق بن إبراهيم :

تمتع بكرٍّ الطرف فى رسم منزلٍ     تحمّل عنه قَاطِنُوه فأقْفَرا(٤)

ترى فيه آثارًا وإنْ كان دَائِرًا     بذكْرِك الشوقَ القديمَ فتَذْكُرَا

---

(١) صدره : « لخولة أطلال ببرقة ثهمد » وهو مطلع معلقته ، كما فى ديوانه ٢١ وشرح القصائد العشر ٩٦ تقريبا

(٢) شرح القصائد العشر ١٥٨ تقريبا والوساطة ١٨٧ واللسان ٥ / ٤٠٣

(٣) الخبر فى الأغانى ١٤ / ٩٨

(٤) م « فافتقرا »

قوله : فتذكرا ، ليس بالجيد ، ووجهه الرفع ، ولكنه جاء به على إرادة النون[1] ، وقد جاء مثله فى أشعارهم قال جَذِيمَةُ الأَبْرَش :

رُبَّما أَوْفيْتُ فى عَلَم  تَرْفَعَنْ ثَوْبِى شَمالاتُ[2]

وقال الجَعْدِىّ :

وأَقْبل على مجدى ومَجْدِكَ نَبْتَحِثْ  مَسَاعِيَنَا حتى ترى كيف تَفْعَلا[3]

ومثله قليل .

وأحسن من هذا ومن كل حسن قول محمد بن عبيد الأَزْدِى[4] :

فلم تَدَعِ الأَرْوَاحُ والماءُ والبِلَى  من الدار إلا مَا يَشُوقُ ويَشْعَفُ

وأنشد إسحاق ، ووجدته فى التَّعْليقَات لِيَعْلى الطَّائى :

لَبِسْنَ البلى حتى كأَنَّ رُسُومَها  طَعِمْنَ الهوى أَوْذُقْنَ هَجْرَ الحبائبِ[5]

وقال ابن وهب فى مثله يذكر منزلين :

لَبِسا البلى فكأَنَّما وجَدا  بَعْدَ الأَحِبَّةِ مثلَ ما أَجِدُ[6]

وقال البحترى مثل هذا :

صبٌّ يخاطب مُفْحَمات طُلُولِ  مِن سائلٍ باكٍ ومن مَسْئولِ[7]

---

(١) م « النوى » والتصويب من ق

(٢) اللسان : ٣٨٩/١٣ وفى م « فى عمل ترقعن » وهو خطأ . وهو لجذيمة الأبرش ، كما فى نوادر أبى زيد ٢١٠

(٣) م « يفعلا »

(٤) ذكره الصولى فى معجم الشعراء ٤١٧

(٥) م « أودفين »

(٦) الأغانى ١٤٧/١٨ والعمدة ٤١/٢ والصناعتين ٤٥٥ وعيار الشعر ١١٤ وفى م « لبسنا » وهو تحريف

(٧) ديوانه ٦١٠ ، ١٦٦/١٣ وسبق ص ٤٥٦ « بال »

حَمَلَتْ مَعَالِمُهُنَّ أعباءَ البِلى حتى كأَنَّ نحولَهن نُحُولِى(١)

وأنشدنى غير واحد من الشيوخ :

ما غَيَّرَ الدَّارَ [بَعْدَ] بَيْنِهم ريحٌ عفَتْ آيُها ولامطرُ (٢)
كأنَّهــا جَرْعةٌ يَمانِيَةٌ قد نُشِّرَتْ فى عِرَاصها الحِبَرُ

وقال آخر وأنشده حمَّاد :

قد وقفْنــا لِكُلْثم بطــلول وأَرْسُمِ (٣)
لائحــات كأَنَّها برْدُ وشْيٍ مُنَمْنَمِ
وسألنــا فأُفْحِمَتْ عن جــوابِ المكلِّمِ

وهذا كله أحلى وألطف معانى ، وألوط بالنفس من كل ما قال الطَّائيَّان .

(١) م « أعيا البلى »
(٢) مكان الزيادة مطموس فى م
(٣) م « وقفنا لا لثم »

## محو الرياح للديار

قال أبو تمام :

قِفْ بالطلول الدَّارسات عُلاثَا أَضْحَتْ حِبالُ قَطِينهنَّ رِثَاثَا[١]

قَسَمَ الزَّمانُ رُبُوعَها بيْن الصَّبَا وقَبُولهَــا ودَبُورِها أَثْلاثَا

وهذا غلط منه ؛ لأن الصّبا هى القَبول . ولو قال : بين الصَّبا وشمالها وجنوبها أثلاثاً ، كان قولا مستقيماً ؛ لأن هذه الرياح الثلاث أكثر هبوباً من الدَّبُور . ولو اقتصر على ريحين كان ذلك أيضاً صواباً ، كما قال امرؤ القيس :

* لِما نَسَجتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ[٢] *

وكما قال الأَعْشَى :

دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَها الصَّيْـ ـفُ بريحين مِن صَباً ، وشَمالِ[٣]

ولكنه جعلها ثلاثاً من أجل القافية لا غير .

وقد حكى عن النَّضْر بن شُمَيْل أنه قال:القَبُول : ريح بين الصَّبا والجنوب .

وهذا إن كان النَّضْر قاله فليس بمعروف ولا معول عليه ؛ لأن الناس جميعاً على خلافه فى أن القبول هى : الصّبا .

وقال ابن الأعرابى : القبول : كل ريح لينة طيبة المس ، تقبلها النفس. وهذا لا حجة فيه لبيت أبى تمام . وقد استقصيْت القول فى هذا فيما مضى عند ذكر أغاليطه من هذا الكتاب[٤].

---

(١) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزى ١٧/٣١٤ وانظر ص ١٥٨ .

(٢) ديوانه ١٢٤ وصدره : « فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها » وهو من معلقته

(٣) ديوانه ٣ واللسان ٦/٢٩٨

(٤) راجع ص ١٥٨ — ١٩٤

وقال البحترى ، فذكر[١] الرياح الأربع :

مَتْروكَةٌ للرِّيح بَيْنَ شَمالِهَا وجَنُوبِهـا ودَبُورِها وقَبُولِها[٢]

وأحسن من هذا ومن كلّ ما قيل فى هذا المعنى قولُه أيضاً :

بَيْنَ الشَّقِيقةِ فاللِّوَى فالأَجْرَعِ دِمنٌ حُبِسْنَ عَلى الرِّياحِ الأَرْبَعِ

وقد تقدم ذكره[٣] .

قال أبو تمام :

أَوَ مَا رَأَيْتَ مَنازِلَ ابنة وَائلٍ رَسَمَتْ له كيف الزَّفيرُ رُسُومُها[٤]

آثارُهَا وطُلُولُهـا ونجـادُها ووِهادُها وحديثُها وقديمُها

تغـدو الرياح سواقياً وعوافياً فتضيم مغناها وليس تَضِيمُها[٥]

قوله : « رسمت له كيف الزفير » لفظة غير لائقة بالمعنى ؛ وإنما جاء بها ليجانس بينها وبين قوله : « رسومها » .

وقوله فى البيت الثانى : « وحديثها وقديمها » ، حشو لم يفد به فائدة .

وقوله : « فتضيم مغناها » ؛ يعنى الرِّياح إنها تَضِيمُ المَغْنى وليس يَضِيمُها ، وهذا أيضاً معنى ليست له حلاوة ، ولا يقود إلى فائدة ؛ لأن المعلوم أن الأرض لا تَضِيمُ الرِّيح .

وقال أيضاً فى وصف ربع :

مَلَّكَتْهُ الصَّبَا الوَلُوعَ فَأَلْفَتْهُ قَعُودَ البِلى وسُوْرَ الخُطُوبِ[٦]

---

(١) ق « يذكر » .
(٢) ديوانه ٣٤٥ وقد تقدم ص ١٦٠
(٣) راجع تعفية الرياح للديار
(٤) ديوانه ٣١٠ وشرح التبريزى ٣٧٣/٣ « ابنة مالك » وق « وائل » وم « أبيت »
(٥) م « وليس نعيمها » وهو تحريف
(٦) ديوانه ٣٦ وشرح التبريزى ١٢٣/١

قوله : «الصَّبَا الوَلوع» . وإنما أراد المُولَعة بالهُبُوب ؛ لأنها أكثر الرياح هبوباً . ولا أعلمه يقال : ولع بالشيء يولع فهو ولوع ، ولكن قد سمعت : وَلِعَ يَلِعُ ، مثل وَزَعَ يَزِع ، ووَلِعَ يَلَعُ ، مثل وَسِع يَسَعُ . حكاهما أبو زيد[١].

والوَلُوعُ : هو المصدر ، وما أراه يقال : هو وَلُوع بكذا ، والقياس هو ولع بكذا ، مثل وزعم به[٢] ، ووالع مثل واسع . واللغة المعروفة : أُولِعْتُ بالشيء فأنا مُولَعٌ به . والمصدر الوَلُوع .

وقوله : «أَلْفَتْهُ» ، ليس هذا موضع ألفته ؛ لأن معنى ألفته : صادفته ، وإذا كانت الريح هي التي فعلت بالربع ، فوَجْه الكلام : «جعلته» ، لو استوى له ، لا «ألفته» ، وإذا لم يستقم له «جعلته» ، ولا ما هو في معناها — نقض البيت بأسره ، وبناه بألفاظ أُخَر . وكأنه أراد أن يقول : قعود البلى وهدفاً للخطوب ، أو غَرَضاً للخطوب ، أى تقع به أبدًا وتصيبه ؛ فلم ينتظم له الوزن . وكأنه أراد أن يقول : وهدفاً للخطوب أو غرضاً للخطوب ، أى تقع به أبدًا [وتصيبه][٣] فقال : سور ؛ لأن السور جعل يَقَعُ[٤] به كل قَارِعَة دون ما وراءه ، فهو هدف وغَرَضٌ لكل رام . فهذا الذى أراده ، والله أعلم .

وليس قول من يقول : سُوْرُ الخطوب ، أى أن هذا الربع محيط. بالخطوب فهو كالحارس لها ، فهى لا تبرحه ولا تريمه — بشيء ؛ لأن الأشبه والأولى في

---

(١) نوادر أبي زيد ٢٣٩ وفيه بعد ذلك : «قال أبو الحسن : وكذلك يقال : ولع يلع ، مثل وضع يضع ، وولع يلع على الأصل ، وإنما انفتحت الأولى من أجل العين لأنها من حروف الحلق . ولست أنكر ولع ، ولكن الذى أحفظ ما ذكرت لك»

(٢) كذا بالأصل ولعله : مثل هو زعم به . وإن كان لم يرد إلا «زعيم»

(٣) الزيادة من ق (٤) ق «لتقع» .

هذا أن تجعل الخطوبُ هى التى أَحاطت به من كل وجه حتى عفته وأَبلته وأَخلته من أَهله ، لا [أَ] نه أَحاط بها .

وقد قيل : سُؤْر الخطوب [بالهمز : بقية ما أبقته الخطوب ][1] كُسؤْر السبع إذا وَلَغَ فى الشىء ، ثم أَسْأَرَ منه . وليس هذا ببعيد من المعنى ، بل هو وجه جيد[2] .

وقال البحترى :

مَغَانِى سُلَيْمَى بالعَقِيق ودُورُها ... أَجَدَّ الشَّجَا إخْلاَقُها ودُثُورُهَا[3]

ومــا خِلْتُها مأخوذةً بصَبَابَتِى ... صحائِف تُمْحَى بالرِّياحِ سُطورُها

وهذا من أَحسن معنى وأَبرعه .

وقوله : «وما خلتها مأخوذة بصبابتى» ، مما يسأَل عنه فيقال : كيف تُؤْخذ الصحائف – وهى عرصات الدار – بصبابته ؟ فمعنى مأخوذة بصبابتى : أَى ملزمة صَبابتى ، كما يقال : قد أُخِذَ فلانٌ بـأَن يفعل كذا وكذا : أَى أُلزِمَه ، كما يقال للرجل : أَفعل كذا وكذا ، فيقول : من أَخَذَنِى بهذا ، أَى من أَلْزَمَنِيه ؟ ومن نَاطَهُ بى[4] وعلَّقه علىّ . وكما يقال كذا وكذا وما أَخَذَ ما أَخْذَه ، أَى وما اتَّصل به ، وتعلَّق عليه ، ولزم طريقَتَه .

ولا أَعرف لأَبى تمام معنى جيدًا فى ذكر الرياح إلا قوله :

يا مَنْزِلًا أَعْطَى الحوادثَ حُكْمَهَا ... لا مَطْلَ فى عِدةٍ ولا تَسْويفَا[5]

---

(١) الزيادة من ق

(٢) وفى شرح التبريزى ١/١٢٣ عن أبى العلاء المعرى : « وسؤر الخطوب : بقيتها ، ومن عرف مذهب الطائى لم يعدل عن هذه الرواية »

(٣) ديوانه ٦٠٤ ، ٢/٩٩٨

(٤) م « ومن ناظرنى وعلقه »

(٥) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزى ٢/٢٧٦

أَرَبى بنادِيكَ النَّدَى وتنفَّستْ نفَساً بعَقْوَتِكَ الرِّياحُ ضعِيفَا

وإنما قال ضَعِيفاً : لأن الرياح إذا اشتد هبوبها عفت آثارَ الديار وطَمَسَتْ مَعَالِمَها . ولذلك قال البحترى :

وإذا هبَّت الرياحُ نَسِيماً فَعَلى رَبْعِ دَارِهَا والجَنَاب[١]

وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يستحسنون بيت أبى تمام هذا ، وهو لعمرى حسن ، ولكنه أخذ المعنى من قول آخر - وأنشده إسحاق بن إبراهيم الموصلى ولم يأت به فى ذكر الدار :

يا حَبَّذَا ريحُ الجَنُوبِ إذا سَرَتْ بالليل وهى ضَعيفَةُ الأَنْفَاسِ
قد ضُمِّنَتْ بَرْدَ النَّدَى وَتَحَمَّلَتْ عَبَقًا من الجَنْجَاثِ والبَسْباسِ[٢]

وأجود من هذا وذاك فى وصف طيب الريح ، قول أبى الصفى[٣] الأسدى :

إذا أَصْعَدَ الرُّكْبَانُ وَاستقبلتهم جنوبٌ كَمَسِّ الرَّازقىِّ هُبُوبُهَا

الرَّازقىّ : الرقيق من الكتان الأبيض[٤] ، والريح وإن كانت قد تسفى الترب على رسم الدار فتغطيه وتعفوه ، فإنها أيضاً قد تنسِفُه[٥] عنه فتكشفه وتُجِدُّه ، ألا ترى إلى قول جرير :

تُحْيِى الروامسُ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ بَعْدَ البِلى وتُمِيتُه الأَمْطارُ[٦]

فهى تفعل فعلين مختلفين ، وربما نَسفَت تراب أَرضٍ فطرحته على أرض أخرى ، وبينهما سَيْرُ أيام ، فتكشف عن معالم تلك الأَرض ، وتُغَطِّى على

---

(١) ديوانه ٥٦٣ « فعلى رسم »
(٢) سبقا ص ١٠٧
(٣) ق « إبى الصفر »
(٤) اللسان ١١/٤٠٦
(٥) م « تنشفه »
(٦) ديوانه ٢٠١

معالم هذه . وربما غشيت وجهَ الأَرض كله بتراب الأَرض الأخرى ، وفى ذلك يقول ذو الرُّمَّة :

ضَهُول كَسَاهَا تُرْبَ أَرْضٍ غَرِيبَةٍ سوى أَرضها منها الهَبَاءُ المُغَرْبَلُ[(١)]

ضَهُول : وصف للريح ، وذكرها فى بيت قبل هذا . والهاء فى كساها راجعة إلى رسوم الدار التى وصفها . وضهول ماؤها : يَجىءُ قليلا قليلا . وضَهُول كلِّ شىء : رجوعه . وبئر ضَهُول : يجىء ماؤُها قليلا قليلا . ويروى : « جَفُول » . أى سريعة ذاهبة . فهذا فى ريح واحدة .

فأَما الريحان المختلفان ، فإن إحداهما تنسف عن الأَرض التراب ، والأخرى تَرُدُّه إليها على ما قال امروُ القيس :

. . . . . لم يعف رسمها لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ[(٢)]

فلعل الطائيين فيما شرطاه إنما أَشْفَقَا من أحد فِعْلى الريح ، وهو طُمُوسُها للرسم .

وقال البحترى :

أَسْنِدْ صُدُورَ اليَعْمَلاَتِ بِوَقْفَةٍ فى المَاثِلاَتِ كَأَنَّهنَّ المُسْنَدُ[(٣)]
دِمَنٌ تَقَاضَاهُنَّ إعْلاَنَ البِلَى هُوجُ الرِّياحِ البادِياتِ العُوَّدِ[(٤)]
حتى فَنِينَ وما البَقَاءُ لِوَاقِفٍ والدَّهْرُ فى أَطْرَافِهِ يَتَرَدَّدُ

وهذا معنى عجيب ، وغرض حسن ، والمُسْنَدُ : الدهر ، أراد أَن طلول الدار والماثلات ثابتة فيه كثبات الدهر ودَوامِهِ . وإنما قال : أَسْنِد ، من أجل قوله : المُسْنَد .

---

(١) ديوانه ٤٥٨ « جفول »
(٢) سبق ص ٤٩٢
(٣) ديوانه ٦٨٩
(٤) فى ديوانه « إعلام البلى »

وأجود منه وأحلى قوله :

عَسَتْ دِمَنٌ بالأَبْرَقَيْنِ خَوَالِ تَرُدُّ سَلامِى أو تُجِيبُ سُؤَالِى[١]
إذا ما تَأَيَّا الرَّكْبُ فيها تَبَيَّنُوا ضَمانَةَ مَتْبُولٍ وصِحَّةَ بَالِ[٢]
خليلَىَّ ما لِلرَّامِسَاتِ ومَا لَهَا وما لِشُجُونِى المُبْرِحَاتِ ومَالِى[٣]

ومما لا مزيد عليه ، ولا غاية لحسنه وبراعته ، ولطف معناه – قولُه :

أَصَبَا الأَصَائلِ إنَّ بُرْقَةَ مُنْشِدِ تَشْكُو اخْتِلافَكِ بالهُبُوبِ السَّرْمَدِ[٤]
لا تُتْعِبِى عَرَصَاتِها إنَّ الهَوَى مُلْقًى على تلك الرسوم الهُمَّدِ
دِمَنٌ مَوَاثِلُ كَالنُّجومِ فإنْ عَفَتْ فَبِأَىِّ نَجْم فى الصَّبَابَةِ تَهْتَدِى[٥]

وقد قرأت شعرًا كثيرًا ، فى وصف الرياح وتعفيتها للدار ، لشعراء الجاهلية والإسلام . فما سمعت بأحسن من هذا ، ولا أعرف ولا أبدع .

---

(١) ديوانه ٧٨٣ ، ٣/١٧٠

(٢) فى الديوان « تأبى » وهو تحريف . والتأيى : التلبث والتنظر والتؤدة

(٣) فى الديوان « ما للراسيات . . وما للشجون »

(٤) ديوانه ٤٥٨

(٥) فى الديوان « نهتدى »

## ماقالاه فى سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها أيضاً

قال أَبو تمام :

مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبَا ... فَصَوابٌ مِنْ مُقْلَةٍ أَنْ تَصُوبَا[١]

فاسْأَلَنها واجعل بُكَاكَ جَواباً ... تَجِدِ الشَّوقَ سَائِلاً ومُجِيبَا[٢]

وقد ذكرت هذا الابتداء فى الابتداءات[٣] .

وقوله : « فاسأَلنها واجعل بكاك جواباً » ، لأَنه قال[٤] : من سَجاياها أَلا تجيب ، فليكن بكاؤك الجواب ؛ لأَنها لو أَجابت : أَجابت بما يبكيك ، أَو لأَنها لَمَّا لَمْ تجب علمت أَن من كان يجيب قد رحل عنها ، فأَوجب ذلك بكاءَك .

وقوله : « تجد الشوق سائلا ومجيباً » ، أَى أَنك إنما وقفت على الدار وسأَلتها لشدَّة شوقك إلى من كان بها ، ثم بكيت شوقاً أَيضاً إليهم ، فكان الشوقُ سبباً للسؤال ، وسبباً للبكاء .

وهذه فلسفة حسنة ، ومذهب من مذاهب أَبى تمام ، ليس على مذاهب الشعراء ولا طريقتهم . ومثله قوله :

تَجَرَّعْ أَسًى قد أَقْفَرَ الجَرَعُ الفَرْدُ ... ودَعْ حِسْىَ عَيْنٍ يَجْتَلِبْ ماءَهُ الوَجْدُ[٥]

---

(١) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزى ١/١٦٤

(٢) م « بكاك عليها »

(٣) راجع ص ١٠ و ٤٥٦

(٤) م « لأنه من قال »

(٥) ديوانه ١٢٠ وشرح التبريزى ٢/٨٠ وفى م « الجوع » وهو تحريف

إذا انْصَرَفَ المَحْزُونُ قَدْ فَلَّ صَبْرَهُ　　　سؤَالُ المَغَانِي فالبكاءُ لَهُ رَدُّ[1]

فالجَرَعُ : الموضع من الأرض له ارتفاع . يقال : هو حَزْن ، ويقال : هو سَهْل يُشْبِهُ الرمل ، والجمع : أَجْرَاع .

وقوله : « فالبكاءُ له رَدّ » : أى للسؤال ، على معنى قوله :

* تَجِد الشَّوقَ سائِلا ومُجيبا *

ولم يسلك البحترى هذه الطريق ، بل جرى فى هذا الباب على مذاهب الناس فقال :

وقفْنَا على ذاتِ النَّخيلةِ فانْبَرَتْ　　　سَوَاكِبُ قَدْ كانَتْ بها العَيْنُ تَبْخَلُ[2]

على دَارِسِ الآياتِ عافٍ تَعَاقَبَتْ　　　عليه صَباً مَا تَسْتَفِيقُ وشَمْأَلُ

فَلَمْ يَدْرِ رَسْمُ الدَّارِ كيفَ يُجِيبُنَا　　　ولا نَحْنُ مِنْ فَرْطِ البُكَا كَيْفَ نَسْأَلُ[3]

وقول أبى تمام وإن كان فيه دقة وصنعة ، فهذا عندى أولى بالجودة ، وأحلى فى النفس ، وألْوَطُ بالقلب ، وأشبه بمذاهب الشعراء .

ومثله فى الحسن والجودة والحلاوة قوله :

خُلِّفْتُ بَعــدَهمُ ألاحِظُ نِيَّةً　　　قُذفاً وأَنْشَدُ دَارساً مُتَرَسِّمَا[4]

طَلَلًا أُكَفْكِفُ فيه دَمْعاً معْرباً　　　بِجَوًى وأَقْرأُ فيه خَطًّا أَعْجَمَا[5]

تَـأْبَى رُبَاهُ أَنْ تُجِيبَ ولَمْ يَكُنْ　　　مُسْتَخْبرٌ لِيُجِيبَ حتَّى يَفْهَمَا

---

(١) م « قد قل » . ويروى « رد » بكسر الراء ، أى معين ، من قولك : هو رد عليك ، أى إذا لم تجبه المغانى . فذهب صبره ، فليس له معين إلا البكاء

(٢) ديوانه ٥٨٥ ، ١٧٩٢/٣ « على دار البخيلة »

(٣) فى الديوان « الجوى كيف »

(٤) ديوانه ٢٢٩ وفى م « الاحظب نية »

(٥) م « وافراً منه »

وقال أبو تمام :

قد مَرَرْنَا بالدار وهْىَ خَلاءٌ فَبَكَيْنَا طُلُولَها والرُّسُومَا [1]
وسَأَلْنَا رُبُوعَهَا فانْصَرَفْنَا بِشِفَاءٍ وما سَأَلْنَا حَكِيمَا

وهذه معنى حسن حلو ، ومذهب صحيح قد تقدم النّاسَ فيه .

وقال البحترى فى مثله أو قريب منه :

يا دَارُ لازَالَتْ رُبَاكِ مَجُودَةً مِنْ كُلِّ غاديةٍ تَعَلٌّ وَتَنْهَلُ [2]
فَهّمْتِنَا دُوَلَ الزّمانِ وَصَرْفَه وأَرَيْتِنَا كيفَ الخُطُوبُ النُّزَّلُ [3]

أراد تعلّ الربى وتنهل من كل غَادِية .

وقوله : « فهمتنا دول الزمان وصرفه » مع تمام البيت ، قريب من قول أبى تمام : « فانصرفنا بشفاء » . وإن كان أبو تمام إنما انصرف بشفاء من العلم بأهل الدار أنها منهم مقفرة .

والبحترى قد دل على هذا إلا أنه جاء فى بيت بأَسْرِه . ومعنى أبى تمام جاء به فى حكمة واحدة ، وأتى بزيادة فى غاية الحلاوة والصّحة ، وهو قوله : «وَمَا سَأَلْنَا حَكِيما » .

* * *

فأبو تمام فى هذا عندى أشعر من البحترى .

* * *

ومما يشبه قولَ أبى تمام : « فانصرفنا بشفاء » ، أو يقاربه ــ قوله :

---

( ١ ) ديوانه ٢٩١ وشرح التبريزى ٣ / ٢٢٢

( ٢ ) ديوان البحترى ٢٥ وفى ٣ / ١٧٥٤ « سارية تعل » وفى م « غادية تغل »

( ٣ ) فى ديوانه « أذكرتنا دول » م « دون الزمان . . . والنزل »

وأَبِى المنازلِ إنها لَشُجُونُ ... وعلى العُجُومَةِ إنَّها لَتَبِينُ[١]

وهذا بيت حسن . وقد ذكرته فى الابتداءات[٢] .

وقد قال مُسْلِم بن الوَلِيد :

وَقَفْتُ على أطلالٍ لهم فكأنَّها ... تَفَهَّمُ إلا أنَّها لم تُحاوِرِ

وقال أبو تمام :

هَلْ أَثَرٌ مِنْ دِيَارِهِمْ دَعْسُ ... حيثُ تَلاقَى الأَجْرَاعُ والوَعْسُ[٣]

مُخَبِّرٌ السائلِ الرَّذِيَّةَ فى الْـ ... أَطْلالِ أَيْنَ الجآذِرُ اللُّعْسُ؟[٤]

لا تَسْأَلَنْهَا فَلَيْسَ يَسْمَعُ جَرْسَ الـ ... قَوْلِ إِلاَّ شَخْصٌ لَهُ جَرْسُ[٥]

وهذه أبيات مُتَعَسِّفة ، ولفظ غير جيد ، ومعنى غير حسن .

وقوله : الأَجْرَاع والوَعْسُ ، فالأَجْرَاعُ : جمع جرع ، مثل جَبَلٍ وأَجْبَال ، وهو : المكان من الأرض الذى فيه حُزُونَة . ويقال : بل هى سهلة غير أنها مرتفعة قليلا ، تُشْبِه الرملَ فى سهولتها . ويقال أيضاً : أَجْرُع وأَجَارِع وجَرْعَاء وجَرْعَاوَات وجَرَع وأَجْرَاع .

---

(١) ديوان أبى تمام ٣٢٨ وشرح التبريزى ٣/٣٢٨

(٢) راجع سؤال الديار

(٣) ديوانه ١٦٦ وفى شرح التبريزى ٢/ ٢٢٣ « يقال : أثر دعس ، أى واضح متين ، وكأنه الذى وطىء وطئاً كثيراً »

(٤) ويروى : مخبر السائر » وتقديره : هل أثر يخبر الذى يسير إبلا قد أعيت وكلت : أين الجآذر ؟ فيعنى بالسائر الرذية : نفسه ، وبالجآذر : النساء التى فارقته . وقال أبو العلاء المعرى : الرذية أصلها فى المطية التى قد هزلها السير ولم يبق فيها حركة . واستعاره ههنا للسائل ، لأنه شبهه بهذه فى تخلفه وعجزه عن السير . واللعس : جمع ألعس ولعساء ، واللعس : سمرة فى الشفة شديدة . وقيل : يحتمل أن يكون أراد بالرذية ههنا : الدار ، وجعلها رذية لما أتى عليها من الدهر . راجع شرح التبريزى ٢ / ٢٢٤

(٥) فى شرح التبريزى « المعرى : الجرس والجرس : الصوت ، وعنى بقوله : « إلا شخص له جرس » ، إنساناً يتكلم . يقول : الديار لا تسمع جرس قولك ، وإنما ينبغى أن تخاطب إنساناً مثلك على أن الجرس قد يسمعه الحيوان غير الناطق كما يسمعه الناطقون »

والوَعْس : جمع وَعْسَاء ، مثل حَمْرَاء وحُمْر ، وهى : الرملة التى تغوص فيها الرجل ، وإذا ذَكَّرُوا قالوا : أَوْعَس .

وقد تصرف البحترى فى هذا الباب تصرفاً كثيراً حسناً فقال فى قصيدته التى أولها : « هَجَرَتْ وطيفُ خيالِها لم يَهْجُرِ » — :

مُسْتَهْتَرٌ بالظَّاعِنِينَ وفيهِمُ صدٌّ يُضَرِّمُ لَوْعَةَ المُسْتَهْتَرِ (١)
يَسَلُ المنازلَ عنهمُ وعلى اللِّوَى دِمَنٌ دَوَارِسُ إن تُسَلْ لا تُخْبِرِ (٢)
وَمِنَ السَّفاهَةِ أن تَظَلَّ مُكَفْكِفاً دَمْعاً على طَلَلٍ تَـأَبَّدَ مُقْفِرِ

وهذا كلام فحل ، ومعان جيدة صحيحة مستقيمة .

ومثل هذا فى الجودة والبراعة قوله :

هُوَيْنَاكَ مِنْ لَوْمٍ عَلى حُبٍّ تَكَتَّمَا وقَصْرَكَ نَسْتَخْبِرْ رُبُوعاً وأَرْسُمَا (٣)
تَحَمَّلَ مِنها مُنْجِدٌ من خَلِيطِهِمْ أَطَاعَ الهَوَى حتَّى تَحَوَّلَ مُتْهِمَا (٤)
وما فى سُؤَالِ الدَّارِ إدْرَاكُ حاجَةٍ إذا اَسْتَعجمَتْ آياتُها أَنْ تَكَلَّمَا

قوله : هُوَيْنَاك ، تصغير هَوْنَك . والهَوْن : المَهَل . يقال : سِرْ على مَهَل ، وتكلم على مَهَل . ويقال للمتكلم : هوناً ، أى مَهْلا . وهَوْنَكَ : أى مهلك ، أى اَلزم مَهْلَكَ ولا تَعْجَل .

وأراد البحترى ارفق واكفف من لَوْمِك ، ألا تراه وكّد ذلك بقوله : « وقصْرَكَ نستخبر » ، أى أقصر .

ووجدت بعضهم يستهجن هذه اللفظة ، كأنه كره أن يكون مُبْتَدأ

---

(١) ديوانه ١٢٠ ، ٢/٨٦٠ المعارف

(٢) فى الديوان : « نسل »

(٣) ديوانه ٣٥٥ « بحب » وانظر ص ٢٢٢

(٤) فى الديوان « عنها منجد »

بها ، وليست عندى بمكروهة ولا مستهجنة . وهو ابتداء إن لم يكن من جيد ابتداءاته ونادرها ، فليس هذا من رديئها .

ووصل هذا بأن قال :

نَصَرْتُ لها الشوقَ اللَّجُوجَ بأَدْمُعٍ ... تَلاَحَقْنَ فى أعقاب وَصْلٍ تَصَرَّمَا
وَتَيَّمَنِى أَنَّ الجَوَى غيرُ مُقْصِرٍ ... وَأَنَّ الحِمَى وَصْفٌ لِمَنْ حَلَّ بالحِمَى

فقوله : « نصرت لها الشوق اللَّجُوجَ بأدمع » ، يعنى الدار ، بعد قوله : « وما فى سُؤَالِ الدَّار إدْرَاكُ حَاجَةٍ » لأنه لما لم يجد فى سؤالها إدراك حاجة .

وهذا قريب من قول أبى تمام :

فاسْأَلَنْهَا واجْعَلْ بُكَاكَ جَواباً ... تَجِدِ الشَّوقَ سائلاً ومُجيبًا[1]

وقوله : « وأَنَّ الحِمَى وَصْفٌ لمن حلَّ بالحِمَى » غير جيد ، وهو من تَوْلِيدَاتِ المتأخرين ، وأَصْلٌ من أُصول أبى تمام التى يَعْمَلُ عليها .

وقوله : « نَصَرْتُ لها الشَّوقَ اللَّجُوجَ بأَدْمُعٍ » ، خطأ اتبع فيه أبا تمام فى قوله :

دَعَا شَوْقُهُ يانَاصِرَ الشَّوقِ دَعْوَةً ... فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِى ووَابِلُهْ[2]

وقد شرحت المعنى فيما تقدم[3] .

* * *

وقال البحترى :

وبِذِى الأَرَاكَةِ مِن مَصِيفٍ لاَبِسٍ ... نَسْجَ الرِّياحِ ومَرْبعٍ مَهْضُوبِ[4]

---

(١) سبق ص ٤٩٨

(٢) ديوانه ٢٣٠ وشرح التبريزى ٣/ ٢٢

(٣) راجع ص ٢٢١

(٤) ديوانه ١٧٦ ، ١/ ٢٤٥ — ٢٤٦ معارف

دِمَنٌ لزينبَ قَبْلَ . تَشْرِيدِ النَّوَى  مِنْ ذِي الأَرَاكِ بِزَيْنَبٍ ولَعُوبِ
تَأْبَى المنازلُ أن تُجِيبَ ومِنْ جَوًى  يومَ الدِّيارِ دَعَوْتُ غَيْرَ مُجيبِ

وهذا من جيد شعره ، وبارع ألفاظه ، ومُتْقَن معانيه .

وقال أيضاً :

إذا شِئْتُ أَجْرَتْ أَدْمُعِي مِنْ شُؤُونِهَا  رُبُوعٌ لها بالأَبْرَقَيْنِ وأَرْسُمُ(١)
وَقَفْتُ بها والرَّكْبُ شَتَّى سَبِيلُهمْ  يفيضُونَ مِنهمْ عاذِرُونَ ولُوَّمُ
هِيَ الـدَّارُ إلا أنَّها لا تُكَلِّمُ  عَفَا مَعْلَم منها وأَقْفَرَ مَعْلَمُ
تُقَيِّضُ لى مِنْ حيثُ لا أَعْلَم النَّوَى  ويَسْرِى إلىَّ الشوقُ من حيث أَعْلَمُ(٢)

وهذه أبيات جياد .

وقوله : « عفا معلم منها » ، أى انمحى وذهب . «وأقفر معلم» ، أى خلا من أهله . وفى هذا سؤال ، وهو أن يقال : المَعْلَمُ الذى عَفَا هو أيضاً مُقْفِر ؛ لأن المقفر : الخالى ، فما وجه هذا التقسيم ؟

والجواب : أن العَافِى : هو الذى قد ذهب وفنى وعدم ، فلا ينسب إلى أنه مُقْفِر ؛ لأن المُقْفِر : الخالى ، والخالى لا يكون معدوماً . فأراد البحترى : أن مَعْلَماً منها عَفَا ، أى عدم . ومَعْلَماً بقى مُقْفِرًا ، أى خالياً من أهله ، كما يقول القائل فى الرجلين : مات أحدهما وأعدم الآخر ، فالميت لا يقال له معدم .

وقال البحترى :

أَرُسُومُ دارٍ أَمْ سُطُورُ كِتابِ  درسَتْ بَشَاشَتُها على الأَحقابِ(٣)

(١) ديوانه ٩٦ ، ٣ / ١٩٢٧
(٢) م « يفيض لى »
(٣) ديوانه ٣٤٠ « مع الأحقاب » ، ١/ ٢٩٤ معارف

يَجْتَازُ زَائِرُها بغير لُبانَةٍ ... ويُرِدُّ سائلُها بغير جَوَابِ

قوله : «أرُسُوم دارٍ» من ابتداءاته العجيبة لفظاً ومعنى ، وقد ذكرته في بابه من الابتداءات(١) .

وقوله : «يَجْتازُ زائرُها بغير لُبانةٍ» أى إذا عَرَّجَ عليها زائرها فى اجتيازه بها فإنه يجتاز ، أى يَجُوزُها ويمضى بغير حاجة قضِيت له . وأراد : ينصرف عنها زائرها بغير لبانة ، فجعل فى موضع «ينصرف» ، «يجتاز» .

وقال البحترى أيضاً :

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما أنتَ قائِلُهُ ... وأبدى الجوابَ الرَّبعُ عمَّا تُسائلُه(٢)

أفى ذاك بُرْءٌ من جَوًى ألهب الحَشَا ... تَوَقُّدُهُ واستَغْزَرَ الدَّمْعَ جَائِلُهْ(٣)

وهذا معنى حلو ، ومذهب حسن إلا أنه كرر معنى صدر البيت فى عجزه ، وهذا قبيح من مثله . وجعل البيت الثانى معلقاً بالأول ، والعُذْرُ له أن يقال : إنه جعل الدار غير الربع .

وقال أبو تمام فى قصيدته التى أولها :

* أىُّ مَرْعَى عَيْنٍ ووادى نَسِيبِ *

فَعَلَيْهِ السَّلامُ لا أُشْرِكُ الأَطْ ... لَالَ فى لَوْعَتِى ، ولا فى نَحِيبِى(٤)

فَسَوَاءٌ إجَابَتِى غَيْرَ دَاعٍ ... أَمْ دُعَائِى بالقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبِ(٥)

---

(١) سبق فى تعفية الدهور للديار .

(٢) ديوانه ٥١ ، ٣ /١٦١٠ وفى م « ردت ربع » . وقد سبق ص ٤٥٨

(٣) م « ذاك يوم ألهب . . . واستعمد العين حافله »

(٤) ديوانه ٣٦ وشرح التبريزى ١ /١٢٥

(٥) فيهما : « ودعائى »

أخذه البحترى فقال :

أَصَبابَةً بِرُسُـــومِ رَامَةَ بَعْدَمَا عَرَفَتْ مَعالِمَهَا الصَّبا والشَّمْأَلُ(١)
وَسَأَلْتُ من لا يَسْتَجِيبُ فكُنْتُ فى اسْتِخْبارِهِ كَمُجِيبِ مَنْ لاَ يَسْأَلُ(٢)

وبيت أبى تمام أجود .

قال أبو تمام :

لَهُمْ مَنْزِلٌ قد كان بالبِيضِ كالدُّمى فَصِيحَ المغانِى ثُمَّ أَصْبَحَ أَعْجَمَا(٣)
وردَّ عُيُونَ النَّاظِرين مُهَـــانَةً وقَدْ كانَ مِمَّا يَرْجِعُ الطَّرْفَ مُكْرَمَا(٤)

وهذا فى غاية الحسن والحلاوة .

وقال البحترى :

مَنازِلُ ماتُجِيبُ الصَّبَّ من خَرَسٍ ولا تُرِيغُ إلى شَكْوَاهُ مِنْ صممِ(٥)
أَقَامَ يَنْشُدُ شَمْلًا غَيْرَ مُتَّفِقٍ من آلِ ليلَى وشعباً غَيْرَ مُلْتَئِمِ

قوله : « ما تُجِيبُ الصبَّ من فَرَسٍ » ، أى ما تجيب الصبَّ لِخَرَسِها ، ولا تُرِيغُ إلى شكواه من صمم ، أى لِصَمَمِها .

وهذه ــ أيضاً ــ أبيات حلوة ، حسنة الغرض .

* * *

(١) ديوانه ٢٥ ، ٣ / ١٧٥٤

(٢) فى م « وكنت » وسبق البيت ص ٣٢٤

(٣) ديوانه ٢٩٤ وفى شرح التبريزى ٣ / ٢٣٢ « أى كان مزيناً بمن فيه ، ثم خلت فأعجمت على الناظر فلا يرى فيها أحداً »

(٤) قال التبريزى فى شرحه : « أى تغير فصار الطرف يرد عنهم لسوء المنظر ، وقد كان فى الدهر الأول يرد الطرف مكرما ، كأنه يكرمه بما يرى فيه من الحسن والبهجة والمهابة ، ويجب أن تكون مفعلة ، من الهوان ، لأن الإهانة ضد الإكرام »

(٥) ديوانه ٦٥٣ « لا تجيب . . . ولا تزيغ » وفى م « ولا تريغ » ومعنى لا تريغ : لا تميل .

فهذا ما وجدته لهما فى هذا الباب ، وهما عندى فيه متكافئان . وأجود من كل ما قالاه من ذلك قول جَمِيل :

أصبح الرَّبعُ من بثينةَ فَيًّا زَادَهُ طُولُ ما تَأَبَّدَ عِيًّا
وإن ما يُبِينُ رَجْعَ سُؤالٍ ولقد يَسمعُ السؤالَ الخَفِيًّا

وقال المَخَبَّل :

وكأنما أَثَرُ النَّعاج بجَوِّها بِمَدَافِعِ الرُّكْنَين وَدْعُ جَوَارِ
وسألتها عن أهلها فوجدتها عمياءَ جافية عن الإخبار

وهذا كلام حلو جدًّا ؟

وقال عَوْفُ بن عَطِيّة بن الخَرِع :

وقفت بها ما تبين الكلا م لسائلها القولَ إلَّا سِرَارَا(١)

أى إنا قد فهمنا عنها وإن لم تُجب ؛ فجعل ذاك سِراراً .

وقال ذو الرُّمَّة :

وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فردَّتْ تَحِيَّتَنَا علينا ولم تَرْجِعْ جَوَابَ المُخَاطِبِ(٢)

الأصمعى : يقول : من سرورنا بها رأينا أنها قد ردت علينا التحية وأجابتنا .

وقال غيره : ردت تحية ، أى لم تقبلها منا .

(١) روايته فى المفضليات ٤١٣ « بها أصلا ما تبين لسائلها »
(٢) ديوانه ٤ « تحية »

## باب آخر من وصف الديار وساكنيها

وليس تكاد فى القطعة التى تشتمل على عدة أبيات ، أن تكون سائر أبياتها موافقة فى معانيها لسائر أبيات القطعة الأُخرى . وإنما يوازن بين بيت وبيت إذا ٱتَّفقَا ، أو بين غرض وغرض إذا تَقَارَبا . وأغراض هذا الباب هى من جنس واحد وإن اختلفت المعانى .

* * *

قال أبو تمام :

قد عَهدْنا الرُّسُومَ وهىَ عُكَاظٌ ... للصِّبَا تَزْدَهِيكَ حُسْناً وطِيبَا[1]

أَكثر الأَرضِ زائرًا ومَزُورًا ... وصَعُودًا من الهوى وصَبُوبا[2]

وكَعَاباً كأَنَّما أَلبَسَتْهـا ... غَفَلاتُ الشبابِ بُرْدًا قَشِيبَا

بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَها ، قَلَّمَا تَعْـ ... ـرِفُ فَقْدًا للشَّمسِ حتَّى تَغِيبَا

قوله : «قد عَهدْنا الرُّسومَ وهى عُكَاظٌ » معنى ليس بالجيد ؛ لأَنه إنما أراد : قد عهدنا الرسوم وهى معدن للصبا أو مألف أو موطن ، فقال : عكاظ ، أى سوق للصبا يجلب إليها . ولو قال : « سوق » لكان أجود من قوله « عكاظ » . وإنما ذهب إلى أن عكاظ من أعظم الأَسواق التى تجتمع إليها العرب . وقد كان يكفيه أن يقول : سوق ، فيأتى باللفظة المستعملة المعتادة . وإن السوق قد تكون عظيمة آهلة ، وعكاظ أيضاً سوق . فما وجه التخصيص فى موضع العموم ، والعموم أجود وأليق ؟

وقد يجوز أن يكون احتذاه على مثال ، والرَّدِىءُ لا يُعْتَبر به ، وعلى أَن الوزن لم يمكِّنه من سُوق .

---

(١) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزى ١ /١٦٥

(٢) أراد بالصعود الكؤود من الهوى ، وبالصبوب : اللين المطاع

وقال البحترى :

رَحَلَ الظَّاعِنُونَ عَنْكَ وأَبْقَوا ... فى حَوَاشى الأَحشاءِ حُزْناً مُقيما[١]

أَيْنَ تِلْكَ الظِّباءُ أَشبهن فى الْحُسْـ ... ـنِ بُدُورًا وفى البِعَــادِ نُجُومَا

قد وَجَدْنَ السُّلوَّ بَرْدًا سَلاماً ... إذ وجدنا الهَوَى عذاباً أَلِيما[٢]

وهذا كلام حلو ، وغرض حسن .

وقوله : «أَشْبَهْنَ فى الحُسْنِ بُدُورًا وفى البِعَادِ نُجُوما » أجود وأَلطف من قول أَبى تمام : « قلَّما تَعْرِفُ فَقْدًا للشمس حتى تَغِيبَا » لأَنه جمع البدر والنجوم فى بيت ، وجعل التشبيه بمعنين مختلفين . وأَيضاً فإن أَبا تمام لم يصف المرأة فى بيته بالحسن ، والبيت من أَوصاف النساء ، ولا يقول مثلَه عاشق ، وإنما يوصف بمثله صديق أَو حميم ، فيقال : قد بَانَ علىَّ فَقْدُه لما غاب ؛ أَو يكون وصفاً لملك أَو سيد فيقال : غاب فغاب عنا فَضْلُه ونائلُه ، وبعد فبعد عنا خيرُه ومعروفُه ، كما يبعد ضوء الشمس والانتفاعُ بها إذا غابت . أَلا تراه لو كان مدْحاً لرجل حتى يقول :

بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَه قلَّما تَعْـ ... ـرِفُ فَقْدًا للشَّمس حتى تغيبا

ولو كان من أَقبح الناس صورة ، بَعْدَ أن يكون كريماً جوادًا ، أو شجاعاً مُحَامِياً – أَنَّ ذلك كان يكون حسناً جميلا ، ومدحاً صحيحاً مستقيماً ؟!

وقد قال يرثى إسحاق بن أَبى ربْعِى :

رَاحَتْ وفُودُ الأَرضِ عَنْ قَبْرِهِ ... فارِغَةَ الأَيدى ومَلْأَى القُلُوبْ[٣]

قد عَلِمَتْ مَا رُزِئَتْ إِنَّمــا ... يُعْرَفُ فَقْدُ الشمسِ بعد الغروبْ[٤]

---

(١) ديوانه ٢٧٣ « وألفو فى حواشى »

(٢) فى الديوان « سلاماً ووجداناً »

(٣) ديوانه ٣٥٤

(٤) فى الديوان « عند المغيب »

فههنا موضع هذا المعنى لا هناك .

ويقال فى قول البحترى : «أَشْبَهْنَ فى الحُسْنِ بُدُورًا وفى البِعَادِ نُجُومَا » : إن البدر[1] أيضاً لا يوصل إليه ، فهو بعيد المنال كَبُعْد النَّجم . فَلِمَ خصَّ النجومَ بالبعَاد ؟

فالجواب : أن العادة لم تجر بأن يقال : أَبعَدُ من البدر ، وإنما يقال : أبعد من النَّجم . فجعلهن فى الحسن كالبدور ، وفى بعد منالهن كالنجوم . وهذا معنى لا مَزِيدَ على حُسْنه وصحته .

وإن حملت المعنى على أن البدر ليس ببعيد منا كبُعْد سائر النجوم ، لأن بينه وبينها فى البعد مسافة بعيدة ـ كان ذلك مذهباً صحيحاً وقد استهجن ابن المعتز قوله : «فى حَوَاشِى الأَحْشَاءِ » وهو تَجْنِيس إن لم يكن حُلْوًا لائقاً فليس بالهَجِين ولا الرَّدىء القبيح .

* * *

وقال ابو تمام :

لا أَنْتَ أَنْتَ ولا الدِّيارُ دِيَارُ [خَفَّ الهَوَى وَتَوَلَّتِ الأَوْطَارُ][2]
كانت مُجَاوَرَةُ الطُّلُولِ وأَهْلِها زَمَناً عِذَابَ الورْدِ فهى بِحَارُ[3]
أَيَّامَ تُدْمِى عَيْنَه تِلْكَ الدُّمى فيهـــا وتَقْمُرُ لُبَّهُ الأَقْمَارُ[4]
إِذْ لا صَدُوفَ ولا كَنُودَ اْسْماهُمَا كالمَعْنَيَيْنِ ولا نَوَارُ نَوَارُ[5]

(١) م « البدور »
(٢) الزيادة من ديوانه ١٤٤ وشرح التبريزى ٢/١٦٦
(٣) قال الصولى : « أى كانت عذاباً لنا بحضورهم فلما رحلوا عنها صارت بمجاورة الطلول بعدهم بحار الورد ، أى ملاحه »
(٤) تقمر لبه : تذهب به
(٥) قال التبريزى فى شرحه ١٦٧ « يقول : صدوف وكنود ونوار : كن من أهل ودى ووصالى وكانت أفعالهن مخالفة لأسمائهن ، لأن "صدوف" من صدف أى أعرض ؛ و "كنود" من كند إذا عق ، وقيل كفر ؛ و "نوار" من نار ينور : إذا نفر » وفى م « أخلا صدوف » وهو تحريف .

بِيضٌ فهُنَّ إذا رُمِقْنَ سَوَافِرًا صُوَرٌ وَهُنَّ إذا رَمَقْنَ صِوَارُ[١]

فى حَيْثُ يُمْتَهَنُ الحديثُ لِذِى الصِّبَا وتُحَصَّن الأَسْرَارُ والأَسْرَارُ[٢]

قوله : « لا أَنْتَ أَنْتَ » لفظ من ألفاظ أهل الحضر ، مُسْتَهْجَنٌ وليس بجيد . لكن قوله : « ولا الدِّيارُ دِيارُ » كلام معروف من كلام العرب ، مستعمل حسن أى ليست الديارُ ديارًا كما عهدت ، مثل ما يقال فى الإيجاب :

* إذِ النَّاسُ ناسٌ والزمانُ زَمانُ [٣] *

أى كما عهدت . قال جَرِير :

وكُنَّا عَهِدْنَا الدَّارَ والدَّارُ مَرَّةً هى الدَّارُ إذْ حَلَّتْ بها أُمُّ يَعْمُرا[٤]

وكما قال ابن حِطَّان فى النَّفْى :

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ من قد كُنْتُ أَعْرِفُهُ ما الناسُ بعدَكَ يامِرْدَاسُ بالنَّاسِ[٥]

فبنى أبو تمام على هذا قوله : « لا أَنْتَ أَنْتَ » أى لست أنت الذى كنت تَعْهَدُ مُحِبًّا وَامِقاً ، ذا مقة . أى[٦] قد تغيرْتَ وتغيرت الديار .

وقوله : « فهى بحار » ؛ والبحر : الماءُ والمِلْحُ ، ويقال : قد أَبْحَرَ الماءُ ، إذا صار مِلْحاً .

وقوله : « وتحصَّن الأَسْرَارُ والأَسْرَارُ » الأول جمع سِرّ[٧] ، يعنى النكاح ، والثانى يريد الحديث ، أى هو محفوظ .

---

(١) يقول : إذا رآهن الناظر فكأنهن صور من حسنهن . وقوله : « وهن إذا رمقن صوار » أى عيونهن تشبه عيون بقر الوحش إذا نظرت

(٢) قال المعرى : « جعل الحديث يمتهن ، لأن الامتهان ضد التحصين » وفى م « ويحصن الأسوار » وهو تحريف

(٣) صدره : « بلاد بها كنا وكنا نحبها » . والبيت لأخى عاد ، كما فى رسائل الهمذانى

(٤) ديوانه ٢٤٠

(٥) الكامل ٨٩٦/٣ ، ٩٩٩

(٦) م « وامقا ذا مين إنى قد »

(٧) م « وتحصن الأسوار . . . جمع أسر يعنى »

وقوله : « إِذْ لا صَدوفَ ولا كَنُود أسماهُمَا كالمَعْنَيَيْنِ » أى لا تَصْدفُ هذه ، ولا تكْنُدُ تِلْكَ ، أى لا تَقْطع .

« ولا نَوَارُ نَوَارُ » أى ولا نوار نَافِر ، أى هى آنسة غير نَفُور من الحديث والأنس . وإنما قال فى موضع آخر :

* نَوَافِرُ مِنْ سُوءٍ كمَا نَفَرَ السِّرْبُ[1] *

لأنه أراد نفورهن من السوء ، وهو : الريبة .

* * *

وقال البحترى :

هذا العَقِيقُ وفيه مَرْأَى مُونِقٌ ... للعَيْنِ لَوْ كان العقيقُ عَقِيقَا[2]

أَشَقِيقَةَ العَلَمَيْنِ هَلْ مِنْ نَظْرَةٍ ... فَتَبُلَّ قلْباً للغَليل شَقيقَا[3]

وسَمَتْكِ أَوديةُ السماءِ بديمةٍ ... تُحْيِى رجاءً أو تردُّ عَشِيقَا[4]

ولئن تَنَاوَل مِنْ بَشَاشَتِكِ الرَّدَى ... طَرَفاً وأَوْحَشَ أنْسَكِ المَوْمُوقَا[5]

فَلَرُبَّ يَوْمٍ قد غَنِينَا نَجْتَلى ... مَغْنَاكِ بالرَّشَإِ الأَنِيقِ أَنِيقَا

عَلَّ البخيلةَ أَن تَجُودَ بها النَّوَى ... والدارَ تَجْمَعُ شَائقاً ومَشُوقَا[6]

قوله : « لو كانَ العقيق عَقِيقَا » كما عَهِدْتُ . وهذا مِثْل قول أَبى تمام .

« ولا الدِّيار دِيَارُ » .

وبيت البحترى أَجود ، لأَن صدره أَحسن معنى من قول أَبى تمام : « لا أَنْتَ أَنْتَ » .

---

(١) صدره كما فى ديوانه ٣٠ « سواكن فى بر كما سكن الدمى »

(٢) ديوانه ٧٢٢ ، ٣/١٤٥٠ وفى م « موفق للعين »

(٣) م « قتيل قلبا » وهو تحريف

(٤) فى الديوان « أردية السماء »

(٥) فى الديوان : « بشاشتك البلى » م « طرقا »

(٦) م « على البخيلة »

وأَوْدِيةُ السماء : يريد المُدُودَ التى تَجْرِى ، والسماء : السحاب . والدِّيمَةُ : المطر يدوم أياماً لا يُقْلِع .

وقوله : « تحْى رَجاءً » أى تُخْصِب الموضع ، فيعود إليه الظاعِنُون عنه . وإنما ذهب إلى قول جَرير :

أَلا أَيُّهَا الوَادِى الذى ضَمَّ سيلُهُ    إلينا نَوَى ظَمْيَاءَ حُيِّيتَ وَادِيَا(١)

وهذا من حُر الشعر ، ورَصِين المعانى .

* * *

وقال أبو تمام :

وَعَهْدِى بها إذ نَاقِضُ العَهدِ بَدْرُها    مَرَاحُ الهَوَى فيها ومَسْرَحُهُ الخِصْبُ(٢)

مُؤَزَّرَةً مِنْ صَنْعَة الوَبْلِ والنَّدَى    بِوَشْىٍ ولا وَشْىٌ وعَصْبٍ ولا عَصْبُ(٣)

تَحَيَّرَ فى آرَامِها الحُسْنُ فاغْتَدَتْ    قَرَارَةَ مَنْ يُصْبِى ونُجعةَ مَنْ يَصْبُو(٤)

سَوَاكِنُ فى بِرٍّ كمَا سَكَن الدُّمى    نَوَافِرُ مِنْ سُوءٍ كَمَا نَفَر السِّرْبُ

كَوَاعِبُ أتراب لِغَيْداءَ أَصْبَحَتْ    وليس لها فى الحُسْن شِكْلٌ ولا تِرْبُ

لها مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّواظِرِ لَمْ يَزَلْ    يَرُوحُ ويَغدُو فى خَفَارَتِه الحُبُّ(٥)

---

(١) ديوانه ٦٠١ والوساطة ٢٩

(٢) ديوانه ٣٠ وفى شرح التبريزى ١٨٤/١ قال المرزوق : « يقول : عهدى بهذه الدار حين كان حبيبى الناقص لعهدى فيها يضيئها وينورها فكأنه بدر لها ، وهى مظنة الهوى لأنها مأوى الحسان » وفى م « مزاج الهوى » وهو خطأ

(٣) قال المعرى : « أى لها إزار من الروض وضروب من النبات . ويرى ابن المستوفى أن مؤزرة مأخوذة من قولهم : تأزر النبت إذا التف واشتد »

(٤) يرى المعرى أن معنى « تحير » فى هذا الموضع : أقام . والمراد بالآرام هنا النساء . أى فأصبحت مجمع المصبيات من النساء ، ونجعة الصابين من الفتيان وطلاب الغزل

(٥) م « قيد النوازل » !

يَظَلُّ سَرَاةُ القومِ مَثْنَى ومَوْحَدًا نَشَاوَى بِعَيْنَيْها كأَنَّهُمُ شَربُ[١]

قوله : «مَرَاحُ الهوى فيها ومَسْرَحُهُ الخِصْبُ» أى الهوى مُخْصِبٌ فيها لكثرة الحسن بها فى مَرَاحه ومَسْرحه .

وقد يكون أراد خِصْبَ النبات لأنه قال بعده : «مُؤَزَّرةٌ من صَنْعَةِ الوَبْل والنَّدَى» .

والمعنى الأول أجود وألطف ، ولا يكون هذا البيت متعلقاً بما قبله .

وقوله :

تَحيَّرَ فى آرامِها الحسنُ فاغْتَدَتْ قرارةَ من يُصْبِى ونُجْعَةَ من يَصْبو

فإنه من حُلْو الكلام .

وقوله : «سَوَاكنُ فى بِرٍّ كما سَكَنَ الدُّمى» فالدُّمى : الصُّوَر ، جمع دُمية . أى هن سواكن فى بِرٍّ ، أى فى صلاح . كما سكن الصُّوَر ؛ لأن الصُّوَر سَوَاكِن بلا حركة ، كأنه ينسبهن إلى الوقار وقِلَّة الأَشْر . وهذه صفة العَفَائِف من النساء .

وقوله : «نَوَافِرُ من سُوءٍ كما نفرَ السِّرْبُ» فالسِّرْبُ : الجماعة من الظباء والقطا ، ومن بقر الوحش أيضاً إلا أن المستعمل فى بقر الوحش ، والمستعمل فيه الرَّبْرَب[٢] .

وقوله : «أتراب الغيداء» أى أتراب لها فى سنيها ، وليس لها فى الحسن تِرْبُ .

وقوله : «يَرُوحُ ويَغْدُو فى خَفَارِتِه الحُبُّ» أى لا يلحق الحبَّ معه آفة من ثَلْمٍ ولا نقص ولا تغيّر ولا ضعف . وهذه كلها معانٍ حسنة متقنة ، وألفاظ

---

(١) سراة القوم : خيارهم وأماثلهم . والشرب : جمع شارب ، كركب وراكب

(٢) م «الربوب»

بارعة فصيحة ، إلا البيتين الأوّلين ، فإن فيهما اضطراباً . والبدْرُ أيضاً ليس هذا موضعه ، وإنما يحسن ذكر البدر فى مثل هذا إذا كان فى الكلام ذكر لِسَمَاءٍ أو نجوم أو ليل .

ولو قال : « إذ ناقض العهد رِيمُها » كان أشبه وأليق .

وقد قال البحترى فى مثل هذا ، ولكنه فيه أعذر من أبى تمام ، وذلك قوله :

رَبْعٌ خَلا من بَدْرِه مَغناهُ    رَبِحَتْ به عِيْنُ المَهَى الأَشْبَاهُ

أراد أن ربع المرأة خلا منها ، وخلفتها العين التى هى أشباه يشبه بعضها بعضاً . وباعد المرأة من شبهها فجعلها بدرًا ، أى أخْلى الربعَ من هو كالبدر ، وخلفته العِين ، كأنه يخسس أمرها ، كما يقال : انظروا من بقى ومن مضى . فاحتاج البحترى إلى ذكر البدر [أكثر] [1] من حاجة أبى تمام إليه فى قوله : « وعَهْدِى بها إذْ نَاقَض العَهْدَ بَدْرُها » .

وأحسن من هذا وأجود لفظا ومعنى قول البحترى [أيضاً] [1] :

وعَهْدِى بها مِنْ قَبْلِ أن يَحْكُمَ النَّوَى    على عِينِهَا أَلَّا تُذَمَّ عُهودُها [2]

بَعِيدَةُ مَا بَيْنَ المحبِّين والجَوَى    ومجموعةٌ غِيدُ اللَّيالى وغِيدُها [3]

قوله : ومَجْموعَةٌ غِيدُ اللَّيالى وغِيدُهَا » لفظ ومعنى ما لحسنهما نهاية .

وإنما أخذ المعنى من قول أبى تمام :

كَوَاعِبُ زَارَتْ فى لَيَالٍ قَصِيرَةٍ    يُخَيَّلْنَ لِى مِنْ حُسْنِهِنَّ كَوَاعِبَا [4]

---

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوانه ٤٦٥ « ألا تدوم »

(٣) ديوانه « عند الليالى »

(٤) ديوانه ١٦ وشرح التبريزى ١/١٤٦

وبيت البحترى أجود لفظا ، وأحلى سَبْكاً .

* * *

وقال أبو تَمّام :

أزَعَمْتَ أنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتَيِّمُ ... والدَّمْعَ فى دِمَنٍ عَفَتْ لا يَسْجُمُ(١)

يا مَوْسِمَ اللَّذَّاتِ غَالَتْكَ النَّوَى ... بَعْدِى فَرَبْعُكَ للصَّبابَةِ مَوْاسِمُ

ولَقَدْ أرَاكَ مِنَ الكَوَاعِبِ كاسِبًا ... فاليومَ أنْتَ من الكَوَاعِبِ مُحْرِمُ

لَحَظَتْ بَشَاشَتَكَ الحوادِثُ لَحْظَةً ... مازلتُ أَعْلَمُ أنَّها لاتَسْلَمُ

وهذا كلّه جيد . ويـأتى بعد هذه الأبيات ماهو جيد نادر ، وردىء ساقط . وقد ذكرتُ ذلك فى باب العَزَاء فى أوصاف النساء .

وقوله : « أزَعَمْتَ أنَّ الدَّمْعَ لَيْسَ يُتَيِّم » معنى حسن . وقد أورده البحترى أحسن من هذا الإيراد(٢) وألطف ، فقال — وهو من إحسانه المشهور — :

لقينا المغـــانى باللوى فكأنما ... لقينا الغوانى الآنساتِ عَواطلا(٣)

وقَتْلُ المُحِبِّين العيونُ ولم أكُنْ ... أظُنُّ الرّسومَ الدارساتِ قَوَاتِلَا

هواجِرِ شَوْقٍ لو تشاءُ يَدُ النَّوَى ... لجادَتْ بِمَنْ تَهْوَى فعادتْ أصائِلا(٤)

ومَذْهَب حُبٍّ لم أجِدْ عنه مذْهباً ... وشَاغِلُ بَثٍّ لم أجِدْ عنه شاغلا

وهذا الذى طلبته الشعراء ، فأعجزها إدراكه .

* * *

وقال أبو تمام :

طَلَلٌ وَقَفْتُ عليه أسْأَلُهُ إلَى ... أنْ كاد يُصبِحُ رَبْعُه لِى مَسْجِدَا(٥)

---

(١) ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزى ٣/٢١٢

(٢) م « وأحسن من هذه الأبواب »

(٣) ديوانه ٧٠٩ « الغوانى اللابسات »

(٤) ف م « تهوى »

(٥) ديوانه ١٢٥ وشرح التبريزى ٢/١٠١ « طلل عكفت »

وَظَلِلْتُ أُنْشِدُهُ وأَنْشُدُ أَهْلَهُ ... والحُزْنُ خِدْنِى ناشِدًا أَوْ مُنْشِدا(١)

سَقْيًا لِمَعْهَدِكَ الذى لوْ لمْ يَكُنْ ... ما كانَ قَلْبِى للصَّبابة مَعْهَدَا

قوله : « إلى أَنْ كادَ يُصْبِحُ رَبْعُه لِىَ مَسْجِدًا » كأنه أراد أن يؤكد طولَ وقوفه فى الرَّبع ، كما يقف المُصَلِّى فى المسجد ، وربما أطال الوقوف .

وقوله : « وظَلِلْتُ أُنْشِدُهُ » أى أعرفه أصحابى ، وأقول : هذا هو الربع أو الطلل ، يقال : أَنْشَدْتُ الضَّالَّة بالألف : إذا عرَّفتها ، ونشدتها : إذا طلبتها . فقوله : « أنشد أهله » أى أطلبهم كما يطلب النَّاشِد ضالَّته .

والحزن خِدْنى ، أى صاحبى فى الحالين .

وهذه أبيات لا حلاوة لها ، ولا طلاوة عليها . ولكن الحلو العذب ــ على هذا الوزن ــ قول البحترى :

عَهْدِى بِربْعِكَ لِلْغَوَانِى مَعْهَدًا ... نَضَبتْ بَشَاشَةُ أُنْسِهِ فَتَأَبَّدَا(٢)

بخِلَت جُفُونٌ لم تُعِرِكَ دُمُوعَها ... وَقَسَا فُؤَادٌ لمْ يَبِتْ بِكَ مُقْصَدَا

ماهَاجَ لى نَوْحُ الحمَام ومَا دَعا ... مِنْ صَبْوَتِى وصَبابتِى إذْ غَرَّدَا

* * *

وقال أبو تمام :

ولَقَدْ سَلَوْتَ لَوَانَّ دارًا لمْ تَلُحْ ... وحَلُمْتَ لوأَنَّ الهَوَى لمْ يَجْهَلِ(٣)

ولَطَالَمَا أَمْسى فُؤادُكَ مَنْزِلاً ... ومَحِلَّةً لِظِبَاءِ ذَاكَ المَنْزِلِ(٤)

إذْ فيهِ مِثْلُ المُطْفِلِ الظَّمْأَى الحَشَا ... رَعَتِ الخَرِيفَ وما القَتُولُ بِمُطْفِلِ(٥)

---

(١) م « والحزن حزنى » وهو تحريف (٢) لم ترد فى ديوانه ووردت فى القول الفائق ٣٣ظ

(٣) ديوانه ٢٣٣ وشرح التبريزى ٣٢/٣

(٤) وقيل إن رواية الآمدى فى غير هذا الكتاب « آمى فؤادك » راجع هامش التبريزى ٣٢/٣

(٥) فى شرح التبريزى ٣٣/٣ « المطفل : الوحشية التى معها ولدها . وأراد بالظمأى الحشا : الخميصة البطن . فالمعنى أن هذه الموصوفة كأنها وحشية مطفل وليست هى بذات طفل ، لأن المرأة إذا لم تلد كان أفضل لها فى النعت »

وقال أبو تمام يصف المنزل أيضاً :

وَلَئِنْ نَوَى بِكَ مُلْقِيًا أَجْـرَامَهُ ضَيْفُ الْخُطُوبِ لَقَدْ أَصَابَ مُضِيفا[١]
وَهِيَ الْفَجَائِعُ لَمْ تَزَلْ نَكَبَاتُها يَـأْلَفْنَ رَبْعَ الْمَنْزِلِ الْمَأْلُوفَا
خَلَفَتْ بِعَقْوَتِكَ السِّنُونَ وَطَالَما كَانَتْ بَنَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ خُلُوفَا
أَيَّام لا تَسْطُو بِأَهْلِكَ نَكْبَةٌ إِلاَّ تَرَاجَعَ صَرْفُهَا مَصْرُوفا[٢]
وَإِذَا رَمَتْكَ الْحَادِثَاتُ بِلَحْظِهَا رَدَّتْ ظِبَاؤُكَ طَرْفَهَا مَطْرُوفَا

وقال أبو تمام أيضاً :

سَلِّمْ عَلَى الرَّبْعِ مِنْ سَلْمَى بِذِي سَلَمٍ عليه وَسْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ والقِدَم[٣]
ما دَامَ عَيْشٌ لَبِسْنَاهُ لِساكنه لَدْناً ولوْ أَنَّ عَيْشاً دام لَمْ يدُمِ[٤]
يا منزلاً أَعْنَقَتْ فِيهِ الجَنُوبُ عَلَى رَسْمٍ مُحِيلٍ وشِعْبٍ غير مُلْتَئِمِ
هَرِمْتَ بَعْدِى والرَّبعُ الذى أَفَلَتْ منهُ بُدُورَكَ مَعْذُورٌ على الهَرَم
عَهْدِى بِمَغْنَاكَ حُسَّانَ المعالِمِ مِن حُسَّانَةِ الوَرْدِ والبَرْدِيِّ والعَنَم[٥]
بَيْضَاءُ كان لها منْ غَيْرِنَا حَرَمٌ فلَمْ نكُنْ نَسْتَحل الصَّيْدَ فى الحَرمِ
كانتْ لَنَا صَنَماً نَحنُوا علَيهِ ولَمْ نَسْجُدْ كما سَجَد الأَفْشِينُ للصَّنم

قوله : « لوْ أَنَّ عَيْشاً دامَ لَمْ يَدُمِ » أى لو دام مدّة منَ المدد أو دهرًا من الدهور — لم يدم ، أى لا نقطع ونفد ، ولم يكن بد من أن يتصَرَّم . وقوله :

(١) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزى ٢/٣٧٨ « يقال : ألقى أجرامه بالمكان ، إذا أقام . والأجرام : جمع جرم »
(٢) فى الديوان وشرحه « بلحظة »
(٣) ديوانه ٢٦٧ وشرح التبريزى ٣/١٨٤
(٤) فى الديوان وشرحه « بساكنه »
(٥) ويروى : « حسانة الجيد » قال التبريزى ٣/١٨٥ : « حسان : مثل حسن إلا أنه أشد مبالغة منه ، والأنثى حسانة »

« هرِمْت بعْدِى » كَلام رَذْلٌ سخيف ، قد عابه الناس فيما عابوه من ألفاظه .

وقوله : « حُسَّانَة الوَرْدِ » . يريد : الخَدَّ .

والبَردى : يريد الساق ، وإنما يعنى أُصُولَ البَرْدِىّ ، وهو أبيض غض أمْلَس . يُشبَّه به الساق . والعَنَمُ : نبت له أغصان دِقاق ، تشبه بها الأصابع .

وقوله : « بيضاءُ كان لها من غيرنا حَرَمٌ » فالحرمُ : هو المكان الذى قد حرم أن يُصَادَ فيه صَيد ، فهو حِرْزٌ له ومَلْجَأ. يريد به زَوْجَ المرأة ، أى كان لها حَرَمٌ من غيرنا ، ولم نكن نحن حَرَمها .

ويروى : « كان لنا من غيرها حرم » يريد : كانت لنا زوجة هى حَرَمُنا ، فلم نكن نَسْتَحِلّ معها غيرها أَوْ لم نكن نَسْتَجِيزُ خيانتها ، كما قالت لَيلَى الأَخْيَلية :

لَنَا صَاحِبٌ مَا نَبْتَغِى أن نَخُونَهُ  وأَنْتَ لِأُخرى صاحِبٌ وخَلِيلُ[1]

وقوله : « كانَتْ لَنَا صَنَماً » أراد أن يقول : نَعْكُفُ عليه ، فلم يستقم له ، فقال : نحْنُوا عليه ، وهى لفظة غير مستعملة فى هذا الموضع ، وإن كان لها اقتراب من « نعكف » ومُشَارَكَة .

وقوله : « ولم نَسْجُدْ » معنى ردِىءٌ لا يليق بالمكان . وإنما كان يجب أن يقول : ولو جاز السجود لسجدنا ، حتى يكون قد وَفَّى الحبَّ حقَّه ، واستعمل المعنى المعتاد فى مثل هذا . وإلا فأَىُّ فائدة فى أن يقول القائل فى شعره : قد أَحببتُ ولكن لم أَجعل محبوبى ربًّا أعبده ، وهَوِيتُ ولكن لم أجن جنون قَيس بن مُعَاذ العَامِرِى ؟ لأَن من شأْن العاشق أن يشكو ما يمر به ويقاسيه ،

---

(١) فى الأمالى ١/٨٨ « لا ينبغى . . . وحليل » والبيت فى الأغانى ١٠/٦٨

ويكذب فى أكثر أحواله تقرباً إلى محبوبه . فأمّا أن يركب مثل هذا المعنى فلا . وقد يجوز أن يقوله قائل : إذا أراد عذل محب آخر ليقصر .

وإنما قصد أبو تمام ذكر الأفْشِين ، فخرج فى المعنى عن العادة وجاء بما لا فائدة فيه .

* * *

وقال أبو تمام :

عَفَتْ أَرْبُعُ الحِلاَّتِ للأَرْبَعِ المُلْدِ ... لِكُلِّ هَضِيمِ الكَشْحِ مُغْرِبةِ القَدِّ[1]

لِسَلْمَى سَلاَمَانٍ وعَمْرَةِ عَامِرٍ ... وهِنْدِ بَنِى هِنْدٍ وسُعْدَى بنِى سعْدِ[2]

دِيارٌ أَرَاقَتْ كُلَّ عَيْنٍ شَحِيحَةٍ ... وأَوْطَأَتِ الأَحْزَانَ كلَّ حَشاً صَلْدِ[3]

فلا تَسْأَلاَنِى عَنْ هَوًى قَدْ طَعِمْتُما ... جَوَاهُ فَلَيْسَ الوجْدُ إلاّ مِنَ الوَجْدِ[4]

قوله : « أَرْبُعُ الحِلاَّت » يريد جمع حِلَّة ، وهى المنزل الذى يَحُلُّونه[5] .

وقوله : « للأَرْبَعِ المُلْدِ » أى للأَرْبَع من النساء المُلْد ، وهُنَّ الغَضَّات النَّوَاعِم . ومنه قولهم : غُصْنٌ أُمْلُود : إذ كان كذلك . وهذا لفظ لا حلاوة له . وقد مضى التفسير عند ذكر هذا البيت فى الابتداءات[6] .

---

(١) ديوانه ١٣٠ وشرح التبريزى ٢ / ١١٨ وفى م « الخلات » وفى الديوان وشرحه « لجدولة القد »

(٢) فى شرح التبريزى قال أبو العلاء المعرى : « لم يسم قبيلة فى هذا البيت إلا وفى العرب قبائل تعرف باسمها، فى طى سلامان ، وكذلك فى قضاعة ، وفى الأزد سلامان بن مفرج ، وعامر بن صعصعة وعامر بن لؤى ، وعامر الأجدار فى كلب وغيرهم . وبنو هند فى كندة وفى سواها . وكذلك بنو سعد ، قال طرفة :

رأيت سعودا من سعود كثيرة ... فلم أر سعداً مثل سعد بن مالك

(٣) فى الديوان وشرحه : « هراقت » ويروى « حشا جلد »

(٤) م « ظعنتما جواه » وهو تحريف . قال التبريزى : « أى لاتسألانى عن شىء أنتما به خبيران فالوجد كله فن واحد »

(٥) م « الخلات . . . خلة . . . يخلونه » وهو تحريف

(٦) راجع تعفية الرياح للديار

وقوله : فَلَيْسَ الوَجْدُ إلاَّ مِنَ الوَجْدِ » أى من الوجد الذى تعرفانه .

* * *

ومن جيد هذا الباب ونادره ، قول البحترى :

نَعَمْ قَدْ تَشَاكَيْنَا على الشِّعْب سَاعَةً ... ومن دُونِهِ شِعْبٌ لِلَيْلَى مُفَرِّقُ(١)

عَلَى دِمْنَةٍ فيهـا لِأُدْمَانَةِ النَّقَا ... محَاسِنُ أَيَّامٍ تُحَبُّ وتُعْشَقُ(٢)

وَقَفْتُ وأَوْقَفْتُ الجوى مَوْقِفَ الهَوَى ... لَيَالِيَ عُودُ الدَّهْرِ فَيْنَانُ مُورِقُ(٣)

فَحرَّكَ بَثِّى رَبْعُها وَهْوَ سَاكِنٌ ... وَجَدَّدَ وَجْدِى رَسْمُهَا وهو مُخْلَقُ(٤)

قوله : « فحرَّكَ بَثِّى رَبْعُها وهو ساكن وَجَدَّدَ . . . » معنى مَقُول ، أخَذَه من قول المَوْبِذ فى كِسْرَى عند وفاته : حرَّكَنا بِسكونه . ويقال : قيلت للإسكندر . وأخذه أبو العَتَاهِية ، فقال :

قَدْ لَعَمْرِى حَكَيْتَ لِى غُصَصَ المَوْ ... تِ وحَرَّكْتَنِى لها وَسَكَنْتَا(٥)

* * *

وقال أبو تمام :

لوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجْعَ جَوَابِ ... أَو كَفَّ مِنْ شَأْوَيْهِ طُولُ عِتَابِ(٦)

لَعَذَلْتُـــهُ فى دِمْنَتَيْن بِـأَمْرِهِ ... مَمْحُوَّتَيْنِ لِزَيْنَبٍ ورَبَابِ(٧)

---

(١) ديوانه ٥١٧ « قد تباكينا . . . ومن خلفه »

(٢) الأدم من الظباء : ظباء بيض يعلوها جدد فيها غبرة ، يقال : ظبية أدماء وأدمانة ، وأنكر الأصمعى أدمانة ؛ لأن أدمانا جمع مثل حمران وسودان ولا تدخله الهاء . . راجع اللسان ١٤/ ٢٧٧

(٣) فى ق والديوان « موضع الهوى » و انظر عبث الوليد ص ١٥٣

(٤) سبق ص ٣٤١

(٥) ديوانه ٣٣٩

(٦) ديوانه ١٨ وشرح التبريزى ١/ ٨٠

(٧) يروى : « بأمرة » قال أبو العلاء المعرى : كأنه اسم موضع ، ويروى : « برامة » ورامة أكثر تردداً فى الشعر ، ومن روى « بأمره » فله معنى صحيح ، وتكون الهاء عائدة على الدهر ، كأنه يجعل له أمراً مقبولا . وهو حسن من الوجه الأول . وهذا كله مستعار »

ثِنْتَيْن كالْقَمَرين حُفَّ سَنَاهُمَا بِكَواعِبٍ مِثْلِ الدُّمَى أتْراب(١)
مِنْ كُلِّ رِيم ٍلَمْ تَرُمْ سُوءًا ولَمْ تَخْلِطْ صبا أَيَّامِهَا بِتَصَابِ

قوله : «لَعَذَلْتُهُ فى دِمْنَتَيْن» معنى سخيف ، وإبداع غير حسن ولا جميل.

وقد اعتذر أبو نواس إلى الرَّبْع(٢) : بأنه لم يَقدِر على دفع ضرر البِلَى والدُّرُوس عنه ، وأنَّه لا يدرى ما يقول فى ذلك لِسُعَاد ؛ فجاءنا بآبِدَةٍ أُخرى ظريفة عجيبة . وقد رأيتُ غير واحد من الشيوخ يستحسنه لغرابة معناه . وذلك قوله :

أَرَبْعَ البلى إنَّ الخُشُوعَ لَبَادِى عَلَيْكَ وإنّى لَمْ أَخُنْكَ وِدَادِى(٣)
فَمَعْذِرَةً مِنِّى إليكَ بأَن ترى رَهِينَةَ أَرْمَاسٍ وصَوْنَ عَوَادِ(٤)
ولَمْ أَدْرَإِ الضَّرَّاءَ عَنْكَ بحِيلَةِ فَمَا أنا مِنْهـا قَائِلٌ لِسُعَادِ

وهذا ليس على طريقة العرب ولا مذاهبهم . وإذا اعْتَمَدَ الشاعرُ الإبداعَ فَمِنْ سَبيله أَلَّا يخرج عن سَنَن القوم . فإنه لم يخطر [ فيه ](٥) عليه مُستَغْرَبُ المعانى ومُستظرَفُها .

وما أَحسن المعنى الصحيح إذا أَتى به الطبع النقىّ ، وكان قائله مُخْبِرًا بالأَمر على ما هو ، وذلك نحو قول البحترى :

وما أَعْرِفُ الأَطْلالَ مِنْ بَطْنِ تُوضِحٍ لِطُولِ تَعَفِّيها ولَكِنْ إِخَالُهَا(٦)

---

(١) فى الديوان : « ثنتان » وكلاهما صحيح

(٢) م ، ق « إلى الربيع » وهو خطأ

(٣) ديوان أبى نواس ٦١ وهو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن يحيى البرمكى

(٤) م « عواد » وفى الديوان : « رهينة ألواح »

(٥) الزيادة من ق

(٦) ديوانه طبع مصر ٢ / ١٧٩ وفى طبعة بيروت ٢٢٢ « فى جنب توضح » وكذلك ٣ / ١٦٩٠

إذا قُلْتُ : أنْسَى دارَ لَيلى على البِلى تَصَوَّرَ في أَقْصَى ضَميرى مِثالُهَا(١)
وكُنتُ أُرَجِّى وَصْلها عِندهَجْرِهَا فقدْ بان مِنى هَجْرُهَا وَوِصالُهَا
فلا عَهْد إلَّا أن يُعَاوِدَ ذِكْرُهَـــا ولا وَصْلَ إلا أن يُطِيفَ خيالُهَا(٢)

وهذا هو الشعر الذى لم تشِنْ وجهَه الاستعارةُ البعيدة ، ولا المعنى المُتمَحَّل.

وقال الحارث بن خالد المخزومى فى ضد قول البحترى : «وما أعرف الأطلال» ، وأحسن كل الإحسان ، وأبدع وأغرب . وذلك قوله :

عَفَتِ الدِّيارُ فَمَا بِهَا أَهْلُ أَجْرَاعُها ودِمَاثُها السَّهْلُ(٣)
إنِّى ومَا نَحرُوا غَـدَاة مِنًى عِنْدَ الجمَارِ تَؤُودُها العُقْلُ
لو بُدِّلَتْ أعْلى مَنَازِلَهَـا سُفلاً وأَصْبَح سُفْلُهَـا يَعْلُو
لعَرَفْتُ مَغْنَاها بمَا اَحْتَمَلَتْ منِّى الضلوعُ لأَهْلهَـا قَبْلُ
ويَكادُ يعْرِفُها الخَبيرُ بها فيَرُدُّهُ الإقْوَاءُ والْمَحْلُ(٤)

* * *

وأقول الآن فى الموازنة بينهما : إن أهل الصّنعة يفضّلون كل ما قاله أبوتمام على أكثر ما قاله البحترى فى هذا الباب ، ويقولون : إن أبا تمام استقصى الوصفَ فى نُعوت النساء ، وأحسن وأجاد .

وقد كان ذاك [ لعمرى ](٥) مع ما فيه من الإساءات والألفاظ الرديئة التى ذكرتها .

(١) لا يوجد هذا البيت فى طبعة بيروت . وفى م « كان ليلى » وهو تحريف .
(٢) فى ديوانه طبعة بيروت ٢٢٣ « فلا قرب إلا »
(٣) الأغانى ٣/٣١٣ طبعة دار الكتب . والبيت الثانى والثالث والرابع فى حماسة أبى تمام ٣/١٢٨٢
(٤) م « فيرده الأنواء »
(٥) الزيادة من ق

والمطبُوعُون وأَهلُ البلاغة لا يكونُ الفضلُ عندهم من جهة استقصاء المعانى والإغراق فى الوصف ؛ وإنما يكون الفضلُ عندهم فى الإلمام بالمعانى ، وأَخْذِ العَفْو منها ، كما كانت الأَوائِلُ تفعلُ ، مع جَوْدَة السَّبْك ، وقرب المَأْتَى.

والقول فى هذا قولهم ، وإليه أذهب . إلا أَنِّى أَجعلهما فى هذا الباب متكافئَيْن ، لكثرة إحسان أَبى تمام فيه .

## الدعاء للديار بالسقيا والخصب والنبات

قال أبو تمام :

سقَى رَبْعَهم لا بَلْ سَقَى مُنْتَوَاهُمُ ... من الأَرض أَخْلافُ السّحَاب الحَوَاشِكُ[1]
وأَلْبَسهُمْ عَصْبَ الرَّبيع ووَشْيَهُ ... ويُمْنَتَهُ نَبْتُ الثَّرى المُتَلاحِكُ[2]
إذا غَازَلَ الرَّوْضُ الغَزالَةَ نشِّرَتْ ... زَرَابىٌّ فى أَكْنَاجِهِمْ ودرانِكُ[3]
إذَا الغَيْثُ غَادَى نَسْجَهُ خِلْتَ أَنَّهُ ... مَضَتْ حقْبَةٌ حَرْسٌ لَهُ وهْوَ حَائِكُ[4]

قوله : «حَوَاشك» جمع حَاشِكَة ، وهى : النَّاقة التى قد اجتمع لبنها فى خَلْفها شبَّه السحابَ بها . والحَشْكُ : اسم الدَّرة[5] المجتمعة .

والمُتَلاحِكُ : الذى قد تكاثَفَ وتَدَاخَلَ بعضُه فى بعض . من المُلاحَكَة فى البناءِ ونحوه .

وقوله : «حقْبَةٌ حَرْسٌ» فى غاية الرداة ؛ لأَن الحَقْبَة ، السَّنة : وجمعها حقَب .

والحرس : الدَّهر : وذكْرُ السنة مع الدهر جهلٌ بموضوعات الكلام ، وخروج عن العادات . ومتى سمع أَحدًا يقول : ما رأَيته مذ سنة دهرًا ، وقد مضى له سنة دهر ما يكلمنا ؟

فأَما جعله الغيث كأَنه كان حائكًا ، فمن مَضَاحِيكِ معانيه وأَلفاظه .

---

(١) ديوانه ٢٢٤ وشرح التبريزى ٤٥٧/٢ وفى م « أَخلاق » وهو تحريف . والمنتوى : الموضع الذى ينتوون إليه ، أى ينوونه و يرحلون إليه

(٢) م « غيب الربع ووشيه وتلنته بنت النوى » وفى شرح التبريزى « بنت الندى »

(٣) الزرابى : الطنافس ، والدرانك : نحو من الطنفسة والبساط

(٤) قال التبريزى : « أى إذا أصاب الغيث ندى هذه الأرض وجاده وزينه بالأنوار والزهر - حسبت أنه كان يحوكها و يصنعها زماناً من الدهر »

(٥) م « اسم الأرض » والتصويب من ق

وقال البحترى :

أَسْقَى دِيارَك ــ والسُّقْيا يَقِلُّ لَهَا ــ إغْزَارُ كُلِّ مُلِثٍّ الوَدْقِ ثَجّاجِ (١)
يُلْقِى عَلى الأَرْضِ مِنْ حَلْيٍ ومن حُلَلٍ ما يمتعُ العينَ من حُسْنٍ وإِبْهَاجِ
فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ تِبْرٍ ومِنْ وَرَقٍ وحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشْيٍ ودِيبَاجِ

فصوغ الغيث [ النبت ] (٢) وحَوْكُهُ للنبات ليس باستعارة . بل هو حقيقة ، ولكن لا يقال : هو صائغ ، ولا كأنه صائغ . وكذلك لا يقال : حائك . وعلى أن لفظة حائك خاصة فى غاية الركاكة إذا خرجت على ما جاء به أبو تمام .

وقال البحترى :

فَسَقَاهُمْ وإِنْ أَطَالَتْ نَوَاهُمْ خِلْفَةَ الدَّهرِ ليلُهُ ونَهارُهُ (٣)
كُلُّ جَوْنٍ إذا ارْتَقَى البَرْقُ فِيهِ أُوقِدَتْ لِلْعُيونِ بالماء نَارُهْ
إِنْ أَقامَ ارْتَوَى الظِّماءُ وإِنْ سَا رَ أَقَامَتْ أَنيقَةَ آثَارُهْ
باتِّفَاقٍ مِنْ خُضْرةِ الرَّوْضِ نَضْرٍ وَاخْتِلافٍ يُجِدُّهُ نُوَّارُهْ
كَسُفُورِ الفتاةِ عَنْ حُسْنِ خَدٍّ يَتَكافَا ابْيِضَاضُهُ وَاحْمِرَارُهْ (٤)

وهذا كله جيد ، حسن لفظه ومعناه .

وقوله : « يتكافى ابيضاضه واحمراره » ما لحسنه نهاية .

وقال أيضاً يصف آثار الغيث . وليس بدعاء للدار بالسقيا (٥) :

---

(١) ديوانه ٣٨٧ ويقال : ألث المطر إلثاثاً : أى دام أياماً لا يقلع ، وألثت السحابة : دامت أياماً فلم تقلع . والودق : المطر . والثجاج : المصبوب بشدة

(٢) الزيادة من ق

(٣) ديوانه ٥٣٤ ، ٢/٩١٧ .

(٤) م « يتكافى انتضاضه » وفى الديوان « واحوراره » وفيه ٢/٩١٨ « عن مروجه »

(٥) م « والسقيا » .

دِمَنٌ تَنَاهَبَ رَسْمُها حتى عَفَا ... مِنْها تَعَاقُبُ رَائِحٍ بِقِطَارِهِ[1]
بَاتَتْ وبَاتَ البَرْقُ يَمْرِى عُوذَهُ ... فيها ويُنْتِجُ مُثْقَلاتِ عِشَارِهِ
فالأَرضُ من نَسْجِ النباتِ مُجِدَّةٌ ... أَثوابَها والرَّوضُ من نُوَّارِهِ[2]

وهذا أيضاً حلو ، حسن لفظه ومعناه .

وقوله : « وَبَاتَ البَرْقُ يَمْرى » : أى يَسْتَخرجُ ماءها . والعُوذُ : الحديثات النِّتاج ، شبَّه السحائب بها .

والعِشَار : التى قد أتى لحملها عشرة أشهر ، وإذا وضَعَت فهى أيضاً عِشار ، لا يزول عنها هذا الاسم .

* * *

وقال أبو تمام يصف آثار الغَيْث :

دَوَارِسُ لَمْ يَجْفُ الرَّبيعُ رُبُوعَهَا ... ولا مَرَّ فى أَغْفَالِهَا وهْوَ غَافِلُ[3]
فَقَدْ سَحَبَتْ فيها السَّحَابُ ذُيُولَهَا ... وَقَدْ أُخْمِلَتْ بالنَّوْرِ منها الخَمَائلُ[4]

* * *

وقال البحترى :

يادِمْنَةً جَاذَبَتْها الرِّيحُ بَهْجَتَها ... تَبِيتُ تَنْشُرُها عَنْها وتَطْوِيهَا[5]
لاَ زِلْتِ فى حُلَلٍ لِلْغَيْثِ ضَافيَةٍ ... يُنِيرُها البرقُ أَحياناً ويُسْدِيها[6]
تَرُوحُ بالوَابِلِ الدَّانِى رَوَائحُها ... على رُبُوعِكِ أَو تَغْدُو غَوَادِيها

رَوائحها : يعنى السَّحَاب . وهذا أيضاً جيِّدٌ بالغ .

---

(١) ديوانه ٢٤٠ ، ٢/٨٦٦ المعارف وفى م « تناهت »
(٢) فى الديوان « فالأرض فى عمم النبات . . . والروض فى » وفى م « والأرض من نواره »
(٣) ديوانه ٢٥٥ وشرح التبريزى ٣/١١٣
(٤) ويروى : « السحائب ذيلها »
(٥) ديوانه ٢٧ « تنشرها طوراً »
(٦) فى الديوان « حلل للخير »

وقال أبو تمام :

لَا مَرَّ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلَّا وَفِى أَحْشَائِه لِمَحَلَّتَيْكَ غَمَامُ[١]
حتَّى تَعَمَّمَ صُلْعُ هَاماتِ الرُّبا مِنْ نُورِه وتأَزَّرَ الأَهْضَامُ[٢]

فالأَهضَام : ما انخفض من الأَرض . جمع هضْم .

وقوله : «حتى تَعَمَّمَ صُلْعُ هَاماتِ الرُّبا» أَخذه من قول الراجز ـ وأَنشده يعقوب بن السكيت وغيره ـ :

قدأَصْبَحَتِ العُقْدَةُ صَلْعَاءَ اللِّمَمْ وأَصْبَحَ الأَسْوَدُ مَخْضُوباً بِدَمْ[٣]

فالعقدة : موضع ذو شجر لا يَنْتَفِى فيذهب .

واللِّمَمُ ، وهى الجِمَامُ[٤] جمع لِمَّة ، فجعله مثلا لرُءوس النَّبت إذا أَكلته الإِبل فصارت لِمَمُه صُلْعا .

والأَسود : الحيَّة تَطَؤه الإِبل فتقتله .

* * *

وقال البحترى :

إِذَا الغَمَامُ حَدَاهُ البارِقُ السَّارِى وَانْهَلَّ فى دَيْمَةٍ وَطْفَاءَ مِدْرَارِ[٥]
وَخِيلَ إِشْرَاقُهُ طَوْرًا وظُلْمَتُهُ ما حَاكَ من نَمَطَىْ رَوْضٍ ونُوَّارِ[٦]
فَجَادَ أَرْضَكَ فى غَرْبِ السَّماوَةِ مِنْ أَرْضٍ ودَارَكِ بالعلياء مِنْ دارِ[٧]

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزى ٣/١٥١
(٢) قال التبريزى : «أى لا زالت الغمام تسقيك حتى يصير النبات كالعمائم على الربى الصلع التى لا نبات بها ، وتأزر : أى يكون لها كالإزار»
(٣) سبق ص ١١١
(٤) م ، ق «الحسام»
(٥) ديوانه ١١٨
(٦) فى الديوان : «وأنوار»
(٧) فى الديوان : «من غرب»

وهذا معنى فى غاية اللَّطافة والحسن ، وكَثْرةِ الماء .

وقال البحترى :

قَسم الصَّبَابَة فرْقتَيْنِ فَشوْقُهُ ... للظَّاعِنين ودمعُـه للنزَل(١)

مُتَقَسِّمُ الأَحْشَاء يَنْدُبُ أَربُعاً ... مُتقَسَّماتٍ للصَّبا والشَّمْأَل(٢)

حطَّتْ على تلك الأَجَارعِ والرُّبَى ... مِنْهُنَّ أَعْبَاءُ السَّحَابِ المُثْقَلِ(٣)

وَغَدَا الرَّبيعُ لها يُنَمْنِمُ رَوْضَهُ ... ضَرْبيْنِ بَيْنَ مُعمَّدٍ ومُهَلَّلِ(٤)

مُعَمَّدٍ : مثل العمَدِ ، ومُهَلَّل : مثل الأَهِلَّة .

* * *

وقال أَبو تمام :

أَسْقَى دِيارَهُم أَجَشُّ هَزِيمُ ... وغَدَتْ عليهمْ نضْرةٌ ونَعيمُ(٥)

جَادتْ مَعَاهِدَهُمْ عِهَادُ سَحَابَةٍ ... مَا عَهْدُها عِنْدَ الدِّيارِ ذَمِيمُ

ولأَبى تمام فى الدعاء للديار بالسقيا ، أَبيات كثيرة فى قصيدته التى أَولها :

* إِنَّ بُكَاء فى الدِّيار مِنْ أَرَبِهْ(٦) *

تفاصح فيها وتبادى ، وهى كَزَّةٌ قليلة الحلاوة ، لم أَكتب منها شيئاً .

* * *

وقال البحترى :

وإذا تَحمَّلَ مِنْ تِهَامَةَ بَارِقٌ ... لَجِبٌ يَسيرُ معَ الجَنُوبِ زُحُوفُهُ(٧)

---

(١) فى الديوان ٧٨١ ، ٣/١٧٩٩ : « للمنزل »

(٢) فى الديوان : « ينشد أربعا . . فى الصب » . وفى طبعة المعارف : « بالصبا »

(٣) فى الديوان : « أعباء الغمام »

(٤) فى الديوان : « وسرى الربيع »

(٥) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزى ٣/٢٨٩ « أسقى طلولهم » وهما روايتان . وتقدم فى الدعاء للدار بالسقيا

(٦) ديوانه ٥١ وشرح التبريزى ١/٢٦٩ وعجزه : « فشايعا مغرماً على طربه »

(٧) فى ديوانه ٦٥ « فإذا تحمل . . . تسير » ، وفى م « وإذا الحمل »

صَخِبُ الرَّوَاحِ إذا تَصَوَّبَ مُزْنُهُ ذُعَرَ الأَجَادِلَ فى السماء حَفِيفُهُ
فسقَى اللَّوَى ،لا بلْ سقى عَهْدَ اللّوَى أيَّامَ نَرْتِيعُ اللِّوى وَنَصِيفُهُ[١]

الأَجَادِل : الصُّقُور .

وهذا جيد ، بالغٌ لفظه وسبكه ومعناه .

وقال البحترى أيضاً :

إلْمَامَةٌ بالدار [إنَّ] مُتَيَّماً يَكْفيه أكثر شَوْقِه إلمامُهُ[٢]
أمْسَى يُضَرِّمُ فى جَوانحِهِ الجَوَى بَرْقٌ يَشِبُّ مع العَشِىّ ضِرَامُهُ
سقى اللوى حوذَانُهُ وعَرَارُهُ وسيَـــالُهُ وأَراكُهُ وبَشَامُهُ[٣]
فَلَرُبَّ عَيْشٍ باللِّوَى لم تَسْتَزِدْ حُسْناً لَيالِيــه ولا أَيَّامُهُ

وهذا لا مزيد على براعة لفظه ، وجودة سَبْكِه ، وكثرة مائِه .

وقال أيضاً :

أدارَهُمُ الأولى بِدارةِ جُلْجُلٍ سقاكِ الحَيَا رَوْحاتُهُ وبَوَاكِرُهْ
وجاءَكِ يحكِي يوسُفَ بنَ محمدٍ فَرَوَّتْكِ رَيَّاهُ وجادَكِ ماطِرُهْ[٤]

وهذا أحسن ما يكون من المدح . ويُسَمَّى[٥] الاَسْتِطْرَاد ، وقد ذكرَ أبا سعيد محمد بن يوسف فى غير موضع ، على هذا المعنى ونحوه . يتسبب [إلى مدحه][٦] فى مدائح غيره .

---

(١) م « تربيع اللوى وتصيفه »

(٢) الزيادة من ق . والأبيات لم ترد فى ديوانه طبع بيروت

(٣) م « جوذانه وغزاره » والحوذان والعرار نبتان كما فى اللسان ٥/٢١ ، ٦/٢٣٥

(٤) البيتان فى ديوانه ص ٢٠٥

(٥) فى م « ويبقى » والتصويب من ق

(٦) الزيادة من ق

وقال أيضاً :

أَوَدُّ لها سُقْيَا السَّحابِ ومَحْوَهَا بسُقْيَا السَّحابِ حِينَ يَصْدُقُ خَالُها(١)
مَحَلَّتَنَا والعيشُ غَضٌّ نباتُهُ وأَفْنِيَةُ الأَيَّامِ خُضْرٌ ظِلالُهَا

وهذا معنى حسن صحيح .

وقال أيضاً :

يَا عَارِضاً مُتَلَفِّعاً بِبُرُودِهِ يَخْتَالُ بَيْنَ بُرُوقِهِ ورُعُودِهِ(٢)
لَوْ شِئْتَ عُدْتَ بِلادَ نَجْدٍ عَوْدَةً فَنَزلْتَ بَيْنَ عَقِيقِهِ وزَرُودِهِ
لِتَجُودَ فى رَبْعٍ بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى قَفْرٍ تَبَدَّلَ وَحْشُهُ مِنْ غِيدِهِ

وقال أيضاً :

سأَلْتُ الغَوَادِى مُلْحِفاً فى سُؤَالِهَا ونَاشَدْتُها فى سَقْى بُرْقَةِ ثَهْمدِ
مَنَازِلُ ما أَبْقَى البِلَى مِنْ عِرَاصِهَا سِوَى أَرْسُمٍ مَعْفُوَّةِ الآىِ هُمَّدِ(٣)
مَعَاهِدُ مِنْ خَوْدٍ تَنَاصَرَ حُسْنُهَا تَنَاصُرَ ضَوءِ الكَوْكَبِ المُتَوَقِّدِ(٤)
تَثَنَّى على لَحْظِ العُيونِ إذا مَشَتْ تَثَنِّىَ غُصْنِ البَانَةِ المُتَأَوِّدِ(٥)

وهذ كله جيد لفظاً ومعنى .

وقال أيضاً :

أُنَاشِدُ الغَيْثَ كَىْ تَهْمِى غَوَادِيهِ على العَقِيقِ وإن أَثْوَتْ مَغَانِيهِ(٦)
على مَحَلٍّ أَرَى الأَيَّامَ تَضْحَكُ عن أَيَّامِهِ واللَّيالى عن لَيَالِيهِ

---

(١) ديوانه ٢٢٢ ، ٣ / ١٦٩٠

(٢) ديوانه ٦٥٨ وفى م « بار عارضا »

(٣) م « من عراضها »

(٤) م « الكواكب »

(٥) لم ترد هذه الأبيات فى ديوانه طبع بيروت

(٦) ديوانه ١٧٤ وفى م « غواريه » وفى الديوان : « و إن أقوت »

عهْد من اللَّهْوِ لم تُذْمَمْ عَوائِدُهُ　　يوماً فَيُنْسَى ولم تَفْقَدْ بَوَادِيهِ(١)

وقال أيضاً :

خَلَفَتْكُمُ الأَنْوَاءُ فى أَوْطَانِكُمْ　　فَسقتْ صَوَادِىَ أَرْبُعٍ وطُلُولِ(٢)

وإذا السَّحابُ تَرَجَّحَتْ هَضَبَاتُهُ　　فَعَلَى مَحَـلٌ بالعَقِيقِ مَحِيلِ

حتى تَبُلَّ منازلاً لو أنهـا　　كَثَبٌ لَرُحْتُ على جَوًى مَبْلُولِ(٣)

* * *

وقال أبو تمام :

أَيُّها البَرْقُ بِتْ بأَعْلَى البرَاقِ　　واَغْدُ فيها بِوَابِلٍ غَيْدَاقِ(٤)

دِمَنٌ طَالَمَا التَقَتْ أَدْمُعُ الغَيْـ　　ـثِ عليها وأَدمعُ العشاقِ(٥)

وقال أبو تمام أيضاً ـ وهذا من أحسن معانى هذا الباب ، وهو [من] إحسانه المشهور :

يا مَنْزِلاً أَعْطى الحَوَادِثَ حُكْمَهَا　　لا مَطلَ فى عِدَةٍ ولا تَسْوِيفَا(٦)

أَرْسَى بنَادِيكَ النَّدَى وتَنَفَّسَتْ　　نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّياحُ ضعيفا(٧)

شُغِفَ الغَمَامُ بِسَاحَتَيْكَ فَرُبَّما　　رَوَّتْ رُبَاكَ الهَائِمَ المَشْغُوفَا

وقوله : « وَتَنَفَّسَتْ نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرياحُ ضَعِيفَا » مما استحسنه الناس ، وقد ذكرْتُه فى باب مَحْوِ الرِّياحِ للديار ، ومن أين أخذ المعنى(٨).

وقوله : « شُغِفَ الغمامُ بِسَاحتَيْكَ » يدعو له بالسُّقْيا على سبيل الجزاء ، بما روّته رباه من أحبابه فيه .

(١) فى م : « اللوى » ! ! وفى الديوان « ولم تفقد بواديه »

(٢) ديوانه ١٧٨ ، ٣ / ١٨٣٩

(٣) فى الديوان « منازل » وم « مناولا »

(٤) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزى ٢/٤٤٧ والغيداق : الكثير الماء والجرى

(٥) فى الديوان « أدمع المزن »

(٦) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزى ٢/٣٧٦

(٧) ويروى « نفسا بعرصتك »

(٨) راجع ص ١٠٧ ، و ١٦٢ و ٣٣٩ وانظر ص ٥١٨

## ما يخلف الظاعنين فى الديار من الوحش وغيرها

قال أبو تمام يخاطب الربع :

قد كُنْتَ مَعْهُودًا بأحسنِ ساكنٍ ... ثَاوٍ فأَحْسَنِ دِمْنَةٍ ورُسُومِ(١)
أيَّامَ للأَيَّامِ فيكَ غَضَارَةٌ ... والدهرُ فِيَّ وفيكَ غَيْرُ مُلِيمِ
وظِبَاءُ أُنْسِكَ لم تبَدَّلْ مِنهمُ ... بظباءِ وَحْشِكَ ظاعناً بِمُقِيمِ
من كُلِّ رِيمٍ لَوْ تَبَدَّلَ قَطَّعَتْ ... أَلْحَاظُ مُقْلَتِهِ فُؤَادَ الرِّيمِ

قوله : « ثَاوٍ بأحسن دمنة ورسوم » غلط ؛ لأن رُسومَ الدار لا تسمى رسوماً إذا كان أهلها ثَاوِينَ فيها ، بل إنما تُسمَّى رسوماً : إذا فارقها ساكنُوها وارتحلُوا عنها ؛ لأن الرَّسْمَ هو الأَثَرُ الباقى بعدهم .

والصحيح المستقيم قول البحترى :

يا مَغَانِى الأَحْبَاب صِرْتِ رُسُومَا ... وَغَدَا الدهرُ فيكِ عِنْدِى مَلُومَا(٢)

وليس أبو تمام ممن يذهب هذا عليه ، ولكنه يسامح نفسه فى ألفاظه ، فيقع الغلط عليه عِنْدَ كَلالِ خاطره . ألا تراه قال :

قالُوا : أَتَبْكِى على رَسمٍ ؟ فقلتُ لهمْ : ... من فاتَهُ العَيْنُ هَدَّى شَوْقَهُ الأَثَرُ(٣)

فجاء بالرسم فى موضعه . وقد ذكرت هذا فيما تقدم(٤) .

وقوله : « من كلِّ رِيمٍ لو تَبَدَّلَ » لفظٌ غير لائق بالمعنى ، ولا ملتئم معه ؛ لأنه يريد بالرِّيم : المرأَةَ ؛ وتَبَدُّلُها لا يقطع فؤاد الرِّيم . فإن كان

(١) ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزى ٣/٢٦١ وفى الديوان « ساكن منا وأحسن »
(٢) ديوانه ٢٧٣
(٣) ديوانه ١٤٩ وشرح التبريزى ٢/١٨٦
(٤) وسيأتى ص ٥٤٩

أراد بالتبذلّ ظهورها للرِّيم ، فإن ظهورها للرِّيم ليس بِتَبَذُّل ، ولا هى محجوبة ولا مَصُونةٌ عن الرِّيم . وإنما كان المعنى يصح وينتظم لو قال : «من كل ريم لوعرف الريم كنْه جماله ، ثم رآه أو واجهه » . فأمّا التبذل فقد يقع منها وربما لا يراها[1] .

ويروى : «من كلِّ ريم لو تَبدَّى » أي لو ظهر ، وليس بشىء ؛ لأنها ليست محجوبة عن الرِّيم .

وقال :

أأطْلَالَ هِنْدٍ سَاءَ مَا اعْتَضْتِ مِن هِنْدِ ... أقَايَضْتِ حُورَ العِينِ بالعُون والرُّبْدِ[2]

إذَا شِئْنَ بالألْوَانِ كُنَّ عِصَابَةً ... مِنَ الهِنْدِ والآذَانِ كُنَّ مِنَ الصُّغْدِ[3]

أعُجْنَا عَلَيْكِ العِيس بَعْدَ مَعَاجِهَا ... على البِيضِ أتْرَاباً على النُّؤْى والوَدِّ[4]

فَلَا دَمْعَ أوْ يَعْفُو على إثْرِهِ دَمٌ ... ولا وجْدَ مَالَمْ تَعْىَ عَنْ صِفَةِ الوجْدِ[5]

قوله : « حُورُ العِين » يريد النساء .

وقوله : «بالعِين » يريد بقر الوحش ، وقيل لها عِين : لِعِظَم أعينها . والرُّبْدُ : النَّعَام ، جعلها رُبْدًا فى ألوانها .

وقوله : « كُنَّ عِصابَةً مِنَ الهِنْدِ » لأن الهند سُمْرٌ إلى الصُّفرَة الكَدِرَة وتلك هي الرُّبْدَة .

---

(١) م « منهما ربما ولا يراها »

(٢) ديوانه ١١٤ وشرح التبريزى ٢/ ٥٩ وفى هامش م « فى نسخة عبد السلام البصرى : بالعين والربد . والمعروف بالعون . وهو جمع عانة » وفى شرح التبريزى : « العين : جمع عيناء وهى الحسنة العينين الواسعتهما . والعون يحتمل أن تكون جمع عانة ، وهى جماعة من حمير الوحش . كما يقال : ساحة وسوح » . وانظر سؤال الديار

(٣) م « من السعد »

(٤) ويروى « لعجنا » والود : لغة من الوتد

(٥) ويروى « ما لم يجر فى إثره دم »

والصغد : إذ أنهم صغار جدًّا ، وربما وُجِد فيهم من لا يكُون له أُذن ظاهرة ، لصغرها ولُصُوقِها برأسه . قال ذلك: لأَن النعام لا آذان لها ، فقال : إذا شئن ، من أَجل أَلوانهن ، كن من الهند ، أَو من أَجل أَنهن لا آذان لهن ، من الصغد .

وقوله : « أو يَعْفُو على إثره دم » أَى يكثر ، يقال : عفا شعره : إذا كثر . وهو من الأَضداد[١] ، وهذه طريقة لا حلاوة لها .

والبيت الأَول والأَخير جيِّدان .

وقوله « أَعُجْنَا عَليكَ العِيسَ » بيت مضطرب النظم[٢] ، ردىء اللفظ ؛ لأَنه يخاطب الأَطلال ، فكأَنه أَراد أَن يقول : أَعُجْنَا العيسَ منك على النُّؤْى والوَدِّ ، بعد مَعاجِها على البِيضِ أَترابا . فجعل « عليك » فى موضع « منك » .

* * *

وقال أَيضاً :

تَبَدَّلَ غَاشِــيهِ بِرِيمٍ مُسَلِّم ... تَرَدَّى رِدَاءَ الحُسنِ طَيفاً مُسَلِّمَا[٣]

ومن وَشْى خَدٍّ لم يُنَمْنَمْ فِرِنْدُه ... مَعَالِمُ يُذْكِرْنَ الكِتابَ المُنَمْنَمَا[٤]

وبالحُــلْىِ إن قامت تَرَنَّمَ فَوْقَهَا ... حمَــاماً إذا لَاقَى حمَاماً تَرَنَّمَا

وبالخَدْلَةِ السَّاقِ المُخَدَّمَةِ الشَّوَى ... قَلَائِصَ يَتْلون العَبَنَّى المُخَدَّمَا[٥]

قوله : « تَبَدَّلَ غاشِيهِ بِرِيمٍ مُسَلِّمٍ » يعنى المرأة .

« طَيفاً مُسلِّما » يعنى خيالها ، ولم يرد أن من يغشى هذا المنزل ينام فيه حتى يرى الطيف فى منامه ، وإنما أراد : أَن يتصور له خيال من كان يهواه فيه فسماه طيفاً . وهذا غير مُنْكَر .

---

(١) راجع الأضداد لابن الأنبارى ٧١

(٢) م « النظر »

(٣) ديوانه ٢٩٤ وشرح التبريزى ٣/٢٣٢

(٤) م « من رشى »

(٥) فى الديوان : « يتبعن » وهما روايتان

وقوله : «ومِن وَشْى خَدّ لم يُنَمْنَمْ فِرِنْدُه» فَفِرِنْدُه : ماؤُه ورَوْنَقُه .

لم يُنَمْنَم : لم يُنْقَش كما تُنْقَش الخُدُودُ إذا زُيِّنت ، لاستغنائه عن ذلك بحسنه . وجعله وَشْياً ، والوَشْىُ : ما كان ألواناً مختلفة كألوان الزهر فى الرِّياض . فجعل بياض الخد وتلوُّنه بالأحمر وَشْياً . أى يدل غاشى الربع من ذلك معالم يذكرنَ الكتاب المُنَمْنَم ، أو المَكْتُوب ، وبالحلى إن قامت ترنم فوقها حماماً يترنم .

وقوله : «وبالخَدلَّة السَّاق» أى الممتلئة ، يعنى المرأة .

والمُخَدَّمَةِ الشَّوَى : التى فى رجلها خَدَمَةٌ ، وهى الخَلْخَال .

والشَّوَى : الأَطْرَاف .

والقَلائِصُ من الإبل : جمع قَلُوص ، وهى الفَتيَّة السِّنّ .

من يقف على الربع يتلون العَبَنّى ، وهو الفَحْلُ الغليظ .

والمُخَدَّم : الذى فى رجله خَدَمَةٌ ، وهى سير غليظ مُحْكم ، يُشَدُّ مثل الحلقة فى رُسْغِ البعير ، ثم يشد إليه شرائح نَعْله ، وسَمَّوا الخَلْخَال خَدَمَة .

ثم قال بعد هذا :

سَوَارٍ إذا قَابلْنَ مُمْتَنِعَ الفَلَا جَعَلْنَ الشِّعَارَيْن : الجَدِيلَ وشَدْقَما[1]

وهما فحلان . يقول : إذا قابلت هذه الإبل سير الفلاة رجعت إلى أنها من نتاج هذين الفحلين الكريمين ، فتقوى على قطع الفلا . فجعل ذلك شعارًا لها .

(١) فى شرح التبريزى : « إذا قاتلن » وقال فى شرحه : « قد جرت العادة ممن يقاتل أن يكون له شعار يتميز به من العدو ، وهو شىء يدعو به فى الحرب ، مثل أن يقول : يال كلاب ، أويال نمير ، أو غير ذلك من الكلام الذى يصطلح عليه . . . فكأن هذه الرواحل قد جعلت شعارها فى قطع الفلاة ، أنها تنسب إلى "جديل وشدقم" كما يذكر المحارب جده الأكبر وقبيلته »

وقال : سوار - رفع - وهو وصف القلائص[1] والعَبَنَّى ، وهى منصوبة . وهذا تحمّل إذا اعتمد بالكلام الاستئناف .

والمعنى أيضاً ليس بالجيد ؛ لأنه جعل الإبل التى ذكر أنها مجتازة بهذا المنزل وغير مقيمة لقوله : سوار - أُسْوَةَ معالمه التى قد دَرَسَت ، وحمائِمَه التى تألفه وتَقْطُنه . ولو كان هذا المنزل عامرًا بأهله ، لَمَا خَلَوْا من إبلٍ مَقْطُورةٍ تَجْتَازُ بهم ، لِقَوْمٍ مُسَالِمِين من العشائر أو مخالفين أو متاجرينَ ، أو إبلٍ لهم أنفسهم يَقْطُرُونَها لبعض مَسِيرهم ومآربِهم .

ولعل منزلهم كان يألف من هذا الجنس من الإبل وهو عامر ، أكثر مما يجتاز به وهو خَراب .

* * *

وقال البحترى :

ويزيدُه شجوًا تَقَارُضُ وحشِها     وَصْلَيْن وصْلَ أحبةٍ وحبائبِ[2]
تَرْعَى السُّهُولَةَ والحُزُون يَقِينَها     حدَّيْنِ حَد أظافرٍ ومَخالِبِ[3]
لم يَمْشِ واشٍ بَيْنَهُنَّ ولا دَعَا     بيْنًا لَهُنَّ صَدَى الغُرَابِ النَّاعبِ
ما كان أَحْسنَ هذه من وَقْفَةٍ     لو كان ذاك السِّرْبُ سِرْبَ كَواعِبِ

وقوله : « وصْلَين » يريد وصلَ الذّكور للإناث ، ووصل الإناث للذكور .

والأَحبّة : الذّكُور .

والحبائِب : الإناث ؛ جمع حبيبة .

وقوله : « تَرْعَى السُّهُولَة والحُزُونُ يَقِينَها » يريد بالحُزُون : المواضع التى

---

(١) م « القلانص »

(٢) ديوانه ٦٩٦ « وحشا . . . وصلين بين أحبة »

(٣) فى الديوان « خدين خد » ١٥٩/١ المعارف

يُعْتَصَمُ بها ، ويُسْتَتَرُ فيها من جوارح الطير والسباع .

وقوله : « صَدَى الغُرَاب » يعنى صوته . والصَّدَى : هو ما يسمع بعْد الصَّوتِ من جبال أو نحوه ، وهو حكاية الصوت سواء . فجعل صوت الغراب صدى ، ولعل له أصلا .

وقال البحترى :

أَأَنْتِ دِيارُ الحَيِّ أَيَّتُهَا الرُّبَى الـ ... لأُنِيقَةُ أَمْ دَارُ المَهَى والنَّعَائِمِ(١)

وسِرْبُ ظِبَاءِ الوَحْشِ هَذَا الذى أَرَى ... أَمامَكِ ؟ أَمْ سِرْبُ الظِّبَاءِ النَّوَاعِمِ

وأَدْمُعِىَ اللَّاتِى عَفَاكِ انْسِجَامُهَا ... وأَبْلاكِ؟أَمْ صَوْبُ الغُيُوثِ السَّوَاجِمِ(٢)

وأَيَّامُنَا فِيــكِ اللواتِى تَصَرَّمَت ... مَعَ الوَصْلِ؟أَم أَضْغَاثُ أَحْلَامِ حَالِمِ(٣)

وهذا كأنه فى مذهب أبى تمام فى استقصاء المعانى؛ وليس هو بوصف جيد.

وقوله أيضاً : إن الدموع السِّجَام هى التى عفَت الديَارَ وأَبْلتها أم الغيوث ؛ إسراف ومبالغة غير حسنة ولا جميلة .

* * *

وأجود من هذا ومن جميع ما قاله الطائيان فى هذا الباب ، وأبرع لفظاً وألطف معنى — ما أنشده إبراهيم الموصلى :

وما يَسْتَفِيقُ القلبُ إلا انْبَرَى لَه ... تَوَهُّمُ صَيْفٍ مِنْ سُعَادَ ومَرْبَعِ(٤)

---

(١) ديوانه ٤٤٧ ، ٣ / ١٩٦٩ — ١٩٧٠ وفى م « أليت ديار »

(٢) فى الديوان « وأدمعنا اللاتى » وفى م « عفا لى »

(٣) فى م « أمن أضغاث » وفى الديوان «أحلام نائم »

(٤) الأبيات لابن الدمينة ، كما فى ديوانه ٢٥ وحماسة أبى تمام بشرح التبريزى ٣/٢٠٢ وغير منسوبة فى شرح المرزوقى ٣/١٢٢٣ والبيت الأخير ليس فيهما . والبيت الأول والثانى فى زهر الآداب ٢/٢٤٠ ليحيى بن منصور الذهلى ، وكذلك نسبها فى جمع الجواهر ١٧٩ ، والرواية « يستفيق أما » وفى م « وما نسعين » .

أُخَادِعُ عَنْ عِرْفَانِها العَيْنَ إنَّهُ  متى تَعْرِفِ الأَطلالَ عَينِى تَدْمَعِ[١]
عَهِدْتُ بها وَحْشاً عليها بَرَاقِعٌ  وهَذِى وحُوشٌ أَصْبَحَتْ لم تَبرْقَعِ
تَشَابَهُ فى أَجْيادِها وعُيونِهــا  ولم يتفق أَشْبــاهُ سُوقٍ وأَذْرُعِ

وأخذ بشار – فيما أظن – قولَ هذا الشاعر :

* مَتَى تَعْرِف الأَطلالَ عينى تَدْمَعِ *

فقال :

متَى تَعْرفِ الدارَ التى بَانَ أَهْلُها  بِسُعْدَى فإنَّ الدَّمعَ مِنْكَ قَرِيبُ[٢]

فأساءَ إساءة بينة ، لأنه جعل الدمع قريباً ولم يجعله جارياً . وقد كان يمكنه أن يقول : فدمع المقلتين سكوب ، أو جرى المقلتين غروب ، أو نحو هذا . ولكنه وصله ببيت فى غاية الحسن ، فقال :

تَذَكَّرُ مَنْ أَحْبَبْتَ إذْ أَنْتَ يَافِعٌ  غَلَامٌ ، فَمَغْنَاهُ إلَيْكَ حَبِيبُ[٣]

ومن ههنا أخذ ابنُ الرُّومى قولَه :

وحبَّبَ أَوْطَانَ الرجال إليهمُ  مآرِبُ قَضَّاها الشبابُ هُنَالِكَا[٤]

---

(١) فى الحماسة « عن أطلالها »
(٢) ديوان بشار ١/ ١٨٤ وفى زهر الآداب ٢/ ٦٨٤ « فإن المهد »
(٣) فى زهر الآداب : « تذكرك الأهواء إذ أنت يافع لديها »
(٤) راجع زهر الآداب ٢/ ٦٨٤

# ماقالاه فى الوقوف على الديار وفى تعنيف الأصحاب إياهما على ذلك

قال أبو تمام :

فَاعْقِلْ بنِضْو الدَّارِ نِضْوَكَ يَقْتَسِمْ ... فَرْطَ الصَّبابَةِ مُسْعِدٌ وحَزِينُ[1]

لا تَمْنَعنِّى وقْفَةً أَشْفِى بِها ... داءَ الفراقِ فإنَّها ماعُونُ

واسق الأَثَافِى من دُموعِكَ رِيَّها ... إن الضَّنين بِدمْعِهِ لَضَنِينُ

استعار للدار اسم « النِّضْو » لِدُروسها ، من أجل قوله : « نِضْوكَ » ، يريد بعيره ، وذلك رسمُه ومذهبُه فى الاستعارة .

وقوله : « يَقْتسمْ فَرْطَ الصبابةِ مُسْعدٌ وحزينُ » فإن المُسعد ليس عنده من الصبابة ما عند الحزين ؛ لأن الصبابة رقَّة الشوق . فما فى المسعد من الاشتياق ؟ وكيف فرط الاشتياق ؟

والقريب من الصواب قولُ البحترى :

هل مُغرمٌ يُعطى الهَوى حقَّ الجَوَى ... مِنكم فَينْفِدَ دمعهُ ، أو مُسْعدُ[2]

أى هل مغرم منكم يبكى لغرامه كما أبْكى أو مُسعِد ؟ لأن المسعد قد يبكى لبكاء صاحبه وإن لم تك هناك صبابة ، أو أن يكون أراد بالمسعد من يقف معه يتألم له ولا يعنفه .

وقول أبى تمام يتجاوز فى مثله : لأن الهائم الصب إذا وجد من يرقُّ له ويرحمه ويظهر الاغتمام بأمره ، يخيل إليه أن من شأنه أن يحزن كحزنه ، ويبكى كبكائه وقد قال البحترى فى مثل هذا :

---

(١) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزى ٣/٣٢٣

(٢) ديوانه ٦٨٩ وفى م ، ق « الجوى حق الجوى »

هَلَّا بَكَيْتِ وَقَدْ رأيتِ بُكَاءهُ ... ودَنِفْتِ حينَ سمِعْتِ شَكْوَى المُدْنَفِ
فَلأَجْرِيَنَّ الدمع إذْ لَمْ تُجْرِهِ ... ولأَعْرِفَنَّ الوَجْدَ إذ لَمْ تَعْرِفِ
وأنا المُعَنَّفُ فى الصَّبَابَةِ والصِّبَى ... وعليهما إنْ كُنْتَ غَيْرَ مُعَنَّفِ[1]

فأراد من صاحبه أن يَدْنَفَ كَدَنَفِهِ ، كما أراد أبو تمام من صاحبه أن يُقاسِمَه فَرْطَ الصَّبابَة .

وقد قال كُثَيِّر :

خَلِيلَىَّ هــذا رَسْمُ عَزَّةَ فَاعْقِلاَ ... قَلُوصَيْكُما ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ[2]

فأراد هذا أيضاً من خليله أن يبكيا على رَسْمِ عَزَّة .

وقال أبو تمام — فجرى على المنهج المستقيم فى مخاطبة الأصحاب — :

مَا فِى وُقُوفِكَ ساعةً مِنْ باسِ ... نَقْضِى ذِمَامَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ[3]
فَلَعلَّ عَيْنَكَ أَنْ تَجُودَ بِمَائِها ... والدَّمعُ منه خَاذِلٌ ومُوَاسِى[4]
لايُسْعِدُ المُشْتَاقَ وَسْنَانُ الهَوَى ... يَبِسُ المَدَامعِ باردُ الأَنْفاسِ[5]

فقال : «وسنان الهوى»[6] أى نائم الهوى ، أى من لا هوى له ، فهو يَبِسُ المدامع بارد[7] الأنفاس ، فلا يكون منه إسعاد .

ومن كان فى قلبه هوى فأنفاسه حارّة لحرارة قلبه . فأتاك ههنا بعين الصواب ، وحقيقة أمر الصاحب . فأحسن وأجاد .

---

(١) ديوانه ٦٧٦ : « إذ كنت » والصناعتين ٤١٢
(٢) ديوانه ١/٣٦
(٣) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزى ٢/٢٤٢ . وانظر ص ٢١٠ و ٤٣٠ و ٤٣٥
(٤) م « فلعل عندى » وفى الديوان « أن تعين »
(٥) م « رشفان الهوى »
(٦) م « أى »
(٧) م « بارك »

ومثله قول البحترى :

يَأْبَى الخَلِيُّ بُكاءَ المَنْزِلِ الخَالِي ... والنَّوْحَ فى دِمَنٍ أَقْوَتْ وأَطْلَالِ[(١)]

وذُو الصَّبَابَةِ ما يَنفَكُّ ينْصِبُهُ ... وجْد تأَبُّدُ آيِ الدِّمنَةِ الخَالِي[(٢)]

قوله : « تأَبُّدُ » أى صار فيها أَوابِدُ الوحش . ويقال : تأَبَّدَ المنزلُ : إذا طال عليه الأَبد .

ونحو هذا قول أَبى تمام أَيضاً :

أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِنَ البَيْنِ لم يُضِفْ ... رَسِيسَ الهَوَى بيْنَ الحَشَا والتَّرَائِبِ[(٣)]

أَعِنِّى أُفَرِّقْ شَمْلَ دَمْعِى فإنَّنى ... أَرَى الشَّمْلَ منْهم ليسَ بالمُتَقَارِبِ

ومَا صارَ يَوْمَ الدَّارِ عَذْلُك كُلُّهُ ... عَدُوِّىَ حَتَّى صار جَهْلُكَ صَاحِبِى[(٤)]

ومَا بِكَ إرْكَابِى مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَباً ... أَلاَ إنَّما حَاوَلْتَ رُشْدَ الرَّكَائِبِ

فَكِلْنِى إلى شَوْقِى وسِرْ يَسِرِ الهَوى ... إلى حُرُقَاتِى بالدُّمُوعِ السَّوَارِبِ

قوله : «أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِنَ البَيْنِ» أى التمست المعونة والمساعدة فى الوقوف على الدار معى مِمَّنْ لَمْ يَذُق مُفارَقَة الأحباب ولم يعرف الهوى ؛ كأَنه ينكر ذاك على نفسه .

والقُرْحَان : هو الذى لم يخرج به الجُدَرِىّ . وليس به آثارُه ولا آثارَ غيرِه من القرح . وقيل له قُرْحَان ، على العكس ، كما قيل للأَسود : أَبو البَيْضَاء ، والمَهْلَكة : مفَازَة ، ونحوهذا . فجعل أَبو تمام من لم يعشق ولم يفارق الأَحباب قُرْحَاناً ، على التشبيه . كما قال جرير :

---

(١) لم يرد البيتان فى ديوانه طبع بيروت . وهما فى طبعة المعارف ٢/١٧٢٠ وفيها « فى أرسم أقوت »

(٢) فى م « وجد »

(٣) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزى ١/٢٠٦

(٤) م « جهلك ما حبى »

* لَوْ كُنْتُ مِنْ زَفَرَاتِ الحبِّ قُرْحَانَا[1] *

ثم قال :

وما صَارَ يَوْمُ الدارِ عَذْلُك كلُّهُ عَدُوًّى حتَّى صَارَ جَهْلُك صَاحِبِي

فأراد أنه قد عَذَلَه على الوقوف والبكاء وأنه كره عَذْله وشق عليه ، فصار عَذْلُه عَدُوًّا له . وإنما أراد عداوته فى نفسه . ثم قال : «حتى صار جهلُك صَاحِبِي» ، أى إنما استفرغت عَذْلَك وأَنهيت فيه حتى انطلقتُ معك فصار جهلُك صاحبى ، وإنما أراد حتى اَصْطَحَبْتُك على جهلك بحالى وأنك غير مُجَانِسى ولا على سَجيَّتى وطباعى فى الهوى وتجربته .

ثم قال : «وَمَا بِكَ إِرْكابِي مِنَ الرُّشْدِ مرْكَباً» أى لم تقصد بعذلك إياى قَصْدَ من يريد رُشْدى وصَرْفى عن الهوى وتسليتى ؛ وإنما حاولت رشد الركائب ، يعنى الإبل ، وهى جمع رُكُوبَة ، لئلا يطول وقوفها فى الدار وتردُّدها واحتباسها ، فيتضاعف كَلاَلُها ويشقُّ ذلك عليها .

ثم قال : «فكلْنِى إلى شَوْقِى وسِرْ يَسِر الهَوَى إلى حُرَقَاتِى» .

فإما أن يكون قال له هذا قبل أن ينطلق معه أى سِرْ أَنْتَ ودعنى ؛ أو يكون قال هذا وهو سائر معه لَمَّا علم أنه لا يقف عليه ، وأنه ماض وتاركه ، كما يقول المُكْرَه : والله ما أريد التوجه ، وهو متوجه .

وهذا من معانى أبى تمام التى يسأل الناسُ عنها ، وليس له إن شاء الله وجه غير ما ذكرتُه .

وهذه العَوِيصات فى الشعر هى شَرُّ مذاهبه ، وأرداها وأقلها حلاوة .

ومن ردىء ما جاء به فى هذا الباب ، قولُه :

---

(١) ديوانه ٥٩٤ وصدره : «وكاد يوم لوا حواء يقتلنى»

ما عهِدْنَا كَذَا نَحِيبَ المَشُوقِ  كيفَ والدَّمعُ آيةُ المَعْشُوقِ[1]

كأنه يقول لنفسه : ما عهدنا كذا نحِيبَ المَشُوق ؛ أو أن يكون حكى قول أصحابه . وأراد أن يقول : بكيتُ فانتحبتُ ، فقالوا : ما عهدنا كذا نَحيبَ المَشُوق . وأراد أن يقول : فقلت لهم : كيف والدمع ، فاقتصر على حكاية كلامهم وجوابه ، وأسقط قالوا ؛ وفقلت . وكان الأَجود أن يَقُولَ : آية العاشق ، لأَن من علامات المحب البكاء . وقال : آية المعشوق ، أى أن دمعى علامة لمن أحبه فى أنى عاشقه . وهذا لا يكون جواباً صحيحاً عما أنكروه عليه من شدة نحيبه . لأَنه لم يبك ليعلمها أنه عاشق . وإنما بكى من شدة وجده . وإنما كان يصح أن يكون جواباً عنه أن لو كان صدر البيت :

* حَسِبْتَنِى فى الحبِّ غير صدُوقِ *

فيقول :

* كيفَ والدمعُ آيةُ المَعْشُوقِ *

أى كيف لا أكون صدوقاً فى حبي ودمعى آية لك يشهد بأَنى محب .

فهذا كان وجه هذا .

وعلى أن آية العاشق ههنا أيضاً أجود .

والدليل على أن قوله :

* مَا عَهِدْنا كذا نَحِيبَ المَشُوقِ[2] *

إنما هو حكاية كلام من عنفه على النحيب ــ أنه وصله بأَن قال :

فَأَقِلاَّ التَّعْنيفَ إنَّ غَرَاماً  أَنْ يكونَ الرفيقُ غيرَ رَفيق

---

(١) ديوانه ٢١٥ وشرح التبريزى ٢/٤٣٠ ويروى : « كذا بكاء المشوق » وقد نقل التبريزى عن أبى العلاء المعرى أنه قال فى شرحه : « أنكر على نفسه النحيب ، ثم قال : كيف ، وكأنه مريد للقاء أى فكيف لا أنتحب والمعشوق قد بكى ؟ ! » وهذا خطأ منه عجيب

(٢) م « المعشوق »

وَاسْتَمِيحَا الجُفُونَ دِرَّةَ دَمْعٍ      فى دموعِ الفراقِ غَيْرِ لَصِيقِ
إنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعو      نٌ ومَنْ عَقَّ مَنْزِلاً بالعَقِيقِ
وَقِفَا العِيسَ مُلْقِياتِ المَثَانِى      فى مَحَلِّ الأَنيقِ مَغْنَى الأَنِيقِ[1]

قوله : «أَنْ يَكُونَ الرفيقُ غير رَفِيق » أى أن يكون جافياً عَسُوفاً غير رفيق بمن يصاحبه .

وقوله : «فى دموع الفراق غير لَصِيق » أى ابكيا بدمعٍ لا يشبه دمع مَنْ فارق أَحبابَه ، أى ابكيا وإن لم يكن وراء البكاء حرقة ، ولا لاعِجُ هوى ، أى على وجه الإِسعاد . فأَورده بهذا اللفظ الردىء .

وقوله : «إنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْه لَمَلْعُونٌ » البيت ــ من أَحمق المعانى وأَسخفها وأَقبحها . وقد زاد فى الحمق بهذا المعنى على معنى البيت الذى قبله ، وطَمَّ عليه وعلى كل جهالاته فى معانيه ؛ لأَنه لم يقنع بأَن يبعث صاحبيه على الوقوف معه والوقوف على المنزل ، والبكاء حتى جعل كل من يقف ويعرج كائناً من كان من الناس : من خاص وعام ، وباد وحاضر ، ومجتاز وغير مجتاز ، ومفارق لأَحبابه وغير مفارق ــ مَلْعُوناً إذا لم يقف على المنزل بالعَقِيق ؛ لأَن ظاهر المعنى العموم ، وما المستحق والله للعن[2] غيره ، إذ رضى لنفسه بمثل هذا السخف .

وقوله : «فى محل الأَنيق مغنى الأَنِيقِ » قول مَالِبرْدِ[3] معناه ولفظه نهاية .

* * *

(١) فى شرح التبريزى « أى منحلات الأنساع ، والمثانى الحال ، أى قفاها فى محل حبيبى ، ومغنى الأنيق : منزل المحبوب »
(٢) م « للعين »
(٣) م « ما أبرد معناه »

وقال أيضاً :

نُحِرَتْ رِكابُ القَوْمَ حتى يَغْبُرُوا رَجْلِي . لقدْ عَنُفُوا عَلَيَّ ولاَمُوا[١]

وَقَفُوا عَلَيَّ اللَّومَ حتى خَيَّلوا أَنَّ الوُقُوفَ عَلَى الدِّيارِ حَرَام

وهذا معنى جيد حسن صحيح .

وقال أيضاً :

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إدْمَانِي على الدِّمَنِ وحمْلِيَ الشَّوْقَ مِنْ بادٍ ومُكْتَمِنِ[٢]

لا تُكْثِرَنَّ ملاَمِي إنْ عَكَفْتُ عَلَى رَبْعِ الحَبِيبِ فلم أَعْكُفْ على وَثَنِ

سَلَوْتُ إنْ كُنْتُ أَدْرِى ما تَقُولُ إذًا جعلت أَنْمُلَةَ الأَحْزَانِ فى أُذُنِى[٣]

وهذا أيضاً معنى حسن ولفظ جيد .

وقوله : « أنملة الأحزان » أى يشغلنى حُزْنى عن أن أفهمَ ما تقول .

وقال أيضاً :

أَجَلْ أيُّها الرَّبْعُ الذى حَفَّ آهِلُهْ لقد أدْرَكَتْ فيكَ النَّوَى ما تُحاوِلُهْ[٤]

وَقَفْتُ وأَحْشائِى مَنازِلُ لِلأَسَى به وهْوَ قَفْرٌ قد تَعفَّتْ مَنازِلُهْ

أُسَائِلُكُمْ ما بالهُ حَكَمَ البِلَى عليــه ، وإلاَّ فاتركونى أُسائِلُهْ

وهذ المعنى فيه اضطراب ؛ لأنه قال : أسائلكم[٥] ما باله حكم البلى عليه وإلا فاتركونى أسائله . فما هذه المساءلة منه أو للربع فى أن حكَمَ البلى عليه وهو قد قدَّمَ السببَ الذِى من أجله بكى ، وشرحه فى البيت الأوَّل بقوله :

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزى ٣/١٥٠ « يغبروا : يبقوا ، رجلى : جمع راجل . وإنما دعا عليهم بنحر ركابهم ليتلبثوا فى الديار فيقضى وطره من التسليم ، ويكون نحرها جزاء لهم على لومهم إياه »

(٢) ديوانه ٣٣٣ وشرح التبريزى ٣/٣٣٧ وفى م « وجهل الشوق »

(٣) ويروى : « إذن مجت مقالتها فى وجهها أذنى » .

(٤) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزى ٣/٢١

(٥) م « أسائله »

خَفَّ آهِلُه ، ويقول : « لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله » . وهذا هو الذى أَبلاه ؛ لأَنه إذا فارق أهله ، وتَعَفَّت منازله ـ فقد خرب وبلى .

وقال أيضاً :

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ لم يُبْقِ لى طَلَلاً … إلاَّ وفيه أَسًى تَرْشِيحُهُ الذِّكَرُ[1]

قالوا : أَتَبْكِى عَلَى رسْمٍ ؟ فقلت لهم : … من فاتَهُ العَيْنُ هدَّى شَوْقَهُ الأَثَرُ[2]

قوله : « لم يُبْقِ لى طَلَلاً » ، والطلَلُ : ما شخص من آثار الديار ، والطلل : شَخْصُ الإنسان وقامته . يقال : ما أحسن طَلَلَه . وإنما يريد طلل الدار . أى لم يبق لى طللاً فى ديارى ومواطنى التى فارقتها ، وأخليتها ، وعكفت عليه ـ إلا وفيه أَسًى أى حزن من أهلى الذِين فارقتهم علَىَّ . تَرْشِيحُه الذكر : أى تنميته ، وتربيته الذكر . أى ذكرهم لى[3] يرشح الحزن على أن يمسكه ، ويحفظه ، ويقوم عليه حتى يبقى ولا يذهب .

* * *

ولا يجوز أن يريد بالطلل جملة شخصه وقامته ؛ لأَن ذلك يكون مثل قولك : ما لزيد جسد إلا وفيه أثر ، وما له رأس إلا وفيه شَجَّة . وهذا خطأ ؛ إذ ليس له إلا رأس واحد ، وجسد واحد . والبيت الثانى جيد بالغ .

* * *

وقال البحترى :

لَعَمْرُ المَغَانِى يَوْمَ صَحراءِ أَرْثَدٍ … لقد هَيَّجَتْ وَجْدًا عَلَى ذى تَوَجُّدِ[4]

(١) ديوانه ١٤٩ وشرح التبريزى ٢/١٨٥

(٢) سبق ص ٥٣٤ وغيرها

(٣) م « لى لم يرشح »

(٤) ديوانه ٢٣٠ ، ٢/٧٧١ « أربد » وسبق البيت ص ٤٦٢

مَنَازِلُ أَضْحَتْ للرياح مَنَازِلًا  تَرَدَّدُ منها بَيْنَ نُؤْىٍ ورِفْدَدِ(١)
شَجَتْ صاحِبِى أطلالُها فتَهَلَّلَتْ  مدامعُه فيها وما قُلْتُ : أَسْعدِ

وهذا لعمرى صاحب حَسَنُ الصحبة ، ولعله كان له شَجَن وهوى ، فلمَّا وقف على الديار تذكَّر أحبابَه فبكى .

وقال أيضاً :

خُذَا مِنْ بُكَاءٍ فى المنازل أَوْدَعَا  ورُوحَا عَلَى لَوْمِى بِهِنَّ ، أَو ٱرْبَعَا(٢)
فما أنا بالمُشْتَاقِ إن قُلْتُ : أَسْعِدَا  لِتَنْدُبَ مَغْنًى مِنْ سُعَادَ ومَرْبَعَا
وَلِى لَوْعَةٌ تَسْتَغْرِقُ الهجْرَ والنَّوَى  جَمِيعاً وَدَمْعٌ يُنْفِدُ الحبَّ أَجْمَعَا(٣)

وهذا معنى آخر ذهب إليه فى الإسعاد حسن جدًّا .

ونحو هذا قوله :

فالدارُ تَعْلَمُ أَنَّ دَمْعِى لم يَغِضْ  فأَروحَ حَامِلَ مِنَّةٍ مِنْ مُسْعِدِ(٤)
ما كان لى جَلَدٌ فَيُودى إنَّما  أَوْدَى غَدَاةَ الظَّاعِنِينَ تَجَلُّدِى

وقال أيضاً على السبيل التى سلكها أبو تمام :

يا أخا الأَزْدِ ما حَفِظْتَ الإِخَاءَ  لِمُحِبٍّ ، ولا رَعَيْتَ الوَفَاءَ(٥)
عَذَلًا يَتْرُكُ الحنينَ أنيناً  فى هَوًى يَتْرُكُ الدُّموع دِمَاءَ
لا تَلُمْنى على البكاءِ فإنِّى  نِضْوُ شَجْوٍ ما لُمْتُ فيه البكاءَ
كيف أَغْدُو منَ الصَّبَابةِ خِلْوًا  بَعْدَ مَا رَاحَتِ الدِّيارُ خَلَاءَ

---

(١) ٢/ ٧٧١ المعارف كذا فى م ، ق وفى الديوان « رمدد » يقال : رماد رمدد : أى كثير دقيق جداً .

(٢) ديوانه ٧٠٢ ، ٢/ ١٢٦٣ وسبق ص ٤٦٨

(٣) كذا فى م ، ق وفى الديوان « وحب ينفد الدمع »

(٤) ديوانه ٤٥٩ .

(٥) ديوانه ٧١٢ « ولا ذكرت الوفاء » وفى م « ياذا الأزل »

قف بهـا وقفة تُرَدِّدْ عليها أَدْمُعاً رَدَّها الجَوَى أَنْضَاء[١]

قوله : «نِضْو شَجْو ما لُمْت فيه البُكاء» – من المقلوب ، وكان يجب أن يقول : ما لمته فى البكاء ؛ فقال : ما لمت البكاء فيه .

ومثل هذا فى الشعر كثير . وإنما كان يصدر عن العرب على سبيل السَّهو ، ولا يسوّغه متأخر . ومنه ما هو حسن ، وقد جاء مثله فى القرآن .

فإن قيل : إن لفظ البيت مستقيم ، وهو[٢] مستغن بمعناه ولفظه عن أن يُتَأَوَّل فيه القلب . وذلك أن البكاء ليس هو شيئاً غير سكب الدموع ، وجريها على الخدود . فكما تلوم العين على بكاها ، وتلوم الدمع على انحداره مجازًا – فكذلك تلوم البكاء مجازًا .

قيل : هذا عدول عن القياس وصحيح التمثيل ، وإنما كان ينبغى أن يقول : فكما تلوم انحدار الدمع الذى هو البكاء . فكذلك تلوم البكاء . هذا وجه المعارضة . فإن كنت تلوم انحدار الدمع فقد صح اعتراضك ، وإن كنت لا تلومه ، وهو البكاء ، فلم تلوم البكاء .

ومع هذا فقد جرت العادة بلوم العين على البكاء ، ولوم الدمع على الانحدار ، ولَوْمِها أيضاً على الامتناع ، وقالت الشعراء فى ذلك ما هو معروف مشهور . ومنه قول مُتَمِّم بن نُوَيْرَة يبكى أخاه مَالِكاً :

عذرتك يا عينى الصحيحة فى البكا فما أَنْتِ يا عَوْرَاءُ والهَمَلَانِ[٣]

---

(١) كذا فى ق وف.م « تودد » وفى الديوان : « ترد »

(٢) م « وما هو »

(٣) البيت غير منسوب فى أمالى اليزيدى ١٤٩ وقبله :

بكيت بعين لم تخنها ضمانة وأخرى بها ريب من الحدثان

فعذر [عَيْناً][١] ولام أُخرى .

وقال بعض المتأخرين[٢] :

لا جَزَى اللهُ دَمْعَ عيْنِىَ خَيْرًا وجزَى الله كلَّ خيرٍ لِسَانِى
كنتُ مثلَ الكتابِ أَخْفَاهُ طَىٌّ فاستدلُّوا عليــه بالعُنْوانِ

فلام هذا دمعه ؛ لأَنه فضحه ، كما لام ذلك عينه . وما علمنا أَحدًا لام البكاءَ . ومعنى ذلك مفهوم ؛ لأَن البكاءَ قد جعل فعلاً للعين على المجاز ، والسيلان فعل الدمع ، فيقال : بكت عينى ، وسال دمعى . فإذا لُمْنا العين على بكاها ، ولُمْنَا الدمع على انحداره — كان ذلك حسناً جميلًا ؛ لأَنا إنما لُمْنَا فاعلًا على فعله ، كما نَلُومُ الفاعل الذى فعله حقيقة على فعله ، ولكن لا نَلُوم فِعْلَه ؛ لأَنا إذا لُمْنَا الباكى على أَن فَعَلَ البكاءَ ، فنلوم البكاءَ على أَن فَعَلَ ماذا ؟

فإن قيل : على أَن كثر واتصل منه .

قيل : فهل سمعت أَحدًا قط قال : يا بكاءُ — لم كثرت ، ولم اتصلت ؟ كما يقال يا عين لم بكيت ؟ فإنى ما أَظن أَن أَحدًا يقدر أَن يقول : إنه سمع بهذا . وذلك أَن الإِكثار والاتصال إنما هما حركات الفاعل بالفعل ، فالباكى هو الذى أَكثر البكاءَ وواصله ، لا أَن البكاءَ فَعَل ذلك بنفسه . فالمجاز لا يتسع لأَن نلوم البكاءَ كما نلوم العين ، ولا لأَن نلومَ انحدار الدمع كما نلوم الدمع ، ولا تنتهى الاستعارة إلى هذا الموضع .

ولو حملنا البكاءَ الذى هو فِعْلُ الفاعل على المجاز فلمْنَاه كما نلوم الباكى ، لَحسُنَ أَيضاً أَن نلوم الجزع كما نلوم الجازع ، ونلوم الغضب

---

(١) الزيادة من ق

(٢) هو العباس ، بن الأحنف ، كما فى ديوانه ٢٨٢

كما نلوم الغضبان ، ونلوم الضحك الذى هو ضد البكاء كما نلوم البكاء .

وما أكثر ما تُحْمَلُ الأشياء على أضدادها ، وما علمت مثل هذا جرى فى توسع ولا مجاز : لأن « لمت » ليس هذا موضعها ، وإنما هو موضع أحمدت ، وذممت [ وكرهت ][1] وأنكرت ، وأشباهها . وهذه حقائق[2] . وليس كل شىء يحْمَلُ على المجازات .

فإن استجزنا أن نلوم البكاء فينبغى أن نلوم أيضاً الضرب ، والقتل ، والقيام ، والقعود ، والركوب ، والنزول ، والأكل ، والشرب ، وسائر أفعال الفاعلين ، ونعذلها أيضاً ، ونوبخها ؛ لأن العَذْل والتوبيخ فى معنى اللوم . ونلوم أيضاً النَّحِيب ، والشهيق ، والزَّفير ، والتَّشيج كما نلوم البكاء .

وإذا لمنا أيضاً اليد على أن لم يشتد قبضها على الشىء مجازًا - لُمْنَا القبض أيضاً مجازًا ، وكذلك الرِّجْل إن لمناها على أن عجزت عن المشى ، لُمنَا المشىَ أيضاً ، وعنَّفناه ، وركَّبْنَا مجازًا على مجاز ، وتوسُّعاً على توسُّع . وهذا ما لم يُسْمَع بمثله فى لغة من اللغات .

فعلى كل الأحوال حَمْلُ بيت البحترى على القَلْب الذى قد استعملته العرب فى مجازاتها ، ونطق به القرآن بوجه منه حسن ، وسطَّره أهل العلم بكلام العرب فى كتبهم - أوْلَى من حمله على وجه غير مستعمل ، ولا معروف، ولا سائغ .

وقد قال المبرد : إن العرب كانت تستعمل القلب لاختصار الكلام ، وإقامة الأوزان ، وإصلاح القوافى[3] . وأنشد لِلْفَرَزْدَق يصف ذئباً :

---

( ١ ) الزيادة من ق

( ٢ ) م « وهذه حقاق »

( ٣ ) م « القول »

رَفَعْتُ لِنَارِى مَوْهِناً فَأَتَانِى[١]    وأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبا

وقال[٢] : أراد رفعت له نارى . فقَلَبَ[٣] . فهذا الآن يقول : إن الوجه من القلب الذى ذكر بعض أهل اللغة أنه جاء فى كلامهم على سبيل السهو والغلط — أنهم كانوا يفعلونه اعتمادًا . وإذا اعتمدت العربُ الشىءَ ضرورة لم يكن ذاك لمتأخر .

وههنا مع هذا وجهان قويان جيدان يحتملهما بيت البحترى ، ويجرى على تأليف لفظه ، لا على القَلْب :

أحدهما : أن يكون أراد : لا تلمنى على البكاء فإنى ذو حزن ما لمت فيه على البكاء . فأسقط « على » كعادة العرب الجارية فى حذف حروف الصفات للإيجاز والاختصار فوصل الفعل إلى البكاء فنصبه . وهذا معنى قريب جدًّا . ومثل قولهم : جزيتك إحسانَك ، أى على إحسانك ، وعن إحسانك . وقولهم نزلْتُكَ ، بمعنى نزلت عليك ، ونزلت[٤] بك . وهذا من أفصح اللغات وأبلغها ، وهو مسطور فى كتبهم . وكذلك شغبتك بمعنى شغبت عليك[٥] حكاها أبو زيد .

ومما هو جائز [وجار][٦] فى كلامهم — كلام أهل البدو والحضر — قولهم : بكَيْتُ فلاناً ، بمعنى بكيت عليه .

وأنشدنا « أبو الحسن الأخفش » قِرَاءَةً عليه فى الكتاب الكامل عن المبرد لأعرابى :

---

(١) الكامل ١/٣٢٠

(٢) الكامل ١/٣٢٢

(٣) م « فقلت »

(٤) م « ونزله بك »

(٥) م « شغب عليك »

(٦) الزيادة من ق

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فإِنِّى وناقَتِى  بِحَجْرٍ إلى أَهْلِ الحِمَى غَرِضَانِ(١)
تَحِنُّ فَتُبْدِى ما بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ  وأُخْفِى الذى لَوْلَا الأَسَى لقَضَانِى

أراد لقضى على . قال المبرد : فأخرجه لفصاحته ، وعلمه بجواهر الكلام أحسن مُخْرَج(٢).

وقال عَنْتَرَة :

ولَقَدْ أَبِيتُ على الطَّوَى وأَظَلُّهُ  حتى أنالَ به كريمَ المأْكَلِ(٣)

أى أظل عليه .

قال : ومثله قول الله تعالى : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سبْعينَ رَجُلاً﴾(٤) أى من قومه .

وقول الشاعر :

أَمرْتُكَ الخَيرَ فافعل ما أُمِرْتَ بِهِ  فَقَدْ تركتُكَ ذا مَال وذَا نَشَبِ(٥)

أى أمرتك بالخير .

وقول الفَرَزْدق :

ومِنَّا الذى اخْتِير الرِّجَالَ سَمَاحَةً  وجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ(٦)

أى من الرجال . وأشباه لهذا كثيرة .

---

(١) الكامل ١/٣١ وبعده فيه :
هوى ناقتى خلفى وقدامى الهوى  وإنى وإياها لمختلفان
وفى م « الحمى غير صاقب »
(٢) الكامل ١/٣٢
(٣) ديوانه ١٠٠
(٤) سورة الأعراف : ١٥٥
(٥) البيت لأعشى طرود ، واسمه إياس بن عامر ، كما فى الكامل ١/٣٢
(٦) ديوانه ١/٥١١ والكامل ١/٣٢

وأنشد أبو مِسْحل :

سقَى اللهُ مَنْ يَسْتقِي حَمَامَةَ دارِهَا على فُرْضَةٍ من ماء شُرْبٍ يَقُومُها[١]

أراد يقوم عليها . وقال : يقال : قام فلان اليوم الماء بين القوم . إذا قسمه بينهم . ومعناه ؛ قام على الماء . فلما حذف « على » نصب .

فكذلك قول البحترى : ما لمت فيه البكاء ، أى على البكاء .

والوجه الآخر : أن يكون أراد : لا تلمنى على البكاء فإنى ذو حزن مالمت فيه ذوى البكاء ، وأهل البكاء . فأسقط المضاف فوصل الفعل إلى البكاء فنصبه . وذلك على عادة العرب المستمرة فى حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَه ﴾[٢] أى أهل ناديه . ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾[٣] أى أهل القرية . وقول مُهلهل :

* واسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ[٤] *

أى أهل المجلس . وقول الله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ﴾[٥] أى برّ من آمن بالله . وقوله تعالى جده : ﴿ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المَمَاتِ ﴾[٦] أى ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات .

وأوكد من ذلك كله قول الله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فى قُلُوبِهِمُ العِجْلَ ﴾[٧] . أى حب العجل .

وكذلك أراد البحترى : لا تلمنى على البكاء ؛ فإنى ما لُمْتُ فى هذا الحزن ذا بُكَاء ، أو أهل البكاء . وأسقط « أهل » ، وأقام البكاء مقامه .

---

(١) الفرضة : المشرعة التى يستقى منها

(٢) سورة العلق : ١٧

(٣) سورة يوسف : ٨٢

(٤) صدره : « نبئت أن النار بعدك أوقدت »

(٥) سورة : البقرة ١٧٧

(٦) سورة : الإسراء ٧٥

(٧) سورة : البقرة ٩٣

وهذا يستوى فيه القدماء والمتأخرون جميعاً ؛ لأنه خارج عن الضرورة .

فهذان وجهان فى غاية القوة والصحة . والمعنى : لا تلمنى على البكاء ؛ فإنى ما لمت فى هذا الشجو باكِياً . لأنه يحق فى مثله البكاء ؛ لعظم تأثيره فى النفس ، وتَخَوُّنِهِ [1] للجَلَد ، وذهابه بالصبر ، ونحو هذا .

وقوله بعده :

كيف أَغْدُو مِنَ الصَّبابَةِ خِلْوًا　　بَعْدَ مَا رَاحَتِ الدِّيارُ خَلاَءَ

أى لا تلمنى على البكاء ؛ فإنى [إن] [2] لم أبك وقد خلت الديار من أهلها فلست ذا صبابة . يقول : إنه يكون إن لم يبكِ والخلِى الذى ليس فى قلبه هوى ، بمنزلة واحدة . وإذا خَفَّفَ البكاءُ من صبابته فقد قضى حقَّ المحبة على كل حال .

* * *

وقال البحترى أيضاً :

أَحْرَى الخُطُوبِ بِأَنْ يكُونَ عَظِيماً　　قَوْلُ الجهولِ : أَلاَ تَكُونَ حَلِيمَا [3]

قَبَّحْتَ مِنْ جَزَعِ الشَّجِىِّ مُحَسَّنَا　　ومَدَحْتَ مِنْ صَبْرِ الخَلِىِّ ذَمِيمَا

وقال أيضاً :

مَاذَا علَيْكَ مِنَ انْتِظَارِ مُتَيَّمٍ　　بَلْ ما تَضُرُّكَ وَقْفَةٌ فى مَنْزِلِ [4]

إنْ مِيلَ عَىٌّ عنِ الجَوَابِ فلم يُطِقْ　　رَجْعاً فكيفَ يكونُ إنْ لَمْ يُسْأَلِ

لا تَكْلِفَنَّ لىَ الدُّمُوعَ فإن لى　　دَمْعاً يَتِمُّ علىَّ إنْ لَمْ يَفْضُلِ [5]

(١) م ، ق « وتخوده » والتخون : التنقص

(٢) الزيادة من ق

(٣) ديوانه ١/٢٨٦ ، ٣/١٩٦٤ وفى م « ألا أن يكون » . وقد سبق الأول ص ٤٦٨

(٤) ديوانه ٧٣١ ، ٣/١٧٤٣

(٥) م « فى الدموع » وفى الديوان « يتم عليه »

قوله : «يتم على إن لم يفضل» مثل قوله :

* ودمع ينفد الحب أجمعا[١] *

ومثل قوله أيضاً :

سارت مُقَدِّمَةُ الدُّموعِ وخلَّفَتْ حُرَقاً - تَوَقَّدُ فى الحشا ما تَرْحَلُ[٢]
إنَّ الفراقَ كما عَلِمْتَ فَخَلَّنِى ومَدامِعاً تَسَعُ الفِراقَ وتَفْضُلُ

قال : «سارت مقدمة الدموع وخلَّفت حرقاً» . ثم قال : «فخلِّنى ومدامعاً تسع الفراق وتفضل» ومقدّمة الشيء ليس هو الشيء بأسره . إنما مقدمة الجيش : ما يتقدمه من جملته ، ويبقى سائره متأخرًا . فقال : «رحلت مقدمة الدموع» . يعنى يوم المفارقة . ثم قال : «فخلنى ومدامعاً» يريد جملة الدمع المتأخر الذى هو مَقْرُون بالحُرَقِ المقيمة التى ذكرها .

وقال فى نحوه أيضاً :

خَلِّيَــاهُ وَوَقْفَةً فى الرُّسُومِ يَـخْلُ مِنْ بَعْضِ بَثِّهِ الْمَكْتُومِ[٣]
وَدَعَاهُ لاَ تُسْـعِدَاهُ بِدَمْعٍ حَسْبُهُ فَيْضُ دَمْعِهِ المَسْجُومِ
سفَهٌ منكما وإفراطُ لُــؤْمٍ أَنْ تلُومَا فى الحبِّ غيرَ مُلِيمِ

وقال فى نحوه أيضاً :

إن تِلكَ الطُّلُولَ مِنْ وَهَبِيْنَــا أَحْزَنَتْ خالياً ، وزادتْ حَزِينَا[٤]
فاتركانى فمــا أُطِيعُ عَذُولاً وَاخْذلاَنِى فما أُرِيدُ مُعِينَا

وقال أيضاً :

ومن الجهــالة أَنْ تُعَنِّفَ بَاكِياً وَقَفَ الغليلُ به على مَجْهُولِهَا[٥]

(١) سبق ص ٥٤٩
(٢) ديوانه ٢٥ . وفيه ٣/١٧٥٣ «سالت»
(٣) ديوانه ٥٩٤
(٤) ديوانه ٢٤٥ . ٤ /٢١٦٢ المعارف
(٥) ديوانه ٣٤٥ وفى ٣ /١٧٧١ «وقف الغرام» وفى م «ومن الجهال»

إن الدموعَ هى الصّبابةُ فاَطَّرِحْ      بعضَ الصَّبابةِ تَسْتَرِحْ بِهُمُولِهَا

وهذا معنى حسن معروف . والدموع ليست الصبابة ؛ لأن الصبابة ؛ رقّة الشوق ، وإنما يبكى الباكى من شدّة صبابته . ولمّا كانت الصبابة تخِفُّ بالبكاء ، وتذهب بذهاب الدمع ـ قال : إن الدموع هى الصبابة . أى إنها تذهب بذهابه . وتمضى بمضيه . أى فدعنى أبكى ؛ فإنى أستريح بِهُمُولِ الدمع .

وقال أيضاً :

وما انْفَكَّ رَسْمُ الدارِ حتّى تَهَلَّلتْ      دُمُوعِى وحتّى أكْثَرَ اللومَ صَاحِبى[١]

وَقَفْنَا فلا الأطلالُ ردَّت إجابةً      ولا العذْلُ أجْدَى فى المَشُوقِ المُخَاطِبِ

تَمَادَتْ عَقابِيلُ الهَوَى وتَطَاولَت      لَجَاجَةُ مَعتُوبٍ عليه وعاتبِ

وهذا معنى حسن ، ولفظ له ماء ورونق ، وهو أجود وأسلم من قول أبى تمام :

وما صَارَ يومَ الدَّارِ عذْلُك كلُّه      عَدُوِّىَ حتى صارَ جهلُك صَاحِبِى[٢]

* * *

وقال أيضاً :

فى غير شَأْنِك بُكْرَتى وأَصِيلِى      وسوى سبيلكَ فى السُّلو سبيلى[٣]

بخلتْ جفونُك أن تكونَ مُسَاعِدِى      وعلمْتَ ما كَلَفِى فَصِرْتَ عَذُولِى[٤]

جارَ الهوى يوم اسْتَخَفَّ صَبابَتِى      لِخَلِيٍّ ما تَحْتَ الضلوعِ مَلُولِ

أى جار الهوى علىّ لِخَلِىّ ما تحت الضلوع . أى لخلىّ من الهوى . أى جار علىَّ له .

(١) ديوانه ١٥٣ ، ١ /١٠٨ معارف فائق ٤٧ ظ
(٢) سبق ص ٥٤٤
(٣) ديوانه ٥١٥ ، ٣ /١٨٣٨
(٤) فى الديوان : « فكنت عذولى »

وقال أيضاً :

ما أنتَ لِلْكَلِفِ المَشُوقِ بصَاحِب فاذْهَب على مَهْلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبِ[١]
عرفَ الدِّيارَ وقَدْ سَئِمْن من البِلى ومَلِلْنَ من صوْبِ السَّحاب الصَّائِبِ[٢]
فأَرَاكَ جَهْلَ الشَّوْقِ بَيْنَ مَعالمٍ منها وَجِدٌّ الدَّمْعِ بين مَلاعِبِ

قوله : «على مهل» لست أراه مفيدًا شيئاً ، وما أظنها إلا حشْوًا . وهذا [من مواضع ][٣] قولهم : فامض لشأْنك ، وامض لسبيلك .

وقال أيضاً :

بَعضَ هذا العِتَابِ والتَّفْنِيـــدِ لَيْسَ ذَمُّ الوفاء بالمَحْمُود[٤]
ما بَكَينا على زَرُودَ ولٰكِنْ نَا بَكَيْنَا أَيَّامَنا فى زَرُودِ
ودُمُوعُ المُحِبِّ إنْ عَصَتِ العُذْ ذَالَ كانت طوْعَ النَّوَى والصُّدُودِ[٥]

وهذا من إحسانه المشهور[٦].

وقال أيضاً :

فيم ابْتِدَارُكُمُ المَلَامَ وَلُوعَا أَبْكَيتَ إلَّا دِمْنَةً ورُبُوعَا[٧]
عَذَلُوا فمَا عدَلُوا بِقلْبِكَ عَنْ هَوًى ونَهَوْا فَمَا وَجَلُوا الشَّجِيَّ سَمِيعَا[٨]

---

(١) ديوانه ٦٩٦ . ١/١٥٨ معارف
(٢) فى الديوان : « من سقيا السحاب »
(٣) الزيادة من ق
(٤) ديوانه ٦٩١ . وسبق ص ٤٦٩
(٥) م « كانت طلوع »
(٦) م « المشهورة »
(٧) ديوانه ٢٥٧ وانظر ص ٩ و ٤٦٧ و ٤٧٦
(٨) فى الديوان « بقلبي . . ودعوا فما »

وقال أيضاً :

يا وَهْبُ هَبْ لأَخيكَ وَقْفَةَ مُسْعِدٍ يُعْطى الأَسَى مِنْ دَمْعِهِ المَبْذُولِ(١)
أَوَ مَا تَرَى الدِّمَنَ المُحِيلَةَ تَشْتَكى غَدَراتِ عَهْدٍ للزَّمانِ مُحِيلِ
إنْ كُنْتَ تُنْكِرُها فَقَدْ عَرَفَ البِلى قِدْماً مَعارِفَ رَسْمِها المَجْهُولِ(٢)

وقال أيضاً :

وقَفْنَا فَحَيَّيْنا لِأَهْلِكِ باللِّوَى رُبُوعَ دِيارٍ دَارِسَاتِ المَعَالِمِ(٣)
ذَكَرْنَا الهَوَى العُذْرِيَّ فيها فأُنْسِيَتْ عَزاها مَشُوقاتُ القُلُوبِ الهَوائمِ
خَلعنَا بها عُذْرَ الدُّمُوعِ فأَقْبَلَتْ تَلومُ وتَلْحِي كلَّ لاحٍ ولائمِ

وهذا كله على اختلاف معانيه ، جيد بالغٌ ، وحلو نادر .

وقال أيضاً :

ذَاكَ وادِى الأَرَاكِ فاحْبِسْ قَليلَا مُقْصِرًا مِنْ صَبابَةٍ أَوْ مُطيلَا(٤)
قِفْ مَشُوقاً أَوْ مُسْعِدًا ، أَو حَزيناً أَوْ مُعيناً ، أَوْ عاذرًا ، أَوْ عَذُولَا

قد وسَّع البحترى على هذا الصاحب كل السَّعة . أى قف على أية حال كنت عليها من هذه الأَحوال ، ولو أَنْ تَعْذِل بعد أن تَتلَوَّم علىَّ ، ولا تنصرف عنى فإنى أحتمل عذلك . وهذه غاية النَّصفة . ثم أتبع هذا بأَن قال :

إنَّ بَيْنَ الكَثيبِ فَالجِزْعِ فَالآ رَامِ رَسْماً لآلِ هِنْدَ مُحيلاَ(٥)
أَبْلَت الريحُ والرَّوائحُ ، والأَيْ يَام منه مَعَالماً ، وطُلُولاَ(٦)

(١) ديوانه ٦١٠ ، ٣/١٦٦٢ وسبق الأول ص ٤٣٥
(٢) فى الديوان « عرف الهوى » وفيه ص ١٦٦٢ « معارف ربعها »
(٣) ديوانه ٤٤٧ . وفى م « وقفنا محيينا لأهلك بالنوى »
(٤) ديوانه ٦٨٦ ، ٣/١٧٦٦
(٥) فى الديوان « ربعا »
(٦) م « أنلت الريح »

وخِلافُ الجميلِ قولُك لِلذَّا كِرِ عَهْدَ الأَحبابِ :صبرًا جَميلاَ
لا تَلُمْهُ على مُواصلَةِ الدَّمْـــع فَلوْمٌ لَوْمُ الخَليلِ الخَليلاَ
عَلَّ مَاءَ الدُّمُوعِ يُخْمِدُ نَارًا مِنْ جَوَى الحُبِّ ، أو يَبُلُّ غَلِيلاَ
وبُكاءُ الدِّيارِ مِمَّا يُرَدُّ الشَّوْ قَ ذِكْرًا ،والحُبَّ نِضْوًا ضَئِيلاَ
لَمْ يَكُنْ يَوْمُنَا طَوِيلاً بِنُعْما نَ ولكِنْ كَانَ البُكاءُ طويلا

قوله : « أَبْلَتِ الرِّيحُ والرَّوائحُ » فالروائح : السحائب التى تمطر النهار بأسره ، وتَرُوحُ عشيا .

وقوله : « مما يرد الشوق ذكرًا » أى يُخَفِّفه حتى يصير تذكرًا لا يُقلِق ، ولا يُزعج كإقلاق الشوق .

« والحُبَّ نِضْوًا » أى يردُّ الحبّ نِضْوًا . أى يخفف الهوى ، ويصغِّره ؛ لأنه يرى الدار ، وخُلوَّها من أهلها ، وييأس فيبكى ويستريح . فذلك هو تَصْغيرُ الحب .

وقوله : « لَمْ يَكُنْ يَوْمُنا طويلا بنعمان » ينبغى أن يكون هذا اليوم كان يومَ توديع لم يكن طويلاً ؛ لأن يوم مشاهدتهم ورؤيتهم لا يستطيله بل يستقصره . قال : « ولكنْ كانَ البُكاءُ طويلاً » .

وهذا خلاف قول أبى تمام :

* يَوْمَ الفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلاً[1] *

وأنا أستقصى الكلام فى هذا عند ذكر بيت أبى تمام فى « باب الفراق » .

* * *

(١) ديوان ٢٤٢ وشرح التبريزى ٣/٦٦

ومن جيد هذا الباب قول البحترى :

عَرِّجُوا فالدُّموعُ إنْ أَبْلكِ فى الرَّبـ ... ـع دُمُوعِى ، والاكْتِئَابُ اكْتِئَابِى[١]

وكَمِثْلِ الأَحْبَابِ ـ لَوْ يَعْلَمُ العا ... ذِلُ ـ عندى منَازِلُ الأَحْبَابِ

وهذا نحو قول امرئ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فجعل البكاء للحبيب والمنزل جميعاً .

ولا تَزِيدُ زيادةٌ فى لَوْمِ الأَصحاب على حُسْنِ قَوْلِ كُثَيِّر :

يقولُ خَلِيلِى : سِرْ بنا أَىَّ مَوْقِفٍ ... وقفت ، وجهـل بالحليم المعَمَّم

تَلُومُ ولم تَعْلَم بأَسْرَارِ خُـلَّةٍ ... فتعذر إلاَّ عن حديث مُرَجَّمِ

فإن كنتُ لم أَجْهَلْ فَقَدْ لُمْتَ ظَالماً ... وإن كنتُ قد أَزْرَى بى الجَهْلُ فاَحْلَمِ[٢]

أراد أىّ موقف هذا الذى وقفته . يقول لى الأَحباب : سر أى موقف . كأَنه يحكى إنكار صاحبه عليه الوقوف .

* * *

(١) ديوانه ٥٦٣

(٢) م « لمت ظلما »

## ما جاء عنهما فى ترك البكاء على الديار والنهى عنه

قال أبو تمام :

إنْ كَانَ مَسْعُودٌ سَقَى أَطْلاَلَهُمْ سبَلَ الشُّئُونِ فَلَسْتُ مِنْ مَسْعُودِ[1]
ظَعَنُوا فكانَ بُكَاىَ حَوْلاً بَعْدَهُم ثُمَّ ارْعَوَيْتُ ، وذاكَ حُكْمُ لَبِيدِ
أَجْدِرْ بِجَمْرَةِ لَوْعَةٍ إطْفَــاؤُهَا بالدَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وُقُود

قوله : إن كان مسعود . يعنى مسعودًا أخا ذى الرُّمَّة ، ولا يعرف له بيت واحد بكى فيه على الديار . وهذا من معانى أبى تمام الغامضة التى يُسْأَلُ عنها . وما زلت أرى الناس قديماً يَخْبِطُونَ فيه . وإنما ذكر مسعودًا : لأنه كان ينهى ذا الرّمة عن البكاء على الديار . وذلك قول ذى الرُّمَّة :

عَشِيَّةَ مَسْعُود يقولُ وقد جَرى على لِحْيَتِي مِنْ وَاكِفِ الدَّمعِ قَاطِرُ[2]
أَفِى الدَّارِ تبكى إذْ بكَيْتَ صَبابَةً وأنت امروٌ قد حَلَّمتْكَ المَعاشرُ

فأراد أبو تمام إن كان مسعود الذى أنكر على ذى الرُّمة البكاء ونهاه عنه . – قد رأى أن البكاء أحسن بعد أن كان عنده غير حسن – فَلَسْتُ منه . وذلك كقول القائل : إن كان حاتم قد شَحَّ فلست منه . أى إن كان بعد كرمه وجوده قد رأى أن البخل حسن – فَلَسْتُ مقتدياً به .

وكأن هذا عند أبى تمام أبلغ من أن يقول : إن كان غَيْلَان سقى أطلالهم – يعنى ذا الرمة – فلست منه .

---

(١) ديوانه ٨٢ وشرح التبريزى ١ /٣٩٠

(٢) ديوانه ٢٤٠ « من عبرة العين »

وهذا أيضاً من استقصاء أبي تمام ، ومبالغته فى المعانى التى يخرجها إلى التَّعْمِيةِ والانغلاق .

وقوله : «وذاك حُكْمُ لَبيدِ» يريد قول لَبيد :

إلَى الحَوْلِ ثُمَّ ٱسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَد ٱعْتَذَرْ[1]

وقوله :

أَجْدرْ بِجمْرَةِ لَوْعَةٍ إطفَاؤُهَا بالدَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وُقُود

– غلط بَيِّن ؛ لأنه أتى فيه بما يخالف مذهب أهل الجاهلية والإسلام ، والأمم كلها ؛ لأنهم مُجْمِعُون على أن فى البكاء راحةً من الكَرْب ، وتبريداً لحرارة الحزن ، وتَخْفيفاً من لاعِجِ المصيبة . و «طول خمود» أوْلى بالصواب من «طول وقود» لو كان بنى المعنى عليه . وقد ذكرت هذا فى أغاليطه[2] .

وقال أبو تمام :

فعَلَيْهِ السَّلامُ لا أُشْرِكُ الأَطْ لالَ فى لَوْعَتِى ، ولا فى نَحِيبِى

فسوَاءٌ إجابَتِى غَيْرَ دَاعٍ ودُعَائى بالقَفْرِ غَيْرِ مُجيبِ

قوله : «لا أُشْرِكُ الأَطلاَلَ فى لَوْعَتِى» أى أجعل ذلك خالصاً لأحبتى ، أى لا أقول كما قال امرؤ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فاستوقف ليبكى على الحبيب والمنزل معاً .

وقوله : «فسواء إجابتى» معنى لطيف . وقد ذكرته فى «باب استعجام الديار عن الجواب» ، وبَيْتَ البحترى الذى حذا على حذوه[3] .

---

(١) خزانة الأدب ٢ /٢١٧ ومجاز القرآن ١٦ وتفسير غريب القرآن ٧

(٢) راجع ص ٢٠٩

(٣) راجع ص ٣٢٤

قال البحترى :

يَسَلُ المنازلَ عنهمُ وعلى اللِّوَى دِمَنٌ دوَارِسُ إنْ تُسَلْ لا تُخْبِرِ [١]
ومن السَّفاهَةِ أنْ تَظَلَّ مُكَفْكِفاً دَمْعاً على طَلَلٍ تَأَبَّدَ مُقْفِرِ

وقال البحترى :

ما بكَيْنَا عَلَى زَرُودَ ولٰ كِنَّا بَكَيْنَا أيَّامَنَا فى زَرُودِ [٢]

وهذا حسن . وأحسن منه وأحلى وأعذب ــ قول كثير :

وَمَا بِرِبَاعِ الدَّارِ يا أُمَّ مَالِكٍ ولا بالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ أَهِيمُ
هى الدَّارُ وحْشاً غير أنْ قَدْ يَحُلُّها ويَغْنَى بِها شَخْصٌ علىَّ كَرِيمُ

* * *

وقال البحترى :

لا تَقِفْ بِى عَلَى الدِّيارِ فإنِّى لَسْتُ مِنْ أَرْبُعٍ ورَسْمٍ مجيلِ [٣]
فى بكاءٍ على الأحِبَّــةِ شُغْلٌ لأخِى الحُبِّ عن بُكاءِ الطُّلُولِ

وهذا مذهب قد تقدم الناس أيضاً فيه ، إلا أن البكاء على الديار هو المذهب الأقدم ، والأعم الأشهر . قال امرؤ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فجعل البكاء للحبيب والمنزل جميعاً . والرواة تزعم أن هذا البيت أحسن ابتداءات العرب وأبرعها وأجمعها لعدة معان فى لفظ قليل . واتبعته الشعراء على هذا ، وأكثروا فيه القول .

---

(١) ديوانه ١٢٠
(٢) ديوانه ص ٦٩١
(٣) ديوانه ٦٠٣ ، ٣ /١٦٧٨ وفى م « لا تقف على . . . أربع فى رسم »

وعلى هذا المعنى حذا البحترى قوله :

عرِّجُوا فالدُّموعُ إنْ أبْكِ فى الرَّبْـ ـعِ دُمُوعِى والاكتئاب اكْتِئابِى (١)
وكَمِثْلِ الأَحْبَابِ لو يَعلمُ العا ذِلُ عِندى مَنازِلُ الأَحْبابِ

وكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروءة وكرم العهد ؛ ولذلك قال أبو تمام :

أمَوَاقِفَ الفِتْيانِ تَطْوِى لَمْ تَزُرْ شرَفاً ، ولم تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدَا (٢)
أَذْكَرْتِنا المَلِكَ المُضَلَّلَ فى الهَوَى والأَعْشَيَيْنِ وطَرْفَةَ ولَبِيدَا (٣)
حَلُّوا بِهَا عُقَدَ النَّسِيبِ ونَمْنَمُوا مِنْ وَشْيِها رَجَزًا بها وقَصِيدَا (٤)

قوله : « لم تَزُر شَرَفاً » يريد ارتفاعاً ، « ولم تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدَا » أراد انخفاضاً وهبوطاً فلم يستقم له ذاك فقال : « صعيدا » لأن الصعيد التراب . وهو يكون فى أَغْوَاطِ الأَرض ، وما اطمأَن منها ــ أكثر منه فيما علا وارتفع .

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى وأوله :
« ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين »

---

( ١ ) ديوانه ٥٦٣ وقد سبقا ص ٥٦٢

( ٢ ) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزى ١ / ٤١٢

( ٣ ) الملك المضلل : امرؤ القيس . والأعشيان : أعشى قيس بن ثعلبة ، وأعشى باهلة ، ويروى « جرولا ولبيداً » وجرول هو : الحطيئة

( ٤ ) نمنموا : زخرفوا . ويروى : « من وشيها حللا لها وقصيداً » و « نثراً لنا » و « نتفا لها » .

# فهرس موضوعات الجزء الأول

الصفحة

الصفحة

| | | |
|---|---|---|
| رقم الإيداع | | ٧٦٩٤ / ١٩٩٢ |
| الترقيم الدولى | 977 - 02 - 3790 - 6 | ISBN |

١ / ٩٢ / ١٠٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

ذخائر العرب
٢٥

# الموازنة

## بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي
٣٧٠ هـ

تحقيق
السيد أحمد صقر

الطبعة الرابعة

٢

دار المعارف

# الموازنة

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

## ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين

* * *

وأفتتح ذلك بما جاء عنهما من الابتداآت فى هذه المعانى ، وأبوّبها أبواباً ، لتصح الموازنة بينهما .

## ماقالاه فى البكاء على الظاعنين

* * *

قال أبو تمام :

يا بُعْدَ غايَةِ دَمْعِ العينِ إذْ بَعُـدُوا     هِيَ الصبابةُ طُولَ الدهرِ والكَمَدُ[1]

هذا أجودُ ابتداآته فى هذا المعنى ، وأبلغها .

وأجود منه وأحلى قول البحترى :

قَلْبٌ مَشُوقٌ عَنَاهُ البَثُّ والكَمَدُ     ومُقْلَةٌ تَبْذُلُ الدَّمعَ الذى تَجِدُ[2]

قوله : « تبذلُ الدمعَ الذى تَجِدُ » معنى ما لحسنه نهاية ، ولفظ فى غاية البراعة والحلاوة .

وقال أبو تمام :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لك مَاجِدِ     فَغَدًا إِذَابَةُ كلِّ دَمْعٍ جَامِدِ[3]

وهذا ابتداء جيد .

---

(١) ديوان أبى تمام ٩٦ وشرح التبريزى ٢ / ١٠ وفيهما « إن بعدوا . . . الدهر والسهد »

(٢) ديوان البحترى ٥٩١ ، ١ / ٤٩٥ دار المعارف

(٣) ديوان أبى تمام ٨٦ وشرح التبريزى ١ / ٤٠٦

وقال البحترى :

رَحَلُوا فأَيَّةُ عَبْرَةٍ لَمْ تُسْكَبِ أَسَفاً ، وأَىُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ(١)

هذا أيضاً ابتداء جيد حسن .

وقال أيضاً :

أَكُنْتَ مُعَنِّفِى يَوْمَ الرَّحِيلِ وَقَدْ لَجَّتْ دُمُوعِى فى الهُمُولِ(٢)

وقال أيضاً :

إنَّ سَيْرَ الخَلِيطِ يَوْمَ ٱسْتَقَلاَّ كانَ عَوْناً للدَّمْعِ حينَ تَوَلَّى(٣)

وقال أيضاً :

لَمْ تَبْلُغِ الحقَّ ، ولم تُنْصِفِ عَيْنٌ رأَتْ بَيْناً فَلَمْ تَذْرِفِ(٤)

وهذه كلها ابتداآت جيدة ، عذبة ، شهية .

وقال أيضاً :

دَعْ دُموعى فى ذلكَ الأَشْتِياقِ تَتَنَاجَى بذكرِ يَوم الفِرَاقِ(٥)

وهذا بيت ردىءٌ . قد عابه « ابن المعتز » ، وقال : ما أقبح قوله : « فى ذلك الاشتياق » . وهى – لعمرى – قبيحة ، ولا أعرف له مثلها .

---

(١) ديوان البحترى ٦٠٠ ، ١ / ٣،٧٨ / ١٧٣٦ ، وفى م « فأى »

(٢) ديوانه ٤٨

(٣) ديوانه ١٥٥ « للدمع لما استهلا » وكذلك فى طبعة بيروت ٢ / ١٦٩ ، ٣ / ١٦٥٥

(٤) ديوانه ٢٣٣ ، ٣ / ١٣٦٠

(٥) ديوانه ٤٣٨ ، ٣ / ١٤٦١ « بفعل يوم »

## مالأبى تمام فى البكاء على النساء المفارقات

* * *

قال أبو تمام :

سَرَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدِ ... وعَادَ قَتَادًا عِنْدَها كُلُّ مَرْقَدِ[١]

قوله : « سرت » يريد أنها سهرت فكأنها قطعت الليل بالسهر ، مُسْتَجِيرَةً بالدمع ، تبكى ليلَها أجمع . ولم يرد أنها سارت ليلا ، فجعل سهرها سُرًى ، وفسر ذلك بقوله : « وعَادَ قَتَادًا عِنْدَها كلُّ مَرْقَدِ » .

وهذا ابتداء ليس من جيد الابتداآت ، ولا من رديئها .

وقال أيضاً :

بُدِّلَتْ عَبْرَةً مِنَ الإِيماضِ ... يَوْمَ شَدُّوا الرِّحَالَ بالأَغْرَاضِ[٢]

« الإِيمَاض » أراد تبسمها وبريق[٣] ثغرها ، جعله مِثْلَ وَمِيضِ البرق . يريد أنها بُدِّلَت من الضحك البكاءَ لما استعدوا للرحيل .

وهذا ابتداء جيد .

وقد عابه « ابن عمّار » ، وغيره لقوله : « الأغراض » ؛ ولَحَّنُوه ، وقالوا : الأَغراض : جمع غَرْض ، وفَعْلٌ لا يجمع على أَفْعَال .

أَفَمَا[٤] سمعوا بقولهم : فَرْخٌ وأَفراخ ، وفَرْدٌ وأَفراد ، وشَكْلٌ وأشكال ، وجَفْنٌ وأَجفان ، وعَصْرٌ وأَعصار ، وزَنْدٌ وأَزناد ؟ !

---

(١) ديوان أبى تمام ١٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٢٢

(٢) ديوانه ١٨٧ وشرح التبريزى ٢ / ٣٠٨ وفى م « الأنماض »

(٣) م « الأنماض . . . وبوبق ثغرة » والتصويب من ق

(٤) م « إنما »

وقول الأَعْشَى :

* وزَنْدُك أَثْقَبُ أَزْنَادِها[١] *

وقولهم أيضاً : شَرْطٌ وأَشْرَاط، وقول الله تعالى : « فَقَدْ جاءَ أَشْرَاطُهَا »[٢]، فقد نطقت العرب بهذا الجمع بعينه . قال الراجز فى وصف الإبل :

حَتَّى إذا مَا قَلِقَتْ أَغْرَاضُهَا ونَضَحَتْ بمائِها أَغْرَاضُها

وقال غَيْلاَن بن حُرَيث الرَّبعَى . .

بِكلِّ سَامٍ فى الزِّمَامِ نَهَّاض خَيَّسَهُ بالذُّلِّ رَوْض الرُّوَّاض[٣]

فى قُلُصٍ تَمْطُو سَفِيفَ الأَغْرَاض[٤]

سفِيف : نَسِيج ، والأَغْرَاض : جمع غَرَض ، وهو للبعير مثل الحزام للفرس .

وأنشدنا الأخفش لرجل من طيِّئ :

إذا العِيسُ أَضْحَت بالفلاة كأَنَّها وقد قَلِقَتْ أَغْرَاضُهُنَّ جُفُونُ

ومثله فى الشعر – إذا تتبعته – كثير .

* * *

وقال أبو تمام :

بَسطَتْ إليكَ بَنَانَةً أُسْرُوعَا تَصِفُ الفِرَاقَ، ومُقْلةً يَنْبُوعَا[٥]

وهذا ابتداء ليس بالجيد . ولا بالردىء .

والأُسْرُوع : دُوَيبَّةٌ ناعمة تكون فى الرمل تشبَّه بها أصابع النساء .

---

(١) ديوان الأعشى ٥٤ وصدره : « وجدت إذا اصطلحوا خيرهم »
(٢) سورة محمد ١٨
(٣) م ، ق « حبسه » والتخييس : التذليل ، كما فى اللسان ٧ / ٣٧٦
(٤) تمطو : تمد
(٥) ديوان أبى تمام ٤٩٨ وشرح التبريزى ٣ / ٣٩٠ « إلى بنانة » . والبنانة : واحدة البنان وهى الأصابع

وقال أيضاً :

نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمِ والدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقْلِ المُغْرَمِ(١)

وقال أيضاً :

أَظُنُّ دُمُوعَهَا سَنَنَ الفَرِيدِ وَهَى سِلْكَاهُ مِنْ نَحْرٍ وَجِيدِ(٢)

وهذان ابتداآن جيدان .

* * *

وقال :

ذَرِينِى مِنْكِ سَافِحَةَ المــآقِى ومِنْ سَرَعَانِ عَبْرَتِك المُرَاقِ(٣)

وهذا قول فيه جفاء .

ووجدت الناس يستحسنون قوله :

خُذِى عَبَرَاتِ عَيْنِكِ عَنْ زَمَاعِى وصُونِى مَا أَزَلْتِ مِنَ القِنَاعِ(٤)

زَمَاعه : إِزْمَاعُه الرحيل . يقال : أَزْمَعَ يُزْمِعُ .

وقوله : «وصُونِى ما أَزَلْتِ من القناع » لأَنَّها برزت عند الفراق جزعاً ، وكشفت القناع .

---

(١) ديوان أبى تمام ٣١٢ وشرح التبريزى ٢٤٨ يروى « بعض شجو »

(٢) ديوانه ١٠٤ وفى شرح التبريزى ٢ / ٣٢ : « السنن : التسابق . والفريد : الدر ، وأراد بسنن الفريد : ما يسقط منه ، أخذ من قولهم : سن الماء يسنه سنا : إذا صبه صبا سهلا . أى أظن دموع هذه المرأة مستنة استنان الفريد »

(٣) ديوانه ٢١٤ وشرح التبريزى ٢ / ٤٢٢

(٤) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزى ٢ / ٣٣٦

## ومن ابتدآاتهما من باب الفراق فى معان شتى

* * *

١ ـ قال أبو تمام :

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادِ فَهِيَ طَوْعُ الإِتْهَام والإنجادِ[1]

٢ ـ وقال أيضاً :

ألاَ صَنَعَ البينُ الذى هو صانعُ فإن تَكُ مِجْزَاعاً فما البينُ جازِعُ[2]

وهذا ابتداء صالح .

وقال أيضاً :

أَصْغَى إلى البين مُغْتَرًّا فلاجَرَمَا أَنَّ النَّوَى أَسْأَرَتْ فى عقْلِه لَمَمَا[3]

قولِه : أصغى إلى البين . أى سمع[4] ما أخبروه به من ذكر الفرقة ، فغَيَّر ذلك من عقله . ويريد باللمم : الجنون .

وقد أوضح هذا المعنى فى البيت التالى ، وهو قوله :

أَصَمَّنِي سِرُّهُمْ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ هلْ كُنْتَ تَعْرِفُ سِرًّا يُورِثُ الصَّمَمَا

أى صرت لا أفهم شيئاً بعد ذلك السر الذى دلَّهَنِى ، وأَطار[5] عقلى ، فكأَنى أصم عن كل قِيل .

---

(١) ديوان أبى تمام ٧٥ وشرح التبريزى ١ / ٣٥٨

(٢) ديوانه ٤٧٧ . وشرح التبريزى ٣ / ٥٨٠ وفيه : « يقول : صنع البين بك ما كنت تحذره ، فإن شئت فاصبر وإن شئت فاجزع ، فإن البين لا يبالى »

(٣) ديوانه ٣٠١ وشرح التبريزى ٣ / ١٦٥ وأسأرت : أبقت

(٤) م « أسمع »

(٥) م « وأطال »

وهذا المعنى ليس من اختراعاته . وقد ذكرته فى سرقاته ، وما جاء فى معناه لغير واحد من الشعراء .

وقال :

أَهْلُوكِ أَضْحَوْا رَاحِلاً ومُقَوِّضَا     ومُزَمِّمًا يَصِفُ النَّوَى ومُغَرِّضَا[١]

المُقَوِّضُ : الذى يُقَوِّض البيوت ، ويقتلعها للرحيل[٢] . ومُزَمِّماً يَصِفُ النَّوَى : الذى يزمم الإبل والأزمة . [والمغرض][٣] يشدها بالغَرَض . وهو كالحزام للفرس .

وهذا ابتداء صالح .

وقال أيضاً :

تَحَمَّلَ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحَمَّلُوا     وعادتْ صَبَاهُ فى الصِّبا وهى شَمْأَلُ[٤]

قال ذلك لأن الصَّبَا : ريح تُحِبُّها العرب محبتها للجنوب ؛ لأنها ريح لَيِّنَة عذبة ، وقد تَجْلِب المطر فى بعض أقطار الأرض كما تَجْلِبُه الجنوب . قال امرؤ القيس :

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى     مِنْه شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْفَجِرْ[٥]

فأراد أن صباه – أى ريحه فى الصبا التى كانت تُولف له ما يهواه ويحبه مع من يحبه – عادَت شمالا ؛ لأن الشمال فى أكثر نواحى الأرض لا تُولِّف السَّحاب ؛ بل تَمْحَقُه وتَشِينه كما قال :

---

(١) ديوان أبى تمام ١٨٥ وشرح التبريزى ٢ / ٣٠١

(٢) م ، ق « للرجل »

(٣) الزيادة من م

(٤) ديوانه ٢٤٤ وشرح التبريزى ٣ / ٧٢

(٥) ديوان امرئ القيس ٩٠

لعمرى لئن رِيحُ المودَّة أَصْبَحَتْ شمالاً لَقِدْماً كُنْتُ وهى جَنُــوبُ

وقال أبو تمام :

تَصَدَّتْ وحَبْلُ البَيْنِ مُسْتَحْصِدٌ شَزْرُ وقد سهَّلَ التَّوْدِيعَ ما وَعَّرَ الهَجْرُ (١)

تصدت :أى بدت ، وظهرت . ومُسْتَحْصِدٌ : شديد الفَتْل . والشَّزْرُ (٢) : الفتل إلى فوق . واليَسَرُ : الفتل إلى أسفل .

وقوله : «وقد سهَّل التوديعُ ما وعَّرَ الهَجْرُ» يريد أنها كانت هاجرة فبرزت عند التوديع .

وقال أيضاً :

مَالِى بِعَادِيَةِ الأَيَّامِ مِنْ قِبَلِ لَمْ يَثْنِ كَيْدَ النَّوَى كَيْدِى ولاحِيَلِى (٣)

وهذا من جيد ابتداآت هذا الباب .

* * *

وقال البحترى :

رَاجَعَ القَلْبَ بَثُّهُ وخَبَالُهْ لِخَلِيط . زُمَّتْ لِبَيْنٍ جِمَالُهْ (٤)

وقال أيضاً :

لَهُ الوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بِطَاءٍ أَوَاخِرُهْ ووَشْكِ نَوَى حَيٍّ تُزَمُّ أَبَاعِرُهْ (٥)

وقال أيضاً :

شَطَّ مِنْ ساكِنِ الغُوَيْرِ مَـزَارُهْ وَطَوَتْهُ البِلادُ فَاَللهُ جَارُهْ (٦)

(١) ديوان أبى تمام ٤٧٤ «ما أوعز الهجر» ، وشرح التبريزى ٣ / ٥٦٧

(٢) اللسان ٦ / ٧٢

(٣) ديوانه ٢٤٩ وشرح التبريزى ٣ / ٨٨

(٤) ديوان البحترى ٧٩٦ ، ١٨٣١ «عاود القلب»

(٥) ديوانه ٢٥٠ ، ٢ / ٨٧٦

(٦) ديوانه ٥٣٤ ، ٢ / ٩١٧

وقال أيضاً :

إذَا عَرَضَتْ أَحْدَاجُ سَلْمَى فَنَادِهَا سَقَتْكِ رَوَايَاالمُزْنِ صَوْبَ عِهَادِهَا[١]

وقال أيضاً :

تَظُنُّ شُجُونِى لَمْ تَعْتَلِجْ وَقَدْ خَلَجَ البَيْنُ مَنْ قَدْ خَلَجْ[٢]

وقال أيضاً :

بِمِثْلِ لِقَائِها شُفِىَ الغَلِيلُ غَدَاةَ تَزَايَلَتْ تِلْكَ الحُمُولُ[٣]

وقال :

فُؤَادٌ بِذِكْرِ الظَّاعِنِينَ مُوَكَّلُ وَمَنْزِلُ حَىٍّ فيهِ للشَّوقِ مَنْزِلُ[٤]

وقال أيضاً :

لِمَا وَصَلَتْ أَسماءُ مِنْ حَبْلِنَا شُكْرُ وإِنْ حُمَّ بالبين الذِى لم نُرِدْ قَدْرُ[٥]

وقال أيضاً :

عَلَى الحىِّ سِرْنَا عَنْهُمُ وأَقَامُوا سَلَامٌ ، وهَلْ يُدْنِى البَعِيدَ سَلَامُ ؟[٦]

وقال أيضاً :

لَأَوْشَكَ شَعْبُ الحَىِّ أَنْ يَتَفَرَّقَا فَيُدْنِى الجَوَى ،أو يرجع الحبُّ أَوْلَقَا[٧]

---

(١) فى ديوان البحترى ١٠٩ «أحداج ليل» والأحداج : جمع حدج ، وهو من مراكب النساء، يشبه المحفة ، كما فى اللسان ٣ / ٥٣ . وهو فى ٢ / ٦٧٤ دار المعارف

(٢) ديوانه ٥٥١ ، ١ / ٤١٩ ويقال : اعتلج الموج : التطم ، واعتلج الهم فى صدره ، كذلك على المثل . وخلج : جذب وانتزع

(٣) ديوانه ٣٠٠ ، ١٨٢٢

(٤) ديوانه ٥٨٥ ، ١٧٩٢ ، وفى م : « فؤاد مذكر » !

(٥) ديوانه ٢٤١ ، ٢ / ٨٧٠

(٦) ديوانه ٣٦٣

(٧) ديوانه ٢٦٢ ، ١٨١٠ « فيدمى » ، ق : « أو رجع »

أى يصير الحبُّ جُنونا . وهذا كقول أبى تمام :

*أسْأَرَتْ فى عَقْلِهِ لِمَمَا *[1]

وقال :

عَادَ لِلصَّبِّ شَجْوُهُ واكْتِئَابُهْ بِبِعَادِ الذى يُرَادُ اقْتِرَابُهْ[2]

وقال أيضاً :

أَصُدُودٌ غَلاَ بِهَا أَمْ دَلَالُ يَوْمَ زُمَّتْ بِرَامَةَ الأَجْمَالُ[3]

وهذه كلها ابتداآت جياد ، حسان ، مختارة المعانى .

وقال أبو تمام :

يومَ الفراقِ لقد خُلِقْتَ طَوِيلاَ لَمْ تُبْقِ لى جَلَدًا ، ولا مَعْقُولاَ[4]

فجعل يوم الفراق طويلا .

* * *

وقال البحترى كأنه يَرُدُّ هذا المعنى[5] على أبى تمام ، ويَنْسُبُ يوم الفراق إلى القصر ، وذَكَرَ العلة فى ذلك فقال :

وَلَقَدْ تَأَمَّلْتُ الفِراقَ فَلَمْ أَجِدْ يومَ الفِراقِ على امْرِئٍ بِطَوِيلِ[6]

قَصُرَتْ مَسَافَتُهُ على مُتَزَوِّدٍ مِنْهُ لِدَهْرِ صَبَابَةٍ وعَوِيلِ

وهذه إنما هى حال من كان محبوبه محجوباً منه ، ورؤيته متعذرة عليه قبل يوم الفراق .

---

(١) ديوان أبى تمام ٣٠١ وشرح التبريزى ٣ / ١٦٥ . وانظر ص ١٠

(٢) ديوانه ١٤٩٥ / ١١٥

(٣) ديوانه ١٨١٠، ١ / ١١٥

(٤) ديوانه ٢٤٢ وشرح التبريزى ٣ / ٦٦ . والمعقول : اسم مفعول بمعنى المصدر

(٥) « كأنه يريد بهذا »

(٦) ديوان البحترى ٦١٠ ، ١٦٦٣ « لا تؤدى » .

وقد بين هذا المعنى بقوله :

إنَّ لِلْبَيْنِ مِنَّةً لَنْ تُؤَدَّى وَيَدًا فى تُمَاضِرٍ بَيْضَاء[١]
حَجَبُوها حتَّى بَدَتْ لِفرَاقٍ كانَ داءً لِعَاشِقٍ ودَوَاءَ
أَضْحَكَ البينُ يومَ ذاكَ وأَبْكَى كلَّ ذى صبْوَة ، وسَرَّ وسَاءَ
فَجَعَلْنَا الوَدَاعَ فيه سَلاماً وجعلنا الفِرَاقَ فيه لِقَاءَ[٢]

وهذا مذهب صحيح ، ومعنى واضح .

وقال البحترى فى نحوه أيضاً :

ويومَ تَلاَقٍ فى فِرَاقٍ شَهِدْتُهُ بِعَيْنٍ إذا نَهْنَهْتُها دمعت دما[٣]

فكيف يكون يوم تلاق طويلا ؟

وقال فى نحوه أيضاً :

إنَّ الفِرَاقَ جَلاَ لنَا عَنْ غَادَةٍ بَيْضَاءَ تَجْلُو عَنْ شَتِيتٍ أَشْنَبِ[٤]
أَلْوَتْ بِمَوْعِدِها القديم وأَيْأَسَتْ مِنْه بِلَىًّ بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبِ[٥]

وقال أيضاً فيما يؤكد هذا المعنى ، ويزيده صحة :

مِنْ وراءِ العُيونِ كُثْبَانُ رَمْلٍ تَتَثَنَّى أَفْنَانُهُنَّ فُنُـونَا[٦]
وَبِوُدِّ القُلُوبِ يَوْمَ ٱسْتَقَلَّتْ ظُعُنُ الحَىِّ أَنْ تكُونَ عُيُونَا[٧]

---

(١) ديوان البحترى ٧١٢ ، ١ / ١٤ دار المعارف

(٢) م « فيه لفتا ا »

(٣) كذا فى م ، ق ، وفى الديوان ٤ / ٢٠٨٧ وفيه ١٢٧ بيروت « قطرت »

(٤) يقال ثغر شتيت : مفرق مفلج . وجاء فى اللسان ١ / ٤٨٨ « اختلفوا فى الشنب ، فقالت طائفة : هو تحزيز أطراف الأسنان . وقيل : صفاؤها ونقاؤها . وقيل : هو تفليجها . وقيل : هو طيب نكهتها . وقال الأصمعى : الشنب : البرودة والعذوبة فى الفم » وهما فى ١ / ٢٨٢

(٥) فى الديوان : « وآيست منه »

(٦) ديوانه ٢٤٥ ، ٤ / ٢١٦١ « من وراء السجوف »

(٧) فى الديوان : « لو تكون »

وقد قال بعض الأعراب . أنشدناه الأخفش عن المبرد :

جزى اللهُ يومَ البينِ خيْرًا ؛ فإنَّهُ  أرانا – على علاَّتِها – أمَّ ثابتِ
تُبَاهِي بها الأرضُ السماء إذا مَشَتْ  عَلَيْها وتُحْيِي غَشْيَةَ المُتَماوِتِ [1]

وقال بعض الظرفاء :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الفِراقَ فإنِّي  أشتهيه لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ [2]
إن فيه اعْتنَاقَةً لِوَدَاعٍ  وانتظارَ اعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ

* * *

وقال البحترى :

ما كَفَى مَوْقِفُ التَّفرُّقِ حتَّى  عادَ بِالبَثِّ مَوْقِفُ الإجْمَاعِ [3]
أَعِنَاقُ اللقاء أثْلَمُ فى الأحْ  شاء والقَلْبِ، أَمْ عِنَاقُ الوَدَاعِ ؟

وقال أيضاً :

لَمْ يَكُنْ يَوْمُنَا طَوِيلاً بِنُعْمَا  نَ وَلِكنْ كَانَ البُكاءُ طَوِيلاَ [4]

وإنما ذهب أبو تمام فى معنى طول يوم الفراق إلى ما يعهده الناس ، ويتعارفونه من أن وقت البؤس ، وزمان المحنة أبدا – طويل . ولعله ما كان مَهْجُورًا قبل يوم الفراق ، ولا كانت حاله حال التى وصفها البحترى .

وعلى أنَّ البحترى قد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه أبو تمام فقال :

يا ابْنَةَ العَامِرِىِّ عَمَّا قَلِيلِ  يأْذَنُ الحَىُّ – فاعْلَمِي – بالرَّحِيلِ
قد سَمِعْتُ الغُرابَ يَذْكُرُ بَيْناً  وانْصِرَاماً لِحَبْلِكِ المَوْصُولِ [5]

---

(١) م « عشية المماوت » والتصويب من ق

(٢) هما من غير نسبة ، فى أمالى المرتضى ٢ / ٢٥٧

(٣) ديوان البحترى ١٣١ ، ٢ / ١٢٤٣

(٤) ديوانه ٦٨٧ ، ١٧٦٧

(٥) ديوانه ١٦٧٧ « بوعد بينا »

كيفَ لى بالسُّلُوِّ لا كيف والبَيْـ ـنُ نَازِلٌ بِخَطْبٍ جَليـلِ
إنَّ يَوْمَ النَّوَى لَيَوْمٌ طَوِيلٌ لَيْسَ يَفْنَى ، ويومُ حُزْنٍ طَوِيلِ

وإنما قال البحترى هذا لأن من يهواه كان مُوَاصِلاً له ، وذلك قوله : « وانْصِراماً لحبلك المَوْصُولِ » .

ولم يقنع بأن قال : « إنَّ يومَ النَّوى لَيَوْمٌ طويلٌ » حتى قال : « ليس يفنى ، ويوم حزن طويل » .

فلعل أبا تمام كانت هذه حاله أيضاً فى مُوَاصَلَةِ مَنْ فَارَقَ ، واستطال يوم الفراق لذاك .

* * *

ومن ردىء ابتداآت أبى تمام فى هذا الباب قولُه :
هُنَّ عَوَادِى يُوسفٍ وصَوَاحِبُهْ فَعَزْمًا فَقِدْماً أَدْرَكَ النَّأْىَ طَالِبُهْ[1]

وإنما جعله رديئاً قوله : « هن » ، فابتدأ بالكناية عن النساء ، ولم يجر لهن ذكر بعد .

ثم قال : « عوادى يوسف » ، ومعناها صَوَارِفُ ،يقال : عدانى عنك[2] كذا : أى صرفنى . أراد :هُنَّ صَوارِفُ يوسف، وصواحبه ، وصوارف ههنا لفظة ليست قائمة بنفسها ؛ لأنه يحتاج أن يعلم صوارفه عن ماذا . واللفظة[3] القائمة بنفسها أن لو قال : « واتن يوسف » ، أو « شواغف يوسف » ، أو نحو ذلك . وكأنه أراد صوارف يوسف عن تقاه ، أو عن هداه ، أو عن

(١) ديوان البحترى ٤٣ وشرح التبريزى ١ / ٢٢٣ ويروى : « أدرك الثأر » و « أدرك السؤل » .
(٢) م « عنه »
(٣) م : « الكلمة بمشاهدة الألفاظ » ؛ والتصويب من ق

صحيح عزمه حتى هم بالمعصية . وإنما يتم معنى الكلمة بمثل هذه الألفاظ أَلَوْ وَصلَها بها .

ثم ألحق بيوسف التنوين . فجاء بثلاثة ألفاظ متوالية كلها رديئة فى موضعها .

وتمم البيت بعجز لا يليق بصدره ، وهو أردأ معنى من الصدر . وذلك قوله : «فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ النَّأْىَ طَالِبُهْ »

فتصير جملة معنى البيت : هُنَّ صَوَارِفُ يوسف فَاْعْزِمْ ؛ فَقَدِيماً أَدْرَكَ البُعْدَ طالبُه .

وهذا كلام لا يلائم بعضه بعضاً ، ولا يتشابه. وإنما كانت ألفاظه ومعانيه تتشابه لو قال :

هُنَّ عَوَادِى يوسف وصَوَاحِبُهْ　　فلا يَعْدُوَنَّكَ مَطْلَبٌ أَنتَ طالِبُه

أو «فلا يَعْدُوَنَّكَ العَزْمُ فيما تُطالِبُهْ » . أى لا يتجاوزُك .

أو «فلا تعدلن عن مطلب أنت طالبه » . أى هن صوارف يوسف عن عزمه ، فلا تنصرف أنت عن عزمك ومطلبك لِعَذْلِهِنَّ ، ومن أجلهن .

وقد عاب أبا تمام بهذا البيت – أبو سعيد الضَّرير(١) ، وأبو العَمَيْثَل الأَعْرَابىّ(٢) ، وكانا على خزانة الأدب لعبد الله بن طاهر بخراسان وكان الشاعر إذا قصده ، عرض عليهما شعره ، فإن كان جيداً عرضاه عليه ، أو دعى به فأنشده . وإن كان رديئاً نبذاه ، ودفع إلى صاحبه البِرَّ على غير

---

(١) اسمه أحمد بن خالد . وترجمته فى نكت الهميان ٩٦ وبغية الوعاة ١٣١ وإنباه الرواة ١ / ٤١ ومعجم الأدباء ٣ / ١٥

(٢) اسمه عبد الله بن خليد ، وترجمته فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٨٧ ووفيات الأعيان ٢ / ٢٧٥ وهبة الأيام ١٣٩

الشِّعر . فلما قدم أبو تمام على عبد الله قصدهما ، ودفع القصيدة إليهما فَضَمَّاها إلى أشعار الناس . فلما تصفحا الأَشعار مرّت هذه القصيدة على أيديهما . فلما وقفا على هذا الابتداء طرحاها مع الشعر المَنْبُوذ . فأبطأ خَبَرُها على أبي تمام فكتب إلى أبي العَمَيْثَل أبياتاً يعاتبه فيها ، ويقول :

وأَرَى الصَّحِيفَةَ قَدْ عَلَتْهَا فَتْرَةٌ فَتَرَتْ لها الأَرْوَاحُ فى الأَجسام(١)

ثم لقيهما فقالا له : لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال : ولم لا تفهمان ما يقال ؟

فاستحسن هذا الجواب من أبي تمام .

والرجلان ما عابا إلا معيباً ، وما أنكرا إلا منكرًا . وكانا من أعلم الناس بالشعر وبكلام العرب .

* * *

مضت ابتداآتهما بذكر الفراق فلنذكر الآن ما جاء عنهما من ذلك فى وسط الكلام .

---

(١) ديوانه ٣١٦ وشرح التبريزى ٣ / ٢٨١ وأخبار أبي تمام ٢٢٤

## البكاء على الظاعنين

قال أبو تمام :

فَارَقَتْنَـا ولِلْمَدَامِعِ أنوا ءُ سَوَارٍ على الخُدُودِ غَوَادِ[١]
كلَّ يوم يَسْفَحْنَ دَمْعاً طَرِيفاً يُمْتَرَى مُزْنُهُ بِشَوْقٍ تلادِ
واقِعاً بالخدود والبَرْدُ مِنْهُ واقعٌ بالقُلوبِ والأكْبَادِ[٢]

وهذا فى البكاء مذهب حسن جدًّا ، فى أجود لفظ. واضح سيال .

وقال أيضاً فأحسن كل الإحسان :

رَدُّ الجَمُوحِ الصَّعْبِ أيْسَرُ مَطْلَباً من رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أصَابَ مَسِيلاَ[٣]

وقال البحترى فى ضد هذا المعنى :

وقَفْنَـا والعُيُونُ مُشَغَّلاَتٌ يُغَالِبُ دَمْعَهَا نَظَرٌ كَلِيلُ[٤]
نَهَتْهُ رِقْبَةُ الوَاشِينَ حتّى تَعَلَّقَ لا يَغِيضُ ولا يَسِيلُ

والناسُ لبيت البحترى ، ونَحْوِ مذهبه فيه - أَشَدُّ استحساناً ؛ لكثرة ما يشاهد مثله .

* * *

(١) ديوان البحترى ٧٥ وشرح التبريزى ١ / ٣٥٨
(٢) ويروى « والحر منه »
(٣) ديوانه ٢٤٢ وشرح التبريزى ٣ / ٦٦
(٤) ديوان البحترى ٣٠٠ ، ١٨٢٢

وقال أبو تمام :

لعمرى لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِى ... وَمَحَّتْ كما مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ(١)
وأَنْجَدْتُمُ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ ... فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِى عَلَى سَاكِنِى نَجْدِ

قوله : « كما مَحَّتْ وشائِع مِنْ بُرْدِ » ـ غلط ، لأَن الوَشَائِع هى : الغَزْل الملفوف من اللُّحْمَة التى تداخل فى السَّدَى. فإذا نُسِجَ الثوبُ فليس فيه شىء يسمى « وَشِيعَة » ولا « وشَائِع » .

وقد ذكرت هذا فى باب أغاليطه المجموعة(٢) .

وقد عاب عليه أيضاً قوم قوله : « فيادَمْعُ أَنْجِدْنى عَلَى ساكِنِى نَجْدِ »

وقالوا : الإِنْجادُ إنما يكون على المُحَارِب . فأَىُّ مُحَارَبَة أو مُجَاهدة تكون أعظم من مجاهدة المغرم مَنْ يَهْوَاه ، ولا سيما إن كان مَنُوعاً ولم يكن مُوَاتِيا ؟

وقد أفصح البحترى بأَن المحبوب مُحَاربٌ فقال :

هَلْ كُنْتَ لَوْلاَ بَيْنَهُمْ مُتَوَهِّماً ... أَنَّ امْرَأً يُشْجِيه بَيْنٌ مُحَارِبِ(٣)

فقول أبى تمام : « أَنْجِدْنِى على ساكِنِى نَجْدِ » ـ من أحسن كلام ، وأحلاه ، وأجوده .

* * *

وقال أبو تمام :

وقَالُوا : أَسى عَنْهَا ، وقَدْ خَصَمَ الأَسَى ... جَوَانِحُ مُشْتَاقٍ إذا خُوصِمَت لُدُّ(٤)

(١) ديوان أبى تمام ١٢٧ وشرح التبريزى ٩٢ / ١٠ ويروى : « شهدت لقد »
(٢) راجع ص ١٨٣
(٣) ديوان البحترى ٦٩٦ ، ١ / ١٥٩ دار المعارف
(٤) ديوان أبى تمام ١٢٠ وشرح التبريزى ٢ / ٨١

وعَيْنٌ إذا نَهْنَهْتها عَادَتِ الكَرَى ... ودَمْعٌ إذا اسْتَنْجَدْتَ أَسْرَابَهُ نَجدُ[١]

وما خلفَ أَجْفَانِى شُئُونٌ بخِيلَةٌ ... ولا بَيْنَ أَضْلاعِى لها حَجَرٌ صَلْدُ[٢]

وكَمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ مِنْ فَتَى ... مِنَ القَوْمِ حُرٌّ دَمْعُهُ لِلْهَوَى عَبْدُ

قوله : أسىً عنها ، أى تَأَسَّى عنها . وقد خصم الأسى جوانح مشتاق : أى غلبت التأسى وأبَتْ عليه .

وعين إذا نهنهتها ، أى كففتها عن النوم .

وقوله : «تحت أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ » فأرواق إنما هو : جمع رَوْق [وروق] كلّ شيء :أوله ؛ ولذلك قيل للقرن : رَوْق . يقال : ألقى عليه أرْوَاقَه : أى ثقله . وواحدتها رَوْق ، ويقال :ألقت السحابة أرْوَاقَها : إذا دامت ولم تُقْلِع .

* * *

وقال أبو تمام أيضاً :

دَعَا شَوْقَهُ يا نَاصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً ... فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمعِ يَجْرِى وَوَابِلُهْ[٣]

بِيَوْمٍ تُرِيكَ المَوْتَ فى صُورَةِ النَّوَى ... أَوَاخِرُهُ مِنْ حَسْرَةٍ وأَوَائِلُهْ

أراد أنَّ الشوقَ دعا ناصرًا ينصرُه فلبَّاه الدمعُ . بمعنى أنه يُخَفِّفُ لاعِجَ الشوقِ ، ويطفى حرارته[٤] . وهذا إنما هو نُصْرَةٌ للمشتاق على الشوق ، والدمع إنما هو حرب للشوق ؛ لأنه يثلمه ويَتَخَوَّنُهُ ، ويكْسِرُ حدَّه . ولو كان ناصرًا

(١) فى الديوان وشرحه «إذا هيجتها» وعادت : من المعاداة . ونجد : قوى يجيب إذا استنجد

(٢) الشئون : مخارج الدموع . والصلد : الصلب . يقول : شئونى ليست ببخيلة على عينى بالدموع ، ولا بين أضلاعى حجر يصبر ، إنما هو قلب يألم ويجزع

(٣) ديوان أبى تمام ٢٣٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢٢ . وسبق فى الجزء الأول ص ٢١٠ ، ٣٢٤ ، ٤٧٦

(٤) م. « حرارته »

له لكان يقويه ، ويزيد فيه . ألا ترى أنك تقول : قد ذَبَحَنِي الشوق إليك . فالشوق عدو المشتاق وحَرْبُه ، والدّمعُ سِلْمُه ؛ لتخفيفه عنه ، وهو حرب للشوق . وليس بهذا الخطأ خَفَاءٌ على أحد . وقد ذكرته فى أغاليطه[١].

وأحسن منه قول البحترى :

إنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الصَّبَابَةُ فَاطَّـرِحْ  بَعْضَ الصَّبَابَةِ تَسْتَرِحْ بِهُمُولِهَا[٢]

لأن الصبابة – وهى رقة الشوق – تَنْحَلُّ مع الدمع ، وتمضى بِمُضِيِّه ، فلذلك جعل الدموع هى الصبابة على السعة . وإنما هى عدو الصبابة كالنار التى هى عَدُوٌّ لما تحرقه ، وهى مع ذلك تنفد بنفاده ، وتمضى بمضيه ، وكالريح إذا بدَّدَتْ الغيمَ ومَحَقَتْه ، فإنها تذهب بذهابه . وقد قال الشاعر :

أَشَجَاكَ مِنْ لَيْلَتِكَ الطُّـولُ  فالدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْكَ مَهْمُولُ ؟
وهو إذا أَنْتَ تَأَمَّلْتَـهُ  حُزْنٌ عَلَى الخَدَّيْنِ محْلُولُ[٣]

لما كان الحزن يَنْحَلُّ ويسيل بسيلان الدمع ، جعله حُزْناً . ولو جعله ناصرًا للحزن ، أو جعل البحترىُّ الدموعَ ناصرةً للصبابة – لكانا جميعاً مُخْطِئَيْن ؛ لأن النَّاصرَ للشىء لا يَمْحَقُ الشىءَ ، ولا يفنيه ويَذْهب به .

ولكن البحترى اتبع أبا تمام فى خطئه بقوله :

نَصَرْتُ لها الشَّوقَ اللَّجوجَ بأَدمعٍ  تلاحَقْنَ فى أعقابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا[٤]

* * *

(١) راجع ص ٢١٠ ، ٣٢٤ من الجزء الأول

(٢) ديوان البحترى ٣٤٥ ، ٣/١٧٧١ . وقد سبق فى الجزء الأول ص ٥٢٩

(٣) للحسن بن وهب ، كما فى ديوانه المعانى ١ / ٢٥٨

(٤) ديوان البحترى ٣٥٥ ، ٣ / ٢٠٤٢ وقد سبق فى ص ٢١١ ، ٣٢٤ من الجزء الأول

وقال أبو تمام :

تَوَلَّوْا فَوَلَّتْ لَوْعَتِى تَحْشُدُ الأَسَى عَلَىَّ ، وجاءت مقلتى وَهْىَ تَهْمِلُ[1]

بَذَلْتُ لَهُمْ مَكْنُونَ دَمْعِى فإنْ وَنَى فَشَوْقِى على أن لا يَجِفَّ مُوَكَّلُ

وهذا جيد بالغ .

وأجود منه وأحسن قوله :

فكادَ شَوْقِى يَتْلُو الدَّمْعَ مُنْسَجِماً إنْ كَانَ فى الأَرضِ شَوْقٌ فَاضَ فَانْسَجَمَا[2]

ولم يذهب ههنا إلى نحو ما ذهب إليه البحترى فى قوله :

إنَّ الدُّموعَ هى الصَّبَابَةُ فَاطَّرِحْ بَعْضَ الصَّبَابَةِ تَسْتَرِحْ بِهُمُولِهَا[3]

وإنما ذهب إلى أنه بكى لشدة شوقه وغلبته حتى كاد شوقُه يَفيض بِفَيض الدمع .

وقال فى على بن الجَهْم[4] :

هِىَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لكَ مَاجِدِ فَغَدًا إذَابَةُ كُلِّ دَمْعٍ جَامِدِ[5]

فَافْزَعْ إلى ذُخْرِ الشُّئُونِ وعذْبِهِ فالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الجاهِدِ

وإذا فَقَدْتَ أخاً فَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعاً ولا صَبْرًا فلَسْتَ بِفَاقِدِ

قوله : «يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الجَاهِدِ» أى بعض جهد الحزن الجاهد ، أى جهد الحزن الذى قد جهدك . وهو الجَاهِدُ لك .

ولو كان استقام له أن يقول: بعض جهد المجهود ـ لكان أحسن وأليق . وهذا أغرب وأطرف . وقد جاء أيضاً فاعِلٌ بمعنى مَفْعُول : قالوا :عِيشَةٌ راضِيَة

(١) ديوان أبى تمام ٢٤٥ وشرح التبريزى ٣ / ٧٣

(٢) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزى ٣ / ١٦٨

(٣) ديوان البحترى ٣ / ١٧٧١

(٤) ديوان على بن الجهم ٣٤٥

(٥) ديوان أبى تمام ٨٦ وشرح التبريزى ١ / ٤٠٦

بمعنى مَرْضِيّة . ولَمْحٌ باصِرٌ ، إنما هو مُبْصَرٌ فيه . وأشباه لهذا معروفة . ولكن ليس فى كل شىء يقال . وإنما ينبغى أن نَنْتَهى فى اللغة إلى حيث انْتَهوْا ، ولا نتعدّاه إلى غيره ؛ فإن اللغة لا يقاس عليها .

وقوله : «فَلَمْ يَفْقِدْ لَهُ دَمْعاً ولاَ صَبْرًا» — من أفحش الخطأ ؛ لأَنَّ الصابر لا يكون باكياً ، والباكى لا يكون صابرًا ، فقد نَسَقَ[١] لفظة على لفظة ، وهما نعْتَان متضادان ، ولا يجوز أن يكونا مجتمعين . وقد ذكرت هذا مشروحاً فى أغاليطه[٢] .

* * *

وقال البحترى :

قَدْ أَرَتْكَ الدُّموعَ يَوْمَ تَوَلَّتْ ظُعُنُ الحَىِّ ما وَراءَ الدُّموعِ[٣]

عَبَراتٌ مِلْءُ الجُفُونِ مَـرَتْهَا حُرَقٌ للفراقِ مِلْءُ الضُّلُوعِ

وهذا غاية فى جودته وبراعته .

وقال أيضاً :

أَضْحَكَ البَيْنُ يومَ ذاكَ وأَبْكَى كلَّ ذِى صَبْوَةٍ ، وسَرَّ ، وسَاءَ[٤]

فَجَعَلْنَـا الوَدَاعَ فيه سَلاماً وجَعَلْنَـا الفِرَاقَ فِيه لِقَاءَ

ووَشَتْ بِى إلى الوُشَاةِ دُمُوعُ الْ عَيْنِ حتَّى حَسِبْتُها أَعْـدَاءَ

وهذا من إحسان أَبى عُبادَة المشهور .

---

(١) م «فقد يشق بلفظه»

(٢) راجع ص ١٥

(٣) ديوانه ٤٢١ ، ٢ / ١٢٧٩

(٤) ديوانه ٧١٢ وانظر ص ١٥

وقال أيضاً :

هَيِّنٌ مَا يَقُولُ فيكَ الَّلاحِي بَعْدَ إطْفَاءِ غُلَّتِي وَالْتِيَاحِي[١]

كُنْتُ أَشْكُو شَكْوَى المُعَرِّضِ فالآ نَ أُلاقِي النَّوَى بِدَمْعٍ صُرَاحِ[٢]

وهذا أيضاً غايَةٌ فى حسنه وجودته .

وقال أبو تمام :

صَيَّرْتُ لى مِنْ تَبَارِى عَبْرَتِى سَكَناً مُذْ صِرْتُ فَرْدًا بلا إلْفٍ ولاسَكَنِ[٣]

حَلَبْتُ صَرْفَ النَّوَى صَرْفَ الأَسَى وَحَدا بالبَثِّ فى دَوْلَةِ الإغْرَام والدَّدَنِ[٤]

فَمَا وَجَدْتُ على الأَحْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ دَمْعٍ على وَطَنٍ لى فى سِوَى وَطَنِى[٥]

مَنْ ذَا يُعَظِّمُ مِقْدارَ السُّرُور بِمَنْ يَهْوَى إذا لَمْ يُعَظِّمْ مَوْقِعَ الحَزَنِ[٦]

قوله : حَدَا بالبَثِّ : أى ساقَه ، وأظهرَه ، وأشاعه فى دولة الإغْرَام والدَّدَنِ . والإغرام : جمع غُرم مثل : بُرْج وأَبْرَاج ، وخُرْجٌ وأَخْرَاج . والغُرْم والغَرَام بمعنى واحد . والدَّدَنُ : الَّلعِب .

يقول : ساق صَرْفُ النوى البَثَّ – وهو أشد الحزن – وأظهره فى دولة غرامى ولعبى . يقول : إنه قاسى الأَسفار والهموم فى أيام شبابه ولعبه . ولله در الذى يقول ، وأنشدناه الأَخفش ، وأنشده إسحق الموصلى أيضاً :

---

(١) ديوان البحترى ١/٤٥٧ ، ٣٨١ والالتياح : العطش

(٢) م « كيف أشكو» وفى الديوان « شكوى المصرح »

(٣) ديوان أبى تمام ٣٣٣

(٤) فى الديوان وشرحه « وحداً» وفى م « وجدا »

(٥) فيهما « أوقد من »

(٦) فى الشرح : « موضع الحزن »

ولـــا أرادَ الحيُّ بَيْناً ولَمْ يَكُنْ ... دَرَى أَحَدٌ مَنْ بَيْنُ ظمياءَ فَاجعْ
أبى الدمعُ أعيانَ الصِّحَاحِ وبَيَّنَتْ ... مَكَانَ ذوى الشَّجْوِ العُيُونُ الدَّوَامِعْ(١)

وأنشد إسحق أيضاً ، وأنشده الأَخْفَش عن المُبَرِّد :

ولما رَأَتْ أن لا سبيلَ وأنَّــهُ ... هُوَ البَيْنُ مَحْنُوٌّ عليه الأَضَالِعُ(٢)
تَهَتَّكَ عن أَسْتَارِ قَلْبٍ وأَسْبَلَتْ ... مدامِعُ عَيْن بَيْنَهَا السِّرُّ ضَائعُ(٣)

وأنشد أيضاً :

تكفكف دَمْعَها كَفٌّ خَضِيبُ ... لِتُخْفِيَهُ ،وهَلْ يَخْفَى المُرِيبُ ؟

وهذا أيضاً حسن .

---

(١) فى الأصل : « فكان ذوى »

(٢) الزهرة ٣١٩ – « ولما رأى أن لا سبيل » « مقصوراً عليه »

(٣) فى الزهره : « عن أسرار قلب » « وأسجمت مدامع »

## بكاء النساء المفارقات

قال أبو تمام :

بُدِّلَتْ عَبْرَةً مِنَ الإيماضِ يَوْمَ شَدُّوا الرِّحَالَ بالأَغْراضِ[1]
أَعْرَضَتْ بُرْهَةً فلمَّا أَحَسَّتْ بالنَّوَى أَعْرَضَتْ عَنِ الإِعْرَاضِ
غَصَبَتْهَا نَحِيبَها عزَمَاتٌ غَصَبَتْنِي تبيُّتِي وٱغتماضِي[2]
نَظَرَتْ فالتفَتُّ مِنْهَا إلى أَحْـ لَى سَوَادٍ رأيتُه في بياضِ
يَوْمَ وَلَّتْ مَرِيضَةَ اللَّحْظِ والجَفْـ نِ وَلَيْسَتْ دُموعُها بِمِرَاضِ

قوله : « أَعْرَضَتْ عن الإعراض » – ليس باللفظ الجيد ، وهو من توليدات المتأخرين . ومثله قولُ البحترى :

شُغِلَ الرَّقِيبُ وأَسْعَدَتْنَا خَلْوَةٌ فى هَجْرِ هَجْرٍ واجْتِنَابِ تَجَنُّبِ[3]

قوله : « غَصَبَتْها نَحِيبَها » – يريد أن عزماتى استخرجت نحيبها وأظهرته ، وقد كانت تَخْزُنه ، فكأنها اغتصبتها إيَّاه لمّا أظهرته .

وقوله « غصبتنى تَبَيُّتِى » أى تَلَبُّثِى ، أى منعتنى عزماتى من التَّلَوُّم والتَّلَبُّث ، ومن النوم ؛ فكأنها غصبتنى ذلك ،أى أخذته منى ، وأزعجتنى للرِّحْلَة .

وقال :

بَسَطَتْ إِلَيْكَ بَنَانَةً أُسْرُوعَا تَصِفُ الفِرَاقَ ، ومُقْلَةً يَنْبُوعَا[4]

---

(١) ديوان أبى تمام ١٨٧ وشرح التبريزى ٢ / ٣٠٨

(٢) فى الديوان « غصبتنى تصبرى » وهما روايتان

(٣) ديوان البحترى ٦٠١ ، ١ / ٧٨

(٤) سبق ص ٨

كادَتْ لِعِرْفَانِ النوَى أَلفاظُهَا ... مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى تكُونُ دُمُوعَا

وهذا معنى حسن لطيف حلو .

والأُسْرُوعُ : واحد الأَساريع ، وهى دُوَيبَّةٌ بيضاء تكون فى الرّمل ، تشبّه بها الأَصابع ، وذلك قولُ امرئ القَيْس :

وتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كأَنَّهُ ... أَسَارِيعُ رَمْلٍ ،أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ[1]

* * *

وقال أبو تمام أيضاً :

بَكَتْهُ بِمَا أَبْكَتْهُ أَيَّامَ صَدْرُهَا ... خَلِيٌّ ، وما يَخْلُو لَهُ مِنْ جَوًى صَدْرُ[2]

وقالتْ : أَتَنْسَى البدرَ ؟ قُلْتُ تَجلُّدًا : ... إذا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فلا طلَعَ البَدْرُ

فَأَذْرَتْ جُمَاناً مِنْ دُمُوعٍ نِظَامُهَا ... عَلَى النَّحْرِ إلا أَنَّ صَائِغَها الشَّفْرُ[3]

ومَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزْمَتِي ولوَ أَنَّهَا ... سَقَى خَدَّها من كلِّ عَيْنٍ لَها نَهْرُ

قوله : «إذا الشمسُ لم تَغْرُب فلا طلع البدرُ » ــ لم يرد بذلك امرأة أخرى سواها ، وإنما جعل هذا القول احتجاجاً عليها ،وردًّا لكلامها ، ولِيُرِيَها أن عزمه فى السَّفر صحيح ، وأن بكاءها لا يثنيه عن وجهه الذى يريده . وقد بيَّن هذا المعنى وأفصح بقوله : «تَجَلُّدًا » .

وهذه الأَبيات صالحة ، والمذهب فيها غير مُسْتَحْلى ، ولا مُشْتَهى ، وفيها

---

(١) ديوان امرئ القيس١٣١ وشرح القصائدالعشر ٣٤ «أساريع ظبى» وتعطو : تناول . برخص: أى ببنان رخص . غير شثن : أى غير كز غليظ . ظبى : اسم كثيب . والإسحل : شجر له أغصان ناعمة . شبه أناملها بأساريع أو مساويك لينها

(٢) ديوان أبى تمام ٤٧٤ فى م « بما بكته »

(٣) فى الديوان : « فابدت جمانا . . . على النحر . . صائغها الشعر »

معنى غامض فى الاحتجاج عليها يجوز أن يكون أراده . وقد ذكرته فى « جزء » أفردته لِغَامِضِ معانى أبى تمام .

وقوله : « فأَذْرَتْ جُمَاناً » فالجُمَانُ هو : اللُّؤْلُؤ الصغار .

وقوله : « إلا أن صائغها الشُّفْرُ » ـ فالجمان لا يُصَاغ ، ولكن قد يعمل على هَيْئَته خرز من فضّة . وقد سمّاه هُدْبَةُ بن خَشْرَم جُمَاناً فقال :

عَلَيْهِنَّ مِن صَوْغِ المَدِينَة حِلْيَةٌ جُمَانٌ كأَجْـوازِ الدَّبَا ورَفَارِفُ[1]

* * *

وقال أيضاً :

أَظُنُّ دُمُوعَها سَنَنَ الفَرِيدِ وَهَى سِلْكَاهُ مِنْ نَحْرٍ وجِيدِ[2]
لَهَا مِنْ لَوْعَةِ البَيْنِ ٱلْتِدَامُ يُعِيدُ بَنَفْسَجاً وَرْدَ الخُدُودِ

والتدام النساء فى النياحة إنما هو: ضرب الصُّدُور ، واللَّطم هو: ضرب الخدود . هذا المستعمل المعروف فى كلامهم . فاللَّطمُ هو الذى يعيد بنفسجًا وَرْدَ الخُدُودِ لا الالتدام ؛ لأَن الالتدام : أنتـأْخذ المرأة جِلْدًا أَو نعلا فتَدُقّ به صدرَها ، وتـأْخذ النائحة التى هى المساعدة خِرَقاً[3] تشير بها فى النوح إلى صدرها . ويقال لها : المَآلِى ، واحدتُها مِئْلاَةٌ[4] . فجعل أبو تمام لطم الوجه لَدْماً . ولعل ذلك يسوغ ؛ فإن اللَّدْمَ هو : دَقُّ الشىء على الشىء . قال تميم بن أُبَىّ بن مُقْبِل :

---

(١) م : « كأوساط الجراد »

(٢) ديوان أبى تمام ١٠٤ وشرح التبريزى ٢٢ / ٣٢ وفى م « فى نحر »

(٣) م « حزنا »

(٤) اللسان ١٨ / ٤٦

وللفؤادِ وَجيبٌ تَحْتَ أَبْهَـرِهِ لَدْمَ الغُلامِ وراءَ الغَيْبِ بِالحَجَرِ (١)

* * *

وقال أبو تمام :

نَثَرَتْ فريدَ مَدامعٍ لم تُنْظَمِ والدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقْلِ المُغْرَمِ (٢)
وصَلَتْ دُمُوعاً بالدماءِ فَخَدُّهَا في مِثْلِ حاشِيَةِ الرِّداءِ المُعْلَمِ (٣)
وَلِهَتْ فأَظْلَمَ كُلُّ شيءٍ دونَهَا وأضاءَ منها كلُّ شيءٍ مُظْلِمِ (٤)
وكأَنَّ عَبْرَتَها عَشِيَّةَ ودَّعَتْ مُهراقَةٌ مِنْ مَاءِ وَجْهِي أَوْدَمِي

وَلِهَتْ من الوَلَه ، فأظلم كل شيء دونها : أى أظلمت الأشياء فى عينيها من شدة الحزن والوَلَه ، وأضاء منها كل شيء مظلم : لنور وجهها وبهجتها.

* * *

وقال أيضاً :

سَرَتْ تَسْتَجيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدِ وَعادَ قَتاداً عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدِ (٥)
وأَنْقَذَها مِنْ غَمْرَةِ الموتِ أَنَّهُ صُدُودُ فِراقٍ لا صُدُودُ تَعَمُّدِ (٦)
فأَذْرَى لها الإِشفاقُ دَمْعاً مُوَرَّداً من الدَّمِ يَجْرِى فوقَ خَدٍّ مُوَرَّدِ (٧)
هِيَ البَدْرُ يُغْنِيها تَوَدُّدُ وَجْهِها إلى كلِّ مَنْ لاقَتْ وإنْ لَمْ تَوَدَّدِ (٨)

---

(١) ديوان ابن مقبل ٩٩ واللسان ١٦ / ١٢

(٢) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزى ٣ / ٢٤٨

(٣) فى الشرح : « بالنجيع » أى أسرفت فى البكاء حتى سال الدم من عينها موصولا بالدمع ، فكأن الدم الأحمر فى صحن خدها الأبيض ، علم أحمر فى حاشية رداء أبيض

(٤) فى الديوان وشرحه « وأنار منها »

(٥) ديوانه ١٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٢٢

(٦) فى شرح التبريزى عن الصولى : « خفف عنها أن الصدود ليس بقصد ، وإنما هو فراق بُعْد

(٧) فى الديوان وشرحه « فأجرى لها »

(٨) تودد وجهها : حسنه وأن كل أحد يحبه

وهذا من إحسانه المشهور .

وقوله: « دَمعاً مُورَّدًا من الدَّمِ » ـ لفظ حسن ، ومعنى ليست له براعة .

والجيد فى مثل هذا قول البحترى :

لو ترانا عند الوَدَاعِ وقَــدْ ورَّدَ سَكْبُ الدموع وَرْدَ الخدود(١)

يريد أن الدموع إذا مرت على الخدود [ ورّدتها ] . وهذا معنى صحيح مشاهد.

وأبو تمام لا يقنع إلا بأن يجعل المرأة باكية عليه دَماً على عادته فى الاستقصاء الذى لا حلاوة له . فهلاَّ اقتصر على مثل قول « عَلْقَمَة بن عَبَدَة » ـ وأنشده إسحاق الموصلى ، وأنشده ثَعْلَب ـ :

تراءَتْ وأستارٌ مِنَ البيتِ دُونَها إلينا وحَانَتْ غَفْلَةُ المُتَفَقِّدِ(٢)

بِعَيْنَى مَهَاةٍ يَحْدُرُ الشَّوْقُ مِنْهُمَا شَرِيجَيْنِ شتَّى: مِنْ دُمُوعٍ وإِثْمِدِ(٣)

قال ثعلب : فسرقه « ابن ميّادة » فقال :

ومَا أَنْسَ مِ الأَشْياءِ لا أَنْسَ قَوْلَهَا وأَدْمُعُهَا يَحْدُرْنَ حَشْوَ المَكَاحِلِ(٤) :

تَمَتَّعْ بِذَا اليَوْمِ القَصِيرِ فإِنَّهُ رَهِينٌ بأَيَّامِ الشُّهُورِ الأَطَاوِلِ

قال : فسرقه بعض المحدثين فقال :

خُذِى عُدَّةً لِلْبَيْنِ إِنِّىَ رَاحِلٌ قِرَى أَمَلٍ يُجْدِيكِ واللهُ صَانِعُ

فَسَحَّتْ بِسِمْطَىْ لُؤْلُؤٍ خلْطَ إِثْمِدِ على الخدِّ إلاَّ مَا تَكُفُّ الأَصَابِعُ

* * *

وقال أبو تمام :

خُذِى عَبَرَاتِ عَيْنِكِ عَنْ زَمَاعِى وصُونِى ما أَزَلْتِ مِنَ القِنَاعِ(٥)

---

(١) ديوان البحترى ٢ / ٧٦٨ دار المعارف (٢) ديوان علقمة الفحل ٤١ – ٤٢ .

(٣) فى ديوانه : « بريمين » والبريم : كل شىء فيه لونان . والشريجان : لونان مختلفان من كل شىء ، كما فى لسان العرب ٣ / ١٣٠

(٤) الأغانى ٢ / ١٠ وحماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ٣ / ١٣٥٥

(٥) ديوان أبى تمام ١٩٣ وشرح التبريزى ٢ / ٣٣٦

أَقِلِّى قَدْ أَضَاقَ بُكَاكِ ذَرْعِى وما ضَاقَتْ بِنَازِلَةٍ ذِرَاعِى(١)
أَآلِفَــةَ النَّحِيبِ كم افْتِرَاقٍ أَظَلَّ فكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِماعِ(٢)
ولَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إلاَّ لِمَوْقُــوفٍ عَلَى تَرَحِ الوَدَاعِ(٣)
تَعَجَّبُ أَنْ رَأَت جِسْمِى نَحِيفاً كأَنَّ المَجْدَ يُدْرَكُ بالصِّرَاعِ(٤)

وهذه كلها أبيات جِيَادٌ صحيحة الألفاظ والمعانى . وقد عابه ابن « عمار » وغيره بهذا البيت الأخير .

وحدثنى أبو على محمد بن العلاء السِّجستانى قال : حدثنى أبو [محمد] عبد الله بن قُتيبة المؤلف، قال : سمعت على بن هارون الكاتب النصرانى يقول : قلت لأبى تمام :

أنشدنى أجود شعر قلته . فأنشدنى قصيدته : « خُذِى عَبَرَاتِ عَيْنِكِ » فلما بلغ إلى قوله : « تَوَجَّعُ أَنْ رَأَتْ » قلت : يخيل إلى أن هذا غلط منك؛ لأن الصِّراع ليس من النَّحافة والجَسَامَةِ فى شىء . ولو قلت : كأن المجد يدرك بحرف فى معنى الجسامة — كنت قد أصبت .

و « علىّ بن هارون » هذا ، وكل من عاب هذا البيت — عندى غَالِط .

ولم كان الصراع عنده ليس من النحافة والجسامة فى شىء ؟ وهل تجد القوةَ أبدًا إلا فى العَبَالَة وغِلَظِ الأَلْوَاح ؟ وهل الضَّعْفُ أبدًا إلا فى الدِّقَّةِ والنَّحافة ؟ وهذا هو الأعم الأكثر ، وإلاَّ لمَ صار الفيل يَحْمِل ما لا يحمل الجمَل ، والجمل يحمل ما لا يحمل البغل ، والبغل يحمل ما لا يحمل الحمار .

---

(١) م « بنازل »
(٢) م « فرحة الأوباد » !
(٣) فى الديوان وشرحه « توجع أن » وفى م « بالصواع » والبيت فى الصناعتين ٣١٢
(٤) م « كان الصواع . . من المخافة »

فأراد أبو تمام أن المجد لا يدرك بالصراع الذى من كان فيه أغْلظ وأعْبَل، كان أولى بالغلبة . فهذا هو الأعم الأكثر فى هذا الباب .

ولست أنكر أن تكون القوة قد توجد مع الدِّقة والنَّحافة كما قال بعضهم :

* إنا على دِقَّتِنَا صِلاَبُ *

وأن يكون الخَورُ والرَّخَاوة قد يوجدان مع الغِلَظ والعَبَالَة فى بعض الأشياء . فأما الشَّجاعة والجُرْأَة فقد توجدان فى النحيفِ الجسم الضعيفِ ، وفى العَبْلِ الغليظ .

وهذا إنما يرجع إلى القلب لا إلى الجسم ؛ ولعل عَامِرَ بن الطُّفَيْل ، وعُتَيْبَةَ بن الحارث بن شهاب ، وبِسْطَامَ بنَ قَيْس – ما كان يقدر كل واحد منهم أن يحمل على كتفه مائة رجل .

فجعل أبو تمام معناه على الوجه الأعم الأكثر . وقد أحسن عندى فيه ، ولم يُسِئْ .

* * *

وقال البحترى :

رَحَلُوا فأَيَّةُ عَبْرَةٍ لَمْ تُسْكَبِ ... أَسَفاً ، وأىُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ [1]
قَدْ بَيَّنَ البَيْنُ المُفَرِّقُ بَيْنَنَا ... عِشْقَ النَّوَى لِرَبِيبِ ذَاكَ الرَّبْرَبِ
صَدَقَ الغُرَابُ لَقَدْ رأيتُ شُمُوسَهُم ... بالأَمْسِ تَغْرُبُ عَنْ جَوَانِبِ غُرَّبِ
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا ومَا صَنَع النَّوَى ... بِقُلُوبِنَا لَحَسَدْتَ مَنْ لَمْ يُحْبِبِ [2]
شُغِلَ الرَّقِيبُ ، وأَسْعَدَتْنا خَلْوَةٌ ... فى هَجْرِ هَجْرٍ ، واجْتِنَابِ تَجَنُّبِ

---

(١) ديوان البحترى ٦٠٠ ، ١ / ٧٨ دار المعارف

(٢) فى الديوان « وما صنع الهوى »

فَتَلَجْلَجَتْ عَبَرَاتُهَا ، ثُمَّ انْبَرَتْ تَصِفُ النَّوَى بِلِسَانِ دَمْعٍ مُعْرِبِ[١]
تَشْكُو الفِرَاقَ إلى قتيلِ صَبَابَةٍ شَرِقِ المَدَامِعِ بِالفِرَاقِ مُعَذَّبِ[٢]

قوله : « قد بَيَّن البَيْنُ المُفَرِّقُ بَيْنَنَا » . فالبَيْنُ : الفِرَاقُ . يريد قد بَيَّنَ الفراق المفرِّق بيننا .

وبعض أهل اللغة يقول : « البَيْنُ » من الأضداد[٣] يكون الاتصال ، ويكون الافتراق . وليس الأمر كذلك . بل البين : الحَدُّ والقَطْعُ بين الشيئين ، والذى يتميز به[٤] الحَيِّزَان أحدهما عن الآخر . يقال : وصلت بينهما ، وفرّقت بينهما ، وبعدّت[٥] بينهما . فيصلح ذلك كله فيه ؛ لأنه الحدّ ، والبَرْزَخُ ، لا أنَّه الاتصال ، ولا الافتراق . إلا أن الشعراء جعلوه فى استعمالهم : الفراق . فقوله : « قد بَيَّنَ البَيْنُ » — يريد قد بيّن الفراق المُفَرِّق بيننا .

والنوى : هى النِّيَّة فى انتقال القوم من موضع إلى آخر . فعشق النِّيَّة لِربيبِ الرَّبْرَبَ — استعارة ليست بحسنة . غير أن الشعراء المتأخرين قد اصطلحوا على أن جعلوا البين ، والفراق ، والنوى كالأشخاص ، وجعلوها الحَائِلةَ بينهم وبين من يَهْوَوْنَه ، فهم يستعيرون الأفعال لها . فربما حسنت الاستعارة لها ، وربما قبحت ، على حسب مواضعها فى الإغراق والاقتصاد .

وقوله : « لو كنت شاهدنا » من أبياته المشهورة فى الحسن والحلاوة .

وقوله : « فى هَجْرِ هَجْرٍ ، واجْتِنَابِ تَجَنُّبٍ » — مذهب من مذاهب

(١) وفيه : « تصف الهوى »
(٢) م « تشكو الفراق »
(٣) راجع الأضداد لابن الأنبارى ٦٢
(٤) م « بها »
(٥) م « ويعذب »

المولدين . وقد قدمت القول فى أنه غير حسن ولا جميل .

ولم يعتمد البحترى فى هذا الباب ذكر بكاء النساء إلا قوله : «وقَدْ ورَّدَ سَكْبُ الدُّمُوعِ وَرْدَ الخُدُودِ» وقوله : «فَتَلَجْلَجَتْ عَبَرَاتُها»

ولكنه وصفهن عند التوديع أحسن وصف وأحلاه فقال :

عَجِلَتْ إلى فَضْلِ الخِمَارِ فأَثَّرَتْ عَذَبَاتُهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْبيلِ[1]
وتَبَسَّمَتْ عند الوَدَاعِ فأَشْرَقَتْ إشراقةً عَنْ عَارِضٍ مَصْقُول
أَأَخِيبُ عِنْدك والصِّبَا لى شَافِعٌ وأُرَدُّ دُونَك والشَّبابُ رَسُولى؟

* * *

وقال أيضاً :

أَكُنْتَ مُعَنِّفِى يومَ الرَّحِيلِ وَقَدْ لَجَّتْ دُمُوعِى فى الهُمُولِ؟[2]
عَشِيَّةَ لا الفِرَاقُ أفاءَ عَزْمِى إلَىَّ ، ولا اللقاءُ شَفَى غَلِيلِى
دَنَتْ عند الوَدَاعِ لِوَشْكِ بَيْنٍ دُنُوَّ الشَّمْسِ تَجْنَحُ لِلأَصِيلِ[3]

وقال أيضاً :

إذَا مَا نَهَى النَّاهِى فَلَجَّ بِىَ الهَوَى أَصَاخَتْ إلى الوَاشِى فَلَجَّ بها الهَجْرُ[4]
ويومَ تَثَنَّتْ للوَدَاعِ وسلَّمَتْ بِعَيْنَيْنِ مَوْصُولٍ بِلَحْظِهِمَا السِّحْرُ
تَوَهَّمْتُها أَلْوَى بِأَجْفَانِها الكَرَى كَرَى النَّوْمِ ، أَوْمَالَتْ بِأَعْطَافِها الخَمْرُ

---

(١) ديوان البحترى ٦١٠ ، ١٦٦٢ وفى م «إلى أفضل»

(٢) ديوانه ٤٨ ، ١٧٣٦ .

(٣) م «حنت عند» وفى الديوان «لو شك بعد»

(٤) ديوان البحترى ٨٦ ، ٢ / ٨٤٤ دار المعارف .

وقال أيضاً .

وأَنَا الفِدَاءُ لمُرْهَفٍ غَضِّ الصِّبَا    يُوْهِيهِ حَمْلُ وِشَاحِهِ وعُقُــودِهِ[١]
قَصُرَتْ تَحِيَّتُهُ فَجَادَ بِخَدِّهِ    يَوْمَ الوَدَاعِ لَنَا ، وضَنَّ بِجِيدِهِ
ولَوِ اسْتَطَاعَ لَكَانَ يَوْمَ وِصَــالِهِ    لِلْمُسْتَهَامِ مَكَانَ يَوْمِ صُدُودِهِ

أراد أنها لما قصرت تحيتها فلم تَقْدِر[٢] على السلام – أَعْرَضَتْ فرأى خدَّها ، فكأنَّها جادت لما رأته ، وقد ضنَّت على الحقيقة بجيدها . وهو موضع العِناق[٣] .

* * *

وقال أيضاً :

ما أرَى البَيْنَ مُخْلِياً مِنْ وَدَاعٍ    أَنْفُسَ العَاشقِينَ حتَّى تَبِينَا[٤]
مِنْ وَرَاءِ العُيُونِ كُثْبَانُ رَمْــلٍ    تَتَثَنَّى أَفْنَــانُهُنَّ فُنُونَا[٥]
وبِودِّ القُلُوبِ يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ    ظُعُنُ الحَىِّ لَوْ تَكُونُ عُيُونَا

فهذا المذهب الذى سلكه البحترى – أَوْلَى بالصواب فى وصف النساء المُفَارِقات ، وأشبه بأحوالهن من مذهب « أبى تمام » فى وصفه إياهن بشدة الجزع ، والوَلَهِ ، وبكاء الدم ، ولطم الوجه ، والإِشْفَاءِ على الهَلَكَة ، وإظهارِهِ التجلُّدَ ، وقلةَ الاحتفال بهن . وذلك قوله :

وقَالَتْ :أَتَنْسَى البَدْرَ؟ قُلْتُ تَجَلُّدًا :    إذا الشمسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلاَطَلَعَ البَدْرُ[٦]

* * *

(١) ديوان البحترى ٦٥٨ ، ٢ / ٦٩٤ دار المعارف
(٢) م « يقدر »
(٣) م « العنان » !
(٤) ديوان البحترى ٢٤٥ ، ٤ / ٢١٦١
(٥) م « وراء الغيور » وفى الديوان « من وراء السجوف » وانظر ص ١٥
(٦) ديوان أبى تمام ٤٧٤

وقال أيضاً :

وَمَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزْمَتى ولَوَ اَنَّهُ سَقَى خَدَّها مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لها نَهْرُ(١)

وقوله :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ البَيْنِ اَلْتِدَامٌ يُعِيدُ بَنَفْسَجاً وَرْدَ الخُدُودِ(٢)

وقوله :

وَصَلَتْ دُموعاً بالدِّمَاءِ فَخَدُّها فى مِثْلِ حاشيةِ الرِّداءِ المُعْلَمِ(٣)
وَلِهَتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شيءٍ دُونَها وأَضاءَ منهـــا كلُّ شيءٍ مُظْلِمِ

ولو كان وصف بهذا زوجته ، أو ابنته ، لكان معذورًا ، ولكنه إنما وصف حبائِبه ؛ لأنه ذكرهن بالجمال والحسن ، والزوجات لا يوصفن بذلك .

وما انتهى عمر بن أبي ربيعة – الذى كان مُعَشَّقاً يَنْظُرُ أشرافُ النساء النُّزُورَ فى رؤيته ومجالسته – مِنْ ذكرِ صبوتهن به إلى مِثْلِ هذه الأوصاف ، ولا قريبٍ منها . وقد عيب عمر بذلك ، واستقبِحَ منه . على أنه قد صدق فى أكثر ما قال ، ولم يكذب ، وأتى بالأخبار على وجوهها . فلم يقنع أبو تمام إلا بالزيادة عليه ، والتناهى فيما يخرج عن العادة .

* * *

وقال أبو تمام :

لَمَّا اَسْتَحَرَّ الوَدَاعُ المَحْضُ وَاَنْصرَمَتْ أَوَاخِرُ الصَّبْرِ إلاَّ كاظِماً وَجِما(٤)
رَأَيْتَ أَحْسَن مَرْئِىٍّ ، وأَقْبَحَهُ مُسْتَجْمِعِينَ لِىَ التَّوْدِيعَ والعَنَما

---

(١) ديوان أبي تمام ٤٧٤ وشرح التبريزى ٤ / ٥٦٨ « ولو انها »
(٢) ديوانه ١٠٤ وشرح التبريزى ٢ / ٣٢
(٣) ديوانه ٣١٢ وشرح التبريزى ٣ / ٢٤٨
(٤) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزى ٣ / ١٦٧

استحسن إصبعها[١] ، واستقبح إشارتها مُوَدِّعة . والعنم : شجر[٢] له أغصان لطيفة غَضَّة كأنها بنان جارية . الواحدة عَنَمَة .

وهذا خطأ منه أن يستقبح إشارتها بالوداع إليه . أتراه ما سمع قول جرير :

أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى بِفَرْعِ بَشَامَةٍ سُقِيَ البَشَامُ[٣]

فدعا لِلْبَشَام بالسُّقْيَا ؛ لأنها ودَّعته به فَسُرَّ بتوديعها .

وأبو تمام إنما استحسن إصبعها ، واستقبح إشارتها . فما ظنك بمن استقبح إشارة معشوقة إليه عند توديعه . وهذا يدل على أنه ما عرف شيئاً من هذا ، ولا شاهده ، ولا بُلِيَ به .

* * *

وقال فى وصف النساء المفارقات أيضاً :

خَفَّتْ دُمُوعُكَ فى إِثْرِ الخَلِيطِ لَدُنْ خَفَّتْ مِنَ الكُثُبِ القُضْبَانُ والكُثُبُ[٤]

مِنْ كُلِّ مَمْكُورَةٍ ذَابَ النَّعِيمُ لَهَا ذَوْبَ الغَمَامِ فَمُنْهَلٌّ وَمُنْسَكِبُ

أَطَاعَهَا الحُسْنُ ، وانْحَطَّ الشَّبابُ عَلَى فُؤَادِهَا ، وجَرَتْ فى رُوحِهَا النِّسَبُ[٥]

لَمْ أَنْسَهَا وصُرُوفُ البَيْنِ تَخْلِجُهَا ولا مُعَوَّلَ إِلَّا الوَاكِفُ السَّرِبُ[٦]

---

(١) م « إصنعها » !

(٢) م « أشجار »

(٣) ديوان جرير ٥١٢ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤١ ، ٢ / ٢٥٦

(٤) ديوان أبى تمام ٤٧ وشرح التبريزى ١ / ٢٤٥ ويروى : « فى إثر الحبيب » والكثب الأولى : جمع كثيب من الرمل ، والكثب الثانية : مراد بها أرداف النساء ؛ لأنها تشبه بالكثب ، فحذف التشبيه. القضبان : أراد بها القدود ، على ترك آلة التشبيه أيضاً

(٥) يروى : « على قوامها » و « فى وصفها »

(٦) فى الديوان وشرحه : « البين تظلمها »

أَدْنَتْ نِقَاباً عَلَى الخَدَّيْن وَانْتَسَبَتْ لِلنَّاظِرِينَ بِقَدٍّ لَيْسَ يَنْتَقِبُ[١]
كَانَتْ لَنا لعباً نَلْهُو بِزُخْرُفِهِ وَقَدْ يُنَفِّس عَنْ جِدٍّ الفَتَى الَّلعِبُ[٢]

وهذه أبيات حسان ، جيدة المعانى .

وقوله : «أطاعها الحسن» من أبياته التى يسأل الناس عنها. فقوله : «أطاعها الحسن» من قول[٣] بشّار بن بُرْد :

كَما اَشْتَهتْ خُلِقَتْ حتَّى إذَا اَعْتَدَلَتْ تَمَّتْ تَمَاماً فلا طُولٌ ولا قِصَرُ

وفى نحوه قول أبى نواس :

تُرِكَتْ والحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِى مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ[٤]
فَاَنْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ وَاَسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ[٥]

قوله : « وانحط الشباب على فؤادها » يريد الذكاء والتيقظ .

وقوله : «وجرَت فى روحها النَّسَبُ» ، هو أن يقال : خفيفة الروح ، وعَذْبَةُ الرُّوح ؛ ونحو هذا . كذا فسره الشيوخ بعد أن جرى فى البيت خَوْضٌ طويل .

---

(١) ويروى «وانتصبت للناظرين» يقول : استترت بالنقاب لئلا تعرف فعرفت بقدها ، أى لما رأوا قدها قيل : هذه فلانة ؛ لأنها معروفة بحسن القوام والجمال »

(٢) م «وأنت لنا» وفى الديوان وشرحه «لنا ملعباً» وكل شىء حسن يسمى زخرفاً

(٣) م «الحسن ونحوه القول»

(٤) ديوان أبى نواس ص ٣٦١ «خليت»

(٥) فى الديوان «فاكتست»

## ما ذكره من استيلاء النوى على الأحباب المفارقين

قال أبو تمام :

وفى الكِلَّة الصَّفْرَاءِ جُؤْذَرُ رَمْـلَةٍ غَدَا مُسْتَقِلاً ، والفِرَاقُ مُعَادِلُهْ[١]
تَيَقَّنْتَ أَنَّ البَيْنَ أَوَّلُ فَاتِكٍ به مُذْ رَأَيْتَ الهَجْرَ وهْوَ يُغَازِلُهْ

قوله : « الفراق معادله » معنى غير جيد ولا صحيح ؛ لأن الفراق هو مُفَارَقَةُ كلٍّ واحدٍ من الاثنين صَاحِبَه . فإذا جعل الفراق ماضياً مع أحدهما ، وأخلى الآخر منه كان الآخر غير مفارق . وهذا محال . وإنما أوقع أبا تمام فيه أنه جعل الفراق كأنه شخص مُسَلَّطٌ على المحبوب ، استولى عليه فذهب به .

وقد يستعمل مثل هذا ولكن ليس على هذا الوجه .

والاستعارة التى هى أقرب إلى الجواز قوله :

سَعِدَت غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادِ فهى طوْعُ الإِتْهامِ والإِنْجَادِ[٢]

وذلك أن النوى إنما هى : نِيَّة القوم المفارقين دون غيرهم من المقيمين .

* * *

وقال البحترى :

قَدْ بَيَّنَ البَيْنُ المُفَرِّقُ بَيْنَنَا عِشْقَ النَّوَى لِرَبِيبِ ذَاكَ الرَّبْرَبِ[٣]

فنسب العشق إلى النوى على سبيل الاستعارة .

وقال البحترى وهو حسن :

نَوَيْنَ النَّوَى ، ثُمَّ اسْتَجَبْنَ لِهَاتِفٍ مِنَ البَيْنِ نَادَى بالفِرَاقِ فأَسْمَعَا[٤]

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٣٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢٣
(٢) ديوانه ٧٥ وشرح التبريزى ١ / ٣٥٨
(٣) سبق ص ٣٤
(٤) ديوان البحترى ٢ ، ٧٠٢ / ١٢٦٣

وحَاوَلْنَ كِتْمانَ التَّرحُّلِ بالدُّجَى فَبَاحَ بِهِنَّ المِسْكُ لَمَّا تَضَوَّعَا[١]

وأردأ من قول أبي تمام : « والفراق معاداه » ، وأقبح وأسخف ـ قول أبي تمام :

أَتُرَى الفِرَاقَ يَظُنُّ أَنِّى غَافِلٌ عَنْـهُ وقد لَمَستْ يَدَاهُ لَمِيسَا[٢]

ما زلت أسمع الشيوخ من أصحاب أبي تمام المتعصبين[٣] له دون من سواهم يقولون : أتراه أى شيء أراد أن يصنع بالفراق : يقطع يديه أو رجليه ، أو يصلبه على جذع ؟

* * *

وقال أبو تمام :

لا أَظْلِمُ النَّأْىَ ،قَدْ كَانَتْ خَلاَئِقُها مِنْ قَبْلِ وَشْكِ النَّوَى عِنْدِى نَوًى قُذُفَا[٤]

وهذا معنى جيد حسن .

والقُذُفُ : البعيدة .

وقال أيضاً :

دَعِ الفِرَاقَ فإِنَّ الدَّهرَ سَاعَدَهُ فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِى بِجُثْمَانى[٥]

وهذا فى جملة أبياته المشهورة التى لهج الناس بها وهى :

ما اليومُ أَوَّلَ توديعى ولا الثانِى البَيْنُ أَكثرُ مِنْ شَوقِى وأَحْزَانِى ][٦]

---

(١) فى الديوان : « حين تضوعا »

(٢) ديوان أبي تمام ١٥٧ وفى شرح التبريزى ٢ / ٢٦٣ « أى تناولتها يد الفراق . يقول : لا أزال أطلب ثأرى عنده حتى أدركه »

(٣) م « المعميين » والتصويب من ق

(٤) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٦١

(٥) ديوانه ٣٢٣ وشرح التبريزى ٣ / ٣٠٨

(٦) الزيادة من ق

خليفةَ الخِضْرِ مَنْ يَرْبعْ على وَطنٍ  في بلدةٍ فَظُهورُ العِيسِ أوطانِي[١]
بالشام قومي ، وبَغْدادُ الهوَى ، وأَنَا  بالرَّقَّتَيْنِ ، وبالفُسْطَاطِ إخْوَانِي[٢]
وما أُظُنُّ النَّوى تَرْضَى بِمَا صَنَعَتْ  حَتَّى تبلّغ بي أَقْصَى خُرَاسَانِ[٣]

قوله : «البَيْنُ أكثر من شَوْقي وأحزاني» أي زاد عليها ، وغَلَبَها حتى صرت لا أشتاق ، ولا أحزن ؛ لكثرة ما أُفارِق .

(١) في شرح التبريزي «الوجه أن ترفع خليفة على تقدير : أنا خليفة الخضر ؛ لأن طائفة من المسلمين يزعمون أن الخضر حي لم يمت ، وأنه يطوف البلاد . والمعنى أني أسير في البلاد على ظهور العيس ، وكأني خليفة الخضر ، أي على سفر طول الدهر »

(٢) يروى : « بالشام أهلي »

(٣) يروى: « حتى تطوح بي » و « تسافر بي » و « تشافه بي »

# ذكر الأنفاس والحرق والزفرات عند الفراق

قال أبو تمام :

فَلَوْ تَرَانَا وإيَّاهُمْ ومَـوْقِفَنَا فى مَأْتَم البَيْنِ لاِسْتِهْلاَلِنَا زَجَلُ(١)
مِنْ حُرْقَةٍ أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ أَسَرَتْ قَلْباً ، ومِنْ عَذَلٍ فى نَحْرِهِ غَزَلُ(٢)

قوله : « أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ » يعنى أبرزَتْهَا وأظهرتها . وإنما قال : « أطلقتها » من أجل قوله : « أسرت قلباً » ؛ ليطابق بين الإطلاق والإسار .

وقوله : « أسرت قلباً » يعنى الفرقة – معنى ردىء ؛ لأن القلب إنما يأسره ويملكه شدَّة الحب لا الفراق . فإن لم يك مأسورًا قبل الفراق فما كان هناك حبٌّ . فلم خص التوديع(٣) ؟ وما كان وجه هذا البكاء والاستهلال والزجل ، وهذه القصة الفظيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم ؟

وقد ذكرت هذا مشروحاً فى باب أغاليطه(٤)

* * *

وقال أبو تمام :

أَمَرَ التَّجَلُّدَ بالتَّلَدُّدِ حُرْقَةٌ أَمَرَتْ جُمُودَ دُمُوعه بِسُجُوم(٥)

(١) ديوان أبى تمام ٢٢٧ وشرح التبريزى ٣ / ٦

(٢) ويروى « ومن غزل فى نحره عذل » أى لو رأيتنا ونحن نبكى لاستهلالنا زجل من حرقة أطلقتها فرقة ذهبت بقلبى ، ومن عشق فى نحره لوم يقاتله ويحاربه . ويقال : إنه أراد بنحره : بإزائه .

(٣) م « للتوديع »

(٤) راجع ص ٢١٢ من الجزء الأول

(٥) ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزى ٣ / ١٦١

قوله : «أمر التجلد بالتلدد حرقةٌ». جعل الحرقة آمرةً للتجلد بالتَّلَدُّد. والحرقة التى يكون معها التَّلَدُّدُ تسقط التَّجَلُّدَ ألبتة ، وتذهب به . وأما أن تجعله متلدِّدًا فإن هذا من أحمق المعانى ، وأولاها بالاستحالة . بلى لو قال : إن الفرقة أحالت التجلُّدَ إلى التَّلدّد ، أو أبدلت من التجلُّد التلدد لكان ذلك هو السائغ الحسن .

وأى لفظ أسخف أيضاً من أن جعل الحرقة آمرةً . وإنما العادة فى مثل هذا أن تكون باعثة ، أو جَالِبَة ، أو نحو هذا . فأما الأَمر فليس هذا موضعه .

* * *

وقال أيضاً :

ومِنْ زَفْرَةٍ تُعْطِى الصَّبَابَةَ حَقَّهـــا وتُورِى زِنَادَ الشَّوْقِ تحتَ الحَشَا الصَّلْدِ[1]

قوله : «مِنْ زَفْرَةٍ تُعْطِى الصَّبَابَةَ حَقَّها» معنى جيد حسن .

ولله در البحترى إذ يقول :

باتُوا جمِيعاً ، ثمَّ فَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَيْنٌ كَتَقْوِيضِ الجَهَامِ المُقْلِعِ[2]

ووراءهم صُعَدَاءُ أنْفَـــاسٍ إذَا ذُكِرَ الفِرَاقُ أَقَمْنَ عُوجَ الأَضْلُعِ[3]

وقال أيضاً :

عَبَرَاتٌ مِلْءُ الجُفُونِ مَرَتْهَا حُرَقٌ لِلفِرَاقِ مِلْءُ الضُّلُوعِ[4]

(١) ديوان أبى تمام ١٢٧ وشرح التبريزى ٢ / ١١١

(٢) ديوان البحترى ٧٢٧ ، ٢/١٢٨٦ «كانوا جميعاً» .

(٣) م «إصعاد»

(٤) ديوان البحترى ٤٢١ ، ٢ / ١٢٧٩

ومثل قوله : «كتَقَوْيضِ الجِهَام المُقْلِعِ » ـ قولُ أبى تمام :

نَوًى كانْقِضَاضِ النَّجْمِ كانَتْ نَتِيجَةً مِنَ الهَزْلِ يَوْماً إنَّ هَزْلَ الهَوَى جِدُّ[1]

فقولهما : كتقويض الجهام ، وكانقضاض النجم ـ يُرِيدَان السّرعة .

والجَهَامُ : السحاب الذى قد أراق ماءه فهو سريع الذهاب .

فى بيت أبى تمام : لا يليق أوله بآخره ؛ لأنه قال : « كانت نتيجة من الهزل » يعنى النوى . أى كان ذكرهم للرحيل قولا عبثا فنتج ذلك أن حقَّقوا الرحيل ، وجدُّوا فيه . وهذا معنى جيد بالغ ؛ ولفظ مستقيم . ولكن أفسده بقوله : « إن هزل الهوى جد » ؛ وليس هزل الهوى وجدّه من هذا المعنى فى شيء . وإنما كان وجه الكلام أن يقول : ورب جد نتجه الهزل ، أو ورب كبير هاجه صغير .

ولولا أنَّ فى سائر النُّسخ «إن هزل الهوى» لظننته ما قال إلا « هزل النوى » لأنهم أبدًا ينغمون بالرحيل ولا يعزمون ، فيكون ذلك كالهزل ، ثم يجد الجد فيحققون ، ويرتحلون . وقد عرفنا مثل هذا مشاهدةً فى غير شيء .

* * *

وقال البحترى :

وكَمْ نَافَسُوا مِنْ حُرْقَةٍ إثْرَ فُرْقَةٍ تعجَّب من أنفاسنا وامتدادها[2]

فهذا موضع الحرقة والفرقة .

وأجود من هذا كله ما أنشدناه[3] أبو الحسن : موسى بن سليمان الهمدانى

(١) ديوان أبى تمام وشرح التبريزى ٢ / ٨١

(٢) ديوان البحترى ١٠٩ ، ٢ / ٦٥٧ دار المعارف

(٣) م « موسى أبو الحسن موسى » وهو خطأ .

عن أَبِى دُلَف : هاشِم بن محمد الخُزَاعِى ، عن ابن الأَعرابى ، وحكى عن أَبِى دُلَف قال :

دخلت على ابن الأَعرابى ، وعنده البحترى . قال : فتذاكرنا « شعر الرجل ». فقال ابن الأعرابى : ما استحسنت له شيئاً إلا قولَه :

فَلَمَّا تبيَّنْتُ المَنَازِلَ بَالحِمَى ... ولم أَقْضِ منها حَاجَةَ المُتَزَوِّدِ

زَفَرْتُ إليها زفرةً لو حَشَوْتُها ... سَرَابِيلَ أَبْدَانِ الحَدِيدِ المُسَرَّدِ

لَذَابَتْ حَوَاشِيها وظَلَّتْ بِحَرِّهَا ... تَلِينُ كما لأَنَتْ لِدَاوُدَ باليَدِ

والرجل – العَلَوِى البَصْرِى – أشعر من أَبى تمام والبحترى فى هذا الباب .

## زوال الصبر وقلة التجلد

قال أبو تمام :

أَتَظنُّنِى أَجِدُ السَّبِيلَ إلى العَـــزَا     وَجدَ الحِمَامُ إذًا إلىَّ سَبِيلاَ[١]
اَلصَّبْرُ أَجْمَلُ غير أَنَّ تَلَدُّدًا     فى الحُبِّ أَحْرَى أَنْ يكونَ جَمِيلاَ

وهذا معنى حسن .

وقد قال نحوه فى مرثية إدريس بن بدر السَّامى[٢] .

وقد كان يُدْعى لاَبِسُ الصَّبرِ حَازِماً     فأَصبح يُدْعَى حازِماً حِينَ يَجْزَعُ[٣]

أخذ الجميع من قول العُتْبِى :

أَضْحَتْ بِخَدِّى للدُّمُوع رُسُومُ     أسفاً عليك ، وفى الفؤادِ كُلُومُ
والصَّبْرُ يُحْمَدُ فى المواطن كلِّها     إلا عليك فإِنَّه مَذْمُومُ[٤]

وقال أبو تمام :

وما أَحَدٌ طَارَ الفِرَاقُ بِقَلْبِهِ     بِجَلْدٍ ولكنَّ الفِرَاقَ هُوَ الجَلْدُ[٥]

وهذا معنى سخيف جدًّا .

ولكن قد أحسن ، وألطف ، وأجاد فى قوله حين قال :

يُصَبِّرُنى أَنْ ضِقْتُ ذَرْعاً بِحُبِّهِ     ويَجْزَعُ أَنْ ضَاقَتْ عليه خَلاَخِلُهْ[٦]

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٤٢ وشرح التبريزى ٣ / ٦٦

(٢) م « البيبابى » !

(٣) ديوانه ٣٧٣ وشرح التبريزى ٣ / ٩٤

(٤) الوساطة ٢٩٠

(٥) ديوان أبى تمام ١٢٠ ، وانظر شرح التبريزى ٢ / ٨٢ وهامشه

(٦) ديوانه ٢٣٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢٤ « ذرعا بنأيه » ويروى : « يعنفنى أن »

وقال أيضاً :

رَحَلَ العَزَاءُ مَعَ الرَّحيلِ كأنَّما أَخِذَتْ عُهُـودُهُمَا عَلَى مِيعَادِ[١]
وَكأنَّ أفئدَةَ النَّوَى مَصْدُوعَـةٌ حتَّى تَصَدَّعَ بالفراق فُؤادِى

و « أفئدة النوى مصدوعة » يشبه قوله :

وكَمْ أَبْرَزَتْ مِنْكُمْ على قُبْحِ خَدِّها صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ القَدِّ[٢]

وما أظن أحدًا انتهى فى الجهل ، والعِىِّ ، واللُّكْنَة ، وضيق الحيلة فى الاستعارة إلى أن جعل لِصُروفِ النوى قدًّا ، وأفئدةً مَصْدُوعَةً – غير أبى تمام .

* * *

وقال البحترى :

ويَأْمُرنى بالصَّبْرِ مَنْ لَيْسَ وَجْدُهُ كَوَجْدِى ، ولا إعْلانُ حَالِى كَحَالِهِ[٣]
فإنْ أَفْقِدِ العَيْشَ الذى فَاتَ باللِّوَى فَقِدْماً فَقَدْتُ الظِّلَّ عِنْدَ انْتِقَالِهِ

وهذا ، لعمر الله ، لفظ ومعنى فى غاية الحسن والبراعة .

ومثله قول أبى الشِّيص :

يُصَبِّرُنى قَومٌ بَرَاءٌ مِنَ الهَوَى ولَلصَّبْرُ تَاراتٍ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ

* * *

وقال أبو تمام :

تَحَمَّلَ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحَمَّلُوا وعَادَتْ صَبَاهُ فى الصَّبَا وهى شَمْأَلُ[٤]
بِيوْم كَطُولِ الدَّهْرِ فى عَرْضِ مِثْلِهِ ووَجْدِىَ مِنْ هَذَا وهَذَاكَ أَطْوَلُ

---

(١) ديوان أبى تمام ١٣٣ وشرح التبريزى ٢ / ١٢٧
(٢) ديوانه ١٢٧ وشرح التبريزى ٢ / ١١٠
(٣) ديوان البحترى ٣ / ١٦٢٣
(٤) ديوان أبى تمام ٢٤٤ وشرح التبريزى ٣ / ٧٢

جعل الصَّبَا شَمالا ؛ لأَن الشَّمال تُفرِّق . وقد تقدم ذكر هذا فى الابتداآت(١) .

ثم انظر إلى هذا السخف : كيف جعل للدهر عرضاً على هذا اللفظ الذى كأنه به يمسح أرضاً ، أو يَنْزَعُ ثوْباً .

* * *

وقال أبو تمام أيضاً :

لَمْ يُعْطِ نَازِلَةَ الهَوَى حَـقَّ الهَوَى ... دَنِفٌ أَطَافَ بِهِ الهَوَى فتَجلَّدَا(٢)
صَبٌّ تَوَاعَدَتِ الهُمُومُ فُؤَادَهُ ... إنْ أَنْتُمُ أَخْلَفْتُمُوهُ مَوْعِدَا
لِمْ تُنْكِرِينَ مَعَ الفِرَاقِ تَلَدُّدِى ... وَبَراعَـةُ المُشْتَاقِ أَنْ يَتبَلَّدَا(٣)

وهذا المعنى مأْخوذ من قول قَيْس بن ذَرِيح :

بَلِيغٌ إذَا يَشْكُو إلَى غَيْرِها الهَوَى ... فإِنْ هُوَ لاَقَاهَا فَغَيْرُ بَليغِ

* * *

وقال البحترى :

هَلْ أَنْتَ مُصْطَبِرٌ عَلَى مَضَضِ الأَسَى ... إذْ كانَ بَيْنَهُم ورِحْلَتُهمْ غَدَا(٤)
لاَ تَكْذِبَنَّ ؛ فما أَمَارَاتُ النَّوَى ... للصَّبِّ إلا مِنْ أَمَاراتِ الرَّدَى
لُوْمٌ بعينى أَنْ يُلائِمها الكَرَى ... عَنْ سلْوَةٍ ، وبِمَائِها أَنْ يَجْمُدَا

قد أَتى هذا البيت الأَخير على غرض أَبى تمام فى بيته الأَوّل .

وأَبو تمام فى أَبياته ـ مع مافيها من السَّرق(٥) ـ أَشعر من البحترى فى أَبياته .

---

(١) راجع ص ١٨٧ من الجزء الأول

(٢) ديوان أبى تمام ١٢٥ وشرح التبريزى ٢ / ١٠٢

(٣) ق ٢ م وفى الديوان وشرحه « تبلدى »

(٤) هذه الأبيات لا توجد فى جميع طبعات ديوان البحترى

(٥) م « الشرق » !

## ما قالا فى قتل الفراق للمفارق وسفك دمه

قال أبو تمام :

قَالُوا :الرَّحِيلُ غدًا لاَشَكَّ قُلْتُ لَهُمْ ... الآنَ أَيْقَنْتُ أَنَّ [ اَسَم ] الحِمَامِ غَدُ[(١)]
كَمْ مِنْ دَمٍ يُعْجِزُ الجَيْشَ الْلُّهَامَ إِذَا ... بَانُوا سَتَحْكُمُ فِيهِ العِرْمِسُ الأُجُدُ[(٢)]
مَا لِامْرِئٍ خَاضَ فى بَحْرِ الهَوَى عُمُرٌ ... إِلَّا ولِلْبَيْنِ مِنْه السَّهْلُ والجَلَدُ
كَأَنَّما البَيْنُ فى إِلْحَاحِهِ أَبَدًا ... على النُّفُوسِ أَخٌ للموتِ أَوْ وَلَدُ

الْلُّهَامُ : الذى يلتهم كل شيء لكثرته . والعِرْمِسُ : الناقة الشديدة . وكذلك الأُجُدُ : هى المُوَثَّقَةُ[(٣)] الخَلْق .

ولم يك هذا عندى وجه الكلام ، بل كان وجهه لما قال : الجيش الْلُّهام أن يقول : النَّابُ الضَّعيفة ، فيهوِّن أمرَهَا ، لا النَّاقَةُ الأُجُدُ ؛ لأَنَّ النَّابَ قد يقطع بها السفر البعيد كما قال[(٤)] :

* وقَدْ تَقْطَعُ الدَّوِّيَّةَ النَّابُ *

وقوله : « مالامرى خَاضَ فى بحر الهوى عُمُرٌ » قد أساء فيه إساءة ذكرتها فيما ذكرت من أغاليطه[(٥)] .

---

(١) ديوان أبى تمام ٩٧ وشرح التبريزى ٢ / ١٠

(٢) قال التبريزى : « والمعنى أن الجيش كان يعجز عن قتل هذا المحب ،فقتلته العرمس ، لأنها حملت محبوبه .

(٣) م « هى الموفقة » وهو تحريف

(٤) م « كما قال : بيت شعر ناب وقد » .

(٥) راجع ص ٢١٤ من الجزء الأول

وقال أبو تمام :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ المَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ ... إلا الفراقَ علَى النُّفُوسِ سَبِيلاَ[١]
قالُوا : الرَّحِيلُ فَمَا شَكَكْتُ بِأَنَّها ... نَفْسِى عَنِ الدُّنيا تُرِيدُ رَحِيـلاَ
إِنِّى تـأَمَّلْتُ النَّوَى فَوَجَدْتُها ... سَيْفاً علَىَّ مَعَ العِدَا مَسْلُولاَ

قد عابه ابن عمار وغيره فى قوله : « إنى تـأملت النوى » . وقالوا : مثل هذا الأمر الفظيع الذى مكروهه أبدًا مَصْبُوبٌ على الخَلْق لا تعلم البلِيَّةُ فيه إلا بعد التـأمل . وهذا إنكار صحيح . وليس هذا كقول البحترى :

ولقد تـأَمَّلْتُ الْفِراقَ فلم أَجِـدْ ... يومَ الفراق على امرئٍ بطويلِ[٢]

لأن مثل هذا يوجبه التـأمل . وقد فَسَّرَه البحترى ، وذكر علَّته ، وكأنه رد لقول أبى تمام : « يوم الفراق لقد خلقت طويلا » .

وقد ذكرت ذلك مشروحاً فى باب الابتداآت من هذا الباب[٣] .

* * *

وقال أبو تمام :

أَظَلَّهُ البَينُ حتَّى إنَّه رَجلٌ ... لوْ ماتَ مِن شُغْلِهِ بالبَيْنِ مَاعَلِمَا[٤]

أخذ المعنى من قول أبى الشِّيص :

فَكَم مِن ميتة قد مِتُّ فيها ... ولكِنْ كانَ ذَاكَ ومَا شَعَرْتُ

(١) ق « لو جاز » وفى الديوان ٢٤٢ وشرح التبريزى ٣ / ٦٦ « النفوس دليلا »
(٢) ديوانه ٦١٠
(٣) راجع ص ١٤
(٤) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزى ٣ / ١٦٦ « أى حتى لو نزعت روحه من جسده لم يعلم به ، شغلا منه بأمر البين »

وبيت أبي تمام أجود . وقوله : «وما شعرت » لفظ سخيف .

وقال أبو تمام أيضاً :

طُلَّتْ دِمَاءٌ هُرِيقَتْ عِنْدَهُنَّ كَمَا طُلَّتْ دِمَاءُ هَدَايَا مَكَّةَ الهَمَلُ[1]

هَانَتْ على كلِّ شيء فَهْوَ يَسفِكُها حتَّى المَنَازِلُ ، والأَحدَاجُ ، والإِبِلُ

الهَمَلُ : وصف لقوله : «دماءُ هدايا مكة » من هَمَلَ يهْمل ، والمصدر هو الهُمُول . والهمل – ساكنة الميم – فحرَّكها .

وقوله :

هانت على كل شيء فهو يسفكها حتى المنازل ، والأحداج والإبل[2]

– رديءٌ جدًّا ؛ لأنه إذا لم يسفك دماء العاشقين – المنازلُ إذا خلت من أهلها ، والإبل إذا سارت بهم[3] ؛ فأَيّ شيء يسفكها ؟ وهل شيء عند المحبين أعظم من فراق الأحباب حتى يجعل أسباب فراقهم من أهون الأشياء وأقلها في سفك دماهم ؟

* * *

وقد قال البحتري :

وقَتْلُ المُحِبِّينَ العيونُ ولم أَكُنْ أَظنُّ الرسومَ الدَّارِسَاتِ قَوَاتِلاَ[4]

فأَحسن ، وأجاد وملح ، ولم يُفْصِح بتخسيس أمرِ الرسوم .

* * *

(١) ديوان أبي تمام ٢٢٧ وشرح التبريزي ٣ / ٨

(٢) ق ، م « والهمل » !

(٣) م « لهم »

(٤) ديوان البحتري ٧٠٩ ، ٣ / ١٦٠٣ وسبق في الجزء الأول ص ٤٨٩ .

وقال أبو تمام :

ضَعُفَتْ جَوَانِحُ مَن أَذَاقَتْهُ النَّوى     طَعْمَ الفِرَاقِ فَذَمَّ طَعْمَ العَلْقَمِ[١]
هِيَ مِيتَةٌ إلاَّ سَلاَمَةَ أَهلِهَــا     مِنْ خَلَّتَينِ : مِنَ الثَّرَى والمَأْتَمِ[٢]

قوله : « ضعفت » دعاء عليها ، أى أضعف الله جوانح من أذاقته النوى طعم الفراق فذم طعم العلقم .

والجَوَانحُ : هى الأَضلاع الصّغار فى الصدر ، التى تلى الفؤاد . الواحدة جانحة . فكأنه يدعو عليها بأَن تَضْعُفَ عن حمل حرارة التهَوّق ، وحرق الفراق[٣] إن كان صاحبها قد ذاق طعم الفراق ، وعلم مرارته فذَمَّ طعمَ العلْقَم. و « ضَعُفَتْ » كلام ضعيف فى هذا الغرض جدًّا ، « وأضعف الله » لو كان استوى له أن يقولها ـ أحسنُ ، وأبلغ من ضَعُفَت .

وعلى أنه كلام لا يشبه بعضه بعضاً ، و « حواس » ههنا أحسن وأليق ، وأشبه من « جوانح » ؛ لأنه ذكر الطعم فكانت الحواس مع الطعم لفظاً يُشْبِه لفظاً ، ومعنى يُشْبِه معنى . أو كان يقول لو استوى نظمه : « ضعفت جوانح من أحرقت نار الهوى جوانحه فَذَمَّ حرارة النار ، أو فوجد للنار حرارة » .

ومنهم من يجعل « ضعفت » خبرًا . أى لقد ضعفت جوانح من ذاق

(١) ديوان أبى تمام ٣١٢ وشرح التبريزى ٣ / ٢٤٩ « والمعنى أن الذى يذوق طعم الفراق ثم يذم طعم العلقم فقد ضعفت جوارحه ؛ لأنه لا يفرق بين الأشياء ، أى أن الفراق أشد مرارة من العلقم . ويقع فى بعض النسخ " ضعفت جوانح " والصواب " جوارح " والتفسير يدل عليه » !

(٢) فى شرح التبريزى « هى ميتة ، يعنى مرارة الفراق ، إلا أن أهلها يسلمون من الدفن الذى يباشرون فيه الثرى ، ولا يقام عليهم المأتم ، أى على الأموات » .

(٣) م « الفواق » !

طعم الفراق فذمّ طعم العلقم . وليس بشيء . وأظنه لو استوى له ذكر «الحواس» فى البيت لما عدل عنه .

وليس هذا البيت من الباب الذى نحن فيه ، وإنما أوردته لأصل به البيت الذى بعده . وكلاهما ردىء .

* * *

وقال أبو تمام :

المـوتُ عِنْدِى والفِرا ... قُ كِلاَهُمَا مَا لاَ يُطَاقُ[1]
يَتَعَاوَنَانِ على النُّفُو ... سِ فَذَا الحِمَامُ ، وذَا السِّيَاقُ
لو لم يكن هَـذَا كَذَا ... ما قيل : مَوتٌ أو فِرَاقُ

وهذه أبياته المشهورة المتداولة فى الفراق .

ذكر «أبو الحسن : على بن يحيى المُنَجِّم» أنه أخذ هذا المعنى من قول النَّمَرِى[2] :

إنَّ المَنِيَّةَ والفِرَاقَ لَوَاحِدٌ ... أو تَوْأَمَانِ تَرَاضَعَا بِلِبَـانِ

وليس هو عندى من دقيق المعانى التى يُتَّهَمُ آخِرٌ أنه أخذها من أوّل .

* * *

ومما غَرِىَ الناسُ به من شعر أبى تمام فى هذا المعنى قولُه :

البَينُ جَرَّعَنِى نَقِيعَ الحَنْظَلِ ... البَينُ أَثْكَلَنِى وإنْ لَم أُثكَلِ[3]
مَا حَسْرَتِى أَنْ كِدتُ أَقْضِى إنما ... حَسَرَاتُ نَفْسِى أَنَّنِى لَم أَفْعَلِ

(١) ديوان أبى تمام ٤٥٣ وشرح التبريزى ٤/٢٤٠

(٢) ق «قول البحترى» ! !

(٣) ديوان أبى تمام ٤٥٧ «حسرات قلبى» وفى شرح التبريزى ٤/٢٥٣ كما هنا

قوله : «أَثْكَلنى» أى أثكلنى من هويت، بمفارقته إيَّاى، وإن لم أُثْكَل على الحقيقة بموته . ويكون أثكلنى أى أثكلنى أهلى ، أى جعلنى قد ثَكِلُونى وإن لم أثكَل على الحقيقة [وهذا سائغ][1] ؛ لأنه أراد قتل الحُب الذى ليس بإتْيَانِ على النَّفْس .

وقوله : «ما حَسْرَتى أنْ كِدتُ أَقْضِى» . أى أهلك ، وأتلف ، «وإنما حسرات نفسى أننى لم أفعل» ، أى لم أقْض وأتلف . وهذا لفظ ومعنى فى غاية الضعف والاختلال والرداءة[2] .

ثم وصل هذا القول بالمعنى الذى كان يَفْتَخِرُ به ، وهو قولُه :

نَقِّل فُؤادَكَ حَيثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى ... ما الحبُّ إلاَّ للحبِيب الأَوَّل[3]

كَم مَنْزِلٍ فى الأَرضِ يَأْلَفُه الفتَى ... وحَنِينُهُ أبَدًا لأَوَّلِ مَنْزِلِ

وكان أبو تمام يقول : أنا ابن قولى : نقل . . . ويذكر البيت[4] ، كما كان أبو نواس يقول : أنا ابن[5] قولى :

إذا امْتَحَن الدُّنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَن عَدُوٍّ فى ثِيابِ صَدِيقِ[6]

وكما كان مُسلم بن الوَلِيد يقول : أنا ابن قولى :

تَجُودُ بالنَّفْسِ إذْ ضَنَّ الجَوَادُ بِهَا ... والجودُ بالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الجُودِ[7]

---

(١) الزيادة من ق

(٢) كذلك فى ق وفى م «والرذالة»

(٣) ديوان أبى تمام ٤٥٧ وشرح التبريزى ٢٥٣/٤

(٤) راجع الخبر فى أخبار أبى تمام ٢٦٣ والأغانى ١٧ / ١٤٦

(٥) م «أنا ان» !

(٦) ديوان أبى نواس ١٩٢

(٧) ديوان مسلم بن الوليد ١٣٢

وكما كان دِعْبل يقول : أنا ابن قولى :

لا تَعْجبى يا سَلْم مِن رَجُلٍ　　ضَحِكَ المَشِيبُ بِرأْسِهِ فَبَكَى[١]

* * *

وقال البحترى :

أَمَا وفُتُورِ لَحْظِكِ يومَ أَبْقَى　　تَقَلُّبُهُ فُتُورًا فى عِظَامِى[٢]

لقد كلَّفْتِنِى كَلَفــاً أُعَنَّى　　به وشَغَلْتِنِى عمَّــا أَمَامِى

سيَقْتُلُ فى المَسِيرِ إذَا رَحَلْنَا　　عَلِيلٌ كان يَمْرَضُ فى المَقَامِ

وحسبك بهذا حلاوة وحسناً .

ومما أبرَّ[٣] فيه على إحسان كلِّ مُحْسِن قولُه :

أَيَا سَكَناً فَاتَ الفِراقُ بأُنْسِهِ　　وحَالَ التَّعَادِى دُونَهُ والتَّزَيُّلُ[٤]

بِكُرهِى رِضا العُذَّالِ عنِّى وإنَّهُ　　مَضَى زَمَنٌ كُنْتُ فيه أُعَذَّلُ[٥]

فَلَا تَعْجَبَا إن لم يَغُلْ جِسْمِيَ الضَّنَى　　ولَم يَخْتَرِم نَفْسِى الحِمَامُ المُعَجَّلُ

فَمِنْ قَبْلُ بَانَ الفَتْح عنِّى مُوَدِّعاً　　وفَارَقَنِى شَفْعاً لَهُ المُتَوَكِّلُ[٦]

---

(١) أمالى المرتضى ١ / ٤٣٧ وفى الأغانى ١٧ / ١٤٦ أن محمد بن وهيب لما سمع أقوال هؤلا الشعراء قال : وأنا ابن قولى :

مــا لمــن تمت محاسنــه　　أن يعادى طــرف من رمقا

لك أن تبــدى لنا حسنــا　　ولنــا أن نعمل الحــدقا

(٢) ديوان البحترى ٣٤٩ ، ٣ / ٢٠٣٠ « أبقى تصرفه »

(٣) م « أبث » والتصويب من ق

(٤) ديوان البحترى ٥٢٩ ، ٣ / ١٨٩٢ وفى ق « أيا ساكناً »

(٥) فى الديوان « فكرهى » !

(٦) فى الديوان « فقبلك بان »

فما بلغَ الدَّمعُ الذى كُنْتُ أَرْتَجِى ... ولا فعل الوَجدُ الذى خِلْتُ يَفْعَلُ

وماكُلُّ نِيْرَانِ الجَوَى تحرقُ الحَشَا ... ولا كلُّ أَدْوَاء الصَّبَابَةِ تَقْتُلُ

وقد كان قوم من الرواة يقولون : أَجود الشعر أَكذبه . ولا والله ، ما أَجوَدُهُ إِلا أَصْدَقُه ، إِذا كان له من يُلَخِّصُه هذا التَّلْخِيص، ويُوردُه هذا الإِيرَادَ على حقيقة الباب[1].

---

(١) م « حقيقة لكن ما قالاه » ! والتصويب من ق

## ما قالاه فى الغزل من أوصاف النساء

## ونعوتهن ، وشدة الشوق ، والتذكر ، والوجد ، والغرام

* * *

وأفتتح هذا الباب بما جاء عنهما من الابتداآت فى هذه المعانى ، وأبوبها أبواباً ؛ لتصحّ الموازنة بينهما .

### ذكر ابتدا آتهما بتشبيه النساء بالظباء والبقر

قال أبو تمام :

نَوَارُ فى صَواحِبِهَا نَوَارُ كَمَا فَاجَاكَ سِرْبٌ أو صِوَارُ[1]

«نوار» اسم امرأة . «فى صواحبها نوار» أى نفور ، أى هى نفور فى صواحبها ، أى مع صواحبها ، فجعلهن جميعاً نوافر .

«كما فاجاك سرب أو صوار» . فالسِّرْبُ : الجماعة من الظباء ههنا ، والصِّوَارُ : الجماعة من بقر الوحش . أى فيها وفى صواحبها نِفَارٌ كما تفاجئك الظباء والبقر فتراهن نوافر عنك .

وإنما ذكر الظباء والبقر جميعاً لأن النساء يُشَبَّهْنَ بهن فى حسن عيونهن و [فى] قد تكون بمعنى مع . قال الجَعْدِى :

وَلَوْحُ ذِرَاعَيْنِ فى بِرْكَةٍ إِلَى جُؤْجُؤٍ رَهِلِ المَنْكِبِ[2]

أى مع بركة .

---

(١) ديوان أبى تمام ١٤٠ وشرح التبريزى ٢ / ١٥٢

(٢) اللوح : العظم العريض . والبركة: البروك . والجؤجؤ : الصدر . والرهل : المسترخى . وإنما أراد أن جلد صدره واسع غير ضيق ، فنكبه يموج ويتقلب، وذلك مستحب فى الفرس. راجع أبيات المعانى ١ / ١٣٧ والاقتضاب ٤٥٣ ، وديوان الجعدى ١٨

وصدر هذا البيت ليس بجيد .

وقال :

مَهَاةُ النَّقَا لَولاَ الشَّوَى والمآبِضُ     وإنْ مَحَضَ الإعْرَاضَ لى منكِ مَاحِضُ[١]

الشَّوَى : يريد القوائم ، والمآبِضُ : الأَرْفَاغُ[٢] ، والمَهَاةُ : البقر .

يقول : أنت مهاة النقا لولا قوائمها فإنها ليست كقوائمك ، وكذلك المآبض .

وفى البقر أشياء أُخَر ليست فى الناس منها القرون ، والأَذْناب وسائر خلقها ، وما هناك من الشبه غير العيون [و] إذا مشى النساء شُبِّهْنَ بالبقر . فلم يمكنه أن يقول : مهاة النَّقَا لولا الشَّوَى ، والمآبِض ، والأَظْلاَف ، والقُرُون ، والشعر ، والجلد ، وغير ذلك مما ليس فى الإنسان .

وإذا اقتصر الإنسان على بعض هذه الأشياء أَجْزَأَته ، وإنما أَخْطَرَ أبو تمام بِبَالِهِ قولَ الشاعر :

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاها ، وجِيدُكِ جِيدُها     سِوَى أَنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْكِ دَقِيقُ[٣]

فلذلك قال : الشَّوَى .

وقوله : « والمآبِضُ » عِيٌّ منه ولُكْنَة ، وأراد القافية .

وقوله : « وإنْ مَحَضَ الإعْرَاض لى منك مَاحِضُ » . أى أنا أجعلك كمهاة النَّقَا ، وأُشَبِّهُك بها وإن أَعرضْت عنِّى . وهو معنى ضعيف جدًّا .

---

(١) ديوان أبى تمام ١٨٣ وشرح التبريزى ٢ / ٢٩٤

(٢) اللسان ١٠ / ٣١١ وفى م ، ق « الأرقاع »

(٣) اللسان ٧ / ٢٣٣

وقد يجوز أن يكون أراد : لولا[1] الشَّوَى والمآبِضُ وأنْ مَحضَ الإعراض لى منك ماحض – بفتح أن – أى لولا أن محض الإعراض لى منك ما حض ، يريد أن مهاة النقا لا تقصده بإعراض ، ولا غير إعراض . وهذا أيضاً معنى ضعيف .

* * *

وقال البحترى :

دَنَا السِّرْبُ إلَّا أنَّ هَجْرًا يُبَاعِدُهْ     ولَاحَتْ لَنَا أفْرَادُهُ وفَــرَائِدُهْ[2]

والسربُ : القطيع من الظباء ، والنساء ، والقطا . وهو ههنا : النساء .

وقوله : « لَاحَتْ لنا أَفْرادُه » أى أفراده فى الحسن ، جمع فَرْد .

وفَرَائِدُهُ : درره ، جمع فريدة ، وهى الدرة . يريد نساء مفردات فى الحسن ونساءً كفرائدِ الدُّرَر .

وبعضهم يجعل الفرائد ههنا : الثُّغُور .

* * *

وقال أيضاً :

عَارَضْنَنَا أُصُلاً ، فَقُلْنَا : الرَّبْرَبُ     حتَّى أضاءَ الأُقْحُوَانُ الأَشْنَبُ[3]

الرَّبْرَبُ : القطيع من بقر الوحش . أى فَحسبنا هُنَّ من البقر ، لشبههن بهن من جهة عيونهن .

« حتى أَضَاءَ الأُقْحُوَانُ الأَشْنَبُ » يريد ثُغُورَهُنَّ ، أى لمّا ابتسمن علمنا أن لَسْنَ بالبقر ، لأن البقر لا يبسمن ، ولا يبدو لَهُنَّ سِنٌّ إلا عند التَّثاؤُب ، أو الرُّغى .

---

(١) م « أراد أولا بالشوى » !

(٢) ديوان البحترى ٤٣٣ ، ١ / ٥٨٢ دار المعارف وفى م « وما السرب »

(٣) ديوان البحترى ٦٨١ ، ١/ ٧١ وفى م « عارضنا »

ونَوْرُ الأُقْحُوَان من أَشبه شيء بالثَّغر . والأَشْنَبُ : البَارِد .

وهذا الابتداء أَجود من جميع ما مضى .

* * *

وقد تصرف «البحترى» فى الابتداآت بهذا المعنى تصرفاً حسناً فقال[١] :

إنَّ الظِّبَاءَ غَدَاةَ سَفْحِ مُحَجَّرٍ هَيَّجْنَ حَرَّ جَوًى ، وفَرْطَ تَذَكُّرِ[٢]

وقال :

هَلْ فِيكُمُ مِنْ وَاقِفٍ مُتَفَرِّسِ يُعْدِى عَلَى نَظَرِ الظباءِ الأُنَّسِ[٣]

وقال :

يَشُوقُكَ تَخْوِيدُ الجِمَالِ الْقَنَاعِسِ بِأَمْثَالِ غِزْلاَنِ الصَّرِيمِ الكَوَانِسِ[٤]

وقال :

مَا لِذَا الرِّيمِ لَا يُرَامُ اقْتِنَاصُهْ وَهْوَ لِلْقُرْبِ بَيِّنٌ إِفْرَاصُهْ[٥]

وقال :

تَــوَهَّمَ لَيْلَى وأَظْعَــانَهَا ظِبَاءَ الصَّرِيم وغِزْلاَنَهَا[٦]

وقال :

عِنْـــدَ ظباءِ الرَّمْلِ أَوْعِينِه قَلْبٌ مَشوق القَلْبِ مَحْزُونِهِ[٧]

---

(١) م «فقال البحترى» !

(٢) ديوان البحترى ٣١ ، ٢ / ١٠٣٩

(٣) ديوانه ١٥٧ ، ٢/١٢٥٠

(٤) ديوانه ١٥ ، ٢/١١٢٣ وفيه «توخيد» والتخويد : الإسراع . والقناعس : جمع قنعاس، وهو الجمل الضخم العظيم .

(٥) ديوانه ٥١٢ ، ٢ / ١١٨٧ «ما لذا الظبى»

(٦) ديوانه ٣٩٤ ، ٤ / ٢١٧٤

(٧) ديوانه ٤ / ٢٣٤٠

وقال :

رُنُوُّ ذَاكَ الغَزَالِ أَوْ غَيَدُهْ مُولِعُ ذى الوَجْدِ بالَّذى يَجِدُهْ(١)

وهذا كله ، من ذكر الظباء ، غاية فى حسنه ، وصحته ، وحلاوته ، على اختلاف فنونه ومعانيه .

ولست أعرف لأبى تمام غير البيتين الأَولين فى ذكر البقر .

(١) ديوان البحترى ٢ / ٧٣٥ دار المعارف ، م ، ق « دنو ذاك »

## ابتداآتهما بذكر الثغور

قال أبو تمام :

وثَنَايَاكِ إنَّهـا إغْرِيضُ وَلآلٍ تُوْمٌ ، وبَرْقٌ وَمِيضُ (١)

وهذا وصف حسن ، وزاد فى حسنه وبهجته أنه جعله يمينا حَلَفَ بها .

والإغريض : ما تنشق عنه الطَّلْعَةُ ، وهو الضَّحْكُ أيضاً .

والتُّوْمُ : حَبٌّ يعمل من الفضة يشبَّه باللؤلؤ .

وقد كان يكفيه أن يقول : [ولآل] (٢) ولكنه احتاج إلى تُوْم .

* * *

وقال البحترى :

يَضْحَكْنَ عَنْ بَرَدٍ وَنَوْرِ أَقَـاحِ وَيَشُبْنَ ظَلْمَ رُضَابِهِنَّ بِـرَاحِ (٣)

وقال أيضاً :

أَضَوْءُ بَرْقٍ بَدَا ، أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ أَمْ ٱبْتِسَامَتُها بالمَنْظَرِ الضَّاحِى (٤)

وقال أيضاً :

بِعَيْنَيْكِ ضَوْءُ الأُقْحُوَانِ المُفَلَّجِ وتَفْتِيرُ عَيْنَى فَاتِرِ اللحْظِ أَدْعَجِ (٥)

---

(١) ديوان أبى تمام ١٨١ وشرح التبريزى ٢/٢٨٧

(٢) الزيادة من ق

(٣) ديوان البحترى طبع بيروت ١ / ١٢٤ ، ١ / ٤٧٦ دار المعارف وفى م « وعن نور »

(٤) ديوانه ٥٨ « ألمع برق سرى » ، ١ / ٤٤٢

(٥) ديوانه ٦٤٤ ، ١ / ٤١٥ « وألحاظ عينى »

وقال أيضاً :

تَبَسَّمُ عَنْ وَاضِحٍ ذِى أَشَرْ　　وَتَنْظُرُ مِنْ فَاترٍ ذِى حَوَرْ[١]

شبه أبو تمام فى بَيْته الثَّغْرَ بثلاثة أشياء : بالإغريض ، ولؤلؤ التوم ، والبرق .

وشبَّهه البحترى بالبرد ، والأقاحى فى صدر البيت . وكلا الصَّدْرَيْنِ جيِّد.

ولو كان أبو تمام قال : « وجنى لؤلؤ وبرق وميض » – لفضَّلْتُ بيته . وجنى لؤلؤ : هو[٢] اللؤلؤ الرَّطْب . ولكن قوله : « ولَآلٍ تُوْم » ليس بالجيد .

* * *

فاجعلهما فى البيتين متكافئين ، وسائر أبيات البحترى فَضل .

---

(١) ديوان البحترى ٩٩ ، ٢ / ٨٤٨ دار المعارف .

(٢) م « وجنى هذا اللؤلؤ الرطب » والتصويب من ق .

## ابتداآتهما بذكر البكاء والدموع

قال أبو تمام :

لوصَحَّحَ الدَّمْعُ لى ، أَوْ نَاصَحَ الكَمَدُ       لَقَلَّمَا صَحِبَاكَ الخدّ والكبدُ[١]

وهذا بيت صالح ، وليس بالجيد ، ولم يستو له أن يقول : العين والكبد ؛ لأنهما مونثتان فكان يقول : صحبتاك ، فجعل مكان العين الخد ؛ لأنه مذكر ، ولأن كثرة البكاء توثر فيه ، وتذهب بلحمه ، وذهاب العين بالبكاء أخص من ذهاب الخد .

ولو قال : « صحباك العين والكبد » لكان ذلك سائغاً وإن كانتا مؤنثتين ؛ لأن هذا يجوز فيما ليس لتأنيثه حقيقة .

ولأبى تمام فى باب الفراق والتوديع من الابتداآت بذكر البكاء والدمع - كل شىء جيد نادر ، وقد مضى فى بابه .

* * *

وقال البحترى :

شَوْقٌ إليكَ تَفِيضُ مِنْهُ الأَدْمُـــعُ       وجَوًى عَلَيْكَ تَضِيقُ عَنْهُ الأَضْلُعُ[٢]

وهذا من مشهور أبياته فى الحسن والجودة .

---

(١) ديوان أبي تمام ٣٦٦ وشرح التبريزى ٤/٧٤ « ما صحبانى الروح والجسد »

(٢) ديوان البحترى ٣٣ ؛ ٢ / ١٣١٠ دار المعارف

وقال أيضاً :

يَكَادُ يُبْدِي لِسُعْدَى غَيْبَ مَا أَجِدُ ... تَحَدُّرٌ مِنْ دِرَاكِ الدَّمْعِ مُطَّرِدُ(١)

وهذا معنى حلو حسن .

وقال أيضاً :

لأَخِي الحُبِّ عَبْرَةٌ ما تَجِفُّ ... وغَرَامٌ يُدْوِي الحَشَا ، ويَشِفُّ(٢)

وقال أيضاً :

تَعُودُ عَوَائِدُ الدَّمْعِ المُرَاقِ ... عَلَى مَا فى الصُّدُورِ مِنَ احْتِرَاقِ(٣)

وقال أيضاً :

دُمُوعٌ عليها السَّكْبُ ضَرْبَةُ لاَزِمٍ ... تُجَدِّدُ مِنْ عَهْدِ الصِّبَا المُتَقَادِمِ(٤)

وقال أيضاً :

أَدْمُعٌ قَدْ غَرِينَ بالهَمَلاَنِ ... وفؤادٌ قد لَجَّ فى الخَفَقَانِ(٥)

وقال أيضاً :

بِعَيْنِكَ لَوْعَةُ القَلْبِ الرَّهِينِ ... وفَرْطُ تَتَابُعِ الدَّمْعِ الهَتُونِ(٦)

وقال أيضاً :

تذكَّر مَحْزُونٌ ، وأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ... وفَاضَتْ بغَزْرِ الدَّمْعِ مُقْلَتُه العَبْرَى(٧)

---

(١) ديوان البحترى ٧٧٣ ، ٢/٦٤٥ دار المعارف

(٢) ديوانه ٣٢٩ ، ٣/١٣٧٥

(٣) ديوانه ٢٠٩ ، ٣/١٥٢٥ « ما فى الضلوع »

(٤) ديوانه ٤٤٨ ، ٣ / ١٩٦٩

(٥) ديوانه ٢٧٥ ، ٤ / ٢١٩٧

(٦) ديوانه ١٣٧ ، ٤ / ٢٢٦٦

(٧) ديوانه ١ / ٥٨ دار المعارف

وقال أيضاً :

بِأَىِّ أسىً تُثْنَى الدُّمُوعُ الهَوَامِلُ ويُرْجَى زِيَالٌ مِنْ جَوًى لا يُزَايِلُ ؟[١]

وهذه كلها ابتداآت جياد . وأجود منها ، ومن كل ابتداء فى هذا الباب وغيره بذكر البكاء والدمع ـ قولُه :

قلْبٌ مَشُوقٌ عَنَاهُ البثُّ والكَمدُ ومقلةٌ تبْذُلُ الدَّمْعَ الذى تَجِدُ[٢]

وقد ذكرته فى باب الفراق[٣] ، وهذا موضعه .

(١) ديوان البحترى ٤٩٠ ، ١٧٣١/٣

(٢) ديوانه ٥٩١ ، ١ / ٤٩٥

(٣) راجع ص ٢ من هذا الجزء

## ابتداآتهما بذكر السهر وطول الليل

ولا أعرف لهما فى وسط. كلاهما من هذا الباب شيئاً يعتد بمثله كنحو ما جاء فى الشعر القديم والمحدث .

قال أبو تمام :

أَفْنَى ، ولَيْلِى لَيْسَ يَفْنَى آخِـرُهْ هَاتَا مَوَارِدُهْ فَأَيْنَ مَصَادِرُهْ ؟[1]

وهذا ابتداء حسن وكلام مُسَجْسَج[2] ، ومعنى جيد بالغ .

وقد أخذ البحترى معنى هذا الصَّدْرِ فوقع دُونَه فقال :

لَهُ الوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بِطَاءٍ أَوَاخِـرُهْ وَوَشْكِ نَوًى حَىٍّ تُزَمُّ أَبَاعِرُهْ[3]

وقد ذكرته فى ابتداآت باب الفراق[4] .

* * *

وقال البحترى :

هو الظلام فلا صُبح ، ولا شَفَقُ هل يُطلَقُ الليلُ عن عينى فأَنْطَلِقُ ؟[5]

عجز هذا البيت فى غاية الصحة والبراعة والحسن والحلاوة ، ولكن قوله : « والظلام فلا صبح » — معنى [غير] صحيح ؛ لتوقُّعِه الصبح وهو مبطئٌ متأخر فما وجه قوله : ولا شفق ؟ لأَن من كان فى الليل فإنما يتوقع الصبح ولا يتوقع الشفق . وأظنه أراد نحن فى ظلام ولسنا فى أول نهار ولا آخره .

---

(١) ديوان أبى تمام ١٥٥ وشرح التبريزى ٢ / ٢١٠

(٢) م ، ق « سجج »

(٣) ديوان البحترى ٢٥٠ « تذم » وهو تحريف

(٤) راجع ص ١٢ من هذا الجزء

(٥) ديوانه ١٤٦٩/٣ « من طرفى فأنطلق » وفى ق « عن ليلى »

وقال أيضاً :

أَبى الليلُ إلا أَنْ يَعُودَ بِطُولِهِ    علىٰ عاشقٍ نَزْرِ المَنَام قَلِيلِهِ[١]

وقال :

لَيْلِي بِذِى الأَثْلِ عَنَّانى تَطَاوُلُهُ    أَرَى بِهِ مُقْبِلاً قِرْناً أُنَازِلُهُ[٢]

وقال أيضاً :

تَرَى الليلَ يَمْضِى عُقْبَةً مِنْ هَزِيعِهِ    أَوِ الصُّبْح يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدِيعِهِ[٣]

وهذه أبيات كلها جيدة المعنى ، بارعة اللفظ ، حسنة السبك ، كثيرة الماء والرونق .

وهذا البيت الأخير أجودها وأبرعها .

وقال أيضاً :

أَيُّها العَاتِبُ الذى لَيْسَ يَرْضَى    نَمْ هَنِيئاً فَلَسْتُ أَطْعَمُ غَمْضَا[٤]

---

(١) ديوان البحترى ٤١ ، ٣/١٦٣٣

(٢) ديوانه ٧٨٩ ، ١٧٨٢/٣

(٣) ديوانه ٣٧٢ ، ٢ / ١٢٧٥

(٤) ديوانه ٢١ ، ٢ / ١٣٢

# باب آخر من الابتداآت

قال أبو تمام :

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الحيِّ ذَاهِلُ وَصَدْرُكَ مِنْهَا مُدَّةَ الدَّهْرِ آهِلُ؟(١)

قوله : « ذاهِل » . أى منصرف . يقال : ذهلت عن الشىء بمعنى انصرفت عنه . فيقول : متى أنت عنها مُنْصرِف ، وصدرك أبَدًا منها آهِل ؟ أى لا تخلو أبدًا من قلبك .

وقال البحترى :

ضَمَانٌ على عَيْنَيْكِ أَنِّىَ لا أَسْلُو وأَنَّ فُؤَادِى مِنْ جَوًى بِكِ لا يَخْلُو(٢)

فعجز هذا البيت مثل عجز [ بيت ](٣) أبى تمام . وهو أجود ؛ لتصريحه بذكر الجوى .

وصدرا البيتين(٤) متقاربان . وبيت البحترى أجود وأبرع .

وقال البحترى :

هَوَاهَا — على أَنَّ الصُدُودَ سبيلُها — مُقِيمٌ بأَكْنَافِ الحَشَا ما يَزُولُهَا(٥)

وهذا البيت أيضاً أجود من بيت أبى تمام لفظاً ومعنى .

وقال فى نحو هذا :

أَأَفَاقَ صَبٌّ مِنْ هَوى فَأُفِيقَـا أَوْ خَانَ عَهْدًا ، أَوْ أَطاعَ شَفِيقَا؟(٦)

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٥٥ وشرح التبريزى ٣ / ١١٢ « وقلبك منها »

(٢) ديوان البحترى ٥٩ ، ١٦١٥/٣

(٣) الزيادة من ق

(٤) م « وصدر البيت »

(٥) ديوان البحترى ١٧٩٩/٣

(٦) ديوان البحترى ٧٢٢ ، ١٤٥٠/٣ « أم خان . . أم أطاع » وفى ق « إذ خان »

وقال أيضاً :

أرادَ سُلوًّا عَنْ سُلَيْمَى وعَن هِنْدِ فَغَالَبَهُ غَيٌّ السَّفَاهِ على الرُّشْدِ(١)

وقال :

سِوَاىَ مُرَجِّى سَلْوَةٍ ، أوْمُرِيدُهَا إذَا وَقَدَاتُ الحُبِّ حبٍّ خُمُودُها(٢)

وهذا كله غاية فى الحسن والجودة .

وقد تصرف البحترى فى باب الوجد والغرام وشدة الحب فى ابتداآته تصرفاً حسناً . فمن ذلك قوله :

حَاشَاك مِنْ ذِكْرَى ثَنَتْهُ كَئِيبَا وصبابَةٍ ملأَتْ حَشَاهُ نُدُوبَا(٣)

وقال أيضاً :

حَقًّا أَقُولُ : لَقَدْ تَبَلْتِ فُؤَادِى وأَطَلْتِ مُدَّةَ غَيِّىَ المُتَمَــادِى(٤)

وقال أيضاً :

نَاهِيكِ مِنْ حَرَقٍ أَبِيتُ أُقَاسِى وجُرُوحِ حُب مَا لَهُنَّ أَوَاسِ(٥)

وقال أيضاً :

أَتَرَاكَ تَسْمَعُ لِلحَمَامِ الهُتَّفِ شَجْوًا يَكُونُ كَشَجْوِىَ المُسْتَطرَفِ(٦)

وقال أيضاً :

يَهُونُ عَلَيْها أَنْ أَبِيتَ مُتَيَّمَا أُعَالِجُ وَجْدًا فى الضَّمِيرِ مُكَتَّمَا(٧)

---

(١) ديوان البحترى ٢ / ٧٥٩ دار المعارف ، م « عن السفاه » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٢٩٣ ، ٥٣١/١

(٣) ديوانه ٢٥٢ ، ١ / ١٨٤ دار المعارف « من ذكر »

(٤) ديوانه ١٦٣ ، ٢ / ٧٣١

(٥) ديوانه ٣٨٥ ، ٢ / ١١٣٤

(٦) ديوانه ٦٧٥ « شجوا يؤه بشجوك المستطرف » ، ١٤١٥/٣ « كشجوك »

(٧) ديوانه ٩٣ « أعالج شوقاً » ، ٣ / ١٩٨١

وقال أيضاً :

غَرَامٌ مَا أُتِيحَ مِنَ الغَـرَام    وَشَجْوٌ لِلمُحِبِّ المُسْتَهَامِ[١]

وقال أيضاً :

أنافعٌ عند لَيْلَى فَرْطُ حُبِّيها    ولوعةٌ لِيَ أُبْدِيها وأُخْفِيها[٢]

وقال أيضاً :

قَلِيــلٌ لها أَنِّى بِهَا مُغْرَمٌ صَبٌّ    وأَنْ لَمْ يُقَارِفْ غَيْرَ وَجْدٍ بِهَا القَلْبُ[٣]

أراد : قليل لها غرامى بها وصبابتى وإن لم أهو غيرها . ولا وجه لكسر أن الثانية .

فانظر إلى هذا التَّصرُّف الحسن ، والألفاظ المختلفة فى المعانى المتقاربة .

ولا أعرف لأبى تمام فى هذا كلِّه شيئاً .

* * *

ومما افتتحه البحترى بالهجر قوله :

نَصِيبِىَ مِنْكِ لَوْمُ العَاذِلَاتِ    وهِجْرَانٌ أَطَلْتِ [ بِهِ أَذَاتِى[٤]

وقال أيضاً :

شَدَّ مَا أُغْرِيَتْ ظَلُومٌ بِهَجْـرِى    بَعْدَ وَجْدِى بها وغُلَّةِ صَدْرِى[٥]

(١) ديوان البحترى ٣٤٨ ، ٣ / ٢٠٣١

(٢) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢٤٠٩ « أنا فعى »

(٣) ديوانه ٢٥٠ ، ١ / ١٢٢ وفى م « لم يفارق » !

(٤) ديوانه طبع بيروت ١ / ٩٧ ، ١ / ٣٧٧ دار المعارف « وهجران بلغت به »

(٥) ديوانه ٣٦٩ ، ٢ / ٩٧٠ « شد ما أغرمت »

وقال أيضاً :

خَيْرُ يَوْمَيْكَ فى الهوَى وَاقْتِبَـــالِهْ يَوْمُ يُدْنِيكَ هَاجِرٌ مِنْ وِصَـــالِهْ[١]

وقال أيضاً :

لَجَّ هَذَا الحَبِيبُ فى هِجْرَانِهْ وغَدَا والصُّدودُ أَكْبَرُ شَانِهْ[٢]

وقال أيضاً :

لِى حَبِيبٌ قَدْ لَجَّ فى الهَجْرِ جِدًّا وأَعَادَ الصُّدودَ مِنْهُ وأَبْدَى[٣]

وقال أيضاً :

طَافَ الوُشَاةُ بِهِ فَصَدَّ وأَعْـرَضَا وغَلاَ بِه هَجْرٌ أَمَضَّ وأَرْمَضَـــا[٤]

وقال أيضاً :

مِنِّىَ وَصْلٌ ، ومِنْكَ هَجْرُ وفِىَّ ذُلٌّ ، وفيكَ كِبْرُ[٥]

* * *

وليس لأبى تمام فى هذا النحو شيء إلا قوله :

خَشُنْتِ عليه أختَ بَنِى خُشَيْنِ وأَنْجَحَ فِيكِ قَوْلُ العَاذِلِيْنِ[٦]

وهذا ابتداء ردىء .

---

(١) ديوان البحترى ٥٧٠ ، ١٨٤٢/٣

(٢) ديوانه ٣٥ ، ٤/ ٢١٦٩ « ومضى والصدود »

(٣) ديوانه ٢٠ ، ٢ / ٧١١ دار المعارف

(٤) ديوانه ٧٣٩ ، ٢ / ١٢٠٣

(٥) ديوانه ٧٠ ، ٢ / ١٠٥٠

(٦) ديوان أبى تمام ٣٢١ وشرح التبريزى ٣ / ٢٩٧

## ومما جاء فى ابتدا آته فى ذكر العيون

قال البحترى[١] :

تُرِيكَ الذى حُدِّثْتَ عَنْهُ مِنَ السِّحْرِ بِطَرْفٍ عَلِيلِ اللَّحْظِ مُسْتَغْرَبِ الفَتْرِ[٢]

وقال أيضاً :

غَالَ صَبْرِى ـ أمَا سألْتِ بِصَبْرِى مَا بِعَيْنَيْكِ مِنْ فُتُورٍ وسِحْرِ[٣]

وقال أيضاً :

مَا بِعَيْنَىْ هَذَا الغَزَالِ الغَرِيرِ من فُتُونٍ مُسْتَجْلَبٍ مِنْ فُتُورِ[٤]

وقال أيضاً :

ومُهْتَزَّةِ الأَعْطَافِ نَازِحَةِ العَطْفِ مُنَعَّمَةِ الأَطْرَافِ فَاتِرَةِ الطَّـرْفِ[٥]

وقال أيضاً :

سَطَا فَمَا يَأْمَنُهُ خِلُّـهُ أَغْيَدُ سَاجِى الطَّرْفِ مُعْتَلُّهُ[٦]

وقال أيضاً :

فُتُـورُ العُيونِ وإمْرَاضُها نُبُوُّ الجُنُوبِ وإِقْضَاضُهَا[٧]

وهذا كله جيد حسن عذب .

وليس لأبى تمام فى معناه شىء .

---

(١) م « قال أبو تمام » وهو خطأ

(٢) ديوان البحترى ٦٢١ ، ٢/١٠٠٤

(٣) ديوانه ٢ / ١٠٧٩

(٤) ديوانه ٢٦٩ ، ٢ / ٨٨٤ وفى م « من فتور »

(٥) ديوانه ٧٦٤ ، ٣/١٣٦٩

(٦) فى ديوانه ٤٢٣ ، ٣/١٨٠٣ « أحوى سقيم الطرف »

(٧) ديوانه ٢ / ١٢١٩ « فتور الجفون »

وقال أيضاً :

لَوَتْ بالسَّلامِ بَنَاناً خَضِيبَا ولَحْظاً يَشُوقُ الفُؤَادَ الطَّرُوبَا(١)

عهدت بعض الشيوخ يَكْرَه قوله : « لوت » ، ويقول : كان ينبغى أن يقول : أشارت : أو أومأت ، أو نحو هذا . وكان بعضهم يحتج له ويقول : لم يمكنه ذاك فى نظم البيت .

والذى أظنه « أنا » أنَّه أَوْمَأَ إليها بالسلام فردَّت عليه . والسلام الأول يشار فيه بمد الإصبع على استقامة ، والرد : فمن الناس من يَرُدُّ بِمَدِّ الإصبع على استقامة أيضاً ، ومنهم من يَفْتِلُها ويَلْوِيها كأنه يقول بإصبعه : وعليك . فيلويها إذا أراد هذا المعنى . وذلك مما نراه أبدًا مشاهدة ، ونَفْعَلُه .

وقد ذكر البحترى لَيَّ البَنَانَةِ فى موضع آخر فقال :

إنَّ الفِرَاقَ جَلَا لَنَـا عَنْ غَادَة بَيْضَاء تَجْلُو عَنْ شَتِيتٍ أَشْنَبِ(٢)
أَلْوَتْ بِمَوْعِدِها القَدِيم ، وأَيْأَسَتْ مِنْه بِلَيِّ بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبِ(٣)

فدل هذا على مثل ذاك . وإن كان المعنيان مختلفين فى أنها لم تمد إصبعها مُشِيرَةً بها على استقامة كما يُشير المبتدئُ بالسلام ، وإنما أَلْوَتْ إصبَعَها فى الإشارة إليه إما يَمْنَةً أو شَأْمَةً بمعنى تنحّ عنا ، أو اعدل عنا ؛ فليس إلى ما التمست سبيل .

وفى هذا البيت سؤال آخر وهو قوله : « لَمْ تُخْضَبِ » ومن شأنهم أن

---

(١) ديوان البحترى ٩١ ، ١ / ١٤٩ دار المعارف

(٢) ديوان البحترى ١٢٢ ، ١ / ٢٨٢ دار المعارف

(٣) فى الديوان « وآيست »

يصفوا بَنَانَ المرأة بالخِضَاب نحو قول الشاعر :

ويُبْدِى الحَصَى مِنْها إذَا قَذَفَتْ بِهِ      مِنَ البُرْدِ أَطْرَافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ

وقول الرَّاعِى :

* حُمْرُ الأَنَامِلِ عِينٌ طَرْفُهَا سَاجِ *

ومثله كثير[١] . وعليه مذاهب الناس .

ولا نعلم أحدًا شرط فى البنان أنه غير مخضوب غير البحترى فى هذا البيت ، وإنما يذكرون الخضاب أَوْ لا يذكرونه .

وما أظن البحترى قال هذا عِيًّا ولا جُزافاً ، ولا قاله ؛ إلا أَنَّ البنانة لم تكن مَخْضُوبةً ، فوصف الحال على مذاهب الناس ومذهبه فى وصف الشىء على ما هو ، لأَن هذا إذا أَوْرَدَهُ على ما هو لم تَكُ فائدة ، فأَقول :

إنه قد يجوز أن يكون ـ[٢] والله أعلم ـ ذهب إلى أحد معنيين :

إما أن يكون خطر بباله عند نظم البيت قول الشاعر :

وإنْ حَلَفَتْ لاَ يَنْقُضُ النَّأْىُ عَهْدَهَا      فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ البَنَانِ يَمِينُ[٣]

فقال هو : « وأَيْأَسَتْ مِنْهُ بِلَىٍّ بنانَةٍ لَمْ تُخْضَب » ؛ لأَن المرأة لا عهد لها مخضوبة البنان كانت أو غير مخضوبة ؛ ألا ترى إلى قوله بعد هذا :

وأَرَتْ عُهُودَ الغَانِيَاتِ صَبَابَتِى      آلاً جَرَى ، وَوَمِيضَ بَرْقٍ خُلَّبِ[٤]

---

(١) راجع ديوان المعانى ١ / ٢٥٤ - ٢٥٥

(٢) م « يكون والده أعلم ذهب » ! !

(٣) البيت لكثير كما فى ديوانه ١ / ٢٦٥ وهو غير منسوب فى الموشى ١٢٣

(٤) م ، ق « وأرى عهود . . آل جرى »

فَدَلَّكَ هذا على أنه خطر ذلك البيت بباله فذهب إلى ذلك المعنى . أي من كان يذم عهد مخضوبة البنان فهذه غير مخضوبة وأنا أذم عهدها أيضاً . فهذا المعنى – إن شاء الله – جَيِّدٌ لائق .

والمعنى الآخر : أن يكون أراد أنها عزفت عن الصبا ، وتركت الزينة ؛ لأنه قال : «أَلْوَتْ بِمَوْعِدِها القَدِيم » . فَدَلَّ على أنه إنما انتجزها مَوْعِدًا قديماً وأن حالها الآن غير تلك الحال .

وهذا أيضاً وجه قوى دقيق . وكأنَّه أولى من المعنى الأول بالصواب . والله أعلم .

وقوله : «ولحظا يشوق الفؤاد الطروبا » بالنصب[1] إنما أراد أَلْوَت بالسَّلام بَنَاناً خضيباً ، ولحظت لحظاً يَشُوقُ الفؤاد .

(١) م ، ق « وإنما »

## ومن ابتداآت البحترى فى التشوق

قال :

أُقِيمُ عَلَى التَّشَوُّقِ أَمْ أَسِيرُ وأَعْدِلُ فى الصَّبَابَةِ أَمْ أَجُورُ ؟[١]

وقال أيضاً :

شَوْقٌ لَهُ بَيْنَ الأَضَالِعِ هَاجِسُ وَتَذكُّرٌ للصَّدْرِ مِنْـهُ وَسَاوِسُ[٢]

وقال أيضاً :

عَهْدُ المَشُوقِ بِوَصْلِ الأُنَّسِ الخُرُدِ يَكادُ يَشْرَكُ نَجْمَ الليلِ فى البُعَدِ[٣]

وقال أيضاً :

لَبَّيْتُ فِيكِ الشَّوْقَ حِينَ دَعَـانِى وَعَصَيْتُ نَهْىَ الشَّيْبِ حِينَ نَهَانِى[٤]

وقال أيضاً :

أَمَـا لِعَيْنَىْ كَلِيمِ الهَمِّ تَغْمِيضُ أَمِ الكَرَى عَنْ جُفُونِ العَيْنِ مَرْحُوضُ[٥]

وقال أيضاً :

يَبِيتُ لَهُ مِنْ شَوْقِهِ وِنِزَاعِـهِ أَحادِيثُ نَفْسٍ أَوْشَكَتْ مِنْ زَمَاعِهِ[٦]

أى أسرعت من إزْمَاعِهِ على الرَّحيل .

(١) ديوان البحترى ٥٠٨ ، ٢ / ٩٣

(٢) ديوانه ٢٨١ ، ٢/١١٣٢

(٣) ديوانه ١ / ٥١٤ دار المعارف

(٤) ديوانه ٣٩ ، ٤ / ٢٢٥٢

(٥) ديوانه ٢ / ١٢١٧ « طليح الشوق » و مرحوض : مغسول

(٦) ديوانه ٤٦٨ ، ٢ / ١٣١٧

وقال أَيضاً :

شَوْقٌ إِلَيْكَ تَفِيضُ مِنْهُ الأَدْمُعُ وجوًى عَلَيْكَ تَضِيقُ عَنْهُ الأَضْلعُ[١]

وقد مر هذا البيت فى باب البكاء والدمع[٢] .

* * *

وهذه كلها ابتداآت جيادٌ لفظاً ومعنى .

ولا أعرف لأَبى تمام فى نحو هذا شيئاً .

(١) ديوان البحترى ٣٣ ، ٢/١٣١٠ وفى م « تضيق منه »

(٢) راجع ص ٦٦

## وفى ابتداآت البحترى فى معان شتّى وهى كثيرة

قال :

رَأَى البَرْقَ مُجْتَازًا فَبَاتَ بِلاَ لُبِّ    وأَصْبَاهُ مِنْ ذِكْرِ البَخِيلَةِ ما يُصْبِى[١]

وقال أيضاً :

أُخْفِى هَوًى لَكَ فى الضُّلُوعِ وأُظْهِرُ    وأُلاَمُ مِنْ كَمَد عليْكَ وأُعْذَرُ[٢]

وقال أيضاً :

يَزْدَادُ فى غَيٍّ الصِّبَا وَلَعُهْ    فكأَنَّما يُغْرِيهِ مَنْ يَزَعُـهْ[٣]

وقال أيضاً :

بِوُدِّى لَوْ يَهْوَى العَذُولُ ويَعْشَقُ    فيعلم أَسبابَ الهَوَى كيفَ تَعْلَقُ[٤]

وقال أيضاً :

أَجِرْنِى مِنَ الوَاشِى الذى جَارَ واْعْتَدَى    وغابر حُبٌّ غَارَ بِى ثُمَّ أَنْجَدَا[٥]

وقال أيضاً :

بالله أُولى يَمِيناً بَرَّةً قَسَمَا    مَا كَانَ مَا زَعَمَ الوَاشِى كما زَعَمَا[٦]

---

(١) ديوان البحترى ٤٠٢ ، ١ / ١٥٤ دار المعارف وفى م « مجتازاً بنات بلا »

(٢) ديوانه ١٧ ، ٢ / ١٠٧٠ « فى كمد » وفى م « كمد لك »

(٣) ديوانه ٢٢٦ ، ٢ / ١٢٤٨

(٤) ديوانه ١٤٨ ، ٣ / ١٥٣٤ وفى م « يهوى فى العذول » !

(٥) ديوانه ١٣٣ ، ٢ / ٦٧٠ « وغابر شوق »

(٦) ديوانه ٥٣٠ « بالله آلى » ، ٣ / ٢٠٤٦

وقال أيضاً :

تَغَيَّرَ ، أوْحَالَ عَنْ عَهْدِهِ ... وأَضْمَرَ غَدْرًا وَلَمْ يُبْدِهِ[١]

وقال أيضاً :

جَائِرٌ فى الحُكْمِ لَوْ شَاءَ قَصَدْ ... أَخَذَ النَّوْمَ وأَعْطَانى السُّهُدْ[٢]

***

مضت الابتداآت بأنواعِ الغزل .

وأنا أذكر الآن ما جاءَ عنهما من أوصاف الغزل فى وسط الكلام ، وأتلقط ذلك من باب الفراق والتوديع ، وسائر أبواب التشبيب[٣] ؛ ليكون كلٌّ نوعٍ من أنواع الوصف فى باب واحد لا فى أبواب متفرقة .

(١) ديوان البحترى ٥٣٢ ، ٢ / ٥٦٥ دار المعارف ، وفى م « وأضم غدرا »

(٢) ديوان البحترى ٢٥٦ ، ٢ / ٦٦٧ دار المعارف

(٣) م « أبواب الشيب »

## ذكر ما قالاه فى الجمال والبهجة وحسن الوجوه وتشبيه النساء بالشموس ، والبدور ، والنجوم ، وغير ذلك

قال أبو تمام :

لَحِقْنا بأُخراهمْ وَقدْ حَوَّمَ الهوَى ... قُلُوباً عَهِدْنا طيْرَهَا وَهْيَ وُقَّعُ

فَرُدَّتْ عَليْنَا الشَّمْسُ والليلُ رَاغِمٌ ... بِشَمْسٍ لهُمْ مِنْ جَانِبِ الخِدْرِ تطْلُعُ

نَضَا ضوْؤُها صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وَانْطَوَى ... لِبَهْجَتِها ثَوْبُ السَّماءِ المُجَزَّعُ[1]

فَوَاللهِ مَا أدْرِى أأَحْلَامُ نائِمٍ ... أَلَمَّتْ بِنَا أمْ كانَ فى الرَّكْبِ يُوشَع ؟

وعَهْدِى بها تُحْيِي الهَوَى وتُميتُـهُ ... وَتَشْعَبُ أعْشَارَ القُلُوبِ وتَصْدَعُ[2]

وأَقْرَعُ بالعُتْبَى حُمَيَّا عِتَـابِها ... وقَدْ تَسْتَقِيدُ الرَّاحُ حين تُشَعْشَعُ ؟

وتَقْفُو لِىَ[3] الجَدْوَى بِجَدْوَى ، وإنَّما ... يَرُوقُكَ بَيْتُ الشِّعْرِ حِينَ يُصَرَّعُ

قوله : «حوَّمَ الهوَى قُلُوباً» أى هَيَّجَها الشوقَ وكانت طيرها ساكنة . يريد أن ظعنهم هَيَّج الشوقَ بعد سكونه والدّارُ جامعة .

و « ثَوْبُ السَّماءِ المُجَزَّعُ » . يريد طمس نورُها نورَ الكواكب التى هى نقش السماء ، كالجزع نقط البياض .

و «يوشع » . يريد يُوشَعُ بن نون . قيل : إن الشمس رُدَّتْ له ، فى قصة تُؤْثَر .

---

(١) ديوان أبى تمام ١٨٩ وشرح التبريزى ٢ / ٣١٩

(٢) ويروى : « أعشار الفؤاد »

(٣) ويروى « وتقفو إلى الجدى »

وقوله : «تُحْيِي الهوَى» . أى بهجرها ، و «تُمِيتُهُ» بوصلها ونائلها ، كما قال جَرِير :

فَلَمَّا ٱلتَقَى الحَيَّانِ أُلْقِيَت العَصَا وَمَاتَ الهَوَى لَمَّا أُصِيبتْ مَقَاتِلُهْ[١]

أى لما أُصيبت مَقَاتِلُهُ بالاجتماع .

«وتَشْعَبُ أعْشَارَ الفُؤَاد»[٢] . تضمها ، وتلائم بينها . وأعْشَارُه : أجزاؤُه من قول امرئ القيس

* «فى أعشار قلب مُقَتَّل» *

[٣]وإنما قيل أعْشَار ؛ لأن العشرة نهاية فى كل شىء من العدد ، واحدها عُشْر . فإنما أراد جميع القلب .

وقوله «تَصْدَعُ» . أى تشق . يريد[٤] تلائم بين أجزائه مَرَّة ، وتفرِّق مَرَّة أخرى بينها . مثل قوله : «تُحْيِي الهوى وتُمِيتُه» .

وقوله : «وأَقْرَعُ بالعُتْبَى حُمَيَّا عِتَابِهَا» . أى أعتب إذا عاتبت ، وأنتهى إلى ما فيه رضاها . فجعل شدَّة غضبها عند العتاب حُمَيَّا كحُمَيَّا الخمر . وهى شدّتها . وجعل العُتْبَى التى تكون منه حتى يَزُولَ غضبها ــ قَرْعاً كقَرْعِ الخمر بالماء حتى تلين .

وقوله : «وقَدْ تَسْتَقِيدُ الرَّاحُ حِينَ تُشَعْشَعُ» . أى وهى ــ مع أنى كسرت غضبها وقمعته ــ يَقْهَرُنى حبُّها ، ويغلبنى سُكْرُ هواها ، ويملكنى كما تَسْتَقِيدُ الراح فتصرع بالسكر من يَقْرَعها بالمِزَاج .

---

(١) ديوان جرير ٤٧٨

(٢) كذا فى م ، ق وهو الصواب ، وقد سبق فى هذا البيت «أعشار القلوب»

(٣) صدره : «وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك» وهو من معلقته . وانظر إعجاز القرآن للباقلانى ٢٥٨

(٤) م «تشق أى يريد»

وهذه كلها معان صحيحة مستقيمة ، واستعارات لائقة بما استعيرت له .

فأما قوله :

وتَقْفُو لِى الجَدْوَى بِجَدْوَى وإِنَّمَا ... يَروقُكَ بَيْتُ الشِّعر حين يُصَرَّعُ

فلفظ حسن حلو ، ولكنه مَثَّلَ شيئاً بشىء كان غيره بالتمثيل أليق ، وذلك لما قال : «وتَقْفُو لى الجَدْوَى» كان سبيله أن يقول : وإنما يبل الغليلَ العَلَلُ بعد النَّهَلِ ، أو ما كان أشبه هذا وقاربه ؛ لأن الجَدْوَى هو نائل المرأة ،وليست من حظوظ السمع فيمثل بها بيت الشِّعر المصرَّع الذى إنما يُروقُ السمعَ فقط .

ولست أقول إنه خطأٌ ، ولكن ليس بالجيد اللائق . والجيد فيه قول البحترى :

فإنْ تُتْبِــع النُّعْمَى بِنُعْمَى فإِنَّهُ ... يَزِينُ اللآلِئَ فى النِّظَامِ ازْدوَاجُهَا[١]

فجعل اللآلئ التى هى فرائد تحصل فى اليد والعين والنفس ـ مِثَالاً لنعمة المنعم وليس للأُذن ههنا ولا هناك حَظٌّ .

* * *

وقال أبو تمام :

عَطَفُوا الخُدُودَ على البُدُورِ [ووَكَّلُوا ... ظُلَمَ السُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ نُهَّدِ[٢]

وثَنَوْا علَى وَشْىِ الخُدُودِ صِيَانَةً ... وَشْىَ البُرُودِ بِمُسْجَفٍ ومُمَهَّدِ[٣]

البيت الأول حسن حلو . وأخذ قوله : «وثنوا على وَشْى الخدود صيانة

---

(١) ديوان البحترى ٢١٨ ، ١ / ٤٢٧ دار المعارف « فإن تلحق »

(٢) ديوان أبى تمام ١١١ وشرح التبريزى ٢ / ٤٦ والزيادة منه ومن ق

(٣) م « وممهل »

وشى البرود » من قول الكُمَيْت :

وأَذْنَيْنَ البُرُودَ عَلَى خُدُودٍ يُزَيِّنَّ الفَدَاغِمَ بالأَسِيلِ

أراد بالفداغم : الخدود اللَّحِيمَة ؛ أى يزيِّنُها بِأَسَالَةِ خدودهن . أو أن يكون أراد بالفداغم المواضع الممتلئة من الجسد بالشحم . فيزينَّ ما كان ممتلئاً بِأَسالَةِ خدودهن . وهذا غير حسن . والأول أشبه بلفظ البيت .

ومعناه أيضاً غير جيد ؛ لأن الخد الأَسيل إذا اقترن بالخد اللَّحِيمِ قَبَّحَهُ وشَانَه ، ولم يزنه ؛ لبيان فضله عليه . وقد ذكرت هذا فى أغاليطه مشروحاً[1] .

* * *

وقال أبو تمام :

وفى الخُدُورِ مَهاً لَوْ أَنَّها شَعَرَتْ ... به طَغَتْ فرحاً ، أَوْ أُبْلِسَتْ أَسَفَا[2]

لآلِئٌ كالنُّجُومِ الزُّهْرِ قد لَبِسَتْ ... أَبْشارُهَا صَدَفَ الإِحْصَانِ لا الصَّدَفَا

مِنْ كُلِّ خَوْدٍ دَعَاهَا البَيْنُ فَٱبْتَكَرَت ... بِكْرًا ، ولكنْ غَدا هِجْرَانُها نَصَفَا[3]

لا أَظْلِمُ النَّأْىَ قَدْ كانتْ خَلاَئِقُهَا ... مِنْ قَبْلِ وَشْكِ النَّوَى عِنْدِى نَوًى قُذُفَا

غَيْدَاءُ جَادَ وَلِىُّ الحُسْنِ سُنَّتَهَا ... فَصَاغَها بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أُنُفَا[4]

مَصْقُولَةٌ سَتَرَتْ عَنَّا تَرَائِبُهَا ... قَلْبًا بَرِيئًا يُنَاغِى نَاظِرًا نَطِفَا[5]

---

(١) راجع الجزء الأول ٢٣٥

(٢) ديوان أبى تمام ٢٠٠ وفى شرح التبريزى ٢ / ٣٦٠ « أو أبلست أسفاً » معناه : لو علمت كيفية حسنها لورثها وكسبها علمها به أحد شيئين : إما فرحاً يفضى إلى الطغيان ؛ إذ لا ترى لنفسها نظيراً ، وإما حزناً يؤيسها من نفسها شفقة على الناس ورقة لهم ، لأنها تراهم موتى صرعى عليها ، ويروى : لو أنها سفرت » .

(٣) فى شرح التبريزى « أى دعاها البين فأجابت وفارقتنا وهى حديث السن ، ولكن هجرانها قديم »

(٤) وفيه عن أبى العلاء المعرى : « استعار ولى الحسن من المطر الولى ، وهو الذى يجىء بعد الوسمى لأن من شأن النبت أن يكثر إذا أصابه الولى بعد الوسمى ، فدل بقوله ولى الحسن على أن الجمال فى هذه المذكورة عميم »

(٥) النطف : الفاسد الدخلة الملطخ النية . قال المرزوقى « المعنى أنها تريك ظاهراً من أمرها معك يخالفه الباطن ، فهى تتملق لك وتظهر الوجد وتتباكى لفراقك . ومبنى ذلك كله على قلب برىء وصدر من الحب سليم »

[(١)قوله : « صَدَفُ الإِحْصَانِ لا الصَّدَفَا » ليس بالجيد ؛ لأنه قال : قد لبست صدف الإحصان ، فأراك أنها لابسته فى الحال .

وقوله : « لا الصَّدَفَا » ليس له وجه ؛ لأن اللؤلو قد فارق الصدف وليس هو لابسه فى الحال .

والجيد الصحيح المعنى قول البحترى :

إذَا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرَّيْطِ آوِنَةً     قَشَرْنَ عَنْ لُؤْلُؤِ البَحْرَيْنِ أَصْدَافَا(٢)

فشبه أجسامهن فى وقت تجردهن من الثياب ، باللؤلؤ فى الوقت الذى يقشر عنه الصدف .

والعذر لأبى تمام أن يقال : إنما أراد أنها خلقت لابسة صدف الإحصان لا الصدف ، أى ليست كاللؤلؤ الذى خلق فى الصدف .

وبيت البحترى أجود .

وقول أبى تمام : « صدف(٣) الإحصان » معنى لطيف .

وقوله : « لو شَعَرَتْ به » أى لو شعرت بشدة وجده طغت فرحاً ، أو « ألبست أسفاً على ما فات منه . وهذه طريقة ابن أبى رَبِيعة التى كانت تليق به ، ومع ذلك يُعَابُ بها .

وهذه أبيات متكلِّفة ، وخاصة قوله : « فابْتَكَرَتْ بِكْرًا ولكنْ غَدَا هِجْرَانها نَصَفَا » فإنه غيرُ شهى ، ولا مَرِىءِ اللفظ ، ولا المعنى .

---

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوان البحترى ٣٣٧ ، ٣/١٣٨٠

(٣) ق « صنف » !

* * *

ولله دَرُّ أَبِي عُبَادَةَ إذ يقول على هذا الوزن :

وفى الخُدُورِ بُدُورٌ قلَّمَا طَلَعَتْ ... إلاَّ تَصَرَّمَ ضَوْءُ البَدْرِ أَوْ كُسِفَا
مَقْسُومَةٌ بَيْنَ أَرْدَافٍ مُبَتَّـلَةٍ ... تَدْعُوالهوَى ، وخُصُورٍ أُرْهِفَتْ قَصِفَا
[قَدْ كُنْتُ أَشْكُو تَمادِي حُبِّها حَدَثاً ... فالآنَ أَطمعُ فى إِنْصَافِهَا نَصَفَا ] (١)
أَكَادُ مِنْ كَلَفٍ أُعطِى الحَمَامَ يَدًا ... إِذَا الحَمَامُ عَلَى أَغْصانهِ هَتَفَا
ما بَاشَرَ النَّارَ – مَشْبُوباً تضرُّمها – ... مَنْ لَمْ يُضِفْ تَحْتَ أَحْنَاءِ الحَشَا كلفَا (٢)
أَرَاجِعٌ مِنْ شَبَابِي قَيْضُ مُبْتَذَلٍ ... أَنْفَقْتُهُ فى لُبَانَاتِ الصِّبَا سَرَفَا
لله أَيَّامُنا ما كانَ أَحْسَنَهـا ... لَوْ أَنَّ دَهْرًا تَوَلَّى ذَاهِباً وَقَفَـا
لا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِرَاجِعَـةٍ ... مَا فَاتَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيا وما سَلَفَا

* * *

وقال أبو تمام :

وَرَفِيقَةِ اللَّحظات يُعْقِبُ رِفْقُهَـا ... بَطْشاً بِمُغْتَرِّ القُلُوبِ عَنِيفَا (٣)
حُزْنَ الصِّفاتِ : رَوَادِفاً ، وسَوَالِفاً ... ومَحَاجِرًا ، ونَوَاظِرًا ، وأُنُوفَا (٤)
كُنَّ البُدُورَ الطَّالِعَاتِ فَأُوسِعَتْ ... مِنَّا أُفُولاً بالنَّوَى وكُسُوفَا (٥)
آرامُ حَيٍّ زَعْزَعَتْهُمْ نِيَّـةٌ ... تَرَكَتْكَ مِنْ خَمْرِ الفِرَاقِ نَزِيفَا
كانُوا رِدَاءَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا ... فكأَنَّما لَبِسَ الزَّمَانُ الصُّوفَا (٦)

---

(١) ديوان البحترى ١٤٣٧/٣ والزيادة من ق

(٢) م « النار مسبوقاً » . لم يصف

(٣) ديوان أبي تمام ٢٠٦ وشرح التبريزى ٢ / ٣٧٩ وفى م « ورقيقة »

(٤) ويروى : « جزن » أى قد تجاوزن حد الصفات فى الأشياء المذكورة

(٥) فى الديوان وشرحه : « عنا أفولا » تقديره : فأوسعت أفولا وكسوفاً عنا : وفائدة « أوسعت » أنها عمت بالكسوف عنا حتى لا يتجلى شىء من جوانبها »

(٦) الوساطة ٧١

وهذه معان جيّدة لائقة إلا قوله : «لَبِسَ الزمانُ الصُّوفَا» ؛ فإن الناس جميعاً استهجنوه . ولو كان اعتمد أن لا يترك قافية على الفاء إلا أوردها – لما كان ينبغى أن يذكر الصوف وخاصّة على هذا الوجه .

* * *

وقال البحترى :

إنَّ فى السِّرْبِ لَوْ يُسَاعِفُنَا السِّرْ ... بُ شُموساً يَمْشِينَ مَشْياً وَئِيدَا[1]
يَتَدَافَعْنَ بالأَكُفِّ وَيَعْرِضْـ ... ـنَ عَلَيْنَا عَوارِضاً وخُـدُودَا
يَتَبَسَّمْنَ عَنْ شَتيتٍ أَرَاهُ ... أُقْحُوَاناً مُفَصَّلاً أَوْ فَرِيدَا
رُحْنَ والليْلُ قد أَقَامَ رِوَاقاً ... فأَقَمْنَ الصَّبَاحَ فيهِ عَمُودَا
بِفَتَاةٍ مثلِ الْمَهَاةِ أَبَتْ أَنْ ... تَصِلَ الوَصْلَ ، أَوْ تَصُدَّ الصُّدُودَا[2]
ذات حُسْنٍ لو اسْتَزَادَتْ مِنَ الحُ ... سْنِ إليه لَمَا أَصَابَتْ مَزِيدَا
فَهِيَ الشمسُ بَهْجَةً ، والقضِيبُ الْ ... غَضُّ لِيْناً ، والرِّئْمُ طَرْفاً وجِيدَا

وحسبك بهذا حسناً ، وصحة ، وجودة . وخاصة هذا البيت الأخير وما جمع من التشبيه بأبرع لفظ ، وأحلى سَبْك ، ولكن أفسده بقوله : «أبت أنْ تَصِلَ الوصلَ ، أو تَصُدَّ الصُّدُودَا» . [وإنما علقه من أبى تمام ][3]

* * *

وقال أبو تمام :

سَلَبْنَا غِطَاءَ الحُسْنِ عَنْ حُرِّ أَوْجُهٍ ... تَظَلُّ لِلُبِّ السَّالِبِيها سَوَالِبَا[4]
وجُوهٌ لو أن الأَرْضَ فيها كواكبٌ ... تَوَقَّدُ للسَّارِى لكانَتْ كَوَاكِبَا

(١) ديوان البحترى ٤٥١ ، ١ / ٥٩٠ دار المعارف
(٢) فى الديوان « بمهاة » وفى م « تصد صدودا »
(٣) الزيادة من ق
(٤) ديوان أبى تمام ١٧ وشرح التبريزى ١ / ١٤٥

وهذا معنى قديم متداول ، وأحسن ما قيل فيه قول مُزاحِم العُقَيْلِي .

وُجُوهٌ لو أنَّ المُدْلِجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا صَدَعْنَ الدُّجى حتَّى تَرَى الصُّبْحَ يَنْجَلِي[١]

وهذا كثير .

وقال البحترى .

كالبَدْرِ إلاَّ أنَّها لاَ تُجْتَلَى والشمسِ إلَّا أنَّها لا تغربُ[٢]

فجاء بمعنى آخر فيه سؤال ؛ وذلك أنه لما قال : « كالبدر إلا أنها لا تجتلى » كان هذا من أحسن معنى وألطفه ؛ لأن عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه ، وهى لا تراها العيون ، ولا تجتلى [ ثم قال : « والشمس إلا أنها لا تغرب » وإنما قال لا تجتلى ][٣] لأنها[٤] محجوبة ، وإذا كانت فى حجاب فهى فى غروب ؛ لأن الشمس إذا غربت فإنما تدخل تحت حجاب . فظاهر المعنى : كالبدر إلا أن العيون لا تراها ، والشمس إلا أن العيون لا تفقدها . وظاهر هذا[٥] القول – كما تراه – متناقض ، وأظنه أنه أراد أنها وإن كانت فى حجاب فإنه لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس . وإنما يقال لها إذا سافرت : بعدت ، واغتربت ، وغرّبت إذا توجهت نحو الغرب .

وقد يقال للرجل اغرب عنا أى ابعد . ولو استعار لها اسم الغروب عن الأرض التى تكون فيها إذا ظعنت عنها إلى أرض أخرى – كان ذلك حسناً جدًّا ، لا سيا وقد جعلها شمساً . كما قال إبراهيم بن العباس الصُّولى :

وزَالَتْ زَوالَ الشمسِ عَنْ مُسْتَقرِّهَا فَمَنْ مُخْبِرِى فى أىِّ أَرضٍ غُرُوبُها[٦]

---

(١) الوساطة ٣٥٥
(٢) ديوان البحترى ٦٨٢ ، ١/٧٢ طبع المعارف
(٣) الزيادة من ق
(٤) م « لأن تلك »
(٥) م « وهذا »
(٦) حماسة ابن الشجرى ١٦٩

وقد يجوز أن يقول قائل : إنه أَراد [أنها] لا تغرب تحت الأَرض كما تغرب الشمس . وهذه معاذير ضيقة لأَبى عُبَادَة . فإن لم يك قد أَخطأَ فقد أَساءَ [وإن لم يكن أَساءَ فما أَحسن[1]]

* * *

وقال أَبو تمام :

قالتْ وقَدْ أَعْلَقْتُ كفِّى كفَّهـا ... حِـلاً وما كُلُّ الحَلاِل بطَيِّبِ[2]

فَنَعِمْتُ مِنْ شَمْسٍ إذا حُجِبَتْ بَدَتْ ... مِنْ نُورِها فَكأَنَّها لَمْ تُحْجَبِ

وهذا معنى حسن . وقد تقدم الناس فيه وأَكثروا .

قال قَيْس بن الخَطِيم :

قَضَى لَها اللهُ حِينَ صَوَّرَهَا الْ ... خَالِقُ أن لا يُكِنَّها سَدَفُ[3]

وأَجود من هذا قول جرير :

كأَنَّها مُزْنَةٌ غَـرَّاءُ رائحـةٌ ... أَوْ دُرَّةٌ لا يُوَارِى ضوءَها الصَّدَفُ[4]

ووصل أَبو تمام ذلك بأَن قال :

وإِذَا رَنَتْ خِلْتَ الظِّباءَ وَلَدْنَهـا ... رِبْعِيَّةً ، وَاسْتُرْضِعَتْ فى الرَّبْرَبِ

إنْسِيَّةٌ إنْ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهـا ... جِنِّيَّـةُ الأَبَوَيْنِ ما لَمْ تُنْسَبِ

قوله : «رِبْعيَّةً» يريد أنها وُلِدت فى الربيع أول النَّتاج فهى أَحسن ما تكون ، وأَقوى ، «وَاسْتُرْضِعَتْ فى الرَّبْرَب» . والربرب : القطيع من [بقر][5] الوحش ، كأَنه يؤكِّد حُسْنَ عينها .

---

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوان أبى تمام ١٢ وشرح التبريزى ١ / ١٠١ «أى قد جمع هذا الذى أحلت لى من نفسها أنه حلال وأنه طيب مستلذ

(٣) ديوان قيس بن الخطيم ٥٦ والأغانى ٢ / ١٦٨ والوساطة ٢٩٧

(٤) ديوان جرير ٣٨٦ «غراء واضحة»

(٥) الزيادة من م

وقوله :

إنْسِيَّةٌ إن حُصِّلَتْ أَنْسَابُها جِنِّيَّةُ الأَبَوَيْن ما لَمْ تُنْسَبِ

فيه سؤال وهو أن يقال : قوله : «جنية الأبوين» هو كقوله : تميمية الأبوين ، أو قُرَشِيّة الأبوين. وهذا أصح ما يكون من النسب ، فكيف يقول : ما لم تنسب ؟ والنَّسَب إلى الجن كالنَّسَبِ إلى الإنس ، فكما تقول : إنْسِيّ فكذلك تقول . جِنِّيّ ، فكيف يكون ذلك نَسباً ، وهذا غير نَسَب ؟

فالجواب أنه أراد إن حُصِّلَ نَسَبُها فقيل : فلانة بنت فلان من بنى فلان – عُلِمَ أنها من الإنس . وإن أبصرها المبصر ولم يسأل عن نسبها ظن أنها من الجن من فَرْطِ حسنها الزائد على حسن الإنس المعهود . فإنما قال : «ما لم تُنْسَب» أى ما لم تنسبها[1] إلى أبائها من الإنس . وقال المُؤَمَّل بن أُمَيل المُحَارِبي[2] :

جِنِّيَّةٌ ، أوْ لها جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمْىَ القُلُوبِ بِسَهْمٍ مَالَهُ وَتَرُ

وأحسن فى هذا كل الإحسان ؛ لأن الرمى عن غير وتر ليس من هى الإنس

وقال [بشار][3] :

إنْسِيَّةٌ جِنِّيَّةٌ أَوْ فَوْقَ ذَاكَ أجلُّ قَــدْرَا

فجعلها – لحسنها وجمالها – فَوْقَ الإنس والجن .

وقال حَسَّان :

جِنِّيَّـــةٌ أَرَّقَنِى حُبُّهَـــا تَذْهَبُ صُبْحاً وتُرَى فى المَنَامْ[4]

(١) م «أى ما ينسبها إلى»

(٢) ق «وقال أبو دهبل الجمحى»

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان حسان ٣٨٠ «أرقنى طيفها» وفى ق «أرقنى حسنها»

فأَما قول الشَّنْفرَى :

* فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الحُسْنِ جُنَّت[١] *

فإنى أظنه أراد : لو عرضت الجنُّ لأَحد من حُسْنِه عَرَضَتْ لها . وقد قيل فيه غير شىء ، وكلُّه ردىء ، وليس مثله يذكر .

* * *

وقال أبو تمام :

أَينَ التى كانتْ إذا شاءَت جرَى ... مِنْ مُقْلَتِي دَمْعٌ يُعَصْفِرُهُ دَمُ ؟[٢]

بَيْضَاءُ تَسْرِى فى الظَّلام فَيَكْتَسِى ... نُورًا ، وتَبْدُو فى الضِّياء فَيُظْلِمُ[٣]

يَسْتَعْذِبُ الرِّعْدِيدُ فيها حَتْفَهُ ... فتَرَاهُ ـ وهو المُسْتَمِيتُ ـ المُعْلِمُ[٤]

مَقْسُومَةٌ فى الحُسْن بَلْ هِىَ غَايَةٌ ... فالحسنُ فيها والجمال مُقَسَّم

مَلْطُومَةٌ بالوَرْدِ ، أُطْلِقَ طَرْفُها ... فى الخَلْقِ فَهْوَ مَعَ المَنُونِ مُحَكَّمُ

قوله : « بيضاءُ تَسْرِى فى الظلام فيكتسى نورا » ـ هو مذهب الناس نحو قول امرئ القيس :

تُضِئُ الظَّلامَ بالعشَاء كأَنَّها ... [ مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ ][٥]

وقول مُزَاحِم : « صَدَعْنَ الدُّجَى » . وأَشباه هذا .

وقوله : « تَبْدُو فى الضِّياءِ فيُظْلِمُ » . يريد أَن نورَها يغلب على ضوء

---

(١) سبق مع تخريجه ص ١٤٥ من الجزء الأول .

(٢) ديوان أبى تمام ٢٨٣ وشرح التبريزى ٣ / ٢١٢

(٣) ويروى : « بيضاء تبدو . . . وتسرب فى الضياء »

(٤) شرح التبريزى « يستعذب المقدام » والمعلم : الذى يجعل لنفسه علامة يعلم بها فى الحرب .

(٥) الزيادة من ق ، وديوان امرئ القيس ١٣١

النهار حتى يصير كأنه مظلم . وهذا أيضاً معنى معروف ، من قولهم : لو برزت للشمس لكَسَفَتْها ، والنهارُ عند نُورِ وَجْهِها ليلٌ ، وأشباه هذا .

وقال فى موضع آخر :

وَلِهَتْ فأَظْلَمَ كلُّ شىءٍ دُونَهـا وأَضَاءَ منها كلُّ شَىءٍ مُظْلِمِ(١)

فقوله : «أَظلم كلُّ شىءٍ دُونَها» — ليس من هذا الباب . وإنما أراد أن أمر الفراق أَوْلَهَهَا فأظلمت الأَشياءُ فى عينها ؛ لِعِظَمِ ما وَرَدَ عليها .

وهذا مثل قول الشاعر ، وأنشده أبو تمام فى الحماسة .

نَعَى لى أَبَا المقدام فَاْسْوَدَّ مَنْظَرِى من الأَرضِ ، وَاْسْتَكَّتْ علىَّ المَسَامِعُ(٢)

قوله : و «أَضَاءَ منها كلُّ شىءٍ مُظْلِم» — مثل قوله : «تَبْدُو فى الظلام فيكْتَسِى نُورًا» .

وقوله : «مَقْسُومَةٌ فى الحُسْن» أى محظوظة منه ، كأنها قد قسم لها منه ، والقسم : النصيب .

وقوله : «مَلْطُومَةٌ بالوَرْد» — يريد حُمْرَة خدِّها . فلم لم يقل : مَصْفُوعَة بالقَارِ ، ويريد سَوَادَ شعرها ، ومَخْبُوطَة بالشحم يريد امتلاءَ لجسمها ، ومضْرُوبة بالقطن يريد بياضها . إن هذا لأَحْمَقُ ما يكون من اللَّفظ ، وأسخفه ، وأوسخه .

وقد جاءَ مثل هذا فى كلام العرب ولكن على وجه حسن . قال النابغة :

مَقْذُوفَةٌ بِدَخِيسِ اللَّحْمِ بَازِلُهَـا [لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ](٣)

---

(١) ديوان أبى تمام ٣١٢ وشرح التبريزى ٣ / ٢٤٨ «وأنار»

(٢) الحماسة بشرح المرزوقى ٢ / ٨٦٧ وفى الأصل : «أبو المقدام»

(٣) ق «بدخيس النحض» والزيادة منها ومن الديوان ٢٦ والبيت فى اللسان ٧ / ٣٨٠ ، ٩٣/١١ والدخيس : اللحم المكتنز . والنحض : اللحم . والصريف : الصوت . والقعو : البكرة

يريد أنها قُذِفَت بالشَّحْم ، أى كأنه رُمِىَ على جسمها رمياً .

وإنما ذهب أبو تمام إلى قول أبى نواس : «وتَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ »(١)

وهذه كانت تلطم على الحقيقة فى مأْتم على ميّت بأَنامل مَخْضُوبة الأَطراف ، فجعلها عنَّاباً تلطم به وردًا ، فأَتى بالظرف كلِّه ، والحسن أجمعه ، والتشبيه على حقيقته .

وجاء أبو تمام بالجهل على وجهه ، والحمق بأَسْرِهِ ، والخطأ بعينه .

* * *

وقال :

ومَقْدُودَةٍ رُوْدٍ تَكَادُ تَقُدُّهـــا إصَابَتُها بالعَيْنِ مِنْ حُسُنِ القَدِّ(٢)

تُعَصْفرُ خَدَّيْهَا العُيُونُ بِحُمْرَةٍ إذَا وَرَدَتْ كانَتْ وبَالاً عَلَى الوَرْدِ

إذا زَهَّدَتْنِى فى الهَوَى خِيفَةُ الرَّدَى جَلَتْ لِىَ عَنْ وجْهٍ يُزَهِّدُ فى الزُّهْدِ

قوله : «مِنْ حُسُن القَدِّ – بضم السين – من أقبح لفظةٍ وأهجنها . ومثله قوله :

* «أعرضت عن الإعراض» *(٣)

وهذا إذا سمعه الأَعراب ضحكوا منه . بل الجيد قولُه :

لَوْلاَ العُيونُ وتُفَّاحُ الخُـــدُودِ إذًا ما كانَ يَحْسُدُ أَعْمَى مَنْ لَهُ بَصَرُ(٤)

(١) صدره : « يبكى فيذرى الدر من نرجس » والبيت فى ديوان أبى نواس ٣٥٠ والصناعتين ٢٠١ والوساطة ٣٨ ، ٣٢٠

(٢) ديوان أبى تمام ١١٤ وشرح التبريزى ٢ / ٦١

(٣) تمام البيت ، كما فى ديوان أبى تمام ١٨٧

أعرضت برهـــة فلما أحست بالنوى أعرضت عن الإعراض

(٤) ديوان أبى تمام ١٤٩ وشرح التبريزى ٢ / ١٨٤

وأول هذه القصيدة :

يا هذهِ أَقْصِرِى ما هذِه بَشَرُ ... ولا الخَرَائِدُ من أَتْرَابِهَا الأُخَرُ[١]
خَرَجْنَ فى خُضْرَةٍ كالرَّوْضِ لَيْسَ لها ... إِلَّا الحُلِيَّ على أَعْنَاقِها زَهَرُ
بِدُرَّةٍ حَفَّها مِنْ حَوْلِهَا دُرَرٌ ... أَرْضَى غَرَامِىَ فيها دَمْعِىَ الدُّرَرُ
صَبٌّ الشبابُ عليها وهْوَ مُقْتَبِـلٌ ... ماءٌ من الحُسْنِ ما فى صَفْوِهِ كَدَرُ

قوله : «خَرَجْنَ فى خُضْرَةٍ» ، فإِنَّ الخضرة ليست من ألوان ثياب نساء البادية ، ولا من صِبْغِ نساء الأَمصار إلا فى الفرط ، لا يلبس إلا أَن يكون أَصل لون الثوب أَخضر

وقد جعل[٢] أبو تمام جميع لباس هؤلاءِ النِّسوة الأَخضر ، وشَبَّهه بالروض من أَجل تشبيهه الحلى بالزَّهر ، وهو نبت حسن . وغرضه فى ذكر الخضرة غرض صحيح إلا أَنه غير معروف .

* * *

وقال البحترى :

وأَخْضَرٌ مَوْشِىٌّ البُرُودِ وقَدْ بَدا ... مِنْهُنَّ دِيباجُ الخُدُودِ المُذْهَبُ[٣]

ذكر الخضرة لأَنه لم يجد لوناً غيرها ؛ وذلك أَن البياض ليس مما توصف به ثياب النساء ، والسواد ثياب الحزن والمصائب . وقد جعل خدودهن ديباجاً مُذْهباً ، والذَّهب يشتمل على لون الحمرة ، والصّفرة ، والتَّوْرِيد هو من أَلوان الخد ، والكُحْلِىّ لا يلفظ به ، والعرب لا تَذْكُرُه فى

(١) م «وقد جمع»
(٢) ديوان البحترى ٦٨١ ، ١/٧١ طبع المعارف
(٣) م «الحسن» !

الألوان ، وكذلك الأَزْرق لا تستعمله إلا فى صفة الماء والصبح . ويقولون : عَدُوٌّ أَزْرَق ، أى حديد النَّظر ، وسنان أَزْرَق أى حديده . ولم يبق من الألوان ما يخالفُ لونَ الخدود المذهبة كما قال إلا الخُضْرة . فهذا وجه ذكر البحترى الخضرة ؛ لأنه لو قال :

وأَحْمَرٌ مَوْشِىٌّ الخدودِ وقد بَدَا منهن ديباجُ الخدودِ المُذْهَبُ

لكان مدحاً بلونين متفقين .

* * *

وقال البحترى :

هَزَّ مِنْها شَرْخُ الشَّبابِ فَجَالَتْ فَوْق خَصْرٍ كثيرِ جَوْلِ الوِشَاحِ (١)
وأَرتْنَا خَدًّا يُرَاحُ لَهُ الــوَرْ دُ ويَشْتَمُّهُ جَنَى التُّفَّاحِ
وشَتِيتاً يَغُضُّ مِنْ لُؤْلُؤِ النَّظْ مِ ويُزْرِى على شَتِيتِ الأَقَاحِى
فأَضَاءَتْ تَحْتَ الدُّجُنَّةِ لِلشَّرْ بِ وكادَتْ تُضِىءُ لِلْمِصْبَاحِ
وأَشَــارتْ على الغِنَــاءِ بأَلْحا ظٍ مِرَاضٍ مِنَ التَّصَابِى صِحَاحِ
فَطَرِبْنَــا لَهُنَّ قَبْلَ المَثَانِى وَسَكِرْنَا مِنْهُنَّ قَبْلَ الرَّاحِ
قَدْ تُدِيرُ الجُفُونُ مِنْ عَدَمِ الأَلْ بَابِ مَا لاَ يَدُورُ فى الأَقْدَاحِ

قوله : « فجَالت فوق خصْر » كلام حسن .

وقوله : « يراح له الورد » حسن أَيضاً .

وقول أَبى تمام : « كانت وَبَالاً على الوَرْد » ـ أَحسن منه وأَلطف ، وأَشبه بما يستعمل فى هذا المعنى .

---

(١) ديوان البحترى ٣٨٢ ، ١ / ٤٥٧ دار المعارف

وقوله : «ويَشْتَمُّهُ جَنَى التُّفَّاح» – ليس بالجيد ، بل هو ردىء؛ لأنَّه لا يدخل فى الاستعارة أن يشتم التفاحُ خدَّها ، ولكنه يحمل على أنه لو كان مما يَشْتَمُّ لاشْتَمَّ خدَّها ، أو لو كان الورد مما يراح لراح له . و « يراح » أسهل من «يشم» .

وهذا مثل قول [ عَوْفُ بن عَطِيَّة ][1] بن الخَرِع :

لها حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الوَلِيدِ   يَتَّخِذُ الفأْر فيه مَغَارَا[2]

والفأر لا تتخذ فى الحافر مغارًا ، وإنما قال ذلك لعظم الحافر . ومثله أيضاً قولهم : جاء بِجَفْنَة يقعد فيها خمسة . وإنما أراد لو قعدوا فيها لوسعتهم .

وهذا على كل حال أقرب من استعارة البحترى .

وقوله : « وشَتِيتاً يغضّ مِنْ لُؤْلُؤ النَّظْم » بيت فى غاية الجودة ، والصحة ، والبراعة .

وكذلك قوله : « وكادَت تُضِىءُ لِلْمِصْبَاحِ » . وهو أجود من قول أبى تمام : «وتَبْدُو فى الضياءِ فَيُظْلِمُ » ، وأوضح وأليق ، وأشدّ مبالغةً فى الضوء .

* * *

وقال[3] البحترى :

وبِنَفْسِى مُسْتَغْرَبُ الحُسْنِ فِيــهِ   حَيَدٌ عَنْ مُحِبِّهِ ونِفَارُ[4]
فَاتِرُ النَّاظِرَيْنِ يَنْتَسِبُ الوَرْ   دُ إلى وَجْنَتَيْهِ ، والجُلَّنَــارُ[5]
مُذْنِبٌ يُكْثِرُ التَّجَنِّى فَمِنْهُ الذَّ   نْبُ ظُلْماً ، ومِنِّى الإِعْتِذَارُ

---

(١) الزيادة من ق

(٢) المفضليات ٤١٤ والمعانى الكبير لابن قتيبة ١ / ١٦٩ والشرح منه .

(٣) م « وقول »

(٤) ديوان البحترى ١٠٤ ، ٢ / ٨٥٢ « محبة وازورار » .

(٥) م « ينسب الورد » والجلنار : زهر الرمان .

وهذا من قول المُؤَمَّل بن أُمَيل المُحَارِبى :

* وُتذْنِبونَ فنأْتيكُمْ فَنَعْتَذِرُ[١] *

وقال البحترى :

وقَدْ نَهَيْتُ فُؤادِى لَوْ يُطَاوِعُنى عَنْ ذِى دَلاَلٍ غَرِيبِ الحُسْنِ مُفْرَدِهِ[٢]
عَنْ حُبِّ أَحْوَى أَسِيلِ الخدِّ أبيضِهِ ساجِى الجُفُون، كَحِيلِ الطَّرْفِ أَسْوَدِهِ
مثلِ الكثيبِ تعالَى فى تَرَاكُمِهِ مثلِ القَضيبِ تَثَنًّى فى تَأَوُّدِهِ

فجعل الخدَّ ههنا أَبيضَ من أجل قوله : « كحيلِ الطرفِ أسودِهِ » . وابيضاضُ الخد عند كثير من الناس — إذا كان له ماء ورونق — أَحسنُ من احمراره .

وقوله : « أَحْوَى » . إنما ذهب به إلى الظَّبى . وهو الذى فى ظهره خط أسود ، فقال « أحوى » مكان قوله « ظبى » لَوْ قَالَهُ .

وهذا لفظ ومعنى فى غاية الحسن .

وقال :

بَيْضَاءُ أَوْقَدَ خَدَّيْهَا الصِّبَا وَسَقَى أَجْفَانَها مِنْ مدَام الرَّاحِ ساقِيها[٣]
فى حُمْرَةِ الوَرْدِ شَكْلٌ مِنْ تَلَهُّبِهَا وللقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَثَنِّيها

قوله : « أَوْ قَدَ خدَّيْها الصِّبا » يريد احمرارَها . وهذا لفظ حسن ، ومعنى مستقيم .

---

(١) صدره : « إذا مرضنا أتيناكم نعودكم » ، كما نهاية الأرب ٣ / ٩٢ وهو غير منسوب فى عيون الأخبار ٣ / ٤٥

(٢) ديوان البحترى ٥٨٠ ، ١ / ٤٩٨ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٣٦ ، ٤/٢٤٠٩ — ٢٤١٠

وقوله : «وسقَى أجفانَها مِنْ مُدام الرَّاحِ ساقِيها» يريد تَفْتِيرَ ألحاظها ، وانكسار أجفانِها من الغَنَج ، كما تتكسَّر أجفانُ السكران . وهذا كقوله :

تَحْسبَهُ نَشْوَانَ إمَّا رَنَا لِلِـ فَتْرِ مِنْ أجفانِهِ وَهْوَ صَاحْ[١]

والأشهرُ[٢] الأكثرُ فى كلامهم تشبيههم أجفانَ المحبوب بطرف الوَسْنَان لا بطرف السكران . فذلك نحو قول الشاعر :

وكأنَّها بَيْنَ النِّساء أعَارَها عَيْنَيْهِ أحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جَاسِمِ[٣]
وسْنَانُ أقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فى عَيْنِهِ سِنَةٌ ، وَلَيْسَ بِنَائِمِ[٤]

ويجعلون طرف المحبوب هو الذى يُسكر ، ويقيمونه مقام الراح . وقد أكثر البحترى من هذا الوصف ، وذلك قوله :

أرْسَلَتْ شُغْلَيْنِ : مِنْ لَفْظٍ مَحَاسِنُهُ تُدْوِى الصَّحِيحَ ، ولَحْظٍ يُسْكِرُ الصاحِى[٥]
حَيَّيْتُ خدَّيْكَ ، بَلْ حَيَّيْتُ مِنْ طَرَبٍ وَرْدًا بِوَرْدٍ ، وتُفَّاحاً بِتُفَّاحِ

[ وقوله :

قد تُديرُ الجفُونُ من عدم الأَلْـ بابِ ما لا يدور فى الأقْدَاحِ ][٦]

---

(١) ديوان البحترى ٦٤٩ ، ١ / ٤٣٥ دار المعارف .

(٢) م «والأشهد» !

(٣) لعدى بن الرقاع كما فى الكامل ١ / ١٢٧ والشعر والشعراء ٢ / ٦٠٢ وأمالى المرتضى ١ / ٥١١ وفى الأغانى ٨ / ١٨١ «الجآذر : جمع جؤذر ، وهى أولاد البقر الوحشية . وجاسم : موضع . ويروى عاسم مكان جاسم . والوسنان : النائم . والوسن . النوم ، الواحدة منه سنة . والترنيق : الدنو من الشىء يريد أن يفعله» .

(٤) له فى اللسان ١١ / ٤١٩

(٥) ديوان البحترى ٥٨ ، ١ / ٤٤٣ وفى م «تروى الصحيح» ! .

(٦) سبق ص ٩٧ .

وقوله :

وَمَا أَسْكَرَتْنِى الرَّاحُ لكِنْ أَعَانَها عَلَىَّ بِعَيْنَيْهِ الغَدَاةَ - مُدِيرُهَا[١]

وقوله :

سقَانِى بِكَأْسَيْهِ ، وعَيْنَيْهِ قَادِرًا بِـأَلحاظِهِ دُونَ المُدَامِ عَلَى سُكْرِى[٢]

وقوله :

مُسْكِرِى إنْ شَرِبْتُ مِنْهُ بِعَيْنِى أُرْجُوَانٌ مِنْ خَمْرِ خَدَّيْهِ صِرْفُ[٣]

ولو قال : «خندريس من خمر عينيه» كان ذلك صحيحاً مستقيماً ، ولكن «أرجوان من خمر خديه» أحسنُ وألطف .

ولما قال : «بيضاءُ أَوْقَدَ خدَّها الصَّبا» كان يجب أن يقول : فى حمرة الورد شكل من تلهبها ، فلم يَقُلْ ، ونسب التَّلَهُّب إليها ، وإن كان للخدَّين ، وذلك من أجل قوله :

* وللقَضِيبِ نَصِيبُ مِنْ تَثَنِّيها *

ويجوز أن يكون ذهب بقوله من تَلَهُّبها إلى تَلَهّب نار الخدين ؛ لأنه قد دل عليها بالإيقاد .

* * *

وقال أبو تمام فى حُمْرَةِ الخَدّ :

إنَّ فى خَيْمِهِمْ لَمُطْعَمَةُ الحِجْ لَيْنِ والمَتْنُ مَتْنُ خُوطٍ وَرِيقِ[٤]

وكأَنَّ الجِرْيَالَ شِيبَ بِمَاءِ الدُّ رِّ فى خَدِّها بماء العَقِيق

(١) ديوان البحترى ٦٠٥ «وما صرعتنى الكأس» وفى ق «حتى أعانها» وكذلك فى ديوانه ٢ / ٩٩٩ طبع دار المعارف

(٢) ديوانه ١٥١ ، ٢ / ٤١٥ دار المعارف .

(٣) ديوانه ١٣٧٦ «إن سقيت» .

(٤) ديوان أبى تمام ٢١٦ وشرح التبريزى ٢ / ٤٣٢ ويروى : «لمفعمة الحجلين» .

كذا رواية هذا البيت : « شيب بماء الدر فى خدها[1] بماء العقيق » [ وهو الصحيح ][2]

والجريال :اللون الأحمر . وأراه أراد لون الخمر ، كما قال الأَعْشَى :

«سَلَبَتْها جِرْيَالَهَا »[3] . أى حمرتها . وقد سئل عن هذا ، فقال : شربتها حمراء ، وبلتها بيضاء .

واستقامة اللفظ أن يكون أراد : وكأَن الجِرْيالَ بماء العقيق شِيبَ بماءِ الدّر فى خدّها ، كما قال فى نحو هذا اللفظ :

وأَخْلاقٌ كأَنَّ المِسْكَ فيها بِصَفْوِ الرَّاحِ بالنُّطَفِ العِذَابِ[4]

فإن كان هذا أراد فقد كان ماءُ العقيق يُغْنى عن الجِرْيال ؛ لأَن الدُّرَّ والعَقِيق جوهران ، واختلاط مائهما على الاستعارة حتى يشبه الخد المورَّد — سائغ .

وإن كان أراد بالجِرْيَالِ الخمر نفسها كما قال الشاعر :

* وتَكَلَّمَتْ بِلِسَانِها الجِرْيَالُ *

— فإن الخمرة بحمرة لونها مستغنية عن ماء[5] العقيق ؛ لأَنها أنصع وأحسن

وهو أيضاً [جمع][6] بين شيئين لا يتشابهان :

( ١ ) م « فى خدها بالعقيق »
( ٢ ) الزيادة من ق
( ٣ ) تمام بيت الأعشى ، كما فى ديوانه واللسان ١٣ / ١١٤
وسبيئة مما تعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
( ٤ ) ديوان أبى تمام ٥٥ وشرح التبريزى ١ / ٢٨٨
( ٥ ) م « مستغبة بماء »
( ٦ ) الزيادة من ق .

والعادية الجارية فى مثل هذا أن يقال : كأن خدَّها الخمر والماء ، أو كأنها جرت فى خدها الخمر والماء ، فأما الخمر ممزوجة أو مَشُوبة بماء العقيق فإنه خَطَلٌ من القول .

* * *

وقال أبو تمام :

رُوْدٌ أَصَابَتْها النَّوَى فى خُرَّد كانَتْ بُدُورَ دُجُنَّةٍ وشُمُوسَا[1]

وكأنَّما أَهْدَى شَقَائِقَهُ إلى وَجَنَاتِهِنَّ ضحى أَبُو قَابُوسَا

بيضاً يُدِرْنَ عُيُونَهُنَّ إلى الصَّبا فكأَنَّهن بها يُدِرْنَ كُؤُوسَا[2]

وهذه أبيات صالحة .

ثم جُنَّ بعد هذا فقال :

لَوْلاَ حَدَاثَتُها وأَنِّى لا أَرَى عَرْشاً لها لَظَنَنْتُهَا بِلْقِيسَا[3]

فأى شىء يزيدك على هذه الحماقة .

* * *

وقال البحترى :

سَفَرَتْ كَمَا سَفَرَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ عَنْ وَرْدٍ يُرَقْرِقُهُ الضُّحَى مَصْقُولِ[4]

---

(١) ديوان أبى تمام ١٧٥ وشرح التبريزى ٢٦٤

(٢) فى الديوان وشرحه : « بيض تدور »

(٣) غاية ما علق به التبريزى على هذا البيت قوله : « لأن بلقيس متقادمة العهد، ولو بقيت إلى الآن لصارت قفة » ! ! !

(٤) ديوان البحترى ١٧٨ ، ٣ / ١٨٣٩

وتَبَسَّمتَ عَنْ لُؤْلُؤٍ فى رَصْفِهِ   بَرَدٌ يَرُدُّ حُشَاشَةَ المَتْبُولِ

أى شيء يزيدك على هذا الإحسان[١] ؟

وأجود من هذا وأحلى – قول كُثَيِّر :

ويوم الخَيْلِ قَدْ سَفَرَتْ وكَفَّتْ   رِدَاءَ العَصْبِ عَنْ رَتلٍ بَرَادِ[٢]

وعَنْ نَجْلَاءَ تَدْمعُ فى بياضٍ   إذا دَمَعَتْ، وتَنْظُرُ فى سَوَادِ[٣]

وعن مُتَكاوِسٍ فى العَقْصِ جَثْلٍ   أَثِيثِ النَّبْتِ، ذِى غُدُرٍ جِعَادِ

مُتَكاوِس : شعر كثير قد ركب بعضه بعضاً .

---

(١) فى حماسة ابن الشجرى ١٩٠ « وقال البحترى ولم يقصر عن غاية الإحسان : أسفرت ... »

(٢) ديوان كثير ٢ / ١٥٩ والأغانى ١١ / ٤٧ « ويوم الخيل » وأمالى المرتضى ٢ / ١٧٨ .
وم ، ق : « يوم الحبل »

(٣) سبق فى ص ١٢٤ من الجزء الأول

## ما لاقاه فى وصف الثغور

وقال أبو تمام :

وثَنَــاياكِ إنَّها إغْــرِيضُ ولآلٍ تُومٌ ، وبَرْقٌ وَمِيضُ (١)
وأقَــاحٍ مُنَوَّرٌ فى بِطَاحٍ هَزَّهُ فى الصَّبَاحِ رَوْضٌ أرِيضُ
وارْتِكاضِ الكَرَى بِعَيْنَيْكِ فى النَّوْمِ فنُوناً ، وَمَا لِعَيْنَى غُمُوضُ (٢)
لَتَكَاءدْنَنِى غِمَارٌ مِنَ الأَحْداثِ لم أَدْرِ أَيُّهُنَّ أَخُوضُ

وهذهَ لعمر الله – يَمِينٌ فى غاية الحسن [ والحلاوة ] (٣) والملاحة .

وقوله : « وأقَاحٍ مُنَوَّرٌ فى بِطَاحٍ » كلام مستقيم . والبِطَاحُ : ما اطمأَن من الأرض وانْهبَط (٤) . والندى ، والعشب فيه أبقى . ورياضُ الحَزْنِ أحسن . فأما قول الأَعْشَى :

* ما رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ (٥) *

فإن الحَزْنَ ههنا : موضع كانت إبل الملوك تَرْعَى فيه على ما ذُكر .

وقوله : « هَزَّهُ فى الصَّبَاح رَوْضٌ أرِيضُ » ليس بالجيد اللائق ؛ لأن الأَقَاحِىَ هى من الروض ، والرَّوْض إنما يهزُّه ويحرِّكه الندى ، والنسيمُ ، لا أنْ يهزَّ بعضُه بعضاً .

---

( ١ ) ديوان أبى تمام ١٨١ وشرح التبريزى ٢ / ٢٨٧

( ٢ ) م « فتونا »

( ٣ ) الزيادة من ق

( ٤ ) م « والهبط »

( ٥ ) ديوان الأعشى ٤٣ وعجزه : « خضراء جاد عليها مسبل هطل »

والأَريض(١) : هو المتمكن فى موضعه ، الجيد النبات .

* **

وقال البحترى :

لها غَرائِبُ دَلٍّ ما يَزالُ لَهَا على الغَرام به حَثٌّ وتَحْرِيضُ(٢)

تُفَّاحُ خَدٍّ إذا احْمَرَّتْ مَحَاسِنُهُ مُقَبَّلٌ بِخَفِيٍّ اللَّحْظِ مَغْضُوض

وَواضِحَات تُرِيكَ الدُّرَّ مُتَّسِقاً كأَنَّهنَّ إذا اسْتَغْرَبْنَ إغْرِيضُ(٣)

لو كان يَكْفِيكَ عِلْمُ الشىء تَجْهَله فَقَدْ كفَاكَ مِنَ التَّصْرِيح تَعْرِيضُ(٤)

فقوله : «تُرِيكَ الدُّرَّ مُتَّسِقاً » أحسن ، وأصح من قول أبى تمام : «ولآلٍ تُوْم » . غير أن أبا تمام شَبَّه الثَّغْرَ فى بيته بثلاثة أشياء . وقد فعل البحترى ذلك فقال :

بَاتَ نَدِيماً لى حتّى الصَّباحْ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الوِشَاحْ(٥)

كأنَّما يَضْحَكُ عَنْ لُؤْلُؤٍ مُنَظَّم ، أَوْ بَرَدٍ ، أَوْ أَقَاحْ

فشبه الثغر بثلاثة أشياء ، وشرط فى اللؤلؤ أنه منَظَّم ، كما قال فى البيت الآخر :

«تريك(٦) الدُّرَّ متَّسقاً » ، حتى استوى التشبيه بالإغْرِيض .

---

(١) م « والأرض » !

(٢) ديوان البحترى ٢ / ١٢١٧ « بنا بث » ، م « حث وتعريض » والتصويب من ق

(٣) م « استغفرين »

(٤) ق « لقد كفاك »

(٥) ديوان البحترى ٦٤٩ ، ١ / ٤٣٥ دار المعارف .

(٦) م « يريد » !

وقد شبه الثغر بالبرد والأقاحي في مصراع فقال :

يَضْحَكْنَ عَنْ بَرَدٍ ، ونَوْرِ أَقَاحِ ويَشُبْنَ ظَلْمَ رُضَابِهِنَّ بِرَاحِ [١]

ووصله ببيت هو فى حسنه وحلاوته فقال :

وإذَا بَرَزْنَ مِن الخُدُورِ سَفَرْنَ عَنْ هَمَّيْكَ : مِنْ وَرْدٍ ، ومِنْ تُفَّاحِ

وقد شبه البحترى أيضاً بياض ثغر المرأة بالبرق ، وبضوء المصباح ، فقال :

أَضَوْءُ بَرْقٍ بَدَا ، أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ أَم ابْتِسَامَتُها بالمَنْظَرِ الضَّاحِى [٢]

ثم قال بعده :

ويَرْجِعُ الليلُ مُبْيَضًّا إذا ضَحِكَتْ عنْ أَبْيَضٍ خَضِلِ السِّمْطَيْنِ لَمَّاحِ [٣]

وهذا أحسن كلام ، وأصحه ، وأحلاه .

ولكن البديع فى تشبيه الثغر بالبرق قول العُدَيْل بن الفَرْخ العِجْلِى :

ضَحِكَتْ فَقُلْتُ : غَمَامَةٌ بَرَقَتْ لَنَا بِشِعَابِ مَكَّةَ بَرْقُهَا لاَ يَبْرَحُ [٤]

فشرط أن بَرْقَها مقيمٌ لا يبرح . وهذا ألطف ما يكون من المعانى وأحسنها .

وقد أحسن البحترى كل الإحسان فى قوله :

وشَتِيتاً يَغُضُّ مِنْ لُؤْلُؤِ النَّظْـ ـمِ ويزرِى عَلَى شَتِيتِ الأَقَاحِى [٥]

---

(١) ديوان البحترى ١ / ١٢٤ طبع بيروت ، ١ / ٤٧٦ دار المعارف .

(٢) ديوانه ٥٨ ، ١ / ٤٤٢ « ألمع برق سرى » .

(٣) فى الديوان « إذا ابتسمت » وفى ديوان المعانى ١ / ٢٣٨ « فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال : « خضل » لأن قلة الريق تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى فى هذا المعنى أجمع من هذا البيت

(٤) ق « بشعاف »

(٥) ديوان البحترى ٣٨٢ ، ١ / ٤٥٨ دار المعارف ، وفى م « ويندى على »

ومن إحسانه المشهور لفظاً ومعنى قوله :

وَلما ٱلْتَقَيْنَا والنَّقَا مَوْعِدٌ لَنَا ... تَعَجَّبَ رَائِى الدّرِّ حُسْناً ولَاقِطُهْ[١]
فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تُبْدِيه عِنْدَ ٱبْتِسَامِهَا ... ومِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ الحديثِ تُسَاقِطُهْ[٢]

والعرب تشبه الثغر باللؤلؤ . والإغريض ، وهو ما[٣] يتشقق عنه الطلع من النخل ، [و] بالأقاحى ، وهو أشبهها بالثغر هَيْئَةً ، وشكلاً ، وبياضاً ، وتَفَلُّجاً . وتُشَبِّهُه بالبَرد ، وبشوك السَّيَال ، وهو شجر ، ولا يريدون اللَّون ، وإنما يريدون الشَّكل والتَّفَرُّق ، قال الأَعْشَى :

بَاكَرَتْهَا الأَغْرَابُ فى سِنَةِ النَّـو ... مِ فَتَجْرِى خِلَالَ شَوْكِ السَّيَالِ[٤]

الأَغْرَابُ : أَقْداح الفِضَّة باكرتها وفيها الخمر

[ وقد] قال أبو تمام :

وعَلَى العِيسِ خُرَّدٌ يتَبَسَّمْـ ... نَ عَنِ ، الأَشْنَبِ الشَّتِيتِ البُرَادِ[٥]
كَانَ شَوْكَ السَّيالِ حُسْناً فَأَضْحَى ... دُونَه لِلْفِرَاقِ شَوْكُ القَتَادِ[٦]

فالبراد : هو البارد ، والأَشْنَبُ أيضاً : البارد ، والشنب : البرد . وإنما جمع بينهما لاختلاف اللفظ

وقال أبو تمام :

ولَوْ تَبَسَّم عُجْنَا الطَّرْفَ فى بَرَدٍ ... وفى أَقاحٍ سَقَتْهُ الخَمْرُ والضَّرَبُ[٧]
مِن شَكْلِهِ الدُّرُّ فى رَصْفِ النِّظَامِ ومِنْ ... صِفَاتِهِ الفِتْنتانِ : الظَّلْمُ ، والشَّنَبُ

(١) ديوان البحترى ١٧٩ ، ٢ / ١٢٣٠ وديوان المعانى ١ / ٢٣٨
(٢) فى الديوان « لؤلؤ تجلوه »
(٣) م « وهماما »
(٤) ديوان الأعشى ٥ واللسان ٢ / ١٣٦ ، ١٣ / ٣٧٤
(٥) ديوان أبى تمام ٧٥ وشرح التبريزى ١ / ٣٥٩ وأمالى المرتضى ٢ / ١٧٨
(٦) فى الديوان وشرحه « فأمسى »
(٧) ديوانه ٤٧ وشرح التبريزى ١ / ٢٤٧

قوله : « فى أقاح سقته الخمر والضرب » معنى حسن جدًّا ، ولائق بالمعنى.

والظَّلْمُ : ماء الأسنان . والشَّنَبُ : بَرْدُها .

وتزعم الرواة أن أحسن ما قيل فى وصف الثغر قول بِشْر بن أَبى خَازِم[١] :

يُفَلِّجْنَ الشِّفَاهَ عَن أُقْحُوَانٍ جَلاَهُ غِبٌّ سَارِيَةٍ قِطَارُ[٢]

وهذا – لعمرى – يستحق التقديم والتفضيل . وليس بدونه قول النابغة :

كالأُقْحُوَان غَدَاةَ غِبٍّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أعالِيه ، وأَسْفَلُهُ نَدِى[٣]

بل قول النابغة أجمع للمعنى ؛ لأَن قوله : « كالأُقْحُوانِ غَدَاةَ غِبِّ سمائِه » – بإِزاء قول بِشْر : « جَلاَهُ غِبٌّ سَارِيَةٍ قِطَارُ »

وقول النابغة : « جفت أعاليه ، وأسفله ندى » زيادة حسنة .

ولكن بيت بِشْر أبرع ؛ لأنه مستغن بنفسه ، وبيت النابغة متعلِّق على البيت الذى قبله .

---

(١) م « حازم »

(٢) ديوان بشر بن أبى خازم ٦٣ وديوان المعانى ١ / ٢٣٨

(٣) ديوان النابغة ٣٧ وديوان المعانى

## ما قالاه فى وصف القدود ، والخصور ، والأخصاف وثقل الأرداف ، وحسن المشى

قال أبو تمام :

وَمَقْدُودَةٍ رُوْدٍ تكَادُ تَقُــدُّهَا إِصابَتُها بالعَيْنِ مِنْ حُسْنِ القَدِّ(١)

تُعَصْفِرُ خَدَّيْها العيونُ بِحُمْرَةٍ إذا وَرَدَتْ كانَتْ وَبَالاً على الوَرْدِ(٢)

وقال :

وخُــوطِيَّةٍ شَمْسيَّةٍ رَشَئِيَّةٍ مُهَفْهفَةِ الأَعْلَى ، رَدَاح المُحَقَّبِ(٣)

تُصَدِّعُ شَمْلَ القَلْبِ مِنْ كُلِّ وجْهَةٍ وتَشْعَبُهُ بالبَثِّ مِنْ كُلِّ مَشْعَبِ

بِمُخْتَتلٍ سَاجٍ مِنَ الطَّرْفِ أَحْورٍ ومُقْتَتَلٍ صَافٍ مِنَ الثَّغرِ أَشْنَبِ

مِنَ المُعْطِيَاتِ الحُسْنَ ، والمُؤْتيَاتِهِ مُجَلْبَبَةً ، أَوْ فَاضِلاً لَمْ تُجَلْبَبِ

وهذه معان حسنة ، وقول حلو .

والرَّدَاح : العظيمة العَجُز .

وقوله : تُصَدِّع شَمْلَ القلبِ ، وتشعبه — بمعنى واحد . ولولا قوله : « بالبثِّ » لصلح أن يكون تَشْعَبُه : تضم أجزاءه ، وتلائم بينها ؛ لأن شَعَبَ من الأضداد(٤) : يكون جمعت وفرّقت ، فكأن المعنى حينئذ : تصدع شمل

(١) ديوان أبى تمام ١١٤ وشرح التبريزى ٢ / ٦١
(٢) راجع ص ٩٥
(٣) ديوانه ٢٣ وشرح التبريزى ١ / ١٥٤
(٤) راجع الأضداد لابن الأنبارى ٤٣

القلب أى تفرّقه إذا شاعت ، وتَشْعَبُه أى تضمُّه وتجمعه ، كما قال فى موضع آخر :

وعَهْدِى بها تُحْيِي الهَوَى وتُمِيتُهُ     وتَشْعَبَ أَعْشارَ الفُؤَادِ وتَصْدَعُ[1]

أى تحيي الهوى بهجرها ، وتميته بوصلها .

وقوله : « ساج » أى يختل بنظره . ومقتتل صاف ، يريد قتل الحب ؛ يقال : اُقْتَتَلَهُ الحبُّ ، واُقْتَتَلَتْهُ الجنُّ ، كأنه اعتمد ازدواج اللفظين بقوله : مُخْتَتَل ، ومُقْتَتَل .

وقوله : « مُجلْبَبَةٌ » من الجلْبَاب وهو : الخِمَار ، وقد يكون أيضاً : الثّوب .

« أَوْفَاضِلاً لَمْ تُجَلْبَبِ » ، والفَاضِل : هى المُتَفَضِّلَةُ فى ثوب واحد ، وهو الذى تَلْبَسُه[2] المرأة لِلْبِذْلَةِ والاعْتِمَال .

* * *

وقال :

مِنْ كُلِّ ضَاحِكَةِ التَّرَائِبِ أُرْهِفَتْ     إِرْهَافَ خُوطِ البَانَةِ المَيَّاسِ[3]

بَدْرٌ أَطَاعَتْ فيكَ بَادِرَةَ النَّـوَى     خَطَأً ، وَشَمْسٌ أُولِعَتْ بِشِمَاسِ[4]

وإِذا مَشَتْ تَرَكَتْ بصَدْرِك ضِعْفَ مَا     بِحلْيِها مِنْ كَثْرَةِ الوَسْوَاسِ[5]

والخِطْءُ : ما يعتمده الإنسان ، والخَطأُ : ما لا يعتمد[6] .

---

(١) سبق ص ٨٣

(٢) م « البسته »

(٣) ديوان أبى تمام ١٧٣ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤٣ وأرهفت : أى رق خلقها .

(٤) فى الديوان وشرحه « التوى ولعاً »

(٥) هذا البيت فى الأصل مؤخر عن شرح البيتين .

(٦) اللسان ١ / ٥٩

وقوله : «ضاحكة الترائب» : يريد ما على صدرها من الحلى . والتّرائب : عظام الصّدر .

وقال :

إن فى خَيْمِهِمْ لَمُطْعَمَةُ الحِجْ لَيْن ، والمَتْنُ مَتْنُ خُوطٍ وَرِيقِ[1]
وَهِىَ لا عَقْدُ وُدِّهَا سَاعَةَ البَيْ ن ، ولا عَقْدُ خَصْرِهَا بوَثِيـــقِ

قوله : «مطعمة الحِجْلَيْن» ، والحِجْل : الخَلْخَال ، والمُطْعَمُ : المَرْزُوق من الطُّعْم . جعل امتلاء لحم ساقها طُعماً لخلخالها ؛ لأنّه يَعَضُّ به .

وقوله : «وهى لا عَقْد وُدِّها ساعةَ البَيْن [أراد : ولا عقد ودها ساعة البين] بوثيق ، ولا عقد خصرها بوثيق على كل حال . ولكنه لما أخبر عنها[2] خبرًا واحدًا ، ونسق بأحدهما على الآخر – صار الظرف ، وهو ساعة البين ، على ظاهر اللفظ . كأنه يضمهما[3] معاً ، فيكون عقد خصرها غير وثيق أيضاً فى ساعة البين . وهو قبيح على جوازه وسَوْغِه .

* * *

وقال البحترى :

وفيهنَّ مَشْغُولٌ بهِ الطَّرْفُ هَاربٌ بعَيْنَيْهِ مِنْ لَحْظِ المُحِبِّ المُخَالِسِ[4]
يُخَبِّرُ عَنْ غُصْنٍ مِنَ البَانِ مَائِدٍ إذا اهْتَزَّ فى ضَرْبٍ مِن الدَّل مَائِسِ

وهذا نمط البحترى الحلو . وإنما قال : «هارب بعينيه» ، فخصهما

(١) م «فى حيم» وسبق ص ١٠١ «خيمهم»
(٢) م «عنها»
(٣) م «يضمها»
(٤) ديوان البحترى ١١٦ ، ٢ / ١١٢٣

دون غيرهما ؛ لأن الحسن[١] إنما هو فى العين ، وعلاقة الحب إنما تكون عند النظر إلى العين[٢] .

وقال :

وَقَدْ بَانَ فيهِمْ غُصْنُ بَان إذَا بَدَا ثَوَى مُخْبِرًا عَنْ مِثْلِهِ أَوْ مِثَالِهِ[٣]

يَسُوءُكَ أَلاَّ عَطْفَ عِند ٱنْعِطَافِهِ ويُشْجِيكَ أَلاَّ عَدْلَ عِنْد ٱعْتِدَالِهِ[٤]

كأنه أراد بالمثل الشىء نفسه ، والمِثَالُ : الشِّبْهُ ، أى ثوى مُخْبِرًا عن غصن بان مثلِه ، أو شبهِه . إلى هذا ذَهَب .

وقال :

أُعْطِيَتْ بَسْطَةً على النَّاسِ حتَّى هِىَ صِنْفٌ فى الحُسْنِ ،والناسُ صِنْفُ[٥]

ٱعْتِدَالٌ يَمِيل مِنْهُ ٱنْخِنَاثٌ وتَثَنٍّ فيه الفَخَامَةُ لُطْفُ[٦]

نَعْمَةُ الغصنِ إنْ تَأَوَّدَ عِطْفٌ مِنْهُ عن هِزَّةٍ تَمَاسَكَ عِطْفُ[٧]

مُسْكِرِى إنْ سُقِيتُ مِنْهُ بِعَيْنِى أُرْجُوَانٌ وِنْ خَمْرِ خَدَّيْهِ صِرْفُ[٨]

وهذا من إحسانه المشهور .

* * *

(١) م « إلا أن الحسن »

(٢) م « إلى اللعين » !

(٣) فى الديوان ١٦٢٣/٣ « مخبر »

(٤) كذا فى م ، ق وفى الديوان : « إلا العطف . . . إلا العدل »

(٥) ديوان البحترى ٣٢٩ ، ١٣٧٥ « صنف والناس فى الحسن صنف »

(٦) فى الديوان « ويثنى فيه »

(٧) م « عن حمة تماسك »

(٨) سبق ص ١٠١

وقال :

لَمَّا مَشَيْنَ بِذِى الأَرَاكِ تَشَابَهَتْ أَعْطَافُ قُضْبَان بِهِ وَقُدُودِ[١]

فى حُلَّتَىْ حِبَرٍ ورَوْضٍ فَالْتَقَى وَشْيَانِ : وَشْىُ رُبًى ، وَوَشْىُ بُرُود

وَسفَرْنَ فامْتَلأَتْ عُيونٌ رَاقَهـا وَرْدَانِ : وَرْدُ جَنًى ، ووَرْدُ خُدُود[٢]

وَضَحِكْنَ فاغْتَرَبَ الأَقَاحِى مِنْ نَدٍ غَضٍّ ، وَسَلْسَالِ الرُّضَابِ ، بَرُودِ[٣]

وهذا أيضاً من إحسانه المعروف .

وقوله : «فاغترب» يريد الضَّحِك . والمستعمل اْستَغْرَبَ فى الضحك إذا اشتد فيه ، وأغرب أيضاً ، قال ذُو الرُّمَّة :

فما يغربُون الضحْكَ إلا تَبَسُّمَا ولا ينْسبونَ القَوْلَ إلا تَنَاجِيَا[٤]

ولم أسمع فى الضحك اغترب . إنما ذاك من الغُرْبَة والبعد . فقوله : «اغترب الأقاحى من ندٍ غض» يريد النور نفسه . «وسَلْسَالُ الرُّضَاب» يعنى : الثغور ، كأنه جعلهما جميعاً من الأقاحى ، وفصَّله فقال : من ند غض ، ومن سلسال الرضاب ، وسلسال الرضاب هو ند غض أيضاً ، إلا أنه جعل الفرق بينهما أن هذا أندى ، وأجرى من ذاك .

وأظن المُسْتَغرِب فى الضحك إنما أُخذ من غُرُوب الأسنان إذا بدت كلها فى الضحك ، وهى أطرافها ، وغرب كل شىء : حدُّه

أو أن يكون استغرب فى الضحك أى امتلأ ضحكاً من قولهم : أَغْرَبْت

(١) ديوان البحترى ص ٨ ، ٢ / ٦٩٧ دار المعارف

(٢) م «ورد ضحى جنى وورد»

(٣) كذا فى م ، ق وفى م «فاعترف الأقاحى» وفى الديوان : «من ندى»

(٤) ديوان ذى الرمة ٦٥٥ «ينبسون» وفى م «فا يعرفون»

السِّقاء إذا ملأته ، قال بِشْر بن أَبى خَازِم :

وكأَنَّ ظُعْنَهُمُ غَدَاةَ تَحَمَّلُوا ... سُفُنٌ تَكَفَّأُ فى خَليجٍ مُغْرِبِ[١]

وسبيل هذا البيت أن يلحق فى « باب الثغور » .

وقوله : « فالتقى وَرْدَان : وَرْدُ جَنًى ، ووَرْدُ خُدُودِ » – إن كان أراد هذا الورد المعروف ، فمن أين بذى الأَراك وَرْدُ ؟ إلا أن يريد بعض الأَنواع[٢] ، والحمر من الأَنوار فإنها كثيرة . وإياها – إن شاء الله – أراد .

ومن عجيب ما أَوْرَدَهُ فى حُسْن القَدِّ قوله :

تَهْتَزُّ مِثْلَ اهْتِزَازِ الغُصْنِ أَتْعَبَهُ ... مُرُورُ غَيْثٍ مِنَ الوَسْمِىِّ سَحَّاحِ[٣]

وقال :

بَيْضَاءُ يُعْطِيكَ القَضِيبَ قَوَامُهَا ... ويُرِيكَ عَيْنَيْهَا الغَزَالُ الأَحْوَرُ[٤]

تَمْشِى فَتَحْكُمُ فى القلوبِ بِدَلِّهَا ... وتَمِيسُ فى بُرْدِ الشَّبَابِ فَتخْطِرُ[٥]

وتَمِيلُ مِنْ لِينِ الصِّبا فَيُقِيمُهَا ... قَدٌّ يُؤَنَّثُ تَارَةً ويُذَكَّرُ

وقال :

هَل الدَّلْفَاءُ مُخْبِرَتِى أَهَجْرًا ... أَرَادَتْ بالتَّجنُّبِ ، أَمْ دَلَالَا ؟[٦]

ذكرتُ بِها قَضِيبَ البَانِ لَمَّا ... غَدَتْ تَخْتَالُ فى الحُسْنِ اخْتِيَالَا

تُشَاكِلُهُ انْعِطافاً ، واهْتِزَازًا ... وتَحْكِيهِ قَوَاماً ، واعْتِدَالَا

---

(١) ديوان بشر بن أبى خازم ٣٥ واللسان ٢ / ١٣٥

(٢) ق « بيض أنواع الحمر من »

(٣) ديوان البحترى ٥٨ ، ١ / ٤٤٢ دار المعارف

(٤) ديوانه ١٧ ، ٢ / ١٠٧٠

(٥) فى الديوان « فى ظل الشباب وتخطر »

(٦) ديوانه ٧٧٦ ، ١٧٢٨ « هل الحسناء »

وهذا ما لا يكاد يسمع أحلى ، ولا أعذب ، ولا أبرع منه .

وقال :

أُلامُ عَلَى هَوَى ظَمْيَاءَ ظُلْماً وَقلْبِى فى يَدَىْ ظَمْيَاءَ عَانِ[١]
إذَا انْصَرَفَتْ أَضَاءَتْ شَمْسَ دَجْنٍ وَمَالَ مِنَ التَّعَطُّفِ غُصْنُ بَانِ

قوله : «أَضاءَتْ شَمْسَ دَجْنٍ» . أى إذا انصرفت مُولِّيَةً بوجهها كان ضوءُها كضوء الشمس من تَحْتِ الدَّجْنِ ، وهو إلباسُ الغيم الأُفق . وهذا أحسن ما يكون من المعنى[٢] وألطفه . أى إذا غاب وجهُها حين تُوَلِّى فأنَّا منها أيضاً فى ضياء كضياء[٣] الشمس من تحت الدَّجْن .

وقال أبو تمام :

أَدْنَتْ نِقَاباً عَلَى الخَدَّينِ ، وَانْتَسَبَتْ لِلناظرينَ بِقَدٍّ لَيْسَ يَنْتَقِبُ[٤]

وهذا حسن جدًّا .

وقال أبو تمام :

لَيَالِىَ أَضْلَلْتَ العَزَاءَ وجَوَّلت بِعَقْلِكَ آرَامُ الخُدُورِ الخَوَاذِلُ[٥]
مِنَ الهِيْفِ لَوْ أَنَّ الخَلاخِلَ صُيِّرتْ لَهَا وُشُحاً جَالَتْ[٦] عَلَيْهَا الخَلاخِلُ
مَهَا الوَحْشِ إلَّا أَنَّ هَاتَا أَوانِسٌ قَنَا الخَطِّ إلاَّ أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ

---

(١) ديوان البحترى ٢١٢ ، ٤/٢٢٢٨ « هوى الحسناء . . فى هوى الحسناء عان »
(٢) م « المعانى »
(٣) م « كظلياء »
(٤) ديوان أبى تمام ٤٧ وشرح التبريزى ١ / ٢٤٧
(٥) ديوان أبى تمام ٢٥٦ وشرح التبريزى ٣ / ١١٥ ويروى « وخذلت » و « حولت » و « الخدور » العقائل ، وفى ق « لعقلك آرام »
(٦) م « جالت عليه »

قوله : « جَوَّلَتْ » من أجل قوله : « الخَوَاذِلُ » وهُنَّ[١] اللَّوَاتِى تخلَّفن من جملة السرب على أولادهن ، فأراد أن يُطابِقَ بَيْنَ « الجَوَلاَن » و« التأخر » . وهو طباق غير جيِّد ، ولا لائق .

وقوله : « مِنَ الهِيف لو أَنَّ الخَلاَخِلَ صُيِّرتْ لَهَا وُشُحاً » ـ من أقبح الخطإ وأفحشه ؛ لأن الخلخال لا يكون فى موضع الوشاح ؛ لأن الوشاح: ما تتقلَّدُه المرأة من سير ، أو خيط تنظم فيه خرزًا ، أو حلياً من فضة أو غيرها ، تتزيَّن به فيكون منها فى موضع حَمَائِل السيف من الرَّجُل . والخَلْخَال لا يكون فى هذا الموضع إلا إذا مسخها الله ، وأقمأها .

[[٢] وقد أخطأ فى البيت الثانى أيضاً فقال : « قنا الخَطِّ إلا أن تلك ذَاوِبِلُ » وإنما قيل للرِّماح : « ذوابل » للينها وتثنيها ، فنَفَى ذلك عن قُدود النساء التى من أكمل أوصافها التَّثَنِّى واللين والانعطاف ، كما قال « تميم بن أُبَىّ ابن مقبل » ] :

يَهْزُزْنَ لِلْمَشْى أَوْصَالاً مُنَعَّمَــةً هَزَّ الجَنُوبِ ضُحًى عِيدَانَ يَبْرِينَا[٣]
أَوْ كاهْتِزَازِ رُدَيْنِىٍّ تَدَاوَلَهُ أَيدى التِّجارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لِيَنــا

وقد ذكرت هذا مشروحاً فى أغاليطه[٤] .

ولله در أبى عبادة إذ يقول :

غَدَتْ قُضْبَانُ أَسْحِلَةٍ عَلَيْهَا لِفَرْطِ الجَدْلِ أَوْ شِحَةً تَجُولُ[٥]

(١) م « وهى »
(٢) الزيادة من ق .
(٣) ديوان ابن مقبل ٣٢٧ .
(٤) راجع جـ١ / ١٥١ .
(٥) ديوان البحترى ٣٠٠ ، ١٨٢٣

يُقَوِّمُ مِنْ تَثَنِّيها اعْتِدالٌ تَكَادُ تَقُولُ مِنْ هَيَفٍ: نُحُولُ[١]
مَشَيْنَ عَلَى خَمَائِلِ ذِى طُلُوحٍ وقد ضَاقَتْ بما فيها الحُجُولُ
فَقُلْتُ: أَزِيد مِنْ سَقَمٍ فُؤادِى؟ وهَلْ يَزْدَادُ مِنْ قَتْلٍ قَتِيلُ؟[٢]

فهذا – والله – هو الشعر، لا تَعْلِيلاتُ أبى تمام بطباقه وتَجْنيسه، وفرط تَقَعّره، وكثرةِ إحالاته. وما زلت أسمع الشيوخ يفضلون هذا البيت الأخير على كل ما سمعوه فى الغزل.

وهذه القصيدة من قلائده. وفيها يقول قبل هذه الأبيات:

بَعِيدَةُ مَطْلَبٍ، وَجَمادُ نَيْلٍ فَهَا هِىَ لا تُنَالُ، ولا تُنِيلُ
إِذَا خطَرَتْ تَأَرَّجَ جَانِبَاها كما خَطَرَتْ على الرَّوْضِ القَبُولُ
ويَحْسُنُ دَلُّها، والموتُ فيهِ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ

***

وقال أبو تمام:

ونَاضِرَةِ الصِّبَا حينَ اسْبَكَرَّتْ طِلَاعَ المِرْطِ والدِّرْعِ اليَدِىِّ[٣]
تَشَكَّى الأَيْنَ مِنْ نِصْفٍ سَرِيعٍ إِذَا قَامَتْ، ومِنْ نِصْفٍ بَطِىِّ

وهذا ما لا مَدْفَعَ لجودته وحسنه، وكأنه صفوة خاطر أبى تمام. إذا كان بِجِمَامِهِ يأتى به وبأمثاله، فإذا أعْيَا، وكَلَّ زَمَاناً – رَمى بالأوساخ والأقذار والغُثَاء.

(١) ق «يكاد يقول» وفى الديوان «يكاد يقال»

(٢) فى الديوان «أقول أزيد»

(٣) ديوان أبى تمام ٣٤٣ وشرح التبريزى ٣ / ٣٥٣ «اسبكرت: تم شبابها. ويروى «البدى» وهو البديع العجيب»

وقوله : « طِلاَعُ المِرْط » أى تملأُ المِلْحَفَة تماماً وكمالا ، كأنها تطلع عليها ، أى تعلوه . والدرع : القميص التام . واليدى : الواسع .

***

وقال البحترى :

نَوَاصِعٌ كَسُيُوفِ الصَّقْل مُشْعَلَةٌ ضوءًا ، ومُرْهَفَةٌ فى الجَدْلِ إرْهَافَا[١]

إِذَا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرَّيْطِ آوِنَــةً قَشَرْنَ عَنْ لُؤْلُؤِ البَحْرَيْنِ أَصْدَافا

كأَنَّهُنَّ وقَدْ قربن مِنْ طَــرَفِى ضِدَّيْنِ فى الحسن: تَثْقِيلاً ، وإِخْطَافَا[٢]

رَدَدْنَ ما خففَتْ مِنْهُ الخُصُورُ إِلَى مَا فى المَآزِرِ فَاسْتَثْقَلْنَ أَرْدَافَا

وحسبك بهذا حُسْنَ لفظ ، وحلاوة نظم ، وصحَّة معنى .

وألطف من قوله : « قَشَرْنَ عن لُؤْلُؤ البَحْرَينِ أَصْدَافا » - قول أبى تمام :

لآلِئٌ كالنُّجُوم الزُّهْرِ قَدْ لَبِسَتْ أَبْشَارُها صدَفَ الإِحْصَانِ لا الصَّدَفَا[٣]

وبيت البحترى أبرع وأحلى .

وقال البحترى أيضاً :

غَدَتْ أَتْرَابُها يَنْهَضْنَ هَــوْنًا لثقلٍ مِنْ رَوَادِفِها الثِّقَــالِ[٤]

مَشَيْنَ ضُحًى بأَقْدَامٍ لِطَافٍ وسُوقٍ فى خَلاَخِلِها خِــدَالِ

إذا اجْتَبْنَ الحُلِىَّ رأيتَ بِيضاً أَوَانِس كاللآلئِ فى اللآلِى[٥]

---

(١) ديوان البحترى ٣٣٧ ، ١٣٨١ وفى م « تواضع لسيوف »

(٢) فى الديوان « وقد قار بن « . . . تيتيلا »

(٣) ديوان أبى تمام ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٦٠

(٤) ديوان البحترى ١٧٠٨/٣ « بثقل »

(٥) اجتبن : لبسن

وقال :

أطَاعَ لها دَلٌّ غَرِيرٌ ، وَوَاضِحٌ شَتِيتٌ ، وقَدٌّ مُرْهَفٌ ، وَسْوَى خَدْلُ[١]
وألحاظُ عَيْنٍ ما عَلِقْنَ بفـــارغٍ فَخَلَّيْنَه حتَّى يكونَ لَهُ شُغْلُ[٢]

وهذا من مشهور أبي عبادة .

[ وقال أبو تمام ][٣] :

ومِنْ جِيدِ غَيْدَاءِ التَّثَنِّى كأَنَّما أَتَتْكَ بِلِيتَيْهَا مِنَ الرَّشَإِ الفَــرْدِ[٤]
كأَنَّ عليهـــا كُلَّ عِقْدٍ مَلاَحَةً وحُسْناً ،وإن أَمْسَتْ ،وأَضْحَتْ بِلاَعِقْدِ
ومِنْ نَظْرَةٍ بَيْنَ السُّجُوفِ عَلِيـــلَةٍ ومُخْتَضَنٍ شَخْتٍ ، ومُبْتَسَمٍ بَرْدِ[٥]
ومِنْ فَاحِمٍ جَعْدٍ ، ومن كَفَلٍ نَهْدٍ ومن قَمَرٍ سَعْدٍ ، ومِنْ نَائِلٍ ثَمْدِ[٦]
مَحَاسِنُ مَا زَالَتْ مَسَاوٍ مِنَ النَّوَى تُغَطِّى عَلَيها ، أَوْ مَسَاوٍ مِنَ الصَّدِّ

شَخْتٌ : دقيق يتمكن الذِّراع من احتضانه ، كأنه ينفى عنها ضخم البطن وموضع[٧] [ الكشح ] ويستحب فيها الضُّمْر .

---

( ١ ) ديوان البحترى ٥٩ ، ١٦١٥

( ٢ ) م « ما علقن بفاتر »

( ٣ ) الزيادة من ق

( ٤ ) ديوان أبى تمام ٢٧ وشرح التبريزى ٢ / ١١١ والليت : صفحة العنق

( ٥ ) م « بين السيوف » والمختضن : موضع الاحتضان

( ٦ ) الثمد : القليل

( ٧ ) م « البطن والموضع ويستحب »

## ما قالاه فى : شدة الحب ، والوجد ، والتشوق ، والغرام ، والحزن ، وانتجاز المواعيد ، وإخلافها ، ونحو ذلك

* * *

### فى الحزن والوجد

قال أبو تمام :

حُزْنٌ غَدَاةَ الحُزْنِ هـاجَ غَلِيلَهُ ... فى أبْرَقِ الحَنَّانِ مِنْكَ حَنِينُ[1]

سِمَةُ الصَّبَابَةِ زَفْرَةٌ ، أو عَبْرَةٌ ... متكفل بهمـا حَشاً ، وشُئُونُ

لَوْلَا التَّفَجُّعُ لادَّعَى هَضْبُ الحِمَى ... وصَفَا المُشَقَّرِ أنَّهُ مَحْزُونُ

وهذا المعنى غاية فى حسنه وجودته . وإنما حَذَا على قول الأَحْوَص :

إذَا كُنْتَ عِزْهَاةً عَنِ اللَّهْوِ والصِّبَا ... فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا[2]

ولكنه عبر عنه بعبارة[3] أغرب فيها حتى صار كأنه ليس ذلك المعنى وهو هو بعينه .

والعِزْهَاةُ : الذى قد عَزَفَ عن اللَّهو والصِّبا .

* * *

---

(١) ديوان أبى تمام ٣٢٨ وشرح التبريزى ٣ / ٣٢٤ وفى م .
« الجنـان منك جنينـه وقال : سمـة الصبـابة »
الأبيات متصلة فى ق والديوان .

(٢) البيت له فى الشعر والشعراء ٥٠٢/١ ، وطبقات فحول الشعراء ٥٣٩ ، وهو غير منسوب فى اللسان ١٧ / ٤١٠

(٣) م « عبارة »

وقال البحترى :

زَعَمَ الزَّاعِمُون أَنَّ الذى يَهْ ... وَى مِرَاضَ العُيُونِ غَيْرُ رَشِيدِ[1]
كذَبَ الزَّاعِمُون قَدْ يَحْسُنُ الحُ ... بُّ بِمَنْ لَيْسَ قَلْبُهُ مِنْ حَدِيدِ

وقال :

ولو أَنَّ الجِبالَ فَقَدْنَ إِلْفــاً ... لأَوْشَكَ جَامِدٌ منها يَذُوبُ[2]

وقال :

حَقًّا أَقُولُ لَقَدْ تَبَلْتِ فُؤَادِى ... وأَطَلْتِ مُدَّةَ غَيِّىَ المُتَمَادِى[3]
بِجَوًى مُقِيمٍ لَوْ عَلِمْتِ غَلِيلَهُ ... لَوَجَدْتِهِ غيرَ الهَوَى المُعْتَادِ
والحبُّ سُكْرٌ للنُّفُوسِ يَسُرُّنى ... سَهْوُ العَوَائِدِ عَنْهُ والعُوَّادِ[4]

وهذا معنى آخر حسن جدًّا .

وقد قال أبو تمام

بِهِ عِلَّةٌ صَمَّاءُ لِلْبَيْنِ لَمْ تُصِخْ ... لِبُرْءٍ ، ولمْ تُوجِب عيادَةَ عَائِدِ[5]

ومعنى البحترى أجود وأحلى .

وقال أيضاً :

بَلْ مَا أَوَدُّ بِأَنَّنِى أَفْرَقْتُ مِنْ ... وُجِدٍ وَلَا أَنِّى بَرَدْتُ غَلِيلِى[6]
وأَعُــدُّ بُرْئِى مِنْ هَــوَاك ضَمَانَةً ... والبُرْءُ أكبرُ حَاجَةِ المَخْبُولِ[7]

---

(١) ديوان البحترى ٢ / ٧٦٨ دار المعارف « العاذلون . . يصبيه نجل العيون »
(٢) ديوانه ٤٨٤ ، ١ / ٢٥٧ دار المعارف وفى م « أن الجياد فقدن »
(٣) ديوانه ١٦٣ ، ٢ / ٧٣١ « لو بلوت »
(٤) فى الديوان « صحو العوائد »
(٥) ديوان أبى تمام ١١٦
(٦) ديوان البحترى ١٧٨ ، ١٨٣٩
(٧) م « رزية » والديوان : « رزيئة »

## وفى الشوق والصبابة

قال أبو تمام :

لا شَوْقَ مَا لَمْ تَصِلْ مِنْه بالَّتى    هَجَرَتْكَ وَجْدًا كالأَبَاءِ المُحْرَقِ[١]
يَغْلِى إذَا لَمْ يَضْطَرِمْ ، ويُرِى إذَا    لَمْ يَحْتَدِمْ ، ويُغِصُّ إنْ لَمْ يُشْرِقِ

قوله : ما لم تصل [منه] أى من الشوق . وجدًا : أى من الوجد . كالأَباءِ المُحْرَق : أى فتكون إذا مليت[٢] [به] كالأَباء المُحْرَق من الوجد .

وقوله : « يَغْلِى إذَا لَمْ يَضْطَرِمْ » . كأَنه جعل الاضطرام أَشدّ من الغَلْى ، والغَلْى هو اضطرام أَيضاً .

و « يُرِى » معناه يحرق . والاَحْتِدَامُ : شدّة الحرّ ، ويقال : وجدت للحر حَدَمَة .

يقول : هو يحرق وإن لم يشتد حرّه .

« ويُغِصّ إن لم يشرق » . فَنَزَلَ من الغليان ، والاضطرام ، والوَرْى ، والاَحْتِدَام – إلى الغَصَص ، والشَّرق . وليس ذلك بخطأ ولا هو بالجيد ، ولا الحلو ، ولا الشَّهى .

* * *

وقال البحترى :

وحَرَّضَ شَوْقِى خَاطِرُ الرِّيحِ إِذْ سَرَى    وبَرْقٌ بَدَا مِنْ جَانِبِ الغَرْبِ لامعُ[٣]

(١) ديوان أبى تمام ٢١١ وشرح التبريزى ٢ / ٤٠٦ وق « منه فى التى » وفى الديوان « ما لم تصل وجداً بالتى * تأبى وصالك كالأباء »

(٢) م « صليت » والزيادة من ق

(٣) ديوان البحترى ٧١ ، ٢ / ١٣٠٢ دار المعارف .

وما ذاكَ أنَّ الشوقَ يَدْنُو بِنَازِحٍ ولا أننى فى وَصْل عَلْوَةَ طامعُ
خلاَ أنَّ وَجْدًا ما يُغِبُّ ، ولَوْعَـــةً إذا اضْطَرَمَتْ فَاضَتْ عليها المَدَامِعُ(١)

وهذه طريقة البحترى التى يخبر فيها بالشىء على ما هو فيعفى(٢) على كل بديع ، واستعارة إذا اعتمدها ؛ وذلك لحسن عبارته وتلخيصه .

وقوله : «خَاطِرُ الرِّيح» : من الخَطَران كما قال فى موضع آخر :

* كما خَطَرَتْ علَى الرَّوْضِ القَبُولُ *(٣)

وقال :

شَوْقٌ إليكَ تَفِيضُ منه الأَدْمُــع وجَوًى عَليكَ تَضِيقُ عَنْهُ الأَضْلُعُ(٤)
وهَوًى تُجَدِّدُهُ اللَّيالِي كُلَّما قَدُمَتْ ، وتُرْجِعُه السِّنُونُ فَيَرْجِعُ

وقال :

هَلْ أَنْتَ مِنْ حَرِّ الصَّبَابَةِ مُنْقِذِى أَوْ أَنْتَ مِنْ شَكْوَى الصَّبَابَةِ عَائِدِى(٥) ؟
شوقٌ تَلَبَّسَ بالفــؤادِ دَخِيلُهُ والشَّوْقُ يُسْرِعُ فى الفؤادِ الوَاجِدِ

ومما أحسن فيه البحترى وأغْرَب ـ قولُه فى شدة الحب وتمكنه :

غَيْرَ حَبٍّ لِسُلَيْمَى لَمْ يَزِدْ فيه إسْعَافٌ ، ولَمْ يَنْقُصْه ضَنْ(٦)
ثَبَتَتْ تَحْتَ الحَشَا آخِيَةٌ مِنْهُ لا يَنْزِعُهَا المُهْرُ الأَرِنْ(٧)

(١) فى الديوان «أن شوقاً» وفى م «إذا اضطربت فاضت عليه»
(٢) ق «فيغل»
(٣) سبق البيت فى صفحة ١١٨ .
(٤) ديوان البحترى ٣٣ ، ٢ / ١٣١٠ وفى ل «و جوى إليك»
(٥) ديوانه ٢٩٨ ، ١ / ٥٥١ «أنت فى سفه الصبابة عازرى» أم أنت من برح الصبابة»
(٦) ديوانه ٦١٣ ، ٤/١٥٤ م «غير حبى» ومن أرن : أى نشط
(٧) ق «أخبية» وفى الديوان ٦١٣ «لا يقطعها المهر»

وقد بالغ أيضاً الذى يقول :

أَحُبُّكِ مَا لَوْ كَانَ بَيْنَ قَبَـائِلٍ مِنَ النَّاسِ أَعْدَاءٍ ـ لَجَرَّ التَّصَافِيَا[١]

وأبلغ من هذا كله وأجود ـ قول الأَعْشَى :

كفى بالذى تُولِينَهُ لَوْ تَجَنَّبَـا شِفاءً لِسُقْمٍ بَعْدَ مَا كانَ أَشْيَبَا[٢]

ولكنّما كانَتْ تَوَابِعُ حُبِّهـا تَوَالَى رِبْعِيِّ السّقاب فأَصْحَبَا

فَتَمَّ عَلَى مَعْشُوقَةٍ لا يَزِيدُهَا إليه بلاءُ السّوءِ إلا تَحَبُّبَا

وكان حماد الراوية يتعجب من قوله : « فتم على معشوقه » ، ويقول : هذا[٣] ـ والله ـ غاية العشق ، ونهاية الإحسان فى النسيب .

يقول : كفى بالذى توليته من البعد والقطيعة شفاء له من سقم الحب لو تَجَنَّبَ ، ولكنه لا يقدر على ذاك .

وقوله : « تَوَابِعُ حُبِّها » أى ما تتابع وتَوَالَى من حبها كتَوَالِى الرِّبْعِيّ ، وهو : السَّقْبُ الذى نُتِج فى أوّل الربيع ، يتنقل مِنْ سِنٍّ إلى سِنٍّ حتى قَوِىَ ومرنَ ، وانقاد[٤] . جعل هذا مثلا لزيادة حبه شيئاً فشيئاً حتى تمكّن ، فذلك معنى قوله : « تَوَالى » .

وقد روى « تَأَوُّل رِبْعِي » من حال إلى حال ، مِنْ آلَ يَئُولُ .

وقال « أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِى » فى هذا المعنى ، وجاء به أَكْشَفَ وأَبْيَنَ وأحسن مما جاء به الأَعْشَى ، فقال :

لا مُنكِرٌ لِقَبيح مِنْكَ أَعْرِفُهُ إنى أَرَاهُ ـ إذا أَرْضَاكِ ـ إحْسانَا

أُحدِّثُ النَّفسَ مَسْرُورًا بِذِكْرِكُمُ حتى كأَن الذى قَدْ كَانَ مَا كَانَا

(١) لم أعرف قائله
(٢) ديوان الأعشى ص ٨٨
(٣) م « هو »
(٤) راجع الصاحبى لابن فارس بتحقيق ص ٣١٥

ومن هذا أخذ أبو الشِّيص – والله أعلم – قوله :

وأَهَنْتِنِى فَأَهَنْتُ نَفْسِى عَامِدًا ما من يَهُونُ عَلَيْك مِمَّنْ أكرم[1]

ولكنه تناهى فى التذلّل فأحسن المعنى كلَّ الإحسان ، ولكنَّ الحُرَّ الكَرِيمَ الأَنِفَ : «كُثَيِّرُ بن عبدِ الرحمن» إذ يقول :

ولَمَّا رَأَتْ وَجْدِى بها وتَبَيَّنَتْ صَبَابَةَ حَرَّانِ الصَّبَابَةِ صَادِ

أَدَلَّتْ بِصَبْرٍ عِنْدَها وجَلَادَةٍ وتَحْسِبُ أَنَّ النَّاسَ غَيْرُ جلَادِ

فيا عزُّ صَادِى القَلْبَ حتى يَوَدَّنى فُؤَادُكِ ، أو رُدِّى عَلَىَّ فُؤَادِى[2]

وكان هذا مما ينشده «أبو العباس ثعلب كثيرًا» ويستحسنه . ذكر ذلك الأخفش .

[و] قوله : «صَادِى القَلْبَ» أى دَارِيه . والمُصَادَاة : المُدَارَاة .

وقال «كثير» أيضاً ، وأحسن كل الإحسان :

وكنتُ أَلُومُ الجازِعِينَ على البُكَا فكيفَ أَلومُ الجازِعِينَ وأَجْزَعُ؟

ولى كبدٌ قد بَرَّحت بِى مريضةٌ إذا سُمْتها الهِجْرَانَ ظَلَّتْ تَصَدَّعُ

وأظن «أبا الشِّيص» أخذ قوله :

أَشْبَهْتِ أَعْدَائى فَصِرْتُ أُحِبُّهمْ [إذْ كانَ حَظِّى منكِ حَظِّى منهمُ][3]

من قول كُثَيِّر :

مُجَاوِرَةٌ قَوْماً عِدًى لى صُـدُورُهُمْ أَلاَ حبَّذَا مِنْ حُبِّها مَنْ تُجَاوِرُ

---

(١) فى الأغانى ١٥ / ١١٠ «ممن يكرم»

(٢) م «حين يودنى»

(٣) الأغانى ١٥ / ١٠٩ والزيادة من ق .

وقد أحسن أيضاً الإحسان كلّه ـ الذى يقول :

وَلَمَّا بَدَا لِى مِنْك مَيْلاً مَعَ العِـدَا عَلَىَّ ، ولم يحدث سِوَاك بَدِيلُ[1]
صَدَدْتِ كما صَدَّ الرَّمِىُّ تطاولت به مُدَّةُ الأَيَّام وهْو قتيل

* * *

وقال أبو تمام يذكر الوعد وإخْلاَفَه :

وفى الكِلَّة الوَرْدِيَّةِ اللَّوْنِ جُـؤْذَرٌ مِن العِين وَرْد الخدّ ، وَرْد المَجَاسِدِ[2]
غَدَتْ مُغْتَدَى الغَضْبَى وأَوْصَتْ خَيَالَها بِحَرَّانَ نِضْوِ العِيسِ ، نِضْوِ الخَرَائِدِ
وقَالَتْ : نِكَاحُ الحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ وكَمْ نَكَحُوا حُبًّا ، ولَيْس بِفَاسِدِ
سَأُوِى بِهَذَا القلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الهَوَى إلى ثَغَبٍ مِنْ نُطْفَةِ اليَأْسِ بَارِدِ

وهذه أبيات سخيفة المعانى ، قد أتى فيها بكل قبح وفحش ، لأنه قال :

رَمَتْهُ بِخُلْفٍ بَعْدَما عَاشَ حِقْبَـةً لَهُ رَسَفَانٌ فى قُيودِ المَوَاعِدِ

وبعد ذلك بيّن بأن الوعد كان مُبَاضَعَةً ، وأنه لما حَقَّقَ المطالبة غضبت ، وذلك قوله : « غَدَتْ مُغْتَدَى الغَضْبَى » .

وقوله : « وقالت : نِكاحُ الحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ » . فقال هو : « وكم نكحوا حُبًّا وليس بفاسد » ، فاحتجت عليه ، واحتج عليها .

وهذه خصومة ومناظرة على ذلك الباب شديدة مُسْتَقْصَاة ما أظن أحدًا سبقه إلى مثلها .

---

( ١ ) أمالى القالى ١ / ٢١٧ وحماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ٣ / ١٢٩٦

( ٢ ) ديوان أبى تمام ١١٦ وفى شرح التبريزى ٢ / ٦٩ « ويروى : من الإنس يمشى فى رقاق المجاسد »

وقوله بعد هذا :

سَآوِى بِهَذَا القَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الهَوَى ... إلى ثَغَبٍ مِنْ نُطْفَةِ اليَأْسِ بَارِدِ(١)

هو أيضاً غضب منه لمنعها إيّاه مما التمس . ومثل هذا إنما يفصح به الشاعر إذا هَزَل ومَجَن . وإنما وصل هذه الأبيات بما افتتحه من قوله :

قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بالمَعَاهِدِ ... وإنْ هِىَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانِ نَاشِدِ

لَقَدْ أَطْرَقَ الرَّبْعُ المُحِيلُ لِفَقْدِهِمْ ... وبَيْنِهِمُ إطْرَاقَ ثُكْلانَ فَاقِدِ(٢)

وأَبْقَوْا لِضَيْفِ الهَمِّ والحزنِ منهمُ ... قِرًى مِنْ جَوًى سَارٍ ، وطيفٍ مُعَاوِدِ(٣)

سَقَتْهُ ذُعَافاً عادَةُ الدَّهْرِ فيهم ... وَسَمُّ اللَّيالى فَوْقَ سَمِّ الأَسَاوِدِ

بِهِ عِلَّةٌ صَمَّاءُ لِلْبَيْنِ لَمْ تُصِخْ ... لِبُرْءٍ ، ولَمْ تُوجِبْ عِيادَةَ عَائِدِ

ومن يقف على المعاهد ، ويصف ما به من الهم ، والحزن ، والجوى ، وأن عادة الدهر فيهم سقته الذُّعاف – وهو السم – ، وأن به علَّة للبين صمَّاء لم تُصِخْ لبرء : أى لم تصغ إليه ، ولم تقرب منه – فإنَّهُ لا يقول بعد ذلك كلِّه : إنه كان التمس من المرأة الفاحشة ، وناظرها(٤) عليها ، وغضب من منعها إيّاه . هذا غاية ما يكون من السّخف والحمق .

فإن قيل : إن المعاهد التى وقف عليها لم تك معاهد هذه المرأة ذات الكِلَّة الوَرْدِيَّةِ اللون ، وإن هذه إنما كانت معه فى الرفاق وهم سائرون ، فاستوقفهم لتجديد عهد بديار كان فيها أحباب أُوَل .

---

(١) م « عن لوعة . . . نطفة الماء »

(٢) م « أطرق الركب »

(٣) فى ديوان أبى تمام وشرحه « الحزن منى بعدهم »

(٤) م « وناظر »

قيل : هذا غلط من التأْويل ؛ لأَنه قال : «به علة صماء للبين لم تصخ لبرء» ، فأَوجب بهذا القول أن حُبَّه باق غير منصرم .

وإذا كان لم يبرأ حبّه من امرأَة أُولَى ، فكيف يقف صَحْبَه على معاهدها وفيهم امرأَة أُخرَى يهواها ، وقد طالبها سَنَةً ، وهى تَعِدُه ، وذكر أَنها أوصت خيالها [به](١) ، وأَنه حَرَّان ؟ هذا محال . لم يكن الحب إلا لهذه المرأَة ذات الكلة [رحم الله غفلته] .

وقوله : «نضو العيس» لطول السفر . و«نِضْوُ الخرائد» ، يعنى الخيالات .

ولله در «أَبى عبادة» إذ يقول :

لَوْ تُسْعِفِينَ - وَمَا سَأَلْتُ مَشَقَّةً - لَعَدَلْتِ حَرَّ جَوًى بِبَرْدِ رُضَابِ(٢)
ولَئِنْ شَكَوْتُ ظَمَاىَ إِنَّكِ لَلَّتِى قِدْماً جَعَلْتِ مِنَ السَّرَابِ شَرَابِى(٣)
وعَتَبْتِ مِنْ حُبِّيكِ حتَّى إِنَّنِى أَخْشَى مَلَامَكِ أَنْ أَبُثَّكِ مَا بِى(٤)

وقال البحترى :

إذا رَاجَعْت وَصْلاً على طُولِ هِجْرَةٍ تَراجَعْتُ شيئاً مِنْ بَلَاىَ إلى سُقْمِى(٥)
وقد زعمتْ أَنْ سوف تُنْجِحُ مَا وَأَتْ وظَنِّى بها الإِخلاف فى ذلك الزَّعْم(٦)
خَلِيلَىَّ ما لى : لا شِفَاءُ مِنَ الجَوَى ولا نَعَمٌ مَرْجُوَّةُ النُّجْحِ من نُعْم(٧)

---

(١) الزيادة من ق
(٢) ديوان البحترى ١ / ٣٤١ ، ٢٩٥
(٣) م «من الشراب شراب»
(٤) ق «أحشى عتابك»
(٥) ديوان البحترى ٣/٢٠١٤، ١٩٠ «رجعت»
(٦) ق «تنجز ما وأت» والوأى : الوعد
(٧) م ، ق «ما فى لا شفاء»

وقال :

بِنَفْسِي مَنْ تَنْأَى ، ويَدْنُو ادِّكَارُهَا ... ويَبْذُلُ عَنْها طَيْفُها وتُمَانِعُ[١]

خَلِيلَيَّ : أَبْلاَنِى هَــوًى مُتَلَوِّنٌ ... لَهُ شِيمَةٌ تَـأْبَى ، وأُخْرَى تُطَاوِعُ

وهذا – لعمرى – حسن . وأحسن منه قول « كثير » لأنه تمنى الحال التى وصفها البحترى فقال :

والله ما يدرى غريمٌ لَوَيْتِهِ ... أَيَشْتَدُّ إنْ لاقاكِ أم يَتَضرَّعُ[٢]

بَخِلْتِ فكان البخلُ منكِ سَجِيَّةً ... فَلَيْتَكِ ذُولَوْنَيْنِ يُعْطِى ويَمْنَعُ

وقال [ البحترى ][٣] :

ماذا علَى الأَيَّامِ لَوْ سَمَحَتْ لَنَا ... بِثَوَاءِ أَيَّام لَدَيْكِ قَلائِلِ ؟[٤]

فأَوَيْتِ لِلْقَلْبِ المُعَنَّى المُبْتَلَى ... بِهَوَاكِ ، والبَدَنِ الضَّئِيلِ النَّاحِلِ

وقال [ أيضاً ] :

فِدَاؤُكِ ما أَبْقَيْتِ مِنِّى فإِنَّهُ ... حُشَاشَةُ حُبٍّ فى نُحُولِ عِظَامِ[٥]

صِلِى مُغْرَماً قَدْ وَاتَرَ الشَّوْقُ دَمْعَهُ ... سِجَاماً عَلَى الخَدَّيْنِ بَعْدَ سِجَامِ[٦]

فَلَيْسَ الذى حَلَّلْتِهِ بِمُحَلَّلٍ ... ولَيْسَ الذى حَرَّمْتِهِ بِحَــرَامِ

---

( ١ ) ديوان البحترى ٧١ ، ٢ / ١٣٠٢

( ٢ ) فى م ، ق « لاقانى » ولكن الحديث عن « عزة » ويروى : « كريم مطلته أيشتد إن قاضاك» كما فى المحاسن والمساوى للبيهق ١/٣٥١ وانظر الأغانى ١٤/١٧٤ والموشح ١٦٩ .

( ٣ ) الزيادة من ق

( ٤ ) ديوان البحترى ١ / ١٢٩ ، ٣/١٦٤٧

( ٥ ) ديوانه ١٠ « حشاشة جسم ... عظامى » وفى ق « فإنها »، وفى ٣/٢٠٠٠ : « حشاشة نفس »

( ٦ ) م « قد أوتر »

وقال :

وَدِدْتُ وهَلْ نَفْسُ امْرِئٍ بِمُلِيمَة ... إِذَا هِيَ لَمْ تُعْطِ الهَوَى مِنْ وِدَادِهَا[١]

لوأن سُلَيْمى أَسْمَحَتْ ، أَوْلو انَّهُ ... أُعِيرَ فُؤَادِي سَلْوَةً مِنْ فُؤَادِهَا[٢]

وقال :

أَيْنَ الغزالُ المُسْتَعِيرُ مِنَ النَّقَا ... كَفَلاً ، ومِنْ نَوْرِ الأَقَاحِي مَبْسِمَا[٣]

ظَمِئَتْ جَوَانِحُنَا إليه و رِيُّها ... فى ذلك اللَّعَسِ المُمَنَّعِ واللَّمَى[٤]

مُتَعَتِّبٌ فى حَيْثُ لا مُتَعَتَّبٌ ... إنْ لَمْ يَجِدْ جُرْماً علَيَّ تَجَرَّمَا[٥]

أَلِفَ الصُّدُودَ فَلَوْ يَمُرُّ خَيَالُهُ ... بالصَّبِّ فى سِنَةِ الكَرَى مَا سَلَّمَا

وقال :

أَرَى ثِقَةَ الرَّاجِى مُوَاصَلَةَ المَهَا ... تَكَاءَدَهَا ، أَوْ آدَهَا شَكٌّ خَائِفِ[٦]

كَأَنَّ الذى يَكْذِبْنَه نَحْبُ نَاذِرٍ ... يُقَضِّيْنَ مِنْهُ ، أَوْ أَلِيَّةُ حَالِفِ[٧]

فَلَيْتَ لُبَانَاتِ المُحِبِّ رُدِدْنَ فى ... جَوَانِحِهِ ، أَوْ كُنَّ عِنْدَ مُسَاعِفِ

وهذا حسن جداً .

وقال :

إِذَا قَرُبْتِ فَهَجْرٌ منكِ يُبْعِدُنِى ... وإِنْ بَعُدْتِ فَوَصْلٌ مِنك يُدْنِينِى[٨]

---

(١) ديوان البحترى ١٠٩ ، ٢ ، ٦٧٤ دار المعارف « بملومة تعط المنى »

(٢) فى الديوان « سليمى أسمحت »

(٣) ديوانه ٢٢٩ ، ١٩٥٨/٣ – ١٩٥٩

(٤) ق « تظمى جوانحنا » وفى الديوان : « مراشفنا إليه »

(٥) م « لا متعب »

(٦) ديوانه ٣٧٤ ، ١٣٩٠ وفى م « الراجى موافقة »

(٧) فى الديوان « كأن النوى » وفى ص م « تحت »

(٨) ديوانه ٤١٧ ، ٢٢٤٧/٤

تَصَرَّمَ الدَّهْرُ لا جُــودٌ فَيُطْمِعُنِى فِيمَا لَدَيْكَ ، ولا يَأْس فَيُسْلِينِى
فَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيَانِ قَلْبِكَ لى يَوْماً إِذَا كانَ قَلْبِى فيك يَعْصِينِى[١]

وهذا إحسانه المشهور . ويقال : إنه أخذه من قول « الخليع » :

أَتَطْمَعُ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سُعْدَى وتَزْعُمُ أَنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكَا

وما أحسن ما قال بَشَّار :

وإذا قُلْنَا لَهَا : جُودِى لَنَا خَرَجَتْ بالصَّمْتِ مِنْ لاَ ، وَنَعَمْ[٢]

* * *

وقال أبو تمام فى النائل النزر القليل ما هو فوق كل حسن وحلاوة :

تَأْبَى عَلَى التَّصْرِيدِ إلاَّ نَائِــلاً إلَّا يَكُنْ مَاءً قَرَاحاً يُمْذَقِ[٣]
نَزْرًا كَمَا اسْتَكْرَهْتَ عَائِرَ نَفْحَةٍ مِنْ فَأْرَةِ المِسْكِ التى لم تُفْتَقِ[٤]

* * *

وقد تصرف البحترى فى جملة معانى هذا الباب تصرفاً كثيرًا حسناً . ومن ذلك قوله :

ظَلَمَتْنِى تَجَنُّباً وصُدُودًا غَيْرَ مُرْتَاعَةِ الجَنَانِ لِظُلْمِى[٥]

---

( ١ ) م « عمداً إذا » وكذلك فى الديوان

( ٢ ) الأغانى ٣ / ٢٦ « وإذا قلت » وكذلك هى فى ق

( ٣ ) ديوان أبى تمام ٢١١ وشرح التبريزى ٢ / ٤٠٧ « يقول : تأبى هذه المرأة المحبوبة مع تقليلها النوال ، إلا نيلا ممذوقاً غير خالص ، ووصلا مشوباً بالامتناع ، فلا تصافى الوصال ولا تترك الإطماع ، فيكون حبيبها أبدا معذباً من جهتها ٢٢ وفى م ، ق « تمذق »

( ٤ ) أى نيلها عندى قليل كأنه عائر من ريح فأرة المسك . وروى التبريزى عن المعرى : « نزرا كما استنكهت » أى عطاء نزراً لا غناء فيه كالرائحة التى تفلت من فأرة مسك لم تفتق ، أى بعد نائلها ، كشمة من هذه الفأرة ، ولا تغنى هذه الشمة عنا ، فكذلك نائلها »

( ٥ ) ديوان البحترى ٣١٧ ، ٣/١٩٤٠

ويَسِيرٌ عِنْدَ القَتُولِ إذَا مَا ... أَثِمَتْ فِيَّ أَنْ تَبُوءَ بإثْمِى(١)
أَجِدُ النَّارَ تُسْتَعَارُ منَ النَّا ... رِ وَيَنْشَا مِنْ سُقْمِ عَيْنَيْكِ سُقْمِي

وقوله :

لَوْشِئْتِ عُدْتِ إلى التَّنَاصُفِ فى الهَوَى ... وَبَذَلْتِ مِنْ مَكْنُونِهِ مَا أَبْذُلُ(٢)
أَحْنُو عَلَيْكِ وفى فُؤَادِى لَوْعَةٌ ... وأَصُدُّ عَنْكِ وَوَجْهُ وُدِّى مُقْبِلُ(٣)
وإذا هَمَمْتُ بِوَصْلِ غيرك رَدَّنِى ... وَلَهٌ إليك ، وشَافِعٌ لك أَوَّلُ(٤)
وأَعِزُّ ، ثُمَّ أَذِلُّ ذِلَّةَ عَاشِقٍ ... والحبُّ فيه تَعَزُّزٌ وتَذَلُّلُ

وقوله :

وَبِى ظَمَأٌ لاَ يَمْلِكُ الماءُ دَفْعَهُ ... إلى نَهْلَةٍ مِنْ رِيقِهَا الخَصِرِ العَذْبِ(٥)
تَزَوَّدْتُ مِنها نَظْرَةً لَمْ تَجُدْ بها ... وقَدْ يُؤْخَذُ العِلْقُ المُمَنَّعُ بالغَصْبِ
ومَا كَانَ حَظُّ العين فى ذَاكَ مَذْهَبِى ... ولكنْ رأَيْتُ العَيْنَ باباً إلى القَلْبِ
أُعِيذُك أَنْ تُمْنَىْ بِشَكْوَى صَبابَة ... وإنْ أَكْسَبَتْنَا مِنكِ عَطْفًا على الصَّبِّ(٦)
ويَحْزُنُنِى أَنْ تَعْرِفِى الحُبَّ بالجَوَى ... وإنْ نَفَعَتْنَا فيك مَعْرِفَةُ الحُبِّ(٧)

وقوله :

نَظَرْتُ ، وكَمْ نَظَرْتُ فَأَقْصَدَتْنِى ... فُجَاءَاتُ البُدُورِ عَلَى الغُصُونِ(٨)

---

(١) م « عند القتيل . . أثمت فيه »
(٢) ديوان البحترى ٢٣ ، ٣ /١٥٩٩
(٣) فى الديوان « أحنو إليك »
(٤) م « وله عليك »
(٥) ديوانه ٤٠٢ ، ١ / ١٠٤ دار المعارف
(٦) فى الديوان « أكسبتنا »
(٧) م « أن تعرف » فى الديوان « ولو نفعتنا منك »
(٨) ديوان البحترى ٢٢٦٦/٤،١٣٨ وفى م « وكم من نظرت »

وَرُبَّةَ نَظْـرَةٍ أَقْلَعْتُ عَنْهَـا … بِسُكْرٍ فى التَّصَابِى ، أَوْ جُنُونِ
فَيا لِلّهِ ما تَلْقَى القُلُوبُ الْـ … هَوَائِمُ مِنْ جِنَايَاتِ العُيـونِ
وَقَدْ يَئِسَ العَـوَاذِلُ من فُؤَاد … لَجُـوجٍ فى غَوَايَتِهِ حَـرُونِ

وقوله :

قَالَ بُطْلاً ، وَأَفَالَ الـرَّأْىَ مَنْ … لَمْ يَقُلْ : إِنَّ المَنَايَا فى الحَـدَقْ[١]
إِنْ تَكُنْ مُحْتَسِباً مَنْ قَدْ ثَوَى … لِحِمَام فاحْتَسِبْ مَنْ قَدْ عَشِقْ
يَمْلأُ الوَاشِى جَنَانِى ذُعُـرًا … ويُعَنِّينِى الحديثُ المُخْتَلَقْ[٢]
حُبُّهـا أَوْ فَرَقَا مِنْ هَجْـرِهَا … وَصَرِيحُ الذُّلِّ حُبٌّ أَوْ فَرَقْ

قولَه : «يُعَنِّنِى الحديثُ المُخْتَلَقْ» — من أحسن المعانى وأحلاها ، وأجراها فى عادات كل عاشق — فأراد يعنينى اختلاق الحديث ، وهو اَخْتِرَاصُه أى يُنْصِبَنِى ، ويحزننى ؛ لشدَّة حبِّى لها ، وخوفى من هجرها .

والألف فى قوله : «أو» فى البيت مقحمة فى الموضعين ؛ وإنما أراد حبها وفرق هجرها ، وصريح الذل حب وفرق ، ولم يرد بإدخال الألف أحَدَهُمَا

وقال «آخر» فى نحو هذا :

تُكَذِّبُنِى فى الحبِّ سَلْمَى، ولَيْسَ لِى … شُهُودٌ ، وأَنِّى بالشهود علَى صِدْقِ
سِوَى ذَوْبِ جِسْمِى ،وانْتِكَاثِ بَشَاشَتِى … ورَوْعَةِ قلبى بالأَبَاطِيل والحَقِّ

[قوله : «روعة قلبى بالأباطيل والحق»][٣] نحو قول البحترى :

* ويعَنِّينى الحديث الْمُخْتَلَقْ *

---

(١) ديوان البحترى ٣٢٢ ، ١٤٧٢

(٢) ق «الواشى حياتى»

(٣) الزيادة من ق

وهذا البيت حسن التقسيم .

كان بعض شيوخ الأدب تعجبه[1] التقسيمات فى الشعر ، وكان مما يعجبه قول عباس بن الأحنف :

وِصَالُكُمُ هَجْرٌ ، وحُبُّكُمُ قِلى     وَعَطفُكُمُ صَدٌّ ، وسِلْمُكُم حَرْبُ[2]

ويقول : هذا أحسن من تَقْسِيمَات إِقْلِيدِسْ .

وقال أبو العباس ثعلب : سمعت « سيد العلماء » يستحسنه . يعنى ابن الأعرابى[3] .

ونحو هذا ما أنشده المُبرِّد لأَعْرَابِىّ ، وليس هو عندى من كلام الأعراب ، وهو بكلام المولدين أشبه :

وأَدْنُو فتُقْصِينِى ، وأَبْعُدُ طَالباً     رِضَاها فتَعْتَدُّ التَّبَاعُدَ مِنْ ذَنْبِى[4]

وشَكْوَاىَ تُؤْذِيها ، وصَبْرِى يَسُرُّهَا     وتَجْزَعُ مِنْ بُعْدِى.وتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِى[4]

---

(١) ق « وكان محمد بن موسى بن شاكر المنجم تعجبه »

(٢) ديوان العباس بن الأحنف ٩٩

(٣) فى ق بعد ذلك تعليق أدرج فى أصل الكتاب ، وهو : « وقال عبد السلام : أنشدنى أبو الحسن : عمر بن أبى عمر السنجزى قال : روى لنا ابن طباطبا ، رضى الله عنه فى آخر كتاب « عيار الشعر » — للبحترى ، ولم أجده فى شعر البحترى .

وفى أربع منى حلت منك أربع     فما أنا دار أيها هاج لى كربى

أوجهك فى عينى أم الريق فى فمى     أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى ؟

ولكنهما فى عيار الشعر ١٢٨ لقائل غير معين . ونقلهما أبو هلال العسكرى فى الصناعتين عنه كذلك من غير نسبة . وهما غير منسوبين فى نهاية الأرب ٢/ ٣٣ وهما لابن الرومى فى المنتظم ٥ / ٦٦

(٤) هما فى ثلاثة أخر فى الكامل ١ / ٢٤٥

(٥) فى ق بعد هذا البيت « وههنا زيادة بيت أنشده المبرد وهو :

فهل عندكم من حيلة تعلمونها     أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى

وهو أدون الأبيات الثلاثة »

وقول البحترى :

وَلِى هَفَوَاتٌ بَاعِثَاتٌ لِىَ الجَـوَى ... يُعَرِّضْنَنِى من بَرْحِهِ لِلمَتَالِفِ[١]

كَأَنَّ العُيُونَ الفَاتِنَاتِ تَعَـاوَنَتْ ... عَلَى تِرَةٍ عِنْدَ العُيونِ النَّوَارِفِ[٢]

وقوله :

وإِذَا كَسَرْنَ جفُونَهُنَّ نَظَرْنَ مِنْ ... مرضى ـ يَشُفُّكَ سِحْرُهُنَّ ـ صِحَاحِ[٣]

تَظْمَا إِليهِنَّ القلوبُ ، وقد تَرَى ... فيهِنَّ رِىَّ الحَائِمِ المُلْتَاحِ[٤]

والحبُّ سُقْمٌ للصَّحِيحِ إِذا غَلاَ ... فيه المحبُّ ، ونشوةٌ للصَّاحِى[٥]

بَكَرَ العَذُولُ فَكَفَّ غَرْبَ بَطَالَتِى ... وبَدَا المشيبُ فرَدَّ غَرْبَ جِمَاحِى

قَدْ آنَ أَنْ أَعْصِى الغَوَايَةَ إِذْ نَضَا ... صِبْغُ الشَّباب ، وأَنْ أُطِيعَ اللَّاحِى

وقوله .

جُنُونِى إِلى سُعْدَى ، وَسُعْدَى خَلِيَّة ... وَصَغْوِى إِلى سُعْدَى ، وسُعْدَى تَجَنَّبُ[٦]

إِذَ لَبِسَتْ كانَتْ جَمَالَ لِبَاسِهَا ... وتَسْلُبُ قَلْبَ المُجْتَلِى حِينَ تُسْلَبُ[٧]

وسمَّيْتُهَا مِنْ خَشْيَةِ النَّاسِ زَيْنَبـاً ... وكمْ سَتَرَتْ حُبًّا عن النَّاسِ زَيْنَبُ[٨]

---

(١) ديوان البحترى ٣٧٤ ، ٣/١٣٩٠

(٢) م « العيون الروادف »

(٣) ديوانه طبع بيروت ١/١٢٤ ، ١/٤٧٦ دار المعارف

(٤) ق والديوان « الهائم الملتاح »

(٥) فى ق والديوان « سقم للحبيب »

(٦) ديوانه ٦٠٧ ، ١ / ١٣٤ « جنونى فى ليل وليل خلية * وصغوى فى ليل وليل »

(٧) م « وتسلب حب » وفى الديوان « لب »

(٨) م « على الناس »

غَضَارَةُ دُنْيَا شَاكَلَتْ بِفُنُونِها ... مُعَـاقَبَةَ الدُّنْيَا الَّتى تَتَقَلَّبُ
وَمَا خِلْتُ أَنَّا فى الجَنَانِ نُعَذَّبُ[1] ... وجَنَّـةُ خُلْدٍ عَذَّبَتْنَا بِدَلِّهَـا

وهذا البيت يزيد على إحسان كل محسن فى الغزل[2]

* * *

ولا خفاء بفضل « أبى عبادة » على « أبى تمام » فى هذا الباب .

(١) فى الديوان « بالجنان »

(٢) فى ق بعد ذلك « والرواية : وجنة دنيا . ولا خفاء فى تفضيل ... »

## ما قيل فى ائتلاف المحبين

قال البحترى :

وَجدْتِ نَفْسَكِ مِنْ نَفْسِى بِمَنْزِلَةٍ    هِىَ المُصافَاةُ بَيْنَ الماءِ والرَّاحِ[١]

وهذا حسن جدًّا ، وأظنه أخذه من قول «بَشَّار» :

وإذْ نَلْتقِى خَلْفَ العُيُونِ كأَنَّنَا    سُلاَفُ عُقَارٍ بالنُّقَاخ مَشُوبُ[٢]

أخذه أَيضاً من قول «ابن أَبى عُيَيْنَةَ»[٣] فقال :

ذَاكَ إِذْ رُوحُها وَرُوحِى مِزَاجَا    نِ كَأَصْفَى خَمْرٍ بأَعْذَبِ مَاءِ[٤]

وقول البحترى أيضاً أجود من البيتين . وأخذه «عباس بن الأَحْنَف» فقال :

ما أَنْسَ لاَ أَنْسَ يُمْنَاهَا مُعَطَّفَةً    على فؤادى ، ويسرها على راسى[٥]

وَقولَها : لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِى    أَوْلَيْتَنِى كُنْتُ سِرْبالاً لَعَبَّاسِ

أَوْ لَيْتَهُ كَانَ لى خَمْرًا ، وكنتُ لهُ    من ماءِ مُزْنٍ فَكُنَّا الدَّهْرَ فى كَاسِ

---

(١) ديوان البحترى ٥٨ ، ١ / ٤٤٢ دار المعارف ، وأمالى المرتضى ٢ / ٦٤

(٢) ديوان بشار ١ / ١٨٥ وأمالى المرتضى ٢ / ٦٣

(٣) م «غينبة»

(٤) أمالى المرتضى ٢ / ٦٤ فى الأغانى ١٧ / ١٣ بعد البيت : «قال محمد بن يزيد : وقد أخذ المعنى غيره منه ، ولم يسمه وهو البحترى فقال :

جعلت حبك من قلبى بمنزلة    هى المصافاة بين الماء والراح

(٥) ديوان العباس بن الأحنف ١٥٦ وأمالى المرتضى ٢ / ٦٤

وأخذه «على بن الجهم» ، وجعله فى العِناق [ فقال ] (١) :

وبِتْنَا عَلَى رَغْمِ الحَسُودِ كأَنَّنَا خَلِيطَانِ مِنْ مَاءِ الغَمَامَةِ والخَمْرِ (٢)

وأجود من هذا كله وأحلى ، وألطف معنى – قول «بَشَّار» :

لَقَدْ كانَ ما بَيْنِى زَمَاناً وبَيْنَها كما بَيْنَ رِيحِ المِسْكِ والعَنْبَرِ الوَرْدِ (٣)

وقال « عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل » فى العناق والاختلاط :

كأَنَّنى عَانقْتُ رَيْحَانَةً تَنَفَّسَتْ فى لَيْلِها البَارِدِ (٤)

فَلَوْ تَرانَا فى قَمِيصِ الدُّجَى حَسِبْتَنَا فى جَسدٍ وَاحِدِ

وهذا أحسن من بيتى «العباس» الأولين .

وقال البحترى :

ولَمْ أَنْسَ لَيْلَتَنَا فى العِنَا قِ لَفَّ الصَّبا بِقَضِيبٍ قَضِيبَا (٥)

وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يقولون إن هذا البيت أجود ما قيل فى العناق ؛ لأنه أصاب حقيقة التشبيه بأجود لفظ ، وأحسن نظم .

ومثله قول «آخر» وجدته فى الأناشيد ، ولست أدرى أيهما أخذ من صاحبه :

وضَمٌّ لا يُنَهْنَهُ ، واعْتِنَاقٌ كما الْتَفَّ القَضِيبُ على القَضِيبِ (٦)

---

( ١ ) الزيادة من ق .

( ٢ ) ديوان على بن الجهم ١٤٤ وحماسة ابن الشجرى ١٩٦ وأمالى المرتضى ٢ / ٦٣

( ٣ ) ديوان بشار ٢ / ٣١٤ وأمالى المرتضى ٢ / ٦٤

( ٤ ) نقلهما المرتضى فى أماليه ٢ / ٦٢ وهما فى حماسة ابن الشجرى ١٩٦ والمختار من شعر بشار ٢٩٥ ونسبا لابن المعتز فى أمالى القالى ١ / ٢٢٦ وفى م « كأننى علقت »

( ٥ ) ديوان البحترى ٩٢ ، ١ / ١٥٠ « وأنس ليلتنا »

( ٦ ) نقله المرتضى من هنا ٢ / ٦٣ ومن عجب أنه قدم له بقوله : « ولآخر فى مثل هذا المعنى ، ولسنا ندرى هل سبق البحترى أو تأخر عنه » ! !

وبيت «البحترى» أجود سَبْكاً ، وأحلى لفظاً ؛ لقوله : «لَفَّ الصَّبا» ؛ لأن القضيب إنما يلتف بالقضيب بالريح .

وقد قال «بشار» فى نحو هذا ، وأظن هذين منه أخذا :

إنَّنِى أَشْتَهِى لِقَاءَك واللَّـ ـهِ فَماذَا عَلَيْكَ مِنْ لُقْيَانِى (١)
قَدْ تَلفُّ الرِّياحُ غُصْناً مِنَ البَا نِ إلى مِثْلِهِ فَيَلْتَقِيَـانِ

وقال «على بن الجهم» فى وكيد الالتزام :

سقَى الله ليلاً ضَمَّنا بَعْدَ هَجْعَةٍ وأَدْنَى فُؤَادًا مِنْ فُؤَادٍ مُعَذَّبِ (٢)
فَبِتْنَـا جَمِيعاً لو تُرَاقُ زُجَاجَةٌ مِنَ الرَّاحِ فيما بَيْنَنَا لَمْ تَسَرَّبِ

وهذا أيضاً حسن لفظاً ومعنى .

* * *

وأحسن ما قيل فى المُضَاجَعَة قولُ «امرئِ القيس» :

تَقُولُ وقَدْ جَرَّدْتُها مِنْ ثِيَابِها كمارُعْتَ مَكْحُولاً مِنَ العِينِ أَتْلَعَا : (٣)
وجَدِّكَ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُه سِوَاكَ ولَكِنْ لَمْ نَجِدْ لكَ مَدْفَعَا
فَبِتْنَا نَذُودُ الوَحْشَ عَنَّا كأَنَّنَـا قَتِيلاَنِ لَمْ يَعْلَمْ لنا الناسُ مَصْرَعَا
تجافَى عن المَأْثُورِ بَيْنِى وبينها وتُدْنى عَلَيَّ السَّابِرِيَّ المُضَلَّعَا
إذا أَخَذَتْها هِزَّةُ الرَّوْعِ أَمْسَكَتْ بِمَنْكِبِ مِقْدَامٍ عَلَى الهَوْلِ أَرْوَعَا

وهذا لا شيء أجود منه ، ولا أحلى ، ولا أبرع ؛ وقد أَخْبَرَ بالأمر على ما كان .

---

(١) أمالى المرتضى ٢ / ٦٣ «عليك أن تلقانى» .

(٢) ديوان على بن الجهم ٨٥ وحماسة ابن الشجرى ١٩٦ وأمالى المرتضى ٢ / ٦٢ والمختار من شعر بشار ٢٩٥

(٣) حماسة ابن الشجرى ١٩٥ وأمالى المرتضى ٢ / ٦٢ وفى ديوانه ١١٣ وق «مكحول المدامع»

وقد أحسن أيضاً «عبد بنى الحسْحاس» فى قوله :

وبِتْنَـــا وسَادَانَا إلى عَلَجَانَةٍ ... وحِقْفٍ تَهَادَاهُ الرِّياحُ تَهادِيَا[١]

فَمَا زَالَ بُرْدِىَ طَيِّباً مِنْ ثيابَها ... إلى الحَوْلِ حتَّى أَنْهَجَ البُرْدُ بالِيَا[٢]

* * *

ولست أعرف لأَبى تمام فى هذا الباب شيئاً .

---

( ١ ) ديوان سحيم ١٩ – ٢٠ وبينهما أبيات . وهو فى اللسان ٣ / ١٥٢ وفى م «وسادتنا على» والعلجانة . شجرة اختلف فى وصفها . والحقف : ما اعوج من الرمل واستطال .

( ٢ ) ديوان المعانى ١ / ٢٦٠ واللسان ٣ / ٢٠٧ ، وأنهج البرد : أى أخذ فى البلى .

# باب فى نوح الحمام

قال أبو تمام :

أَتَضَعْضَعَتْ عَبَرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعَتْ وَرْقَاءُ حِينَ تَضَعْضَعَ الإِظْلَامُ(١)

لا تَنْشِجَنَّ لَهَا ؛ فإِنَّ بُكَاءَهَا ضَحِكٌ ، وإِنَّ بُكاءَكَ اسْتِغْرَامُ

هُنَّ الحَمَامُ فإِن كسرت عِيَافَةً مِن حَائِهِنَّ فإِنَّهُنَّ حِمَامُ(٢)

قوله : « أَتَضَعْضعت عبرات عينك » . أى وهت ، وانحل نظامها .

وقوله : « حِينَ تَضَعْضَعَ الإِظْلَامُ » : أى حين تَقَوَّض إلا أقلّه .

والنَّشِيج : البكاء .

وههنا معارضات عورض بها أبو تمام فى هذه الأبيات ، وهى أن قيل :

قوله : « أتضعضعت عبرات عينك » إنكار على نفسه البكاء من أجل دعاء حمامة ، كأنه يُخَسِّسُ(٣) أَمْرَها ، فما وجه قوله : « فإنهن حِمام ؟ » فسهَّل أمرها أولا ، ثم أعظمه هذا التعظيم آخرًا . هذا عين المُنَاقَضة . ثم من ذا رآه قتلَه بكاءُ الحمام(٤) حتى يجعلهن حِماماً ؟ وزعم أن بكاءها ضَحِك ، والحَمَامُ إنما ينوح لفقد إِلْفه وفِرَاخِه فيطيل الترنُّم والنَّوْح ، فكيف يكون ذلك ضَحِكاً أَوْ كالضَّحِك ؟

---

( ١ ) ديوان أبى تمام ٢٧٩ وشرح التبريزى ٣ / ١٥٢ والزهرة ٢٤٢ ويروى « أتحدرت » و « أتصعصعت » . . تصعصع » والتصعصع : التفرق والاضطراب

( ٢ ) الصناعتين ١١٨ وعيون الأخبار ١ / ١٥٠

( ٣ ) م « يحسن »

( ٤ ) م « حمامة »

فقيل للمعارضين : وأى دليل فى [قوله] [١] : «أتضعضعت عبرات عينك أن[٢] دعت وَرْقَاءُ» – على أنه خَسَّس[٣] أمر الورقاء وهى الحمامة ، وحقَّره حتى يكون قوله : فإنهن[٤] حِمام – نَقْضاً لهذا المعنى .

فقالوا : هذا مذهب من مذاهب العرب معروف فى تهوين أمر الحمامة ، وتعنيف من يبكى لبكائها . ومن ذلك قول «البحترى بن عزافر الحرشى» :

أإنْ غَرَّدَتْ يوماً بِوَادٍ حَمَــامَةٌ بَكَيْتَ ، ولَمْ يَعْذِرْكَ بالجهل عَاذِرُ

فقوله : «أإن غرَّدت حمامةٌ بكيت» – تهوين لأمر الحمامة فى تغريدها ، أى ذلك لا يوجب البكاء . وهذه الألف تسمى ألف التوبيخ .

ونحوه قول «ابن الدُّمَيْنَةَ» :

أأنْ هتفَتْ وَرْقَاءُ فى رَوْنَقِ الضُّحَى على غُصُن غَضِّ النَّباتِ من الرَّنْدِ[٥]
بكيتَ كما يَبْكِي الوَلِيدُ ، ولَمْ تكُنْ جَلِيدًا ، وأَبْدَيْتَ الذى لم تكُنْ تُبْدِى

فقال : «بكيت كما يبكى الوليد» يعنى الصَّبِىّ .

ومثله قول «الأحوص» :

أأنْ نَادَى هَدِيلاً يوم فَلْجٍ مع الإشْرَاقِ فى فَنَنٍ حَمَامُ
ظللت كأَنَّ دمعك دُرُّ سِلْكٍ هَوَى نَسقاً ، وأَسْلَمَهُ النِّظَامُ

ونحوه قول «آخر» من بنى قُشَيْر – وأنشده أبو حاتم :

أتجْزَعُ أن وُرْقُ الحمامِ تغرَّدَا بكَى شجْوَه ، أو جاوَبَ اليومَ هُدْهُدا[٦]

---

(١) الزيادة من ق

(٢) م «أى»

(٣) ق «حسن»

(٥) الأغانى ١٥ / ١٥٦ والحيوان ٣ / ٣٨٠ والزهرة ٢٤١ والأول فى الكامل ٢ / ٥٠٦ وديوان ابن الدمينة ٨٥

(٦) م «أو جادت»

ومثله فى أشعارهم [ كثير ] (١) موجود .

وإلى هذا المعنى ذهب أبو تمام فى قوله : «أتضعضعت عبرات عينك» كأنّه يوبِّخ نفسَه على البكاء من أجل بكاء حمامة . ولما قال : «فإنهن حمام» ، كانت هذه مناقضة ظاهرة .

وهذه(٢) — لعمرى — معارضة . غير أن أبا تمام قد يجوز أن لا يكون اعتمد تهوين أمر الحمامة كما اعتمد هؤلاء الشعراء ، وأن يكون توبيخه(٣) لنفسه ليس على هذا الوجه ، بل إنما أراد : لا تبك لبكاء الحمام ؛ فإنك تسمعه دائماً يُغَرِّد ، فإن كنت كلّما سمِعته بكيتَ وحزِنت — طَالَ بكاؤُكَ وحزنُك . وذلك كما قال الآخر(٤) :

أَأَنْ زُمَّ أَجْمَالٌ ، وفارَقَ جِيرَةٌ وصاحَ غرابُ البَيْنِ — أَنْتَ حَزِينُ؟

وقد عِيبَ هذا الشاعر فى هذا(٥) المعنى ، وقيل : إذا كان هذا لا يحزن فأى شىء يحزن ؟

ولا شك فى أن ظاهر هذا القول قبيح ؛ لمخالفته ما فى عادات الناس . إلا أنى أظن هذا الشاعر ما ذهب فى هذا القول إلى تهوين هذه الأشياء ، وتحقيرها ، وإنما أراد أن مثل هذا يقع دائماً ، فإن(٦) كان كلّما شاهدته ورأيته حزنت — طَالَ حزنُك .

---

(١) الزيادة من ق

(٢) م «وهذا»

(٣) م «يكون توضيحه»

(٤) م «لما قال» وفى ق «قال كثير» والبيت لكثير فى الموشى ١٠٦

(٥) ق «بهذا» وقد عابته بذلك : عقيلة بنت عقيل بن أبى طالب، كما فى الموشح ١٦٠ — ١٦١

(٦) ق «وإن كنت»

وقد قال «مُرَّةُ النَّهْدِيّ» :

أَأَنْ سَجَعَتْ فى بَطْنِ وادٍ حَمَامَةٌ     تُجَاوِبُ أُخْرَى ماءُ عَيْنَيْكَ غَاسِقُ[١]
كأَنَّك لم تَسْمَع بُكاءَ حَمَامَةٍ     بليلٍ ، ولم يحزنك إِلْفٌ مُفَارِقُ
ولم تر مشغوفاً بشىء تحبُّه     سِوَاك ولم يَعْشَق كَعِشْقِكَ عاشِقُ[٢]

فقال : «أَأَن سَجَعَتْ» يوبِّخ نفسه على البكاء لبكاء حمامة . ولم يذهب فى ذلك إلى تَخْسِيس أمرها ، بل إلى ما قد دل عليه [ قوله ][٣] : «كأَنك لم تسمع بكاء حمامة» . أى قد حزنت لذلك[٤] كثيرًا ، وبليت للحزن على مفارقة الإلف دائماً ، ورأيت مَنْ حالُه كحالك أبدًا ، فينبغى أن تقصر .

فكذلك هؤلاء الشعراء فى الأبيات المتقدمة جائز أن لا يكونوا هَوَّنُوا أَمْرَ الحمامة ، إن كانوا اعتمدوه ، على أنه هين عندهم وعلى[٥] الحقيقة ، إنما ذهبوا فى ذلك إلى أن يَرْدَعُوا نُفُوسهم عن البكاء ، فغير منكر ممن أراد أن يردع نفسه عن شىء أن يُهَوِّن السبب الجالب لذلك[٦] الشىء ويُحَقِّرُه ، وإن كان عظيماً .

غير أن أبا تمام أوقع التوبيخ على نفسه كما فعلوا ، وذهبوا إلى تهوين أمر الحمامة ، وذهب هو إلى تعظيمه فى قوله : «فإنهن حِمام» . فوافقهم فى التوبيخ ، وخالفهم فى المعنى ، كقائل قال لرجل : أمثلك يسامى عمرا ؟

---

(١) م «عاشق» وذكر القالى أنه للعوام بن عقبة ١ / ١٣١ وفى حماسة ابن الشجرى ١٧٢ للصمّة ابن عبد الله القشيرى ، ومن غير نسبة فى أمالى اليزيدى ٥٠

(٢) م ، ق «لعشقك»

(٣) الزيادة من ق

(٤) ق «أى قد سمعت ذلك كثيراً»

(٥) ق «على»

(٦) م «إلى ذلك»

ويقول له قائل آخر كهذا القول سواء ، ويكون أحدهما مُصَغِّرا [ له ](١) عن مُسَامَاةِ عمرو ، والاخر مُكَبِّرًا معظماً ، فيستويان فى اللفظ ، ويختلفان فى المعنى .

وقد تقدم الناسُ أبَا تمام فى مثل قولِهِ : « فإنهن حِمَامُ » ، وقد ذكروا أن تَغْرِيدَ الحمام يُبْلِي ، ويُميت ، ويَقتل . وهو المذهب الأعم الأكثر ، فمن ذلك قول « نُصَيْب » :

مُحلاَّةُ طَوْقٍ كَانَ مِنْ غَيْرِ شرْبَةٍ بمالٍ ، ولم تَغْرَمْ لَهُ جُعْلَ دِرْهَمِ
أَمَوتُ لتبْكَاها أَسىً إنَّ عَوْلَتِي وَوَجْدِي بِسُعْدَى شَجْوُه غَيْرُ مُنْجِمِ(٢)

وقال [ آخر ](٣) :

أَلاَ يَا حَمَامَاتِ اللِّوَى عُدْنَ عَوْدَةً فإنِّى إلى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينُ(٤)
فَعُدْنَ فَلَمَّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِى وكدْتُ بأَحْزانِى لَهُنَّ أُبِينُ

[وقال آخر :

وهيَّجَتنى – فَاهْتَجْتُ للشَّوْقِ والصِّبَا – مُطَوَّقَةٌ خَطْباءُ عالٍ رَنِينُها
تَموتُ لها نَفْسُ الحزين صَبابَةً إذا مَا دَعَتْ وَهْناً وغَنَّتْ غُنُونُها ](٥)

---

(١) م « مصعداً عن » .
(٢) أمالى المرتضى ١ / ٣٣٠ « لمبكاها أسى » ومنجم : مقلع .
(٣) الزيادة من ق .
(٤) الأمالى ١ / ١٣٢ والزهرة ٢٤٠ من غيرة نسبه ، وفى نهاية الأرب ٢ / ٢٦٣ لمجنون ليلى . وتنسب لعبد الله بن الدمينة كما فى ديوانه ٣٩ ، ٢٢٤
(٥) الزيادة من ق وفيها « عنونها » والفنون : الأصوات .

وقال [ آخر ] :

أَلا يَاحَمَامَ الشِّعْبِ من غَيْضَةِ اللِّوَى رِدِى الماءَ لاتُؤْخَذْ عَلَيْكِ الكَظَائِمُ(١)

حَمَائِمُ قَدْ أَبْلَيْنَنِى ، وقَتَلْنَنِى كأَنْ لَمْ يَهِمْ قَبْلِى مِنَ النَّاسِ هَائِمُ

وذكر هذا أنهن(٢) أَبْلَيْنَه ، وقتلنه ، فما وجه الإنكار على أبى تمام قوله : « فإنهن حمام » ؟

فإن قيل : إنما أراد هؤلاء الشعراء إماتة الحب ، وقتل الحب الذى هو التذليل والتَّتْيِيمُ ، ولم يريدوا القتل الذى هو الإيتان على النفس ، ولا الموت الوَحِيِّ [ والحمام ] (٣) ليس من هذا فى شىء ؛ لأنه قَدَرُ الموت المَقْدُور ، وقضاؤُه المَحْتوم . يقال : قد حُمَّ الأَمْرُ إذا قضى وقُدِّر . قال « الرَّاعِى » :

* وما حُمَّ مِنْ قَدَرٍ يُقْدَرُ(٤) *

قيل : إذا استعمل الموت على المجاز فقضاء الموت ، وقدره أيضاً يستعمل على المجاز ؛ لأنك إذا قلت على المجاز : فى هذا الأمر إذا ارتكبته قَتْلى ، أو مَوْتى – قلتَ أيضاً على المجاز : فى هذا الأَمر حِمَامِى . وقد ذُكِر الحمام على الوجه كما ذُكِر الموت والقتل . فقال [ الفزارى .

* وأَوْرَدَنِى يوم العذيب حِمَامِى *

ولم يمت يوم العذيب . ومثله كثير موجود ](٥) .

وأما إنكارهم قوله(٦) : « فإن بكاءها ضحك » . وقولهم : إن الحمامة

---

(١) الكظائم : فى اللسان ١٥ / ٤٢٥ « وكل ما سد من مجرى ماء أو باب أو طريق : كظم »

(٢) م « أنه »

(٣) الزيادة من ق

(٤) صدره « تغير قوى ولا أسخر » كما فى اللسان ٦ / ١٧

(٥) الزيادة من ق

(٦) م « قولهم »

تغرد لفقد إلفها وفرخها ، وتكثر النوح عليهما ، فكيف يكون ذلك ضحكاً ؟

فالجواب عن هذا : أن ذلك التَّغْريدَ بَعينه قد يُسمع منها وإلفها معها ، وتفعله وهى فى عُشِّها مع فَرْخها . والمشاهدة لهذا أكثر وأعم . ويسمى ذلك التغريد نَوْحاً ؛ ألا ترى إلى قول الشاعر :

أَلَا يا حَمَامَ الأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ وغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ ؟[١]
وَناحَتْ وَفَرْخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا ومِنْ دُونِ أَفْرَاخِى مَهَامِهُ فِيحُ

ولهذا قال وَرْدُ بن الجَعْد :

أَحقًّا يَا حَمَامَةَ بَطْنِ وَادٍ بِأَنَّك فى بكائِك تَصْدُقِينَا[٢]
غَلَبْتُك فى البكاءِ بأَنَّ لَيْلِى أُوَاصِلُهُ ، وأَنَّك تَهْجَعِينَا[٣]
وأَنى إن بكيت بكيت حقًّا وأنك فى بكائك تكذبينا[٤]

فمن ههنا قال أبو تمام : «لا تَنْشجَنَّ لها فإنَّ بَكاءَها ضَحِكٌ » . أى ليس هناك بكاء على الحقيقة ، ولا حزن على الصِّحة ، وإنما يشجوك تغريدها لأَن لها تَلْحيناً وتَرْجِيعاً كأنه صوت نائح ؛ ومن أجل ذلك ادعت الأَعراب أن فرْخ حمام كان على عهد نوح يقال له[٥] الهديل – صاده بعض جوارح الطير . فيزعمون أنه ما من حمامة إلا وهى تبكى عليه . وهذا من خرافات الأَعراب . وإنما قالوا ذلك لما رأَوا الحمام على كل حال يغرد هذا التغريد

---

(١) البيت الأول فى الكامل ٣ / ٨٤٨ لعرف بن محلم ونهاية الأرب ٢ / ٢٦٤ ، والثانى له فى سمط اللآلى ١ / ٣٧٢ وهما فى فوات الوفيات ٢ / ٢٣٤ ومعجم الأدباء ١٧ / ١٤٢ – ١٤٣ والأول غير منسوب فى الزهرة ٢٤١ .

(٢) الأبيات فى الزهرة ٢٤٢ لنبهان العبشمى ، وفيها : « بطن قو بهذا الوجد أنك تصدقينا » .

(٣) م « بالبكاء » .

(٤) م « وأنى وإن » وفى الزهرة :

وأنى أشتكى فأقول حقًّا وإنك تشتكين فتكذبينا

(٥) م « لها » .

الشَّجِيَّ فسموه نوحاً وبكاءً [واحتراقًا][١] واخترعوا له هذا الحديث ، وذكروه فى أشعارهم[٢] .

فمن ذلك قول الكُمَيْت :

وَمَا مَنْ تَهْتِفِينَ لَهُ بِنَصْرٍ ... بِأَقْرَب جَابَةً لَكِ مِنْ هَدِيلِ[٣]

وقال نُصَيْب :

فَقُلْتُ :أَتَبْكِي ذَاتُ طَوْقٍ تَذَكَّرَتْ ... هَدِيلاً وقَدْ أَوْدَى وَمَا كَانَ تُبَّعُ[٤]

أى أودى قبل تُبَّع .

وقال نصيب أيضاً :

هَتُوفُ الضُّحَى وَرْقَاءُ يذْكِرُكَ الهوَى ... بُكاهَا هَدِيلاً شَجْوُهُ حِين تَهْتِفُ

وقوله : شجوه أى بشجوه .

وقال آخر :

أَيَبْكِي هَدِيلاً بالعَشِيِّ وبالضُّحَى ... عَلَى الطَّلْحِ قُمْرِيّ الحَمامِ الْمُغَرِّد

وقال آخر :

إِنِّى تُذَكِّرُنِى سَلْمَى مُطَوَّقَــةٌ ... تَدْعُو هَدِيلاً على أَفْنَانِ أَغْصَانِ

ومثل هذا كثير فى أشعارهم جدًّا . ولا يكادون يخرجون فى نوح الحمام عن أن يجعلوه على الفرخ القديم ، أو على إلفٍ مُفَارِق ؛ وذلك لرقة

---

(١) الزيادة من ق .

(٢) ق « فى أسمائهم » .

(٣) البيت له فى اللسان ١٤ / ٢١٦ « لنصر بأسرع » وفى م « من هذيل » .

(٤) ق « تنكرت هديلا » وقبل البيت فى اللسان ١٤ / ٢١٥ « قال نصيب ، وقيل هو لأبى وجزة » .

تغريدها ، وشدة تشوق من يسمع ذلك إلى إلفه . قال رجل من بنى نهشل :

أيبكى حمام الأيك من فقد إلفه [وأصبر عنها إننى لصبور[١]

وقال جميل ][٢] :

أيبكى حَمامُ الأَيْكِ من أجل إلفه وأَصْبِرُ ، مَالِى عن بُثَيْنَةَ مِنْ صَبْرِ

وقال آخر :

ألا يا حَمَام الأَيْك مالَكُ باكيًا أفارَقْتُ إلْفاً ، أَمْ جَفَاكَ حَبِيبُ ؟[٣]

ومع هذا فقد جعلوا تغريدها أيضاً غِناء ، لأن من الغناء ما يَشْجُوك فيحزنك ، ومنه ما يسرك فيطربك ؛ ولهذا مَا جَعَلُوا[٤] نَوْحَ الحمام تفجُّعاً ، وسموه غناءً ، وبكاءً فى حال واحدة . ومنه قول الأَحْوَص :

أَهَاجَ لَكَ الصَّبَابَةَ أَنْ تَغَنَّتْ مُطَــوَّقَةٌ عَلَى فَنَن بَكُورُ
تَفَجَّعُ فَوْقَ غُصْنٍ مِنْ أَرَاكٍ وتَحْتَ لِبَانِهَا فَنَنٌ نَضِيرُ

فجعل غناءها تَفَجُّعاً .

وقال على بن عُمَيْرَةَ الجَرْمِى :

لقد هَاجَ ذكرى أمّ عَمْرٍو حَمَامَةٌ بنعْمَانَ غَنَّتْنَا غِناءً مُرَجَّعَا
بَكَتْ سَاقَ حُرٍّ بالمَرَاوِيح ، وأَنْتَحَتْ بها الريح فى وَادٍ أَرَاضَ وأَمْرَعَا[٥]

فقال : غَنتنا ، ثم قال : بكت ساقَ حُرّ . فجعل غناءها بكاء .

(١) أمالى القالى ١ / ١٣١ والزهرة ٢٤١ .
(٢) الزيادة من ق .
(٣) الزهرة ٢٤١ .
(٤) ق « ويطربك والحكماء جعلوا » .
(٥) أراض : كثرت رياضه . وأمرع : أخصب وكثر عشبه .

وقال آخر :

تَغنَّتْ بِرأْدٍ مِنْ ضُحَاهَا فأَسْمعَتْ  أَخَا طَرَبٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ عَوَاذِلُهْ[١]

إذا سجَعَتْ كَرَّتْ بِجَرْسٍ كأَنَّهُ  وَتحوُّبُ ثَكْلَى زايَلَتْ مَنْ تُزَايِلُهْ[٢]

فجعل بكاءها كَتَحَوُّب[٣] ثكلى .

وقال النَّابغة :

بكاءَ حَمامةٍ تَدْعُو هَدِيلا  مُفَجَّعةٍ عَلى فَنَنٍ تُغَنِّى[٤]

فجعلها باكية ، مفجَّعة ، مُغَنِّية .

وقال نُصَيْب :

لقد كِدْتَ تَبْكِي أَنْ تَغَنَّت حَمامَةٌ  علَى رَأْدَةِ الأَفْنَانِ نَاعِمَةَ الأَصْلِ

تَهُزُّ بِها الرِّيحُ الضَّعِيفَةُ غُصْنَها  مِرارًا فَتُدْنِى فَرْعَهُ ثم تَسْتَعْلِى

بِهاتِفَةٍ لاَ تبْرَحُ الدَّهْرَ وَالِهاً  على إِثْرِ إلْفٍ ، أَوْ تَنُوحُ عَلَى شَكْلِ

فقال : تغنت ، ثم جعلها وَالِهاً ، ونائحةً على شكل ، أى على شبه ومثل .

وقال نُصَيْب :

وقد هَاجَنِى للشوق نَوْحُ حَمامَةٍ  هَتُوفِ الضُّحَى هاجَتْ حَماماً فَغَرَّدَا

طَرُوبٍ غَدَتْ مِنْ حَيْثُ بَانَتْ فَبَاكَرَتْ  بِعَوْلَتِها غُصْناً مِنَ الأَثْلِ أَغْيَدَا

تَغَنَّتْ عليه ذاتُ شَجْوٍ مُرِنَّـةٌ  بِصَوْتٍ يَشُوقُ المُسْتَهَامَ المُصَيَّدَا

فقال : هاجنى نَوْحُ حمامة ، ثم قال : تَغَنَّت .

---

(١) الرأد : رونق الضحى . وقيل رأد الضحى : ارتفاعه حين يعلو النهار .

(٢) الجرس : الصوت . والتحوب : البكاء فى جزع وصياح . وفى م « تحرب » وزايلت : فارقت .

(٣) م « كتحرب » .

(٤) ديوان النابغة ١٠٧ وأمالى المرتضى ١ / ٤٣ .

وقال نُصَيْب أيضاً :

لعلَّكَ باكٍ أنْ تغنَّتَ حمامةٌ  يَمِيدُ بها غُصْنٌ من الريح مَائِلُ
من الوُرْقِ يَدْعُوها إلى شَجْوِها الضُّحَى  فَتَبْكِي ، وتُبْكى حِينَ تَدْنُو الأَصَائِلُ

فجعلها باكية مُغَنِّية .

ومثله قول ابن مَيَّادَة :

يُذَكِّرنيها أنْ تَغَنَّتَ حَمَـائِم  لهنَّ على خُضْرِ العِضَاهِ عَوِيلُ
تَجاوَبْنَ فى حَدِّ النهار بعَوْلَة  وأُخْرى تُوَافِى الشمسَ كُلَّ أَصِيل

وقال عُمَرُ بن أبى رَبِيعَة :

أُدْمُ الظِّبَاءِ به تَرَنَّمُ سُنَّحا  وبكاءُ نائحة به تترنَّمُ[١]
غَنَّتْ عَلَى فَنَنٍ فأَسْعَدَ شَجْوَهَـا  وُرْقٌ أَجَبْنَ كَما ٱسْتجَابَ المَأْتَمُ[٢]

وقال رجل من بنى نضر بن معاوية :

أَهاجَ لك الأَحزانَ نَوْحُ حمامةٍ  تغنَّت بليل فى ذَرَى ناعِمٍ نَضْرِ

فقال : نوح حمامة ، ثم قال : تغنَّت .

وقال سعد بن الجرّاح بن سفيان بن صَامِت الحارِثى :

وحمامة أَوْفَتْ بأَخْضَرَ نَاعِمٍ  تبكى على غصن من الأَغْصان
عرفَ الحَمامُ لها الغِناءَ فرَنَّمَتْ  فاعتادنى نُكْسٌ من الأَحزانِ

---

( ١ ) فى ديوان عمر بن أبى ربيعة ٢١٧ :
أدم الظبـاء به تراعى خلفه  وسخالها فى رسمه تتبغم
وثنى صبابة قلبه بعد البلى  ورقاء ظلت فى الغصون ترنم
( ٢ ) فى الديوان « غردت على » .

وقال حُمَيْد بن ثَوْر :

فأَوْفَتْ على غُصْنٍ ضُحَيًّا فَلَمْ تَدَع لباكيةٍ فى شَجْوِها مُتَلَوَّمَا[١]
تغنى إذا غَنَّتْ بأَجْزَاع بِيشَةٍ أَو الرَّخْم من تَثْلِيث أَوْ يَبَنْبَمَا[٢]

وقال أَبو شَيْبَة الجَرْمِى :

أَلا قاتل الله الحمامةَ غُدْوَةً على الغُصْنِ ماذا هيَّجَتْ حين غَنَّتِ[٣]
تَعَلَّتْ على الأَفْنَانِ فى تلع الضُّحَا فهاجت حزيناً بالبكاءِ ووَلَّتِ

وقال يزيد بن عمَّار الهِلاَلى :

وذات فَرْخَيْن غنَّتَ فى مُسَوَّقَةٍ عَجْمَاءَ مُعْرِبَةٍ ما ضَرَّها العَجَمُ
بكت فأَبْكَتْ مَرِيضَ القلبِ ذَا شَجَنٍ وليس يجرى لها دَمْعٌ فَيَنْسَجِمُ

وقال أَبو مَخْلَد الرَّاسِبِىّ :

ولكنها لم تُذْرِ دَمْعاً وقد بَكَتْ وعَيْنُك تُذْرِى الدَّمْعَ سَحًّا شُئُونُها

وقال رجل من ولد سالم بن مالك الثَّقَفِى :

ويوم اللِّوَى أَجْرَى دُمُوعَك إِذْ دَعَتْ حَمَائِمُ فى فَىْءِ الأَرَاكِ صَوَائِحُ[٤]
حَوَائِمُ ما تُذْرِى الدُّمُوعَ إِذا بَكَتْ وهُنَّ بأَسرار الدُّموعِ بَوَائِحُ

---

(١) ديوان حميد بن ثور ٢٦ والكامل ٣ / ٨٤٩ .

(٢) فيهما : « إذا شئت غنتنى بأجزاع أو النخل » ويبنبم : واد ، كما فى معجم البكرى ٤ / ١٣٨٧ .

(٣) من غير نسبة فى الزهرة ٢٤١ .

(٤) م « صوارع » .

وقال حَرْبُ بن الحَكَم بن المُنْذِر بن الجَارُود :

وقبْلِيَ أبْكَى كُلَّ مَنْ كان باكياً    هَتُوفُ البَواكِى والدِّيارُ البَلاقِعُ[١]
بواكٍ على الأَطلال من كل جانب    نوائح ما تخضلّ منها المدامع[٢]

وقال على بن عَمْرَة الجرْمىّ :

هَتُوفُ الضُّحَى مَعْرُوفَةُ اللَّحْنِ لم تزَلْ    تَقُودُ الهَوَى مُهْدًى لَنَا ونَقُودُها[٣]
جَزُوعٌ ، جَمُودُ العَيْنِ ، دائمةُ البُكَا    وكيف بكا ذِى مُقْلَةٍ وجُمُودُها
مطوَّقة لم يَضْرِب القَيْنُ فِضَّةً    عليها ، ولم يَعْطَل من الحَلْى جِيدُها[٤]

فهذا ما عليه العرب وغيرهم فى أن الحمام وغيره من الطير لا دموع لها .

وقال رباح العُقَيْلِي . فجعل لها دموعاً . وذلك سهو منه أو جهل ، وأنشده أبو حاتم :

وما هاج لى إلاَّ عَشِيَّةَ وَاسِطٍ    حمَائمُ غِيطَانِ الأَرَاكِ وُقُوعُ
تَجَاوَبْنَ فى أَطْلال أَفْنَانِ أَثْلَةٍ    بِمُغْرَوْرِقَاتٍ فَيْضُهُنَّ دُمُوعُ[٥]
وإنِّى لأَرْعَى السِّرّ منْ أُمِّ عَاصِمٍ    ولستُ لِعَهْدٍ صَالحٍ بِمُضِيعِ

فقال : «بمغرورقات تفيض[٦] منهن الدموع» .

---

(١) فى الزهرة من غير نسبة ٢٤٥ «كان ذا هوى» .
(٢) فى الزهرة «وهن على الأطلال» .
(٣) لبعض الأعراب فى الزهرة ٢٤٣ «صدوح الضحى هياجة اللحن . . قيود الهوى تهدى لها وتقودها» .
(٤) فى الزهرة «لم تطرب العين فضة» !
(٥) م «فضهن» .
(٦) م «دمفض»

وقال آخر :

فَعُدْنَ بِتَمْرَقَارِ الهَدِيرِ كأَنَّمَا ... شَرِبْنَ حُمَيًّا ، أَوْ بِهِنَّ جُنُونُ[1]

فلم تَرَ عَيْنِى قَبْلَهُنَّ حَمَائِماً ... بَكَيْنَ فَلَمْ تَقْطُرْ لَهُنَّ جُفُونُ

وهذا قد أفصح – كما ترى – بأَن كُلَّ حمام رآه يبكى قبل هذه الحمائم – رأى له دموعاً . هذا مَحْضُ الجهل ، وأظنه أراد أن يقول : فلم تر عينى ، قبلهن بواكياً . فقال حمائماً كما قال جَهْم بن خَلَف :

فلمْ أَرَ بَاكيةً مثلها ... [تُبَكِّى] ودَمْعَتُها مَا تُرَى[2]

لم يرد باكية من الحمام ، ولا من الطير ، وإنما أراد باكية من الإنس مفجعة مثل هذه الحمامة . والله أعلم .

وهذ الفصل ليس من الاحتجاج لأَبى تمام فى أبياته . وقد كان يجوز أن أتعداه ، وأقتصر[3] أيضاً على بعض الشواهد التى تقدمته ، ولكن وجدت ذلك متمماً للباب فأوردته .

* * *

وقال أبو تمام :

لَئِنْ أَرْقَأَ الدَّمْعَ العيونُ وقد جرَى ... لَقَدْ رَوِيَتْ مِنْهُ خُدُودٌ نَوَاعِمُ[4]

كَمَا كَادَ يَنْسَى عَهْدَ ظَمْيَاءَ باللِّوَى ... ولكن أَمَلَّتْهُ عليه الحَمَائِمُ[6]

(١) لابن الدمينة كما فى ديوانه ٣٩ ، وهما من غير نسبة فى أمالى القالى ١ / ١٣٢ .

(٢) البيت من قصيدة له فى الحيوان ٣ / ١٩٩ والزيادة منه .

(٣) م « وأقتصره » .

(٤) ديوان أبى تمام ٢٨٥ وشرح التبريزى ٣ / ١٧٦ ويروى : « الدمع الغيور » و « أعطش الدمع العيون » ومعنى أرقأ : سكنه ومنعه من السيلان .

(٥) ويروى « لقد كاد » .

بَعَثْنَ الهوَى فى قلْبِ مَنْ لَيْسَ هائِماً ... فَقُلْ فى فؤادٍ رُعْنَهُ وهْوَ هائِمُ
لها نغَمٌ لَيْسَتْ دُموعاً فإن جرَتْ ... مَضَتْ حَيْثُ لا تَمْضِى الدُّمُوعُ السَّوَاجِمُ[(١)]

قوله : «لئن أرْقَأَ الدمعَ العيونُ وقد جَرَى» . يريد لئن قطعت العيون التى ترقبنى دمعى وقد جرى ، أى فى حال جريه — لقد رَوِيَتْ منه خدودُ أحبابى .

وهذه حال مفهومة معلومة قلَّما يخلو منها [أحد] وهو أن يدور الدمعُ فى مآقه ، ويستحى أن يُرَى باكيًا ، فيكفّ العبرة ويردّها .

ولم يوضح المعنى ويلخصه .

والجيد النادر ، واللفظ الحسن ، والعبارة الصحيحة — قولُ البحترى :

نَهتْهُ رقْبَةُ الوَاشِينَ حتَّى ... تَعلَّقَ : ما يَغِيضُ ، ومَا يَسِيلُ

ومثل هذا لا يكون مسروقاً ؛ لأنه جارٍ فى عادات الناس ، مشاهدٌ معلوم ، وما علمت أحدًا نظمه نظم البحترى .

والجيد الحسن أيضاً لفظاً ومعنى — قوله[(٢)] :

ما لِخُضْرٍ يَنُحْنَ فى قُضُبِ الخُضْـ ... ـرِ على كلِّ صاحبٍ مفقودِ[(٣)]
عَاطِلَاتٍ ، بَلْ حَالِيَاتٍ يُرَدِّدْ ... نَ الشَّجَا فى قَلَائِدٍ وعُقُودِ
زِدْنَنِى صَبْوَةً ، وذَكَّرْنَنِى عَهْـ ... ـدًا قديماً من ناقضٍ للعهود
ما يُرِيد الحمَامُ فى كلِّ وادٍ ... مِنْ عَمِيدٍ صَبٍّ بغَيْرِ عَمِيد
كُلَّمَا أُخْمِدَت لَهُ نَارُ شَوْقٍ ... هِجْنَهَا بالبكاءِ والتَّغْرِيدِ

---

(١) ويروى : «فإن علت» .

(٢) م «وقوله» .

(٣) ديوان البحترى ٦٩٢ ، «يا لخضر ينحن فى القضب» .

قوله : « عاطلات بل حاليات » . يريد أطْوَاق الحمام . هو لها [شَبيه ] [١] بالحلىّ ، وهنّ منه عواطل .

وما قال أحد فى هذا المعنى أحسن ، ولا أبرع ، ولا أحلى من قول أمية ابن أَبِى الصَّلْت فى حمامة نوح :

فلما فرشوا الآيات صاغُوا لها طوْقاً كما عُقِدَ السِّخَابُ [٢]
تُوَرِّثُه إذا مَاتَتْ بَنِيهـــا وإن تُقْتَلْ فليس لها ٱسْتِلَابُ

وقول البحترى : « يُرَدِّدْن الشجا فى قلائدٍ وعُقُودِ » حسن ؛ لأن الباكية الحزينة ذات الشجو لا تلبس الحلى ، وإن كان عليها تَسَلَّبَتْ منه .

وأحسن منه قول الآخر :

مُطَــوَّقَةٌ تُبْكِى ، ولَمْ أَرَ بَاكيًا بَدَا ما بَدَا مِنْ شَجْوِها لَمْ تَسَلَّب

أخذه ابن الرُّومى فقال :

لو تستطيع تَسَلَّبَتْ مِنْ طَوْقِها لو كان مُنْتَحلاً مِنَ الأَطْوَاقِ

وقال البحترى :

وَوُرْقٍ تَدَاعَى بالبكاء بَعَثْنَ لِى كَمِينَ أَسًى بَيْنَ الحَشَا والحَيَازِمِ [٣]
وصلتُ بِدَمْعِى نَوْحَهُنَّ وإنَّما بَكَيْتُ لشَجْوِى ، لا لِشَجْوِ الحَمَائِمِ

وهذا أيضاً جيد حسن .

* * *

ولست أعرف لهما فى ذكر الحمام غير هذا [٤] .

---

(١) زيادة لازمة .

(٢) السخاب : القلادة .

(٣) ديوان البحترى ٤٤٨ .

(٤) م « هذه » .

# باب
## فى وصفهما للأيام التى خلت ، والأزمان التى حمداها ، والتذكر لها ، والأسى عليها ويتصل بذلك شىء من ذكر النساء وأوصافهن

وأذكر أولا ابتداآتهما فى هذا الباب .

قال أبو تمام :

أَأَيَّامَنَا مَا كُنْتِ إِلاَّ مَوَاهِبَـا وكُنْتِ بِإِسْعَافِ الحَبِيب حَبَائِبَا[٢]

وقال :

أَحْسِنْ بِأَيَّامِ العَقِيقِ ، وَأَطْيِبِ والعَيْشِ فى أَظْلاَلِهِنَّ المُعْجِبِ[٣]

وقال البحترى :

لَيَـالِينَـا بَيْنَ اللِّوَى فَزَرُودِ مَضَيْتِ حَمِيدَاتِ الفِعَالِ فَعُودِى[٤]

بيت أبى تمام الأول أجود من الأبيات الثلاثة .

ولفظ البحترى لا زيادة على حسنه وجودته .

---

(١) م « ويفضل » .

(٢) ديوان أبى تمام ١٦ وشرح التبريزى ١ / ١٤٥ .

(٣) ديوانه ١٢ وشرح التبريزى ١ / ٩٧ .

(٤) ديوان البحترى ١ / ١٨٠ طبع بيروت ، ٢ / ٧٧٧ دار المعارف .

## ما جاء عنهما فى وسط كلامهما من هذا الباب

قال أبو تمام :

أَأَيَّامَنَا مَا كُنْتِ إِلاَّ مَوَاهِبًا وكُنْتِ بإِسْعَافِ الحَبِيبِ حَبَائِبا[1]
سَنُغْرِبُ تَجْدِيدًا لِعَهْدِكِ فى البُكَا فما كُنْتِ فى الأَيَّامِ إِلاَّ غَرَائِبَا
ومُعْتَرَكٍ للشَّوْقِ أَهْدَى بِهِ الهَوَى إلى ذِى الهَوَى نُجْلَ العُيُونِ ربَائِبَا
كَوَاعِبُ زَارَتْ فى لَيَالٍ قصِيرَةٍ تُخَيَّلْنَ لِى مِنْ حُسْنِهِنَّ كَوَاعِبَا

قوله : «ومُعْتَرَكٍ للشَّوق» يريد موضعاً زاره فيه الكواعب اللواتى ذكرهن ؛ فإن ذلك الموضع يسقط فيه الشوق فلأن يكون مُعْتَرَكاً للوصل أَوْلى . والعُذْرُ له أن يقال : إنه إنما كان معتركاً للشوق بعد تلك الحال التى تَقَضَّتْ فهو أبدًا مشتاق إلى ذلك الموضع إذا ذكر له .

وقال :

أَحْسِنْ بأَيَّام العَقِيقِ وأَطْيِبِ والعيشِ فى أَظْلالِهِنَّ المُعْجِبِ
ومَصِيفِهِنَّ المُسْتَظَلِّ بِظِلِّهِ سِرْبُ المَهَا ، ورَبِيعِهِنَّ الصَّيِّبِ
أُصُلٌ كَبُرْدِ العَصْبِ نِيطَ إلى ضُحًى عَبِقٍ بِرَيْحَانِ الرِّيَاضِ مُطَيَّبِ[2]

---

(١) ديوان أبى تمام ١٦ وشرح التبريزى ١٤٥/١ .

(٢) نيط : علق . وقوله : كبرد العصب : أى هو حسن فيه نقوش ، وأصل العصب : الغزل ، ثم قيل لضرب من البرد عصب : لأنها من الغزل تكون كما فى شرح التبريزى ٩٩/١ .

وظِـــلاَلِهِنَّ المُشْرِقَاتِ بِخُرَّدٍ بِيضٍ كَوَاعِبَ غَامِضَاتِ الأَكْعُبِ[1]

وهذا ــ لعمرى ــ حَسَنٌ مُعْجِب .

وقال أيضاً أبوتمام .

وَلَقَدْ أَرَاكِ فَهَلْ أَرَاكِ بِغِبْطَـــةٍ والعيشُ غَضٌّ ، والزَّمانُ غُلاَمُ[2]
أَعْوَامَ وَصْلٍ كَانَ يُنْسِي طُولَهَا ذِكْرُ النَّوى فكأَنَّها أَيَّامُ
ثم انْبَرَتْ أَيَّامُ هَجْرٍ أعقبت بِجَوًى أَسًى فكأَنَّها أَعْوَامُ[3]
ثم انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونُ وأَهْلُها فكأَنَّهـــا وكأَنَّهُمْ أَحْلاَمُ

فقوله : « كانَ يُنْسِي طُولَها ذِكْرُ النَّوَى » ، أى إنا كنا نَذْكُرُ الفراقَ فنُبَادِرُ السرورَ واللذات فكان ذلك يقصر من طولها . وأَيَّامُ السّرور على كل حال قِصار ، اعترض فيها خوف الزوال أو لم يعترض .

وهذا من مشهور إحسان أبى تمام لفظاً ومعنى .

* * *

وقال البحترى :

عَيْشٌ لَنَا بالأَبْرَقَيْنِ تَأَيَّدَتْ [ أَيَّامُهُ ] وتَجدَّدَتْ ذِكْرَاهُ[4]
والعيشُ ما فَارَقْتَهُ فَذَكَرْتَهُ لَهفاً ، ولَيْسَ العَيْشُ مَا تَنْسَاهُ

وهذا إحسان يزيد على كل إحسان .

---

( ١ ) الظلال . جمع ظلة ، وهى البناء المشرف ، وقوله : غامضات الأكعب : يعنى أنهن منعمات ليس لأكعب أرجلهن حجم .

( ٢ ) ديوان أبى تمام ٢٧٩ وشرح التبريزى ٣ / ١٥١ .

( ٣ ) فى الديوان وشرحه : « هجر أردفت » .

( ٤ ) ديوان البحترى ٢٩٦ والزيادة منه .

وقال البحترى :

/ سقَى ٱللهُ أَخلاقاً مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً سَقَتْنَا الجوَى إذْ أَبْرَقُ الحَزْنِ أَبْرَقُ[١]

لَيَالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَمَا أَضَاءَ بِمِصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مفْرِقُ[٢]

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى فَمَا شَفَى بماءِ الزُّبَى مَنْ بَاتَ بالماءِ يَشْرَقُ[٣]

وهذا من أحسن معنى وأحلاه . وقوله : « إذْ أَبْرَقُ الحُزْنِ أَبْرَقُ » . أى كما عهدناه ، لا كما هو فى الوقت من الخراب .

وقوله : « تداويتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى » . أى فلم[٤] أبرأ من الداءِ كما أن من شرق بالماء لم يدفع شرقه الماءُ ولو تناهى فى الكثرة حتى يبلغ الزُّبَى وهو من قولهم : بَلَغَ المَاءُ الزُّبَى[٥] : جَمْعُ زُبْيَةٍ ، وهى حُفْرَةٌ تحفر للأسد فى أعلى ما يمكن من المواضع فلهذا ضرب [ بها ][٦] المثل فى كثرة الماء فقيل : بَلَغ الماءُ الزُّبَى .

فالشَّرَقُ بالماءِ لا يُزيلُه الماءُ كما قال عدِيُّ بن زَيْد :

لَوْ بِغَيْرِ الماءِ حَلْقِى شَرِقٌ كُنْتُ كالغَصَّانِ بالماءِ ٱعْتِصَارِى[٧]

فقال البحترى ذلك ليؤكِّد بقاءَ حبِّه ، أى لا يكون بُرْئِى من حبِّها أن أتَدَاوَى منها بها كما لا يَدْفَعُ الماءُ شَرَقَ من شَرِقَ بالماء .

* * *

( ١ ) ديوان البحترى ٥١٨ ، ١٤٩٣ .

( ٢ ) فى الديوان « بإصباح من » .

( ٣ ) فى الديوان « فما اشتفى الربى » .

( ٤ ) م « أى فلما برأ » .

( ٥ ) مجمع الأمثال ١ / ٩١ .

( ٦ ) زيادة لازمة .

( ٧ ) البيت له فى اللسان ١٢ / ٤٤ .

وقال البحترى :

فَسقَى الغضَا والنَّازِليهِ وإنْ هُمُ ... شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحٍ وقُلُوبِ[١]

وقِصَار أَيَّامٍ به سُرِقَتْ لَنَـا ... حَسنَاتُها مِنْ كَاشِحٍ ورَقِيبِ[٢]

خُضْرًا تَسَاقِطُها الصَّبا فكأَنَّها ... وَرَقٌ يُسَاقِطُهُ اهْتِزَازُ قَضِيبِ[٣]

كانتْ فُنُونَ بَطالَةٍ فَتَقَطَّعَتْ ... عَنْ هَجْرِ غانيةٍ ، وَوَخْطِ مَشِيبِ

فقوله : « خضر تسَاقطها الصّبا » ـ معنى فى غاية الحسن ، وتمثيل فى نهاية اللطف .

* * *

ومن حلو معانية ، ومشهور إحسانه قولُه :

بَعْضَ هَذَا العِتَابِ والتَّفْنِيدِ ... لَيْسَ ذَمُّ الوفَاءِ بالمَحْمُودِ[٤]

مَا بَكَيْنَا عَلَى زَرودَ ولَكِنْـ ... ـنَا بَكَيْنَا أَيَّامَنَا فى زَرُودِ

وقال أيضاً :

لَيَالِينَا بَيْنَ اللِّوَى فَمُحَجَّرٍ ... سُقِيتِ الحَيَا مِنْ صَيِّبِ المُزْنِ مُمْطِرِ[٥]

مَضَى بكِ وَصْلُ الغَانِيَاتِ ونَشْوةُ الشَّـ ... ـبَابِ ، ومَعْرُوفُ الهَوَى المُتَنَكِّرِ

فإن أَتَذَكَّرْ حُسْنَ مَا فَاتَ لَمْ أَجِدْ ... رُجُوعاً لِمَا فَارَقْتُهُ بالتَّذَكُّرِ

نَضَوْتُ الأَسَى عَنِّى اصْطِبَارًا ورُبَّمَا ... أَسِيتُ فكَمْ أَصْبِرْ ، ولم أَتَصَبَّرِ

(١) ديوان البحترى ١٧٦ ، ١ / ٢٤٦ دار المعارف .

(٢) فى الديوان « شرقت لنا » !

(٣) لا يوجد هذا البيت فى طبعتى الديوان القديمتين .

(٤) ديوان ٦٩١ ، ١ / ٦٣٢ .

(٥) ديوانه ٢١٤ ، و ٢ / ١٠٦١ طبع المعارف .

وقال أيضاً :

عَهْدٌ لِعَلْوَةَ باللِّوَى قَدْ أَشْكَلاَ ... مَا كَانَ أَحْسَنَ مُبْتَدَاهُ وأَجْمَلاَ[١]

أَنْسَى لَيَالِينَا هُنَاكَ وقَدْ حَلاَ ... مِنْ لَهْوِنَا فى ظِلِّها مَا قَدْ حَلاَ[٢]

عَيْشٌ غَرِيرٌ لَوْ مَلَكْتُ لِمَا مَضَى ... رَدًّا إِذًا لَرَدَدْتُهُ مُسْتَقْبَلاَ

قوله : « عيش غرير » . أى رقيق ناعم . قال جَرير :

بِيضٌ تَرَبَّبَهَا النَّعِيمُ ، وخَالَطَتْ ... عَيْشاً كَحَاشِيَةِ الفِرِنْدِ غَرِيرا[٣]

الفِرَنْدُ : الحرير . والفِرِنْدُ : ماءُ السيف . والحاشية : جانِبُ الثوب . وإنما أراد الفِرَنْدَ نفسَه .

* * *

وقال أبو تمام :

لَيَالِيَنَا بالرَّقَّتَيْنِ وأَهْلِهَا ... سَقَى العَهْدَ مِنْكِ العَهْدُ والعَهْدُ والعَهْدُ[٤]

سَحَابٌ مَتَى يَسْحَبْ عَلَى النَّبْتِ ذَيْلَهُ ... فَلاَ رَجِلٌ يَنْبُو عَلَيْهِ ، ولا جَعْدُ[٥]

ضَرَبْتُ لَهَا بَطْنَ الزَّمَانِ وظَهْرَهُ ... فَلَمْ أَلْقَ مِنْ أَيَّامِهَا عِوَضاً بَعْدُ

قوله : « العَهْدُ والعَهْدُ والعَهْدُ » . فالعَهْدُ جمع عُهْدَة ، وجمع عَهْدٍ : عِهَادُ ، وهو المطر يأتى إثْرَ مَطَر . فأراد سقَى العَهْدَ الذى عهدناك هذا المطر[٦] بِأَسْرِهِ : أَوَّله ، ووسطه ، وآخره . وأراد سقتك العهاد كلها . ومثله قوله :

(١) ديوان البحترى ١٤٢ ، ١٦٥١ .

(٢) م « وقد خلا . . ما قد خلا » .

(٣) ديوانه ٢٨٩ .

(٤) ديوان أبى تمام ١٢١ وشرح التبريزى ٢ / ٨٥ .

(٥) م « ولا رجل » وقال التبريزى ٨٧ « يقول : لا سهل يمتنع من إخراج النبات إذا سقاه هذا السحاب ، ولا حزن » .

(٦) م « هذا الأمطر بأسره » .

* سَقَى عَهْدَ الصِّبا سيْلَ العِهَادِ(١)

وهذا مستقيم . والأول ليس بالجيد .

وقد فسر هذا قوم بما يبعد عن المعنى ، ولا يليق به ، وخلّطوا فيه(٢) .

قال أبو تمام :

سَلَامٌ تَرْجُفُ الأَحْشَاءُ مِنْهُ ... على الحَسَنِ بن وَهْبٍ ، والعِرَاقِ(٣)
علَى البَلَدِ الحبِيبِ إليَّ غوْرًا ... وَنجْدًا ، والأَخِ العَذْبِ المَذَاقِ(٤)
/ لَيَالِيَ نَحْنُ فى وَسَنَاتِ عَيْشٍ ... كأَنَّ الدَّهْرَ عَنْها فى وَثَاقِ
وأيامـاً لَنَا ولَهُ لِدَاناً ... غَنِينَا فى حَوَاشِيها الرِّقَـاقِ(٥)
كأَنَّ العَهْدَ عَنْ عُفُرٍ لَدَيْنَا ... وإنْ كانَ التَّلاَقِى عَنْ تَلاَقِ(٦)

وهذا كلام حلو عذب .

وقوله : « سلامٌ تَرْجُفُ الأَحشاءُ مِنْهُ » . لأنه فارق العراق وهو كاره ، فسلَّم سلام مودِّع متأسف ، شديد النفس للشوق والأسف ؛ فلذلك قال : « ترجف الأحشاء منه » .

* * *

(١) ديوان أبى تمام ٧٨ « عهد الحمى » وعجزه : « وروض حاضر منه وباد » .
(٢) راجع الأقوال التى نقلها التبريزى فى شرحه ونقلها ناشره فى الجزء الثانى ٨٤ - ٨٧ .
(٣) ديوانه ٢١٤ وشرح التبريزى ٤٢٥/٢ .
(٤) فى الشرح « والفتى الحلو المذاق » .
(٥) م « وأيام لها ولنا لدان » .
(٦) فى شرح التبريزى عن المعرى : « يقال : لقيته عن عفر ، فقيل هو مقدار شهر ، وقيل : لا حد له . يقول : نحن فى أيام القرب لا يمل بعضنا بعضاً ، فإذا لقيته باكراً ثم رحت إلى لقائه ، فكأن التلاقى عن وقت بعيد ، وقد قرب المدة بقوله : وإن كان التلاقى عن تلاق ؛ لأن ذلك يجوز أن يكون فى أقصر حين » .

وبيت أبى تمام النادر فى هذا الباب قولُه :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها ، وكأنهم أحلام[١]

وبيت البحترى قوله :

والعيش ما فارقته فذكرته لهفاً ، وليس العيش ما تنساه[٢]

وبيت أبى تمام أَسْيَرُ ، وبيت البحترى أَلْطَفُ معنى .

* * *

وهما فى سائر مَا مَرَّ لهما فى هذا الباب — مُتكافِئَتان .

* * *

ومن حلو كلام البحترى فى معنى الأيام قوله :

ما أَحْسَنَ الأَيَّامَ إلا أنهـا يَا صَاحِبَىَّ إذَا مَضَتْ لَمْ تَرْجِعِ[٣]

وأحلى منه وأبدع — قول أبى حَيَّةَ النُّمَيْرِى :

إذ الأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ إلَيْنَـا وظِلُّ أَرَاكَةِ الدُّنْيا ظَلِيلُ[٤]

* * *

وفى هذا الباب لأبى تمام إساءة فى قصيدته التى أولها قوله :

* أما إنَّهُ لَوْلَا اللُّوَى ومَعَاهِدُه *

وذلك قوله :

فَيَا مَشْهَدًا يُسْتَهْزَمُ البينُ بِاَسْمِهِ إذا عُدَّ أيامُ الهَوى ومشاهِدُه

ويا ليلة لو يَعْرِفُ الدَّهْرُ طِيبَهَا لَصَيَّرَهَا ثَغْرًا تَنَاغَى مَرَاصِدُه

(١) ديوان أبى تمام ٢٧٩ وسبق ص ١٦٠ .

(٢) ديوان البحترى ٢٩٦ و ٢ / ١٢٨٦ طبع المعارف .

(٣) ديوانه ٧٢٧ « لولا أنها » .

(٤) م « إذا » والبيت له فى أمالى المرتضى ٤٤٥/١ « مقبلة علينا » .

وهذا من أقبح ما يكون من الكلام ، وأهجن[1] ما يكون من المعانى ، وأبعد ما تكلفه أهل الاستعارة من الأغْرَاض .

يقول : ولو علم الدهرُ طيبَ هذه الليلة لَجَعَلَها ثغرًا له مَرَاصِد . والمَرَاصِدُ : مواضع الحرس .

وقوله : تناغى . يريد حراس المَرَاصد يخاطب بعضهم بعضاً ، ويُنْذِرُ واحِدٌ آخرَ . وأَصْل المُنَاغَاة : الكلام الرَّخِيمُ الخَفِىّ ، مثل مُنَاغَاة الصَّبِىّ . وربما فعل ذلك أهل المراصد المتقاربة : يُوحِى بعضُهم إلى بعض ، وينبِّهُ بعضهم بعضاً على ما يَتَخَوَّفونه ويتوقَّعونه . يقول : فلو علم الدهر طِيبَ هذه الليلة لجعلها ثغرًا يحرسه من أن تلحقه آفة أو جائحة تُزيله وتُبْطِلُه .

وهذا مما ينبغى أن تَسْمَعَه وتضحك منه ، كما أن جَيِّدَه يُسْمَعُ ويُعْجَبُ منه . ومن أجل هذا التفاوت العظيم فى شعره ــ تفاوت الناس فى التعصب له ، والتعصب عليه . فما ينبغى أن يُقَبِّح إحسانه[2] ، ولا [أن] تُحَسِّن إساءته .

---

(١) م « وأهجنه وما يكون » .

(٢) م « يقبح لإحسانه ولا تحسن » .

## ما جاء عنهما فى طروق الخيال

/ هذا باب الفَضْلُ فيه للبحترى على أبى تمام . وما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : هو أشعر الناس والخاس الحل والخيال[١]

ولم يأت عن أبى تمام فيه إلا أبيات يسيرة منها قوله فى قصيدة :

زَارَ الخَيَالُ لَهَا لا بَلْ أَزَارَكَهُ     فِكْرٌ إذَا نَامَ فِكْرُ النَّاسِ لَمْ يَنَمِ[٢]
ظَبْىٌ تَقَنَّصْتُهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ     مِن آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكاً من الحُلُمِ[٣]
ثم اغْتَدَى وبِنَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ     بَاقٍ ، وإنْ كَانَ مَعْسُولًا مَنِ السَّقَمِ

قوله : «زارَ الخيالُ لها بل أَزارَكَهُ » – ليس بالجيد ؛ لأنه إذا أزاره[٤] الفكر فقد زار . فما وجه الاستدراك ؟ فكأنه أراد أن الخيال لم يعتمد الزيارة ، وإنما أزاره[٤] الفكر . ومثله قام زيد ، لا بل أقمته . وكأن قائل هذا يريد ما اعتمد زيد القيام بل أقمته أنا[٥] ويروى : « إذا نام فكر الخِلْو ».

وقوله : «لم يَنَم » . لم يرد حقيقة النَّوم ، وإنما أراد لم يسكن ، ولم يفتر ، كما يقال[٦] : فلان لا ينام عن هذا الأَمر ، أى لا يفتر عنه ، ولا يُقَصِّر .

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) ديوان أبى تمام ٢٦٨ وشرح التبريز ٣ / ١٨٥ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤٢ وأمالى القالى ١ / ٢٢٩ وحماسة ابن الشجرى ١٧٦ وطيف الخيال ١٧ وفى الديوان وشرحه « فكر الخلق » .

(٣) فى الديوان وشرحه « فى آخر » .

(٤ ، ٤) م « زاره » .

(٥) راجع نقد الشريف المرتضى لهذا الكلام فى كتاب طيف الخيال ١٧ – ٢٠ ، ٩ – ١٣ .

(٦) م « كما قال » .

وقوله : «من آخر الليل » . ولم يقل من أول الليل . يريد أنه لا ينام بالليل ، وأنه يسهره ، وأنه يهَوِّمُ فى آخره تَهْوِيماً فيطرقه الخيال فى ذلك الوقت .

وقوله : «وإن كان مَعْسُولاً من السَّقَم » . [أى] وإن كان حُلْوًا من الأسقام ، أى كأنه ممزوج بالعسل . ويرويه قوم : / «وإن كان مغسولا من السقم » . وليس بشىء .

وهذه أبيات حسان ، وغرض صحيح .

* * *

وقال أبو تمام أيضاً :

عَادَكَ الزَّوْرُ لَيْلَةَ الرَّعْلِ مِنْ رَمْ ... لَةَ بَيْنَ الحِمَى وَبيْنَ المَطَالِى[1]

نَمْ ، فَما زَارَكَ الخيالُ ولَكِنْ ... نَكَ بالفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الخَيَالِ

وقد أكثر أصحاب أبى تمام الفخر بهذا البيت ، والتنويه بذكره ، وأفرطوا فى استحسانه ، وقالوا[2] : كشف عن العلة فى طُرُوق الخيال ، وبَيّنَ عن المعنى .

والبيت حسن . وإنما أخذ معناه من قول جِرَانَ العَوْدِ :

أَهْلًا بِطَيْفِكَ مِنْ زَورٍ أَتَاكَ بِهِ ... حَدِيثُ نَفْسِكَ عنْهُ وهْو مَشْغُولُ[3]

فقوله : وهو مشغول . أى . إنه لم يزرك على الحقيقة . فبنى من هذا قوله : «مازارك الخيال » وبنى من قوله : « أتاك به حديث نفسك » ــ ولكنك

---

(١) ديوان أبى تمام ٤٥٩ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤٢ وطيف الخيال ٢٠ ، ١٣ والزهرة ٢٦٣ .

(٢) م « وقال » .

(٣) ديوان جران العود ٥٥ « سقيالزورك » . . وحماسة ابن الشجرى ١٧٧ .

بالفكر زرت [طيف] الخيال . فالمعنى كله لجران ، وإنما غير أبو تمام اللفظ[1]

وقد قال الكميت :

فلَمَّا انْتَبَهْتُ وَجَدْتُ الخَيَالَ     أَمَانِيَّ نَفْسِى وأَفْكَارَهَـــا

أى وجدت الخيال أنا الجالبُ له بأمانىّ . وهذا ذلك المعنى بعينه .

وقد أورد أبو تمام المعنى على حَذْوِ ما قاله جِران سواء فقال :

استزارته فكرتى فى المنام     فَأَتَانِى فى خِفْيَةٍ واكْتِتَامِ[2]

/ فذكر أن فكرته أتته بالطيف زائرًا كما قال جِرَان : « أتاك به حديث نفسك » .

ووصل أبو تمام بيته بأن قال :

اللَّيَالِى أَحْفَى بِقَلْبِى إِذَا مَا     جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الأَيَّامِ[3]

يا لها زَوْرَةٌ تَنَزَّهَتِ الأَرْ     وَاحُ فِيهَا سِرًّا مِنَ الأَجْسَامِ[4]

مَجْلِسٌ لم يكن لَنا فِيه عَيْبٌ     غَيْرَ أَنَّا فى دَعْوَةِ الأَحْلَامِ

ليس لهذه الأبيات حلاوة ، ولا عليها طلاوة[5] .

* * *

وقال أبو تمام :

حَمَتْنَا الطَّيْفَ مِنْ أُمِّ الوَلِيدِ     خُطُوبٌ شَيَّبَتْ رَأْسَ الوَلِيدِ[6]

---

(١) راجع نقد المرتضى لهذا فى طيف الخيال ٢١ .

(٢) ديوان أبى تمام ٤٦٠ .

(٣) حماسة ابن الشجرى ١٧٧ وأمالى المرتضى ١/٥٤٢ وفى ديوانه « فالليالى أخفى بقلبى إذا جرعته النوى » .

(٤) فى الديوان « يا لها ليلة » .

(٥) راجع نقد المرتضى فى طيف الخيال ٢١ ، ١٨ .

(٦) ديوان أبى تمام ١٠٤ وشرح التبريزى ٢ / ٣٣ .

رَآنَا مُشْعَرِى أَرَقٍ وحُزْن وبُغْيَتُهُ لَدَى الرَّكْبِ الهُجُودِ[١]
سُهَادٌ يَرْجَحِنُّ الطَّرْفُ مِنْهُ ويُولِعُ كُلَّ طَيْفٍ بالصُّدُودِ

يرجحنّ : أى يتثاقل فى حركته كالمُعَنَّى فى سَيْرِه المثقل إذا عدل يَمْنَةً وَشَأْمَةً مثل السَّحابة المُرْجَحِنَّةِ لكثرة مائها . وإنما يريد ثِقَلَ أَجْفَانِه عند النظر من طول السهر .

ولا أعرف لأبى تمام فى طروق الخيال غير ما ذكرته .

* * *

فأما البحترى فإنه أولع بذكر الخيال فقال فيه ، وأكثر ، وأجاد ، وأبدع ، وتصرف فى معان لم يأْت أحد بمثلها ، وقد استفتح قصائد كثيرة بذكر الخيال ؛ لشدة شغفه به ، فأحسن فى ابتداآته كلها ، / وزاد على الإحسان . فمن ذلك قوله :

أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطيفِ الطَّرُوبِ حبيبٌ جاءَ يُهْدَى مِنْ حَبِيبِ[٢]

وقوله :

أَجِدَّكَ ما يَنْفَكُّ يَسْرِى لِزَيْنَبَا خيالٌ إذا آبَ الظلامُ تَأَوَّبَا[٣]

وقوله :

قَدْ كَانَ طَيْفُكَ مَرَّةً يُغْرَى بِى يَعْتَادُ رَكْبِى طارِقاً ورِكَابِى[٤]

---

(١) فى شرح التبريزى « يقول : لم يجئنا طيفها لأنا لم نم وإنما يطلب من ينام » .

(٢) ديوان البحترى ٣٨٩ ، ١ / ٩٨ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٨٢ ، ١/١٩٦ وحماسة ابن الشجرى ١٧٨ .

(٤) ديوانه ٢٢٠ ، ١ / ٨٨٩ وفى م « فإن كان » .

وقوله :

طَيْفٌ أَلَمَّ فَحَيًّا عِنْدَ مَشْهَدِهِ قَدْ كَانَ يَشْفِى المُعَنَّى مِنْ تَلَدُّدِهِ(١)

وقوله :

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الخَيَالِ المُعَاوِدِ أَلَمَّ بِنَا مِنْ أُفْقِهِ المُتَبَاعِدِ(٢)

وقوله :

عَجَباً لِطَيْفِ خَيَالِكِ المُتَعَاهِدِ ولِوَصْلِكِ المُتَقَارِبِ المُتَبَاعِدِ(٣)

وقوله :

قُلْ لِلْخَيَالِ إِذَا أَرَدْتَ فَعَاوِدِ تُدْنِى المَسَافَةَ مِنْ هَوًى مُتَبَاعِدِ(٤)

وقوله :

هَجَرَتْ وَطَيْفُ خَيَالِهَا لَمْ يَهْجُرِ وَنَأَتْ بِحَاجَةِ مُغْرَمٍ لَمْ يُقْصِرِ(٥)

وقوله :

/ أَلَمّت ، وَهَلْ إِلْمَامُهَا لَكَ نَافِعُ وزَارَتْ خَيَالاً والعُيُونُ هَوَاجِعُ(٦)

وقوله :

بِتُّ أُبْدِى وَجْدًا ، وأَكْتُمُ وَجْدَا مِنْ خَيَالٍ قَدْ بَاتَ لِى مِنْكَ يُهْدَى(٧)

وقوله :

بَرَّحَ بِى الطَّيْفُ الذى يُسْرِى وزَادَنِى سُكْرًا إلى سُكْرِ(٨)

(١) ديوان البحترى ٥٨٠ .
(٢) ديوانه ٥٣ .
(٣) ديوانه ٤٦٤ .
(٤) ديوانه ٢٩٨ .
(٥) ديوانه ١١٩ . ، ٢ / ٨٦٠ .
(٦) ديوانه ٧١ ، ٢ / ١٣٠٢ دار المعارف .
(٧) ديوانه ٧٣٧ « لخيال » .
(٨) ديوانه ٦٢٩ . ، ٢ /١٠١٠ دار المعارف .

وقوله :

سَرَى مِنْ خَيَالِ المَالِكِيَّةِ مَا سَرَى     فَتَيَّمَ ذَا القَلْبِ المُعَنَّى وأَسْهرا(١)

وقوله :

يهْدِى الخيالُ لَنَا ذِكْرَى إذَا طَافَا     وَافَى يُخَادِعُنَا والصُّبْحُ قَدْ وَافَى(٢)

وقوله :

مَرْحَباً بالخيالِ مِنْكِ المُطِيفِ     فى شُمُوسٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِكُسُوفِ(٣)

وقوله :

أَمَّا الخَيالُ فإِنَّهُ لَمْ يَطْرُقِ     إلاَّ بعُقْبِ تَشَوُّفٍ وتَشَوُّقِ(٤)

وقوله :

هَذَا الحبيبُ فَمَرْحَبًا بِخَيَالِهِ     أَنَّى اهْتَدَى والليلُ فى سِرْبَالِهِ(٥)

/ وقوله :

خَيَالٌ مُلِمٌّ ، أَوْحَبِيبٌ مُسَلِّمُ     وبَرْقٌ مُجَلًّى ، أَوْ حرِيقٌ مُضَرَّمُ(٦)

وقوله :

أَأَرَاكَ الحبيبُ خَاطِرَ وَهْمٍ     أَمْ أَزَارَتْكَهُ أَضَالِيلُ حُلْمٍ(٧)

---

( ١ ) ديوان البحترى ٧٦٢ ، ٢ / ٩٣١ دار المعارف .

( ٣ ) ديوانه ٣٣٧ ، ١٣٨٠ .

( ٣ ) ديوانه ٢٧١ ، ١٣٦٣ .

( ٤ ) ديوانه ٦٢٣ ، ١٤٧٩ .

( ٥ ) ديوانه ٤٢٦ .

( ٦ ) ديوانه ٩٦ « وبرق تجلى » .

( ٧ ) ديوانه ٣١٦ وفى م « لا أراك » .

وقوله :

خَيَـــالٌ يَعْتَرِينِى فى المَنام لِسَكْرَى اللَّحْظِ ، فَاتِنَةِ الكلام[١]

وقوله :

طيفٌ تَأَوَّبَ مِنْ سُعْدَى فَحيَّانِى أَهْوَاهُ وَهْوَ بُعَيْدَ النَّوم يَهْوَانِى[٢]

وقوله :

طيفٌ لِعَلْوَةَ مَا يَنْفَكُّ يَأْتِينِى يَصْبُوا إلَىَّ عَلَى خُلفٍ فَيُصْبِينِى[٣]

وقوله :

طَيْفُ الخَيالِ أَلَمَّ مِنْ عُدَوائِهِ وبَعِيدِ مَوْضِعِ أَرْضِهِ وسَمائِهِ[٤]

وقوله :

أَحْبِبْ إلَىَّ بَطِيْفِ سُعْدَى الآتِى وطُرُوقِهِ فى أَكْثَرِ الأَوْقَاتِ[٥]

وقوله :

/ خَيَـــالُ مَاوِيَّةَ المُطِيفُ أَرَّقَ عَيْنـــاً لَهَا وَكِيفُ[٦]

وقوله :

أَرَجٌ لِرَيَّا طَلَّـــةٌ رَيَّـــاهُ لا يَبْعُدُ الطيفُ الذى أَهْدَاهُ[٧]

---

( ١ ) ديوان البحترى ٦١٧ « فاتنة القوام » .

( ٢ ) ديوانه ٥٠٠ .

( ٣ ) ديوانه ٤١٧ « على بعد ويصبينى » .

( ٤ ) ديوانه ٦٥٧ « طيف الحبيب . . وبعيد موقع » .

( ٥ ) ديوانه ٤٥٤ ، ١ / ٣٦٣ دار المعارف « فى أعجب » .

( ٦ ) ديوانه ٤٧٢ .

( ٧ ) ديوانه ٢٩٦ .

وما أَحْسَن ما قال مُسْلِم بن الوَلِيد :

طيف الخَيال حَمِدْنَا مِنْكَ إِلْمَــاما    دَاوَيْتَ سُقْماً ، وقَدْ هَيَّجْتَ أَسْقَامَا[1]

مضت الابتداآت

* * *

وهذا ما جاءَ عن البحترى من وصف الخيال فى وسط الكلام . قال :

فلا وَصْلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خَيَالُها    بِنَا تَحْتَ جُؤْشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعِ[2]

أَلَمَّتْ بِنَا بَعْدَ الهُدُوِّ فَسَامَحَتْ    بِوَصْلٍ متى تَطْلُبْهُ فى الجدِّ تَمْنَعِ[3]

وَمَا بَرِحَتْ حَتَّى مَضَى الليلُ فَانْقَضَى    وأَعْجَلَها دَاعِى الصَّبَاحِ المُلَمَّعِ[4]

فَوَلَّتْ كأَنَّ البَيْنَ يَخْلِجُ شَخْصَها    أَوَانَ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَاىَ وأَضْلُعِى[5]

ورُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤَمَّلْ ، وفُرْقَةٍ    لأَسْماءَ لم تُحْزَرْ ولَمْ ، تُتَوَقَّعِ[6]

أَسَرَّ بِقُرْبٍ مِنْ مُلِمٍّ مُسَلِّمٍ    وأَشْجَى بِبَيْنٍ مِنْ حَبِيبٍ مُوَدِّعِ

وَكَائِنْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ تَفَرُّقٍ    تُزَجِّيهِ أَحْلامُ الكَرَى ، وتَجَمُّعِ[7]

وَمِنْ لَوْعَةٍ تَعْتَادُ فى إِثْرِ لَوْعَــةٍ    ومِنْ أَدْمُعٍ تَرْفَضُّ فى إِثْرِ أَدْمُعِ

/ فانظر إلى هذه العبارة الحسنة ، وإخباره إياك بالشىء على ما كان .

---

( ١ ) ديوان مسلم بن الوليد ٦١ .

( ٢ ) ديوان البحترى ٨٩ و ١٢٣٨/٢ طبع المعارف .

( ٣ ) حماسة ابن الشجرى ١٧٧ وأمالى القالى ١ / ٢٢٨ .

( ٤ ) قال ابن الشجرى فى حماسته ١٧٨ « لم يورد لفظة "الملمع" على سبيل اضطرار القافية إليها ، ولكن لها معنى صحيح لا يقوم غيرها فيه مقامها ؛ لأن أوائل الصباح وقيل ابيضاض الصبح وانتشاره — يكون البياض ممزوجاً بالسواد ملمعاً به ، لأن بياض الصبح لم يظهر كل الظهور ، فكأنه أراد أن الطيف فارقه فى أول الصبح وقبل انتشاره » .

( ٥ ) م « تولت كأن » .

( ٦ ) م « لم تحدد » وفى الديوان « لم تحذر » .

( ٧ ) م « ترجيه » .

ونحو ذلك فى الحسن والصحة قولُه :

وإنِّى وإنْ ضَنَّتْ عَلَىَّ بِوُدِّهَا　　لَأَرْتَاحُ مِنْهَا لِلخيَالِ المُؤَرِّقِ(١)
يَعِزُّ علَى الوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا　　ليالٍ لنا نَزْدَارُ فيها ونَلْتَقِى
فكمْ غُلَّةٍ للشَّوْقِ أطفَأْتُ حَرَّهَا　　بطَيفٍ متى يَطْرُقْ دُجَى اللَّيل يَطرُقِ
أَضمُّ عَلَيْهِ جَفْنَ عَيْنِى تَعَلُّقاً　　بهِ عِنْدَ إجْلاءِ النُّعَاسِ المُرَنِّقِ

فقوله : «أضمُّ عليه جَفْنَ عيْنِى تَعَلُّقًا» - من أحسن كلام ، وأصح معنى وأصدقه وأكثره ، وكثيرًا ما ينال أكثرَ الناس ذلك عند إجلاء النوم ، وابتداء اليقظة إذا كان فى رؤيا يَلَذُّها .

وقال أيضاً :

أَجِدَّكَ ما يَنْفَكُّ يَسْرِى لِزَيْنَبَا　　خيالٌ إذا آبَ الظَّلَامُ تَأَوَّبَا(٢)
سَرَى مِنْ أَعالِى الشَّام يَجْلِبُه الكَرَى　　هُبُوبَ نَسِيمِ الرَّوْضِ تَجْلِبُهُ الصَّبَا
ومَا زَارَنِى إلاَّ وَلِهتُ صَبَابَةً　　إليه ، وإلاَّ قُلْتُ أَهْلاً وَمرْحَبَا(٣)
ولَيْلَتَنَا بالجِزْعِ بَاتَ مُسَاعِفاً　　يُرِينِى أَنَاةَ الخَطْوِ نَاعِمَةَ الصِّبَا
أَضرَّتْ بِضَوْءِ البدْرِ والبَدرُ طَالِعٌ　　وقامَتْ مَقَامَ البَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا

قوله : «إذا آب الظلامُ تَأَوَّبَا» . آبَ : أى رجع ، وتأَوب(٤) : تراجع . يعنى [أن] الطيف إذا عاد ، الظلامُ عادَ . وليس ذلك من التَّأْوِيب الذى هو سَيْرُ النهار كلِّه .

---

(١) ديوان البحترى ٧٧ ، ١٥٠٨ وحماسة ابن الشجرى ١٧٨ .
(٢) ديوانه ٨٢ و ١ / ٥١ طبع المعارف وحماسة ابن الشجرى ١٧٨ - ١٧٩ .
(٣) م «زادنى . . إليك وإلا» .
(٤) م «وتلوب» .

وقوله : « سرى من أعالى الشام » ــ بَيْتٌ فى غاية الحسن والحلاوة .

* * *

وقال :

أَمَا رَاعَكَ الحَىُّ الحَلاَلُ بِهَجْرِهِمْ وهُمْ لَكَ غُدْوًا بالتَّفَرُّقِ أَرْوَعُ[١]
بَلَى ، وخَيَالٍ مِنْ أُثَيلَةَ كُلَّمَا تَـأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ تعَرَّضَ يُطْمِعُ
إِذَا زَوْرَةٌ منه تَقَضَّتْ مَعَ الكَرَى تَنَبَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَتفزَّعُ[٢]
تَرَى مُقْلَتِى مَالاَ تَرَى فى لِقَائِهِ وتَسْمَعُ أُذْنِى منه ما ليس تَسْمَعُ[٣]
ويَكْفِيكَ مِنْ حَقٍّ تَخَيُّلُ باطلٍ تُرَدُّ بهِ نَفْسُ اللَّهِيفِ فَترْجعُ

ولست أقول فى هذا إلا ما كان البحترىّ يقوله ، وحدثنا به أبو على محمد بن العلاء السِّجِسْتَانِى : إنه كان إذا شرب وسكر أنشد مثل هذه الأبيات وأشباهها من شعره ، وقال : ألا تسمعون ؟ ألا تعجبون ؟

* * *

وقال :

أَخَيَالَ عَزَّةَ كَيْفَ زُرْتَ وعِنْدَنَا أَرَقٌ يُشَرِّدُ بالخَيالِ الزَّائِرِ[٤]
طَيْفٌ أَلَمَّ بِنَا وَنَحْنُ بِمَهْمَهٍ قَفْرٍ يَشُقُّ عَلَى المُلِمِّ الخَاطِرِ[٥]
حتى إذا نَزَعُوا الدُّجَى وتَسَرْبَلُوا من نور هَلْهَلَةَ الصَّباحِ النَّائرِ[٦]

---

(١) ديوان البحترى ٣٠٤ ، ٢ / ١٢٦٨ دار المعارف وطيف الخيال ٢٧ ، ٢٨ .
(٢) م « زورة ينوى » وفى الديوان « من فقد له » .
(٣) فى الديوان « أذنى رجع » .
(٤) ديوانه ٦٥١ ، ٢ / ١٠١٦ طبع المعارف وطيف الخيال ٢٨ ، ٢٩ « أخيال علوة » .
(٥) م « ألم لها » وفى الديوان : « بمهمه مرت » .
(٦) فى الديوان « من فضل . . الغائر » والنائر : المنير .

وَرَنَوْا إلى شُعَبِ الرِّحَالِ بأَعْيُنٍ يَكْسِرْنَ مِنْ نَظَرِ النُّعَاسِ الفَاتِرِ[١]
أَهْوَى فَأَسعفَ بالتَّحِيَّةِ خِلْسَةً والشمسُ تَلْمَعُ فى جَنَاحِ الطَّائِرِ
/ سِرْنَا وأَنْتِ مُقِيمةٌ ، ولَرُبَّمَا كانَ المُقِيمُ عَلاَقَةً للسَّائِرِ

وهذا – والله – الكلام العربى ، والمذهب الذى يبعد على غيره أَنْ يأْتى بمثله .

وقال :

إذا ما الكرَى أَهْدَى إلىَّ خَيَالَهُ شَفَى قُرْبُهُ التَّبْرِيحَ ، أَوْ نَقَعَ الصَّدَى
إذا انْتَزَعَتْهُ مِنْ يَدَىَّ انْتِبَاهَةٌ عَدَدْتُ حَبِيباً رَاحَ مِنِّى ، أَوْغَدَا[٢]
ولَمْ أَرَ مِثْلَيْنَا ، ولا مِثْلَ شَأْنِنَا نُعَذَّبُ أَيْقَاظاً ، ونَنْعَمُ هُجَّدَا

وقال :

أَقَامَتْ عَلَى الهِجْرَانِ ما إنْ تَجُوزُهُ وخَالَفَها بالوَصْلِ طيفٌ لَهَا يَسْرِى[٣]
فَكَمْ فى الدُّجَى مِنْ فَرْحَةٍ بِلِقَائِهَا وكمْ تَرْحَةٍ بالبَيْنِ مِنْهَا لَدَى الفَجْرِ
إذا الليلُ أعطانَا مِنَ الوَصْلِ بُلْغَةً ثَنَتْنَا تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ إلى الهَجْرِ[٤]
ولم أَنْسَ إسْعَافَ الكرَى بِدُنُوِّهَا وزَوْرَتِهَا بَعْدَ الهُدُوِّ وَمَا تَدْرِى

وقال :

إنَّ رَيًّا لَمْ تَسْقِ رِيًّا مِنَ الوَصْـ ـلِ وَلَمْ تَدْرِمَا جَوَى العُشَّاقِ[٥]

---

(١) فى الديوان « ورموا » .

(٢) ديوان البحترى ١٣٣ ، ٣/٦٧٠ وطيف الخيال ٢٩ ، ٣٢ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤٣ وفى م « سقى قربه » .

(٣) ديوانه ٦٢١ ، ٢ / ١٠٠٤ وطيف الخيال ٣٠ ، ٣٣ وحماسة ابن الشجرى ١٨٠ .

(٤) فى الديوان « تباشير النهار » .

(٥) ديوانه ٤٣٨ ، ١٤٦١ وحماسة ابن الشجرى ١٨٠ وطيف الخيال ٢٣ ، ٢١ .

بَعَثتْ طَيْفَهَا إلىَّ وَدُونِى ... وَخْدُ شَهْرَيْنِ للمِهَارَى العِتَاقِ
زَارَ وَهْناً مِنَ الشَّامِ فَحَيَّـا ... مُسْتَهاماً صَبًّا بِأَعْلَى العِرَاقِ
فَقَضَى مَا قَضَى ، وعَادَ إليها ... والدُّجَى فى بُرُودِها الأَخْلاَقِ
/ قَدْ أَخذْنَا مِنَ التَّلاَقِى بِحظٍّ ... والتّلاَقِى فى النَّوْم عِدْلُ التَّلاَقِى

وهذا حسن جدًّا .

وأَلطف وأَحسن وأَحلى قولُه :

وزائِرٍ زَارَ مِنْ أَعِقَّتهِ ... يَمِيلُ وَزْناً بأُنْسِهِ ذُعُرُهْ[1]
كأَنَّه جَاءَ مُنْجزًا عِـدَةً ... وَبِتُّ فى الرَّاقِبِينَ أَنْتَظِرُهْ
لَـمْ أَنْسَهُ مُوشِكاً عَلَى وَجَلٍ ... مُدَامِجاً للحديثِ يَخْتَصِرُهْ[2]
كأَنَّما الكَاشِحُونَ قَدْ خَرَصُوا ... مَكَانَهُ ، أَوْ أَتَاهُمُ خَبَرُهْ[3]

وقال :

تَدْرِينَ كَمْ مِنْ زَوْرَةٍ مَشْكُورَةٍ ... مِنْ زَائِرٍ وَهَبَ الخَطِيرَ وَمَا دَرَى[4]
غابَ الوُشَاةُ فَبَاتَ يَسْهُلُ مَطْلَبٌ ... لو يشهدُونَ طَرِيقَهُ لَتَوَعَّرَا
كانَ الكَرَى حَظَّ العُيونِ ولَمْ أَخَلْ ... أَنَّ القُلوبَ لَهُنَّ حَظٌّ فى الكَرَى
دَمْعٌ تَعَلَّق بالشُّئُونِ فَلَمْ يَزَلْ ... بَرْقُ الغَرَام يَسُوقُهُ حَتَّى جَرَى[5]
قَامَتْ تُمَنِّينِى الوِصَالَ لِتَبْتَلِى ... جَلَلِى ، وحَاجَةُ أَكْمَةٍ أَنْ يُبْصِرَا[6]

---

(١) م « من أعتقه » والأبيات فى ديوانه ٢ / ١٠٣٣ دار المعارف وطيف الخيال ٢٤ ، ٢٣ .
(٢) م « على وجل . . مختصره » .
(٣) راجع نقد المرتضى فى طيف الخيال ٢٤ ، ٢٣ .
(٤) ديوان البحترى ٣٧٦ ، ٢ / ٩٧٤ وطيف الخيال ٢٥ ، ٢٤ .
(٥) فى الديوان « فى الشؤون فلم يزل برح » .
(٦) فى الديوان « باتت » .

مَنِّيْتِنا عَلَلاً ، وَمَا أنْهَلْتِنَا والوَقْتُ لَيْسَ يُحِيلُ حَتَّى يُشْهِرَا
تَاللهِ لَمْ أرَ مُذْ رَأيْتُ كَلَيْلَتِي فى العَلْثِ إلاَّ لَيْلَتِي فى عُكْبَرَا
أَهْوَى الظلامَ وأنْ أُملاَّهُ وَقَـدْ حَذَرَ الصَّبَاحُ نِقَابَهُ أَوْ أَسْفَرَا

وهذا – لعمرى – هو القول الذى لو ورده الظمآن لروى ؛ لكثرة مائه[1].

وقال :

بِتُّ أُبْدِى وَجْدًا ، وأَكْتُمُ وَجْدَا لِخَيَالٍ قَدْ بَاتَ لى مِنْكَ يُهْدَى[2]
أَقْسِمُ الظَّنَّ فيه أَنَّى تَخَطَّى الرَّ مْلَ مِنْ عَالِجٍ ، وأَنَّى تَهَدَّى
خَطَـأً مَا أَزَارَنَاهُ طُرُوقاً أَمْ تَوَخِّيهِ لِلزِّيَارَةِ عَمْدَا[3]
لا تَخِيبُ البِـلادُ تَخْطِرُ فِيها رُسُلُ الشَّوْقِ مِنْ خَيَالاتِ سُعْدَى
وَعَـدَتْنَا فَمَا وَفَتْ بِوِصَالٍ ووَفَتْ حِينَ أَوْعَدَتْ أَنْ تَصُدَّا[4]
قَرَّبَ الطيفُ مُنْتَوَاهَا فَأَصْبَحْـ ـتُ حديثاً بِنَاقِضِ العَهْدِ عَهْدَا[5]

قوله : « لا تَخيبُ البلادُ تَخْطِرُ فيها » – بيت حسن جدًّا ؛ جعل الخيالاتِ رَسُولاً للشوق .

وقال فى قصيدته التى أولها :

* بَانَ عَهْدُ الصِّبَا وبَاقِى جَدِيدِهْ[6] *

---

(١) يحيل : أى يصير حولا ، وانظر تعقيب المرتضى فى طيف الخيال ٢٥ .

(٢) ديوان البحترى ٧٣٧ ، ١ / ٥٦٩ دار المعارف .

(٣) بعده فى الديوان :

جاء يسرى فأشرقت أرض نجد لسراه وواصل الغيث نجـدا

(٤) فى الديوان « أن تصدى » .

(٥) فى الديوان « الطيف منتّهاها » .

(٦) ديوانه ٥٧٤ ، ١ / ٥٩٦ وعجزه « بين إعواز طالب ووجوده » وفى م « بان عهد » .

مِنك طيفٌ أَلَمَّ والأُفْقُ مَلآ ... نُ مِنَ الفَجْرِ ، وَاعْتِرَاضِ عَمُودِهْ(١)

زَائِرٌ أَشْرَقَتْ لِرُؤْيَتِه أَغْـ ... وارُ أَرْضِ العَرَاقِ بَعْدَ نُجُودِهْ(٢)

أَرَبُ النَّفْسِ كُلُّهُ وَمَتَاعُ الْ ... عَيْنِ فى خَدِّهِ ، وَفِى تَوْرِيدِهْ

مُعْطِياً مِنْ وِصَالِه فِى كَرَى النَّوْ ... مِ الذى كانَ مُعْطِياً مِنْ صُدُودِهْ(٣)

يَقَظَاتُ المُحِبِّ ساعاتُ بُؤْسا ... هُ ، ونَعْمَاءُ عَيْشِهِ فى هُجُودِهْ(٤)

/ وقال :

وما أَنْفَكَّ دَاعِى البَيْنِ حَتَّى تَزَايَلَتْ ... قِبَابٌ بَنَاهَا حَاضِرٌ وخِيَامُ(٥)

عَشِيَّةَ مَا بِى عَنْ شُبَيْثٍ تَرَحُّلٌ ... [فَأَمْضِى] وَلاَلِى فى شُبَيْثَ مَقَامُ(٦)

فَمَا نَلْتَقِى إلاَّ عَلَى حُلمِ هَاجِـدٍ ... يُحِلُّ لَنَا جَدْوَاكِ وهْوَ حَرَامُ(٧)

إِذا مَا تَبَاذَلْنَا النَّفَائِسَ خِلْتَنَا ... مِنَ الجِدِّ أَيْقَاظاً ونَحْنُ نِيَـامُ

وهذا قول ليس بينه وبين القلب حِجَاب .

وقال :

أُرَجِّمُ فى لَيْلَى الظُّنُونَ وَأَرْتَجِى ... أَوَائِلَ حُبٍّ أَخْلَفَتْنِى أَوَائِلُهْ(٨)

ولَيْلَةَ هَوَّمْنَا على العِيسِ أَرْسَلَتْ ... بِطَيْفِ خَيالٍ يُشْبِهُ الحَقَّ بَاطِلُهْ

فَلَوْلاَ بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشَبُّثِى ... بِعِطْفَىْ غَزَالٍ بِتُّ وَهْناً أُغَازِلُهْ

(١) م « من الفخر » !

(٢) فى الديوان « أشرقت لزورته » .

(٣) فى الديوان « كان مانعاً من » .

(٤) فى الديوان : « بؤساه نعماه عيشه » .

(٥) ديوانه ٣٦٣ طيف الخيال ٣٢ ، ٣٧ وفى م « مبام بناها » .

(٦) الزيادة من الديوان .

(٧) فى الديوان « وهى حرام » .

(٨) ديوانه ١٥ وطيف الخيال ٣٣ ، ٣٨ وحماسة ابن الشجرى ١٨٠ .

وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِى حَمِيدَةٍ ... وللصُّبْحِ مِنْ خَطْب تُذَمُّ غَوائِلُهْ

وهذا كله إنما حَسُنَ هذا الحسن ، وقبلته النفوسُ لأنه اعتمد أن يخبر بالأمر على ما هو ، مع حسن عبارته ، وبراعة نَسْجِه ، وجودة تلخيصه ، ومتخيَّر ألفاظه .

وقد ذهب البحترى مذهباً آخر ، وأحسن فيه كل الإحسان . وهو أن شبه الزائر الذى زاره بالخيال ؛ لشدة فرحه ، وخوفه أن لا يكون له حقيقة .

وقال فى قصيدته التى أولها :

* بِوُدِّى لَوْ يَهْوَى العَذُولُ ويَعْشَقُ[1] *

وزَوْرٍ أَتَانِى طَارِقاً فَحَسِبْتُهُ ... خَيَالاً مِنْ آخِرِ الليل يَطْرُقُ[2]
أُقَسِّمُ فيه الظَّنَّ : طَوْرًا مُكَذِباً ... بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ ، وطَوْرًا أُصَدِّقُ
أَخافُ وأَرجُو بُطْلَ ظَنِّى وصِدْقَهُ ... فَلِلَّهِ شَكِّى حِينَ أَرْجُو وَأَفْرَقُ
وقَدْ ضَمَّنَا وَشْكُ التَّلاقِى ولَفَّنَا ... عِنَاقٌ عَلَى أَعْنَاقِنَا ثمَّ ضَيِّقُ
فَلَمْ تَرَ إلاَّ مُخْبِرًا عَنْ صَبَابَةٍ ... بِشَكْوَى ، وإِلَّا عَبْرَةً تَتَدَفَّقُ[3]
فَأَحْسِنْ بِنَا والدَّمْعُ بالدَّمْعِ وَاشِجٌ ... تَمازُجُهُ ، والخَدُّ بالخَدِّ مُلْصَقُ[4]
ومِنْ قُبَلٍ قَبْلَ التَّشَاكِى وبَعْدَهُ ... نَكادُ بها مِنْ شِدَّةِ اللَّثْمِ نَشْرَقُ[5]
فَلَوْ فَهِمَ النَّاسُ التَّلَاقِى وَحُسْنَهُ ... لَحُبِّبَ مِنْ أَجْلِ التَّلاقِى التَّفَرُّقُ

(١) ديوان البحترى ١٤٨ ، ١٥٣٤ وعجزه « فيعلم أسباب الهوى كيف تعلق » .

(٢) طيف الخيال ٦٠ ، ٨٨ .

(٣) فى الديوان « عبرة ترقرق » .

(٤) م « يمازجه » .

(٥) م « يكاد بها . . . يشرق » .

وقال فى نحو هذا :

حَبِيبٌ سَرَى فى خِفْيَةٍ وعَلَى ذُعْرِ ... يَجُوبُ الدُّجَى حتى ٱلْتَقَيْنَا عَلَى قَدْرِ[١]
تَشَكَّكْتُ فِيهِ مِنْ سُرُورٍ وخِلْتُهُ ... خيَالاً أتَى فى النَّوْمِ مِنْ طَيفِه يَسْرِى
وأَفْرَطْتُ مِنْ وَجْدٍ به فَدرَى بِنَا ... عَلَى سَاعَةِ الهِجْرَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَدْرِى[٢]

وقال :

أمَا مُعِينٌ عَلَى الشَّوقِ الذى غَرِيَتْ ... بِهِ الجَوَانِحُ ، والبَيْنُ الذى أَفِدَا[٣]
/ كيفَ اللقاءُ وقَدْ أَضْحَتْ مُخَيِّمَةً ... بالشَّامِ لاكَثَباً مِنْها ، ولاَ صَدَدَا[٤]
تَهَاجُرٌ أَمَمٌ لاَ وَصْلَ يَخْلِطُهُ ... إلاَّ تَزَاوُرُ طَيْفينَا إذَا هَجَدَا
وقَدْ يُزِيرُ الكَرَى مَنْ لاَ زِيارَتُهُ ... قَصْدٌ ، ويُدْنِى الهَوَى مِنْ بُعْدِ مَنْ بَعُدَا[٥]
بِتْنَا عَلَى رِقْبَةِ الوَاشِينَ مُكْتَنِفَىْ ... صَبابَةٍ نَتَعَاطَى البَثَّ والكَمَدَا
إمَّا سَأَلْتَ بِشَخْصَيْنَا هُنَاكَ فَقَدْ ... غَابَا ، وأَمَّا خَيَالاَنَا فَقَدْ ، شَهِدَا
ولم يَعُدْنِى لَهَا طَيْفٌ فَيَفْجَؤُنِى ... إلَّا عَلَى أَبْرَحِ الوَجْدِ الذى عَهِدَا

لو كان قال : « إلا تَزَاوُرُ طيفينا إذا هَجَدْنَا » ــ كان عندى أجود . فكأن المعنى [ إذا ] هجدت رأيتها فى النوم فكأن نفسى ونفسها اجتمعتا ، وكذلك إذا هَجَدَتْ ترى مثل ما رأيت ، ويكون « طيفينا » محمولا على معنى نَفْسَيْنَا ؛ لأن[٦] النفس هى التى ترى ما ترى فى النوم ، وهى التى تمثل أيضاً ما تتمثله فى اليقظة .

---

(١) ديوان البحترى ١٥١ ، ٣/١٠٥٢ وطيف الخيال ٦٠ ، ٨٨ .
(٢) فى الديوان « ساعة اللقيان » .
(٣) ديوانه ٤٦ ، ٣/١٧٧ وطيف الخيال ٣٧ ، ٤٧ .
(٤) فى الديوان « لا كثباً منا » .
(٥) فى الديوان « من بعد ما بعدا » .
(٦) م « أن » .

وقد يسوغ مع هذا أيضاً قوله : «إذا هجدا» – أن يريد النفسين ؛ لأن نفس الإنسان هى التى تنام كما قال الله – عز وجل – : «والَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا» [1] فهذا سائغ[2] ولكن الغلط وقع عليه فى قوله :

هَجَرَتْنَا يَقْظَى ، وكادَتْ عَلَى عَا ... دَتِها فى الصُّدُودِ تَهْجرُ وَسْنَى[3]

إنما أراد طيفها ، وهو يرى طيفها فى نومه يقظى كانت أو نائمة .

وقال :

/ طَيْفٌ تَأَوَّبَ مِنْ سُعدَى فحَيَّانِى ... أَهْوَاهُ ، وهْوَ بُعَيْدَ النَّوْمِ يَهْوَانِى[4]

فَيَا لَهَا زَوْرَةً يُشْفَى الغليلُ بها ... لو أَنَّها جَلَبَتْ يَقْظَى لِيَقْظَانِ

مَهْزُوزَةً إنْ مَشَتْ لَمْ تُلْفَ هِزَّتُهَا ... فى الخَيْزُرَانِ ، ولَمْ تُوجَدْ مَعَ ٱلبَانِ

يُدْنِى الكَرَى شَخْصَها مِنِّى، ويُوقِظُنِى ... وَجْدٌ فَيُبْعِدُ عَنِّى شَخْصَهَا الدَّانِى[5]

وقال :

أَمَّا الخيالُ فإنَّهُ لَمْ يَطْرُقِ ... إلاَّ بِعُقْبِ تَشَوُّفٍ وتَشَوُّقِ[6]

قَدْ زَارَ مِنْ بُعْدٍ فَنَهْنَهَ مِنْ جَوًى ... ضَرِمٍ، وسَكَّنَ مِنْ فُؤَادٍ مُقْلَقِ[7]

ولَرُبَّمَا كَانَ الكَرَى سَكَنًا لَهَا ... بَعْدَ الفِرَاقِ إلى اللِّقَاءِ فَنَلْتَقِى[8]

---

(١) سورة الزمر : ٤٢ .

(٢) راجع تعقيب المرتضى فى طيف الخيال ٣٨ .

(٣) ديوان البحترى ٣٥٧ وطيف الخيال ٣٤ وفى م «هجرتنى» .

(٤) ديوانه ٥٠٠ وطيف الخيال ٥٣ .

(٥) فى الديوان «منى ويبعدنى هجر فيبعد» .

(٦) ديوانه ٦٢٣ ، ١٤٧٩ وطيف الخيال ٤٢ ، ٥٨ .

(٧) فى الديوان «من بعد فسكن من حشا ضرم» .

(٨) فى الديوان وطيف الخيال «سبباً لنا» .

وقال :

مِثَالُك مِنْ طَيفِ الخَيالِ المُعَاوِدِ ... أَلَمَّ بنَا مِنْ أُفْقِهِ المُتَبَاعِدِ[١]
يُحَيِّى هُجُودًا مُنْتَشِينَ مِنَ الكَرَى ... وَمَا نَفْعُ إِهْدَاء السَّلاَمِ لِهَاجِدِ
إذا هِى مَالَتْ لِلعِنَاقِ تَقَطَّعَتْ ... تَعَطُّفَ أُمْلُود مِنَ البَانِ مَائِدِ
إذا وَصَلَتْنَا لَمْ تَصِلْ عَنْ تَعَمُّد ... وإنْ هَجَرَتْ أَبْدَتْ لَنَا هَجْرَ عَامِدِ

وقال [من قصيدته التى أولها]

* قَالَتِ : الشَّيْبُ أَتَى قُلْتُ : أَجَلْ[٢] *

خَطرتْ فى النَّوْمِ مِنْها خَطْـرَةٌ ... خَطْرَةَ البَرْقِ بَدَا ثُمَّ اَضْمَحَلْ[٣]
أىُّ زَوْرٍ لَكَ لَوْ قَصْدًا سَرَى ... ومُـلِـمٌّ مِنْكِ لَوْ حَقًّا فَعَلْ
يَتَراءَى والكَرَى فى مُقْلَتِى ... فإذا فَارَقَهَا النَّوْمُ بَطَلْ

وقال [من قصيدته التى أولها]

* شَدَّمَا أُغْرِيَتْ ظَلُومٌ بِهَجْرِى[٤] *

طَرَقَتْنَا وفى الخَيَالاَتِ سُقْمٌ ... أُمُّ بَكْرٍ فَأَسْعَفَتْ أُمُّ بَكْـرِ[٥]
فى بُدُوٍّ مِنَ الشَّبَابِ عَلَيْهَا ... وَرَقٌ مِنْ جَدِيدِهَا المُسْبَكِرِّ[٦]
كَمُلَتْ أَرْبَعٌ لَهَا بَعْدَ عَشْرٍ ... وَمَدَى البَدْرِ أَرْبعٌ بَعْدَ عَشْرِ

---

(١) ديوان البحترى ٥٣ ، ١/٥٠٧ دار المعارف وطيف الخيال ٤٢ ، ٥٩ .

(٢) ديوانه ٣٣١ وعجزه « سبق الوقت ضراراً وعجل » .

(٣) طيف الخيال ٤٣ .

(٤) ديوانه ٣٦٩ ، ٢ / ٩٧٠ « ما أغرمت » وعجزه « بعد وجدى بها وغلة صدرى » .

(٥) فى الديوان « وفى الخيالات نعمى » .

(٦) فى الديوان « جديده » والمسبكر : التام .

خَلَّفَتْ جَارَها بِحُزْوَى وبَاتَتْ بَيْنَ سَحْرَىْ شَرْوَى الضَّجيعِ ونَحْرِى
لو دَرَتْ مَا أَتَتْ لمَنَّتْ بِنُجْحٍ لم يُكَذَّبْ ، ونَائِلٍ غَيْرِ نَزْرِ (١)

وقال :

قُلْ للخيالِ إذا أَرَدْتَ فَعَاوِدِ يَدْنِى المَسَافَةَ مِنْ هَوًى مُتَبَاعِدِ (٢)
فَلأَنْتَ فى نَفْسِى وإنْ عَنَّيْتَنِى وبَعَثْتَ لِى الأَشْجانَ أَحْلَى وَافِدِ
بَاتَتْ بأَحْلَامِ النيامِ تُغرِنى رُوْدُ التَّثَنِّى كالقَضِيبِ المَائِدِ
ضَاهَتْ بِحُلَّتِهَا تَلَهُّبَ خَدِّهَا حتَى غدتْ فى أَرْجُوَان جَاسِدِ

وقال :

بِعَيْنَيْكِ إِعْوَالِى وطُولُ شَهِيقِى وإِخْفَاقُ عَيْنِى مِنْ كَرًى وخُفُوقِ (٣)
عَلَى أَنَّ تَهْوِيماً إذَا عَارِضَ اطَّبى سُرَى طَارِقٍ فى غير وَقْتِ طُرُوقِ (٤)
سَرَى جَائِباً للخَرْقِ يَخْشَى ولَمْ يَكُنْ مَلِيًّا بإِسْرَاءٍ وجَوْبِ خُرُوقِ
فَبَاتَ يُعَاطِينِى عَلَى رِقْبَةِ العِدَا ويَمْزُجُ رِيقاً مِنْ جَنَاهُ بِرِيقِى
وبِتُّ أَهَابُ المِسْكَ مِنْهُ وأَتَّقِى رُدَاعَ عَبِيرٍ صَابِكٍ وخلُوقِ (٥)
أَرَى كَذِبَ الأَحْلَامِ صِدْقاً وكَمْ صَغَتْ إلى خَبَرٍ أُذْنَاىَ غَيْرِ صَدُوقِ
ومَا كَانَ مِنْ حَقٍّ وبُطْلٍ فَقَدْ شَفَى حَـرَارَةَ مَتْبُولٍ وخَبْلِ ومَشُوقِ

وحسبك بهذا حُسْناً وحلاوة .

---

(١) فى الديوان « بنجح لم يكدر » .
(٢) ديوانه ٢٩٨ ، ١ / ٥٥٠ وطيف الخيال ٤٤ .
(٣) ديوانه ٥٢٢ ، ١٥٢٩ وطيف الخيال ٤٥ .
(٤) اطبى : دعا .
(٥) رداع العبير : أثره فى الجسد ، وصابك : لاصق .

وقال :

أَحْبِبْ إلىَّ بِطَيْفِ سُعْدَى الآتى وطُرُوقَهُ فى أَعْجَبِ الأَوْقَاتِ(١)
أَنَّى اهْتَدَيْتَ لِمُحْرِمِينَ تَصَوَّبُوا لِسُفُوحِ مَكَّةَ مِنْ رُبَى عَرَفَاتِ
ذَكَّرْتَنَا عَهْدَ الشَّآمِ وعَيْشَنَا بَيْنَ القنان السُّود والهَضَبَاتِ(٢)
إذْ أنت شكل مُخَالِفٍ ومُوَافِقٍ والدَّهْرُ فيكَ مُمَانِعٌ ومُوَاتِ
لولا مُكَاثَرَةُ الخُطُوبِ ونَحْتُها مِنْ جَانِبَىَّ لَكُنْتَ مِنْ حَاجَاتِى(٣)

* * *

وما علمت أحدًا من القدماءِ قال فى طُرُوقِ الخيال أحسن من قولِ قيْس ابن الخَطِيم . قال :

أَنَّى سَرَبْتِ وكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ وَتُقَرِّب الأَحْلاَمُ غَيْرُ قَرِيبِ(٤)
ما تَمْنَعِى يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِينَهُ فى النَّوْم غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ

/ ثم جاءَ البحترىُّ فأَبَرَّ على قَيْسٍ وكلِّ أَحَدٍ . ولم أَستقص ههنا كل ما قاله فيه لكثرته .

وما أحسن ما قال عَدِىّ بن الرِّقَاع :

يَصْطَادُ يَقْظَانَ الرِّجَالِ حَدِيثُهَا وتَطِيرُ بَهْجَتُها بِرُوحِ الحَالِمِ

* * *

(١) ديوان البحترى ٤٥٤ ، ١/٣٦٣ وطيف الخيال ٤٥ .

(٢) فى الديوان « بين القباب البيض » .

(٣) م « لولا مكابرة » .

(٤) ديوان قيس بن الخطيم ٥ وديوان المعانى ١ / ٢٧٦ وأمالى اليزيدى ٧٩ والتشبيهات ٧٥ وحماسة ابن الشجرى ١٨٩ ومجموعة المعانى ١٤٥ وأمالى المرتضى ١/٣٩٣ ، ٥٤١ ، ٥٤٥ وأمالى القالى ٢ / ٢٧٣ والأول فى اللسان ١ / ٤٤٥ .

وقال البحترى :

إِذَا نَسِيتُ هَوَى ليلى أَشَادَ بهِ طَيْفٌ سَرَى فى سَوَادِ اللَّيلِ إِذْ جَنَحا[١]
دَنَا إِلَىَّ عَلَى بُعْدٍ فَأَرَّقَنِى حتَّى تَبَلَّجَ ضَوْءُ الصُّبْحِ فاتَّضَحَا
عَجِبْتُ مِنْهُ تَخَطَّى القَاعَ مِنْ إِضَمٍ وجَاوزَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْت وَمَا بَرِحَا

قال : «تخَطَّى القَطاعَ من إِضَمٍ ، وجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خبْتٍ » . فكيف يقول : وما بَرِحَا ؟

أراد ما برح على الحقيقة .

فإن قيل : هى لم تبرح على الحقيقة فأما خيالها إذا طَرَقَ وهى بعيدة نائية فقد برح .

قيل : خيالها إنما هو صورتها التى تتصور فى النفس . والصورة أيضاً غير نازحة على الحقيقة . فقولهم : طرق الخيال ، وزار الخيال – مَجَازٌ .

ويجوز أن يكون قوله : «وما برحا » أى ما برحت هى ، وجعل خيالها بدلاً منها ، ووضعه فى موضعها ؛ لأنه هى . ألا ترى إلى قول جرير :

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ القُلُوبِ ولَيْسَ ذَا وَقْت الزِّيَارَةِ فَارْجِعِى بِسَلاَمِ[٢]

قيل : إنه أراد خيالها فوضعها فى موضعه ؛ لأن خيالها ليس هو شيئاً غير صورتها .

/ وقد استجفى الناس قوله : «فارجعى بسلام » . وإنما قال هذا لأنه عَاتِبٌ عليها ، ألا ترى إلى قوله بعد هذا :

(١) ديوان البحترى ٥٦ ، ١ / ٤٤٠ دار المعارف وطيف الخيال ٤٦ .
(٢) ديوانه ٥٥١ .

لَوْ كَانَ عهْدُكِ كالَّذِى عَاهَدْتِنَا لَوَصَلْتِ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامِ[١]

أو لم يمنعه طرده الخيال أن قال بعد هذا :

تُجْرِى السِّوَاكَ عَلَى أغَرَّ كَأنَّهُ بَرَد تَحَدَّرَ مِنْ مُتونِ غَمَام

وهذا وإن كان الناس قد تقدموه بتشبيه الثغر [ بِالبَرَد ] فإن هذا لفظ وسبك فى غاية الجودة والحلاوة والبراعة .

* * *

وأول من طرد الخيالَ طَرَفَةُ فقال :

فَقُلْ لِخَيَالِ الحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبْ إليها فإنِّى وَاصِلٌ حَبْلَ مَنْ وَصَلْ[٢]

وهذا أعْذَرُ من جرير ؛ لأنه قال : « فإنى واصلٌ حبْلَ مَنْ وَصَل » ، فدل على أن الحَنْظَلِيَّةَ هجرته وواصله غيرها فطرد خيالها .

* * *

وقد دعا الأَعْشَى على الخَيال فقال :

هَذَا النَّهارُ بَدَا لَهَــا مِنْ أمْرِهَا مَا بَالُهَا باللَّيْلِ زَالَ زَوَالُهَا[٣]

أى أزَالَهُ كزَوَالِه .

وما أظن جَرِيرًا ، ولا الأَعْشَى قبله كرِهَا الخيال على الحقيقة ، وإنما أرادا أن زيارته فى غير وقتها شاغلة لنا عن حالنا التى نحن عليها .

* * *

( ١ ) فى الديوان « كالذى حدثتنا » .

( ٢ ) ديوان طرفة ٢٠ .

( ٣ ) ديوان الأعشى ٢٢ « من همها » وفى اللسان ٣٣٣/١٣ — ٣٣٤ « قيل معناه : زال الخيال زوالها . قال ابن الأعرابى : وإنما كره الخيال لأنه يهيج شوقه . وقد يكون بالرفع « زال زوالها » على الإقواء . قال أبو عمرو ؛ وهذا مثل للعرب قديم تستعمله العرب بالرفع ، فسمعه الأعشى ، فجاء به على استعماله ، والأمثال تؤدى على ما فرط به أول أحوال وقوعها . والمعنى على النصب : زال عنا طيفها بالليل كزوالها هى بالنهار » .

وقال البحترى :

/ أَمِنْكَ تَـأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ ... حبيبٌ جاءَ يُهْدَى مِنْ حَبِيبِ[1]

تَخَطَّى رِقْبَةَ الواشِينَ وَهْناً ... وَبُعْدَ مسافَةِ الخَرْقِ المَجُوبِ[2]

يُكاذِبُنِى وأُصْدُقُهُ وِدَادًا ... ومِنْ كَلَفٍ مُصادَقَةُ الكَذُوبِ

---

( ١ ) ديوان البحترى ٣٨٩ ، ١ / ٩٨ دار المعارف وطيف الخيال ٤٩ .

( ٢ ) م « الوشين حتى وهنا » .

# ما قالاه فى الشَّيْب والشَّبَاب
# ووصف الكبر والعزوف عن الصبا ، ونحو ذلك

* * *

وأفتتح هذا الباب بما لهما من ابتداآت القصائد فى نحو معانيه .

قال أبو تمام :

نَسَجَ المَشيبُ لَهُ لِفَاعاً مُغْدِفا  يَقَقاً فَقَنَّعَ مِذْرَوَيْهِ ونَصَّفَا[1]

قوله : « لِفَاعاً » يريد لباساً . يقال : لَفَعَ المشيبُ رأسَه : إذا شمله وعلاه .

والمُغْدِف : المسبل . يقال : أغدفْتُ السِّتر إذا أسبلته . ومِذْرَوَاهُ ها هنا : فَوْدَا . ومِذْرَوا كلِّ شيءٍ : ناحيتاه . وقد استعملا كثيرًا فى أطراف الأَلْيَتَيْن حتى صارا كالاسم لهما .

وقوله : « نَصَّفَا » أى قَنَّعَ جانبى رأسه حتى بلغ النِّصْفَ منه .

وقد قيل : إنما أراد بقوله : « نَصَّفا » ــ النَّصِيفا ، وهو قناع لطيف ؛ يكون مثل نِصْفِ القِنَاع الكبير . وقد ذكره النَّابِغَة فقال :

* سَقَطَ النَّصِيفُ ، ولَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ[2] *

فإن ذلك لا وجه له[3] بعد ذكر القناع . وإنما أراد أبو تمام ما أراده الآخر بقوله :

/أَصْبَحَ الشَّيْبُ فى المَفَارِقِ شَاعَـا  وَاكْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ مَشِيب قِنَاعَا

فالمعنى مُكْتَفٍ بقوله « قَنَّع مِذْرَوَيْه » . وقولُه « نَصَّفَا » أى بلغ نصف رأسه .

---

(١) ديوان أبى تمام ٤٠١ « له قناعا » .

(٢) ديوان النابغة ٣٦ وعجزه « فتناولته واتقتنا باليد » .

(٣) م « ذلك لا وجمله بعد » .

وقال أبو تمام :

يَضْحَكْنَ مِنْ أَسَفِ الشَّبَابِ المُدْبِرِ يَبْكِينَ مِنْ ضَحكات شَيْب مُقْمِرِ(١)

وهذا بيت ردىء . وما سمعت بضحك من الأسف إلا فى هذا البيت ، وكأنه أراد قول الآخر :

* وشَرُّ الشَّدَائِدِ ما يُضْحِكُ *

فلم يهتد لمثل هذا الصواب .

وقوله : «مِنْ ضَحِكَاتِ شَيْبٍ مُقْمِرِ » — ليس بالجيد أيضاً ، ولو كان ذكر الليل على الاستعارة لحسن أن يقول مقمر ؛ لأنه كان يجعل سواد الشعر لَيْلًا ، وبياضه بالمشيب إِقْمَارَه ؛ لأن قائلاً لو قال : أقمر ليل رأسك ، كان من أصح الكلام وأحسنه . وإن لم يذكر الليل أيضاً حتى يقول : قد أقمر عارضاك ، أو فوداك — لكان حسناً مستقيماً ، وهو دون الأول فى الحسن ؛ وذلك أنه قد علم أنهما كانا مظلمين فَاسْتَنَارَا(٢)

وسقى الله البحترى الغيث إذ يقول :

ليالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ الدَّهرِ بَعْد مَـا أَضَاء بِإِصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرِقُ(٣)

وإنما أراد أبو تمام قول دعبل :

* ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى(٤) *

فأفسد المعنى .

(١) ديوان أبى تمام ٣٩٨ « فبكين » .

(٢) راجع نقد المرتضى لهذا فى الشهاب ص ٦ .

(٣) ديوان البحترى ٥١٨ .

(٤) صدره : « لا تعجبى يا سلم من رجل » وانظر ديوان دعبل ١٧٨ .

وقال :

أَبْدَتْ أَسًى أَنْ رَأَتْنِى مُخْلِسَ القُصَبِ    وآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْب إلى عَجَبِ(١)

/ يقال : رَأْسٌ مُخْلِسٌ ، وخَلِيسٌ : إذا اختلط به الشيب . والقُصَب : هى خُصْلَةُ الشَّعْر .

« وآل ما كان من عجب إلى عجب » ، أى عُجْب ومَحَبَّة . « إلى عَجَب » أى عَجَب من شيبى .

وقال فى العُزُوفِ عن الصِّبَا :

أَبَى : فَلَا شَنَباً يَهْوَى ، ولاَ فَلَجَا    ولاَ ٱحْوِرَارًا يُرَاعِيهِ ، ولَا دَعَجَا(٢)

وهذان ابتداآن صالحان .

* * *

وللبحترى فى هذا الباب ابتداآت كثيرة تصرَّف فيها أحسن تصرف ، وٱفْتَنَّ فيها أحلى افْتِنان . وذلك قوله :

أَبَعْدَ المَشِيبِ المُنْتَضَى فى الذَّوَائِبِ    أُحَاوِلُ لُطْفَ الوُدِّ عِنْدَ الكَوَاعِبِ(٣)

وقال :

رأت وخْط شيب فى عذارى فَصَدَّتِ    ولم تُنْظِرَنِّى مِنْ جَوًى قَدْ أَجَدَّتِ(٤)

وقوله :

غَلَّسَ الشَّيْبُ ، أو تَعَجَّلَ وِرْدُهْ    وٱسْتَعَارَ الشَّبَابَ مَنْ لاَ يَرُدُّهْ(٥)

---

(١) ديوان أبي تمام ١٥ وشرح التبريزى ١/١١٥ والشهاب ١٠ .

(٢) ديوانه ٦٨ وشرح التبريزى ١ / ٣٣٣ .

(٣) ديوان البحترى ١٥٢ ، ١ / ١٠٨ دار المعارف وفى م « المنقضى » .

(٤) ديوانه ٧٥٢ « شيب من قريب . . ولم ينتظره بى نوى قد » ، ١ / ٣٦٩ دار المعارف .

(٥) ديوانه ٤٧٣ ، ١ / ٥٠٩ .

وقوله :

أَمَّا الشَّبابُ فَقَدْ سُبِقْتَ بِغَضِّــهِ ✱ وحَطَطْتَ رَحْلَكَ مُسرِعاً مِن نقضهِ[١]

وقوله :

تَرَكَ الشَّبَابَ لِلابِسيهِ وبَيَّضَا ✱ ونَضَا مِنَ السِّتِّينَ عَنْهُ مَا نضَا[٢]

/ وقوله :

لَابِسٌ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ نَاضِ ✱ ومُلِيحٌ مِنْ شَيبَةٍ أَمْ رَاضِ[٣]

وقوله :

شَرْخُ الشبابِ أَخُو الصِّبا وأَلِيفُهُ ✱ والشيبُ تَزْجِيَةُ الهَوَى وخُفُوفُهُ[٤]

وقوله :

هَا هُوَ الشيبُ لائِماً فَأَفِيقِي ✱ واتْرُكِيــهِ إنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقِ[٥]

وقوله :

قَالت : الشيبُ أَتَى قُلْتُ : أَجَلْ ✱ سَبَقَ الوقتَ ضِرارًا وعَجِلْ[٦]

وقوله :

تَقَضَّى الصِّبَا إلاَّ تَلَوُّمُ رَاحِلِ ✱ وأَغْنَى المَشِيبُ عَنْ مَلَامِ العَوَاذِلِ[٧]

---

(١) ديوان البحترى ٢٨٨ ، ٢ / ١١٩٥ دار المعارف « عن نقضه » .

(٢) ديوانه ٢٩٠ ، ٢ / ١١٩٨ دار المعارف ، « ترك السواد » وأمالى المرتضى ١ / ٦٦٢ ، ٢ / ١٣٥ .

(٣) ديوانه ٣٩٢ ، ٢ / ١٢٠٧ وأمالى المرتضى ١ / ٦١٩ .

(٤) ديوانه ٦٤ .

(٥) ديوانه ٤٣٥ « إذ كان » وأمالى المرتضى ٦٠/١ .

(٦) ديوانه ٣٣١ «الشيب بدا » .

(٧) ديوانه ٦٣٨ .

وقوله :

أَكَانَ الصِّبَا إِلَّا خَيالًا مُسَلِّمَا أَقَامَ كَرَجْعِ الطَّرْفِ ثُمَّ تَصَرَّمَا(١)

وقوله :

لاَ جَدِيدُ الصِّبَا ولا رَيْعَــانُهْ رَاجعٌ بَعْدَمَا تَقَضَّى زَمَانُهْ(٢)

وقوله :

/ بَانَ عَهْدُ الصِّبَا وباقِى جَدِيدِهْ بَيْنَ أَعْوَانِ طَالِبِ ووُجُودِهْ(٣)

وقوله :

خَطَتْهُ فَلَمْ تَحْفِلْ بِهِ الأَعْيُنُ الوُطْفُ وكَانَ الصِّبا إِلْفاً فودَّعَــهُ الإِلْفُ

وقال فى العُزُوفِ عن الصِّبا :

إليك ما أَنَا عَنْ لَهْوٍ ولاَ طَرَبِ مُنِيتِ مِنِّى بِقَلْبٍ غيرِ مُنْقَلِبِ(٤)

وقال :

أَطَاعَ عَاذِلَه فى الحبِّ إِذْ نَصَحَا وكَانَ نَشْوَانَ مِنْ سُكْرِ الصِّبافَصَحَا(٥)

وقال :

فى الشيبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَوَاعِظٌ مِنْهُ لَوْلاَ أَنَّهُ حَجَرُ(٦)

---

(١) ديوان البحترى ١٢٦ .

(٢) ديوانه ٣١٩ « تقضى أونه » .

(٣) ديوانه ٥٧٤ « بات » .

(٤) ديوانه ٤٩٩ ، ١ / ١١٩ دار المعارف « من لهو » .

(٥) ديوانه ٥٦ ، ٦ / ٤٤٠ « سكر الهوى » .

(٦) ديوانه ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٣ « وبالغ منه » .

وقال :

أَنِزَاعاً فى الحبِّ بَعْدَ نُزُوعٍ ... وَذَهاباً فى الغَيِّ بَعْدَ رُجُوعِ[(١)]

وقال :

لِأَيَّةِ حَالٍ أَعْلَنَ الوَجْدَ كاتِمهْ ... وأَقْصَرَ عَنْ دَاعِى الصَّبَابَةِ لائِمُهْ[(٢)]

وقال :

إنِّى تَرَكْتُ الصِّبا عَمْدًا فَلَمْ أَكَدِ ... مِنْ غَيْرِ شَيْبٍ ولا عَذْلٍ ولا فَنَدِ[(٣)]

* * *

/ وهذا باب أبرّ فيه البحترى على أبى تمام .

قوله : « أَبَعْدَ المَشِيبِ المُنْتَضى »[(٤)] . ويقال : نَضَا الحنَّاءَ عن اليد يَنْضُو ، ونَضَا ثوبه عنه يَنْضُوه ، أى نزعه ، وأَنْتَضَى السيف : انتزعه من غِمْدِه . فجعل الشيب منتضًى فى الذوائب أى مشهورًا فيها على الاستعارة ، كأنه جعله سيفاً سُلَّ فى رأسه .

وأجود من هذا قوله :

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينَنِى ... مَكانَ بَيَاضِ الشيب كَانَ لِمَفْرِقى[(٥)]

---

(١) ديوان البحترى ٤٢٠ « أتراعا » ! وفسرها ناشره بالمرح والنشاط ! ، ٢ / ١٢٧٩ .

(٢) ديوانه ٤٧٨ وفى م « عن راغى » .

(٣) ديوانه ٤٢٤ ، ١ / ٥٧٣ دار المعارف « ولم » .

(٤) سبق ص ١٩٢ .

(٥) ديوانه ٧٧ « الشيب لاح بمفرق » .

## ماجاء عنهما في وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب ووصف الشيب وذمه

قال أبو تمام :

غَدَا الهَمُّ مُخْتَطًّا بِفَوْدَىَّ خُطَّـةً طَرِيقُ الرَّدَى مِنْها إلى المَوْتِ مَهْيَعُ(١)
هُوَ الزَّوْرُ يُجْفَى ، والْمعَاشِرُ يُجْتَوى وذُو الإلْفِ يُقْلَى ، والجَدِيدُ يُرَقَّعُ
لَهُ مَنْظَرٌ في العينِ أبْيَضُ نَاصِعٌ ولكنَّه في القلبِ أَسْوَدُ أسْفَعُ
ونحن نُرَجِّيه على الكُرْهِ والرِّضَا وأَنْفُ الفَتَى مِنْ وَجْهِهِ وهْوَ أَجْدَعُ(٢)

وهذه كلها معانٍ جيدة صحيحة مستقيمة .

* * *

وقال :

شُعْلَةٌ في المَفَارِقِ اسْتَوْدَعَتْنِي في صَمِيمِ الأَحْشَاءِ حُزْناً صَمِيمَا(٣)
يَسْتَثِيرُ الهُمُومَ مَا اكْتَنَّ مِنْهَا صُعُدًا ، وَهْيَ تَسْتَثِيرُ الهُمُومَا(٤)
/ غُرَّة مُرَّةٌ . ألاَ إنَّما كُنْـ ـتُ أغَرًّا أيَّامَ كُنْتَ بَهِيمَا(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٩٠ وشرح التبريزي ٢ / ٣٢٤ وأمالي المرتضى ١ / ٦٠٩ والشهاب في الشيب والشباب للمرتضى ٦ ومجموعة المعاني ١٢٥ .

(٢) في شرح التبريزي : « ونحن نزجيه » ونقل شرحها عن أبي العلاء المعري : « نرجيه : نحمله ونسوقه على أن يسير . يقول : نحن على سخطه راضون به ؛ لأنه لا بد منه وإن كنا نبغضه ، فمثله مثل الأنف الأجدع يعلم الفتى أنه قبيح وقد ثبت أنه من وجهه » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٩١ وشرح التبريزي ٣ / ٢٢٣ « الفؤاد ثكلا صميما » وأمالي المرتضى ١ / ٦٠٩ والشهاب ٧ وحماسة ابن الشجري ٢٤١ .

(٤) م « تستنير . . . وهي تستنير » .

(٥) « غرة بهمة » وفي شرح التبريزي « ويروى » : وقالوا : غرة بهمة على معنى التضاد ، أي =

رِقَّةٌ فى الحياةِ تُدْعَى جَــلالاً مِثْلَمَا سُمِّى اللَّدِيغُ سلِيما(١)
حَلَّمَتْنِى - زَعَمْتُمُ - وأَرَانِى قَبْلَ هذا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيما(٢)

وهذه كلها أيضاً [ أبيات ] جيدة ، والأغراض فيها(٣) حسنة مستقيمة .

وقوله : «تستثير الهموم ما اكتنَّ منها» - يريد أنها لمَّا بدت حَزِنْتُ ، واهتممت ، فصار اهتمامى يزيد فيها ؛ لأن الهم - على كل حال - يشيب .

وقوله : «وهى تَسْتَثِيرُ الهُمُومَا» - قول صحيح أيضاً ؛ لأنه كلَّما بدا منها شئٌ زاد همه ، فالهم يَجْلِبُهَا ، وهى تَجْلِبُ الهمّ .

وأخذ البحترى قولَه :

غُــرَّةٌ مُرَّة . أَلَا إنَّمَا كُنْـ ـتُ أَغَرًّا أَيَّامَ كُنْتَ بَهِيمَا !

فقال :

عَجِبَتْ لِتَفْوِيفِ القَذَالِ ، وإنَّما تَفْوِيفُهُ لَوْ كَانَ غَيْرَ مُفَوَّفِ(٤)

* * *

وقال البحترى :

وكُنْتُ أُرَجِّى فى الشبابِ شَفَاعَةً وكيفَ لِبَاغِى حَاجَةٍ بِشَفِيعِهِ(٥)

---

=اسمها غرة ، وهى ضد ذلك فى الحقيقة . والبهمة من قولك : فرس بهيم ، وهو الذى لايخالط لونه غيره ، كأنه أبهم عن الشيات ، أى أغلق دونها . وجائز أن يجعل نفسه بهيما لأنه أراد الشعر ، وأنه أيام كان أسود لم تكن له غرة ، أى شيب » .

(١) فى الديوان وشرحه « دقة » .

(٢) فى شرح التبريزى « أى زعمتم أن شعلة الشيب قد صيرتنى حليما وتم بها عقلى ، وأنا أرى أنى قبل هذا كنت حليما كاملا » .

(٣) م « فيه » .

(٤) ديوان البحترى ٦٧٦ وقد نقله الشريف المرتضى فى الشهاب ٧ ثم نازعه فى دعوى الأخذ ، وفضل بيت أبى تمام . وفى م « عجب » .

(٥) ديوان البحترى ٣٧٢ ، ٢ / ١٢٧٦ دار المعارف . والأبيات فى أمالى المرتضى ١ / ٦١٨ .

مَشِيبٌ كَبَثِّ السرِّ عَيَّ بِحَمْلِهِ ... مُحَدِّثُهُ ، أَوْضَاقَ صَدْرُ مُذِيعِهِ[١]
تَلاَحَقَ حتَّى كَادَ يَأْتِي بِطِيئُهُ ... لِحَثِّ اللَّيَالِي قَبْلَ أَنْي سَرِيعِهِ

وهذا أيضاً فى وصف الشيب حسن جدًّا .

وقال البحترى :

/ رُدِّى عَلَيَّ الصِّبَا إِنْ كُنْتِ فَاعِلَةً ... إِنَّ الصِّبَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي ولَا أَرَبِي[٢]
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبابِ النَّضْرِ مُلْتَفِتاً ... إلى بَنَاتِ الرَّدَى تَرْكُضْن فى طَلَبِي[٣]
والشَّيْبُ مَهْرَبُ مَنْ جَارَى مَنِيَّتَهُ ... ولا نَجَاءَ لَهُ فى ذلك الهَرَبِ
والمَرْءُ لَوْ كانَت الشِّعْرَى لَهُ وَطَناً ... صُبَّتْ عَلَيهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كَثَبِ[٤]

وقال :

لابِسٌ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ نَاضِ ... وَمُلِيحٌ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ رَاضِ[٥]
وإِذَا ما امْتَعَضْت مِنْ وَلَعِ الشَّيْـ ... ـبِ بِرَأْسِي لَمْ يَثْنِ ذَاكَ امْتِعَاضِي[٦]
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَان مُرُوٌّ ... فِيهِ إِلاَّ عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاضِ
بَاكَرَتْ لِمَّتِى ، وَنَاكَرْتُ مِنْهَا ... سُوءَ هَذِى الأَبْدَالِ والأَعْوَاضِ[٧]
شَعَرَاتٌ أَقُصُّهُنَّ ويَرْجِعْـ ... ـنَ رُجُوعَ السِّهام فى الأَغْرَاضِ
وأَبَتْ تَرْكِيَ الغُدَيَّاتِ والآ ... صَالِ حتَّى خَضَبْتُ بالمِقْرَاضِ[٨]

---

(١) ديوانه «كنث السر» ومعناهما واحد .
(٢) ديوان البحترى ٤٩٩ ، ١ / ١١٩ «أين الهوى» وأمالى المرتضى ١ / ٦١٩ والشباب ١٤ .
(٣) فى الديوان : «بنات الصبى» .
(٤) فى الديوان «حطت عليه . . من صبب» .
(٥) ديوانه ٣٩٢ وأمالى المرتضى ١ / ٦١٩ والشهاب ١٤ .
(٦) فى الديوان «لم يعد ذاك» .
(٧) م «باكرت . . وناكرت» وفى الديوان «ليس سوء الأخلاق» .
(٨) راجع ما قاله المرتضى عن هذا البيت فى الشهاب ١٤ .

غَيرَ نَفعٍ إلاَّ التَّعَلُّلَ مِنْ شَخْ ‏ ‏ صٍ عَدُوٍّ لَمْ يَعْدُهُ إبْغَاضِى
وَرُوَاءُ المَشِيبِ كالبخْصِ فى عَيْ ‏ ‏ نِى فَقُلْ فيهِ فى العُيُونِ المِرَاضِ(١)
طِبْتُ نَفْساً عَنِ الشَّبَابِ وماسَوَّ ‏ ‏ دَ مِنْ صِبْغِ بُرْدِهِ الفَضْفَاضِ
فَهَلِ الحَادِثَاتُ يَاَبْنَ عُوَيفٍ ‏ ‏ تَارِكَاتى وَلُبْسَ هَذَا البَيَاضِ

/ وهذا هو الذى يأخذ بمجامع القلب ، ويستولى على النفس . ومن حِذْقِ الشاعر أن يُصَوِّر لك الأشياء بصورها ، ويعبر عنها بألفاظها المستعملة فيها ، واللائقة بها . وذلك مذهب البحترى وصناعته ؛ ولهذا مَا كَثُرَ الماءُ والرَّوْنَقُ فى شعره . وقالوا : لِشِعْرِهِ ديباجه . وما قيل ذلك فى شعر أحد من المتأخرين غيره .

* * *

وقال :

وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ عَهْدَ الشَّبَا ‏ ‏ بِ وعَلْوَة إذْ عَيَّرتنى الكِبَرْ(٢)

وقوله «ما أَنْس لا أَنْسَ» جُزِمَ : لأَنه شَرطٌ وجزاء .

كَوَاكِبُ شَوْقٍ عَلِقْنَ الصِّبَا ‏ ‏ فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرْ(٣)
وإنِّى وَجَدْتُ ـ فَلاَ تَكْذِبَنَّ ـ ‏ ‏ سَوَادَ الهَوَى فى بَيَاضِ الشَّعَرْ
وَلاَ بُدَّ مِنْ تَرْكِ إحْدَى اثْنَتَيْ ‏ ‏ نِ : إمَّا الشَّبَابُ ، وإمَّا العُمُرْ

---

(١) فى اللسان ٨ : ٢٦٩ «البخص : لحم ناتئ فوق العينين أو تحتهما كهيئة النفخة» .
(٢) ديوان البحترى ٩٩ ، ٢ / ٨٤٨ دار المعارف ، وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٥ والشهاب ١٥ .
(٣) فى الديوان «كواكب شيب» .

قوله :

ولا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى ٱلْثِنْتَيْـ ـنِ : إِمَّا الشَّباب ، وإِمَّا العُمُرْ

عليه فى هذا البيت مُعَارضَة . وهو أن يقال : إنَّ من مات شابًّا فقد فارق الشباب ، وهو مفارق للعمر لا محالة ، فهو أيضاً تارك لهما جميعاً ، وقوله : إما الشباب وإما العمر — لا يوجب إلا أحدهما .

والعُذْرُ للبحترى أن يقال : إنَّ من مات شابًّا فإنما فارق الشباب وحده ؛ لأنه لم يُعَمَّر فيكون مفارقاً للعمر . ألا تراهم يقولون : فلان عُمِّر : إذا أَسَنَّ . وفلان لم يُعَمَّر : إذا مات شابًّا أو وهو فى حدود الشباب . ومن شاب وعمّر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب فى حال موته [ لأنه قد قطع أيام الشباب وتقدمت مفارقته له ، وإنما يكون فى حال موته ][1] مفارقاً للعمر وحده . فإلى هذا ذهب البحترى ، وهو صحيح . ولم يرد بالعمر ههنا : الكبر ، كما قال زُهَيْر :

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ ، ومَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ[2]

ومثله قول آخر :

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَــةً يَمُتْ هَرَماً لِلْمَوْتِ كَأْسٌ والمَرْءُ ذَائِقُهَا[3]

---

( ١ ) الزيادة من الشهاب ١٥ وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٦ .

( ٢ ) ديوان زهير ٢٩ وشرح القصائد العشر ١٢٢ وقد قال المرتضى عقب نقله لهذا فى الأمالى ١ : ٦٢٦ « وما رأيت أشد تهافتاً فى الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين . ومعنى البيت غير ما توهمه ، وهو أظهر من أن يخفى حتى يحتاج فيه إلى هذا التغلغل والتعسف . . » ثم عاد فنقل كلامه الطويل فى الشهاب ١٥ — ١٦ .

( ٣ ) لامية بن أبى الصلت ، كما فى اللسان ٩ : ٢٢١ وعبطة : شاباً .

وهذا أجود من بيت زهير ومن بيت البحترى ؛ لأنه جمع المعنيين فى المصراع الأول ، وهو مستغنٍ عن المصراع الثانى .

* * *

ولولا قوله :

«مَشِيبٌ كَبَثٍّ السر» .

و «فَهَل الحادِثَاتُ يا ٱبن عُوَيْفٍ» – لفضلت أبا تمام عليه ، ولكنى أجعلهما متكافئين .

## كره النساء للمشيب

قال أبو تمام :

أَلَمْ تَرَ آرَامَ الظِّبَاءِ كأَنَّمَا رَأَتْ بِيَ سِيدَ الرَّمْلِ والصُّبْحُ أَدْرَعُ
لَئِنْ جَزِعَ الوَحْشِيُّ مِنْهَا لِرُؤْيَتِي لإِنْسِيُّها مِنْ شَيْبِ رَأْسِيَ أَجْزَعُ[1]

وهذا غاية فى حسنه وصحة معناه .

قوله : «سِيدُ الرَّمل» يريد الذئب . وقوله : «والصُّبْحُ أَدْرَعُ» أى أوله مختلط بسواد الليل ، يريد وقت طلوع ، الفجر . وكل ما اسودّ أوله ، وابيضّ آخره فهو أَدْرَع ، وشاةٌ دَرْعَاءُ للتى اسودّ رأْسُها وعنقها ، وسائِرُها أبيض .

وإنما قال ذلك لأن الظباء تخاف الذئب فى ذلك الوقت ، لأن لونه يخفى فيه لغُبْشَتِهِ ، فلا تكاد تراه حتى يخالطها . وهو الوقت الذى تَنْتَشر[2] فيه الظباء ، وتخرج من كنسها لطلب المرعى[3] . والغنم يخرجها أهلها بعد هذا الوقت .

* * *

وقال أبو تمام :

لَعِبَ البَيْنُ بالمَفَارِقِ ، بَلْ جـدْ دَ ، فَأَبْكَى تُمَاضِرًا ولَعُوبَا[4]

---

(١) ديوان أبى تمام ١٩٠ وشرح التبريزى ٢ : ٣٢٢ والشهاب ٨ .

(٢) م « الذى تعشر » والتصويب من الشهاب .

(٣) نقل المرتضى هذا التأويل ثم أجازه وقال إن البيت يحتمل سواه ، راجع تفصيل ذلك فى الشهاب ٨ — ٩ .

(٤) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزى ١ : ١٦٦ — ١٦٧ وأمالى المرتضى ١ : ٦١٠ والشهاب ٩ وفى جميعها « لعب الشيب » .

خَضَبَتْ خَدَّهَا إلى لُؤْلُؤ العِقْـ ـدِ دَماً أَنْ رَأَتْ شَوَاتى خَضِيبَا
كُلُّ داءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إلاَّ الفَظِيعَيْنِ : مِيتَةً ، ومَشِيبَا
يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِى عِنْد الحِسَانِ ذُنُوبا[1]
ولَئِنْ عِبْنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَنْـ ـكَرْنَ مُسْتَنْكَرًا وعِبْنَ مَعِيبَا
أَوْ تَصَدَّعْنَ عَنْ قِلًى لكَفَى بالشَّـ ـيْبِ بَيْنِى وبَيْنَهُنَّ حَسِيبَا
لَوْ رَأَى اللهُ أَنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلاً جَـاوَرَتْهُ الأَبْرَارُ فى الخُلْدِ شِيبَا

وهذا البيت الأخير من شعره الجيد المشهور .

ومن يتعصب عليه يقول : إنه ناقض فى هذه الأبيات ؛ لقوله : «فأَبْكَى تُمَاضِرًا ولَعُوبَا » وقوله : «خَضَبت خَدَّها إلى لُؤْلُؤ العِقْدِ دَماً » . ثم قال :

يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِى ، عِنْدَ الحِسَانِ ذُنُوبَا

وقوله : «ولَئِنْ عِبْنَ مَا رَأَيْنَ» .

وقالوا كيف يَبْكِينَ دَماً على مَشِيبه ثم يَعِبْنَه ؟

وليس ها هنا تناقض ؛ لأن الشيب إنما أبكى تُمَاضرًا ولعوبًا أسفاً على شبابه ، والحسان اللواتى عِبْنَه غَيْرُ هاتين المرأتين ، فيكون من أَشْفَق عليه من الشَّيْب منهن وأَسِفَ على شبابه – بَكَى ، كما قال الأَخْطَل :

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشبابِ بَكَتْ لَهُ إنَّ المَشِيبَ لأَرْذَلُ الأَبْدَالِ[2]

ولم تك هذه حال من عابه[3]. وهو مستقيم صحيح[4] .

---

(١) ويروى : «عند الغوانى» .
(٢) ديوانه ١٥٨ .
(٣) م «ومن لم تك هذه حاله عابه» .
(٤) راجع نقد المرتضى فى أماليه ١ : ٦١١ وفى الشهاب ٩ .

وقول الأخطل : بَكَتْ لَهُ . أى الشباب . ولكن أبا تمام لم يرض أن يقول : بكت فيكون أمرًا قريباً مشبهاً . حتى قال : «بكت الدم» على مذهبه فى الخروج عن الحد فى كل شىء .

* * *

وقال :

رَاحَتْ غَوَانِى الحَىِّ عنكَ غَوَانِيا ... يَلْبَسْن نَـأْياً تَارَةً وصُدُودَا[1]
مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الشَّبَابِ إذا بَدَتْ ... تَركَتْ عَمِيدَ القَرْيَتَيْن عَمِيدَا[2]
أَرْبَبْنَ بالمُرْدِ الغَطَارِفِ بُدَّناً ... غِيدًا أَلِفْنَهُمُ لِدَاناً غِيدَا
أَحْلَى الرِّجَال مِنَ النِّساءِ مَوَاقِعاً ... مَنْ كان أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا

قوله : «أَرْبَبْنَ بالمُرْدِ» . هو من أَرَبَّ بالشىء إذا لَزِمَه وأقام عليه ، يقال : أَرَب به ، وأَلَبَّ إذا لَزِمَه . يريد أنهن أَرْبَبْنَ[3] هَوَى المُرْدِ ، وأقمن عليه .

ورواه قوم «أَرْبَيْنَ بالمرد» . من الرِّبَا الذى معناه الزِّيادَة يقال[4] : قد أَرْبَى الرجل إذا زاد . فيقول : «أَرْبَيْنَ بالمُرْدِ أى زِدْن علينا بهم ، أى جعلن المُرْدَ زيادة اخترنها علينا[5] فما يقبل الرجل الزيادة فى الشىء

---

(١) ديوان أبى تمام ٨٧ وشرح التبريزى ١ : ٤١٣ وأمالى المرتضى ١ : ٦١١ والشهاب ١٠ .

(٢) فى شرح التبريزى عن أبى العلاء المعرى : «سابغه الشباب : أى قد جرى شبابها فى جميع جسدها . استعار السبوغ للشباب . وعميد القريتين : رئيسهما ، والقريتان : مكة والطائف . وعميدا : من قولك عمده الحب : إذا ذهب بقلبه . وإنما بنى الطائى هذا الكلام على قوله عز وجل : (وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقد استعملوا فى صدر الإسلام نحواً من ذلك فقالوا : ليس فلان بعظيم القريتين ، أى ليس هو برئيس» .

(٣) «أربين» .

(٤) م «فقال» .

(٥) نقل المرتضى شرح الآمدى هذا من غير أية إشارة إليه فى أماليه ١ / ٦١١ .

الذى يُعْطَاهُ فَاضِلاً مِنْ حَقِّه ، ويرغب فيه يقال : قد أَرْبَى . فإلى هذا ذهب من قال : أَرْبَيْنَ ، لا إلى قولهم : أنا أَرْبَأُ بك عن كذا ، لأن هذا مَهْمُوزٌ مَعْنَاهُ : أنا أرتفع بك ، أو أَرْفَعُكَ عن كذا ، من الرَّبِيئَةِ والاْرْتِبَاء وهو الذى يصعد لأصحابه إلى شَرَفٍ عَالٍ فيرصد أعداءَهم[1] إذا قصدوهم فيراهم من بعد فَيُنْذِرَ بهم . فكأن قوله : «أَرْبَيْن بالمُرْدِ » أى أخذن المُرْدَ رِباً علينا لِمَا فيهم من الزيادة التى اخترن[2] علينا وتركننا .

والمعنى الأول أقرب لفظًا .

وعلى أى الوجهين كانت اللفظة فهى غير حسنة ، ولا لائقة ، ولا هذا الموضع موضعها بالباء كانت [ أم ] بالياء .

وقيل : أخذ قوله[3] «أَحْلَى الرِّجال من النساء مَوَاقِعاً » من قول الأَعْشَى :

وأَرَى الغَوَانِيَ لاَ يُوَاصِلْنَ امْرَأً ... فَقَدَ الشَّبَابَ ، وقَدْ يَصِلْنَ الأَمْرَدَا[4]

وقال مَنْصُور النَّمَرى :

كَرِهْنَ مِنَ الشَّيب الذى لَوْ رَأَيْتَـهُ ... بِهِنَّ رأَيْتَ الطَّرْفَ عَنْهُنَّ أَزْوَرَا[5]

ونحو هذا قول آخر :

أَرَى شَيْبَ الرِّجَالِ مِنَ الغَوَانِى ... بِمَوْقِعِ شَيْبِهِنَّ مِنَ الرِّجَالِ[6]

***

---

(١) م « أعدادهم » .
(٢) م « اخترنا » .
(٣) فى أمالى المرتضى ١ : ٦١٢ « ويقال : إنه أخذ قوله أحلى إلخ » .
(٤) ديوان الأعشى ١٥١ والشهاب ١٠ .
(٥) فى أمالى المرتضى « رأينه بهن رأين » .
(٦) فى أمالى المرتضى ١ : ٦١٢ « كوقع مشيبهن » .

وقال البحترى :

تَعِيبُ الغَــانِيَاتُ عَلَىَّ شَيْبِى ... وَمَنْ لِى أَنْ أُمَتَّعَ بالمَعِيبِ[١]

ووَجْدِى بالشَّبَابِ وإن تقَضَّى ... حَمِيدًا ـ دُونَ وَجْدِى بِالمَشِيبِ

وهذا من فاخر هذا الباب وعجيب مذاهبه ، ومن إحسان أبى عبادة المشهور .

* * *

وقال البحترى أيضاً :

أَعَداوَةً كانت فَمِنْ عَجَبِ الهَوَى ... أَنْ يَصْطَفِى فيه العَدُوُّ حَبِيبَا[٢]

أَمْ وَصْلَةٌ صُرِفَتْ فعَادَتْ هجْرَةً ... أَنْ عَادَ رَيْعَانُ الشَّبَابِ مَشِيبَا

أَرَأَيْتِــه مِنْ بَعْدِ جَثْلٍ فَاحِمٍ ... جَوْنَ المَفَارِقِ بالنَّهَارِ خَضِيبَا[٣]

فَعَجِبْت مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ مِنْهُمَا ... رَيْبُ الزَّمَانِ وَمَا رَأَيْتِ عَجِيبَا

إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْــوُه ... سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأَدْرَكَ المَطْلُوبَا

قوله : « جَوْنَ المَفَارِق » . والجَوْن هاهنا : الأَبيض ؛ فلذلك قال : « بالنَّهار خَضِيبَا » وخِضاب البياض غير معروف ولا جرت بمثله عادة . وإنما الخضاب بالسواد والصفرة . وذلك أن الخضاب إنما هو صِبْغٌ ، والبياض ليس بصبغ ولكن هو المصبوغ . والبحترى إنما جعله خضاباً لأنه لون حدث بعد لونٍ قَبْلَه فلهذا مَا جَعَلَهُ كالخضاب .

---

(١) ديوان البحترى ٣٨٩ ، ١ / ٩٩ والشهاب ١٦ « يعيب » وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٠ وفى م « أمتع بالمشيب » .

(٢) ديوانه ٢٥٢ ، ١ / ١٨٤ والشهاب ١٧ .

(٣) هذا البيت والأبيات بعده نقلها المرتضى فى أماليه ١ : ٦٢٠ .

(٤) حتى هذا الشرح نقله من غير عزو .

وقال :

رَأَتْ فَلَتَاتِ الشَّيْبِ فَٱبْتَسَمَتْ لَهَا وَقَالَتْ : نُجُومٌ لو طَلَعْنَ بِأَسْعُدِ[١]
أَعَاتِكُ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرِّبِي إليكَ فأَلْحى الشَّيْبَ إذ كان مبعدى
تَزِيدِينَ هَجْرًا كُلَّمَا ٱزْدَدْتُ لَوْعَةً طِلَابًا لِأَنْ أُرْدَى فها أَنَا ذَا رَدِى[٢]
مَتَى أُدْرِكُ العَيْشَ الذى فَاتَ آنِفاً إِذَا كانَ يَوْمِى فِيك أَحْسَنَ مِنْ غَدِى[٣]

وهذا معنى فى غاية الحسن والحلاوة .

وقوله : « فابتسمت لها » . يريدا استهزأت . وبهذا [ جرت عادة النساء أن يضحكن من الشيب ويستهزئن لا أن ] يبكين كما قال أبو تمام ولم يقنع إلا ببكاء الدم[٥].

وقال البحترى :

عَنَتْ كَبِدِى قَسْوةٌ مِنْكِ مِا إِنْ تَزَالُ تُجَدِّدُ فيها نُدُوبَا[٦]
وحُمِّلْتُ عِنْدَكِ ذَنْبَ المَشِيـ ـبِ حَتَّى كَأَنِّى ٱبْتَدَعْتُ المَشِيبَا
وَمَنْ يَطَّلِعْ شَرَفَ الأَرْبَعِينَ يُلَاقِ مِنَ الشَّيْبِ زوْرًا غَرِيباً[٧]

عهدى بالشيوخ من أهل العلم بالشعر إذا تذكروا ما قيل فى الشيب لا يقدّمون على قوله :

* وحُمِّلْتُ عِنْدَكِ ذَنْبَ المَشيبِ *

---

(١) ديوان البحترى ٢٣١ ، ٢ / ٧٧١ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٧ .
(٢) م « تردين هجرا » .
(٣) فى الديوان « متى ألحق » .
(٤) الزيادة من الشهاب ١٧ .
(٥) راجع ص ٢٠٤ وانظر نقد المرتضى لذلك ١٧ – ١٨ .
(٦) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٨ .
(٧) فى الديوان « يحى من الشيب » .

وقال :

وقدْ دَعَانَا ناهياً فَأَسْمَعَنى ... وَخطٌ على الرأسِ مُخْلسٌ شَعَرُهْ[١]

صَغَّرَ قَدْرِى فى الغَانِياتِ وَمَــا ... صَغَّرَ صَبًّا تَصْغِيرَهُ كِبَرُهْ

وقال :

أَيُثَنِّى الشَّباب أَمْ مَا تَوَلَّى ... منه فى الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ[٢]

لا أَرَى العيشَ والمفارِقُ بِيضٌ ... أُسْوَةَ العَيْشِ والمفَارِقُ سُودُ[٣]

وأَعُــدُّ الشَّقِىَّ جِدًّا ولَوْ أُعْ ... طِىَ غُنْماً حتى يُقَالَ سَعِيدُ

مَنْ عَدَتْهُ العُيُونُ وَانْصَرَفَتْ عَنْ ... هُ الْتِفَاتاً إلى سِوَاهُ الخُدُودُ

وقال :

رَاعَنِى مَا يَرُوعُ مِنْ وافِدِ الشَّيْ ... بِ طُرُوقاً ، ورَابَنِى مَا يَرِيبُ[٤]

شَعراتٌ سُودٌ إذا حُلْنَ بِيضاً ... حالَ عَنْ وُصْلَةِ المحبِّ الحبيبُ[٥]

مَرَّ بَعْدَ السَّوَادِ مَا كَانَ يَحْلُو ... مُجْتَنَاهُ مِنْ عَيْشِنَا ويَطِيبُ[٦]

وقال :

أَجِدَّكَ ما . وصل الغوانى بمطمع ... ولا القلب من رِقِّ الغوانى بمعتق[٧]

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينَنِى ... مَكَانَ بَياضِ الشَّيْبِ كَانَ بِمفْرِقِى[٨]

---

(١) ديوان البحترى ٢ / ١٠٣٤ دار المعارف الشهاب ١٨ .

(٢) ديوانه ٧٦٧ ، ١ / ٥٠٢ « يعود . . أم يتولى » وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٣ والشهاب ١٨ .

(٣) فى الديوان « إنما العيش » .

(٤) ديوانه ١ / ١١٢ الشهاب ١٨ وديوانه ١ : ٩٢ .

(٥) فى الديوان : « وصله الحبيب الحبيب » .

(٦) فى الشهاب « بعد الشباب » .

(٧) ديوانه ٧٧ والشهاب ١٩ .

(٨) فى م « بياض الشيب » .

وقال :

عَمْرُ الغَوَانِي لَقَدْ بَيَّنَّ من كَثَب ... هَضِيمَةً فى مُحِبٍّ غَيْرِ مَحْبُوبِ[١]
إذا مَدَدْنَ إلى أغْرَاضِهِ سَبباً ... وقَيْنَ مِنْ كُرْهِهِ الشُّبَّانَ بالشِّيبِ

وقال :

خَلِّيَاهُ وجدَّةَ اللَّهْوِ مَادَا ... مَ رِدَاءُ الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيدَا[٢]
إنَّ أيَّامَهُ مِنَ البِيضِ بِيضٌ ... مَا رَأَيْنَ المَفَارِقَ السُّودَ سُودَا

وقال :

قَدْكِ مِنِّى فَمَا جَوَى السُّقْمِ إلاَّ ... فى ضُلُوعٍ عَلَى جَوَى الحُبِّ تُحْنَى[٣]
لَوْ رَأَتْ حَادِثَ الخِضَابِ لأَنَّتْ ... وأَرَنَّتْ مِن احْمِرَارِ اليَرَنَّا[٤]
كَلَفُ البِيضِ بالمُعَمَّرِ قَدْرًا ... حِينَ يَكْلَفْنَ ، والمُصَغَّرِ سِنا[٥]
يَتَشَاغفْنَ بالغَـرِيرِ المُسَمَّى ... مِنْ تَصَابٍ دُونَ الجَلِيلِ المُكَنَّى

وقال :

تَرَكَ السَّوَادَ لِلاَبِسِيهِ وَبيَّضَـا ... وَنَضَا مِنَ السِّتِّين عَنْهُ مَا نَضَا[٦]
وشَآهُ أغْيَدُ فى تَصَرُّفِ لَحْظِهِ ... مَرَضٌ أَعَلَّ بِهِ القُلُوبَ وأَمْرَضَا
وكأنَّهُ وَجَدَ الصِّبَا وجَدِيدَهُ ... دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أنْ يُقْتَضَى[٧]

---

(١) ديوان البحترى ٣٢٦ ، ١ / ٩٣ دار المعارف والشهاب ١٩ .
(٢) ديوانه ١ : ١٨٣ ، ١/٥٩٠ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٩ .
(٣) ديوانه ٣٥٨ والشهاب ١٩ وفى أمالى المرتضى « فما جرى » .
(٤) اليرنا : الخضاب .
(٥) فى الديوان « بالمغمر » .
(٦) ديوانه ٢٩٠ ، ١١٩٨/١ وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٢ ، ٢ : ١٣٥ والشهاب ١٩ .
(٧) فى الديوان « وكأنه ألفى » .

أَسْيَانُ أَثْرَى مِنْ جَوًى وصَبَابَةٍ وأَسَافَ مِنْ وَصْفِ الحِسَانِ وأَنْفَضَا[١]

شآه : سَبَقَهُ أَغْيَدُ الشبابِ الناعم ، وغلبه على وُدِّ الحسان .

وأساف الرجل إذا ذهب ما فى يده فافتقر ، وكذلك أنفض[٢].

وقال :

أُخَىَّ : إنَّ الصِّبَا اسْتَمَرَّ بِهِ سَيْرُ اللَّيالِى فأَنْهَجَتْ بُرُدُهْ[٣]

تَصُدُّ عَنِّى الحِسَانُ مُبْعِـدَةً إذْ أَنَا لاَ قُرْبُهُ ولاَ صَدَدُهْ[٤]

شَيْبٌ عَلَى المَفْرِقَيْنِ بَارِضُهُ يَكْثُرُنى أَنْ أُبِينَهُ عَدَدُهْ

تَطْلُبُ عِنْدِى الشَّبَابَ ظَـالِمَةً بُعَيْدَ خَمْسِينَ حِينَ لاَ تَجِدُهْ[٥]

لا عَجَبٌ إنْ مَلِلْتِ خُلَّتَنَـا فَافْتَقَدَ الوَصْلَ مِنْك مُفْتَقِدُهْ

من يَتَطاوَل عَلَى مُطَاوَلَةِ العِيـ ـش تُقَعْقَعْ مِنْ مَلَّةٍ عَمَدُهْ[٦]

أَنْهَجَتْ بُرُدُه : يريد بُرُودَه . و فُعْل لا يجمع على فُعُل .

والبَارِضُ : أول ما يطلع من النبات وهو غَضٌّ . يريد أن أوائل الشيب قد زادت عليه فى الكثرة حتى لا يقدر على عددها بعد أن كان يعد الشعرات البيض فى أول طلوع الشيب .

---

(١) فى الديوان وأمالى المرتضى « من وصل » .

(٢) فى الشهاب « الأسيان والأسوان » : الحزين . ومعنى أساف : ذهب ماله ، وكذلك انفض، وجعلهما البحترى ههنا فى من ذهب من يده وصل الحسان وميلهن إليه » .

(٣) ديوان البحترى ١٥٦ ، ٢ / ٧٣٥ وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٤ والشهاب ٢٠ .

(٤) فى الديوان « عنى الحسناء » وفى م « إذا » .

(٥) فى الديوان « خمسين حيث » .

(٦) فى الديوان « من يتجاوز » .

وقوله : «تَقَعْقَع من مَلَّةِ عَمَدُه» أى عظامه يجىء لها صوت إذا قام أو قعد من الكبر والضعف[١].

وقوله : «مِنْ ملَّة» : أى من تملِّى العيش . يريد طوله ودوامه . ومنه تمليت حبِّيك[٢].

وأخذ قوله[٣] :

تَطْلب عِنْدِى الشبابَ ظَـالمةٌ بُعَيْدَ خَمْسِينَ حِينَ لا تجدُهْ[٤]

[من] قول بَشَّار :

يا مَنْظرًا حَسناً رَأَيْتُـهْ مِنْ وَجْهِ جَارِيةٍ فَدَيْتُهْ
لَمَعَتْ إلىَّ تَسُومُنِى شَرْخَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهْ[٥]

---

(١) قال المرتضى: «ورأيت الآمدى قد أخطأ فى معنى البيت الأخير .. والأمر بخلاف ما توهمه . ومعنى «تقعقع من ملة عمده» أن من تطاول عمره تعجل ترحله وانتقاله عن الدنيا، وكنى عن ذلك بتقعقع العمد ، وهذا مثل معروف للعرب ، يقولون : من يتجمع يتقعقع عمده ؛ يريدون أن التجمع داعى التفرق وأن الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذى يتقعقع منه العمد . والآمدى على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب ، إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه ، وجهل أن معنى بيت البحترى يطابقه فهو أطرف » . ثم نقل كلامه هذا فى الشهاب .

(٢) قال المرتضى : «فأما قوله "من ملة" فإنما أراد به : من ملل ، وملة — فعله — من الملل ، وكيف يكون من تملى العيش ، ولم يسمع فى تمليت "ملة" وهذا خطأ على خطأ» . ثم كرر هذا الكلام وبسطه فى الشهاب كذلك .

(٣) م «ومنه قوله» .

(٤) م «ثم لا تجده» .

(٥) ديوان بشار ٢ : ٢٤ وزهر الآداب ١ : ٤١٩ وفى الأغانى «بعثت إلى» .

# نزول الشيب قبل حينه

قال أبو تمام :

أَبْدَتْ أَسًى أَنْ رَأَتْنِى مُخْلَسَ القُصَبِ وآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْب إلى عَجَبِ(١)
سِتٌّ وعِشْرُونَ تَدْعُونِى فَأَتْبَعُهَا إلى المَشِيبِ فَلَمْ تَظْلِمْ ولَمْ تَحُبِ(٢)
فَلاَ يُؤَرِّقْكِ إيمَاضُ القَتِيرِ بِهِ فإِنَّ ذَاكَ ٱبْتِسَامُ الرَّأْىِ والأَدَبِ(٣)

يقال : رأس مُخْلَسٌ وخَلِيسٌ : إذا اختلط به الشيب .

والقُصَبُ جمع قُصَبَة وهى خصلة الشعر . «وآل ما كان من عجب» بى ومحبة «إلى عجب» أى تعجب من شيبى .

وقال :

شَابَ رَأْسِى . ومَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الْـ رَأْسِ إلاَّ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفُؤَادِ(٤)
وكَذَاكَ القُلُوبُ فى كلِّ بُؤْسٍ ونَعِيمٍ – طَلاَئِعُ الأَجْسَادِ
طَالَ إنْكارِىَ البَيَاضَ وإنْ عُمْـ ـمِرْتُ شيئاً أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ
زَارَنِى شَخْصُه بِطَلْعَةِ ضَيْمٍ عَمَّرتْ مَجْلِسِى مِنَ العُوَّادِ
نَالَ رَأْسِى مِنْ ثُغْرَةِ الهَمِّ لَمَّا لَمْ يَنَلْهُ مِنْ ثُغْرَةِ المِيلاَدِ

---

(١) ديوان أبى تمام ١٥ وشرح التبريزى ١ : ١١٥ وأمالى المرتضى ١ : ٥٩٩ والشهاب ١٠ وسبق ص ١٩٢ .

(٢) م «ولم تجب» وفى شرح التبريزى «يقول : تدعونى إلى المشيب ست وعشرون سنة فأجيبها، ولم تدعنى إلى الشيب فى غير وقته فتكون ظالمة لى جائرة على ، فإنى قاسيت من الدهر ما لو شبت معه فى المهد لم ينكر» . «الحوب : الإثم» .

(٣) البيت فى مجموعة المعانى ١٢٥ وفى م «فلا يروقك» .

(٤) ديوان أبى تمام ٧٥ وشرح التبريزى ١ : ٣٦٠ وأمالى المرتضى ١ : ٦١٢ والشهاب ١١ ومجموعة المعانى ١٢٥ .

فالأبيات الثلاثة الأُولى من فلسفته الحسنة الصحيحة المستقيمة ، ومن مشهور إحسانه . وقد عابه قوم بقوله : « شيب الفؤاد » . وليس عندى بعيب ؛ لأَنه لما كان الجالبَ للشيب القلْبُ المَهْمومُ نسب الشيبَ إليه على الاستعارة . وقد أحسن عندى ، ولم يسِئ[1] .

وقوله : « عَمَّرَتْ مَجْلِسِى مِنَ العُوَّادِ » – معنى لا حقيقة له ؛ لأَنا ما رأينا ، ولا سمعنا أَحدًا جاءه عُوَّاد يَعودُونَه من الشيب ، ولا أَن أَحدًا أَمْرَضَهُ الشيب ، ولا عزَّاه المعزُّون عن الشباب[2].

وقال ابن حازم الباهلى :

أَليْس عَجِيبــاً بِأَنَّ الفتَى ... يُصَابُ بِبَعْضِ الذى فى يَدَيْهِ[3]
فَمِنْ بيْنِ بَاكٍ لَهُ مُوجَعٍ ... وبَيْن مُعــزٍّ مُغِذٍّ إِلَيْهِ
ويَسْلُبُه الشَّيبُ شَرْخَ الشبابِ ... فَلَيْسَ يُعَزِّيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

---

(١) راجع تعليق المرتضى فى الشهاب ١١ .

(٢) قال المرتضى فى أماليه ١ : ٦١٣ : « وهذا من الآمدى قلة نقد للشعر ، وضعف بصيرة بدقيق معانيه التى يغوص عليها حذاق الشعراء ، ولم يرد أبو تمام العيادة الحقيقية التى يغشى فيها العواد مجالس المرضى ذوى الأوجاع ، إنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة إلى الغرض خفية ؛ فكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارنى كثر المتوجعون لى والمتأسفون على شبابى والمتفجعون من مفارقته ، فكأنهم فى مجلسى عواد لى لأن من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع . وكنى بقوله : « عمرت مجلسى من العواد » عن كثرة من تفجع له وتوجع من مشيبه . وهذا من أبى تمام فى نهاية البلاغة والحسن ، وما المعيب إلا من عابه وطعن عليه. » وكلام المرتضى هذا فى نهاية التفاهة والقبح ، وكأنه أحس بسقوط فأعاده فى الشهاب ١٢ ، وزعم أنه كاف شاف ولكن « يمكن فيه وجه آخر ، وهو أن يريد بقوله : « عمرت مجلسى من العواد » الإخبار عن وجوب عيادته واستحقاقه لذلك بما نزل به ، فجعل مايجب أن يكون كائناً – واقعاً . وهذا له نظائر كثيرة فى القرآن وفى كلام العرب وأشعارهم ، قال الله عز جل : « ومن دخله كان آمنا » وإنما المعنى : أنه يجب أن يأمن ، فجعل قوة الوجوب واللزوم كأنه حصول ووقوع ! ! ! وهذا الوجه أشد تفاهة من سابقه وأشنع قبحاً .

ولقد أثبت المرتضى بنقده هذا على أنه أجدر بالوصف الذى وصف به الآمدى : من قلة النقد للشعر وضعف البصيرة بدقائق معانى الشعراء .

(٣) آمالى القالى ١ : ١٠٩ وآمالى المرتضى ١ : ٦٠٨ والشهاب ١١ .

فأَحَبَّ أبوتمام أن يخرج عن عادات بنى آدم ، ويكون أُمَّةً وحْده .

وقوله : «نَالَ رَأْسِى مِنْ ثُغْرَةِ الهَمِّ . . » بيت رَدِىءٌ ، بعيد المعنى . ولكنه يقرب ويتخلص إذا وقع التَّأَنِّى للعبارة عنه ، فأقول : إنَّ الثُّغْرَةَ هى : الفرجة والثلمة تكون فى الشىء ؛ ولذلك سُمِّى كلٌّ بلد جَاوَرَ عَدُوًّا — ثَغْرًا كأن معناه أنه مكشوف للعدو فلذلك قيل : قد سَدَّ الثغر بالرجال . وأصله — والله أعلم — من ثَغْرِ الإنسان ؛ لأنه أَوَّلُ ما يقابلك من أسنانه ، وأَوَّلُ ما يظهر عند الكلام ، وأول ما يسقط . فيرى موضعه مَثْلُوماً ، فَشَبَّهَ الثَّغْرَ الذى هو البَلَدُ به . وقالوا : قد أَثْغَرَ الصّبى واتَّغَر . وسميت تلك الثُّغْرَةُ فُرْجَةً فى موضع السِّنِّ وفى كلِّ موضعٍ منفرج ، ومنه ثُغْرَةُ النَّحْر .

فأراد بقوله : « نال رأسى مِنْ ثُغرَةِ الهَمِّ » . أى وَجَدَ الشيبُ من الهم فرجة دخل على رأسى منها . جاء به على مذهبه فى الاستعارة ، والهم يشيب لا محالة .

وقوله : «لَمَّا لَمْ يَنَلْهُ مِنْ ثُغْرَةِ المِيلَادِ» . يذهب فى ثُغْرَةِ الميلاد إلى الوقت ، الذى يهجم عليه [1] فيه الشيبُ من عمره ؛ لأنه يجد السبيل فى ذلك الوقت إلى الحلول برأسه ، فجعله ثغرة حينئذ ، فيقول : إن المشيب حلَّ برأسه من جهة همومه وأحزانه لَمَّا لَمْ يبلغ السن الذى يُوجِبُ حُلولَه به من جهة كبره [2] .

وكان وجه الكلام أن يقول : من ثُغْرَةِ الكِبَرِ ، أو من ثُغْرَةِ السِّنِّ ، لا من ثُغْرَةِ الميلا [3] .

---

(١) م « يهجم على » .

(٢) من أول شرح الآمدى إلى هنا نقله المرتضى فى أماليه ١ : ٦١٢–٦١٣ من غير إشارة إلى مصدره !

(٣) أما هذه الجملة فقد نقلها المرتضى فى الشهاب ١٢ منسوبة للآمدى لأنه أراد نقدها بقوله : « وهذا منه ليس بصحيح ؛ لأن العبارات الثلاث بمعنى واحد ، ويقوم بعضها مقام بعض ؛ لأن الميلاد عبارة عن السن ، فمن تقدمت سنه تقادم ميلاده ، ومن قربت سنه قصرت قصر وقرب زمن ميلاده » !

وكان يجب أيضاً أن يقول : حَلَّ برأسى ، أَوْ نَزَل[١] ؛ فإن هذه اللفظة هى المستعملة فى مثل هذا دون قوله : «نال» . كأَنَّه يجعل الشيبَ لم يَزَل يَتَرَصَّدُه ، ويَتَطَلَّبُ فُرْصَةً منه ينْتهزها فى الدخول عليه وذلك لبعده – كان – عن الأَفراح والمَسَارِّ [٢] ، وكثرة أَحزانه وهمومه . وليس لِثُغْرَةِ الصَّبِى – وهو إِثْغارُه إذا – سقط. سنه – هاهنا وجه ؛ لأَن الإنسان قد يشيب وهو حديث السن فأَما فى ذلك الوقت فلا .

* * *

وقال :

نَسَجَ المَشِيبُ لَهُ قِنَاعًا مُغْدِفَا ... يَقَقًا فَقَنَّعَ مِذْرَوَيْهِ ونَصَّفَا[٣]

نَظَرُ الزَّمَانِ إليه قَطَّعَ دُونَهُ ... نَظَرَ الشَّفِيقِ تَحَسُّرًا وتَلَهُّفَا

ما اسْوَدَّ حَتَّى ابْيَضَّ كالكَرْمِ الذِى ... لم يَأْنِ حَتَّى جِىءَ كَيْمَا يُقْطَفَا

لَمَّا تفَوَّفَت الخُطُوبُ سَوَادُهَا ... بِبيَاضِها عَبِثَتْ بِهِ فَتَفَوَّفَا

مَا كَانَ يَخْطُرُ قَبْلَ ذَا فى فِكْرَةٍ ... فى البَدْرِ قبل تمامه أَنْ يُكْسَفَا

قوله : نَظَرُ الزَّمانِ إليه » . أَى نَظَرُهُ بالشيب قَطَّعَ دُونَه نَظَرَ الشفيقِ عن أَن ينظر إليه فيتحسَّر عليه ويتلهَّف. وإنما أَراد «قَطَعَ دُونه» خفيفة فثقَّلها ليستوى له الوزن . وقد يجوز أَن يكون أَراد التثقيل ، أَى أَن الشَّفِيقَ الذى كان يُدِيمُ النظر إليه ويُوَاصِلُه إعجابًا به – صَارَ لا يملأُ طرفه لَمَّا شَاب

(١) ونقل المرتضى هذه الجملة وعقب عليها بقوله : «والأمر بخلاف ما ظنه ؛ لأن الجميع واحد ، وما نال رأسه فقد حل به ونزل» !

(٢) م «والمسان» .

(٣) ديوان أبى تمام ٤٠١ والشهاب ٤ وسبق الأول ص ١٩٠ .

تَحَسُّرًا وتَأَسُّفًا ، كلَّما نظر إليه أعرض عنه إعراض آسفٍ عليه ، لا إعْرَاضَ بِغضَةٍ وشَنَاءَةٍ ، فجعل ذلك الإعراض عنه فى أوقاته تَقْطيعًا للنظر إليه .

وقوله : « ما اسودّ حتى ابيضّ » . يريد سرعة مشيبه .

وقوله : « كالكَرْمِ الذى لَمْ يَأْنِ حتَّى جِىءَ كَيْمَا يُقْطفَا »[١] - كلام فى غاية القُبْح والغَثَاثَة والبرد[٢] . كأنّه جعل مَجِىءَ القاطفِ إلى الكرم الذى لم يُدْرِك لِيقْطفَهُ كَحُلُولِ الشيب برأسه قبل أوانه ليفنى عمره .

وقوله : « لَمَّا تَفوَّفَت الخُطُوبُ سَوَادُها بِبياضِها » . أذى لَمَّا اختلفت عليه بالخير والشر فَوَّفَت رأسه أى خلطت سواده ببياض الشيب .

وقوله : « ما كان[٣] يَخْطُر قَبْلَ ذَا فى فِكْرة . . . » بيتٌ لفظه ومعناه فى غاية الاضطراب والسخافة[٤] .

* * *

وقال البحترى :

أَقُولُ لِلِمَّتِى إِذْ أَسْرَعَتْ بِى ... إلى الشَّيبِ اْخسَرِى فيه وخِيبِى[٥]

مُخَالَفَةً بِضَرْبٍ بَعْدَ ضَرْبٍ ... ومَا أنَا وَاْختِلَافَاتُ الضُّرُوبِ[٦]

وَكَانَ جَدِيدُها فيها غَرِيبًا ... فَصَارَ قَدِيمُهَا حَقَّ الغَرِيبِ[٧]

---

(١) م « يقطعا » .

(٢) قال المرتضى فى الشهاب ، « ولعمرى إنه لفظ غير مطبوع ، وفيه أدنى ثقل ، ومثل ذلك يغفر لما لا يزال يتوالى من إحسانه ويترادف من تجويده » !

(٣) م « ما كاد » .

(٤) قال المرتضى « وليس الأمر على ما ظنه ؛ إذ البيت جيد ، وإنما ليس رونق الطبع فيه ظاهراً . وليس ذلك بعيب » !

(٥) ديوان البحترى ٣٨٩ ، ١ / ٩٩ دار المعارف والشهاب ٢٠ .

(٦) م « واحتلاف » .

(٧) فى الديوان « وكان حديثها » .

قوله : وكان جليدها فيها غريباً – من قول أبي تمام :

طَالَ إنكارِىَ البَيَاضَ وإنْ عُمْـ ... ـمِرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ[1]

وبيت أبي تمام أجود .

وقول البحترى : «مُخَالفَةً بِضَرْبٍ بعْدَ ضَرْبِ» – فى غاية الحسن والصحة والبراعة .

* * *

وقال البحترى :

هَلْ أَنْتَ صَارِفُ شَيْبَةٍ إنْ غَلَّسَتْ ... فى الوقت ، أَوْ عَجِلَتْ عَنِ المِيعَادِ[2]

جَاءَتْ مُقَدِّمةً أَمَامَ طَوَالِعٍ ... هَذِى تُرَاوِحُنِى ، وتِلْكَ تُغَادِى

وأَخُو الغَبِينَةِ تَاجِرٌ فى لِمَّةٍ ... يُشْرى جَدِيدَ بَيَاضِها بِسَوَادِ

لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الصِّبا بِمُخَلِّفٍ ... لَهْوًا ، ولا زمن الصبا بِمُعَادِ[3]

وأَرَى الشَّبابَ عَلَى غَضَارَةِ حُسْنِهِ ... وجَمَالِهِ عَدَدًا مِنَ الأَعْدَادِ

قوله : «يشرى» أى يبيع «جديد بياضها بسواد» يريد الخضاب ؛ لأنه قال : «لا تكْذبنَّ فما الصِّبا بمُخلِّفٍ»[4].

---

(١) ديوان أبي تمام ٧٥ وسبق ص ٢١٢ .

(٢) ديوان البحترى ١٦٣ ، ٢ / ٧٣١ دار المعارف وآمالى المرتضى ١ : ٦٢٢ والشهاب ٢٠ .

(٣) م «بمخلف بهوى» وفى الديوان «بمخلف فينا» .

(٤) أسقط المرتضى قول الآمدى : «لأنه قال . . » ثم نقده بقوله : فى الشهاب ٢١ «ووجدت الآمدى قد نزل فى معنى قوله : "يشرى" لأنه قال : معنى يشرى : يبيع ، وأراد أن الغبين من باع جديد بياضه بالسواد ، وأراد بالسواد الخضاب ، فكأنه ذم الخضاب . والأمر بخلاف ما ذكره ، وما جرى للخضاب ذكر ، ولا ههنا موضع الكناية عنه . ومعنى يشرى ههنا : يبتاع ، لأن قولهم : شريت ، يستعمل فى البائع والمبتاع جميعاً . وهذا من الأضداد ، نص أهل اللغة على هذا فى كتبهم . فكأنه شهد بالغبن لمن يبتاع الشيب بالشباب ويتعوض عنه . وإنما ذهب على الآمدى لفظة "يشرى" تقع على الأمرين المضادين فتمحل ذكر الخضاب الذى لا معنى له ههنا» !

وقوله : «عَدَدًا مِنَ الأَعْدَادِ» ، أى عَدَدًا قليلا يسيرًا (١).

وقال :

مَا كَانَ شَوْقِى بِبِدْعٍ يَوْمَ ذَاكَ وَلَا دَمْعِى بِأَوَّلِ دَمْعٍ فى الهَوَى سُفِحَا (٢)
ولِمَّة كُنْتُ مَشْغُوفاً بِجِدَّتِهَا فَمَا عَفَا الشيبُ لى عَنْهَا ، ولاَ صَفَحَا

وهذا من إحسانه المشهور :

ووجدت فى ديوان أبى تمام فى الخضاب ، وهو يشبه كلامه ، وأظنه منحولا (٣) :

فإِنْ يكن المَشِيبُ طَرَا عَلَيْنَا وأَوْدَى بِالبَشَاشَة والشَّبَابِ
فإِنِّى لَسْتُ أَدْفَعُهُ بِشَىءٍ يكُونُ عليه أَثْقَل مِن خِضَابِ
أَراد بأَن ذاك وذا عذاب فينتقم العذاب من العذاب (٤)

* * *

وقال البحترى :

لَوْ رأَت حادِثَ الخِضَابِ لأَنَّتْ وأَرنَّتْ مِن احْمِرَارِ اليرَنَّا (٥)

وقال :

قالت الشيب أَتَى قُلْتُ : أَجَلْ سَبَقَ الوَقْتَ ضِرَارًا وَعَجِلْ (٦)

---

(١) نقلها المرتضى وعقب عليها بقوله : «وقد أصاب فى ذلك إلا أنه ما ذكر شاهده ووجهه» ثم ذهب ليسرد شواهده !

(٢) ديوان البحترى ٥٦ و ١ / ٤٤٠ دار المعارف وآمالى المرتضى ١ : ٦٢٥ والشهاب ٢١ .

(٣) فى الشهاب ١٣ «وله ، وقيل : إنه منحول فى ذكر الخضاب » .

(٤) فى الشهاب «أردت بأن» .

(٥) ديوانه ٣٥٨ وسبق ص ٢٠٩ .

(٦) ديوانه ٣٣١ والشهاب ٢١ ومضى الأول ص ١٩٣ .

وَمَعَ الشَّيبِ عَلَى عِلَّاتِهِ مُهْلَةٌ لِلمَرْءِ حِينًا والغَزَلْ[١]
خَيَّلَتْ أَنَّ التَّصَابِى خَرَقٌ بَعْدَ خَمْسِينَ ، وَمَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ

وقال :

تزيدنى الأَيامُ مَغْبُوطَ عِيشَةٍ فَيَنْقصنِى نَقْصَ اللَّيَالِى مُرُورُها[٢]
وأَلْحقَنِى بالشَّيْبِ فى عُقْرِ دَارِهِ مَنَاقِلُ فى عَرْضِ الشَّبابِ أَسِيرُهَا
مَضَتْ لى سَوَادَ اللَّيْلِ أُوْلَى بَطَالَتِى فَدَعْنِي يُصَاحِبْ وَخْطَ شَيْبِى أَخِيرُها[٣]

يقول : إذا زادتنى الأَيامُ شيئًا من غِبْطَةِ العيشِ اجتمعت مع الليالى على انتقاصه ، أى ارتجاعه . والمَنَاقِل : جمع مَنْقَلَةٍ ، وهى المَرْحَلَةُ من مَرَاحِلِ السفر[٤].

وعَقْر الدار ، وعُقْرها – بالفتح والضم – أَصْلُها .

وهذا من بارع لفظه وفصيحه وبليغه .

* * *

ومن هذا الباب ، ويصلح أَن يُثْبَتَ فى الباب الذى بعده – قولُ آخر :

نَزَلَ المشيبُ بِعَارِضَيْـ ـىَ ، وضِقْتُ ذَرْعًا بالمشيبْ
وبكيتُ إذْ رَحَلَ الشَّبا بُ بكا المُحِبِّ على الحَبِيبْ

---

(١) فى الديوان الشهاب « مهلة للهو » .

(٢) ديوان البحترى ٦٠٤ ، ٢ / ٩٩٨ والشهاب ٢٢ .

(٣) فى الديوان « مضت فى سواد الرأس » وفى الشهاب « فى سواد الشعر » .

(٤) عقب المرتضى على هذا بقوله : « وغير هذا التأويل الذى ذكره أولى منه ، وهو أن يكون المراد أن الأيام إذا زادتنى غبطة فى العيش نقصنى ذلك مرورها . ويريد بقوله : « نقص الليالى » كما تنقص الأيام من الليالى ؛ لأن الأيام تأخذ من الليالى وتنقصها . وهذا التأويل أشبه بالصواب من تأويله » والحق ما ذهب إليه المرتضى .

داءٌ عَيَاءٌ لَيْسَ مِهْ مَا أَشْتَكِيهِ إِلَى الطَّبِيبْ
مَا لِلْمَشِيبِ بَكَيْتُ لَـ كِنْ خَشْيَةَ الأَجَلِ القَرِيبْ

* * *

وما أحسن ما قال عَمْرو بن المُبَارَك الخُزَاعِيّ فى هذا :

مَنْ لِأُذْنِى بِمَلَامٍ وَلِكَفِّى بِمُدَامِ
رَقَّ عَظْمُ الجَهْلِ مِنِّى وَانْحَنَى مَتْنُ عُرَامِى
وَتَمَشَّى السيفُ مِنْ شَيْـ بِى إِلَى شَيْبِى التُّؤَامِ
نَظْمَكَ الدُّرَّ إِلَى الدُّرْ رَةِ فِى سِلْكِ النِّظَامِ

ومما لا شىء أجود منه فى معناه قول الآخر . ولا تَشِينُه شُهْرَتُه :

أَلْقَى عَصَاهُ ، وأَرْخَى مِنْ عِمَامَتِهِ وَقَالَ ، ضَيْفٌ ، فقُلْتُ : الشَّيْبُ قَالَ : أَجَلْ[١]
فَقُلْتُ : أَخْطَأْتَ دَارَ الحَيِّ . قَالَ لَقَدْ تَمَّتْ لَكَ الأَرْبَعُونَ الوَفْرُ ثُمَّ نَزَلْ[٢]
فَمَا شَجِيتُ بِشَىْءٍ مَا شجِيتُ بِهِ كَأَنَّمَا اعْتَمَّ مِنْهُ مَفْرِقِى بِجَبَلْ

* * *

وقد تصرف البحترى فى هذا الباب تصرفًا حسنًا .

ولولا قول أبى تمام : « فلا يُؤَرِّقْكِ إِيمَاضُ القَتِيرِ بِهِ » .

وقوله : « شَاب رأسى » . والبيتان بعده — لفضلت البحترى عليه فى افتنانه ، وبراعة لفظه ، وسلامة معناه . لكنّى أجعلهما متكافئين .

(١) لعلى بن جبلة ، وربما رويت لدعبل ، كما فى الشهاب ٣٢ .
(٢) فى الشهاب « قال ولم مضت لك » .

## البكاءُ على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا

قال أبو تمام :

أَصْبحَتْ رَوْضَةُ الشبابِ هَشِيمَا وغَدَتْ رِيحُهُ البَلِيلُ سَمُومَا[١]

وقال البحترى :

خلَقُ العَيْشِ فى المشيبِ وإنْ كَا نَ نَضِيرًا ، وفى الشباب جَدِيدُهْ[٢]
لَيْتَ أنَّ الأَيَّامَ قَامَ عَلَيْها مَنْ إذَا مَا انْقضَى زَمَانٌ يُعِيدُهْ
ولو أنَّ البَقَاءَ يَخْتَارُ فِينَا كانَ ما تَهْدِمُ اللَّيَالِى تَشِيدُهْ
شَيَّبتْنِى الخطوبُ إلَّا بَقَايَا مِنْ شَباب لَمْ يَبْقَ إلَّا شريدهْ[٣]
لَا تُنَقِّبْ عَنِ الصِّبَا فَخَلِيقٌ إنْ طَلَبْنَاهُ أنْ يَعِزَّ وُجُودُهْ[٤]

وهذا من الحلاوة والحسن على ما تراه .

وقال ، وقد مضت فى باب آخر[٥] :

أَيُدْنِّى الشَّبَابُ أَمْ ما تَوَلَّى مِنْهُ فى الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ
لَا أرَى العَيْشَ والمفَارِقُ بِيضٌ أُسْوَةَ العَيْشِ والمَفَارِقُ سُودُ

ومن جيد هذا الباب قول كُثَيِّر :

وَكَانَ الصِّبَا خِدْنَ الشَّبَابِ فَأَصْبحَا وقَدْ تَرَكَانِى فى مَغَانِيهِمَا وَحْدِى

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٩١ وشرح التبريزى ٣ : ٢٢٣ .

(٢) ديوان البحترى ١٨٨ ، ٨٥٢ « ولو كان » والشهاب ٢٣ .

(٣) م « شيبنى المشيب » وفى الديوان « سيختنى الخطوب » .

(٤) م « إن بللتاه » .

(٥) باب كره النساء للمشيب ص ٢٠٨ .

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَطَائِفُ جِنَّةٍ تـأَوَّبَنِى أَمْ لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ وَجْدِى

• • •

وقال البحترى :

أَوَاخِرُ العَيْشِ أَخْبَارٌ مُكَرَّرَةٌ وأَقْرَبُ العَيْشِ مِنْ لَهْوٍ أَوَائِلُهُ[1]
يَجْرِى الشَّبَابُ إِذَا مَا تَمَّ تَكْمِلَةً والشىءُ يُنْفِدُهُ نَقْصًا تكامُلُهُ[2]
ويُعقبُ المَرْءَ بُرْءًا مِنْ صَبَابَتِهِ تَجَرُّمُ العَامِ يَمْضِى ثُمَّ قَابِلُهُ[3]
إِنْ فَرَّ مِنْ عَنَتِ الأَيَّامِ حَازِمُها فالحَزْمُ فَرُّك مِمَّنْ لا تُقَاتِلُهُ[4]
وإِنْ أَرَابَ صَدِيقِى فى الوِدَاد فَكَمْ أَمْسَيْتُ أَحْذَرُ مَا أَصْبَحْتُ آمُلُهُ

وقال :

أَمَّا الشَّبَاب فَقَدْ فَنِيت بِغَضِّهِ وحَطَطْتَ رَحْلَكَ مُسْرِعًا عَنْ نُقْضِهِ[5]
وأَقَامَ مُشْتَاقٌ ، وأَقْصر عَاذِلٌ أَرْضَاهُ فِيكَ الشَّيْبُ إِذْ لَمْ تُرْضِهِ[6]
شَعَرٌ صَحِبْتُ الدَّهْرَ حتَّى جَازَنِى مُسْوَدُّهُ الأَقْصَى إِلى مُبْيَضِّهِ[7]
فَعَلَى الصِّبَا الآنَ السَّلام وَلَوْعَةٌ تَثْنِى عَلَيْهِ الدَّمْعَ فِى مُرْفَضِّهِ[8]
وَلْيُقْنَ تُفَّاحُ الخُدُودِ فَلَسْتُ مِنْ تَقْبِيلِهِ غَزِلًا وَلَا مِنْ عَضِّهِ[9]

أى فعليه السلام وعليه لَوْعَة .

---

(١) ديوان البحترى ٧٨٩ والشهاب ٢٣ .
(٢) فى الديوان « ينفذ نقصاناً » .
(٣) فى الديوان « يأتى ثم » .
(٤) فى الديوان « أفرك » .
(٥) ديوانه ٢٨٨ ، ١٩٥/٢ دار المعارف والشهاب ٢٣ وفيهما « فقد سبقت » .
(٦) فيهما « وأفاق مشتاق » وفى م « أن لم » .
(٧) فى الديوان « جازنى » .
(٨) م « من مرقضه » .
(٩) وليقن : أى وليحفظ .

وقال :

وِصَالٌ سَقَانِى الخَبْلَ صِرْفًا وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَبْلُغَ ما أَدَّتْ عَقَابِيلُهُ الهَجْرُ[١]

وباقى شبابٍ فى مَشيبٍ مُغَلَّبٌ ... عليه اخْتِتَاءُ اليَوْمِ يَكْثُرُه الشَّهْرُ[٢]

وَلَيْسَ طَلِيقًا مَنْ يَرُوح أَوْغَدَا ... يَسُومُ التَّصَابِى ، والمَشِيبُ لَهُ أَسْرُ

تَطَاوَحَنِى العَصْرَانِ فى رَحَوَيْهِمَا ... يُسَيِّبُنِى عَصْرٌ ، ويَقْلَعُنِى عَصْرُ[٣]

مَتَاعٌ مِنَ الدُّنْيَا اَسْتَبَدَّ بجِدَّتِى ... وأعظمُ جُرْمِ الدَّهْرِ أَنْ يُمْتِعُ الدهر[٤]

قوله : « وِصَالٌ سَقَانِى الخَبْلُ صِرْفًا » . يريد أنه لما جادَه المشيبُ حزن على الوصل ، وأسف أسفاً شديدًا ؛ لأنه ليس يَجدُ له مثل ما كان ، ولأَنَّ محبوبه إن وَاصَلَ [وَاصَلَ] تكلُّفا ، وإن[٥] ذلك لا بقاء له ، وإنه ذاهب حتى إن عقابيله – وهى أواخره وبقاياه – لو كان مكانها الهجر لما بلغ من خَبْلِهِ ما بَلَغت .

وقوله : « مُغَلَّبٌ عَلَيْهِ اخْتِتَاءُ اليَوْمِ » . فالاخْتِتَاءُ : الانْخِزَالُ والتَّهَيُّبُ من الشيء ، والخشوع له . يريد كاخْتِتَاءِ اليوم إذا كاثَرَهُ الشَّهْرُ فَكَثَرَهُ ؛ لأَنَّ يومًا لا يكون كشهر فى المُكاثَرَة والمُفَاخَرة[٦] .

وقال :

تَقَضَّى الصِّبا إِلَّا تَلَوُّمَ رَاحِلِ ... وأَغْنَى المشيبُ عَنْ مَلَامِ العَوَذِلِ[٧]

وتَأْبَى صُرُوفُ الدَّهْرِ سُودًا شُخُوصَهَا ... عَلَى البيضِ أَنْ يَحْظَيْنَ مِنْهُ بِطَائِلِ

---

(١) ديوان البحترى ٢٤٢ ، ٢ / ٨٧٠ دار المعارف والشهاب ٢٣ وفى م « عقابيله الدهر » .

(٢) عبث الوليد ١١٣ .

(٣) فى الديوان والشهاب « ويعلقنى عصر » وفى م « تشينى عصر » .

(٤) فى الديوان « متاع من الدهر » وفيه وفى الشهاب « أى يمنع » .

(٥) م « ولو » .

(٦) راجع الشهاب ٢٤ .

(٧) ديوانه ٦٣٨ والشهاب ٢٤ .

يُحاوِلْنَ عِنْدِى صَبْوَةً وإخالُنِى عَلَى شُغُلٍ مِمَّا يُحاوِلْنَ شاغِلِ
رَمِىٌّ رَزَايَا صَائِبَاتٍ كَأَنَّنِى لِمَا أَشْتَكِى مِنْهَا رَمِىُّ جَنادِلِ

وقال :

فى الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ كَانَ يَنْزَجِرْ وَوَاعِظٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ(١)
ٱبْيَضَّ مَا ٱسْوَدَّ مِنْ فَوْدَيْهِ وٱرْتَجَعَتْ جَلِيَّةُ الصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ السَّحَرُ
ولِلْفَتَى مُهْلَةٌ فى العيشِ وَاسِعَةٌ مَا لَمْ يَمُتْ فى نَوَاحِى رَأْسِهِ الشَّعَرُ(٢)

قوله : « ارتجعت جَلِيَّةُ الصُّبْحِ ما قَدْ أَغْفَلَ السَّحَرُ » – قريب من قوله :

تَزِيدُنى الأَيامُ مَغْبُوطَ عِيشَةٍ فتنقصُنِى نَقْصَ اللَّيَالِى مُرُورُها(٣)

وقال :

أَيَا صَاحِبِى إِمَّا أَرَدْتَ صحابَتِى فَكُنْ مُقصِرًا ، أَوْ مُغْرَمًا مِثْلَ مُقْصِرِ(٤)
فَإِنِّىَ إِنْ أُزْمِعْ غُدُوًّا لِطِيَّتِى أُغَلِّسْ ، وإِن أُجْمِعْ رَوَاحًا أُهَجِّرِ
وَمَا يَقْرُبُ الطَّيْفُ المُلِمُّ رَكَائِبِى ولا يَعْتَرِينِى الشَّوْقُ مِنْ حَيْثُ يَعْتَرِى
سُقِينَا جَنَى السُّلْوَانِ أَمْ شَغَلَ الهَوَى عَلَيْنَا بَنُو العِشْرِينَ مِنْ كُلِّ مَعْشَرِ

وما قِيلَ فى هذا الباب كقول ابن حَازِم(٥) البَاهِلِىّ ، ومنصور النَّمَرِى .

---

(١) ديوان البحترى ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٣ دار المعارف والشهاب ٢٤ وفيهما « وبالغ منه » . وسبق ص ١٩٤ .

(٢) فى الديوان « مهلة فى الحب » .

(٣) سبق ص ٢١٩ وقد قال المرتضى بعد ذلك « إن الأمر بخلاف ما ظنه ، ولا نسبة بين الموضعين لأن أحد البيتين تضمن أن الذى يزيده هو الذى ينقصه . والبيت الآخر تضمن أن الصبح ارتجع بوضوحه وجليته ما أغفله السحر وتركه من السواد الرقيق اليسير . فالمرتجع غير المعطى ههنا » .

(٤) ديوانه ٢١٥ . ، ٢ / ١٠٦١ .

(٥) م « ابن الحازم » .

قال ابن حَازِم :

عَهْدَ الشَّبَابِ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لى حَزَنًا ... مَا جَدَّ ذِكْرُكَ إِلَّا جَدَّ لِى ثُكْلُ (١)
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيا بِأَجْمَعِها ... مِنَ الشَّبَابِ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ بَدَلُ (٢)
يَكْفِيكَ بالشَّيب ذَنْباً عند غَانِيَةٍ ... وبالشَّبابِ شفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ (٣)

وقال منصور :

مَا تَنْقَضِى حَسْرَةٌ مِنِّى ولَا جَزَعُ ... إذا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ (٤)
بَانَ الشَّبَابُ وفَاتَتْنِى بِشِرَّتِهِ ... صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامٍ لَهَا خُدَعُ
مَا كِدْتُ أُوفِى شَبَابِى كُنْهَ غُرَّتِهِ ... حتى انْقَضَى فإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ

وأنشد إسحق الموصلى :

لَعَمْرِى لئِنْ حُلِّئْتُ عَنْ مَنْهَلِ الصِّبَا ... لَقَدْ كُنْتُ وَرَّادًا لِمَشْرَبِهِ العَذْبِ (٥)
ليالىَ أَمْشِى بَيْنَ بُرْدَىَّ لَاهِيًا ... أَمِيسُ كَغُصْنِ البَانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ
سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ القِلَاصِ مَعَ الرَّكْبِ ... وَوَصْلِ الغَوانِى والمُدَامَةِ والشَّرْبِ (٦)
سلامُ امْرِئٍ لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ ... سِوَى نَظَرِ العَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ القَلْبِ

---

(١) الأغانى ١٢ : ١٩ وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٦ .

(٢) حماسة ابن الشجرى ٢٣٩ .

(٣) فى الزهرة ٣٣٨ « كفاك بالشيب » .

(٤) الأغانى ١٢ : ١٥٩ وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٦ والزهرة ٣٤٣ وفى م « إذا رأيت شباباً » .

(٥) الشعر لإسحاق فى الكامل ٢ : ٦٦٥ ومعجم الأدباء ٦ : ٦٢ وأمالى ابن الشجرى ١٨٤ وهو غير منسوب فى البيان والتبيين ٣ : ٢٤٣ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٤٨ وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٦ ومعنى حلئت : منعت .

(٦) الشرب : جمع شارب .

## الاعتذار من الشيب

قال البحترى :

رُبَّ عَيْشٍ لَنَا بِرَامَةَ رَطْبٍ ولَيَالٍ فيها طِوَالٍ قِصَارِ[١]
قَبْلَ أَنْ يُقْبِلَ المَشِيبُ وَتَبْدُو هَفَوَاتُ الشَّبَابِ فى إِدْبَارِ[٢]
كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ولَكِنْ أَعْوَزَ العُذْرُ مِنْ بَيَاضِ العِذَارِ
كَانَ حُلْوًا هَذَا الهَوَى وأَرَاهُ صَارَ مُرًّا . والسُّكْرُ قَبْلَ الخُمَارِ[٣]

قوله : « كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْب » مقبول ونافع ناجع سوى العذر من الشيب . أو كل عُذْرٍ من كلِّ ذنب موجودٌ ممكن ، غير العذر من الشيب ، فإنه غير موجود[٤]. وهذا أَليق وأَشبه .

وقال :

وحُمِّلْتُ عِنْدَكِ ذَنْبَ المَشِيـ ـبِ حتَّى كأَنِّى آبْتَدَعْتُ المَشِيبَا[٥]

---

( ١ ) ديوان البحترى ٤٤٥ ، ٢ / ٩٨٦ دار المعارف والشهاب ٢٥ والزهرة ٢٣٨ — ٢٣٩ .
( ٢ ) فى الديوان « المشيب وتغدو » .
( ٣ ) فى الديوان « عاد مرا » .
( ٤ ) الشهاب ٢٥ .
( ٥ ) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف .

## مدح الشيب والتعزى عنه

قال البحترى :

عَيَّرَتْنِى المشيبَ وَهْىَ بدَتْهُ فى عِذَارِى بالصَّدِّ والإِجْتِنَابِ [١]
لا تَرَيْهِ عَارًا فَمَا هُوَ بالشَّيْـ ـبِ ولَكِنَّهُ جِلاءُ الشَّبَابِ
وَبَيَاضُ البَازِىِّ أَصْدقُ حُسْنًا لَوْ تَأَمَّلْتِ مِنْ سَوَادِ الغُرَابِ [٢]

قوله « بَدَتْهُ » . أراد بدأته فترك الهمز . يقال : بدأت بالأمر ، وأبدأته .

وقوله : « ولكنّهُ جِلاءُ الشَّبَاب » – من معانيه التى تستحسن .

* * *

وقال أبو تمام :

أَبْدَتْ أَسًى إِذْ رَأَتْنِى مُخْلَسَ القُصَبِ وعادَ ما كَانَ مِنْ عُجْبٍ إلى عَجَبِ [٣]
ستٌّ وعشْرُونَ تَدْعُونِى وأَتْبَعُها إلى المَشِيبِ ولَمْ تَظْلِمْ ولَمْ تَحُبِ [٤]
فلا يُؤَرِّقْكِ إِيمَاضُ القَتِيرِ بِهِ فإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْىِ والأَدَبِ

وقد مرت فى باب « [نزول] الشيب قبل حينه »[٥] .

---

(١) ديوان البحترى ٥٦٣ ، ١ / ٨٤ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ / ٦٠٠ والشهاب ٢٥ وفى م « وهى جنته » .

(٢) فى الديوان وأمالى المرتضى « إن تأملت » .

(٣) ديوان أبى تمام ١٥ وشرح التبريزى ١ / ١١٥ وأمالى المرتضى ١ / ٥٩٩ والشهاب ٠ / ١ وعيون الأخبار ٤ / ٥٣ .

(٤) م « فلا يروقك » .

(٥) راجع ص ٢١٢ .

وقوله : « فإنَّ ذاكَ ابْتِسَامُ الرَّأى والأَدَبِ » - أحسن من قول البحترى : «جِلاءُ الشَّبَاب» ، وأجود وأبرع وأصح معنى .

* * *

وقال البحترى :

هَا هُوَ الشَّيْبُ لَائِمًا فَأَفِيقِى وَاتْرُكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقِ[1]
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمُعَنَّى وَتَلَافَى مِن اشْتِيَاقِ الْمَشُوقِ
عَذَلَتْنَا فى عِشْقِهَا أُمُّ عَمْرٍو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالعَاذِلِ المَعْشُوق
ورَأَتْ لِمَّةً أَلَمَّ بها الشَّيْـ ـبُ فَرِيعَتْ مِنْ ظُلْمَةٍ فِى شُرُوق
ولَعَمْرِى لَوْلَا الأَقَاصِى لأَبْصَرْ تِ أَنِيقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أَنِيقِ[2]
وَسَوَادُ العُيونِ لَوْ لَمْ يُكَمَّلْ بِبيَاضٍ مَا كَانَ بالمَرْمُوقِ[3]
ومِزاجُ الصَّهْبَاءِ بالماءِ أَمْلَى بِصَبوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وغَبُوق
أَىُّ لَيْل يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ أَوْ سَحَابٍ يَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ

هذا إنما يُخْرِجُه الشاعرُ وأشباهه مخرج النَّادرة فَيُسْتَحْسَن .

وأخذ قوله : « أىُّ ليل يَبْهَى بغيرِ نُجُوم » من قول الآخر :

أَشِيبُ وَلَمْ أَقْضِ الشبابَ حُقُوقَهُ وَلَمْ يَمْضِ من عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمُ[4]

---

( ١ ) ديوان البحترى ٤٣٥ ، ١٤٨٥ وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٠ والشهاب ٢٥ وحماسة ابن الشجرى ٢٤٣ .

( ٢ ) م « غير الأنيق » .

( ٣ ) فى الديوان « لو لم يحسن » .

( ٤ ) البيتان من غير نسبة فى حماسة ابن الشجرى ٢٤٤ ومجموعة المعانى ٢٥ وللفرزدق ، كما فى عيون الأخبار ٤ : ٥٢ ونقله المرتضى فى أماليه ١ : ٦٠٦ هذا وقد قال المرتضى عقب نقله لكلام الآمدى فى الشهاب ٢٦ : « وقد قلنا إنه لا ينبغى أن يقال أخذ فلان كذا من فلان ، وإنما يقال فى البيتين : إنهما يتشابهان ويتشاكلان وإن هذا نظير ذاك ولا يزاد على هذا » .

تَفَارِيقُ شَيْبٍ فى السَّوَادِ لَوَامِعٌ ... وَمَا خَيْرُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نُجُومُ[١]

وقال آخر فى مدح الشيب :

لَا يَرُعْكِ المَشِيبُ يا ٱبْنَةَ عَبْدِ الـــلّهِ فالشَّيْبُ حِلْيَةٌ وَوَقَارُ[٢]

إِنَّما تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ... ضَحِكَتْ فِى خِلَالِهَا الأَنْوَارُ

* * *

وما أحسن ما قال امرؤُ القَيْس ، وأَجوده وأَصحَّه فى التعزى عن المشيب :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلمَرْءِ قِنْوَةً ... وبَعْدَ المشيب طُوْلَ عُمْرٍ وَمَلْبَسا[٣]

وقال آخر . ومن هذا أَخَذَ هُوَ وغَيْرُه :

والشَّيْبُ إِنْ يَحْلُلْ فإِنْ وَرَاءَهُ ... عُمْرًا يكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفَّسُ[٤]

---

(١) قال المرتضى بعد كلامه السابق . ويشبه قول البحترى : « ولعمرى . . قول الشاعر : لا يرعك . . » دون أن يشير إلى نقله من الآمدى .

(٢) البيتان لعلى بن الجهم ، كما فى حماسة ابن الشجرى ٢٤٤ وهما من غير نسبة فى أمالى القالى ١ : ١١٢ « جلة ووقار » ونقلهما المرتضى فى أماليه ١ : ٦٠٢ والشهاب ٢٦ وأحسن ما سمعت ١٢٤ .

(٣) ديوان امرئ القيس ١٠٨ .

(٤) البيت لغيلان بن سلمة ، كما فى عيون الأخبار ٤ : ٥٢ ولشاعر ثقيف فى الجاهلية ، كما قال عبد الملك بن مروان ، كما فى خبر رواه أبو الفرج الأصفهانى ١١ : ١٠٢ وغير منسوب فى أمالى القالى ١ : ١١٢ وأمالى المرتضى ١ : ٥٩٦ والشهاب ٨٥ .

## ذكر الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال

قال أبو تمام (١) :

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وقال البحترى :

فإنْ ستٌّ وسِتُّونَ ٱسْتَقَلَّتْ ... فَلَا كَرَّتْ بطَلْعَتِهَا الخُطُوبُ (٢)

لَقَدْ سَرَّ الأَعادِى فِىَّ أَنِّى ... برَأْسِ العَيْنِ مَحْزُونٌ كَئِيبُ

وأَنِّى اليومَ عَنْ وَطَنِى شَرِيدٌ ... وشُبَّتْ دُونَ بُغْيَتِى الحُرُوبُ (٣)

عَلَى حِينَ ٱسْتَتَمَّ الوَهْنُ عَظْمِى ... وأَعْطى فِىَّ مَا ٱحْتَكَمَ المَشِيبُ

وقَدْ يَرِدُ المَنَاهِلَ من يُحَلَّا ... عَلَى ظَمَإٍ ، ويَغْنَمُ مَنْ يخيبُ

وأَيْسَرُ فَائِت خَلَفًا سَرِيعًا ... رِقَابُ المَال يُرْزَؤُها الكَسُوبُ

فَمَنْ ذَا يَسْأَلُ البَجلِىَّ عَمَّا ... يَذُمُّ مِنَ ٱخْتِيارِى أَوْ يُعِيبُ

يُعَنِّفُنِى عَلَى بَغَتَاتِ عَزْمِى ... وكُنْتُ ولا يُعَنِّفُنِى الأَرِيبُ

وقَدْ أَكْدَى الصَّوَابُ عَلَىَّ حَتَّى ... وَدِدْتُ بأَنَّ شَانِئِىَ المُصِيبُ

لَعَلَّ [أَخَاكَ] يَرْقُبُ أَنْ تُطَاطِى ... لَهُ مِنِّى النَّوَائِبُ إِذْ تَنُوبُ (٤)

فَأَيْنَ النَّفْسُ ذَاتُ العَزْمِ عَمَّا ... تَسَكَّعَ فيهِ والصَّدْرُ الرَّحِيبُ (٥)

---

(١) بياض بالأصل .

(٢) ديوان البحترى ٤٨٤ ، ١ / ٢٥٨ دار المعارف والأربعة الأول فى الشهاب ٢٦ .

(٣) هذا البيت ملفق ، فعجز صدره : « بلا جرم ومن مالى حريب » وصدر عجزه « تعاظمت الحوادث حول حظى » .

(٤) الزيادة من الديوان .

(٥) فى الديوان « ذات الفضل » .

وقال :

سَيُثْلِجُ صَدْرى اليَأْسَ، واليَأْسُ مَنْهلٌ ... مَتى تَغْتَرِفْ مِنْهُ الجَوَانِحُ تَثْلَجِ[١]

قَنِعْتُ عَلَى كُرْهٍ ، وطَأْطَأْتُ نَاظِرِى ... إِلَى رَنْقٍ مَطْرُوقٍ مِنَ العَيْشِ حَشْرَجِ

ولَجْلَجْتُ فى قَوْلِى وكنتُ مَتَى أَقُلْ ... بمَسْمَعَةٍ فى مَجْمَعٍ لا أُلَجْلِجُ

يَظُنُّ العِدَى أَنِّى فَنِيتُ وإِنَّمَا ... هى السِّنُّ فى بُرْدٍ مِنَ الشَّيْبِ مُنْهَجِ

نَضَوْتُ الصِّبَا نَضْوَ الرِّدَاءِ وسَاءَنِى ... مُضِيُّ أَخِى أُنْسٍ مَتَى يَمْضِ لا يَجِى

مَضَى جَعْفَرٌ والفَتْحُ بَيْنَ مَرَمَّلٍ ... وبَيْن ضَجيعٍ بالدِّمَاءِ مُضَرَّجِ

أَأَطْلُبُ أَنْصَارًا على الدهر بَعْدَمَا ... ثَوَى مِنْهُمَا فى التُّرْب أَوْسِى وخَزْرَجِى

أُولئكَ سَادَاتِى الذين برَأْيِهمْ ... حَلَبْتُ أَفَاوِيقَ الرَّبِيعِ المُثَجَّجِ

مَضَوْا أَمَمًا قَصْدًا وخُلِّفْتُ بَعْدَهُمْ ... أُخَاطِبُ بالتَّأْمِيرِ والىَ مَنْبج

وهذا من إحسانه المشهور .

وقال :

ومُعَيِّرِى بالدَّهْر يَعْلَمُ فى غَدٍ ... أَنَّ الحَصَادَ وَرَاءَ كُلِّ نَبَاتِ[٢]

أَبَنَىَّ إِنِّى قَدْ نَضَوتُ بَطَالَتِى ... فَتَحَسَّرَتْ ، وصَحَوْتُ مِنْ سَكَرَاتِى

نَظَرَتْ إِلَىَّ الأَرْبَعُونَ فَأَصْرَخَتْ ... شَيْبِى ، وهَزَّتْ لِلْحُنُوِّ قَنَاتِى

وأَرَى لِدَاتِ أَبِى تَتَابَعَ كُثْرُهُمْ ... فَمَضَوْا ، وكَرَّ الدَّهْرُ نَحْوَ لِدَاتِى

ومِنَ الأَقَارِب مَنْ يُسرُّ بمِيتَتِى ... سَفَهًا وعِزٌّ حَيَاتِهِمْ بِحَيَاتِى

---

(١) ديوان البحترى ٦٤٥ ، ٤١٧/١ دار المعارف . والأبيات الأربعة التى تليه فى الشهاب ٢٦ .

(٢) ديوانه ٤٥٥ ، ١ / ٣٦٤ والشهاب ٢٦ .

وقال :

عَقَلْتُ فَوَدَّعْتُ التَّصَابِى وإِنَّمَا تَصَرُّمُ لَهْوِ المَرْءِ أَنْ يَكْمُلَ العَقْلُ(١)

أَرَى الحِلْمَ بُؤْسى فى المَعِيشَةِ لِلْفَتَى ولا عَيْشَ إلَّا مَا جَبَاكَ بِهِ الجَهْلُ

وهذا إحسان البحترى الذى لا يفى ببراعةِ مَعْنَاهُ شىء .

(١) ديوان البحترى ٦٠ .

# باب

## فى ذكر الزمان ، وذكر ظلمه واعوجاجه ، وتعذر الرزق على ذوى الحزم والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز ، وفى التعزى والصبر والقناعة ، وما قالاه فى ضد ذلك من بعد الهمة ، والنهوض فى طلب الرزق ، والسير على الإبل ، وقطع الفيافى ، وفى مواعظ وآداب .

وأفتتح هذا الباب بأبيات الابتداآت فى نحو هذه المعانى .

ولا أعرف لأبى تمام فى شىء من هذا [شعرًا] .

وجدت للبحترى فى ذم الزمان هذه الأبيات :

لَا الدَّهْرُ مُسْتَنْفَدٌ وَلَا عَجَبُهْ    تَسُومُنَا الخَسْفَ كُلَّهُ نُوَبُهْ(١)

* * *

[وقال](٢) :

مَنْ قَائِلٌ لِلزَّمَان مَا أَرَبُهْ    فى خُلُقٍ مِنْهُ قَدْ خَلا عَجَبُهْ(٣)

وقال :

مَعَ الدَّهْرِ ظُلْمٌ لَيْسَ يُقْطَعُ دَائِبُهْ    وحُكْمٌ أَبَتْ إلَّا اعْوجَاجًا جَوَانِبُهْ(٤)

* * *

(١) ديوان البحترى ٢٠٥ ، ١ / ٢٠٧ دار المعارف .

(٢) زيادة لازمة .

(٣) ديوانه ١٩٧ ، ١ / ٢٧٧ .

(٤) ديوانه ١٥٨٨ / ٢١٩ « يقلع راتبه » .

[ وقال ] (١) :

إِسَاءَةُ دَهْرٍ بَرَّحَتْ بى نَوَائِبُهْ     وخَطْبُ زَمَانٍ بالكَلَامِ أُخاطِبُهْ (٢)

وقال :

تَخَلَّ مِنَ الأَطْمَاعِ إِمَّا تَخلَّتِ     وَوَلِّ صُرُوفَ الدَّهْرِ مَا قَدْ تَوَلَّتِ (٣)

وقال :

اعْجَبْ لِظُلْمِ زَمَانِنَا المُتَوَاتِرِ     ولأَوَّلٍ مِمَّا يُرِيكَ وآخِرِ (٤)

وقال :

نَوَازِلُ دَهْرٍ أَيُّهُنَّ أُنَازِلُ     بِعَزْمِى أَمْ مِنْ أَيِّهِنَّ أُوائِلُ (٥)

وقال :

لَيْسَ الزَّمَانُ بِمُعْتِبٍ فَزَرِينِى     أَلْقَى تجَهُّمَ خَطْبِهِ بجَبِينِى (٦)

وقال :

نَسْعَى وأَيْسَر هَذَا السَّعْى يَكْفِينَا     لَوْلَا تَكَلُّفنَا مَا لَيْسَ يَغْنِينَا

وقال :

صُنْتُ نَفْسِى عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِى     وتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدا كُلِّ جِبْسِ (٧)

وقال فى النهوض لطلب الرزق :

أُشَرِّقُ أَمْ أُغَرِّبُ يَا سَعِيدُ     وأَنْقصُ مِنْ زَمَاعِى أَمْ أَزِيدُ (٨)

---

(١) زيادة لازمة كذلك .

(٢) ديوانه ٦٦٠ ، ١ / ٢٨٥ .

(٣) ديوان البحترى ٧٨٣ ١ / ٣٦٧ .

(٤) ديوانه ٦٦١ « نوائب دهر . . أو من » .

(٥) ديوانه ٢١١ « الزمان بمعتبى . . أرمى » .

(٦) ديوانه ١٦٧ ، ٢ / ١١٥٢ .

(٧) ديوانه ٤١٤ ، ١ / ٥٨٠ .

(٨) ديوانه ٢ / ٩٤٥ دار المعارف .

## ماقالاه من هذه المعانى فى وسط الكلام

## فى ذم الزمان ومجاهدته والصبر على نُوَبِهِ

قال أبو تمام :

أُسِيءُ عَلَى دَهْرِى الثَّنَاءَ فَقَدْ قَضَى ... عَلَىَّ بِجَوْرٍ صَرْفُهُ المُتَتَابِعُ(١)
أَيَرْضَخُنَا رَضْخَ النَّوَى وهو مُصْمَتٌ ... وَيَأْكُلُنَا أَكْلَ الدَّبَا وهو جائِعُ(٢)
وإنِّى إذَا أَلْقَى برَبْعِيَ رَحْلَهُ ... لأَزْعَره فِى سِرْبِهِ وهو رَاتِعُ(٣)
أخو مَنْزِلِ الهَمِّ الذى لَوْ بغَى القِرَى ... لَدَى حَاتِمٍ لَمْ يَقْرِهِ وهو طَائِعُ(٤)
إذَا شَرَعَتْ فيه اللَّيَالِى بنَكْبَةٍ ... تَمَزَّقْنَ عَنْهُ وهو فى الصَّبْرِ دَارِعُ(٥)
[لَهُ هِمَمٌ ما إنْ تَزالُ سُيُوفُها ... قَوَاطِعَ لَوْ كَانَتْ لَهُن مَقَاطِعُ]

قد روى : « ويأْكلنا أَكل الدَّبَا وهو جائع » وهو عندى أشبه وأصح إن شاء الله ؛ و «يأْكلنا أكل الرِّبَا » لأَن الرِّبَا يأْكل النِّعم ، ويَمْحَقُ المال .

وقوله : «لو كَانَتْ لَهُنَّ مَقَاطِعُ » : أَى شىءٌ يقطعه.

---

(١) ديوان أبى تمام ٤٧٨ « الدهر » .
(٢) الدبا : أصغر ما يكون من الجراد والنمل ، كما فى اللسان ١٨ : ٢٧٢ .
(٣) فى الديوان « عن سربه » .
(٤) فى الديوان « أخو منزل » .
(٥) فى الديوان « وهو بالصبر شارع » .

وقال :

لَقَدْ سَاسَنَا هَذَا الزَّمَانُ سِيَاسَةً  سُدًى لَمْ يَسُسْهَا قَطُّ عَبْدٌ مُجَدَّعُ[١]
تَرُوحُ عَلَيْنَا كلَّ يَوْمٍ وَتَغْتَدِي  خُطُوبٌ كأَنَّ الدَّهرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ
حَلَتْ نُطَفٌ مِنْهَا لِنِكْسٍ، وذُو الحِجَا  يُدافُ له سُمٌّ مِنَ العَيْشِ مُنْقَعُ

قد عاب الناس عليه قوله : « كأَنَّ الدهرَ منهن يُصْرَعُ » وهو — لعمرى — قبيح .

وقال :

كَمْ فَتًى ذَلَّ لِلزَّمَانِ وَقَدْ  أَلْقَى مَقَالِيدَهُ إليه القَبِيضُ[٢]
لَوْذَعِيٌّ يُهَلِّلُ المَشْرَفِيُّ الـ  ـعَضْبُ عَنْهُ والزَّاعِبِيُّ النَّحِيضُ[٣]
أَتْأَرَتْنِي الأَيَّامُ بالنَّظَرِ الشَّزْ  رِ وكَانَتْ وطَرْفُهَا لِي غَضِيضُ
كَيْفَ يُمْسِي برأْسِ عَلْيَاءَ مُمْسٍ  وجَنَاحُ السُّمُوِّ مِنْهُ مَهِيضُ[٤]
هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ ، وَجَدٌّ  آلِفٌ للحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ

قوله : « أَتْأَرَتْنِي الأَيَّامُ » . أى أَدامت نظرها إلىَّ ؛ يقال : أَتْأَرْتُ إليه النظر : إذا أَحددته .

والقبيض : اسم لِجِلَّةِ[٥] الخَلْق » . واللَّوْذَعِيّ الحَدِيدُ الفؤاد .

---

(١) ديوان أبى تمام ١٩٠ وشرح التبريزى ٢ : ٣٢٤ وفى م « لو ساسنا » سدى : مرسلة مهملة ؛ لأنه حرم المستحق وأعطى غير المستحق ، إلى غير ذلك مما تقتضى السياسة غيره . ومجدع : جدع أنفه وأذناه . كما فى شرح التبريزى .

(٢) ديوانه ١٧١ وشرح التبريزى ٢ : ٢٨٩ .

(٣) م « والزاغبى » .

(٤) فى الديوان « علياء مضحى » .

(٥) م « الجهلة » .

والمَشْرَفِيّ : السيف منسوب إلى المشارف ، قرى تعمل فيها السيوف .

والنَّحِيضُ : الذى قد ذهب نَحْضُه أى[١] لحمه ، وإنما يعنى سنان الرمح أنه قد دُقِّق وحُدِّد .

والزَّاعِبِيّ : الرمح . قيل : هو منسوب إلى رجل كان يُقَوِّم الرماح يقال له زَاعِب ، وقال قوم زاعب : موضع لا تعرف حقيقته . ويقال : التَّزعُّبُ : السرعة والنشاط. فيجوز أن يكون قيل زاعبي لحركته وتثنيه .

* * *

وقال البحترى :

وَمَا جَزَعُ الجَزُوعِ مِنَ اللَّيَالِي ... بمُحْرِزِهِ ولا جَلَدُ الجَلِيدِ[٢]
جَحَدْنا سُهْمَةَ الحَدَثَان فِينَا ... لَو اَنَّ الحقَّ يَبْطُلُ بالجُحُودِ[٣]
فَيَا وَيْحَ الحَوادث كَيْفَ تُعْطِى ... شَقِيَّ القَوْمِ مِنْ حَظِّ السَّعِيدِ[٤]
وكيفَ تَجُورُ إنْ حَكَمَتْ بحُكْمٍ ... فَتَحْمِلُ لِلْغَوِيِّ عَلَى الرَّشِيدِ[٥]
وَمَا بَرِحَتْ صُروفُ الدَّهْرِ حتَّى ... أَرَتْنَا الأُسْدَ قَتْلَى لِلْقُرُودِ

وهذا مما لا مزيد على حسنه وجودته لفظًا ومعنى .

وقال :

يَغْتَرّ بالدَّهْر ذُو الإِضَاعَةِ وَالـــدَّهْرُ عَدُوٌّ مَطْلُوبَةٌ إِحَنُهْ[٦]

---

(١) م « إلى لحمه » .

(٢) ديوان البحترى ٧٩٤ ، ١ / ٥١٨ دار المعارف .

(٣) وبعده :

ونــنكر أن تطرقنا المنــايا ... كأنــا قد خلقنا للخلود

(٤) م « فيا ربح » .

(٥) فى الديوان « إن همت بحكم » .

(٦) ديوانه ٣٣٤ .

فى زَمَنٍ رَنَّقَتْ حَوَادِثُهُ أَشْبَهُ شىء بحَادِثٍ زَمَنُهْ
رَضِيتُ مِنْ سَيِّئِ الزَّمَان بأَنْ يَعْشُرهُ غيرُ زائدٍ حَسَنُهْ

رنّقت حوادثه : دَنَتْ ورَفْرَفَتْ كما يُرنِّق النّسر .

وهذا أيضاً حسن .

وقال :

أَرَانَا عُنَاةً فى يَدِ الدَّهْرِ نَشْتَكِى تَـأَكُّدَ عَقْدٍ مِنْ عُرَاهُ وَثِيق[1]
ولَيْسَ طَلِيقُ اليوم إنْ رَجَعَتْ لَهُ صروف الليالى فى غَدٍ بطَلِيقِ[2]
تَفَاوَتَتِ الأَيَّامُ فِينَا فَأَفْرَطَتْ بِظَمْآنَ بَاد لَوْحُهُ وغَرِيق
وكُنْتُ إذا مَا الحَادِثَاتُ أَصَبْنَنِى بهَايِضَةٍ صُمِّ العِظَام دَقُوق —
شَمَخْتُ فَلَمْ أَبْدِ اخْتِشاعًا لِشَامِتٍ ولَمْ أَبْتَعِثْ شَكْوَى لِغَيْرِ شَقِيقِ[3]
أَرَى كُلَّ مُؤْذٍ عَاجِزًا عَن أَذِيَّتِى إِذَا هُوَ لَمْ يَنْصُرْ عَلَىَّ بِمُوقِ

فقد ترى هذه الفصاحة والبلاغة ، والألفاظ الحلوة المتمكنة ، والمعانى القريبة العجيبة .

وأجود من قوله : «وكُنْتُ إذا ما الحَادِثَاتُ أَصَبْنَنِى. . . » والبيت بعده قَوْل العكَوَّك[4] :

أَلَا ربَّ هَمٍّ يُمْنَعُ النَّوْمُ دُونَهُ أَقَامَ كقَبْضِ الرَّاحَتَيْنِ عَلَى الجَمْرِ[5]

---

(١) ديوان البحترى ٥٢٣ ، ١٥٣٠ .

(٢) فى الديوان « طليق القوم من رجعت » .

(٣) م فى الديوان « فلم أبد اختتاء » .

(٤) م « عكوك » .

(٥) م « كفيض » .

بَسطْتُ له وَجْهى لأَكْبِتْ حَاسدًا ... وأَبْدَيْتُ عَنْ نَابٍ ضَحُوكٍ وعَنْ ثَغْر
وشَوْقٍ كأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ فى الحَشا ... مَلَكْتُ عليه طاعةَ الدَّمْعِ أَن يَجْرى

* * *

وقال البحترى :

أَطِلْ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وتَهْوِينَ شَأْنِهَا ... فَمَا العَاقِلُ المَغْرُورُ فيها بعَاقِلِ (١)
يُرَجِّى الخُلُودَ مَعْشَرٌ ضَلَّ رَأْيُهُمْ ... ودُونَ الذى يَرْجُونَ غَولُ الغَوائِلِ
ولَيْسَ الأَمَانِى فى البَقَاءِ وإنْ مَضَتْ ... بها عَادَةٌ إلا أَحادِيثُ بَاطِلِ
إذا مَا حَرِيزُ القومِ بَاتَ وَمَالَهُ ... مِنَ اللهِ وَاقٍ فَهوَ بَادِى المُقاتِلِ
وَمَا المُفْلِتُونَ أَجْمَلَ الدَّهْرُ فِيهِمِ ... بأَكْثَرَ مِنْ أَعْدَادِ مَنْ فى الحَبائِلِ
يُسَارُ بنَا قَصْدَ المَنُونِ وإنَّنَا ... لَنَشْعَفُ أَحْيانًا بطَىِّ المَرَاحِلِ
عِجَالًا عَنِ الدُّنْيَا بأَسْرَعِ سَعْيِنَا ... إلَى آجلٍ منها شَبِيهٍ بعَاجلِ (٢)
أَوَاخِرُ مِنْ عَيْشٍ إذَا مَا امْتَحَنْتَهَا ... تَأَمَّلْتَ أَمْثَالًا لَهَا فى الأَوَائِلِ
وَمَا عَامُكَ المَاضِى وإنْ أَفْرَطتْ بهِ ... عَجَائِبُهُ إلَّا أَخُو عَامٍ قَابِلِ
غَفلْنَا عَنِ الأَيامِ أَطْوَلَ غَفْلَةٍ ... وما خَوْفُها المَخْشِىُّ عَنَّا بِغَافِلِ (٣)
تُغَلْغَلَ رُوَّادُ الفَنَاءِ وتَمَّمَتْ ... دَوَاعِى المَنُونِ عَنْ جَوَادٍ وبَاخِلِ

وقال :

إذَا عَاجِلُ الدُّنْيَا أَلَمَّ بِمُفْرِحٍ ... فَمِنْ خَلْفِهِ فَجْعٌ سَيَتْلُوهُ آجِلُ (٤)
وكانَتْ حَياةُ الحىِّ سَوْقًا إلى الرَّدَى ... وأَيَّامُهُ دُونَ المَمَاتِ مَرَاحِلُ (٥)

---

( ١ ) ديوان البحترى ٦٣٨ « منها بعاقل » .
( ٢ ) فى الديوان : « من الدنيا » .
( ٣ ) فى الديوان « وما خوفها » .
( ٤ ) ديوانه ٤٩٠ ، ١٧٣١ .
( ٥ ) م « الحى شوقا » .

وما لُبثُ مَنْ يَغْدُو وفى كُلِّ لَحْظَةٍ ... لَهُ أَجَلٌ فى مُدَّة العُمْرِ قَاتِلُ
وللمرءِ يَوْمٌ لا مَحَالَةَ مَالَهُ ... غَدٌ وَسْطَ عَامٍ مَالَهُ الدَّهْرَ قَابِلُ
كَفَانَا اعْتِرَافًا بالفَنَاءِ ورِقْبَةً ... لِمَكْرُوهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْخُلْدِ آمِلُ

* * *

وقال :

أَنَاةً أَيُّها الفَلَكُ المُدَارُ ... أَنَهْبٌ مَا تُطَوِّفُ أَمْ خِيَارُ(١)
سَتَفْنَى ، مِثْلَ مَا تُفْنِى وتَبْلَى ... كما تُبْلِى فَيُدْرِكُ مِنْكَ ثَارُ
تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ ... ويَدْمُرُ فى تَصَرُّفِهِ الدَّمَارُ
وَمَا أَهْلُ المَنَازِلِ غيرُ رَكْبٍ ... مَنَايَاهُمْ رَوَاحٌ وابْتِكَارُ
لَنَا فى الدَّهْرِ آمَالٌ طِوَالٌ ... تُرَجِّيها ، وأَعْمَارٌ قِصَارُ(٢)

وقال :

أُخَىَّ : مَتَى خَاصَمْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَشِدْ ... لَهَا ، ومتى حَدَّثْتَ نَفْسَكَ فَاصْدُقِ
أَرَى عِلَلَ الأَشياءِ شَتَّى ، ولا أَرَى التـ ... ـتَجَمُّعَ إِلَّا عِلَّةً لِلتَّفَرُّقِ
أَرَى العَيْشَ ظِلاًّ تُوشِكُ الشَّمْسُ نَقْلَهُ ... فَكِسْ فى ابْتِغَاءِ العَيْشِ كَيْسَكَ أَوْمِقِ(٣)
أَرَى الدَّهْرَ غُولًا لِلنُّفُوسِ وإِنَّمَا ... يُقِى اللهُ فى بَعْضِ المَوَاطِنِ مَنْ يُقِى
ولَمْ أَرَ كالدُّنْيَا حَلِيلَةَ وَامِقٍ ... مُحِبٍّ مَتَى تَحْسُنْ بِعَيْنَيْهِ تَطْلُقِ
تَرَاهَا عِيَانًا وَهْىَ صَنْعَةُ وَاحِدٍ ... فَتَحْسَبُها صُنْعَىْ لَطِيفٍ وأَخْرَقِ(٤)

(١) ديوان البحترى ٦٩٤ ، ٢ / ٩٥٩ .
(٢) نقلها المرتضى فى أماليه ١ : ٢٧٩ والثانى ، والثالث وما بعده فى مجموعة المعانى ٦ .
(٣) ديوانه ١٥٥٢ م « فكش . . كلسك أومق »
(٤) فى أمالى المرتضى ٢ : ٢٢٩ « وقد قيل : إن السبب فى خروج البحترى عن بغداد فى آخر أيامه . كان هذه الأبيات : لأن بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوى من حيث قال : « فتحسبها صنعى لطيف وأخرق » وكانت العامة حينئذ غالبة على البلد ، فخاف على نفسه فقال لابنه أبى الغوث : قم يا بنى حتى نطئ عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ، فخرج ولم يعد » .

فانظر أشعار أهل الزهد وتأملها ، هل ترى فيها من هذا النحو شيئًا ؟ هيهات ؛ هذا مذهب يتقدم كل مذهب .

وقال :

أَرَى غَفْلَةَ الأَيَّامِ إِعْطَاءَ مَانِعٍ نَصِيبَكَ أَحْيَانًا وحِلْمَ سَفِيهِ[١]
إِذَا مَا نَسَبْتَ الحادِثَاتِ وَجَدْتَهَا بَنَاتِ الزَّمانِ أُرْضِعَتْ لِبَنِيهِ[٢]
مَتَى أَرَتِ الدُّنْيَا نَبَاهَةَ خَامِلٍ فَلَا تَنْتَظِرْ إِلَّا خُمُولَ نَبِيهِ

وقال :

أَغْشَى الخُطُوبَ فَإِمَّا جِئْنَ مَأْرَبَتِي فيما أُسَيِّرُ أَوْ أَحْكَمْنَ تَأْدِيبِي[٣]
إِنْ تَلْتَمِسْ تَمْرِ أَخْلَافَ الخُطُوبِ وإِنْ تَلْبَثْ مَعَ الدَّهرِ تَسْمَعْ بالأَعاجِيبِ[٤]

* * *

وما أحسن ما قال ابن عيينة :

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ ولا ٱبْتَكَرَا إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فيهِ إن ٱعْتَبَرا
وَلَا أَتَتْ سَاعَةٌ فى الدَّهْرِ فَٱنْصَرَمَتْ حَتَّى تُؤَثِّرَ فى قَوْمٍ لَهَا أَثَرَا
إِنَّ اللَّيَالِيَ والأَيَّامَ أَنْفُسَهَا عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِها لَمْ تَكْتُمِ الخَبَرَا

أنشد المبرد هذه الأبيات[٥] ، وذكر أن الطائى أخذ هذا المعنى وجمعه فى ألفاظ يسيرة فقال :

عَمْرِى لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وإِنَّهُ لَمِنَ العَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ

---

(١) ديوان البحترى ٢٣٥ « يصيبك أحياناً » .
(٢) فى الديوان « أرصدت لبنيه » .
(٣) ديوانه ٣٢٧ .
(٤) فى الديوان « أخلاف الأمور » .
(٥) فى الكامل ١ : ٣٥٩ .

أراد أن قوله : «عَمْرِى لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ» – من قوله : «إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فيه إن ٱعْتَبَرَا» . كأَنه أَراد أَن ما يأْتى فيه من العبر كأَنه نُصْحٌ[1] مِنه وتنبيه .

وكذلك قوله : «ولا أَتَت سَاعَةٌ» وقوله : «إِنَّ اللَّيَالِيَ والأَيَّام» . فجعل هذا كله كنصح[2] من الزمان لما يُرِينَاهُ من العبر .

قال أَبو العباس : وزاد عليه بقوله : «ناصح لَا يُشْفِقُ»[3].

وما قاله الناس فى هذا المعنى أَكثر من أَن يحتاج الطَّائى إِلى أَن يأْخذه من وهذه الأَبيات .

(١) م «فيه» .
(٢) م «لنضح» .
(٣) نص كلام المبرد : «فزاد بقوله : ناصح لا يشفق على قول ابن عيينة – شيئاً طريفا ، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام» .

## فى المواعظ والآداب

وقال [ البحترى ] :

مَتَى تَسْتَزِدْ فَضْلًا مِنَ الْعُمرِ تَغْتَرِفْ ... بِسَجْلَيْكَ مِنْ شَهْدِ الخُطُوبِ وصَابِهَا[١]
تُشَذِّبُنَا الدُّنْيَا بِأَخْفَضِ سَعْيِهَا ... وغُولُ الأَفَاعِى بَلّةٌ مِنْ لُعَابِهَا
يُسَرُّ بِعُمْرَانِ الدِّيارِ مُضَلَّلٌ ... وعُمْرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
ولَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوانَ مَجِيئِهَا ... فَكَيْفَ ٱرْتِضَائِيها أَوانَ ذَهَابِهَا
أَقُولُ لِمَكْذُوبٍ عَنِ الدَّهْرِ رَاغَ عَنْ ... تَخَيُّرِ آرَاءِ الحِجَا وٱنْتِخَابِهَا :[٢]
سيُرْدِيكَ أَوْ يُتْوِيكَ أَنَّكَ مُحْبَسٌ ... إلى شُقَّةٍ يُبْلِيكَ بُعْدُ مابها[٣]

فهذا ، والله ، الوعظ الذى لو سمعه أَبو العَتَاهِيَةَ لَضَلَّت مقاليده .

وقوله : « مُحْبَسٌ » أى موقوف إلى أن تصير إلى هذه الشقة ، من قولك : ٱحْتَبَسْتُ[٤] فرسًا فى سبيل الله ، وٱحْتَبَسْتُ دارًا ، أى وقَفْتُ دارًا . فأَمَّا حَبَسْتُ ، فإن ذاك من حبست الرجل فى الحبس ، وحبسته عن طريقه ، ونحو هذا .

---

( ١ ) ديوان البحترى ٣١٢ ، ٢٣١ دار المعارف .
( ٢ ) فى الديوان « زاغ » .
( ٣ ) فى الديوان : « أنك مخلس » .
( ٤ ) م « احتسبت » .

## فى الصبر والقناعة

قال أبو تمام :

عِنْدِى مِنَ الأَيَّامِ مَا لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى بِشَارِبِ مُرْقِدٍ مَا غَمَّضَا(١)
لَا تَطْلُبَنَّ الرِّزْقَ بَعْدَ شِمَاسِهِ فَتَرُومَهُ سَبُعًا إِذَا مَا غَيَّضَا
ما عُوِّضَ الصَّبْرَ امْرُؤٌ إِلَّا رَأَى مَا فَاتَهُ دُونَ الذى قَدْ عُوِّضَا

« شارب مُرْقد » مثل غير جيد ولا حسن ، ولا زال الناس يعيبونه .

وقال :

لا تَأْخُذِينِى بالزَّمَانِ فَلَيْسَ لِى تَبَعًا ، ولَسْتُ عَلَى الزَّمَانِ كَفِيلَا(٢)
مَنْ زَاحَفَ الأَيَّامَ ثُمَّ عَبَا لَهَا غَيْرَ القَنَاعَةِ لَمْ يَزَلْ مَفْلُولَا
مَنْ كَان مَرْعَى عَزْمِهِ وهُمُومِهِ رَوْضُ الأَمَانِى لَم يَزَلْ مَهْزُولَا
لَوْ جَازَ سُلْطَانُ القُنُوعِ وحُكْمُهُ فى الخَلْقِ مَا كَانَ القَلِيلُ قَلِيلَا(٣)
الرِّزْقُ لَا تَكْمَدْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِى وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيهِ رَسُولَا(٤)

يريد من لم يقنع وكان أبدًا يتمنى — لَمْ يَزَل مَهْزُولا .

---

(١) ديون أبى تمام ١٨٥ وشرح التبريزى ٢ : ٣٠٣ « أى عندى من جهة الأيام من المحن ما لو تصور بشارب دواء منيم لم يغمض غما وتفكراً » .

(٢) ديونه ٢٤٣ وشرح التبريزى ٣ : ٦٧ .

(٣) فى الديوان « فى الأرض » .

(٤) وفيه « لا تحرص » .

وقوله : « لو جَازَ سُلْطانُ القُنُوع » ، وهو يريد القناعة ؛ لأن المتأخرين فى هذا الموضع يستعملون القنوع .

« مَا كانَ القَلِيلُ قليلا » أى لو كان حكم القناعة جائزًا نَافِذًا فى الخلق . أى لو قنع الخلق ما كان القليل قليلا ، أى ما كان أحد يَسْتَقِلُّ القليلَ ، بل كان عنده بالقناعة كثيرًا . أفصح بمدح القناعة فقال :

الرِّزْقَ لَا تَكْمَدْ عَلَيْه فَإِنَّهُ ... يـأْتِى ولَـمْ تَبْعَثْ إليه رَسُولَا

وإنما أخذ هذا من قول [ عُرْوَةَ بن ] أُذَيْنَة :

أَسْعَى إلَيْهِ فَيُعْيِينِى تَطَلُّبُهُ ... ولو قَعَدْتُ أَتَانِى لا يُعَنِّينِى[١]

ثم نقض أبو تمام هذا كله بأن قال فى إثْرِ هذا البيت – بغير فاصِلَةٍ تَفْصِل بينهما – يَصِفُ النَّاقةَ وقَطْعَه عليها الفلاةَ إلى الممدوح ، فقال :

لِلّهِ دَرُّكِ أَىَّ مَعْبَرِ قَفْرَةٍ ... لا تُوحِشُ ٱبْنَ البَيْضَةِ الإِجْفِيلَا

بِنْتُ الفَضَاءِ مَتَى تَخِدْ بِكَ لا تَدَعْ ... فى الصَّدْرِ مِنْكَ عَلَى الفَلَاةِ غَلِيلَا[٢]

أَوَ مَا تَرَاهَا لَا تَرَاهَا هِزَّةً ... تَشْأَى العُيُونَ ذَوالِقًا وَذَمِيلَا[٣]

لَوْ كَانَ كَلَّفَها عُبَيْدٌ حَاجَةً ... يَوْمًا لَزَنَّى شَدْقَمًا وَجَدِيلَا[٤]

« ابن البَيْضَةِ » : الظليم . والإِجْفِيلُ : السَّريع الانْجِفَال يعنى الذهاب . يقول : لا توحشه هذه الناقة لكثرة قطعها الفَيَافِى وإلف الظُّلْمان[٥] لها.

---

(١) الأغانى ٢١ : ١٦٢ والشعر والشعراء ٢ : ٥٦٠ . وأمالى المرتضى ١ : ٤٠٨ ، ٤١٥ .

(٢) فى الديوان « بنت القفار » .

(٣) راجع رواياته المختلفة فى شرح التبريزى وهامشه ٣ : ٦٩ .

(٤) إعجاز القرآن ١٦٦ والموشح ٣١١ .

(٥) م « وإلف الظمان » .

ودل على أنه الظليم بقوله : «ابن البيضة» ولو كان جرى له ذكر لما كان لذكر البيضة معنى ، إذ كل ظليم وكل طائر فهو ابن البيضة .

وقوله : «أَوَ مَا تَرَاها هِزَّةً» أى من سرعة مَرِّها واهتزازها فى سيرها لا تكاد ترى صُورتَها .

تَشْأَى العُيُونَ : تسبقها . ذَوَالِقًا : جمع ذليقة ، والذَّلاَقَةُ : السرعة والمَضَاء .

ويروى «دَوَالِقًا» بالدال غير معجمة ، جمع دَالِقَة ، والدالق : الخارج ، يقال : سيفٌ دَالِقٌ إذا كان خارجًا مِنْ غِمْدِه .

وكان ينبغى أن يقول : تشأى العيون اندلاقاً وذميلا ، أو ذلاقة — معجمة الذال — وذميلا ؛ لأن قوله : «وَذَمِيلًا» لا يكون مَنْسُوقًا على ذَوَالِق . وأظنّه جعل الذَّمِيل ، مَنْسُوقًا على هِزَّة .

والذَّمِيلُ هاهنا رَدِىء ؛ لأنه ضَرْبٌ من سير الإبل لَيِّن ، وهو يَصف السرعة .

وعُبَيْدٌ : يعنى البَيْطَارَ الذى ذكره الأَعْشَى فى شعره ، فقال يصف ناقةً[1] :

لَمْ تَعَطَّفْ عَلَى حُوَارٍ وَلَمْ يَقْـ ... ـطَعْ عُبَيْدٌ عُرُوقَهَا مِنْ خُمَالِ[2]

وكان يعالج الإبل . أى لو كلفها عبيد حاجة ، أى سيرًا عليها لحاجة «لَزَنَّأَ شَدْقَمًا وجَدِيلا» وهما فحلان من فحول العرب النَّجِيبَة المذكورة — لما يرى من سرعتها ونجابتها .

---

(١) م «نصف» .

(٢) ديوانه ٦ وفى اللسان ١٣ : ٢٣٥ «والخمال : داء يأخذ فى مفاصل الإنسان وقوائم الخيل والشاء والإبل ، تظلع منه ، ويداوى بقطع العرق ، ولا يبرح حتى يقطع منه عرق أو يهلك — ثم أنشد بيت الأعشى هذا ، وقال : أى لم يكن لها لبن فتعطف على حوار لترضعه» .

وهذا غاية ما يكون من سُخْفِ المعنى وركاكته ؛ لأَنَّ زَنَّاً من ألفاظ الجهال والصبيان . وإنما أراد لو سار عليها عبيد ، هذا العالم بأَمر الإبل ، فى بعض حاجة – لصغر عنده ، أَوْ لَهَانَ عليه أَمْرُ شَدْقَمْ وجَدِيل . فلم يهتد بلفظ من هذا النحو فقال : «لزَنَّاً شَدْقَمًا وجَدِيلًا » . أترآه كان يقول لهما : يا زانيين ، أو يا بنى الزانيين . إن هذا من حماقات الطائى المُحْكَمَة ، وسخفه العجيب مع ما فى أبياته هذه من نقض المعنى الذى ذكره فى الأَبيات قبلها من الحث على القناعة ، والقعود عن الحركة والاضطراب .

* * *

وقال البحترى :

لَعَمْرُكَ كَيْفَ نَرْصف مَا عَدَانَا مِنَ الدُّنْيَا ، ونَسْخَطُ مَا يَجِينَا[1]
عَنَانَا مَا عَسَاهُ يَزولُ عَنَّا وأَنْصَبَنَا تكلُّفُ مَا كُفِينَا[2]
يُقَيَّضُ لِلْحَرِيصِ الغَيْظُ بَحْتًا [ وتَتَّجِهُ الحُظُوظُ ] لِمَنْ قُضِينَا
ومَا هُوَ كَائِنٌ وإِن اَسْتَطَلْنَا إِلَيْهِ النَّهجَ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَا
فلا تُغْرَرْ مِنَ الأَيَّامِ وانْظُرْ إلى أَقْسَامِهَا عَمَّنْ زُوِينَا[3]

وقال :

نَسْعَى وأَيْسَرُ هَذَا السَّعْى يَكْفِينَا لَوْلَا تَكَلُّفُنَا مَا لَيْسَ يَغْنِينَا
نَرُوضُ أَنْفُسَنَا أَقْصَى رِيَاضَتِهَا عَلَى مُوَاتَاة دَهْرٍ لا يُوَاتِينَا
فَلَيْتَ مُسْلِفَنَا الأَعْمَارَ أَنْظَرَنَا مُجَامِلًا فَتَأَنَّى فى تَقَاضِينَا

وهذا كله ما لا مزيد على حسنه وصحته وحلاوته .

---

(١) ديوان البحترى ٥٥٣ « بعمرك . . ما أتانا . . . ما يجينا » .

(٢) فى الديوان « ما عناه يزال عنا » .

(٣) فى الديوان « أقسامنا » .

وقال :

ضيِّق العُذْرَ فى الضَّراعَةِ أنَّا      لَوْ قَنِعْنَا بقسْمِنا لكَفَانَا[١]
مَا لَنَا نَعْبُدُ العِبَادَ إذا كَا      نَ إلى اللهِ فَقْرُنَا وغِنَانَا

وقال :

لَوْ أنَّنِى أُوفِى التَّجارِبَ حَقَّها      فِيمَا أَرَتْ لَرَجَوْتُ مَا أَخْشَاهُ[٢]
والشَّىْءُ تُمْنَعه تكُونُ بِفَوْتِهِ      أجْدَى مِنَ الشَّىْءِ الذى تُعْطَاهُ
خُفِّضْ أسًى عَمَّا شَآكَ طِلَابُهُ      ما كُلُّ شَائِمِ بَارِقٍ يُسْقَاهُ

وقال :

وكَيْفَ تُعَاطِى الرَّاحِ والرَّأْسُ مُخْلَسٌ      مَشِيبًا ،وشُرْبُ الرَّاحِ مِنْ بَعْدِ جَعْفَرِ[٣]
قَنِعْتُ ، وجَانَبْتُ المَطَامِعَ لَابِسًا      لِبَاسِ مُحِبٍّ للنَّزَاهَةِ مُؤْثِرِ
وأَيْأَسَنِى عِلْمِى بألَّا تَقَدُّمِى      مُفِيدِى ، ولَا مُزْرٍ بِحَظِّى تَأَخُّرِى[٤]
ولَوْ فَاتَنِى المَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ      بِسَعْيٍ لَأَدْرَكْتُ الذى لَمْ يُقَدَّرِ

وقال :

أَجِدَّكَ مَا تَنْفَكُّ تَشْكُو قَضِيَّةً      تُرَدُّ إلى حُكْمٍ مِنَ الدَّهْرِ جَائِرِ[٥]
يَنَالُ الفَتَى مَا لَمْ يُؤَمِّلْ ورُبَّمَا      أَتَاحَتْ لَهُ الأَقْدَارُ مَا لَمْ يُحَاذِرِ[٦]

وهذا فى غاية الحسن والصحة والبراعة : وإنَّما أخذه والله أعلم — من قول أبى العَتَاهِيَة :

---

(١) ديوان البحترى ٤٢٤ وفى م « سيق العذر » .

(٢) ديوانه ٢٩٦ .

(٣) ديوانه ٢١٥ « تعاطى اللهو » .

(٤) فى الديوان « وآنسنى علمى » .

(٥) ديوانه ٣٥٠ ، ٢ / ٩٦ .

(٦) م « تحاذر » .

قَدْ يَسْلَمُ المَرءُ مما قَد يحاذرهُ ... وَقَدْ يَصِيرُ إلى المَكْرُوهِ بالحَذرِ[1]

وأخذه أبو العتاهية من قول الاخر :

وَحَذِرْتُ مِنْ أَمْرٍ فَمَرَّ بِجَانِبِى ... مُتَنَكِّبًا ، ولُقِيتُ مَا لَمْ أَحْذَرِ

* * *

وقال البحترى :

إنْ تُجَرِّبْ بَنِى الزَّمَانِ تَجِدْهُمْ ... إِخوَةً فيهِ للشِّفَارِ الكَلِيلَهْ[2]

والفتَى كَادِحٌ لِفَعْلَةِ دَهْرٍ ... يرتَضِيها ، أوْ عِيشَةٍ مَمْلُولهْ[3]

خَائِفٌ آمِلٌ لِصَرْفِ اللَّيَالِى ... واللَّيَالِى مَخُوفَةٌ مأْمُولَه

رَاحَ أَهْلُ الآدابِ فيها قَلِيلًا ... وحُظُوظُ الأقْسام فيها قَلِيلَهْ[4]

فَعَلَيْكَ الرِّضَا بِمَا رَضِيتَهُ ... لَكَ هَذِى المَطالِبُ المَجْفُولَهْ[5]

لن تَنَالَ المُزْوَرَّ عَنْكَ بِتَدْبِيـ ... ـرٍ ، وَلَنْ تَصْعَدَ السَّماءَ بِحِيلَهْ[6]

وإِذَا مَا اعْتَبَرْتَ ظَاهِرِ حَالِى ... كَانَ أَمْرًا مِنَ الأُمُورِ الجَلِيلَهْ[7]

كَمْ تَكَرَّهْتُ غِبَّ أَمْرٍ فَكَانَتْ ... نِعْمَةُ اللهِ فيهِ عِنْدِى جَمِيلَهْ[8]

لَيْسَ إِلَّا فَضْلُ العَزِيمَةِ تُمْضِيـ ... ـهَا ، وإلَّا المَطِيَّةُ المَرحُولَهْ

وهذا كلام يجرى من رقته وحسنه .

---

(١) ديوان أبى العتاهية ١١٥ .

(٢) ديوان البحترى ٤٧٥ .

(٣) م « لغفلة » .

(٤) م « فيها قايلا » .

(٥) فى الديوان : « المطالب المجهولة » .

(٦) م « ينال » والديوان « المزوى » .

(٧) فى الديوان « كان خطباً من الخطوب » .

(٨) م « جليله » .

قوله : « فَعَلَيْكَ الرِّضَا » مدح للقناعة ، ولم يحث على القعود عن المطالب ، وإنما أراد عليك الرضا بما رَضِيَتْهُ لك مَطالبُكَ ، هذه المطالب التى أنت بسبيلها ، ولن تقدر على نيل ما ازْوَرَّ عنك ولذلك قال :

ليس إلا فضل العزيمة تمضيـ  ـها ، وإلا المطيَّةُ المَرْحُولَهْ

وعلى أنه قال :

كَمْ تَكَرَّهْتُ غِبَّ أَمْرٍ فَكَانَتْ  نِعْمَةُ اللهِ فيه عِنْدِى جَمِيلَهْ

يجوز أن يكون أراد غب أَمْرٍ مِنْ تَجَشُّمِ الأَسْفَار ، وبُعْدِ المطالب ، فأحمدت عاقبته فحسن أن يقول : « ليس إلا فَضْلُ العزيمة » .

وأبو تمام صرح بذكر القُعُود عن الطلب بقوله :

الرِّزْقَ لا تَكْمَدْ عَلَيْهِ فإنهُ  يَأْتِى ولَم تَبْعَث إليه رُسُولا

فكان ذكره للناقة والرحيل عليها مُنَاقَضَةً ظاهرةً قبيحةً فى أبيات متصل بعضها ببعض .

***

وقال البحترى :

تَطْلُبُ الأَكْثَرَ فى الدُّنْيَا وَقَدْ  تَبْلُغُ الحَاجَةَ فيها بالأَقَلّ[1]

وقال :

أَسيفٌ إِذَا أَسْفَفْتُ أَدْنُو لِمَطْمَعٍ  خَفٍ ، وأُرَانِى مُثْرِيًا يَوْمَ أَقْنَعُ[2]

إِذَا شِئْتَ حَازَ الحَظَّ دُونَكَ وَاهِنٌ  ونَازَعَكَ الأَقْسَامَ عَبْدٌ مُجَدَّعُ

---

( ١ ) ديوان البحترى ٣٣٢ « نطلب . . . نبلغ » .

( ٢ ) ديوانه ٣٠٥ ، ١٢٦٨/٢ دار المعارف « أسف إذا . . حين أقنع » .

أَجِدُّكَ مَا المَكْرُوهُ إِلَّا ارْتِقَابُهُ ... وَأَبْرَحُ مِمَّا حَل مَا يُتَوَقَّعُ
وَقَدْ تَتَنَاهَى الأُسْدُ مِنْ دُونِ صَيْدِهَا ... شِبَاعًا ، وتَغْشَى صَيْدَهَا وهْى جُوَّعُ(١)

قوله : « أَسِيف إذا أَسْفَفْتُ » . يقال : أَسَاف الرَّجل يُسيف : إذا ذَهَبَ مالُه .

يقول : إنه(٢) يفتقر إذا دنا لمطمع ، ويستغنى إذا قنع .

وقوله : « وقد تَتَنَاهَى الأُسْدُ مِنْ دُونِ صَيْدِها شِبَاعًا » . يمدح القناعة ، وأن مِنْ سبيل الإنسان إذا وَجَدَ البُلْغَةَ اكتفى إلى أن يحتاج .

وقال :

خَلِّى سُعَادُ عُرُوضَ العِيسِ أَوْ سِيرِى ... وأَنْجِدِى فى الْتِمَاسِ الحَظِّ أَوْغُورِى(٣)
كلُّ الذى نَتَرجَّاهُ ونَأْمُلُهُ ... مُضَمَّنٌ فى ضَرُورَاتِ المَقَادِيرِ
فَمَا يُقَرِّب تَقْدِيمِى شَوَاسِعَها ... ولا يُبَاعِدُ مَا أَدْنَيْنَ تَأْخِيرِى
تَغْدُو الكِلَابُ ولا فَضْلٌ يُعَدُّ لَهَا ... سِوَى الذى بَانَ مِنْ نَقْصِ الخَنَازِيرِ

* * *

وقال أبو تمام :

مَا يَخْسِمُ العَقْلُ والدنيا تُسَاسُ بِهِ ... مَا يَحْسِمُ الصَّبْرُ فى الأَحْداثِ والنُّوبِ(٤)
الصَّبْرُ كَاسٍ وبَطْنُ الكَفِّ عَارِيةٌ ... والعَقْلُ عَارٍ إذَا لم يُكْسَ بالنَّشَبِ
كَمْ ذُقْتُ فى الدَّهْرِ مِنْ عُسْرٍ وَمِنْ يُسْرٍ ... وفى بَنِى الدَّهْرِ مِنْ رَأْسٍ ومِنْ ذَنَبِ

(١) م « ويشى » .
(٢) م « إنه لم يفتقر » .
(٣) ديوان البحترى ٢ / ١٠٢٦ .
(٤) ديوان أبى تمام ٤٧٠ وفى م « يساس لها » .

بِأَىٍّ وَخَدِ قِلاصٍ وَاجْتِنَابِ فَلَا إِدْرَاكُ رِزْقٍ إِذَا مَالَجَّ فى الهَرَبِ[١]

ذكر أنه لا يَحْسِم العقلُ ما يَحْسِم الصَّبْرُ . والصبر على شدّة الزمان وأحداثه لا يكاد يقع إلا بالعقل ، وكل الأخلاق الشريفة فبالعقل تكون .

وقوله : « الصَّبْرُ كاسٍ وبَطْنُ الكَفِّ عَارِيةٌ » – من حماقاته فى الطباق يريد أن الصبر مجانِبٌ لخلو اليد ، وأنا ضد الفقر والعُدْمِ ؛ لأن الفقر والعُدْم لا يكون معهما صبر ،[٢] فجعل كاسياً من أجل ذكر بطن الكف بالعرى ، ثم جعل العقل أيضًا عاريًا إذا لم يكن مَكْسُوًّا بالنَّشَبِ ، وكسوة الصبر والعقل استعارة تتجاوز كُلَّ فحش.

وأعجب من هذا ذوقه الرأس والذنب فى بنى الدهر . وما علمنا أحدًا ذاق ذنب غيره ولا رأسه[٣].

وأراد بالذَّوْقِ الاخْتِبَار ، واستعمله فى أقبح موضع وأشنعه .

ولا خفاء بفضل البحترى فى هذا الباب على أبى تمام .

---

(١) فى الديوان « إذا ما كان فى الهرب » .

(٢) لقد ضل الآمدى عن الصواب فى تأويل البيت ، ولم يرد أبو تمام أن الصبر مجانب لخلو اليد وأنه ضد الفقر والعدم فلا يكون معهما ؛ بل أراد أن الصبر نافع فى حالة الفقر وساتر لصاحبه . وآية ذلك أنه قال فى البيت السابق : إن الصبر يحسم فى أحداث الزمان ونوبه ما لا يحسم العقل الذى تساس به الدنيا .

(٣) لم يذهب أبو تمام إلى هذا المعنى السخيف الذى ذهب إليه الآمدى ؛ وإنما ذهب إلى ما تنطق به ألفاظ بيته : من أنه ذاق من حلو العيش ومره ما ذاق ؛ واختبر بنى الزمان طرا ، الرؤساء منهم وغير الرؤساء ، وهم الذين عبر عنهم بالأذناب . ولم يخرج أبو تمام فى تعبيره هذا عن سنن العرب فى كلامها ، فهم يضعون عبارات طرق العلم فى موضع العلم . ويقولون : ذقت الشىء بمعنى علمته وخبرته . وشممت رائحة الفضل من فلان : أى علمته ، ووزنت بنى فلان فأحليت ما ذقت من نجدتهم . أى ما بلوته واختبرته. ويقول : ذقت القوس أى نزعت فيها لأختبر لينها من شدتها ، كما قال الشماخ .

فذاق فأعطته من اللين جانباً كفى ولها أن يغرق النبل حاجز

وقال ابن مقبل :

يهززن للمشى أوصالا منعمة هز الشمال ضحى عيدان يبرينا
أو كاهتزاز ردينى تذاوقه أيدى التجار فزادوا متنه لينا

ويقول بشار :

* إذا كان ذواقا أخوك من الهوى *

## ذم ذوى الغنى على البخل، وذكر مساعدة الدهر لذوى الجهل وتحامله على أهل الفضل والعقل

قال أبو تمام :

مَضَى الأَمْلَاكُ وَانْقَرَضُوا ، وأَمْسَى ... سُراةُ مُلُوكِنَا وَهُمُ تِجارُ[١]
وقوفًا فى ظِلَالِ الذَّمِّ تُحْمَى ... دَرَاهِمُهم ولا يُحْمَى الذِّمَارُ[٢]
فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَـاتُ الدَّهْـرِ عَنْهُ ... وأُلقِىَ عَنْ مَنَـاكِبِهِ الدِّثَارُ
لَعَدَّلَ قِسْمَةَ الأَرْزَاقِ فِينَا ... ولكنْ دَهْرُنَا هَذَا حِمَارُ

قوله : «وأُلقِى عَنْ مَنَاكِبِهِ الدِّثَارُ» ـ لفظ ردىء ، وليس من المعنى الذى قصده فى شىء . وصدر البيت لائق بالمعنى فلو كان أتبعه بما يكون فى معناه بأن يقول : فلو ذهبت سنات الدهر عنه ، واستيقظ من رقدته ، أو انتبه من نومته ، أو انكشف الغطاءُ عن وجهه ـ لكان المعنى يمضى مستقيمًا . وقد ذكرته فيما مضى من أغاليطه مشروحًا[٣] .

وقال : ـ وهو من إحسانه المشهور ـ :

سَأُوطِئُ أَهْلَ العَسْكَرِ اليَوْمَ عَسْكَرًا ... من الذنب مَحَاهُ لِتِلْكَ المَعَالِمِ[٤]
وَمَالِىَ مِنْ ذَنْبٍ إلى الدَّهْرِ خِلْتُهُ ... سِوَى أَمَلِى إِيَّاكُمُ لِلْعَظَائِمِ[٥]
وإِنِّى مَا حُورِفْتُ فى طَلَبِ الغِنَى ... ولكِنَّكُمْ حُورِفْتُمْ فى المَكَارِمِ

(١) ديوان البحترى ١٤١ وشرح التبريزى ٢/١٥٤ «وأمست» .
(٢) فيهما «وقوف . . . . دراهمها» .
(٣) راجع الجزء الأول ص ٢٢٣ .
(٤) ديوان أبى تمام ٢٩٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢١٩ ويروى : «من الذل» و «من الذم» .
(٥) فى الديوان وشرحه «إلى الرزق» .

ومن جيد معانيه فى هذا النحو قوله :

إنْ شِئْتَ أَنْ يَسْوَدَّ ظَنُّكَ كُلُّهُ … فَأَجِلْهُ فى هذا السَّوَادِ الأَعْظَمِ (١)

وقال :

يَنَالُ الفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وهْوَ جَاهِلٌ … ويُكْدِى الفَتَى فى دَهْرِهِ وهْوَ عَالِمُ (٢)

ولَوْ كَانَت الأَقْسَامُ تَجْرِى عَلَى الحِجَا … هَلَكْنَ إذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهَائِمُ (٣)

وهذا معنى ما على صحته وحسنه مِنْ مَزِيد .

وقال :

وما القَفْرُ بالبِيدِ القَوَاء بل التى … نَبَتْ بِى وفِيهَا سَاكِنُوهَاهى القَفْرُ (٤)

ومَنْ قَامَرَ الأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا … فَأَحْجِ بِها أَنْ تَنْجَلِى وَلَهَا القَمْرُ (٥)

وهذا أيضًا جيد بالغ ، ومن إحسانه المشهور . ثم وصله بأن قال :

فإنْ كَانَ ذَنْبِى أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِى … أَسَاءَ فَفِى سُوءِ القَضَاءِ لِىَ العُذْرُ

قَضَاءُ الذى مَا زَالَ فى يَدِهِ الغِنَى … ثَنَى غَرْبَ آمَالِى وفى يَدِى الفَقْرُ

رَضِيتُ وهَلْ أَرْضَى إذَا كَانَ مُسْخِطِى … من الأَمْر مَا فِيه رِضَا مَنْ لَهُ الأَمْرُ

وأَشْجَيْتُ آمَالِى بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لِى … عَوَاقِبُهُ ، والصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ صَبْرُ (٦)

---

(١) ديوان أبى تمام ٣١٢ وشرح التبريزى ٣ / ٢٤٩ .

(٢) ديوانه ٢٨٦ وشرح التبريزى ٣ / ١٧٨ .

(٣) ويروى « ولو كانت الأرزاق » .

(٤) ديوانه ٤٧٥ « بالبيد القفار » .

(٥) م « به أن » .

(٦) فى الديوان « فأشجيت أيامى » .

قوله : « فإنْ كَانَ ذَنْبِى أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِى أَسَاءَ » . يريد شخوصه إلى مصر ؛ لأنها كانت عنده أحسن مطالبه فأخفق فيها ، فذمّها بأن قال :

وما القَفْرُ بالبِيدِ القَوَاء بَلِ التى ... نَبَتْ بِى وفيها سَاكِنُوهَا هِى القَفْرُ

وقوله : « رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى » - من أغاليطه وإحالاته فى المعانى . وإنما كان ينبغى أن يقول : « رضيتُ وكيف لا أَرْضى » . وقوم يحتجون بأنه[١] قال : رضيت وقد أرضى . على ما فسر به قول الله عز وجل : « هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ » بأن قالوا معناه : قد أتى على الإنسان .

وقد ذهب إلى هذا قوم فى « قَد » إذا وليت الفعل الماضى ، أما إذا وليت المستقبل فإنها تكون بمعنى « ربما » وتخرج عن هذا التأويل .

وأكثر أهل العربية ، وجميع أهل اللغة يقولون : المعنى : أَلَمْ يأت على الإنسان . بمعنى التقرير والتوبيخ . ويدفعون أن تكون « هل » بمعنى « قد » ؛ لأن ذلك لم يأتِ فى كلام العرب .

وقد بيَّنت هذا فى « الجزء » الذى جمعت فيه أغاليط أبى تمام من هذا الكتاب[٢] .

وقال :

وحَادِثَاتٌ أعاجيبٌ خَسًا وَزَكَا ... ما الدَّهْرُ فى فِعْلِهَا إلَّا أَبُو العَجَبِ[٣]

يَمْلِكْنَ قَوْدَ الكُمَاةِ المُعْلمينَ لَهَا ... ويَسْتَقِدْنَ لِفُرْسَانِ على القَصَبِ[٤]

الخَسَا : الفَرْد ، والزَّكَا : الزَّوْج . وفُرْسَانُ القصب : يعنى الصبيان .

---

(١) م « بأن قال » .

(٢) راجع الجزء الأول ص ٢٠١ . ٢٠٥ .

(٣) ديوان أبى تمام ٤٧٠ « فى فعله » .

(٤) فى الديوان « يغلبن قوم . . بها » .

وهذه ألفاظ فى غاية الخُلُوقَة والسَّخَافَة . ولو قال : ويستقدن لأهل الجبن والرعب ، أو الرهب — كان أحسن وتعمَّل[١] :

وقال فيها :

فى كلِّ يَوْمٍ صَوَاقِيرِى مُفَلَّلَةٌ تَسْتَنْبِطُ الصُّفْرَ لِى مِنْ مَعْدِنِ الذَّهَبِ[٢]
مَا كُنْتُ كالسَّائِلِ الأَيَّامَ مُجْتَهِدًا عَنْ لَيْلَةِ القَدْرِ فى شَعْبَانَ أَوْ رَجَبِ

أى ما التمست إلا من حيث يجب الالتماس ، ولكنى خِبْت .

بَلْ سَافِعٌ بِنَوَاصِى الأَمْرِ مُشْتَمِلٌ عَلَى قَوَاصِيهِ فى بَدْئِى وفى عَقِبِى[٣]
بِغُرْبَةٍ كَاغْتِرَابِ الْجُودِ إِنْ بَرَقَتْ بِأَوْبَةٍ وَدَقَتْ بالخُلف والكَذِبِ
إذا عَمَدْتُ لِشَأْوٍ خِلْتُ أَنِّى قَدْ أَدْرَكتهُ — أَدْرَكَتْنِى حِرْفَةُ العَرَبِ[٤]

قوله : « سَافِعٌ بِنَوَاصِى الأَمْرِ » — من قوله : جلّ اسمه : « لَنَسْفَعًا بالنَّاصِيَةِ » والسَّفْعُ بالشىء هو أن يؤْخذ ويُجْذَبَ جذبًا فيه عنف .

وكان ينبغى أن يقول : بنواصى الحزم أو العزم . فأَما الأَمر فإنه[٥] . . .

وقوله :

بِغُرْبَةٍ كَاغْتِرَابِ الجُودِ إِنْ بَرَقَتْ بِأَوْبَةٍ وَدَقَتْ بالخُلْفِ والكَذِبِ

فشبه غيابه بغيبة[٦] الجود الذى يقال يقدم ولا يقدم ، يؤكد بهذا عدم الجود ، وأنه كلَّما طمِعَ فيه من أحد كان بعيدًا كالغائب الذى يقال : يقدم ثم لا يقدم .

---

(١) م « ويعمل » .

(٢) ديوان أبى تمام ٤٧١ « يوم أظافيرى . . تستنبط الصبر » والصواقير: المعاول . والصفر : النحاس .

(٣) م « شافع » والديوان « فى بدء وفى عقب » .

(٤) فى الديوان : « إذا عنيت لشأو قلت . . حرفة الأدب » .

(٥) كذا بالأصل .

(٦) م « عياته بعيبة » .

وَدَقَتْ : من الوَدْقِ ، وهو قَطْرُ المطر .

يقول هذا وهو قد قدم[1] من غيباته إلا أنه جعل نفسه كمن لم يقدم ؛ لأنه قدم بالخيبة ؛ فلذلك قال بعد هذا :

ما آبَ مَنْ آبَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ    ولَمْ يَغِبْ طَالِبٌ لِلنُّجْحِ لَمْ يَخِبِ

وهذا تعسف ، والخَرَسُ أحسنُ منه .

وقوله : « إنْ بَرَقَتْ بأَوْبَةٍ » يعنى الغيبة . واستعارة البرق لا تحسن إلا باستعارة[2] السحاب معه. وكان الجيد أن يقول : بَرَقَتْ سحابُها بأَوْبَة ، لو استقام له .

وقوله : « أدْرَكَتْنى حِرْفَةُ العَرَبِ » — معنى ما قاله غيره ، ولا جعل أحدٌ العَرَب مُحَارَفِينَ سواه . ودليل [عدم] حرفتهم ما هو إلا أنّهم قهروا الأُمَمَ حتى صار المُلْكُ فيهم ، وهم على تلك العِزّة الجاهلية إلى هذا الوقت .

وما زال الناس ينكرون هذا المعنى عليه ويعيبونه . ولو كان قال : « حرفة الأدب » كان أولى بالصواب ، وبما يستعمله الناس ، ولأنه أديب غير مدفوع ، وليس فى القصيدة أيضًا [ذكر] للأدب.

وقد رواه قوم « الأدب » إنكارًا لذكر العرب هاهنا. وغَيْرُه فى عِدَّةٍ من النسخِ القديمة. والذى فى نسخة « أبى سعيد السكرى » ، و «أبى العلاء ، محمد ابن العلاء » وغيرهما : « العرب » .

وإنما ذاك لشدة عشقه بالعربية ، وأن يقال طائى .

---

(١) م « قد تقدم » .

(٢) م « بالاستعارة » .

وقد أنكره عليه ابنُ عمَّار وغيره . وهذا دليل على أنه ما قال إلا «حرفة العرب » .

* * *

وقال البحترى :

أَوْجَلَتْنِى بَعْدَ أَمْنٍ غِرَّتِى وَٱغْتِرَارُ الأَمْنِ يَسْتَدْعِى الوَجَلْ[1]
لَمْ أَوَهَّمْ نعْمَتِى تَغْدِرُ بِى غَدْرَةَ الظِّلِّ سجَا ثُمَّ ٱنْتَقَلْ
زَمَنٌ تَلْعَبُ بِى أَحْدَاثُهُ لَعِبَ النَّكْبَاءِ بالرُّمْحِ الخَطِلْ[2]
وأرى العُدْمَ – فَلَا تَحْفَلْ بِهِ – عُقْبَةً تُقْضَى ، وكَلْمًا يَنْدَمِلْ
أَكْبَرَتْ نَفْسى – وقِدْمًا أَكْبَرَتْ – أَنْ تُلَقَّى النَّيْلَ مِنْ كفِّ الأَشَلْ[3]
ومِنَ المَعْرُوفِ مُرٌّ مَقِرٌ يَلْفِظُ الطَّاعِمُ مِنْهُ مَا أَكَلْ[4]
نَطْلُبُ الأَكْثَرَ فى الدُّنيا وَقَدْ نَبْلُغُ الحاجةَ فيها بالأَقَلْ[5]

وهذا من إحسان أبى عبادة المتداول .

وقال :

تَغَاضَى رِجَالٌ عَنِ المَكْرُمَاتِ وَقَدْ مَثَّلَتْ نُصْبَ أَعْيَانِهَا[6]
ولم تَلْتَفِت لِوُجُوبِ الحُقُوقِ وَوَاجِبُها خَلْفَ آذَانِهَا
فَتَحْتُ يَدِى ثَانِىَ العِطْفِ عَنْ كَذُوبِ المَوَدَّةِ خَوَّانِهَا
وَقَدْ عَلِمَتْ خَلَّتِى أَنَّنِى أُفَارِقُها عِنْدَ هِجْرَانِهَا

---

( ١ ) ديوان البحترى ٣٣٢ ، ١٧١٦ .
( ٢ ) الخطل : السريع . وانظر اللسان ١٣ / ٢٢١ – ٢٢٢ .
( ٣ ) فى الديوان : « وكرها أكبرت » .
( ٤ ) م « منه وأكل » !
( ٥ ) سبق فى ص ٢٥٠ .
( ٦ ) ديوان البحترى ٥٩٩ « تعامى رجال » .

وقال :

وعَيَّرتْنِي سِجَالَ الْعُدْمِ جَاهِلَةً ... والنَّبعُ عُرْيَان مَا فِي فَرْعِهِ ثَمَرُ(١)
وَمَا الفَقِيرُ الذى عَيَّرْتِ آوِنَةً ... بلِ الزَّمانُ إلى الأَحْرَارِ يَفْتَقِرُ(٢)
عزَّى عَنِ الحظِّ أَنَّ العَجْزَ يُدْرِكُهُ ... وَهَوَّنَ العُسْرَ عِلْمِي فى مَنِ اليُسُرُ
لَمْ تَبْق مِنْ جُلِّ هَذَا النَّاسِ بَاقِيةٌ ... يَنَالُهَا الوَهْمُ إلَّا هذه الصُّورُ(٣)
جَهْلٌ ، وبخْلٌ وحَسْبُ المَجْدِ وَاحِدةٌ ... مِنْ تَيْنِ حَتَّى يُعَفَّى خَلْفَهُ الأَثَرُ(٤)
إِذَا مَحاسِنِيَ اللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا ... كَانَتْ ذُنُوبِى فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ
عَلَيَّ نَحْتَ القَوافِي مِنْ مَعَادِنِهَا ... وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَم البَقَرُ(٥)

ذكر « على بن يَحْيَي المُنجِّم » عن شيوخه أن هذا البيت للمخَيَّم(٦) الرَّاسِبِى ، أَحد الشعراءِ فى دولة الرشيد ، وكانَ صحب محمد مَنْصُور بن زِياد فكسب معه مالا عظيمًا ، ثم صحب محمد بنِ يحيي بن خالد البَرْمكِى بعد موت ابن منصور(٧) فلم يحمده فهجاه .

وأخذُ بيت بأسره قبيح لأَبى عبادة ، ومثله لا يضطر إلى هذا .

وقد كان « على بن يحيى » انحرف عن(٨) البحترى لأَن البحترى هجاه بأمر المتوكل بأبيات ليس مثلها يضر ، ولكنه ذكر صورته فقال :

---

(١) ديوان البحترى ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٤ دار المعارف .
(٢) فى الديوان « مفتقر » .
(٣) فى الديوان : « ينالها الفهم » .
(٤) وفيه « وحسب المرء » .
(٥) وفيه : « من مقاطعها وما على لهم أن تفهم » والبيت مع سابقه فى أخبار أبى تمام ٥٠ — ٥١
(٦) م « للمختّم » .
(٧) م « ابن منثور » !
(٨) م « أعرف من البحترى » !

كُلٌّ ، أَخلاقَ علِيّ تَرْتَضِيها وتُذُمُّه[١]
هُو قِرْدٌ حِين يبْدُو غير أنَّا لَا نَكُمُّهْ
مُقْلَتَاهُ وحِجاجا هُ وشِدْقَاهُ وخَطْمُهْ

فضحك المتوكل حتى استلقى . وبلغ على بن يحيى فعاب[٢] هذا على البحترى لما حدث بينهما من التباعد .

إلا أنى لم أرهم ينكرون استعارة البيت الذى يجرى مجرى المثل إذا جاء موضعه . إلا أن ذلك يكون فى شوارد الأمثال التى لا يكاد يعرف قائلوها .

وقال :

أَضِيعُ فى مَعْشَرٍ ، وكَمْ بَلَدٍ يُعَدُّ عُودُ الكِبَاءِ مِنْ حطَبِهْ[٣]
لن يَنْصُرَ المَجْدَ حقَّ نُصْرَتِهِ إِلَّا المَكِينُ المكانِ مِنْ رُتَبِهْ[٤]
يُخْدَعُ عَنْ عِرْضِهِ البخيلُ وَلَا يُخدَعُ وهْو الغَنِىُّ عَنْ نَشَبِهْ[٥]
أَوْثَقُ مَنْ يُصْطَفَى عُرَاهُ وإنْ حَلَّ بَعِيدًا مَنْ حَلَّ فى حَسَبِهْ[٦]
لا يَصْرِمُ المُحْدَثُ الكَهَامُ ولَوْ أَخلَصَهُ الهَالِكِىُّ مِنْ جَرَبِهْ[٧]
نَنْسَى أَيَادِى الزَّمَانِ فِينَا فَمَا نَذْكُرُ مِنْ دهْرِنَا سِوَى نُوَبِهْ

(١) ديوان البحترى ٤ / ٢١٠٦ : « نجتويها وننذمه » .
(٢) م « يحى دمعاً هذا » .
(٣) ديوانه ٣٠٢ ، ١ / ٢٤٢ دار المعارف .
(٤) م « لم ينصر المجد حين » .
(٥) م « الغنى » .
(٦) فى الديوان « بعيداً وأراك فى حسبه » ، « بعيداً شرواك فى حسبه » .
(٧) « من حربه » .
وفى اللسان ١٢ / ٣٩٨ « والهالكى : الحداد ، وقيل . الصيقل . قال ابن الكلبى : أول من عمل الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، وكان حداداً نسب إليه الحداد ، فقيل : الهالكى » .

وقال :

أَيذهَبُ هَذَا الدَّهْرُ لَمْ يَرَ مَوْضِعِى ... ولَمْ يَدْرِ مَا مِقْدَارُ حَلِّى ولَا عَقْدِى[١]

ويَكْسُدُ مِثْلِى وهْوَ تَاجِرُ سُؤْدَدِ ... يَبِيعُ ثَمِينَاتِ المكَارِمِ والحَمْدِ[٢]

سوائِرِ شِعْرُ جَامِع بَدَدَ العُلىٰ ... تَعَلَّقْنَ مَنْ قَبْلِى ، وأَتْعَبْنَ مَنْ بعْدِى

يُقَدِّرُ فيها صانِعٌ مُتَعَمِّلٌ ... لأَحْكامِها تَقْدِير دَاودَ فى السَّرْدِ[٣]

خيلىَّ لَوْ فى المَرْخِ أَقْدَحُ إِذْ أَبَى ... رِجَالٌ مُوَاتَاتِى ، إِذَنْ لَخبَا زَنْدِى[٤]

وَمَا عارَضَتْنِى كُدْيَةٌ دُونَ مَدْحِهِمْ ... فكَيْف أَرَنِى دُونَ مَعْروفِهِمْ أُكْدِى

أَأَضْرِبُ أَكْبَاد المَطَايَا إِليهِمُ ... مُطَالَبَةً مِنِّى وحَاجَاتُهُمْ عِنْدِى ؟

وهذا صِدْقُ أَبى عبادة عن نفسه ، وما كان له بد من أن ينفث ، وما قال قولا هو أصدق من هذا .

وقال :

ومَا جَهِلْتَ فَلَا تَجْهَلْ مُحَاجَزَتى ... لِصَاحِبِ البابِ يَرْمِى عَنْهُ صَاحِبُهُ[٥]

الأَرْضُ أَوْسَعُ مِنْ دَارٍ أُلِظُّ بِها ... والناسُ أَكْثَرُ مِنْ خِلٍّ أُحَارِبُهُ[٦]

أُعَاتِبُ المَرْءَ فيما جاءَ واحِدَةً ... ثم السلامُ علَيْهِ لا أُعاتِبُهُ

---

( ١ ) ديوان البحترى ١٨٢ ، ٢ / ٧٤٧ دار المعارف .

( ٢ ) فى الديوان « والمجد » .

( ٣ ) سقط هذا البيت من طبعة بيروت .

( ٤ ) المرخ : شجر كثير الورى سريعه ، كما فى اللسان ٢٢/٣ وفى م « ذا الورى » .

( ٥ ) ديوانه ٧٨٧ ، ١ / ٢٢٦ .

( ٦ ) فى الديوان « دار ألط بها . . . أكثر . . أجاذبه » . وألظ بها : أقيم ، كما فى اللسان ٩ / ٣٤٠ .

وَلَوْ أَخفَتُ لَئِيمَ القَوْمِ جنَّبنِى    أَذَاتَهُ ، وَصَدِيقُ الكَلْبِ ضَارِبُهُ
وَلَنْ تُعين آمرأً يَوْمًا وَسَائِلُهُ    ما لَمْ تُعِنْهُ على حُرٍّ ضَرَائِبُهُ[١]

وقال :

لَنَا فى كُلِّ يومٍ أَصْدِقَاءُ    تَعُودُ عِدًا ، وحالَاتٌ تَحُولُ[٢]
وقَدْ تَعْفُو الظُّنُونُ بِمَنْ يُرجَّى    فَتُخْلِفُ مِثْل ما تَعْفُو الطُّلُولُ
ومَا فُقِدَ الجَمِيلُ لِقُرْبِ عَهْدٍ    فَنَسْأَلَ عَنْهُ ، بَلْ نُسِى الجَمِيلُ
وَيَلْؤُمُ سائِلُ البُخَلَاءِ حِرْصًا    وإِسْفَافًا كَمَا لَؤُم البَخِيلُ[٣]

وقال :

لَمْ أَلْقَ مَقْدُورًا عَلَى آسْتِحْقَاقِهِ    فى الحَظِّ إمَّا ناقِصًا أَوْ زَائِدَا[٤]
وَعجِبْتُ لِلْمَحْدُودِ يُحْرَمُ نَاصِبًا    كَلِفًا ، ولِلْمجْدُودِ يَغْنَمُ قَاعِدَا
وتَفَاوُتُ الأَرْزَاقِ فِيمَا بيْنَهُمْ    لَا يَأْتَلِينَ نَوَازِلًا وَصَوَاعِدَا
ما خَطبُ مَنْ حُرِمَ الإِرادةَ وادِعًا    خَطْبُ الذى حُرِمَ الإِرَادَةَ جَاهِدَا[٥]

وهذا كله فى غاية الجودة والحسن والصحة والبراعة والحلاوة .

* * *

فأقول فى الموازنة بينهما : إنهما[٦] أحسنا جميعاً فى هذا الباب وأجادا ، وأجعلهما متكافئين مع ما فيه لأبى تمام من الإساءة .

---

(١) فى الديوان « إن لم تعنه » هنا وقد سها الناسخ فأعاد هنا كتابة تعليق الآمدى على الأبيات السابقة .

(٢) ديوانه ٣٠١ « فى كل دهر » .

(٣) م « و إشفاقاً » .

(٤) ديوانه ٦٤٦ ، ٢ / ٨٢١ دار المعارف .

(٥) م « خطت الذى » !

(٦) م « أيهما » .

## ما قالاه فى طلب الرزق والنهوض إليه

قال أبو تمام :

سَيَبْتَعِثُ الرِّكَابَ ورَاكِبِيها فَتًى كالسَّيْفِ هَجْعَتُهُ غِرَارُ[١]
أَطَلَّ عَلَى كُلَى الآفاقِ حَتَّى كَأَنَّ الأَرْضَ فى عَيْنَيْهِ دَارُ[٢]

غِرار : قليل . وهذا البيت حسن جدًّا ، ولو كان فى مدح خليفة ضبط الدنيا ، وأحسن سياستها ، ومراعاة كل ناحية منها ـ كان أحسن وأليق .

وإنما سرق المعنى من قول منصور النَّمَرى يمدح الرشيد :

وعَيْنٌ مُحِيطٌ بالبَرِيَّةِ طَرْفُها سَوَاء عَلَيْهِ قربها وبعيدها

وقال :

سَلِي هلْ عَمَرْتُ القَفْرَ وهْوَ سَبَاسِبٌ وغَادَرْتُ رَبْعِي مِنْ رِكَابِي سَبَاسِبَا[٣]
تَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وشَرَّقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ المَغَارِبَا[٤]

---

(١) ديوان أبى تمام ١٤١ وفى شرح التبريزى ٢ / ١٥٥ عن المعرى « هذا معنى لطيف ، وهو نحو من التورية ، لأنه ذكر السيف ، ثم ذكر الغرار ، وهو يريد به النوم القليل ، والسيف له غرار . فهذا المعنى الذى قصده الطائى » .

(٢) م « على طل » وقال المعرى– فيما نقل التبريزى –: « كلى : جمع كلية ، واستعارها للآفاق ؛ لأن من اطلع على كلية الشىء فقد خبره ، إذ كانت الكلية لا تكون إلا فى الباطن » .

(٣) ديوانه ١٧ وشرح التبريزى ١٤٧/١ « والركاب : الإبل المركوبة . والسباسب : القفر من الأرض . يقول : غمرت القفر بسفرى ، وصار منزلى كالقفر لتركى له » . وفى م « وهى » .

(٤) فى التبريزى « وغربت » .

خُطُوبٌ إِذَا لَاقَيْتُهُنَّ رَدَدْنَنِي جَرِيحًا كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الكَتَائِبَا[١]
وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ خَلَائِقُهُ طُرًّا عَلَيْهِ نَوَائِبَا
وَقَدْ يَكْهَمُ السَّيْفُ المُسَمَّى مَنِيَّةً وَقَدْ يَرْجِعُ المَرْءُ المُظَفَّرُ خَائِبَا
فَآفَةُ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ صَارِمًا وَآفَةُ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ ضَارِبَا[٢]

قوله : « فَآفَةُ ذَا أن لا يُصَادِفَ صَارِماً » - ليس بالجيد ؛ لأن الشجاع المظفر قد يقطع السيف الكَهَامُ فى يده ، ألا ترى إلى قول البحترى :

وَمَا السَّيْفُ إلا بزٌّ غَادٍ لِزِينَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهُ[٣]

وكان الأجود له أن يقول : فآفة ذا أن لا يصادف مَغْنمًا ، أو مَضْرَبًا . يعنى المرء المظفر . وآفةُ ذَا أن لا يصادف ضَارِبًا . يعنى السيف ؛ لأنه قد جعل آفته فى أن صَارَ كَهَامًا (أى) أنه لم يجد ضاربًا يضرب به . ولم يذهب إلى نحو قول الفَرَزْدَق :

كَذَاكَ سُيُوفُ الهِنْدِ تَنْبو ظُبَاتُها وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ القَلَائِدِ[٤]

لأن هذا معنى آخر .

* * *

وقال أبو تمام :

وأُخرَى لَحَتْنِي حِينَ لَمْ أُتبع الهوى قِيَادِي ، ولم يَنْقُضْ زَمَاعِيَ نَاقِضُ[٥]
أَرَادَاتْ بِأَنْ يَحْوِى الرَّغِيبَاتِ وَادِعٌ وَهَلْ يَفْرِسُ اللَّيْثُ الطُّلَى وهْوَ رَابِضُ

وهذا بيت الباب كله ، فإنه لا يمر فيه أجود منه ، ولا أليق ، ولا أحسن .

(١) ويروى : « لقيت كتائبا » .
(٢) راجع روايات البيت فى شرح التبريزى وهامشه ١ / ١٤٨ .
(٣) ديوانه ٥٢ وفى م « إلا ابن غاد » .
(٤) ديوانه ١٨٦ « و يقطعن أحياناً نياط » .
(٥) ديوانه ١٨٣ وشرح التبريزى ٢٩٦/٢ « لم أمنع الهوى » .

وعلى أنه معنى مأْخوذ من مَثَلٍ للأَسد : قيل له : لم أَنت غليظ الرقبة ؟ فقال :لا أَلزَمُ خِدْرِى وأَتكل فى فريستى على غيرى .

وقد سمعت فيه شعرًا أيضًا منظومًا ، ولكن أبا تمام أحسن العبارة عن المعنى جدًّا .

* * *

وقال :

إنَّ خيْرًا [مِمَّا] رَأَيْتُ مِنَ الصَّفْـ ـحِ عن النَّائِبَاتِ والإِغْمَاضِ :(١)
غُرْبَةٌ تَقْتَدِى بِغُرْبَةِ قَيْسِ بْـ ـنِ زُهَيْرٍ والحارِثِ بن مُضَاضِ
غَرَضَى نَكْبَتَيْنِ مَافتَلَا رَأْ يًا فَخَافَا عَلَيْهِ نَكْثَ انْتِقَاضِ(٢)
مَنْ أَبَنَّ الْبُيُوتَ أَصْبَحَ فى ثَوْ بٍ مِنَ العَيْشِ لَيْسَ بالفَضْفَاضِ
والْفَتَى مَنْ تَعَرَّقَتْهُ اللَّيَالِى والفَيَافِى كالحَيَّةِ النَّضْنَاضِ(٣)
صَلَتَانٌ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ حَلُّوا فى حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَفَاضِ(٤)
كُلَّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرْفِ اللَّيَالِى فَتْكَةٌ مِثْلُ فَتْكَةِ البَرَّاضِ

أَبَنَّ البُيُوتَ : أقام بها ولَزِمَها . والفَضْفَاض : الواسع . والحيَّةُ النَّضْنَاضُ : هو الخفيف الكثير الحركة .

وقد عيب عليه قوله : «مُستَفَاض» ، وقالوا : إنما هو مستفيض ، وقيل : إنه أراد مستفاض فيه ، وليس ذلك بشىء(٥) .

---

(١) ديوان أبى تمام ١٨٧ وشرح التبريزى ٢ / ٣٠٩ .

(٢) ويروى « غرضاً » .

(٣) تعرقته الليالى : أخذت ما عليه من اللحم ، وهم يثنون على الهزال إذا كان فى طلب المجد والسمو ويذمون السمن . كما فى شرح التبريزى ٢ / ٣١١ .

(٤) فى التبريزى « من عزمه » وصلتان : ماض فى أمره .

(٥) نقل التبريزى عن المعرى : « وأهل اللغة يزعمون أن الصواب أن يقال : حديث مستفيض ، والقياس لا يمنع أن يقال : مستفاض ، وهو من فيض الماء ، فإذا قيل : مستفيض فمعناه منتشر ، وإذا قيل مستفاض فمعناه منشور » .

وقد قاله البحترى أيضًا فى قصيدته التى على هذا الوزن :

أَفْرَطَتْ لَوْثَةُ ابْنِ أَيُّوبَ والشَّا ئِعُ مِنْ ذِكْرِ أَفْنِهِ المُسْتَفَاضِ[١]

وقد نطق بها غير واحد من المتأخرين . وهى رديئة .

وذكرها «الطِّرماحُ» على غير هذا الوجه ، فقال يصف حمار وحش :

ويظل المَلِيءُ يُوفِى عَلَى القَرْ نِ عَذُوبًا كالحُرْضَةِ المُسْتَفَاضِ[٢]

القرن : الجبل . عَذُوفًا : رافعًا رأسه لا يذوق شيئًا .

شبهه بالحُرْضَةِ ، وهو رجلٌ يجيءُ به أصحابُ الميسر ، رَذْلٌ من الرجال ساقط ، ويشدُّون عينَه ، ويدفعون إليه القِدَاحَ فيفيض بها لهم ، فقيل له : المُسْتَفَاض ؛ لأنه جعله مفيضًا . والإفاضة بالقداح هى أن يدفعها دفعة واحدة من الرِّبَابَة إلى قُدَّام ، فيخرج من مَخْرَجها الضيق قَدَحٌ واحد ، ويقوم الرقيب فيأخذه ، وينظر : فإن كان لا حظ له ردّه إلى الرِّبَابَة ، و [قال] للحُرْضَة : أَعِدْ الجَلْجَلَةَ والإفاضة ، وإن كان السهم من ذوات الحظوظ دفعه إلى صاحبه وقال له : اعتزل . فإن كان الفَذُّ أخذ نصيبًا واحدًا وهو عُشْرُ الجزور ، وإن كان غيره أخذ على قدر أنصبائه .

ولقيس بن زهير ، والحارث بن مُضَاض [فى] اغترابهما حديث ، وكذلك لِلْبَرَّاضِ فى فَتكَتِه . وأنا أذكر جميع ذلك بعد الفراغ من [هذا][٣] الباب بإذن الله .

* * *

(١) ديوان البحترى ٣٩٢ « من أفن رأيه » .

(٢) اللسان ٨ / ٤٠٤ والمعانى الكبير ٣ / ١١٤٩ والميسر والقداح ١٢٩ وجمهرة أشعار العرب ١٩١ « الملء : القادر » وفى م « عذوفاً » .

(٣) م « الفراغ بابا من الباب » .

وقال أبو تمام :

أَعَاذِلَتَا : مَا أَخْشَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا ۞ وأَخْشَنُ مِنْهُ فى المُلِمَّاتِ رَاكِبُهْ(١)
دَعِينِى وأَهْوَالَ الزَّمَانِ أُعَانِها ۞ فَأَهْوَالُهُ العُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهْ(٢)
أَلَمْ تَعْلَمِى أَنَّ الزَّمَاعَ عَلَى السُّرَى ۞ أَخُوالنُّجْحِ عِنْدَ النَّائِبَاتِ وصَاحِبُهْ؟!(٣)
دَعِينى عَلَى أَخْلَاقِىَ الصُّمِّ لِلَّتِى ۞ هِىَ الوَفْرُ ، أَوْ سِربٌ تُرِنُّ نَوادِبُهْ(٤)
فإِنَّ الحُسَامَ الهُنْدُوَانِىَّ إِنَّمَا ۞ خُشُونَتُهُ مَالَمْ تُفَلَّلْ مَضَارِبُهْ
وقَلْقَلَ نَأْىٌ مِنْ خُرَاسَان جَأْشَهَا ۞ فَقُلْتُ اطْمَئِنِّى أَنْضرُ الرَّوْضِ عَازِبُهْ(٥)
ورَكْبٍ كَأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا ۞ عَلَى مِثْلِهَا ، واللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ
لِأَمْرٍ عَلَيْهِم أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ ۞ ولَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

وحَسْبُكَ بهذا كلِّه جودةً وحسنًا .

وهذا البيت الأخير إنما أخذ معناه من قول الشاعر ، وأنشده فى الحماسة :

فكانَ عَلَى الفَتَى الإِقدامُ فيها ۞ ولَيْسَ عليهِ مَا جَنَت المَنُونُ(٦)

(١) ديوان أبى تمام ٤٣ وشرح التبريزى ١ / ٢٢٤ .

(٢) أعانها : أقاسها .

(٣) فى شرح التبريزى : « الزماع : المضاء على الأمر . يقول : ألم تعلمى أن من باشر الأسفار وترك الخفض وابتذل نفسه — أنجح ونال الطلبة ؟ » .

(٤) م « اخلاق الضمر التى » ويروى « الصمل » أى الشديدة : والوفر : المال . يقول : دعينى أرتحل . فإما أن أتمول وإما أن يقوم علىّ سرب نساء يندبن .

(٥) يقول : « أحزنها بعدى إلى خرسان ، فقلت اسكنى فإن الروض أنضره ما بعد ولم يكن قريباً فينال » .

(٦) سبق تخريجه فى الجزء الأول ص ٢١ .

وقال [أبو تمام] وسبيله أن يقدم فى أول الباب ؛ لأنه من إحسانه المشهور :

وَلِكنَّنِي لَمْ أَحْوِ وَفْرًا مُجمَّعًا ... فَفُزْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمْلٍ مُبدَّدِ(١)
ولَمْ تُعْطِنِي الأَيَّامُ نَوْمًا مُسَكَّنًا ... أَلَذُّ بِهِ إِلَّا بنَوْمٍ مُشَرَّدِ
وطُولُ مَقَامِ المرءِ فى الحىِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيبَاجَتَيْهِ . فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فإِنِّى رأَيتُ الشمس زِيدَتْ مَلَاحَةً ... إلى النَّاسِ أَنْ لَيْسَت عَلَيهِمْ بِسَرْمَدِ

قوله : «لَمْ أَحْوِ وَفْرًا مُجَمَّعًا . . . إلا بشمل مبدد» يريد أنه لم يَحْوِ ذلك إلا فى الغُرْبَةِ مع مفارقة وطنه وأحبابه ، وأنه لم ينم نوماً ساكناً إلا بعد نوم مشرّد فى الأسفار . وهذا مبنى على قول عُرْوَةَ بن الوَرْد :

* ولم تدر أنّى لِلمقام أطوّف *(٢)

وقوله : «فإِنى رأيت الشمس» . . . مَسْرُوقٌ من قول الكُمَيْت :

* ولَوْ لَمْ تَغِبْ شَمْسُ النَّهَارِ لَمُلَّتِ *

وقال أبو تمام :

هُنَّ البَجَارِىُّ [ أ ] يا بُجَيْرُ ... أَهْدَى لَهَا الأَبْؤُسَ الغُوَيْرُ(٣)
يَوْمُ مَقَامٍ عَلَى وفَازٍ ... وسائِرَ الدَّهْرِ فيه سَيْرُ
فى ثُبَةٍ إن سِرْنَ جنٌّ ... أو يَمَّمُوا شُقَّةً فَطَيْرُ
قَدْ ضَجَّ مِنْ فِعْلِهِم جَدِيل ... بِنَسْلِهِ وَاشْتَكَى غُرَيْرُ
هَذَا عُبَيْدٌ ، وَذَا زِيَادٌ ... وذَا لبيدٌ ، وذَا زُهَيْرُ
يَا لَكَ مِنْ هِمَّةٍ وعَزْمٍ ... لو أنه فى عَصَاكَ سَيْرُ

---

(١) ديوان أبى تمام ١٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٢٣ .

(٢) الكامل ١ / ١٧٣ وعيون الأخبار ١ / ٢٣٤ والصناعتين ٢٢٠ وصدره : «تقول سليمى : لو أقمت بأرضنا» .

(٣) سبق فى الجزء الأول ص ٢٥ .

رُبَّ قليل جدًّا كَثِيرُ  كَمْ مَطَرٍ بَدْؤُهُ مُطَيْرُ
صَبْرًا عَلَى النَّائِبَاتِ صَبْرًا  ما صنَع اللهُ فهو خَيْرُ

فهذه معان مستقيمة صحيحة ، ونسج جيد ، ولفظ حسن إلا قوله : « هُنَّ البَجَارِىُّ يا بُجَيْرُ » ، فإنه لفظ متعسف مستكره . والبجارى : جمع بُجْرِيَّة وهو ما يمر بالإنسان[1] من البُجرِ والمَصَائِب . من قوله عليه السلام : « أَشْكُو إلى الله عُجَرى وبُجَرِى » فالبُجَرُ : جمع بُجْرة .

ثم قال : « أَهْدَى لها الأَبْؤُسَ الغُوَيْرُ » . وهذا هو المثل : « عَسى الغُوَيْر أَبْؤُسا »[2] .

يقول : جاءها البؤس من حيث لم تعلم أن هناك بؤسا .[3] والبَجَارِىُّ هى البؤس أنفسها . فكان ينبغى أن يقول : أهدى لى الأَبؤُس الغوير ، لا أهدى لها .

وإن كان أراد أهدى لها يعنى نفسه ، ولم يجر لها ذكر فهو ردىء .

* * *

وقال البحترى :

وأَحَبُّ آفَاقِ البِلَادِ إلى الفَتَى  أَرْضٌ [ينال] بها كَرِيمَ المَطْلبِ[4]
كَمْ مَشْرِقٍ قَدْ نَقَلْتُ نَوَالَهُ  فجعلْتُه لِى عُدَّةً فى المَغْرِبِ

---

(١) م « ما يمر الإنسان من البحرى » .
(٢) مجمع الأمثال ٣ / ١٧ وجمهرة الأمثال ١٤٣ .
(٣) م « بؤس » .
(٤) ديوان البحترى ١٢٣ ، ١ / ٢٨٣ وفى م « وأحق » .

وقال :

أُمْسِى زَمِيلا لِلظَّلَامِ وأَغْتَدِى ... رِدْفًا عَلَى كَفَلِ الصَّبَاحِ الأَشْهَبِ[١]
فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الْـ ... أَقْصَى ، وطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ[٢]
وإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةَ مُعْدِمٍ ... فَالْبَسْ لَهَا حُلَلَ النَّوَى وتَغَرَّبِ
ولَقَدْ أَبِيتُ مَعَ الكَوَاكِبِ رَاكِبًا ... أَعْجَازَهَا بِعَزِيمَةٍ كالكَوْكَبِ
واللَّيْلُ فى لَوْنِ الغُرَابِ كَأَنَّهُ ... هُوَ فى حُلُوكَتِهِ وإِنْ لَمْ يَنْعَبِ
حتَّى تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ جَنَبَاتِهِ ... كالماءِ يَلْمَعُ فى خِلَالِ الطُّحْلُبِ[٣]
والعيش تَنْصُلُ مِنْ دُجَاهُ كما انْجَلَى ... صِبْغُ الشَّبَابِ عن القَذَالِ الأَشْيَبِ[٤]

وهذا من إحسان أبى عبادة الذى يتقدم على [كل] إحسان فى معناه .

وما قيل فى وضوح الصبح أجود ولا ألطف معنى ، ولا أبرع من قوله : « كالماءِ يلمع فى خِلال الطحلب » .

وقوله : « فأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا للمشرق الأَقْصَى » – أجود من قول أبى تمام :

« تغرَّبت حتَّى لم أجد ذكر مشرق » ؛ لأنه يجوز أن لا يكون سمع[٥] أهلَ بلد يذكرون المشرق ، وليسوا جُهَّالًا به .

---

(١) ديوان البحترى ٦٠١ ، ١ / ٧٩ دار المعارف .
(٢) سبق ص ٢٦٣ .
(٣) فى الديوان « حتى تجلى الصبح فى جنباته . . من وراء الطحلب » وفى م « فى ظلال الطحلب » .
(٤) فى الديوان « والعين تنصل » .
(٥) م « يسمع » .

وقوله : «حتى قد نسيتُ المَغَارِبَا » . يجوز أن ينساها فلا يذكرها ، وأن ينسى أباه فلا يذكره ، وليس ماله بروى[١] ، لأن غرضه فيه معروف ، ولكن قول البحترى أجود .

وقال البحترى :

أُشَرِّقُ أَمْ أُغَرِّبُ يَا سَعِيدُ وأَنْقُص مِنْ زَمَاعِى أَمْ أَزِيدُ[٢]
عَدَتْنِى عَنْ نَصِيبِينَ العَوَادِى فَحَظِّى أَبْلَهٌ فيها بَلِيدُ[٣]
أَرَى الحِرْمَانَ أَبْعَدُهُ قَرِيبٌ بها ، والنُّجْحَ أَقْرَبُهُ بَعِيدُ
تَقَاذَفُ بِى بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ كأَنِّى بَيْنَهَا خَبَرٌ شَرُودُ[٤]

قوله : «خبرٌ شَرُود » — معنى غريب طريف .

وقال :

وإِنَّ اغْتِرَابَ المَرْءِ فى غَيْرِ بُغْيَةٍ يُطَالِبُها مِنْ حَيْفِ دَهْرٍ يُطَالِبُهْ[٥]
فَلَيْسَ بِمَعْذُورٍ إِذَا رُدَّ سِرْبُهُ عَلَيْهِ بِأَنْ تَعْيَا عَلَيْهِ مَذَاهِبُهْ
ويُعْطِيه مُرْجُوٌّ العَوَاقِبِ مُسْرِعًا إليه ركوبُ الأَمْرِ تُخْشَى عَوَاقِبُهْ
أُرجِّى وَمَا نَفْعُ الرَّجَاءِ إذا الْتَقَتْ مَنَاحِسُ أَمْرٍ مُجْحِفٍ ومَعَاطِبُهْ
ومِمَّا يُعَنِّى النَّفْسَ كُلَّ عَنَائِهَا تَوَقُّعُهَا الصُّنْعَ البَعِيد تَقَارُبُهْ[٦]

وهذا البيت يصلح أن يكون فى باب الصبر والقناعة ، ومعناه من أتقن المعانى وأحسنها .

---

(١) كذا بالأصل ولعلها « وليس ما قاله بردىء » .
(٢) ديوان البحترى ٤١٤ ، ١ / ٥٨٠ وسبق الأول ص ٢٣٤ .
(٣) فى الديوان « فقلبى أبله » ، « فنجحى أبله » .
(٤) وفيه « جمل شرود » .
(٥) ديوانه ٥٨٨ ، ١ / ٢١٩ .
(٦) فى الديوان « الصنع البطىء » .

وقال :

عَسَت الإضافَةُ أَنْ تَنَـالَ بِهَا ... سَعَةً ونَكَّلَ ضَارِباً شِبَعُهْ(١)
والفَسْلُ تَسْلُبُهُ عَزِيمَتَهُ ... أَدْنَى وُجُودِ كِفَايَةٍ تَسَعُهْ
لا يَلْبَثُ المَمْنُوعُ تَطْلُبُهُ ... حتَّى يَثُوبَ إِلَيْكَ مُمْتَنِعُهْ
والنَّيْلُ دَيْنٌ تَسْتَرِقُّ به ... فارْتَدْ لِرِقِّكَ عِنْدَ مَنْ تَضَعُهْ(٢)

قوله : «نَكَّل ضَارِبًا شِبَعُه» . أى أَقْعَدَهُ حتى نَكلَ عن المطلب .

* * *

وقال :

أَسِيرُ إِذْ كُنْتُ فى طولِ المَقَامِ بِهَا ... أَكْدِى لَعَلِّى أُجْدِى عِنْدَ مُرْتَحلِى(٣)
ورُبَّمَا حُرِمَ الغَازُونَ غُنْمَهُمُ ... فى الْغَزْوِ ، ثُمَّ أَصَابُوا الغُنْمَ فى قَفَلِ(٤)
شَرِّقْ وغَرِّبْ فَعَهْدُ العَاهِدِينَ لِمَا ... طالَبْتَ فى ذَمَلَانِ الأَيْنُقِ الذُّمُلِ(٥)
ولا تَقُلْ أُمَمٌ شَتَّى ولا نَسَقٌ ... فالأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ ، والنَّاسُ مِنْ رَجُلِ(٦)

قوله : «ولا تَقُل أُمَمٌ شَتَّى ولا نَسَقٌ» . أى لا يَصُدنَّك عن السفر أن تقول : كيف أُلاقى أُمَمًا متفرقين مُتَباعِدِين ، غير مُقْتَرِنين ، ولا مُتَّسِقِين ، وأترك أهلى وبلدى ؛ فإن تربة الأَرض واحدة ، والناسُ أبناءُ رجل واحد .

وصدر هذا البيت ردىء ، وعجزه فى غاية الحسن والبراعة .

* * *

(١) سقط هذا البيت من الديوان ص ٢٣٧ . وهو فى طبعة مصر ٢ / ٨٣ .
(٢) فى طبعتى الديوان « فاطلب لرقك » .
(٣) ديوان البحترى ٢٢٧ .
(٤) فى الديوان « فى القفل » .
(٥) فى الديوان « بما طاليت » .
(٦) م « شتى ولا فرق » .

ولولا أن محاسن أبي تمام فى هذا الباب هى أبياته الأَربعة والجميع من معانيها مَسْروقة – لفضّلته على البحترى إلا فى بيت الطحلب فإنَّه معنى ما علمتُ أحدًا سَبَق إليه ، ولا قيل فى وضوح الصبح أبرع منه . فأَجعلهما متكافئين .

# ومما* ذكرا فيه سُرَى الإبل

قال أبو تمام :

لَا تُذِيلَنْ صَغِيرَ هَمِّكَ وانظُرْ كَمْ بذى الأَثْلِ دَوْحَةً مِنْ قَضِيبِ (١)
رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ السُّرَى وغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ ، ونَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ
فاسْأَلِ العِيسَ مَا لَدَيْها وأَلْفٍ بَيْنَ أَشْبَاحِهَا وبَيْنَ السُّهُوبِ (٢)

وقال :

فَتَى النَّكَبَاتِ مَنْ يَأْوِى إِذَا مَا قَطَفْنَ بِهِ إِلى خُلُقٍ وَسَاعِ (٣)
يُثِير عَجَاجَةً فى كلِّ ثَغْـرٍ يَهِيمُ بِهَا عَدِىُّ بنُ الرِّقَاعِ
أَبَنَّ مَعَ السِّبَاعِ الماءَ [حَتَّى] لَخَالَتْهُ السِّبَاعُ مِنَ السِّباعِ
فَلَبِّ الحزْمَ إِنْ حَاوَلْتَ يومًا بأَنْ تَسْطِيعَ غَيْرَ المُسْتَطَاعِ (٤)
فَلَمْ تَرْحَلْ كَنَاجِيَةِ المَهَارِى ولم تُرْكِبْ هُمُومَكَ كالزِّمَاعِ

قوله : « قَطَفْنَ » أى أبطأ فى الانصراف والانكشاف عنه ، وتثاقلن فى المضى ، مأخوذ من قولهم : دابة قَطُوفٌ ، وهو الذى يقصّر خطوه فيبطئ ذهابه .

---

* م « وما » .

(١) ديوان أبى تمام ٣٦ وشرح التبريزى ١ / ١٢٦ — ١٢٧ .

(٢) ويروى : « بين أشخاصها » .

(٣) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزى ٢ / ٣٣٦ ويروى « أطفن » يقول : « هو صاحب النكبات والشدائد يرتكبها و يأوى إلى خلق واسع إذا ضيقن من مذاهبه وأحطن به » .

(٤) م « فليت الحزم » وفى شرح التبريزى « ويروى : فلب العزم ، يقول : إنه أردت أن تقدر على مالا يقدر عليه ، فأوجب عزمك واتبعه ولا تخالفه ، فإن العزم يؤديك إلى النجح . . . وقال المرزوقى .. معنى البيت : أجب الحزم وعليك به فيما تطلبه من المهمات . فإن الحزم يعين على كل شىء حتى على مالا يتأتى ولا يسهل » .

يقول : فإنه مع هذه الحال يأوى إلى خلق واسع ، وصبر على المِحَنِ حتى تنكشف.

وقوله : «يُثِيرُ عَجَاجَةً فى كلِّ ثَغْرٍ». أى يطأ كل بلدة مَخُوفَةٍ ، وتثير مطيتُه غبارَ كلِّ بقعة. ونسب العجاجة إلى عَدِىِّ بن الرِّقَاع لأن عَدِيا وصف العَيْرَ والأَتَانَ وما يُثِيرانِه من الغبَار فى السهل من الأرض ، فإذا صارا إلى الحَزْن لم يوجد لها فيه نَقْعٌ ، فشبَّهه بمُلاءةٍ يَنْشُرانِها مَرَّةً ، ويَطْوِيانِها أُخْرى فقال :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الغُبَارِ مُلَاءَةً  سَوْدَاءَ دَاجِيَةً هُمَا نَسَجَاهَا[1]
تُطْوَى إذا عَلَوَا مكانًا نَاشِزًا  وإذَا السَّنَابِكَ أَسْهَلَتْ نَشَراها

وهذا من تشبيهات العرب الموصوفة. فجعل أبو تمام عَدِيًّا ممن هام بهذه العجاجة ، أتى بوصفها إعجابًا بها ، وأن ناقته أيضًا تُثِير عجاجةً فى كل ناحية كهذه العجاجة .

وهذا تمحل منه لمعنى غير لائق بما هو بسبيله من ذِكْرِ سَيْرِه ؛ لأنه إن كان أراد أنه أيضًا يثير النَّقْعَ فى السهل ، ولا يثيره فى الحَزْن فكلُّ سائر فيهما هذه حَالُه ، فما وجه ذِكْرِهِ عجاجةَ عدىّ ، وإنما حسُن من عَدىّ ، وصحَّ التشبيه لأن الحِمَارَ إذا طلب الأَتانَ فليس يَجْرِيَانِ على استقامة بل تراهما بَيْنَا هُمَا فى الحَزْن صَارَا إلى السَّهْل ، ثم يعودان إلى الحَزْن ، فتراهما مُسْهِلَيْن ومُحْزِنَيْنِ لِجَوَلَانِهِمَا ، فترى عجاجتهما تَثُور حِينًا ، وتَلْبَدُ حينًا ، فصح التشبيه وحسن. والمسافر إنما يَمُرُّ على سنن واحد فليس يكاد يخرج من سهل إلى حزن ، ومن حزن إلى سهل فى وقت واحد تدركه

---

(١) الطرائف ٩٦ وأمالى المرتضى ١٠٣/١ ونقد الشعر ٤٢ ومعجم الشعراء ٢٥٣ وفى م «نشرهما» .

منه العيون فيكون الغبار مشبهًا لملاءة تنشر وتطوى . وإنما يقع ذلك فى أوقات متراخية يسقط معها هذا المعنى .

* * *

وقال أبو تمام :

وَرَكْبٍ يُساقُونَ الرِّكابَ زُجَاجَةً مِنَ السَّيْرِ لَمْ تقْصِدْ لَهَا كَفُّ قَاطِبِ[1]

فَقَدْ أَكَلَتْ مِنْهَا الغَوَارِبُ بالسُّرى وَصَارَتْ لَهَا أَشْبَاحُهُمْ كالغَوَارِبِ[2]

يَرَى بالكَعَابِ الرُّودِ طلْعَةَ ثَائِرٍ وبالعِرْمِسِ الوَجْنَاءِ غُرَّةَ آيِبِ[3]

كأَنَّ بِهِ ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الأَرْضِ ، أَوْ شَوْقًا إلى كُلِّ جَانِبِ

قوله : «لم تقصد لها كف قاطب» . أى سَيْرًا لا يلين ولا يَفْتُر ، كما تُقْطَبُ الرَّاحُ أَن تُمْزَج وتُكْسَر بالماءِ وتلين .

وقال :

فَاطْلُبْ هُدُوءًا بِالتَّقَلْقُلِ وَاسْتَثِرْ بالعِيسِ مِنْ تَحْتِ السُّهَادِ هُجُودَا[4]

مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عَلَلِ السُّرَى وَخْدًا يَبِيتُ النومُ مِنْهُ شَرِيدَا[5]

---

(١) ديوان أبى تمام ٤١ وفى شرح التبريزى ١ / ٢٠٩ عن الصولى : «أى يسكرون المطى بالتعب فكأنهم سقوها زجاجة ، أى شراباً فى زجاجة ، وقاطب : أى مازج . أى ليست هى على الحقيقة زجاجة فيها شراب يناولها الساقى صاحبه بقصد» .

(٢) فى الديوان وشرحه «فقد أكلوا» ، يقول : أتعبوها حتى ذابت أسنمتها ، وصاروا لها كالأسنة فوقها» .

(٣) نقل التبريزى عن الصولى قوله : «هذا الرجل من حبه للسفر فى طلب العلى . إذا رأى الكاعب الحسناء فكأنما يرى طلعة ثائر قد جاء ليثأر منه ، لبغضه الكاعب وحبه للسفر ، إلى أن يبلغ مراده و ينال حاجته . و يرى بالعرمس . وهى الناقة الصلبة — من حبه لها طلعة قادم عليه ، حتى يبلغ إلى أبى دلف هذا الممدوح . . .» .

(٤) ديوانه ٨٨ وشرح التبريزى ١ / ٤١٦ «بالعيس : أى بركوب العيس . ومن تحت السهاد : أى من تحت الصبر على السهاد . أى اطلب بالحركة فى الأسفار سكوناً ودعة فيما بعد ، و بالأرق نوماً» .

(٥) فى شرح التبريزى : «على علل السرى : يعنى إسراء بعد إسراء ، أخذه من علل الشرب . ومن روى على علل السرى — بكسر العين — أى ما يحدثه السرى من هزالها وغير ذلك» .

يَخْدِى بِمُنْصَلِتٍ يَظَلُّ إِذَا وَنَى ضُرَبَاؤُهُ حِلْسًا لَهَا وَقُتُودَا[١]
جعَلَ الدُّجَى جَمَلًا وودَّعَ رَاضِيًا بالهُونِ يَتَّخِذُ القُعُودَ قَعُودَا[٢]

وقال :

ورَأَيْتَ ضَيْفَ الهَمِّ لا يَرْضَى قِرًى إِلَّا مُدَاخَلَةَ القِفَارِ دِلَاثَا[٣]
شَجْعَاءَ جِرَّتُها الذَّمِيلُ تَلُوكُهُ أُصُلًا إِذَا رَاحَ المَطِىُّ غِرَاثَا[٤]
أُجُدًا إِذَا دَنَت المَهَارِى أَرْقَلَتْ رَقَلًا كَتَحْرِيقِ الغضا حَثْحَاثَا[٥]

مُدَاخَلَةُ القَفَار : مُوَثَّقَةُ الخَلْق .

والدِّلَاثُ : السريعة ، والمُنْدَلِثُ : المسرع ، يقال : اَنْدَلَثَ اَنْدِلَاثا .

و « شَجْعَاءُ جِرَّتُهَا الذَّمِيلُ »[٦] مثل ، أى إذا اَجْتَرَّتْ الإبلُ العلف من بطونها ولَاكَتْهُ فليس لهذه الناقة جرّة [ إلا الذميل] وهو ضرب من السير

---

( ١ ) المنصلت : الماضى فى الأمر . وضرباؤه : نظراؤه يقول : هذا الرجل قد ألف ظهور العيس فكأنه قتود لها وهذا مثل قولهم : بنو فلان أحلاس الخيل . وفى م « لمتصلت » .

( ٢ ) نقل التبريزى عن المرزوقى قوله : « والمعنى أنه امتطى الليل وخلف من كان يرضى بالهوان ويلزم بيته ، ولا يسعى فى كسب المال وتحصيله ، بل اتخذ جلوسه قعوداً له ، أى اقتعده ورضى به مركبا » ومن أمثال العرب : اتخذ الليل جملا : أى سرى الليل كله وركبه فى حاجته . راجع اللسان ١٣ / ١٣١ ومجمع الأمثال ١ / ١٣٥ .

( ٣ ) ديوانه ٦٤ وشرح التبريزى ١ / ٣١٧ والفقار : خرز الظهر . والدلاث : الناقة الجريئة على السير .

( ٤ ) قال المرزوقى : « الشجعاء : الطويلة ، وقيل : هى التى بها جنون من نشاطها ، والجرة : ما تخرجه الناقه من جوفها إلى فها وتجترّ به . والذميل : السير السريع . وتلوكه : تمضغه . والأصل : العشية . والغراث : الجياع . يصف ناقة فيقول : هى نشيطة تجترّ بالذميل إذا جاء الوقت الذى تكل فيه الإبل ، وهو العشية متى سارت النهار كله ، أى تسير سيرا سريعا . وجعل الاجترار مثلا للحوق الكلال وانقطاع القوى والأشر ، يقول : هى تصل السير بالسرى باقيا نشاطها إذا حسرت الإبل وكلت قواها . ويفسره البيت الذى بعده » .

( ٥ ) الأجد : القوية الموثقة الخلق . والإرقال : الإسراع . والغضا : شجر يوقد به ، وهو من أجود الوقود عند العرب . وحثحاثا : سريعاً . وفى م « جثجاثا » وهو تحريف .

( ٦ ) م « والشجعاء وجرتها الذميل » .

كما قال فى وصف الخيل :

* تَعْلِيقُها الإِسْرَاجُ والإِلْجَامُ *[١]

جعل ذلك مكان الشعير فى المَخَالِى إذا عُلِّقَت عليها .

يقول : إذا وَنَت الرِّكَابُ وغَرِثَتْ ، أى احتاجت إلى العَلَف ، فإنَّ هذه الناقة لاقتدارها على السير ، وصَبْرِها على[٢] الرَّمَل - تَلُوكُ الذَّمِيلَ كأَنَّه طَعَامُها .

وهذه القطع كلها جياد صحيحة المعانى والألفاظ .

* * *

وقال :

سَأَخْرِقُ الخَرْقَ يا بْنِ خَرْقَاءَ كَالْ ... هَيْقِ إذَا ما ٱسْتَجَمَّ مِنْ نَجَدِهْ[٣]

مُقَابَلٍ فى الجَدِيلِ صُلْبِ القَرَا ... لُوحِكَ مِنْ عَجْبِهِ إلى كَتَدِهْ

تَامِكِهِ ... نَهْدِهِ ... مُدَاخَلِهِ ... مَلْمُومِهِ ... مُحْزَئِلِّهِ ... أُجُدِهْ

« ابن خَرْقَاء » : يريد بعيراً .

والهَيْقُ . الظليمُ . شُبِّهه [به] لنشاطه وسرعته .

والنَّجَدُ : العَرَقُ . أى هو كالهَيْقِ فى هذه الحال التى يُقَدَّرُ فيها فُتُورُهُ .

مُقَابَلٌ : كريم الآباء والأُمهات . فى الجديل : وهو فَحْلٌ كريم .

لُوحِكَ : شُدَّ وَوُثِّقَ . والكَتَدُ : ما يتصِلُ بالحَارِكِ من العُنُق .

(١) ديوان أبى تمام ٢٨١ وصدره « بسواهم لحق الأياطل شزب » .

(٢) م « عن » .

(٣) ديوانه ٩١ وشرح التبريزى ١ / ٤٣٤ .

والتَّامِكُ : المرتفع ، وكذلك النَّهْدُ[١] .

والمَلْمُومُ : الذى قد استوى لحمه وشحمه من سنمه ، ولم يبق له عظم شاخِص.

والمُحْزَئِلُّ : المرتفع ، يقال : احْزَأَلَّ أى ارتفع فى السير .

وهذه معانٍ صحيحة . ولكن النَّسْجَ لا حلاوة له ، ولا طلاوة عليه .

* * *

وقال :

وَإِلى جَنَابِ أَبِى الحُسَيْنِ تَشَنَّعَتْ بِزِمَامِهَا كالمُصْعَبِ المَخْطُومِ[٢]
جَاءَتْكَ مِنْ مُعْجٍ خَوَانِفَ فى البُرى وعَوَارِفٍ بالمَعْلَمِ المَأْمُومِ
مِنْ كُلِّ نَاجِيَةٍ كَأَنَّ أَدِيمَها حِيصَتْ ظِهَارَتُهُ بِجِلْدِ أَطُومِ
تُثْنِى مِلَاطَيْهَا إذَا ما اسْتُكْرِهَتْ سَعْدَانَةً كَإِدَارَةِ القُرْزُومِ
طَلَبَتْكَ مِنْ نَسْلِ الجَدِيلِ وشَدْقَمٍ كُومٌ عَقَائِلُ مِنْ عَقَائِلَ كُومِ
يَنْسَيْنَ أَصْوَاتَ الحُدَاةِ ونَبْرَهَا طَرَبًا لأَصْوَاتِ الصَّدَى والبُومِ
فَأَصَبْنَ بَحْرَ نَدَاكَ غَيْرُ مُصَرَّدٍ وِرْدًا ، وأَمَّ نَدَاكَ غيرَ عَقِيمِ
لَمَّا وَرَدْنَ حِيَاضَ سَيْبِكَ طُلَّحًا خَيَّمْنَ ، ثُمَّ شَرِبْنَ شُرْبَ الهِيمِ

قوله : «تَشنَّعتْ» : أى أخذت أُهْبَتَها للسير ، وشمرت ، من قولهم : تَشَنَّعَ الفارسُ ، إذا لبس سلاحَه .

---

(١) م «النهو» وهو تحريف .

(٢) ديوان أبى تمام ٣٠٦ وفى شرح التبريزى ٣ / ٢٦٢ «ويروى : كالبازل المخطوم» يقال تشنعت الناقة . إذا ترفعت فى سيرها . وإذا شبهوا الإناث بالفحول فذلك مبالغة عندهم» .

ومُعْجٌ : جمع مُعْجَة. والمَعْجُ : التَّغَلُّب فى الجَرْى ، يقال : مَرَّ الحمارُ يمْعَجُ مَعْجَا ، إذا جرى فى كلٍّ وجه بسرعة ، وحِمَارٌ مَعَّاج .

والخَوَانِف : جمع خَنُوف ، وهى الناقة التى تضرب بيدها فى السير من نشاطها وفيه بعض المَيْل .

والمَعْلَمُ : الطَّريق . والمأموم : الذى يُؤْتَمُّ. عارِفَةً بالطريق الذى يجب أن تَؤمَّهُ لطول دَأْبِهَا ، وكثرة سيرها فى الطرق المختلفة .

وقوله : «حَبِصَتْ» خِيطَتْ بجلد أُطوم ، يقال : إن الأُطُومَ : السَّلَحْفَاءُ البحرىّ الذى يجعل من جلده الذَّبْلُ[1] ، ويشبَّه جلد البعير الأملس به. ويقال : الأُطُومُ : سمكة فى البحر غليظة ، وقيل بل هى بقرة يتخذ من جلدها الخِفَافَ للحمَّالين . قال الشَّمَاخُ يصف ناقة :

وَجِلْدُها مِنْ أَطُومٍ ما يُؤَيِّسُهُ طِلْحٌ كضَاحِيَةِ الصَّيْداءِ مَهْزُولُ[2]

قيل فى تفسيره : الأُطُومُ : سمكة بحرية تُخْصَفُ الخِفَافُ والنِّعَالُ بجلدها .

ويُؤَيِّسُهُ : يُذَلِّلُه ، والتَّابِيسُ : التَّذْلِيلُ .

والطِّلْحُ : والقُرَادُ هاهنا ، والطِّلْحُ : الضئيل المهزول .

والصَّيْدَاءُ : حَصى . والصَّيْدَانُ[3] : حِجَارَةٌ .

وضاحية : ما ضَحَا لِلشَّمْسِ منها وظَهرَ .

وقال الأخفش فى تفسير هذا البيت : الأُطُومُ : طَىُّ البئر بالصخر الأسود ، ويقال : الأطوم : الصَّدَف .

وقوله : «تَثْنى مِلاطَيْها » أى تُبَاعِدُ بينهما .

ومِلَاطَاهَا : وعَضُدَاها .

---

(١) المراد بالذبل هنا : الأسورة والأمشاط ، راجع اللسان ١٣ / ٢٧٢ .

(٢) ديوان الشماخ ٧٩ « بضاحية الصيداء » وفى اللسان ٤ / ٣٨٥١ « بضاحية » .

(٣) اللسان ٤ / ٢٥١ .

سَعْدَانَة : والسَّعْدَانَةُ من البعير : هى البَلْدَةُ[١] ، أى تباعد بين عضديها كِرْكِرَة[٢] ، أو بَلْدَةٌ مستديرة كإدارة الفُرْزُوم . وهى الخشبة المُدَوَّرَةُ التى يَحْذُو عليها الحذَّاءُ[٣] . وذلك محمود فى الإبل أن يتباعد عَضُدُ البَعير من زَوْرِهِ فى السير .

والكُومُ : العِظَامُ الأَسْنِمَةُ ، واحدتها كَوْمَاءُ .

وقوله :

يَنْسَين أَصْوَاتَ الحُدَاةِ [ ونَبْرَهَا ] طَرَبًا لأَصْوَاتِ الصدَى والبُومِ[٤]

أى ألفتْ صوت الصَّدى والبوم لكثرة سيرها فى الفيافى ،حتى صارت تطرب لذلك وتَنْسى أصواتَ الحُدَاة .

وهذا من مبالغاته البعيدة الباطلة .

ولو قال : إلفًا لأصوات الصدى كان أشبه بالصواب قليلا من الطَّرَب .

وهذه أبيات صالحة على ما فيها من التكلف .

* * *

وقال :

الهَمُّ ، والعِيسُ ، واللَّيْلُ التَّمامُ مَعًا ثَلَاثَة أَبَدًا يُقْرَنَّ فى قَرَنِ[٥]
حَوْبًا حَلًا ، قَاسِمينى الهَمَّ يا ٱبْنَتَهُ فَقَدْ خُلِقْتِ لِغَيْرِ الحَوْضِ والعَطَنِ[٦]

---

( ١ ) البلدة : ثغرة النحر . راجع اللسان ٤ / ٦٣ .

( ٢ ) فى اللسان ٦ / ٤٥٢ « الكركرة : رحى زور البعير والناقة ، وهى إحدى الثفنات الخمس وهى زور البعير الذى إذا برك أصاب الأرض وهى ناتئة عن جسمه كالقرصة ، وجمعها كراكر » .

( ٣ ) اللسان ١٥ / ٣٧٥ .

( ٤ ) م « الصدق والبوم » !

( ٥ ) ديوان أبى تمام ٢٣٤ وشرح التبريزى ٣ / ٣٣٨ .

( ٦ ) فى الديوان وشرحه « أقول للحرة الوجناء لا تهنى فقد » .

قوله : « حَوْبًا حَلا » زَجْرٌ من زَجْرِ الإبل[1] ، كَأَنه زجر ناقته ، وقال لها : قاسميني الهم يا ابنته : يا بنت الهمّ ، سيرى وانطلقى فقد خُلِقْت لغير الحوض والعطن ، أى خُلِقْتِ لقطع الأسفار لا للإقامة .

واللفظ هذا البيت الأخير ردىء ، ونَسْجُه قبيح .

وأخذ البحترى معنى الأول فقال :

يَا خَلِيلَىَّ بالسَّوَاجِيرِ مِنْ وُدِّ ... نِ مَعْنٍ وبُحْتُرِ بْنِ عَتُودِ[2]

اطْلُبَا ثَالِثًا سِوَاىَ فإِنِّى ... رَابِعُ الْعِيسِ والدُّجَى والبِيدِ

* * *

وقال البحترى :

بَنَاتُ العِيدِ تَعْتَادُ الفَيَافِى ... إِذَا شِئْنَا اَسْتَمَرَّ بها الذَّمِيلُ[3]

وَمَا طَرَفَا زَمَانِ المَرْءِ إِلَّا ... مَقَامٌ يَرْتَضِيهِ ، أَوْ رَحِيلُ

وقال :

وإِذَا مَا تَنَكَّرَتْ لِى بِلَادٌ ... أَوْ خَلِيلٌ فَإِنَّنِى بالخِيَارِ[4]

وَخَدَانُ القِلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا ... بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الأَسْحَارِ

يَتَرَقْرَقْنَ كَالسَّرَابِ وقَدْ خُضْـ ... ـنَ غِمَارًا مِنَ السَّرابِ الجَارِى[5]

كَالقِسِىِّ المُعَطَّفَاتِ بَلِ الأَسْـ ... ـهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الأَوْتَارِ[6]

وهذا من أوصاف الإبل إذا أضمرها السير [وهى] فى غاية الحسن والصحة والحلاوة فى اللفظ والنَّسْج .

(١) اللسان ١ / ٢٣٠ .
(٢) ديوان البحترى ٦٩٢ ، ١ / ٦٣٣ دار المعارف .
(٣) ديوانه ٣٠١ .
(٤) ديوانه ٤٤٥ ، ٢ / ٩٨٧ .
(٥) م « يترقرن » .
(٦) م « الأوتاد » .

ومثله فى الجودة والحسن قوله :

وَهِيَ العِيسُ دَهْرَهَا فى ارْتِحَالٍ ... مِنْ حُلُولٍ، أَوْ فُوقَةٍ مِنْ جَمِيعِ (١)
رُبَّ مَرْتٍ مَرَتْ تُجَاذِبُ قُطْرَيْـ ... ـهِ سَرابًا كالمَنْهَلِ المَشْرُوعِ (٢)
وَسُرًى تَنْتَحِيهِ بالوَخْدِ حَتَّى ... تَصْدَعُ الليلَ عَنْ بَيَاضِ الصَّدِيعِ
كالبُرَى فى البُرَى ويُحْسَبْنَ أَحْيَا ... نًا نُسُوعًا مَجْدُولَةً مِنْ نُسُوعِ (٣)

وقال :

سَوْفَ أُعْطِى السُّلُوَّ والصَّبْرَ ما أَمْـ ... ـنَعُ مِنْ طَارِفِ الهَوَى أَوْ تِلَيدِ (٤)
بالمَهارَى يَلْبَسْن لَوْنًا جديدًا ... مُسْتَفَادًا فى كُلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ
فَهْيَ طُول النَّهارِ بِيضٌ وطَول الْـ ... ـلَيْلِ فى أَقْمُصٍ مِنَ اللَّيْل سُودِ
طَالِباتٍ فى الغَوْثِ غَيْثًا سَكُوبًا ... وحَمِيدًا فى آلِ عَبْدِ الحَمِيدِ

وهذا كل جيد بالغ ، وعذب حلو ، ومعان لطيفة لائقة .

* * *

وقد أجاد كل واحد منهما وصْفَ إبِلِه على الطريقة التى قصدها واعتمدها ، وإن كانت معانى البحترى فيما ذهب إليه من الضمر حلوة جدًّا .

* * *

فأقول : إنهما فى الباب متكافئين .

---

(١) ديوان البحترى ٤٢١ ، ٢ / ١٢٧٩ دار المعارف .

(٢) البيت ليس فى ديوانه ، وهو فى طبعة مصر ٢ / ٩١ .

(٣) فى الديوان « فى التسوع » كالبرى جمع برة وهى كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها . والبرى : جمع برة وهى الحلقة من صفر أو غيره تجعل فى لحم أنف البعير . والنسوع جمع نسع ، وهى السير يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال ، وقال ابن الأثير : هو سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره ، كما فى اللسان ١٠ / ٢٣٠ .

(٤) ديوانه ١ / ٧٦٩ دار المعارف .

* * *

ولأبى تمام فى وصف الإبل أشياء رديئة لم أكتبها ، وفيها قصيدة يصف فيها ناقة حج عليها ـ رديئة جدًّا أولها :

لَعَلَّكَ ذَاكِرُ الطَّلل القديمِ ومُوفٍ بالعُهود على الرُّسُومِ[١]

له فيها ألفاظ مختلفة ، ومعان من معانى السوق . وقد تقدم فى الباب[٢] قوله :

ورَكبٍ كأَطرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا على مِثْلِهَا والليلُ تَسْطُو غيَاهِبُهْ
لأَمْرٍ عليهم أَنْ يَتِمَّ صُدُورُهُ وليس عليهم أَنْ يَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

فى أبيات [ما هى[٣]] من ذلك الباب ، ثم قال بعدها ما هو من هذا الباب فى وصف الإبل . وسبيلها أن تثبت فى هذا الباب فى أوله :

عَلَى كُلِّ مَوَّارِ المِلَاطِ تَهدَّمَتْ عَرِيكَتُهُ العَلْيَاءُ ، وانْضَمَّ حَالِبُهْ[٤]
رَعَتْهُ الفَيَافِى بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وماءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ
فَأَضْحَى الفَلَا قَدْ جَدَّ فى بَرْىِ نَحْضِهِ وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَاكَ يُلَاعِبُهْ
فَكَمْ جِزْعِ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غَارِبٍ ومِنْ قَبْلُ كانَتْ أَتْمَكَتْهُ مَذَانِبُهْ

قوله : «مَوَّارِ المِلَاطِ» فالمِلَاطُ : عَضُدُ البعير . ومَوَّار : يريد حركته فى السير .

وعريكته العلياءُ : يعنى سَنَامه . تَهدَّمت من طول السفر ، وكذا انضم حَالِبه[٥] .

---

( ١ ) ديوان أبى تمام ٤٢٣ .
( ٢ ) فى باب طلب الرزق ص ٢٦٧ .
( ٣ ) م « فى أبيات هو من » .
( ٤ ) ديوانه ٤٤ وشرح التبريزى ١ / ٢٢٩ .
( ٥ ) م « جانبه » .

وقوله : «يلاعبه» : لفظة ضعيفة المعنى ، وإنما جاء بها من أجل قوله : [جَدٌّ] فى بَرْىِ نَحْضِه ؛ ليطابق بين الجد واللعب.

أى إن الفلا جَدٌّ فى أخذ لَحْمِهِ فى سيرنا هذا السير ، فجعل مكان هذا القول : «وكان زَمَانًا قبل ذاك يُلَاعِبُهْ » على مذهبه فى عشق «الطِّبَاق» الذى لا بُدَّ له من أن يأْتِى به وإن حصل المعنى ضعيفًا رَكِيكًا ، ورَبّما كان مُحَالًا .

وقوله : « أتْمَكَتْهُ » أى أَسْمَنتْ تَامِكَهُ ، وهو سنامه .

والمَذَانِبُ : مجارى الماءِ ، وهى أَبَدًا مُعْشِبَة .

* * *

ولئن كانا جميعًا أحسنا فى هذا الباب فما وصفا مطيَّهما بالسرعة وصفَ «مسلم بن الوليد» إذ يقول :

إلى الأَمام تَهَادَانا بِأَرحلنَا … خَلْقٌ مِنَ الرِّيح ِفى أَشْباحِ ظُلْمَانِ[١]
كأَنَّ إفْلاتَهَا والفَجْرُ يأْخُذُها … أَفْلاتُ صَادِرَةٍ عَنْ صَوتِ مِرْنَانِ[٢]
تَنْسَاب فى اللَّيل لا تَرْعَى لِهَاجِسَةٍ … كأَنَّنِى رَاكِبٌ فى رَأْسِ ثُعْبَانِ[٣]

(١) ديوان مسلم بن الوليد ٧٦ طبع الهند والأول والثانى فى ديوان المعانى ٢ / ١٢٢ وأمالى المرتضى ٩ / ٥٥٤ وجاء فى شرح الديوان يقول : إلى الأمام . يعنى هارون الرشيد — تهادانا بأرحلنا . أى حملنا بأرحلنا . خلق من الريح ، يعنى النوق . فى أشباح ظلمان أى فى أبداء ظلمان ، وهى ذكور النعام . شبه النوق بسرعتها فى السير بالريح . وذكر وثيمة فى كتاب الهدى : أن الإبل خلقها الله من الريح حين خلق الخلائق فى أول الزمان ، والشعراء المولدون قد كثروا من ذلك . والأشباح : الشخوص ، واحدها شبح بفتح الباء » . وفى م « تهادينا بأرجلنا » وانظر ديوانه طبع دار المعارف ١٢٦ .

(٢) م « والبحر يأخذ » وفى الديوان : « صادرة عن قوس حسبان » يقول : كأن إفلات هذه الناقة ، أى انبعاثها فى السير انبعاث ظبية رماها رام فأخطأها ، وقد سمعت وتَر القوس وشعرت بالسهم فهى تفر ، شبه ناقته بها فى السرعة . وقوله : عن قوس حسبان ، يقال لضرب من القسى : حسبانية ، منسوبة إلى رجل أو بلد ، وصادرة : راجعة عن الماء . يريد أنها أرادت شرب الماء فأصابت رامياً تعمدها بسهم فأخطأها فنفرت مسرعة » .

(٣) فى الديوان : « ينساب . . لا يرعى » أى لا يرعى سمعه لحركة فى الليل من صوت ، كأنه راكب فى رأس ثعبان ، يصف ، ما هو فيه من مزاولة السير فى الفلاة بالليل » .

وقد أفرط الذى يقول ، وأحسن فى إفْرَاطِه :

مَرُوحٌ بِرِجْلَيْهَا إذَا هِىَ هَجَّرَتْ وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَطِيرَ زِمَامُهَا

وقال « الشماخ » :

* تكادُ تَطِيرُ مِنْ رَأى القَطِيعِ[1] *

وقال « الحُطَيْئَة » :

وإنْ نَظَرَتْ يَوْمًا بِمُؤْخَرِ عَيْنِها إلى عَلَم بالغَوْرِ قُلْتَ لَهُ ابْعِد[2]

---

(١) ديوان الشماخ ٥٩ وصدره : « مروح تغتلى بالبيد حرف » .

(٢) ديوان الحطيئة ٢٣ « فى الغور قالت له » .

# باب الشحوب والتغير من الأسفار

قال أبو تمام :

نَظَرَتْ إِلَيْهِ فَمَا اسْتَتَمَّتْ لَحْظَهَا ... حَتَّى تَمَنَّتْ أَنَّهَا لَمْ تَنْظُرِ[١]

ورأَتْ شُحوبًا رَابَهَا فى وجهه ... مَاذَا يَرِيبُكَ مِنْ جَوَادٍ مُضْمَرِ[٢]

غَرَضُ الحَوَادِثِ لا تَزَالُ مُلِمَّةٌ ... تَرْمِيهِ عَنْ شَزْرٍ بِأُمِّ حَبَوْكَرِ[٣]

سَدِكَتْ بِهِ الأَقْدَارُ حَتَّى إِنَّهَا ... لَتَكَادُ تَفْجَؤُهُ بِمَا لَمْ يُقْدَرِ[٤]

وهذا ما لا غاية وراءه فى الحسن والصحة والبراعة .

قوله : «سَدِكَتْ بِهِ الأَقدار» ، أى لَزِمَتْه ، وغَرِيَتْ به .

وقال البحترى نحو هذا البيت الأخير ولكن على وجه آخر وأحسن وأجلى ، قال :

وَلَوْ فَاتَنِى المَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ ... بِسَعْىٍ لَأَدْرَكْتُ الذى لَمْ يُقَدَّرِ[٥]

* * *

وقال أبو تمام :

نَكِرَتْ فتًى أَلْوَى بِنَضْرَةِ وَجْهِهِ ... وبِمَائِهِ ـ نَكَدُ الخُطُوبِ وَلُومُهَا[٦]

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٩٦ .

(٢) فى الديوان «شحوبا رابها فى جسمه» .

(٣) وفيه : «عن شنق» وأم حبوكر : أعظم الدواهى ، كما فى اللسان ٥ / ٢٣٤ .

(٤) م «سدكت بها» .

(٥) ديوان البحترى ٢١٥ .

(٦) ديوان أبى تمام ٣١٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢٧٢ .

لا تُنْكِرِى شَيَمِى فإنِى زَائِدِى حَزْمًا حِضَارُ النَّائِبَاتِ وشِيمُهَا(١)
فَلَقَبْل أَظْهَرَ صَقْل سَيْفٍ أَثْرَهُ فَبَدَا وهَذَّبَتِ القُلُوبُ هُمُومُهَا
والحادِثَاتُ وإنْ أَصَابَكَ بُؤْسُها فَهْوَ الذى أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا

حِضَارُ النَّائِبَات : بِيضُها ، وشِيمُها : سُودُها . يريد أنه يزيد فى حزمه ومعرفته بالأمور – ما يقاسيه من الخير والشر .

وقال :

لَا يَطْرُدُ الهَمَّ إلَّا الهَمُّ مِنْ رَجُلٍ مُقَلْقِلٍ لبَنَاتِ القَفْرَةِ النُّعُب(٢)
لا تُنْكِرِى مِنْهُ تَخْدِيدًا تَجَلَّلهُ فَالسَّيْفُ لَايُزْدَرَى إنْ كَانَذَاشُطَبِ(٣)

وهذا كله جيد بالغ حسن نادر .

* * *

وقال البحترى :

مَا تُنْكِرُ الحَسْنَاءُ مِنْ مُتَوَغِّلٍ فى اللَّيْلِ يَخْلِطُ أَيْنَهُ بِسُهُودِهِ(٤)
قَدْ لَوَّحَتْ مِنْهُ السُّهُوبُ وأَثَّرَتْ فى يَمْنَتَيْهِ وعَنْسِهِ وقُتُودِهِ
فَلِفِضَّةِ السَّيْفِ المُحَلَّى حُسْنُهُ مُتَقَلِّدًا ومَضَاؤُهُ لِحَدِيدِهِ

تمّ الباب .

* * *

وهذا ما قلت أذكره فى آخر الباب من حال قيس بن زُهَيْر ، والحارث ابنُ مُضاض ، والبرّاض .

---

(١) فى الديوان « لاتنكرى همى » وفى م « حزنا » .

(٢) ديوان أبى تمام ١٥ وشرح التبريزى ١ / ١١٥ « الهم الأول : ما يجده الرجل فى صدره مما يوجب رحيله . والهم الثانى : الهمة . مقلقل : من القلقة وهى الحركة العنيفة . وبنات القفر : الإبل ، جعلها بنات القفر لأنها تقطع بها . والنعب : جمع نعوب ، والنعبان : تحريك الناقة رأسها فى السير ، وذلك من النشاط » .

(٣) م « تحديدا تجلله كالسيف » يقال تخدد لحم الرجل : إذا هزل فصارت فيه طرائق ، وأصل ذلك من الخد ، وهو حفر مستطيل فى الأرض . لا يزدرى : لا يحتقر . وشطب السيف : طرائفه التى فيه .

(٤) ديوان البحترى ٦٥٨ ، ٢ / ٦٩٤ والأين : التعب .

فأَما قيس بن زُهَير العَبْسى فإنبنى بَدْرٍ الفَزَارِيِّينَ قَتلوا أَخاه مالكًا فنشبت الحرب بين عَبْسٍ وذُبْيَان ابنى[١] بغيض.

وكان سبب ذلك رِهَانُ دَاحِس والغَبْرَاءُ فقتل قيسٌ حُذَيفَة بن بَدْر وحَمَل ابن بَدْر وغيرهما. ودامت[٢] الحرب بينهما دهرًا طويلا حتى كادوا يفنون.

وتشاءمت العرب بقيس، وكان سيدًا حكيمًا أريبًا حليمًا. فقال: لا أقم ببلاد قَتَلْتُ بها سادات قومى ولم أحلم، ولم أُقارِب، ولم أصلح فقال:

تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتًا عَلَى جفْرِ الْهَبَاءَةِ مَا يَرِيمُ[٣]
ولَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
ولكنَّ الفَتَى حَمَلَ بن بَدْرٍ بَغَى ، والبَغْىُ مَرْتَعُهُ وخيمُ
أَظُنَّ الحِلْمَ دَلَّ عَلَىَّ قَوْمِى وقد يُسْتَجْهَل الرَّجُل الحَلِيمُ

ثم خرج ضَارِبًا فى البلاد على وجهه مُتَخَلِّيًا من كل أهل ومال، وصار إلى بعض نواحى عمان فهلك هناك. وله فى هلاكه خبر. فهذه غربة قيس.

* * *

وأما غُرْبَةُ الحارث بن مُضَاض الجُرْهُمىّ فإنه كان سيد جرهم فى زمانه، وكان إلى قومه حجابة بيت الله الحرام بمكة فغلبتهم عليه خزاعة، فخرجوا وتفرقوا فى البلاد.

---

(١) م «ابن» والتصويت من العقد الفريد ٥ / ١٥٠.

(٢) م «فأدامت».

(٣) فى معجم البلدان لياقوت ٣ / ١١٥ «جفر الهباءة؛ اسم بئر بأرض الشربة، قتل بها حذيفه وحمل ابنا بدر الفزاريان، قال قيس بن زهير وهو قتلهما. ثم ذكر البيت الأول». وذكر الأبيات فى «الهباءة» ٨ / ٤٤١ وزاد فى آخرها:

ومارست الرجال ومارسونى / فمعـوج على ومستقيم

وفى ذلك يقول الحارث :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إلى الصَّفَا أَنِيسٌ ولَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ[١]
بَلَى ، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فأَزَالَنَا صُرُوفُ الليالى والجُدُودُ العَوَاثِرُ

ويقال : بل قائل هذه الأبيات بَكْر بن غَالِب بن الحَارِث بن مُضَاض .

* * *

فأما فَتَكَةُ البَرَّاض ، فهو برَّاضُ بن قَيْس بن رَافِع الكِنَانِى ، أحد بنى مالك بن كنانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إِلْيَاس. وفتكته كانت بِعُرْوَة[٢] الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر بن كِلَاب ، وكانت من أجله وقعة « الفِجَار العُظْمَى »[٣] .

وسبب ذلك أن البَرَّاضَ [ و ] كان رجلا شريرًا فاتكًا ـ صار إلى النُّعْمَان بن المُنْذِر . ولما حضر الموسم جهز اللَّطِيمَةَ إلى « سوق عُكَاظ » ، وهى من كُلِّ المَتَاع ، ولا يقال [ لها ] لطيمة إلا إذا كان فيها مسك وطيب ، فقال النُّعْمَان : مَنْ يُجِيزُها ؟ قال البَرَّاضُ : أنا أجيزها على قومى بنى كِنَانَة (قال : وعلى العرب أجمعين[٤]) قال البراض : وعلى بنى كنانة . قال نعم ، على العرب والعجم ، وعلى الجن والإنس. فسار فيها عروة ، وأتبعه البراض حتى إذا كان بذى طلال قريبًا من خيبر حَمَلَ عليه فقتله ، وكانت الحَرْب .

---

( ١ ) له فى اللسان ١٦ / ٢٦٤ ولعمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض فى سيرة ابن هشام ١/ ١٢٠ .

( ٢ ) م « لعروة الرجال بن عمه » .

( ٣ ) العقد الفريد ٥ / ٢٥٣ .

( ٤ ) كذا فى الأصل وفى العقد : « بن كنانة . فقال النعمان : ما أريد إلا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرحال . وهو يومئذ رجل هوازن : أكلب خليع يجيرها لك ، أبيت اللعن ؟ أنا أجيرها لك على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد وتهامة . فقال البراض : أعلى بنى كنانة تجيرها يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم » .

# باب

مضت أنواع النسيب[١] كلها . وهذا باب أرسم فيه[٢] الأبواب التى خرجا فيها من النسيب إلى المديح .

اعلم أنهما جميعًا قد تعمَّلَا فى بعض قصائدهما النسيب ، وصلا به النسيب بالمديح ، وأعرضا فى كثير من أشعارهما عن هذا المعنى ، وابتدآ بالمدح منقطعًا عما قبله . وكلا الوجهين قد فعله شعراءُ الجاهلية والإسلام . وكانوا كثيرًا ما يقولون إذا فرغوا من النسيب وأرادوا المدح أو غيره من الأغراض : « فَدَعْ ذَا » . فتجنبها المتأخرون واستقبحوها ، وكذلك قولهم : « فعدِّ عَنْ ذَا » . وهى عندهم أحسن .

فمما قطعه أبو تمام مما قبله :

هُنَّ الحَمَامُ فإنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً ... مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ[٣]

ثم خرج إلى المدح فقال :

اللهُ أَكْبَرُ جَاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ ... فَتَعَثَّرَتْ فى كُنْهِهِ الأَوْهَامُ

وقال :

حَلَّمتْنِى زَعَمْتُمُ ، وَأَرَانِى ... قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمَا[٤]

(١) فى الأصل الشيب .

(٢) م « فيها » .

(٣) ديوان أبى تمام ٢٧٩ .

(٤) ديوانه ٢٩١ ، وفى م « وزعمتم » ومضى فى ص ١٩٧ .

ثم قال :

مَنْ رَأَى بَارِقًا سُرى صَامِتِيًّا جَادَ نَجْدًا سُهُولهــــاوالحُزونَا

وقال :

أَوَمَا رَأَتْ بُرْدَيّ مِنْ نَسْجِ الصِّبَا وَرَأَتْ خِضَابَ اللهِ وهْوَ خِضَابِي[1]

ثم قال :

لَا جُودَ فى الأَقْوَامِ يُعْلَمُ مَا خَلَا جُودًا حَلِيفًا فى بَنِى عَتَّابِ

وقال :

لَوْ رَأَى اللهُ أَنَّ فى الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الأَبْرَارُ فى الخُلْدِ شِيبَا[2]

ثم قال :

كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِى صُرُوفُ اللَّيَالِي خُلُقًا مِنْ أَبِى سَعِيدٍ غَرِيبَا[3]

وقال :

كَأَنَّ لَهُ دَيْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ مِنَ الأَرْضِ،أَوْثَأْرًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبِ[4]

ثم قال :

رَأَيْتُ لِعيَّاشٍ خَلَائِقَ لَمْ تَكُنْ لِتَكْمُلَ إِلَّا فى اللُّبَابِ المُهَذَّبِ

وقال :

حَلَتْ نُطَفٌ مِنْهَا لِنِكْسٍ ، وذُوالحجا يُدَافُ لَهُ سُمٌّ مِنَ العَيْشِ مُنْقَعُ[5]

---

(١) ديوان أبي تمام ١٩ وشرح التبريزى ١ / ٨٣ .

(٢) ديوانه ٢٦ وشرح التبريزى ١ / ١٦٨ .

(٣) ويروى : « رغيباً » و « عجيباً » .

(٤) ديوانه ٢٤ وشرح التبريزى ١ / ١٥٩ .

(٥) ديوانه ١٩٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٢٥ .

ثم قال :

لَقَدْ آسَفَ الأَعْدَاءَ مَجْدُ ابْنِ يُوسُفٍ وذُ النَّقْصِ فى الدُّنْيَا بِذِى الفَضْلِ مُولَعُ

وقال :

فَلَمْ تَرْحَلْ كَنَاجِيَةِ المَهَارَى ولم تُرْكِبْ هُمومَكَ كالزِّمَاعِ (١)

ثم قال :

بِمَهْدِىٍّ بن أَصْرَمَ عَادَ عُودِى إلى إيرَاقِهِ ، وَامْتَدَّ بَاعِى

* * *

ومن ذلك قول البحترى :

تَوَهَّمْتُها أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الكَرَى كَرَى النَّوْمِ ، أَوْمَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الخمْرُ (٢)

ثم قال :

لَعَمْرُكَ ما الدُّنْيَا بِنَاقِصَةِ الجَدَا إِذَا بَقِىَ الفَتْحُ بنُ خَاقَانَ والقَطْرُ

وقال :

وَمَنْ يطَّلِعْ شَرَفَ الأَرْبِعِينَ يُلَاقِ مِنَ الشَّيْبِ زَوْرًا غَرِيبَا (٣)

ثم قال :

بَلَوْنَا ضَرَائبَ مَنْ قَد تَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيبَا

وقال :

تَأْبَى رُبَاهُ أَنْ تُجِيبَ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَخْبِرٌ لِيُجِيبَ حَتَّى يَفْهَمَا (٤)

---

(١) ديوان أبى تمام ١٩٣ وشرح التبريزى ٢ / ٣٣٨ وفى م « هموما » .

(٢) ديوان البحترى ٨٦ ، ٢ / ٨٤٤ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف « يجنى من الشيب . . . » .

(٤) ديوانه ٢٢٩ ، ٣ / ١٩٥٩ .

ثم قال :

اللهُ جَارُ بَنِى المُدبرِ كُلَّمَا ذُكِرَ المَكَارِمُ مَا أَعفَّ وَأَكْرَمَا[١]

وقال :

وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِى جَمِيلَةٍ وللصُّبحِ من خَطْبٍ تُذَمُّ غَوَائِلُهْ[٢]

ثم قال :

وَقَدْ قُلْتُ لِلْمُعْلِى إِلَى المَجْدِ طرْفَهُ دَعِ المَجْدَ فَالفتْحُ بن خَاقَانَ شَاغِلُهْ[٣]

وقال فى وصف الغيث :

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ حَلْى وَمِنْ حُلَل مَا يُمْتِعُ الْعَيْنَ مِنْ وَشْيٍ ودِيبَاجِ[٤]

ثم قال :

إِلَى عَلِيٍّ بَنِى الفَيَّاضِ بَلَّغَنِى سُرَاىَ مِنْ حَيْثُ لا يُسْرَى وإِدْلَاجِى[٥]

وقال :

مَا كَانَ هَجْرُكَ مَكْرُوهًا أُحَاذِرُهُ ولَا وِصَالُكِ مَعْرُوفًا أُرَجِّيهِ[٦]

ثم قال :

بَنُو ثَوَابَةَ أَقْمَارٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَلبَثِ اللَّيْلُ أَنْ يَنْجَابَ دَاجِيهِ

---

(١) فى ديوان البحترى ٤ / ١٩٥٩ « ذكر الأكارم »

(٢) ديوان البحترى ٥٢ ، ٣ / ١٦١٢ « عندى حميدة » .

(٣) فى الديوان ٥٢ « طوقه » .

(٤) ديوانه ٣٨٧ ، ١ / ٤١١ « ما صاغ من تبر ومن ورق وحاك ما حاك » .

(٥) م « لا تسرى » .

(٦) ديوانه ١٧٥ ، ٤ / ٢٤٢٣ .

وقال :

أَمِيلُ بِقَلْبِى عَنْكِ ثُمَّ أَرُدُّهُ وأَعْذُرُ نَفْسِى فِيكِ ثُمَّ أَلُومُهَا[١]

ثم قال :

إِذَا المُهْتَدِى بِاللهِ عُدَّتْ خِلَالُهُ حَسِبْتَ سَمَاءً كَاثَرتْكَ نُجُومُهَا[٢]

وقال :

وهَلْ هِيَ إِلَّا لَوْعَةٌ مُسْتَسِرَّةٌ يُذِيبُ الحَشا والقَلْبَ وَجْدًا غَلِيلُها[٣]

ثم قال :

وَلَوْلَا مَعَالِى أَحْمَدَ بن مُحَمَّدٍ لَأَضْحَتْ دِيَارُ الحَمْدِ وَحْشًا طُلُولُها[٤]

فهذا الجنس من الخروج إلى المدح هو الأَعم فى أشعارهما .

* * *

وأما الوجه الذى يجعلون[٥] له سببًا يَصِلُ النسيب بالمدح فعلى معانى شتى :

منها الخروج بذكر وَصْفِ الإبلِ والمَهَامِهِ إلى الممدوح . وهذا المعنى عام كثير فى أشعار الناس .

فمن ذلك قول أبى تمام :

يُصَبِّرُنى إنْ ضِقْتُ ذَرْعًا بحُبِّهِ وَيَجْزَعُ أَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ خلاخِلُهْ[٦]

(١) ديوان البحترى ١٠٧ ، ٣ / ٢٠٢٣ .

(٢) فى الديوان « مسيت السماء » .

(٣) ديوانه ٣ / ١٧٧٩ طبع المعارف .

(٤) هو أحمد بن محمد بن بسطام المتوفى سنة ٢٩٧ هـ

(٥) م « يجعلوا له » .

(٦) ديوان أبى تمام ٢٣٠ « يمنفنى . . ذرعا يحبه » فى شرح التبريزى ٣ / ٢٤ « ذرعا بنأيه » .

ثم خرج إلى مدح المعتصم فقال :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ أَتَى ... عَلَيْهَا الْمَلَا أَدْمَاثُهُ وَجَرَاوِلُهْ(١)

نَصَرْنَ السُّرى بالوخْدِ فى كُلِّ صَحْصَحٍ ... وَبِالسُّهْدِ الْمَوْصُولِ وَالنَّوْمُ خَاذِلُهْ(٢)

رَوَاحِلُنَا قَدْ بَزَّنَا الهَمُّ أَمْرَهَا ... إلى أَنْ حَسِبْنَا أَنَّهُنَّ رَوَاحِلُهْ

إِذَا خَلَعَ الليلُ النَّهارَ رَأَيْتَها ... بِإِرْقَالِهَا فى كُلِّ وَجْهٍ تُقَابِلُهْ(٣)

إلى قُطْبِ الدُّنْيَا الذى لَوْ بِمَدْحِهِ ... مَدَحْتُ بَنِى الدُّنيا كَفتْهُمْ فَضَائِلُهْ

المَلَا – المقصور – : المُتَّسَعُ من الأَرض .

والأَدْمَاث : جمع دَمْث وهى الأَرض اللينة .

والجَرَاول : جمع جَرْوَل ، وهى [ الأَرض ] الخشنة ذات الحجارة .

ومنه قول أبى تمام أيضًا :

اليومَ يُسْلِيكَ عَنْ طَيْفٍ أَلَمَّ وَعَنْ ... بِلَى الرُّسُوم بَلَاءُ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ(٤)

مِنَ القِلَاصِ اللَّواتِى فى حَقَائِبِهَا ... بِضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِنَ الكَلِمِ

إِذَا بَلَغْنَ أَبَا كُلْثُومٍ اتَّصَلَتْ ... تِلْكَ المُنَى وأَخَذْنَ الحَاجَ مِنْ أَمَمِ

ومن ذلك قوله :

سَيَبْتَعِثُ الرِّكَابِ وَرَاكِبِيها ... فَتًى كالسَّيْفِ هَجْعَتُهُ غِرَارُ(٥)

---

(١) فى الديوان وشرحه « أتتك أمير » وفى م « عليها المدى » .

(٢) م « نصرت » .

(٣) قال الصولى فيما نقل التبريزى « يقول : تجد فى السير إذا أقبل الليل كأنها تقابله ؛ لأن سير النهار أحب إليها . و « تقابله » بالباء يدل على أن سير الليل أحب إليها بجدها فى الإرقال » .

(٤) ديوانه ٢٦٨ وشرح التبريزى ٣ / ١٨٦ وفى م : « يسلبك » .

(٥) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ٢ / ١٥٥ .

أَطَلَّ عَلَى طُلَى الآفَاقِ حَتَّى ... كَأَنَّ الأَرْضَ فى عَيْنَيْه دَارُ(١)
تَوُمّ أَبَا الحُسَيْنِ وكَانَ قِدْمًا ... فَتَى أَعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ

وقوله :

وَبِسَاطٍ كَأَنَّمَا الآلُ فِيهِ ... وعَلَيْهِ سَحْقُ المُلَاءِ الرَّحِيضُ(٢)
يُصْبِحُ الدَّاعِرِىُّ ذُو المِرَّةِ المِرْ ... جَمُ فِيهِ كَأَنَّهُ مَأْبُوضُ(٣)
قَدْ فَضَضْنَا مِنْ بِيدِهِ خَاتَمَ الخَوْ ... فِ ، وَمَا كُلُّ خَاتَمٍ مَفْضُوض
بِالمَهَارَى يَجُلْنَ فِيهِ وقَدْ جَا ... لَتْ عَلَى مُسْتَمَاتِهِنَّ الغُرُوضُ(٤)
جَازِعَاتٍ سُودَ المَهَامِهِ تَهْدِيـ ... ـهَا وُجُوهٌ لِمَكْرُمَاتِكَ بِيضُ(٥)

وقوله :

فَاطْلُبْ هُدُوًّا بِالتَّقَلْقُلِ وَاسْتَثِرْ ... بالعِيسِ مِنْ تَحْتِ السُّهادِ هُجُودَا(٦)
مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عَلَلِ السُّرَى ... وَخْدًا يَبِيتُ النَّوْمُ مِنْهُ شَرِيدَا
تَخْدِى بِمُنْصَلِت يَظَلُّ إِذَا وَنَى ... ضُرَبَاؤُهُ حِلْسًا لَهَا وقُتُودَا

---

(١) فى الديوان وشرحه « على كل » .

(٢) ديوانه ١٨٢ وشرح التبريزى ٢ / ٢٩٠ البساط : الأرض الواسعة . والسحق : البالى . ويروى : « السحل » وهو الثوب الأبيض . والرحيض : المغسول .

(٣) « الداعرى » : الفحل من الإبل . والمرة : القوة ، ويروى « ذو الميعة » وهى النشاط . والمرجم : الذى يرمى بنفسه الأشياء كأنه يرجمها . والمأبوض : الذى عليه إباض ، وهو حبل يشد فى مأبض البعير . وهو باطن الركبة .

(٤) المسنمات : الإبل العظام الأسنمة . يقول : هذه الإبل قد ذهب لحمها فجالت غروضها لأجل ذلك .

(٥) جازعات : من جزع الوادى إذا قطعه . وعنى بالسود الليالى . ويروى « سود المروراة » والمروراة : الأرض التى لا شىء بها . أى هؤلاء القوم يسرون بالليالى السود بالمروراة .

(٦) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزى ١ / ٤١٦ .

جَعَلَ الدُّجَى سِتْرًا ووَدَّعَ رَاضِيًا  بالهُونِ يَتَّخِذُ القُعُودَ قُعُودَا[١]

طَلَبَتْ رَبِيعَ رَبِيعَةَ المُمْهَى لَهَا  وَوَرَدْنَ ظِلَّ رِوَاقِهِ المَمْدُودَا[٢]

قوله : «فاطْلُبْ هُدُوًّا فى التَّقَلْقُلِ» من قول عُرْوَةَ بن الوَرْد :

* ولم تدر أنى للمقام أطوِّف *

وقوله : «المُمْهَى لَهَا» أى الذى أُكْثِرَتْ مِيَاهُهُ . ويروى «المُمْهِى» لها أى الذى يُكْثِر لها الماء . وليس يريد الماء بعينه ، وإنما يريد الخِصب والسَّعة لأنه بالماء يكون .

وهذا الخروج كله جيد بالغ .

وله على هذا الوجه خروجات رديئة ومتوسطة لم أذكرها . ومنها قوله :

دَعْ عَنْكَ هَذَا إذَا انْتَقَلْتَ إلى الْ  مَدْحِ وَشُبْ سَهْلَهُ بِمُقْتَضَبِهْ[٣]

فالسهل : ما يأتيه به خاطره عَفْوًا من غير فكر ولا طلب .

والمُقْتَضَبُ ما يقتطعه خاطرُه اقتطاعًا بالفكر والتَّعب ، ويقال : ناقة قَضِيبٌ ، وهى التى رِيضَتْ ولم تُذَلَّ كل الذُّل لِلحَمْلِ والرُّكوب .

فأما قول البحترى لإبراهيم بن المدبر[٤] فى عِتَابٍ حُلْوٍ :

دعْ ذَا وأَخْبِرْنِى بِشَأْنِ صَدِيقِنَا  بِشْرٍ وهَلْ يُرْضَى لِبِشْرٍ شَانُ[٥]

---

(١) سبقت روايته «الدجى جملا» .

(٢) ويروى : «فتفيأت ظلالها الممدودا» و «فوردن ظل ربيعة المهودا» .

(٣) ديوانه ٥٢ وشرح التبريزى ١ / ٢٧٥ .

(٤) م «المدبر بن عتاب» .

(٥) لعله بشر بن الفرج الذى مازحه بأبيات ختمها بقوله : «يحب الدناءة حب الوطن» راجع ديوانه طبع مصر ٢ / ٣٠١ .

فإنَّ «دَعْ» ها هنا حسنة، وليست مثلها فى الخروج من النسيب إلى المدح.

ثم قال أبو تمام هو قوله: «دَعْ عَنْكَ هذا»:

لَسْتُ مِنَ العِيسِ أَوْ أُكَلِّفَها وَخْدًا يُدَاوِى المَرِيضَ مِنْ وَصَبِهْ(١)

إلى المُصَفَّى مَجْدًا أَبِى الحَسَنِ انْـ صَعْنَ انْصِيَاعَ الكُدْرِىِّ فى قَرَبِهْ(٢)

قوله: «يُدَاوِى المَرِيضَ»، يعنى المريض فى حاله لا فى جسمه؛ لأنه يُدْنِيهِ من الغنى.

والانْصِيَاعُ: الانحراف فى السير من النَّشاط والسّرعة. والكُدْرِىّ القَطَا. يعنى إذا جنحت فى الطيران وانحرفت نشيطة مسرعة.

* * *

ومن هذا الباب قول البحترى:

فالعِيسُ تَرْمِى بِأَيْدِيهَا عَلَى عَجَلٍ فى مَهْمَهٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ رَحْرَاحِ(٣)

نَهْدِى إلى الفَتْحِ ـ والنُّعْمَى بِذَاكَ لَهُ مَدْحًا يُقَصِّرُ عَنْه كُلُّ مَدَّاحِ(٤)

وقوله:

سيَحْمِلُ هَمِّى عَنْ قَرِيبٍ وهِمَّتِى قِرَى كُلِّ ذَيَّالٍ جُلالٍ جَلَنْفَعِ(٥)

---

(١) الذى بعده فى الديوان وشرحه:

إنى لذو ميسم يلوح علـى صعود هذا الكلام أو حببه

وقال التبريزى: لست من العيس: أى لست صاحبها حتى أكلفها سيراً يشفى صدر المهموم ويذهب عدم الفقير. والوصب: الوجع، أخذه من قول القطامى:

وسارت سيرة ترضيك منهـا يـكاد وسيجها يشفى الصداعا

(٢) فى قربه، أى فى طلبه للماء، ومنه ليلة القرب وهى التى يصبحون منها على الماء.

(٣) ديوان البحترى ٥٨، ١ / ٤٤٣.

(٤) م «تهدى.. بذلك له».

(٥) ديوانه ٨٩، ٢ /١٢٣٨، والقرا: الظهر، والذيال: طويل الذيل، والجلال: الضخم. وقال أبو العلاء المعرى: ووصفه الجمل بذيال قلما يستعمل، إنما يوصف بذلك الفرس والثور الوحشى. والجلنفع: الغليظ الشديد وإنما توصف به الإبل، وربما استعملوه فى الظلم، والأنثى جلنفعة. راجع عبث الوليد ١٣٣.

يُنَاهِبْنَ أجْوَازَ الفَيَافِى بِأَرْجُلٍ عِجَالٍ إلَى طَىِّ الفَيَافِى وأَذْرُعِ[١]
مَتَى تَبْلُغِ الفَتحُ بِنَ خَاقَانَ لا تُنِخْ بِضَنْكٍ ، ولا تَفْزَعِ إلَى غَيْرِ مَفْزَعِ

الجَلَنْفَع : المتناهى فى سنِّه وقوّته[٢].

«يُنَاهِبْنَ أجْوَازَ الفَيافى. . .» بيت فى غاية الحسن ، وجودة اللفظ .

وقول البحترى أيضًا :

ولَقَدْ تَعَسَّفْتُ الأُمورَ وصَاحِبِى حَزْمٌ يَلُفُّ حُزُونَها بِسُهُولِهَا[٣]
ونَشَرْتُ أرْدِيَةَ الصِّبَا وطَوَيْتُهَا بالعِيسِ بَيْنَ وَجِيفِهَا وذَمِيلِها[٤]
شَامَتْ بُرُوقَ سَحَابَةٍ قُرَشِيَّةٍ غَرِقتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ بَيْنَ سُيُولِهَا[٥]

وقوله :

وإذَا اسْتَصْعَبَتْ مَقَادَةُ أمرٍ سهَّلَتْهَا أَيْدِى المَهَارَى القُودِ[٦]
حَامِلاتٌ وَفْدَ الثنَاءِ إلَى أبْ لَجَ صَبٍّ إلَى ثَنَاءِ الوُفُودِ
عَلِقُوا مِنْ مُحَمَّدٍ خَيْرَ حَبْلٍ لِرُوَاقِ الخِلافَةِ المَمْدُودِ[٧]

وقوله :

تَشَكَّى الوَجَى واللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الدُّجَى غُرَيْرِيَّةُ الأَنْسَابِ مَرْتٌ بَقِيعُها[٨]

---

(١) م «أجواد الفيافى» .

(٢) وكان خليقاً بالآمدى أن يزيد بعد ذلك : وهى كلمة فى غاية السخف .

(٣) ديوان البحترى ٣٤٥ ، ٣ / ١٧٧١ .

(٤) م فى الديوان «أردية الدجى . . . والعيس» .

(٥) فى الديوان : «بين سهولها» .

(٦) ديوانه ٦٩٢ ، ١ / ٦٣٤ والمهارى القود : الإبل الطويلة الأعناق .

(٧) يقصد محمد بن عبد الملك الزيات .

(٨) ديوانه ٥ ، ١٢٩٧ وإعجاز القرآن ٩١ وعبث الوليد ١٣١ والوجى : أن يشتكى البعير باطن خفه . ومكان مرت : قفر لا نبات فيه . والبقيع من الأرض . المكان المتسع فيه أروم شجر من ضروب شتى .

وَلَسْتُ بِزَوَّارِ المُلُوكِ عَلَى الوَنَى لَئِنْ لَمْ تَجُلْ أَغْرَاضُهَا ونُسُوعُهَا(١)
تَؤُمُّ القُصُورَ البِيضَ مِنْ أَرْضِ بَابلٍ بِحَيْثُ تَلاَقَى غَرْدُها وَبَدِيعُها(٢)
إِذَا أَشْرَفَ البُرْجُ المُطِلُّ رَمَيْنَهُ بِأَبْصَارِ خُوصٍ قَدْ أَرَثَّتْ قُطُوعُها(٣)
يُضِيءُ لَهَا قَصْدَ السُّرَى لَمعَانُهُ إِذَا ٱسْوَدَّ مِنْ ظَلْمَاءِ لَيْلٍ هَزِيعُها
نَزُورُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ودُونَهُ سُهُوبُ البِلَادِ رَحْبُهَا ووَسِيعُها

وهذه ألفاظ ومعان فى غاية الصِّحة والحسن ، وكَثْرَةِ الماءِ .

وقوله : « عُرَيْرِيَّةٌ » منسوبة إلى فَحْل من فحول الإبل مذكور يقال له : عُرَير .

وغَرْدُها وبديعها : قصران .

* * *

وقال فى ابن المدبّر :

إِنَّنِى لَاجِئٌ إِلَى عَزَمَاتٍ مُعْدِيَاتٍ عَلَى طَرِيقِ الهُمُومِ(٤)
يَتَلَاعَبْنَ بِالفَيَافِى ويُودِيـ ـنَ بِنِقْيِ المُسَوَّمَاتِ الكُومِ(٥)
التَّرَامِى بَعْدَ الوَجِيفِ إِذَا ٱسْتُوْ نِفَ خَرْقٌ ، والوَخْدُ بعد الرسيمِ(٦)
كُلُّ مَهْزُوزَةِ المِقَذَّيْنِ تَلْقَى رَوْحَةَ الجَأْبِ خَلْفَهَا والظَّلِيمِ(٧)

---

(١) فى الديوان : « على الوجى » والأغراض : جمع غرض ، وهو حزام الرحل والنسوع : جمع نسع ، وهو سير مضفور تشد به الرحال .

(٢) فى الديوان « غربها و بديعها » .

(٣) البرج : قصر للمتوكل مكث به ثلاثة أيام فحم ، فأمر بهدمه . والخوص : غؤور العين . أرثت : أخلقت وبليت . والقطوع : جمع قطع بكسر القاف ، وهو الطنفسة تحت الرحل على كتفى البعير .

(٤) ديوان البحترى ٥٩٤ ، ٤ / ٢١٢٢ « على طروق » .

(٥) النقى : مخ العظام وشحمها ، كما فى اللسان ٢٠ / ٢١٤ .

(٦) فى الديوان « بعد الوجيفة . . » وفى طبعة المعارف « قبل الرسيم » .

(٧) قال ناشر الديوان فى شرحه « المقذين : مثنى مقذ ، وهو آلة ، من قذ السهم : ألصق به الريش » وهو خطأ محض . والصواب ما قاله الآمدى . وفى طبعة المعارف « تلقى » .

جُنَّحًا كالسِّمَامِ يَحْمِلْنَ رَكْبًا    طُلَّحًا مِنْ ضُئُولَةٍ وسُهُومِ[١]
مَالَهُمْ عَرْجَةٌ وإنْ نَأَت الشُّقْـ    ـقَةُ دُونَ الأَغَرِّ إبْرَاهِيمِ[٢]

قوله : « مَهْزُوزَةُ المِقَذَّيْنِ » ، فالمِقَذَّانِ : أُصول الأُذُنَيْن . وإنما يريد حركة رأسها عند السير ، وما أكثر ما تصف العربُ ذلك .

وقوله : « تَلْقَى رَوْحَةَ الجَأْبِ » إذا سارت مع حمار الوحش ، والظليم ، وهو ذكر النعام ، فوصلت غُدْوَةً ــ وَصَلًا بعدها عَشِيًّا . يصفها بالسرعة والقوة عا السير .

والسِّمَامُ[٣] : جنس من الطير .

وجَنَّحَ يُجَنِّح فى طيرانه ، أى يميل من النَّشاط على أحد جناحيه وكذلك تفعل كرائم[٤] الإبل تتصرف فى سيرها .

وقوله :

قَدْ أَقْذِفُ العِيسَ فى لَيْلٍ كأَنَّ لَهُ    وَشْيًا مِنَ النَّوْرِ ، أَوْ أَرْضًا مِنَ العُشُبِ[٥]
حتَّى إذَا مَا انْجَلَتْ أُخْرَاهُ عَن أُفُقٍ    مُضَمخٌ بالصَّبَاحِ الوَرْدِ مُخْتَضَبِ
أَوْرَدْتُ صَادِيَةَ الآمَالِ فَانْصَرَفَتْ    عَنِّى بِهَا ، وَأَخَذْتُ النُّجْحَ مِنْ كَثَبِ[٦]

(١) م « جنحا كالسما » وهو تحريف ، وفى الديوان « كالسهام . . من سآمة وسهوم » .
(٢) فى الديوان « غير الأغر » .
(٣) م « والشام » .
(٤) م « جرايم الإبل » !
(٥) ديوانه ٤٩٩ ، ١ / ١١٩ .
(٦) فى الديوان « فانصرفت بريها وأخذت » .

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ إِسْمَاعِيلَ فى تَعَبٍ مِنَ العُلَا ، والعُلَا مِنْهُنَّ فى تَعَبِ[١]

أراد أوردت[٢] صادية الآمال بها أى بالعيس فانصرف عنى[٣] الامال الصادية ، وهى العِطَاش ، وأخذتُ النُّجْحَ مِنْ كَثَبٍ ، أى من قُرْب .

وقوله : « فى لَيْلٍ كأَنَّ لَهُ وَشْيًا من النور » [أى] فى ليلٍ شديدِ الظُّلْمَةِ ، فإذا اشتدت ظُلْمَتُهُ أشرقت كواكبُهُ ما صغر منها و [ما] كبر . وأحسَنُ ما تكون السماء إذا كانت هذه حالها .

وإلى هذا المعنى ذهب ذُو الرُّمَّةِ فى قوله :

ولَيْلٍ كَجِلْبَابِ العَرُوسِ ادَّرَعْتُهُ بِأَرْبَعَةٍ ، والشَّخْصُ فى العَيْنِ وَاحِدُ[٤]

أراد الحلى الذى [على] جِلْبَابها . شبّه الليل به فى حسن نُجُومِه . وإنما يريد أنه ادَّرَعَ ليلًا شديد الظلمة ، مُضِىء الكواكب .

* * *

وفى شدّة ظلمة الليل يقول البحترى أيضًا :

واللَّيْلُ فى صِبْغ الغُراب كأَنَّمَا هُوَ فى حُلُوكَتِهِ وإنْ لَمْ يَنْعَبِ[٥]
حَتَّى تَجَلَّى الصُّبْحَ مِن جَنَبَاتِهِ كالماءِ يَلْمَعُ فى خِلَالِ الطُّحْلُبِ[٦]

وهذا معنًى ما سمعت فى شعرٍ قديم ولا محدث أحسن ولا أروع منه .

---

(١) يقصد الوزير إسماعيل بن بلبل .

(٢) م « أراد أو ردت بمعنى أو ردت » .

(٣) م « فانصرفت حتى الآمال » .

(٤) ديوان ذى الرمة ٢٩ وديوان المعانى ١ / ٣٤٢ والصناعتين ٢٣٣ وأخبار أبى تمام ٨٣ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤٨ .

(٥) ديوان البحترى ٦٠١ ، ١ / ٨٠ « فى لون الغراب كأنه » .

(٦) فى الديوان « فى جنباته . . . يلمع من وراء » .

ثم قال :

والعِيسُ تَنْصُلُ مِنْ دُجاهُ كَمَا انْجَلَى ... صِبْغُ الشَّبَابِ عَنِ القَذَالِ الأَشْيَبِ[(١)]

يَطْلُبْنَ مُجْتَمَعَ العُلَا مِنْ وَائِلٍ ... فى ذلك الأَصْل الزَّكِىِّ الطَّيِّبِ[(٢)]

* * *

وقال البحترى :

سَوْفَ أُعطى السُّلُوَّ والصَّبْرَ مَا أَمْ ... نَعُ مِنْ طَارِفِ الهَوَى وتَلِيدِ[(٣)]

بالمَهَارَى يَلْبَسْن ثَوْبًا جَدِيدًا ... مُسْتَفَادًا فى كلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ

فَهْىَ طُولَ النَّهارِ بيضٌ وطُولَ الْ ... لَيلِ فى أَقْمُصٍ مِنَ الليلِ سُودِ

طالباتٌ فى الغيث غيثًا سكُوبًا ... وحميدًا فى آل عبد الحميد[(٤)]

وقال فى محمد بن على القُمِّىّ :

لَقَدْ عَلِمَتْ عِيدِيَّةُ العِيسِ أَنَّنِى ... أَهُبُّ إِذَا نَامَ الهِدَانُ وأُعْنِقُ[(٥)]

خرجنا بها فى البِيضِ بِيضًا لَمْ نزالْد ... دَآدِئ إِلَّا وَهْىَ مِنْهُنَّ أَمْحَقُ[(٦)]

هَشَمْنَ إِلَى ابْنِ الهَاشِمِيَّةِ أَوْجُهًا ... عَوَابِسَ للظَّلْمَاءِ مَا تَتَطَلَّقُ[(٧)]

قوله : «خَرَجْنَا بها فى البِيضِ» . يريد فى الليالى البيض ، وهى التى يكون القمر فيها طالعًا من أولها إلى آخرها .

وقوله : «بِيضًا» : يريد الآدَم من الإبل ، وهو الأبيض ، فإن خالطته

---

(١) هذا البيت مقدم فى الديوان عن البيت الثانى . وما هنا أنسب .

(٢) وفيه : «الأطيب» .

(٣) ديوان البحترى ٢ / ٧٦٩ ، ٣ / ١٤٩٣ - ١٤٩٤ .

(٤) مضت روايته : «غينا سكونا» .

(٥) ديوانه ٥١٨ «أخب إذا» وجاء فى اللسان ١٧ / ٣٢٦ «الهدان : الأحمق الجافى الوخم الثقيل فى الحرب . . . وقيل : الهدان . النوام الذى لا يصلى ولا يبكر فى حاجة» .

(٦) م «خرجت بها» .

(٧) فى الديوان «عوابس للبيداء» .

حمرة فهو أصهب . وأظنه قال هاهنا بيضًا أراد حسنها وصفاءُ ألوانها وسمنها .

والدآدى : هى الليالى فى آخر الشهر ، وهى مظلمة .

أى لم نصل إليها حتى هزلت مطايانا ، وصارت أَمْحَقَ منها . وإنما جعل الدآدئ ممحقة لأنها آخر الشهر[(1)].

والهِدَانُ : الرجل البليد الذى ترضيه بالكلمة فيرضى .

* * *

وقال :

وأَرَى المَطَايَا لَا قُصُورَ بها   عَنْ لَيْلِ سَامِرَّاءَ تَدَّرِعُهْ[(2)]
يَطْلُبْنَ عِنْدَ فَتَى رَبِيعَةَ مَا   عِنْدَ الرَّبِيعِ تَخَايَلَتْ بُقَعُهْ

قوله : «تَخَايَلت» . أى صارت مُخِيلَةً للنبات ، ظاهرًا ذلك فيها . أو أن يريد صارت كالخيلان من النبات .

وقال :

كالبُرَى فى البُرَى ويُحْسَبْنَ أَحْيَا   نًا نُسُوعًا مَجْدُولَةً فى النُّسُوعِ[(3)]
أَبْلَغَتْنَا مُحمدًا فَحمِدْنَا   حُسْنَ ذَاكَ المَرْئِى والمَسْمُوعِ[(4)]

وقال :

ومَا ثَنَى مُسْتَهَامًا عَنْ صَبَابَتِهِ   مِثْلُ الزَّمَاعِ وَوَجْدِ العُرْمُسِ الأُجُدِ[(5)]

---

(١) فى اللسان ١ / ٦٣ «أبو الهيثم : الثلاث التى بعد المحاق سمين دآدئ ، لأن القمر فيها يدأدئ إلى الغيوب أى يسرع . وقال الأصمعى : فى ليالى الشهر ثلاث محاق ، وثلاث دآدئ . والدآدئ الأواخر وأنشد :

أبدى لنـــا غرة وجه بادى   كزهـــرة النجوم فى الدآدى »

(٢) ديوان البحترى ٢٣٧ ، ٢ / ١٢٤٩ وفى م «لا قصور لها» .

(٣) ديوانه ٤٢١ ، ٢ / ١٢٨٠ .

(٤) يقصد القائد محمد بن يحيى الواثقى .

(٥) ديوانه ٤٢٤ ، ١ / ٥٧٤ والزماع : المضاء فى الأمر والعزم عليه ، والإسراع فى المشى . والوخد : ضرب من سير الإبل سريع . والعرمس : الناقة الصلبة الشديدة . والأجد : الناقة القوية الموثقة الخلق ، ولايقال للجمل : أجد .

إلى أَبى نَهْشَلٍ ظَلَّتْ رَكائِبُنا يَحِذْنَ مِنْ بَلَدٍ نَاءٍ إلى بَلَدِ(١)
إلى فتًى مُشْرِقِ الأَخْلاقِ لَوْسُبِكَتْ أَخْلاقُهُ مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ لم تَزِدِ

وقد جعل البحترى مكان الناقة هاهنا «فرسًا» فقال فى مدح الشَّاهِ بن مِيكَال :

فَتَنَاسَ مَنْ لَمْ تَرْجُ رَجْعَةَ وُدِّهِ وَوِصَالِهِ فَتَعَزَّ عَنْ ذِكْرَاهُ(٢)
بِمُجَنَّبٍ رَحْبِ الفُرُوجِ مُشذَّبٍ نَابِى القَذَالِ حَدِيدَةٌ أُذُنَاهُ(٣)
صَافِى السَّبِيبِ مُقَلِّصٍ لم تَنْخَزِلْ مِنْه القَطَاةُ ، ولم تَخُنْهُ شظَاهُ(٤)
صافِى الأَدِيمِ كأَنَّ غُرَّةَ وَجْهِهِ فِلَقُ الصَّبَاحِ انْجَابَ عَنْهُ دُجَاهُ
يَجْرِى إِذَا جَرَتِ الجِيَادُ عَلَى الوَنَى فَيَبَذُّ أُولَى جَرْيِها أُخْرَاهُ
يُدْنِيكَ مِنْ مَلِكٍ أَغَرَّ سَمَيْذَعٍ يُدْنِيكَ مِنْ أَقْصَى مُنَاهُ رِضَاهُ(٥)

* * *

وقد خرج أبو تمام إلى المدح بوصف الخيل أيضًا فقال :

حَذَوْنَاهَا الوَجَى والأَيْنَ حَتَّى تَجَاوَزَتِ الرُّكُوعَ إِلَى السُّجُودِ(٦)
إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الغَمْرَاتِ قُلْنَا : خَرَجْتِ حَبَائِسًا إِنْ لَمْ تَعُودِى

(١) فى الديوان «يخدين» أبو نهشل : كنية محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسى الطائى .

(٢) ديوان البحترى ٤ / ٢٤٣١ – ٢٤٣٢ طبع المعارف .

(٣) المجنب : المجنوب ، أى المقود . والفرس المشذب : الطويل القليل اللحم . القذال : معقد العذار من الفرس خلف الناصية .

(٤) السبيب : شعر ذنب الفرس . مقلص : طويل القوائم منضم البطن . والقطاة : العجز ، وما بين الوركين أو مقعد الرديف من الفرس . وفى م «شطاه» والشظى : عظم لازق بالذراع . فإذا زال قيل شظى الفرس . وقوله : لم تخنه شظاه ، كقول امرئ القيس : «سليم الشظى» .

(٥) السميذع : السيد الشريف السخى الشجاع . ولعل «مناه» محرفة عن «مناك» ثم رأيتها فى طبعة المعارف «مناك» .

(٦) ديوان أبى تمام ١٠٥ وشرح التبريزى ٢ / ٣٥ «حذوناها : أى جعلنا الوجى لها مثل الأحذية» .

فَكَمْ مِنْ سُؤْدُدٍ أَمْكَنْتِ مِنْهُ ... بِرُمَّتِهِ عَلَى أَنْ لَمْ تَسُودِى
أَهَانَكِ لِلطِّرَادِ وَلَمْ تَهُونِى ... عَلَيْهِ ، وَلِلْقِيَادِ – أَبُو سَعِيدِ[1]

* * *

وقد جعل البحترى أيضًا « السفينة » بمكان النَّاقة فقال :

وَرَمَتْ بِنَا سَمْتَ العِرَاقِ أَيَانِقٌ ... سَحْمُ الخُدُودِ لُغَامُهُنَّ الطُّحْلُبُ[2]
مِنْ كُلِّ طَائِرَةٍ بِخَمْسِ خَوَافِقٍ ... دُعْجٍ كَمَا ذُعِرَ الظَّلِيمُ المُهْذِبُ[3]
يَحْمِلْنَ كُلَّ مُفَرَّقٍ فى هِمَّةٍ ... فُضُلٍ يَضِيقُ لها الفَضَاءُ السَّبْسَبُ[4]
رَكِبُوا الفُرَاتَ إلى الفُرَاتِ وَأَمَّلُوا ... نَشْوَانَ يُبْدِعُ فى السَّمَاحِ وَيُغْرِبُ[5]

قوله : أَيَانِقٌ جمع أَيْنُق ، وهو جمع نَاقة .

وهذا من المقلوب الذى جاء فى كلامهم ؛ لأَن النون من شأْنها أَن تتقدَّم الياء ، فلو جاء على الاستقامة لكان أَنيق[6] وأَنايِق . وهذا مثل مَلَك وملائكَة ، والأَصل مَأْلَك ومَآلِكَة .

وقوله : « سُحْمِ الخُدُودِ » . يريد سَوادَ القَارِ .

ولُغَامُهُنَّ الطُّحْلُب : يريد الخضرة التى تتعلق بالسفن من طوال المُكْثِ فى الماء .

وقوله : « خَمْس خَوَافِق » . يريد أَربعة مجاديف ،وسكان ، أَو قائم الشِّراع .

ودُعْجٌ : سَواد القَار أَيضًا .

---

(١) أبو سعيد : محمد بن يوسف الطائى .
(٢) ديوان البحترى ٦٨٢ ، ١ / ٧٣ ولغام البعير : زبده .
(٣) فى الديوان « يضيق بها » .
(٤) فيه « وأملوا جذلان » .
(٥) م « لكان أينق » .

وقوله : « كما ذُعِر الظَّلِيمُ » يريد سرعةَ السفن. وانْبِعَاثَها كما يَنْبَعِثُ الظليم ويَجْفُل إذا فَزِع .

والإِهْذَابُ : السُّرْعَة .

وقوله : «يَحْمِلْنَ كلَّ مُفرَّقٍ » . أى مُتَقَسِّم . فى هِمَّةٍ فُضُلٍ . أى همة واحدة . يضيق لها الفضاءُ لِعِظَمِهَا وسَعَتِها .

والفُضُلُ : الثوب الواحد الذى يقتصر [1] عليه الرجل والمرأة ويبتَذِلُهُ للأعمال . قال امرؤُ القيس :

* لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ [2] *

وأظن البحترى أراد بقوله : « فُضُل » . أى همّة واحدة [3] . وجَّهُوهَا [4] إليك دُون مَنْ سِوَاكَ ، وجعلها عظيمة على قدر الممدوح . أى اتسعت الهمَّة فيك وعظمت ؛ قد تقسمته وصار لا فضل فيه لغيرها .

وهذه أبيات حسان .

* * *

(١) م « يعتسر » .

(٢) بقية البيت كما فى ديوان امرئ القيس ١٣١ :

« وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل»

(٣) لقد أغرب الآمدى فى ظنه فوقع بعيداً عن مراد الشاعر القريب الواضح . وبيان ذلك : أن الهمة : واحدة الهمم ، وهى ما يهم به الإنسان من أمر ليفعله ، وهى توصف بالصغر والعظم ، فيقال : إنه لصغير الهمة ، وإنه لعظيم الهمة بعيدها . وإن همته لزائدة . وهذا المعنى هو الذى أراغ إليه البحترى . فمعنى قوله : « فضل : أى زيادة . يريد أن هذه السفن تحمل أناساً قد فرقتهم فى البلاد : مطوفين فى الآفاق بسبب ما انطوت عليه صدورهم من همم عظيمة بعيدة المدى يضيق بها الفضاء الفسيح . فقول الآمدى : « فى همة فضل أى همة واحدة» خطأ محض ، لأن المعنى الذى قصد إثباته من كلمة « فضل » وتجشم الاستشهاد عليه بقول امرئ القيس «لم تنتطق عن تفضل » — قد تكفل به ببيت البحترى الثانى الذى يقول فيه : إن جميع هؤلاء الذين قد فرقتهم هممهم وأزعجتهم عن أهلهم وأوطانهم قد ركبوا الفرات إلى الفرات الذى يلذ له الإبداع فى السماح ويسكره الإغراب فيه .

(٤) م « وجهرها إليك » .

وقد قال أبو تمام فى « السفينة » والمسير فيها إلى الممدوح فى قصيدة أوّلها :

دَنِفٌ بَكَى آياتِ رَبْعٍ مُدْنَفِ ... لَوْلَا نَسِيمُ تُرَابِهِ لَمْ يُعْرَفِ(١)

أبياتًا رديئة جدًّا لم أكتبها(٢) .

والجيد النادر فى وصف السفينة قول بَشَّار يذكر مَسِيرَهُ إلى المَهْدِى :

وعَذْرَاءَ لا تَجْرِى بلَحْمٍ ولا دَمٍ ... قليلة شَكْوَى الأَيْنِ ، مُلْجَمَةِ الدُّبْرِ(٣)

إذا ظَعَنَتْ فيها القَبُولُ تَشَمَّصَتْ ... بِفُرْسَانِهَا لا فى وُعُوثٍ ولا وَعْرِ(٤)

وإنْ قَصَدَتْ مَرَّتْ عَلَى مُتَنَصِّبٍ ... ذَلِيلِ القَرَا لا شَىْءَ يَفْرِى كَمَا يَفْرِى(٥)

تُلَاعِبُ نِينَانَ البُحُورِ وربَّمَا ... رَأَيْتَ نُفُوسَ القوم مِن جَرْيِهَا تَجْرِى(٦)

سَمَوْنَا إلى المَهْدِىِّ قَصْدًا وإنَّمَا ... قَطَعْنَا بِهَا أَمْوَاجَ بَحْرٍ إلى بَحْرِ(٧)

فبلغ سيبويه قوله : « نِينَانَ البُحُورِ » فأنكر ذلك ، وزعم أن العرب لا تجمع النون — وهو الحوت — على نِينَان . فبلغ ذلك بشَّارًا ، فقال : وَيْحَه : أما يقول : حُوتٌ وحيتان ، وغُولٌ وغيلان ، فكذلك نون

---

(١) شرح التبريزى ٢ / ٣٩٤ وهذه القصيدة لا توجد فى ديوان أبى تمام .

(٢) أولها ص ٣٩٦ :

حملت رجاى إليك بنت حديقة ... غلباء لم تفلح لفحل مقرف

نتجت وقد حوت المنيدة وابتنت ... فى شطرهــا وتبوعت فى النيف

فأتت محــلى وهى حمل بناتها ... تسرى بقائمتى خريق حــرجف

فاعتــامها ذو خبرة بفحولها ... ندس بجبلة حلقها متلطف

ثم يمضى فى وصفها على هذا النحو فى ثمانية أبيات أخر .

(٣) ديوان بشار ٣ / ٢٨٠ والأغانى ٣ / ٦٩ . والأين : الإعياء .

(٤) م « ولا دعر » والقبول : ريح الصبا وهى رخاء السفن . وتشمصت : نفرت وأسرعت فى سيرها ، كما تفعل الدابة التى تنخس وتساق . والوعوث : جمع وعث وهو المكان السهل .

(٥) م « دليل » والقرا : الظهر .

(٦) م « أنكر » .

(٧) لم يرد هذا البيت فى ديوانه ولا فى الأغانى .

ونينان ، وتوعَّدَ سيبويه ولَدَغَه فكفَّ سيبويه عن تتبُّع شعره ، واحتجَّ بشىء [منه] تقربًا إليه ، وأستكْفَافًا لشره .

* * *

وللبحترى فى الخروج إلى المديح بذكر الإبل غير شىء لو استقصيته ، وأتيت بجميع ما لأبى تمام فيه – لطال الباب . وما تركتُ لهما إلا وسطا ليس بجيد ولا ردىء .

* * *

ولا خفاء بفضل البحترى فى سائر ما أوردته على أبى تمام .

## وهذا وجه آخر من الخروج
## و وخروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء

فمن ذلك قول[1] أبي تمام :

لَا تُنْكِرِى عَطَلَ الكَرِيم ِمِنَ الغِنى ... فَالسَّيْلَ حَرْبٌ للمكانِ العَالِى[2]
وتَنَظَّرِى خَبَبَ الرِّكَاب يَحُثُّهَا ... مُحْيِى القَرِيضِ إلى مُمِيتِ المَالِ

وهذا معنى لطيف حسن .

* * *

ومنه قول البحترى :

وَلَمْ أَنْسَهَا عِنْدَ الوَدَاعِ ونَثْرِهَا ... سَوابِقَ دَمْعٍ أُعْجِلَتْ أَنْ تُنَظَّمَا[3]
وقالتْ هَلِ الفَتْحُ بنُ خَاقَانَ مُعْقِبٌ ... رِضًا فيَعُودَ الشَّمْلُ مِنَّا مُلأَّمَا

وقوله :

قَامَتْ تُوَدِّعُنِى عَجْلَى وقد بَدَرَتْ ... سَوَابِقٌ مِنْ تُوأَمِ الدَّمْعِ تُجْرِيها[4]
وَاسْتَنْكَرَت ظَعَنِى عَنْهَا فَقَلْتُ لَهَا ... إلى الخليفة أَنْضَى العيس مُنْضِيها[5]

وما أكثر ما يستعمل الشعراءُ فى خروجهم[6] إلى المدح هذا الوجه .

---

(١) م « قال » .
(٢) ديوان أبي تمام ٢٤٦ وشرح التبريزى ٣ / ٧٧ « الركاب ينصها » .
(٣) ديوان البحترى ٩٤ ، ٣ / ١٩٨٢ .
(٤) ديوان البحترى ٣٦ « وقد حدرت » ، فى ٤ / ٤٢١٠ كما هنا .
(٥) الذى فى الديوان « أمضى العيس ممضيها » .
(٦) م « خروجها » .

ومن جيد ذلك قول جرير :

تَعزّتْ أم حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ رَأَيْتُ المُورِدِينَ ذَوِى لُقَاحِ (١)
تُعَلِّلُ وَهْىَ سَاغِبَةٌ بَنِيها بأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّبِمِ القَرَاحِ (٢)
سأَمْتَاحُ البُحُورَ فَجَنِّبِينِى أذَاةَ اللَّوْمِ ، وانْتَظِرِى امْتِيَاحِى
ثِقِى باللهِ لَيْسَ لَهُ شريكٌ ومِنْ عِنْدِ الخليفةِ بالنَّجَاحِ

(١) ديوانه ٩٧ .

(٢) ساغبة : جائعة . الشبم : البارد . والقراح : الماء الذى لم يخالطه شىء يطيب به كالعسل والمر والزيت .

## وربما خرجا إلى المدح بيمين يحلفان بها

ومن ذلك قول أبى تمام :

حَلَفْتُ بِرَبِّ البِيضِ تَدْمَى نُحُورُهَا ورَبِّ القَنَا المُنْآدِ والمُتَقَصِّدِ(١)

لَقَدْ كَفَّ سَيْفُ الصَّامِتِىِّ مُحَمَّدٍ تَبَارِيحَ ثَأْرِ الصَّامِتِىِّ مُحَمَّدِ(٢)

فالبيض : هى الأُدْمُ من الإبل ، يقال : بعير آدَم إذا كان أبيض .

وقوله : «تباريح ثَأْر» أراد أن سيفه كفَّ تبارِيحَ ثأْره ، أى كفَّ ما برح به من الثأْر حتى أدركه .

ومن ذلك قوله :

لَا والَّذِى هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبِرٌ ، وأَنَّ أَبَا الحُسَيْنِ كَرِيمُ(٣)

ما زِلْتُ عَنْ سَنَنِ الضَّمِيرِ ، ولا غَدَتْ نَفْسِى عَلَى إِلْفٍ سِوَاكَ تَحُومُ(٤)

* * *

ومن ذلك قول البحترى :

حَلَفْتُ بِمَا حَجَّتْ قُرَيْشٌ وحَجَّبَتْ وحَازَ المُصَلَّى والحطيمُ وزَمْزَمُ(٥)

---

(١) ديوان أبى تمام ١٠١ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤ «تدمى متونها» والمنآد : المنحنى . والمقتصد : المتكسر .

(٢) قيل : إن الثانى هو الأول . وقيل : الأول : محمد بن يوسف هذا الممدوح ، والآخر : محمد بن حميد الذى قتله بابك ، وهما جميعاً من بنى الصامت .

(٣) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزى ٣ / ٢٩٠ .

(٤) ويروى «سنن الوداد» .

(٥) ديوان البحترى ٩٦ ، ٣ / ١٩٢٩ .

وأَهْل مِنًى إِذْ جَاوَزُوا الخَيْفَ مِنْ مِنًى ... وَهُمْ عُصَبٌ شَتَّى ، مُحِلٌّ ، ومُحْرِمُ (١)
يُهِلّونَ مِنْ حَيْثُ ابْتَدَا الصُّبْحُ يَرْتَقِي ... سَنَاهُ إِلى حَيْثُ انْتَهى الليلُ يُظْلِمُ (٢)
لَقَدْ جَشِمَ الفَتْحُ بنُ خَاقَانَ خُطَّةً ... من المَجْدِ لَا يَسْطِيعُها المُتَجشِّمُ

ومن ذلك قوله :

وشَمَائِلِ الحَسَنِ بنِ وَهْبٍ إِنَّهَا ... فى المَجْدِ ذَاتُ شَمَائِلٍ وَجَنَائِبِ (٣)
لَيُقَصِّرَنَّ لَجَاجُ شَوْقٍ غَالِب ... وَلِيَقْصِرنَّ لَجَاجُ دَمْعٍ سَاكِبِ (٤)

* * *

وهما فى هذا الباب متكافئان .

---

(١) م « عصيب نوضى » .

(٢) م « انتهى الليل » .

(٣) ديوانه ٦٩٧ ، ١ / ١٥٩ طبع المعارف .

(٤) فى الديوان ٦٩٧ « شوق بالغ » وفى طبعة المعارف كما هنا . وبعد البيت :

فالعزم يقتل كل سقم قاتل ... والبعد يغلب كل وجد غالب

## وربما خرجا إلى المديح بذكر الغيث ومباراته

فمن ذلك قول أبي تمام :

أَيُّهَا الغَيْثُ حَيِّ أَهْلًا بِمَغْدَا كَ ، وعِنْدَ السُّرَى ، وحِينَ يَئُوبُ(١)
لأَبِي جَعْفَرٍ خَلَائِقُ تَحْكِيـ ـهِنَّ قَدْ يُشْبِهُ النَّجِيبَ النَّجِيبُ

وهذا ليس بالشهى ، ولا الحلو العذب .

والجيد النادر قول البحترى :

أَقُولُ لِثَجَّاجِ الغَمَامِ وقَدْ سَرَى بِمُحْتَفَلِ الشُّؤْبُوبِ صَابَ فَعَمَّمَا :(٢)
أَقِلَّ وأَكْثِرْ لَسْتَ تَبْلُغُ غَايَةً تَبِينُ بِهَا حَتَّى تُضَارِعَ هَيْثَمَا(٣)

وأجود من هذا وأحلى وأبلغ – قوله يمدح المتوكل :

قَدْ قُلْتُ لِلغَيْثِ الرُّكَامِ وَلَجَّ فِى إِبْرَاقِهِ ، وأَلَحَّ فى إِرْعَادِهِ(٤)
لا تَعْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهًا بِنَدَى يَدَيْهِ فَلَسْتَ مِنْ أَنْدَادِهِ

ومن الجيد النادر فى هذا الباب أيضًا – قوله :

رِبَاعٌ تَرَدَّتْ فى الرِّيَاضِ مَجُودَةٌ بِكُلِّ جَدِيدِ الماءِ عَذْبِ المَوَارِدِ(٥)

---

(١) ديوان أبي تمام ٥٨ وشرح التبريزى ١ / ٢٩٧ .

(٢) ديوان البحترى ١٢٧ ، ٤ / ٢٠٨٨ والصناعتين ٤٥٧ وعيار الشعر ١١٦ .

(٣) فى الديوان ١٢٧ « لست تدرك » والهيثم الغنوى : هو الممدوح .

(٤) ديوانه ٤٣ ، ٢ / ٧٠٣ والصناعتين ٤٥٧ والبديع لأسامة ٢٨٨ « قلت للغيم » .

(٥) ديوانه ٥٤ ، ١ / ٦٢٤ .

إِذَا رَاوَحَتْهَا مُزْنَةٌ بَكَرَتْ لَهَا شَآبِيبُ مُجْتَازٍ عليها وَقَاصِدُ[١]
كَأَنَّ يَدَ الفَتْحِ بنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بِتَلْكَ البَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ

وقال :

سُقِيَتْ رُبَاكِ بِكُلِّ نَوْءٍ جَاعِلٍ مِنْ وَبْلِهِ حَقًّا لَهَا مَعْلُومَا[٢]
فَلَوَ انَّنى أُعْطِيتُ فِيهِنَّ المُنَى لَسَقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا[٣]
بِسَحَابَةٍ غَرَّاءَ مُتْئِمَةٍ إِذَا كَانَ الجَهَامُ مِنَ السَّحَابِ عَقِيمَا[٤]

فقوله : « سُقِيتْ رُبَاكِ » — بيت ليس بالبارع لفظاً ولا معنى ، وما بعده جيد حلو .

وإنما خَصَّ الجَهَامَ لأَنَّه الذى قد كان فيه ماء فأَراقه ، ومثله لا يكون عقيمًا . جعله كالمرأة الوالد .

وقال [أبو تمام] فى هذا المعنى أيضًا :

شَجًا فى الحَشَا تَرْدَادُهُ لَيْسَ يَفْتُرُ به صُمْنَ آمَالِى وإِنِّى لَمُفْطِرُ[٥]
حَلَفْتُ بِمُسْتَنِّ المُنَى تَسْتَرِشُّهَا سَحَابَةُ كَفٍّ بالرَّغَائِبِ تُمْطِرُ
إِذَا دَرَجَتْ فيه الصبا كَفْكَفَتْ لَهَا وقَامَ يُبَارِيهَا أَبُو الفَضْلِ جَعْفَرُ[٦]

وهذه أَلفاظ ومعان ونسج فى غاية الرداءة والهَجَانَة ، والبعد من البلاغة والبراعة ، على ما فيها من التعقيد واتفاق المعانى .

فقوله : « حَلَفْتُ » يعنى نفسه .

---

(١) م « مجتاب عليها » .

(٢) ديوانه ٢٨٦ ، ٣ / ١٩٦٥ .

(٣) هو إبراهيم بن الحسن بن سهل المملوح .

(٤) م « السحاب عظيما . » والمتئم : التى تضع اثنين فى بطن واحد .

(٥) ديوان أبى تمام ١٥٩ وشرح التبريزى ٢ / ٢١٤ فى مدح جعفر الخياط .

(٦) م « درجت فيها » .

و «مُسْتَنُّ المُنَى» : المحل الذى يستنّ فيه المنى ، أى يَطَّرِدُ ، يَذْهَبُ ويَجِىءُ ويكثر . يريد محل الممدوح وساحته.

وقوله : «يَستَرشُّهَا. إنما أراد يَسْترِشُّ سَحَابَة كَفٍّ فقال : «يَسْتَرِشُّها» فقدم الكناية ، وجعل «سَحَابَة كَفٍّ» بدلًا من الهاء والألف.

يقول : حللت بمحلّ تَسْتَنُّ فيه المُنَى ، وتَطْلُبُ رَشَاشَ سَحَابَةِ كَف.

وقوله : «إذا دَرَجَتْ فيهِ الصَّبَا» . يريد فى مُسْتَنِّ المُنَى . كَفْكَفَتْ لَهَا أى للسحابة .

وكفكفت : أى دنت وقَرُبت .

و «قَامَ يُبَارِيها» أى يبارى الصَّبَا بِسَحَابَةِ كَفِّهِ أَبُو الفَضْل جعفر .

وهذان البيتان لا يتصلان بالبيت الأول . وإنما كان وجه الكلام أن يقول : شجًا فى الحشا كان تَرْدَادُهُ ليس يَفْتُر ، وكانت آمالى به صائِمةً ، فَحَلَلْتُ بِمُسْتَنٍّ مُنًى مِنْ حَالِهِ وصِفَتِهِ . حتى يتصل الكلام بعضه ببعض .

والحذف والاختصار فى كلام العرب موجود ، ولكن ليس فى مثل هذا .

* * *

ومن هذا الباب ، وفيه بعض الغموض ، قوله :

إنَّ الذى خَلَقَ الخَلَائِقَ قَاتَهَا　　أَقْوَاتَها لِتَصَرُّفِ الأَحْرَاسِ[1]
فَالأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قِرًى لَهَا　　وبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو العَبَّاسِ

يريد أن الله تعالى ، جعل أقوات عباده من وجوه مختلفة على قدر أزمانها.

وَالأَحْرَاسُ : الدُّهُور ، واحدها حَرْس.

---

(١) ديوان أبى تمام ١٧٣ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤٦ وفى م «الأجراس» .

يقول : فالأَرض إنما تحيا بما تَقْرِيها السماءُ من الغَيْثِ ، وبنو الرجاء لهم بنو العباس ، أَى بنو الرَّجَاءِ بنو العباس لهم ، أَى لهم عِصْمَة ، كما يقال : الله لك ، أَى مُعينٌ ومُغِيثٌ .

ويجوز أَن يكون أَبو تمام ذهب فى ذكر الأَرض والغيث هاهنا[1] وجعل بنى العباس رجاء الناس لذلك؛ لأَن الناس فى أَيام عمر بن الخطاب ، رحمة الله عليه ، احتبس عنهم المطر فأَخذ عمر بضَبُعِ العَبَّاس وقال : اللهم إن هذا عم نبيك ، اللهم اسقنا غيثك . فما بَرِحَ الناسُ حتى وافاهم المطر. فلعل أَبا تمام ذهب إلى هذا المعنى . والله أَعلم.

والبيتان رديئان نسجاً ولفظاً .

ولا محالة أَن البحترى أَيضًا فى هذا الباب – يتقدم أَبا تمام.

(١) العبارة هنا ناقصة .

## وهذا وجه آخر من خروجهما إلى المدح

### وهو وصف الرياح ، وتشبيه أخلاق الممدوح بها

فمن ذلك قول أبي تمام :

مِنْ فَاقِعٍ غَضِّ النَّبَاتِ كَأَنَّهُ [دُورٌ] يُشَقَّق قبلُ ، ثم يُزَعْفَرُ(١)

صُنْعُ الذى لَوْلَا بَدَائِعُ صُنْعِهِ مَا عَادَ أَصْفَرَ بَعْدَ إِذْ هُوَ أَخْضَرُ

خُلُقٌ أَطَلَّ مِنَ الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلُقُ الإِمَامِ وَهَدْيُهُ المُتَيَسِّرُ

فقوله : « خُلُقٌ أطلَّ من الربيع كأنَّه خُلُق الإمامِ » ـ معنى صحيح .

« وهَدْيُهُ المُتَيَسِّرُ » . فالهدى : سَمْتُهُ ودَلُّهُ وشَكْلُه . و « المُتَيَسِّر » . قافية رديئة جدًّا .

* * *

ومثله قول البحترى :

وَيُرِيكَ الأَحْبَابُ يَوْمَ تَلَاقٍ بِاْعْتِنَاقِ الحَوْذَانِ والأُقْحُوانِ(٢)

صَاغَ مِنْهَا الرَّبِيعُ شَكْلًا لِأَخْلَا قِ حُسَيْنٍ [ذِى] الجُودِ والإِحْسَانِ(٣)

وهذا أيضًا خُرُوجٌ ليست له قوة لفظ [و] لا حلاوة فيه ولا معنى .

---

(١) ديوان أبي تمام ١٥٨ وشرح التبريزى ٢ / ١٩٦ .

(٢) ديوان البحترى ٤ / ٢١٩٨ وفى اللسان ٤ / ٢١ « والحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء فى أصلها صفرة وورقته مدورة » وفى الديوان « باغتباق » وهو تحريف .

(٣) يقصد ممدوحه : الحسين بن الحسن بن سهل .

## وهذا وجه آخر من خروجهما إلى المدح

منه قول أبي تمام :

صُبَّ الفِرَاقُ عَلَيْنَا ، صُبَّ مِنْ كَثَبٍ	عليهِ إسْحاقُ يَومَ الرَّوعِ مُنْتَقِمَا[١]

وهذا خروج حسن[٢].

وقال أيضًا :

فَلْيُبْلغِ ٱلفِتْيَانُ عَنِّى مَألُكًا	أنِّى مَتَى يَتَثَلَّمُوا أَتَهَدَّمِ[٣]
ولْتَعْلَمِ الأَيَّامُ أَنِّى فُتُّهَا	بِأَبِى الحُسَيْنِ مُحَمَّدِ بن الهَيْثَمِ

قوله : « مأْلُكًا » : جمع مَأْلُكَةٍ ، وهى الرِّسالة ، ونصبها على الحال .

وقال أبو تمام أيضًا :

وَعَاذِلٍ هَاجَ لِى باللَّوْمِ مَأْرُبَةً	بَاتَتْ عَلَيْهَا هُمُومُ الصدرتصطخب[٤]
لَمَّا أَطَالَ ٱرْتِجَالَ العَذْلِ قُلْتُ لَهُ	الحَزْمُ يُثْنِى خُطُوبَ الدَّهْرِ لَا الخُطَبُ
لَمْ يَجْتَمِعْ قَطُّ فى مِصْرٍ ولَا طَرَفٍ	مُحَمَّدُ بنُ أَبِى مَرْوَانَ والنُّوَبُ[٥]

قوله : « الحَزْمُ يَثْنِى خُطوبَ الدهر » ـ ليس بواجبٍ قاطع على كلِّ حال . ولو كان ذلك كذلك لما رأيت حازمًا قطّ يصيبه خطب من الدهر يكرهه . ولكنه لما كان الحزم قد يفعل ذلك صلح أن يذكره .

---

(١) ديوان أبي تمام ٣٠٢ وشرح التبريزى ٣ / ١٦٨ .

(٢) بل هو خروج ردىء .

(٣) ديوانه ٣١٢ وشرح التبريزى ٣ / ٢٥٠ « مالكا » وانظر اللسان ١٢ / ٢٧٢ .

(٤) ديوانه ٤٧ وشرح التبريزى ١ / ٢٤٨ ويروى « هموم النفس » والمأربة : الحاجة .

(٥) م « يجتمع خط » .

وقال أبو تمام :

يَا أَيُّهَذَا السَّائِلِى أَنَا شَارِحٌ لكَ غَائِبِى حتَّى كأَنَّك حَاضِرُهْ(١)
إنِّى ونَصْرًا والرِّضَا بِجِوَارِهِ كالبَحْرِ لا يَبْغى سِوَاهُ مُجَاوِرُهْ
مَا إنْ يَخَافُ الخَذْلَ مِنْ أَيَّامِهِ أَحَدٌ تيقَّنَ أَنَّ نَصْرًا نَاصِرُهْ

قوله : «أنا شارحٌ لك غائِبى». لست أراه شرح شيئًا ، وإنما ذكر أن رضاه بجوار نصر كالبحر لا يبغى سواه مجاوره . وهذا خبر مُخْتَصر ؛ والشرح لا يكون فى نصف البيت .

فأما قوله : «ما إنْ يَخَافُ الخَذْلَ» فليس يتعلق بقوله : «أنا شارحٌ لك غائبى حتَّى كأَنك حاضره».

وقد أخبر البحترى بخبر حسن هو أولى بالشرح من أبى تمام فقال :

ومِنْ غَرَائبِ مَا تَأْتِى الخُطُوبُ بِهِ فى أَوَّلٍ مِنْ صُروفِ الدَّهْرِ أَوْتَالِ(٢)
أُحْدُوثَةٌ عَجَبٌ أُنْبِيكَ عَنْ خَبرِى فيها ، وعَنْ خَبَرِ الشَّاهِ بنِ مِيكَالِ
فَرَرْتُ مِنْه حَيَاءً مِنْ قُصُورِىَ عَنْ جَزَاءِ مَا زَادَ فى جَاهِى وفى مَالِى(٣)
لَوْلَمْ أُعَوِّضْهُ شكْرًا عَنْ تَطَوُّلِهِ إذْ لَمْ أُقَابِلْهُ إفْضَالًا بِإِفْضَالِ(٤)

وقد ذكر هذا المعنى فى غير موضع . وإنما أذكره فى أبوابه إذا جاءت بإذن الله .

* * *

وقال البحترى :

لَعَمْرُ أَبِى الأَيَّامِ مَا جَارَ حُكْمُهَا عَلَىَّ ، ولَا أَعْطَيْتُه ثِنْىَ مِقْوَدِى(٥)

(١) ديوان أبى تمام ١٥٦ وشرح التبريزى ٢ / ٢١٠ .
(٢) ديوانه ٢ / ١٧٢١ .
(٣) م «حياء عن» .
(٤) فى الديوان لم لم أعوضه . . . إذ لم أكايله . . . » .
(٥) ديوانه ٢٣١ ، ٢ / ٧٧٢ «ولا أعطيتها» وهى فى مدح أحمد بن محمد بن المدبر . وسبق البيت الأول فى الجزء الأول ٤٢٩ ، «مقولى» وهو خطأ .

وكَيْفَ أَخَافُ الحَادِثَاتِ وصَرْفَها عَلَيَّ وَدُونى أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ(١)

وقال :

فَإِنْ أَرَابَ صَدِيقِى فى الوِدَادِ فَكَمْ أَمْسَيْتُ أَحْذَرُ مَا قَدْ كُنْتُ آمُلُهُ(٢)
يَكْفِيكَ مِنْ عُدَّةٍ فى الدَّهْرِ تَجْعَلُها ذُخْرًا ـ سَمَاعُ أَبِى بَكْرٍ ونَائِلُهُ(٣)

وقال :

لاَ أَمْدَحُ المَرْءَ أَقْصَى مَا يَجُودُ بهِ نَيْلٌ يُكَسَّرُ مِنْ حَافَاتِ جُلْمُودِ
حَسْبِى بِأَحْمَدَ إِحْسَانًا يُبَلِّغُنِى مَدَى الغِنَى ، وبِفِعْلٍ مِنْهُ مَحْمُودِ

قوله : «وبِفِعْلٍ مِنه مَحْمودِ» . يريد معونته إياه على أُموره ، وبَذْلِهِ جاهَهَ له :

ومن طريف خروج البحترى وعجيبه قوله :

إِذَا الرِّجَالُ اعْتَمْتَ أَجوادَهم فَاسْمُ إلى الأَشْرَفِ مَا فَالأَشْرَفِ(٤)
ادْفَعْ بِأَمْثَالِ أَبِى غَالِبٍ عَادِيَةَ العُدْمِ أَوِ اسْتَعْفِفِ

ومن جيد ذلك ونادره أيضًا قوله :

يَرْجُو البخيلُ اغْترارِى أَوْ مُخادَعَتِى حتَّى أَسوقَ إليه المَدْحَ مَجَّانَا
لأَكْسُوَنَّ بَنِى الفَيَّاضِ مِنْ مِدَحِى مَا بَاتَ مِنْه لَئِيمُ النَاسِ عُرْيَانَا

وهذا فى غاية الحسن .

---

(١) يقصد ممدوحه : أحمد بن محمد بن المدبر .

(٢) ديوان البحترى ٩٧٠ ، ٣ / ١٨٢٩ فى مدح أبى بكر الكاتب ، المعروف بجرادة .

(٣) فى الديوان «للدهر» .

(٣) ديوانه ٣٤٧ ، ١ / ٥٥٧ فى مدح أحمد بن عبد الوهاب . فى م «ما تجود» .

(٤) ديوانه ٢٣٢ ، ٣ / ١٣٦٠ – ١٣٦١ فى مدح أبى غالب بن أحمد بن محمد بن المدبر .
واعتمت : اخترت ، ومنه قول طرفة : أرى الموت يعتام الكرام ... » .

وقال :

هَل الشَّبَابُ مُلِمٌّ بِى فَرَاجِعَةٌ أَيَّامُهُ لى فى أَعْقَابِ أَيَّامِى[١]
لَوْ أَنَّهُ نَائِلٌ غَمْرٌ يُجَادُ بِهِ لَقَدْ تَطَلَّبْتُه عِنْدَ ابنِ بِسْطَامِ

وهذا أيضًا خروج حسن طريف.

ومن جيد خروجه[٢] أيضًا قوله :

لِتَسْرِيَنَّ قَوَافِى الشِّعْرِ مُعْجَلَةً مَابَيْنَ سُيَّرِهِ المُثْلَى وشُرَّدِهِ[٣]
جَوَازِيًا حَسَنًا مِنْ حُسْنِ أَنْعُمِهِ وعَنْ بَوَادِيه فى الجَدْوَى وعُوَّدِهِ[٤]

* * *

ومن طريفات الخروج أيضًا قول أبى تمام :

تَدَاوَ مِنْ شَوْقِكَ الأَقْصَى بِمَا فَعَلَتْ خَيْلُ ابن يُوسُفَ والأَبْطَالُ تَطَّرِدُ[٥]
ذَاكَ السُّرورُ الذى آلَتْ بَشَاشَتُهُ أَنْ لَا يُجَاوِرَهَا فى مُهْجَةٍ كَمَدُ

وهذا — لعمرى — معنى فى غاية الحسن والحلاوة .

وقال أبو تمام :

تَواتَرَتْ نَكَبَاتُ العُسْرِ تَرْشُقُنِى بِكُلِّ صائِبَةٍ عَنْ قَوْسِ عَضْبَانِ[٦]
مَدَّتْ عِنَانَ رَجَائِى فَاَسْتَقَدْتُ لَهَا حَتَّى رَمَتْنِىَ فى بَحْرِ ابنِ حَسَّانِ[٧]

---

(١) ديوان البحترى ٤ / ٢٠٩٦ من قصيدة يمدح بها أبا العباس : أحمد بن محمد بن بسطام .

(٢) م « خروجاته » .

(٣) ديوانه ٥٨٠ ، ١ / ٤٩٩ فى مدح الحسن بن مخلد .

(٤) فى الديوان « عن حسن » .

(٥) ديوان أبى تمام ٩٧ وشرح التبريزى ٢ / ١٢ « أى تسل عن غمك بفراق أحبتك بسرورك بما فتحت خيل محمد بن يوسف الطائى » .

(٦) ديوانه ٣٢٤ وشرح التبريزى ٣ / ٣١٢ ويروى : « نكبات الدهر » .

(٧) فى الشرح « رمت بى » .

بَحْرٌ مِنَ الجُودِ يَرْمِي مَوْجُهُ زَبَدًا　　حَبَابُهُ الوَدْقُ مَقْرُونٌ بِعِقْيَانِ(١)

وهذا من لفظ العوام وأشعار الصبيان .

ومن ردىء خروجه أيضًا قوله :

وَدِّعْ فُؤَادَكَ تَوْدِيعَ الفِرَاقِ فَمَا　　أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ التَّوْدِيعِ مُنْصَرِفَا(٢)

يُجَاهِدُ الشَّوْقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْلِبُهُ　　جِهَادُهُ القَوَافِي فى أَبِي دُلَفَا(٣)

وقد أصلحه الناس : «مُجَاهِدَاتُ القوافى» . وبقى ما لا يمكن إصلاحه وهو قبح قوله : «يَجْلِبُهُ» ، فإنها لفظة بشعة .

ومجاهدته للقوافى أيضًا معنى ردىء . وإنما كان ينبغى أن يقول :

إن الشعر يُيَسَّرُ فيه ، وتطَّرد قوافيه بمدحه لكثرة فضائله ، ويأتى فيه عَفْوًا ، ولا يتعذَّر ، كما قال :

تَغَايَرَ الشِّعْرُ فيهِ إِذْ سَهِرْتُ لَهُ　　حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَتِلُ(٤)

* * *

ومن ردىء خُرُوجِه(٥) أيضًا وقبيحه قوله :

يَعْجَبْنَ مِنِّى أَنْ سَمَحْتُ بِمُهْجَتِى　　وكَذَاكَ أَعْجَبُ مِنْ سَمَاحَةِ جَعْفَرِ(٦)

مَلِكٌ إِذَا الحاجاتُ لُذْنَ بِحِقْوِهِ　　صَافَحْنَ كَفَّ نَوَالِهِ المُتَيَسِّرِ

فلم عجب من سماحة جعفر؟ وإنما العجب من سماحة البخلاء ، فأما

---

(١) م «موجه أبداً» وفى الديوان وشرحه «فضة زينت» .

(٢) ديوان أبى تمام ٢٠١ وشرح التبريزى ٢ / ٣٦٢ .

(٣) م «الشوق طرا . . . فجاهدته» .

(٤) ديوانه ٢٢٧ .

(٥) م «خروجاته وقبيحها» .

(٦) ديوانه ٣٩٨ وفى م «أن سهرت» .

الكرماءُ الذين من عاداتهم البذل فما وجه التعجب من سماحتهم ؟

وليس فى البيت الثانى ما يوجب التعجب ، وإنما ذكر فيه أن نواله متيسّر . وهو بيت ردىء .

* * *

ومن ردىء خروجه[1] أيضًا لفظًا ومعنى قوله :

يقولُ أُنَاسٌ فى حَبِينَاءَ عَايَنُوا عِمارةَ رَحْلِي مِنْ طَرِيفٍ وتَالِدِ[2]

أأَظْهَرْتَ كَنْزًا أَمْ صَبَحْتَ بِغَارَةٍ ذَوِى غِرَّةٍ حَامِيهُمُ غَيْرُ شَاهِدِ[3]

فَقُلْتُ لَهُمْ : لَاذَا ولَا ذَاكَ دَيْدَنِى ولكِنَّنِى أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ

وهذا من معانى العوام أن يقولوا لمن رأوا حالَه قد حسنت : عَلَى مَنْ أغَرْتَ أَوْ أَىَّ كنز وجدت؟ وما ظننت مثل هذا يُنْظَم فى شعر .

وقوله : « أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ » كلام كالفارغ . وإنما كان ينبغى لمن ابتلاه الله بهذا المعنى أن يقول فى جوابهم : نعم كنز خالد ، وأغار على ندى خالد . ولكنه ، لعمرى ، بَيَّنَ المعنى فى البيت الثانى ، وعرَّفهم سبب عِمَارَة رَحْلِه بأن قال :

جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيعًا بَيْنَ أَيْدِى القَصَائِدِ

وهذا ، وأبيه ، معنى متناه فى بَرْدِهِ وغَثَاثَتِه وركاكته ، ولَشَتِيمَةُ الممدوح عندى بالزنى أحسن وأجمل مِنْ جَذْب نداه حتى يَخرَّ صَرِيعًا !!!

ولو لم يعلمنا أن ذلك كان غُدْوَة السبت كيف كان يتم بَرْدُ المعنى .

و « حَبِينَاءُ » : اسم موضع ، فى غاية القبح والهجانة . فإنهم وإن كانوا

---

(١) م « خروجاته » .

(٢) ديوان أبى تمام ٩٥ وشرح التبريزى ٢ / ٥ فى مدح خالد بن يزيد الشيبانى .

(٣) ويروى « أصادفت كنزاً » .

قالوا ما قالوا له فى هذا الموضع فإنّه لم يك مضطرًّا إلى ذكره ، كما أنه لم يك مضطرًّا إلى ذكر غُدْوةِ السَّبْت .

ومن سبيل الشاعر أن لا يذكر إلَّا ما حَسُنَ من أسماء المواضع ، وأن يعتمد أسماء المواضع الغريبة المتكررة فى أشعار الفصحاء ؛ ألاترى أن «الفَرَزْدَق» أنكر على «مالك بن أَسْمَاء بن خَارِجَةَ» وقد أنشده :

* حَبَّذَا لَيْلَتِى بِتِلٍّ بَوَنَّا[1] *

فقال : أفسدت أبياتك بذكر بَوَنَّا ، فقال له : فنى : «بَوَنَّا» كان ذلك . قال : وإن كان .

* * *

ومن خروجه الردىء قوله[2] :

يَدُ الشَّكْوى أَتَتْكَ عَلَى البَرِيدِ ... تُمَدُّ بها القَصَائِدُ مِنْ نَشِيدِ[3]
تُقَلِّبُ بَيْنَهَا أَمَلًا جَدِيدًا ... تَدَرَّعَ حُلَّتَىْ طَمَعٍ جَدِيدِ
شكوتُ إلى الزمانِ نُحُولَ جِسْمِى ... فَأَرْشَدَنِى إلى عَبْدِ الحَمِيدِ

فقوله : «تُقَلِّب بينها» . يعنى القصائِد .

وقوله : «أملا جديدًا تدرَّع حُلَّتِى طمَع جديد»[4] لفظ ردىء جدًّا ؛ لأن معنى الطمع والأَمل والرجاءُ معنى واحد فى مقاصد الناس واستعمالهم ،

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٧٥٧ والأغانى ١٦ / ٤٠ .

(٢) م «خروجاته الرديئة» .

(٣) ديوان أبى تمام ١٣٦ وشرح التبريزى ٢ / ١٣٣ فى مدح عبد الحميد بن جبريل «القصائد بالنشيد» ويروى «تمديد القصائد» !

(٤) م «حلتى أمل» .

تقول : أنا آمل من الله تعالى الفرج ، كما تقول : أطمع وأرجو . وإنما يُنْسَقُ بعضها على بعض لاختلاف اللفظ .

وتقول : قد انقطع من فلان الطمع ، وانقطع الأمل ، وانقطع الرجاء . وكذلك خاب .

فإن كان بين هذه الألفاظ فرق فى أصل وضع الكلام [فقد أُجريت][١] مُجْرى واحدًا فلا فائدة إذًا فى قوله : «أَمَلًا جَدِيدًا تَدرَّعَ حُلَّتىْ طَمَعٍ جَدِيدِ » .

ولو كان قال : تَدَرَّعَ حُلَّتَىْ عزم جديد كان أولى بالصواب ، إن شاء الله .

قوله :

شكَوْتُ إلى الزَّمَانِ نُحُولَ جِسْمِى فأَرْشَدَنِى إلى عَبْدِ الحَمِيدِ

لو كان عبد الحميد طبيبًا كان يكون معنى البيت مستقيمًا ؛ لأَن الرجل المُعْتَرَّ[٢] الطالب الجدوى لا يشكو نحول جسمه إلى ممدوحه الذى يلتمس الفضل منه ، وإنما يشكو إليه اختلال الحال ، وقُصُورَ اليد ، فأَما أن يشكو إليه نحول الجسم فإن ذلك غاية الخناعة[٣] والنَّذالة والانحطاط فى المسأَلة . إنَّه[٤] يخبره بشدة جوعه وأن ذلك هو الذى أذاب لحمه . وهذا لا يقوله شاعر على هذا الوجه . بل إنما يذكر الخمص بوجه[٥] حسن ، ولفظ معتاد . ونحول الجسم فإنما يشتكى إلى الحبيب إذا كان من غلَّة أو عشق .

(١) زيادة لازمة .
(٢) م « المقتر » .
(٣) م « الصناعة » .
(٤) م « إنما » .
(٥) م « وجه » .

ولو كان قال : شكوت إلى الزمان قصور حال ، كان أشبه من نحول الجسم الذى قد يكون من أشياء كثيرة .

أو لو كان ذكر هَجْرَ حبيبٍ وما لَحِقَهُ من الضَّنَى والسقم — لَصَلُح أن يجعل شكواه إلى الممدوح كما قال أبو نواس :

سَأَشْكُو إلى الفَضْل بن يحيى بنِ خالدٍ هَوَاكُم لَعَلَّ الفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا[1]

فقال الفضل : جعلنى قوّاده . وإنما أراد أبو نواس لعل الفضل يُثِيبُنِى بما أَصِلُ به إلى الاجتماع معكم .

* * *

وهذا الباب فى الخروج من النسيب إلى المديح مما لا خفاء بفضل البحترى فيه على أبى تمام .

* * *

(١) ديوان أبى نواس ٧٥ « هواك » والعمدة ١ / ٢٣٥ .

## وللمتأخرين خروجات ظريفة حلوة نادرة

فمن ذلك قول ابن وُهَيْب :

رُبَمَا أبيتُ معانِقِى قَمَرُ للحسن فيه مَخَايِلُ تَضِحُ(١)
نَشَرَ الجُمَانُ عَلَى مَحَاسِنِهِ بِدَعًا وأَذْهَب هَمَّهُ الفَرحُ(٢)
يختال فى ودق الشبابِ به مَرِحٌ وداوُك أَنَّهُ مَرِحُ(٣)
ما زال يُلْثِمُنِى مَرَاشِفَهُ ويُعِلُّنى الإبريق والقَدَحُ(٤)
حتى اسْتَرد الليلُ خِلْعَتَهُ ونَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ
وبَدَا الصَبَّاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهُ الخَليفَةِ حين يُمْتَدحُ(٥)

وحسبك بهذا حسناً يزيد على كل ما تقدم للطائيّين.

* * *

ومن المذاهب الطريفة فى باب الخروج قول «بكر بن النَّطَّاح الحنفى» فى قصيدة يمدح فيها مالكاً الخُزَاعِى :

عَرَضْتُ عليها ما أَرَادَتْ مِنَ الْمُنَى لِتَرْضَى فقالت: قُمْ فَجِئْنِى بِكَوْكَبِ(٦)

(١) الأغانى ١٧ / ١٤٨ ومعاهد التنصيص ٢ / ٥٨ وأنوار الربيع ٣٦٩ .

(٢) فى الأغانى وما بعده « نشر الجمال » .

(٣) وفيها « فى حلل الشباب » .

(٤) الصناعتين ٦٣ وزهر الآداب ٢ / ٥٩٨ .

(٥) الخليفة : المأمون . والبيت فى معجم الشعراء ٤٢٠ والصناعتين ٦٣ ، ٤٥٥ ومعيار الشعر ١١٤ وزهر الآداب ٢ / ٥٩٨ .

(٦) الكامل للمبرد ٢ / ٧٠٨ والعمدة ٢ / ٣٨ .

فَقُلْت لها : هذا التَّعَنتُ كُلُّهُ ... كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عَنقاء مُغْرِب
فَلَوْ أنني أَصْبَحْتُ فى جُودِ خَالِد ... وعِزَّتِهِ ما نال ذلك مَطْلَبِى[1]
فَتًى شَقِيتْ آمَالُهُ بِسَمَاحِهِ ... كما شَقِيَتْ قيسٌ بأَرْمَاحِ تَغْلبِ

* * *

ونحوه قول الخليع[2] فى كلمة يمدح فيها عاصمًا الغَسَّانى :

أَقول ونفسى بَيْن شَوْقٍ وحَسْرَةٍ ... وقد شخصَتْ عينى ،ودَمْعِى عَلَى خَدِّى :[3]
أَريحِى بقتل مَنْ تركْتِ فؤاده ... بِلَحْظَتِهِ بَيْنَ التَّأَسُّفِ والجَهْدِ
فقالت : عَذَابٌ بالهوى قَبْلَ مِيتَةٍ ... وَمَوْتٌ إِذا أَقْرَحْتَ قَلْبَكَ مِنْ بَعْدِى
لقد فَطِنَتْ بالجود فِطْنَةَ عَاصِمٍ ... لِصُنْعِ الأَيَادِى الغُرِّ فى طلب الحَمْدِ

وهذا يسميه قوم « الاستطراد » . وهو حسن جدًّا .

(١) فى الكامل « فى جود مالك » وهو الصواب لأن الأبيات فى مدح مالك بن على الخزاعى .
(٢) الخليع لقب للحسين بن الضحاك ، لقب به لكثرة خلاعته ومجونه .
(٣) الأبيات له فى الأغانى ٦ / ٢٠٣ والكامل ٢ / ٧٠٩ .

# باب المديح

أول ما أبدأ به من مدائحهما ذكر السؤدد والمجد وعلو القدر ، ثم ما يخص الخلفاء من ذلك دون غيرهم : من[1] ذكر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها.

وذكر الملك والدولة .

وذكر ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون من سواهم : من ذلك ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم .

وذكر الآلة التى كانت للنبى ، عليه السلام ، فصارت إليهم .

وذكر الآثار بالحرم ، وذكر علو القدر وعظم الفضل .

وذكر تأييد الدين وتقوية أمره .

وذكر الرأفة والرحمة . وذكر إفاضة العدل وإقامة الحق .

وذكر سداد الرأى وحسن السياسة والتدبير والاضطلاع بالأمور والحلم والعقل .

وذكر الجلال والجمال والبهاء والجهارة والهيبة .

وذكر كَرَمِ الأَخلاق ولينها .

وذكر ما ينبغى أن يمدح به الخلفاءُ من الجود والكرم .

وذكر ما ينبغى أن يُمدحوا به من الشجاعة والبأس .

---

(١) م « منه » .

## أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها

قال أبو تمام فى المعتصم :

إنَّ الخليفةَ حِينَ يُظْلِمُ حَادِثٌ عَيْنُ الْهُدَى ، ولَهُ الخِلافَةُ مَحْجِرُ[١]
كَثُرَتْ بِهِ حَرَكَاتُهَا ولقد تُرَى مِنْ فَتْرَةٍ وكَأَنَّها تَتَفكَّرُ[٢]
مَا زِلْت أَعْلَمُ أَنَّ عَقْدَ مَرَامِها فى كفِّه مُذْ خُلِّيتْ تَتَخَيَّرُ[٣]

قوله : « كثرت به حركاتها » . يريد به ظهور الأمر والنهى والتدبير والسياسية .

ويريد بالفَتْرَةِ ما كان من إهمال هذه الأشياء . و « كأنها تتفكر » لفظ ليس بالحلو ولا الشَّهِىّ هاهنا .

وقال فيه :

فَلاَذَتْ بِحِقْوَيْهِ الخِلاَفَةُ وَالْتَقَتْ على خِدْرِها أَرْمَاحُهُ ومَنَاصِلُهْ[٤]
أَتَتْهُ مُعِدًّا قَدْ أَتَاهَا كَأَنَّهَا ولا شَكَّ كَانَتْ قَبْلَ ذَاكَ تُرَاسِلُهْ

فالبيت الأول جيد بالغ .

والبيت الثانى فى غاية السخف والرداءة ؛ لأنه جعل الخلافة قد أتته ، وجعله قد أتاها . وكان ينبغى أن يقتصر على إتيانه إياها ، أو إتيانها إياه وهو أجود .

---

( ١ ) ديوان أبى تمام ١٥٨ وشرح التبريزى ٢ / ٩٦ .
( ٢ ) م « حركاته فلقد ترى من فكره » .
( ٣ ) فى الديوان « أن عقدة أمرها » .
( ٤ ) ديوانه ٢٣١ وشرح التبريزى ٣ / ٢٦ .

فأما أن يجمع بين الحالين فما وجهه؟ وكان ينبغى أن يُعْلِمَنَا لما توجّه كل واحد إلى صاحبه : أين التقيا ؟ أفى منتصف الطريق ؟

وقصد هذا الرجل الإغراب فى الألفاظ والمعانى ؛ ومن ها هنا فسد أكثر شعره .

وقوله[1] : « ولا شك » من سخيف الألفاظ وسَفْسَافِهَا ، وهى حَشْو ردىء ، وليس بالبيت إليه حاجة .

* * *

والجيد النادر فى هذا قول البحترى فى المهدى بالله :

بَارَكَ اللهُ للخليفةِ فى المُلْـ ... ـك الذى حَازَهُ لَهُ المِقْدَارُ[2]
رُتْبَةٌ مِنْ خِلَافَةِ اللهِ قَدْ طَا ... لَتْ بها رِقْبَةٌ لَهُ وَانْتِظَارُ
طَلَبَتْهُ فَقْرًا إِلَيْهِ ومَا كَا ... نَ بِهِ سَاعَةً إليها افْتِقَارُ[3]

ومثله فى الجودة قوله فيه :

سَرَتْ تَتَبَغَّاهُ الخِلَافَةُ رَغْبَةً ... إليهِ بِأَوْفَى قَصْدِهَا وَاعْتِمَادِهَا[4]
فَمَا عَلِقَتْه خَبْطَ عَاشِيَةِ الدُّجَى ... وَلَكِنَّهَا اخْتَارَتْهُ بَعْدَ ارْتِيَادِهَا

فهذه هى المعانى الصحيحة ، واللفظ المستقيم ، والسَّبْك الرَّصِين .

وما أحسن ما قال « سَلْم الخَاسِر » فى المَهْدِى :

هَبَطَتْ إليكَ من السماءِ خِلَافَةٌ ... دَفَعَتْ إليكَ زِمَامَها وقيادَها

---

(١) م « قولك » .

(٢) ديوان البحترى ١٠٥ ، ٢ / ٨٥٣ .

(٣) م « طلبته فقر . . . ساعة إليه » .

(٤) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٥ ويروى « سعت » .

ومثل قول البحترى قول «الحطيئة»:

أنت الإمام الذى مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ ... أَلْقَى إليكَ مَقَالِيدَ النُّهَى البَشَرُ[١]

مَا آثَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا ... لَكِنْ بِكَ اسْتَأْثَرُوا إِنْ كانَتِ الأَثَرُ[٢]

وقال «ابن هَرْمَة» فى المنصور:

وما النَّاسُ أَعطَوْكَ الخلافَةَ عَنْوَةً ... ولكنَّه مَنْ يُعْلِهِ اللهُ يَسْتَعْلِى

ومن ذلك فى الجودة قولُ البحترى:

اليوم أُطْلِعَ للخلافَةِ سَعْدُهَا ... وأَضَاءَ فيها بَدرها المُتَهَلِّلُ[٣]

لَبِسَتْ جَلاَلَةَ جَعْفَرٍ فكَأَنَّها ... سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهارُ المُقْبِلُ[٤]

جاءَتْهُ طَائِعَةً ولَمْ يُهْزَزْ لَهَا ... رُمْحٌ، ولم يُشْهَرْ عليها مُنْصُلُ[٥]

أَنَّى وإِنْ كانَتْ تَعَلَّتْ نَحْوَهُ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقَعَ الفَضَاءُ فَتَعْقَلُ[٦]

حتَّى أَتَتْهُ يَقُودُهَا اسْتِحْقَاقُهُ ... ويَسُوقُهَا حَظٌّ إليه مُقبِلُ[٧]

ويروى: «ويسوقها حظٌّ إليه مكمل».

و «تُصْنَع» كانت هاهنا أحسن من «تُعْقَلُ» فجاء بتعقل من أجل القافية.

* * *

وقال أبو تمام فى الواثق:

إنَّ الخِلَافَةَ أَصْبَحَتْ حُجُرَاتُها ... ضُرِبَتْ عَلَى ضَخْمِ الهُمُومِ هُمَامِ[٨]

(١) ديوان الحطيئة ٨١ «أنت الأمين».

(٢) فى الديوان «لم يؤثروك . . . لكن لأنفسهم كانت بك الخير».

(٣) ديوان البحترى ٢٥ «وأضاء فيه»، ٣ / ١٧٥٤ — ١٧٥٥.

(٤) فى الديوان ٢٥ «لبست خلافة .. تجلله النهار ..» والبيت مع سابقه فى الجزء الأول ص ٣٧٣.

(٥) م «ولم يشهد»!

(٦) فى الديوان «وإن كان التلفت نحوه». وفى طبعة المعارف «أنى وقد كانت تلفت نحوه».

(٧) م «يقودها استخفافه»!

(٨) ديوان أبى تمام ٢٧٧ «ضخم العطاء».

ضخم الهَمُوم: يريد ضَخْمَ الهِمَّةِ لا الهَمُّ الذى يراد به الحُزْن. وهذا لفظ هجين فى هذا الموضع.

لَا قَدْحَ فى عُودِ الخِلَافَةِ بَعْدَمَا ... مَتَّتْ إليكَ بِحُرْمَةٍ وذِمَامِ[1]

هيهات تِلْكَ قِلَادَةُ اللهِ التى ... ما كانَ يَتْرُكُها بغير نِظَامِ

إرْثُ النَّبىِّ وجَمْرَةُ المُلْكِ التى ... لَمْ تَخْلُ مِنْ لَهَبٍ بِكُمْ وضِرَامِ[2]

مَذْخُورَةٌ أَحْرَزْتها بِحُكُومَةٍ ... للهِ تَشْدَخُ أَرْؤُسَ الحُكَّامِ[3]

وقال أبو تمام فى الواثق أيضًا:

جَعَلَ الخِلَافَةَ فيه ربٌّ قَوْلُهُ ... – سبحانه – للشىءِ: كُنْ فيَكُونُ[4]

ولَقَدْ رَأَيْنَاها لَهُ بِقُلُوبِنَا ... وظُهُورُ خَطْبٍ دُونَهُ وبُطُونُ[5]

وَلِذَاكَ قِيلَ: مِنَ الظنون جَلِيَّةٌ ... صِدْقٌ وفى بَعْضِ القُلُوبِ عُيونُ[6]

ولَقَدْ عَلِمْنَا مُذْ تَرَعْرَعَ أَنَّهُ ... لِأَمين ربِّ العَالَمِينَ أَمِينُ

قوله: «جعل الخلافة فيه رَبٌّ» بيت فى غاية الرَّكَاكة والرَّداءة؛ لأن مثل هذا إنما يقال فى الأمر العجب الذى لم يكن يُقَدَّرُ ولا يتوقع. ولا يُظَنُّ أن مِثْلَه يكون، فيقال إذا وقع ذلك: قُدْرَةُ قَادِرٍ، وفِعْلُ من لا يعجزه أَمْرٌ، ومَنْ يقول للشىءِ: كن فيكون. فأَما الأُمورُ التى لا يتعجب منها، ولا تُستغرب، والعاداتُ جاريةٌ بها وبما يشبهها – فلا يقال فيها

---

(١) م «ثبتت إليك».

(٢) م «الملك الذى».

(٣) فى الديوان «لله تعلو».

(٤) ديوان أبى تمام ٣٢٩ وشرح التبريزى ٣ / ٣٢٦.

(٥) أى كنا نقدر أنها تصير إليه بالمخايل الدالة، وبينه وبينها مدة بعيدة.

(٦) م «ولذلك».

مثل هذا ، وإنما يُسَبّح الله تعالى ، وتُذْكرُ قدرتُه على تكوين الأشياء

لَوْ جَاءُوا بِأَبِى العِبَرِ[١] أَوْ بِجُحا فجعلوهُ خَلِيفةً .

فأما الواثق فما وجه تسبيح أبى تمام فى أن أفضت إليه الخلافة وأبوه خليفة وهو المعتصم ، وجده خليفة وهو الرشيد ، وجد أبيه خليفة وهو المنصور ، وأخو جده خليفة وهو الهادى ، وأخو جد جده خليفة وهو السَّفَّاح ، وعماه خليفتان : الأمين والمأمون ؟ فذلك ثمانية خلفاء هو تاسعهم[٢] وقد عدد أبو تمام منهم خمسة فى البيت فقال :

يَسْمُو بِكَ السَّفَّاحُ والمَنصُورُ الْ مهدِىُّ والمَعْصُومُ والمَأْمُونُ[٣]

وذكر الرشيد قبل هذا بأبيات ، وشبّه الواثقَ به فقال :

[ وَجَدُوا جَنَابَ المُلْكِ أَخْضَرَ] وَاجْتَلَوْا هَـارُون فيـه كَأَنَّهُ هَـارُون

فما وجه التعجب من خلافةِ مَنْ كانت هذه صورته ؟

وقوله : « ولَقَدْ رَأَيْنَاها لَهُ بِقُلُوبِنَا » وقوله : « ولِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ » ــ فهذه كهانة عجيبة من أبى تمام فى الواثق لم يفطن لها غيره .

وعلى أن هذين البيتين جَيِّدان فى نظمهما ولفظهما ، ولكنه وضع المعانى فى غير مواضعها .

وقوله : « لأَمِينِ ربِّ العَالَمِين أَمِينُ » يعنى محمدًا صلى الله عليه وسلم .

---

( ١ ) أبو العبر : هاشمى من بنى العباس . كان أديباً شاعراً ماجناً يظهر الحماقة وله فيها كتاب اسمه : « جامع الحماقات وحاوى الرقاعات . توفى سنة ٢٥٠هـ وترجمته فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٢ والأغانى ٨٩/٢٠ ــ ٩٣ وتاريخ بغداد ٤٠/٥ .

( ٢ ) نقل هذا النقد ابن سنان الخفاجى المتوفى سنة ٤٦٦ فى كتابه سر الفصاحة ٢٣٤ ثم قال : « وهذا الذى ذكره أبو القاسم صحيح واضح » .

( ٣ ) ديوانه ٢٣٠ .

وقد أصاب « أبو الجَنُوب مَرْوَان بن أَبِى حَفْصَةَ » فى هذا المعنى إذ يقول للأمين :

إنَّ الخِلَافَةَ قَدْ تَبَيَّنَ نُورُهَا     للناظرينَ عَلَى جَبِينِ مُحَمَّدِ
إنِّى لأَعْلَمُ أَنَّهُ لَخَلِيفَةٌ     إنْ بَيْعَةٌ عُقِدَتْ وإنْ لَمْ تُعْقَدِ

وما أحسن ما قال « الحسين بن الضَّحاك[1] البَاهِلِىّ » فى المأمون أيضًا :

رأى اللهُ عَبْدَ اللهِ خَيْرَ لِذَاتِهِ     فَمَلَّكَهُ ، واللهُ أَعْلَمُ بالعَبْدِ[2]

* * *

وقال البحترى فى المتوكل ، وزاد على الإحسان :

اللهُ آثَرَ بالخِلَافَةِ جَعْفرًا     ورَآهُ نَاصِرَهَا الذى لا يُخْذَلُ[3]
هِىَ أَفْضَلُ الرتب التى جُعِلَتْ لَهُ     دُونَ البَرِيَّةِ ، وهْو مِنْهَا أَفْضَلُ[4]

وقال فيه :

إنَّ الخِلَافَةَ لَمَّا اهْتَزَّ مِنْبَرُهَا     بِجَعْفَرٍ أُعْطِيَتْ أَقْصَى أَمَانِيهَا[5]
أَبْدَى التَّوَاضُعَ لَمَّا نَالَها رِعَةً     عَنْهَا ، ونَالَتْه فَاخْتَالَتْ بِهِ تِيهَا[6]

وهذا هو المعنى الحلو ، والمدح الذى يليق بالخلفاء .

---

(١) م « الحسين بن أبى الضحاك » وهو خطأ .

(٢) البيت فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦٩ وديوان المعانى ٢ / ٢٠٦ والفرج بعد الشدة ١ / ٧٤ ونهاية الأرب ٣ / ٢٥٦ .

(٣) ديوانه ٢٣ .

(٤) م « أفضل الدنيا » .

(٥) ديوانه ٢٨ ، ٤ ١٤٢١ .

(٦) فى الديوان : « نالها دعة » .

وقال فى المهدى :

زَادَ فى بَهجَةِ الخِلَافَةِ نُورًا فَهْوَ شَمْسٌ للنَّاسِ ، وهْى نَهَارُ(١)
وأَجَارَ الدُّنْيَا مِنَ الحَيْفِ والخَوْ فِ فَهَلْ يَشْكُرُ المُجِيرَ المُجَارُ

وقال فى المتوكل :

عَادَتْ بِحَقْوَيْكَ الخِلَافَةُ إِنَّها قِسْمٌ لِأَفْضَلِ هَاشِم فالأَفْضَلِ(٢)
وتَمَنَّعَتْ فى ظل عِزِّك وٱغْتَدَتْ فى خَيرِ مَنْزِلَةٍ وأَحْصَنِ مَعْقِلِ(٣)

أخذ قوله : « عادت بحقويلك(٤) الخلافة » من قول أبى تمام :

عَاذَت بِحِقْوَيْكَ الخِلَافَةُ وٱلْتقَتْ على خِدْرِها أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهْ(٥)

وقال فى المعتز :

حَامِلٌ مِنْ خِلَافَةِ اللهِ ما يَعْ جِزُ عَنْهُ ذُو الأَيْدِ والإِضْطِلَاعِ(٦)
مُسْتَقِلٌّ بالثِّقْلِ مِنْها رَحِيبُ الـ صدْرِ نَهْضًا بِهَا رَحِيبُ البَاعِ

وقال فى المتوكل :

وَقَدْ سَرَّنِى أَن الخِلَافَةَ فِيكُمُ مُخَيِّمَةٌ ما إِنْ يُخَافُ ٱنتقَالُها(٧)
لَكُمْ إِرْثُها والحَقُّ مِنْهَا ولَم يَكُنْ لِغَيرِكُمُ إِلَّا ٱسْمُها وٱنْتِحَالُها

وقال فيه :

وأَرى الخِلَافَةَ وَهْىَ أَعْظَمُ رُتْبَةٍ حَقًّا لَكُمْ وَوِرَاثَةً مَا تُنْزَعُ(٨)

---

(١) ديوانه ١٠٦ ، ٢ / ٨٥٤ فى مدح المهتدى بالله وفى م « شمس النهار » .
(٢) ديوانه ١٦ « بحقواك » وفى ٣ / ١٦٢٧ كما هنا .
(٣) فى الديوان « وأحسن معقل » .
(٤) م « بحقويه » .
(٥) ديوانه ٢٣١ « ولاذت بحقويه » .
(٦) ديوانه ١٣٢ ، ٢ / ١٢٤٤ .
(٧) ديوانه ٢٦٦ ، ٣ / ١٦٣١
(٨) ديوانه ٣٤ ، ١٣١١ .

أَعْطَاكُمُوهَا اللهُ عَنْ عِلْمٍ بِكُمْ والله يعطى مَنْ يَشَاءُ ويَمْنَعُ

وقال فى المعتز :

أَغَرُّ مِنَ الأَمْلَاكِ إِمَّا رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ أَبَا إِسْحَاقَ والقَرْمِ جَعْفَرَا[١]
تَقَدَّمَ فى حَقٍّ الخِلَافَةِ سَهْمُهُ إِذَا رُدَّ عَنْها غَيْرُهُ فَتَأَخَّرَا[٢]
ويُصْبِحُ مَعْرُوفًا لَهُ الفَضْلُ دُونَهُمْ وَمَا يَتَدَعَّاهُ الأَبَاعِدِ مُنْكَرَا[٣]

وقال فى المتوكل :

فَضَلُ الخَلَائِفِ بالخلافَةِ وَاقِفٌ فى الرُّتْبَةِ العُلْيَا ، وفَضْلُكَ أَفْضَل[٤]
أَوْفَيْتَ عَاشِرَهُمْ فَإِنْ نُسِبُوا إلى كَرَمٍ وإِحْسَانٍ فَأَنْتَ الأَوَّلُ[٥]

وهذا غاية فى مدح الخلفاء .

وقال فى المتوكل أيضًا بفضله على الخلفاء ، وأحسن كلّ الإحسان :

وَمَا الخُلَفَاءُ لَوْ جَارَوْكَ يَوْمًا بِمُعتلقيك رَأْيًا وَاْعتِزَامَا[٦]
أَلَسْتَ أَعَمَّهُمْ جُودًا وَأَزْكَا هُمُ عُودًا وأَمْضَاهُمْ حُسَامًا ؟
ولَوْ جُمِعَ الأَئِمَّةُ فى مَقَامٍ تَكُونُ به لَكُنْتَ لَهُمْ إِمَامَا

ولست أعرف لأبى تمام فى ذكر الخلافة غير ما قدمته .

---

(١) ديوانه ٧٦٣ ، ٩٣٢ وأبو إسحاق : المعتصم ، وجعفر : المتوكل .
(٢) فى الديوان « حق الإمامة . . . رد فيها » .
(٣) وفيه « يتداعاه » .
(٤) ديوانه ٢٦ ، ٣ / ١٧٥٧ .
(٥) فى الديوان « ألفيت عاشقهم فإن ندبوا » ! وفى طبعة المعارف « عاشرهم فإن ندبوا » .
(٦) ديوانه ٣٠ ، ٣ / ٢٠١٠ وفى م « بمعتاقيك » .

## ومن مدح الخلفاء ذكر الملك والدولة

قال أبو تمام فى المعتصم :

بِالقَائِمِ الثَّامِنِ الْمُسْتَخْلِفِ اطَّأَدَتْ قَوَاعِدُ المُلْكِ مُمْتَدًّا لَهُ الطِّوَلُ(١)

بِيُمْنِ مُعْتَصِمٍ باللهِ لا أَوَدٌ بالمُلْكِ مُذْ ضَمَّ قُطْرَيْهِ ، ولا خَلَلُ(٢)

قوله : « مُمْتَدًّا له الطِّوَلُ » . والطِّوَلُ : الحَبْلُ ، ولا وجه له هاهنا ، وليس يريد الطول بمعنى الزمان من قولهم : طَالَ طِيلُك وطِولُك وطِوَالُك ؛ لأن ذلك يكون اطأدت قواعد الملك ممتدًّا أزمانه ، ولا يصلح فى الحال هاهنا ، لأن الفعل وهو « اطَّأَدتْ » لا يكون عاملا فيها ؛ لا تقول : قد استقر البناءُ طويلا زمانه ؛ لأن استقراره ليس هو من طول مدته فى شىء ، وإنما تقول : قد استقر البناءُ جَيِّدًا عمله ، ومُتْقَنًا أساسه ، أو وَثِيقًا صنعته ، أو أن تقول : طويلا شرفه أو علوّه . وإلى هذا أذهب كأنه أراد وَاطَّأَدَتْ قواعد الملك مُمْتَدًّا له الطِّوَلُ أى رسا أصله ، وعلا فرعه ، كما قال البحترى فى المعتز بالله :

بِكَ اشْتَدَّ عَظْمُ المُلْكِ فيهمْ فَأَصْبَحَتْ تَقِرُّ رَوَاسِيهِ وتَعْلُو مَرَاتِبُهْ(٣)

فجعل موضع تعلو مراتبه : « مُمْتَدًّا لَهُ الطِّوَلُ » ، وهذا غير حسن ولا لائق . بلى ، لو قال : « فَلْيُمْدَدْ له الطِّوَل » على الدعاء كان سائغًا ، إلَّا أنَّ « الطول » ها هنا على كل حال غير جيد ؛ لأنها لفظة مشتركة(٤) .

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٢٧ « اعتدلت » ومعنى « اطأدت : ثبتت » .

(٢) ويروى « بالدين مذ » .

(٣) ديوان البحترى ١٣٧ ، ١ / ٢١٨ .

(٤) م « سائغاً لا أن » .

وقال أبو تمام فى نحوه :

بِيُمْنِ أَبِى إِسْحَقَ طَالَتْ يَدُ الهُدَى وقَامَتْ قَنَاةُ المُلْكِ ، وَاشْتَدَّ كَاهِلُهْ[١]

وهذا بيت جيد . وقد قال قبله : ... ؟ « وأَضحَى المُلْكُ قَدْ شُقَّ بَازِلُهْ »[٢]

وكان أحدهما يغنى عن الآخر.

* * *

وقال البحترى فى المعتز :

أَقَامَ قَنَاةَ المُلْكِ بَعْدَ اعْوِجَاجِهَا وأَرْبَى عَلَى شَغْبِ العَدُوِّ المُشَاغِبِ[٣]

وقال البحترى :

مَلِكٌ حصَّنَتْ عَزِيمَتُه المُلْـ ـكَ فَأَضْحَتْ لَهُ مُعَانًا وَرِدْءا[٤]

وقال فى تعظيم الملك ، فى المتوكل :

مُلْك كمُلْكِ سُلَيْمَانَ الذى خَضَعَتْ لَهُ البَرِيَّةُ قَاصِيها وَدَانِيهَا[٥]

* * *

وأجود من هذا قول أبى تمام فى المأمون :

فى دَوْلَةٍ لَحظَ الزَّمَانُ شُعَاعَها فَارْتَدَّ مُنْقَلِبًا بِعَيْنَىْ أَرْمَدِ[٦]

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٣٢ .

(٢) بقيته : « وقام فقام العدل فى كل بلدة خطيبا » .

(٣) ديوان البحترى ١٥٣ ، ١ / ١٠٩ « قناة الدين » .

(٤) ديوانه ١ / ١٢٨ مصر ، ١ / ٢١ بيروت « مغاثاً ورداً » وفى طبعة المعارف ٢ / ٧١٢ « معانا وردا » المعان : المنزل ، والمكان ، والحصن والرده : العود والناصر .

(٥) ديوان البحترى ٣٧ ، ٤ / ٢٤١١ .

(٦) ديوان أبى تمام ١١٢ وشرح التبريزى ٢ / ٤٨ وقبله :

فانتـاش مصر من التيا والتى بتجـاوز وتعطف وتغمـد

انتاش : تناولها وخلصها . يقول : هذه دولة جيدة نافذة ، أراد الزمان غلبتها ، وأن ينظر إليها فأعشاه شعاعها ، فارتد رمدا » .

مَنْ كَانَ مَوْلِدُهُ تَقَدَّمَ قَبْلَهَا     أَو بَعْدَهَا فَكَأَنَّهُ لَمْ يُولَدِ[١]

وهذا من أجود ما يقال فى مدح دولة وأبلغه .

* * *

فأبو تمام فى هذا الباب – على إساءته فى الأبيات المتقدمة – أشعر من البحترى .

(١) قال التبريزى : « أى من لم يأخذ بالحظ من هذه الدولة ، إما أولا وإما آخراً فكأنه لم يولد » .

## مما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون غيرهم ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم

فمن ذلك قول البحترى فى المتوكل .

مُخَالِفُ أَمْرِكُمْ لِلهِ عَاصٍ     ومُنْكِرُ حَقِّكُمْ لَاقٍ أَثَامَا[١]

وَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ     وِلَايَتَكُمْ ولَوْ صَلَّى وَصَامَا

وفيه قوله :

نُصَلِّى وإِتْمَامُ الصَّلَاةِ اعْتِقَادُنَا     بِأَنَّكَ عِنْدَ اللهِ خَيْرُ إِمَامٍ[٢]

وفيه قوله :

فَضَّل اللهُ جعْفرًا بِخِصَالٍ     جَعَلَتْ حبَّهُ عَلَى النَّاسِ فَرْضَا[٣]

وفى المعتز بالله قوله :

مَنْ أَبَى حُبَّكُمْ فَلَيْسَ مِنَ اللَّـ     ـهِ ولَوْ صَامَ أَلْفَ عَامٍ وصَلَّى[٤]

وقال فيه :

قَضَى اللهُ للمعتز بالله أَنَّهُ     هُوَ القائمُ العَدْلُ الرَّشيدُ المُوَفَّقُ[٥]

مَحبَّتُه فَرْضٌ من اللهِ واجِبٌ     وعصيانُهُ سُخْطٌ من الله مُوبِقُ

---

(١) ديوانه ٣٠ ، ٣ / ٢٠١٠ - ٢٠١١ .

(٢) ديوانه ١٢ ، ٣ / ٢٠٠٣ .

(٣) ديوانه ٢ / ١٢١٦ والصناعتين ٦٣ وفيهما « بخلال » .

(٤) ديوانه ١٥٦ « أبى حبهم » وفى طبعة المعارف ٢ / ١٦٥٧ كما هنا .

(٥) ديوانه ١٤٩ ، ٣ / ١٥٣٦ وفى م « بالمعتز » .

وقوله فى المهدى[١] :

أَقَرَّتْ لَهُ بِالفَضْلِ أُمَّةُ أَحْمَدٍ فَدَانَ لَهُ مُعْوَجُّهَا وقَوِيمُها[٢]
ولَوْ جَحَدَتْهُ ذلك الحقَّ لَمْ تَكُنْ لِتَبْرَحَ إلَّا والنُّجومُ رُجُومُها

* * *

ولست أعرف لأبى تمام فى هذه المعانى شيئًا .

(١) م « فى المهتدى » وهو تحريف .

(٢) ديوانه ١٠٨ ، ٣ / ٢٠٢٤ .

## ذكر الآلة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فصارت إليهم

قال البحترى فى المتوكل :

عليك ثِيَابُ المُصْطَفَى ووقَارُهُ     وأَنْتَ بِهِ أَوْلَى إذاحَصْحَصَ الأَمْرُ(١)
عِمَامَتُهُ ، وسَيْفُهُ ، ورِدَاؤُهُ     وسِيمَاهُ ، والهَدْىُ المُشَاكِلُ ، والنَّجْرُ

وقال فيه :

يَتَوَلَّى النَّبِىُّ مَا تَتَوَلَّا     ه ويَرْضَى مِنْ سيرة ما تسير(٢)
حُزْتَ مِيرَاثَهُ بِحَقٍّ مُبِينٍ     كُلُّ حَقٍّ سِوَاهُ إِفْكٌ وزُورُ
فلك السيفُ ، والعمامةُ ، والخَا     تَمُ ، والبُرْدُ ، والعَصَا ، والسَّرِيرُ

وقال فى المَهْدِىّ بالله :

إمامٌ إذا أمضى الأُمور تتابعت     على سَنَنٍ مِنْ قَصدِهَا وسَدَادِهَا(٣)
متى يَتَعَمَّمْ بالسَّحَابِ تُلَثْ عَلَى     كَفِىءٍ لَهَا مُحْتَازِإِرْثِ اسْوِدَادِهَا(٤)
وإنْ يَتَقَلَّدْ ذَا الفِقَارِ يُضَفْ إِلَى     شُجَاعِ قُرَيْشٍ فى الوغَى ، وجَوَادِهَا

وقال فى المعتز :

وقد تَركَ العباسُ عِنْدَكَ وَابْنُهُ     عُلًا طُلْنَ مَرْمَى النَّجْمِ حَتَّى تَحَيَّرَا(٥)
هُمَا وَرَّثَاكَ ذَا الفِقَارِ وصَيَّرَا     إِلَيْكَ القَضِيبَ والرِّدَاءَ المُحَبَّرَا

---

(١) ديوان البحترى ٧٥٩ ، ٢ / ٩٩٣ .

(٢) ديوانه ٧٦٦ ، ٢ / ٩٠٢ « ماتتولاه » و « يرضى من سيره » .

(٣) الأبيات فى ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٥ - ٦٧٦ ومن العجيب أن الأول منها ورد فى الديوان ٣٨ ضمن قصيدة يمدح المتوكل .

(٤) م « لها محتار إرث » .

(٥) ديوانه ٧٦٤ ، ٢ / ٩٣٤ .

وأَىُّ سَنَاءٍ لَسْتَ أَهْلًا لِفضْلِهِ ... وأَوْلَى به مِنْ كُلِّ حَىٍّ وأَجْدَرَا
وأَنْتَ ابنُ مَنْ أَسْقَى الحَجِيجَ عَلَى الظَّمَا ... ونَاشَدَ فى المَحْلِ السَّحَابَ فأَمْطَرَا

* * *

وقال أبو تمام فى نحو هذا يمدح الواثق :

قومٌ غَدَا الميراثُ مَضْرُوبًا لَهُمْ ... سُورٌ عليهِ مِنَ القُرَانِ حَصِينُ[1]
فِيهمْ سكِينةُ رَبِّهِمْ وَكِتَابُهُ ... وإِمَامَتَاهُ وَاسْمُهُ المَخْزُونُ

فالسَّكينة وزنها فَعِيلة ، من السكون وهو الوقار . وهذه لفظة لا تلائم البيت كلَّ الملاءمة ، لأنه لا وجه لأَن يقول فيهم : وَقَارُ رَبِّهِمْ ، لا سيما وقد قال : كِتَابُهُ وإِمَامَتَاهُ وَاسْمُهُ المَخْزُون . فالوَقَارُ ليس من هذه الأَشياء فى شىء[2].

والسَّكينة التى فى قوله عز وجل : ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[3] ، وقد قيل فى تفسيرها : إنها حيوان له وجه مثل وجه الإنسان . وقيل : لها رأس مثل رأس الهرّة وله جناحان . وقيل : بل هى ريح هَفَّافة . وقيل : هى شىء من أمر الله عز وجل[4] — فإن كان هذه أراد فما كان ينبغى أن يدّعى للقوم[5] مالا يدعونه لأَنفسهم .

وقوله : « وإِمَامَتَاهُ » يعنى النبوة والخلافة .

« واسمه المخزون » يعنى اسم الله الأَعظم الذى إذا دُعى به جل وعز أجاب .

---

(١) ديوان أبى تمام ٣٣٠ وشرح التبريزى ٣ / ٣٢٧ .

(٢) م « فى الشىء » .

(٣) سورة البقرة : ٢٤٨ .

(٤) راجع اختلاف أهل التأويل فى معنى السكينة ، فى تفسير الطبرى ٥ / ٣٢٦ — ٣٣٠ طبع دار المعارف . وقال أبو جعفر الطبرى : أن أولى الأقوال بالحق ما قاله عطاء بن أبى رباح : من الشىء تسكن إليه النفوس من الآيات التى يعرفونها » .

(٥) م « القوم » .

## ومن المجد والشرف فى مدح الخلفاء ذكر الآثار بالحرم

نحو قول البحترى فى المعتز :

لَكُمُ زَمْزَمٌ وأَفْنِيَةُ الكَعْ ... بَةِ والحِجْرُ والصَّفَا والمُصَلَّى[١]

وقوله فى المتوكل :

نَعُدُّ لَكَ السِّقَايَةَ والمُصَلَّى ... وأَرْكَانَ البَنِيَّة والمَقَامَا[٢]

مَكَارِمُ قَدْ وَرِثْتَ بها ثَبِيرًا ... فَلَمْ يَرْجَحْ ، وطُلْتَ بِهَا شِمَامَا[٣]

وقوله فى المتوكل :

لَكُمْ كُلُّ بَطْحَاءٍ بِمَكَّةَ إِذْ غَدَا ... لِغَيْرِكُمُ ظُهْرَانُهَا وجِبَالُها[٤]

وأَنتم بَنُو عَمِّ النَّبِى مُحَمَّدٍ ... يَمِينُ قُرَيْشٍ إِذْ سِوَاكُمْ شِمَالُهَا[٥]

وقال فيه :

شَرفًا بَنِى العَبَّاسِ إِنَّ أَبَاكُمُ ... عَمُّ النَّبِىِّ وعِيصُهُ المُتَفَرِّعُ[٦]

إِنَّ الفَضِيلَةَ لِلَّذِى اسْتَسْقَى به ... عُمَرٌ وشُفِّعَ إذ غَدَا يَسْتَشْفِعُ

مَنْ ذَا يُسَاجِلُكُمْ وحَوْضُ مُحَمَّدٍ ... بِسِقَايَةِ العباسِ فِيكُمْ يَشْفَعُ

---

(١) ديوان البحترى ١٥٦ ، ٣ / ١٦٥٧ « لهم » .

(٢) ديوانه ٣٠ ، ٣ / ٢٠١٠ « ثبيراً فلم تنقص » .

(٣) م « قد ورثت . . . فلم ترجح » وشمام : جبل بالعالية .

(٤) ديوانه ٢٦٦ ، ٣ / ١٦٣١

(٥) فى الديوان « وأنتم بنى العباس عم محمد » .

(٦) ديوانه ٣٤ ، ٢ / ١٣١١ .

وقال فى المعتز :

إِمَامُ هُدًى تَأْوِى بهِ مَكْرُمَاتُهُ إلى مَرْتَعٍ مِنْ بَطْنِ مَكةَ أَفْيَحِ [1]
له شَرفُ البيتِ الحَرَامِ وفَخْرُهُ وزَمْزَمَ والرُّكْنِ العَتيقِ المُمَسَّح

أراد شرف زمزم .

(١) ديوانه ٦٣٢ ، ١ / ٤٥٢ – ٤٥٣ « إلى مربع » .

## ومن باب السؤدد والشرف ذكر علوّ القدر وعظيم الفضل

قال أبو تمام :

اللهُ أَكْبَرُ جاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ فَتَعَثَّرَتْ فى كُنْهِهِ الأَوْهَامُ[١]
مَنْ لَا يُحِيطُ الواصِفُون بِقَدْرِهِ حَتَّى يَقُولُوا قَدْرُهُ إِلْهَامُ

قوله : « الله أكبر » . يقول فيما أظنه عند قدوم المأمون من خراسان ، أى الله أكبر من كل أحد ، قد جاء أَكْبَرُ من جرت فتعثرت فى كنهه الأوهام.

وكُنْهُ الشيء : غاية صِفَتِه .

وقوله : « حتَّى يقولوا قَدْرُه إلهامُ » من جنونه ؛ لأن الإلهام هو ما يلقيه الله ، عز وجل ، فى قلب الإنسان حتى يعرفه بغير تَعَرُّف ، ويعلمه من غير تَعَلُّم ، فيقول : لا يحاط بقدره إلا أن يكون ذلك إلهامًا من الله ، جل وعز ، فيعرف .

وقَدْرُ كلِّ شيء : هو مَبْلَغُه ، تقول : سرنا قَدْرَ مِيل ، وقدر فَرْسخٍ ، وأخذت منه قدر عشرين درهمًا ، أى مبلغ عشرين .

وإنما سمع الناس يقولون ، هذا أمر لا يُقْدَرُ قدره ، وسمع قول الله عز وجل : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٢] ، قيل فى التفسير : ما عرفوه حق معرفته . فأراد أن يَنْحُوَ بِقَدْرِ المأمون هذا النَّحْوَ فأخرجه بهذه العبارة المُسْتَكْرَهة . يريد أن قَدْرَه لا يُعرف إلا بالإلهام من الله جلّ جلاله .

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٧٩ ز وشرح التبريزى ٣ / ١٥٣ وقد سبق الأول .

(٢) سورة الزمر ٦٧ .

وقد كان يكفى من هذا العويص الذى جاء به أن يقول كما قال البحترى فى المتوكل :

وأَنْتَ ــ أَمينَ اللهِ ــ بِالمَوْضعِ الذى أَبَى اللهُ أَنْ يَسْمُو إِلى قَدْرِه قَدْر[١]

فجعل قدره فوق [قدر] كلّ ذى قَدْر . ومثل هذا لا يقال إلا لخليفة أو لأفضل الناس من أهل بيت النبوة .

وقد أفرط البحترى فى مدح إبراهيم بن المدبر ، وإن كان لم يُصَرِّح فى تفضيل قدره ، وذلك قوله :

دَنَوْتَ تَوَاضُعًا ، وعَلَوْتَ قَدرًا فَشَأْنَاكَ انْحِدَارٌ وارْتِفَاعُ[٢]
كَذَاكَ الشَّمْسُ يَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى ويَدْنُو الضَّوْءُ مِنْها والشُّعَاعُ

وما قيل فى التواضع ألطف من هذا ولا أحسن . ولو مدح خليفة بالتواضع لما وجد شيئًا يليق به غير هذا الوصف أو معناه .

* * *

وقال أبو تمام فى المعتصم مادة (؟) فضل على فضله كل أحد من الناس .

إِلى قُطُبِ الدُّنيا الَّذى لَوْ بِفَضْلِهِ مَدحتُ بنِى الدنيا كَفتْهمْ فَضَائِلُه[٣]

وهذا تفضيل فى غاية الاستقصاء والجودة والحسن والصحة ، ولا يقال مثله إلا لخليفة من أفضل الخلفاء ؛ لقوله : مدحت بنى الدنيا .

---

(١) ديوانه ٤٥٦ ، ٢ / ٩٩٢ .
(٢) ديوانه ٢٢٨ ، ٢ / ١٢٤٧ « وبعدت قدرا فشأناك » .
(٣) ديوان أبى تمام ٢٣٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢٥ .

ومثله فى الجودة ، بل يزيد عليه ـ قول البحترى فى المتوكل :

يا بْنَ عَمِّ النَّبِىِّ حقًّا ، ويا أزْ ... كَى قريشٍ نفسًا ودِينًا وعِرْضَا[١]

بِنْت بالفَضْلِ والعُلُوِّ فَأَصْبَحْ ... تَ سَمَاءً وأَصْبَحَ النَّاسُ أَرْضَا

ولو قال قائل مثل هذا لغير خليفة لكان قد تجشم أعظم الخطإ إذ ليس أحد من الناس يطالبه بأن يمدحه هذا المدح ، ولا أن يفضِّله هذا التفضيل .

وقال البحترى أيضًا فى المهدى[٢] :

أَقَرَّتْ لَهُ بالفَضْلِ أمةُ أَحْمَد ... فَدانَ لَهُ مُعْوَجُّهَا وَقَوِيمُهَا[٣]

والتفضيلُ الحَسَنُ الذى لا غُلوَّ فيه وكأن قائله قد غلا ـ قولُ البحترى أيضًا فى أبى ليلى الحارث بن عبد العزيز بن دُلَف :

يَبِينُ بالفضل أقوامٌ فيفضُلُهم ... مُوَحَّدٌ بِغَرِيبِ الذِّكْرِ مُنْفَرِدُ[٤]

تَوَحَّدَ القَمَر السَّارِى بِشُهْرَتِهِ ... وأَنْجُمُ اللَّيْلِ نَثْرٌ حَوْلَهُ بَدَدُ

ومثله فى الحسن قولُه فى الفَتْح :

ولَمَّا جَرَى فى المَجدِ والقَوْمُ خَلْفَهُ ... تَغَوَّلَ أَقْصَى جُهْدِهِمْ وَهْوَ وَادِعُ[٥]

وهَلْ يَتَكَافَا النَّاسُ شَتَّى خِلَالُهُمْ ... وَمَا تَتَكَافَا فى اليَدَيْنِ الأَصَابعُ؟

---

(١) ديوان البحترى ٢٢ ، ٢ / ١٢١٦ وفى م « حقا ويازكى قريش » .

(٢) م « المهتدى » وهو خطأ .

(٣) ديوانه ١٠٨ ، ٣ / ٢٠٢٤ وقد سبق هذ البيت ص ٣٤٤ .

(٤) ديوانه ٧٧٤ ورواية شطر البيت الأول فيه «تنازع المجد أمجاد ففاتهم». وطبعة المعارف ٢/ ٦٤٦.

(٥) ديوانه ٧٢ ، ٢ / ١٣٠٣ ، « جرى للمجد » .

وهذا كلُّه عجيب فى معانيه . ولكنهما فى معانيهما حَذْوٌ على قول مَعْن ابن أَوْس :

وَمَا بَلَغَتْ كَفُّ امْرِئٍ مُتَطَاوِلٍ  يَدَ المَجْدِ إلَّا حَيْثُ مَانِلْتَ أَطْوَلُ[١]
وما بلغ المُهْدونَ فى القَوْلِ مِدْحَةً  ولوْ أَكْثَرُوا إلَّا الذى فيك أَفْضَلُ[٢]

(١) فى ديوانه ١٣ « من المجد » والبيت فى مدح سعيد بن العاص .

(٢) م « بلغ المهدى » وفى ديوانه : « المهدون نحوك » .

## ومن باب المجد والسؤدد

قول أبي تمام فى المأمون :

هَدَمَتْ مَسَاعِيهِ المَسَاعِي وَابْتَنَتْ   خِطَطَ المَكَارِمِ فى عِرَاضِ الفَرْقَدِ (١)
سَبقَتْ خُطَى الأَيامِ عُمْرِيَّاتُهَا   ومَضَتْ فَصَارَتْ مُسْنَدًا لِلْمُسْنَدِ
مَا زَالَ يَمْتَحِقُ الْعلا ويَرُوضُهَا   حَتى اتقَتْهُ بِكِيمِياء السُّؤْدُد (٢)

قوله : « سَبَقَتْ خُطَى الأَيامِ » أى طاوَلَت الدهر فى البقاء ، فجعل مطاولتها للدهر سيرًا مع الدهر ، فلذلك قال : « سبقت خطى الأَيام » «عُمْرِيَّاتها » : واحدها عُمْرِيَّةِ ، منسوبة إلى العُمْر .

وقوله : «مَضَت فَصَارَتْ مُسْنَدًا للمُسْنَدِ » ، فالمسند :الدهر ، أى صارت دَهْرًا للدَّهْر .

وهذا من كلام أهل الوَسْوَاس والخَطَرات وأصحاب السوْدَاء .

وقوله : « بِكِيمِياءِ السُّؤْدُدِ » مما أنكروه عليه .

وقد أتى به « بَكْرُ بنُ النطاح » فى موضِعه فقال :

مَدْحُ ابنَ عِيسَى قَاسِمٍ فَاشْدُدْ بِهِ   كِلْتَا يَدَيْكَ الكِيمْيَاءُ الأَعْظَمُ (٣)
لَوْ لَمْ يَكُنْ فى الدهْرِ إلا دِرْهَمٌ   ومَدَحْتَهُ لأَتَاكَ ذاكَ الدِّرْهَمُ

* * *

(١) ديوان أبي تمام ١١٢ وشرح التبريزى ٢ / ٥٠ وفى م « فى عراض الفدفد » .

(٢) م « ما زال يمتحق » .

(٣) م « عيسى قاسى » ! والقاسم بن عيسى : هو أبو دلف العجلى ، أمير الكرخ ، المتوفى سنة ٢٢٦ هـ وترجمته فى تاريخ بغداد ١٢ / ٤٧٦ والأغانى ٧ / ٢٤٨ طبع دار الكتب وانظر أخباره مع بكر بن النطاح فى الأغانى ١٧/١٥٣ طبع بولاق .

وقال البحترى فى المُهْتَدِى :

وللمُهْتَدِى باللهِ مَجْدٌ لو ارْتَقَتْ    إليه النُّجُومُ رِفْعَةً ما تَهَدَّتِ[١]

وهذا أبلغ من قول أبى تمام : « وابْتَنَتْ خِطَطُ المَكَارِمِ فى عِرَاضِ الفَرْقَدِ »[٢] .

* * *

ولهما فى السؤدد والمجد والشرف فى مدح سائر الناس ما أذكره مِنْ بَعْدُ فى تأييد الدين وتقوية أمره .

وواجب أن يمدح الخليفة بهذا المعنى .

* * *

قال أبو تمام فى مدح المعتصم :

بِمُعْتَصِمٍ باللهِ قَدْ عُصِمَتْ بِهِ    عُرَا الدِّينِ وَٱلْتَفَّتْ عَلَيه وَسَائِلُهْ[٣]

وهذا كان يصلح أن يقال لمن له نباهة وديانة وقولٌ بحق ، ولكن خصصه بالخليفة قوله : « وَٱلْتَفَّتْ عليهِ وَسَائِلُهْ »

وقال فى الواثق :

بِهَارُونَ عَزَّ الدِّينُ وَٱشْتَدَّ رُكْنُهُ    وَدَانَتْ دَوَانِيهِ وقُرِّبَ شَاسِعُهْ[٤]

* * *

وقال البحترى فى المتوكل :

خَلَقَ اللهُ جَعْفَرًا قَيِّمَ الدُّنْـ    يَا سَدَادًا ، وَقَيِّمِ الدِّينِ رُشْدَا[٥]

(١) ديوان البحترى ٧٥٣ « مجد لو ابتغت مداه النجوم رفعة » وفى م « رقعة » وطبعة المعارف ١ / ٣٧٠ .

(٢) م « الفدفد » .

(٣) ديوان أبى تمام ٢٣١ وشرح التبريزى ٣ / ٢٦ .

(٤) م « يهزون عز . . . وقرى شاسعة » .

(٥) ديوان البحترى ٢٠ ، ٢ / ٧١٢ .

فاختص هذا القول بالخليفة ؛ لأنه جعله قيِّمًا على الدين والدنيا ، ولا يجوز أن يقال هذا لغير خليفة إلا أن يكون نائبًا عنه .

وقال مثل ذلك فى المُعْتَزِّ بالله :

لَقَدْ حَمَلَ الخِلَافَةَ مُسْتَقِلٌّ بِهَا وبِحَقِّه فيها المُبِينِ[١]
يَسُوسُ الدِّينَ والدُّنْيا بِرَأْيٍ رِضًا للهِ فى دُنْيَا وَدِينِ

وقال عبد الله بن السِّمْط بن مروان فى المأْمون :

أَضْحَى إمَامُ الهُدَى المَأْمُونُ مُشْتَغِلًا بالدِّينِ والنَّاسُ فى الدنيا مشَاغِيلُ[٢]

فلم يهشَّ له ، فشكى ذلك عبد الله ، فقيل له : ما زدت على أن جعلته عجوزًا فى محرابها ومعها سبحتها .

فألا قلت كما قال جرير فى عمر بن عبد العزيز[٣] :

فَلَا هُوَ فى الدُّنيا مُضِيعٌ نَصِيبَهُ ولا عَرَضُ الدنيا عن الدينِ شَاغِلُهْ[٤]

وقال ابن هَرْمَة :

فَـرغْتَ لِدين الله تَرْفَعُ وَهْيَـهُ وما بِكَ عَنْ كَسْبِ المَحَامِدِ مِنْ شُغْلِ

فَحَذَا حَذْوَ قول جرير .

وقال البحترى أيضًا فى المتوكل مما لا يقال إلا لِخليفة إلا أن يفرِّط مفرِّط. فيقوله لغيره :

---

(١) ديوان البحترى ١٣٨ ، ٤ / ٢٢٦٧ .
(٢) سر الفصاحة ٢٤٨ والصناعتين ١١٩ .
(٣) فى ديوان جرير ٤٣٤ « وقال يمدح عبد العزيز بن الوليد » .
(٤) فى الديوان ٤٣٥ « من الدنيا » .

حَلَفْتُ بِمَنْ أَدْعُوهُ رَبًّا وَمَنْ لَهُ ... صَلَاتِى، وَنُسْكِى خَالِصًا، وصِيَامِى (١)
لَقَدْ حُطْتَ دِينَ اللهِ خَيْرَ حِيَاطَةٍ ... وَقُمْتَ بِأَمْرِ اللهِ خَيْرَ قِيَامِ

وقال البحترى فى المتوكل :

عَلِمَ اللهُ كَيفَ أَنْتَ فَأَعْطَا ... كَ المَحَلَّ الرَّفِيعَ مِنْ سُلْطَانِهْ (٢)
جَعَلَ الدينَ فى ضَمَانِكَ والدُّنْـ ... يا فَعِشْ سالِمًا لَنَا فى ضَمَانِهْ

وهذا لا يكون إلا لخليفة .

وقال فى المُعْتَزِّ بالله :

مَا زَالَ يَكْلأُ دِينَنَا وَيَحُوطُهُ ... بالمَشْرَفِيَّةِ والوَشِيجِ الذُّبَّلِ (٣)

وهذا يصلح أن يقال لبعض ولاة الثغور وغيرهم من الولاة ولا يخص الخليفة .

وليس ذلك بعيب فى مدح الخلفاء ، ولكن إذا كان مما يخص الخليفة دون غيره كان ذلك أمدح له .

والعيب على الشاعر أن يمدح غير الخليفة بما لايستحقه إلا الخليفة .

وقال فى المهتدى بالله مما يختص بالخليفة :

هَنَتْكَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَوَاهِبٌ ... من اللهِ مَشْكُورٌ لَدَيْكَ جَسِيمُهَا (٤)
وَتَأْيِيدُ دِينِ اللهِ إِذْ رُدَّ أَمْرُهُ ... إليك فَرَوَّى فى الأُمُورِ عَلِيمُهَا

فخصّصه قوله : « وتأْييدُ دين الله إذ رُدَّ أَمْرُهُ إليك » .

---

(١) ديوان البحترى ١٢ ، ٣ / ٢٠٠٣ وما أسخف قوله : « حلفت بمن أدعوه ربا » ! !

(٢) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢١٧٠ « المحل الجليل » .

(٣) ديوانه ١ / ١٦ طبع بيروت ، ٢ / ١٥٥ طبع مصر ، ٣ / ١٦٢٦ طبع المعارف ورواية الشطر الأول فيها « بكرت جيادك والفوارس فوقها »
والمشرفية : السيوف المنسوبة إلى مشارف اليمن ، والوشيج : الخشب الذى تصنع منه الرماح . وذبل: مفردها ذابل وهو الدقيق الملتصق الليط .

(٤) ديوانه ١٠٨ .

وقال أبو تمام فى تقوية الإسلام :

أَمْسَى بِكَ الإِسلامُ بَدْرًا بَعْدَما مُحِقَتْ بَشَاشَتُهُ مُحَاقَ هِلالِ[1]
أَكْمَلْت مِنْهُ كُلَّ نَقْصٍ بَعْدَمَا نَقَصَتْهُ أَيْدِى الكُفْرِ بَعْدَ كَمَالِ[2]
أَلْبَسْتَهُ أَيَّامَك الغُرَّ التى أَيَّامُ غيرِكَ عِنْدَهُنَّ لَيَالِ

إنما قال : « أمسى » ولم يقل : « أضحى » من أجل قوله : « بدرًا » ؛ لأَنَّ البدر لا ضوء له فى الضحى .

وهذا يصلح أن يقال لوزير ولوالى الثغور ، وإن كان فى غاية الجودة .

وقال البحترى فى المتوكل :

يَا كَالِئَ الإِسْلَامِ فى غَفَلَاتِهِ ومُقيمَ نَهْجَىْ حجِّه وجهادِهِ[3]

وقال أبو تمام فى مديح محمد بن عبد الملك :

إنَّ الخَلِيفَةَ قَدْ عَزَّتْ بِدَوْلَتِهِ دَعَائِمُ الدِّينِ فَلْيَعْزِزْ بِه الأَدبُ[4]

ودعائم الدين قد توصف بأَنها ثبتت ، وتمكَّنت ، وأقامت ، وتوطَّدت ، فهذا هو اللفظ المستعمل فيها ، ألا ترى أنها إذا وُصفت بضد هذا الوصف قيل : وهت ، وسقطت ، وخرّت . ولا يقال : ذلّت . وإنما قال : « عزّت » من أجل قوله : « فليعزز به الأَدب » . وهذا وإن لم يكن خطأً فليس بالجيد ؛ لأَنه لفظ موضوع فى غير موضعه .

(١) ديوان أبى تمام ٢٦٥ وشرح التبريزى ٣ / ١٤٤ .
(٢) فى الديوان « منه بعد نقص كل ما » .
(٣) ديوانه ٤٣ ، ٢ / ٧٠٤ والكالئ : الراعى والحافظ ، والنهج : الطريق .
(٤) ديوان أبى تمام ٥٠ وشرح التبريزى ١٥ / ٢٦٣ ويروى : « بك الأدب » .

وقال أبو تمام فى إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبِى :

تَرْضَى السُّيوفُ بِهِ فى الرَّوْعِ مُنْتَصِرًا ويَغْضَبُ الدينُ والدُّنْيَا إذَا غَضِبَا[1]

وهذا مدح لا يليق إلا بأفضل الخلفاء ، وسبيل الشاعر أن يتفقد مثل هذا ؛ فقد جرت به على قوم من الشعراء سَلَكُوا دُونَ هذا المسلك ـ مَكَارِهُ ، وكان الحرمانُ أحسن أحوالهم التى عادوا بها .

ونحو هذا قوله فى محمد بن يوسف :

حياتُكَ للدنيا حياةٌ ظَلِيلَةٌ وفَقْدُكَ للدنيا فناءٌ مُوَاشِكُ[2]

وهذا عموم ؛ لذكره الدنيا . ولا يصلح أن يكون إلا لخليفة ، أو من ينفذ فى أكثر بلاد الله أمرُهُ .

وهذا متجاوز لقدر محمد بن يوسف ، وفى المَمَادِح التى تُرْضِى المَمْدُوحِين مُتَّسَع .

* * *

وهو فى هذا الباب أشعر من البحترى .

---

(١) ديوان أبى تمام ٢١ وشرح التبريزى ١ / ٢٤١ .

(٢) ديوانه ٢٢٦ وشرح التبريزى ٢ / ٤٦٧ .

## وبما يجب فى مدح الخلفاء ، كانت تلك حالهم أولم تكن ، ذِكْرُ التُّقى والورع

قال أبو تمام فى المأمون :

يَتَجنَّبُ الآثَامَ ثُمَّ يَخَافُها فكأنَّما حسناته آثَامُ(١)

هذا وصف لطاعة الله حَسَنٌ مُسْتَقْصى . ولكنه ألَمّ بمعنى قول أبى العتاهية :

يعْتَدُّ بإحْسَانِ كُلُّ مُحْسِنٍ إليه بَعْدَ إسَاءَة كانَ مِنْهُ (؟)

وعكس أبو تمام المعنى :

لمْ تَنْتَقِصْنِى إذْ أَسأْتَ ، وزِدْتَنى حَتَّى كَأَنَّ إسَاءَتِى إحْسَانِى

بيت أبى تمام هذا من بيت أبى العتاهية(٢) .

* * *

وقال البحترى فى المهتدى بالله :

مُزَايِدُ نَفْسٍ فى تُقَى اللهِ لم تَدَعْ لَهُ غَايَةً فى جِدِّها وَاجْتِهَادِها(٣)

وما نَقَلَتْ مِنْهُ الخِلَافَةُ شِيمَةً وقَدْ مَكَّنَتْهُ عَنْوَةً مِنْ قِيَادِها(٤)

ولا مَالَتِ الدُّنْيَا بِهِ حِينَ أَشْرَقَتْ له فى تَنَاهى حُسْنِها وَاحْتِشَادِها

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٨٠ وشرح التبريزى ٣ / ١٥٣ وفى م « حسناتها » .

(٢) م « وهذا بيت أبى تمام من » .

(٣) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٦ . وفى م « لم يدع » .

(٤) ل « نفلت » وفى الديوان « أمكنته » .

وقال فى المعتمد :

مَلِكٌ تُحَيِّيهِ الملوكُ ودُونَهُ ... سِيمَا التُّقَى وتَخَشُّعُ الزُّهَّادِ(١)

مُتَهَجِّدٌ يُخْفِي الصَّلَاةَ وقَدْ أَبَى ... إِخْفَاءَهَا أَثَرُ السُّجُودِ البَادِى(٢)

وقال فى المهدى(٣) :

فَضَلَ الأَنَامَ أُرُومَةً مَحْمُودَةً ... وتُقًى وأَنْعَمَ فى الأَنَامِ وأَفْضَلا(٤)

وقال فى المعتز بالله :

يتَقَبَّلُ المُعْتَزُّ فَضْلَ جُدُودِهِ ... بِخِلَالِ مَحْمُودِ الخِلَالِ مُوَفَّقِ(٥)

وَيَظَلُّ يُخْشَى فى الإِله ويُتَّقَى ... فيه كما يَخْشَى الإِلهَ ويَتَّقِى(٦)

* * *

ومع وصف الخليفة بالتقى والورع يجب أن يوصف بالرأفة والرحمة .

قال أبو تمام فى المعتصم :

رَعَى اللهُ فيهِ للرَّعية رَأْفَةً ... تُزَايِلُهُ الدُّنْيَا ، ولَيْسَتْ تُزَايِلُهْ(٧)

فَأَضْحَى وَقَدْ فَاضَتْ إِلَيْهِ قُلُوبُهُمْ ... ورَحْمَتُهُ فيهمْ تَفِيضُ ، ونَائِلُهْ(٨)

فقوله : « فاضَت إليه قُلُوبهم » ليس بالجيد ؛ لأن هذه لفظة غير مستعملة فى مثل هذا . وإنما قال ذلك من أجل قوله : « ورَحْمَتُه فيهم تفيض » .

---

(١) ديوان البحترى ١٦٣ ، ٢ / ٧٣٢ وفى م « تحيته » .

(٢) م « وقد أتى » .

(٣) فى ديوانه ١٤٣ ، ٣ / ١٦٥٣ « وقال يمدح المعتز بالله » .

(٤) فى الديوان : « أرومة مذكورة » .

(٥) ديوانه ٦٢٥ ، ٣ / ١٤٨١ .

(٦) م « كما تخشى الإله وتتقى » .

(٧) ديوان أبى تمام ٢٣١ وشرح التبريزى ٣ / ٢٦ .

(٨) فى الديوان وشرحه « فأضحوا » .

وقال فى الواثق :

فَغَدَوْا وقَدْ وَثِقُوا بِرَأْفَةِ واثِقٍ بِاللهِ طائِرُهُ لَهُمْ مَيْمُونُ (١)

* * *

وقال البحترى فى المتوكل :

يُحَبِّبُهُ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ أَنَّهُ يُذَبِّبُ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ ويُحَامِى (٢)
وأَنَّ لَهُ عَطْفًا عليْهم وَرَأْفَةً وفَضْلَ أَيَادٍ بالعَطَاءِ جِسَامِ (٣)

* * *

وليس لأَحدهما فضل فى هذا الباب على صاحبه .

(١) ديوان أبى تمام ٣٢٩ وشرح التبريزى ٣ / ٣٢٥ .
(٢) ديوان البحترى ١١ « عن أطرافها » .
(٣) م « عطفا عليه » وفى الديوان « عليها ورقة » .

## ما قالاه فى الجمال ، والجلال ، والهيبة ، والبهاء ، والجهارة

قال أبو تمام :

إنَّا غَدَوْنَا وَاثِقِينَ بِوَاثِقٍ بِاللهِ شمسِ ضُحًى وبَدْرِ تَمَامِ [١]

ثم قال بعد فى القصيدة :

مَا أَحْسبُ البَدْرَ المُنِيرَ إذا بَدَا بَدْرًا بِأَضْوَأَ مِنْكَ فى الأَوْهَامِ [٢]

قوله : « فى الأَوْهَام » قد عيبَ به ، وقيل لم يجعله مضيئًا فى العين ، وجعله مضيئًا فى الأوهام . والذى ذهب إليه أبو تمام معنى صحيح ؛ لأن وجه الإنسان لا يكون أضوأ من البدر ، فجعله أَضْوأَ منه فى الصدور وفى النفوس ، يريد الجلال والهَيْبَة .

وأجود من هذا قول محمد بن وهيب :

تُعَظِّمُهُ الأَوْهَامُ قَبْلَ عِيَانِهِ ويصْدُرُ عَنْهُ الطَّرْفُ والطَّرْفُ حَاسِرُ

وأحسن من قول ابن [٣] وهيب قول الأَحْوَص :

تراهُمُ خُضُعَ الأَبْصَارِ هَيْبَتَهُ كما ٱسْتكَانَ لِضَوْءِ الشَّارِقِ الرَّمِدُ

* * *

وقال أبو تمام فى خالد بن يزيد بن مَزْيَد :

كالبَدْرِ حُسْنًا ، وقد يُعَاوِدُهُ عُبُوس لَيْثِ العَرِينِ فى عَبَدِهْ [٤]

(١) ديوان أبى تمام ٢٧٦ وشرح التبريزى ٣ / ٢٠٤ ويروى « إنا رحلنا » .

(٢) فى الديوان وشرحه « ما أحسب القمر » .

(٣) م « أبى وهيب » وهو خطأ .

(٤) ديوان أبى تمام ٩٤ وشرح التبريزى ١ / ٤٤٦ فى عبده : أى أنف .

كالسَّيْفِ يُعْطِيكَ مِلْءَ عَيْنَيْكَ مِنْ فِرِنْدِهِ تارَةً ومِنْ رُبَدِهْ [١]

وهذا غاية فى حسنه وصحته وبراعته .

وقال فى جعفر الخيَّاط :

فَتًى فى يدَيْهِ البَأْسُ يَضْحَكُ والنَّدَى وفى سَرْجِهِ بَدْرٌ ولَيْثٌ غَضَنْفَرُ [٢]

وهذا مأخوذ من قول مسلم بن الوَلِيد :

تَمْضِى المَنَايَا كما تمْضِى أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ فى سَرْجِهِ بَدْرًا وضِرْغامَا [٣]

وقد أحسن محمد بن وُهَيْب كُلَّ الإحسان فى قوله :

وكَأَنَّ ضَوْءَ جَبِينِهِ قَمَرٌ و[ كأنَّ ] سائِرَ خَلْقِهِ أَسَدُ

* * *

وقال أبو تمام فى خالد بن يزيد بن مَزْيد :

وقَدْ كَانَ مِمَّا يُضِيءُ السَّرِيـ ـرُ والبَهْوُ يَمْلَؤُهُ بالبَهَاءِ [٤]

مَضَى خَالد بنُ يزيد [بن] مَزْ يدٍ قَمَرُ الليلِ شمسُ الضَّحَاءِ

وهذا يَمرُّ فى « المراثى » .

* * *

وقال البحترى فى المهتدى بالله :

زَادَ فى بَهْجَةِ الخِلافَةِ نُورًا فَهْوَ شَمْسُ النَّهار وهْى نَهارُ [٥]

طَلْعَةٌ تَمْلأُ القُلُوبَ ووَجْهٌ خَشَعَتْ دُونَ ضَوئِهِ الأَبْصَارُ

---

( ١ ) الربد : جمع ربدة ، وهى كالكلف فيه .

( ٢ ) ديوان أبى تمام ١٥٩ وشرح التبريزى ٢ / ٢١٥ « من يديه » .

( ٣ ) ديوان مسلم بن الوليد ٣٩ « أى أسنته والمنايا سواء ، تفعل أسنته ما تفعل المنايا ، كأن فى سرجه بدراً فى فخامة الخلق وحسن المنظر ، وليثا فى الشجاعة . وصفه بالنجدة » .

( ٤ ) ديوان أبى تمام ٣٤٨ .

( ٥ ) ديوان البحترى ١٠٦ و ٢ / ٨٥٤ .

ذَكَرُوا الهُدَى مِنْ أبِيكَ وقَالُوا هُوَ ذَاكَ السِّيما وذَاكَ النِّجَارُ (١)
وعليهمْ سكينةٌ لكَ إلَّا مَدَّ أيْدٍ يومًا بها ويُشارُ
بُهِتُوا حَيْرَةً وصَمْتًا فلَوْ قِيـ لَ : أجِيرُوا مَقَالَةً مَا أحَارُوا (٢)
وقلِيلٌ إنْ أكْبرُوكَ لَكَ الهَيْـ بَةُ مِمَّنْ رَآكَ والإكْبَارُ

وقال فى المتوكل لما خرج لصلاة العيد :

وافْتَنَّ فيك النَّاظِرُونَ : فَإصْبَعٌ يُومَا إليكَ بها ، وعَيْنٌ تَنظُرُ (٣)
يَجِدُونَ رؤْيَتَكَ التى فَازُوا بِهَا مِنْ أنْعُمِ اللهِ التى لَا تُكْفَرُ
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النبىَّ فَهَلَّلُوا لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصُّفُوفِ وكَبَّرُوا
حتَّى انْتَهَيْتَ إلى المُصَلَّى لَابِسًا نُورَ الهُدَى يَبْدُو عليكَ ويَظْهَرُ
ومَشَيْتَ مِشْيَةَ خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ للهِ لَا يَزْهُو ، ولا يَتَكَبَّرُ (٤)
وَلَوَ انَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّف فَوْقَ مَا فِى وُسْعِهِ لَمَضَى إليكَ المِنْبَرُ (٥)

وقال فيه لما دخل عليه وفد الرُّوم :

ورَأَيْتَ وَفْدَ الرُّومِ بَعْدَ عِنَادِهِمْ عَرَفُوا فَضَائِلَكَ التى لا تُجْهَلُ (٦)
لَحظُوكَ أوَّلَ لَحْظَةٍ فَاسْتَصْغَرُوا مَنْ كَانَ يُعْظَمُ فيهمُ ويُبَجَّلُ
وَرَأَوْكَ وَضَّاحَ الجَبِينِ كما يُرَى قَمَرُ السماءِ السَّعْدِ سَاعَةَ يَكْمُلُ (٧)

---

(١) فى الديوان « هى تلك السيماء » .
(٢) م « أجيروا مقالة ما أجازوا » .
(٣) ديوانه ١٨ « ورنا إليك الناظرون » ، ٢ / ١٠٧٥ .
(٤) فى الديوان « لا يزهى » .
(٥) وفيه : « فلو . . . غير ما فى وسعه لسعى » .
(٦) ديوانه ٢٤ ، ٣ / ١٦٠١ .
(٧) فى الديوان « قمر السماء التم ليلة يكمل » .

نَظَرُوا إليكَ فقدَّسُوا ، ولَوَ أنَّهمْ نَطقُوا الفَصِيحَ لَكَبَّرُوا ولهَلَّلُوا
حضَرُوا السِّماطَ. فكُلَّما رامُوا القِرَى مالتْ بأيْدِيهِمْ عُقَّلٌ ذُهَّلُ
تَهْوِى أكُفُّهُمُ إلى أفْوَاهِهِمْ فَتَجُورُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وتَعْدِلُ(١)
مُتَحَيِّرِينَ فَباهِتٌ مُتَعَجِّبٌ مِمَّا يَرَى ، أوْ نَاظِرٌ مُتَأمِّلُ(٢)
ويَوَدُّ قومُهُمُ الأُولَى بَعَثُوهُمُ لَوْ ضَمَّهُمْ بالأمْسِ ذاكَ المَحْفِلُ(٣)
قَدْ نافَسَ الغَيْبَ الحُضُور عَلَى الذى شَهِدُوا ، وقَدْ حُسِدَ الرَّسُول المُرْسِلُ

قوله : « بَاهِتٌ » ، من بَهِتَ يَبْهَتُ وقد قيلت ، وهى رديئة ، والجيد بُهِتَ يُبْهَت .

وقال فى المعتز :

يَبْهَتُ الوَفْدُ فى أسِرَّةِ وَجْهٍ سَاطِعِ الضَّوْءِ ، مُسْتَنِيرِ الشُّعَاعِ(٤)

وقال فيه :

إذَا نَظَرَ الوُفُودُ إليه قَالُوا : أبَدْرُ الليل أمْ شَمْسُ النَّهارِ؟(٥)

وأجود من هذا قول ابن هرمة :

لا يَرْفَعُونَ إليه الطَّـرْفَ خَشْيَتَهُ لا خَوْفَ بَأْسٍ ولَكِنْ خَوْفَ إجْلَالِ

وأجود من هذا قول طُرَيح الثَّقَفِى :

يَعْرُوهُمُ أفْكَلٌ لَدَيْكَ كَمَا قَفْقَفَ تَحْتَ الدُّجُنَّةِ الصَّرِدُ(٦)
لا خَوْفُ ظُلْمٍ ، ولا قِلَى خُلُق لَكِنْ جَلَالٌ كَسَاكَهُ الصَّمَدُ

---

(١) وفيه « فتحيد عن » .
(٢) فى الديوان « متحيرون . . . مما رأى » .
(٣) وفيه « و يود قومهم الأولى بعثوا بهم » .
(٤) ديوانه ١٣٢ ، ٢ / ١٢٤٤ .
(٥) ديوانه ٧٧٩ ، ٢ / ٩٣٨ .
(٦) فى اللسان ١٤ / ٤٥ « الأفكل على أفعل : رعدة تعلو الإنسان ولا فعل له » . وقفقف : أرعد من البرد ، والدجنة : الظلمة . الصرر : الذى أرعده البرد .

[وأَصل ] البابِ كلِّه قولُ الحَزِينِ الكِنَانى :

يُغْضِى حياءً ، ويُغْضَى مِنْ مَهابَتِهِ ‏ فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ[١]

* * *

وقال فى المُتَوَكِّل :

اليَوْمَ أُطْلِعَ لِلخلَافَةِ سَعْدُها ‏ وأَضَاءَ فيها بَدْرُها المُتَهَلِّلُ[٢]

لَبِسَتْ جَلَالَةَ جَعْفَرٍ فَكَأَنَّهَا ‏ سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهارُ المُقْبِلُ[٣]

وقال فى المعتز ويذكر الزَّوَّ[٤] :

ولَمْ أَرَ كالمُعْتَزِّ إِذْ راحَ مُوفِيًا ‏ عليه بوجه لاح فى الرَّوْنَقِ النَّضْرِ[٥]

مَلِيًّا بأَنْ يَجْلُو الظَّلَامَ بغُرَّةٍ ‏ تَخَاضَعُ إِكْبَارًا لَهَا غُرَّةُ الفَجْرِ

إِذَا اهْتَزَّ غِبَّ الأَرْيَحِيَّةِ والنَّدَى ‏ وأَسْفَرَ فى ضَوْءِ الطَّلَاقَةِ والبِشْرِ[٦]

---

(١) الوساطة ٢٩٦ والأغانى ١٤ / ٧٥ وغير منسوب فى الكامل ١ / ٣٩٩ .

(٢) ديوان البحترى ٢٥ ، ٣ / ١٧٥٤ وانظر ص ٣٣٤ من هذا الجزء .

(٣) فى الديوان « يجلله » .

(٤) فى اللسان ١٩ / ٨٥ « الزو : القرينان من السفن » ثم قال فى صفحة ٨٧ « الجوهرى : وزو : اسم جبل بالعراق . قال ابن برى : ليس بالعراق جبل يسمى زواً ، وإنما هو سمع فى شعر البحترى قوله يمدح المعتز بالله حين جمع مركبين وشحنهما بالحطب وأوقد فيهما ناراً ، ويسمى ذلك بالعراق زواً فى عيد للفرس يسمى الصدق فقال : « ولا جبلا كالزو » وقال الفيروزابادى فى القاموس ٤ / ٣٣٩ « والزو كالتو : سفينة عملها المتوكل ، لا جبل ، ووهم الجوهرى ، وإنما غره قول البحترى :

ولا جبلا كالزو يوقف تارة ‏ وينقاد إما قدته بزمام

والبيت فى ديوانه ١ / ١١ .

(٥) ديوانه ١٥٢ ، ٢ / ١٠٥٣ عليه : أى على الزو الذى ذكره قبل ذلك :

تعجبت من فرعون إذ ظن أنه ‏ إله لأن النيل من تحتـه يجرى

ولو بصرت عينـاه بالزو لازدرى ‏ حقير الذى نالت يداه من الأمر

إذاً لرأى قصراً على ظهر لجة ‏ يروح ويغدو فوق أمواجها يجرى

تصاد الوحوش فى حفافى طريقه ‏ وتستنزل الطير العوالى عـلى قسر

(٦) فى الديوان « تحت الأريحية » .

وقَابَلَهُ بَدْرُ السَّماء بِحُسْنِهِ فَبَدْرٌ عَلَى بَدْرٍ ، وبَحْرٌ عَلَى بَحْرِ
رأَيتُ بَهَاءَ المُلْكِ مُجْتَمِعًا لَهُ ودِيبَاجَةَ الدُّنْيَا ومَكْرُمَةَ الدَّهْرِ

وقال فيه :

مَلِكٌ يَمْلأُ العُيونَ بَهَاءً حِينَ يَبْدُو فى تَاجِهِ المَعْقُودِ(١)

والخلفاءُ وملوك الإسلام لا يلبسون التِّيجَان ، وأظنها كانت يتخذها الأَحداثُ منهم فيلبسونها فى خلواتهم ، ومع نسائهم ، ومن لا يَحْتَشِمُونَه مِنْ نُدَمائِهم . فأَما القَلانِسُ المُعَمَّمَةُ التى تُرَصَّعُ بالجوهر فلا شك فيها . ومَنْ ذَكَرَ تيجانَ الخلفاءِ من الشعراءِ فلعلَّه رأَى على رُءُوسهم هذا الجِنْسَ ، فقد قال البحترى أيضًا فى المهتدى ينفى عنه لُبْسَ التَّاج :

لَسَجَّادَةُ السَّجَّادِ أَحْسَنُ مَنْظَرًا مِنَ التَّاجِ فى أَحْجَارِهِ واتِّقَادِهَا(٢)

وقال فى المعتز :

كَأَنَّمَا التَّاجُ إِذَا مَا عَلَا غُرَّتَهُ بالدُّوَرِ الزُّهرِ(٣)
[كَوَاكِبُ الفكَّةِ فى أُفْقِها دَنَتْ فَحَفَّتْ غُرَّةَ البَدْرِ](٤)

وقد تقدم من إنكار عبد الملك بن مروان على ابن الرّقيّات قوله :

* يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ *

* * *

(١) ديوان البحترى ١٥٨ ، ٢ / ٧٢٩ « تملأ »
(٢) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٧ .
(٣) ديوانه ٦٣٠ ، ٢ / ١٠١١ .
(٤) زيادة لازمة ، وجاء فى اللسان ١٢ / ٣٦٥ « والفكة : نجوم مستديرة بحيال بنات نعش . خلف السماك الرامح » .

فأما الجلال ، والبهاءُ ، والهيبة ، وسائر ما مضى من ذلك فى هذا الباب ــ فإنه واجب فى مدح الخلفاءِ والملوك والعظماءِ ؛ لأنه من الأوصاف التى تخصُّهم ، ويحسن موقع ذكرِها عندهم .

وكذلك جمال الوجه وحسنُه مما يجب المَدْحُ به ؛ فإنَّ الوجه الجميل يزيد فى الهيبة ، وَيَتَيَمَّنُ به العرب ؛ لأنه يَدُلُّ على الخصال المحمودة ، كما أنَّ قبح الوجه والدَّمَامَةِ يسقط الهيبة ، ويدل على الخصال المذمومة ، وذلك ما تكرهه العرب ، وتتشاءَم به ؛ لأن أول ما تلقاه من الإنسان وتعاينه ــ وجهه .

ألا ترى إلى قول البحترى :

أَغَرُّ كَبَارِقِ الغَيْثِ المُرَجّى ... يُحَبَّبُ فى الأَبَاعِدِ والأَدَانِى (١)
تَخَاضَعَتِ الوُجُوهُ لِحُسْنِ وَجْهٍ ... يَدُلُّ على خَلائِقِهِ الحِسَانِ

وقال فى مثل ذلك :

حَسَنُ الوَجْهِ والرُّوَاءِ وكَمْ دَ ... لَّ عَلَى سُؤْدَدِ الشَّرِيفِ رواؤُهْ (٢)
ماءُ وَجْهٍ إذَا تَبَلَّجَ أَعْطَا ... كَ أَمَانًا مِنْ نَبْوَةِ الدَّهْرِ مَاؤُهْ
يَتَعَالى ضِياؤُهُ فَيُجَلى ... طِخْيَةَ الحَادِثِ المُضِبِّ ضِيَاؤُهْ (٣)

* * *

وقَد غَلِط بعضُ المتأخرين فى هذا الباب ممن ألف فى « نقد الشعر » كتابًا ــ غلطًا فاحشًا (٤) ، فذكر أن المدح بالحسن والجمال ، والذم بالقبح والدمامة ليس بمدح على الحقيقة ، ولاذم على الصحة ، وخَطَّأَ كلّ من يمدح

( ١ ) ديوان البحترى ١٤٥ ، ٤ / ٢٢٧٧ .
( ٢ ) ديوانه ٥٢٨ « حسن العقل » ، ١ / ٣٠ .
( ٣ ) فى الديوان « يتجلى ضياؤه . . . ظلمة الحادث » وهى بمعناه . والمضب : الذى غشيه الضباب
( ٤ ) يقصد قدامة بن جعفر الكاتب ، مؤلف كتاب نقد الشعر .

بهذا أو يَذُمُّ بذاك ، فعَدَلَ بهذا المعنى عن مذاهب الأُمم كلها عربيِّها وعجميِّها ، وأسقط أكثر مدح العرب وهجائها . وقد بينت قبح غلطه فى هذا تبيينًا شافيًا مستقصى فى كتاب منفرد[١] .

* * *

وقال البحترى يمدح المعتز ويذكر ابنه عبد الله :

عَلَيْهِ مِنَ المُعْتَزِّ بالله بهْجَةٌ أَضَاءَتْ فَلَوْ يَسْرِى بِهَا الرَّكْبُ لَاهْتَدى[٢]

يَرُوقُ العُيُونَ النَّاظراتِ بِطَلْعَةٍ مِنَ الحُسْنِ او وَافَى بها البَدْرَ ما عَدَا[٣]

تَأَمَّلْ أَمينَ اللهِ فَرْطَ جَلَالَةٍ رائعة تَبْدُو عَلَيْـهِ إذَا بَدَا

وقد تصرف البحترى فى المدح بالجمال والهيبة والجلال ـ تصرفًا كثيرًا فى غير مدح الخلفاء ، فقال فى الفضل بن إسماعيل الهاشمى :

لَا تَطلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ قَمَرُ التَّأَمُّل ، مُزْنَةُ التَّأْمِيلِ[٤]

وقال فى الفتح بن خاقان :

تَكَشَّفَ الليلُ مِنْ لَأْلَاءِ غُرَّتِهِ عَنْ بَدْرِ دَاجِيَةٍ أَوْ شَمْسِ إصْبَاحِ[٥]

وقال يمدحه :

ويُبْتَدِرُ الرَّائُونَ مِنْهُ إِذَا بَدَا سَنَا قَمَرٍ مِنْ سُدَّةِ المُلْكِ مُطْلَعِ[٦]

---

(١) اسمه « تبيين غلط قدامة بن جعفر فى نقد الشعر » ، وقد ألفه لأبى الفضل : محمد بن الحسين ابن العميد ، وقد قراه عليه ، وكتب خطه ، فى سنة خمس وستين وثلاثمائة . ما فى معجم الأدباء ٨ / ٧٦ .

(٢) ديوان البحترى ١٣٤ ، ٢ / ٦٧١ .

(٣) هذا البيب وما يليه ، ليسا فى طبعتى الديوان . وهما فى طبعة المعارف .

(٤) ديوانه ٦١١ ، ٣ / ١٦٦٣ .

(٥) ديوانه ٥٨ « داجية أو ضوء » ، ١ / ٤٤٣ .

(٦) ديوانه ٩٠ ، ٢ / ١٢٣٩ .

يَقُومُونَ مِنْ بُعْدٍ إذَا بَصُرُوا بِهِ لِأَبْلَجَ مِنْ نُورِ الجَلَالَةِ أَرْوَعِ (١)
ويُدْعَونَ بالأَسْمَاءِ مَثْنَى ومَوْحَدًا إذَا حَضَرُوا بَابَ الرِّوَاقِ المُرَفَّعِ (٢)
إذا سَارَ كُفَّ اللَّحْظُ عَنْ كُلِّ مُبْصَرٍ سِوَاهُ ،وغُضَّ الصَّوْتُ عَنْ كُلِّ مَسْمَعِ (٣)
فَلَسْتَ ترى إلَّا إفَاضَةَ شَاخِصٍ إليه بِعَيْنٍ ، أَوْ مُشِيرٍ بِإِصْبَعِ

الإفاضة : الدَّفْعِ ، يريد أنه يدفع ببصره إليه ، ويَنْحُو به نَحْوَه . والإفاضة فى الكلام أن يدفعوا أيضًا القول ، ويبعثوا الكلام . وهذه هيبةٌ وجلالٌ ما وراءهما غاية . وكان المتوكل أولى بهذا الوصف من الفتح وإن كان الفتح أَوْقَرَ وأهيب .

* * *

وقال البحترى فى دخوله إلى الفتح :

ولما حَضَرْنَا سُدَّةَ الإِذْنِ أُخِّرَتْ رِجالٌ عنِ البابِ الذى أنَا دَاخِلُهْ (٤)
فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إلى ذِى مَهَابَةٍ أُقَابِلُ بَدْرَ الأُفْقِ حِينَ أُقَابِلُهْ
فَسَلَّمْتُ وَاعْتَاقَتْ جَنَانِىَ هَيْبَةٌ تُنَازِعُنِى القَوْلَ الذى أنَا قَائِلُهْ
فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وَانْثَنَى إلَىَّ بِبِشْرٍ آنَسَتْنِى مَخَايِلُهْ
دَنَوْتُ فَقَبَّلْتُ النَّدَى فى يدِ امْرِئٍ جميلٍ مُحَيَّاهُ ، سِبَاطٍ أَنَامِلُهْ (٥)
صَفَتْ مِثْلَمَا تَصْفُو المُدَامُ خِلَالُهُ ورَقَّتْ كما رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهْ (٦)

هكذا لعمرى تمدح الملوك .

(١) فى م والديوان « لأبلج موفور الجلالة » .
(٢) م « إذا أحضر فى باب » .
(٣) فى الديوان « عن كل منظر » .
(٤) ديوانه ٢ ، ٣ / ١٦١٣ .
(٥) م « فقبلت الذى » .
(٦) م « المدام جلالة » .

وقال فيه :

مَهِيبٌ تُعَظِّمُ العُلَمَاءُ مِنْهُ ... جَلَالَةَ أَرْوَعٍ وَارِى الزِّنَادِ[١]

يُؤَدُّون التَّحِيَّةَ مِنْ بَعِيدٍ ... إلى قَمَرٍ مِنَ الإِيوَانِ بَادِ

قِيَامٌ فى المَرَاتِبِ أَوْ قُعُودٌ ... سُكُونٌ مِنَ أَنَاة واتِّئَادِ

فَلَيْسَ اللَّحْظُ بالمَكْرُورِ شَزْرًا ... إليه ، ولا الحديثُ بِمُسْتَعَادِ[٢]

* * *

وقال فيه أيضًا لما دخلت إليه بنو تَغْلب بعدما أَصْلَحَ بينهم حتى سكنت حَرْبُهم . يقول ذلك فى قصيدته المنصفة :

تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى السِّمَاطِ فَقَصَّرُوا ... خطَاهُمْ وَقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وهُمْ عُجْلُ[٣]

إِذَا قَلَّبُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ ... ومَالُوا بِلَحْظٍ خِلْتَ أَنَّهُمُ قُبْلُ[٤]

وهذا من فاخر المدح ، ومُصِيبِ الوَصْف .

وفى اقتصاص مثل هذه الأحوال التى تشاهد يظهر[٥] حِذْقُ الشاعر وبراعته . والله الموفق .

(١) ديوانه ٦٩٨ طبع بيروت ، ١ / ١٣٩ طبع مصر ، ٢ / ٧٢٦ طبع دار المعارف « تعظم العظماء منه » وفى طبعة المعارف « يعظم » .

(٢) ديوانه ٢ / ٧٢٦ « بالمكروه شزراً » .

(٣) ديوانه ١ / ٦١ طبع بيروت ، ٢ / ١٦٥ طبع مصر ، ٣ / ١٦١٩ - ١٦٢٠ طبع المعارف م « تزاوُل » وهو تحريف .

(٤) م فى الديوان « إذا نكسوا » .

(٥) م « فيظهر » وهو تحريف .

# فهرس الموضوعات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة



| | | |
|---|---|---|
| رقم الإيداع | | ١٩٨٢/٢٩٨٥ |
| الترقيم الدولي | ٩٧٧-٠٢-٠٠٦٤-٦ | ISBN |

١/٨٢/١٠٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

# الموازنة

## بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي

ت ٣٧٠

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد الله حمد محارب

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

# الموازنة

## بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي
ت ٣٧٠

دراسة وتحقيق
الدكتور عبد الله حمد محارب

الجزء الثالث — القسم الأول

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى بمكتبة الخانجى

**الطبعة الأولـى**

**١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م**



رقم الإيداع : ٣٥٧٦ / ١٩٩٠

I.S.B.N. 977-00-0064-7

مطبعة المدنى
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٧٨٥١

قُدم هذا البحث إلى كلية دار العلوم .. جامعة القاهرة سنة ١٩٨٧ ، ونال المحقق عليه درجة الدكتوراه فى الآداب مع مرتبة الشرف الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى ينابيع الخير الثلاثة التى أترعت ورعا وتقى وحنانا وحبا

إلى والدى فضيلة الشيخ حمد محارب – رحمه الله تعالى – المحب لكتاب الله وسنة نبيه ( ﷺ ) ولآداب اللغة العربية حبا أعدانى فهمت بهذا الأدب عشقا .

إلى والدتى الرؤوم التى ظلت تَضُمُّنَا تحت جَناحَىْ المودَّةِ والرَّحْمَةِ حفظها الله ورعاها .

أما ثالثُ هذه الينابيع فقصيدة الحب وقيثارة الحنان زوجتى ، أنكرت ذاتها ، وصدت عن ملاهى الحياة ومُتَعِهَا ، وتحملت الصعاب مع أبنائى ، ودفعتنى بكل التشجيع لأبلغ غاية آمالى

فجزى الله الثلاثة عنى خير الجزاء ، إنه سميع مجيب .

* * *

## فهرس المحتويات

## القسم الأول

# أولاً: الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على المصطفى وبعد :

فقد استقرَّ فى يقين كثير من النَّقدةِ المحدثين أنَّ كتابَ الموازنة يُعَدُّ وثبةً علمية وفنية كبرى فى تاريخ النقد الأدبى العربى ، وعلى الرغم من الانتقادات التى وجهها بعضهم إليه ، فإن أحدا منهم لم ينكر قيمة هذه المحاولة النقدية من الآمدى ، ولهذا فقد احتفل به النقاد والأدباء عندما طبع أول مرّة فى مطبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م ، ثم توالت طبعاته وكان آخرها طبعة دار المعارف ١٩٦٠ م بتحقيق شيخنا السيد أحمد صقر ، وهى أصحها وأضبطها وفيها زيادة حسنة تنتهى بالجزء الثانى ، ووعد فى مقدمته بإخراج الجزء الثالث .

وقد التقيت بهذا الكتاب مرتين ، أهمهما كان اللقاء الثانى ، وذلك أثناء قيامى بالاعداد لرسالة الماجستير ، وكان لقاء طويلا تمكنت خلاله من التعرف على الكتاب وكاتبه ، وكان دراسة متأنية فيها شىء غير قليل من الإعجاب ، تتردد بين فيناتها أصداء لقائى الأول بالكتاب ، فتعيدنى إلى عبارات استاذى المرحوم الدكتور محمد طاهر درويش فى عرضه له ، عندما كنت طالبا فى كلية دار العلوم فى الفترة من ٦٥ - ١٩٦٩ ، وكان هذا الدرس - كغيره من الدروس الجامعية - مرحلة إعداد أوّلىّ للطالب ينطلق بعدها إلى التخصص الدقيق ، غير أنّ طريقة أستاذنا فى توصيل المادة

العلمية تجعلك تشعر بأن عباراته قد تسللت إلى شغاف قلبك قبل عقلك ، وسيطرت على مشاعرك لتبقى دهرا طويلا تؤثر بشكل عميق فى السلوك الذهنى تجاه أى موضوع علمى يتصل بتلك المادة بسبب ، ومن ذلك اللقاء العابر جاءت هذه الأصداء ، ومن تلك الدراسة كانت هذه الصور التى تسطع فى الذهن كلما نظرت فى الكتاب .

وأثناء دراستى حول نقد الآمدى لشعر أبى تمّام شاء الله أن أعثر على نسخة فيها جزء لم يطبع من كتاب الموازنة ، وبعد قراءتى الأولى لها وجدت أنها أشلاء مبعثرة من الكتاب لفقت وضمت فصارت خلقة شوهاء ، صفحاتها متداخلة تداخلا شديدا ، وقد اتصلت بجزء من كتاب آخر هو « الوساطة » للقاضى الجرجانى .

ومنذ أن وعدنا شيخنا السيد صقر فى مقدمة الطبعة الأولى « سنة ١٩٦٠ » بإخراج الجزء الثالث ونحن فى شوق ولهفة إلى البقية الباقية من هذا السفر الجليل ، وقد مرّت السنون ، ويئس الكثيرون أو كادوا ، وبعد أن قيض الله لى الفوز بتلك النسخة هزتنى الرغبة لإكمال هذا العمل هزا شديدا ، لا جرأة على الشيخ أو تطفلا على عمله – كيف وأنا أدين بأستاذيته وتعظيمه ؟ – بل خدمة للكتاب وللبحث العلمى ، غير أننى كنت هيابا مترددا من ولوج الميدان ، وأنا الفقير فى فنه ، فالتحقيق – كما كنت أقرأ – صعب المسالك وعر الدروب ، إلى أن استعنت بالله عز وجل فأعاننى على تجاوز ترددى ، ونفث فى نفسى نفحات من شجاعة الإقدام والثقة بالنفس .

غير أن وعورة الدرب التى كنت أسمع عنها ، كانت أعظم مما وقع فى مخيلتى ، ولم تكن الثقة بالنفس كافيه لقهر الصعاب الجمة التى واجهتنى ، وربما كان أشدها وقعا على ، وأعظمها مقاساة وألما تلك التى تعكس ضيق الحيلة وقلة الخبرة ، ويضاعف تلك الألام صدودى النفسى وازوراري عن المطالعة الجادة للتراث ، وشعرت أننى سأفشل لا محالة ، لو أتحت لمثل هذه المعاناة أن تكسر فِيَّ صلابةَ التحدى فتهزمنى وتردنى خائبًا .

ومن المفيد أن أتحدث هنا عن أمرى هذا وما آل إليه حالى ، إذ إن الاستهانة بالتراث صار صرعة العصر ، فلا تكاد تجد بين ظهرانينا هذه الأيام من يعطى دراسة أدبنا العربى الاهتمام الواجب والعناية التامة ، ولهذا فإننى أظن أن حديثى سيكون معبرا عن حال عدد كبير من الباحثين المحدثين العرب ، فقد يكون فيه ما يهز أعماق بعضهم فيستيقظون من غفوتهم ، وينفضون عن ضمائرهم وعقولهم غبار جحود وجهل كرسته فى عقولهم تلك المناهج التى ظلموا بها أمتهم وتاريخها .

عندما بدأت رحلة دراسة هذا الكتاب ، وتحقيقه كنت قد نضوت عن نفسى عبء بحث الماجستير حول أبى تمام وناقديه قديما وحديثا ، وكانت تلك الدراسة معتمدة على جملة من المصادر القديمة والحديثة معا ، أما القديمة منها فمحدودة جدا ، إذ إن الجانب الأعظم من البحث كان يتكىء على الدراسات النقدية الحديثة .

وكان هذا يوافق شيئا من توجه دراسى التزمت به ، بعد أن صرت أسير حالة تزييف العقل العربى التى سقطنا فيها جميعا ، وهى إحدى شراك التغريب الذى وصل مداه هذه الأيام ، ولولا فضل الله ومَنِّهِ لكنت واحدا من أسنان هذه الألة المدمرة ، التى استعملت من بعض بنى هذه الأمة ضروسا تطحن وتمزق بها أهم وأعظم مقومات وجودنا ، لغتنا ودينينا ، إذ إن تلك الرؤى والأوهام صورت لنا أن مبادىء البحث فى ميدان الأدب تبدأ من الاطلاع على الأداب العالمية ، والتعمق فى دراسة الشعر والنقد الغربيين ، بمقولة أن هؤلاء قد تناهوا إلى قمم الإبداع فى أدبهم وفنهم ، وأن مناهجهم النقدية بمختلف أنواعها ومدارسها – على سخف بعضها وغثاثته – هى الغاية والمثل الأعلى الذى يجب أن نقيس عليه أدبنا العربى قديمه وحديثه ، فإن كان فيه بعض سمات تلك المناهج قبلنا مهتزة أعطافنا نشوة وطربا ، وإلّا اطرحناه ونبذناه .

وبهذا الفهم المزيف الردىء غَضَضْتُ النظر عن التعمق فى دراسة التراث إلا ذلك الذى يتصل بسبب مباشر بموضوع دراستى ، مكتفيا بالدراسات الحديثة عنه والتى تتزاحم على رفوف المكتبات ودور النشر ، وقد تلفت حولى فوجدت أن

هذا هو ديدن الكثرة الغالبة من الزملاء الدارسين ، إذ وقع فى وعينا أن ما قالته تلك الدراسات هو الكلمة الأخيرة فى التراث ، وأنها خلاصة فكر وزبدة علم مُخِضَ مَخْضَ البخيلة .

وأما علمنا ودرايتنا بتراثنا الأدبى المستمدة من مصادره الأصلية فهو حَسْوُ طائر ، لا يعدو حفظ بعض الحكم ، وأسماء مجموعة من الشعراء ، ومعرفة هزيلة بسمات العصور الأدبية ، وكل ذلك درسناه بالواسطة ، أى عن طريق تلك الأبحاث الحديثة .

كما أن الرجوع إلى المصادر الأدبية الأولى والأصيلة لم يكن ضروريا فى رأينا ، وهذا الظن والاعتقاد كان وليد شعور لا نستطيع أن نصرح به ، غير أن سلوكنا البحثى يَنُمُّ عنه ، وإذا اتُّهِمْنا به فإننا نستميت فى إنكاره ، فهو سمةُ عَجْزٍ ووصمةُ عارٍ ، نعرفه يقينا ، ولكننا نضرب الذكر عنه صفحا كِبْراً وَجَهْلا .

وقد استمرأنا هذا الإنكار ، ساترين به عِلَلَنا التى لن نبرأ منها إلا إذا اعترفنا بها وواجهنا أنفسنا بحقيقة ضعفنا ، لنعالج مواضع القصور فَنَنْهَضَ من عثراتنا ، منطلقين إلى الطريق السوى الصحيح لإعادة وعينا الوطنى المستمد من أصولنا الثقافية الصحيحة .

لقد كنا فى كل التمرينات التى مارسناها فى مرحلة بناء تفكيرنا العلمى نأخذ عفو الأشياء دون الاهتمام بتفاصيلها ، نتحدث عن قضايا عامة ، ونناقش نظريات إنسانية وأدبية معادلها الموضوعى واسع الدائرة ، ولهذا فقد كنا نشعر بالضجر والضيق ، إذا دفعنا لمطالعة كتب التراث ، إذ إن فهمه وقراءاته على الصحة تقتضى منا دقة وصبرا وجلدا وحفظا ونظرا فاحصا ، مما لم نألفه ولا نستطيعه ، ولأن الإنسان عدو ماجهل ، صرنا – شيئا فشيئا – نتحول إلى الهجوم على تراثنا العظيم واصفينه بالجمود والتحجر ، والمستشرقون وأعوانهم من أبناء جلدتنا يهللون ويصفقون .

ولك أيها القارىء أن تتصور حالة أحدهم عندما يحاصر بامتحان حقيقى ، يكشف عن تلك القدرة العلمية المدعاة ، ليضعه أمام مرآة صادقة تنقل له صورته ،

فإذا هى قبيحة حقيرة عاجزة ، وهل هناك امتحان أصعب على مثل هؤلاء من دراسة التراث وتحقيقه ؟ .

وهكذا كان هذا الكتاب ابتلاء وتمرينا قاسيا لى ، عانيت فى سبيله مشقات جساما ، كان أولها وأشقها التحول النفسى والعاطفى ثم العلمى من معاداة التراث إلى حبه والاقبال عليه ، إذ بدون هذا الاستعداد ستأتى التجارب البحثية فى هذا المضمار خِلَقاً مشوهة ضعيفة - وهذا جُلُّ ما بين أيدينا هذه الأيام من تلك الدراسات - وكانت أول الخطى فى هذا الحب الانتباه إلى خديعة دعاة التغريب ومن والاهم ، وبدأت الأمور تتضح واحدا بعد الآخر ، وظهرت مواقف متناسقة مدروسة مترابطة ، تدور فى محيط دائرة واحدة مركزها هدف تاريخى لأعداء هذه الأمة ، وقد جاهدوا منذ قرون طويله للقضاء عليها ، وبدأوا يرون طريقهم عبر تحطيم ذلك البناء الأشم لمجد هذه الأمة التليد ، وصولا إلى إضعاف لغتها فدينها ، وهو غاية المراد ، ومنتهى الأمانى التى ظل الغرب المسيحى يحلم بها قرونا طوالا ، واستطاع فى النهاية أن يجند من بين بعض أبنائنا الذين تلقوا العلم فى مدارسه ومجتمعاته ، طابورا قد نزعت أدمغته ذات الهوية العربية المسلمة ، وزرعت مكانها مفاهيم جديدة ، ومسلمات ظاهرها السلام والرقى والتقدم والحضارة وباطنها الهلاك والدمار ، لاجتثاث الأمة العربية المسلمة من جذورها وإلقائها فى مزبلة التاريخ ، فهو الموضع الذى قدمت منه جحافل هذا الغرب .

وقد رد الدكتور / نجيب البهبيتى أصول هذا الطابور إلى موجات الغزو الأجنبى لبلادنا بدءا من الفُرس ثم الرومان فاليونان فالصليبيين « فجميع هذه الموجات خَلَّفَتْ بعد إجلائها رواسب أندرجت من حيث النسب فى مجتمعاتنا ، ولكنها لم تذب فيها ذوبانا تاما ، فتلكأت دماؤها فى عروقها .... وإنك لتلمح فى وجوه بعضهم ملامح بعض حمَّالى نابولى وكورنثة » .

غير أن واقع حاملى اللعنة هؤلاء لا يقتصر على ذلك الانتماء ، وإنما سحب رداءَهُ على بعض أبناء هذه الأمة الأقحاح الذين واجهوا تلألؤ مصابيح الحضارة الغربية وأنوارها المبهرة ، بعقول فارغة ، وبمحصول ثقافى ضحل ، فانكسروا وتضعضعوا ،

وأنحنوا إجلالا لهذا الإبهار الذى سلطته عليهم وسائل التقدم الغربى ، فصاروا يُسَبِّحون بحمده ويلهجون بالثناء عليه ، وسلموا عقولهم وإيمانهم لهذا الشيطان فحقَّق فيهم لعنته لكى يحملوها إلى بلادهم ، لينضموا إلى ذلك الحزب الذى تحدث عنه الدكتور/ نجيب البهبيتى ، والذين « يطيرون إلى اعتناق الأجنبى عند أول إطلاله منه عليهم ، يتخذون من مذهبه السياسى لهم مذهبا ، ولو كان يطلب من ورائه بناء امبراطورية لا تقوم إلا على أنقاض شعوبهم » (١) وهؤلاء هم أحفاد الذين بَشَّربهم نابليون بعد عودته إلى فرنسا مخذولا فى رسالته إلى كليبر عندما كتب إليه قائلا :

« اجتهد فى جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخصا من المماليك ، حتى متى لاحت السفن الفرنسية تقبض عليهم فى القاهرة أو الأرياف وتسفرهم إلى فرنسا ، وإذا لم تجد عددا كافيا من المماليك ، فاستعض عنهم برهائن من العرب ومشايخ البلدان ، فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يحجزون مدة سنة أو سنتين ، يشاهدون فى أثنائها عظمة الأمة ( الفرنسية ) ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا ، ولما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب يُضَمُّ إليه غيرهم » (٢) .

والحديث عن تلك المؤامرات يطول ويتشعب ، وقد هز الأستاذ/ محمود شاكر – مَتَّعَه الله بالصحة والعافية – قناته فى هذا الميدان فأسقط كل الزيف وكشف عن خبايا تلك المؤامرات الدنيئة ، بدراسته القيمة حول مؤامرات الغرب المسيحى وطابوره من المستشرقين فى تصفيد هذه الأمة ، ومحاصرتها بقيود ظاهرها مواكبة ركب الحضارة الغربى ، وباطنها تقليم أظافر أبنائها وتدجينهم (٣) .

وبدأ نتن رائحة تلك الإدعاءات المريضة تزكم الأنوف ، فإذا بها رجع مِعَدٍ عليلة ، وصار وضوح تلك المؤامرات أمام ناظرى يؤجج فىَّ الرغبة فى دراسة

---

(١) تاريخ الشعر العربى د. نجيب البهبيتى – الطبعة المغربية ، المقدمة ص ١٣ .

(٢) « رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا » للأستاذ / محمود شاكر ص ١٦٢ .

(٣) فى دراسته القيمة « رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا » الملحقة بكتابه الخالد « المتنبى » طبعة سنة ١٩٨٧ ، وقد صدرت منفصلة فى سلسلة كتاب « الهلال » عدد ٤٤٢ أكتوبر سنة ١٩٨٧ .

تراثنا ، والعكوف على فحص ما يمكن أن تصل إليه يدى ، التى بدأت بعد لأيٍ تلامس جفاناً عظيمة القدر زكية الرائحة ، مطمورة تحت طبقات كثيفة من الكذب والنفاق والظلم ، حجبتها عن عينى ردحا من الزمن ، وجعلتنى – مع أولئك الزملاء – نرى تراثنا خيوطا متشابكة ، لا نعرف أولها من آخرها ، ظلمات بعضها فوق بعض ، وكان لابد من اتقان آلات البحث لتحصيل مفاتيح تلك الكنوز .

ونهضت لاستدراك مافات وتصحيح المسار بمراجعة وضبط الأفكار ، ومحاولة الالتزام بالدقة والتجويد والأناة والموضوعية .

أما تلك الأصداء والصور الوامضة بين ثنايا الفكر وترددات البحث [1] فقد زادت فِيَّ اللهفة والشوق للمضى فى هذه الدراسة ، بالتنقيب والبحث عما تبقى من كتاب الموازنة ، فقد كانت تلك الأصداء مزيجا محببا من الإعجاب بالمؤلف والكتاب ، وصورا مستدعاة لحال الصراع الأدبى فى ذلك العصر ، فالقارىء لأدبيات تلك العصور لا يسعه إلا أن يهتز طربا وفخرا واعتزازا بذلك الرقى الحضارى والازدهار الثقافى الذى حققه أجداده الأقدمون ، والذى لم تزل أصداؤه تتردد فى جنبات الثقافات العالمية حتى يومنا هذا ، فلم تعرف البشرية ثقافةً شغلت العالم وعلماءَهُ وبهرتهم ، واستجلبت أكثر طاقاتهم البحثية ، كالثقافة العربية الإسلامية ، والصراع الأدبى فى ذلك العصر أحد الجوانب الكثيرة المضيئة لهذه الثقافة ، ونمو مثل ذلك الصراع بين الأدباء والنقاد إشارة بينة إلى عمق الوعى الأدبى ، وتأصل النشاط الفكرى ، وقد بقيت هذه النتف اليسيرة التى وصلتنا من مؤلفاتهم تعكس لنا تلك الروح العلمية التى سادت طرائق البحث فى ذلك العصر .

وكتاب الموازنة يصور بوضوح شديد ذلك النشاط الذهنى الخلاق الذى ما فتىء يضخ فى التقاليد الشعرية كثيرا من رسومه التى اعتمدها النقاد علامات على الطريق ، وهوادى ومقاييس للوصول إلى الصورة الشعرية الجميلة ، أو التى يرونها كذلك بمقاييسهم ووفقا لأمزجتهم التى كونتها بيئتهم الخاصة ، وعلى الرغم من بعض الآراء النقدية التى نزعت إلى التقليل من أهمية محاولة الآمدى مستخدمة – بكل

---

(١) انظر ما سبق ص ١٠ – الفقره الأولى .

الاجتراء الظالم – المقاييس الحديثة ، التى مازالت محل خلاف بين المحدثين أنفسهم ، فقاسوا بها أدبيات تلك العصور ، أقول على الرغم من هذا تظل دراسة الآمدى هذه عملا نقديا رائدا ، يستحق كل الثناء والإطراء ، كما يستحق أن يبذل فيه الباحث الجهد الوافى ليخرج للناس على أفضل صورة ممكنة .

كل تلك الصور والأفكار والهموم كانت من بين بعض دوافعى إلى الحرص الشديد على شدة البحث والتقصى للوصول إلى نسخة قد تجبر نقص نسخة كمبردج – على نفاستها – ، فاتصلت بأكثر مكتبات المخطوطات فى العالم ، وبدأت النسخ المصورة لمخطوطات كتاب الموازنة تصل ، ولكنها لم تخرج كلها عن كونها نسخا مكرورة من الجزء الأول من الكتاب ، وكلما سمعت عن نسخة للكتاب فى مكان ما كان الأمل يملأ قلبى بأنها قد تكون هى الضالة ، ولكن دون جدوى ، حتى بدأ اخضرار الأمل يبهت فى نفسى ، وكاد يصفر ليصبح هشيما تذروه الرياح لولا عناية الله وتوفيقه ، فقد سمعت عن نسخة فى تونس ، فأرسلت أطلب مصورة منها ، والراسخ فى ذهنى أن حالها لن يكون أحسن من حال النسخ الأخرى ، ولكن القراءة الأولى لها أكدت أنها نسخة ثمينة جدا ، وفريدة وهدية ربانية جليلة ، فقد وجدت أنها تكاد تسد الفجوة بين المطبوع وبداية نسخة كمبردج ، فهى تبدأ ببقية باب وصف الهيبة الذى انتهى إليه المطبوع ، وتلتقى مع بداية نسخة كمبردج ببقية باب الجود والكرم وتستمر معها إلى نهاية هذا الباب ، حيث تنتهى النسخة التونسية وتواصل نسخة كمبردج مسيرتها منفردة إلى نهاية الكتاب ، وكنت فى قمة سعادتى ، وصرت أقرؤها فى لهفة وشوق شديدين ، وشغلت بهذه العروس التونسية عن أهلى وعن كل من حولى ، فقد استوى الجزء الثالث بهذه النسخة سفرا متكامل البناء صحيح التكوين ، شد إلى الجزئين المطبوعين بلحمة واحدة ، فصارت الأجزاء الثلاثة مراحل طريق واحد ، وأعضاء جسد صار بها قريبًا من التمام .

وقد كان إعادة ترتيب صفحات نسخة « كمبردج » عملا شاقا مضنيا ولولا النسخة التونسية لما توصلت إلى البداية الصحيحة لتلك النسخة ، فقد كانت صفحاتها متداخلة تداخلا شديدا كما سبق أن ذكرت .

ولا يفوتنى هنا أن أذكر أن الشيخ صقر فى مقدمة الجزء الأول قد سرد بعض أبواب الجزء الثالث الذى وعد بإخراجه ، إختصت ببعضه نسخة تونس ، وورد البعض الآخر فى نسخة كمبردج ، وقد يوحى هذا بأن النسخة التونسية قد تكون من بين النسخ التى كان سيعتمد عليها الشيخ صقر فى تحقيقه للجزء الثالث ، غير أن المقارنة بين نهاية الجزء الثانى المطبوع وبداية النسخة التونسية تلقى ظلالا قوية من الشك على هذا الإيحاء ، إذ إن اللوحة الأولى من تلك النسخة كانت تكملة لفصل « وصف الهيبة » الذى انتهى عنده القسم المطبوع ، فلو كان قد اطلع عليها لما تردد فى إكمال الفصل لينهى الجزء الثانى عنده على الأقل ، وإن كان من الأفضل أن ينتهى عند نهاية باب المدح « وهو ما اختصت به نسخة تونس دون صاحبتها » ، لا أن يجتزىء بعض فصل ليقف عنده ، والموضع الذى وقف عنده الجزء الثانى ، هو الموضع الذى انتهت إليه نسخة الموازنة التى اعتمد عليها الشيخ صقر فى تحقيقه ، وهى نسخة دار الكتب « التيمورية » المكتوبة بخط نسخىّ جميل للغاية ، وهى نسخته الوحيدة الخطية الموجودة بدار الكتب – كما قال فى المقدمة ، ولهذا فإننى أظن أن الشيخ صقر ربما يكون قد اطلع على نسخة أخرى اشتملت على بعض ما اشتملت عليه النسخة التونسية .

والكتاب بعد هذا جدير بالدراسة المتأنية الواعية ، وقد حاولت أُن أَلِمَّ بطرفٍ منها ، فبدأتها بترجمة للمؤلف حاولت فيها تلمس بعض المراحل المهمة الخاصة بجوانب حياة الآمدى معتمدا على بعض الشواهد التاريخية المقارنة ، ثم تطرقت إلى مناقشة آراء بعض النقاد المحدثين حول زمن تأليف الموازنة . ولعلاقة حياته ودراسته النحوية بمواقفه النقدية من شعرى البحترى وأبى تمّام تحدثت عن مقاييسه فى الموازنة .

وفى الفصل الثانى : ناقشت دواعى الخصومة بين القديم والحديث فى الأدب العربى .

ثم انتقلت للحديث عن الاتجاه الفنى لكل من أبى تمام والبحترى .

وفى الفصل الثالث كان دور الحديث عن رأى النقاد القدماء والمحدثين فى كتاب الآمدى ، وختمت الفصل بالحديث عن منهج الآمدى فى الموازنة .

وفى القسم الثانى كان تحقيق نص الجزء الثالث من الكتاب ، بدأته بالحديث عن منهج التحقيق ، ثم وصفت النسختين المخطوطتين اللتين اعتمدت عليهما فى التحقيق ، ثم صنعت للكتاب بأجزائه الثلاثة فهارس متنوعة لتتم الفائدة به .

وقد بذلت فى بحثى هذا كُلَّ ما فى المكنة ، على قلة زادى وضيق حيلتى ، فإن شابه تقصير – وهو لا شك شائبه – أو شانه قذى أعمانى عنه جهلى وعجزى ، فإننى أعلم علم اليقين أن الكمال لله وحده ، وأرحب بكل نقد ينير أمامى طريق الحق والصواب ، فأنا مازلت فى أوَّل الطريق ، وقد يخفف بعض الوزر فى تلك الهنات ، أن هذا العمل صادرمن قلب صار مترعاً حباً وولعاً بتراث هذه الأمة ، والقيام على خدمته ، أُمتنا هذه التى تقاسى اليوم من هجوم كلاب ضوار نجسة ، تحاول تمزيق روحها بالانقضاض على تراثها ولغتها ودينهاً ، ولكن فألهم سيخيب ، وجمعهم سيتفرق ، بإذن الله ، وستظل شامخة على الدهر ، باقية بقاء دينها وقرآنها ، كما وعد الذى لا يخلف الميعاد سبحانه جلَّ وعلاَ .

ولا يفوتنى أن أزجى الشكر الجزيل للاستاذ الدكتور الطاهر مكى الذى رعى هذا العمل فى بداياته الأكاديمية ، وأثراه بملاحظاته القيمة .

ويشرفنى هنا أن أنوّه بالفضل الذى ما انفكّ يغمر أجيالا من طلاب العلم والباحثين عن كنوز أدب هذه الأمة العريقة ، ومصدر ذلك الفضل رائد وعالم من علمائنا الأفذاذ هو أستاذنا الشيخ المحقق الجليل محمود محمد شاكر ، الذى ما فتىء يرعى طلابه وتلاميذه منذ سنوات طويلة ، فاتحا لهم قلبه وداره ومكتبته ، فصار منزله كعبة يشد إليه طلاب العلم من كافة الأقطار والأصقاع رحالهم ، فيجدون منبعا غزيرا وفيضا متدفقا ، فلا غرو أن يجد الباحث كل هذا لدى الشيخ ، فاستفاد من علمه ومن سعة اطلاعه ، ومن مكتبته الغنية بنفائس المطبوع والمخطوط ، فله منى ومن أبناء جيلى ، وأجيال سبقتنى ممن يهتمون بأدب هذه الأمة ، الشكر الوافى والتقدير الصادق ، الذى لا شك أنه سيغرق فى بحور فضله وإحسانه ، ودعوة إلى الله عز وجل أن يطيل فى عمره ، وأن يمنحه الصحة والعافية ليظل نبراسا ينير الطريق أمام أبنائه طلاب العلم .

والحمد لله بدءًا وختاما ، وصلاة وسلاماً على سيد الخلق النبىِّ الأمى وعلى آله وصحبه .

عبد الله حمد محارب

القاهرة فى { الخامس من رمضان المعظم سنة ١٤٠٩ هـ
العاشر من ابريل سنة ١٩٨٩ م

# أولا : الدراسة

# الفصل الأول

# المؤلف والكتاب

**١ - ترجمة الآمدى :**

هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، وهو آمدى الأصل أما آمد هذه فهى أعظم ديار بكر وأجلُّها قدرا وأشهرها ذكرا كما قال ياقوت ، نزلها جماعة من قضاعة بعد فتحها سنة ٢٠ ، من بنى تزيد بن حلوان بن قضاعة ، وينسب إليها خلق من أهل العلم فى كل فن [١] . هذا عن أصله أما مولده فقد أجمعت كل المصادر أنه ولد بالبصرة ونشأ فيها [٢] .

وتبقى بعد ذلك جوانب حياته ومراحلها يلفها الغموض إلا من بعض ومضات يمكن على هديها أن نطرح بعض الافتراضات حول هذه الجوانب .

وكل المصادر التى ترجمت له لم تذكر تاريخ ميلاده ، أما تاريخ وفاته فقد اختلف فيه ، وترددت أقوال المؤرخين بين ٣٧٠ ، ٣٧١ [٣] .

ومن خلال الأخبار المتفرقة التى تنقلها هذه المصادر نستطيع أن نتبين ثلاث مراحل هامة مرت بها حياته :

---

(١) معجم البلدان : ٥٦/١ .

(٢) معجم الأدباء ٧٥/٨ ، إنباه الرواة ٢٨٥/١ والفهرست ١٨٢ ، بغية الوعاة ٥٠٠/١ ، هدية العارفين ٢٧١ ، إشارة التعيين لعبد الباقى بن على مخطوط دار الكتب تاريخ ١٦١٢ ورقة ١٤ ، طبقات النحويين لابن قاضى شهبة مخطوط « تيمور تاريخ ٢١٤٦ » ورقة ٢٩٨ - ٢٩٩ ، تلخيص ابن مكتوم ، مخطوط تاريخ تيمور ٢٠٦٩ ص ٥٢ ، كشف الظنون ٤٦٢ ، ١٤٤٧ ، ١٦٣٧ ، ١٨٨٩ ، ١٩٢٨ ، والصفدى فى الوافى بالوفيات ٤٠٧/١١ .

(٣) أكثر الأقوال أنها كانت سنة ٣٧٠ وشذ عنها السيوطى وحاجى خليفة ، فقالا إنها كانت سنة ٣٧١ ، وذكر ياقوت التاريخين ، أما الصفدى فقد أضاف أن الوفاة قد تكون قبل سنة ٣٧٠ أو بعدها .

(١) **مرحلة الطلب ثم الكتابة ببغداد** : وهى التى بدأت بالتتلمذ على يد العلماء فى البصرة ثم فى بغداد ، فقد أخذ اللغة والنحو عن أبى موسى الحامض « ت ٣٠٥ » (١) ، وأبى إسحاق الزجاج « ت ٣١١ ، أو ٣١٦ » (٢) ، والأخفش الصغير « ت ٣١٥ ، ٣١٦ » (٣) ، وأبى بكر بن السراج « ت ٣١٦ » (٤) ، وأبى بكر بن دريد « ت ٣٢١ » (٥) ، وإبراهيم بن عرفة المشهور بنِفْطويه « ت ٣٢٣ » (٦) .

وقال ياقوت : « إن مولد أبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى بالبصرة ، وإنه قدم بغداد يحمل عن الأخفش والحامض والزجاج وابن دريد وابن السراج وغيرهم اللغة والنحو ، وروى الأخبار فى آخر عمره بالبصرة ، وكان يكتب بمدينة السلام لأبى جعفر هارون بن محمد الضبى ، خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان ، بحضرة المقتدر بالله ووزارته ، ولغيره من بعده » (٧) .

وتحليل هذا النص يلقى بعض الضوء على بداية هذه الفترة ، وهى مرحلة الطلب ، إذ إن أقدم أساتذته وفاة هو أبو موسى الحامض ، الذى توفى سنة ٣٠٥ ، وهذا يعنى أنه قد أخذ عنه قبل هذا التاريخ ، وأنه ربما انتقل إلى بغداد فى السنوات القليلة التى سبقت وفاته ، ولا ريب أن هذه المرحلة قد استمرت إلى سنة ٣١٣ ، وهى السنة التى سمع فيها كتاب القوافى للمبرد على نِفْطويه كما يذكر ياقوت (٨) ، ثم يذكر الآمدى نفسه فى الموازنة أنه بدأ تلقط محاسن شعر أبى تمام والبحترى سنة ٣١٧ (٩)

---

(١) بغية الوعاة : ١/٥٠٠ ، وإنباه الرواة : ٢/٢١ .

(٢) إنباه الرواة : ١/١٥٩ .

(٣) المصدر السابق : ٢/٢٧٦ .

(٤) المصدر السابق : ٣/١٤٥ .

(٥) المصدر السابق : ٢/٩٢ .

(٦) المصدر السابق : ١/١٧٦ .

(٧) معجم الأدباء : ٨/٧٦ .

(٨) المصدر السابق : ٨/٧٦ .

(٩) الموازنة : ١/٥٥ .

وقد تكون هذه بداية مرحلة جديدة هى التأليف والبحث بعد أن اكتسب المعارف والعلوم التى هيأت له عقلية عملية ناضجة .

ولهذا – ولأنه يكتب خطا حسنا من خطوط الأوائل ، وهو أقرب إلى الصحة ، وكتب الكثير [1] – استطاع أن يتصل بأبى جعفر هارون بن محمد الضبى وأن يكون من كتابه ، أما هارون هذا فكان من ملوك بنى ضبة وكان أسلافه ملوك عمان ، وقال ابن الجوزى : « هارون بن محمد استولى على الفضائل وساد بعمان فى حداثة سنه ، ثم خرج منها فلقى العلماء بمكة والكوفة والبصرة ، ودخل مدينة السلام سنة خمس وثلثمائة ، فعلت منزلته عند السلطان ، وارتفع قدره وانتشرت مكارمه وعطاياه ، وانتابه الشعراء من كل موضع فامتدحوه ... وأنفق أمواله فى بر العلماء والإفضال عليهم ... وفى اقتناء الكتب المنسوبة ، وكان مبرزا فى العلم باللغة والشعر والنحو ، وكانت داره مجمعا لأهل العلم من كل فن إلى أن توفى فى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة » [2] .

فلقاء الآمدى بأبى جعفر هارون الضبى يرجح أنه بعد سنة ٣١٣ ، وهى سنة سماعه على نفطويه ، ولا شك أن الآمدى قد أفاد من هذا الجمع العلمى الممتاز الذى كان يفد إلى دار أبى جعفر .

وبعد ذلك كتب الآمدى – حيث كانت هذه هى مهمته الأصلية – لآخرين لم يحددهم ياقوت ، ولكنه أشار إلى أن الآمدى قد ألف كتاب « تبيين غلط قدامة فى نقد الشعر » لأبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، وهذا يعنى أمرين :

أولهما لقاء الآمدى لابن العميد ، وهذا يفتح باب الافتراض أنه كما ألف له المصنفات كتب له أيضا ، وهذا يفسر عبارة ياقوت أنه كتب « بحضرة المقتدر بالله ووزارته ولغيره من بعده » .

---

(١) إنباه الرواة : ٢٨٧/١ .

(٢) المنتظم لابن الجوزى : ٣٥٦/٦ ، ولم يذكر صاحب تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان « أبى محمد عبد الله السالمى » شيئا عن أحمد بن هلال صاحب عمان ، الذى ذكره ياقوت ، ولا عن هارون بن محمد .

الأمر الثانى أنه فى هذه الفترة كان يؤلف كما كان يكتب ، والراجح أن التأليف كان بعد سنة ٣١٣ وهى سنة سماعه على نفطويه ، وخلال هذه الفترة وفى سنة ٣١٧ بدأ بتلقط محاسن شعر الطائيين كما سبق أن ذكرت .

وأبو الفضل بن العميد كان من أئمة الكتاب ، ولقب بالجاحظ الثانى فى أدبه وترسله ، وكانت وزارته أربعا وعشرين سنة إلى أن توفى سنة ٣٥٩ « أو سنة ٣٦٠ على خلاف » (١) ، فكأنه تقلد الوزارة سنة ٣٢٤ أو سنة ٣٢٥ (٢) ، والغالب أن يكون الآمدى قد ألف هذا الكتاب لابن العميد أثناء توليه الوزارة ، وكأن الآمدى وابن العميد قد التقيا فكريا أيضا ، فإذا كان الوزير أبو الفضل قد لقب بالجاحظ الثانى فى أدبه وترسله ، فإن الآمدى كان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب (٣) ، وتمتد هذه الفترة إلى ما قبل سنة ٣٣٥ حيث نجد الآمدى يروى أنه فى تلك السنة كان فى البصرة يكتب لأبى أحمد طلحة بن المثنى ، إلى أن قتل سنة ٣٣٥ ، وبهذا تنتهى الفترة الأولى من حياته .

(٢) **مرحلة الكتابة ورواية الأدب فى البصرة** : قال ياقوت « وكتب بالبصرة لأبى الحسن أحمد ، وأبى أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى » (٤) ثم نقل عن نشوار المحاضرة للتنوخى قصة يرويها الآمدى نفسه تدور حول نصيحته لأبى أحمد طلحة بن الحسين بن المثنى بالهروب من وجه أبى القاسم البريدى (٥) ، وبمراجعة النشوار وكتاب الفرج بعد الشدة نجد الرواية التالية : « حدثنى أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى – الكاتب المقيم – كان بالبصرة إلى أن مات قال :

---

(١) تُرْجِمَ له فى مواضع كثيرة منها ابن خلكان ١٠٣/٥ ، تجارب الأمم لمسكويه « الذى كان خازنه » « ٢٧٤/٢ » ، تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ٣٥٩ ، ويتيمة الدهر للثعالبى ١٥٥/٣ .

(٢) قال ابن خلكان أنه تقلدها سنة ٣٢٨ .

(٣) إنباه الرواة : ٢٨٨/١ .

(٤) معجم الأدباء : ٨٧/٨ .

(٥) المصدر السابق : ٩٠/٨ .

لما سعى أبو أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى مع جيش أبى القاسم بن أبى عبد الله البريدى فى أن يقبضوا عليه ، ويحبسوه عند أبى أحمد إلى أن يَرِدَ المطيع بالله ، أو جيش له إلى البصرة ، فيملكوها ، ويتسلمون منه أبا القاسم البريدى ، وكانت القصة المشهورة فى ذلك .

فبلغنى ذلك ، فخلوت بأبى أحمد ، **وكنت أكتب له حينئذ** ، وكان لا يحتشمنى فى أموره ، وثنيته عن هذا الرأى ... » (١) .

فالآمدى كان فى البصرة يكتب لأبى أحمد طلحة بن المثنى حتى سنة ٣٣٥ ، عندما أحس البريدى بتدبير طلحة بن المثنى ، فقبض عليه واستصفاه ، ثم قتله بعد أيام فى تلك السنة .

وعلى هذا فالمرحلة الثانية ، وهى عودته إلى البصرة ، قد تكون قبل سنة ٣٣٥ بوقت لا نستطيع تحديده على وجه الدقة ، غير أن مايهم هو أن هذه المرحلة استمرت ، فبعد مقتل أبى أحمد طلحة بن المثنى قال ياقوت إنه كتب « لقاضى البلد أبى جعفر بن عبد الواحد الهاشمى على الوقوف التى تليها القضاة ، وكان يحضر به فى مجلس حكمه ، ثم لأخيه أبى الحسن محمد بن عبد الواحد لمّا وَلِىَ قضاء البصرة » (٢) .

وقال فى موضع آخر « كان قد وَلِىَ القضاء بالبصرة - فى سنة نيف وخمسين وثلاثمائة - رجل لم يكن عندهم بمنزلة من صرف به ، لأنّه وَلِىَ صارفا لأبى الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى ، فقال فيه أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، كاتب القاضيين أبى القاسم جعفر ، وأبى الحسن محمد بن عبد الواحد » (٣) .

فكأن هذه المرحلة قد انتهت بعزل القاضى أبى الحسن محمد بن عبد الواحد ،

---

(١) نشوار المحاضرة ١٤٦/٣ ، الفرج بعد الشدة : ٣١٨/٢ .

(٢) معجم الأدباء : ٨٧/٨ .

(٣) المصدر السابق : ٨١/٨ .

وقال ياقوت « أنها فى سنة نيف وخمسين وثلاثمائة » ، وحددها التنوخى فى نشوار المحاضرة بأنها كانت سنة ٣٥٦ [١] .

(٣) **مرحلة لزوم البيت واعتزال الوظيفة الرسمية** : قال ياقوت « ثم لزم بيته إلى أن مات » [٢] ، وهذه هى الفترة الثالثة التى استمرت من سنة ٣٥٦ حتى وفاته سنة ٣٧٠ أو سنة ٣٧١ ، وظل خلال هذه الفترة يؤلف ويروى حيث انتهت رواية الأدب والأخبار فى البصرة إليه [٣] ، والقارىء لتاريخ تلك الأيام تهوله تلك الأحداث الجسام ، من تصفيات وقتل وتشريد وسرقة ، التى صارت سمة لازمة لذلك العصر ، وكأنى بالآمدى قد لزم البيت مؤثرا السلامة تاركا تلك الحياة السياسية التى لازلنا نشعر بالتقزز ونحن نقرأ أخبار دسائسها ومؤامراتها ، ونهتز للقوى التى كانت تتجاذب الدولة الضعيفة ، قوى داخلية وخارجية ، فنعذر الآمدى فى عزلته هذه .

**علمه ومؤلفاته وتلاميذه :**

اتفقت كل المصادر على سعة علمه وبصره بالشعر والأدب فقال القفطى : « إمام فى الأدب ، وله شعر حسن ، واتساع تام فى علم الشعر ومعانيه رواية ودراية وحفظا ، وصنف كتبا فى ذلك حساناً ... صحب المشايخ والجِلَّةَ ... واتسع فى الآداب وبرّز فيها ، وانتهت رواية الشعر القديم والأخبار فى آخر عمره بالبصرة إليه » [٤]

ولا ريب فثقافته العميقة واضحة فى كتابه الموازنة ، الذى حوى الكثير من الأبيات الشعرية التى استشهد بها والقضايا النقدية التى شرحها ونقدها ، وألف فى بعضها كتبا ككتابه « تبيين غلط قدامة بن جعفر فى نقد الشعر » .

---

(١) نشوار المحاضرة : ٨٠/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٨٧/٨ .
(٣) إنباه الرواة : ٨٥/١ .
(٤) إنباه الرواة : ٢٨٥/١ وما بعدها . وانظر معجم الأدباء : ٧٥/٨ .

أما ثقافته فى النحو فتعكسها تلك المؤلفات النحوية ، ومنها كتاب ( فعلت وأفعلت ) ، قال صاحب كشف الظنون ، - بعد أن عد عدة كتب تحمل نفس العنوان لأبى على القالى ، ولأبى إسحاق الزجاج ولأبى زيد سعيد بن أوس الخزرجى - : « ولحسن بن بشر الامدى المتوفى سنة ٣٧١ احدى وسبعين وثلاثمائة وهو أجوده » (١) .

وقال عنه ياقوت : « غاية لم يصنف مثله » (٢) .

فما ظننا بمن يؤلف كتابا فى النحو يكون أجود من مؤلفات أعلام سبقوه ؟ .

وذكر أيضا فى الموازنة أنه ألف كتابا فى معنى « قد وهل » لخص فيه ما ذكره النحويون وسيبويه فى معناهما (٣) .

غير أن مؤلفاته فى الأدب والرواية كانت هى الغالبة فقد عد له أبو حمدة أربعة وعشرين كتابا ، استخرج بعضها من إحالات الآمدى عليها فى معجم الشعراء (٤) وهى :

(١) كتاب المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء مطبوع - بتحقيق عبد الستار فراج .

(٢) كتاب الموازنة بين الطائيين ( وهو الذى بين أيدينا ) .

(٣) كتاب فى أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما .

(٤) كتاب نثر المنظوم .

(٥) كتاب ما فى عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ .

---

(١) كشف الظنون : ١٤٤٧ .

(٢) معجم الأدباء : ٨٦/٨ .

(٣) الموازنة : ٢١٥/١ .

(٤) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة : ص ٣١ .

(٦) كتاب فرق ما بين الخاص والمشترك .

(٧) كتاب تفضيل شعر امرىء القيس على الجاهليين .

(٨) كتاب معانى شعر البحترى .

(٩) كتاب الرد على ابن عمار فيما خَطَّأَ فيه أبا تمام .

(١٠) كتاب شدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف نفسه .

(١١) كتاب فعلت وأفعلت فى النحو .

(١٢) كتاب الحروف من الأصول والأضداد .

(١٣) كتاب ديوان شعره نحو مائة ورقة .

(١٤) كتاب الأبيات المفردة .

(١٥) كتاب معانى شعر أبى تمام ، نقل عنه ابن المستوفى فى النظام ، ولم يرد له ذكر فى الجزئين المطبوعين ، وقد نص عليه الآمدى فى الجزء الثالث فى عدة مواضع .

(١٦) معجم الشعراء .

(١٧) كتاب شرح حماسة أبى تمام .

(١٨) شرح ديوان المسيب بن علس .

(١٩) ديوان الأعشى الكبير .

(٢٠) كتاب الشعراء المشهورين .

(٢١) كتاب الآمالى .

(٢٢) كتاب الرباب .

(٢٣) كتاب أشعار بنى يربوع .

(٢٤) كتاب تبيين غلط قدامة بن جعفر فى نقد الشعر .

(٢٥) كتاب فى معنى « قد وهل » لم يذكره أبو حمدة ، متابعا د. مندور الذى جعله جزءا من كتاب الموازنة [1] ، بينما نص الآمدى فى الموازنة يدل بوضوح

---

(١) النقد المنهجى ض ١٥٥ .

على أنه جزء منفرد قال : « وقد استقصيت القول فى هذا الباب وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره فى معنى « قد وهل » ولخصته فى « **جزء منفرد** » [1] .

ولا بد أن يكون هذا العلم العريض وهذه الثقافة الواسعة موئلا لطلاب العلم ، وموردا يتكالبون على حياضه ، غير أن المصادر لم تذكر من هؤلاء إلا ثلاثة هم : أبو الحسين على بن دينار الكاتب ترجم له ياقوت ، وقال إنه كان شاعرا مجيدا ، شارك المتنبى فى أكثر ممدوحيه ولد سنة ٣٢٣ وتوفى سنة ٤٠٩ [2] ، وعبد الصمد بن حنيش قال ياقوت : « وجدت كتاب القوافى بخط أبى منصور الجواليقى ذكر فى إسنادِهِ أن عبد الصمد بن حنيش النحوى قرأه على أبى القاسم الآمدى » [3] ، والثالث هو أبو على عبد الكريم بن الحسن بن الحسين بن حكيم السكرى النحوى ، أشار إليه الخطيب التبريزى فى إسناده لرواية شعر أبى تمام فى شرحه [4] ، وقد نقل هذا الإسناد ابن المستوفى فى صدر كتابه « النظام شرحى المتنبى وأبى تمام » الذى لا يزال مخطوطا [5] .

## زمن تأليف الموازنة :

قال د . مندور « الذى لا شك فيه أن الآمدى لم يكتب كتابه أيام عنف الخصومة بين أنصار أبى تمام والبحترى ، وذلك لأن أبا تمام توفى ٢٣١ ، والبحترى سنة ٢٨٤ ... أما الآمدى توفى سنة ٣٧١ فقد جاء بعد أن كان الزمان قد هدّأ من حدة الخصومة ، وكان الأدباء قد أخذوا الاقتتال حول رجل آخر هو المتنبى » [6] .

---

(١) الموازنة : ٢١٥/١ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٤٥/١٤ .

(٣) المصدر السابق : ٧٧/٨ . وبغية الوعاة : ٩٦/٢ .

(٤) شرح التبريزى : ٣/١ .

(٥) النظام دار الكتب ١٦٤٠ ز لوحة ٢ .

(٦) النقد المنهجى : ص ٩٨ .

والتقط أبو حمدة هذا الرأى وراح يحاول استخراج الأدلة على أن زمن تأليف الموازنة كان بعد تراخى الخصومة حول شعر أبى تمام [١] ولكن لو فحصنا أدلة د. مندور ، والأدلة التى استخرجها أبو حمدة لعلمنا أنها لا تعزز هذا الأفتراض ، بل قد تضعفه ، وأدلتهما هى :

١ – وفاة أبى تمام سنة ٢٣١ ، ووفاة البحترى سنة ٢٨٤ ، وليس فى هذا ما يدل على أن الخصومة قد تراخت أثناء تأليف الموازنة .

٢ – ظهور المتنبى وانشغال الناس بالخصومة حوله ، والمعروف أن نجم المتنبى بدأ فى الظهور بعد سنة ٣٣٧ ، وهو تاريخ اتصاله بسيف الدولة وتوفى سنة ٣٥٤ [٢] ، فلم تهيأ له الشهرة التى تصل به إلى الاختصام حول شعره قبل ذلك التاريخ ، ولو افترضنا أن هناك خصومة انعقدت حوله فإن هذا لا يعنى هدوء الخصومة حول شعر أبى تمام .

٣ – بداية دراسة الآمدى لشعر أبى تمام والبحترى كانت سنة ٣١٧ كما ذكر هو فى الموازنة [٣] ، وهذا أيضا لا يقوم دليلا على هدوء الخصومة حول شعر أبى تمام .

والباحث يرى أن تأجج نار الخصومة وتوقد جمرها استمر إلى الفترة التى تلت تأليف الآمدى للموازنة ، أى أنه ألفها فى أوارها للأسباب التالية :

عرض الآمدى لأقوال الخصوم فى الموازنة يدل على أنه ألفها بعد اطلاعه على كتاب أخبار أبى تمام للصولى ، لأنّه ألمّ فى هذا الفصل ببعض حجج أنصار أبى تمام التى نثرها الصولى فى كتابه ، بالإضافة إلى أن الآمدى قد دافع عن قول أبى تمام :

لا تسقنى ماء الملام فإننى صب قد استعذبت ماء بكائى

بدفاع يكاد يتفق مع دفاع الصولى عن البيت فى كتابه « أخبار أبى تمام » [٤] ، فتأليف الموازنة جاء بعد ظهور كتاب أخبار أبى تمام ، وكتاب الصولى هذا يشير فيه إلى أنه ألفه أثناء عنف الخصومة حول شعر أبى تمام [٥] .

---

(١) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة : ص ٨٠ .
(٢) وفيات الأعيان : ١٢٠/١ .
(٣) الموازنة : ٥٢/١ .
(٤) الموازنة : ٢٧٧/٢ ، أخبار أبى تمام ٣٣ .
(٥) أخبار أبى تمام : ص ٢ وما بعدها .

وقد ذكر الصولى أنه ألفه أثناء معاناته من « جور الزمان ، وجفاء السلطان ، وتغيّر الأخوان » (١) ، وهذه الفترة نجدها مبسوطة فى كتابه « أخبار الراضى بالله والمتقى لله » ، وذلك بعد أن تولى المتقى لله الخلافة وكان لا يريد جليسا (٣) ، وكان ذلك سنة ٣٢٩ ، وفى هذه السنة فى شهر رمضان نهبت دار الصولى خطأً ويقول : « فوالله ما اكتسيت ولا عيالى إلى وقتنا هذا ، وإنى لفقير مذ ذاك لارزق لى ، ولا اتصال بمن يصلنى وينفعنى ، أتقوت أثمان دفاترى وثمن بستان لى ، كان عيشى وجنتى » (٣) ، ثم نهب بستانه فى سنة ٣٣٠ (٤) ، وفى هذه السنة تغيّر الوزير أبو عبد الله البريدى عليه أيضا (٥) ، فتأليف هذا الكتاب فى الفترة من سنة ٣٢٩ إلى سنة ٣٣٥ وهى سنة وفاته بالبصرة طريداً ، وقيل توفى سنة ٣٣٦ (٦) .

فالخصومة مستمرة حتى بعد وفاة الصولى ، وبسط أقوال الخصوم والأنصار فى مقدمة الموازنة يدل على تردد هذه الأقوال على ألسنة الذين عاصروا الآمدى من الأدباء وغيرهم ، كما أننا لا نستطيع أن نجزم بشيء حول الزمن الذى ألفت فيه الموازنة بعد ذلك ، أكان هذا أثناء حياة الصولى وهى الفترة التى ألف فيها كتابه أخبار أبى تمام « سنة ٣٢٩ – ٣٣٦ » أم بعد وفاته ؟ أى بعد تلك الفترة ، وإشارة الآمدى إلى الصولى فى الموازنة تدل على ازدرائه له وتهكمه على خزانة كتبه ، يقول الآمدى فى معرض تردده حول رواية بيت لأبى تمام « حتى رجعت إلى النسخ العتيقة التى لم تقع فى يد الصولى وأضرابه » (٧) ، وألمح إليه فى موضع آخر وإلى خزانة كتبه ساخرا : فقال : « وبعد ، لم لا تصدق نفسك أيها المدعى ، وتعرفنا من أين طرأ عليك العلم

---

(١) المصدر السابق ص ٥ .
(٢) الأوراق : « أخبار الراضى والمتقى » ص ١٩٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٢١١ .
(٤) المصدر السابق ص ٢١٦ .
(٥) المصدر السابق ص ٢١٥ .
(٦) انظر المنتظم : ٣٦٠/٦ ، تاريخ بغداد ٣ ، ٤٢٧ ، معجم الأدباء : ١٠٩/١٩ .
(٧) الموازنة : ٢١٦/١ .

بالشعر ؟ أمن أجل أن عندك خزانة كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء ، وأنك ربما قلبت ذلك وتصفحته أو حفظت القصيدة والخمسين منه » (١)

وهذه الخزانة هى التى يروى أبو بكر بن شاذان أنه رآها فى بيت الصولى ، وهى مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان ، وقد أنشد العقيلى أبو سعيد لنفسه أبياتا فى الصولى ذكر فيها خزانته هذه (٢)

ولا أستطيع أن أؤيد ما ذهب إليه أبو حمدة من الاستدلال بهذين النصين على أن الآمدى ألف الموازنة بعد وفاة الصولى وقال : « فإنى استبعد أن يذكر الصولى فى معرض الذم والتجريح – وهو بعد حىّ – لاسيما أن الصولى كان فى آخر عمره بالبصرة » (٣)

كل ما نستطيع قوله أن الآمدى ألف الموازنة بعد ظهور كتاب أخبار أبى تمام ، والموازنة كتاب ضخم فيه من العلم الغزير ما يدل على نضج واتساع الثقافة العقلية التى أبدعته ، ولا يستبعد أن يكون قد استغرق تأليفه سنوات عدة ، ربما كان من بداياته ذلك الاهتمامُ من الآمدى بتلقط شعر الطائيين سنة ٣١٧ .

فمن المرجح أن تأليف الموازنة كان إبّان اشتداد الخصومة حول شعر الطائيين التى استمرت سنوات طويلة ، إذ ينقل الحاتمى فى حلية المحاضرة قصة عن اجتماعه بشيخ من أهل البصرة متعصب للبحترى ، وكيف دافع عن أبى تمام (٤) ورد معانى البحترى إلى أبيات أبى تمام ، وإن كنا لا نعرف تاريخ هذه المناظرة ، إلا أنها يجب أن تكون فى القرن الرابع والغالب أنها بعد ثلثه الأول لأن الحاتمى توفى سنة ٣٨٨ . والأهم

---

(١) الموازنة : ٤١٦/١ .

(٢) إنباه الرواة : ٢٣٦/٣ .

(٣) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة : ص ٨١ .

(٤) حلية المحاضرة لأبى على محمد بن الحسن الحاتمى . ص ٢٢١ ، ولا يستبعد د. إحسان عباس أن يكون خصم الحاتمى هو الآمدى نفسه ، وهذا فيه نظر ، « تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٨٤ » .

من هذا أن المرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ يضع كتابا يرد فيه على خصوم أبى تمام يسميه « الانتصار من ظلمة أبى تمام » [١] ، مما يدل على استمرار عنف الخصومة إلى نهاية القرن الرابع ، وقد تكون استمرت ممتدة إلى أول القرن الخامس .

### ٢ – مقاييس الآمدى فى الموازنة :

لم يكن الآمدى بدعا من النقاد فى مقاييسه التى بنى عليها الموازنة ، فهو وإن كان رائدا فى النقد التطبيقى وفى منهج الموازنة ، إلا أنه كان يستخدم تلك المقاييس التى كانت شائعة فى عصره ، وأُمُّ هذه المقاييس عمود الشعر وطريقة العرب ، فكان مدار الموازنة وأساس المفاضلة بين الشاعرين يحدده مدى قربهما أو بعدهما من هذه الطريقة ، فكان المفارِقُ لهذه الطريقة هو صاحب النسج الردىء والعبارات المتكلفة وهو عادة أبو تمّام ، وأما الذى التزم بها فلم يعدوها فهو ذر المذهب الحلو التأليف الحسن النظم ، والديباجة الشعرية ذات الماء والرونق ، وهو البحترى . وهذا المقياس واضح فى كتابه وضوحا شديدا لا يحتاج إلى مزيد شرح أو بيان ، وقد تصل به عصبيته لمذاهب العرب إلى أن يفضل البحترى على أبى تمام على الرغم من اعجابه بأبيات الأخير ، ولكن التزام البحترى بمذاهب الشعراء أحق بالأفضلية على الرغم من كل شىء يقول : « قال أبو تمام :

من سجَايا الطُّلول ألا تُجيبا　　　فصوابٌ من مُقلةٍ أن تَصُوبا
فاسْأَلْنها واجعلْ بُكاكَ جواباً　　　تجِدِ الشّوقَ سائلاً ومجيبا

.... وهذه فلسفة حسنة ، ومذهب من مذاهب أبى تمام ، ليس على مذاهب الشعراء ولا طريقتهم ... ولم يسلك البحترى هذه الطريق ، بل جرى فى هذا الباب على مذاهب الناس فقال :

وَقفْنا على ذَات النخيلةِ فانْبرتْ　　　سواكِب قَدْ كَانَتْ بِها العَيْنُ تَبْخَلُ
على دارس الآياتِ عافٍ تعاقَبَتْ　　　عليهِ صبًا ما تستفيقُ وشَمْألُ
فلم يَدْرِ رَسْمُ الدار كيف يُجيبُنَا　　　ولا نحن من فرط البكا كيف نسأل

---

(١) شرح التبريزى : ٢/١ ، النظام لابن المستوفى مخطوط دار الكتب لوحة ٣ .

وقول أبى تمام وإن كان فيه دقة وصنعة ، فهذا عندى أولى بالجودة وأحلى فى النفس ، وألوط بالقلب ، وأشبه بمذاهب الشعراء » [(1)] .

وطريقة العرب هذه شملت فيما شملت الصورة الفنية ، وأبرزها الاستعارة ، وكانت الملائمة بين طرفيها ووضوح العلاقة المجازية بينهما من أهم قواعدها ، وظل الآمدى ملتزما بهذا المقياس ، وبه سفه كثيرا من صور أبى تمام التى اعتمد فيها على التشخيص أو التجسيم ، وهو ما يتطلب مبالغةً فى العلاقات المجازية ، وتخطيا للمعنى المعجمى المباشر للألفاظ ، والمهم هنا أن الآمدى لا يقبل هذه الصورة إن جاءت من البحترى فهو يقول عن بيته :

وأرتْنَا خداً يُراحُ لَهُ الوَرْ ... دُ وَيشْتَمُّه جَنىٰ التُّفاح

« وقوله : « ويشتمّه جنى التفاح » ليس بالجيد ، بل هو ردىء ، لأنه لا يدخل فى الاستعارة أن يشتم التفاح خدها ، ولكنه يحمل على أنه لو كان مما يشتم لا شتمّ خدها ، أو لو كان الورد مما يراح لراح له » [(2)] . فهو هنا ملتزم أشد الالتزام بهذا المقياس ، شديد الانتباه حريص على ألا يتخطاه شاعر دون أن يخطئه وإن كان البحترى .

ومن المقاييس التى كانت سائدة فى ذلك العصر [(3)] « أن الشاعر لا يطالب بأن يكون قوله صدقا » ، والصدق والكذب هنا بمفهومهما الفنى لا الواقعى ، وقد دُفِعَ الشعراءُ بهذا المبدأ إلى مضائق الكذب والنفاق والرياء [(4)] ، فقد نادى نقاد ذلك العصر باستبدال الغايات النفعية بالغايات الخلقية ، « فمن فضائل الشعر أن الكذب الذى اجتمع الناس على قبحه حسن فيه ، وحسبك ما حَسَّن الكذب واغتفر له قبحه » [(5)] ، وكانوا يرون أن « حُسْن البلاغة أن يُصَوِّر الحق فى صورة الباطل ،

---

(١) الموازنة : ٤٩٩/١ وما بعدها .

(٢) الموازنة : ٩٧/٢ ، ٩٨ .

(٣) المُوازنة : ٤٢٨/١ .

(٤) النقد الأدبى الحديث د. غنيمى هلال ص ٣١٩ .

(٥) العمدة ابن رشيق : ٢٢/١ .

والباطل فى صورة الحق » (١) ، وقد حاول ابن رشيق أن يبرر هذا بقصتين أوردهما يدلل بهما على أنه لا يعد الكذب فى المدح نفاقا ، والدارس لهاتين القصتين يكتشف فيهما مغالطة كبرى (٢) .

وقد ظهر أثر هذه الدعوة عند الآمدى فى موازنته ، فقد صَدَّر أحد الفصول بالعنوان التالى : « ومما يجب فى مدح الخلفاء – كانت تلك حالهم أو لم تكن – ذكر التقى والورع » (٣) ، فلا بأس من تزييف الحقائق فى هذه القضية ، بل يجب أن ينسب للممدوح التقى والورع وإن كان زنديقا فاجرا ، وفى الأغراض الشعرية ظهر أثر هذه الدعوة فى تفسير الآمدى لفن الرثاء بقوله : « اعلم أن تأبين الميت كمدح الحى لا فرق بينهما ، إلا ما يفترق بذلك من ذكر التوجع وأنواعه » (٤) .

وكان الآمدى يقيس الصور الشعرية بأقيسه منطقية ، وهذا يبدو واضحا فى تعليقة على قول أبى تمام :

وتَقْفُو لِيَ الجدوىٰ بجِدْوىٰ وإنّما  يَروقُكَ بيتُ الشّعْرِ حين يُصرّ عُ

فهو يقول عنه :

« لفظ حسن حلو ، ولكنه مثل شيئا بشىء كان غيره بالتمثيل أليق ، وذلك لما قال : « وتقفو لى الجدوى » كان سبيله أن يقول : وإنما يبل الغليل العلل بعد النهل ، أو ما كان أشبه هذا وقاربه ، لأن الجدوى هو نائل المرأة ، وليس من حظوظ السمع فيمثل بها بيت الشعر المصرع الذى إنما يروق السمع فقط » (٥) .

ويقول عن بيت البحترى :

تَبُسمٌ وقُطُوبٌ فى نَدىً ووغىَ  كالَبرْقِ والرَّعْدِ وَسْطَ العارِضِ البَرِدِ

---

(١) المصدر السابق : ٢٤٧/٢ .
(٢) العمدة : ٨١/١ – ٨٢ .
(٣) الموازنة : ٣٥٩/٢ .
(٤) الموازنة : ٤٦٩/٣ .
(٥) الموازنة : ٨٥/٢ .

« وشبه القطوب بالرعد ، وإنما كان ينبغى أن يشبهه بالمرئيات لا بالمسموعات ، والرعد إنما يوضع فى موضع التهدد والوعيد » [١] .

وقوله هذا لا يتفق مع طبيعة الشعر التى نعرفها اليوم ، والتى يقر فيها الرمزيون وسيلة « تراسل الحواس » كواحدة من أهم وسائل اللغة الوجدانية ، فبواسطة هذه الوسيلة « توصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى ، فتعطى المسموعات ألوانا ، وتصير المشمومات أنغاما ، وتصبح المرئيات عاطرة » [٢] . فموسيقية التصريع التى أشار إليها أبو تمام تسمعها فى بيت من الأبيات فتشعرك بنشوة قد تلتقى مع النشوة الحسية التى تتكرر فيها الصلة والنائل ، وقطوب الشجاع فى الوَغَىٰ ، أو عند الغضب يلقى فى قلب الجبان الرهبة والرعب فيهتز قلبه كاهتزاز قلب الانسان عند سماعه لأصوات الرعد ، على الرغم من الوهن الذى دب فى الصورة عند ذكر « العارض البرد » .

فقد عرض الآمدى هاتين الصورتين على المقياس العقلى فلم يحظ إلا باعتراض بعيد عن الفهم الواعى لطبيعة الشعر الفنِّيَّة .

أما دراسته لقضية السرقات فى شعريهما ، فقد اعتمد فيها على ما تناقله النقاد قبله من أهمية تسجيل براءات اختراع المعانى – إذا جاز لى هذا التعبير – فالمعنى هو أساس الصورة ، وكان الرأى السائد أن القدماء قد استنفذوا المعانى واستغرقوا معظمها ، وسبقوا إليها ، وما يحاوله المحدثون إن هو إلا ترجيع لما قاله الأقدمون ، والفرزدق عندما سئل عن الشعر قال : إن الشعر كان جملا بازلا عظيما ، فأخذ امرؤ القيس رأسه ، وعمرو بن مكثوم سنامه ، وعبيد بن الأبرص فخذه ، والأعشى عجزه ، وزهير كاهله ، وطَرَفة كركرته ، والنابغة جبينه ، وأدركناه ولم يبق إلا المذارع والبطون فتوزعناه بيننا » [٣] ، وقد ضاق المحدثون بهذا الرأى وعارضه بعضهم فقال أبو تمام :

---

(١) الموازنة : ٣١١/٣ .

(٢) النقد الأدبى الحديث : ص ٤١٨ .

(٣) الموشح : ص ٥٥٣ .

يَقُولُ من تَقْرَعُ أَسمَاعَهُ كم تَرَكَ الأوّلُ للآخِرِ (١)

ولهذا كان حظ الشاعر من الاتهام بالسرقة أكثر من حظه فى الابتكار والابتداع « إذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر » (٢) ، وتحت هذا المقياس ظهرت بعض التفريعات ، كالمبدأ القائل إن المعانى الشعرية إذا صدرت من شاعرين من أهل بلدين متقاربين فلا يجوز أن يحكم بالسرقة على أحدهما ؛ لأنه « غير منكر لشاعرين مكثرين متناسبين ومن أهل بلد متقاربين أن يتفقا فى كثير من المعانى ، ولا سيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد فى الأشعار ذكره ، وجرى الطبع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله » (٣) .

وقبله قال الصولى : « إن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا وكانا فى عصر واحد الحق بأشبههما كلاما ، فإن أشكل تركوه لهما » (٤) .

وقال الآمدى عن بيت أبى تمام :

إذا اليدُ نالتْها بوتْرٍ توقَّرت على ضِغْنِها ثم اسْتَقادَتْ من الرِّجْلِ

« فإن كان أخذه من ديك الجن فلا إحسان له فيه ؛ لأنه أتى بالمعنى بعينه قال ديك الجن :

تَظَلُّ بأيدينا تَتعتَعُ روحُها وتَأْخُذُ من أَقْدامِنَا الرَّاحُ ثارَها

كذا وجدته فيما نقلت ، وليس ينبغى أن نقطع على أيهما أخذ من صاحبه لأنهما كانا فى عصر واحد » (٥) . ويؤكد هذا فى موضع آخر من الجزء الثالث « وكانا فى عصر واحد ، وأصحاب البحترى يقولون إنّ أبا تمّام هو الآخذ من ديك

---

(١) شرح التبريزى : ١٦١/٢ .
(٢) الموازنة : ٣١١/١ .
(٣) المصدر السابق : ٥٦/١ .
(٤) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٠١ .
(٥) الموازنة : ٦٠/١ .

الجن ، وإن ديك الجن كان أتيه من أن يسرق من أبى تمّام ، وهذا عندى حكم على الغيب ، ولم لا يكون أبو تمّام أولى بالتيه من ديك الجن ، وأبعد من أن يسرق من أهل عصره ؟ » (١) .

وتفريع آخر حاول الآمدى الالتزام به فى مناقشة قضية السرقات ، وينزوى تحت مقولة إن المعانى قد استنفدها القدماء ، وإن الذى يجب أن ينصرف إليه البحث هو سرقة المعنى ، حيث إن « الألفاظ غير محظورة على أحد » (٢) ، وهذا التفريع هو قضية الخاص والمشترك من المعانى ، « فالسرقة إنما هى فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر ، لا فى المعانى المشتركة بين الناس التى هى جارية فى عاداتهم ، ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظِّنَّةُ فيه عن الذى يورده أن يقال : إنه أخذه من غيره » (٣) .

وبهذا المقياس رد على ابن أبى طاهر حيث « إنه خلط الخاص من المعانى بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا » (٤) .

وهذه الحدود التى ذكرها الآمدى لم تستند إلى ثوابت فى دراسة المعانى الشعرية ، بقدر ما كانت ميدانا لنمو التعصب ، ولإرضاء الهوى أو الرغبة فى إظهار علم باطل ؛ ولهذا نجد الآمدى لا يستطيع الالتزام بهذه الحدود والمقاييس التزاما تاما ، فعلى حين يقرر إن المعنى إذا تعاوره شاعران متفقان فى العصر وفى البيئة الجغرافية لا يجوز أن يقال إن أحدهما أخذه من الآخر ، فإنه يغيب عنه هذا المبدأ عندما يرى أن أبا تمام قد سرق من دعبل بعض معانيه ، على الرغم من تعاصرهما وتقاربهما فى البيئة ، بالاضافة إلى منابذة دعبل أبا تمام وحقده عليه ، ثم يعود فى موضع آخر

---

(١) المصدر السابق : ٦٠٦/٣ .

(٢) المصدر السابق : ٣٦٠/١ .

(٣) المصدر السابق : ٣٤٦/١ .

(٤) الموازنة : ١١٢/١ وما بعدها .

فيرى أن هذا المعنى هو من المعانى المشتركة بين الناس وجار فى العادات [1] ، وهذا القول أيضا – وهو شيوع المعنى – لم يستطع النأى به عن الوقوع فى التناقض وذلك عندما قال إن قول أبى تمام :

مَنْ لَمْ يُعاينْ أبا نصر وقَاتِلَه          فما رأى ضَبُعًا فى شِدْقِها أَسَدُ

من قول طريح الثقفى يرثى قوما :

فلله عينا من رأى قَطُّ حادِثاً          كَفَرْسِ الكِلابِ الأُسْدَ يَوم المُشَلَّلِ

ثم يقول : وهذا معنى متداول ، وقد يجوز أن يكون الطائى أخذه من غير هذا الموضع » [2] .

فكيف يكون المعنى متداولا ، ثم نقول إن أبا تمام ربما أخذه من موضع آخر ؟

وثمة مقاييس أخرى استخدمها فى دراسته لأخطاء أبى تمام فى المعانى والألفاظ ، ومنها الاستعمال اللغوى ، فيقول الآمدى معلقا على بيت أبى تمام :

فافْزَعْ إلى ذُخْرِ الشئونِ وعُذْبِهِ          فالدَّمعْ يُذْهِبُ بعض جَهْدِ الجَاهِدِ

قوله : « يذهب بعض جهد الجاهد » أى بعض جهد الحزن الجاهد أى : الحزن الذى جهدك ، فهو جهد الجاهد لك ، ولو كان استقام له أن يقول « بعض جهد المجهود » لكان أحسن وأليق ، وهذا أغرب وأظرف ، وقد جاء أيضا فاعل بمعنى مفعول ، قالوا : « عيشة راضية » بمعنى مرضية ، و « لمح باصر » ، وإنما هو مبصر فيه ، وأشباه لهذا كثيرة معروفة ، ولكن ليس فى كل شىء يقال ، وإنما ينبغى أن ينتهى فى اللغة حيث انتهوا ولا يتعدى إلى غيره ، فإن اللغة لا يقاس عليها » [3] .

وهذه العبارات الأخيرة تنبؤك عن اتجاه الآمدى العام فى موازنته ، وتكشف عن أسباب حرصه على الالتزام بما ورد عن العرب لغة وشعرا ، وذلك هو أثر المنهج

---

(١) الموازنة : ١/٧٠ – ٧١ .

(٢) الموازنة : ١/٩٨ ، ٣/٥٢٨ .

(٣) الموازنة : ١/٢٢٧ .

اللغوى فى البحث ، فقد كان الآمدى نحويا أخذ عن الأخفش والزجاج والحامض وابن السراج وابن دريد ونفطويه ، ولقبه جلال الدين السيوطى بالنحوى (١) ، وترجم له القفطى فى إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢) ، فلم يسلم من البحث اللغوى ، وصار معدودا فى النحويين (٣) ، غير أنه انتهى به الأمر إلى أن اتسع فى الآداب وبرز فيها فى آخر عمره (٤) .

وقد التفت الآمدى إلى المعانى الإنسانية وحاول أن يقيس بها شعر صاحبيه ، ومن هذه المعانى أثر الدمع فى شدة الوجد والحزن فقول أبى تمام :

أَجْدِرْ بَجِمْرَةِ لَوْعةٍ إطْفاؤُها ... بالدَّمْعِ أنْ تَزْدادَ طُولَ وُقُودِ

« خلاف ما عليه العرب ، وضد ما يعرف من معانيها ، لأن المعلوم من شأن الدمع أن يطفىء الغليل ، ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة » (٥) .

ومن مقاييسه أيضا البحث فى طبائع الأشياء ، فقد غَلَّط الآمدى أبا تمام عندما وصف الخيل فى الحرب بأنها « تلوك الشكيما » ، « لأن الخيل لا تلوك الشكيم فى المَكَرِّ وحومة الحرب ، وإنما تفعل ذلك واقفة لا مَكَرَّ لها » ، ثم يقول « وإنما طرح أبا تمّام فى هذا قلةُ خُبْرِهِ بأمر الخيل » (٦) .

وقد فطن الآمدى إلى أهمية النظم وبراعة السبك ، وأن المزية ليست للمعانى وحدها ، ونجد عنده أيضا ما ذكره عبد القاهر بعده بأن اللفظة قد تكون جيدة أو رديئة فى نفسها ، ولكن وقوعها فى المكان المناسب أو غير المناسب يعطيها

---

(١) بغية الوعاة : ٥٠٠/١ .

(٢) إنباه الرواة : ٢٨٥/١ .

(٣) انظر : الآمدى وكتابه الموازنة ، بحث للدكتور طه الحاجرى ص ١٣ .

(٤) إنباه الرواة : ٢١٥/١ .

(٥) الموازنة : ٢٠٩/١ .

(٦) الموازنة : ٢٤٣/١ .

قيمة أخرى قد تختلف عنها قبل أن تنظم يقول : « ولا تكن مراعاتك مقصورة على تأمل المعانى دون ما سواها ، فإن رداءة الكلام منظومه ومنثوره ليست من أجل رداءة المعنى فقط ، بل يكون أيضا من أجل ردىء اللفظ وقبيح النظم وسوء التأليف .. واعلم أن ردىء اللفظ يكون على وجهين ، إما أن تكون اللفظة من ألفاظ العوام سخيفة فى نفسها ، أو جيدة قد وضعت فى غير موضعها فصارت رديئة فى ذلك الموضع خاصة » (١) .

وقد اهتم الآمدى بالفطنة النفسية والاستعداد الذى يعتمد على الموهبة فى سبر أغوار الصور الخيالية وفهمها ، اهتم به مقياسا من المقاييس الرئيسية ، وأكثر فى ثنايا كتابه من الإشارة إليه ، إذ يرى : « أن طريقة الشاعر وجنس شعره لا تبين الا لطائفة من الناس ، وهم ذوو البلاغة ، وأهل الأطباع النقية والقرائح السليمة ، وكان من سواهم لا يعلمه ولا لهم جملته ، حتى تقع الموازنة فيه بين بيت وبيت ومعنى ومعنى » (٢) .

« ثم قد يتأتى جنس من العلوم لطالبه ويتسهل ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ، لأن كل امرىء إنما ييسر له ما فى طينته قبوله ، وما فى طباعه تعلمه » (٣) .

وما من شك فى أن الآمدى كان يتمتع بحس فنى كاشف وبموهبة فى التذوق مرهفة أضفيا على أحكامه لمسات جمالية ، فجاءت قريبة من القلب ، وإن خلت فى كثير من الأحيان من التعليل ، فنجده يرى فى شعر أبى تمام أحيانا الغاية فى الحسن والجودة (٤) .

وهو عندما يأخذ على أحد الشاعرين بعض السقطات ، فإنه كثيرا ما يحكم ذوقه فى هذا النقد ، فلا يَكْذِبُهُ بل يقع به قريبا من الصواب ، يقول عن بيت أبى تمام :

مضى طَاهِرَ الأَثْوابِ لم تَبْقَ بُقْعَةٌ    غداةَ ثوى إلا اشْتَهتْ أنَّها قَبْرُ

قوله : « إلا اشتهت أنها قبر » من ألفاظه الموضوعة فى غير مواضعها ، ومازال الناس يستكرهونها ؛ لأنه جعلها فى موضع « ودَّتْ » ، وأنت لا تقول « أشتهى أنى قدرت » وإنما تقول « أود أنى قدرت » .

---

(١) الموازنة : ٤٧١/٣ ، وقارن دلائل الاعجاز ص ٧٩ .
(٢) الموازنة : ٤٧٢/٣ .
(٣) المصدر السابق : ٤١٩/١ .
(٤) المصدر السابق : ١٠٥/٢ ، ١٢١ .

ولا شك أن موضع « أشتهت » هنا غير لائق ، فهى كلمة نافرة عن هذا السياق ، ولا تعلق لها بالصورة بل تضعفها ، وإنما يليق بها الحنين والاشتياق والرغبة ، وقد قال الآمدى عقب هذا :

« ولله درُّ مروانَ بن أبى حفصة إذ يقول فى مرثية المهدى :

لما استَبانَ ببطْنِ مَكَّةَ هُلْكُهُ حَنَّ التُّرابُ إليه من بَطْحائِها [(١)]

ويقول فى موضع آخر معلقا على بيت أبى تمّام :

مَلْطُومةً بالوردِ أُطْلِقَ طَرْفُها فى الخَلْقِ فهْو من المَنونِ مُحكَّمُ

« وملطومة بالورد يريد حُمْرة خدها ، فلم لم يقل مصفوعة بالقار يريد سواد شعرها ، ومخبوطة بالشحم يريد امتلاء لحمها ، ومضروبة بالقطن يريد بياضها ، إنّ هذا لأحمق ما يكون من اللفظ وأسخفه وأوسخه » [(٢)] .

ولفظة « ملطومة » من الألفاظ القبيحة فى هذا الموضع التى يستوى عندها اللطم بالورد واللطم بالكف .

كذلك تحدث الآمدى عن أهمية نمو الصور الخيالية وتدرجها إلى الأعلى ، فيقول معلقا على أبيات أبى تمام :

أرىَ الداليَّتيْنِ على جَفاءٍ لَدَيْك وكلُّ واحِدَةٍ نُضَارُ
إذا ما شِعْرَ قَومٍ كانَ لَيْلاً تَبلَّجتا كما انْشقَّ النّهارُ
فإن كانَتْ قصائِدهُمْ جُدوبًا تَلوَّنتا كما ازْدَوج البَهارُ

« وقوله : « تلونتا كما ازدوج البهار » هو معنى قوله : « تبلجتا كما انشق النّهار » ، وإنما يريد تبلجتا بالمعانى ، وكذلك تلونتا ، وهذا وإن كان توكيدا للأول ، وكان سائغا جائزا ، فهو منحطُّ المعنى عن الأول انحطاطا قبيحا ، فكأنه إنما شانه

---

(١) الموازنة : ٥٠٥/٣ .

(٢) الموازنة : ٩٤/٢ .

ونقصه ولم يزده » [1] . وهذا فيه حس دقيق وذوق مرهف ، فقد أدرك دور هذه الصور الفنية فى تنمية التجربة الشعرية ، وهذا النمو يجب أن يكون متدرجا إلى الأعلى ، أما الترتيب من الأعلى إلى الدون ففيه اضمحلال للتجربة وانحلال للصور التخيلية ، وقد أشار الصولى إلى اعتراض النقاد على بيت آخر لأبى تمام فيه العيب نفسه ، وقال عن قول أبى تمام :

خُلُقٌ كالمُدامُ أو كَرُضَابِ الـ ـمِسْكِ أو كالعبيرِ أو كالمَلَابِ

« وقد عيب هذا عليه وقيل : الناس يرتفعون من الدون إلى الأعلى وهذا من الأعلى إلى الدون ، فجعل خُلُقَهُ كالمُدام ، أو كرُضَابِ المسك ، ثم قال أو كالعبير ... » [2] .

ولكن الصولى راح يحاول الاعتذار لأبى تمام بما ينبيء عن قصور فهمه ، ونُبُوٌّ ذوقه فلم يستطع أن يدرك سبب اعتراضهم ، وهنا تتضح سلامة ذوق الآمدى وطبعه الذى مكنه من إدراك هذا الخلل فى صور أبى تمام ، وقال أبو هلال العسكرى فى الصناعتين : « وقد استحسنوا قول البحترى

كالقِسِيِّ المُعَطَّفاتِ بل الأسـ ـهم مَبْرِيَّةً بل الأوْتَـارِ

فأحسن فى الترتيب ولم يرض أن جعلها كالقسيِّ حتى قال : « بل الأسهم » ، ثم قال : « بل الأوتار » ، وهذا ترتيب مصيب من أجل أنه بدأ بالأغلظ ثم انحط إلى الأدقّ .

وقد عيب ترتيب أبى تمام فى قوله « كالخَلوُقِ أو كالمَلاب » فبدأ بالأنفس ثم انحط إلى الأخس ، كما تقول : هو مثل النجم بل القمر بل الشمس فترتفع من الشيء إلى ما هو أعلى منه ، وإذا قلت هو مثل الشمس بل القمر بل النجم لم يحسن » [3]

---

(١) الموازنة : ٦٩٥/٣

(٢) ديوان أبى تمام بشرح الصولى ٢٥٥/٣ .

(٣) الصناعتين ص ٢٢٩ .

ويرى د. غنيمى هلال أن هذا مما له أهمية فى علم الاسلوب الحديث لدقته ودلالته النفسية (١) .

والمواضع التى كشف فيها عن ذوقه المرهف هذا كثيرة ، وقد كان فى اختياراته التى يختم بها أبواب الموازنة ، ما يكشف عن أصالة هذا الحس الفنى لديه ، بحيث يقع به على أجمل ما قالته العرب ، وقد عد بعض الأساتذة الباحثين هذه الاختيارات من أبرز خصائص الكتاب (٢) .

* * *

---

(١) النقد الأدبى الحديث د. محمد غنيمى هلال ص ٤٠

(٢) النقد المنهجى عند العرب د. مندور ص ٣٤٩ .

# الفصل الثانى

## القديمُ والحديثُ بين أبى تَمَّام والبُحْتُرِىّ

### ١ - دواعى الخصومة بين القديم والحديث فى الأدب العربى :

إذا كان من سنة الحياة التطور عن طريق التفاعل التلقائى بين متناقضاتها ، كما إن السمة الخاصة للوجود الحيوى هى النمو والتغير استنادا إلى القوانين الطبيعية التى تحكم هذا التبدل ، إذا كان هذا كذلك ، فإنه من المؤكد أن هذا التفاعل الذى يتم بين المتناقضات رحم لأطوار الحياة بكاملها ، تنصهر فيه العوامل والدوافع الجديدة ، وتلتقى فيه مع الأشكال القديمة والسائدة ، ليحدث نوع من التصارع يؤدى إلى تكون مرحلة جديدة فيها الكثير من ملامح العصر البائد ، اتسقت وتلائمت مع الظروف التى من شأنها أن تضيف إلى الحياة طابعا من الجدة والتطور .

وفى الحياة الأدبية للمجتمعات الإنسانية فإن التطور - فى الشعر مثلا - يقوده رواد التجديد الذين يحاولون أن يحققوا لمجتمعهم شيئا من الغنى الذهنى ونوعا من الرقى الثقافى ، ويحاول الشعراء المجددون أن يسموا بالشعر إلى مرتبات جمالية ، يستطيع أن يتذوقها الفرد الذى اكتسب الحضارة الجديدة ، وأن يرى فيها صورة لواقعه تعبر عن آلامه وأفراحه ، وكل معاناته ، وهؤلاء المجددون يصطدمون فى تجاربهم هذه بكل الآثار الشعرية المألوفة وتقاليدها المتوارثة ، ولا بد أن يكون لهذه الآثار والتقاليد أنصار يحمونها ويدافعون عنها ، وهنا تثور قضية الصراع بين القدماء والمحدثين .

ويستطيع أنصار القدماء أن يتمتعوا بتأييد ونصرة العامة فى مجتمعاتهم ، إذ إنهم يعتمدون على عنصر أساسى يضمنون به انحياز الاغلبية إليهم ، وهو آثار الماضى التى لا يستطيع الإنسان مقاومة حنينه إليها ، وقصة الصراع بين القدماء والمحدثين فى

الشعر ، هى فصل من ملحمة الصراع بينهما فى الفن عامة « فلم يخل عصر أدبى فى حياة الأمم التى كان لها حظ من الأدب ، وحظ فى إتقان القول وإجادته من هذه المسألة ، مسألة القدماء والمحدثين » (١) .

ولكن ماذا يفعل الفنان الذى هو مرآة عصره ، وعالم فسيح خصب تلتقى فيه كل مؤثرات التطور ونتائجه ، وقلب يحتوى هذه المتغيرات فلا يتوقف نبضه ، وإنما يظل يضخ لنا تركيبات حيّة ، تمد حركة التطور بالقوة والتجدد ، ماذا يكون موقفه ؟ ، إنه يؤمن بأصالة القديم ، ولكنه لا يفهم هذه الأصالة على أنها التحجر ، وإنما هى العطاء المستمر ، عليه إذن أن يجد الصيغة المناسبة التى يعبر بها عن واقعه من خلال معطيات هذا الواقع بالإضافة إلى جذور حياته الضاربة فى أعماق التاريخ .

وعندما بدأ بشار وأبو نواس ومسلم ريادة تجارب شعرية جديدة ، بدأ يتشكل اتجاه شعرى يحاول الفكاك شيئا ما من أسر القديم ، وأخذ هؤلاء الرواد فى دراسة القديم ، معانيه وألفاظه ، يقارنونها بالأنماط الحضارية والثقافية التى جدت على ساحة المجتمع الإسلامى ، وكان فى الساحة هؤلاء النقاد والأدباء ، الذين كانت أعينهم على تلك المحاولات والتجارب ، يقيسونها بالقديم ، فلا يرضون بما يفارقه من معان وأساليب ، وظلت تجارب هؤلاء الرواد تستنشق عبير الماضى وتترسم خطاه إرضاء لطائفة من الأدباء واللغويين وطلبا للسيرورة الشعرية ، وعندما لاح فى هذه التجارب شىءٌ من التململ والزحزحة لبعض المثل الشعرية الموروثة تصدى لهم الأدباء واللغويون .

وقد أدرك الأدباء منهم خاصة محنة الشاعر المحدث وأشار إليها بعضهم بطرف خفى ، فابن طباطبا بعد أن يتحدث عن أنواع الشعر الجيد وطريقه بناء القصيدة يقول : « والمحنة على شعراء زماننا فى أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم ، لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع ، ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة وخلابة ساحرة ، فإن أتوا بما يقصر عن معانى أولئك ولا يربى عليها ، لم يتلق بالقبول ، وكان كالمطرح المملول » (٢) .

---

(١) حديث الأربعاء : ٢/٣ .

(٢) عيار الشعر لابن طباطبا ص ١٣ .

وابن قتيبة بعد أن يمنع متأخر الشعراء من الخروج عن مذهب المتقدمين فى مضامين الشعر ومعانيه ، يورد استفهام شيخ من أهل الكوفة ويتركه دون تعليق فيقول : « قال خلف الأحمر : قال لى شيخ من أهل الكوفة : أما عجبت من الشاعر قال :

أتيت قيصوما وجثجاثا

فاحتمل له ، وقلت أنا :

أتيت أجّاصا وتفاحا

فلم يحتمل لى ؟ » (١) .

وكأنه يقدر لهؤلاء المحدثين حيرتهم وموقفهم الدقيق الذى دفعوا إليه فهم بين هذه المعانى الجديدة ، ومعطيات واقعهم الحضارى ، وبين تلك السياط التى يلهب ظهورهم بها علماء اللغة والأدباء لمراعاة القديم والالتزام برسومه ، وهؤلاء العلماء والأدباء بيدهم القوة والسلطان وهى الرواية يقول الخليل بن أحمد : « إنما أنتم معشر الشعراء تبع لى وأنا سكان هذه السفينة ، إن قرضتكم ورضيت عنكم نفقتهم ، وإلا كسدتم » (٢) ، وقد قلت نسخ ديوانى أبى تمام والبحترى فى البصرة فى وقت أحمد بن إبراهيم الرياشى الذى كان يغض منهما ، فقلَّتِ الرغبة فى شعرهما (٣) .

وقد شن علماء اللغة حملتهم على المحدثين بعصبية شديدة ، يدفعهم فى هذا حرصهم على الانتصار للقديم ، إذ يرون فيه منبع الأصالة والقوة والقياس ، ومعينا لا ينضب للشاعرية الحقيقية ، يقول ابن الأعرابى : « إنما أشعار هؤلاء المحدثين – مثل أبى نواس وغيره – مثل الريحان ، يشم يوما ويذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازددت طيبا » (٤) .

---

(١) الشعر والشعراء : ٧٧/١ .
(٢) الأغانى ١٦/١٧ .
(٣) الوساطة : ص ٥١ .
(٤) الموشح : ص ٣٨٤ .

ومثله كان أبو عمرو بن العلاء ينظر إلى شعر الإسلاميين نظرة دونية بالمقارنة مع الشعر الجاهلى ، فيجعل الزمن هو الحد الفاصل عنده بين الجودة والرداءة ، وعندما سئل عن أشعار المولدين قال : « ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ، ليس النمط واحدا ، ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسيح ، وقطعة نطع » ، ويعلق ابن رشيق على هذا قائلا : « هذا مذهب أبى عمرو وأصحابه كالأصمعى وابن الأعرابى – أعنى أن كل واحد منهم يذهب فى أهل عصره هذا المذهب ، ويقدم من قبلهم ، وليس ذلك إلا لحاجتهم فى الشعر إلى الشاهد ، ثم صارت لجاجة » (١) .

أما اشتداد اللغويين فى مناصرتهم للقديم فيفسره منهجهم فى الدرس اللغوى ، فجُلُّ اهتمامهم كان منصرفا إلى البحث عن المثل والشاهد فى الشعر الجاهلى حتى نهاية فترة الاستشهاد ، وإن كنا لا ننكر دقة ذوقهم ونظراتهم الفنية القيمة ، كما كانوا يرون أنهم حماة اللغة والحرسة على تراثها ، هذا المنهج خلق لهم إطارا ذهنيا أثر فى أذواقهم ، وطبعها بطابعه فظهرت على آرائهم أثار هذا الميسم ، فكان منهم هذا الموقف المتطرف فى التعصب للقديم ، واختصوا به دون غيرهم .

وجاء شعر أبى تمام بصوره العميقة المركبة ، ومعانيه التى تحتمل التأول ، محاولا تجاوز بساطة القديم ، وسذاجة صوره فاستخدم التشخيص فى التصوير ، وعمد إلى المحسنات البديعية من جناس وطباق ومقابلة فجعلها منسوجة فى لحمة الصورة تضخ فى ثناياها خيالات ورؤى تزيد فى عمقها ، فأثار معاصريه ، فهم بين مؤيد ومعارض ، وبدأ النقاد يناقشون شعره ، واحتدمت المعركة بين أنصاره وخصومه ، وظهرت دراسات جادة تحلل شعره وترسى قواعد ومقاييس نقدية يعرض عليها الشعر المحدث كله ، فكان من بين أنصاره من دافع بموضوعية كما فعل ابن المعتز (٢) ، ومنهم من

---

(١) العمدة : ١/٩١ .

(٢) ولا تغرنك العبارات التى نسبت إليه فى الموشح والتى تظهره متحاملا على أبى تمام « الموشح ص ٤٧٠ وما بعدها » ، فإن سوء التحقيق قد جعل النصوص تتداخل فى مواضع كثيرة فى الكتاب ، فاختلط رأى المرزبانى – وهو من خصوم أبى تمام – برأى ابن المعتز « وأنظر طبقات ابن المعتز ص ٢٨٦ » .

اشتد فى مناصرته فلم يجوز عليه خطأ وذلك هو أبو بكر الصولى [1] ، وهكذا كان خصومه بين مقسط ومفرط كالجرجانى فى وساطته والمرزبانى فى موشحه ، فأنت ترى أن هذه الخصومة كانت من حسنات الصراع بين القديم والحديث حيث إن نتاجها كان هذا التراث النقدى العظيم .

وعمد خصوم المحدث إلى التقاليد الشعرية المعروفة عند العرب – وهى التى سماها الآمدى « عمود الشعر » – فكانت أهم أسلحتهم فى مواجهة هذا الجديد ، ثم إن القضية – فى رأيهم – ليست قديما وجديدا ، بل هى أصالة لها قواعدها التى تواضعوا عليها ، والخروج عن هذه القواعد هو الزيف الشعرى أو ادعاء الشاعرية ، ورأوا أن مما يؤيد هذا الرأى ، أنّ كثيرا من الشعراء المعاصرين لهذه الخصومة كانوا ملتزمين بهذه القواعد ، فكان شعرهم هو نمط الأعراب ، وعلى رأسهم البحترى ، فوضعوه بإزاء أبى تمام ، وجاء الآمدى فقال : إن البحترى لم يفارق عمود الشعر المعروف [2] ، وانتصر له بهذا المقياس ، ومال عن أبى تمام ، ووضع موازنته التى حاول فيها أن يكون منصفا ، فوضع ذلك المقياس أمام عينه ، وصار يعرض عليه شعر الشاعرين ، فانتصر لأبى تمام عندما جاء شعره قريبا من طريقة العرب ، ولكن انتصاره للبحترى كان أقوى حيث إنه لم يفارق تلك الطريقة ، فظهر بمظهر المتعصب على أبى تمام .

وهناك أمر آخر فى هذه الخصومة أدركه الأقدمون وهو اللجاج والتطرف فى الملاحاة والمنابذة يقول ابن المعتز : « ربما رأيت فى تقديم بعض أهل الأدب الطائى على غيره من الشعراء إفراطا بينا ، فاعلم أنه أوكد أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزلته فى الشعر لما يدعو إليه اللجاج » [3] ، ويقول ابن رشيق عن تعصب القدماء للقديم إنه بسبب حاجتهم للشاهد : « وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون ، ثم صارت لجاجة » [4] ،

---

(١) انظر أخبار أبى تمام فى مواضع متفرقة .

(٢) الموازنة : ٤/١ .

(٣) الموشح : ٤٧٠ .

(٤) العمدة : ٩١/١ .

والحق أن هذا يبدو واضحا فى مواقف بعض أنصار أبى تمام وخصومه ، والظاهر أن هذا ما آل إليه حال تلك الخصومة ، إذ تحورت وسفلت حتى صارت لجاجة وملاحاة وتطرفا فى التعصب لهذا الشاعر أو ذاك ، دون تعليل ، وقد انعكس هذا فى بعض ادعاءات الأنصار والخصوم التى سردها الآمدى فى مقدمة كتابه ، فأصحاب أبى تمام يرون أن أخذ البحترى من أبى تمام وتتلمذه على يديه ، واستقائه من معانيه ، ورثائه له بعد موته يجعل أبا تمام أشعر من البحترى ، ويرد عليهم أنصار البحترى بتفنيد وحجج أخرى ، لا طائل ورائها ، وتشعر أنك تسمع صراخا مفتعلا ، يمده تعصب شديد ، وهو جفر لا ينضب أبدا .

واستمع إلى الصولى يدافع عن صاحبه فيقول : « لوقصّر « يعنى أبا تمام » فى قليل - **وماقصّر** - لغرق ذلك فى بحور إحسانه » ، ويقول عن عائبى أبى تمام : إن « منزلتهم حقيرة يصان عن ذكرها الذم ويرتفع عنها الوهد » (١) ، وفى المقابل يقول ابن الأعرابى عن شعر أبى تمام : « إن كان هذا شعرا فما قاله العرب باطل » ، ويطلب ممن قرأ عليه أرجوزة لأبى تمام أن يكتبها له لجودتها وهو لا يعرف أنها له ويسأله كاتبها : أحسنة هى ؟ قال : ما سمعت بأحسن منها ، قلت : إنها لأبى تمام ، قال : خرّق ، خرّق (٢) .

وقد نظر بعض الباحثين المحدثين إلى ذلك الصراع بين العرب وغيرهم ، وخاصة فى القرن الرابع عندما تسلط الجنس الأجنبى على مقدرات الخلافة الإسلامية ، فحاولوا التسلل به إلى قضية الصراع بين القديم والحديث ، وهو مما يبعد بهم عن فنية البحث ، فقد رأى ذلك الدكتور محمد زغلول سلام ، إذ كانت هذه جلّ ملاحظاته على كتاب الآمدى -: « فهذا الاتجاه الغريب ، وهو سيطرة العناصر الفارسية واليونانية ، أوضح ما يكون فى شعر أبى تمام منه فى شعر البحترى » (٣) ،

---

(١) أخبار أبى تمام للصولى ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤ ، والموشح ص ٤٦٥ .

(٣) تاريخ النقد الأدبى فى القرن الرابع د. محمد زغلول سلام ص ٢٤٧ .

وإذا كان الدكتور سلام لم يدلل على قولته تلك ، فإن د. السيد أحمد خليل يرى فى مصاحبة أبى تمام للمعتصم – الذى قرب الترك من السلطة – دليلا على هذا الرأى [1] ، ثم جاء د. خليفة الوقيان فى دراسته لشعر البحترى فردده ، ولكنه لم يدلل عليه [2] ، كما أفاض فى هذا الدكتور عبده بدوى وحاول أن يدلل عليه بأراء فيها مبالغة شديدة فى تأثير البيئة وعواملها على موهبة الشعراء [3] ، إلا أننى أجد فى هذه الآراء مبالغة فى الاستدلال ، فالشاعران لم يكن فى شعرهما ما يؤكد تلك الاتهامات ، فلم يكن شعر أبى تمام نموذجا لغزو المؤثرات الأجنبية ، ليصبح بالتالى شعر البحترى مثالا للشعر الملتزم بالروح العربية ، بل إننا لو اعتمدنا على تلك الأدلة لكان البحترى أولى بأن يكون مناصرا لهذا التيار الغازى ، إذ إن مدائحه لكبار القواد والملوك من العجم مشهورة ، وقد بالغ فيها مبالغة دفعت بعض الباحثين المحدثين إلى اتهامه بالشعوبية ، وأكثر ما أثارهم تهكُّمُه على العرب فى قصيدته السينية فى مدح إيوان كسرى « فالبحترى وقف على آثار قوم غير قومه ، فأشاد بذكرهم ونوه بمجدهم ، وليته وقف عند التمدح بحضارة الفرس ، بل إنه نفذ من ذلك إلى السخرية من بداوة العرب وخشونة عيشهم ورثاثة مبانيهم فى شعوبية ذميمة ، ما كنا نستغربها من شاعر مثل إسماعيل بن يسار ، أو بشار بن برد ، ولكن الغرابة فى أن ينطلق بها لسان شاعر عربى مثل البحترى » [4]

والباحث بالطبع لا يرى هذا الرأى ولا ذاك ، فالشاعران صدرا فى شعرهما عن روح عربية خالصة ، وكل منهما كانت له خصائصه وطريقته

---

(١) الاتجاهات الأدبية فى العصر العباسى – ص ١٤٤

(٢) شعر البحترى دراسة فنية د. خليفة الوقيان ص ٣٧٠ .

(٣) انظر : أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر – د. عبده بدوى – ص ١٥٩ ومواضع أخرى .

(٤) الأندلس فى شعر شوقى ونثره – د. محمود على مكى – مقال فى مجلة فصول المجلد الثالث – العدد الأول ص ٢٠٠ وما بعدها .

## ٢ - الاتجاه الفنى لكل من الشاعرين

إن القراءة الأولية لتلك الخصومات التى ثارت حول هذين الشاعرين تخدع بأن لكل منهما مذهبا جديدا ، وأنهما قد استطاعا أن يؤسسا مدرستين فنيتين جديدتين فى الشعر ، ولكن الواقع غير هذا ، فلم يجرؤ أى شاعر فى ذلك العصر على الإقدام على مجاوزة التقليد ، فتعاليم النقاد تلهب ظهورهم لتدفعهم إلى مضائقه ، وتحدد عليهم مجالات الاختيار وترسم لهم طرائق لا يتعدونها ، فعلى الشاعر المحدث ألا يخرج عن مذهب المتقدمين فى المعانى والأغراض الشعرية « فيقف على منزل عامر أو يبكى عند مشيد البنيان ، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافى ، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما ، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير ... » (١) .

أما المجاز كالاستعارة والتشبيه ، فإن العرب « استعارت المعنى لما ليس هو له إذا كان يقاربه أو يشبهه فى بعض أحواله أو كان سببا من أسبابه ، فتكون اللفظة حينئذ لائقة بالشيء الذى استعيرت له ، ملائمة لمعناه » (٢) أما باقى المحسنات ، فإنها موجودة فى أشعار الأوائل « لكن إنما يأتى منه فى القصيدة البيت الواحد أو البيتان على حسب ما يتفق للشاعر ويحضر فى خاطره ، وفى الأكثر لا يعتمده وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه ، فلا ترى له لفظة واحدة » (٣) ، وجاء المرزوقى فحدد عمود الشعر فى مقدمته لشرح حماسة أبى تمام (٤) .

وظلت هذه الرسوم حادى الشعراء يجعلونها أمام أعينهم عند قدح قرائحهم الشعرية ، وقد حاول بعضهم التفرد فى مجال محدود اعتمد فيه على موهبته ، وبقدر تلك الموهبة كان حظه من الشهرة وكان من هؤلاء البحترى وأبو تمام ، فقد انصرفت

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٧٦/١ .

(٢) الموازنة : ٢٦٦/١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٨٤/١ .

(٤) شرح حماسة أبى تمام للمرزوقى ٩/١ .

شاعرية الأول إلى الاعتناء بموسيقى الشعر ، فجاءت ألفاظه وتراكيبه يُرَقِّصُها نغم داخلى شجّى بارع ، وهو ما يطرب له نقاد الشعر ، بل وكل قارىء لشعره ، أما باقى العناصر التى كانوا يهتمون بها ، فإن البحترى كان وفيا لها ، فالتزمها منقادا طائعا سعيدا ، حيث إن موهبته الشعرية لم تستطع أن تنفذ إلى ما هو أبعد منها ، فطاقاته لم تَتعَدَّ تلك الموسيقية التى أشرت إليها ، أما النقمة والغضب فقد كانا من نصيب أبى تمام حيث إنه – لسوء حظه – كان شديد الذكاء عميق الفكرة ، سريع الخاطر ، تصطرع فى ذهنه الأفكار وتتشابك ، مع ثقافة عريضة تهيأت له باطلاعه على علوم عصره ، وبحافظته التى وسعت أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع [1] .

كل هذا أعانه على أن يغوص على المعانى فيستوحيها ويستخرجها صورا مركبة ، ويستعمل الزينة اللفظية استعمالا جديدا يبعد بها عن سطحية التزيين وحرفيته ، لينسجها مع ثنيات الصور العميقة ، وكان هذا ما انصرفت إليه موهبته ، وبه صار كأنه يحاول زحزحة بعض التقاليد الشعرية ، ويعالج شيئا من التغيير فى نظرة القدماء إلى المجاز والبديع وهذه النظرة من أهم عناصر عمود الشعر ، فتصدى له هؤلاء العلماء فدرسوا شعره وحللوا صوره ، وكان ما كان من خصومتهم حوله .

فالشاعران لم يفارقا القديم ، ولم يكونا ناقدين للاتجاهات الشعرية فى عصرهما ، بل كانا ككل الشعراء والأدباء فى عصرهما يؤثران من الشعر ما كان أكثر قربا من النمط القديم ، وشعر البحترى يدل على هذا ، أما أبو تمام فقد كانت موهبته تخالف اختياراته ، أعنى أن شعره الذى أثار دهشة النقاد بطريقته غير المألوفة لا يتفق مع اختياراته ، وقد أثار هذا نظر العلماء وأولهم الصولى فقال : « حضرنا مع أبى تمام وهو ينتخب أشعار المحدثين ، فمر به شعر محمد بن أبى عيينة المطبوع ، الذى يهجو به خالدا ، فنظر فيه ورمى به ، وقال : هذا كله مختار ، وهذا أول دليل على علم أبى تمام بالشعر ؛ لأن ابن أبى عيينة أبعد الناس شبها به ، وذلك أنه يتكلم بطبعه

(١) وفيات الأعيان : ١٢/٢ .

ولا يكد فكره ، ويخرج ألفاظه مخرج نفسه ، وأبو تمام يتعب نفسه ، ويكد طبعه ويطيل فكره ويعمل المعانى ويستنبطها ، ولكنه قال هذا فى ابن أبى عيينة لعلمه بجيد الشعر أى نحو كان » [١] .

والناظر فى اختياراته فى الحماسة يلاحظ هذا بينا ، ويعلق المرزوقى على هذه الظاهرة فيقول : « وأما تعجبك من أبى تمام فى اختياره هذا المجموع وخروجه عن ميدان شعره ومفارقته ما يهواه لنفسه ، وإجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق فى قصده ، فالقول فيه أن أبا تمام كان يختار ما يختار لجودته لا غير ، ويقول ما يقع له من الشعر بشهوته ، والفرق بين ما يُشْتَهى وبين ما يُسْتَجَادُ ظاهر » [٢] .

فلم يكن أبا تمام عندما جاء شعره مخالفا لبعض ما تواضع عليه العرب ناقدا لهذا التواضع ، بل جاءت موهبته الشعرية ، وشهوة قريحته مغايرة لهذا التواضع ، أما إذا تجرد ناقدا فإنه ممن يناصر عمود الشعر ، فقد كان ذوقه النقدى غير ناب عن أذواق معاصريه .

أما البحترى فلم تكن له مواقف نقدية أبان فيها عن ذوقه فى الاختيار ، وقد قال عنه الصولى : « إن شاعرا مميزا ناقدا مهذب الألفاظ مثل البحترى لم يكمل لنقد جميع الشعر » [٣] ، وقال المرزوقى : « إنه قد يميز الشعر من لا يقوله ، ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده ، على ذلك كان البحترى لأنه – فيما حكى عنه – كان لا يعجب من الشعر إلا بما وافق طبعه ومعناه ولفظه » [٤] .

أما ما قيل عن مذهب أبى تمام وإمامته له ، وأن هذا قد يوحى بأن هناك مذهبا للبحترى يقابله ، هذا القول يخلط بين اختراع المذهب والنسج على غير مثال ،

---

(١) أخبار أبى تمام ص ١١٨ ، أخبار البحترى ص ١٣٧ .

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١٣/١ .

(٣) أخبار البحترى ص ٥ .

(٤) شرح حماسة المرزوقى ١٤/١ .

وبين أن يشتهر به صاحبه ، ويقال إن هذا هو مذهب الطائى ، فأما أن يكون قد جاوز الاحتذاء وصار إلى الابتكار والاختراع ، فهو أمر لم يكن مهيأ له فى عصره ، ولا انصرف إليه ذوقه النقدى كما أسلفت ، فرنين التقليد الشعرى لازال حادى الحياة الثقافية ، والمبارزة فى ميدان الصحة اللغوية والطهارة من اللحن ، أمور لازمة لمن أراد أن يكون له باع فى أى منحى من مناحى الثقافة ، ولكنه ربما لمح تراقص الصور والألفاظ فى أبيات مسلم وأبى نواس فصرف إليها موهبته وجعلها وكده ، وصيرها بوتقة يصهر فيها المعانى المركبة المعقدة التى تتنازع فكره ، فأكبّ على طرائق التخييل من تشبيه وإستعارة فأولاها الكثير من العناية وربما التقط بعض المعانى التى تدور بين الناس فركبها وعمقها ، ثم وشّى هذا بأنواع الزينة ، وجعلها تلتصق بالمعنى فتزيد من عمقه وإيحاءاته ، وهذا الذى جعل طريقته تفارق طرائق الأقدمين ، فنفر منها الأدباء والرواة .

فأبو تمام جدير بأن يدّعى أن له مذهبا خاصا ، ولكن لم يكن مذهبا جديدا ، فريدا فى كل عناصره ، وإنما كان طريقة جديدة فى الالتقاط والاعتناء والتأليف .

ولقد استطاع الآمدى من خلال مدارسته لشعر أبى تمام فى كتابه هذا أن يحدد لنا أهم خصائص مذهب الشاعرين ، فملاحظاته النقدية واعتراضاته على شعرهما وجهت إلى تلك المواضع التى فارق فيها أبو تمام « عمود الشعر المعروف » كما يراه الآمدى ، فى حين أن البحترى « لم يفارق عمود الشعر » .

وكانت أكثر ملاحظاته موجهة إلى اختلاف مذهبيهما فى معالجة الصياغة الشعرية ، وقد أوضح هذا حين تحدث عن أثر هذه الصياغة فى إضاءة المعنى وذلك حين قال : « وينبغى أن تعلم أنّ سوء التأليف ورداءة اللفظ ، يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحوج مُسْتَمِعَهُ إلى طول تأمل ، وهذا مذهب أبى تمام فى عظم شعره ، وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا ، حتى كأنه أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد ، وذلك مذهب البحترى ، ولهذا قال الناس : لشعره ديباجة ، ولم يقولوا ذلك فى شعر أبى تمام » [1] ، فمعانى

---

(١) الموازنة : ١/٤٢٥ .

أبى تمام عميقة ، تحتاج إلى طول تأمل ، والآمدى يراها بهذا مفسودة ومعماة ، أما معانى البحترى فقريبة مكشوفة .

ويتضح هذا جليا عند تعليقه على محاولة أبى تمام تخطى المعنى القريب المتعارف عليه ليصل إلى معنى آخر يبنى على تصور مجازى ، فعن علاقة الوعد بالإنجاز يقول معلقا على بيت أبى تمام :

إذا مارحىً دارت أدرَّتْ سَماحَةً     رحى كلِّ إنْجازٍ على كُلِّ مَوْعِدِ

« وهذا إتلاف الموعد وإبطاله ، لأنه جعله مطحونا بالرحى ، وإنما ذهب إلى أن الإنجاز إذا وقع بطل الوعد ، وليس الأمر كذلك ، لأن الوعد ليس بضد للإنجاز ، فإذا صح هذا بطل ذاك ، بل الوعد الصادق طرف من الإنجاز وسبب من أسبابه ، فإذا وقع الإنجاز فهو تمام الوعد ، وتصحيح له وتحقيق وتصديق ، فهو فى هذه الاستعارة غالط » ثم يقول : « ألا ترى إلى البحترى كيف كشف عن هذا المعنى ، وجاء بالأمر من فَصِّهِ فقال :

يُوليكِ صَدْرَ اليومِ قاصِيةَ الغِنَى     بمواهِبٍ قَدْ كُنَّ أَمْسِ مواعِدا

فبطلان الموعد هو بطلان الشىء الذى الموعد واقع به ، وصحته هو صحة ذلك الشىء ، ثم أتبع البحترى هذا البيت بأن قال :

سَوْمُ السحائِبِ ما بدأْنَ بوارِقاً     فى عارِضٍ إلا انْثَنَيْنَ رواعِدا [(١)]

فأبو تمام لم يقنع بالمعنى القريب الراسخ فى الأذهان للعلاقة بين الوعد والانجاز ، ولم يقتصر على المعادل القريب البسيط لهذه العلاقة ، بل ألبسه صورة مجازية استدعتها معاناته فإذا بهذا المعنى يتحور ويعمق ، وتنحل بعض المعادلات المعجمية للألفاظ — ظاهرا فقط — فلم يعد الوعد طرفا من الإنجاز ، وسببا من أسبابه ، ولا صار الإنجاز تصحيحا للوعد وتصديقا له ، كما هو المعنى القريب المكشوف الذى جاء به البحترى من « فَصِّهِ » ، بل صارت العلاقة بينهما قريبة من

---

(١) الموازنة : ٢٣٢/١ .

التضاد والتناقض ، وهو ما نفر منه الآمدى ، فعلى حين كانت طريقة البحترى مألوفة وعلى مذهب الشعراء والناس ، تفرد أبو تمام بمذهب آخر فى الحفر عن المعنى ، فليس من الواجب أن يكون الوعد دائما طرفا من الانجاز وسببا من أسبابه ، إذ على سبيل التوسع فى المجاز يكون الوعد مغايرا للإنجاز ، ويكون كذلك ، عندما يصبح ثقيل الوطأة على طالب الرفد ، فيتمنى أن يأتى الإنجاز فيقضى عليه ، وأبو تمام أحد طلاب الأعطيات تصطرع فى قلبه تلك المعانى ، فيعبر عنها بصورة قد لا يفهما إلا من يدرك معاناته .

وإذا كانت الاستعارة من المجاز الذى طرقه الشعراء العرب ، فإنهم لم يتجاوزا بها إلى ما فعله أبو تمام ، فهم قد التزموا بالمقاربة والمناسبة والمشابهة اللائقة بين المستعار والمستعار له ، وهذا ما فعله البحترى حين قال يصف المطر والروض (١) :

أَسْقَى دِيارَكِ والسُّقيَا تقلُّ لها ... إغْزارُ كُلِّ مُلِثٌ الوَدْق ثَجَّاجِ
يُلْقِى على الأرضِ من حَلْيٍ ومن حُلَلٍ ... ما يُمْتِعُ العَيْنَ من حُسْنٍ وإبْهاجِ
فصاغَ ما صاغَ من تِبْرٍ ومِنْ وَرِقٍ ... وحاكَ ما حاكَ من وَشْيٍ وديبَاجِ

ولكن أبا تمام عالج هذا فسلك سبيلا آخر ، وهو التشخيص قال (٢) :

إذا غازل الروضُ الغَزالَةَ نُشِّرَتْ ... زَرابِىُّ فى أَكْنافِهِمْ ودَرانِكُ
إذا الغَيْثَ غادَى نَسْجَهُ خِلْتَ أَنَّهُ ... مَضَتْ حُقْبَةٌ حَرْسُ لَهُ وَهْوَ حائِكُ

فنفر منه الآمدى وقال : « فأما جعله الغيث كأنه كان حائكا ، فمن مضاحيك معانيه وألفاظه » (٣) ، فاستخدام معنى « الحوك » لدى الشاعرين ينبئك بالفرق بين منهجيهما ، فالبحترى جاء بالفعل الماضى من « الحوك » بعد أن قدّم له بالشطر الأول ما يبعده عن أية صورة خيالية عميقة فقال « فصاغ ما صاغ ... »

---

(١) ديوان البحترى : ٤١١/١ .

(٢) شرح التبريزى : ٤٥٧/٢ .

(٣) الموازنة : ٥٢٦/١ .

فصارت الصورة سطحية ساذجة ، أما أبو تمام فجعل الغيث ناسجا ، فشخصه ، ثم جعله حائكا فى كل وقت ، وقد لحظ عبد القاهر معنى للبيت هو أقرب إلى الصحة فى رأيى ، فإذا كان « الآمدى قد ظنّ أن غرض أبى تمام فى قوله : « وأنشد البيت » ، أن يقصد « بخلت » إلى الحوك وأنه أراد أن يقول « خلت الغيث حائكا » فذلك سهو منه ، لأنه لم يقصد « بخلت » إلى ذلك ، وإنما قصد أن يقول : إنه يظهر فى غداة يوم من حوك الغيث ونسجه بالذى ترى العيون من بدائع الأنوار وغرائب الأزهار ، ما يتوهم معه أنّ الغيث كان فى فعل ذلك ، وفى نسجه وحوكه حقبا من الدهر ، فالخيلولة واقعة على كون زمان الحوك حقبا ، لا على كون ما فعله الغيث حوكا ، فاعرفه » (١) .

والذى كان يثير حفيظة الآمدى ذلك التشخيص الذى كان أبو تمام كثير الاتكاء على نفسه فيه ، وكان يهتم بتشخيص المجردات وتجسيمها اهتماما كبيرا ، كالدهر والزمن ، والأمل ، والبين والمنايا ، والكرم ، والوعد ، وغيرها من المعانى العقلية ، والقارىء لشعره يرى هذا واضحا بينا فيه فمن قوله فى الوعد :

إذا وَعَـدَ انْهـلَّتْ يَدَاهُ فأهْدَتَــا ... لكَ النُّجْحَ مَحْمُولاً على كاهِلِ الوَعْدِ (٢)

وفى خطوب الدهر قال :

تَروحُ عَلَيْنا كُلَّ يومٍ وَتَغْتَدِى ... خُطوبٌ كأنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصرَعُ (٣)

وفى الدهر قال :

أَلَا لا يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفاً بسَيِّءٍ ... إلى مُجْتَدى نَصْرٍ فُتَقْطَعْ مِنَ الزَّنْدِ (٤)

---

(١) دلائل الاعجاز ، تحقيق الأستاذ / محمود شاكر ص ٥٥٤ .

(٢) شرح التبريزى : ١١٣/٢ .

(٣) شرح التبريزى : ٣٢٤/٢ .

(٤) شرح التبريزى : ٦٤/٢ .

وقال فى الأمانى (١) :

يا يومَ وقْعَةَ عَمُّوريَّةَ أنْصرفَتْ      عَنْكِ المُنَى حُفَّلاً مَعْسولةَ الحَلَبِ

وقال فى المَوْتِ والأجَلِ (٢) :

جَلَّيْتَ والموتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ      وقدْ تَفَرْعَنَ فى أوْصالِهِ الأجَلُ

وقال الآمدى معلقا على مثل تلك الصور : « وهذه استعارات فى غاية القباحة والهجانة والبعد عن الصواب » (٣) .

فمثل هذه الصور كانت غير مألوفة فى ذهن الآمدى ، ينفر منها ذوقه إذ إن محاولة الشاعر إضفاء صفات التشخيص على المجردات ، وصولا إلى تجويز الصفات المحسوسة عليها كى يمكن تصورها فى الذهن ، ضد ما عليه العرب ، كما إنه يرى أن هذا الطريق ، طريق عىّ وسخف يقول فى « كتاب البأس والنجدة » :

قال أبو تمام :

مَكْرُهُمْ عِنْدَه فَصيحٌ وإنْ هُمْ      خَاطَبوا مَكْرَهُ رَأَوْهُ جَلِيبَا

فجعل المكر يخاطب وجعله أعجميا ، ودلّ على عجمته بالجَلَبِ ، وما أظن أنّ أبا العبر لو تعمّل للسخف كان ينتهى إلى هذا الحد » (٤) .

أما البحترى فلم تكن استعاراته تخرج عن الاستعمال المعتاد ، بعيدة عن العمق والثراء ، فهى ككل وظيفة ذهنية تعتمد على إعمال الفكر كان حظ البحترى منها متواضعا فعلى حين قال أبو تمام :

جَمُّ التَّواضُعِ والدُّنْيا بسؤْددِهِ      تكَادُ تَهْتَزُّ من أقطارِها صَلَفَا (٥)

---

(١) شرح التبريزى : ٤٦/١ .

(٢) شرح التبريزى : ١٦/٣ .

(٣) الموازنة : ٢٦٧/١ .

(٤) الموازنة : ٢٨٩/٣ .

(٥) شرح التبريزى : ٣٦٤/٢ .

قال البحترى :

أَبْدىٰ التَّواضُعَ لمَّا نَالَها رِعَةً　　عنها ونَالَتْهُ فاخْتالَتْ بِهِ تِيها [1]

وحين قال أبو تمام :

تكـادُ مغانِيـهِ تَهِش عِرَاصُهـــا　　فَتَرْكَبُ من شَوْقٍ إلى كُلِّ رَاكِبِ [2]

قال البحترى :

فَلَوَ انَّ مُشْتاقاً تَكَلَّفَ غَيْرَ ما　　فِى وُسْعِهِ لَمشىٰ إليْكَ المِنْبَرُ [3]

وقال أبو تمام :

مَجْدٌ رَعَى تَلَعاتِ الدَّهْرِ وَهْوَ فَتىً　　حَتَّى غَدا الدَّهْرُ يَمْشِى مِشْيَةَ الهَرِمِ [4]

فقال البحترى :

صَحُبِوا الزَّمانَ الفَرْطَ ، إلا أنَّهُ　　هَرَمَ الزَّمانُ وعِزُّهُمْ لَمْ يَهْرَمِ [5]

وهذه الصور توافق الذوق المحافظ للنقاد القدماء ، ولهذا كان الآمدى كثيرا ما ينحاز إلى طريقة البحترى فنجده يقول [6] :

« وقول أبى تمام ، وإن كان فيه دقة وصنعة ، فهذا عندى أولى بالجودة وأحلى فى النفس وألوط بالقلب وأشبه بمذاهب الشعراء . فطريقة القدماء فى الإخبار عن الشيء على ما هو ، هى طريقة البحترى والتى بها كان يعفى على كل بديع واستعارة إذا اعتمدها ، وذلك لحسن عبارته وتلخيصه » [7] .

هذه البساطة والسذاجة فى تناول صور الاستعارة جعلت أحد دارسى شعره لا يعدها من كبير مقومات صناعته [8] .

---

(١) ديوانه : ١٤٢١/٤ .

(٢) شرح التبريزى : ٢٠٤/١ .

(٣) ديوانه : ١٠٧٣/٢ .

(٤) شرح التبريزى : ١٨٧/٣ .

(٥) ديوانه : ٢٠٨٤/٤ .

(٦) الموازنة : ٥٠٠/١ .

(٧) الموازنة : ١٢٤/٢ .

(٨) شعر البحترى دراسة فنية د. خليفة الوقيان ص ٢٦٩ .

وقد لاحظ الآمدى مذهب أبى تمام فى استخدام البديع من جناس وطباق ومقابلة ، حيث إنه – جريا على طريقته – لا يقنع بالاستخدام النمطى لهذه المحسنات – كما يفعل البحترى – بل جعله عشقه لنوافر الأضداد يتجاوز بفكرة التضاد المعنى المباشر ، ليصل إلى ما يمكن أن يحتمله المعنى فيخلق نوعا من المطابقة العقلية ، فتكون العلاقة بين قسمى الصورة ، علاقة غير مباشرة – ظاهريا فقط – ولكنها ملحوظة فى المعنى ، ويرفض الآمدى هذا الأسلوب ، ويقارن بينه وبين طريقة ومذهب البحترى ، ويدعو إلى استعمال الطباق ذى المعنى المباشر ، فيقول معلقا على بيت أبى تمام :

فأَنْتَ الذى تُسْتَنْطَقُ الحَرْبُ باسْمِهِ     إذا جاضَ عن حَدّ المَنِيَّةِ جَائِضُ

« قوله : « وأنت الذى ... » ليست قسمته مع عجز البيت قسمة مؤتلفة على ظاهر اللفظ ، وإنما يأتلف المعنى عند التأول ، وكان اللفظ يحسن فى القسمة لو قال : أنت الذى **تُسْتَنْطَقُ** الحربُ باسمه إذا كان اسم غيرك **يُخْرِسها ولا ينطقها** ،وإنما يريد يوريها ويشعلها ، أو أن يقول :

فأنت الذى تَغْشَى الأسِنَّة مُقْدِماً     إذا جاض عن حَدِّ المنيَّةِ جَائِضُ

والقسمة الصحيحة فى هذا قول البحترى :

إذا خَرِسَ الأبْطالُ فى حُمُسِ الوَغٰى     عَلَتْ فوقَ أصْوٰاتِ الحَديدِ زَماجِرُهْ » (١)

فانظر إلى طريقة البحترى ، وكيف جاءت بسيطة ساذجة ، فلا يعمد إلى تناول معنى اللفظ إلا من خلال انعكاساته فى الذهن ، فلا يكد نفسه ، بل يقف عند ظاهر المعنى ، وهذا الفن – وهو الطباق – ميدان فسيح للابتكارات الذهنية العميقة ، لاعتماده على فكرة التضاد ، وما فيها من صراع بين المتناقضات ، وفيها يكمن سر حركة الحياة ، والبحترى لا يلتفت إلى هذا ، بل يكفيه أن يورد لفظا ثم يورد نقيضه ، بأسلوب معجمى مسطح ، وأمثلته فى ديوانه قليلة وإليك بعضها (٢) :

---

(١) الموازنة : ٣١٦/٣ .

(٢) ديوانه : ٦٦٢/٢ .

والدَّهْرُ لَوْنَانِ فَهَلْ مُخْلِقٌ أَبْيَضَه باللُّبْسِ أم أَسْوَدَهْ
يا هَلْ تُرىٰ مُدْنِيَةٌ لِلْهوىٰ « بِمَنْبِجٍ » أَيَّامُهُ المُبْعَدَهْ ؟
نَشَدْتُ هذا الدَّهْرَ لمَّا ثَنَى يُصْلِحُ من شأنى الذى أَفْسَدَهْ
مَذَمَّةٌ مِنْهُ تَغَمَّدْتُها بالصَّبْرِ حَتَّى خُيِّلَتْ مَحْمَدهْ
فرَّقَ بين النَّاسِ فى نَجْرِهِمْ ما يُعْظِمُ العَبْدُ لَهُ سَيِّدَهْ
وأَنْجُمُ الأُفْقِ نِظَامٌ ، خَلا ما خَالَفَتْ أَنْحُسُهُ أَسْعُدَهْ

وقال (١) :

مِنّيَ وصْلٌ ومِنْكَ هَجْرٌ وفِيَّ ذِلٌ وفيكَ كِبْرٌ
وما سَوَاءٌ إذا الْتَقَيْنَا سَهْلٌ علىٰ خُلَّةٍ وَوَعْرُ
إنىِّ وإنْ لَمْ أُبُحْ بِوَجْدِى أُسِرُّ فيكَ الذى أُسِرُّ
قَدْ كُنْتُ حُرّاً وأنتَ عَبْدٌ فَصِرْتُ عَبْدًا وأَنْتَ حُرُّ
أنتَ نَعيمِى وأنتَ بُؤْسِى وقَدْ يَسُوءُ الذى يَسُرُّ

ويعلق د. شوقى ضيف على أبياته الأخيرة فيقول : « فإنك تجد فيها الطباق الذى عرف به البحترى ، ولكنه طباق ساذج لا تعقيد فيه ، ولا تعب ولا عناء ولا مشقة ، طباق ضحل بسيط ، هو أشبه ما يكون بتداعى المعانى ، فلا خيال ولا عمق ولا فكرة » ، ويسميه « طباق الذاكرة » ، « فهو يذكر الوصل فيأتى الهجر ، وهو يذكر الذل فيأتى الكبر ، هو يذكر السهل فيأتى الوعر » (٢) .

وتأتى الأمثلة التى استخرجها د. خليفة الوقيان من شعر البحترى لتؤكد طريقة البحترى التى أشار إليها د. شوقى ضيف آنفا (٣) ، ويظهر هذا جليا لو قارنت هذه الأمثلة بطباق أبى تمام ، ففى وصف أبى تمام لموقعة عمورية يقول (٤) :

---

(١) ديوانه : ١٠٥٠/٢ .
(٢) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١٩٤ - ١٩٥ .
(٣) شعر البحترى - دراسة فنية ص ٢٥٩ وما بعدها .
(٤) شرح التبريزى : ٥٣/١ .

لَقدَ تَرَكْتَ أَميرَ المُؤمنينَ بِها ... للنّارِ يوماً ذليلَ الصّخر والخَشَبِ
غادرْتَ فيها بَهِيمَ اللّيلِ وَهْو ضُحىً ... يَشلُّهُ وَسْطها صُبْحٌ من اللّهَبِ
حتَّى كأنَّ جَلابيبَ الدُّجىٰ رَغِبَتْ ... عن لَوْنها وكأَنَّ الشَّمْسَ لم تَغِبِ
ضوءٌ من النَّارِ والظَلْماءُ عاكِفَةٌ ... وظُلْمةٌ من دُخانٍ فى ضُحًى شَحِبِ
فالشَّمْسُ طالِعةٌ من ذا وقد أَفَلَتْ ... والشَّمْسُ واجبَةٌ من ذا ولم تَجِبِ
تَصرَّحَ الدَّهْرُ تَصْريحَ الغَمامِ لهَا ... عن يَومِ هَيْجاءَ مِنها طَاهِرٍ جُنُبِ
لم تَطْلُعِ الشَّمْسُ فيه يوم ذاكَ على ... بانٍ بأَهْلٍ ولم تَغْرُبْ على عَزِبِ
ما ربعُ مَيَّةَ مَعْمُوراً يُطيفُ بِهِ ... غَيْلانُ أَبْهىٰ رُبىً من رَبْعِها الخَرِبِ
ولا الخُدودُ وقد أُدْمِينَ من خَجَلٍ ... أَشْهىٰ إلى نَاظرٍ من خَدِّهَا التَّرِبِ
سَماجَةٌ غَنيتْ مِنَّا العَيونُ بِها ... عن كُلِّ حُسْنٍ بَداً أَو مَنْظَرٍ عَجَبِ
وحُسْنُ مُنْقَلبٍ تَبدو عَواقِبُهُ ... جاءتْ بشَاشَتُهُ من سُوءِ مُنْقلَبِ

وقال (١) :

فاطلبْ هدوءاً بالتَّقَلْقُلِ واسْتَثِرْ ... بالعِيسِ من تَحْتِ السُّهادِ هُجودا

وقال (٢) :

سأُجْهِدُ عَزْمِى والمَطَايَا فإنَّنى ... أَرى العَفْوَ لا يُمْتاحُ إلا من الجَهْدِ

وقال (٣) :

قَدْ يُنْعِمُ اللّهُ بالبَلْوى وإن عَظُمتْ ... ويَبْتَلى اللّهُ بعضَ القَوْمِ بالنِّعَمِ

وقال (٤) :

هى البَدْرُ يُغنيها تَوَدُّدُ وَجْهها ... إلى كلِّ من لاقَتْ وان لَمْ تَوَدَّدِ

---

(١) شرح التبريزى : ٥٣/١ .
(٢) شرح التبريزى : ١١٢/٢ .
(٣) شرح التبريزى : ٢٨٠/٣ .
(٤) شرح التبريزى : ٢٣/٢ .

ولكنّنى لم أَحْوِ وَفْرًا مُجمَّعًا    فَفُزْتُ بِهِ إلاّ بشَمْلٍ مُبَدَّدِ
ولم تُعْطِنى الأيّامُ نَوْماً مُسكناً    أَلَــذُّ بِهِ إلّا بِنَـوْمٍ مشرَّدِ
وطولُ مقامِ المَرْءِ فى الحَىّ مُخْلِقٌ    لديِبَاجَتَيْــهِ فاغْتَــرِبْ تَتَجــدَّدِ

وأمثلة هذا الفن كثيرة عند أبى تمام ، غنية عميقة ، لا تكاد تخلو قصيدة له من عدة أبيات استخدم فيها هذا المحسن استخداما مبتكرا ، فهو فى قصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر ، ومطلعها (١) :

هُنَّ عوادى يُوسفٍ وصواحِبُهْ    فَعِزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ السُّؤْلَ صَاحِبُهْ

يكاد لا يخلى بيتا من صورة ذهنية تعتمد فكرتها الأساسية على هذا التضاد والصراع ، الذى استحال عنده إلى طريقه للتفكير ، فأصبحت وظيفة المحسن البديعى التعبير عن فكرة عميقة ، بعد أن كان زينة لفظية ، وكأنه كان يرى فى هذا الطباق ما يتفق مع ذلك الصراع الذى يشتعل فى فكره ومشاعره ، فيخلطه ويمزجه بالصورة ، ليضيف إليها بعدا آخر فيه حيوية دافقة ، فتجعل المعنى محمولا على قوة التناقض والصراع ليستثير الفكر ويدعوه إلى التصور والتخيل ، فيستحيل إلى قوة خلاقة ، وكأنه بهذا الاستخدام يشير بطرف خفى إلى أن الحياة مليئة بالصراع الذى ينتهى إلى نتائج متناقضة موت وحياة ، وكأنها حلقة لا يعرف لها نهاية فهى فى ظاهرها دور فلسفى تتوالد فيه النتائج لتتحول إلى مقدمات فى حركة مستمرة .

وإذا كان البحترى لم يستطع أن يجارى أبا تمام فى هذا المركب الوعر ، فإنه قد برّز فى جانب فنى آخر لم يستطع أحد أن يباريه فيه ، وهو الموسيقى الشعرية ، فقد التفت النقاد إلى هذا الجانب عند دراستهم لشعره ، ولا حظوا تلك الموسيقية الشعرية التى تنساب فى ألفاظه وهى واضحة جلية تتخلل أبنيته وعباراته ، إذ إن البناء الشعرى عنده استحال إلى فن صوتى فى المقام الأول ، تهزك رقة ألحانه وعذوبتها وتشعر بذلك الترابط الحميم بين نغمات ألفاظه ، فالبحترى من هذه الناحية فنان عازف

---

(١) شرح التبريزى : ٢١٦/١ .

لموسيقى غنائية مطربة ، وقد تجلت شاعريته الفذة فى هذا الجانب ، وحاول بعض النقاد الوصول إلى سر هذه الظاهرة فى شعره ، وأشهرهم ذلك المعجب الكبير الآمدى الذى تحدث عن حسن الرصف وصحة السبك وحسن الديباجة وحلو الكلام وكثرة الماء والرونق فى شعر البحترى [1] .

وقال بعضهم إنه أراد أن يشعر فغنى [2] ، وحاول بعض الدارسين المحدثين بحث هذه الظاهرة فى شعره [3] وكان أكثرهم توفيقا فى هذا د. شوقى ضيف إذ حاول أن يكشف عن ذلك التناغم الموسيقى الذى يتردد بين ثنيّات أبياته ، « فالبحترى كان يعرف كيف يلائم بين ألفاظه ، وكيف يرشح لقوافيه ، وكيف يهيىءُ لها مكانها ، ويصف الآذان للقائها » ، ويعلق على قصيدته التى مطلعها :

لى حَبيبٌ قد لَجَّ فى الهَجْرِ جِدًّا    وأعادَ الصدودَ مِنْهَ وأبْدَا [4]

ويقول فيها :

ذو فُنونٍ يُريكَ فى كُلِّ يومٍ    خُلُقاً من جَفائِهِ مُسْتَجَدًّا
يَتَأبَّى مَنْعًا ويُنْعِمُ إسْعا    فًا ، ويَدْنو وَصْلاً ، ويَبْعُدُ صَدًّا
أغْتَدِى رَاضِيًا وقد بِتُّ غَضْبا    نَ ، وأُمْسِى مَوْلًى ، وأُصْبِحُ عَبْدا

« فأنت تراه يبدأ فيوفق بين الشطرين فى المطلع ، ويجعلهما مصرعين هذا التصريع الذى كان يعجب به أصحاب البيان ، ولا يكتفى بذلك بل نراه يلائم بين الحروف فى الشطرين ، فقد تكررت الجيم فى الشطر الأول ، كما تكررت الدال فى الشطر الثانى ، فأحدث ذلك توافقا صوتيا بين الكلمات ... وانظر إلى قوافى الأبيات كيف أحكم قرارها ، فقد تتابعت منسقة تنسيقا جيدا وهاهى « أبدا ، صدا ،

---

(١) الموازنة : ٣/١ ، ٥ .

(٢) المثل السائر : ٢٢٧/٣ .

(٣) انظر : من حديث الشعر والنثر د. طه حسين ص ١٢٢ موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس ٤٦ ، ١٩٦ .

(٤) ديوانه : ٧١١/٢

عبدا ، أعدى ، فردا ، وردا ، عهدا ، تهدا ، ندا ، قدا » فإنك تراها متحدة فى عدد حروفها وحركاتها وسكناتها وسمى أصحاب البديع ذلك بالتطريز ، وهو وشى غريب » [1] .

وحلل نماذج أخرى من شعره ، ومنها قصيدته السينية فى وصف إيوان كسرى ، التى تجلت فيها شاعريته فى تلك الترددات الموسيقية وبراعته فى اختيار الألفاظ ، وتوزيع مقاطعها مؤلفا نغما يهز النفس فيطربها حينا ويشجيها حينا آخر .

كانت تلك أهم ملامح الفن الشعرى عند أبى تمام والبحترى ، لخصته فى هذه العجالة واتكأت فيها على رأى الآمدى فيهما من خلال دراسته لشعرهما فى كتابه هذا ، التى وضع لها مقاييس التزم بها فى أكثر آرائه النقدية .

* * *

(١) الفن ومذاهبه ص ٨٣ وما بعدها .

# الفصل الثالث

# كتابُ الموازنة والنَّقْدُ العربى

## ١ - النقاد الأقدمون

يبدو أنّ كتاب الموازنة بما طرحه من قضايا نقدية كان أهمها الدفاع عن حرمة القديم وقدسيته ، قد لفت الأنظار إلى أهمية المنهج الذى يعتمد على التحليل والتعليل للدفاع عن أية قضية نقدية ، وبدأ الاهتمام بالناحية التطبيقية فى الدراسات النقدية ، وسأعرض فى عجالة [(١)] لأهم تلك الدراسات التى ظهر فيها أثر كتاب الموازنة ، وأولها كتاب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ( ت ٣٩٢ ) ، والعنوان يدل على طلب العدل وتوخى الإنصاف ، وهى الفكرة التى بدأ بها الآمدى كتابه عندما قال : « وقد رسمت من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة وأحسن فى اعتماد الحق وتحرى الصدق وتجنب الهوى والمعونة بمنه ورحمته » [(٢)] وتبعه القاضى الجرجانى فى وساطته فقال : « إنه يحظر إلا اتباع الحق وتحرى العدل » [(٣)] . وإذا كان الآمدى حاول جهده أن يكون منصفا - على الرغم من تلك الهنات التى ظهرت فى تقريعه لأبى تمام عندما كان يخرج على طريقة العرب ، ويفارق عمود الشعر - فإن القاضى الجرجانى تعصب لصاحبه « المتنبى » فى مواجهة خصومه ، وتبقى القضايا النقدية التى عالجها والأبيات التى تعرض لها لا تكاد تخرج عن طرح الآمدى وآرائه ، فهو قد اعتمد مقاييس الآمدى فى الاستعارة والسرقات الشعرية [(٤)] .

---

(١) آثرت أن أختصر الحديث فى هذا الموضوع ، حيث إن الأستاذ / محمد على أبو حمدة قد أسهب فى دراسة هذا الجانب فى كتابه « أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة » .

(٢) الموازنة : ١/٣ .

(٣) الوساطة : ص ٢٠ .

(٤) انظر الوساطة : ٤٢٩ وما بعدها ، ١٨٣ وما بعدها .

وجاء أبو هلال العسكرى ( ت ٣٩٥ ) فى ( الصناعتين ) فنقل من كتاب الموازنة نصوصا كاملة دون أن ينص عليها ، بل لم يذكر الآمدى ، مع انتشار نصوص من الموازنة فى كتابه بصورة ملفتة للنظر ، وكأنها من عبارة أبى هلال بينما هى بنصها وشواهدها فى كتاب الموازنة ، والظاهر أن كتابه ( الصناعتين ) عبارة عن نصوص ملفقة من كتب اطلع عليها وكانت متداولة فى عصره ككتاب طبقات الشعراء لابن سلام ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والمعانى الكبير لابن قتيبة ، والبديع لابن المعتز ، وكتب اخرى (١) .

ويأتى الشريف المرتضى ( ت ٤٣٦ هـ ) فى كتابيه الأمالى ، وطيف الخيال فيرد على الآمدى ويقف منه موقفا عنيفا ، فيسفه آراءه ويتهمه بالتعصب ، وبقلة نقد الشعر ، فعندما يقرظ الآمدى بعض أبيات لأبى تمام يرد عليه الشريف قائلا : « هذا مدح تكلفته ، وما نراك إذا أعجبك أو أطربك معنى للبحترى تقتصر على هذا القدر من المدح ... » (٢) ، ويرى أن طعن الآمدى على بعض الأبيات لأبى تمام من « قبح العصبية » وهو « عصبية ظاهرة » (٣) .

ويلاحظ الشريف أن الآمدى يقيس المعانى الشعرية بأقيسة منطقية فيقول : « إن الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه فى كلامه التحقيق والتحديد فإن ذلك متى اعتبر فى الشعر بطل جميعه ، وكلام القوم مبنى على التّجوز والتوسع والإشارات الخفية والإيماء على المعانى تارة من بعد وأخرى من قرب ، لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق ، وإنما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم أغراضهم » (٤) .

وقد يكون للمرتضى الحق فى هذا التوجيه ، إذ كانت مقاييس الآمدى وخاصة فى الاستعارة والمجاز يغلب عليها الجانب المنطقى الذى يبحث فى الصورة عن المعادل الواقعى .

---

(١) انظر مقدمة المحقق .
(٢) طيف الخيال : ص ١٢ .
(٣) المصدر السابق : ١٩ ، ٢٠
(٤) أمالى المرتضى : ٢/٩٥ .

ولكن الشريف أبعد فى تحامله عليه عندما اتهمه « بقلة نقد الشعر وضعف البصيرة بدقيق معانيه التى يغوص عليها حذاق الشعراء » [١] ، وهو ميدان شهد للآمدى فيه بصحة الذوق وسلامة النقد كثير من النقاد والعلماء ، وعلى الرغم من أن كتاب الموازنة قد حفل بالعديد من النظرات والآراء والتحليلات النقدية التى كان عمادها الذوق السليم والتى كشفت عن موهبة الآمدى الراقية فى نقده لشعر أبى تمام والبحترى إلا أن الشريف يقول : « وما رأيت أشد تهافتا فى الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين » [٢] .

ويرد على الآمدى قائلا : « فأما قول الآمدى إن النفوس هى التى تجتمع وتلتقى ويتمثل لها ما تتمثله فى يقظة أو نوم ، وإن نفس الإنسان هى التى تنام واستشهاده بالآية [٣] مما كان ينبغى له إلا يخوض فيه ، وألا يدخل نفسه فى مثله ، فإنه ليس من عمله ، ولا مما له به علم ولا معرفة ، وترك الإنسان الدخول فيما لا يعرفه أستر عليه » [٤] ويقول : « والآمدى على كثرة ما يدعيه من التنقيب على علوم العرب ، إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه وجهل أن معنى بيت البحترى يطابقه فهو أطرف » [٥] .

ولا نعرف سببا لهذه العصبية إلا أن تكون تأثرا باستاذه المرزبانى الذى تتلمذ على يديه فى الشعر والأدب [٦] ، والمرزبانى تلميذ وراوية لأبى بكر الصولى [٧] ، وقد مثل الصولى والآمدى طرفين مختلفين فى ذلك العصر كما يرى د. طه الحاجرى [٨] ، وتعكس اللهجة التى تحدث بها الآمدى عن الصولى عمق ذلك التناقض [٩] .

---

(١) أمالى المرتضى : ٦١٣/١ .
(٢) المصدر السابق : ٦٢٦/١ .
(٣) الموازنة : ١٨٢/٢ .
(٤) طيف الخيال : ص ٥٠ .
(٥) الأمالى : ٦٢٤/١ .
(٦) مقدمة طيف الخيال ص ١٤ .
(٧) راجع الموشح ، ومقدمة كتاب الأوراق لهيورث دن ص : ى .
(٨) الآمدى وكتاب الموازنة بحث للدكتور طه الحاجرى ص ٢٦ .
(٩) انظر الموازنة : ٢١٦/١ ، ٤١٦ .

أما أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي ( ت ٤٦٦ هـ ) ، فقد كان من العلماء النقاد الذين عرفوا للآمدى قدره ، وأثنوا عليه ، وقرظوا آراءه واستشهد بنقول من كتابه ( الموازنة ) فى عدة مواضع من كتابه ( سر الفصاحة ) ، فهو يعلق على نقد الآمدى لقول أبى تمام :

طَلَلَ الجميعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدا وكَفى علىٰ رُزْئِى بِذاكَ شَهِيدا (١)

فيقول : « وهذا الذى ذكره الشيخ أبو القاسم رحمه الله قول مثله من يتقدم الناس فى هذا العلم ودقيق النظر فيه وكشف أسراره » (٢) . وهو إن عارضه فى رأى ، أو احتج عليه فى نظر قدم بين يدى معارضته ما يؤكد احترامه له والأعتراف بفضله . فعندما أثنى الآمدى على بيت امرىء القيس :

فقلت له لَمَّا تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

وقال : إن هذه الاستعارة فى غاية الحسن والجودة والصحة (٣) . رد عليه الخفاجى قائلا : « وهذا الذى قاله أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى ، ولو كنت أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة ، أو أجنح إلى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم ، لصحة فكره ، وسلامة نظره وصفاء ذهنه وسعة علمه ، لكننى أغلب الحق عليه ، ولا أتبع الهوى فيما يذهب إليه » (٤) .

وهو إن رأى فى بعض اعتراضات الآمدى على أبى تمام شيئا من عصبية أو تحامل ، ذكر هذا دون أن يتعدى إلى ذم الرجل أو تسفيه رأيه ، فهو يجد فى رأى الآمدى فى بيت أبى تمام :

مُسْوَدُّ شَطْرٍ مثل ما اسْوَدَّ الدُّجىٰ مُبَيضٌّ شَطْر كابْيضَاضِ المَهْرَقِ (٥)

---

(١) الموازنة : ٢١٦/١ .

(٢) سر الفصاحة : ص ١٠٥ .

(٣) الموازنة : ٢٦٦/١ .

(٤) سر الفصاحة : ص ١١٢ .

(٥) الموازنة : ٣٩٧/٣ .

تحاملاً على أبى تمام [١] .

وقد بان الآن الفرق بين موقف ابن سنان الخفاجى وموقف الشريف المرتضى من الآمدى وآرائه ، وظهر بوضوح تعصب الشريف عليه .

وأما عبد القاهر الجرجانى (٤٧١) فيعتمد فى كتابيه ( دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ) بعض آراء الآمدى ويستشهد بها [٢] ، ولكنه فى موضوع السرقات الشعرية كانت نظرته إلى المعانى الشعرية تختلف عن نظرة من سبقه وبينهم الآمدى ، فقد استطاع أن يضع حدا فاصلا بين الأخذ والسرقة ، فأما الأخذ فهو أمر غير منكر من الشاعر عندما يأخذ معنى من المعانى الانسانية ثم يضيف إليه بصياغة جديدة فهو يقول : « وأعلم أن المشترك العامى والظاهر الجلى ، والذى قلت إن التفاضل لا يدخله ، والتفاوت لا يصح فيه ، إنما يكون كذلك ما كان صريحا ظاهرا لم تلحقه صنعة ، وساذجا لم يعمل فيه نقش ، فإذا ركب عليه معنى ، ووصل به لطيفة ودخل إليه من باب الكناية والتعريض والرمز والتلويح ، فلقد صار بما غير من طريقته واستؤنف من صورته ، واستجد له من المعرض وكُسِيَ من دَلِّ التعرض داخلا فى قبيل الخاص الذى يُتَملَّك بالفكر والتعمل ، ويتوصل إليه بالتدبر والتأمل » [٣] .

فمقياس الآمدى فى أن السرق لا يقع فى العام المشترك والمعنى المتداول المعروف يجب ألا يؤخذ على إطلاقه ، فقد يعمد الشاعر إلى معنى متداول معروف فيعبر عنه أحسن تعبير .

ويرد عبد القاهر على من قال : « بأن من أخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان أحق به » [٤] – وهو المقياس الذى اعتمده الآمدى فى دراسة السرقات – قائلا :

---

(١) سر الفصاحة : ص ٢٣٣ .

(٢) راجع دلائل الاعجاز تحقيق الأستاذ/ محمود شاكر ص ٥٥٤ ، وأسرار البلاغة تحقيق هـ . ريتر : ٣٥٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٣) أسرار البلاغة : ٣١٥ .

(٤) أخبار أبى تمام ص ٥٣ .

« ومن أين يتصور أن يكون ها هنا معنى عار من لفظ يدل عليه ؟ ثم من أين يعقل أن يجيء الواحد منا لمعنى من المعانى بلفظ من عنده ، إن كان المراد باللفظ نطق اللسان ؟ ، ثم هب إنه يصح له أن يفعل ذلك ، فمن أين يجب إذا وضع لفظا على معنى أن يصير أحق به من صاحبه الذى أخذه منه ، إن كان هو لا يصنع بالمعنى شيئا ، ولا يحدث فيه صفة ، ولا يكسبه فضيلة ؟ وإذا كان كذلك فهل يكون لكلامهم هذا وجه سوى أن يكون اللفظ – فى قولهم : فكساه لفظا من عنده – عبارة عن صورة يحدثها الشاعر أو غير الشاعر للمعنى ؟ ، فإن قالوا : بلى يكون ، وهو أن يستعير للمعنى لفظا ، قيل : الشأن فى أنهم قالوا : إذا أخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده ، كان أحق به ، والاستعارة عندكم مقصورة على مجرد اللفظ ولا ترون المستعير يصنع بالمعنى شيئا ، وترون أنّه لا يحدث فيه مزية على وجه من الوجوه ، وإذا كان كذلك ، فمن أين – ليت شعرى – يكون أحق به ؟ فاعرفه » [1] .

وهكذا فرّق عبد القاهر بوضوح بين الأخذ والسرقة ، وهو ما فات الآمدى على الرغم من سلامة ذوقه فى نقده التطبيقى ، لاحتفاله بالمعنى واعتماده عليه فى تخريج السرقات .

أما أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير « ت ٦٣٧ » فإنه قد ذكر الآمدى فى كتابه « المثل السائر » فى عدة مواضع ، وأثنى عليه وعلى كتابه « الموازنة » ، وقال إنه لم يجد ما ينتفع فى علم البيان إلا كتاب الموازنة للآمدى ، وسر الفصاحة للخفاجى « غير أن كتاب الموازنة أجمع أصولا ، وأجدى محصولا » [2] .

وكان يرى الآمدى « أثبت القوم قدما فى فن الفصاحة والبلاغة وكتابه المسمى بالموازنة بين الطائيين يشهد بذلك » [3] .

---

(١) دلائل الاعجاز : ص ٤٨٣ .

(٢) المثل السائر ٣٦/١ .

(٣) المثل السائر : ١١٠/٢ .

وتتكرر آراء الآمدى عند ابن الأثير ، وخاصة فى الاستعارة [1] ويؤيده فى أهمية الذوق والفطرة للنفاذ إلى معرفة علم البيان [2] ، وأن طبائع الناس فى تعلم العلوم تختلف كلّ بحسب ما يؤديه إليه طبعه [3] ، وكذلك رد على قدامة بن جعفر فى تفسيره لمعنى ( المعاظلة ) و ( المطابقة ) بما هو فى الأصل من رأى الآمدى [4] .

* * *

(١) المصدر السابق : ١٣٣/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٣٨/١ ، ٣/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٤١/١ .

(٤) المصدر السابق : ٣٩٧/٢ ، ١٤٣/٣ .

## ٢ - كتاب الموازنة والنقاد المحدثون :

لقد كان ظهور كتاب الموازنة مطبوعا ووقوعه بين أيدى النقاد المحدثين حدثا هاما جعل الفئة العظمى منهم تنظر إلى أدب الأجداد نظرة إعجاب وإكبار ، فقد كان هذا الكتاب بالمقاييس الحديثة مدعاة فخر ، ومصدر اعتزاز بهذا التراث العظيم الذى يحق لهذه الأمة أن تتيه به اختيالا وعجبا على جميع الأمم ، فهو بلا ريب يعد «وثبه فى تاريخ النقد العربى ، بما اجتمع له من خصائص لا بما حققه من نتائج ، ذلك لأنه ارتفع عن سذاجة النقد القائم على المفاضلة بوحى من الطبيعة وحدها دون تعليل واضح » (١) .

وسأعرض هنا بايجاز بعض الجوانب التى ناقشها بعض النقاد المحدثين فى الموازنة ، والتى كان من مظاهر مناقشاتهم تلك ، أن برز منهم من قرظ الكتاب وأخلاه من كل عيب إلا اللمم ، ومنهم من أسقط كل قيمة فنية ونقدية له ، ومنهم من تعدى ذلك فجعله جسرا إلى النيل من أدوات النقد العربى ثم من الأدب العربى ، ويبقى الفريق الذى تحرى الموضوعية فذكر ما للآمدى وما عليه .

أما أولئك الذين ظلموه فى رأيى فقد تراوحت ادعاءاتهم بين نقد منهجه وادعائهم بتعصبه على أبى تمام ، وكان الدكتور شوقى ضيف من الذين نقدوا منهجه متبنيا اعتراضات طرحها الأستاذ طه ابراهيم ، فهما يعتقدان أنه قد تأثر بفكرة النقائض ، وقصة أم جندب (٢) ، وأرى أنه لا تثريب عليه إن تأثر بمناهج سبقته - إن عددنا تلك الظواهر مناهج فى النقد وهى بلا شك لا ترقى لأن تكون كذلك - فإنه لم يقم عليها لا يعدوها ، بل عدّل منها وحوّر ، فمنهجه فى كتابه لم يسبق إليه ، أما فكرة النقائض فهى طريقة ساذجة للمنابذة والمعارضة بين شاعرين لا تصلح لأن

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب د. إحسان عباس ص ١٥٧ .

(٢) تاريخ النقد الأدبى عند العرب طه ابراهيم ص ١٦٨ ، النقد د. شوقى ضيف سلسلة فنون الأدب العربى دار المعارف ص ٦٨ .

تطبق على الشعر كمنهج يمكن بواسطته الوصول إلى الجيد والردىء عند كل شاعر ، وقد أدرك الآمدى هذا فعدّل فى منهجه عندما قال : « وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى إليها المقصد وهى المرمى والغرض » (١) .

والآمدى يرى أنّ مدخل الموازنة هو المعانى خاصة ، ولكن الموازنة الفعلية تتم بين طريقة الصياغة عند كل منهما « ولما كانت طريقة الشاعر وجنس شعره على ما وصفته لا تبين إلا لطائفة من الناس ، وهم ذوو البلاغة ، وأهل الأطباع النقية والقرائح السليمة ، وكان من سواهم لا يعلمه ولاهم حملته حتى تقع الموازنة فيه بين بيت وبيت وبين معنى ومعنى ، وجب أن أعدل فى المراثى أيضا إلى انتزاع الأبيات المتفقة المعانى من كل قصيدة من قصائدهما ، وأنوعهما أنواعا ، وأوازن بين أبيات كل نوع ، على حسب ما فعلت فى الأبواب المتقدمة من هذا الكتاب حتى يظهر الفضل فى المعانى خاصة وبالله أستعين » (٢) .

وليس هذا عدولا عن المنهج ، وإنما دخولا حقيقيا فيه وتثبيتا لأركانه ، وتصحيحا لمساره ، فهو إن تأثر بأساليب كانت شائعة فى عصره ، فليس فى هذا ما يعيبه ، إلا إذا التزم بها ولم يحاول تخطيها .

أما الدكتور عبد القادر القط ، فإنه يرى أنّ الآمدى عندما عدل عن منهجه الذى وعد به فى بداية الموازنة « أسقط ما كان يمكن أن ينتهى إلى شىء من الدراسة المنهجية فى المقارنة بين قصائد كاملة ، واكتفى بالمقارنة بين معنى ومعنى ، مرتبا هذه المعانى حسب بناء القصيدة العربية الطويلة القديمة من وقوف بالديار ونسيب ووصف ومدح ، مفتتا كلّ غرض من هذه الأغراض إلى أجزاء أصغر » (٣) . وهو

(١) الموازنة : ٤٢٩/١ .

(٢) المصدر السابق : ٤٦٧/٣ .

(٣) النقد العربى القديم والمنهجية – بحث منشور فى مجلة فصول العدد الثالث ، ابريل سنة ١٩٨١ ص ١٥ .

يرى أن الآمدى كان يستطيع أن يوازن بين قصيدة كاملة لأبى تمام وأخرى مماثلة للبحترى فيقارن بينها ، « لكن النقد العربى لم يعرف هذا الأسلوب من التحليل لنص كامل ، وظل يعنى بالأبيات المفردة المنتزعة من سياقها » [١] .

والواقع أن طبيعة بناء القصيدة العربية فى تلك العصور لا يتيح للناقد أن ينظر إليها نظرة كلية ، فالشعراء القدماء لم يولوا الوحدة العضوية فى القصيدة عناية تذكر « إذ كانت تتوالى أبيات القصيدة على نحو لا يبرره إلا واقع حياة البدوى ومشاعره النفسية ، فكان غالبا ما يتخيل أنه فى رحلة فيصادف أطلال منازل الأحبة ورسومها فيقف يبكيها » [٢] .

وقد نجد العذر للدكتور عبد القادر ، لأن القارىء لما طبع من الكتاب ، قبل ظهور هذا الجزء الجديد ، يعتقد أن الآمدى سيسير على هذا المنوال إلى آخر الموازنة ، دون أن يلتفت إلى أن ذلك القسم المطبوع لم يتعد غرض المدح ، وفيه القصيدة مبنية على عدة معان وكذلك الرثاء ، لذلك كان لابد من انتزاع هذه المعانى والموازنة بينها .

وكأن الآمدى كان يتوقع هذا عندما قال فى باب الرثاء : « فلا يمكن الموازنة بين قصيدة وقصيدة ، كما لم يمكن ذلك فى قصائد المدح لأن القصيدة الواحدة تتضمن من المعانى ما ليس فى القصيدة الأخرى » [٣] .

وهو إن التزم هذا فى قصائد المدح والرثاء ، فإنه فى باقى الأبواب أجرى الموازنة بين قصيدة وقصيدة وهذا يبدو واضحا جليا فى الجزء الثالث ، وهذه بلا شك إحدى حسنات العثور عليه ، فقد وازن فيه بين قصائد وقصائد فى باقى الأغراض ، كالهجاء والعتاب والفخر ووصف الخيل ، ووصف الغلمان ، ووصف الرياض ... إلى آخر تلك المعانى .

---

(١) النقد العربى القديم والمنهجية : ص ١٦ .

(٢) النقد الأدبى الحديث ، د. غنيمى هلال ص ٢٠٨ .

(٣) الموازنة : ٤٦٩/٣ .

أما الأستاذ طه ابراهيم فقد اتهم الآمدى - فى كتابه القيم تاريخ النقد عند العرب وهو من الدراسات الرائدة لتأريخ النقد العربى - بأنه قصر موازنته على ديباجة الشعر فقال :

« وكان تطبيق هذه الطريقة على ديباجة الشعر خطأ جسيما ، وكيف نترك الجوهر ونذهب للعرض ؟ ، كيف ندع اللباب ، ونوازن بين شاعرين فى أشياء تقليدية ليست إلا مواضعات ؟ كيف ندع الأغراض الشعرية ونوازن بين عناصر الديباجة فى الشعرين ؟ ، لأبى تمام مراث رائعة ، وشعر فى الطبيعة غزير ، ونظرات فى الكون ، وللبحترى شعر فى ذلك كله ، فى مثل هذه الأمور تكون الموازنة » [١] .

فالجزء الثالث احتوى الأغراض التى سأل عنها الأستاذ طه كلها تقريبا ، ولم تعد موازنة الآمدى مقصورة على ديباجة الشعر .

أما أبو حمدة ، فقد كان كتابه ( الآمدى وكتاب الموازنة ) محاولة قصيرة النفس لدراسة الكتاب والمؤلف ، فعلى الرغم من أهمية الموضوعات التى تعرض لها ، إلا أنه لم يوفها حقها ، بالاضافة إلى تناقض آرائه فى بعض الأبواب ، وغابت عن الدراسة روح البحث والتحليل ، وأهم ما فى الكتاب ترجمته لأبى تمام ودراسته عن ثقافته ، أما قوله : « أن النظر الكلى الصحيح هو أن يضع الآمدى كل شعر أبى تمام فى كفه وشعر البحترى فى كفه ، ثم ينظر أيهما أرجح جملة » [٢] ، فقد رفضه الآمدى عندما قال : « فلا تطالبنى أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندى على الاطلاق ، فإننى غير فاعل ذلك ، لأنك إن قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد » [٣] .

---

(١) تاريخ النقد عند العرب ص ١٦٨ .

(٢) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة ، محمد على أبو حمدة - ص ٧٧ .

(٣) الموازنة : ١/٤١٠ .

فإن كنا اليوم نعيب تلك الأحكام المطلقة التى تناثرت فى مؤلفات بعض النقاد العرب القدماء ، فكيف نطالب الآمدى بأن يعود القهقرى ، بعد أن تجاوز الأحكام المطلقة البعيدة عن التعليل إلى نظرات فنية استخدم فيها مقاييس فنية كانت سائدة فى عصره ، وساعده فى هذا ذوق فنى سليم ؟ .

ويناقش أبو حمدة رأى الآمدى فى بيت أبى تمام :

من ذاكَ أُجَهْدُ أن أراهُ ولا أرى       حقاً سوىٰ الدُّنْيا تُسَمَّى باطلا

عندما قال : « وقوله : « من ذاك أجهد أن أراه » من سخيف ألفاظ العوام ، وليس من ألفاظ الشعراء » [1] .

يقول أبو حمدة : « ومثل هذا المبدأ فى تخليص الشعر من الألفاظ العاميّة يحجر حيويتها ، وينشف عروق الحياة فيها ويحيلها إلى رسوم عقيمة » [2] والنص الذى نقله لا يحمل هذا المعنى ، فالآمدى يعترض على طريقة استخدام الألفاظ ، اما اللفظة نفسها فلا يعيبها ، إذ إن « أجهد » فصيحة فى نفسها ولكن استعمالها كان عاميا ، وقد أشار إلى هذا فى مقدمة باب الرثاء عندما قال : « واعلم أن ردىء اللفظ يكون على وجهين : إما أن تكون اللفظة من ألفاظ العوام سخيفة فى نفسها ، أو جيدة قد وضعت فى غير موضعها فصارت رديئة فى ذلك الموضع خاصة » [3] ، فاللفظة السخيفة فى نفسها هى التى لم تستند إلى أساس لغوى صحيح ، وقد أشار الآمدى إلى سخافة بعض الألفاظ فى عدة مواضع من كتابه إشارات تدل على أنه يقصد استعمالها داخل التركيب لا اللفظة نفسها [4] .

وأبو حمدة يأخذ على الآمدى فى موازنته أنه لم يكن موضوعيا متجردا فى

---

(١) الموازنة : ٤٨٤/٣ ، وانظر أيضا ص ٤٨٢ .

(٢) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة – أبو حمدة ص ٩٦ .

(٣) الموازنة : ٤٧١/٣

(٤) الموازنة : ٤٨٢/٣ ، وانظر رأى عبد القاهر : دلائل الاعجاز ص ٤٧٩ .

أحكامه ثم يقول بعد عدة أسطر : « ونحن نأخذ على الأمدى عدم تعاطفه مع أبى تمام » [1] . كيف بالله نتمنى أن يكون الآمدى متجردا فى أحكامه موضوعيا ، ثم نطلب منه أن يكون متعاطفا مع شاعر ينقده ؟ .

وأبو حمدة كثيرا ما يطلق الألفاظ دون أن يتحقق من مناسبتها للعبارة ، فقد قال : « إن الواضح الجلى أن الآمدى كان ينصف أبا تمام فيما وقع من شعره ضمن عمود الشعر » .

ويقول : « لكن محافظته دفعته – شعر أم لم يشعر – إلى أن يصدر أحكاما جائرة بحق الفنان المبدع والشاعر العبقرى أبى تمام الطائى » ثم يقول فى نفس الفقرة « ولكن نظرة الآمدى المحافظة ومقاييسه العتيقة قصرت به عن فهم شعر أبى تمام وتذوقه مما أفقد أحكامه النزاهة والأتزان » [2] .

فكلمة « النزاهة » هنا لا محل لها ، إذ إن معناها لا يتفق مع ما انتهى إليه أبو حمدة – وهو ما لا أختلف معه فيه – إلاّ أن القول بأن أحكامه لم تكن نزيهة يحمل من المعانى الرديئة لموقف الآمدى من أبى تمام الكثير ، ففقدان النزاهة يعنى « التزييف والتدليس والجور والظلم ... » وأظن أن التعبير قد خانه هنا .

وجاء الدكتور خليفه الوقيان فى أطروحته عن شعر البحترى ، فقال إن نظرية عمود الشعر عند الآمدى « يكاد يجعل منها ثوبا يفصله على مقاس ( كذا ) البحترى » ، وأن قواعد عمود الشعر « ثم استيحاؤها من مذهب أبى تمام بغية تسفيهه ونقضه وهدمه ، ووقف تفشيه وانتشاره » [3] . وهذا تعميم فى الاستنتاج ، إذ إن نظرية عمود الشعر معروفة قبل الآمدى ، وقبل أبى تمام ، والدكتور خليفة فى هذا

---

(١) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة : ص ٧٧ .

(٢) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة : ص ١٣١ .

(٣) شعر البحترى – دراسة فنية – د. خليفه الوقيان ص ٣٦٧ .

الرأى يناقض ماذهب إليه فى بداية الفصل – وكان هو الصواب – عندما قال : « وذلك يعنى أن نظرية عمود الشعر ليست بنظرية جديدة ، تعاون فى وضع أسسها الآمدى والجرجانى والمرزوقى ، بقدر ماهى تقنين للمقاييس والنظرات النقدية المحافظة المتناثرة فى تقويم الشعر العربى والحكم عليه منذ أقدم عصوره ، ذلك أن الأقدمين من نقاد ورواة ولغويين كانوا يقفون عند البيت الواحد ، فيحكمون عليه بفساد المعنى ، أو قبح الاستعارة أو بعد وجه الشبه بين المشبه والمشبه به ، أو تكلف البديع ، أو حزونة اللفظ ... ولعل فى كثرة ما تناقلته كتب الأدب والنقد من ملاحظات نقدية فى هذا المجال ما يغنى عن الاستشهاد » (١) . فكيف بعد هذا نقول إن نظرية عمود الشعر استخرجت من مذهب أبى تمام الشعرى وأن الآمدى فصلها على مقياس البحترى ؟ .

أما من تجاوز نقد موازنة الأمدى إلى اتخاذها وسيلة لإلغاء كل قيمة للنقد الأدبى العربى ، فهى سوزان بينكنى ستتكيفتش التى قالت فى مقالة منشورة فى مجلة فصول : « على أية حال فإن إخفاق الآمدى بالتحديد فى مقارنة القصائد بصفة خاصة هو الذى أدى إلى إبراز نقطة الضعف الكبرى فى ( الموازنة ) وفى النقد الأدبى عند العرب بأكمله » !! (٢)

ولم تتفضل علينا الكاتبة بشرح نقطة الضعف هذه ، إنما المهم إطلاق القول بالهجوم على النقد العربى وتقول فى موضع آخر : « وهكذا فإن تمحيص هذا العدد القليل من المائة وتسعة عشر مثلا التى يوردها الآمدى يكشف النقاب عن عدم صلاحية أدوات النقد العربى التقليدى للتعامل مع قضية صلة الشاعر بمن سبقوه وبالموروث الشعرى بصفة عامة » (٣) .

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٦٤ .

(٢) أبو تمام فى موازنة الآمدى ، حصر المؤسسة النقدية فى شعر البديع سوزان بينكنى ستتكيفتش ترجمة أحمد عثمان ، مجلة فصول المجلد السادس العدد الثانى – يناير سنة ١٩٨٦ ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ٤٥ .

فالقفز من خصوصية الحكم إلى عموميته شيء ميسور عندها فهى تأخذ من معالجة الآمدى للقصائد عند البحترى وأبى تمام والتى تراها قاصرة – وهذا رأيها الذى يخالفها فيها الجِلَّةُ – دليلا على وجود نقطة ضعف كبرى فى ( الموازنة ) ( وفى النقد عند العرب بأكمله ) ، لاحظ القفز من الموازنة إلى النقد العربى بأكمله ، ثم تأتى إلى مناقشة الآمدى لأبيات أبى تمام نتجعلها تكشف النقاب عن عدم صلاحية أدوات النقد العربى التقليدى للتعامل مع قضية صلة الشاعر بمن سبقوه .

أما مناقشتها لرأى الآمدى فى أخطاء أبى تمام ، ومحاولاتها الرد على اعتراضاته فقد دارت على التلميح إلى قصور فهم الآمدى للمعانى الشعرية ، حيث إنها تردد كثيرا أنه ( فات على الآمدى ) و ( لم يصل الآمدى إلى إدراك معنى البيت ) و ( ما لم يفهمه الآمدى ) ، ونحن لو سمعنا هذا من علمائنا العرب المعاصرين لأمكننا أن نجد له شيئا من القبول فى نفوسنا ، على أن معظمهم يأبى لهم تواضعهم وتقديرهم لأجدادهم العلماء الرواد أن يوجهوا مثل تلك الانتقادات لهم ، وانطلاقا من مبدأ فنى واضح ، وهو أن مقاييس نقادنا القدماء ، تختلف عن مقايسنا نحن ، كما أن فهمهم للعبارات الفنية والصور الخيالية فى الشعر العربى بعيد عن فهمنا نحن فى هذه الأيام ، إذ إن أداتا اللغة وهى الألفاظ ومعانيها من حيث كونها أوعية للصور الفنية لها أصداء فى النفس وانعكاسات فى الشعور تختلف ، وقد تتناقض ، مع أصداء وانعكاسات الكلمات والتراكيب ذاتها فى عصور أخرى ، وهذا أمر يتعلق بتاريخ الألفاظ وموقعها الاجتماعى فى كل عصر وطريقة استخدامها ، وأعظم مثال على هذا اختلاف لهجات قبائل الجزيرة العربية ، أضف إلى هذا كله أن شعرنا العربى القديم تجرى فى عروقه دماء مادتها الأولية حياة العربى وبيئته ، وأدواته التى تلازمه فى حله وترحاله ، وهذه المواد وتلك الأدوات قد تلاشت الآن ، فلا يستطيع القارىء العربى إلاّ أن يحاول تخيلها إعتمادا على تصوير الشاعر لها ولكنه لن يستطيع أن يتلقى من خلال هذا الشعر كل إحساس الشاعر بتلك الألفاظ ومدلولاتها ، هذا عن القارىء العربى ، فما بالك بالقارىء الأجنبى ، الذى وإن قرأ بالعربية وأجادها لفظا وكتابة كأهلها ، وهو أمر يكاد يكون مستحيلا ، فإن براعته هذه لن تتعدى إدراك العلاقات الدلالية ، إذ إنه لن يستطيع أن يتعدى هذا إلى اللغة الفنية ، تماما كالقارىء العربى

الذى ينظم بحثا عن الشعر الانجليزى مثلا ، فهو إن تبحر فى الرطانة فلن يتعداها إلى تحليل الصور الفنية عند شكسبير ، أو كولودج أو وردزورث أو إليوت وغيرهم من شعراء الانجليز على قرب العهد بهم مقارنة بالشعر العربى القديم ، ولو حاول لوجد من يسفه آراءه ويدعوه إلى التزام حدوده ، وخاصة أن الأدب الانجليزى فى نظر بعض نقادهم هو عنوان المثل الأعلى فى الفن ، يقول ماثيو أرنولد عند حديثه عن ميلتون : « أما أن ميلتون يعد الفنان الوحيد ، من بين فنانينا الانجليز جميعا ، الذى يحظى بأعلى مرتبة فى الأسلوب الفخم بفضل لغته وإيقاعه فإن هذا أمر مسلم به ، لأنه لا يحتاج إلى مناقشة » ثم يتساءل « إلى أى شيء يدين ميلتون بهذا الامتياز الفائق ؟ » ثم يختم الفصل بهذه العبارة التى تقطر تعصبا : « إن الجنس الانجليزى ينتشر فى العالم أجمع ، ولسوف يظل إلى الأبد مالكا لناصيته المثل الأعلى فى الجودة الرفيعة النادرة »[1] .

فهل بعد هذا سيقتصر الأمر على مجرد تسفيه رأى ناقد عربى تجرأ على نقد الشعر الانجليزى ؟ ، أشك فى هذا .

أما الأدب العربى فساحته مستباحة ، وحماه قد ولغ فيه كل ذى ظفر وناب ، ثم تعاظم الأمر إلى أن صار البغاث بأرضنا يستنسر ، ولهذا بحث يطول .

أما مناقشاتها تلك والتى حاولت فيها أن ( تصحح ) للآمدى بعضا من ( فهمه ) للأبيات التى نقدها فمنها قولها تعليقا على نقد الآمدى لقول أبى تمام :

فى مَكَرٍّ تلَوكُها الحَرْبُ فيه وهى مُقْورَّةٌ تلوكُ الشَّكيما

يقول الآمدى : « ( وتلوك الشكيما ) أيضا ههنا خطأ ، لأن الخيل لا تلوك الشكيم فى المكر وحومة الحرب ، وإنما تفعل ذلك واقفة لا مكر لها » تقول سوزان : « وتتركز المشكلة حول كلمة ( مكر ) التى أخذها الآمدى على أنها تعنى ( الهجوم ) ، ومن هنا استنتج أن الصورة الشعرية التى يرسمها أبو تمام ليست

---

(١) مقالات فى النقد ماثيو أرنولد ترجمة على جمال الدين عزت ، ص ٦٠ .

صحيحة ، لأن الخيول لا تعض على الشكيمة وهى تهاجم ، فى حين أن المعنى الأصلى للفعل ( كر ) هو ( أن يدور دورة ثم يعود للحرب ) ، ومن ثم فهى تتضمن إحكام الشكيمة ثمّ لف الحصان للهجوم ، فلا سبيل إذن للقول إن الحصان اللهوف على المعركة لا يمكن أن يعض الشكيمة » (١) .

فالكاتبة تضع تفسيرا معجميا للألفاظ غير منسوب لأى مرجع فى العربية - وأظنها تعتقد أن اللغة العربية لا تستحق مفرداتها أن تؤصل معجميا ، وأن كل من هب ودب يمكنه أن يفسر منها ماشاء على هواه ، فالمعنى الأصلى - كما تدعى - للفعل ( كرّ ) : ( أن يدور دورة ثم يعود للحرب ) ، ولكن من قال أن هذا هو المعنى ( الأصلى ) للفعل ( كرّ ) ؟ أليس هو كما تنص المعاجم : ( العطف على الشيء أو الرجوع عنه ) (٢) ثم استعمل فى الحرب ؟ .

كذلك من السهل أن تقول إن معنى ( يلوك ) يعض ، ( فاللوك ) صار هو ( العض ) ، أين هذا من ذاك ، ( اللوك ) يعرفه المبتدىء فى اللغة العربية ( أعنى العربى ) على أنه ( المضغ ) لا العض ، وتضيف المعاجم هو : مضغ الشيء الصُّلْب المَمْضَغَةِ تديره فى فيك ، أو إدارة الشيء فى الفم (٣) ، وهذا يصاحبه تلبث وأناة وراحة .

فكيف يكون الحصان - اللهوف على المعركة كما تقول - قادرا على أن يدير الشكيم فى فمه وهو مشدود اللجام ؟ لقد فهم الأمدى خطأ أبى تمام هنا فهما صحيحا ، وهو شيء طبيعى ومتوقع ، ولم تفهمه سوزان وهو أيضا أمر طبيعى ومتوقع !! .

وتقول فى موضع آخر : « ويثبت التحليل الاشتقاقى لكلمة « ذوابل » أن معرفة الشاعر اللغوية هنا أكبر من معرفة ناقده » (٤) .

---

(١) أبو تمام فى موازنة الآمدى - سوزان بينكنى ص ٤٦ .

(٢) اللسان والتاج ( مادة كرر ) .

(٣) اللسان ( لوك ) .

(٤) أبو تمام فى موازنة الآمدى ص ٤٧ .

فالكاتبة أعلم منهما ، حيث أنها استطاعت ( بعلمها هذا ) أن تحكم على أن معرفة أبى تمام باللغة أكبر من معرفة الآمدى !! .

ومن هذا أيضا تعليقها على تخطئة الأمدى لأبى تمام فى قوله :

كالارْحَبىِّ المُذَكّى سَيْرُهُ المَرطىٰ          والوَخْدُ والمَلْع والتَّقْرِيبُ والخَبَبُ

يقو الآمدى : « فالأرحبى من الأبل منسوب إلى أرحب ، وهى من همدان » ثم يقول : « وليس التقريب من عدو الأبل ، وهو فى هذا الوصف مخطىء ... والمرطى أيضا من عدو الخيل ولم أره فى أوصاف سير الأبل ولا عَدْوها » . وتقول سوزان : « ومن وجهة النظر اللغوية النظرية : يعد كلام الآمدى صحيحا ولا غبار عليه ، ولكن الذى **لم يفطن إليه الآمدى** هو أن هذا الخلط الشاذ بين عدو الخيل ومشى الجمال أمر متعمد من قبل الشاعر ، ذلك أنه لا يصف الجمل ، بل الوزير الشاعر الزيات ، الذى أهديت إليه القصيدة ، والذى تمثل قدرته غير العادية لانجاز مختلف المهام السياسية » [(١)] !! .

أى أن الضمير فى ( سيره ) يعود على الوزير ! ، والمعنى على هذا أن الوزير ينجز المهام بسرعات مختلفة منها البطىء ( كالوخد ) وهو أن يرمى بقوائمه كما تفعل النعام وهو ضرب من سير الابل سريع ومنها ( المرطى ) وهو سرعة المشى والعدو فوق التقريب ودون الإهذاب ، ومنها ( الملع ) وهو السير الخفيف السريع ومنها ( التقريب ) وهو عدو دون الإسراع ، ومنها ( الخبب ) وهو ضرب من العدو [(٢)] .

وهذا - كما هو واضح - سخيف لا يفكر فيه إلا ذو ذوق أجوف فارغ لا حس فيه ، وفوق هذا كله فإن المعانى التى مرت ليس فيها شيءٌ غير عادى يمثل « قدرة الممدوح غير العادية » على إنجاز المهام .

---

(١) أبو تمام فى موازنة الآمدى ص ٤٧ .

(٢) اللسان مادة ( وخد ، مرط ، ملع ، قرب ، خبب ) .

ولا تكتفى الكاتبة بتأليف وإدعاء المعانى للألفاظ والتراكيب بل تتجاوز ذلك إلى الأخيلة والصور فتخترع بعض العلاقات المجازية المتوهمة ، والتى ليس لها أساس فنى أو واقعى إلا فى ذهن الكاتبة ، فعندما يقول الآمدى عن قول أبى تمام :

وكأنَّ أفئدةَ النَّوىٰ مَصْدوعَةً حتى تصَدَّع بالفراق فؤادى

وأفئدة النوى مصدوعة يشبه قوله :

وكم أبرزت منكم على قبح قدها صروف النوى من مرهف حسن القد [١]

تقول سوزان كما هى عادتها فى تسفيه رأى الآمدى :

« وعلى أية حال يبدو أن الآمدى لم يستوعب على نحو كامل مدلول المجاز فى أبيات الشاعر ، فى المثل الأول فاته أن يفطن إلى اللعب «؟» بكلمة « مصدوعة » ، لأن الفعل « صدع » لا يعنى فقط « كسر » بل يعنى أيضا – مثل قطع – « عبر الصحراء » ، وهكذا فإنّ الشطر الأول يعنى ، « كما لو أنّ أفئدة النوى « أى الأراضى » «؟» قد قطعت « أى تم عبورها » » «؟» وباللعب «؟» أو التجنيس يمكن أن يعنى « كما لو أن قلوب الصحراء قد كسرت » ، إنه إذن يؤدى وظيفتين شعريتين : الأولى أنه يخلع حالة الشاعر الداخلية على الإطار الخارجى ، أى الطبيعة كما نرى دائما فى حالة الديار المهجورة ، والثانية أنه يعكس على المستوى اللغوى العلاقة السببية المباشرة بين الشطرين الأول والثانى ، فالتشابه اللفظى « التجنيس » بالنسبة للشاعر ومستمعيه « أو متلقيه » يعكس التشابه الدلالى ، أو التجنيس الداخلى إن صحت العبارة : أى رحيل القبائل والعشاق وفراقهم ، فرحلة الفراق عبر الصحراء هى سبب تصدع قلب الشاعر ، وهى تتشابه معه على المستوى الشعرى ، وبغض النظر عما يقوله الآمدى فنحن هنا لسنا إزاء لعب فارغ بالألفاظ ، ولا تشخيص تعسفى للأشياء ، وإنما نحن بصدد عبارة مكثفة من حيث القيمة الأدبية والشعرية » [٢] .

---

(١) الموازنة : ٢/٤٩ .

(٢) أبو تمام فى موازنة الآمدى : ص ٥٥ .

وتكلف الكاتبة وتحميلها للألفاظ فوق ما تحتمل ، واختلاق خيالات ومجازات فارغة واضح كل الوضوح ، حيث جعلت صدع « وهو شق الشيء قسمين » بمعنى : عبر ، ثم جعلت النوى بمعنى : الصحراء ، كيف ؟ لا أعلم ، أما أن صدع بمعنى عبر ، فيجوز أن تأتى من قولهم : صدع المسافر المفازة أى شقها وقطعها ، وصدع النهر أى شقه وقطعه ، وهذا كله على المثل ، لأن الصدع هو الشق فى الشيء ، أما أن « أفئدة النوى » هى الأراضى مجازا ، فلا أرى لها أية علاقة مجازية ، وليس فى البيت ما يوحى بهذا المعنى إطلاقا ، أما اللعب بالكلمات ، فلعبها الأول بكلمة « مصدوعة » لعب مجازى ثم قالت : وباللعب أو التجنيس ، ولم أفهم مرماها ، وعلى أية حال ، فإننى أنصح الكاتبة بأن تلعب بعيدا عن اللغة العربية ولتلعب ، إن تاقت إلى اللعب ، بلغتها ، فهى أولى بلعبها هذا ، ولتدع اللغة العربية للعب أبنائها .

ولنقرأ شرح الصولى للبيت : « يقول كانت كأنها مصدوعة ، حتى نالنى هذا فلّما تصدع بالفراق فؤادى استراحت » [1] .

وقد زاد الناقد اللماح المرزوقى المعنى وضوحا فقال : « يقول : كأن قلوبها « أى النوى »كانت مشقوقة إلى أن نال منى الفراق ، فصدع قلبى فلما تصدع فؤادى التأمت أفئدتها ، ويروى « حتى تصدّع » والمعنى : أنها كانت كذلك فاشتفت بما فعلت بى مما كان بها » [2] .

فهذا هو المعنى الذى أراغ إليه الشاعر قصده ، لا التخريجات والرؤى والخيالات التى لا يمكن أن تتولد فى ذهن قارىء عربى اللغة يدرك مدلولات الألفاظ المعجمية واستعمالاتهما المجازية إدراكا صحيحا .

---

(١) ديوان أبى تمام بشرح الصولى : ٤٩٤/١ .

(٢) شرح مشكلات ديوان أبى تمام للمرزوقى ص ٢٥٤ .

وقد أجد تفسيرا لهذا التعسف فى التفسير والجنوح فى الخيال فى أنها عثرت بشرح التبريزى للبيت الذى استشهد به الآمدى وهو قول أبى تمام :

وكم أحرزت منكم على قبح قدها صروف النوى من مرهف حسن القدّ

قال التبريزى فى نهاية الشرح : « وقد يجوز أن يريد « بقدٍّ النوى » قطعها الوصل » [1] فهى فى شرحها لهذا البيت نقلت تفسير التبريزى ولم تنسبه إليه ، وبدا كأن هذا الشرح هو من بنات أفكارها ، غير أنها فى الهامش تلطفت وقالت : « وقد لاحظ التبريزى فى شرحه لهذا البيت » ثم أوردت نص الشرح فى الهامش ، وبعد هذا وجدت أن معنى « يصدع » فى البيت : « يشق » أو « يقطع الفلاة » ، فجاءت بمعنى من عندها « لأفئدة النوى » لتصير : « الأراضى » .

وبعد هذا فمقالتها تلك مملوءة غثاء كثيرا وسخفا مركبا ، وهجوما مشوبا بعنصرية ذميمة على واحد من أكبر نقادنا العرب القدامى ، وتسفيها لأرائه وكأنها تريد إسقاط تجاربه النقدية الرائدة فى كتابه هذا ، وصولا إلى إسقاط أدوات النقد العربية كلها كما ادعت ، وكان يمكن أن أضيف هذه المقالة إلى كتابات أخرى ظهرت عن الموازنة ، ولكننى لم أعبأ بها ، وتجاهلتها لعدم جدوى دراستها ونقدها ، لولا أن الكاتبة غير عربية ، ولولا هجومها على النقد العربى من خلال نقدها للموازنة ، وأن المقام ليس مقام دراسة مستفيضة لكل ما كتب عن الموازنة .

أما الباحثون الذين أسرفوا فى الاحتفال بمحاولة الآمدى فى الموازنة ، فمنهم الدكتور مندور فى كتابه النقد المنهجى الذى لم ينع عليه إلا تعنته فى أن اللغة لا يقاس عليها [2] ، وتجاهل إصرار الآمدى على التمسك بنظرية عمود الشعر ،

---

(١) شرح التبريزى : ١١٠/٢ .

(٢) النقد المنهجى ص ١٢٤ ، والموازنة ٢٢٧/١ .

وخاصة فيما يتعلق بالصور الفنية ، بل أيده فى بعض المواضع [١] ، كذلك نفىٰ عنه كل شُبَهِ التعصب ، وقال بعد أن شرح معنى التعصب النفسى والفنى « وبالرجوع إلى كتاب الموازنة نفسه نجد أن المؤلف لم يتعصب للبحترى كما لم يتعصب ضد أبى تمام ، وإنما هذه تهمة اتَّهمه بها النقاد اللاحقون عندما فسد الذوق وغلبت الصنعة والتكلف على الأدب العربى ، ونظر هؤلاء الأدباء المتأخرون فى بعض انتقادات الآمدى لسخافات أبى تمام « ووساوسه » ، ولم يوافقوا على تلك الانتقادات لمرض أذواقهم فقالوا : إن الرجل متعصب ضد أبى تمام ، وهذا ظلم يجب أن نصلحه ، والتهمة لا تقوم بعد على استقصاء لأقواله ، ولا تصدر عن نظر شامل فى كل ما قاله ... » [٢] ، وقال فى موضع آخر « وهذه حالة نفسية لا وجود لها فى كتاب الآمدى لا صراحة ولا من وراء حجاب » [٣] .

أما أن الآمدى كان متعصبا ضد أبى تمام فإننى أؤيد د. مندور فى ماذهب إليه من بطلان هذه التهمة ، ولكننا لا نستطيع أن ننكر ميل الآمدى للبحترى ، لا تعصباله ضد أبى تمام ، ولكن حبا لمذهب عمود الشعر الذى لم يفارقه البحترى .

وإعجاب د. مندور الشديد بالآمدى يجعله يحاول تخريج بعض أقواله التى لا تتفق مع المقاييس الفنية للشعر ، فعندما قال الآمدى : « والشاعر لا يطالب بأن يكون كلامه صدقا » [٤] عقب عليه د. مندور قائلا : « وإن كنا لم نعرف ماذا يقصد بقوله « والشاعر لا يطالب بأن يكون قوله صدقا » ثم تمسكه بعد ذلك بصحة المعنى ، والذى يبدو لنا هو أنه يقصد بالصدق صدوره عما وقع فعلا ، فالشعر كما هو معلوم ليس من الضرورى أن يكون صادرا عن الواقع لكي لا يتهم بالكذب ،

---

(١) النقد المنهجى : ٣٤٢ .
(٢) النقد المنهجى : ٩٧ – ٩٨ .
(٣) النقد المنهجى : ٩٦ .
(٤) الموازنة : ٤٢٨/١ .

يكفى أن يكون صادرا عن واقع نفسى ، ولعل هذا هو المقصود بصحة المعنى ، فالمعنى يصح إذا استجابت له النفس أو أمكنها الاستجابة له عندما تتهيأ لذلك ، وهو يصح حتى لو كان مجرد احتمال أو إمكان » [1] .

ولكننى أرى أن ما قصده الآمدى هو الصدق الفنى ، فالشاعر غير مطالب بأن تكون عاطفته متفقة مع معانى شعره ، ولهذا قال الآمدى « إعلم أن تأبين الميت كمدح الحى لا فرق بينهما ، إلا ما يفترق ذلك من ذكر التوجع وأنواعه » [2] ، وهذا يدعوه إلى أن يلزم الشعراء طريقة واحدة فى إظهار العاطفة تجاه الحبيب وهى « التوله ، لا التجلد والصبر » [3] مع أن ميزان هذا هو صدق الشعور ، وقد ذكرت هذا فيما مر من الحديث عن مقاييس الآمدى [4] .

ومن الذين تعرضوا للآمدى ولم يسرفوا فى تأييده أو تسفيه آرائه الدكتور إحسان عباس ، وإن شاب بعض آرائه التناقض ، كقوله فى موضع : « فمن حق الموازنة أن تكون قائمة على الحساب ، هذه حسنة يقابلها حسنة ، وهذه خمس سيئات يقابلها أربع ، فإن شئت بعد ذلك أن تقوم بعملية جمع وطرح ، استطعت أن تصل إلى نوع من الحكم قائم على الدقة الاحصائية وهو على أية حال أسلم من الحكم المرسل » [5] ، وكأنه أدرك أن هذا الأسلوب لا يتفق مع طبيعة الفن الشعرى ونقده ، فعاد يقول فى موضع آخر « وموطن الضعف فى هذه الموازنة أنها تقوم على تجزئة القصائد وهى بالعملية الاحصائية أشبه » ، ويقول « إنها « أى الموازنة » إخضاع شىء لا يخضع للإحصاء » [6] .

ويقول فى تقريظه للموازنة « فكتاب الموازنة وثبة فى تاريخ النقد العربى بما

---

(١) النقد المنهجى : ١٢٨ .

(٢) الموازنة : ٤٦٩/٣ .

(٣) الموازنة : ٣٧/٢ – ٣٨ .

(٤) انظر ص ٣٢ .

(٥) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٦٠ .

(٦) المرجع السابق ص ١٨٢ .

اجتمع له من خصائص لا بما حققه من نتائج ، ذلك لأنه ارتفع عن سذاجة النقد القائم على المفاضلة بوحى من الطبيعة وحدها دون تعليل واضح » (١) ثم يقول فى موضع آخر « إن قضية الموازنة قد اقتضت من الآمدى جهدا فى غير طائل ، وردته إلى سذاجة المفاضلة مرة أخرى على الرغم من تذرعه بالعلل » (٢) ، فكيف يكون قد ارتفع عن النقد القائم على المفاضلة أولا ، ثم عاد إلى سذاجة المفاضلة ؟؟ .

وتبقى بعد ذلك آراؤه فى كتاب الموازنة التى جاء كثير منها وليد دقة البحث وأمانة الاحتكام إلى الموضوعية . ولم تخل من بعض الآراء التى تحتاج إلى مناقشة كقوله : « الشعر لديه « أى الآمدى » عالم مستقل من النغمة العذبة واللفظة المألوفة والمعنى المألوف ، لا دخل له بالأفكار المتفردة والصياغة المتعلة والإشارات البعيدة » كل هذا حق وواضح فى كتاب الآمدى ، إلا أن قوله « وهو فى هذا شبيه بابن طباطبا ، إلا أنه لا يهتم اهتمام ابن طباطبا بكيفية الصياغة ، ولا يعرف كثيرا عن العلاقة الصناعية بين القصيدة والرسالة » (٣) ، فيه شيء من اطلاق للحكم دون ترو ، إذ كيف نستطيع الجزم بأنه لا يعرف كثيرا عن العلاقة الصناعية بين القصيدة والرسالة ؟ وقد قرأنا للآمدى عبارات كثيرة تنم عن إدراكه لأهمية الصياغة كقوله : « وينبغى أن تعلم أن سوء التأليف ورداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ، ويعميه حتى يحوج مستمعه إلى طول تأمل ، وهذا مذهب أبى تمام فى عظم شعره ، وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد ، وذلك مذهب البحترى » (٤) وبعد أن ينقل أقوال بعض العلماء فى الشعر يقول : « فصحة التأليف فى الشعر وفى كل صناعة هى أقوى دعائمه بعد صحة المعنى » (٥) . ولهذا يرى

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٢ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٧٣ .

(٤) الموازنة : ٤٢٥/١ .

(٥) الموازنة : ٤٢٨/١ .

د. مندور أن ما قاله الآمدى آنفا هو رأى معظم نقاد أوربا اليوم الذين يرون أن أمر المعانى فى الشعر ثانوى بالنسبة للصياغة [1] ، وهذه هى الصياغة كما يراها الآمدى أما « العلاقة الصناعية » التى ذكر د. إحسان أن الآمدى لم يعرفها ، فإذا كان يقصد بها « ميكانيكية » الصياغة الشعرية ، أو النشاط الإبداعى فى الصياغة الشعرية ، وهو أهم الفروق بين الشعر والترسل ، فإنه ميدان لازال البحث فيه حتى يومنا هذا غضا ، وأعنى به بحث ظاهرة « الإبداع » فى الفنون ، وهى من الظواهر الغامضة التى اهتمت بها الدراسات النفسية الحديثة ، ولم تصل تلك الدراسات حتى اليوم إلى تفسير علمى عن « ميكانيكية » الإبداع عند الفنان .

ويرى د. إحسان أن أحكام الآمدى جاءت نتيجة النشأة التأثرية ، ورد هذه النشأة إلى سنة ٣١٧ عندما كان يحاول اختيار الجيد من شعر الطائيين ، وكان ذوقه قد حدد وجهته فى أخذ ما يأخذه وطرح ما لا يستسيغه [2] ، وأنا أويده فى ما ذهب إليه من أثر النشأة التأثرية ولكننى لا أردها إلى اختياراته من شعر الطائيين ، بل إلى فترة سابقة على هذا التاريخ بدأت مع أوليات ثقافته التى كان عمادها النحو ، فقد كان معدودا من النحويين ، والمنهج اللغوى فى الدرس يعتمد على السماع ، فاللغة لا يقاس عليها ، فتربى ذوقه فى هذه المدرسة فظهر عنده هذا الميل إلى الالتزام الشديد بالسماع ونبذ القياس ، وبهذا الذوق ناقش الصور الفنية عند الشاعرين

غير أن من أبرز ما صحب د. إحسان التوفيق فيه تأكيده على أن الآمدى « حاول أن يكون منصفا وظهر بمظهر المنصف فى مواطن عديدة ، ولكن ميله كثيرا ما كان يوجهه رغما عنه » [3] .

---

(١) النقد المنهجى : ص ١١٧ .

(٢) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٧٤ .

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٦٤ .

ومن هذه النظرات الصائبة دعوته إلى عدم تحكيم قواعدنا التى نراها صائبة فى هذه الأيام فى ما كان يظنه النقاد القدماء فى عصرهم صائبا [1] ويقول : « وقد يتحدث الآمدى لفريق من أبناء عصره بهذا فيدركون أن استعارة امرىء القيس صحيحة للخيال العربى ، وأن استعارة زهير كذلك مقبولة سائغة ، ولكن من الصعب علينا اليوم أن نميز ذلك تمييزه ، بعد أن اختلطت علينا استعاراتنا بالاستعارات المستمدة من الخيال الأجنبى حتى ألفنا هذا الخليط العجيب » [2] .

وهذا – لعمرى – القول الحق ، إذ كيف نتعسف فنحاول تطويع أذواق القدماء لأذواقنا ، والاختلاف بيننا وبينهم كبير وواضح ؟ ، وهذا السؤال موجه إلى كل من يحاول التقليل من أعمال نقادنا القدماء الرائدة ، أو التعرض للمقاييس التى تعتمد على الذوق والإحساس أو التى مصدرها بيئتهم وأدواتها ، والأدهى أن يأتى أحدنا إلى المفاهيم والمصطلحات الأجنبية يحاول استخراجها قسرا من أدبنا القديم ، وإذا لم يستطع كال لهذا الأدب التهم والدعاوى الباطلة ، على الرغم من إدراكه الواعى باختلاف المفاهيم النقدية المعاصرة لتعدّد المدارس النقدية « النقد الماركسى ، النقد النفسى ، النقد اللغوى ، الأسلوب ، الشكليه العضوية الجديدة ، النقد الأسطورى الذى يستعين بمكتشفات الأنثربولوجيا الثقافية ، النقد الفلسفى الوجودى » . بل باختلاف هذه المفاهيم من ناقد إلى آخر داخل المدرسة الفنية الواحدة [3] ، ومع هذا كله يحاول البعض أن يتشدق بمصطلحات أجنبية معاصرة فى دراسات مظهرية للنقد الأدبى القديم .

أما عن تعصب الآمدى على أبى تمام فقد نقل ياقوت فى إرشاد الأريب عن أبى الفرج الببغاء الشاعر ( ت ٣٩٨ ) قوله : كان الآمدى صاحب كتاب الموازنة

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٧ .
(٢) المرجع السابق ص ١٦٩ .
(٣) انظر : مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك ، ترجمة د. محمد عصفور ص ٥٠ ، ٥٣ ، ٤٦٧ .

يدعى هذه المبالغات على أبى تمام ، ويجعلها استطرادا لعيبه إذا ضاق عليه المجال فى ذمه » [1] .

فهى تهمة قديمة إذن نقلها ياقوت وأيدها فقال : « ونسب فيه إلى الميل مع البحترى فيما أورده ، والتعصب على أبى تمام فيما ذكره » ثم قال : « ولعمرى إن الأمر كذلك » [2] .

وابن المستوفى « ت ٦٣٧ » يقول فى النظام : « أظن الآمدى لتعصبه على أبى تمام كان يضع فى شعره أبياتا مفسودة ليردها عليه » [3] .

وجاء المحدثون فتبنى أكثرهم هذا الرأى ومنهم الأستاذ أحمد أمين [4] ود. محمد عبده عزام [5] ود. شوقى ضيف [6] .

والواقع أن الناظر فى كتاب الآمدى يلحظ بعض الظواهر التى قد تثير فى نفسه شيئا من مظنة الاعتقاد بتعصبه على أبى تمام ، كعرضه لمحاورة الخصمين : « فقد كان موقف الآمدى فيها موقف المتشيع لأصحاب البحترى والمشجع لهم » [7] .

أضف إلى هذا ثوراته على أبى تمام ، وألفاظه القاسية لإرذال شعره ، هذه الظواهر يرى فيها د. طه الحاجرى دوافع « حملت ياقوتا وغيره على اتهام الآمدى بالتعصب على أبى تمام فى كتابه الموازنة ، وربما لم يقصد الآمدى إلى شىء من هذا ، ولكنها على كل حال الطبيعة التى لا تغالب مهما تحرز المتحرز وتحصن » [8] .

---

(١) معجم الأدباء : ٨٤/٨ .
(٢) المصدر السابق : ٨٧/٨ ، ٨٨ .
(٣) النظام شرحى المتنبى وأبى تمام دار الكتب لوحة : ٢٧١ .
(٤) مقدمة كتاب أخبار أبى تمام ص أ هـ .
(٥) مقدمة شرح التبريزى ص ٢٠ .
(٦) النقد د. شوقى ضيف ص ٧٣ .
(٧) الآمدى وكتاب الموازنة د. طه الحاجرى ص ٣٩ .
(٨) المرجع السابق : ص ٤١ .

لقد حاول الآمدى جهده فى الموازنة أن يكون منصفا محايدا ولكنه عندما يوازن ويحكم فإنه يستبطن ذاته ، ويستوحى مشاعره ، ويتحسس وقع الصورة الشعرية فى نفسه وعواطفه ويصدر عن هذا كله أحكاما حاديها الذوق الذاتى ، وباعثها التأثر الشخصى ، وقد درب هذا الذوق ، وتربى هذا المزاج فى مدرسة النحويين وبين روائع الأدب القديم ، فالقضية التى لا يستطيع أن يتحرر منها هى تأثير الذاتية فى الحكم ، وإذا كان هذا الذوق إنما هو محصلة لأذواق شتى مختلفة صهرت فى بوتقة واحدة من العواطف الذاتية المستقلة ، فإنها ستنتهى إلى أن تعود إلى نقطة البداية وهى اختلاف الأذواق فيما بينها ، والآمدى بعد كل هذا لم يتعصب للبحترى تعصب الصولى لأبى تمام ، بل إن موقف الصولى من أبى تمام ، يظهر لنا الآمدى ناقدا منصفا لأبى تمام متعصبا للاتجاه القديم ، ولو أردنا الموضوعية لقلنا : إن الآمدى كان منصفا لنفسه ولذوقه أكثر من عصبيته للبحترى .

* * *

## ٣ - منهج الآمدى فى الموازنة

استطاع الآمدى فى كتابه أن يجسد لنا ذلك الرقى الذهنى والروح العلمى الواعى والمتمكن للنقد فى القرن الرابع ، وقد امّاز عن النقاد الذين سبقوه فظهر من بينهم ناقدا فنيا شامخا ، ولا غرو فقد كشف فى كتابه عن عقلية نقدية ، وذوق فنى صادق قل أن نجد لهما نظيرا بين نقادنا القدماء ، وبهذين الدعامتين خرج لنا عمله هذا مبنيا على منهج علمى محكم غاية الأحكام ، فتوصل به إلى أحكام فنية قريبة من الصواب فى معظم الأحيان

أما منهجه فقد تجلت فيه الدقة والترتيب المنطقى والفنى ، فهو فى بداية كتابه تحدث عن السبب الأساسى لتأليفه له ، فقد انشعب الناس فى عصره إلى شعبتين مختلفتين ، واختصموا حول أبى تمام والبحترى وغلب الهوى على كل فرقة فلم تسلم من الحيف والظلم ، وظهرت الحاجة إلى إخراج هذا المصنف ليتحرى الدقة ويبتعد عن التعصب ، ولعل الظن الذى ذهب إليه د. إحسان عباس فى محله عندما رأى أن الموازنة ربما تكون « تلبية علمية المظهر والمنهج لحاجة ذلك الصراع الدائر بين المتطرفين من الفريقين » (١)

وقد بدأ الآمدى بأن حدد الأطار العام لمنهجه فى الكتاب ، فهو سيؤسس هذا المنهج على الحكم العادل والموازنة المقسطة يقول : « أما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكنى أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقنا فى الوزن والقافية وإعراب القافية وبين معنى ومعنى ، ثم أقول أيهما أشعر فى تلك القصيدة وفى ذلك المعنى ، ثم احكم أنت حينئذ إن شئت على جملة ما لكل واحد منهما ، إذا أحطت علما بالجيد والردىء » (٢) .

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب د. إحسان عباس ص ١٦٠ .

(٢) الموازنة : ٦/١ .

ويقول فى موضع آخر مؤكدا الذاتية فى التذوق متجاوزا الأحكام المطلقة والتعميم فى تقديم الشعراء « وأنا أذكر – بإذن الله – فى هذا الجزء أنواع المعانى التى يتفق فيها الطائيان ، أوازن بين معنى ومعنى ، وأقول أيهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه ، فلا تطالبنى أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندى على الإطلاق فإننى غير فاعل ذلك ، لأنك إن قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد » (١) .

هذه بلا شك نغمات جديدة فى تاريخ النقد العربى ، كما يقول د. مندور (٢) إذ إنه لن يحدد أيهما أشعر عنده على الاطلاق ، لتدخل التذوق الشخصى والذاتية فى الحكم ، وربما لن يستسيغ القارىء ما استجاده المؤلف لاختلاف الأمزجة ، وهو لا يريد أن يقلده القارىء ، لأنه لن تحصل الفائدة بالتقليد وإنما تحصل بالنظر .

ثم بدأ كتابه بعرض واف لاحتجاج الخصمين ، وردود الأنصار والخصوم ، ولا شك أنها بداية تقتضيها منهجية البحث ، ثم يبدأ الآمدى بذكر مساوىء الرجلين ليختم الفصل بذكر محاسنهما فيناقش سرقات أبى تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره ومساوىء شعر البحترى فى أخذ ما أخذ من معانى أبى تمام ، وغير ذلك من غلطه فى بعض معانيه .

ويفتتح الموازنة بذكر ابتداءاتهما فى المقدمة الطللية ، ولم تكن تلك الابتداءات التى وازن بين معانيها مقصورة على أبواب المدح ، وإنما كان هذا عنصرا هاما فى منهجه ، يبدأ دائما بابتداءات القصائد فى الأغراض الشعرية الرئيسية من مدح ورثاء ، فيقول فى بداية باب المراثى : « قد جرت العادة فى كل باب أن نعتد فيه الابتداءات فيجب أن أقدم ابتداءات هذا الباب » (٣) .

كما شملت الموازنة الألفاظ والصياغة والصور والأخيلة ، كما حرص على ترتيب

---

(١) الموازنة : ٤١٠/١ .

(٢) النقد المنهجى : ص ٩٤ .

(٣) الموازنة : ٤٥٧/٣ .

المنهج ترتيبا عقليا مقبولا عندما قال : « وكان الغرض فى ترتيب الموازنة أن أبدأ بأنواع المناسب التى ذكراها فى ابتداء قصائدهما قبل المدح : ولمّا ذكرت ما كان من وصفهما للخمر والرياض فى القصائد ، وجب أن أذكر ما كان من الأشعار القائمة بأنفسها فى غير قصائد المدح ليكون الباب بابا واحدا .

ومن أليق الأشياء بوصف السحاب وصف الأمطار ، وكان الأولى بالتأليف أن يكون قبل ذكر الريّاض ، وأنا الآن أجعل بابها فى هذا الموضع ، ليكون كلّ نوع مع شكله ونظيره .

وقد مضى من ذكر السحائب والأمطار فى باب « الدعاء للمنازل والربوع بالسقيا » ما مضى ، وهذا الباب طريقه غير ذلك الطريق » (١) .

وقد حرصت على ايراد هذا النص على طوله لما له من دلالة عظيمة على دقة منهج الآمدى ، وحرصه على ترتيب أبوابه ، وفطنته للعلاقات التى تربط الأبواب بعضها ربطا منطقيا وواقعيا محكما .

فمن ناحية ترتيب الموضوعات حرص الآمدى على التزام عنوان الفصل ، فيورد الأبيات التى قالها الطائيان فى معنى محدد ، وإذا تعلق بهذه الأبيات بيت لا يتفق معناه مع الأبيات التى يناقشها ، فإنه يؤخره إلى بابه الذى يناسبه ، فيقول تعليقا على قول أبى تمام :

أيُّها البَرقُ بُتْ بأعلى البِراق ... واغْدُ فيها بوابلٍ غيداق

وهذا بيت جيد ووصله ببيت هو غاية فى الحسن والحلاوة نأتى به إن شاء الله فى بابه » (٢) .

وفى باب « ما أخطأ فيه البحترى من المعانى » يناقش خطأه فى قوله :

قِفِ العيسَ قد أَدْنَى خُطاها كَلالُها ... وسَلْ دارَ سُعْدى إن شفاك سُؤالُها

---

(١) الموازنة : ٦٥٣/٣ .

(٢) الموازنة : ٤٦٤/١ .

ثم يقول : « وسأزيد شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار » [1] .

وكان يلتزم أن يورد فى نهاية الباب أحسن ما قيل فى معناه وذلك بعد أن ينتهى من الموازنة بين الشاعرين « حتى لتعتبر موازنته موسوعة فى المعانى الشعرية التى تناولها شعراء العرب » [2] .

ومن الأمور التى تلفت النظر إشارته إلى كافة المؤلفات التى اطلع عليها فى موضوع موازنته ، ومناقشتها والرد عليها ، فقد نقل عن محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الشعراء [3] وكتاب الورقة [4] ، ويتحدث عن أمالى وكتب المبرد [5] ، ويرد على ابن أبى طاهر فى تخريجه سرقات أبى تمام [6] ، ويذكر ما قاله أبو العباس عبد الله ابن المعتز فى كتاب البديع [7]، وكتاب سرقات الشعراء [8] ، ويناقش أبا العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمار القطربلى المعروف « بالعُزَيْر » ، ويرد عليه فى الأبيات التى أنكرها ولم يقم الحجة على تبيين عيبها وإيضاح الخطأ فيها ، ثم يذكر الأمام الشافعى فى تفسيره لمعنى « الأيم » فى الحديث [9] ، كما نقل عن كتاب الخيل لأبى عبيدة [10] ، ويناقش آراء البعض منهم كما فعل مع قدامة ورد عليه فى كتاب خاص سماه « تبيين غلط قدامة فى نقد الشعر » [11] ، فهو لا ينقل نقلا جافا عن

---

(١) الموازنة : ٣٧٩/١ .
(٢) النقد المنهجى : ٣٤١ .
(٣) الموازنة : ١٩/١ ، ٢٧ .
(٤) الموازنة : ١٣٨/١ .
(٥) الموازنة : ٢٢/١ .
(٦) المصدر السابق : ١/ ١١٢ وما بعدها .
(٧) المصدر السابق : ١٣٩/١ .
(٨) المصدر السابق : ٢٧٣/١ .
(٩) المصدر السابق : ١٦٩/١ .
(١٠) المصدر السابق : ٣٠٥/١ .
(١١) المصدر السابق : ١٧٥/٢ .

الكتب والمصنفات التى اطلع عليها ، وإنما يناقش ، ويرد ويفند فى اسلوب نقدى رصين ، فهو يفعل كما نفعل اليوم عندما نريد درس مسألة من المسائل « فنجمع الكتب التى وضعت فى تلك المسألة ، وننظر فيها ، فنقر مانقبله منها ، ونعتمد ما نعتبره كسبا نهائيا ، ثم نراجع ما نراه خطأ ونكشف عما ترك فى الظلال » [١] .

ويظهر الآمدى فى كتابه محتويا ثقافة عصره متأثرا بابن المعتز ، قارئا لآراء وحكمة اليونان والفرس ، ويتعرض للرد على مقاييس أرسطو التى أوردها قدامة فى كتابه « نقد الشعر » [٢] ، ثم يناقش آراء بزرجمهر ويشرحها [٣] .

وإذا كنا فى هذه الأيام نحاول أن نحقق النصوص ، فنرجع إلى عدة نسخ نقارن بينها ، ونستخرج أحكاما تكون أقرب إلى الصحة ، بأسلوب علمى معلل ، فإن هذا ما كان يفعله الآمدى ، فقد روى قول أبى تمام :

دارٌ أُجِلُّ الهوى من لَمْ أُلِمَّ بِها ... فى الرَّكْبِ إلّا وعَيْنِى من مَنائِحها [٤]

ثم قال : « فإنما وجه الكلام أن يقول : دار أجل الهوى عن أنْ أُلِمَّ بها إلّا وعينى من منائحها ، أو أجل الهوى من أن أُلِمَّ بها وليس عينى من منائحها ، وقد كنت أظن أنَّ أبا تمام على هذا نظم الشعر ، وأن غلطا وقع فى نقل البيت ، حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التى لم تقع فى يد الصولى وأضرابه فوجدت البيت فى غير نسخة مثبتا على هذا الخطأ » [٥] .

وكرر هذا فى عدة مواضع [٦] ، وهذه دقة تضاف إلى مناقب الآمدى ، ويرى د. طه الحاجرى أن هذه الدقة مرجعها دراسته النحوية فيقول : « وإلى هنا نرى

(١) النقد المنهجى : ١٠٠ .
(٢) الموازنة : ١٧٤/١ .
(٣) المصدر السابق : ٤٢٨/١ .
(٤) شرح التبريزى : ٣٤٥/١ .
(٥) الموازنة : ١/ ٢١٥ .
(٦) انظر الموازنة : ٢٢٨/١ ، ٤٠٨ .

الآمدى مزاجا من الشعر والرواية والنحو ، فأما الشعر فمعناه الانفعال بصور الجمال الفنى ، وأما الرواية فمعناها الإلمام بصور العبارة الفنية ، أو حتى الإحاطة بألوان الثقافة الفنية ، وأما النحو فمعناه عند الآمدى هذه الصفات العقلية المنهجية ، دقة النظر ، ونظام الفكر وتعليل الرأى ، وهذه المعانى وهذا الترتيب هى عناصر الآمدى الناقد : الذوق الفنى ، الثقافة الفنية ، النزوع العلمى » (١) .

**ملاحظات على منهجه :**

على الرغم من محاولة الآمدى الالتزام بهذا المنهج ، فإنه قد تجاوزه فى بعض الأحيان ، وفى مواضع محدودة ، وكان التجاوز قد تجلّى فى عدة صور ، منها عدم الالتزام بعنوان الفصل وذلك عندما ناقش « ما عيب به البحترى وليس بعيب » (٢) ، فإنه بعد أن ناقش أربعة عشر بيتا للبحترى ، وعرض رأى من عابها ودافع عنه محاولا إسقاط حججهم ، أدخل تحت هذا العنوان أبياتا ثلاثة أقر الآمدى بتعسف البحترى فيها وتعقيد ألفاظه ، وردىء تجنيسه ، فيقول فى تعليقه على قول البحترى :

« فتىً لَمْ يَمِلْ بالنَّفْسِ مِنْهُ عن العُلىٰ ... إلى غَيْرِها شَيءٌ سِوَاهُ مُمِيلُها

فإن سلم من عيب اللحن لم يسلم من عيب التعسف ، ولست أعرف بيتا تعسف فى نظمه غير هذا البيت » (٣) .

ويقول : « ومن ردىء التجنيس وقبيحه قوله :

أمِنَّا أَنْ تُصَرَّعَ عن سَمَاحٍ ... وللآمالِ فى يَدِكَ اصْطِراعُ »

ثم يعلق عليه مقرا بقبح التجنيس بين « تصرع » و « اصطراع » (٤) .

---

(١) الآمدى وكتاب الموازنة د. طه الحاجرى – الآداب والتربية – الجامعة الليبية – المجلد ص ١٤ .
(٢) الموازنة : ١/٣٨١ .
(٣) المصدر السابق : ١/٤٠٣ وديوانه : ٣/١٧٨٠ .
(٤) المصدر السابق : ١/٤٠٥ وديوانه : ٢/١٢٤٦ .

ثم يقول :

« ومن ردىء التجنيس قوله :

حُيِّيتِ بَلْ سُقِّيتِ من مَعْهودَةٍ عَهْدِى غَدَتْ مَهْجورَةً ما تُعْهَدُ [١] »

فالأبيات الثلاثة كان الأولى لها أن تفرد فى باب « تعقيد اللفظ وردىء التجنيس » كما فعل عند أبى تمام ، فهو لا يدفع عنها العيب كما يوحى عنوان الفصل الذى أدرجها تحته .

وكان الآمدى قد تحدث عن الأحكام وعللها فقال : « وإن طالبت بالعلل والأسباب التى أوجبت التفضيل ، فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمى من نعت مذهبيهما ... فإنى أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما فى الأشعار التى أرتبها فى الأبواب ، وأنص على الجيّد وأفضله ، وعلى الردىء وأرذله ، وأذكر من علل الجميع ما ينتهى إليه التخليص ، وتحيط به العبارة ، ويبقى مالا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة ، وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت تجربته وقلت دربته ، بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الصناعة وامتزاج بها وإلا فلا » [٢] .

إذن فهو سينص على علل أحكامه فى التفضيل والإرذال ، ويبقى بعد ذلك الأمور التى تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة [٣] ، وهى لا يمكن إدراكها الا بالدربة والطبع ، ولكنه يبدو أنه توسع فى هذا المبدأ إذ إننى قد وجدته فى عدة مواضع أطلق الأحكام على جملة قصائد دون تعليل ، فيقول فى نهاية الجزء الثالث وفى باب « وصف قصائدهما » : « فأقول فى الموازنة بينهما إن عيون شعر أبى تمام أجود من عيون شعر البحترى وهما فى جيدهما متساويان ، وأطَّرح إساءات أبى تمام فى هذا الباب ولا أعتد بها » [٤] .

---

(١) الموازنة : ٤٠٦/١ وديوانه : ٦٢٨/١ .

(٢) الموازنة : ٤١٠/١ .

(٣) وهى عبارة إسحاق الموصلى كما نقل الآمدى « الموازنة : ٤١٤/١ » .

(٤) الموازنة : ٧٠٢/٣ .

وهو فى هذه الأحكام لا يوضح أسباب الاستجادة أو الرداءة فى كثير من المواضع .

وإذا كانت الموازنة لا تصح إلا إذا كان هناك نموذجان تعقد بينهما المفاضلة ، فإن غياب مساهمة أحد الشاعرين فى معنى من المعانى تجعل من العبث منهجيا إثبات وإيراد ما تفرد به أحدهما فى ذلك المعنى ، فالآمدى يقول :

« ومما لم يقل فيه أبو تمام شيئا وصف الأبنية والبرك ، وقد قال البحترى فى ذلك وأحسن كل الإحسان وأتى فيه من ذكر الرياض والمياه بما وجب أن يوصل بهذه الأبيات التى تقدمت » (١) .

وقد أورد قصيدة البحترى التى أولها :

حَلَفْتُ لها باللهِ يومَ التَّفَرُّقِ وبالوَجْدِ من قَلْبِى بها المُتَعَلِّقِ (٢)

وفيها شىء من ذكر الرياض والمياه قد يشفع لها أن يثبتها فى هذا الباب ، أما باقى القصائد كقصيدة البحترى فى وصف قصرى المتوكل الصبيح والمليح ، وقصيدتيه فى وصف بركة المتوكل وإيوان كسرى ، فلا محل لها فى هذا الباب إذا كان ديوان شعر أبى تمام قد خلا من مثل هذه الموضوعات ، وكذلك باب « ذكر الحرب فى البحر » إذ قال فى نهايته الباب بعد أن ذكر قصيدة البحترى فى مدح أحمد ابن دينار : « وليس لأبى تمام فى حرب البحر شىء » ، فإذا كان شعر أبى تمام قد خلا من هذه المعانى ، فما الداعى لإثبات هذا الباب إذا كانت الموازنة لا تتحقق مع غياب نماذج من شعر أحدهما ؟ .

* * *

(١) الموازنة : ٣/٦٦٢ .
(٢) ديوانه : ٣/١٥٠٤ .
(٣) الموازنة : ٣/٣٦٩ .

# ثانيًا: الجزء الثالث من كتاب الموازنة

## أولا : منهج التحقيق

للتحقيق قواعد علمية اتفق عليها ، منها ما هو عام يطبق على كل نص ، ومنها ما يستمد أهميته من خصوصية الأثر العلمى ، وقد التزمت فى قراءتى وشرحى لهذا الكتاب العناصر المنهجية التالية :

١ - الالتزام التام بالنص ورسمه ، فإذا سقطت بعض الكلمات من الأصل ، أو كانت مطموسة ، أو مكتوبة خطأ بسبب سبق قلم الناسخ ، أصلحتها ووضعتها بين معقوفين وأشرت إليها فى الهامش ، وإذا كان رسم الكلمة يحتمل الصحة تركته وأشرت إليه فى الهامش .

٢ - لأهمية النقول التى وردت فى كتاب ابن المستوفى « النظام شرحى المتنبى وأبى تمام » فقد اعتمدت عليها فى تحرير النصوص وتوثيقها ، وإكمال نقص بعضها ووضعت الزيادة المستجلبة من النظام بين معقوفين ، ولأن ابن المستوفى كان ينقل من الموازنة ومن كتاب آخر للآمدى هو « تفسير معانى أبيات أبى تمام » ، وكان لا ينص على موضع النقل أحياناً ، فقد كنت حريصا على التأكد من أن النص فى الموازنة يطابق نقل النظام حرفيا ، ثم أثبت النصوص الأخرى المشكوك فيها فى الهامش .

٣ - اضطررت إلى أن أضع عنوانا لباب واحد وهو « بلاغة الوزراء وحسن عباراتهم ووصف القلم » ، وجعلته بين معقوفين ، وصححت عنوانا آخر ورد متداخلا مع ألفاظ التعليق ، بعد أن أعيانى استخراجه وهو « إغناء السائلين حتى يكونوا مسئولين » .

٤ - عند التقاء النسختين « التونسية وكمبردج » جعلت نسخة كمبردج هى الأصل ، لوضوح خطها ولأنها تشتمل على معظم هذا القسم ، بالاضافة إلى معرفة تاريخ كتابتها ، فإذا وردت زيادة فى التونسية على مافى الأصل أثبته بين معقوفين .

٥ - وردت بعض الأخطاء اللغوية فصححت بعضها وأشرت إليه فى الهامش ، وتركت الأشارة إلى البعض الأخر لوضوح الخطأ .

٦ - اعتمدت على ديوان أبى تمام ، شرح الصولى ، وشرح التبريزى لديوان أبى تمام فى تخريج أبياته ، وعندما يذكر فى هامش شعر أبى تمام « ديوانه » ، فالمَعْنِىُّ شرح الصولى لديوانه .

٧ - رجعت إلى بعض النسخ المخطوطة لديوان أبى تمام لتخريج بعض أبيات له لم أجدها فى شرحى ديوانه للصولى وللتبريزى .

٨ - تركت ترجمة الأشخاص المشهورين وقصرتها على الذين قد يغيب عن القارىء أمرهم .

٩ - حاولت جهدى تخريج الأبيات الواردة فى هذا الجزء ، فهدانى الله لبعضها ، وعجزت عن البعض الآخر مع شدة البحث والتقصى .

١٠ - وردت بعض القضايا النقدية واللغوية أشرت إليها مع شىء من التفصيل فى الهامش انظر « ص ٦٤٨ ، ٦٥٥ ، ومواضع أخرى » .

١١ - وضعت فهارس للأعلام وقوافى الأبيات واللغة وصولا إلى تحقيق سبل الاستفادة الكاملة من الكتاب .

١٢ - رمزت إلى نسخة كمبردج بـ « ك » أو « الأصل » وإلى النسخة التونسية بـ « س » .

١٣ - جعلت بداية هذا الجزء من الكتاب من أول باب « ما قالاه فى الجمال والجلال والهيبة والبهاء والجهارة » حتى لا تكون بداية مبتورة ، حيث إن أول النسخة التونسية يبدأ من الورقة الأخيرة فى ذلك الباب ، وقد اعتمدت فى تحقيق هذا الجزء المضاف على الجزء الثانى المطبوع بالإضافة إلى نسخة مخطوطة له مصورة فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة رقمها « ٤/١١٩٥ ينى جامع » ورمزت إليها بـ « ق » ، والنسخة التيمورية - « دار الكتب المصرية ١٢٦٦٢ ز » ورمزت إليها بـ « م » .

## ثانيا : وصف النسختين المخطوطتين

**١ - نسخة كمبردج** « فهرس المخطوطات الاسلامية فى كمبردج ، إدوارد براون سنة ١٩٠٠ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ » ، وهذه النسخة صفحاتها مبعثرة تبدو للناظر فيها خلقة شوهاء ، تداخلت أوراقها كتداخل أوراق « اللعب » ، بالإضافة إلى أنها اتصلت بعشرين لوحة تقريبا من كتاب الوساطة ، ولهذا ظنّ « براون » صاحب الفهرس أن الجزء الثانى من تأليف على بن عبد العزيز الجرجانى ، وقال فى فهرسه عن الكتاب : « جزءان مستقلان فى نقد شعر أبى تمام والبحترى وهما من

طيىء ، وعنوانهما « الموازنة بين أبى تمام والبحترى أو الموازنة بين الطائيين » الجزء الأول : تأليف أبى القاسم الحسن بن بشر الأمدى ، والجزء الثانى : تأليف أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى » !!؟ .

وتبدأ هذه النسخة من آخر فصل « الإكثار من العطاء » من باب الجود والكرم ، وقد تركت ترقيم الصفحات كما هو دون تعديل ، وفى هذا الجدول ترى مقدار اختلال صفحات هذه النسخة :

| رقم اللوحة | بقيتها | ملاحظـــات |
|---|---|---|
| ٦٢/أ | ٦٧/ب | |
| ٨٢/أ | ٨٨/ب | وتبقى اللوحات التالية وهى من الوساطة . |
| ٧٨/أ | ٦٨/ب | من ١ – ١٤/أ |
| ٨٠/أ | ٧٠/ب | ثم من ٦٢/ب – ٦٧/أ |
| ٧٠/أ | ٧٨/ب | وعددها تسع عشرة لوحة ونصف اللوحة . |
| ٨٨/أ | ٨٠/ب | |
| ٧٤/أ | ٧٦/ب | |
| ٧٢/أ | ٧٤/ب | |
| ٧٦/أ | ٨٢/ب | |
| ٢٠/أ | ١٤/ب | |
| ١٦/أ | ٢٠/ب | |
| ٦٨/أ | ١٦/ب | |
| ٩٤/أ | ١٢٠/ب | |
| ١٢٠/أ | ٥٤/ب | |

وتبدأ النسخة بلوحة « ٧٢/ب » حيث تلتقى مع نسخة تونس ، وهذا الجدول يوضح حالتها السقيمه والجهد الذى بذل فيها لترتيب صفحاتها كما ينبغى لتستوى نسخة مرتبة الصفحات مترابطة الأجزاء .

ورقم هذه النسخة هو (Qq 286) وتقع فى ١٤٥ لوحة مزدوجة « بما فيها لوحات الوساطة » ، ومسطرتها ٢٤ سطرا وقياس صفحاتها ٢٤ × ١٧٫٥ ، مكتوبة بخط مشرقى جميل ومشكول .

وقال فى آخرها :

« وقع الفراغ من تحريره يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة
أربع وتسعين وستمائه هجرية
والحمد لله رب العالمين دائما أولا وأبدا
المأنوسة حماة بمحروسة »

وعلى هامشها بعض الحواشى القليلة ، مكتوبة بخط فارسىّ ، ليست لها أهمية ، فتركت الإشارة إليها .

وهذه النسخة من مقتنيات الرحالة المستشرق « لويس بوركهارت » وتاريخ اقتنائها سنة ١٨١٩ (١) .

وتحتوى هذه النسخة على بقية كتاب الجود والكرم ثم كتاب البأس والنجدة ، ثم ماقالاه فى أوصاف الخيل ، ما قالاه فى الفخر ، ثم التوجع من العلل والنكبات ، ثم ما قالاه فى المراثى ، ذكر الحجاب والاستبطاء والتنجز ، ثم العتاب والوعيد والتهديد والذم المجمل والهجاء ، ثم باب فيما جاء عنهما فى الرياض والأنوار والشراب ومعاطاة الندمان ، ثم باب وصف الغلمان واستهدائهم ، ثم باب وصف الرياض والأنوار والسحائب والأمطار وذكر الأبنية ، ثم ذكر ما وصفا به قصائدهما .

وتنتهى نسخة كمبردج عند هذا الباب ، ويقول فى آخرها « نجز كتاب الموازنة » ولكن الكتاب لا يزال ناقصا على الأقل البابين التاليين : باب التشبيه ، وباب الأمثال اللذان قال الآمدى إنه سيختم بهما الرسالة (٢) .

ومع هذا الترتيب الذى قمت به لهذه النسخة فلا يزال هنالك موضع يشير إلى أن الأصل الذى نُقِلَتْ منه هذه النسخة لم يكن صحيح التبويب ، إذ إن

---

(١) فهرس براون : ص ٣٧٩ .
(٢) الموازنة : ١/٥٧ .

الآمدى قال فى باب « ما قالاه فى وصف الخيل » معلقا على قول البحترى :

لَوْ يُوقَدُ المِصْباحُ مِنْهُ لَسَامَحَتْ بضيائِهِ شيةٌ كَوَهْيِ الكَوْكَبِ

قال : « وقوله : « كَوَهْيِ الكَوْكَبِ » قد مضى تفسيره عند تفسير قوله فى وصف الخمر !

من كُمَيْتٍ تَقُولُها وَهْىَ نَجْمٍ ضَوَّأَ الليلَ أو مُجَاجَةَ شَمْسِ »

ولكن باب وصف الخمر متأخر فى هذه النسخة عن باب وصف الخيل ! .

أما خروم هذه النسخة فأهمها :

(١) فقدان أولها وضياعه واستبداله ببداية كتاب الوساطة ، والمتأمل للخط يجد أن الخطين فى كتاب الوساطة والموازنة لا يكادان يفترقان ، وهذا أحد أسباب تلفيق الكتابين ، وقد جبرت النسخة التونسية هذا النقص كما سنرى .

(٢) سقط باب « تعجرف الجواد على ماله وإتلافه إياه » ، ووضعت نسخة كمبردج هذا العنوان على باب « إعطاء الجواد حتى لا يجد من يعطيه » وسقط أيضا باب « دفع الجواد وعطاياه لنوائب الدهر » [١] .

(٣) فى كتاب البأس والنجدة ورد باب « ذكر تشبيه الأبطال بالسباع » وفيه خرم ، هو بالتأكيد فى النسخة التى ينقل منها الكاتب ؛ لأن الخرم جاء بتداخل العبارات واتصالها فى سطر واحد دون فاصل ، وكأن الحديث متعلق ببعضه ، ولكن المعنى يختلف اختلافا بينا ، فالآمدى يشرح قول أبى تمام :

يا يَوْمَ أَرْشقَ كُنْتَ رَشْقَ مَنِيَّةٍ لِلْخُرَّمِيَّةِ صَائِبُ الآجَالِ
أسرىٰ بَنُو الإسلام فيهِ وأَدْلَجُو بقلوبِ أُسْدٍ فى صُدورِ رجِالِ

يقول : « « أسرى » من السرى ، وهو السير بالليل ، و « الإدلاج » أيضا بالليل ، وإنما أراد « الإدّلاج » بالتشديد يبهر الشمس ويزيد عليها ... » ، فقوله « يبهر

(١) انظر ١٨٦/٣ ، ١٩٠ .

الشمس ويزيد عليها » وما تلاه من عبارات هى فى وصف السيف ولا تتعلق بالبيتين السابقين ، ووجدت أن الشرح على أبيات لأبى الهول الحميرى ، وتنسب لابن يامين المصرى فى وصف السيف فأثبتها [١] .

(٤) وهذا أيضا شبيه بسابقه إذ جاء فى آخر كتاب المراثى الباب التالى « الذكر للميت وطيب الأحاديث بعده » ، ثم ذكر ثلاثة أبيات لأبى تمام وضمّ إلى البيت الأخير منها بيتا يختلف عنه فى القافية والمعنى ، كما أن البيت لبشار يذكر فيه الاستبطاء فى العطاء وجاء البيتان على هذه الصورة :

« وقال « أى أبو تمام » :

وقُمْنا فَقُلْنَا بعد أَنْ أُفْرِدَ الثَّرَى ... بِهِ ما يُقالُ للسَّحابَةِ تُقْلِعُ

تُعْطِى الغَزِيرةُ دَرَّها فإذا أَبَتْ ... كانَتْ مَلَامَتُها على الحَلَّابِ » [٢]

فالبيت الثانى لبشار كما قلت ، فجعلت بيت أبى تمام نهاية كتاب المراثى ، وبيت بشار بدايةً لِباب « الحجاب والاستبطاء والتنجز » ، وأخذت العنوان من عبارات الآمدى التى وردت فى ص ٥٣٦ ، وهى قوله : « وقال أبو تمام وذكر الحجاب » ، وقوله فى ص ٥٤٣ : « ولأبى تمام فى الاستبطاء والتنجز أشياء رديئة وقبيحة » .

وفيها خروم أخرى صغيرة أشرت إليها فى موضعها .

٢ – النسخة التونسية : وهى مكتوبة بخط مشرقى مشكول ضبطها صحيح إلا فى بعض المواضع القليلة ، مسطرتها ١٥ سطرا وعدد لوحاتها ٩٩ لوحة مزدوجة . ولم يذكر عليها تاريخ نَسْخِها . وهى فى المكتبة الوطنية بتونس ورقمها ( ١٦٠٨٨ أدب ) [٣] .

---

(١) انظر ٣٢٣/٣ ، ٣٢٤ .

(٢) ٥٣٥/٣ ، ٥٣٦ .

(٣) انظر فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس « خزانة جامع الزيتونة » ، تأليف : عبد الحفيظ منصور ص ١٢١ ، ورقم النسخة فيه : (٤٤٦٦) .

وقد كان وصول هذه النسخة نعمة من الخالق الذى منّ علىّ بها ، فى وقت فقدت فيه الأمل فى العثور على نسخة أخرى تجبر نقص نسخة كمبردج ، والحق أن هذه النسخة قد جبرت ثم فاضت حسناتها بعد ذلك على الكتاب كله ، إذ سدّت فرجة كبيرة بدأت من انتهاء الجزء الثانى المطبوع ، فلوحتها الأولى تشمل الصفحات الأخيرة من باب وصف الهيبة الذى وقف عنده الجزء الثانى المطبوع ، والراجح أن شيخنا السيد صقر لم يطلع على هذه النسخة ، وإلا كان قد وقف فى الجزء الثانى عند نهاية باب الهيبة بحيث ضمّ إليه ما ورد فى اللوحة الأولى من هذه النسخة .

وتستمر هذه النسخة دون إخلال لتأتى على باقى أبواب كتاب المدح الذى سُرَدتْ أبوابه فى الجزء الثانى المطبوع ، ثم يأتى كتاب الجود والكرم ، وتتوالى أبوابه إلى أن تلتقى هذه النسخة مع نسخة كمبردج فى باب ( الإكثار من العطاء ) ، ثم تترافق النسختان إلى نهاية باب الجود والكرم ، حيث تنتهى نسخة تونس وتستمر نسخة كمبردج إلى نهاية الكتاب .

وجعل فى أول هذه النسخة صفحة مستقلة كتب عليها ثمن الكتاب : « قيمته ثمانية عشر ريالا » ، ورقم ١٨ على يمين العبارة ، ثم فى أعلى الصفحة إلى اليمين رقم (٤٤٦٦) ، ثم نقرأ شهادة الوقف التالية :

« الحمد لله ، أشهد مولانا موقظ جفن الملك بعد إغفائه ، وناشر بساط المجد بعد انطوائه ، والمعتنى بنشر العلم ورفع لوائه ، والمتسبب لأهله فى الاشتمال بردائه ، سراج « الإيالة » الأفريقية « والمحر » بأرجائها مسالك السياسة الدينية والدنيوية ، سيدنا المشير أحمد باشا حماه الله فعلى دولته ، وأداح فى ميدان الملك جولته ، أنه حبس هذا الكتاب ، وهو الثانى من كتاب الموازنة لأبى تمام « كذا » ، على كل متأهل للانتفاع به من عامة العلماء ، وتلامذتهم وغيرهم ، معينا « بقراره » خزائنه العلمية التى عمرّ بها صدر الجامع الأعظم بتونس ، وشرط عدم إخراجه منه إلا لمؤتمن عليه ، بعد استئمار أحد شيخى الإسلام الحنفى والمالكى ، على أن لا تتجاوز مدة مغيبه حولا ، جاعلا ثواب ذلك فى صحيفة صدر الأفاضل ، ومقدمهم بلا مناز ع ولا مناضل ، خاتمة

المحققين ، ومن ضم إلى غزارة العلم متانة الدين ، سيدى إبراهيم الرياحى ، الذى اشترى – أيده الله تعالى – من ماله هذا الكتاب من مخلف الشيخ المذكور بهذه النية الحسنة ، فبهذه الشروط انعقد تحبيسه ، وعلى هاته الدعائم أحكم تأسيسه ، بحيث لا يغير التحبيس عن مشروح حاله ، ولا يعدل به عن يمين ما سطّر إلى شماله ، وشهد عليه بمضمون ذلك ، وهو – أيده الله تعالى – بالحالة اللائقة بمحله من الملك ، وذلك بواسطة ارتسام ختمه الأشرف أمام « الحمدية » ، فى أواخر أشرف الربيعين بمولده عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، فى عام ١٢٦٨ ثمانية وستين ومائتين وألف ، و « نقلد » نصره الله كالبدر ليلة كماله أحمد ... » .

والشهادة كتبت بخط مغربى مخالف لخط الأصل ، والكلمات القليلة التى وضعتها بين قوسين لم أستطع قراءتها ، ويلاحظ أن الكتاب قد نسب فيها إلى أبى تمام خطأ ، وربما كان هذا من أسباب صعوبة العثور على هذه النسخة .

أما خروم هذه النسخة فأهمها :

١ – خرم فى أولها لانعلم مقداره ص ١٣ ، والراجح أنه لا يزيد على صفحات قليلة .

٢ – خرم فى ص ١٦ قد يكون أبياتاً معدودة .

٣ – خرم ص ٥٨ لا يتجاوز سطرين .

٤ – ورد فى أبواب باب الكرم ص ١٢٣ باب « عذل الجواد على الجود » .

وقد وقع خرم بين نهاية باب « فى خبط الجواد بنائله من غير تمييز » ص ١٨١ وبداية باب « عذل الجواد على الجود » فتداخل البابان من ص ١٨١ .

وقد اتفقت المخطوطتان على هذا الخرم مما قد يوحى أن أصلهما واحد .

وفى ص ١٣١ « لوحة ٥١ ، ٥٢ تونسية » تكررت اللوحتان ، وهما من نسختين للموازنة كاتبهما واحد ، غير أن بداية ونهاية كل منهما تختلف عن الأخرى .

**ثالثا : استدراكات**

وهى ملاحظات برزت أثناء عملية التحقيق ، ولم أقصد بها تتبع عمل شيخى السيد صقر ، وإنما كنت أضع تحقيقه للكتاب نصب عينى ، أحاول أن أقترب من

قممه ، فتعقد بى قلة خبرتى فى هذا الفن ، وأتذكر فضله فى إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة المشرفة التى جعلته يتبوأ مكانته اللائقة بين تراثنا الأدبى ، وفتحت أعين طلاب العلم وتلامذة الشيخ على كنوزه ، وجعلت القارىء العربى وغير العربى المهتم بآداب العربية يطل على تراثها من أرحب طاقاتها ، ولكنها محاولة ابن لتجميل عمل من أعمال أبيه ، ليظهر على الناس وهو على أحسن صوره ، فليتقبلها أستاذى منى على هذا الوجه :

١ - جاء فى الجزء الأول ص ٢١٢ : « مثل قول أبى تمام « هل رضيت وهل أرضى » وصحتها : « رضيت وهل أرضى » وهى كذلك فى بعض النسخ المخطوطة .

٢ - ص ٢٤٧ بيت الأغلب العجلى :

أَنْ قَدْ خَلَوْنَا بِفَضاءٍ بقىٍّ      وغاب كلّ نفس مَخْشِيّ

وإنما هى « بفضاءٍ قِيِّ » والقِيُّ : القفر من الأرض [1] ، وهو فى المخطوطة الألمانية على الرواية الصحيحة ، وكذلك ورد البيت بالرواية الصحيحة فى الجزء الثالث ص ٣٩٢ .

٣ - فى الجزء الأول ص ٢٥٠ - ٢٥١ ورد قول الآمدى « وقوله : « وتخفى الذى نبدى » لفظ فاسد ، لأنّ تخفى معناه تكتم وتستر ، والذى قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعبر عنه بأنك أخفيته ولا كتمته .

فإن قيل : ولم لا يكون هذا توسعا أو مجازا .

قيل : المجاز فى مثل هذا لا يكون ، لأن الشىء الذى تكتمه وتطويه إنما أنت خازن له وحافظ ، فهو ضد الشيء الذى تزيله وتبطله والأضداد لا يستعمل أحدهما فى موضع الآخر إلا على سبيل المجاز « ، وصحة العبارة « والأضداد لا يستعمل أحدهما فى موضع الآخر على سبيل المجاز » بإسقاط « إلا » .

---

(١) اللسان : مادة ( قوا ) .

٤ – وردت فى الجزء الثانى ص ٣٥٤ العبارة التالية :

« وهما فى السؤدد والمجد والشرف فى مدح سائر الناس ما أذكره من بعد فى تأييد الدين وتقوية أمره » .

وهذه العبارة ألحقت نهاية باب السؤدد والمجد بعنوان باب جديد هو : « فى تأييد الدين وتقوية أمره » ، وقد ذكره الآمدى فى سرده لعناوين أبواب كتاب المدح « ٣٣١/٢ » ، ومعانى الأبيات التى وردت بعد هذا تدور كلها حول هذا العنوان .

٥ – قال عن أبيات البحترى فى ٥١٨/١ فى الهامش رقم (٢) : « لم ترد فى ديوانه ووردت فى القول الفائق ٣٣ ظ » ، وكذلك فعل محقق ديوان البحترى عندما جعلها فى ملحقات الديوان ، والحقيقة أن هذا الكتاب ما هو إلا نسخة ثانية من القسم الأول من كتاب الموازنة ، سمّى « القول الفائق » تزويرا ، ولفقت نسبته إلى ابن الأثير ، ونسخته موجودة فى معهد المخطوطات تحت رقم ١٤١٥ أدب ، وهذه الأبيات وردت – بالطبع – تحت الباب نفسه الموجود فى كتاب الموازنة « وصف الديار وساكنيها » [(١)] .

**رابعا : ملاحظات عامة :**

١ – ورد « باب الحسد » فى الجزء الثالث ص ١٥٥ ، ولم يذكر فى أبواب كتاب المدح فى الجزء الثانى المطبوع .

٢ – فى موضع فريد وردت العبارة التالية :

« قال : والوفر هو المال .. »

ولا أدرى من القائل ، ولم تجر عادة الآمدى على هذا أبدا ، وربما تكون من زيادات النساخ [(٢)] .

٣ – من حسنات نسخة « س » أنها احتوت على أحكام الآمدى فى أبواب الموازنة فى حين سقط بعض هذه الأحكام من نسخة كمبردج .

---

(١) وانظر الموازنة : ١٩٤/٣ .

(٢) انظر ص ١٥٥ .

٤ – قال الآمدى فى ص ٥٧٩ من هذا الجزء :

« وقد ذكرت غلطة فى قوله « وكنت أعز عزا من قنوع » فى أغاليطه » .

ولم أجده فى أغاليطه ، أو فى أى موضع آخر من الكتاب مع شدة البحث والتقصى .

٥ – قال ياقوت فى ترجمة الآمدى ، وذكر تعصبه على أبى تمام ، ثم قال : « وحسبك أنه بلغ إلى قول أبى تمام :

أصم بك الناعى وإن كان أسمعا

وشرع فى إقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين ، فتارة يقول هو مسروق ، وتارة يقول هو مرذول ... » (١) .

وما ذكره ياقوت لم يرد فى الموازنة أو على الأقل فى القسم الذى بين أيدينا ، وقد أشار الآمدى إلى هذا البيت فى موضعين ، الأول عندما قال إنه مأخوذ من قول محياة بنت طليق :

نعى ابنى محلّ صوت ناع أصمّنى      فلا آب محبورا بريد نعاهما

أو من قول سفيان بن عبد يغوث النصرى :

صمّت له أذناى حين نعيته      ووجدت حزنا دائما لم يذهب (٢)

ولم يعلق الآمدى على البيت ، وربما كان هذا ما قصده ياقوت عندما قال : إنه مسروق .

والموضع الثانى فى حديثه عن ابتداءاتهما فى المراثى ويعلق عليه قائلا :

« وهذا معنى حسن جدا ، وليس يريد بالصمم انسداد السمع ، وإنما يريد أن

---

(١) معجم الأدباء : ٧٨/٨ .

(٢) الموازنة : ١٠٣/١ .

الناعى أذهل عن كل شىء وحيّر حتى صار الانسان يخبر بالشىء ، فلا يفهم ما يقال لعظم ما ورد فجعل ذلك صمما » [1] .

فالآمدى أثنى على البيت ولم يرذله .

٦ - كانت الفائدة عظيمة من نقول ابن المستوفى من كتابى أبى تمام « الموازنة » و « شرح معانى أبيات أبى تمام » ، حيث إنها سدت كثيرا من الخلل فى بعض النصوص ، كما إنها فى بعض المواضع « أشرت إليها فى الهامش » ساعدت على تتبع إحالات الآمدى إلى كتابه المفقود « تفسير معانى الأبيات » ، وقد كان من فضل توفيق الله أن بعض هذه المواضع التى أحال إليها ، نقلها ابن المستوفى كاملة كقوله :

« وقوله :

أهدى كنارا جدّه فيما مضى — للسّيل واستصفى أباة اليلبق

فهو مما يتعلق بخبر وفيه معنى غامض قد ذكرته فيما أفردته من تفسير غامض معانيه » « ص ٣٩٩ » .

وهو يعنى بهذا كتابه « تفسير معانى أبيات أبى تمام » ، وقد نقل ابن المستوفى من هذا الموضع الشرح كاملا .

وقال فى ص ٥٣٧ عن قول أبى تمام :

يا أيها الملك النائى برؤيته — وجودُهُ لمراعى جودِهِ كثبُ

ليس الحجابُ بمُقْصٍ عنك لى أملا — إنّ السماءَ تُرَجَّى حين تحتجبُ

« هذا معنى عابه به أبو العباس المبرد على ما حاكاه عنه الفزارى ، وقال : الذى يرجّى هو الحجاب نفسه ، وإنما أخذ هذا من قول مسلم بن الوليد :

كذلك الغيث يُرْجَى فى تحجبه — حتى يُرى مُسْبِلاً عن وابلِ المَطَرِ

---

(١) معجم الأدباء : ٧٨/٨ .

وقول أبى تمام أقرب إلى الصحة من قول مسلم ، وقد ذكرت مافى البيتين جميعا فى باب سرقات أبى تمام » .

وقد بحثت عن هذا البيت فى سرقاته ، فلم أجده ، كما لم يذكرهما فى موضع آخر من الكتاب ، وفقا للنسخ التى بين يدى ، ووجدت ابن المستوفى نقل فى كتابه النظام يقول : « ذكر الآمدى القول فى هذا البيت فى غير موضع من كتابه « يعنى الموازنة » واستوفى القول فيه عليه فى شرح الأبيات « يعنى كتاب تفسير معانى أبيات أبى تمام .. » ثم نقل ابن المستوفى تعليق الآمدى المفصل على هذين البيتين ، فالآمدى توهم أنه شرح هذين البيتين فى الموازنة ، ولكنه لم يفعل ذلك إلا فى كتابه الآخر .

وقد حرصت على نقل كل ماوقعت عليه عيناى من تعليقات الآمدى حول الأبيات الواردة فى هذا الجزء والتى نقلها ابن المستوفى ولم يحدد موضع نقلها ، وكانت تختلف فى صياغتها وأفكارها عما ورد فى الموازنة ، وجعلت هذه النقول فى الهامش لتكتمل الفائدة .

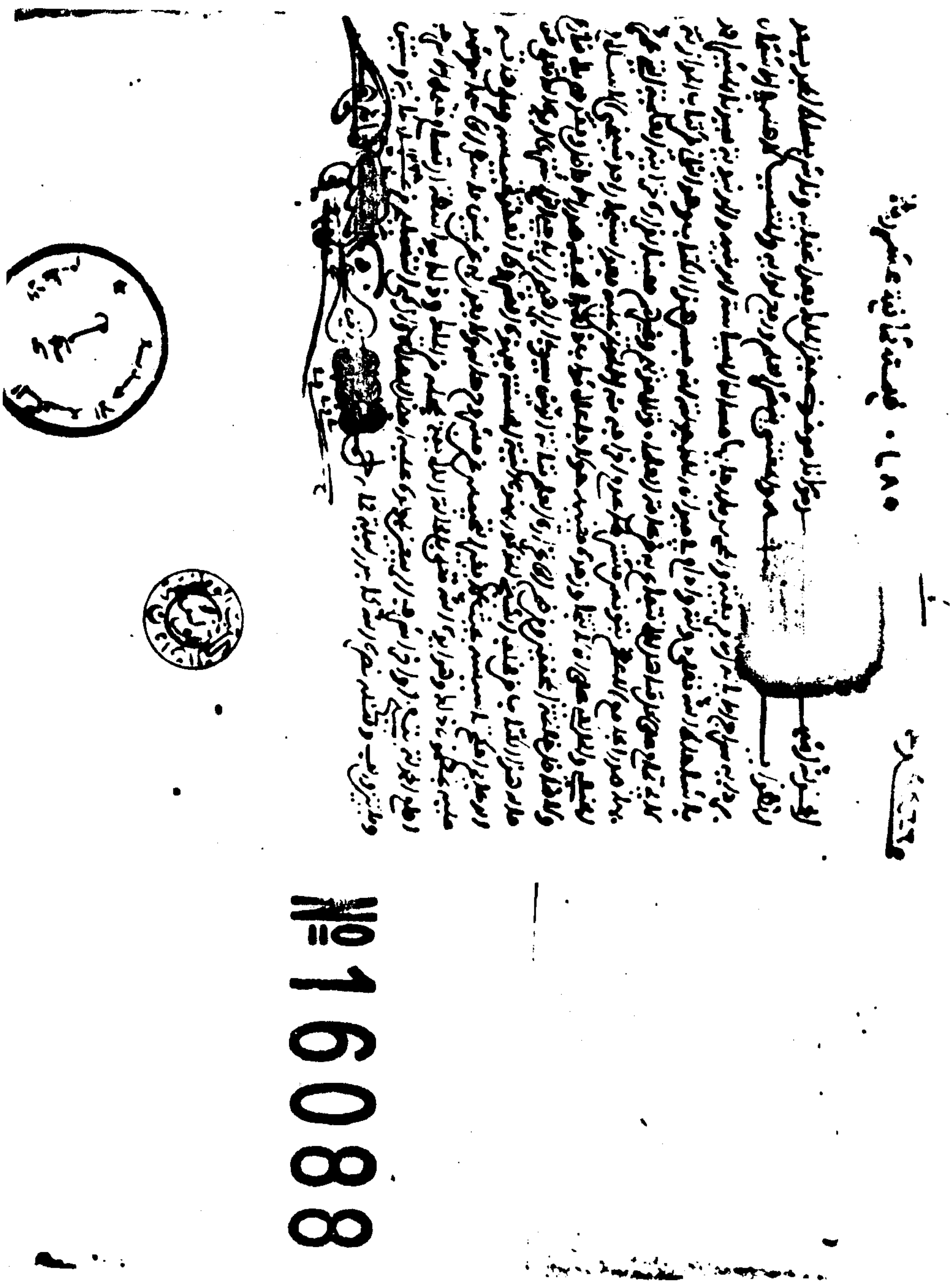
٧ – لاحظت أن كثيرا من أبيات أبى تمام والبحترى وردت فى دواوينهما مُخَتَّلَةَ الوزن العروضي ، وقد أشرت فى الهامش إلى هذه المواضع انظر : « ص ٤٢٤ ، ٥٣٢ ، ٥٣٩ ، ومواضع أخرى » .

* * *

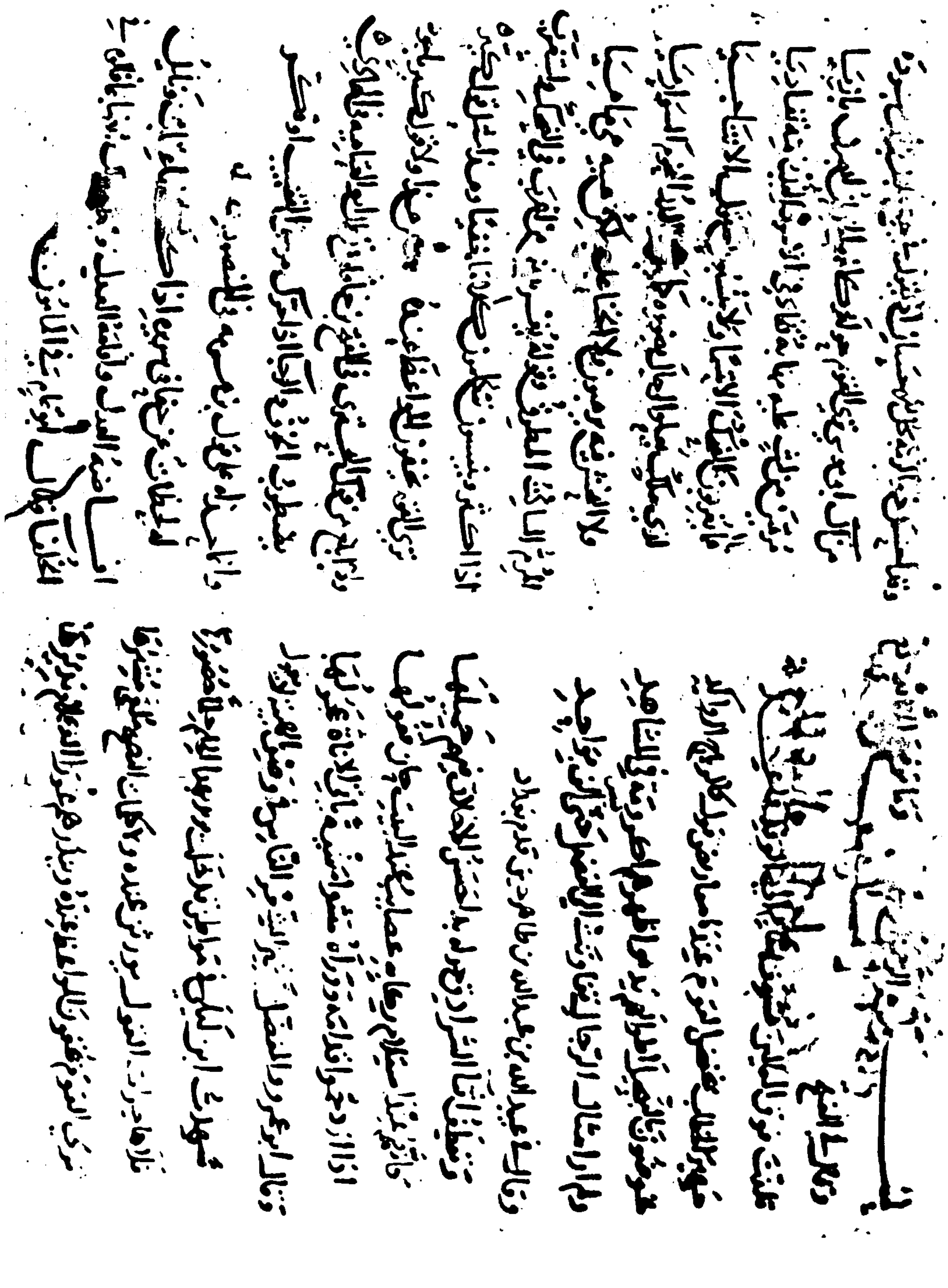
## دليل المصادر

الأغـــــاني = طبعة ساسى
الأمـــــالى = أمالى أبى على القالى
البغـــــدادى = خزانة الأدب
التنبيـــــه = التنبيه على أبى على فى أماليه للبكرى
التبريـــــزى = شرح ديوان أبى تمام للخطيب التبريزى
ديـــوان أبى تمام = شرح ديوان أبى تمام للصولى
المرزبـــــانى = معجم الشعراء للمرزبانى .

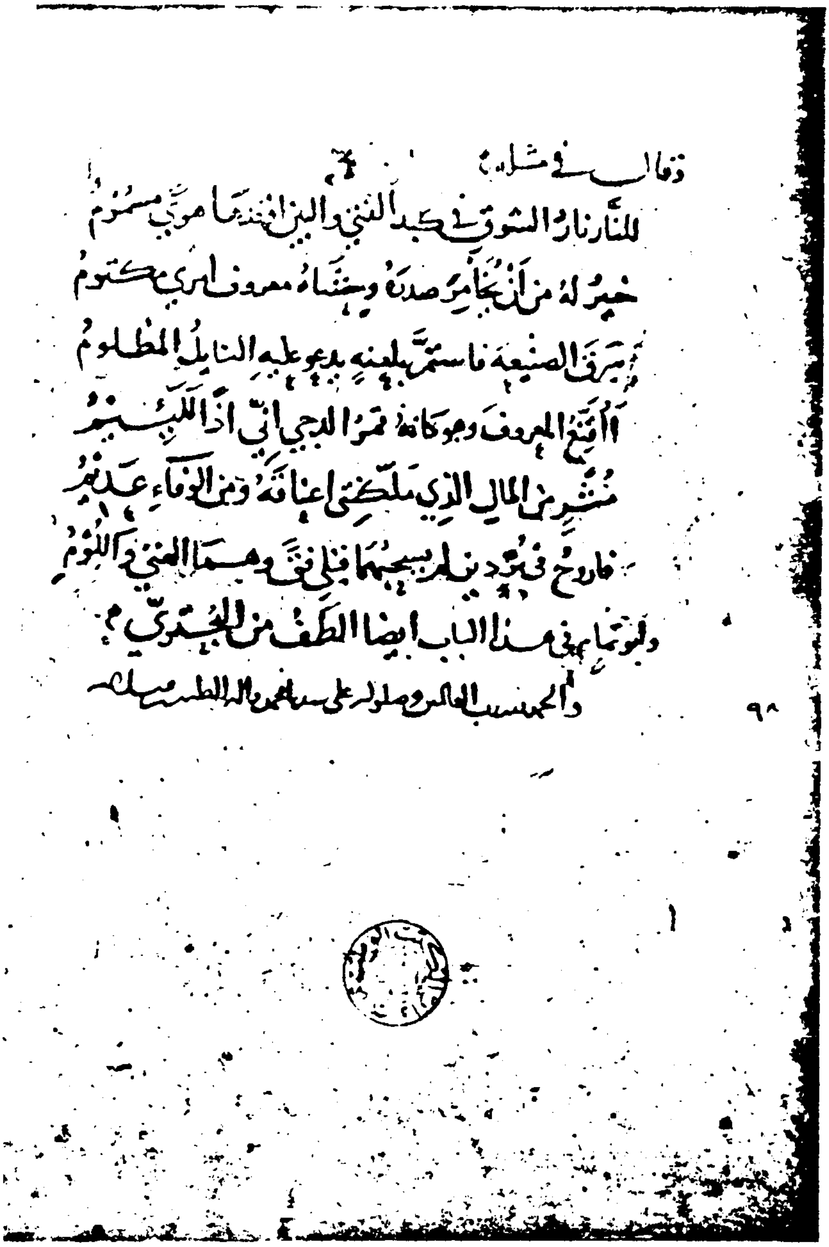
* * *



اللوحة الأولى من النسخة التونسية تحتوى على نص شهادة الوقف



اللوحة الثانية من النسخة التونسية وهى آخر باب الهيبة الذى ورد أوله فى الجزء الثانى



وقال في مثله

للنار نار الشوق في كبد الفتى والبين أفتك منهما موتٌ مسموم

خيرٌ له من أن يجاهر صدّه وجفاؤه معروف امرئ مكتوم

يبرق الصنيعة ما استتم بلينه يدعو عليه النائل المظلوم

أأقنع المعروف وهو كأنه قمر الدجى أنى إذا اللئيم

منشور من المال الذي ملكتني إعيانه ومن الوفاء عديم

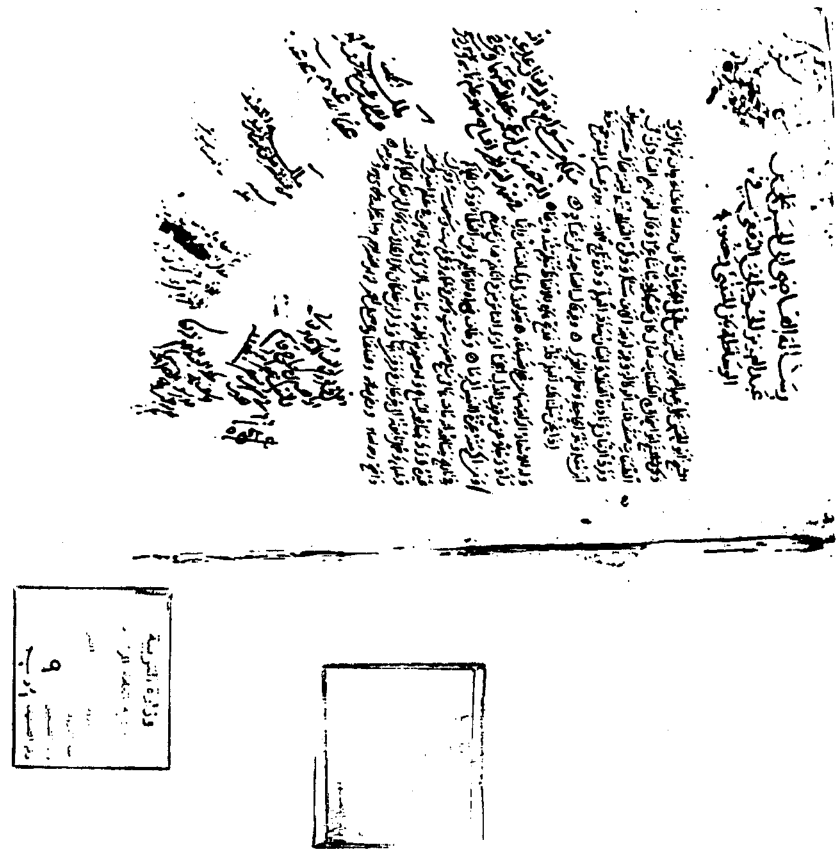
فأروح في تردد بين بحثهما فلي نفقة وهما الغنى واللوم

ولو تمام في هذا الباب أيضا ألطف من البحتري

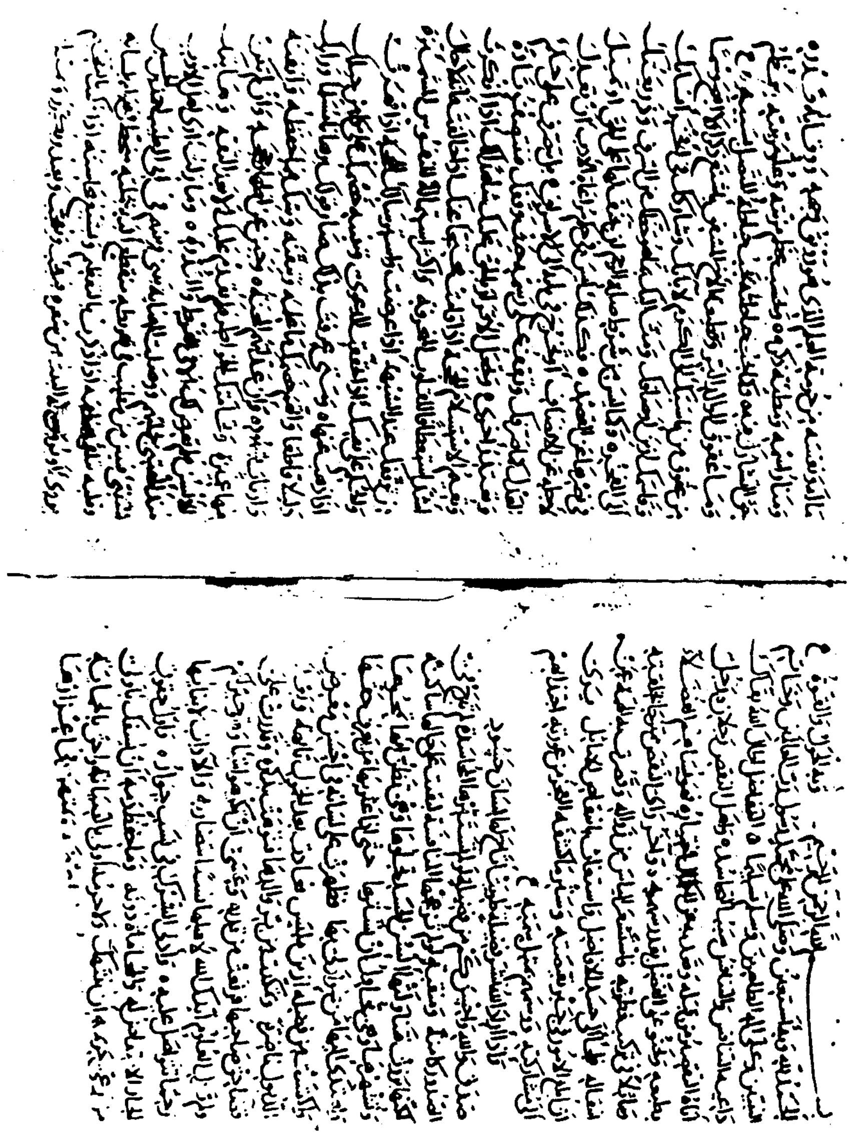
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم

٩٨

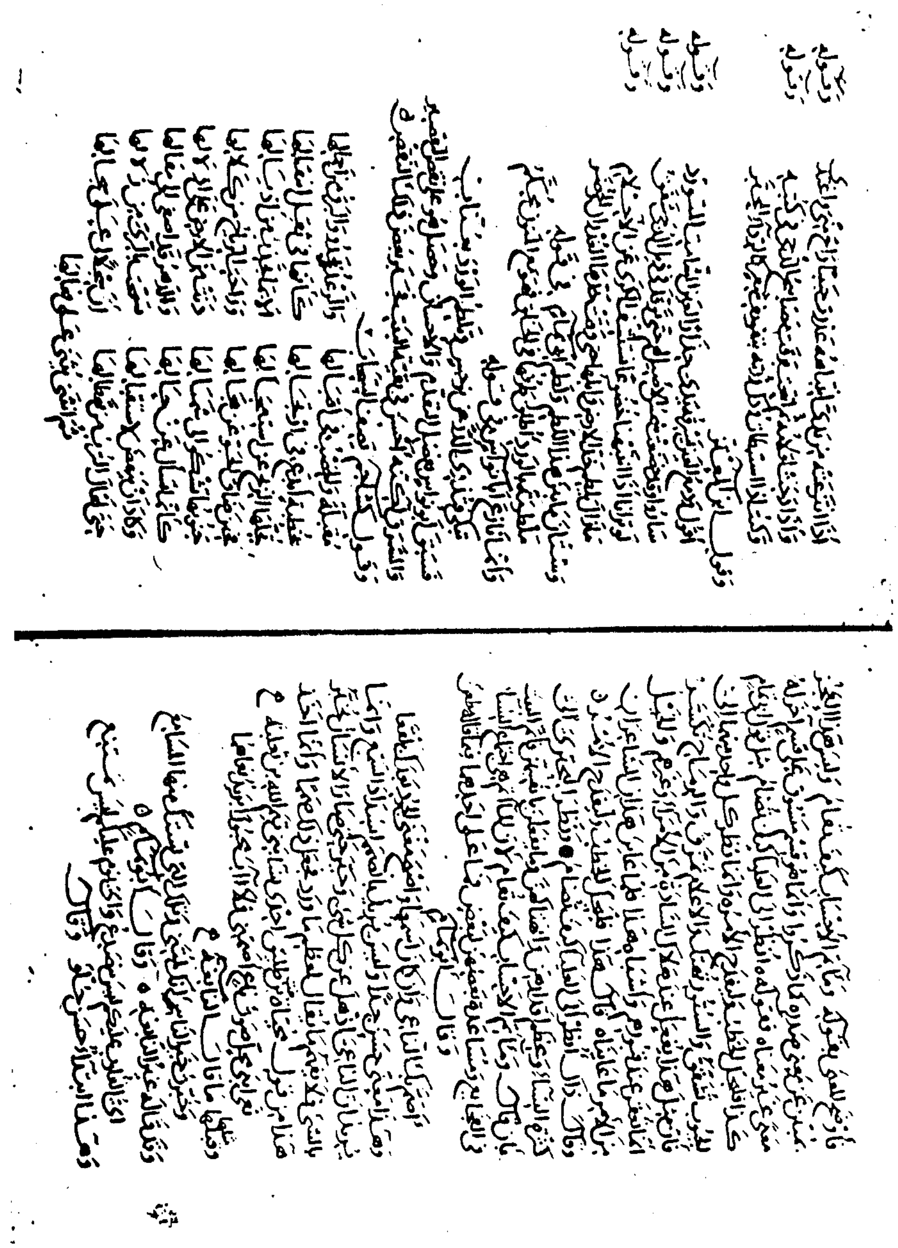
اللوحة الأخيرة من النسخة التونسية وينتهى عندها باب الجود والكرم



اللوحة الأولى من نسخة كمبردج وعليها عنوان كتاب الوساطة للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى



اللوحة الثانية من نسخة كمبردج وهى أول كتاب الوساطة



اللوحة رقم ٦٢ من نسخة كمبردج ونصفها من اليمين جزء من باب المراثى من كتاب الموازنة ونصفها الآخر جزء من كتاب الوساطة . لاحظ تشابه الخطين

أغر غريباً يمسح الناس وجهه كما تمسح الأيدي الجواد المشهرا

وقال سويد بن كراع جاهلي إسلامي

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بها سرباً من الوحش نزعا
إذا الهاجس أعرس بعدما يكون سحيراً أو بعيد فأهجعا
عواصي إلا ما جعلت أمامها عصا مربد تغشى نحوراً وأذرعا
أهبت بغر الآبدات فراجعت طريقاً أملته القصائد مهيعا
بعيدة شأو لا يكاد يردها لها طالب حتى يكل ويظلعا
إذا خفت أن تروى علي رددتها وراء التراقي خشية أن تطلعا
وجشمني خوف ابن عفان ردها فثقفتها حولاً جريداً ومربعا
وقد كان في نفسي عليها زيادة فلم أر إلا أن أطيع وأسمعا

وقال المسيب بن علس

فلأهدين مع الرياح قصيدة مني مغلغلة إلى القعقاع
ترد المياه فلا تزال غريبة في القوم بين تمثل وسماع

قوله وسماع لأنهم كانوا يتغنون بالشعر في النشيد أخذ أبو تمام قوله فلأهدين مع الرياح قصيدة فقال

تسير مسير الريح مطرداته وما السير منها لا العنق ولا الوخد

آخر كتاب الموازنة بين الطائيين والحمد لله رب العالمين
وصلواته على نبيه محمد وآله الطاهرين

وقع الفراغ من تحريره يوم الجمعة الثاني والعشرين
من شهر ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة
هجرية

والحمد لله رب العالمين دائماً أزلاً وأبداً

٦٩٤ م

المالك ... محمود ...

اللوحة الأخيرة من نسخة كمبردج

## فهرس موضوعات الجزء الثالث

الصفحة

بقية كتاب المدح



* * *

الصفحة



* * *

الصفحة



* * *



* * *



* * *

الصفحة



* * *



* * *

الصفحة

* * *

أثناء مثول هذا الكتاب للطبع فجعنا بنبأ وفاة
شيخنا وأستاذنا العلامة السيد صقر، رحمه الله
رحمة واسعة، وجعل ما قدم من أياد بيضاء لخدمة
تراثنا في ميزان حسناته إنه سميع مجيب .

# الموازنة

## بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي

ت ٣٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

## ما قالاه فى الجمال والجلال والهيبة والبهاء والجهارة [1]

قال أبو تمام [2] :

إنَّا غدَوْنَا واثِقِينَ بوَاثِقٍ ... باللهِ شمسِ ضُحًى وبَدْرِ تَمَامِ

ثم قال بعد فى القصيدة [3] :

مَا أَحْسبُ البَدْرَ المُنِيرَ إذا بَدَا ... بَدْرًا بِأَضْوَأَ مِنْكَ فى الأَوْهَامِ

قوله : « فى الأَوْهَام » قد عِيبَ به ، وقيل لم يجعله مضيئًا فى العين ، وجعله مضيئًا فى الأوهام . والذى ذهب إليه أبو تمام معنى صحيح ؛ لأن وجه الإنسان لا يكون أضوأ من البدر ، فجعله أَضْوأَ منه فى الصدور وفى النفوس ، يريد الجلال والهَيْبَة .

وأجود من هذا قول محمد بن وهيب [4] :

تُعَظِّمُهُ الأَوْهَامُ قَبْلَ عِيَانِهِ ... ويصْدُرُ عنهُ الطَّرْفُ والطَّرْفُ حَاسِرُ

وأحسن من قول ابن وهيب قول الأَحْوَص [5] :

تَرَاهُمْ خُضَّعَ الأَبْصَارِ هَيْبَتَهُ ... كما آسْتكَانَ لِضَوْءِ الشَّارِقِ الرَّمِدُ

وقال أبو تمام فى خالد بن يزيد بن مَزْيَد [6] :

---

(١) آثرت أن يبدأ الجزء الثالث بداية طبيعية ، فكان أوله هذا الباب ، إذ إن المخطوطة التونسية التى يبدأ بها هذا القسم تبدأ بأبيات هى بقية باب الجمال والجلال والهيبة والهجاء والجهارة ( انظر المقدمة ص ١٠٤ ) .

(٢) ديوانه ٢ : ٣٦٤ وشرح التبريزى ٣ : ٢٠٤ وفيهما « إنا رحلنا » .

(٣) فى الديوان والتبريزى « ما أحسب القمر » . وفى ب : وقال

(٤) شعراء عباسيون : ٩٤ .

(٥) م ، ق « أبى وهيب » وهو خطأ . والبيت فى ديوانه : ٩٧ وفيه : « رأيتهم خُشَّع » .

(٦) ديوانه ١ : ٤١٨ وشرح التبريزى ١ : ٤٤٠ فى عبده : أى أنفه .

وقال أبو تمام فى خالد بن يزيد بن مَزْيَد[١] .

كالبَدْرِ حُسْنًا وقد يُعَاوِدُهُ عُبُوسُ لَيْثِ العَرِينِ فى عَبَدِهْ
كالسَّيْفِ يُعْطِيكَ مِلْءَ عَيْنَيْكَ مِنْ فِرِنْــدِهِ تارَةً ومِــنْ رُبَــدِهْ[٢]

وهذا غاية فى حسنه وصحته وبراعته .

وقال فى جعفر الخَيَّاط[٣] :

فَتًى فى يَدَيْهِ البَأْسُ يَضْحَكُ والنَّدَى وفى سَرْجِهِ بَدْرٌ ولَيْثٌ غَضَنْفَرُ

وهذا مأخوذ من قول مسلم بن الوَلِيد[٤] :

تَمْضِى المَنَايَا كما تَمْضِى أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ فى سَرْجِهِ بَدْرًا وضِرْغَامَا

وقد أحسن محمد بن وُهَيْب كُلَّ الإحسان فى قوله[٥] :

وكَأَنَّ ضَوْءَ جَبِينِهِ قَمَرٌ و كَأَنَّ سائِرَ خَلْقِهِ أَسَدُ

وقال أبو تمام فى خالد بن يزيد بن مَزْيد[٦] :

وقَدْ كَانَ مِمَّا يُضِيءُ السَّرِيـ ـرَ والبَهْوَ يَمْلَؤُهُ بالبَهَاءِ
مَضَى خَالدُ بنُ يزيدَ [ بنِ ] مَزْ يِدٍ قَمَرُ الليلِ شمسُ الضَّحَاءِ[٧]

وهذا يَمُرُّ فى « المراثى[٨] » .

وقال البحترى فى المهتدى بالله[٩] :

زَادَ فى بَهْجَةِ الخِلَافَةِ نُورًا فَهْوَ شَمْسُ النَّهار وهْى نَهَارُ

---

(١) ديوانه ١ : ٤١٨ وشرح التبريزى ١ : ٤٤٠ فى عبده : أى أنفه .

(٢) الربد : جمع ربدة ، وهى كالكلف فيه . « التبريزى » .

(٣) ديوانه ١ : ٥٥٣ وشرح التبريزى ٢ : ٢١٥ ، وفيهما : « من يديه » .

(٤) ديوانه ٦٥ « أى أسنته والمنايا سواء ، تفعل أسنته ما تفعل المنايا « كأن فى سرجه بدرًا » فى فخامة الخلق وحسن المنظر ، وليثا فى الشجاعة . وصفه بالنجدة » .

(٥) شعراء عباسيون ٧٢ ، وفيه : « وكأنه فى صولةٍ أَسَدُ » ، و « كأن » ساقطة من م . وهى فى ق

(٦) ديوانه ٣ : ٢٢٢ والتبريزى ٤ : ١٤ ، ٢٤ ، وفى الجزء الثانى « السرُير » بالضم ، وهو خطأ .

(٧) « بن » ساقطة من م و ق ، وفى ديوانه والتبريزى منع « مزيد » من الصرف والواجب أن يصرف ضرورة ليصح الوزن .

(٨) لم أجد البيتين فى باب المراثى ، وقد يكونان فى الجزء الساقط منه .

(٩) ديوانه ٢ : ٨٥٤ . وفيه : « فهو شمس للناس » .

طَلْعَةٌ تَمْلأُ القُلُوبَ ووَجْهٌ ... خَشَعَتْ دُونَ ضَوْئِهِ الأَبْصَارُ
ذَكَرُوا الهُدَى مِنْ أَبِيكَ وقَالُوا ... هُوَ ذَاكَ السِّيما وذَاكَ النِّجَارُ (١)
وعليهِمْ سكينةٌ لكَ إلَّا ... مَدَّ أَيْدٍ يُومَا بها ويُشَارُ
بُهِتُوا حَيْرَةً وصَمْتًا فَلَوْ قِيـ ... ـلَ : أَجِيرُوا مَقَالَةً مَا أَحَارُوا (٢)
وقَلِيلٌ إنْ أَكْبَرُوكَ لَكَ الهَيْـ ... ـبَةُ مِمَّنْ رَآكَ والإِكْبَارُ

وقال فى المتوكل لما خرج لصلاة العيد (٣) :

وآفْتَنَّ فيك النَّاظِرُونَ : فإِصْبَعٌ ... يُومَا إليكَ بها ، وعَيْنٌ تَنْظُرُ
يَجِدُونَ رُؤْيَتَكَ التى فَازُوا بِهَا ... مِنْ أَنْعُمِ اللهِ التى لَا تُكْفَرُ
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النبيَّ فَهَلَّلُوا ... لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصُّفُوفِ وكَبَّرُوا
حتَّى آنْتَهَيْتَ إلى المُصَلَّى لَابِسًا ... نُورَ الهُدَى يَبْدُو عليكَ ويَظْهَرُ
ومَشَيْتَ مِشْيَةَ خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ ... للهِ لَا يَزْهُو ، ولا يَتَكَبَّرُ (٤)
وَلَوَ آنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا ... فِى وُسْعِهِ لَمَضَى إليكَ المِنْبَرُ (٥)

وقال فيه لما دخل عليه وفد الرُّوم (٦) :

ورَأَيْتَ وَفْدَ الرُّومِ بَعْدَ عِنَادِهِمْ ... عَرَفُوا فَضَائِلَكَ التى لا تُجْهَلُ
لَحَظُوكَ أَوَّلَ لَحْظَةٍ فَآسْتَصْغَرُوا ... مَنْ كَانَ يُعْظَمُ فيهِمُ ويُبَجَّلُ
وَرَأَوْكَ وَضَّاحَ الجَبينِ كما يُرَى ... قَمَرُ السماءِ السَّعْدِ سَاعَةَ يَكْمُلُ (٧)
نَظَرُوا إليكَ فَقَدَّسُوا ، ولَوَ آنَّهُمْ ... نَطَقُوا الفَصِيحَ لَكَبَّرُوا ولَهَلَّلُوا

---

(١) فى الديوان « هى تلك السيما » .
(٢) م « أجيروا مقالة ما أجاروا » .
(٣) ديوانه ٢ : ١٠٧٢ .
(٤) فى الديوان « لا يُزْهَى » .
(٥) وفيه : « فلو ... غير ما فى وسعه لَمَشَى » .
(٦) ديوانه ٣ : ١٥٩٦ .
(٧) فى الديوان « التِّمّ ليلة يكمل » .

حَضرُوا السِّمَاطَ فكُلَّمَا رَامُوا القِرَى مَالَتْ بِأَيْدِيهِمْ عُقُولٌ ذُهَّلُ
تَهْوِى أَكُفُّهُمُ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ فَتَجُورُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وتَعْدِلُ
مُتَحَيِّرِينَ فبَاهِتٌ مُتَعَجِّبٌ مِمَّا يَرَى ، أَوْ نَاظِرٌ مُتَأَمِّلُ (١)
ويَوَدُّ قومُهم الأُلَى بَعَثُوهُـمُ لَوْ ضَمَّهُمْ بالأَمْسِ ذَاكَ المَحْفِلُ (٢)
قَدْ نَافسَ الغَيْبُ الحُضُورَ عَلَى الذى شَهِدُوا ، وقَدْ حَسَدَ الرَّسُولَ المُرْسِلُ (٣)

قوله : « بَاهِتٌ » ، من بَهِتَ يَبْهَتُ وقد قيلت ، وهى رديئة ، والجيد بُهِتَ يُبْهَت
وقال فى المعتز (٤) :

يُبْهَتُ الوَفْدُ فى أَسِرَّةِ وَجْهٍ سَاطِعِ الضَّوْءِ ، مُسْتَنِيرِ الشُّعَاعِ

وقال فيه (٥) :

إِذَا نَظَرَ الوُفُودُ إليه قَالُوا أَبَدْرُ الليلِ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ

وأجود من هذا قول ابن هرمة (٦) :

لا يَرْفَعُونَ إليه الطَّرْفَ خَشْيَتَهُ لا خَوْفَ بَأْسٍ ولَكِنْ خَوْفَ إِجْلَالِ

وأجود من هذا قول طُرَيح الثَّقَفِى (٧) :

يَعْرُوهُمُ أَفْكَلٌ لَدَيْكَ كَمَا قَفْقَفَ تَحْتَ الدُّجُنَّةِ الصَّرِدُ
لا خَوْفَ ظُلْمٍ ، ولا قِلَى خُلُقٍ لَكِنْ جَلَالٌ كَسَاكَهُ الصَّمَدُ

---

(١) فى الديوان « متحيرون » .
(٢) وفيه « ويودُّ قومِهم الأُلَى .. بعثوا بهم » . وفى الجزء الثانى « الأولى » .
(٣) فى الجزء الثانى : « الغَيَبَ الحضورُ » ، « حُسِدَ الرسول المُرْسِلُ » ، وهو خطأ .
(٤) ديوانه ٢ : ١٢٤٤ .
(٥) ديوانه ٢ : ٩٣٨ .
(٦) ديوانه ١٧٩ وفيه « لا خوف فحشٍ » .
(٧) فى اللسان : « الأفكل على أفعل : رعدة تعلو الإنسان ولا فعل له » . وقفقف : أرعد من البرد ، والدجنة : الظلمة . الصرد : الذى أرعده البرد . والبيتان فى شعراء أمويون ٣ : ٣٠٠ ، وفيه : « إلاّ جلالاً » .

وأصل الباب كلّه قولُ الحَزينِ الكِنَاني[١] :

يُغْضِي حياءً ، ويُغْضَى مِنْ مَهابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

وقال فى المُتَوكِّل[٢] :

اليَوْمَ أُطْلِعَ لِلخِلَافَةِ سَعْدُها وأَضاءَ فيها بَدْرُها المَتَهَلِّلُ
لَبِسَتْ جَلَالَةَ جَعْفَرٍ فكَأَنَّهَا سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهارُ المُقْبِلُ

وقال فى المعتز ويذكر الزَّوّ[٣] :

ولَمْ أَرَ كالمُعْتَزِّ إذْ راحَ مُوفِياً عليه بوجهٍ لاح فى الرَّوْنَقِ النَّضْرِ[٤]
مَلِيًّا بأَنْ يَجْلُو الظَّلَامَ بغُرَّةٍ تَخَاضَعُ إكْبارًا لَهَا غُرَّةُ الفَجْرِ
إذَا آهتَزّ غِبَّ الأَرْيَحِيَّةِ والنَّدَى وأَسْفَرَ فى ضَوْءِ الطَّلَاقَةِ والبِشْرِ

---

(١) الوساطة ٢٩٦ والأغانى ١٤ : ٧٥ وغير منسوب فى الكامل ٢ : ٥٧٤ . وكلمة « أصل » ساقطة من م وهى فى ق .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧٥ .

(٣) فى اللسان « زوى » « الزو : القرينان من السفن » ثم قال : « الجوهرى : وزو : اسم جبل بالعراق . قال ابن برى : ليس بالعراق جبل يسمى زواً ، وإنما هو سمع فى شعر البحترى قوله يمدح المعتز بالله حين جمع مركبين وشحنهما بالحطب وأوقد فيهما ناراً ، ويسمى ذلك بالعراق زواً فى عيد للفرس يسمى الصدق فقال : « ولا جبلا كالزو » وقال الفيروزآبادى فى القاموس ٤ : ٣٣٩ « والزو كالتو : سفينة عملها المتوكل ، لا جبل ، ووهم الجوهرى ، وإنما غره قول البحترى :

ولا جبلا كالزو يوقف تارة وينقاد إما قدته بزمام

والبيت فى ديوانه ٣ : ١٩٩٨ .

(٤) ديوانه ٢ : ١٠٥٣ عليه : أى على الزو الذى ذكره قبل ذلك :

تعجبت من فرعون إذ ظن أنه إله لأن النيل من تحته يجرى
ولو بصرت عيناه بالزو لازدرى حقير الذى نالت يداه من الأمر
إذًا لرأى قصرًا على ظهر لجة يَرُوحُ ويغدو فوق أمواجها يجرى
تُصاد الوحوشُ فى حِفَافَى طريقه وتُستَنزَلُ الطيرُ العوالى على قَسْر

وقَابَلَهُ بَدْرُ السَّماءِ بِحُسْنِهِ فَبَدْرٌ عَلَى بَدْرٍ ، وبَحْرٌ عَلى بَحْرِ (١)
رأَيتُ بَهاءَ المُلْكِ مُجْتَمِعًا لَهُ ودِيبَاجَةَ الدُّنيَا ومَكْرُمَةَ الدَّهرِ

وقال فيه :

مَلِكٌ يَمْلأُ العُيونَ بَهَاءً حِينَ يَبْدُو فى تَاجِهِ المَعْقُودِ (٢)

والخلفاءُ وملوكُ الإسلام لا يلبسون التِّيجَان ، وأَظنها كانت يتخذها الأَحداثُ منهم فيلبسونها فى خلواتهم ، ومع نسائهم ، ومن لا يَحْتَشِمُونَه مِنْ نُدَمائِهم . فأَما القَلانِسُ المُعَمَّمَةُ التى تُرَصَّعُ بالجوهر فلا شك فيها . ومَنْ ذَكَرَ تيجانَ الخلفاءِ من الشعراءِ فلعله رأَى على رءُوسهم هذا الجِنْسَ ، فقد قال البحترى أَيضًا فى المهتدى ينفى عنه لُبْسَ التَّاج (٣) :

لسَجَّادَةُ السَّجَّادِ أَحْسَنُ مَنْظَرًا مِنَ التاج فى أَحْجَارِهِ وآتِّقَادِهَا

وقال فى المعتز :

كَأَنمَا التَّاجُ إِذَا مَا عَلَا غُرَّتَــهُ بالــدُّرَرِ الزُّهْــرِ (٤)
[ كَوَاكِبُ الفَكَّةِ فى أُفقها دَنَتْ فَحَفَّتْ غُرَّةَ البَدْرِ ] (٥)

وقد تقدم من إنكار عبد الملك بن مروان على ابن الرُّقَيَّات (٦) قوله :

* يَعْتَدِلُ التاجُ فَوْقَ مَفرِقِهِ *

---

(١) ديوانه « بوجهه » .

(٢) ديوانه ٢ : ٧٢٩ وفيه : « تُمْلأُ العيونُ » .

(٣) ديوانه ٢ : ٦٧٧ وقوله : « فى المهتدى » ساقطه من ق .

(٤) ديوانه ٢ : ١٠١١ .

(٥) زيادة لازمة ، وجاء فى اللسان « فكك » « والفكة : نجوم مستديرة بحيال بنات نعش خلف السماك الرامح » .

(٦) لم أجده فيما تقدم وتمام البيت « على جبين كأَنَّهُ الذَّهبُ » . ديوانه : ٥ . وكان ابن الرقيات منقطعا إلى مصعب بن الزبير يمدحه ويهجو عبد الملك ، فلما قتل مصعب لجأ إلى عبد الله بن جعفر ، الذى سأل عبد الملك فى أمره فأمَّنه ؛ ومدح ابن الرقيات عبد الملك بقصيدة منها هذا البيت ، فلما سمعه عبد الملك قال : تمدحنى بالتاج كأَنى من العجم وتقول فى مصعب :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماءُ

أما الأمان فقد سبق لكِ ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاءً أبدًا . « الموشح : ٢٩٤ ، الأغانى ٤ : ١٥٧ » .

فأما الجلال ، والبهاءُ ، والهيبة ، وسائر ما مضى من ذلك فى هذا الباب ، فإنه واجب فى مدح الخلفاءِ والملوك والعظماءِ ؛ لأنه من الأوصاف التى تخصُّهم ، ويحسن موقع ذكرها عندهم ، وكذلك جمال الوجه وحسنُه مما يجب المَدْحُ به ؛ فإنَّ الوجه الجميل يزيد فى الهيبة ، وَيَتَيَمَّنُ به العرب ؛ لأنه يَدُل على الخصال المحمودة ، كما أَنَّ قبح الوجه والدَّمَامَة يسقط الهيبة ، ويدل على الخصال المذمومة ، وذلك ما تكرهه العرب[(١)]، وتتشاءَم به ؛ لأن أَول ما تلقاه من الإنسان وتعاينه وجهه ، ألا ترى إلى قول البحترى[(٢)] :

أَغَرُّ كَبَارِقِ الغيْثِ المُرَجّى ... يُحَبَّبُ فى الأَبَاعِدِ والأَدَانى
تخَاضعَتِ الوُجُوهُ لِحُسْنِ وَجْهٍ ... يَدُلُّ على خَلائِقِهِ الحِسَانِ

وقال فى مثل ذلك :

حَسَنُ الوَجْهِ والرّواءِ وكَمْ دَ ... لّ عَلَى سُؤْدَدِ الشَّرِيفِ روَاؤُهْ[(٣)]
ماءُ وَجْهٍ إذَا تَبَلَّجَ أَعْطا ... كَ أَمانًا مِنْ نَبْوَةِ الدَّهْر مَاؤُهْ
يَتَعَـالى ضيـاؤُهُ فَيُجَلّـى ... طِخْيَةَ الحَادِثِ المُضِبِّ ضِيَاؤُهْ[(٤)]

وقد غَلِط بعض المتأخرين فى هذا الباب – ممن أَلف فى « نقد الشعر » كتابًا – غلطًا فاحشًا[(٥)] ، فذكر أَن المدح بالحسن والجمال ، والذم بالقبح والدمامة ليس بمدح على الحقيقة ، ولا ذم على الصحة ، وخَطّأَ كلّ من يمدح بهذا أَو يَذُمُّ بذاك ،

---

(١) ق « وذلك مما يكرهه العرب » .

(٢) ديوانه ٤ : ٢٢٧٧ .

(٣) ديوانه ١ : ٣٠ وفيه : « حَسَنُ الفِعْلِ » .

(٤) فى الديوان « يتجَلّى ضياؤه » و « ظلمة الحادث » وهى بمعناها .

(٥) يقصد قدامة بن جعفر الكاتب ، مؤلف كتاب نقد الشعر ، أنظر : « نقد الشعر ص ٢١٥ – ٢٢٢ » .

فعَدَلَ بهذا المعنى عن مذاهب الأمم كلها عربيّها وعجميّها ، وأسقط أكثر مدح العرب وهجائها . وقد بينت قبح غلطه فى هذا تبيينًا شافيًا مستقصى فى كتاب منفرد[١] .

وقال البحترى يمدح المعتز ويذكر ابنه عبد الله[٢] :

عَلَيْـهِ مِنَ المُعْتَـزِّ باللهِ بهْجَـة ... أضَاءَتْ فَلَوْ يَسْرِى بِهَا الرَّكْبُ لَاهْتَدَى
يَرُوقُ العُيُونَ النَّاظـراتِ بِطَلْعَـةٍ ... مِنَ الحُسْنِ لو وَافَى بها البَدْر ما عَدَا[٣]
تَأمُّلُ أمينَ اللهِ فَرْطَ جَلَالَـةٍ ... وأُبَّهَـةٍ تَبْـدُو عَلَيْـه إذَا بَدَا[٤]

* * *

وقد تصرف البحترى فى المدح بالجمال والهيبة والجلال تصرفًا كثيرًا فى غير مدح الخلفاء ، فقال فى الفضل بن إسماعيل الهاشمى[٥] :

لَا تَطلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فإنَّهُ ... قَمَرُ التَّأَمُّلِ مُزْنَةُ التَّأْمِيلِ

وقال فى الفتح بن خاقان[٦] :

تَكَشَّفَ الليلُ مِنْ لَأْلاءِ غُرَّتِهِ ... عَنْ بَدْرِ دَاجِيَةٍ أَوْ شَمْسِ إصْبَاحِ

وقال يمدحه[٧] :

ويبْتَدِرُ الراءُونَ مِنْهُ إذَا بَدَا ... سَنَا قَمَرٍ مِنْ سُدَّةِ المُلْكِ مُطْلَعِ

---

(١) اسمه « تبيين غلط قدامة بن جعفر فى نقد الشعر » ، وقد ألفه لأبى الفضل : محمد بن الحسين بن العميد ، وقُرِئَ عليه ، وكتب خطه ، فى سنة خمس وستين وثلاثمائة . كما فى معجم الأدباء ٨ : ٧٦ .

(٢) ديوانه ٢ : ٦٧١ ، « ويذكر ابنه عبد الله » ساقط من ق .

(٣) فى م وق « لو أوفى » وهى خطأ وفى الديوان « باعدا » .

(٤) فى م و ق « تبدو عليك » والصحيح ما أثبت الشيخ صقر وهى كذلك فى الديوان ، وفى الجزء الثانى « رائعة تبدو عليه » وهو خطأ ، والتصحيح من ديوانه وق .

(٥) ديوانه ٣ : ١٦٥٩ .

(٦) ديوانه ١ : ٤٤٣ .

(٧) ديوانه ٢ : ١٢٣٩ .

يَقُومُونَ مِنْ بُعْدٍ إِذَا بَصرُوا بِهِ ... لِأَبْلَجَ مِنْ نُورِ الجَلَالَةِ أَرْوَعِ[(١)]
وَيُدْعَونَ بالأَسْمَاءِ مَثْنَى ومَوْحَدًا ... إِذَا حَضرُوا بَابَ الرِّوَاقِ المُرَفَّعِ[(٢)]
إذا سَارَكُفَّ اللَّحْظُ عَنْ كُلِّ مُبْصَرٍ ... سِوَاهُ ، وغُضَّ الصَّوْتُ عَنْ كُلِّ مَسْمَعِ[(٣)]
فَلَسْتَ تَرى إِلَّا إِفَاضَةَ شَاخِصٍ ... إليه بِعَيْنٍ ، أَوْ مُشِيرٍ بِإِصْبَعِ

الإفاضة : الدَّفْعُ ، يريد أنه يدفعُ[(٤)] ببصره إليه ، ويَنْحُو به نَحْوَه . والإفاضة فى الكلام أن يدفعوا أيضًا القول ، ويبعثوا الكلام . وهذه هيبةٌ وجلال ما وراءَهما غاية . وكان المتوكل أولى بهذا الوصف من الفتح وإن كان الفتح أَوْقَرَ وأَهيب .

وقال البحترى فى دخوله إلى الفتح[(٥)] :

ولما حَضرْنَا سُدَّةَ الإِذْنِ أُخِّرتْ ... رِجالٌ عنِ البابِ الذى أَنَا دَاخِلُهْ
فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْب إلى ذِى مَهابَةٍ ... أُقَابِلُ بَدْرَ الأُفْقِ حِينَ أُقابلُهْ
فَسَلَّمْتُ وآعْتَاقَتْ جَنَانِىَ هَيْبَةٌ ... تُنَازِعُنِى القَوْلَ الذى أَنَا قَائِلُهْ
فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وآنْثَنَى ... إِلَىَّ بِبِشْرٍ آنَسَتْنِى مَخَايِلُهْ
دَنَوْتُ فَقَبَّلْتُ النَّدَى فى يدِ آمْرِىءٍ ... جميلٍ مُحَيَّاهُ ، سِبَاطٍ أَنَامِلُهْ[(٦)]
صَفَتْ مِثْلَ مَا تَصْفُو المُدَامُ خِلَالُهُ ... ورَقَّتْ كما رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهْ[(٧)]

هكذا – لعمرى – تمدح الملوك .

---

(١) فى الديوان « لأبلج موقور الجلالة » .

(٢) م « إذا حضر فى باب » .

(٣) فى الديوان « عن كل منظر » .

(٤) فى م وق « يدفعه » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٦٠٩ .

(٦) م « فقبلت الذى » .

(٧) م « المدام جلالة » .

وقال فيه[(١)] :

مَهِيبٌ يُعْظِمُ العُلَمَاءُ مِنْهُ جَلَالَةَ أَرْوَعٍ وَارِى الزنَادِ
يُؤَدُّونَ التَّحِيَّةَ مِنَ بَعيدٍ إلى قَمَرٍ مِنَ الإيوانِ بَادِ
قِيَامٌ فى المَرَاتِبِ أَوْ قُعُودٌ سُكونٌ مِنَ أَنَاةٍ وَاتَّئَادِ
فَلَيْسَ اللَّحْظُ بالمَكْرُورِ شَزْرًا إليه ، ولا الحديثُ بِمُسْتَعَادِ

وقال فيه أيضًا لما دخلت إليه بنو تَغْلب بعدما أَصْلَحَ بينهم حتى سكنت حَرْبُهم . يقول ذلك فى قصيدته المنصفة[(٢)] :

تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى السِّمَاطِ فَقَصَّرُوا خُطَاهُمْ وقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وهُمْ عُجْلُ
إذَا قَلَبُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ وَمَالُوا بِلَحْظٍ خِلْتَ أَنَّهُمُ قُبْـلُ[(٣)]

وهذا من فاخر المدح ، ومُصِيبِ الوَصْف . وفى اقتصاص مثل هذه الأحوال التى تشاهد يظهر[(٤)] حِذْقُ الشاعر وبراعته[(٥)] .

[(٦)]

..............................................................................

* * *

---

(١) ديوانه ٢ : ٧٢٦ « يعظم العظماء منه » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٦١٥ وفى م « تزاوّل » وهو تحريف .

(٣) فى الديوان « إذا نكسوا » .

(٤) م « فيظهر » وهو تحريف .

(٥) جاء بعد هذا فى المخطوطتين م و ق :

والله الموفق .

تم كتاب الموازنة بين الطائيين للآمدى بحمد الله ومنه وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ( ق : وآله أجمعين ) وسلم تسليماً كثيراً دائما أبدا آمين والحمد لله رب العالمين ( من قوله : دائماً ... ليست فى ق ) .

(٦) هنا خرم بين نهاية المخطوطتين م ، ق وبين بداية المخطوطة التونسية ( س ) لا نعرف مقداره قد يكون أبياتاً وقد يكون صفحات .

/ وقالَ[١] « البحترى » فى الفتح : ٢ س

تَلفَّتَ فوقَ العالمينَ [ فطالَهم ] تَشوُّفُ بَسَّامٍ إلى الوَفْـدِ قَاعِـدِ[٢]
جَهيرُ الخِطاب يَخفِضُ القومُ عندَهُ معاريضَ قَولٍ كالرِّيَاحِ الرَّوَاكِدِ
يَخُصون بالتَبْجيلِ أطْولَهم يدا وأظْهرَهـم أُكرُومةً فى المَشاهـدِ[٣]
ولم أرَ أمثـالَ الرِّجـالِ تَفـاوتَتْ إلى الفَضْلِ حتى قِيسَ أَلْفٌ بِوَاحِدِ[٤]

وقالَ فى عُبيد اللهِ بن عبد اللهِ بن طاهرٍ حين قَدِمَ بغدادَ[٥] :

وتُعْطَفُ أثْنَاءُ السُّرادِقِ حَوْلَهُ [ على قمرٍ تَنْجابُ عنه سدولُها ]
[ إذا القومُ قامُوا يرقبونَ بُدوَّهُ ] بدا حَسَنُ الأخلاقِ فيهم جَميلُها[٦]

---

(١) من هنا يبدأ القسم الجديد وهو الجزء الثالث من الكتاب مع بداية هذه النسخة التونسية المباركة ، جاء فى أولها : ( بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقى إلا بالله ) ، وهى تكمل ما انقطع بعد الجزء الثانى المطبوع الذى انتهى إلى « وصف الجلال والهيبة » ، وهذه الأبيات وما بعدها بقية هذا الباب كما سيمر ، وفى الأصل : « وقال فى الفتح » . والأبيات فى ديوان البحترى ١ : ٦٢٤ .

والفتح بن خاقان بن أحمد ، كان من أولاد الملوك ، وفى نهاية الذكاء والفطنة وحسن الأدب اتخذه المتوكل أخا له وكان يقدمه على سائر ولده وأهله ، وكان له خزانة جمعها له على بن يحيى المنجم ، توفى فى الليلة التى قتل فيها المتوكل سنة ٢٤٧ « الفهرست ص ١٣٠ ومعجم الأدباء ١٦ : ١٧٤ » .

(٢) ديوانه « فوق القائمين » . وما بين الحاصرتين سقط من س .

(٣) فى س « يخوضون بالتبجيل أطوالهم يد » تحريف والتصحيح من ديوانه .

(٤) ديوانه « حتى عدّ » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٧٧٣ والممدوح هو أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى بالولاء ، كان أبوه وجدّه من المقدمين عند المأمون ، ولى شرطة بغداد ، وكان سيدا ، وإليه انتهت رئاسة أهله ، وله بعض المصنفات ولد سنة ٢٢٣ وتوفى سنة ٣١٠ « ابن خلكان ٣ : ١٢٠ وتاريخ بغداد ١٠ : ٣٤٠ والديارات ٧١ والأغانى « الدار » ٩ : ٤٠ » .

(٦) ورد صدر البيت الأول مع عجز الثانى ، وسقط ما بين الحاصرتين .

كأنَّهُمُ عند استلامِ رِكَابِهِ غصائبُ عند البيتِ حانَ قفولُها
إذا ازدحموا قُدَّامَه ووراءَه مشوا مِشْيَةً يأبى الأناةَ عَجولُها

وقال أبو عمرو والمفضل : كُثَيِّرٌ(١) أشعرُ الناس فى وصف الهيبةِ إذْ يقول :

شَهِدْتُ ابنَ ليلى فى مواطنَ قد خلتْ يزيدُ بها ذا الحلمِ حِلمًا حضورُها
فلا هاجرات القولِ يُورَثْنَ عندَهُ ولا كلماتُ النُّصحِ ملقىً مُشيرُها(٢)
ترى القومَ يخُفونَ المواعِظَ عنده ويُنْذِرُهم عورَ الكلامِ نَذيرُها(٣)

وقد أحسن ذو الرمّةِ كلَّ الإحسانِ إذ يقولُ فى مدحِ بلالِ بن أبى بردة(٤) :

مِنَ آلِ أبى موسى ترى القومَ حولَهُ كأنهُمُ الخِرْبانُ أبْصرنَ بازِيَا(٥)
مُرمِّينَ من ليثٍ عليهِ مهابَةٌ تفادَى الأسودُ الغُلْبُ مِنْهُ تفادِيَا(٦)
فما يُغْرِبُونَ الضّحكَ إلّا تَبسُّمًا ولا يَنْسِبُونَ القولَ إلّا تَناجِيَا
لدَى مَلكٍ يعلو الرجالَ بضوئِهِ كما بَهَرَ البدرُ النجومَ السَّوارِيَا
ولا الفُحْشَ فيهِ يرهبونَ ولا الخنا عليهِمْ ولكنْ هيبةٌ هىَ ماهِيَا

---

(١) وهذا يقطع بأن هذا القسم هو بقية باب « وصف الجلال والهيبة » وهو آخر أبواب الجزء الثانى المطبوع . والأبيات فى ديوانه : ٣١٧ ، وابن ليلى هو : عبد العزيز بن مروان .

(٢) ديوانه : « يؤثرن » .

(٣) ديوانه : « يخفون التبسّم » .

(٤) بلال بن أبى بردة عامر بن أبى موسى الأشعرى ، كان أمير البصرة وقاضيها ولاه إياها خالد القسرى سنة ١٠٩ وتوفى فى حبس يوسف بن عمر سنة نيف وعشرين ومائة « وفيات الأعيان ٣ : ١٠ ، وخزانة الأدب ٣ : ٣٥ » والأبيات فى ديوان ذى الرُّمة : ١٣١٣

(٥) ديوانه : « ترى الناس ، « كأنهم الكروان » ، والخربان ذكور الحبارى ، الواحد خَرَب ، وقيل هو الحبارى كلها ، انظر « الخصائص لابن جنى ٢ : ٢٤٢ ، والحيوان ٦ : ٣٧٤ » .

(٦) ديوانه : أسود الغاب .

« المُرِمُّ » : الساكتُ المطرقُ ، وقولُه : « يُغْرِبُونَ » من أغربَ فى الضَّحِكِ واسْتَغْربَ إذا أكْثَرَ ، و « يَنْسِبُونَ » : يتكلّمونَ كلامًا خفيًّا[1] ، وهذا مِثْلُ قولِ كُثَيِّرٍ :

تَرى القومَ يُخْفُونَ المواعِظَ عِنْدَهُ

وليسَ هذا ولا قولُ كُثَيِّرٍ بأجودَ ولا أبلغَ من قَولِ البحتريِّ فى الفتحِ بنِ خاقانَ[2] .

وقال أبو العتاهيةَ فى الهادى[3] :

يضطَرِبُ الخوفُ والرجاءُ إذا حَرَّكَ موسىٰ القضيبَ أو فَكَّرْ

وإنَّما حذاهُ على قولِ ابنِ هَرْمَةَ فى المنصورِ[4] :

لَهُ لحظاتٌ عن حِفَافَىْ سريرِهِ إذا كرَّها منها عِقابٌ ونَائِلُ

* * *

(١) انظر شرح المبرد للأبيات فى الكامل ٢ : ٥٧٠ .

(٢) انظر ما سبق من شعره فيه .

(٣) ديوانه ٢١١ .

(٤) ديوانه ١٦٨ ، وحفافا كل شيء : جانباه .

## إفاضةُ العدلِ وإقامةُ الحقِّ [1]

« ...... [2] ؟ » بما قالوه فى الخلفاءِ .

وقال [3] أبو تمامٍ فى المأمونِ [4] :

/ يا أيُّها الملكُ الهُمامُ وعَدْلُهُ  مَلِكٌ عليه فى القضاءِ هُمامُ ٣ س
مازالَ حُكمُ اللهِ يُشرِقُ وجهُهُ  فى الأرضِ مُذْ نيطت بكَ الأحكامُ

قوله : « يشرقُ فى الأرضِ » عمومٌ يليقُ بالخليفةِ ، ولكن لا يقبح أن يوصَفَ به وزيرٌ أو من يقوم مقامه ، لأنّ الخليفةَ ينوطُ أمرَ الأحكامِ وغيرِ الأحكامِ بهِ .

وقولُهُ : « وعدلُهُ مَلِكٌ » ليس بمنكرٍ أن يجعلَ العدلَ ملكاً على الحقيقةِ إذا كان يُتَدَبَّرُ بإفاضتِه واستعمالِهِ ، فلم يقنعْ بهذه الاستعارة حتّى جعل العدلَ مَلِكاً هماماً من أجل قوله : « يا أيها الملكُ الهُمامُ » ، على مذهبِهِ فى ردىء الاستعارةِ .

والهُمامُ : ذو الهِمَّةِ البعيدةِ ، ويقال : الذى إذا همّ بشىءٍ أمضاهُ ولم يتعذرْ عليه .

[ و ] الجيّدُ النّادرُ فى إفاضةِ العدلِ قولُ منصورٍ [5] :

لقد شَمِلَ البَرِيَّةَ منهُ عَدْلٌ  سيجعلُهُ أَئِمَّتُهُمْ مِثَالا
يُقَدِّم عَفْوَهَ وإذا اسْتخفُّوا  نكَالَ عقوبةٍ مطلَ النَّكَالا

وقال أبو تمّامٍ فى المعتصمِ [6] :

جَلا ظُلماتِ الظُّلمِ عن وجْهِ أُمَّةٍ  أضاءَ لها من كَوْكبِ الحقِّ آفِلُهْ

---

(١) فى س « وإقامة العدل » وانظر ص ٢٠ من هذا الجزء و ٢ : ٣٣١ .
(٢) كلمات مطموسة لم أتمكن من قراءتها .
(٣) كذا فى س ، وربما سبق هذا بعض الأبيات لأبى تمام سقطت من النسخة .
(٤) ديوانه ٢ : ٣٧٥ والتبريزى ٣ : ١٥٣ .
(٥) منصور النمرى : هو منصور بن سلمة بن الزبرقان من بنى النمر بن قاسط ، وكان مقدما عند الرشيد ، « الشعر والشعراء ٨٥٩ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٢ » ، ولم أجد البيتين فى ديوانه المجموع .
(٦) ديوانه ٢ : ١٩٩ والتبريزى ٣ : ٢٦ .

وقامَ فقامَ العدلُ فى كلّ بَلدَةٍ   خطيباً ، وأضحىٰ المُلْكُ قد شَقَّ بازِلُهْ
وجرّدَ سيفَ الحقّ حتّى كأنَّهُ   من السَّلِّ مودٍ جَفْنُهُ وحَمائِلُهْ

البيتُ الأوّل والثّانى جيّدان فى مدح الخلفاءِ . وقولُهُ فى البيت الثالثِ : « من السَّلِّ » لفظٌ غير جيّدٍ ولا مُتَمكّنٌ .

وقال أيضا فى المعتصِمِ(١) :

سكَن الزّمانُ فلا يَدٌ مذمومةٌ   للحادثاتِ ولا سوامٌ يُذْعَرُ
فى الأرض مِن عدلِ الإمام وجودِهِ   ومن النَّباتِ الغَضّ سُرْجٌ تَزْهَرُ

البيتُ الأول فى غايةِ الجودةِ ، والثّانى فى غايةِ الرّكاكةِ لأنّه من ألفاظِ العَوامّ .

وقال البحتريُّ فى المتوكِّلِ(٢) :

تَحسّنت الدُّنيا بِعَدْلك فَاغْتدتْ   وآفاقُها بِيضٌ وأَكْنَافُها خُضْرُ
هنيئًا لأهلِ الشّامِ أنّكَ سائِرٌ   إليهِمْ مسيرَ الشّمسِ يَتْبَعُها القَطْرُ(٣)

وهَذا فى غايَةِ الحُسْنِ والحَلاوةِ ، وقالَ فيهِ(٤) :

أظْهَر العدلَ فاسْتَنَارتْ بهِ الأرْ   ضُ ، وعمَّ البلادَ غَوْراً ونَجْدا

وهذا عمومٌ لا يحسن أنْ يقالَ إلّا لخليفةٍ ، أو ولىِّ عَهْدٍ أو وزيرٍ .

وقالَ فى المتوكِّلِ(٥) :

ما ضَيَّعَ اللهُ فى بدوٍ ولا حَضَرٍ   رَعِيَّةً أنت بالإحسانِ رَاعيها
وأُمّةً كانَ قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطُهَا   دهراً ، فأصبحَ حُسْنُ العَدْلِ يُرْضِيها

---

(١) ديوانه ١ : ٥٣٨ ، والتبريزى ٢ : ١٩٦ .
(٢) ديوانه ٢ : ٩٩٢ .
(٣) ديوانه [ مسير القطر يتبعه القطر ] .
(٤) ديوانه ٢ : ٧١٢ .
(٥) ديوانه ٤ : ٢٤٢١ .

وقالَ فى المعتزّ[١] :

٤ س / إمامُ هدًى عمَّ البريّةَ عدلُهُ فأضحَى لديهِ آمِنًا كلُّ رَاهِبِ[٢]
ورُدَّتْ – وما كانت تُرَدُّ – بعَدْلِه ظُلاماتُ قومٍ مُظْلِماتُ المطَالِبِ

وقالَ فى المُهْتَدِى[٣] :

مَلِىٌّ بِنصْرِ الحق والحقُ واحدٌ إذا عُصْبَةٌ يوماً لِظُلْـمٍ تَصدَّتِ[٤]
وتأْيِيدُهُ حُكْمَ الهُدَى بخُشُونَةٍ من الجِدِّ لو مرّت على الصَّخْرِ خَدَّتِ[٥]

وهذا فى غايةِ الجودة إلا أنه خالٍ من العُمومِ ، ويصلُحُ أن يُمْدَح بهِ قاضٍ وغيرُه من الولاةِ .

وقال فيه[٦] :

بالمهتدى باللهِ والهادى بهِ أرستْ قواعدُ دِينِنا فَتَأَثَّلا[٧]
وَرِثَ النَّبِىَّ سَجِيّةً مَرْضِيَّةً وطريقةً قَصدًا وقولاً فَيْصلا
فإذا قَضى فى المُشْكلاتِ ترادفتْ حِكَمٌ تُرِيكَ الوَحْىَ كيفَ يُنَزَّلا[٨]

وقالَ فيه[٩] :

أَسِفْتُ لأقوامٍ مَلكْتَ بُعَيْدَهُمْ وكانتْ دَجتْ أَيَّامُهُمْ فاسْوَأَدَّتِ[١٠]

---

(١) ديوانه ١ : ١٠٩ .
(٢) فى س « ذاهب » تصحيف والتصحيح من الديوان .
(٣) ديوانه ١ : ٣٧٠ وفى س « المهدى » .
(٤) الديوان : « والحق أوحد » ، « عصبة منا »
(٥) خدت : أى شقت .
(٦) ديوانه ٣ : ١٦٤٩ .
(٧) صدره فى الديوان : « يا ابن الهداة الراشدين ومن بهم » .
(٨) فى الأصل : « تنزلا » والتصحيح من ديوانه .
(٩) ديوانه ١ : ٣٧١ .
(١٠) ديوانه : « أسيت لأقوام ملكت أمورهم » ، وفى سُ : « اسودّت » ولا يستقيم الوزن بها والتصحيح من الديوان ، وقال أبو العلاء فى عبث الوليد ص ٦٩ : « فى الأصل اسوأدت وهو أشبه بمذهب الشاعر ، والعرب يحكى عنهم همز مثل هذه الأشياء التى يلتقى فيها ساكنان يقولون : احمأر فى معنى احمار واسوأدّ فى معنى اسواد »

مَضَوْا لم يَرَوْا من حُسْنِ عَدْلِكَ منظراً ولم يَلْبَسُوا نُعماكَ حين اسْتُجِدَّتِ
ولَمْ يعلموا أنَّ المكارِمَ أُبْدِيَتْ جِذَاعاً ولا أنَّ المظالِمَ رُدَّتِ (١)

وقال فيه (٢) :

أرىٰ حَوْزَةَ الإسلامِ حينَ وَلِيْتَها تُحُرِّمَ باغِيها وحِيطَ حَرِيمُها
تدارَكَ مظلومُ الرَّعيةِ حَقَّهُ وخَلَّى لهُ وَجْهَ الطّرِيقِ ظَلومُها (٣)

وقالَ فى المعتمدِ (٤) :

بلغَ احْتِيَاطُكَ وفْدَ كلِّ قبيلةٍ وأغاثَ عَدْلُكَ أهلَ كلِّ بِلادِ

وقال فى المعتزِّ (٥) :

أقامَ منارَ الحقّ حَتَّىٰ اهتدتْ بهِ وأبْصرَها مَنْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ مُبْصِرًا (٦)
وعادتْ على الدُّنْيَا عوائِدُ فَضْلِهِ فأقبلَ مِنْها كلُّ ما كانَ مُدْبِرا (٧)

وهذا كُلُّهُ فى غايةِ الجودةِ والصّحةِ والاستقامةِ ، وهو عمومٌ لا يكونُ إلّا من خليفةٍ ، أو من يقومُ مقامَه (٨) .

وقال فى المتوكِّلِ (٩) :

عرَّفْتَنَا سُنَنَ النّبيِّ وهَدْيَهُ وقَضَيْتَ فينا بالكِتابِ المُنْزَلِ

لولا قوله : « وهديه » كان يصلُحُ أن يكونَ مدحاً لقاضٍ أو فقيهٍ ، إلّا أن يُسْرِفَ مُسْرِفٌ .

---

(١) ديوانه : « ولا علموا » وفى س : « خداعا » تصحيف .
(٢) ديوانه ٣ : ٢٠٢١ .
(٣) فى الأصل : « وخلى الطريق ظلومها وغشومها » والتصحيح من الديوان .
(٤) ديوانه ٢ : ٧٣٤ .
(٥) ديوانه ٢ : ٩٣٣ .
(٦) فى الديوان : « اهتدى » ، و « أبصره ... أبصرا » .
(٧) ديوانه : « أدبرا » .
(٨) فى س : « مقامها » .
(٩) ديوانه ٣ : ١٦٢٣

وقال فيه[(١)]:

إمامٌ يراهُ اللهُ أَوْلَى عبادِهِ بحقٍّ ، وأهداهُم لِقَصْدِ سَبيلِهِ[(٢)]
خَليفَتُهُ فى أرْضِهِ وَوليُّهُ [ الـ (م) رضىُّ ] لَديهِ ، وابنُ عمِّ رَسولِهِ[(٣)]
تَرى الأرضَ تُسقَى غَيْثَها بِمُرورِهِ عليها ، وتُكْسَى نَبْتَها بِنُزُولِهِ[(٤)]

٥ س / وقالَ فيه[(٥)]:

أَوَ ما تَرى حُسْنَ الزَّمانِ وما بَدا وأعادَ فى أيّامِهِ المُتَوكِّلُ
أشْرَقْنَ حتّى كادَ يُقْتَبَسُ الدُّجَى ورَطُبْنَ حتّى كادَ يَجْرى الجَنْدَلُ[(٦)]

فهذا ما يَليقُ بالخُلفاءِ مِن ذِكْرِ العَدْلِ وإقامةِ الحقّ وصلاحِ الأمور ، والبحتريُّ فيما أورده من ذلك كلِّهِ أشعرُ من أبى تمّام .

ومِمّا قالاهُ من ذلكَ فى سائرِ النّاس ، قالَ أبو تمّامٍ فى مُحمّد بن عبد الملك[(٧)]:

أرَى ابنَ أبِى مَرْوانَ أمّا لِقاؤه فَدانٍ وأمّا حُكْمُهُ فَهْوَ عادِلُ

وقال فى إبراهيم بن الخصيب[(٨)]:

ما لأَهلِ الشّآمِ أنْ يَكْفُرُوا بَعْـ ـدَكَ فِيهِمْ نَعْماءَ أَهْلِ العِراقِ
فلقد صار أفقهم بأيادِيـ ـكَ حديثًا لسائرِ الآفاقِ

(١) ديوانه ٣ : ١٦٣٠ .
(٢) ديوانه : « رآه الله » .
(٣) مابين الحاصرتين ساقط من س .
(٤) فى س : « عليه » .
(٥) ديوانه ٣ : ١٧٥١ .
(٦) سبق فى ١ : ٣٤٤ .
(٧) ديوانه ٢ : ٣٣٥ – والتبريزى : ٣ : ١٢٥ وفيهما « أما عطاؤه فطام » ، وفى النظام لابن المستوفى جـ ٢ لوحة ٢٧١ : « وروى الآمدى : أما لقاؤه فدان » .
(٨) لم أجد الأبيات فى ديوانه أو فى شرح التبريزى غير أنى وجدتها فى نسخة من ديوانه مخطوطة استانبول « الفاتح » برقم ٣٧٧٢ لوحة ١٣١ .

نزلَ العدْلُ حيث شاءوا وأضحى الـ ـجورُ والظُّلـمُ عنهُـمُ فى وَثَـاقِ[(١)]
كلُّ يوم تَزِيدُهم منك عدلاً ونوالاً كذاك جَرىُ العِتَاقِ

هذه الأبياتُ كلها رديئةٌ ، وقوله : « كذاكَ جرىُ العِتاقِ » ؛ لأنَّ الخيلَ العتاقَ إذا استزدتَها فى الجَرىِ زادتْكَ ، وليسَ بالمعنى الحلوِ هاهُنا

وقالَ البحترىُّ فى صاعدِ بن مخلدٍ[(٢)] :

فكيفَ وجدتم عدْلَهُ وقدِ التَقَتْ مساويةً شاءُ البلادِ وسِيدُهـا[(٣)]
فإن تُخْرِجِ الأيامُ مذخورَ حُسْنِها فقد آنَ أنْ يُبْدِى النضارةَ عُودُها

وهذا غايةٌ فى حسنهِ وحلاوتهِ .

وقالَ فى أبى الصَّقْرِ[(٤)] :

تَقرَّىٰ جُنوبَ الأرض جُوداً ونائِلاً وطَبَّـق عَدْلاً حَزْنَهَـا وسهولَهـا[(٥)]
ولوْ سِيقَت الدُّنيا إليهِ بأسْرِها ولم يَنَلْها حمدٌ لعافَ قَبولَهـا[(٦)]

وقالَ فى أبى يعقوبَ إسحاقَ بن إسماعيلَ[(٧)] :

إنَّ العواصمَ قد عُصِمْنَ بأبيضٍ ماضٍ كصدرِ الأبيضِ المسلولِ[(٨)]

---

(١) فى النسخة المخطوطة « حيث ساروا » .
(٢) ديوانه ١ : ٥٣٢ .
(٣) فى الديوان : « مسالمة » وفى عبث الوليد ص ٨٣ : « مسالمة » وقال : « كان فى النسخة « مساوية » وله معنى ، والأشبه أن يكون « مشاربة » ؛ لأن الأخبار التى تنقل فى الزمان الذى يصلح فيه شؤون يقال فيها إن الموادعة تقع حتى يشرب الذئب مع الشاة من حوض واحد » .
(٤) ديوانه ٣ : ١٧٩٤ .
(٥) فى س : « وطُبِّق » بالبناء للمجهول وهذا يجعل قافية البيت مضمومة ، والتصحيح من الديوان .
(٦) فى س : « قبولها » بضم القاف واللام وهو خطأ ظاهر .
(٧) ديوانه ٣ : ١٨٣٧ .
(٨) ديوانه : « كحدّ الأبيض » .

أعطى الضَّعيفَ من القويِّ وردَّ منْ نَفْسِ الوحيدِ ومُنَّةِ المَخْذُولِ
عزَّ الذليلُ وقد رآكَ تشدُّ من وَطْءٍ على عُنُقِ العزيزِ ثَقيلِ
رَعَتِ الرَّعِيَّةُ مرتعاً بك مونقاً وثَنتْ بظلٍ فى ذَراكَ ظَليـــلِ[1]
أَعْطيتَها حُكْمَ الصَّبىِّ ، وزِدتَها فى الرِّفْدِ إذْ زَادتْكَ فى التَّأميلِ

وقالَ فى إبراهيمَ بن المدبِّرِ[2] :

نافِرُ الجأشِ لا تَقِرُّ حشَاهُ أو تُؤَدَّىٰ ظُلامةُ المَظْلومِ

وهذا كلُّه جيِّدٌ نادرٌ فوقَ ما قاله أبو تمّامٍ .

* * *

(١) ديوانه : « مرتعا بك حابسا : أى كلأ حابسا يحبس المال لكثرته وجودته » ، وفيه : « بظل من ذراك » .

(٢) ديوانه ٤ : ٢١٢١ .

## سدادُ الرأي والتدبيرِ والإضطلاعُ بالأمورِ

## وحُسْنُ الكفاءةِ[1] وإمضاءُ العزائمِ

قالَ أبو / تمّامٍ فى المعتصمِ[2] : ٦ س

فِكْرٌ إذا رَاضَهُ راضَ الأمورَ بهِ      رأىٌ تَفنَّنَ عنه الرَّيْثُ والعَجَلُ

أرادَ أنّ الرّأىَ يروضُ الأمورَ بالفِكْرِ ، وقوله : « تفنَّنَ عنه الريثُ والعَجَلُ » أى تشعَّبَ منه ، وصار أفناناً ، يقول : يَرِيثُ فى حالٍ إذا كان الرَّيْثُ أولىٰ ، ويَعجَلُ فى حالٍ إذا كَانتِ العجلةُ أحزمُ ، فالرَّيْثُ والعَجَل يصدران جميعاً عنهُ ، وهذا بيتُ غيرُ جيّدٍ ولا شَهِىٌّ[3].

وقالَ فى المأمونِ[4] :

وأرَى الأمورَ المشكلاتِ تمزَّقَتْ      ظُلماتُها عن رأيكَ المتوقّدِ

عَنْ مثلِ نَصْلِ السَّيْفِ إلّا أنَّهُ      مُذْ سُلَّ أوّلَ سَلَّةٍ لمْ يُغْمَدِ

فَبسطْتَ أزْهَرَهَا بوجهٍ أزْهر      وقَبضْتَ أربدَها بوجهٍ أرْبَدِ

لَهُ فى هذا البيت إساءةٌ قد ذكرتُها فى أغاليطِهِ[5].

وللهِ درُّ أبى عبادةَ إذ يقولُ فى المهتدى باللّهِ[6] :

---

(١) فى ص ٣٣١ من الجزء الثانى « حسن السياسة » .

(٢) ديوانه ٢ : ١٨٩ والتبريزى ٣ : ١٩ وفيهما « تفنن فيه » .

(٣) تعليق الآمدى هذا نقله ابن المستوفى فى النظام جـ ٢ لوحة ٢٤٥ .

(٤) ديوانه ١ : ٤٥٢ والتبريزى ٢ : ٥٢ .

(٥) انظر ١ : ٢٣٦ .

(٦) ديوانه ١ : ٣٧٠

وقـد عَلِمَ الأقــوامُ أنَّ صريمةً ... إذا اختلفتْ شورىٰ النَّجىِّ اسْتَبَدَّتِ
متى وَقَدَتْ فى مُظْلِم الأمْرِ ضَوَّأَتْ ... وإنْ ضَرَبَتْ فى جانبِ الخَطْبِ قَدَّتِ

وقوله فيه[1]:

لَهُ عَزمةٌ ما اسْتَبْطأ المُلْكُ نُجْحَها ... ولا اسْتعتَبَ الإسلامُ ورىَ زِنَادِها
إذا شُوهِدَتْ بالرَّأْىِ بانَ اخْتيارُها ... وإن غابَ ذو الرَّأْىِ اكْتفتْ بانْفِرادِها[2]

وقالَ ابنُ هَرمةَ فى المنصورِ[3]:

ولا يَنْتجى الأَدْنَونَ فيما يُحَاوِلُ[4]

وتَبِعَه أبو العتاهيةَ فقالَ[5]:

إذا همَّ لمْ يَشْرَكْهُ فى الأمرِ غَيرُهُ ... وكانَ بما يأتِى أطبَّ وأبْصَرا

وقولهُ فى المعتمِدِ[6]:

تَبِعَتْ « بنو العبّاسِ » هَدْىَ مُحمَّدٍ ... ثَبْتِ البصيرةِ فى المحجّة هَادِ[7]
وكأنَّهمْ لمَّا اقْتَفَوْا مِنْهاجَهُ ... تَبِعُوا ضِياءَ الكَوْكَبِ الوَقَّادِ[8]

وقولُهُ[9]:

مُتَيَقِّظٌ عُصِمتْ بوادِرُ حُكْمِهِ ... بِعُرىً من الرَّأْىِ الأَصيلِ شِدَادِ[10]
كالسَّيْفِ فى ذاتِ الإلهِ ، وقد يُرى ... كَرَماً كفرعِ النَّبعةِ المَيَّادِ[11]

---

(١) ديوانه ٢ : ٦٧٦ .

(٢) ديوانه : « وإن بان ذو الرأى » .

(٣) ديوان ابن هرمة ص ١٦٧ وفيه « الأدنين » ، وفى أمالى القالى « الأدنون » ٣ : ٤٠ ، وصدر البيت : « يزرن امرأ لا يصلح القوم أمره »

(٤) وينتجى : يفضى بسره .

(٥) لم أجده فى ديوانه .

(٦) أى البحترى ، ديوانه ٢ : ٧٣٢ .

(٧) ديوانه : « هدى موفق » .

(٨) ديوانه : « اقتفوا آثاره » .

(٩) ديوانه ٢ : ٧٣٣ .

(١٠) ديوانه : « بوادر أمره » .

(١١) ديوانه : « المنآد » .

وقولُه فى المهتدى[١] :

تَثْنِى بوادِرَهُ الأَناةُ ، وإنَّما     سارتْ عزيمَتُهُ فكانتْ جحْفَلَا[٢]

وقالَ أبو تمّامٍ[٣] :

وعزائماً فى الرّوعِ مُعْتَصِميَّةً     مَيْمونةَ الإِدْبارِ والإِقْبالِ
فَتَعَمُّقُ الوُزَراءِ يَطْفُو فوْقَها     طَفْوَ القَذى وتَعقُّبُ العُذّالِ[٤]
/ والسَّيفُ مالَمْ يُلْفَ فيهِ صَيْقَلٌ     من سِنْخِهِ لِم يَنْتَفِعْ بصِقالِ[٥] ٧ س

ما كانَ ينبغى أن يجعلَ العزائمَ إدباراً ، لأنّها لفظةٌ قبيحةٌ ولا يصحُّ لهَا أيضًا معنى فى هذا الموضعِ ، وخاصةً وقدْ قالَ : « فى الرّوعِ » ، إلّا أنْ يُتأوَّلَ أنْ يكون أرادَ قولَهم : فلانٌ يضربُ الأمْرَ ظهراً لبطنٍ ويُقْبِلُ بالرَّأى ويُدْبِرُ ، يريد أنّه يصرِّفُهُ ويُقلِّبُهُ ، وبينَ اللّفظتيْنِ فَرْقٌ كبيرٌ ، وما كانت ها هنا ضرورةٌ إلى هذا اللّفظِ الرّدىءِ ، لأنَّ فى سائرِ الألفاظِ والمعانى مندوحةً ، و « تعقُّبُ العذّال » ردىءٌ أيضا ، لأنّ الخليفَةَ يَجِلُّ أن يُقْدِمَ أحدٌ على عذْلِهِ ، وقولُه : « فتعمُّقُ الوُزراءِ يَطْفُو فوقَها » فى غايةِ الحُسْنِ والجودةِ والحلاوةِ .

وقال أبو تمّامٍ[٦] :

تَرَى الحادثَ المستعْجِمَ الخَطْبِ مُعْجَمًا     لديهِ ومَشْكولاً إذا كان مُشْكِلاَ

---

(١) ديوانه : ٣ : ١٦٤٩ وتكرر فى ص ١٨٧٤ ، ص ١٨٨٠

(٢) ديوانه : « وربما سارت » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢١٨ والتبريزى ٣ : ١٤٥ .

(٤) التبريزى : أى أبطلت قول العذال وذوى الشفقة من الأقرباء ، إنك مخطىء فى مصيرك إلى مقاتلتهم .

(٥) س : « يكف » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى وفيها « من طبعه » والسنخ : الأصل من كل شيء وسنخ السيف : سيلانه ، وهو ما يدخل من السيف والسكين فى النصاب .

(٦) ديوانه ٢ : ٣١٠ والتبريزى ٣ : ١٠٢ .

وهذا من أشعارِ المعلِّمينَ ومعانيهم ؛ لأنَّه أرادَ بقولِهِ « مُعْجَمًا » أى : مَنْقُوطًا ؛ و « مَشكولًا » أرادَ الشَّكْلَ .

والبحتريُّ فى هذا الباب أشعرُ من أبى تمّامٍ ألفاظًا ومعانىَ ، وليسَ لأبى تمّامٍ فيه إلّا قولُهُ : « يطفو فوقَها طَفْوَ القَذىٰ » .

* * *

## فى مراعاةِ أمرِ الدُّنيا والإضطلاعِ بالأمورِ وحُسنِ الكفاءَةِ

وهو قريبُ المعنَى من البابِ الذى قبلَهُ

يقولُ البحتريُّ فى مدح المعتزِّ باللهِ[1] :

بِهِ تُعْدَلُ الدُّنْيَا إذا مالَ قَصْدُها ... ويَحْسُنُ صُنْعُ الدَّهْرِ ، والدَّهْرُ أخْرَقُ

وقال فيه[2] :

مُدبِّرُ دنيا أُمْسكت يَقظَاتُهُ ... بآفاقِها القُصْوَى وما طَرَّ شارِبُهْ[3]

وقالَ فى المتوكِّلِ[4] :

ولَهُ ، وإن غدتِ البلادُ عريضةً ... طَرْفٌ بأطرافِ البلادِ مُوكَّلُ

وأجودُ من هذا قول أبى تمّامٍ يعنى نَفْسَه فى اغْتِرابِهِ[5] :

أُطلُّ على طُلَى الآفاقِ حتَّى ... كأنَّ الأرضَ فى عَيْنَيْهِ دَارُ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٥٣٢ .

(٢) ديوانه ١ : ٢١٧ .

(٣) س : « طُرَّ » .

(٤) ديوانه ٣ : ١٧٥٢ .

(٥) ديوانه ١ : ٥١٣ والتبريزى : ٢ : ١٥٥ وفيهما « كُلَى » جمع كُلْيَة . وقال ابن المستوفى فى النظام حـ ٢ لوحة ٤١ « ويروى على طُلَى الآفاق » وطُلَى : جمع طُلاةٍ وهى العُنُق ، وقد سبق البيت فى ١ : ٦٧ برواية الديوان ، وقال : « ويروى ( طلى ) » .

وهذا المعنى حَسَنٌ جدًّا ، ولكنّه لَيسَ لَهُ ، وإنَّما سَمِعَ منصوراً النَّمَرِىَّ يقولُ فى الرَّشيدِ[١] :

وعَيْنٌ محيطٌ بالبَرِيَّةِ طَرْفُها   سواءٌ عَليْهِ قُرْبُها وبَعيدُها

فحذَا عَلْيهِ[٢] ، غَير أنَّ قولَه : « كأنَّ الأرض فى عينيهِ دَارُ » فى غايةِ الحُسْنِ والحَلاوة[٣] .

وقال البحتريُّ[٤] فى عبيد الله بن يحيى بن خاقان :

طَرْفٌ مُطِلٌ على الآفاقِ يَكلأُها   بناظرٍ لم يَنَمْ عَنْهَا ولم يُنِمِ

وبيتُ منصورٍ أجودُ من هذا ، وبيتُ أبى تمّام أجودُ من بيت مَنْصورٍ ، وإن كانَ منه أخذَ ، وما قال النَّاس فى السِّياسةِ أحسَنَ من قولِ محمدِ بن وُهَيْب[٥] :

وكأنَّ ضوءَ جبينهِ قَمَرٌ   بدر وسائِرُ خَلْقِهِ أَسَدُ
/ وكأنَّه رُوحٌ تُدبِّرُنا   حَركاتُهُ وكأنَّنا جَسَدُ   ٨ س

ونحوُهُ قولُ أبى العتاهيةَ[٦] :

أمينَ اللهِ أَمْنُكَ خيرُ أَمْنٍ   عَليْكَ من التُّقَى فيهِ لِبَاسُ
تُساسُ من السَّماء بِكلِّ بِرٍّ   وأنتَ بهِ تَسُوس كما تُسَاسُ
كأنَّ الخلقَ رُكِّبَ فيهِ رُوحٌ   لَهُ جَسدٌ وأنْتَ عليهِ راسُ

---

(١) سبق البيت فى ١ : ٦٧ ، وانظر شعر منصور النمرى ، ص ٨٠ .
(٢) فى س : ( علينا ) تحريف ، والتصحيح من ديوانه .
(٣) قال فى الجزء الأول ص ٦٧ « عجز هذا البيت حسن جدا ، وبيت النمرى أحب إلىّ ، لأن معناه أشرح » .
(٤) ديوانه ٣ : ١٩٧١ .
(٥) هو محمد بن وُهَيْب الحميرى شاعر من أهل بغداد ومن شعراء الدولة العباسية ، من معاصرى دعبل وأبى تمّام ، مدح المعتصم والمأمون وهو شاعر مطبوع مكثر . « الأغانى ١٧ : ١٤١ ومعجم الشعراء ص ٣٥٧ » ، والبيتان فى ديوانه ( شعراء عباسيون د. السامرائى ) : ٧٢ وفيه : « فى صولةٍ أسد » .
(٦) لم أجد الأبيات فى ديوانه ، وهى فى الأغانى ٤ : ٦٤ دار الكتب ، من كلمة فى مدح الرشيد .

وقال عليُّ بنُ جَبَلَةَ فى حُمَيد بن عبد الحميد[(١)] :

يَفْتُقُ ما يَرْتُقُ أعداؤُه  وما لِمَا يَفْتُقُ مِنْ آسِ
فالنَّاسُ جِسْمٌ وإمامُ الهُدىٰ  رَأْسٌ وأنتَ العَينُ فى الرَّاسِ

وقال أبو تمّامٍ فى مُحمد بن عبدِ الملكِ[(٢)] :

رِدءُ الخِلافةِ فى الجُلَّى إذا نَزَلتْ  وقَيِّمُ المُلْكِ لا الوانى ولا النَّصبُ
جَفْنٌ يَعافُ لذيذَ النَّوْمِ نافِرُه  شُحًّا عليهِ وقلْبٌ حَولَها يَجبُ[(٣)]
طَليعةٌ رأْيُهُ من دونِ بَيْضتِهَـا  كما انْتَمىٰ رابِيءٌ فى الغَزْوِ مُنْتَصِبُ
حتَّى إذا ما انْتَضىٰ التَّدبيرَ ثابَ لَهُ  جَيشٌ يُصارِعُ عنهُ مَالَهُ لَجَبُ
شِعارُهَا اسمك إنْ عُدَّت محاسِنُها  إذا اسم حاسدِكَ الأدنَى لها لَقَبُ[(٤)]
وزيرُ حَقٍّ ووالى شُرطةٍ ورحَا  ديوانِ مُلْكٍ وشيعىٌّ ومُحْتَسِبُ
كالأرحبىِّ المُذَكَّى سَيْرُهُ المَرَطىٰ  والوَخْدُ والمَلْعُ والتَّقْرِيبُ والخَبَبُ[(٥)]
عَوْدٌ تُساجِلُـهُ أيَّامُـهُ فَبِهـا  من مَسِّهِ وبِهِ من مسِّها جَلَبُ

قوله : « كما انْتَمىٰ رابِئٌ » أى : ارْتَفَعَ إلى رأس جَبلٍ ، وانتميتُ أى : ارتفعتُ ، ومنه انتمى فى النَّسب إلى بنى فلان ، أى ارتفع ، و « الرَّابِيءُ » الذى يَربأُ للقومِ كأنَّهُ يرتفع إلى موضع عالٍ ، وليس هو من « الرَّبْوَةِ » لأنَّ تلك غيرُ مهموزةٍ ، يفعلُ ذلك يرقبُ للقومِ أمرَ العدوِّ ، والرَّابِيءُ لاينتصبُ وإنَّما ينامُ على بَطْنِهِ

---

(١) هو حميد بن عبد الحميد الطوسى كان من كبار قواد المأمون ، وكان جبارا وفيه قوة وبطش وإقدام وكان يندبه للمهمات ، مات مسموما سنة ٢١٠ « النجوم الزاهرة ٢ : ١٩٠ والطبرى ٨ : ٥٤٩ وأسماء المغتالين ص ١٩٩ » ، والبيتان فى ديوانه : ٤٧ وفيه :

يرتق ما يفتق أعداؤه  وليس يأسو فتقه آس

(٢) ديوانه ١ : ٣٠٣ وشرح التبريزى : ١ : ٢٤٥ .

(٣) ديوانه « شحًّا عليها » .

(٤) ديوانه وشرح التبريزى « إذ » .

(٥) فى الأصل : « المُذَكَّىٰ » بالبناء للمجهول .

أو يستلقى على جَنْبه ليَخْفىٰ شَخْصُهُ ؛ لأنَّهُ إنْ قامَ أدْرَكتهُ العينُ من بُعْدٍ كما قال الهذليُّ[١] :

أَقَمْتُ بِرَيْدِهَا يوماً طويلاً ولم أُشْرِفْ بها مِثلَ الخَيالِ
ولَمْ يَشْخَصْ بِها بَصرِى و [لكِنْ] دنوتُ تَحــدُّرَ الماءِ الــزُّلالِ[٢]

فان كانَ حذا على قولِ مُتَقدِّمٍ فالصَّوابُ هو هَذا ، إلّا أنْ يكونَ أرادَ : نَصَبَ نَفْسهُ لِذَلِكَ ، أى : أعدَّها ، ولم يُردِ الانْتِصَابَ .

و « الأرحبىُّ » من الإبلِ منسوبٌ إلى « أرحبَ » حىٌّ من همدانَ تُنْسَبُ إليهم النَّجائِبُ ، و « المذكىّ »[٣] الذّى قد انتهىٰ فى سِنِّهِ وقوَّتِه ، و « المَرَطىٰ » : عَدْوُ الخيلِ فوَق التَّقريبِ ودونَ الإلْهابِ ، و « الوَخْدُ » الاهتزازُ فى السيرِ ، مثلُ وَخْدِ النَّعامِ .
٩ س / و « المَلْعُ » من سير الابلِ السّرِيعُ ، و « التَّقْريبُ » من عدوِ الخَيْلِ معروف ، و « الخَبَبُ » دَونُه .

وليسَ التَّقريبُ من عدوِ الإبلِ ، [ و ] هو عندى فى هذا الموضِع مُخْطِىءٌ ، وقد يكونُ التَّقْريبُ لأجناسٍ من الحيوانِ ولا يكونُ من الإبلِ ، فإنَّا ما رأينا قطُّ بعيراً يقرِّبُ تقريبَ الفرسِ ، و « المَرطىٰ » أيضًا من عدوِ الخَيْلِ ، ولم أَرَهُ فى أَوْصافِ الإبِلِ .

---

(١) هو عمرو ذو الكلب بن عجلان بن برد أحد بنى كاهل ، وكان جارا لهذيل ، عَلِقَ امرأةً من فَهْمٍ يقال لها « أم جُلَيْحة » ، فأحبها وأحبته ، وطلبه أهلُها وقتلوه ، « انظر : أسماء المغتالين ص ٢٤١ ، والأغانى ١٧ : ٢٠ ، ومعجم الشعراء ص ٢٧ ، وشرح أشعار الهذليين صنعة السكرى ص ٥٦٨ وما بعدها » .

(٢) فى س « بصرى فقامت » ، وفى شرح أشعار الهذليين « ولم يشخص بها شرف » .

(٣) التقريب : أن يرفع الفرس يديه معا ويضعهما معا ، والإلهاب : الجرى الشديد الذى يثير الغبار .

وقولُه : « شعارُها اسْمُكَ » يعنى الخلافةَ ، والشّعار هو العلامةُ التى تَخصُّ الشئَ ، أُخِذَ من الشّعار وهو الثوبُ يصل شعرَ الجسدِ[(١)] ، وقسمةُ البيتِ رديئةُ على مذهبِه فى الطِّباقِ ، لأنّ الشعار طِباقُهُ الدِّثارُ ، واللَّقبُ طِباقُه الاسمُ ، وكانَ ينبغى أن يقولَ : إذا اسمُ حاسدِكَ الأدنىٰ لهَا دِثارُ ، وذلك أنَّ الشّعارَ أخصُّ بالجسدِ من الدِّثارِ ، ولو استوى له أن يقولَهُ كانَ أيضاً فى غايةِ الرَّداءةِ ، لأنَّ الدِّثارَ يعلو على الشّعارِ ويغطّيهِ ، وليس بجيّدٍ أن يَعلوَ لَقبُ حاسدِه علىَ اسمِهِ ، وإنما يعنى هذا الحاسدَ المعروفَ بأبى الوزير وكان قد اخْتُصَّ بالواثِقِ ، ولَطُفَتْ مَنْزِلته عنده جدِاً ، حتى كانَ ربما عرضَ عليه الكُتُبَ ، وكان عدوَّ محمّد بن عبد الملك ، فيقولُ : شعارُ الخلافةِ اسْمُكَ ، لأنَّك الوزيرُ ، وذلك أبو الوزيرِ لَقبٌ ، فلهذا قالَ :

وزير حقٍّ ووالى شُرْطةٍ ورحا ديوانِ مُلْكٍ وشيعىٌّ ومحتسبُ

فجعله الوزيرَ حقاً ، وأنّه ينظرُ فى الأمورِ كلها ، ليُعْلَم أنها إليه ، وأنّه القيّمُ بها ، وهذا بيتٌ من مدحِ الوزراءِ فى غايةِ الرَّكاكةِ والسُّخْفِ ، وقُبْحِ المعانى والألفاظِ ، ومن الذى يشكُّ فى أنَّ الوزيرَ إليه النَّظرُ فى هذه الأشياءِ ، وكأنَّهُ أرادَ أنْـ[ـه] يعاينُها بَنفسِهِ ، من غيرِ واسطةٍ ، ليدُلَّ على كفاءَتِهِ .

وجعلَه « رحا ديوانِ مُلكٍ » ، و « الرَّحا » هاهنا فى غايةِ القُبْحِ ، وأرادَ أنَّه هو الذى يدبِّرُ أمورَ الديوانِ دون الكُتَّابِ ، فجعله هو الذى يدورُ ، ولم يقنع حتّى جعله رحا ، وإنما المستعملُ من الاستعارةِ لمثل هذا المعنى : قُطبُ الرَّحا لا الرَّحا ، لأنَّ المدارَ على القُطْبِ .

وقد جعل البحتريُّ[(٢)] « رحى » فى موضعٍ أشْبَهُ بالصَّوابِ من هذا الموضِعِ فقال :

---

(١) كذا فى س ، وفى اللسان « شعر » : الشعار ما ولى شعر الجسد من الثياب .
(٢) ديوانه ٣ : ١٤٣٦ والطلى : الأعناق .

لله أنتَ رحا هيجاءَ مُشعلَةٍ    إذا القنا من صُباباتِ الطُّلَى رَعَفا

ثمّ قالَ أبو تمّامٍ : « وشيعىٌّ »[1] ، منسوب إلى شيعةِ ولد العبّاسِ ، وكان لهم فى كُلِّ ديوان رجلٌ من الشِّيعةِ ، يَخْزِنُ الدِّيوانَ ويَحفظُ الحِساب ، فجعلَ الوزيرَ أيضاً خازناً ، وكان ينبغى أنْ يجرىَ عليها أيضا للخَزْنِ جرايةً ! ، ثمَّ ختم البيتَ « بالمحتسبِ » ، ومَا عِلمْنا أحدًا مَدح وزيراً فجعله والىَ شُرْطةٍ ولا مُحْتَسِباً ولا خَازِناً ، وقد كانَ يكفيه من ذلِكَ كلّه أن يقولَ إنَّهُ ينظرُ / فى كِبَارِها نحو ما قالَ البحتريُّ فى أبى نوحٍ[2] عيسى بن إبراهيم : ١٠ س

يُـؤَيِّدُ المُلْكَ مِنهمْ نُصحُ مُجْتَهِدٍ    للهِ يُسْرِعُ بالتَّقْـوىٰ وَيتَّئِــدُ[3]
مُباشِرٌ لِصِغَار الأَمْرِ لا سَلِسٌ    سَهْلٌ ، ولا عَسِرُ التَّنْفِيذِ مُنْعَقِدُ
ولا يُؤَخِّرُ شُغْلَ اليومِ يَذْخُرُهُ    إلى غدٍ إنّ يومَ الأعجزينَ غَـدُ

وقالَ البحتريُّ فى الفتح بن خاقان[4] :

تحمَّـلَ أعبـاءَ المعـالى بأسرِهَـا    إذا حُطَّ منها مَغْرَمٌ عَادَ مَغْـرَمُ[5]
وَقـامَ بما لَو قامَ رضوىٰ ببعضِه    هوَى الهَضْبُ من أَركانِ رَضوىٰ المُلَمْلَـمُ
مُدَبِّرُ مُلْكٍ ، أىَّ رَأْيَيْهِ صارَعُوا    بِهِ الخَطْبَ رُدَّ الخَطْبُ يُدْمىٰ ويُكْلَـمُ
أَمدُّ الرِّجالِ لُبْثَةً حينَ يَرْتَئى    وأَسرعُهـم إمَضاءةً[6] حين يَعْـزِمُ
بِتَسْدِيدِهِ تُلْغىٰ الأمورُ وتُجْتَبىٰ    وتُنْقَضُ أَسبابُ الخطوبِ وتُبْـرَمُ

---

(١) فى س « واد » .

(٢) فى س « أبى فرح » وستأتى ترجمته ص ٦٢٦ وانظر ديوان البحترى ١ : ٤٩٦ .

(٣) ديوانه « منه » .

(٤) ديوانه ٣ : ١٩٢٥ .

(٥) فى س : « شاد » والتصحيح من ديوانه .

(٦) س « إمضاؤه » ، والتصحيح من الديوان .

وما أحسنَ ما قالَ منصورٌ النَّمَرِىُّ فى حُسْنِ الكَفاءةِ وسُرْعةِ إمضاءِ الأمورِ[١] :

وليسَ لأعباءِ الأمور إذا عَرتْ ... بِمُكْتَرِثٍ لكن لَهُنَّ صَبورُ[٢]
يُرىٰ ساكنَ الأوصالِ باسِطَ وَجْهِهِ ... يُريكَ الهُوَيْنَا والأمورُ تَطيرُ[٣]

وقالَ آخرُ - أظنُّهُ أشجعَ السُّلَمىَّ[٤] -:

بَديهَتُهُ مِثْلُ تَفْكيرِهِ ... إذا رُمْتَهُ فَهْوَ مُسْتَجْمِعُ

وقالَ البحترىُّ فى ابنِ بِسْطَام[٥] :

بِتَدْبيرِ مَأْمونٍ علىٰ الأمْرِ رَأْيُهُ ... ذَكيرٌ ، وأَمضَى المُرْهَفَاتِ ذَكيرُها
تُحاطُ قواصِى المُلْكِ فيهِ، وتَسْكُنُ الْـ ... ـخِلافَةُ مُلْقَاةً إليهِ أُمورُها[٦]
وَذو هاجسٍ لا يُحْجَبُ الغَيبُ دُونَه ... تُريهِ بُطونَ المُشْكلاتِ ظُهورُها

وقالَ أبو تمّامٍ فى مُحمّدِ بن عبدِ المَلِكِ[٧] :

هَزَزْتَ أميرَ المؤمنينَ محمّدًا ... فكانَ رُدَيْنِيًّا وأَبيضَ مُنْصُلَا
فما إنْ تُبالِى إذْ تُجَهِّزُ رأيَهُ ... إلى نَاكِثٍ ألّا تُجَهِّزَ جَحْفَلا[٨]

---

(١) نسبا إلى الأخطل فى ديوان المعانى من جملة أبيات « ١ : ٥٨ » ولم أجدهما فى ديوان منصور .

(٢) فى س : « لمكترث » ولا يستقيم التعبير والتصحيح من ديوان المعانى ، وفيه « لهن قهور » .

(٣) ديوان المعانى « باسط جهده » ، وقد سبق هذا البيت منسوبا إلى النمرى فى ١ : ٢٣٧ دون تخريج ، كما ورد الشطر الثانى فى ديوان المعانى ٢ : ٧٧ .

(٤) أشجع السلمى يكنى أبا الوليد من ولد الشريد بن مطرود نشأ فى البصرة وقال الشعر وأجاد وعد فى الفحول ، « أخبار الشعراء المحدثين للصولى تحقيق هيورث دن ص ٧٤ ، الأغانى ١٧ : ٣٠ ، الشعر والشعراء ص ٨٨١ » ، والبيت من قصيدة فى مدح جعفر بن يحيى البرمكى عندما ولاه الرشيد خراسان « أخبار الشعراء المحدثين ص ٨٣ ، الأغانى ١٧ : ٣٧ ، خزانة الأدب ١ : ٢٩٧ » ، وفيها كلها « مثل تدبيره » الشعر والشعراء ص ٨٨٣ وديوان المعانى ١ : ٦٤ « تدبيره متى هجته » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٠٠١ .

(٦) ديوانه « وتسكن الرعية » .

(٧) ديوانه ٢ : ٣١٠ والتبريزى ٣ : ١٠١ .

(٨) ديوانه والتبريزى « أن تجهّز رأيه » .

تَرىٰ شَخْصَهُ وَسْطَ الخلافةِ هَضْبَةً وخُطْبَتَهُ دونَ الخِلافةِ فَيْصَلا
وما هَضْبَتا رَضْوىٰ ولا رُكْنُ مُعْنِقٍ ولا الطَّوْدُ من قُدْسٍ ولا أَنْفُ يَذْبُلا
بِأَثقلَ منهُ وَطْأةً يومَ يَغْتَدي فيُلْقِى وَراءَ المُلْكِ نَحْراً وكَلْكَلا

وهذا جَيِّدٌ بالغٌ ، إلّا أنَ قولَ البحتريِّ فى الرَّأْيِ « ردَّ الخطبِ يُدْمىٰ ويُكْلَمُ » أجودُ من قَوْلِه « ألا تُجَهِّزَ جَحْفَلا » ، وقولُهُ « هوىٰ الهَضْبُ من أركانَ رِضوىٰ المُلَمْلَمُ » أجودُ من قولِه « بأثقل مِنْهُ وَطْأَةً » وإنْ كان هذا قد جمَع عِدَّةَ جبالٍ ، ولكنَّ قَوْلَهُ « فيُلْقِى وراءَ المُلْكِ نَحْراً وَكَلْكَلا » حَسَنٌ جِدّا .

وقالَ أبو تمامٍ فى مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ[1] :

١١ س / وأنتَ شِهابٌ فى المُلِمَّاتِ ثَاقِبٌ وسيفٌ إذا ماهزَّكَ الحقُّ قَاصِلُ
من البِيضِ لم تَنْضُ الأكُفُّ كَنَصْلِهِ ولا حَمَلَتْ مِثْلاً إلَيْهِ الحَمائِلُ
مُؤَرِّثُ نارٍ والإمامُ يَشُبُّهَا وقائِلُ فَصْلٍ والخَليفةُ فَاعِلُ
وإنَّكَ إنْ صدَّ الزَّمانُ بِوَجْهِهِ لَطَلْقٌ ومن دون الخِلافَةِ[2] باسِلُ

قوله : « مُؤَرِّثُ نَارٍ » ، بنىٰ البيتَ على معنًى لَهُ وَجْهٌ جيِّدٌ ، ولكنَّ عَكْسَهُ أجودُ وأبْلَغُ وأعْرَقُ ، وذلك أنَّهُ قالَ :

« مُؤَرِّثُ نَارٍ والإمامُ يَشُبُّهَا »

« فمؤَرِّثُ » مُوقِدٌ ، و « يَشُبُّهَا » يَرْفَعُ لَهَبَها ، فجَعلَهُ مُبْتَدِئًا ، والخَليفةَ مُتَمِّماً ، وكذلِكَ قولُهُ :

« وقائِلُ فَصْلٍ والخَليفةُ فَاعِلُ »

وكانَ الأَحسنُ أنْ يكونَ الخليفةُ المُبْتدىءَ بتأْرِيثِ النَّارِ وهوَ الذى يَشُبُّ ،

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٢٨ والتبريزى ٣ : ١١٩ .
(٢) ديوانه والتبريزى : « من دون الخليفة » .

والخَليفةُ القائِلَ ، وهو الذى يَفْعَلُ ؛ لأنَّ القائِلَ هو الآمِرُ ، والفاعِلَ هو المأمورُ ، ولكنَّه بنى الأمْرَ على أنَّ الخليفةَ يعملُ على رأيِهِ ، فصارَ الخليفةُ مأموراً عَليهِ ، ولو سَمِعَ الخليفةُ لأنكَرَهُ وعاقَبَ من أجْلِهِ .

وقالَ البحتريُّ يخاطِبُ صالحاً مولَى المهتدى باللّهِ[(١)] :

إنَّ الخليفةَ ليسَ يَنْظُرُ بالذى  طَالَبْتُ إلا أنْ تقولَ فيَفْعَلا

وليسَ هذا من قولِ أبى تمّامٍ فى شيءٍ ، إنَّمَا استشفَعَ البحتريُّ إلى المهتدى بصالحٍ ، فقالَ إنَّ الخليفة يَنْتَظِرُ أنْ يَسْأَلَهُ فى أمرى فَيفْعلَ ما يقولُ ، فأبو تمّامٍ أطلقَ القولَ عُموماً فى الأُمور كلِّها ، وأنَّ وزيرَه يقولُ وأنَّ الخليفةَ يَفْعَلُ .

وقَوْلُه :

وإنكَ إنْ صدَّ الزَّمانُ بوجْهِهِ  لَطَلْقٌ ومن دوُنِ الخلافةِ باسِلُ

بيتٌ غيرُ جيدِ القِسْمةِ ، لأنَّ الصُّدودَ بالوجْهِ لا يكون مقابَلَتُهُ طلاقةَ الوجْهِ ، و« الباسل » هَو الشّديدُ ، والبسالةُ الشدّةُ ، ولذلك قيل للشجاع باسلٌ ، فذهَب أبو تمّامٍ إلى أنَّ الطّلاقةَ فى الوجهِ أن يكونَ مُنْبَسِطًا مُسْفِراً ، والبسالةُ الشدّةُ ، فجعلها فى موضِعِ النَّقِيضِ كما قال ابنُ هَرْمَةَ[(٢)]:

كريمٌ له وجهانِ ، وجهٌ لذى الرِّضا  أسِيلٌ ، ووجهٌ فى الكَريهةِ باسِلُ

والجيِّدُ النّادرُ قولُ البحتريِّ فى محمدِ بنِ عبد الملكِ[(٣)] :

---

(١) ديوانه ٣ : ١٨٧٣ وسبق البيت فى ١ : ٣٦٥ وروى هناك وفى ديوانه : « ليس يرقب » . أما الممدوح فهو صالح بن وصيف القائد التركى ، قتل « بغا » سنة ٢٥٤ وخلع المعتز وقتله وقتل قوما من كبار الكتاب ، ولما قدم موسى بن بغا إلى سامراء استتر صالح ، ثم انكشف أمره وقتل سنة ٢٥٦ « الطبرى ٩ : ٣٤١ وما بعدها » .

(٢) ديوانه ص ١٦٧ يمدح المنصور .

(٣) ديوانه ١ : ٦٣٥ ، وقد سبق البيت الأول فى ٢ ٣٠٠ .

عَلقُوا من « محمدٍ » خيرَ حَبْلٍ　　لِرُواقِ الخِلافــةِ المَمْــدودِ
لم يَخُنْ ربَّها ، ولم يُعْمِلِ التّد　　بيرَ فى حَلِّ تاجِها المَعْقودِ
مُصْلِتًا بَيْنَها وبينَ الأَعادِى　　حدَّ رأيٍ يَفُلُّ حَدَّ الحَديدِ
صارِمَ العَزْمِ ، حاضِرَ الحَزْمِ سارِى الـ　　ـفِكْـرِ ثَبْتَ المقـالِ صُلْبَ العُـودِ (١)

وقال البحترىُّ فى الحَسَن بن مَخْلَدٍ (٢) :

وَزَرُ الخلافةِ حين يُعْضِلُ حادِثٌ　　وشِهابها – فى المُظْلِماتِ – الواقِدُ
/ المَذهبُ الأَمَمُ الذى عُرِفَتْ لَهُ　　فيهِ الفضائلُ والطَّريقُ القاصِدُ (٣) ١٢ س
وَلِىَ الأمورَ بِنَفْسِهِ ، ومحلُّها　　متقاربٌ ، ومرامُها مُتباعِدُ
إنْ غارَ فهْو من النَّباهَةِ مُنْجِدٌ　　أو غابَ فهْوَ من المَهابَةِ شَاهِدُ
فقد اغْتَدَىٰ المُعْوَجُّ وهْو مُقَوَّمٌ　　بيدَيْهِ ، واستوفَىٰ الصّلاحَ الفاسِدُ
أَوْفَىٰ فأغشاكَ الصَّباحُ بِضَوئِهِ　　وجرَىٰ فغرَّقَكَ « الفُراتُ » الذّائدُ (٤)

وهذا هوُ القولُ الذى لو عصرتَهُ لانْعصَر ، لكثرةِ مائِهِ ورونَقِهِ .

وقولُهُ :

« وشهابُها – فى المظلماتِ – الواقِدُ »

مثلُ قولِ أبى تمّامٍ :

« وأنتَ شِهابٌ فى المُلِمَّاتِ ثاقِبُ »

وليس هذا بمأخوذٍ من ذاكَ ، لأنَّ المعنى مُشْتَرَكٌ وليس من خاصِّ المعانى الذى يأخُذُها واحدٌ عن آخر .

وقالَ البحترىُّ فى عبيد اللهِ بن يحيىٰ بن خاقانَ (٥) :

---

(١) ديوانه « ثبت المقام » .
(٢) ديوانه ١ ٦٠٢ .
(٣) ديوانه « الفضيلة » ، و « الأمم » : القصد والوسط .
(٤) ديوانه « فأعشاك » بالعين المهملة ، و « الرائد » بالراى .
(٥) ديوانه ٢ : ١٣١٩ .

وكَمْ لِعُبَيْدِ اللهِ من يومِ سُؤْدَدٍ … يُجَلِّى طَخا الأَيّامِ ضَوءُ شُعَاعِهِ
وكَمْ بحَثْوِهِ عن طباعِ تَكَرُّمٍ … يَرُدُّ الزَّمانَ صَاغِرًا عن طِباعِهِ
سَلِ الوُزراءَ عن تَقدُّمِ شَأْوِهِ … وعن فَوْتِهِ من بَيْنِهِم وانقطاعِهِ
وهَلْ وازَنُوهُ عند جِدِّ حَقِيقَةٍ … بِمِثْقَالِهِ ، أَوْ كَايَلُوهُ بِصَاعِهِ
زَعِيمٌ بفَتْحِ الأَمْرِ عند انْغِلاقِهِ … عليهِمْ ، ورَتْقِ الفتقِ عند اتِّساعِهِ
علا رَأْيُهُ مَرْمَى العُقولِ فلم تَكِنْ … لِتُنْصِفَهُ فى بُعْدِهِ وارْتِفَاعِهِ
وقاربَ حتى أَطْمعَ الغُمْرَ نَفْسَهُ … مُكَاذَبَةً فى خَتْلِهِ واخْتِدَاعِهِ[1]
تَضِيعُ صروفُ الدَّهرِ فى بُعْدِ هَمِّهِ … وتَتْوَى الخطوبُ فى اتِّساعِ ذِرَاعِهِ[2]
وتعلمُ أَعباءُ الخلافةِ أَنَّها … وإنْ ثَقُلَتْ موجودةٌ فى اضطلاعِهِ
وما طاوَلَتْهُ مِحْنةٌ من مُلِمَّةٍ … فينزِعُ إلا باعُها دونَ باعِهِ[3]
رعى اللهُ من تلقَى الرَّعيّةُ أُنْسَهَا … إلى ذَبِّهِ من دونِها ودِفاعِهِ

فهل تريدُ زيادةً فى مدحِ وزيرٍ على هذا حسناً ، وبلاغةً وحلاوةَ معانٍ ؟!

وإذْ قد انتهيتُ إلى هذا الموضعِ من الأبياتِ ، فأَذكرُ ما بعدَها من اعتذارِ[4] البحتريِّ ، وذلِكَ قولُهُ :

تَصرَّعْتُ حَوْلًا بالعراقِ مُجَرَّماً … مدافعةً مِنّى ليومِ وَداعِهِ
أَأُنْساكَ بعد الهولِ ثُمَّ انْصِرافِهِ … وبعد وُقوعِ الكُرْهِ ثمّ انْدِفاعِهِ
إذاً نسىَ اللهُ اطِّيافِى بِبَيْتِهِ … ووفْدُ الحجيجِ حاشدٌ فى اجْتِماعِهِ
وواللهِ لاحَدَّثْتُ نَفْسِى بِمُنْعِمٍ … سِواكَ ، ولا عَنَّيْتُها باتِّباعِهِ
ولو بِعْتُ يوماً منك بالدَّهرِ كُلِّهِ … لفكّرتُ دهراً ثانياً فى ارْتجاعِهِ

---

(١) ديوانه « وخداعه » .
(٢) تتوى : تهلك .
(٣) ديوانه « فتنزع » ، « فما طاولته محنة عن ... » .
(٤) فى س : « اعتداد » .

وقالَ فيهِ[١] :

/ الدَّهرُ يضحكُ عن بشاشةِ بشْرِهِ والعيشُ يَرْطُبُ من نضارةِ عُودِهِ ١٣ س
ونَصيحةُ السُّلطانِ موقِعُ طَرْفِهِ ونَجِيُّ فِكْرتِهِ وحُلْمُ هُجُودِهِ
إن أَوْقَفَ الكُتَّابَ أمرٌ مُشْكِلٌ فى حَيْرةٍ ، رَجَعُوا إلى تَسْدِيدِهِ[٢]
والحَزمُ يَذْهبُ غيرَ مُلْتاثٍ إلى تَصْوِيبِهِ فى الرَّأْيِ أو تَصْعِيدِهِ
أوفَى على ظُلَمِ الشُّكوكِ فَشقَّهَا كالصُّبْحِ يَضْرِبُ فى الدُّجىٰ بِعَمودِهِ

وَهذا هوَ القولُ الذى لَوْ قَدَحْتَ منه النّارَ لأَوْرَىٰ .

وقالَ فى [ أبى ] الحسنِ بن عبد الملكِ بن صالحٍ[٣] :

أفنَى « أبو الحسنِ » المحاسِنَ مُنْعِماً بخلائِقٍ لِلقَطْرِ بعضُ شُكولِها[٥]
وإذا الأمورُ تَصَعَّبَتْ شُبُهاتُها سَبَقَتْ رِياضَتُهُ إلَىٰ تَذْلِيلِها
عَرَفَ المصادِرَ قبلَ حينِ وُرُودِها ومَواقِعَ البَدَهاتِ قبلَ حُلُولِها

وهذا مِثْلُ قولِ الآخَرِ :

مُطِلٌّ على الأشياءِ حتىَ كأنَّما لَهُ من وراءِ الغَيْبِ مُقْلةُ شاهِدِ[٦]
يرىٰ عاقِباتِ الأَمْرِ والأَمْرُ مُقْبِلٌ كأَنَّ لَهُ فى اليومِ عَيْناً على غَدِ[٧]

---

(١) ديوانه ٢ : ٦٩٥ .
(٢) ديوانه : « أن أوقع الكتاب » .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من س ، والأبيات فى ديوانه ٣ : ١٧٦٧ ، ، والممدوح هو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب شاعر أديب مشهور ، « جمهرة الأنساب ص ٣٦ ، ومعجم الشعراء ص ٣٦٣ » .
(٥) ديوانه : « المحاسن كلها » ، وفى س : « القطر » والتصحيح من الديوان .
(٦) زهر الآداب ٤ : ١٠٤٤ ولم ينسب ، وفيه : « أطلّ » ، وفى س : « الغيث » تصحيف .
(٧) عيون الأخبار ١ : ٣٥ وروايته فيه :

عليم بأعقاب الأمور برأيه كأن له فى اليوم عينا على غد

ووفيات الأعيان ٢: ٤١٧ ، ولم ينسب ، وروايته فيه :

عليم بأخبار الخطوب بظنه ..........................

وَحَسْبُكَ بهذا حُسْناً ، وهو أَلطَفُ من معنى البحتريّ .

وقالَ آخرُ :

بصيرٌ بأعقابِ الأمورِ كأنَّما يُخاطِبُهَ من كُلِّ أَمْرٍ عَواقِبُهْ(١)

وقالَ آخرُ :

بَصيرٌ بأعقابِ الأُمورِ كأنَّما يرىَ بصوابِ الرَّأيِ ماهُوَ واقِعُ(٢)

ورواهُ المُبَرِّدُ :

يَرى فلتاتِ الرَّأيِ والرَّأيُ واثِقٌ كأَنَّ لَهُ فى اليومِ عَيْنًا على غدِ(٣)

وقالَ البحتريُّ فى أبى العبّاسِ أحمدَ بنِ الموفَّقِ(٤) :

وإنَّ « أبا العبّاسِ » مَنْ تَمَّ رَأْيُهُ ومن شُهِـرَتْ آثـارُهُ ومنَاقِبُـهْ(٥)

يُرِيناكَ لانَرْتابُ فيكَ إذا بَدا يُؤَدِّيكَ نَصًّا نَجْـرُهُ وضَرائِبُـهْ(٦)

وقد شَحَذَتْ مِنْهُ حَداثة سِنِّهِ شَهامةُ غِطْرِيفٍ حِدادٍ مَخالِبُهْ

إذا المرءُ لَمْ تَبْدَهْكَ بالحَزْمِ كُلِّهِ قَريحَتُهُ لم تُغْنِ عَنْكَ تَجارِبُهْ

* * *

(١) عيون الأخبار : ١ : ٣٥ والعقد الفريد : ٢ : ٢٥١ ، ونسب فيه إلى جثامة بن قيس « انظر : المؤتلف والمختلف ص ٥٠ ، وجمهرة الأنساب ص ١٨١ » وزهر الآداب ٤ : ١٠٤٤ ونسب فيه إلى محمد ابن وهيب ، وفى نهاية الأرب ٦ : ٧٩ وغرر الخصائص ص ٩٥ ووفيات الأعيان ٢ : ٤١٧ ، والكامل ٢/٢ ولم ينسب .

(٢) عيون الأخبار : ١ : ٣٥ ، والعقد الفريد : ٢ : ٢٥١ ، ووفيات الأعيان : ٢ : ٤١٧ ، ولم ينسب .

(٣) الكامل للمبرد : ٢ : ٢ ، وروايته فيه « يرى فلتات الرأى والرأى مقبل » .

(٤) ديوانه ١ : ٢١٩ وأبو العباس أحمد بن الموفق هو « الخليفة المعتضد » وجاءت هذه الأبيات فى الديوان خاتمة لقصيدة قالها « يمدح الموفق بالله . ويذكر العلوى الخارج بالبصرة » فهى إذن فى مدح الأب ، وهذه الأبيات الأخيرة فى وصف الابن .

(٥) أبو العباس هو ابن الموفق ، ديوانه : « أيامه ومناقبه » .

(٦) يخاطب « الموفق » ويقول : إننا نرى فى ابنك صورة كاملة لك .

## بلاغةُ الوزراءِ وحُسنُ عبارتهم ووصفُ القلمِ

وإذ قد ذكرتُ كفايةَ الوزراءِ واضطلاعهم بالأمورِ ، فأذكُر ها هُنا شيئًا من بلاغتِهم ، وحُسْنِ عبارتِهم ووصفِ القلمِ .

قالَ أبو تمّامٍ فى سليمانَ بنِ وَهْبٍ[(١)]:

ما علىٰ الوُشَّجِ الرواتِك من عَتْـ ـبٍ إذا ما أَتَتْ أبا أَيُّوبِ
حُوَّلٌ لا فَعَالُهُ مَرْتَعُ الـذم(م) ولا عِرضُهُ مُراحُ العُيـوبِ
سُرُحٌ قولُهُ إذا ما استَمرَّتْ عُقْدَةُ العيِّ فى لِسانِ الخَطيبِ

١٤ س / وقال فى الحسنِ بنِ وهبٍ[(٢)]:

---

(١) هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو من أسرة خدمت الخلفاء منذ عهد معاوية ، ولى الوزارة للمهتدى ثم للمعتمد على الله وله ديوان رسائل ، « الأغانى ٢٠/٦٧ وما بعدها ، والفخرى ص ٢٠٢ » ، والأبيات فى ديوانه ١ : ٢٢٦ والتبريزى ١ : ١٢١ ، وفيهما « الوسّج » بالسين المهملة ، ورواية الديوان أوجه ، والوشج جمع واشجة ، « وهى صلة الرحم أو شبه الإبل بالوشيجة – وهى عرق الشجرة – لضمرها » انظر تاج العروس ٦ : ٢٥٩ . « الوسّج : جمع واسج ، والوسيج : ضرب من سير الإبل » . التبريزى .

(٢) لم أجد هذه الأبيات فى ديوانه أو فى شرح التبريزى ، غير أنى وجدتها فى مخطوطتين للديوان ضمن قصيدة فى مدح الحسن بن وهب أولها :

قف نؤبن كناس ذاك الغزال إنَّ فيه لَمسرحًا للمقال

وقد ورد هذا البيت فى ١ : ٤٣١ ولم يخرج ، « ديوان أبى تمّام بخط محمد بن مظفر بن أبى نصر بن شيخ الوزيرى ورواية الصولى أيا صوفيا رقم ٣٨٧٣ لوحة ١٥٢ ، ديوان أبى تمام فاتح استانبول رقم ٣٧٧٢ نسخت قبل ٨٦٠ هـ لوحة ١٢٩ » .

لَصدُورُ الأَقْلامِ أمضىٰ بكَفّيْـ ـكَ إذا شئتَ من سِهامِ نِبَالِ (١)
بمُصفًّى فِرِنْدِهَا النَّيِّرِ الوَشْـ ـيِ وحِدْثانِ عَهْدِها بالصِّقالِ (٢)
نُطَفٌ تَثْلُجُ امْرءًا وهْوَ حَرَّا ن ببردٍ من المعانى زُلالِ
وتُناغِى الهَوى ، وتَنْسابُ فى الرُّوُ حِ بسِحْرٍ مِنَ البيانِ حَلالِ
يَشْرَعُ الذِّهْنَ والمسامِعَ فيها فى صفايا أَمْثالِها أَمْثالى

يُريدُ أمثالَهُ من الشِّعْرِ الذى يقولُهُ .

وقالَ فيه (٣) :

ولقَدْ سَمْعِتُكَ والكلامُ لآلِىءٌ تُومٌ وبِكْرٌ فى النِّظامِ وَثَيِّبُ
فكَأَنَّ قُسًّا فى عُكاظٍ يَخْطُبُ وكأَنَّ ليلى الأَخْيَلِيَّةَ تَنْدِبُ
وَكَثِيرُ عَزَّةَ يومَ بَيْنٍ يَنْسِبُ وابنُ المُقَفَّعِ فى اليتيمةِ يُسْهِبُ
تكسو الوقارَ وتستخِفُّ مُوَقَّراً طَوْراً وتُبْكِى سامعينَ وتُطْرِبُ

قولُهُ : « بِكْرٌ فى النِّظامِ » يريدُ مالمْ يُسْبَق إليه ، و « ثَيِّبٌ » يريدُ الألفاظَ والمعانى قد تقدمَ النَّاسُ فيها واستعملوها ، والبيتانِ بعدَ هذا رَديئانِ جدّاً ، وما نُدْبةُ ليلى الأخيليّة من النِّساءِ وغَيْرِها ، والرجالُ أندبُ مِنْها ؟! ، وكان ينبغى أن يُفضِّله على ابنِ المُقَفَّعِ وغَيْرِهِ لا (٤) أن يُشَبِّهُهُ بِهِ ، وكذلك ذِكْرُهُ « لِكُثيرٍ » رَكاكَةٌ وضِيقُ حيلَةٍ .

وقالَ فيهِ حينَ ورَدَ عليهِ كِتَابُهُ (٥) :

---

(١) فى المخطوطتين : مخطوطة أيا صوفيا « من صدور العوالى » ، وفى مخطوطة الفاتح « من سهام النصال » .

(٢) فرند السيف : وشيه ، وجوهره وماؤه .

(٣) فى س : « وقال آخر فيه » . ديوان أبى تمام ١ : ٢٣٦ والتبريزى ١ : ١٣٤ ، وفيهما : « ولقد رأيتك » و « فبكر » .

(٤) فى س : « إلا » .

(٥) ديوانه ٣ : ٦٢ والتبريزى ٣ : ٣٥٤ .

لقد جَلىَّ كتابُك كلَّ بَثٍّ ... جَوٍ وأصابَ شاكِلَةَ الرَّمِىِّ
فضضْتَ خِتَامَهُ فتبلّجت لى ... غَرائِبُهُ عن الخَبرِ الجَلِىِّ
وكانَ أغضَّ فى عَيْنِى وأندىٰ ... على كَبِدي من الزَّهْرِ الجَنِىِّ
وأحسنَ موقعاً مِنىِّ وعندِى ... من البُشْرىٰ أتتْ بعدَ النَّعِىِّ
وضُمِّنَ صَدْرُهُ مالمْ يُضَمَّنْ ... صدورُ الغانياتِ من الحُلِىِّ (١)
وكائِنْ فيهِ من معنىً خَطيرٍ ... وكائِنْ فيهِ من لفظٍ بَهِىِّ (٢)
وكمْ أفْصَحْتَ عن برٍ جَليلٍ ... بهِ وَوَأَيْتَ مِنْ وأيٍ سَنِىِّ (٣)
فأُطْلِقَ مِن عِقَالى فى الأَمانى ... ومِنْ عُقُلِ القَوافِى والمَطِىِّ
فيَا ثَلَجَ الفؤادِ وكانَ رَضْفاً ... ويـا شِبَعِى بَرْونَقِـهِ وريِّـى (٤)
لَئِنْ غَرَّبْتَها فى الأرضِ بِكراً ... لقد زُفَّتْ إلى سَمْعٍ كَفِىِّ (٥)
بيانٌ لم تَرِثْهُ تُراثُ دَعْوىٰ ... ولم تُنبِطْهُ من حِسْيٍ بَكِىِّ (٦)

وهذه أبياتٌ مضطربةٌ ، وليسَ فيها جيّدٌ إلاّ قولهُ : « ويا شِبَعِى بِرَوْنَقِهِ وريِّى »

وقال فيه (٧) :

فأَجْلُ القذىٰ عن مُقْلَتَىَّ بأَسْطُرٍ ... يكْشِفْنَ من كُرُباتِ باكِ بالي
/ سودٌ يُبَيِّضْنَ الوجوهَ بِمُصْطَفىً ... تِلْكَ النَّوادِرِ مِنْكَ والأَمْثالِ ١٥ س

---

(١) ديوانه والتبريزى : « مالم تضمّن » .
(٢) « كائن » بمعنى « كم » وفى ديوانه والتبريزى « فكائن » .
(٣) فى س : « وكم كشفت » ولا يستقيم معها الوزن والتصحيح من ديوانه والتبريزى .
(٤) فى س : « فياشبعى » .
(٥) ديوانه والتبريزى : « لقد جُلِيَتْ على » .
(٦) « الحِسْىُ » : الماء القليل . « البكىّ » : البئر قليلة الماء .
(٧) ديوانه ٢ : ٢٨٨ والتبريزى : ٣ : ٦١ ، وفى حاشية التبريزى : « وقال – وكتب بها إلى الحسن ابن وهب بجرجان –: » ، وفى ديوانه والتبريزى : « بال بالى » .

واحْثُثْ أنامِلَكَ السَّوابِغَ كُلَّها حتَى يَجولَ هُناكَ كلَّ مجَالِ[(١)]
فى بطنِ قِرْطاسٍ رَخيصٍ ضُمِّنَتْ أحشاؤُهُ غُرَرَ الكلامِ الغَالِى[(٢)]

وهذا البيت الأخيرُ جيدٌ ، والباقى صالحٌ .

وقال فى ابن الصَّالِح الهاشمىِّ[(٣)] :

لُقْمانُ صمتًا وحِكْمَةً فإذا قالَ لَقطْنَا الجُمانَ من خُطَبهْ

ولله درُّ أبى مُعاذٍ بَشارِ بن بُردٍ إذْ يقولُ علىٰ هذا الروِىِّ[(٤)] :

للهِ ما قدْ حواهُ مَنْطِقُـهُ من لُؤْلُـؤٍ لا يُنامُ عن طَلَبِهْ[(٥)]
يُخْرِجُ من فيهِ فى النَّدى كما يَخْـرُجُ ضوءُ السِّراجِ فى لَهَبِهْ[(٦)]

وما أحسنَ ما قالَ أبو عُبَادةَ البحترىُّ فى الحسنِ بن وَهبٍ أيضا[(٧)] :

وإذا استهلَّ « أبو علىٍّ » فى النَّدىٰ جاءَ الغمامُ المُسْتَهِـلُّ بِسَكْبِـهِ[(٨)]
وإذا احتبىٰ فى عُقْدةٍ من حِلْمهِ يوماً رأيت [ مُتالِعاً ] فى هَضْبِهِ[(٩)]
وإذا تَألَّقَ فى النَّدِىِّ كلامُهُ الـ ـمَصْقولُ « خِلْتَ لِسَانَه من » عَضْبِهِ[(١٠)]
وإذا دجتْ أقلامُهُ ثمّ انتحتْ بَرَقَتْ مصابيحُ الدُّجىٰ من كُتْبِـهِ[(١١)]

---

(١) ديوانه والتبريزى « السوابغ بينها » ، « حتى تجول » .
(٢) ديوانه والتبريزى « درر الكلام » .
(٣) يعنى محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى ، ديوانه ١ : ٣٢٤ والتبريزى ١ : ٢٧٣ .
(٤) ديوان بشار ١ : ١٨٤ ، وفى س : « بشار بن المبرد » .
(٥) صدره فى الديوان « لله ما راح فى جوانحه » .
(٦) ديوانه « يخرجن من فيه للندى كما » ، « من لهبه » .
(٧) ديوانه ١ : ١٦٤ .
(٨) ديوانه « للنَّدى » .
(٩) متالع : جبل فى نجد .
(١٠) رسم حروف هذه الكلمات غير واضح فى س ، والتصحيح من الديوان ، النَّدىُّ : مجتمع القوم وناديهم .
(١١) ديوانه : « فى كتبه » .

بِاللَّفْظِ يَقْرُبُ [فَهمهُ] فى بُعْدِهِ مِنَّا ، ويَبْعُدُ نَيْلُهُ فى قُرْبِهِ[1]
حِكَمٌ فَسائِحُها خِلالَ بَنانِهِ مُتدَفِقٌ ، وقَلِيبُها فى قَلْبِهِ
كالرَّوْض مُؤْتَلِقاً بحُمْرَةِ نَوْرِهِ وبياضِ زَهْرته ، وخُضْرَةِ عُشْبِهِ[2]
أو كالبُرودِ تُخُيِّرتْ [لِمُتَوَّجٍ] مِن خالِهِ ، أو وَشْيِهِ أو عَصْبِهِ[3]
وكأنَّها ، والسمعُ معقودٌ بها شَخْصُ الحَبيبِ بدا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ[4]

قولُهُ : « دجتْ أقلامُهُ » يريدُ إذا أخذت المداد .

قولُهُ : « باللَّفْظ يَقْرُبُ فهمُه فى بُعْدِهِ مِنَّا » أى : يقربُ فَهمُه مِنَّا لِحُسْنِ بَيانِه وتَلْخيصِه ، « فى بُعْدِهِ » أى : فى دِقَّةِ معَانيهِ .

« ويَبعُدُ نَيْلُهُ فى قُرْبِهِ » أىْ : ويَبْعُدُ أن يُنالَهُ أحدٌ ، أىْ : يأتِىَ بِمِثْلِهِ ، « فى قُرْبِهِ » يريدُ أنَّه مُطْمِعٌ مُمْتَنِعٌ ، إذا سَمِعَهُ سَامِعٌ ظَنَّ أنَّه قريبٌ عليْهِ ، وأنَّهُ يأتى بمثلِهِ ، وهوَ مِنْهُ بعيدٌ .

وقولُهُ : « فسائِحُها » أى ما يسيحُ منها فيَجْرِى ، أى يتدفقُ ذلك خلالَ بنانِه .

وقولُهُ : « كالرَّوْضِ مؤتلقا بحُمْرَةِ نَوْرِهِ وبياضِ زَهْرَتِه » . قد أَنْكَرَ ذلكَ على البُحْترىِّ بعضُ أَهلِ اللُّغَةِ وذكرَ أَنَّ النَّوْرِ هَو الأبيضُ خَاصةً ، وأنَّ الزَّهْرَ هو الأصْفَرُ لا محالة ، وإنَّما يَضُمُّهُما إذا قُلْتَ : أنوارٌ وأَزهارٌ ، فيدخُلُ فى هذَا اللَّفْظِ سَائرُ الألْوانِ .

وقد قال – لَعْمرِى – قومٌ من أَهلِ اللُّغَةِ – منهم ابنُ الأعرابىِّ وغيرُهُ – إنَّ النَّوْرَ هو الأبيض والزَّهْرُ هو الأصفرُ ، فما يُصْنَعُ إذاً بقولِ حُمَيْدِ بن ثَوْرٍ :

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقطة من س ، والتصحيح من الديوان .
(٢) ديوانه « مؤتلفا » ، وقد سبق فى ١ : ٣٩٧ .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقطة من س .
(٤) س : « شخص المُحِبُّ بدا لعين حبيبه » .

كَأَنَّ على أَشْداقِهِ نَوْرُ حَنْوَةٍ　　إذا هو مَدَّ الجِيدَ منه لِيَطْعَمَا[(١)]

/ يَصِفُ فَرْخَ الحمامةِ ، وصُفرَةَ أَشْدَاقِها ، ويُشبِّهُهَا بِزَهْرِ الحَنْوَةِ ، وهُوَ أَصْفَرُ شَدِيدُ الصُّفْرَةِ ، فقالَ : « نَوْرُ حَنْوَةٍ » ، ولَمْ يَقُلْ : « زَهْرُ حَنْوَةٍ » . ١٦ س

وقال الأَعْشَى[(٢)] :

وشَمُولٌ تَحْسَبُ العَيْنُ [إذا]　　صُفِّقَتْ [وَرْدَتَها] نَوْرَ الذُّبَحْ

« والذُّبَحُ » نَبْتٌ ، ونَوْرُهُ أَحمرُ شَديدُ الحُمْرَةِ ، ويُروى « الذِّبَحْ[(٣)] » .

وقالَ أبو النَّجْمِ[(٤)] :

فالرَّوْضُ قد نَوَّرَ فى حَوَّائِهِ　　نَوْراً تحارُ الشَّمْسُ فى حَمْرائِهِ

مُكَلَّلاً بالنَّوْرِ من صَفْرائِهِ[(٥)]

فجَعلَ الأحمرَ والأصفرَ نَوْراً ، وقد ذكرتُ هذا مشروحاً فى الجزءِ الذى بَيَّنْتُ فيه معايبَ البحترىِّ[(٦)] ، وذكرتُ ما عيبَ عليه مِمَّا هوَ عَيْبٌ صحيحٌ وما ادُّعِىَ عليهِ مِمَّا لَيْس بعيبٍ .

وقالَ البحترىُّ فى محمدِ بن عبدِ الملكِ الزَّيَّاتِ[(٧)] :

---

(١) سبق فى ١ : ٣٩٧ وانظر تخريجه هناك ، والشاعر هو : حُمَيْدُ بن ثور بن حَزْن الهلالى ، أبو المثنى شاعر مخضرم ، عاش زمنا فى الجاهلية وشهد حُنَيْنا مع المشركين ، ووفد على النبى ﷺ . ومات فى خلافة عثمان ، وهو شاعر مجيد ، عده ابن سلام فى الطبقة الرابعة من الإسلاميين « الشعر والشعراء ١ : ٣٩٠ ، والإصابة الترجمة ١ : ١٨٣٦ والأغانى دار الكتب ٤ : ٣٥٦ » .

(٢) ديوانه ٢٩١ وقد سبق فى ١ : ٤٠٠ ، وما بين الحاصرتين سقط من س ، والشمول هى الخمر التى بردت بريح الشمال ، وروى البيت فى الجزء الأول بفتح « وردتها » على أنها مفعول أول لتحسب ، أما هنا فالكلمة ساقطة ، وفى الديوان جاءت مرفوعة ، واخترت رواية الموازنة .

(٣) بكسر ففتح ، وانظر اللسان مادة : « ذبح » .

(٤) أبو النجم هو : الفضل بن قدامة بن عجل ، كان ينزل سواد الكوفة وهو من أكابر الرجاز ، راجز العجاج ، ومن أحسن الناس إنشادا للشعر « الشعر والشعراء ٦٠٣ ، الأغانى ١٠ : ١٥٠ الدار » . والأبيات فى ديوانه ص ٦٢ . وفيه « فى عزائه » ، « تخال الشمس » .

(٥) ديوانه : « مكللا بالورد » .

(٦) انظر ١ : ٣٧٥ – ٤٠٧ .

(٧) ديوانه ١ : ٦٣٦ .

لَتفَنَّنْتَ فى الكِتَابَةِ حتَّى عَطَّلَ النَّاسُ فنَّ عبدِ الحَميدِ[(١)]
فى نظامٍ من البلاغةِ ماشَكَّ آمرؤٌ أَنَّــهُ نظـــامُ فريـــدِ[(٢)]
وبَديعٍ كأَنَّهُ الزَّهَرُ الضَّا حِكُ فى رَوْنَقِ الرَّبيعِ الجَديدِ
مُشْرِقٌ فى جَوانبِ السَّمْعِ ما يُخْـ ـلِقُهُ عَوْدُهُ علىٰ المُسْتَعيدِ
ما أُعِيرَتْ منهُ بطُونُ القَراطيـ ـسِ ، وما حُمِّلَتْ ظُهورُ البَريدِ
حُجَجٌ تُخْرِسُ الألَدَّ بألْفَا ظٍ فُرَادَىٰ كالجَوْهَرِ المَعْدُودِ
ومعانٍ لَوْ فصَّلَتْها القَوافى هَجَّنَتْ شِعْرَ جرولٍ ولَبيـدِ[(٣)]
حُزْنَ مُسْتعمَلَ الكلامِ اخْتياراً وَتَجنبْنَ ظُلْمَةَ التَّعقيـدِ
ورَكِبْنَ اللَّفْظَ القَريبَ فأدْرَكْـ ـنَ بهِ غايةَ المُرادِ البَعيدِ
كالعَذَارىٰ غَدَوْنَ فى الحلل الصُّفْـ ـرِ أوْ رُحْنَ فى الخُطوطِ السُّودِ[(٤)]

وَقد وصفَ أبو تَمامٍ القلمَ فقالَ فى مديحِ مُحمدِ بن عبدِ المَلكِ[(٥)]:

لك القَلَمُ الأعلىٰ الذى بِشبَاتِهِ تُصابُ من الأَمْر الكُلىٰ والمَفاصِلُ
لَه الخَلوَاتُ اللَّاءِ لَوْلَا نَجيُّها لما احْتَفلتْ لِلْمُلْكِ تِلْكَ المَحافِلُ
لُعابُ الأفاعى القَاتِلاتِ لُعَابُهُ وأَرْىُ الجَنىٰ اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَواسِلُ
لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ ولكنَّ وَقْعَهَـا بآثارِهِ فى الشَّرْقِ والغَرْبِ وابِلُ
فَصيحٌ إذا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهْوَ رَاكِبٌ وأعجَمُ إنْ خاطَبْتَهُ وهْوَ رَاجِلُ
إذا ما امْتَطىٰ الخَمْسَ اللِّطَافَ وأُفْرِغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الفِكْرِ وَهْىَ حَوافِلُ[(٦)]
أطاعَتْهُ أَطْرافُ القنا وتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الخِيامِ الجَحافِلُ[(٧)]

---

(١) هو عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامرى ، كان يكتب لمروان بن محمد الجعدى أحد خلفاء بنى أمية ، وقد قتل معه سنة ١٣٢ « الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٧٢ وما بعدها » .
(٢) ديوانه : « مَرِيد » .
(٣) جرول هو الحطيئة .
(٤) فى س : « حلل الصفراء » والتصحيح من ديوانه .
(٥) ديوانه ٢ : ٣٣٢ والتبريزى : ٣ : ١٢٣ .
(٦) فى س : « شعاب » عسيرة القراءة .
(٧) شرح التبريزى « أطراف لها » .

وقَدْ رَفَدَتْهُ الخِنْصَرانِ وشَدَّدَتْ ... ثَلاثَ نَواحيهِ الثَّلاثُ الأنامِلُ
رَأيتَ جَليلاً شأنُهُ وهْوَ مُرْهَفٌ ... ضَنَاً وسَمينا خَطْبُهُ وهْوَ نَاحِلُ

/ وما وصفَ النّاسُ القلمَ بأجودَ ولا أبرعَ ، ولا أصحَّ معانٍ وألطفَ من هذا الوَصْفِ . ١٧ س

وقدْ كانَ النَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ قولَ المُقَنَّعِ الكِنْدِيِّ[١] :

قَلَمٌ كَخُرطُومِ الحَمامَةِ مَائِلٌ ... مُسْتَحْفِظٌ للعلمِ منْ عُلاَّمِهِ[٢]
يَسِمُ الحُرُوفَ إذا تَشَابَهَ أيُّها ... لِبَيانِهَا بالنَّقْطِ من إعْجامِهِ[٣]
يَحْفَى فيُقْضَمُ من شُعَيْرَةِ أنْفِهِ ... كَقُلامَةِ الأظْفُورِ من مِقلامِهِ[٤]
وبِأنْفِهِ شَقٌّ تَلاءَمَ فاسْتَوَى ... سُقِيَ المِدَادَ ، فزادَ فى تَلآمِهِ
مُسْتَعْجِمٌ وهوَ الفَصيحُ بِكُلِّ مَا ... نَطَقَ الرِّجالُ بِهِ على استعجامِهِ[٥]
وهجَاهُ قافٌ ثُمَّ لامٌ بعدهَا ... ميمٌ مُعَلَّقَةٌ بأسْفَلِ لَامِهِ[٦]

وهذهِ الأبياتُ فى قصيدةٍ يمدحُ فيها الوليدَ بن يزيدَ ، ولا تبلغُ فى الجودةِ أبياتَ أبى تمام ، ولا تَعْشُرُهَا[٧] .

وما سمعتُ فيه وصفاً أردأَ ولا أقبحَ من أبياتٍ منسوبةٍ إلى البحترىّ وهى لوَهْبِ ابن شاذانَ الهمدانى ، رواها أبو عبد الله مُحَمد بن داودَ بن الجَّراحِ فى كتاب

---

(١) المقنع الكندى : هو محمد بن عميرة بن أبى شمر بن فرعان الكندى ، شاعر من أهل حضرموت مولده بها ، اشتهر فى العصر الأموى ، وكان هو وأبو زبير الطائى ووضّاح اليمن يردون مواسم العرب مقنعين يسترون وجوههم خوفا من العين ، وحذرا على أنفسهم من النساء لجمالهم « البيان والتبيين ٣ : ١٠٢ – الشعر والشعراء ٧٤٣ والأغانى – الدار – ٦ : ٢١١ » ، والأبيات فى الحيوان ١/٦٥ ، وبعضها فى التشبيهات ص ٣٠٤ .

(٢) الحيوان والتشبيهات « مائل » .

(٣) الحيوان : « إذا يشاء بناءها » ، « من أرسامه » .

(٤) التشبيهات ، وفى الحيوان « قلآمه » .

(٥) الحيوان : « نطق اللسان » .

(٦) الحيوان : « هجاؤه قاف ثم لام بعدها » . ولا يصح معها الوزن .

(٧) يقال : عشر : أخذ واحدا من عشرة .

« الورقة » ووصفَ وهباً هذا بشدّةِ التّكليفِ وقال[١] :

وعُريانُ من خلفه مُكْتَسٍ يسيرُ من الوَشْيِ فى يَلْمَقِ[٢]
يُحَذِّفُ فى الرأسِ شَابورةً تسيلُ على ذِروةِ المَفْـرِقِ[٣]
فَعمَّرَ فى البحرِ مُسْتأنساً فلم يَر يُبْساً ولم يَغْـرَقِ[٤]
وناصَبَ فى البَرِّ شمسَ الهَجير فما لَوَّحَتْهُ ولَمْ يَفْـرَقِ
إذا أنتَ مَشَّيْتَـهُ راكبـاً تَسمَّعَ منكَ ولَمْ يَخْرُقِ
يُقيمُ بِغُرْبَيْهِ غَرْبَ البِلادِ وَينهىٰ ويأمُرُ فى الـمَشْرِقِ[٥]
إذا ما استقامَ سقىٰ غَيْرَهُ من الثَّمَـدِ الآجِنِ الأَوْرَقِ[٦]
وأطرَقَ ثُمَّ جرىٰ ماضياً على فِكرَةِ السَّاكِنِ المُطْرِقِ
فكمْ من طليقٍ لَهُ مُوثَقٍ وكَم من وَثيـقٍ له مُطْلَـقِ[٧]
يسوقُ إلى المُطْبِقِ النَّاكِثيـنَ ومثواهُ فى مُطْبِقِ الخَنْدَقِ

* * *

(١) محمد بن داود بن الجراح كان كاتبا عارفا بأيام الناس وأخبارهم ، وكان مع ابن المعتز فلما انحل أمره وقتل اختفى ابن الجراح ثم اعتقل وقتل سنة ٢٩٦ « تاريخ بغداد ٥ : ٢٥٥ ، الفهرست ص ١٤٢ ، وقال فيه « كتب بخطه مالا يحصى كثره » » ، ولم أجد ذكرا لوهب هذا فى الجزء المطبوع من كتاب الورقة « وانظر ص ١٦ من المقدمة » ، كما لم أقف له على ترجمة فى الكتب التى بين يدى ، وقد وجدت له بعض الأبيات فى عيار الشعر : ١٩٣ ، وورد بعض هذه الأبيات منسوبًا إلى العلوى فى العقد الفريد ٤ : ١٩١ .

(٢) فى العقد : « خلعة مكتس يميس » .

(٣) العقد الفريد « تحدر من رأسه ريقه » .

(٤) فى س : « يابسا » ولا يستقيم الوزن بها ، ويَبْسا ويُبسا بضم وفتح المثناة .

(٥) فى العقد : « يقيم ويوطن » ، « بالمشرق » .

(٦) الثمد : الماء القليل ، الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، الأورق : لا مطر فيه .

(٧) فى العقد الفريد :

فكم من أسير له مطلق وكم من طليق له موثق

# العفوُ والحِلمُ

ويُوصَفُ الخليفةُ بالعفوِ والحِلْمِ ، وذلكَ مَوجودٌ فى سائرِ النَّاس ، وينبغى أن يُتَوصَّلَ إلى لفظٍ تكونُ للخليفةِ فيه مَزِيَّةٌ على غيرِهِ .

[ قال أبو تمّام ] (١) :

وكَم ناكثٍ للعهدِ قد نَكَثَتْ بِهِ　　أَمَانيهِ واسْتَخْذى لِحَقِّكَ بَاطِلُهْ (٢)

فأَمْكَنْتَهُ من رُمَّةِ العفوِ رأفةً　　ومغفرةً إذْ أمْكَنَتْكَ مقَاتِلُهْ

وحاطَ له الإقرارُ بالذَنبِ رُوحَهُ　　وجُثْمَانَهُ إذْ لَمْ تُحِطْ[ـهُ] قَنَابِلُهْ (٣)

وهَذا لَعمرى حَسَنٌ ، ولكنَّهُ يصلحُ أنْ يُوصَفَ بِهِ غيرُ خَليفَةٍ .

وقال / البحتريُّ فى المتوكِّلِ (٤) : ١٨ س

ولَه وراءَ المُذْنبينَ ودونَهم　　عفوٌ كظلِّ المُزْنَةِ المَمْدُودِ

قولُهُ : « كظِلِّ المُزْنَةِ المَمْدودِ » لفظٌ ومعنى ما لحُسنهِ نهايةٌ ، وكأنَّهُ أَلْيقُ بالخلفاءِ من غيرِهم ، من أجْلِ جَعْلِهِ عفواً يَعْلوهم ويُظِلُّهم ، كما تعلو المُزْنةُ وتُظِلُّ .

وقال بَعدَه فى الأناةِ والحِلمِ :

وأَناةُ مُقْتَدِرٍ تُكَفْكِفُ بأسَهُ　　وقَفَاتُ حِلْمٍ كالجِبَالِ عَتيدِ (٥)

---

(١) ساقطة من س .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٠١ والتبريزى : ٣ : ٢٧ وفى ديوانه « بالمهد » .

(٣) فى س : « يحط » وفى ديوانه وشرح التبريزى « قبائله » ، و« قنابله » : أى جيوشه وكتائبه .

(٤) ديوانه ٢ : ٧٠١ .

(٥) فى س : « كالجهال » ، وفى ديوانه « عنده موجود » .

وقالَ فى المُعْتزّ[١] :

بحِلْمٍ كأنَّ الأرضَ مِنْهُ تَوقَّرَتْ    وجُودٍ كأنَّ البَحْرَ منهُ تَفجَّرَا

وهذا حِلمٌ عظيمٌ فى البيتينِ ، وجودٌ فى هذا البيتِ هو أعظمُ .

وقالَ أيضًا فى المتوكلِ :

أكرمُ النّاسِ شيمةً ، وأتمُّ النّـ    ـاسِ حِلْماً ، وأكثرُ النّاسِ رِفْدا

فَفضَّل حِلْمَه على حلومِ النّاسِ .

ولم يرضَ أبو تَمامٍ أن يجعلَ الحلمَ رزيناً ثقيلاً على مذاهبِ النَّاسِ كلِّهم عربِهم وعَجَمِهم ، ولكن جعله رَقيقاً ، قالَ[٣] :

رقيقُ حواشى الحِلْمِ لَوْ أنّ حِلْمَهُ    بكفَّيْكَ ما ماريتَ فى أنَّه بُرْدُ

فجعله كالبُرْدِ ، والبُرْدُ[٥] لا يُوصَفُ بالرِّقَّةِ ، وكان ينبغى أنْ يجعلَه كالهواءِ[٤] !! .

وقالَ البحتريُّ فى المُعْتزّ :

وعفوتَ عفواً عمَّ أُمَّةَ « أحمدٍ »    فى الغَرْبِ مِن أوطانِهم والمَشْرِقِ

ولقد رددْتَ على الأنامِ عُقولَهم    بِهَلاكِ سُلطانِ الرَّقيقِ الأَحْمقِ[٦]

وقال فى المعتزّ[٧] :

وأبيضُ من « آلِ النّبيِّ » إذا احتبىٰ    لِساعةِ عَفْوٍ فالنُّفوسُ مواهِبُهْ

تَغمَّدَ بالصَّفحِ الذُنوبَ وأسْمحتْ    سَجاياهُ فى أعدائِهِ وضَرائِبُهْ

---

(١) ديوانه ٢ : ٩٣٣ .

(٢) ديوانه ٢ : ٧١٢ ، وفيه « وأتم الناس خلقا » .

(٣) ديوانه ١ : ٤٧١ وشرح التبريزى : ٢ : ٨٨ .

(٤) سبق للآمدى أن اعترض على هذا البيت فى الباب الذى أفرده لذكر معايب أبى تمام « ١ : ١٤٣ وما بعدها ، وانظر النظام لابن المستوفى جـ ١ لوحة ٣٦٦ ، وهوامش شرح التبريزى » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٤٧٨ .

(٦) ديوانه « الركيك » ويعنى به المستعين .

(٧) ديوانه ١ : ٢١٧ .

قوله : « فالنُّفوسُ مواهبُه » لفظٌ ومعنى فى غايةِ الحُسْنِ والحَلاوةِ ، ولكنَّهُ يَصلُحُ أن يُقالَ لخليفةٍ [ وَ ] غَيْرِ خَليفة إذا كان عظيماً مُسلَّطاً .

وينبغى للشاعرِ أن ينظرَ أغلبَ خِلالِ الخيرِ على الممدوحِ فيمدحَهُ ، ويُكَرِّرَهُ فى أوصافِهِ ويُرَدِّدَهُ .

ومن أشهرِ فضائلِ المأمونِ وأحبِّها إليهِ أن يُذْكَر بها الحِلْمُ والعَفْوُ ، ومِمَّا يُؤْثَرُ عنه أَنه قالَ :

« أنا أَلَذُّ العفوَ حتى أخافُ أَلَّا أُوْجَر عليهِ ، ولو عَلِمَ النَّاسُ مِقدارَ مَحبَّتى للعفْوِ لتقرَّبُوا إلَىَّ بالذُّنُوبِ »[١] .

وقد مدحَهُ أبو تمّام بقصيدتين فما وصفه فيهما بعفوٍ ولا حلم ، إلا ماذَكرهُ من مَنِّهِ على أسرىٰ الرومِ ، لمّا أَتوْهُ بهم ، فى غَزَاتِهِ ، وذلك قولُهُ[٢] :

/ لما رأيتَهُمُ تُساقُ ملوكُهمْ ... حِزَقاً إليْكَ كأنهُمْ أنعامُ ١٩ س
جرحْى إلى جرحى كأنَّ جلودَهُمْ ... يُطلىٰ بها الشَّيَّانُ والعُلَّامُ[٣]
مُتساقِطِى وَرَقِ الثِّيابِ كأنَّهُمْ ... دَانُوا فأُحْدِثَ فيهِمُ الإحْرامُ
أكرمْتَ سيفَك غَرْبَهُ وذُبابَهُ ... عَنْهُمْ وحُقَّ لِسيفِكَ الإكْرامُ
فرددتَ حدَّ الموتِ وهو مُركَّبٌ ... فى حَدِّهِ فارتدَّ وهو زُؤامُ

والمَنُّ على هؤلاءِ الأسرى المُثْخَنينَ منَ الرُّومِ يلزمُ المأمونَ ، ولا يُسَوِّغُ لَهُ الدِّينُ تَجاوُزَهُ إلى غَيْرِهِ ، لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قالَ :

---

(١) انظر : « بغداد » لابن طيفور ص ٥٠ ، ١٠٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٢٢ ، ونهاية الأرب ٦ : ٦١ ، والفرج بعد الشدة ٣ : ٣٤٢ .

(٢) ديوانه ٢ : ٣٧٨ وشرح التبريزى ٣ : ١٥٦ ، والحِزَق : الجماعات .

(٣) الشيّان : صبغ ، العلام : الحِنَّاءُ .

« فإذا لقيتُم الذين كَفروا فضَرْبَ الرِّقابِ حتىٰ إذا أثْخَنْتُمُوهُم فشُدُّوا الوَثاقَ فإمَّا منًّا بعدُ وإمّا فداءً حتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أوزارَها » [1] .

وقولهُ فى القصيدةِ الأُخرى [2] :

فانتاشَ مصرَ من اللُّتَيَّا والَّتِى  بَتجاوُزٍ وَتَعَطُّفٍ وَتَغَمُّدِ

وهذا كان منهُ على سبيلِ السّياسةِ والإصلاحِ والضَّرورةِ ، وليس هذا مِمَّا يعتدُّ به المأمونُ فى فضائلِ الحِلْمِ ، ولا لأبى تمّامٍ فى مَدْحهِ به ، وإنما يَعْتَدُّ [ بِهِ ] المأمونُ فى سياستِه وحسنِ تدبيرهِ ، وما أحسنَ ما قالَ فيه مُحمد بنُ عبد الملك الفَقْعَسِىُّ [3] :

أميرَ المؤمنينَ عفوتَ حتّىٰ  كأنَّ النّاسَ ليس لهم ذُنوبُ

وقالَ فيه عبدُ الله بنُ [ أبى ] السِّمْطِ [4] :

عفوتَ حتى تمنينا الذنوبَ كما  أعطيتَ حتى لقلنا إنَّهُ سَرَفُ

أخذَ هذا من قولِ أبى دَهْبَلَ [5] :

مازلتَ فى العفوِ للذُّنوبِ وإطـ  ـلاقٍ لعانٍ بِجُرْمِهِ غَلِـقِ
حتى تمنّىٰ البُراةُ أنَّهُمُ  عندكَ أمْسَوْا فى القِدِّ والحَلَقِ

---

(١) سورة محمد « ﷺ » آية ٤ .

(٢) ديوانه ١ : ٤٥١ وشرح التبريزى ٢ : ٤٨ ، « واللتيا والتى » كناية عن المصاعب .

(٣) محمد بن عبد الملك الفقعسى كوفى شاعر قديم أدرك المنصور ومن بعده ، وله مدائح وأبيات فى الرشيد والمأمون ، كان راوية بنى أسد وصاحب مآثرها وأخبارها ، وعنه أخذ العلماء مآثر بنى أسد « الورقة لابن الجراح ص ١٣ ، الفهرست ص ٥٥ » ، وفى س : عفاو حتى ، والتصحيح من الورقة ص ١٣ .

(٤) هو عبد الله بن أبى السمط بن مروان بن أبى حفصة . شاعر كان فى بغداد فى أيام المأمون يجيد قول الشعر وله مدائح فى عدة من الأكابر « تاريخ بغداد ٩ : ٤٧٠ وأشعار أولاد الخلفاء ص ١١٧ » ، ولم أجد هذا البيت فى ما بين يدىّ من مراجع .

(٥) أبو دهبل الجمحىّ : هو وهب بن زمعة من أشراف بنى جمح كان رجلا جميلا شاعرا وكان عفيفا ، قال الشعر فى أواخر خلافة على بن أبى طالب ( رض ) ، له مدائح فى معاوية وعبد الله بن الزبير الذى ولاه بعض أعمال اليمن ، ودَهْبَلَ : إذا كَبّر اللقمَ ليسابق فى الأكل « المؤتلف والمختلف ص ١٦٨ ، والشعر والشعراء ٦١٤ » ، والبيتان فى ديوانه ص ٤٧ .

ونحوُهُ قولُ الآخرِ فى المأمونِ[1] :

صَفُوحٌ عن الإجْرامِ حتَّى كأنهُ ... من العفوِ لم يعرفْ من الناسِ مُجْرِمَا

وقالَ البحتريُّ فى المتوكّلِ[2] :

مَلِكٌ إذا عاذَ المُسىءُ بعفوِهِ ... غفرَ الإساءَةَ قادرٌ لا يَعْجَلُ

وعفَا كما صَفَحَ السَّحابُ[3] ورعْدُهُ ... قَصِفٌ وبَارِقُهُ حريقٌ مُشْعَلُ

وهذا نسجٌ فى غايةِ الحُسنِ وتمثيلٌ يروقُ سامِعَهُ ، ولكنَّه غيرُ معروفٍ ، ولا مُعتادٍ أن يُشَبَّهَ عفوَ القادرِ عن إساءةِ المُسىءِ بإمساكِ السَّحابِ عن المَطرِ ، وهذا إنما يصلحُ أن يكونَ تمثيلاً لصفحهِ عن ذَنْبِ المذنبِ ، والإمساك عن عقوبتِه ، فإن قيلَ إنَّ الوعيدَ والتهددَ قد يوضعان فى معنى الرَّعدِ والبرقِ[4] وذلك جائزٌ فى كلامِ العرب ، وكثيرٌ / فى أشعارِها ، ومنه قولُ الشاعرِ[5] : ٢٠ س

فابرق بأرضك مابدالك وارعد

---

(١) البيت للحسن بن رجاء بن أبى الضحاك الكاتب ، من كتاب الدولة العباسية كان ذكيا أديبا شاعرا « الأغانى الدار ٧ : ٢٠٠ – ٢٠١ وقطب السرور ٥٠ ، ٦٠ ، ٧٣ وأخبار أبى تمام ص ١٦٧ ومابعدها » ، وقد ورد البيت فى « بغداد ص ٥٣ ، وغرر الخصائص ص ٣٧١ ، والفرج بعد الشدة ١ : ٣٨٧ » ، وهو أحد بيتين فى مدح المأمون ، والثانى قوله :

ولَيسَ يُبَالى أن يكونَ بِهِ الأذَى ... إذا ما الأذى لم يَغْشَ بالكُرْهِ مُسْلما

(٢) ديوانه ٣ : ١٥٩٦ .

(٣) ديوانه : « وعفا كما يعفو السحاب » .

(٤) فى س : « البرد » .

(٥) البيت لابن أحمر ، وهو فى ديوانه : ٥٤ ، وعجزه :

« ياجُلَّ مابعدت عليك بلادنا »

وهو عمرو بن أحمر بن فرّاص الباهلى وكان أعور ، وهو من شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازى الروم ونزل الشام وتوفى بعد أن عمر طويلا ، وهو كثير الغريب ، فصيحُ الكلام « طبقات فحول الشعراء ص ٥٨٠ ، الشعر والشعراء ٣٥٦ » .

وقولُ الكُميتِ[١] :

أَرْعِــدْ وأَبْــرِقْ يايزيـــــدُ فما وَعيدُكَ لِى بِضَائِرْ[٢]

فإلى هذا ذهبَ البحتريُّ فى أنْ جعلَ البرقَ والرَّعدَ بإزاءِ الوعيدِ والتهددِ ، قيلَ : ليس فى البيت الأَوَّل إفصاحٌ بذكر تهددٍ ولا وعيدٍ ، ولا كُلُّ من أرادَ العقوبةَ يُفْصِحُ بالتهدّدِ ، وخاصةً الملوكَ والعظماءَ ، ألا ترى إلى قولِهِ :

« قادرٌ لا يَعجلُ »

وَبَعْدُ ، فإنَّ صَفْحَ الممدوحِ إنما هو عن إيقاعِ المكروهِ ، وصَفحُ السَّحابِ إنما هو عن إسبالِ المَطرِ ، وهذا تشبيهُ الشَّىء بِضِدّهِ ، فإنْ قيلَ : فإنَّ الغيثَ قد يَضُرُّ ضرراً عظيما ، إذا جاءَ فى غير حِينهِ ، وقد يكونُ معه الصَّواعِقُ والغَرَقُ وذهابُ النُّفوسِ ، قيلَ : الأشياءُ إنما تُحْمَلُ على الأعَمِّ الأغلبِ الأكثرِ ، دونَ الأخصِّ الأقلِّ ، الذى إنما يقعُ فى الفَرْطِ .

والغيثُ إذا أتىٰ فإنّهُ حياةُ الأرضِ على كلٍّ ، وفى أكثرِ الأمر ، وإن ضرَّ ، فإنَّ ضررَه لا يبينُ فى عِظَمِ منفعتِه والمصلحةِ بمكانِهِ ، وخاصّةً مواطنَ العرب ، ومحاضِرَهم ومباديها ، التى عليهِ فيها يُعَوِّلونَ ، وبه يحيونَ ، وبه يُخْصِبونَ ، فإساءةُ البحتريِّ عندى فى هذا ظاهرةٌ ، ألا ترى أنهُ لو كان فى وصفِ الحرمانِ فقال :

مَلِكٌ رأيتُ البشر منه مُبَشِّراً بنوالِ كَفٍّ تستهلُّ وتَمْطُلُ
فأبىٰ كما امتنَع السَّحابُ ورعدهُ قَصِفٌ وبارِقُهُ حريقٌ يُشْعَلُ

لكانت هذه الألفاظُ من أليقِ شيءٍ بهذا المعنى ، وأصحُّها فيهِ ؟

---

(١) هو الكميت بن زيد ، كوفى شاعر مقدم عالم بلغات العرب وأيامها ، مذهبه فى التشيع ، وله فى أهل البيت مدائح مشهورة هى أجود شعره ، لم يحتج الأصمعى بشعره لأنه مولّد وسكن الكوفة وتعلم النحو ، وكان أصم ولد سنة ٦٠ وتوفى سنة ١٢٦ فى خلافة مروان بن محمد « المؤتلف والمختلف ص ٢٥٧ ، الموشح ص ٣١٢ ، الشعر والشعراء ص ٥٨١ » .

(٢) ديوانه ٢٢٥ .

وقالَ فى المعتزِّ (١):

إذا اسْتَعْرضْتَهُ بَخِفِىٍّ لَحْظٍ ... رَضيتَ مَهزَّةَ السَّيفِ الحُسَامِ
غفورٌ بعدَ مقدرةٍ إذا ما ... تَرجَّحَ بين عفوٍ وانتقامِ

وقالَ مروانُ الأصغرُ فى المتوكِّل (٢):

مَلِكٌ يَسبِقُ العقوبةَ بالعفـ ... ـو ويعطى الجزيل قبل السُّؤالِ

وقال مروانُ الأكبرُ (٣):

للهِ يغضبُ رغبةً ومخافةً ... وله يكونُ إذا رضيتَ رضاكا (٤)
يَضحىٰ عدوُّكَ خائفاً فإذا رأى ... أنْ قد قدرتَ على العِقابِ رجَاكاَ

وقال البحترىُّ فى المُعتمِدِ (٥):

يَعْفُو بعفوِ اللهِ عَنْهُ تَحَرِّيًا ... والعفوُ خيرُ خلائقِ الأمْجادِ

وقال فى المتوكِّل لمّا عفا عن أهل حمص (٦):

/ أَرَيْتَهُمُ إذْ ذاكَ قُدرةَ قادرٍ ... وعفوَ مُحبٍّ للسَّلامةِ مُسْتَبْقِ ٢١ س

---

(١) ديوانه ٣ : ١٩٣١ .

(٢) مروان بن أبى الجنوب واسمه يحيى بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة . يكنى أبا السمط ويلقب غبار العسكر ببيت قاله ، حسنت حاله عند المتوكل وقلده اليمامة والبحرين وطريق مكة « معجم الشعراء ص ٣٢١ وطبقات ابن المعتز ص ٣٩١ وتاريخ بغداد ١٣ : ١٥٣ » ، ولم أقف على البيت .

(٣) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة شاعر مفلق ، مدح معن بن زائدة فى أيام المنصور ، ووفد على المهدى وولديه ومدحهم توفى سنة ١٨٢ . « طبقات الشعراء : ٢٤٦ ، الشعر والشعراء : ٧٦٣ » .

(٤) كذا فى س والأوجه أن يكون « تغضب » بالمثناة من فوق للمخاطب .

(٥) ديوانه ٢ : ٧٣٤ وفيه « لعفو الله عنك » .

(٦) ديوانه ٣ : ١٥٤٣ .

وَلَوْ شِئْتَ طاحُوا بالسُّيوفِ وبالقَنا ... وباللَّهْذَمِيَّـاتِ المُذَرَّبَـةِ الزُّرْقِ (١)
وإنَّ ولاءَ المُعْتَقينَ من الرَّدى ... يفوقُ ولاءَ المُعْتَقَينَ من الرِّقِ

وقالَ بشارُ فى المهدىّ (٢):

إذا ما أساءوا مرّةً عادَ حلمُهُ ... عليهم وإنْ عادوا له كان أَحْلَما

وهذا أيضًا جيد .

فهذا ماوجدتُه مما قالاهُ فى الخلفاءِ ، وقد أساءا فى هذا البابِ وأحسنا ، فأجعلُهُما متكافِئَيْنِ .

ومن قَوْلِهما فى الوُزراءِ والأمراءِ والكُتَّابِ وغيرِهم ، قالَ البحترىُّ فى الحسن بن مَخْلَدٍ (٣):

عَفْوٌ بِهِ كُبِتَ العدوُّ ولَمْ أجِدْ ... كالعَفْوِ غِيظَ بهِ العدوُّ الحاسِدُ
حتَّى لَكَانَ الصَّفْحُ أثقلَ مَحْمَلاً ... مِمَّا تَخَوَّفَهُ المُسىءُ العَامِدُ

وهذا حسنٌ جداً ، ولكنّه أخذَه من قولِ أبى تمّامٍ يفخرُ بقومِهِ (٤):

إذا أَسرَوُا لم يأْسِرِ البَغْىُ عَفْوَهُـمْ ... وَلَمْ يُمْسِ عَانٍ فِيهِمُ وَهْوَ كَانِعُ (٥)
إذا أَطلقوا عنه جوامِعَ غُلِّهِ ... تَيقَّـن أنَّ المَنَّ أيضاً جَوامِـعُ

« كانع » محتاج خاضع .

(١) اللهذميات : القاطعة من السيوف والأسنة .

(٢) لم أجد البيت فى ديوانه .

(٣) فى س : « خالد » ديوانه ١ : ٦٠٣ ، وفيه : « عَفْوٌ كَبَتَّ به العدوَّ » .

(٤) ديوانه ٣ : ٦٣٥ وشرح التبريزى ٤ : ٥٨٩ ، وفيه « لم يأسر اليأس » .

(٥) سبق البيت فى ١ : ٣٤٣ ، وانظر تعليق الأستاذ السيد صقر على شرح الشيخ محيى الدين عبد الحميد لمعنى كلمة « جوامع » ، وانظر أيضا النظام لابن المستوفى جـ ٢ لوحة ١٥٠ .

وقالَ البحتريُّ في معناه[1] :

وثَنى العُداةَ إليهِ عَفْوٌ لو دَنَى ... لَثَنَتْهُمُ غَضبًا إليه سُيوفُـهُ[2]
نِعَمٌ إذا ابْتَلَّ الحسودُ بِسَيْبِهَا ... أَحْيَتْهُ بالإِفْضَالِ وهىَ حُتُوفُهُ

ومثلُه قولُ البحتريِّ في أبى سعيد[3] :

أسَالَ لكمْ عَفْوًا رأيتُمْ ذُنُوبَكُمْ ... غُثَاءً عليهِ وهْو مِلْءُ المَذَانبِ
وفى عَفْوِه – لو تَعْلَمونَ – عُقُوبَةٌ ... تُقَعْقِعُ فى الأَعْنَاقِ إنْ لَمْ يُعَاقِبِ[4]

قوله : « أسالَ لكم عفوًا » إلى آخرِ البيت ، استعارةٌ وتجنيسٌ فى غايةِ الحُسْنِ والصّحةِ والحلاوةِ ، وهذا كلُّهُ من قولِ الشاعرِ[5] :

و لَلْكَفُّ عن شتمِ اللَّئيمِ تَكَرُّمًا ... أَضَرُّ لَهُ من شَتْمِهِ حينَ يُشْتَـمُ[6]

وقالَ أبو تمّامٍ فى مالك بن طَوْق[7] :

لم يَأْلُكُمْ مالِكٌ صَفْحاً ومَغْفِرةً ... لو كانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الحىِّ فى فَحَمِ[8]
أخْرَجْتُمُوهُ بِكُرْهٍ من سَجِيَّتِهِ ... والنَّارُ قدْ تُنْتَضَى من نَاضرِ السَّلَمِ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٤٢١ .

(٢) س : غُضْباً ، ولا تصح .

(٣) ديوانه ١ : ١٨٢ .

(٤) ديوانه : « فى الأعراض » وقد سبق البيت فى ١ : ٣٤٣ .

(٥) البيت للمؤمل بن أميل المحاربى كما فى حماسة أبى تمام ، وهو شاعر كوفى من مخضرمى شعراء الدولتين ، كانت شهرته فى العباسية أكثر ، لأنه كان من الجند المرتزقة وانقطع إلى المهدى فى حياة أبيه المنصور ، كف بصره ببيت قاله كما يروى ، وكان شاعرا مُجيدا ، توفى سنة ١٩٠ « الأغانى ١٩ : ١٤٧ ، معجم الأدباء ١٩ : ٢٠٠ » .

(٦) فى س : « والكفّ » والتصحيح من الحماسة ٣ : ١١٤٤ .

(٧) ديوانه ٢ : ٣٥٠ وشرح التبريزى ٣ : ١٨٩ .

(٨) فى س : « لم يألكم مالكم » والتصحيح من الديوان وشرح التبريزى .

هذا ما لِحُسْنِهِ وجَوْدَتِه وصِحَّتِهِ نِهَايَةٌ ، وهوَ من مشهورِ إحسانِهِ ، لأَنَّهُ «؟»[1] بينَ الشجر شديد ولا يقدح منه نارٌ ، ويُقال : لا نارَ فيه ، وكأَنَّ هذا البيتَ ليسَ من البابِ .

وقالَ فى عبد اللهِ بن طاهرٍ[2] :

ليَالِىَ لَمْ يَقْعُدْ لِسَيْفِكَ أَنْ يُرَىٰ    هُوَ المَوْتُ إِلَّا أَنَّ عَفْوكَ غَالِبُهْ

/ وقالَ أبو تمّامٍ أيْضًا فى ابن أبى دُؤاد يَصِفُ رجالَ قَوْمِهِ[3] : ٢٢ س

إذا سَيْفُهُ أَضحىٰ علىٰ الهَامِ حَاكماً    غدَا العفوُ منه وهْوَ فى السيفِ حَاكِمُ

وقالَ البحتريُّ فى علىّ بن مُرٍّ[4] :

نَهَيْتُ حُسَّادَهُ عنهُ ، وقُلتُ لَهُمْ    السَّيْلُ باللَّيْلِ لا يُبْقِى ولا يَذَرُ
كُفُّوا ، وإلاّ كَفَفْتُمْ مُضْمِرِى أَسَفٍ    إذا تَنَمَّرَ فى إقْدَامِهِ النَّمِرُ
واللُّؤْمُ أَنْ تَدْخُلُوا فى حَدِّ سَخْطَتِهِ    عِلْمًا بأنْ سَوْفَ يَعْفُوُ حِينَ يَقْتَدِرُ

وهذا من إحسانِ أبى عبادة المشهور .

وقالَ فى مُحمدِ بن عبد اللهِ بنِ طَاهرٍ :

[ ولم يُرَ يوماً قادِراً غَيْرَ صافحٍ    ولا صافحاً عن زَلَّةٍ وهوَ قَادِرُ ][5]

---

(١) الكلام غير متصل هنا ، والوصف بعد ذلك « للسّلم » . وإلى أن أعثرَ على نسخة تجبر هذا النقص أحسب أن أقرب عبارة إلى المعنى هى : « لأنه قال إنكم أخرجتموه من سجيته وهى صلة الرحم كرها كما تقدح النار من السّلم ، والسلم من بين الشجر ... الخ » .

(٢) ديوانه ١ : ٢٩٦ وشرح التبريزى ١ : ٢٣٢ ، وفيهما « بسيفك » .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٨٩ وشرح التبريزى ٣ : ١٨١ وسبق فى ١ : ١٢٩ .

(٤) ديوانه ١ : ٩٥٧ .

(٥) سقط هذا البيت من س ، وقد استخرجته مما قال فى محمد بن عبد الله بن طاهر ، انظر ديوانه ٢ : ٩٦٣ .

وهذا تقسيمٌ حَسنٌ لَطيفٌ ، منه قولُ ابنِ هَرْمَةَ[(١)] :

وليسَ بِمُعْطِى العَفْوِ من غَيرِ قُدْرَةٍ ويَعْفُو إذا ما أمكَنَتْهُ المَقاتِلُ

وأجودُ من هذا قولُ زُهَيْرٍ[(٢)] :

وَذِى خَطَلٍ فى القَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصيبٌ ، فما يُلْمِمْ بِهِ فَهْوَ قَائِلُهْ
عَبَأْتُ لَهُ حِلْمى وأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ وأعرضتُ عَنهُ وَهْوَ بَادٍ مَقاتِلُهْ

وقالَ البحتريُّ[(٣)] :

لَا يَكْفَهِرُّ إذا انحازَ الوَقَارُ بِهِ ولا تَطِيشُ نَوَاحِيهِ إذَا مَزَحَا
خَفَّتْ إلى السُّؤْدُدِ المَجْفُوِّ نَهْضَتُهُ ولو يُوازِنُ « رَضوىٰ » حِلْمُهُ رَجَحَا[(٤)]

وقالَ فى عبد اللهِ بن يَحْيىٰ بنِ خَاقانَ[(٥)] :

مقَاماتُ حِلْمٍ ما يُوازَنُ قَدْرُها وساعاتُ جُودٍ ما يُطَاعُ عَذُولُها

وقالَ فى الحسنِ بنِ وَهْبٍ[(٦)] :

وإذا احتبىٰ فى عُقْدةٍ من حِلْمِهِ يوماً رأيتَ « مُتَالِعاً » فى هَضْبِهِ

وهذا كلُّهُ جَيِّدٌ .

---

(١) ديوانه ١٦٤ .

(٢) ديوانه ١١١ .

(٣) ديوانه ١ : ٤٤١ .

(٤) سبق البيت فى ١ : ١٤٧ وفيه : « السُّودَد » بفتح الدال ، ورواية الديوان الضم وهى لغة طيىء .

(٥) ديوانه ٣ : ١٧٧٣ وفيه « قال يمدح الحسين بن محمد الطائى ، وروى فى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر » ، وقد سبق أن أورد الآمدى فى ص ١١ من هذا الجزء ثلاثة أبيات من القصيدة نَفْسها ، وقال : « وقال فى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين قدم بغداد » وفى ديوانه : « موازين حلم » .

(٦) ديوانه ١ : ١٦٥ ، و « متالع » : جبل بناحية البحرين بين السُّؤْدَةِ والإحساء ، وفى سفحه عين يسيل ماؤها يقال لها « عين متالع » .

وقالَ فى ابْنِ بسطامٍ[(١)]:

لَهُ نَبْعةٌ فى العِزِّ طالَتْ فُرُوعُها وطابَ ثَراها ، واطْمأنَّتْ أُصُولُها

فَلو وُزِنَتْ أركانُ رَضوىٰ ويَذْبُلٍ[(٢)] وقُدْسٍ بها فى الحِلْم خَفَّ ثَقيلُهَا

وقال[(٣)]:

وسَواءٌ مَقَاوِمُ الحِلْمِ مِنْهُ ورِعَانُ « الرَّيانِ » أرْسَتْ هِضَابُهْ

لَوْ كَان قولُ أبى تمَّامٍ :

« اخْرَجْتُمُوهُ بِكُرْهٍ من سَجِيَّتِهِ »

من هذا البابِ ، لَفَضَّلْتُهُ علىٰ البُحترىّ ، ولكنى أجعَلُهُما متكافِئَيْنِ ؛ لأنَّ قولَ أبى تمام :

« تَيقَّن أنّ المنَّ أَيْضًا جَوامِعُ »

ليس من اختراعاتِهِ كما ذَكَرْتُ[(٤)].

* * *

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٧٧ .

(٢) سبق فى ١ : ١٤٧ ، وفى ديوانه « ... وقدس به فى الحلم » ، ورضوى ويذبل وقدس أسماء جبال ، الأول : جبل بالمدينة ، والثانى فى نجد ، والثالث فى تهامة .

(٣) ديوانه ١ : ١١٥ ، و « الريان » : جبل بين بلاد طيىء وبنى أسد « معجم ما استعجم ٢ : ٦٩٠ » .

(٤) لم أجد ما ذكره الآمدى .

## كرمُ الأخلاقِ ولينُها[1]

ومن ذلكَ قولُ أبى تَمَّامٍ فى أبى سعيد[2]:

لقد آسفَ الأعداءَ مَجدُ ابنِ يوسُفٍ ... وَذُو النَّقْصِ فى الدُّنْيَا بِذِى الفضْلِ مُولَعُ
أَخذْتُ بحَبْلٍ مِنْهُ لَمَّا لَوَيْتُهُ ... عَلى مِرَرِ الأَيَّامِ ظَلَّتْ تَقَطَّعُ
/ هُوَ السَّيْلُ إنْ واجَهْتَهُ انْقَدْتَ طَوْعَهُ[3] ... وتقتادُه مِنْ جَانِبَيْهِ فيَتْبَعُ ٢٣ س

ومثلُهُ قولُ البحتريِّ فى الفَتْحِ بن خَاقانَ[4]:

حَرونٌ إذا عازَزْتَهُ فى مُلِمَّةٍ ... فإنْ جِئْتَهُ من جَانِبِ الذُّلِّ أَصْحَبَا

وهذا من المعانى المُشْتَركة ، وليسَ من المَخْصُوصَةِ التى لا يقَعُ فيها اتِّفاقٌ .

وقد أحسنَ أَبو تَمَّامٍ كُلَّ الإحْسانِ فى قَوْلِهِ فِى الأَفْشين[5]:

لَانَتْ مَهَزَّتُهُ فَعَزَّ ، وإنَّما ... يَشْتَدُّ بَأْسُ الرُّمحِ حينَ يَلِينُ
وترى الكريمَ يَعِزُّ حِينَ يهونُ ... وترىَ اللَّئِيمَ يهونُ حينَ يَهُونُ

---

(١) انظر ٢ : ٣٣١ .
(٢) ديوانه ٢ : ١٠ والتبريزى : ٢ : ٣٢٥ .
(٣) فى س : « إن واجهت » والتصحيح من الديوان وشرح التبريزى .
(٤) ديوانه ١ : ١٩٨ .
(٥) ديوانه ٣ : ٣٢ وشرح التبريزى : ٣ : ٣١٧ .

وقالَ فى أبى سعيدٍ (١) :

قَطَبَ الخُشَونةَ واللِّيانَ بِنَفْسِهِ  فغدا جَليلاً فى القُلوبِ لَطِيفَا

وقد أحسَن أبو الشيص فى قَوْلِهِ (٢) :

كريمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيائِهِ  ويَدْنُو وأَطْرافُ الرِّماحِ دَوانِ
وكالسَّيْفِ إنْ لايَنْتَهُ لانَ مسُّهُ  وحَدَّاهُ – إن خَاشَنْتَهُ – خَشِنَانِ

وقال آخَرُ (٣) :

إذَا قِيلَتِ العَوْراءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ  ذَليلٌ بلا ذُلٍّ ولَوْ شَاءَ لَانْتَصَرْ

وقالَ أبو تمّامٍ أيضا فى عُمَر بن طَوْقٍ (٤) :

الجِدُّ شِيَمتُهُ وفيهِ فَكاهةٌ  سُجُحٌ ولا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ
شَرِسٌ ويُتْبِعُ ذاكَ لِينُ خَلِيقَةٍ  لا خَيرَ فى الصَّهْباءِ ما لَمْ تُقْطَبِ (٥)

وهذا معنىً فى غايةِ الحُسْنِ ، وتمثيلٌ فى غايةِ الصِّحَّةِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٧٥ وفيه « باللبان معاقبا » ، وشرح التبريزى : ٣ : ٣٨١ .

(٢) أبو الشيص هو : محمد بن عبد الله بن رزين الشاعر المشهور وهو ابن عم دعبل الخزاعى ، انقطع إلى عُقبة بن جعفر الخزاعى ، وكان أميرًا على الرَّقَةِ ، فمدحه بأكثر شعره ، توفى سنة ١٩٦ وقد كفَّ بصرُه « فوات الوفيات ٢ : ٤٤٨ والبداية والنهاية ١٠ : ٢٣٨ والأغانى ١٥ : ١٠٤ » والبيتان فى ديوانه : ٦٧ .

(٣) البيت لأسيد بن عنقاء الفزارى يمدح ابن عمه عميلة الفزارى الذى قاسمه ماله وجبره من فقره ، « انظر القصة مع الأبيات فى شرح حماسة أبى تمّام ص ١٥٨٦ ، والأمالى ١ : ٢٣٧ واللسان مادة سوم – عور » ، وفى معجم الشعراء ص ١٩٩ « ابن عنقاء الفزارى وهى أمه واسمه : قيس بن بجرة وقيل عبد قيس » .

(٤) فى س « عمرو » ، والتصحيح من الديوان ، وهو عمر بن مالك بن طوق التغلبى ، وإليهم تنسب رحبة مالك بن طوق وابناءُ مالك بن طوق : طوق ، وأحمد « جمهرة الأنساب ص ٣٠٤ » ، والبيتان فى ديوانه : ١ : ٢١٨ ، وشرح التبريزى ١ : ١٠٢ .

(٥) فى س : « إذا لم تقطب » ولا يستقيم بها الوزن .

وقال أبو تمّامٍ فى أبى دُلَفٍ[1] :

جَمٌّ التَّواضُعِ والدُّنْيَا بِسُؤْدَدِهِ     تَكادُ تَهْتَزُّ مِنْ أَطْرافِهَا صَلَفَا

جَعَلَ « الصَّلَف » ها هنا بمعنىٰ : التِّيهِ ، وهذا مَذهبُ العَوامِّ ، وقد غَرِىَ به الشعراءُ المُحَدثُونَ ، فأمَّا العربُ فإنَّ « الصَّلَف » فى كلامِهَا : « البُغْضُ » من الرَّجلِ والمَرْأَةِ ، يُقالُ : قد صَلِفَت المَرأةُ عِندَ زَوْجِها ، إذا لَمْ يُحْبِبْها ، وصَلِفَتْ هِىَ ، إذا لَمْ تُحْبِبْهُ[2] ، فَهوَ صَلِفٌ ، وهِىَ صَلِفَةٌ ، كما قالَ جَرِيرٌ[3] :

إنِّى أُواصِلُ من أَردتُ وِصَالَهُ     بِحِبَالِ لَاصَلِفٍ ولَا لَوَّامِ

وقالَ البُحْتُرِىُّ فى التَّواضُعِ ، يخاطِبُ ابن المُدَبِّرِ[4] :

دَنَوْتَ تواضُعاً وعلوتَ قَدْراً     فشأْنَاكَ : انْحِدارٌ وارْتِفَاعُ

كذاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أنْ تُسامىٰ     ويدنُو الضَّوءُ مِنها والشُّعَاعُ

وهذا لا شىءَ يفوقُهُ حسناً وصحةً ومُبالغةً ، وهو بتَواضُعِ الخُلفاءِ أَشبَهُ منهُ بتواضُعِ مَنْ سِوَاهُمْ ، وأَظُنُّه أخذَ المعنىٰ من قولِ بَشَّارٍ[5] :

أَوْ كَبَدْرِ السَّماءِ غيرَ قَرِيبٍ     حينَ يُوفِى والضَّوءُ فيهِ اقْتِرَابُ

/ وبَيتُ البحترىِّ أَجودُ . ٢٤ س

وقالَ فى حُسْنِ الأَخْلاقِ[6] :

صَفَتْ ، مِثْلَما تَصفُو المُدامُ ، خِلالُهُ     ورَقَّتْ ، كما رَقَّ النَّسيمُ ، شَمائِلُهْ

---

(١) ديوانه ٢ : ٥٣ وفيه « من أعطافه صلفا » ، وشرح التبريزى : ٢ : ٣٦٤ .
(٢) انظر شرح التبريزى ، والنظام لابن المستوفى حـ ٢ لوحة ١٧٠ .
(٣) ديوانه ٩٩٩ .
(٤) ديوانه ٢ : ١٢٤٧ ، وقد سبقا فى ٢ : ٣٥٠ .
(٥) ديوانه ١ : ٣٤٩ ، وفيه « حين أوفى » .
(٦) ديوانه ٣ : ١٦١٠ وقد سبق فى ٢ : ٣٧٠ .

وقالَ فى أبى سَعيد[(١)]:

واستَمْطَرُوا فى المَحْلِ منكَ خَلائِقاً ... أَصْفَى وأَعذبَ من زُلالِ المَاءِ

وقال البحتريُّ فى أبى نَهْشَل بن حُمَيْد[(٢)]:

إلى « أبى نَهْشَـلٍ » ظَلَّتْ رَكائِبُنا ... يَخِدْنَ[(٣)] من بَلَدٍ نَاءٍ إلىٰ بَلَدِ

إلى فتىً مُشرِقِ الأخلاقِ لو سُبكَتْ ... أخلاقُهُ من شُعاعِ الشَّمْسِ لَمْ تَزِدِ

وقالَ أبو تمّامٍ فى الحَسَنِ بن وَهْبٍ[(٤)]:

ضَمَّ الفَتَاءَ إلى الفُتُوَّةِ بُرْدُهُ ... وسَقَاهُ وَسْمِىُّ الشَّبابِ الصَّيِّبُ

وصَفَا كما اعْتَدَلَ الشَّبابُ[(٥)] وإنَّهُ ... فى ذَاكَ من صِبْغِ الحياءِ لَمُشْرَبُ

تَلْقىٰ السُّعودَ بِوَجْهِهِ وتُحِبُّهُ[(٦)] ... وعليكَ مَسْحَةُ بُغْضَةٍ فَتحبَّبُ

وقالَ البحتريُّ فى مُحمدِ بن يحيىٰ[(٧)]:

كلُّ يومٍ تَسُنُّ مجداً جَديداً ... بِفَعَالٍ فى المَكْرُماتِ بَديعِ

أَدَبٌ لم تُصِبْهُ ظُلْمَةُ جَهْلٍ ... فَهْوَ كالشَّمْسِ عندَ وقتِ الطُّلُوعِ

---

(١) ديوانه ١ : ٨ .

(٢) فى س : « فى نهشل بن حميد » ، وأبو نهشل هو محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسى الطائى ، ديوان البحترى ١ : ٥٧٤ ، والبيتان قد سبقا فى ٢ : ٣٠٦ .

(٣) ديوانه « يخدين » ، « يَخدن » من الوخد ، وهذه من « الخدى » ، لغتان فى سعة الخطو فى المشى .

(٤) ديوانه ١ : ٢٣٢ وشرح التبريزى ١ : ١٣٢ .

(٥) ديوانه : « وصفا كما يصفو الشباب » . وشرح التبريزى « وصفا كما يصفو الشهاب » .

(٦) ديوانه : « تلقى السعود بوجهه وتحيئه » .

(٧) ديوانه ٢ : ١٢٨١ ، والممدوح هو محمد بن يحيى الواثقى ، ذكره الطبرى فى أحداث سنة ٢٥٢ عند وقوع الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن طاهر ، وقال : إنه من قواد بغداد ، وفى أحداث سنة ٢٥٦ عند الحديث عن خلع المهتدى ثم موته ذكر أنه من قواد خراسان « الطبرى ٩ : ٣٥٧ ، ٤٦٤ » .

ورِجَالٌ جَارَوْا خَلائِقَكَ الغُرَّ (م) ولَيستْ يَلامِقٌ من دُروع
ولَيَالى الخَرِيفِ خُضرٌ ، ولكِنْ رَغَّبَتْنَا عَنْها لَيالى الرَّبيع

وإنَّ كُلَّ هذا جَيِّدٌ إلاَّ قَولَهُ :

« ولَيستْ يَلامِقٌ من دُروع »

فإنَّهُ تَمثيلُ مَنْ قَلَّتْ حيلَتُهُ.(١)

وقالَ فى إبراهيمَ بنِ الحَسَنِ بنَ سَهْلٍ(٢):

خُلُقٌ أَتيتَ بفَضلِهِ وسَنائِهِ طَبْعاً فجاءَ كأنَّهُ مَصنُوعُ
وحديثُ مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطَ حُسنُهُ حَتى ظَنَنَّا أَنَّـه مَوْضُوعُ

وقَالَ أبو تَمّامٍ فى أَبى الحُسَيْنِ مُحمدِ بنِ الهَيْثَمِ(٣) :

فلا يُغْببْ مَحَلَّكَ كلَّ يومٍ من الأيَّامِ أَلْطَافُ السَّحابِ
فَثَمَّ الجودُ مشدودُ الأَواخى وثَمَّ المَجدُ مَضروبُ القِبابِ
وأَخلاقٌ كأَنَّ المِسْكَ فِيها بِصَفْوِ الرَّاحِ ، بالنُّطَفِ العِذابِ(٤)

وقال فى الحَسنِ بن وَهْبٍ(٥) :

لَمَكاسِرُ الحَسنِ بن وَهْبٍ أَطْيَبُ وأَمرُّ فى حَنَكِ الحَسودِ وأَعْذَبُ
ولَهُ إذا خَلُقَ التَّخَلُّقُ أَو نَبَا خُلُقٌ كَرَوْضِ الحَزْنِ أَوْهُوَ(٦) أَطْيَبُ

---

(١) سيأتى البيت فى باب الجود ص ٢٦٠ ، وقد أوضح الآمدى هناك وجه اعتراضه على هذه الصورة .
(٢) ديوانه ٢ : ١٣١٦ .
(٣) ديوانه ١ : ٣٣٠ والتبريزى : ١ : ٢٨٢ ، وفيهما « وقال يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة من أهل مرو ، ويهجو أبا صالح بن يزداد ويعرض به » ، وفيهما : « من الأنواء » .
(٤) ديوانه : « وصفو الراح بالنطف العذاب » ، وشرح التبريزى « بصفو الراح والنطف العذاب » .
(٥) ديوانه ١ : ٢٣٢ وشرح التبريزى : ١ : ١٣٢ .
(٦) فى س : « الحسن » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى وستأتى فى تعليق الآمدى على الأبيات .

ضَرَبَتْ بِهِ أُفُقَ الثَّناءِ ضَرائبٌ كالمِسْكِ يُفْتَقُ بالنَّدىٰ ويُطَيَّبُ
يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُها أَرَجًا وتُوكَلُ بالضَّمِيرِ وتُشْرَبُ

٢٥ س ويُقَالُ : فلانٌ طَيِّبُ المَكْسِرِ ، وطَيِّبُ المَكاسِرِ ، إذا كَانَ كَرِيمَ الأَخْلاقِ / سَهْلَهَا .

ورياض الحَزْنِ ، إنَّما يُوصَفُ بالحُسْنُ ، ورياضُ الخفض والأَغْواطِ أَخْصَبُ.[1]
وقولُهُ :

« يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُها »

مَثَلٌ يؤَكِّدُ[2] به ذكاءَ طِيبِ أَخلاقِهِ ، وهى ضَرائِبُهُ وأَنَّ يَسيرَ الرُّوحِ ولَطِيفَهُ يَهيجُ نَسيمَ أَرَجِها .

وقال أبو تمّام فى الحسن بن وهب :[3]

واجِدٌ بالخَليلِ من بُرَحاءِ الشَّـ ـوقِ وُجدانَ غَيْرِهِ بالحَبيبِ
آمِنُ الجَيْبِ والضُّلوعِ إذا ما أَصْبَحَ الغِشُّ وهو دِرعُ القُلوبِ
لا كَمُصْفِيهِمُ إذا حضَرُوا الودَّ . ولَاحٍ قُضْبانَهـم بالمَغيبِ
يَتغَطَّى عَنهمْ ولكنّه تَنْـ ـصُلُ أخلاقُه نُصولَ المَشيبِ

وقال أبو تمّام فى مُحمد بن حَسَّانٍ الضَّبِّىِّ :[4]

بِمُحَمَّدٍ صارَ الزَّمانُ مُحمدًا عِنْدى وأَعْتَبَ بعد سُوءِ فَعَالِهِ

---

(١) نقل ابن المستوفى كلام الآمدى ثم قال : « وإنما أراد أبو تمام أن روض الحزن حسن زاه ، وإذا كان كذلك فهو أيضا خصيب » « النظام لابن المستوفى جـ ١ لوحة ٧١ » .
(٢) انظر الموضع السابق فى النظام .
(٣) ديوانه ١ : ٢٢٩ ، وشرح التبريزى : ١ : ١٢٣ .
(٤) ديوانه ٢ : ٢٤٢ ، وشرح التبريزى : ٣ : ٣١ ، ومحمد بن حسان الضبى أبو عبد الله النحوى ، أدب أولاد المأمون ، وولاه مظالم الجزيرة وقِنَّسْرين والعواصم والثغور سنة ٢١٥ ، ثم زاده بعد ذلك ، مظالم الموصل وأرمينية ، وولاه المعتصم مظالم الرقة سنة ٢٢٤ ، وأقره الواثق عليها ، وقد مدحه أبو تمام بعدة قصائد . « بغية الوعاة ٧٥/١ ومعجم الأدباء ١١٩/١٨ » .
قلت : وتحديد السيوطى لولاية ابن حسان على الرقة سنة ٢٢٤ قد لا يتفق مع ما أراد د. نجيب البهبيتى من تأريخ بعض جوانب حياة أبى تمام ، انظر « أبو تمام حياته وحياة شعره ص ٩٥ » .

بِمُرَوَّقِ الأَخْلاقِ لو عَاشَرْتَهُ ... لَرأيتَ وجهَكَ فى جميعِ خِصَالِهِ (١)
أَبَدًا يُفيدُ خلائِقًا من ظُرْفِهِ ... ورَغَائِبًا من جُودِهِ ونَوالِهِ (٢)

وقال البحتريُّ فى أبى أيوبَ بن أختِ أبى الوَزيرِ : (٣)

سرٌّ وإعلانٌ تُسَوِّى منهما ... نَفسٌ تُضىءُ وهِمَّةٌ تَتَوقَّدُ
فكأَنَّ مجلِسَهُ المُحجَّبَ مَحْفِلٌ ... وكأَنَّ خَلوتَهُ الخَفِيَّةَ مَشْهَدُ (٤)
وتواضُعٌ لولا التَّكرُّمُ عاقَهُ ... عنهُ علوٌّ لم يَنلْهُ الفرقَدُ
وشبيبةٌ فيها النُّهىٰ فإذا بَدتْ ... لذوى التَّوسُّمِ فهى شَيْبٌ أسودُ (٥)

قولُه :

« فكأَنَّ مَجلسهُ المحجّبَ مَحْفِلٌ ... »

مثلُ قولِ ابنِ مُطَيرٍ : (٦)

يَعِفُّ ويستحيى إذا كانَ خَالياً ... كما كَانَ لو أضحىٰ عليهِ رَقيبُ

وهذا معنًى متداولٌ .

وقال : (٧)

صافِ أمثالَ أحمدَ بنِ علىٍّ ... تَعترِفْ فَضْلَهُ علىٰ مَنْ تُصافِى
أَرْيَحِىٌّ إمّا يُوافِقُ من تَهْـ ... ـوىٰ وإمّا يكفيكَ حَرْبَ الخِلافِ (٨)

---

(١) ديوانه وشرح التبريزى : « نجحك » .
(٢) شرح التبريزى : « غرائبا من ظرفه » وهى أشبه بمذهب أبى تمّام .
(٣) ديوانه ١ : ٦٢٩ .
(٤) ديوانه « مجلسه المحجب » ، وقد سبق فى ١ : ٣٩٣ برواية الديوان .
(٥) فى س : « فيها النوى » تحريف .
(٦) هو الحسين بن مطير انظر ترجمته : ص ٢٠٩ . والبيت فى الأغانى ١٤ : ١١٢ من قصيدة يمدح بها المهدى ، وروى الشطر الثانى هناكُ « كما عف واستحيا بحيث رقيب » .
(٧) ديوانه ٣ : ١٣٨٣ ، يمدح أحمد بن علىّ الإسكافى ، ولم أجد له ترجمة وافية إلا أنه من بنى عبد الأعلى ، والإسكافى نسبة إلى إسكاف بنى الجنيد بين بغداد وواسط ، « انظر معجم البلدان ١ : ١٨١ » .
(٨) ديوانه : « أما يوافق ما تهوى » .

وفى نحو هذا يقول فى أبى العبّاس عبد الله بن المعتز بالله وفى مدح المعتزّ[(١)] :

ورأيتُ « عبدَ اللهِ » فى السّنّ التى تَعِدُ الكبير بدهرِهِ المُتطاولِ
قمَرٌ تُؤمِّلُهُ « الموالى » لِلتّى يقضى بها المأمولُ حقَّ الآمِلِ[(٢)]
يرجونَ فيهِ نجابةً شهِدتْ بها فيه عدولُ شواهِدٍ ودلائلِ
ومذاهِبٌ فى المكرُماتِ بمثلها يَتبيَّنُ المفضولُ سبقَ الفاضِلِ
حَدَثٌ يوقِّرُهُ الحجىٰ ، فكأنما أخذ الوقارَ[(٣)] من المشيبِ الشَّامِلِ

وقال فى المعتزّ[(٤)] :

ضَرْبٌ كنصلِ السّيفِ أُرْهِفَ حَدُّهُ وأضاءَ لامعُ مائِــه المُترقْــرِقِ
٢٦ س / ومهذَّبُ الأخلاقِ يَعْطِفُهُ النَّدىٰ عَطفَ الجَنوبِ من القَضيبِ المُورقِ
طَلْقٌ فإن أبدى العبوسَ تطأطأتْ شُوسُ الرِّجالِ وخُفِّضَتْ فى المَنْطِقِ

وقال فى الفتح[(٥)]:

غرائِبُ أخلاقٍ هى الروضُ جادَهُ مُلِثُّ العَزالى ذو رَبابٍ وَهيْدَبِ
فكم عجَّبَتْ من ناظرٍ مُتأمِّلٍ وكم خبَّرتْ[(٦)] من سامعٍ مُتعجِّبِ
وقد زادَها إفراطَ حُسنِ جِوارُها خلائقَ[(٧)] أصفارٍ من المَجْدِ خُيَّبِ
وحُسْنُ دَرَارِيِّ الكواكِبِ أن تُرىٰ طوالِعَ فى داجٍ من اللَّيْلِ غَيْهَبِ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٦٤٦ ، وفيه : « تعد الكثير بدهرها » .
(٢) فى س : سقط الشطر الثانى لهذا البيت وتكرر شطر البيت الأول مكانه .
(٣) فى س « الوقارُ » بالرفع ، والتصحيح من ديوانه .
(٤) ديوانه ٣ : ١٤٧٧ .
(٥) ديوانه ١ : ١٩٢ .
(٦) ديوانه : « وكم حيّرت » .
(٧) ديوانه : « لأخلاق » ، وقد سبق البيت فى ١ : ٣٣٦ .

وهذا حسَنٌ جدا .

وقال :[1]

رضيتُ منكَ بأخلاق قد امْتَزَجَتْ ... بالمَكرُماتِ امتزاجَ الرُّوح بِالبَدنِ
وزدتَنى رغبةً فى عَقْدِ وُدِّكِ إذْ ... شَفَعْتَ ذاكَ النَّدىٰ بالفَهْمِ والفِطَنِ
من يُصْبِهِ سَكَنٌ ممَّنْ يُحِبُّ ومَنْ ... يهوىٰ فمالَكَ غَيرُ المَجْدِ من سَكَنِ

هذا بابٌ فضلُ أبى تمّام فيه على البحترىّ ظاهر ومعلوم .

* * *

(١) ديوانه ٣ : ١٦٢٥ .

# بابُ

## ما ينبغي أن يُمدح فيه الخلفاءُ من الجودِ والكرمِ

وقد أفردت لذلك كتابا مفردا يتلو هذا الكتاب ، ولكن لما كان هذا الكتاب قد اشتمل على أكثر أنواع مدائح الخلفاء ، وجب أن أذكر معها ما مدحاهم به من الجود والكرم ، ثمّ إنىّ أقدّم قبل ذلك مقدّمة فأقول :

إنّ هذه خَلَّةٌ من أدونِ الخِلَالِ التى يُمدح بها الخلفاء ، لأنّ من ملك الدّنيا لم يكُ منكرا منه العطاءُ والبذلُ ، إذ كانت رغبات النّاس جميعا إليه ، وكان إخراجُ المال واجبا عليه ، ثمّ إنّ الجود ، وإن كانت خَلَّةً شريفةً ، فليست كسائر الخِلالِ الشريفةِ التى قد تقدمت فى هذا الجزء ، لأنّ تلك لا تكون إلاّ فى الأعيانِ من النّاسِ ، والجودُ قد يشارك الخلفاءَ وعظماءَ الملوكِ فيه أدونُ النّاسِ طبقة ، حتى الحائكُ والحجّامُ .

فينبغى للشاعر أن يتأتى لمدح الخليفة بالجود ، بما يُخرجُه عن أن يكون [ له ][1] فيه مُشْبِهٌ أو نظيرٌ ، فإنّ قول أبى تمّام فى المعتصم:[2]

تعوَّدَ بسطَ الكفِّ حتى لَوَ آنّهُ      ثَناها لِقَبْضٍ لم تُطِعْهُ أنامِلُهْ

---

(١) لازمة للسياق .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٠٣ وشرح التبريزى ٣ : ٢٩ وفى س : « ثناها لجود » ولا يصح بها المعنى ، وفى التبريزى « لم تجبه » . وانظر ص ٧٤ .

وهو أبرع بيت له فى وصف الجود ، يصلُحُ أن يُمدَح به بعضُ السوقةِ ، إذا كان مُتَخرِّقا فى البذل ، مُسرفا فى إتلاف المال .

وسبيلُ مدح الخليفة أن يكون دالًّا على الخليفةِ بمعناهُ نحوَ قولِ البحتريِّ[(١)]:

إذا غِبتَ عن أرضٍ ويمَّمتَ غيرَها فقد غَاب عنها شَمسُها وهِلالُها
غدتْ بكَ آفاقُ البلادِ خَصيبَةً وهلْ تَمحلُ الدُّنيَا وأنتَ ثِمالُها ؟

٢٧ س / فجعله ثِمالَ الدنيا ، والثِّمالُ : الغياثُ .

وقوله فيه أيضا[(٢)]:

قد قلتُ للغيثِ الرُّكامِ – ولجَّ فى إبراقِه وألحَّ فى إرعادِه –:
لا تعرِضنَّ « لجَعفرٍ » مُتَشبِّهًا بنَدى يَديهِ ، فلستَ من أنْدادِه
اللهُ شرَّفهُ ، وأعلىٰ ذِكْرَه ورآه غيثَ عبادِهِ وبِلادِه

فجعَله غيثَ العبادِ والبلاد .

وقوله فى المعتزِّ[(٣)]:

ياجمالَ الدُّنيا سناءً ومجدا وثِمَالَ الدُّنيا عطاءً وبذلا

ثمّ جعل صدر هذا البيتِ عَجُزَه فى قصيدةٍ أُخرى[(٤)] فقال :

يا ثِمالَ الدُّنيا عطاءً وبذلا وجمالَ الدُّنيا سناءً ومجدَا

وهذا لا يقالُ إلاّ لخليفةِ .

وكذلك قولُه[(٥)]:

---

(١) ديوانه ٣ : ١٦٢٥ والبيتان فى مدح المتوكل .
(٢) أى فى المتوكل ، ديوانه ٢ : ٧٠٣ ، وفيه : « للغيم » وهى أصح للمعنى .
(٣) ديوانه ٣ : ١٦٥٢ .
(٤) ديوانه ٢ : ٧١٣ .
(٥) ديوانه ٢ : ٧١٢ .

أكرمُ النّاسِ شيمةً ، وأتَمُّ النـ ... ـاسِ خلْقاً ، وأكثرُ النّاسِ رِفْدَا
وحكى القطرَ ، بل أبرَّ على القَطْـ ... ـرِ بكَفٍّ على البريّةِ تَنْدىٰ

وقوله (١) :

بثثتَ فينا عطاءً زاد فى عِدِد الـ ... ـعليا ، ونَوَّه بِاسْمِ الجودِ تَنويها
مازالَ بحراً لِعافينا فكيفَ وقَدْ ... قابَلْتَنا ولكَ الدُّنيـا ومـا فِيها
أعطاكَها اللهُ عن حقٍّ رآكَ لهُ ... أهلاً وأنتَ بحقِّ اللهِ تُعْطِيها

وقولُه فى المعتزِّ (٣) :

وما حَسُنَتْ نواحي الأرضِ حَتّى ... ملكتَ السّهلَ مِنها والجِبَالا
بوجهٍ يملأُ الدُّنيـا ضيَـاءً ... وكفٍّ تملأُ الدّنُيـا نَوالا

وقالَ فى المتوكل (٤) :

يا بن عمِّ النبىّ لا زالَ للدّنْـ ... ـيَا ثِمالٌ من رَاحتيكَ غَزير
أىُّ مَحْلٍ عَرا فكَفُّكَ غيثٌ ... أو ظَلامٌ دجَا فَوجهُكَ نُورُ

وللهِ درُّ أبى مُعاذٍ إذ يقولُ (٥) :

إذا جلس المهدىُّ عمّتْ فضولُه ... علينا كما عمَّ الضّياءُ من البَدرِ

فهذا هو المدحُ الذى لا يليقُ إلّا بخليفة ، فإن مدَح مادحٌ بِمثلِ هذا غيرَ خليفة ، فما تركَ للخليفةِ شيْئاً .

---

(١) ديوانه ٤ : ١٤٢١ ، وفيه « ونوّهتَ » .
(٢) ديوانه : « مازالت » ، « ولك الدنيا بما فيها » .
(٣) ديوانه ٣ : ١٧٢٥ .
(٤) ديوانه ٢ : ٩٠١ .
(٥) ديوان بشار : ٣ : ٢٥٩ .

فأمّا قولُ أبى تمّامٍ فى المعتصم :(١)

مدىً العُفاةِ فلم تَحلُلْ بهِ قَدَمٌ … إلا تَرحَّل عنها العَثْرُ والزَّلَلُ

وقولُه فيه :(٢)

هو البحرُ من أىِّ النَّواحِى أتيتَهُ … فلُجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحِلُهْ
تعوَّد بسطَ الكفِّ حتى لَوَ انَّهُ … ثناها لِقَبْضٍ لم تُطِعْهُ أنامِلُهْ

٢٨ س فهى فى غايةِ الحُسن والصِّحَّةِ والحلاوة والبراعة ، وليس بمدح يخصّ / الخلفاء دون غيرهم ، ولا أقول إنّ ذلك عيب فى المدح ، ولكن ما يخصّ أجودُ وأليَق .

فأما قولُه فى المأمون :(٣)

من شَرَّدَ الإعدامَ عنْ أوطاننا … بالبَذلِ حتى استُطْرِفَ الإعدامُ
وتكفلَ الأيتامَ عن آبائِهم … حتى وَدِدْنَا أنَّنَا أيتَامُ

وقوله :(٤)

سَخِطَتْ لُهاهُ على جَدَاهُ سَخطَةً … فاسترفَدَتْ أقصى رضا المُسترفِدِ

وقوله :(٥)

لو يعلمُ العافونَ كم لكَ فى النَّدى … من لَذَّةٍ وقريحةٍ لم تُحمَدِ

---

(١) ديوانه ٢ : ١٨٠ وشرح التبريزى : ٣ : ١١ .
(٢) ديوانه ٢ : ٢٠٣ وشرح التبريزى : ٣ : ٢٩ ، وفى شرح التبريزى : « هو اليم » ، « لم تجبه » .
(٣) ديوانه ٢ : ٣٧٥ وشرح التبريزى : ٣ : ١٥٣ ، وفيهما « عَن أوطانه » .
(٤) ديوانه ١ : ٤٥٢ وفيه : « المترفّد » وشرح التبريزى ٢ : ٥١ ، وقال ابن المستوفى فى النظام جـ ١ لوحة ٣٣١ : « قال الآمدى : « اللهَى » جمع لهوة ، وأراد العطايا و « الجدَىٰ » هو الغنى والثروة ، أراد : سخطت عطاياه على غناه وثروته فاسترفدت : أى طلبت رضاه فكأنها استرفدته ، أى : جعلته رفدا ، وهذا من هوسه ، والمعنى بهذه الاستعارة صحيح » .
(٥) ديوانه ١ : ٤٥٤ وشرح التبريزى ٢ : ٥٢ .

فليس ذلك بجيّد ، ولا محمود من الوصف ، وقد ذكرت ما فيه في كتاب[1] « الجود والكرم » في مواضعه .

والبحتريُّ في هذا أشعرُ من أبي تمّام .

* * *

(١) انظر ص ١٢٢ وما بعدها .

## الشجاعة والبأس

فأمّا الشجاعة فليس ذلك من الخِلال التى تُعتَمد فى مدح الخلفاء ، إلّا أن يكون خليفةٌ قد عرف بها وشُهِرَ به[1]، وكانت له مواقفُ فيه ، لأنّ الملوك والعظماء تُرفَعُ أقدارُهم عن أن يجعل الشاعرُ غرضَه بالبأس[2] والجودِ ، فإن اعتمد ذلك شاعرٌ ، فسبيلُه أن يجعلَه فى تضاعيف الخِلال التى هى بالمُلْكِ أخصُّ ، ألا ترى إلى قول البحتريّ[3] فى أبى الحسن بن عبد الملك بن صالح الهاشميّ :

وكأنّك « العبّاسُ » نُبْل خَليقةٍ ... وعلوَّ هَمٍّ فى « بنى العبَّاسِ »

لو جلَّ خلقٌ قطُّ عن أُكرومةٍ ... تُثنىٰ جللتَ عن النَّدى والبَاسِ

وإنما قالَ هذا ، لأنَّ النّدىٰ والبأسَ موجودٌ فى ساسةِ دوابِّ عبيدِهم ، فَضْلاً عنهم .

فمن حُكْمِ الشَّاعرِ إن ذَكرَ البأسَ أن يَتأتّى لَهُ كما تأتّى البحترى فى الجود ، بما أبان به الخليفة من غيرِه .

---

(١) أى عرف بالشجاعة وشهر بالبأس .

(٢) كذا ، ولعله « ... غرضه المدح بالبأس والجود » .

(٣) ديوانه ٢ : ١١٣٦ .

وكاد أبو تَمّامٍ يظفرُ بهذا المعنىٰ فى مدح المعتصمِ لولا أنّه أفْسَدَهُ فقال :(١)

من البأسِ والمعروفِ والجودِ والتُّقَى عِيـالٌ عليـه رِزقُهـنَّ شمائِلُـهْ

فجعل البأس مَع هذه الحالِ عيالاً عليه ، وجعلَ شمائلَهُ – وهى أخلاقُهُ – رزقاً لها ، وهذه استعارةٌ فى غايةِ القُبْح والشناعةِ ، وإنما سَمِع قول جريرٍ فى يزيدَ بنِ معاويةَ :(٢)

الحزمُ والجودُ والإيمانُ قد نَزلُوا على يزيدَ أمينِ اللهِ فاحْتَلفُوا

فحذا حَذْوَهُ ، وما أظنُّ لجريرٍ بيتاً فى المَدحِ أرداً من هذا البَيتِ ، وهوَ خيرٌ من [ بيت ](٣) أبى تمام .

وإنّما أراد جرير أن يجعل ليزيد فى وصفه بالحزم والإيمان مَزِيَّةً على غيره من أجل الخلافة(٤) فكان المعنى جيدا واللفظ / رديئا(٥) لأنّه قال : « نَزلُوا واحتلفوا » ، وهذا فعل ما يعقل ، ولو كان استوى له أن يقول « نزلت واحتلفتْ » ، كان ذلك أليَق وأحسن ، ولكن لمَّا كان الاحتلافُ لا يكوُن إلّا لما يعقل ، حمل الفعلَ عليه.(٦) ٢٩ س

---

(١) ديوانه ٢ : ١٩٩ ، شرح التبريزى ٣ : ٢٥ ، وقد سبق فى ١ : ١٠٩ .

(٢) لم أجده فى ديوانه ، وهو فى الكامل للمبرد ٣ : ٥٥ فى مدح يزيد بن عبد الملك .

(٣) لازمة للسياق .

(٤) فى س : « من أجل الخليفة » وأثبتُ ما يتطلبه السياق .

(٥) فى س : « ردئ » بالرفع .

(٦) نقل ابن المستوفى فى النظام « جـ ٢ لوحة ٢٤٨ » تعليقا للآمدى حول بيت أبى تمّام السابق يختلف فى نصه عن ماورد هنا ، وربما نقله من كتاب الآمدى « معانى أبيات أبى تمّام » الذى ينقل منه كثيرا قال : قال الآمدى : « أى ليس قوام هذه الأشياء إلا به ، ولولا هو لكانت قد درست ، وذهبت ، لأنها مجتمعة فيه ، فجعل شمائل الممدوح التى هى أخلاقه المشتملة على هذه الخلال كأنها رزق لها ، ولما لم تذكر إلا به ولم تك لها مادة إلا من أخلاقه جعلها كالعيال عليه ، وجعل ما فيه منها ينبوعا لها يمدها ، فهو كالرزق لها ، فالغرض فيه صحيح على بعده ، وأظنه سمع قول جرير فى يزيد بن معاوية فاحتذى عليه « وذكر البيت » ، ثم قال : وهذا أيضا ليس بالجيد وقد كان ينبغى أن يجعل هذه الخلال طبائع له ، وغرائز فيه ، فأما أن يجعلها نازلة عليه محتلفة ، ويجعلها لذاك عيالا عليه ، فإن هذا من بعيد الاستعارات وقبيحها ورديء المدح » .

وأجودُ من هذا وذاكَ قولُ دعبل ، ومن جريرٍ أخذ إلا أنه أورده على أحسن وجهٍ وألطَفِهِ[1] ، فقالَ :

تنافسَ فيه الحزمُ والبأسُ والتقىٰ وبذلُ النّدىٰ حتى اصطَحَبْنَ ضَرائِرا

وقد أساءَ أيضا سَلْمٌ الخاسِرُ[2] فى قولِه :

جمع الخِلافةَ والشجا عةَ والسّماحَةَ فى نِظامِ

وما ذِكْرُ السّماحةِ مع الخِلافةِ ؟ وأظنُّه قال ذلك من شُحِّ المَنصورِ[4] .

والجيّدُ قوله[5] :

إمامُ هدىً فى راحتيه مع الهُدىٰ مقاديرُ تَجرى من نحوسٍ وأَسْعُدِ

وقال سَلْمٌ أيضا[6] :

أقامَ النّدىٰ والبأسُ فى كلِّ منزلٍ أقامَ به فضلُ بن يحيى بن خالدِ

وقال مسكين الدارِمىُّ[7] فى يزيدَ بن معاويةَ :

فتىً مالَه فى البأس والمجد والنّدى وبذل اللّهى فى العالمين نظيرُ

---

(١) سبق البيت فى ١ : ١٠٩ .

(٢) هو سلم بن عمرو بن حماد مولى أبى بكر الصديق ، بصرى شاعر مطبوع . متصرف فى فنون الشعر توفى سنة ١٨٦ « طبقات ابن المعتز ص ٩٩ ، الأغانى ٢١ / ٧٣ ، وفيات الأعيان ٢ : ص ٣٥٢ » والبيت من قصيدة فى مدح المهدى « انظر طبقات الشعراء المحدثين ص ١٠٣ » وفيه :

جمع الخلافة والسما حة والشجاعة فى نظام

(٤) كان المنصور غاية فى الحرص والبخل ، فلقب « أبا الدوانيق » لمحاسبته العمال على الدوانيق والحبات ، وقد ذكرت آنفا أن ابن المعتز فى طبقاته قال إن القصيدة فى مدح المهدى .

(٥) لم أجد البيت فيما بين يدىّ من مراجع .

(٦) البيت فى الوافى بالوفيات ١٥ : ٣٠٤ ، وفيه « الفضل » .

(٧) هو ربيعة بن عامر بن أنيف من بنى دارم ومسكين لقب غلب عليه ، شاعر شريف من سادات قومه هاجى الفرزدق ثم كافه توفى سنة ٨٩ « الشعر والشعراء ص ٥٤٤ ، الأغانى ١٨ : ٦٨ » وفى س : « نذير » وصوابه ما أثبتُّ .

ففضله بهذه الخلال على العالمين[١] .

وقال أبو تمّامٍ فى مدح المعتصم[٢] :

وَمَشْهَدٍ بين حُكمِ الذلّ منقطعٌ ... صاليه أو بحبالِ الموتِ مُتَّصِلُ
جَلَّيْتَ والموتُ مُبدٍ حُرَّ صفْحَتِهِ ... وقد تَفرْعَنَ فى أَفعالِهِ الأَجَلُ

وهذا مدحٌ يصلُح أن يكونَ لكلّ بادى بأسٍ[٣] ونجدةٍ ، كائناً من كان من النّاسِ ، والبيتان جميعا رديئان ، فالأوّل ردىء من جهة الإعراب ، والثانى من جهة المعنى ، فقولُه : « بين حكم الذلّ » ، لو كان لحكم الذُّلّ أشياءُ متفرّقةٌ لصلُحَتْ فيها « بَين » ، غير أنّ حُكمَ الذلّ والذلُّ بمنزلةٍ واحدة ، وكذلك حكمُ الْعزّ والعزُّ ، فكما لا يقالُ : « بين العزّ » فكذلك لا يقالُ : « بين حكم العزّ » حتى يقال [ هذا ][٤] ، وكذلك لأنّ « بين » إنمّا هى وسطٌ بين شيئين ، وقد بيّنْتُ هذا فيما قدمت ذكره من أغاليطه واستقصيته[٥] .

وقوله :

وقد تفرعَن فى أفعالِهِ الأَجَلُ

معنى فى غايةِ الرّكاكةِ والسُّخف ، وهو من ألفاظِ العامّةِ ، ومازالَ النّاسُ يعيبونَهُ به ، ويقولونَ : اشتقّ للأجلِ[٦] الذى هو مُطِلٌّ على كلِّ النّفوسِ فعلا من اسم[٧] فرعون وقد أتى الأجل على نفس فرعون ، وعلى نفس كلّ فرعون كان فى الدنيا[٨] .

---

(١) فى س : « الخلافة » ولا يستقيم بها معنى العبارة .
(٢) ديوانه ٢ : ١٨٥ وشرح التبريزى : ٣ : ١٦ وقد سبقا فى ١ : ٢٣٨ .
(٣) فى النظام جـ ٢ لوحة ٢٤٤ نقل ابن المستوفى نص تعليق الآمدى وفيه « لكل ذى بأس » .
(٤) ساقطة من س ، وهى فى ١ : ٢٣٨ .
(٥) انظر الموضع السابق .
(٦) فى س : « اشتق الأجل » .
(٧) فى س : « من اسم فعل فرعون » .
(٨) اعتمدت فى تصحيح نص التعليق على ما سبق فى ١ : ٢٣٨ ، وعلى ما نقله ابن المستوفى فى كتابه النظام جـ ٢ لوحة ٢٤٤ .

وقال فى مدح الواثقِ[١] :

ليثٌ إذا خَفَقَ اللواءُ رأيتَه      يعلو قَرا الهَيجاءِ وهى زَبونُ
لحياضِها مُتورِّدٌ ، ولخَطْبِها      مُتعمـدٌ ولِثَديِهَـا مَلبـونُ[٢]

/ وهذا يصلُح أن يُمدَحَ [ به ] كلُّ أحدٍ . ٣٠ س

وقوله : « ولخطبها متعمدٌ » لفظ ومعنى سخيفان ، وإنما جاء به من أجل قوله : « لحياضها متورد » .

وقال البحتريّ فى المتوكّل[٣] :

وإذا ما تَشَنَّعتْ حَومةُ الحر      بِ ، وكان المقامُ بالقومِ دَحْضا
غشى الدّارعين ضرباً هذاذَيْـ      ـكَ ، وطعناً يُوَزِّعُ الخَيلَ وَخْضا[٤]

وقد يكذِبُ الشاعرُ للممدوح ، ولا مثلَ هذا الكَذِبِ للمتوكّلِ .

وقد أحسَن - لَعَمْرى - سَلْمٌ الخاسرُ كلَّ الإحسان فى قوله يمدح المهدىّ[٥] :

أعذَرْتَ إذ أنْذَرْتَ كلَّ مخُالِفٍ      نارَ الخليفة أن يَكونَ رَمادَها

فإنّ هذا ما وراءَ حسنه وصِحّته شىءٌ .

وممّا عيبَ على أبى تمّام فى مدح المعتصم قوله[٦] :

---

(١) ديوانه ٣ : ٤٠ ، وشرح التبريزى ٣ : ٣٢٦ ، و « القرا » : الظهر .
(٢) فى شرح التبريزى وديوانه : « متودد » ، « بثديها » .
(٣) ديوانه ٢ : ١٢١٥ ، و « الدحض » : المكان الزَّلِق .
(٤) هذاذيك أى : هذاً بعد هذٍ أى : قطعا بعد قطع ، والوخض : الطعنة غير النافذة .
(٥) لم أقف عليه بعد .
(٦) ديوانه ١ : ٥٧١ وشرح التبريزى ٢ : ٢٤٩ ، وفيهما أنها فى أحمد بن المعتصم ، وفى ديوانه « إقدامُ » بالرفع ، وشرح التبريزى بالنصب ، وقال ابن المستوفى فى النظام جـ ٢ لوحة ١٠٧ : « ويروى « إقدامَ عمرٍو » بالنّصبِ وهو أولى من الرفع بدلا من « أبعدَ غاية » فى البيت الذى قبله » .

إقدامُ عمرٍو فى سماحةِ حاتِمٍ    فى حِلْمِ أحنفَ فى ذكاء إياسِ

وقالوا[١] كان ينبغى أن يُفضِّله على جميع هؤلاء . فقالوا : قال أبو تمّام لمّا أُنْكِرَ ذلك عليه[٢] :

لا تُنْكرى ضَرْبى لَه من دونَه    مثلاً شروداً فى النّدى والباس
فاللهُ قد ضَرَبَ الأقلَّ لِنُورِهِ    مثلاً من المِشْكاةِ والنِّبْراس

« المِشكاةُ » : الكُوَّةُ ، يقالُ بلِسانِ الحَبشَةِ ، و « النبراس » : المصباح .

وقد اعْتُرِضَ عليه أيضاً فى هذينِ البيْتينِ ، وقيلَ إنه قَصّرَ فى البيتِ الأوّلِ[٣] ، بأن ذَكر النّدى والبأسَ ، وترك الحلمَ والذكاءَ ، وكان يجبُ أن يذكرَها أجمع ، ولا يُسَمِّيَها ، فقيلَ لمن أنكر هذَا : فلو كُنت أنتَ مكانَه ، كيف كنتَ تقولُ ؟ فقالَ : كنتُ أقولُ :

لا تُنْكِروُا ضَرْبى لَه من دونَه    غاياتِ أمثالٍ جَرَتْ لِأُناسِ

أو : « مَضَتْ لِأُناس » .

وهذا — لَعمرى — مستقيمٌ أنْ لو قيلَ . ولكن لَم يستقمْ لأبى تمّام أنَ يجمع الوجوهَ الأربعةَ فى هذا البيتِ كما جَمعها فى البيتِ الأوّلِ ، فاقتصر على اثنين منهما ، وقد علم أن المعنى يضمّهما جميعا .

والقبيحُ قولُ جريرٍ[٤] :

كانت حنيفةُ أثلاثاً : فثُلثُهُمُ    من العبيدِ وثُلْثٌ من مواليها

---

(١) قال ذلك يعقوب بن إسحاق الكندى ، انظر شرح التبريزى والنظام لابن المستوفى .
(٢) ديوانه وشرح التبريزى : « لا تنكروا » .
(٣) فى س : « أجمع أجمع » .
(٤) ديوان جرير ٥٤٥ .

فقيل لِرَجُلٍ من بنى حنيفةَ : فمن أىِّ الأَثْلاثِ أَنْتَ ؟ فقالَ : من الثُّلُثِ المَلغىِّ .

وقد يكونُ من الضروراتِ فى الشّعر ما يكون بعضُه أحسنَ من بعض .

وقيل فى البيت الثانى فى قولِهِ :

« فاللهُ قد ضرَب الأَقلَّ لنِورِهِ »

إنَّ نورَه إنما هو نورُ هُداهُ ، الذى يهدى بِهِ من فى السّماواتِ والأرضِ ، ولذلك قالَ : « يهدى اللهُ لنوره من يشاء » أى : بنورِ هُداه ، وليس يُحيطُ الخَلقُ بهذا النُّور ولا بِقَدْرِهِ معرِفَةً ، ولا بالمَثَل الذى ضربَه عزّ وجلَّ[1] له ، فمن أين عَلِمَ أبو تمّام أنّ أحَدهما أقلُّ من الآخرِ ؟ ، وذلك أنّه جلَّ اسمُهُ قالَ :

٣١ س « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشكَاةٍ / فيها مِصباحٌ المِصْباحُ فى زُجَاجةٍ الزُّجَاجَةُ كأنَّها كَوكَبٌ دُرِىٌّ » .

ثم قال :

« يوَقَدُ[2] من شَجَرةٍ مبارَكةٍ زَيْتونَةٍ ، لَاشَرْقِيَّةٍ » .

أى : لَيستْ بِضَاحِيةٍ بَارِزَةٍ للشَّمسِ ، تُشْرِقُ علَيها ولا تَكادُ تَغيبُ عَنها .

« ولا غَربِيَّةٍ » .

أى : ولا مَقْنُوءَةٍ ، والمقنوءةُ : الأرضُ المُنحرِفَةُ عن الشَّمس بساترٍ يَستُرها ، فتغيبُ عنها بسرعة ، ولا تأخذ بحظها منها ، يريدُ اعتدالَ موضع الشَجرة ليَخْلُصَ الزّيتُ من ثَمرتِها ويَصفُو ، وهذا كلُّهُ قد يوجدُ فى الشَّجَرِ .

---

(١) الآية ٣٥ من سورة النور .

(٢) فى الأصل : « تُوقَد » ، وهى قراءة أبى بكر وحمزة والكسائىّ وخلف « إتحاف فضلاء البشر ٢٩٨/٢ » .

ثم قالَ :

« يكَادُ زَيتُها يُضِيءُ ولَو لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ » .

ولم يعرفِ الخلقُ ولا شاهدوا زُجاجةً كأنَّها كوكبٌ دُرِّىٌ ولا زيتًا يَكادُ يُضِيءُ وإن لَم تَمْسَسْهُ نَارٌ .

ثمّ قالَ : « نورٌ على نُور »

وهذا الوصفُ كلُّهُ إنما أرادَ عزَّ وجل [ به ][1] تعظيمَ أمرِ نورِ المِصباحِ ، الذى جعلَهُ مثلاً لِنورِ هُداهُ ، فإنّا وإنْ لم نعرفْ حقيقَتَه ، فقد دَلَّنَا تباركَ اسمُه على أنّه نورٌ عظيمُ القَدْرِ ، فكيف يجوز أن يجعلَه أقلَّ من نور الهُدَى ، واللهُ تبارك اسمُهُ قد جَعَله مِثلَهُ ؟

فإن قيل : قَدْ يُشَبَّهُ الشيءُ من بعضِ جهاتِه لا من جِهاتِه كُلِّها ، قيل : ليس النّورُ[2] إلا جهةً واحدةً ، وهى الضّياءُ فقط .

وأظنُّ أبا تمّام ذهبَ إلى أنَّ « مثَلُ نُورِهِ » إلى نُور وَجهِهِ ، فإن كان ذهبَ إلى هذا فهو غَلطٌ منه ، ولا أعرف له عُذراً يتوجَّهُ ، فإن قيل : بلِ الْعُذْرُ له مُتَوجِّهٌ ، وهو أنَّ نوراً يملأُ السّماواتِ والأرضَ أكثرُ وأعظمُ من نورٍ تَضمُّه مِشكاةٌ ، وهي الكُوَّةُ غيرُ النّافِذةِ ، قيلَ : لم يُرِدْ جلَّ جلالُهُ بِذِكرِ المشكاةِ تقليلَ أمرِ الضَّوءِ ، وأنَّهُ[3] على قدر المشكاة ، وإنما أراد جَلّ اسمُهُ أن يؤكد شدّةَ النورِ وعِظَمَه ، لأنه إذا كانَ فى شىء يَضُمُّهُ كانَ أغلبَ وأشدَّ لِضيائِه مِنه إذا كانَ ضَاحِياً منتشرا ، وهذا مَعلومٌ ، ومعرِفَتُهُ قَائِمَةٌ فى النُّفوسِ .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) كذا فى س ولعله « ليس للنور إلا جهة واحدة » .

(٣) فى س : « وإلا أنه » .

وقالَ بعضُ المفسِّرينَ : أراد جلَّ وعزَّ : مثلُ نُورِهِ فى قَلبِ المؤمِن كمشكاةٍ فيها مِصْباحٌ ، وهو أثْبَتُ فى العُقولِ وأولىٰ بالصَّوابِ ، وأبعدُ من أنْ يُحيطَ العِلمُ بأنَّ أحدَ النورَيْنِ أقل من الآخَر ، لأنَّه تشبيهٌ صحَيحٌ ، وقد نطقتْ بذلِكَ العَربُ ، قال الطَّحْنُ[1] الحِزْمازِىُّ يَصِفُ عَيْنَى الأسَدِ[2] :

قَالِبُ حِمْلاقَينِ مثِلَ الوَقْبَيْنْ
أو مِثلَ مِصْباحَينِ فى مِشْكَاتَيْنْ

« الحِمْلاقُ » جَوانِبُ العينِ من دَاخِل ، و « الوَقْبُ » النُّقْرَةُ فى الحَجَرِ
وقالَ أبو زُبَيدِ الطَّائىُّ[3] :

كأنَّ عينيهِ مِشْكاتَينِ فى حَجَرٍ قيضا اقْتياضًا بأطرافِ المَناقيرِ

* * *

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدىّ من مراجع .
(٢) البيتان فى شرح الصولى لديوان أبى تمّام وقد وردا هناك مضطربى المعنى والوزن دون نسبة « شرح ديوان أبى تمّام للصولى ١ : ٥٧٢ » .
(٣) هو المنذر بن حرملة كان جاهليا قديما ، وأدرك الإسلام ، إلا أنه لم يسلم ومات نصرانيا وكان نديم الوليد بن عقبة ، عاش مائة وخمسين سنة ، وكان مغرًى بوصف الأسد ، وكان أعور آدم طوالا استعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه ولم يستعمل نصرانيا غيره « طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢ : ٥٩٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٣٠١ » . والبيت فى « ديوانه ٨٠ » وفيه : فى وقبين من مجر .

## تمامُ بابِ السُّؤددِ والشَّرفِ

/ وهذا ما قلتُ إنى أَذْكُرُه من تمامِ بابِ السؤدد والشَّرَفِ ، بعدما ذَكَرْتُهُ من ٣٢ س
ذَلِكَ فى مدائِح الخُلَفَاءِ.[1]

قال أبو تمّام فى مالك بن طَوقٍ[2] :

لِتَغْلِبٍ سُؤْدَدٌ طالَتْ منَابِتُهُ ... فى مُنْتَهىً قُلَلٍ منها وفى قِمَمِ
مَجدٌ رعىٰ تَلَعاتِ الدَّهرِ وهوَ فتىً ... حتى غدا الدَّهرُ يَمْشِى مِشيَةَ الهَرِمِ

التِّلاعُ : مجارى الماءِ من ارتفاع إلى انخفاض ، والخَفْضُ منها كثيرُ العُشْبِ ، وقُلَل : جَمعُ قُلَّة ، وقِمَم : جمعُ قِمَّةٍ ، وهُما رأسُ الجَبلِ .

ولو قالَ : « حتى هَرِمَ الدَّهر » ، كانت استعارةً مُحْتَمَلَةً ، كما قالَ البحتريُّ[3] :

هَرِمَ الزَّمانُ وعِزُّهمْ لَم يَهْرَمِ

---

(١) قال الآمدى فى ٢ : ٣٥٤ : « ولهما فى باب السؤدد والمجد والشرف فى مدح سائر الناس ما أذكره من بعد » غير أن شيخنا السيد صقر – عفا الله عنه وأمد فى عمره – أدخل على تلك العبارة عنوان باب مستقل هو « فى تأييد الدين وتقوية أمره » فاختلط البابان ، وجاءت عبارة الآمدى فى هذه الصفحة لتوثق وتصحح .

(٢) ديوانه ٢ : ٣٤٩ وشرح التبريزى ٣ : ١٨٧ .

(٣) ديوانه ٤ : ٢٠٨٤ وصدره : « صحبوا الزمان الفرط إلا أنه » ، وقد سبق فى ١ : ٣٢٩ وانظر الموشح : ٥٢٣٠ .

وكما قال الأخطل[١] :

عَمِرْتَ شبابَ الدَّهرِ ، لا يَسْتَطِيعُهُمْ      أفالآن لمَّا أصبَح الدَّهرُ فانيا ؟

فما وجهُ قَوله : « يَمشِى » ؟ كأنه لا يَجوزُ أن يُعْلمَ أنَّه هَرِمَ ، حتى يُرىٰ ماَشياً مُرْتَعِشاً .

وقال مَعْنُ بن أَوسٍ المُزَنى[٢] :

تَعَلَّلْتُ إذ دَهرى فتىً بِوصالِهَا      فَقدْ عَصَلَتْ أنيابُ دَهْرٍ وعَرّدا

فإنما[٣] أرادَ نَفْسَه لا الدَّهر ، كما قال[٤] :

نهارُك يقظانٌ وليلُكَ نائمُ

والاستعارة الحسنة فى هذا قول النابغة[٥] :

عَلَـوْتَ مَعـدًّا نائِـلاً ونِكايَـةً      فأنت ، لِغَيْثِ الحَمْدِ ، أوَّلُ زائِدِ

وقال فى أبى سعيد[٦] :

طَلَبُ المَجْدِ يُورثُ المَرْءَ خَبْلًا      وهُموماً تُقَضْقِضُ الحَيْزُوما

فتراهُ وهْو الخَلِىُّ شَجيًّا      وتراهُ وهو الصَّحيحُ سَقيمَا

---

(١) ديوانه ص ٣٥٢ ، وفيه « سَعَيْتَ ....... لم تَستَطِعْهُمُ » .

(٢) هو مَعْن بن أوس بن نصر بن زياد المزنى ، شاعر فحل مجيد ومن مخضرمى الجاهلية والإسلام ، له مدائح فى جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ، والبيت فى ديوانه ص ٢٨ ، وعصل الناب : إعوجاجه .

(٣) كذا فى س ولعلّ العبارة السابقة « فأما قول معن » .

(٤) لم أقف عليه بعد .

(٥) ديوان النابغة ص ٤١ ، وفيه « أول رائد » بالمهملة .

(٦) هو أبو سعيد محمد بن يوسف الثغرى والأبيات فى ديوانه : ٢ : ٤٠٢ والتبريزى ٣ : ٢٢٧ ، وقد سبقت الأبيات فى ١ : ١٠٤ ، وتقضقض الحيزوما : تكسر الصدر .

تَجِدُ المَجْدَ فى البَرِيَّةِ مَنْشُو    راً وتَلْقاهُ عِنـدَهُ مَنْظُومَـا
وَلَّهَتْهُ العُلىٰ فَلَيْسَ تَعدّ الـ    ـبُؤْسَ بُؤْساً ولا النعيمَ نعيما (١)

وتَشديدُ « الشَجِى » خطأٌ. (٢)

وهذه الأبيات من صحيح المعانى ، ومُتْقِنِها (٣) ، وإنما احتذى فيه حَذْوَ لَقيطِ الإيادىِّ فى قصيدتِه المشهورةِ ، وقد ذكرتها فى سرقاته .

---

(١) ديوانه وشرح التبريزى : « تيمته » ، وفى س : « البأس بأساً » .

(٢) قال ابن السِّيد البطليوسى فى الاقتضاب : وقال « يعنى ابن قتيبة » فى هذا الباب : « رجل شج وامرأة شجيّة ، وويل للشجى من الخلىّ ، ياء الشجى مخففة ، وياء الخلى مشددة » انظر أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٣٧٩ .

« قال المفسر » : قد أكثر اللغويون من إنكار التشديد فى هذه اللفظة ، وذلك عَجَبٌ منهم ، لأنّه لا خلاف بينهم أن يقال : شجوت الرجل أشجوه : إذا حزّنته وشجى يشجى شجا : إذا حزن ، فإذا قيل : شج بالتخفيف كان اسم فاعل من شجى يشجى فهو شج ، كقولك : عمى يعمى فهو عم ، وإذا قيل : شجىّ بالتشديد كان اسم المفعول من شجوته أشجوه فهو مشجوّ وشجىّ ، كقولك مقتول ، وقتيل ، ومجروح ، وجريح ، وقد روى أن ابن قتيبة قال لأبى تمّام الطائىّ : يا أبا تمّام أخطأت فى قولك :

ألا ويلَ الشَّجِىِّ من الخَلِىِّ    وَوَيْلَ الربعِ من إحدىَ بكِىِّ

فقال له أبو تمّام : ولم قلت ذلك ؟ قال : لأن يعقوبَ قال : شج بالتخفيف ولا يُشدّد ، فقال له أبو تمّام : من أفصح عندك ؟ ابن الجرمقانية يعقوبُ ، أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :

ويلَ الشجىِّ من الخَلىّ فإنَّهُ    نَصِبُ الفُؤادِ بِشَجْوِهِ مَغْمُومُ

والذى قاله أبو تمّام صحيح ، وقد طابق فيه السماعُ القياسَ ، وقد قال أبو دؤاد الأيادى – وناهيك به حجة –:

مَنْ لِعَيْنٍ بِدَمْعِهَا مُوَلِيَّهْ    ولِنَفْسٍ مِمَّا عناهَا شَجِيَّهْ

« الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ٢ : ١٨٥ » .

قلت : وفى لقاء ابن قتيبة أبا تمام نظر ، فالأول ولد سنة ٢١٣ وأبو تمام توفى فيما بين ٢٢٨ إلى ٢٣٢ على خلاف . ( المحقق ) .

« وانظر التبريزى ٣ : ٣٥١ ، واللسان : شجا » .

(٣) انظر ١ : ١٠٤ ، وقصيدة لقيط المشهورة أولها :

يادارَ عمرةَ من مُحْتلِّها الجَرعَا    هاجت لِىَ الهمَّ والأحزانَ والوَجَعا

« مختارات الشجرى ص ٢ » ولقيط بن يعمر الأيادى : شاعر جاهلى قديم مقل فحل ، من أهل الحيرة كان يحسن الفارسية ، وكان كاتبا فى ديوان كسرى ، فلما رآه مجمعا على غزو إياد كتب إليهم بهذا الشعر . فوقع الكتاب بيد كسرى ، فقطع لسانه وغزا إيادا « الأغانى ٢٠ : ٢٣ والشعر والشعراء ١٩٩ » .

وقال [ فى ] محمد بن الهيثم :(١)

خَدَم العُلىٰ فخدمْنَهُ وهى التى لا تَخْدِمُ الأقوامَ مالَمْ تُخْدَمِ
وإذا انتمٰى فى قُلَّةٍ من سُؤْدَدٍ قالت لَهُ الأُخرىٰ : بلَغْتَ تَقَدَّمِ
ماضرَّ أروعَ يَرْتَقِى فى هِمَّةٍ(٢) رَوعـاءَ أَلَّا يَرتَقِـى فى سُلَّـمِ

قوله : « قالت له الأخرىٰ : بلغتَ » أى : بلغتَ تلك ، فتقدّمْ إلىَّ ، ولولا هذا لكانت مناقضةً ، لأنّه إذا بَلغ ، فإلى أينَ يتقدَّمُ ؟ ، ويجوز أن يكونَ : قد بلغتَ ، فما تَنتظِرُ ؟ .

٣٣ س وقولُه : « أَلَّا يَرتَقِى فى سُلَّمِ » ، ليس بمبالغة / إذ لا قَدْرَ لِعُلوّ السُّلَّمِ ، ولو كانَ قالَ : أَلَّا يَرتَقِى فى طَودٍ أو جبَلٍ كان أبلغَ ، ولكنَّه إنمّا ذَكرَ السُّلَّم ، لأنَّه آلَةُ الصُّعودِ المُسْتَعملةِ ، وقد قال تعالَى : ﴿ أم لهم سلّم يستمعون فيه ﴾(٣) .

وقال زهير :(٤)

ولوْ نَال أسبابَ السَّماءِ بِسُلَّمِ

وقد ذكر البحتريُّ « السُّلَّمَ » فوضَعه فى مَوْضِعِه ، فقال فى خضرِ بن أحمَدَ التَّغلِبىِّ :(٥)

والعُلَا سُلَّمٌ مَراقِيهِ « خطَّا بُ أَبِى عامرٍ » إلى « مَسعودِهْ »

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٢٨ والتبريزى : ٣ : ٢٥٣ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « همّة علياء » .

(٣) سورة الطور ٣٨ ، وبقية الآية الكريمة « فليأت مستمعهم بسلطان مبين » .

(٤) ديوانه : ص ٣٥ وصدره : ومن هاب أسباب المنايا ينلنه .

(٥) ديوانه ١ : ٥٩٦ والممدوح هو : الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلبى استعمله المعتمد على الموصل سنة ٢٦١ ، وهو من أسرة لها الإمارة على ديار ربيعة « ابن الأثير حوادث ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ » .

يعنى حُدُودَهُ ، فهذا هو الوجه الحسن فى معنى « السُّلَّمِ »(١) .

وقال كُثَيِّر(٢) فى عبد العزيز بن مروان :

إلى حَسبٍ عالٍ بنَى المرءُ قَبلَه أبُوهُ له فِيه معَارِيجُ سُلَّمِ

وهذا أيضا معنى صحيح حسن .

والجيد فى هذا المعنى قولُ أبى تمّام(٣) فى أبى دلف :

مَحاسِنَ من مَجْدٍ متى تَقْرِنُوا بِها محاسِنَ أقوامٍ تَكُن كالمعايِبِ
معالٍ تمادَت فى العُلُوِّ كأنَّها تُطالِبُ ثأرًا عند بَعْضِ الكَواكِبِ(٤)

وقال فى خَالدِ بنِ يزيدَ بن مَزْيدٍ(٥) :

وما زالَ يَقْرَعُ(٦) تلك العُلىٰ مع النَّجمِ مُرْتَديًا بالعَمــاءِ
ويَصعدُ حتّى لظَنَّ الجهو لُ أنَّ لهَ مَنزِلاً فى السَّماءِ

« العماء » السّحابُ الرّقيق ، وأين هو من النجم ؟ ، إنَّ بينهما لَبْوناً بعيداً ، ولفظُ « العماء » قبيحٌ أيضا .

---

(١) اعتراض الآمدى على أبى تمام لا محلّ له فى ضوء المعنى الصحيح للبيت كما شرحه التبريزى فقال : « يقول : مايضر فتىً ماضيا عزمه إذا كانت له همّة سامية إلى معالى الأمور ألا يرتقى إليها بسلم ، أى همته العالية تغنيه عن السلم » .

(٢) تفسير الطبرى ١٤ : ٩ الأميرية ، ولم أجده فى ديوانه .

(٣) ديوانه ١ : ٢٨٣ وشرح التبريزى : ١ : ٢١٠ .

(٤) شرح التبريزى :

« معال تمادت فى العلو كأنما تطالب .................. » .

وديوانــه :

مكارم لجّت فى علوّ كأنها تحاول .................. » .

(٥) ديوانه ٣ : ٢٤٢ وشرح التبريزى : ٤ : ٣٤ .

(٦) ديوانه وشرح التبريزى « فمازال » . وديوانه فقط : « يفرع » بالفاء .

وقد أتى البحتريُّ بما هو أبلغُ من هذا فقال[(١)] :

لِمُحمدِ بنِ عليٍّ الشَّرفُ الذي    لا يَلْحظُ الجَوزاءَ إلاّ من عَلِ

ثمّ أفسدَ المعنىٰ ، بأنْ حَطّ المَمدوحَ عن هذهِ الرُّتْبَةِ إلى ماهو دونها فقالَ :

عالٍ على نَظَرِ الحسودِ كأنّما    جذبته أفرادُ النجومِ بأحْبُلِ

فبين أن[(٢)] ينظر إلى الجوزاءِ من عل ، وبين أن تُكَلَّفَ النُّجومُ أن تَمُدَّه بالحِبَالِ ، فرقٌ كبيرٌ .

والعُذْرُ له فى هذا أن يقال : إنّ البيت الأوّل أراد به شرفه ، والبيت الثانى أراد به نفسه .

ثم جاء بعده ببيت فى غاية الجودة ، ولكنّه أساء من حيث أجاد ، لأنّه عرَّض نفسَه لِغَضبِ كلِّ سيّدٍ شريفٍ ماجدٍ ، من خليفةٍ إلى ما هو دُونَه ، وهو قوله :

أوَ ما رأيتَ المَجْدَ ألقىٰ رَحْلَه    فى آل طَلحَة ثُمَّ لَم يتحوّلِ[(٣)]

فلما سمع هذا البيت بعض من له فهم من الخلفاء والملوك وكبار الأمراء — وهو فى القصيدة المعشوقة[(٤)] ، التى يصف فيها الفرس والسّيف ، وهى من أشهر شعره ، والنّاس أكثر لها رواية ، وقد ذكر دعبل منها فى / كتاب « الشعراء » الذى ألفه عِدّة ٣٤ س
أبيات — كان بِودّه أن يقولَ لَهُ : اذهبْ فالتَمسِ الجَدوىَ من الموضِع الذى ألقىٰ المجدُ فيهِ رَحْلَهَ ، ولم يتحوّلْ عنه .

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٤٤ والممدوح هو محمد بن على بن عيسى القمى الكاتب ، وفى س : « من عُلوٍّ » وهو بيِّن الفساد .

(٢) فى س : « فبينما » ، سبق قلم .

(٣) المصدر السابق .

(٤) التى أحبها الناس وعشقوها .

وقال البحترىُّ (١) :

لبنى مَخْلَدٍ على كُلِّ حَىٍّ أثَرٌ من عطَائِهم لَيس يَعفُو
مجدُهُمْ فوقَ مجدِ من يَتعاطىٰ سَعْيَهم ، والسَّماءُ للأرضِ سقفُ

وهذا – لَعمرى – حسَنٌ جِداً ، ومِثْلُه قول عُمَارةَ بن عَقيلٍ (٢) :

همُ الأُفق فوقَ النَّاسِ والنَّاسُ تَحتَهمْ وآلُ عُبيدِ اللهِ فيـه كَواكِبُـهْ

وأجودُ من هذَا قول التّياج بن مالك البَجَلِىّ (٣) :

لكلِّ أُناسٍ بلْدَةٌ يسكنُونَها وأنتمْ سَماءٌ فوقَها ونجُومُها

وقال فى ابن ثوابة (٤) :

يفوتُ احتفالَ القومِ أوَّلُ عَفْوِهِ وقدْ بلَغُوا أو جاوَزُوا آخِرَ الجُهْدِ
مُخَفَّضةً أقْدارُهم تحتَ قَدْرِهِ كما انخَفَضتْ سُفْلىٰ تِهامَةَ عن نَجْدِ

ومثْل قولِ أبى تمّام :

.......... قالتْ له الأُخرىٰ : بَلَغْتَ تَقَدَّمِ

قولُه أيضًا فى أبى دلف (٥) :

إذا ارتقَى طودَ مَجدٍ ظَلَّ فى نَصَبٍ أو يَرتَقِى من سِوَاه ذِرْوةً شعفا
جَمُّ التَّواضُعِ والدنيا بسُؤْدَدِهِ تكاد تَهتَزُّ من أطرافِها صَلَفا

---

(١) ديوانه ٣ : ١٣٧٣ .

(٢) لم أقف على البيت .

(٣) حماسة ابن الشجرى ص ٣٧٠ ، وفيها : « النباج » بالموحدة الفوقية فالموحدة التحتية فألف فجيم .

(٤) ديوانه ٢ : ٧٥٠ ، وابن ثوابة هو : أحمد بن محمد بن ثوابه بن خالد الكاتب ، أبو العباس ، كان من جِلّة الكتاب وأعيانهم ، له الرسائل الحسنة والنظم الجيد ، روى عنه أحمد بن أبى طاهر والمبرد وغيرهما ، ويقال إن أصلهم نصارى ، وكانت بينه وبين أبى الصقر إسماعيل بن بلبل عداوة وشحناء ، وتقلد فى أيام وزارته بابل وسورا وتوفى سنة ٢٧٣ « معجم الأدباء ٤ : ١٤٤ والفهرست ص ١٤٣ والوافى بالوفيات ٧ : ٣٦٨ » .

(٥) ديوانه ٢ : ٥٢ والتبريزى ٢ : ٣٦٣ وفيهما « علا طود » ، « يعتلى »

وهذا أحسنُ جِدا ، وقد ذكرتُه فيما قبلَ هذا الباب ، وذكرتُ معنى « الصَّلَفِ »(١) .

ثمّ قال بعد هذا وأساءَ وقبّح(٢) :

لو لم تُفتْ مُسِنَّ المَجد من زَمَنٍ بالبَأسِ والجودِ كانَ المَجدُ قَدْ خَرِفَا

وهذا ممّا عابَه به النّاسُ كُلُّهُمْ(٣) .

وأقبَحُ من هذا ما قالَه فى مُحمدِ بن المُستَهِلّ(٤) :

أبوكَ شقيقٌ لم يَزلْ وهْوَ للنَّدىٰ شقيقٌ وللمَلْهوفِ حِرزٌ ومَعْقِلُ
أفادَ من العليا كُنوزاً لو آنّها صوامِتُ مالٍ مادرَى أينَ تُجْعَلُ

كان يَجعلُها حيثُ تُجْعلُ كنوزُ الأموال تحتَ الأرضِ ، وسُقَّاطُ الشُّعراءِ لا يَرضَونَ لأنفسهم(٥) بمثل هذا ، وأظنّه سَمِع قولَ كُثَيِّرٍ(٦) :

ولو أنَّ حُبّى أمَّ ذى الودعِ كُلَّهُ لأهلِك مَالٌ لم تَسَعْهُ المسَارِحُ

أرادُ : لو أنّ حبّى يا أُمَّ ذى الودع كُلَّه مالٌ ، أى : إبِلٌ ، « لم تَسعْهُ المسارِح » ، أى : المواضِعُ التى تسرحُ فيها ، وهذا معنى لا حلاوة فيه ، فنقله أبو تمّام إلى المعالى والمجد ، وجاء به على أقبح لفظ وأهجنه وأسخفه ، ثمّ أتى بعد ذلك ببيت جيّد ، إلا أن فيه لفظة هى حشو ، وليست حشوا على مذهبه وذلك قولُه :

فحسب امرئٍ أنت امرؤٌ آخِرٌ له وحَسْبُكَ فخراً أنّهُ لَكَ أوَّلُ

/ فقال : « أنت امرؤٌ » ، و « امرؤٌ » مستُغنىً عنها . ٣٥ س

وقال البحترىُّ فى وصف مُحمد بن يوسف(٧) :

---

(١) انظر : ص ٦٣ وفى ديوانه : « تهتز من أعطافه » .
(٢) ديوانه ٢ : ٦٨ وشرح التبريزى : ٢ : ٣٧٥ .
(٣) انظر الموشح ص ٤٧١ .
(٤) ديوانه ٢ : ٢٩٩ وشرح التبريزى : ٣ : ٧٤ وفيهما « قال يمدح أبا المستهل محمد بن شقيق الطائى » .
(٥) فى س : « لا يرضون أنفسهم » .
(٦) ديوانه : ص ١٨٤ .
(٧) ديوانه ٣ : ١٧٣١ .

أَغرُّ إذا عُدَّتْ مَناقِبُ فِعْلِهِ ... توهّمت أنَّ الحقَّ مِنْهُنَّ بَاطِلُ
وإن جاءَنا يَحكى أَباهُ فَلَم تَزلْ ... لَه من أبيهِ شيمةٌ وشَمائِلُ
هما شَرَعٌ فى المَكْرُماتِ ، فهذِه ... أواخِرُ أخلاقٍ ، وتلكَ أوائِلُ

وقال البحترىُّ فى الفتح بنِ خاقانَ ، يذكر ابنَهُ[1] :

ومُلِّيتَ عَيْشًا من «أبى الفتح» إنّهُ ... سليلُ العُلا والسُّؤْدَدِ المُترافِدِ[2]
متَى ما تَشِدْ مَجدًا تَجِدْهُ بِهِمةٍ ... تَقَيَّلَ فيها ماجداً بعد ماجِدِ
وإن يَطَّلِبْ مسعاةَ مَجدٍ بَعيدةً ... يَنَلْهَا بجِدٍّ أَرْيَحِيٍّ ووَالِدِ
كما مُدَّتِ الكَفُّ المُضافُ بَنانُها ... إلى عَضُدٍ فى المَكْرُماتِ وسَاعِدِ
يَسُرُّكَ فى هَدْيٍ إلى الرُّشْدِ ذَاهِبٍ ... ويُرْضِيكَ فى هَمٍّ إلى النَّجْمِ صَاعِدِ

وقالَ البحترىُّ[3] :

يَبين بالفَضلِ أقوامٌ فَيَفْضُلُهُمْ ... مُوَحَّدٌ بغَريبِ الذِّكرِ مُنْفَرِدُ[4]
تَوحَّدَ القَمرُ السَّارى بِشُهْرتِهِ ... وأَنْجُمُ اللَّيلِ نَثْرٌ حَولَه بَدَدُ[5]
أَحْيَتْ خِلالُ «أبى ليلى» «أبادُلَفٍ» ... ومِثلُهُ أَوجَدَ الأقوامَ ما افْتَقَدُوا

وقولُه : «أَوْجَد الأقوامَ ما افْتَقَدُوا» فى غاية الحُسن والحلاوةِ .

وقولُ أبى تمّام فى أبى سعيد[6] :

وبالهَضْبِ من أَبْرشْتَويمَ ودَرْوَذٍ ... عَلَتْ بِكَ أطرافُ القَنا فاعْلُ وازْدَدِ
أَفادتْكَ فيها المُرْهَفاتُ مآثِراً ... تُعَمَّرُ عُمْرَ الدَّهْرِ إنْ لم تُخَلَّدِ

---

(١) ديوانه ١ : ٦٢٦ ، وأبو الفتح هو محمد بن الفتح بن خاقان ، ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء ص ٤٠١ ، وقال «فتى أديب» وكنيته فيه «أبو الفتوح» .
(٢) ديوانه : «متى ما يشد مجدا يشده بهمة» .
(٣) ديوانه ١ : ٦٤٦ .
(٤) البيتان سبقا فى ٢ : ٣٥١ .
(٥) «أبو ليلى» : هو الحارث بن عبد العزيز بن دلف ، «وأبو دلف» : جد الممدوح .
(٦) ديوانه ١ : ٤٣٣ ، وشرح التبريزى ٢ : ٢٨ ، وأَبْرشَتْوِيَم : جبل بالبذ فى أذربيجان ، دروذ : وادٍ لبنى سليم ، أو ثغر لأذربيجان .

وهذا هو المَدحُ الشّريفُ ، الذى لا يُدْفَعُ حُسنُه وجودتُه .

وقالَ فيه[(١)] :

فأفْخَرْ فمَا من سماءٍ للعُلىٰ رُفِعَتْ ... إلاّ وأفعالُكَ الحُسنىٰ لهَا عَمَدُ

وقالَ فى محُمّدِ بنِ حسَّان الضَّبِّىِّ[(٢)] :

إذا نوى الدَّهْرُ أن يودِى بتَالِدِه ... لم يَسْتَعِنْ غيرَ كَفَّيْهِ بأعْوانِ
لو أنَّ إجماعنَا فى فَضْلِ سُؤْدَدِه ... فى الدِّين لم يَخْتَلِفْ فى الأُمَّةِ اثْنَانِ

وقال فى خالد بن يزيد بن مزيد[(٣)] :

طَلَبَتْ ربيعَ ربيعةَ المُمْهِى لَهَا ... ووَرَدْنَ ظِلَّ ربيعةَ المَمْدُودَا[(٤)]
ذُهْلِيَّها مُرِّيَّها مَطَرِيَّها ... يُمنَىٰ يدَيْها خالدَ بنَ يَزيدَا
بَكْرِيَّها عَلَوِيَّها صَعْبِيَّها الـ ... ـحِصْنِىَّ شَيْبَانِيَّها الصِّنْدِيدَا
نَسَبٌ كأنَّ عليه من شَمْسِ الضُّحىٰ ... نُوراً ومن فَلَقِ الصَّباحِ عَمودَا
عُريانُ لا يَخْبُو دلَيلٌ من عمًى[(٥)] ... فيهِ ولا يَبْغِى عَليهِ شُهُودَا
/ شَرَفٌ على أُولَى الزّمانِ وإنَّما ... خَلَقُ المَناسِبِ ما يكونُ جَديدَا[(٦)] ٣٦ س
لو لَمْ تَكُنْ من نَبْعَةٍ نَجْدِيَّةٍ ... عُلْوِيّـة[(٧)] لَظَنَنْتُ عُودَكَ عُودَا

قولُهُ : « المُمْهِى لها » أى : الذى هو غِياثُها ، يقال : قَدْ أماهَ وأمْهَىٰ ، إذا أكثر من سَقْيِ المَاءِ ، وقولُه : « عُريانُ » يعنى النَّسبَ مكشوفاً لا سِتْرَ عليه ،

---

(١) ديوانه ١ : ٤٢٩ وشرح التبريزى : ٢ : ٢١ ، وفيهما « للندى » .
(٢) ديوانه ٣ : ٢٧ وشرح التبريزى : ٣ : ٣١١ .
(٣) ديوانه ١ : ٤٠٥ وشرح التبريزى : ١ : ٤٠٥ .
(٤) ديوانه : « فتفيَّأت ظلّا لها ممدودا » .
(٥) ديوانه وشرح التبريزى « لايكبوا » .
(٦) شرح التبريزى : « أن يكون جديدا » .
(٧) فى التبريزى : عَلَوِيّة : وقال : يعنى من علىّ بن بكر بن وائل ، وروى الصولى « عُلْوِيّة » وقال : عُلْوِيَّة : مرتفعة .

وقولُه : « لا يَخْبُو » أى : لا يخبو نورُه « دَلِيلاً »[١] ، أى : لا يخْبُو فى حالِ دلالَتِه على نَفْسِه .

« من عَمَىً فيهِ » أى : من ظُلْمَةٍ أو شَكٍّ « ولا تَبغِى عَليهِ شهُودَاً » .

وهذا بيت ردىء ، وما كانت به إليه حاجة مع قوله : « نَسبٌ كَأَنَّ عليه من شمس الضُّحى نُورا » ، وهذا أجود بيت فيها ، وأجود ما وصف به النَّسبُ الشريفُ ، وسائرُ الأبيات ردىء ، ولا طائلَ[٢] فيه .

وقولُه : « لظننتُ عودَك عودًا » من عِثارَاتِهِ .

وقالَ فى عبد الله بنِ طاهر[٣] :

سما لِلْعُلىٰ من جَانِبيهَا كِلَيْهما ... سُموَّ عُبَابِ المَاءِ جَاشَتْ غَوارِبُه

قولُهُ : « من جانبيها كِلَيْهما » لَمْ يُفدنا « بكليهما » فائدة ، لأَنَّ أحدًا لم يكن يَظُنُّ أنَّه سما لها من جانبٍ واحدٍ .

والتَّوكيدُ – لَعمرى – غَيرُ مُنْكَر ولكنَّه يكون فى موضعٍ أحسنَ منه فى غيرِه ولو قالَ :

سما للعُلىٰ حتَّى علا ذُرْوَةَ العُلىٰ

لكان هذا أشْبَه بمذْهَبِهِ ، وأظنّ أنَّه أخذ هذا من قولِ امرىءِ القيس :

سموَّ حبابِ المَاءِ حَالاً على حالِ[٤]

---

(١) فى س : « لاتخبو عليه ليلًا » .

(٢) فى س : « والطائل فيه » تحريف .

(٣) ديوانه ١ : ٢٩٤ وشرح التبريزى : ١ : ٢٢٧ .

(٤) ديوانه ص ١٢٤ وصدره : « سموت إليها بعدما نام أهلها » .

ولكنّ الجيّدَ النَّادِرَ قولُه فى خالد بن يزيدَ أبياتا جيّدة (١) :

هَصورُ المَعالى لا يَزيدُ أذالَهُ ... ولا مَزيدٌ ولا شريكٌ ولا الصُّلْبُ
ولا مُرَّتا ذُهْلٍ ولا الحِصْنُ غاله ... ولا كَفُّ شاأويه عَلِيٌّ ولا صَعْبُ
مَضَوْا وهُمُ أوْتادُ نَجْدٍ وأرْضُها ... يُرَوْنَ عِظَاما كُلمَّا عَظُمَ الخَطْبُ
وما كانَ بين الهَضْبِ فَرْقٌ وبيْنَهم ... سِوَى أنَّهُمْ زَالوُا ولَمْ يَزُلِ الهَضْبُ
لهم نَسَبٌ كالفَجْرِ ما فيهِ مَسْلَكٌ ... خَفىٌّ ولا وادٍ عَنُودٌ ولا شِعْبُ (٢)
هو الإضحِيانُ الطَّلْقُ رَفَّت فرُوعُهُ ... وطالَ الثَّرىٰ من أصْلِه وزَكا التُّرْبُ (٣)
فَياوَشَلَ الدُّنيا بِشَيْبانَ لا تَغِضْ ... ويا كَوْكَبَ الدُّنيَا بِشَيْبانَ لا تَخْبُو
فما دَبَّ إلاّ فى بُيوتِهمُ النَّدىٰ ... ولم تَرْبُ إلّا فى حُجُورِهمُ الحَرْبُ
أولاك بَنُو الأحْسَابِ لَولا فَعالُهُمْ ... درجن فَلمْ يُوجَد لِمَكْرُمَةٍ عَقْبُ
جُعِلْتَ نظامَ المَكْرمَاتِ فلَمْ تَدُرْ ... رَحى سُؤْدُدٍ إلّا وأنْتَ لهَا قُطْبُ
إذا افتخرتْ يوماً ربيعةُ أقْبلَتْ ... مُجَنَّبَتَىْ مَجْدٍ وأنْتَ لهَا قَلْبُ
يَجِفُّ الثَّرىٰ مِنْها وتُرْبُكَ لَيِّنٌ ... ويَنْبو بِهَا مَاءُ الغَمامِ وما تَنْبُو

لَوْ لم يقلْ أبو تمّام غيرَ هذه القصيدةِ لكانَ بها شاعِراً مُحْسِناً مُقدَّما .

/ قوله : « وادٍ عَنودٌ » ، فالعَنُودُ هَاهُنا : المُعوجُّ ، العادِلُ عن الوضُوحِ ، وقدْ ٣٧ س

---

(١) ديوانه ١ : ٢٦٨ ، وشرح التبريزى ١ : ١٨٢ ، وفيهما « مصون » .

(٢) فى س : رقت بالقاف ، وانظر الشرح بعد الأبيات ، قال ابن المستوفى : وأنشد أبو القاسم الحسن ابن بشر الأبيات وقال : « قوله : « له نسب كالفجر » أى معروف مشهور مضئ ، وقوله ما فيه مسلك خفىّ أى : ليس فيه شئ يدق ويخفى حتى يحتاج إلى سؤال وتعرف ، والإضحيان يقال : يوم إضحيان ، وليلة إضحيانة إذا لم يكن فيهما غيم وكانا مشرقين مضيئين ، ويروى : « رفت فروعه » من الرفيف أى لمعت وبرقت من الندى والطل » النظام جـ ١ لوحة ٩١ ، وفى ديوانه وشرح التبريزى « من تحته » ورواية الموازنة ذكرها ابن المستوفى فى المصدر السابق .

(٣) فى ديوانه وشرح التبريزى « لاتخب » ، وانظر رأى المرزوقى فى إثبات الواو ورد ابن المستوفى فى النظام جـ ٢ لوحة ٩٢ .

عَنَدَ فُلانٌ عن الحَقِّ : عدلَ ، والمُعانَدَةُ : أن تَعدِلَ عنه ، ويَعْدِلَ عَنْك ، والعَنُودُ مِنَ الإبِلِ : الذى لا يُخَالِطُها ، إنما هو أبدا فى ناحيةٍ منها .

و « الشِّعْبُ » : كُلُّ فُرْجةٍ بين جَبلين ، يريدُ أنه نَسبٌ عالٍ على كلِّ شيءٍ ، وظاهرٌ غيرُ بَاطنٍ .

و « الإضحِيَانُ » : المُضِيءُ الشديدُ البَياضِ .

و « الطَّلْقُ » : يقالُ : لَيلَةٌ طَلقةٌ إذا كانَت مُقْمِرة ، عن يعقوبَ (١) ، وقالَ غيرُه إذا لم يكن فيها ريحٌ ولا شيءٌ مُؤْذٍ .

و « رَفَّتْ (٢) فُروعُهُ » لمَعت من غَضَاضَتِها وحُسْنِها .

قولُهُ : « فياوَشَل الدّنيا » فالوشَلُ الماءُ القليلُ ، وما قَطر من شَىءٍ فهو وَشَلٌ ، وقد عِيبَ بهذا ، وقيلَ : ما كان ينبغى أن يجعلَه وشَلاً ، بل كان يجبُ أن يجعله بَحْرا .

وما ذهبَ عندى فى هذا إلّا إلى مذهب صحيح ، لأنّ العربَ تجعلُ النُّطفةَ الماءَ الكثيرَ ، والماءَ القليلَ ، ويقولونَ : وصلنا إلى هذه النُّطفةِ ، يعنونَ البحرَ ، وإنما ذلك تقليلٌ على وجه التكثيرِ والتّعظيمِ ، ومثلُ هذا كَثيرٌ شائعٌ فى كَلامِهم ، فأخرجَ أبو تمّام الوشَل هاهُنا مخرَجَ التّعظيم ، واللهُ أعلم ، لأنّه يعلمُ أنّ الوشلَ الماءُ القليلُ ، وذلك قولُهُ فى بابك (٣) :

بَحْرٌ من المكروهِ عَبَّ عُبَابُهُ      ولَقد يُرَى وشَلاً من الأَوْشَالِ (٤)

---

(١) هو أبو يوسف بن إسحاق المعروف بابن السّكيت وفى كتابه « تهذيب الألفاظ » ص ٤٠٢ : « ليال طوالق إذا كنّ مقمرات » .

(٢) فى س : « رقت » بالقاف والشرح على « رفّت » بالفاء فأثبتها .

(٣) بابك الخرمى الذى ادعى أن روح جاويدان حلت فيه وكان ابتداء أمره سنة ٢٠١ ، وخرج فى « البذ » وأباح المحرمات من النكاح وغيره ، واعتقد بالتناسخ ، حاربه المأمون ولم يظفر به ، ثم وجه المعتصم إليه الأفشين « حيدر بن كاوس » سنة ٢٢٠ ومعه محمد بن يوسف فحاربه ، واقتتلوا قتالا شديدا وعظيما حتى هزمه سنة ٢٢٢ ، وفتح مدينته « البذ » وخربها واستباحها المسلمون ، وصُلب بابك فى سامراء ، وأرسل أخوه عبد الله إلى بغداد فصلب فيها ، « الكامل والطبرى حوادث سنة ٢٠١ – ٢٢٢ » .

(٤) ديوانه ٢ : ٢٠٧ وشرح التبريزى : ٣ : ١٣٣ وفيهما « ولقد بدا » .

وقد أساءَ عندى فى قَوْله :

فما دبَّ إلا فى بيوتِهمُ النَّدى

كإساءةِ البحتريّ فى قولِه :

أو ما رأيتَ المجدَ أَلقَى رَحلَهُ  فى آلِ طَلْحَةَ ثُم لم يَتحوَّلِ

وأعظمُ إساءةً منه أبو تمّام ، لأنّه إنما ذكر النّدىٰ وهو طائِىٌّ ، فأىُّ شَىءٍ تَركَ لحاتِمٍ ، ودعْ ما سِواه ، وفى المدح مُتَّسع لمن يريد المبالغةَ والإغراق ، ولا يخصُّ واحداً بفضيلةٍ دون الناس جميعا .

وقال فى عُمر بن طَوْقٍ(١) :

لَكِنْ بَنُو طَوْقٍ وطَوْقٌ قَبْلَهُمْ  شَادوا المَعالِى بالبِناءِ الأَغلَبِ
فَستَخْرَبُ الدُّنيا وأبنيةُ العُلىٰ  وقِبابُهمْ جُدُدٌ بها لَم تَخْرَبِ(٢)
رُفِعَتْ بأيّام الطِّعانِ وغُشِّيَتْ  رَقْرَاقَ لَوْنٍ للسَّماحَةِ مُذْهَبِ
يا طالبًا مسعاتَهم لينالَها  هَيْهاتَ مِنكَ غُبارُ ذاكَ المَوكِبِ
أنتَ المُعنَّى بالغَوانِى تَبْتَغِى  أقصى مَودَّتِها بِرأْسٍ أَشْيَبِ
وَطِىءَ الخطوبَ وكَفَّ من غُلَوائِها  عُمَرُ بنُ طَوْقٍ نَجْمُ أَهْلِ المَغْرِبِ
مُلْتَفُّ أعْراقِ الوَشيجِ إذا انْتمىٰ  يومَ الفخَارِ ، ثَرِىُّ تُرْبِ المَنْصِبِ(٣)
فى مَعْدِنِ الشَّرَفِ الذى من حَلْيِهِ  سُبِكَتْ مَكارِمُ تَغْلِبِ ابنةَ تَغْلِبِ

قال : « تَغْلِبَ » لأنَها اسمُ القبيلةِ ، وهى ابنة تَغْلِبِ ، الذى نسُبَتْ إليه .

/وقال البحترىُّ فى أبى الخَطّابِ الطّائى(٤): ٣٨ س

(١) ديوانه ١ : ٢١٧ وشرح التبريزى ١ : ٩٧ ، وفيها : « بالثناء الأغلب » .
(٢) ديوانه وشرح التبريزى « وقبابها » ، ديوانه فقط « جدد بهم » .
(٣) فى س : « تراب » تحريف ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى .
(٤) ديوانه ١ : ٢٩٦ ، والممدوح هو الحسن بن محمد الطائى « انظر هامش الديوان » .

وُصِلَتْ « بنو عُمْرَان » يومَ فخَارِهِ          بَمنــاقِبِ طائِيَّــةِ الأنْسَابِ
قَومٌ يَضِيمُونَ الجِبالَ وقد رَسَتْ          أعلامُهـا بِرَجَاحـةِ الأَلْبَـابِ
سَحَبوا حَواشِى الأتْحَمِىِّ ، وإنّمَا          وَشْىُ البُرُودِ على أُسودِ الغَابِ
نَزلُوا من الجبلينِ حيثُ تعلَّقَتْ          غُرُّ السَّحائِبِ من رُبَىً وهِضَابِ (١)
مُستمسكيـنَ بأَوَّلِيَّــةِ سُؤْدَدٍ          وبِمَنْصِبٍ فى « أُسْودانَ » لُبَابِ
يَستْحدِثُونَ مكَارِمًا قد أَحْسَرُوا          فيها نُفُوسَهُـمُ مِنَ الإتعـابِ
فكأنَّما سَبَقُوا إلى قِدَمِ العلا          فى الغَوثِ أو غَلبُوا على الأَحْسَابِ (٢)

« أُسَودانُ » هو : نبهانُ بنُ عمروِ بن غَوثٍ بن طيىءٍ. (٣)

وقال البحتريُّ فى أبى الحسن بن عبد الملك بن صالح : (٤)

أخذوا النبوّةَ والخِلافَةَ فانْثَنَوْا          بالمَكْرمات ، كَثيرِها وقَليلِها
لو سارتِ الأَيَّامُ فى مَسْعاتِهِم          لتنالَها ، لَتَعطَّفتْ فى طُولِها (٥)

وقال فى ابن بِسْطَام : (٦)

أَخٌ لى متى استَعْطَفْتُهُ أو جَفَوْتُهُ          فنفسى إلى نفسى أَظَلُّ أُمورُها
إذا ما بَدا أَخلىٰ المعالى دَخيلُها          وأَنسىٰ صغيرَ المَكْرُماتِ كَبيرُها
إذا ذُكِرَتْ أسلافُهُ وتُشُوهِرَتْ          أَمَاكِنُها قُلتَ النُّجومُ قبورُها

---

(١) الجبلين : جبلا طيئ ، أجا وسلمى .
(٢) ديوانه : « وكأنما » ، « فى القرب » .
(٣) انظر جمهرة النسب ص ٤٠٣ .
(٤) ديوانه ٣ : ١٧٦٧ .
(٥) ديوانه : « لتقطّعت » .
(٦) ديوانه ٢ : ١٠٠٠ ، وفيه : « أو حنوته » ، « أظل أصورها » ، أى أميلها .

وما المَجْدُ فى أبْناءِ « جُرْدانَ » إذ رسَا   بعاريةٍ ينوى ارْتجاعاً مُعِيرُها[١]

إذا ماتَتِ الأرْضُ ابْتَدوْهَا كأنَّما   إليهِمْ حَيَاها ، أو عَليهِمْ نُشُورُها

ودونَ عُلاهُمْ للمُسامِينَ بَرْزَخٌ   إذا كَلَّفَتْهُ العِيرُ[٢] طالَ مَسيرُها

« البرزخُ » ها هنا : ما بين السّماء والأرض ، وكلُّ ما حجزَ بين الشيئينِ فهو برزخٌ ، وناهيك بهذا مَدحا ، وحسبُك بهذا الشرفِ شَرَفاً .

والبحترىُ أحذقُ النَّاس بمدحِ أشْرافِ العَجمِ ، وذِكْرِ مناقِبِهم ، ومن ذلك ما قال [ حين ] مدح أَحْمدَ بنَ عليٍّ[٣] :

صَافِ أمثالَ أحمَدَ بنِ عَليّ   تَعْتَرِفْ فَضْلَهُ عَلى مَنْ تُصافِى

أرْيَحِيٌّ إمَّا يوافِقُ ما تَهْـ   ـوىٰ ، وإمّا يكفيكَ شرَّ الخِلافِ

همّةٌ تَرذُلُ الدَّنايا ، ونفسٌ   شَرُفَتْ أن تَهُمَّ بالإشرافِ

وعُلاً فى الصَّبَهْبَذِينَ[٤] وَدِدْنَا   أنَّها فى الزُّيودِ والأعْوافِ

قَدَّمتْهُ قوادِمُ الرِّيشِ مِنْهُمْ   حينَ خاسَتْ بآخرينَ الخَوافِى

رَهْطُ سابورَ ذي الجُنودِ[٥] وطلاَّ   بُ مَساعى سابور ذي الأكْتَافِ

عَمِرُوا يُخْلِفُونَ بَاطِلَ ما ظَنَّ (م) العِدَى بالثِّقافِ قبلَ الوِقافِ[٦]

٣٩ س  /إن بلوناك كنتْ واحِدَ آحا   دٍ لهم كَثْرةٌ على الآلافِ

---

(١) « جردان » بلد قرب كابلستان بين غزنة وكابُل ، وفى ديوانه « جرزان » وهو اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس « معجم البلدان ٢ : ١٢٤ – ١٢٥ » .

(٢) ديوانه : « العيس » .

(٣) ديوانه : ١٣٨٣ .

(٤) الصَّبَهْبَذِينَ : أى أمراء الأعاجم ، الزيود والأعواف عنى بهم العرب .

(٥) سابور ذو الجنود : سابور بن أردشير بن بابك ، أول الملوك الساسانية « ٢٤١ – ٢٧٩ م » . سابور ذو الاكتاف : سابور بن هرمز بن سرى بن سابور بن أردشير وهو سابور الثانى ، قاتل العرب ونزع أكتاف رؤوسائهم فسمى ذا الأكتاف ، « انظر الطبرى ٢ : ٤٤ وما بعدها » .

(٦) ديوانه : « بالوِقاف قبل الثِّقاف » ، الوقاف فى الحرب : أن يقف كل محارب مع الآخر ، الثقاف : الملاعبة بالسيف .

وهذا حَسَنٌ جِدّا .

وقال فى بنى الفيّاض[(١)]:

يَرْذُلُ البَحْر فى بحورِ بنى الفَيَّـ(م) ـاضِ إذ جُشْنَ بالنَّوالِ فَفُضْنَا
واسِطُو سُؤْدَدٍ فليسَ يُنادَوْ (م) نَ إلىَ المجدِ من هُنَاك وهُنَّا[(٢)]
نزلوا رَبوةَ العِراقِ ارْتيـاداً أىُّ أرضٍ أشفُّ ذِكراً وأسْنى
بين دَيْرِ العَاقولِ مُرْتَبعٌ يُشْـ ـرِفُ مُخْتَلـهٌ إلى دَيْـرِ قُنَّـى[(٣)]
حيثُ باتَ الزيتونُ من فوقِهِ النَّخْـ ـلُ عليهِ وُرْقُ الحَمامِ تَغنَّى
ما المساعِى إلا المكارِمُ تُرْتَا دُ ، وإلّا مَصانعُ المجدِ تُبْنَـى

وقالَ فى بنى الجرّاح[(٤)]:

لأُخبِرَنَّكَ عن « بنى الجراح » وعَتادهِم من سُؤْددٍ وسَماحِ
ومكانِهمْ من « فارسٍ » حيثُ الْتَقتْ غُرَرُ الجِيَـادِ تُعَـانُ بالأَوْضَاحِ[(٥)]
من بَيتِ مَكْرُمةٍ وعزٍّ أُرُومَةٍ بَسْلٍ عَلىٰ المُتَغَلِّبِيـنَ لَقَـاحِ[(٦)]
وَرِثُوا الكِتَابَةَ والفُروسَةَ قَبْلَها عَنْ كُلِّ أبيضَ مِنْهُمُ وَضَّاحِ
بِصُدورِ أقْلامٍ تَرُدُّ إليهِـمُ شَرَفَ الرِّياسَةِ ، أو صُدورِ رِمَاحِ

وقالَ فى أحمد بن محمّد[(٧)]:

أعدَدتُ وُدَّ « أبى نصر » ونُصْرَتَهُ لِشَكَّةِ الدَّهْرِ من نَابٍ وأُظْفُورِ

---

(١) ديوانه ٤ : ٢١٤٧ ، والممدوح هو على بن محمد بن الحسين بن الفياض .

(٢) هنّا : أى هاهنا .

(٣) دَيْر العاقول ، ودَيْر قنّى : ديران على دجلة بينهما بريد ، وبين دير قنى ودجلة ميل ونصف ، « الديارات للشابشتى ص ٢٦٥ » .

(٤) ديوانه ١ : ٤٧٦ والجراح هو جدّ الحسن بن مخلد .

(٥) فى س : « عور » والتصحيح من الديوان .

(٦) فى س : « المتاح » والتصحيح من الديوان ، بسل : حرام ، لقاح : الذين لم يلحقهم سبى ولم يدينوا للملوك .

(٧) ديوانه ٢ : ١٠٢٧ ، وفيه : يمدح حَمْدَ بن محمد بن أبى نصر الكاتب .

تَنازَعَتْـهُ ملـوكُ العُجْـمِ وارِثَــةً ... عن « شِمْرَ يَرْعَش » فخراً جِدَّ مَذْكُورِ (١)
مُرَدَّدٌ من قديـمٍ فى نَبَاهَتِهِـمْ ... كالمشترى لم يكن مستحدث النّور

وقال : (٢)

لِيَهْنِىءْ « بنى يزداد » أَنَّ أَكُفَّهُمْ ... خَلائِفُ أَنْواء السَّحابِ الرَّواجِسِ
ذَوى الحَسبِ الزَّاكى المُنيف عُلُوُّه ... على النَّاسِ ، والبيتِ القديمِ القُدامِسِ (٣)
إذا رَكِبوا زَادوا المواكِبَ بهجةً ... وإن جلَسوا كانُوا صدورَ المَجالِسِ (٤)
بنو الأَبْحُرِ المَسْجورةِ الفَيْضِ والظُّبا الْـ ... ـقَواضِبِ عِتْقـاً والأُسُودِ العنَـابِسِ (٥)
لَهم مُنْتَمىً فى « هاشِمٍ » بَولائِهِمْ ... يُوازى عُلاهُمْ فى أُرُومَةِ « فَارِسٍ »
وأَقلامُ كُتّابٍ إذا ما نَضَضْتَهاَ ... إلى نَسَبٍ كانت رماحَ فَوارِسِ (٦)
يرَوْنَ لِعَبْدِ الله فَضَلَ مَهابَةٍ ... تُطَأْطِىءُ لحَظْ الأَبْلَجِ المُتشَاوِسِ (٧)
يُخَلِّى الرجالُ مجْدَه لا تَرومُهُ ... وهُمْ نَابِهو الأَخطارِ شُمُّ المَعاطِسِ (٨)
ولم أَرَ مثلَ الفَضْلِ ضَنَّتْ بِغَيْرِه ... وعَادَت به نَفْسُ الحَسودِ المُنافِسِ (٩)
ولا كالْعَطايَا يَشْرُفُ النَّجمُ ما بنَتْ ... وهُـنَّ منـالٌ لِلأَكُفِّ اللّـوامِسِ
« أَبا صَالِحٍ » إنَّ المَحامِدَ تلتقي ... بسَاحـةِ رَحْبٍ من فِنَـائِكَ آنِسِ (١٠)

---

(١) ديوانه : « ملوك السّغد » ، وشمر يرعش هو : هو شمّر يهرعش بن مالك الحميرى القحطانى . وقال ابن قتيبة : هو شمّر بن أفريقش ، وسمى شمر يرعش لارتعاش كان به ، وغزا فارس ودخل مدينة « الصغد » فهدمها ، فسميت « شمركند » ، أى شمر خربها ، وكان ملكه مائة وسبعة وثلاثين سنة ، « جمهرة النسب ص ٤٣٩ والمعارف لابن قتيبة ص ٦٢٩ » .

(٢) ديوانه ٢ : ١١٢٤ .

(٣) فى س : « القرامس » تحريف ، والقدامس : العظيم .

(٤) ديوانه : « بلور » .

(٥) فى س : « العبايس » ، والتصحيح من الديوان .

(٦) ديوانه : « نصصتها » بالصاد المهملة ، ونض الشيئ : حركة .

(٧) ديوانه : « الأبلخ » أى المتكبر .

(٨) ديوانه : « يخلّى الرجال مجدكم » .

(٩) ديوانه : « مثل المجد » ، « جادت به » .

(١٠) هو أبو صالح بن يزداد .

/ بحيثُ الثَّرىٰ رَطْبٌ يَرِفُّ نَباتُهُ     رَفِيفاً ، وعهدُ الدَّهرِ لَيس بِخَائِسِ ٤٠ س
فِدَاؤُكَ أبناءُ الخُمولِ إذا هُمُ     ألاموا ، وأربابُ الخِلالِ الخَسائِسِ
وإن كنتَ قد أخَّرْتَ ذِكرَ معونَتِي     وألغيَت رَسْمِي فى الرُّسومِ الدَّوَارِسِ

وقال:(١)

يُنَوِّلُنَا « حَمُولَةُ » من بَعيدٍ     ويَحْرِمُنـــا رِجـالٌ من قَريبِ
سحابُ الجُـودِ منهلّ العزالَى     وريحٌ مِنْـهُ صادِقـةُ الهُبُـوبِ
لَهُ فى مارجِ النَّار انْتِسابٌ     بأُمّـــاتٍ نَقِيَّـــاتِ الجُيـــوبِ
سَرَاةُ الإنْسِ والجِنَّـــانِ أدَّتْ     إلى « جُوذَرْزَ » نَجْدتَها و « بِيبِ »(٢)
تَطولُ لهَا الأعاجِمُ حين يُثْنَى     وتَعْرِفُهـا القَبائِـلُ للشُّعـــوبِ

وقال البحتريّ فى مدح العَجمِ:(٣)

ما لِلْمكارِمِ ما تُريدُ سِوى « أبِى     يعقوبَ إسحاقَ بنِ إسماعيلِ »
وإلى « أبِى سَهلِ بنِ نوبْخْتَ » انْتَهىٰ     ما كانَ من غُرَرٍ لهَا وحجُولِ
نَسَبٌ كمَا اطَّرَدَتْ كعوبُ مُثَقَّفٍ     لَدْنٍ يَزِيدُكَ بَسْطَةً فى الطُّولِ
يُفْضِى إلىٰ « بِيبَ بنِ جُوذَرْزَ » الذى     شَهَرَ المَكارِمَ بعد طولِ خمُولِ

---

(١) ديوانه ١ : ٢٦٢ ، وحمولة هو : أبو العباس حمولة وزير آل أبى دلف ، اتخذ من قرية بروجرد منزلا لما عظم أمره واستبد بالجبال « معجم البلدان بروجرد » .

(٢) جوذرز وبيب من آباء الممدوح .

(٣) ديوانه ٣ : ١٨٣٥ وإسحاق بن إسماعيل بن نيبخت فارسى الأصل ، كان جده الأعلى « نيبخت » منجما عند المنصور ، وهو الذى بشره بمقتل إبراهيم بن محمد بن حسن سنة ١٤٥ ، فأقطعه ألفَىْ جريب بنهر جور « الطبرى ٦ : ٦٤٨ » ، وجده الأدنى « الفضل بن نيبخت » أبو سهل ، وكان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد ، وله نقل من الفارسى إلى العربى ، ومعوله فى علومه على كتب الفرس ، وكان من أئمة المتكلمين « الفهرست ص ٣٣٣ ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ١٦٨ » ، وكان أبوه إسماعيل ممن يجالسون المأمون ، انظر : « بغداد ص ١٦٤ ، الطبرى ٩ : ١٥١ » وانظر هامش ديوان البحترى ٣ : ١٨٣٥ ، ويبدو أن إسحاق هذا قد تقلد عملا فى الثغور ، إذ أن البحترى قال له مادحا فى هذه القصيدة :

« أن العواصم قد عُصِمْنَ بأبيضٍ     ماضٍ كَحدِّ الأبيضِ المَسْلُولِ »

الوارِثِينَ من السَّريرِ سَرَاتَهُ ... عن رَبِّ كلِّ تَحيَّةٍ مَأْمُولِ (١)
والضارِبِينَ بسُهْمَةٍ مَعروفَةٍ ... فى التَّاجِ ذى الشُّرفَاتِ والإِكْليلِ (٢)

وهذا حَسنٌ جدّا .

وقال فى بنى نُوبَخْتَ (٣) :

وإذا أبو الفَضْلِ استعارَ سَجِيَّةً ... لِلْمَكْرماتِ فَمِنْ « أبى يَعْقُوب »
لا يَحْتَذِى خُلُقَ القَصِىِّ ولا يُرىٰ ... مُتَشَبِّهــاً فى سُؤْدَدٍ بِغَــرِيبِ (٤)
يُمْضِى عَزِيمَتَهُ ، ويُوقِدُ رأْيَهُ ... عَزَمَاتُ « جُوذَرْزٍ » وسَوْرَةُ « بيبِ » (٥)
شَرَفٌ تَتَابَعَ كَابِراً عن كابِرٍ ... كالرُّمحِ أُنْبُوباً على أُنْبُوبِ

وقد قَالَ بشارٌ نحوَ هذَا :

خُلِقُوا قادةً فكانُوا سواءً ... كَكُعوبِ القَنَاةِ تَحت السِّنانِ (٦)
فَهُمُ خَمْسَةٌ كَخَمْسٍ من الدِّيـ ... ـنِ كَفَلْنَا بِهِــنَّ للدَّيَّــانِ (٧)

وهذا هُوَ المعنى الحلوُ ، لا قولُ أبى تمّام :

« كثلاثَةِ القِدْرِ (٨) »

---

(١) ديوانه : « الوارثون » ، و « عن كل رب » .
(٢) ديوانه : « والضاربون » .
(٣) ديوانه ١ : ٢٤٧ .
(٤) فى س : « ترى » بالمثناة من فوق ، والتصحيح من ديوانه .
(٥) ديوانه : « تمضى صريمته » ، « وتوقد » بالمثناة من فوق .
(٦) هذا البيت فى ملحقات ديوانه ٤ : ٢٣٤ ، وقد سبق فى ١ : ٣١٣ .
(٧) كذا فى س ، ولم أجد هذا البيت فيما بين يدىّ من مراجع .
(٨) يعنى قول أبى تمّام :
وثلاثة القدر اللواتى أشكلت ... آأخيرها ذو العبء أم قيدومها
« ديوانه ٢ : ٤٩٠ ، وشرح التبريزى : ٣ : ٢٧٤ » .

و :

« ثَلاَثَةٌ كَثلاثَةٍ »(١)

وأظنُّ البحتريَّ على هذا حذا قوله(٢) :

فى فتيةٍ طَلَبُوا غُبارَك إنّهُ    رَهَجٌ تَرَفَّع عن طَرِيقِ السُّؤْدَدِ
كالرُّمحِ فيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً    مُنْقَادَةً تحتَ السِّنانِ الأَصْيَدِ

وقد أتَى بَشّارٌ بهذا المعنى فى أوصافِ النِّساءِ فقالَ :

ويكَ إنَّ النِّساءَ بِيضًا وأُدْماً    صِبْغَةٌ مِثْلُ صِبغَةِ الأتْرابِ(٣)
/ كَكُعوبِ القَناةِ مُشْتَبِهاتٍ    وكأنَّ الرّبابَ أختُ الرَّبابِ(٤) ٤١ س

وقال البحتريُّ فى نحو هذا(٥) :

وإذا رأيتَ شمائِلَ ابْنَىْ صاعِدٍ    أَدَّتْ إليكَ شمائِلَ ابْنَىْ مَخْلَدِ
كالفَرْقَدينِ إذا تأمَّلَ نَاظِرٌ    لم يَعْلُ مَوْضِعُ فَرْقَدٍ عن فَرْقَدِ

وقالَ فى صاعِدِ بن مَخْلَدٍ(٦) :

---

(١) يعنى قوله :
بثلاثة كثلاثة الراح استوى    لك لونها ومذاقها وشميمها
« المصدران السابقان » .

(٢) ديوانه ١ : ٥٤٨ ، وفيه : « نهج ترفع » ، « خلف الستان » وقد سبق البيت الثانى فى ١ : ٣١٣ .

(٣) ديوانه :
ويكنّ النّساء بيضا وأدما    صيغة بعد صيغة الأتراب
« ديوانه ١ : ٣٦٨ » وانظر تعليق محقق الديوان .

(٤) ديوانه : « أم الكتاب » ، وانظر تعليق محققه .

(٥) ديوانه ١ : ٥٤١ ، وابنا صاعد هما : أبو عيسى العلاء بن صاعد ، وأبو صالح ، وابنا مخلد : هما صاعد والحسن .

(٦) ديوانه ١ : ٢٣٥ .

عقيدُ المَعالِى ، ماونت فى طِلَابِهِ ... لِتَعْلَقَهُ ، ولا ونى فى طِلَابِها
إذا طَمِعَ السَّاعُونَ أنْ يَلْحَقُوا بِهِ ... تمهَّل قابَ العَيْنِ أو فَوْتَ قَابِها
إذا ما تَراءَتْه العَشِيرَةُ طَالِعًا ... عَليها ، جَلَتْ ظَلماءَها بِشِهَابِها
وإن أُنْهِضَتْهُ كَافِئاً فى مُلِمَّةٍ ... من الدَّهرِ ، سَلَّت نَصْلَهَا من قِرَابِها (١)
إذَا اصْطَحَبَتْ آلاؤُهُ غَطَّتِ الرُّبىٰ ... وحُسْنُ اللآلِي زَائِدٌ فى اصْطِحابِها

جاءَ بِهذَا على القَلْبِ ، وإنَّما هو : واصطحاب اللآلى زَائِدٌ فى حسْنِها .

وقال فى إسماعيل بن بلبل (٢) :

صَغُرَتْ مقاديرُ الرِّجالِ ، وقارَبُوا ... فى السَّعي حتى ماترى لَك حَاسِدا
لو نَافَسوكَ لخَالَسوكَ من النَّدىٰ ... ما يُصْلِحونَ بِهِ الزَّمانَ الفَاسِدَا
تأبىٰ الألُوف علىٰ الألُوفِ تُرىٰ لها ... تبَعًا ، وتَتْبعُ الألوفُ الواحِدا (٣)
[ فَعَلُوا وأينَ قِيامُ من قَدْ طُلْنَهُ ... شُرُفاتُ ما تَبْنِى ذُرىً وقوَاعِدَا ]
ولَقَد بَرَعْتَ علىٰ المُلوكِ : مَحلَّةً ... عُلْوًا ، وأَفْنِيـةً يُرُقْـنَ الرَّائِـدَا
ومَددْتَ تَطَّلِبُ الذى لم يَطْلُبوا ... كفّاً تُناوِلُكَ السَّماءَ وساعِدَا

وهذا – لَعمرِى – مَدحٌ يَعلو كُلَّ مَدْحٍ ، قوله « شرفات ما تبنى » أى : طالته الشُّرْفَةُ ، وطالته القواعدُ أيضا .

وقال فى إسماعيل أيضا (٤) :

ومَكْرُمَةٍ جَلَّى « أبو الصَّقرِ » طَامِحاً ... إليها كما جَلَّى طريدَته الصَّقْرُ

---

(١) ديوانه « سيفها » .
(٢) ديوانه ٢ : ٨٢٥ .
(٣) ساقط من س ، وانظر التعليق على الأبيات .
(٤) ديوانه ٢ : ٨٧٤ ، وفيه « وأكرومة » .

تَجاوَزَها المغمورُ لا يَنْثَنِى لهَا بِعِطْفٍ ، ويَنْحُو نَحوها النَّابهُ الغَمْرُ(١)

وقال فى ابن المُدَبِّـرِ(٢) :

ومازالتِ العِيسُ المَراسِيلُ تَنْتَحى فيُقَضِّى إلى « آلِ المُدبِّرِ » حَاجُها
أُناسٌ قَدِيمُ المَكْرُماتِ وجَدْتُها لَهُم ، وسَرِيرُ « العُجْمِ » فيهِم وتَاجُها
إذا خَيَّمُوا فى الدَّارِ ضَاقَتْ رِبَاعُها وإن رَكَبُوا فى الأرضِ ثَار عَجَاجُها
مَلِيُّونَ أن تُسْقَى الدِّيارُ غِياثُها بأَوْجُههِمْ حتى تَسيلَ فِجَاجُها

ثمّ اعْتَدَّ لإبراهيمَ(٣) بما لاشَىءَ أحسنُ مِنْه فقالَ – ليس من الباب(٤) –:

يَدٌ لَكَ عَنْدِى قد أَبرَّ ضِياؤُهَا عَلى الشَّمْسِ حتَّى كَاد يَخْبُو سراجُهَا
فإن تُتْبِعِ النُّعْمَى بِنُعْمَى ، فإِنَّهُ يَزِينُ اللآلِى فى النِّظَامِ ازْدِواجُها(٥)

ولِلْبُحترِىّ افتِنَانٌ فى ذِكرِ السُّؤْدِدِ والمجد والشرف ، ومُلَحٌ كثيرةٌ / مُعْجِبَةٌ ، ٤٢ س
فمن ذلك قوله فى أبى جعفر الطّائىّ(٦) :

مُعْطًى من المَجْدِ ، مُزْدادٌ برغْبَتِهِ يَجرى على سَنَنٍ مِنْهُ وأُسلوبِ
كالعَيْنِ مَنهُومَةً فى الحُسْنِ تَتْبَعُهُ والأنفُ يَطْلُبُ أَقصَى غَايَةِ الطِّيبِ(٧)

وقال فى إسحاق بن كنداج(٨) :

---

(١) ديوانه « يجاوزها » بالمثناة من تحت .
(٢) ديوانه ١ : ٤٢٧ ، وفيه « تنبرى » .
(٣) يعنى الممدوح وهو إبراهيم بن المدبّر .
(٤) أى ليس من باب السؤدد والشرف .
(٥) سبق فى ٢ : ٨٥ .
(٦) ديوانه ١ : ٩٣ .
(٧) ديوانه « يطلب أعلى مُنتهى الطيب » .
(٨) ديوانه ٢ : ٩٧٩ والممدوح : هو إسحاق بن كنداج ، أو كنداجيق ، من أشهر القواد الخزر فى عهد المعتمد ، « الطبرى حوادث سنة ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، وابن الأثير ٦ : ٦٣ » .

شَرَفٌ تَزَيَّدَ بالعراقِ إلى الذى عَهِدُوهُ « بالبَيْضاءِ » أو « بِبَلَنْجَرا »(١)
مِثْلُ الهِلالِ بدا فلَمْ يَبْرح به صوغُ اللّيالى فيهِ حَتَّى أقْمَرا

قوله : « صَوغُ اللَّيالِى » من أحْسَنِ لَفْظَةٍ ، وأوْقَعِهَا فى أحسنِ مَوْضِعٍ يَليقُ بِهَا .

وقال فى مُحمَّد بن حُمَيْدٍ(٢) :

« أبَنِى حُمَيْدٍ » طالَ مَجْدُ مُحمَّدٍ لمَّا تَطَاوَلتُمْ لِبُعْدِ مَنالِهِ
ولكم ، وإن لا تَلحقونَ بشأوِهِ(٣) شَرَفٌ تَظَلُّ الشَّمسُ تحتَ ظِلَالِهِ
لا تَحْسُدوه فَضْلَ رُتْبَتِهِ التِى أعْيَتْ عَلَيكُمْ ، وافْعلوا(٤) كَفعَالِهِ
مُتنقِّلٌ من سُؤْدَدٍ فى سُؤْدَدٍ مِثْلَ الهِلالِ جَرىٰ إلى استِكْمَالِهِ

وقالَ فى أبى عامرٍ الخضرِ بنِ أحمدَ التَّغْلبىّ(٥) :

وَأغَرُّ يَرفَعُهُ أبوه وكَمْ لِكريمِ قَومٍ من أبٍ يَضَعُهْ
إن سَرَّكَ استيفاءُ سُؤْدَدِهِ بالرَّأْىِ تَبحثُهُ وتَنْتَزِعُهْ
فانظرْ بعَيْنِكَ(٦) أيَّةً لَحِقَتْ ضَوءَ الغزالَةِ أينَ مُنْقَطَعُهْ

وحَسْبُكَ بهذا حُسناً وحلاوةً .

ومن أعجبِ ما أتىٰ به فى هذا البابِ قَوْلُهُ فى علىِّ بنِ مُرّ(٧) :

---

(١) « البيضاء » مدينة مشهورة بفارس ، سميت البيضاء لأن لها قلعة تبيّن من بعد ويرى بياضها ، بينها وبين شيراز ثمانية فراسخ ، تامة العمارة ، خصبة جدا « معجم البلدان ، ١ : ٥٢٩ » ، « بلنجر » : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب فتحها عبد الرحمن بن ربيعة ، أو سلمان بن ربيعة الباهلى ، « معجم البلدان ١ : ٤٨٩ » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧٨٥ .

(٣) ديوانه « ولستم لاحقين بشأوه » .

(٤) فى س : « فافعلوا » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٢٥٠ .

(٦) ديوانه « فاطلب بعينك » .

(٧) ديوانه ٢ : ٩٥٧ .

وَمُصْعِدٍ فى هِضَابِ المَجْدِ طَالِعُها     كأنَّـهُ لسِكـونُ الجَـأْشِ مُنْحَـدِرُ (١)
مازالَ يَسْبِقُ حتى قالَ حَاسِدُهُ     لَهُ طَرِيقٌ إِلىٰ العلياءِ مُخْتَصَرُ

وقالَ أبو تمّامٍ فى عُمَرَ بنِ عبد العزيزِ الطَّائى (٢) :

للهِ درُّ بنى عبدِ العَزيزِ فكَمْ     أَرْدَوْا عَزيزَ عِدًى فى خَدّهِ صَعَرُ
تُتْلىٰ وصَايَا المَعَالى بين أَظْهُرِهِمْ     حَتَّى لَقَدْ ظَنَّ قومٌ أَنَّها سُوَرُ
بل لَيْتَ شِعْرِىَ من هاتَا مَآثِرُهُ (٣)     ماذَا الذى بِبُلوغِ القَومِ ينْتَظِرُ

وهذا أيضًا جَيِّدٌ حسن .

وقال البُحْتُرِىُّ (٤) :

لا تَنْظُرَنَّ إلى « الفَيَّاضِ » من صِغَرٍ     فى السِّنِّ ، وانْظرْ إلى المجدِ الذى شَادَا
إنَّ النّجومَ – نجومَ اللَّيلِ – أَصْغَرُها     [ فى العين ] أَذْهَبُها فى الجوِّ إصعادا

وقال فى الطّائىّ أبى جعفر (٥) :

بَلَغَ السيادَةَ فى بُدوِّ شَبابِهِ     إنّ السَّوادَ مَظَنَّـةٌ للسُّؤْدَدِ
فى كلِّ يومٍ رُتبةٌ يَزْدَادُها     ومُشارِفُ (٦) النُّقْصانِ مَنْ لَمْ يَزْدَدِ

/ وقالَ (٧) : ٤٣ س

---

(١) ديوانه « يطلعها » .
(٢) ديوانه ١ : ١٤٩ وشرح التبريزى : ٢ : ١٨٩ ، والممدوح عم أبى الخطاب الحسن بن محمد بن عبد العزيز الطائى ممدوح البحترى .
(٣) ديوانه وشرح التبريزى : « ياليت » ، و « ببلوغ النجم » .
(٤) ديوانه ١ : ٦١٠ ، والفياض هو أبو الحسن على بن محمد بن الفياض ، من أصل فارسى ، من أهل ديرقنى ، كاتب إسحاق بن كنداج ، ولى بعض الأعمال للسلطان فى الأنبار « الديارات ص ٣٩٦ وأخبار البحترى ص ١١٧ ، والطبرى ١٠ : ٢٠ » ، وما بين الحاصرتين سقط من س .
(٥) ديوانه ٢ : ٦٩٠ والممدوح هو أبو جعفر أحمد بن محمد الطائى ، وفيه : « إن الشباب مطية » ، وقال محققه فى الهامش بعد أن ذكر الرواية الأخرى : « وهذا تحريف » .
(٦) ديوانه « ويشارف » .
(٧) ديوانه ٣ : ١٦٩٤ .

فتىً لَمْ يُنَكِّبْهُ الشَّبابُ عن الحِجَى ولم يَنْسَ عَهْدَ اللَّهوِ والشَّيْبُ شاغِلُهْ (١)
إذا سُؤْدَدٌ دانٍ لَهُ مَدَّ هَمَّهُ إلى سُؤْدَدٍ نائى المَحلِّ يُزاوِلُهْ
تَوَقَّعُ أن يَحْتَلَّها دَرَجُ العُلا كَما انْتَظَرتْ أوبَ الهلالِ مَنازِلُهْ (٢)
وكم عِدَّةٍ للمَجدِ بادَرَ فَوْتَها وعَائرِ حَمْدٍ أَعْلَقَتْهُ حَبائِلُهْ (٣)

وقال فى إبراهيمَ بن الحسنِ بن سهلٍ (٤) :

يفديك قومٌ ليسَ يوجَدُ مِنْهُمُ فى الحَمدِ مَرْئِىٌّ ولا مَسْمُوعُ
خُدِعُوا عن الشَّرفِ المُقيمِ تَظَنِّياً مِنهمْ بأَنَّ الواهِبَ المخْدُوعُ
باتَتْ خَلائِقُهمْ علىٰ أمْوالِهِمْ وكأنَّهُنَّ جَواشِنٌ ودُروعُ
قَنِعوا بَمْيسورِ الفَعالِ وأُوهِمُوا أنَّ المَكارِمَ عِفَّةٌ وقُنوعُ
كلاّ ، وكلُّ مُقصِّرٍ مُتَجَهْوِرٍ عِنْدَ الحَطيمِ طَوافُهُ أسْبُوعُ
لا يَبْلغُ العَلْياءَ غير مُتَيَّمٍ ببلُوغِها يَعْصى لهَا ويُطِيعُ

وقال (٥) :

أَوَ مَاتَرونَ الشامِتينَ أمَامَكُمْ ووراءَكُمْ من مُضْمِرٍ أو مُظْهِرِ
من غَيرِ ذَنْبٍ جِئْتُموهُ سِوَى عُلاً زُهْرٍ لِجَدِّكُمُ الأغرِّ الأَزْهَرِ
فَكأنّمَا شَرَفُ الشريف إذا انْتَمى جُرمٌ جناهُ إلى الوضيعِ الأَصْغَرِ

وقال البحتريُّ فى إسماعيل بن بلبل ، وهو من بنى شيبان (٦) :

---

(١) ديوانه « شامله » .
(٢) فى ديوانه « درَجَ » بالنصب والصحيح ما أثبتُّ .
(٣) ديوانه « وكم غرّة » .
(٤) ديوانه ٢ : ١٣١٥ ، وفيه : « فى المجد » ، وفى س : « مرائى » .
(٥) ديوانه ٢ : ١٠٣٢ .
(٦) ديوانه ٢ : ٨٧٢ .

سَيَجْبُرُ كَسْرِى « المَصْقَلِيُّونَ » إِنَّهُمْ بهمْ تُدْفَعُ الجُلَّى ويُجْتَبَرُ الكَسْرُ (١)
فما تَتَعاطَى ما يَنالونَهُ يَدٌ ولا يَتَقَضَّى ما يُنِيلُونَهُ شُكْرُ (٢)
إذا اتَّجَرُوا فى سُؤْدَدٍ وتَزَايَدُوا فأَنْفَقُ ما أَبْضَعْتَ عندهُمُ الشِّعْرُ (٣)
يُجازِى القَوافِى بالأَيادِى مُبِرَّةً تَضاعِيفُها عن كُلِّ وَاحدةٍ عَشْرُ (٤)
وما سَوَّدَ الأَقوامُ مِثْلَ « عُمَارَةٍ » إذا نُسِىَ الأَقوامُ شَاعَ لهمْ ذِكْرُ (٥)
تَجَنَّبْ سواهم لِلْعُلَا واتِّبَاعِهَا بِسَعْيٍ ، وعَرِّسْ حيثُ أَدرَكَكَ الفَجْرُ (٦)

وقال فى الهَيْثَمِ بن عثمانَ الغَنَوِيِّ (٧) :

لا يَقْتُلُ الحُسَّادُ أَنفُسَهمْ فَقَدْ هَتكَ الصَّبَاحُ دُجى الهَزِيعِ المُظْلِمِ
غَنِيَتْ « غَنِيٌّ » بالذُّرَى من مَجْدِهَا وقبائِلٌ بيـنَ الحصىٰ والمَنْسِمِ (٨)
فَقِفوا على أَحْسَابِكُمْ وهُبوطِهَا ودَعُوا العُلوَّ فإِنَّهُ فى الأَنْجُمِ (٩)

وقال فيها :

ولقَدْ جَرَيْتَ إِلىٰ المعالى سَابِقاً وأَخَذْتَ حظَّ الأَوَّلِ المُتَقَدِّمِ (١٠)
وكَبَا عَدُوُّكَ حين رَامَكَ لِلَّتى تُخْشَىٰ فَقُلْنا : لِلْيَدَينِ ولِلْفَمِ (١١)

---

(١) المصقليون : نسبة إلى مصقلة بن هبيرة الشيبانى ، كان عاملا لعلى ، ابتاع بنى سامة بن لؤى وأعتقهم وفرّ إلى معاوية ، وولاه معاوية « طبرستان » فسار إليها بجيش كبير ، وتوغل فيها دون أن يؤمن خطوطه الخلفية ، فأخذها عليه العدو بعد عبوره المضايق ، ورموه بالحجارة فقتلوه ، وهلك أكثر جيشه . ويقال فى المثل : « حتى يرجع مصقلة من طبرستان » ، « المعارف ص ٤٠٣ ، ومعجم الشعراء ٤٤٧ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٢١ ، مروج الذهب ٢ : ٤١٩ ، ومعجم البلدان ٤ : ١٥ » .

(٢) فى الديوان « يتقصى » بالصاد المهملة .

(٣) ديوانه « إذ تجروا » .

(٤) ديوانه « فى كل .... » .

(٥) ديوانه « شاع له » .

(٦) ديوانه « تجنب سراهم للعلا وابتغائها » .

(٧) ديوانه ٤ : ٢٠٨٤ .

(٨) « غنى » قبيلة الممدوح ، وغنى : هو عمرو بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان « الجمهرة ص ٢٤٧ » .

(٩) ديوانه « فقعوا » ، و « فإنه للأنجم » .

(١٠) ديوانه « فأخذت » .

(١١) ديوانه « حين رام بك التى » .

/ كَذَا واللهِ يكونُ المَدحُ ، فَلْيَقُلْ الشّاعِرُ ، أو فَلْيُمْسِكْ . ٤٤ س

وقالَ أبو تمّام فى بنى حُمَيْدٍ[١] :

عَهدِى بهِمْ تَستَنِيرُ الأَرضُ إنْ نَزَلُوا ... فيها وتَجْتَمِعُ الدُّنيا إذا اجْتَمعُوا

ويَضْحَكُ الدَّهرُ مِنْهُمْ عَنْ غطَارِفَةٍ ... كأنَّ أيَّامَهُمْ من حُسْنِها جُمَعُ[٢]

وقالَ أبو تمّام[٣] :

إذا أَكْدَتْ سَوامُ الشِّعْر أَضْحَتْ ... عَطَاياهُ وهُنَّ لَها مَرَاعِى[٤]

سَعىٰ فاسْتَنْزَل الشَّرفَ اقْتِسَاراً ... وَلَوْلا السَّعْىُ لم تَكُنِ المَسَاعِى

وما فى الأَرْضِ أَنْصَحُ للمعَالِى ... إذا دُوجِينَ من جُودٍ مُطَاعِ[٥]

قَوْلُهُ :

« سَعى فاسْتَنزَلَ الشَّرفَ اقْتِسَاراً »

ليسَ بالمعنى الجيِّدِ[٦] ، بل هو عندى هِجاءٌ مُصرَّحٌ ، لأنَّه إذا استنزل الشرف فقد صار غير شريفٍ ، لأنك إذا ذممت رجلا شريف الآباء ، كان أبلغ ما تذمُّهُ بِهِ أن تقولَ : قد حُطَّ شَرَفُهُ ، وَوُضِعَ من قَدْرِهِ وشَرَفِهِ ، وقد بَيَّنْتُ هذا فى أغاليطه مشروحًا مُستْقْصىً .

---

(١) ديوانه ٣ : ٣١١ وشرح التبريزى : ٤ : ٩١ ، وفيه « يرثى بنى حُمَيد بن قحطبة » ، وهو حُمَيد ابن قحطبة بن شبيب الطائى ، من قواد الدولة العباسية الشجعان ، « الطبرى حوادث ١٤٣ – ١٦٠ – النجوم الزاهرة ٢ : ١ – ٣٥ » .

(٢) شرح التبريزى : « من أنسها جمع » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٥ والتبريزى ٢ : ٣٣٨ .

(٤) فى س : « أكلأ » « وهن له » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى .

(٥) ديوانه والتبريزى : « أعصى لامتناع » ، وفيها « بسوق الذم » ، وفى س : « جودين » تحريف والتصحيح من النظام ٢ : ١٤١ « رواية الصولى » ، وديوانه مخطوط « فاتح استانبول رقم ٣٧٧٢ » لوحة ١١٢ ، وانظر التعليق الذى سيأتى بعد قليل .

(٦) فى س : « غير شرف » والتصحيح من ١ : ٢٤٠ فعبارات التعليق واحدة .

وقوله :

وما فى الأرض أَنْصَحُ لِلْمَعَالِى　　إذا دُوجِينَ من جُودٍ مُطَاعِ (١)

فياوَيْحَهُ ، بلَغَ بِهِ عِشْقُ الاستعارةِ إلى نُصْحِ المَعالى ومُداجَاتِها (٢) ، سَوْأَةً لَهُ .

وقد غَضِبَ ديكُ الجِنّ على الدَّهرِ ، وذَكر أَنَّه لا يَنْصَحُهُ ، ولست أدرى أَيُّهُمَا تَبِعَ صاحِبَه فى هذا الجُنونِ المَحْضِ فقَالَ (٣) :

لا جرَّدَ الدَّهْرُ لِى كفًّا تُعاقِدُنِى　　عقداً من النُصْحِ إلا وَهْوَ مَنْقُوضُ
ولا بَسَطْتُ يدًا للدَّهْرِ أَنْصَحُهُ　　ما عِشْتُ إلاّ بِنُصْحٍ فيهِ تَمْرِيضُ
قد سَوَّدَ الدَّهْرُ ما كانت تُبَيِّضُهُ　　من الأَيادِى لَدَىَّ السُّودُ والبِيضُ

وقال أبو تَمّامٍ — ويُكْتَبُ فى أَوَّلِ البَابِ (٤) —:

لآلِ وهْبٍ أَكُفٌّ كُلَّما اجْتُدِيَتْ　　فَعَلْنَ فى المَحْلِ مالاَ تَفْعَلُ الدِّيَمُ (٥)
قومٌ تَراهُمْ غَيَارَى دُونَ مَجْدِهِمُ　　حتى كأنَّ المَعالى عندهُمْ حُرَمُ (٦)

وهذا من مُخْتارِ مَعانيهِ .

---

(١) فى س : « جُوذِبْنَ » ، وهذه رواية أخرى ، والشرح على ما أثبتُّ .

(٢) هذا يدل على أن رواية الموازنة « دوجين » ، والمداجاة : المجاملة ، يقال : داجيت فلانا إذا ماسحته على ما فى قلبه وجاملته .

(٣) ديك الجن هو : أبو محمد عبد السلام بن رغبان ، ولد بحمص سنة ١٧١ ، وهو من شعراء الدولة العباسية ، ومن معاصرى أبى تمّام ، توفى سنة ٢٣٦ ، « وفيات الأعيان ٣ : ١٨٤ والأغانى ١٢ : ١٣٦ » .

أما الأبيات فلم أجدها فى ديوانه كما لم أقف عليها فيما بين يدى من مراجع .

(٤) ديوانه ٣ : ٥٤٠ وشرح التبريزى ٤ : ٤٩٠ .

(٥) فى ديوانه وشرح التبريزى : « لآل سهل » وفيهما « وقال يعاتب محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل » ، وفى س : « فعلن فى المجد » تصحيف .

(٦) فى الأصل : « حَرَم » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى . وفى ديوانه فقط : « غيارى عند مجدهم » .

وقال :[١]

يكادُ نَداهُ يتركُـهُ عَديماً    إذا هَطَلتْ يدَاهُ على عَديمِ
تَراهُ يَذبُّ عن حَرَمِ المَعالى    فتَحْسَبُهُ يُدافِعُ عنَ حَريمِ

وهذا أيضًا مثلُ الأَوّلِ فى الجَودةِ[٢] أو قَريبٌ مِنْهُ .

* * *

(١) ديوانه ٢ : ٣٩٢ وشرح التبريزى ٣ : ١٦١
(٢) فى س : « الجود » .

## بابٌ في الحسد[1]

قالَ أبو تمّام[2]:

مُخامِري حَسَدٍ مَاضَرَّ غَيرَهُمُ كأنّما هُوَ في أبْدانِهِمْ مَرَضُ

وقال[3]:

هُمُ حَسَدوهُ - لاَمَلُومينَ - مَجْدَهُ وما حَاسدٌ في المَكْرُماتِ بِحَاسِدِ

/ وقال[4]: ٤٥ س

وَاعذُرْ حَسودَكَ فيما قَدْ خُصِصْتَ بِهِ إنَّ العُلىٰ حَسَنٌ في مِثْلِها الحَسَدُ

وقال[5]:

مُمْتَلِيءُ الصَّدْرِ والجَوَانِح من رَحْمَةٍ مَمْلوُئِهِنَّ من حَسَدِه

وقال[6]:

وإذا سَرَحْتَ الطَّرفَ حَولَ قِبابِهِ لم تَلْقَ إلّا نِعْمَـــةً وحَسُودَا

---

(١) لم يذكر الآمدى هذا الباب مع أبواب المديح التى وردت فى الجزء الثانى ص ٣٣١ .

(٢) ديوانه ١ : ٥٩٣ وشرح التبريزى ٢ : ٢٨٤ .

(٣) ديوانه ١ : ٤٦١ وشرح التبريزى ٢ : ٧٣ ، وفى ديوانه : « بالمكرمات » .

(٤) ديوانه ١ : ٤٢٩ وشرح التبريزى ٢ : ٢١ .

(٥) ديوانه ١ : ٤١٦ وشرح التبريزى ١ : ٤٣٧ يقول : هو ممتلئ الصدر والحشا من رحمة مملوئهنّ من حسده « النظام حـ ١ لوحة ٣١٢ » .

(٦) ديوانه ١ : ٤٠٨ وشرح التبريزى ١ : ٤١٩ .

وقال[١] :

وإذا أَرادَ اللهُ نَشْرَ فَضيلَةٍ طُوِيَتْ أَتاحَ لها لِسانَ حَسُودِ
لولا اشتِعالُ النَّارِ فيما جاوَرَتْ ما كانَ يُعْرفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ
لولا التَّخوُّفُ للعَواقِبِ لَمْ تَزَلْ للحاسِدِ النُّعْمَىٰ علىَ المَحْسودِ

وهذا غايةٌ فى حُسْنِه وحلاوتِهِ وصِحَّةِ تَمْثِيلِهِ ، وهو إحسانُهُ المشْهورُ .

وقال[٢] :

مُشَمِّرٌ ما يكِلُّ فى طَلَبِ الْـ ـعلْياءِ والحَاسِدُونَ فى طَلَبِهْ
أَعلاهُـمُ دُونَـه وأَسْبَقُهُـــمْ إلىٰ العُلَىٰ واطِىءٌ على عَقِبِهْ

وقال[٣] :

أَحَبُّ مُدانِيهِ إلَيْهِ مُكَاشِحٌ يُنَـافِسُهُ فى سُؤْدَدٍ ويُماجِــدُه[٤]
مَحَا حِقْدَهُ عندَ التَّيقُّـنِ أَنَّـهُ علَى المَجْدِ يوماً لا عَلَى المالِ حَاسِدُهْ[٥]

وقالَ البحتريُّ[٦] :

نِعَمُ اللهِ عِنْدَهُ ، وعلَيْهِ عِلَلٌ مايُبِلُّ مِنْهـا حَسُودُهْ

---

(١) ديوانه ١ : ٣٩٥ ، وشرح التبريزى ١ : ٣٩٧ .

(٢) ديوانه ١ : ٣٢٢ وشرح التبريزى ١ : ٢٧٢ .

(٣) ديوانه بشرح الصولى ١ : ٥٠٨ ووجدتهما ضمن قصيدة فى القسم المنحول الملحق بشرح التبريزى ، وبيَّن محققه أن هذه القصيدة أثبتها ابن المستوفى فى كتابه « النظام » ، ونقل شرح الصولى والآمدى والخارزنجى عليها ولم يجدها فى النسخ الأخرى التى بين يديه ، ثم قال : « ولانجد مايمنع من صحة نسبتها إليه » « التبريزى ٤ : ٦٢٥ » . وقلت : وجدت هذه القصيدة فى نسخة لديوان أبى تمّام « مخطوطة » وبرواية الصولى وبخط محمد بن مظفر بن أبى نصر بن سرح الوزيرى وكتبت سنة ٥٨٠ هـ فى مكتبة أيا صوفيا برقم ٣٨٧٣ لوحة ٦٧ .

(٤) شرح التبريزى والنسخة المخطوطة من ديوانه « أدانيه » .

(٥) شرح التبريزى والمخطوطة : « مما حقده عنه » .

(٦) ديوانه ٢ : ٧٥٣ ، وفيه « عَلَلٌ ، مايُبَلُّ » والعلل : الشرب الثانى ، ورواية الموازنة أجود ، وبَلَّ من مرضه أى شُفِىَ .

وقال[١] :

مَكارِمُ هُنَّ الغيظُ باتَ غَليلُهُ     يُضَرِّمُ فى صَدْرِ الحَسُودِ المُكَابِد[٢]
ولنْ تَستَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ     إذا أنْتَ لم تُدْلِلْ عَلَيها بِحَاسِدِ[٣]

وهذا من قول أبى تمّام[٤] .

[ وقال ][٥] :

حادَ عن مجدِكَ المُسامِى وأمْعَنْـ     ـتَ عُلُوًّا ، فصَدَّ عنك الحَسودُ

وقال[٦] :

يَئِسَ الحاسدونَ مِنكَ ، وما مَجْـ     ـدُكَ مِمَّا يرجُوهُ ظَنُّ الحَسُودِ

وقال[٧] :

ويَرُدُّ غَرْبَ مُساجِلِيكَ إذَا غَلَوْا     سَعْىٌ أطَلْتَ بِهِ عَنَاءَ الحَاسِدِ
جَهِدُوا على أنْ يَلْحَقُوكَ وأفْحَشُ الـ     ـحِرْمانِ يُقْدَرُ للحَرِيصِ الجَاهِدِ

وهذا حَسنٌ جِدّاً

وقال[٨] :

/ نِعَمٌ إذا ابْتَلَّ الحسودُ بِسَيْبِها     أَحْيَتْهُ بالإفْضالِ وهىَ حُتُوفُهُ     ٤٦ س

---

(١) ديوانه ١ : ٦٢٥ .
(٢) ديوانه : « المكايد » بالمثناة التحتية .
(٣) سبق هذا البيت فى ١ : ٣٢٥ ، وفى س : « يستثير الدهرُ » .
(٤) يشير هنا إلى ما ذكره فى الجزء الأول من أن البحترى أخذ معنى بيته السابق من قول أبى تمام :
وإذا أراد الله نشر فضيلة     طويت أتاح لها لسان حسود
(٥) ديوان البحترى ٢ : ٧٢٢ .
(٦) ديوانه ١ : ٦٣٨ .
(٧) ديوانه ١ : ٥٥٢ .
(٨) ديوانه ٣ : ١٤٢١ وفى الأصل : « بعيبها » تحريف .

وقال :[١]

وَمَلأْتَ أحشاءَ الحَسُودِ بَلابِلاً    فارْتَدَّ يَحْسُدُ فيكَ من لَمْ يَحْسُد

وقال فى البَيْعَةِ التى أَخذها المُتوكلُ لِوُلاةِ عُهُودِهِ :[٢]

فَنِيَتْ أحاديثُ النُّفوسِ بِذِكْرِهَا    وأفاقَ كلُّ مُنافِسٍ وحَسُودِ
واليأْسُ إحدى الرَّاحَتَيْنِ ولن تَرَى    تَعباً كَظَنِّ الخَائِبِ المَكْلُودِ

وقال فى مدح ابن طَاهر :[٣]

ومَرْضَىٰ من الحُسَّادِ قد كَانَ شَفَّهُمْ    تَوقُّعُ هَذَا الأَمْرِ قَبلَ وقُوعِهِ
وما عُذْرُهُمْ فى أَنْ تَغِلَّ صُدورُهُمْ    على نَاشِرِ الإِحْسانِ فِيهِمْ مُشيعِهِ ؟
لئن شَهَر السُّلطانُ أَمْضىٰ سُيوفِهِ    ورَشَّح عُودُ المُلِكْ أَزْكىٰ فُروعِهِ
فلا عَجَبٌ أن يَطْلُبَ السَّيلُ نَهْجَهُ    وأَنْ يَسْتَقِيمَ المُشْتَرِى من رُجُوعِهِ

وهذا لَاشَىءَ أحسنُ مِنْهُ .

وقال :[٤]

وكَم لَكَ فى النَّاسِ من حَاسِدٍ    وفى الحَسدِ النَّزْرِ حَظُّ الحَسُودِ

وقال :[٥]

وكم أَنافَتْ من الأَبْنَاءِ مَأْثُرةٌ    مَشهورةٌ تَدعُ الآباءَ حُسَّادَا

وقال :[٦]

---

(١) ديوانه ١ : ٥٤٩ . وفيه : « أحشاء العدو » .
(٢) ديوانه ٢ : ٧٠١ ، وقد عقد المتوكل لأبنائه الثلاثة سنة ٢٣٥ بولاية العهد وهم : محمد المنتصر ، والمعتز بن قبيحة ، وإبراهيم المؤيد « الطبرى أحداث سنة ٢٣٥ » .
(٣) ديوانه ٢ : ١٢٧٨ .
(٤) ديوانه ٢ : ٧٦٦ .
(٥) ديوانه ١ : ٦١١ ، وفيه « مكرمة مشهودة » .
(٦) ديوانه ٣ : ١٨٤٠ .

شَغَلَ الحَاسدينَ أنْ لَمْ يَبيتُوا ... قَطُّ من هَمِّهِ ولا أشْغالِهْ
فاضِحاً سَعْيَهُمْ إذا مَا تَعاطَوْا ... سَعْيَهُ فُحْشُ نَقْصِهِم عن كَمَالِهْ

وقال :(١)

صَغُرَتْ مقاديرُ الرِّجالِ ، وقارَبُوا ... فى السَّعْى حَتَى ما ترَى لَك حَاسِدَا(٢)
لو نافسُوكَ لخَالَسُوكَ من النَّدىٰ ... ما يُصْلِحُونَ به الزَّمانَ الفَاسِدَا

وقال :(٣)

« أَبَنِى حُمَيْدٍ » طَالَ مَجْدُ « مُحمَّدٍ » ... لمَّـا تَطاوَلْتُم لِبُعْـدِ مَنَالِـهِ
ولَكُمْ ، وإنْ لا تَلْحَقُونَ بِشَأْوِهِ ... شَرَفٌ تَظَلُّ الشَّمْسُ تَحْتَ ظِلَالِهِ(٤)
لا تَحْسُدوه فَضْلَ رُتْبَتِهِ التَّى ... أعْيَتْ عليكُمْ ، وافْعَلُوا كَفَعَالِهِ

وقال :(٥)

لاَ يقْتُلِ الحُسَّادُ أنْفُسَهُمْ فَقَدْ ... هَتَكَ الصَّباحُ دُجَى الهَزِيعِ المُظْلِمِ
وكَبَا عَدوُّكَ حينَ رامَ بكَ التَّي ... تُخْشَىٰ فَقُلْنَا : لِلْيَدَيْنِ ولِلْفَمِ

وقال :(٦)

مُحَسَّدٌ بخِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٍ ... ولَيْسَ تَفْتَرِقُ النُّعماءُ والحَسَدُ

/ وقال :(٧) ٤٧ س

مُحَسَّدٌ ، وكأنَّ المَكرُماتِ أبَتْ ... أنْ تُوجَدَ الدَّهْرَ إلا عِنْدَ مَحْسُودِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٨٢٤ ، وقد سبقا ص ١٠٦ .
(٢) س : « الحاسدا » تصحيف ، انظر ما سبق ص ١٠٦ .
(٣) ديوانه ٣ : ١٧٨٥ .
(٤) ديوانه « ولستم لاحقين بشأوه » .
(٥) ديوانه ٤ : ٢٠٨٥ .
(٦) ديوانه ١ : ٤٩٦ .
(٧) ديوانه ١ : ٥٥٦ .

وقال : (١)

خلائِقُ ما تَنْفَكُّ تُوقِفُ حَاسِداً ... لَهُ نَفَسٌ فى إثْرِها مُتَراجِعُ

ولن يَنْقلَ الحُسَّادُ مَجْدكَ بَعْدَما ... تَمكَّن رَضْوىٰ واطمأنَّ مُتالِعُ (٢)

وقال : (٣)

بِفَضيلةٍ فى النَّفسِ تُوجَدُ عِندُه ... بِفضَائِــــلِ الآبَاءِ والأَجْدَادِ (٤)

ومَحلَّةٍ تَعْلُو فَتَسْقُطُ دُونَها ... هِمَمُ العِدىٰ ونَفاسَةُ الحُسَّادِ

وقال : (٥)

هُبِلَ الحَسودُ لَقَدْ تَكلَّفَ خُطَّةً ... تُبْدِى الخِزَايَةَ فى وُجُوهِ الحُسَّدِ

لَوُمَتْ خَلائِقُهمْ فكَذَّبَ سَعْيُهُمْ ... عن سَعْيِ فَرْدٍ فى المَكارِمِ أَوْحَدِ

وقال : (٦)

يَئِسَ الحاسدونَ مِنكَ ، وكانُوا ... أسَفاً يَنظُرونَ نَحْوك حُولَا

ورأَوْا أنَّهُــمْ إذا وَصَلُـوا تِلْـ ... ـكَ المَساعِى بالفِكْرِ ذَابُوا نُحولَا

فَثنَوْا عَنْكَ أعْيُنـاً وقُلوبـاً ... لم يَرُدُّوا إلاَّ حَسيراً كَليلا

وكَفَانى على الذى يُوجَدُ الفَضْـ ... ـلُ لَديهِ بالحَاسدينَ دَليلا

---

(١) ديوانه ٢ : ١٣٠٥ .

(٢) سبق فى ١ : ٣٥٣ ، ورضوى ومتالع : جبلان « معجم ما استعجم ص ٦٥٥ ، ١١٨١ » .

(٣) ديوانه ٢ : ٧٣٣ .

(٤) ديوانه « توصل عنده » .

(٥) ديوانه ٢ : ٦٩٠ .

(٦) ديوانه ٣ : ١٧٦٦ .

قد تَصرَّفا فى هذا الباب تَصرُّفاً حسنا ، غير أنى أفضل أبا تمّام لقوله :

« وإذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ »

لأنَّهُ مَعنىً مُتناهٍ فى حُسْنِه وحَلاوةِ لَفْظِهِ.[١]

* * *

(١) هنا ينتهى باب المديح الذى بدأ فى الجزء الثانى ووقف فيه عند وصف البهاء والهيبة والجلال والجمال .

# الجُودِ والكَرَمِ

هذا بابٌ يُعوِّلُ عليهِ الشعراءُ فى المديحِ ، لأنَّ الجودَ قد يكونُ فى المَلِكِ والسُّوقَةِ ، والشريفِ والدُّونِ .

وأنا الآن أُمَيِّزُ فى هذا الكتابِ أنواعَ الجودِ والكرمِ ، وأنتزعُ من القصائِدِ الأبياتَ المتجانسةَ ، وأُبَوِّبُها أبواباً ، وأُوازِنُ بَينَها ، لِيَصَحَّ القولُ ، ويلوحَ التَّفْضِيلُ ، فأَبْتَدِىءُ بما قالاه :

– فى الرّجاء والتّأميل ،
– وفى الوعد وإنجازه ،
– وفى الابتداء بالعطاء ،
– وفى البشر عند السّؤال ،
– وفى الإكثار من العطاء ،
– والقصد والإسراف ،
– وتعجيل العطاء ،
– ومتابعة العطاء ،
– وتشبيه جود الجواد بالسّحاب والغيث والأنواء ،
– وبالبحر ،

– وفى خبط الجواد بنائله من غير تمييز ،
– وفى عذل الجواد على الجود ،
– وفى تعجرف الجواد على ماله حتى يتلفه ،
– ودفع جود الجواد وعطاياه لنوائب الدّهر ،
– وإعطاء الجواد حتّى لا يجد من يعطيه ،
– وفى التذاذ الجواد بالجود ،
– وإغناء الجواد للسائلين حتّى يكونوا مسئولين ،
– / واكتساب الشرف (١) بعطاء الجواد ، ٤٨ س
– وفى اعتذار الجواد بعد العطاء والاعتذار له ،
– وفى إخفاء الجواد لنائله ،
– وفى شفاعة الجواد إلى غيره مع ما يجود به ،
– وفى ما استنّه الكريم للنّاس (٢) من الكرم حتى اقتدوا به ،
– وفى نوادر من باب الجود ،
– وفى الاعتداد بنعم الممدوحين ،
– وفى الشكر والثناء .

* * *

(١) فى س : « بالعطاء بعطاء الجواد » .
(٢) فى س : « المجد » .

## الرجاء والتأميل[1]

قال أبو تمّام[2] :

رجَاؤُكَ للباغِى الغِنَى عاجِلُ الغِنَى وأَوَّلُ يومٍ من لِقائِكَ آجِلُهْ

هذا بيت فى غاية الحُسْن والحلاوةِ ، يقول :

عاجِلُ الغنى لمن يبتغيه عندك هو رَجاؤُهُ إيّاكَ ، وآجلُ الغنى هو أن يلقَاكَ ، أى ليس يتأخرُ الغِنى عنه بعد لِقَائِكَ .

ونحو صَدرِ هذا البيت قولُ البحتريّ[3] :

ما فقَدنا الإعدامَ حتَّى مَددْنَا أملاً نحو سَيْبِكَ المَوجُودِ

صدر [ بيت ] أبى تمّامٍ أجودُ وأبلَغُ وأَجمعُ من بيتِ البحترِىّ بأَسْرِه .

وقال أبو تَمّام[4] :

رأيتُ رَجائِى فِيكَ وحدك هِمَّةً ولكنّه فى سَائِرِ النَّاس مَطْمَعُ

---

(١) فى س : « التأمّل » .
(٢) ديوانه ٢ : ٢٠٥ وشرح التبريزى ٣ : ٣٠ .
(٣) ديوانه ١ : ٦٣٦ وفيه : سببا نحو سيبك الممدود .
(٤) ديوانه ٢ : ١٩ وشرح التبريزى ٢ : ٣٣٣ وقد سبق فى ١ : ٣٢٥ .

أخَذهُ البحتريُّ (١) فقال :

ثَنى أَمَلى فاخْتَارَهُ عن مَعاشِرٍ    يَبِيتُونَ والآمالُ فِيهِمْ مَطامِعُ

وقال أبو تمّامٍ (٢) :

مَلِكٌ إذا خاضَ المسامِعَ ذِكْرُهُ    خَفَّ الرَّجاءُ إليه وهو رَكِينُ

وقال (٣) :

أَمَلٌ من الآمالِ أُحْكِمَ فَتْلُهُ    فكأنَّهُ مَرَسٌ من الأَمْراسِ

وقال أبو تَمّامٍ أَيْضاً (٤) :

تَرِدُ الظُّنونُ بهِ على تَصدِيقِها    ويُحكِّمُ الآمالَ فى الأَموالِ

وقال البحتريّ (٥) :

غَمْرُ النوَّالِ إذا الآمالُ أَكذَبَها    مِثالُ نَيْلٍ من الأَقْوامِ ضَحْضَاح

بيتُ أبى تمّامٍ أَلْطَفُ مَعنى فى (٦) تحكيمه الآمالَ فى الأَموالِ ، وبيت البحتريِّ أكثرُ ماءً ورَوْنقاً .

وقال أبو تمّام (٧) :

إذا أَخَذتْهُ هِزَّةُ المَجْدِ غَيَّرتْ    عطاياهُ أسماءَ الأَمانِى الكواذِبِ (٨)

---

(١) ديوانه ٢ : ١٣٠٣ ، وفيه « فاحتازه » .

(٢) ديوانه ٣ : ٤٠ وشرح التبريزى ٣ : ٢٢٦ .

(٣) ديوانه ١ : ٥٧٣ ولم أجده فى شرح التبريزى ، بينما أورده ابن المستوفى فى النظام : جـ ٢ لوحة ١٠٦ ، ووجدته فى نسخة من ديوانه المخطوط فى دار الكتب ، ترتيب على بن حمزة الأصفهانى رقم ١٠٦ أدب لوحة ١٠٣ ، وفى نسخة أخرى فى مكتبة الفاتح باستانبول رقم ٣٧٧٢ لوحة ٩٥ .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٠٥ وشرح التبريزى ٣ : ٧٧ .

(٥) ديوانه ١ : ٤٤٤ وفيه : « ثماد » ، وفى س : « بمثال » .

(٦) فى س : « من » وصححتها من مقتضى السياق .

(٧) ديوانه ١ : ٢٨١ وشرح التبريزى ١ : ٢٠٤ .

(٨) ديوانه شرح التبريزى « حرّكته هزّة » .

يرى أقبح الأشياءِ أوبةَ آمِلٍ　　كَستْهُ يدُ المأمولِ حُلَّةَ خائِبِ[١]
وأحسنُ من نَوْرٍ يُفتّحُه النَّدىٰ　　بَياضُ العطايَا فى سَوادِ المَطالِبِ[٢]

« بيَاضُ العطَايا فى سَوادِ المَطالِب » ، إنما نَقلَهُ من قولِ الأخْطَلِ :

رأين بياضًا فى سوادٍ كأنَّهُ　　بَياضُ العطايَا فى سَوادِ المَطالِبِ[٣]

٤ س / ذَكَرَهُ ابنُ أبى طَاهرٍ فى سَرقاتِه ، إلَّا أنَّ قولَ أبى تمّامٍ :
« .... من نَوْرٍ يُفَتِّحُهُ النَّدىٰ » فى غايةِ الحَلاوةِ .

وقولُه :

...... غيــــــــــرَّتْ　　عطَايَاهُ أسماءَ الأمانى الكواذِبِ

فالأمانىُّ هى الأكاذيبُ ، أى أعطَى أصحابَ الأمانى ما يتَمَنَّوْنَهُ من الأباطِيل فصارتْ حقائِق وزالَ عَنْها اسمُ الأمَانى.[٤]

وقال البحترىُّ[٥]:

جَلا أوْجُهَ الآمالِ حتَّى أضاءَها　　هِلَالٌ عليهِ بَهْجَةٌ وقَبُول

وهذا فى غايةِ الحُسْنِ .

وقال البحترىُّ أيضاً فى صحّة الأملِ[٦]:

حيث لا تُتْلَىٰ المعاذِيرُ، ولا　　يطأُ اليأسُ على عَقبِ الأملْ

---

(١) شرح التبريزى : « أوبة آيب » .
(٢) ديوانه وشرح التبريزى : « يفتّحه الصَّبا » ، وقد سبق البيت فى ١ : ١١٨ .
(٣) سبق فى ١ : ١١٨ ولم أجده فى ديوان الأخطل ولم أقف عليه فيما بين يدىّ من مراجع « وانظر الهامش التالى » .
(٤) نقل ابن المستوفى تعليق الآمدى السابق فى « النظام » ثم قال : ولم أجد ما نسبوه إلى الأخطل فى ديوانه ، ولا يشبه نمطه لرقته ، ولعلّه موضوع ليدفع أبو تمّام عن محاسنه « النظام جـ ١ لوحة ١٠١ » .
(٥) ديوانه ٣ : ١٨٢٣ .
(٦) ديوانه ٣ : ١٧١٥ ، وفيه « لاتُبْلَىٰ » .

وهذا « نمط » (١) من مشهور إحسانه .

وقال (٢) :

مُوسِرٌ من خلائقٍ تَتَراءى من ضروبِ الرَّبيعِ أو أشكالِهْ
يتصرّعْنَ للرجاءِ دنُوَّ الـ ـغيمِ والوَدْقُ خارجٌ من خلالِهْ (٣)

« يتصرَّعْنَ للرَّجاءِ » أى : ينحططن إليه ، ويدنون منه ، وهذا تمثيلٌ حسن جدّا ، ومعنى غريبٌ لطيف .

وقال أبو تمّام (٤) :

رَدَدْتَ المُنى خُضْراً تَثَنَّى غُصونُها علينا وأطْلَقْتَ الرَّجاءَ المُكبَّلا

وهذا البيتُ فى غَايةِ الجَوْدَةِ لَفْظاً ومعنىً ، وإطْلاقُهُ للرَّجاءِ المُكبَّلِ فى غَاية الحُسْنِ .

وقال أبو تمّامٍ (٥) :

أَهْبَبْتَ لِى رِيحَ الرَّجاءِ فأقْدَمَتْ هِمَمِى بِهَا حتَّى اسْتَبَحْنَ هُمُومِى

فقوله : « أقْدَمَتْ هِمَمِى » من الإقْدام بها ، أى : برِيحِ الرَّجَاءِ ، أى : تجاسرتْ هِمَمى بها ، فأقْدَمَتْ حتى استباحت همومى ، وهذا بيتٌ ليس بِجَيِّدِ السَّبْكِ .

---

(١) هذه الكلمة عسيرة القراءة ، وأثبتُّ ما أحسبه أقرب إلى الرسم فى المخطوطة .

(٢) ديوانه ٣ : ١٨٣٨ .

(٣) روى فى الموازنة ١ : ٤٠٦ « دنو المزن » وسبق فى ١ : ٤٠٦ ، وانظر تعليق الآمدى على لفظة : « اصطراع ، ويتصرعن ، يتصرع » ، ورد محقق ديوان البحترى عليه ، الذى يرى أن معنى الكلمات الثلاث : يتواضع ، وأن الشاعر لم يوقع لفظة « يتصرع » موقع الذم فى قوله :

من يتصرع فى إثر مكرمة فدأبه فى اتباعها دأبُهُ

وأقول : إن قول البحترى :

أمنًا أن تصرّع عن سماح وللآمال فى يدك اصطراع

ردئ التجنيس فيه واضح ، كما أن المعنى الذى شرح به الآمدى البيت أقرب إلى الصحة ، ولو جعلنا كلمة « تصرّع » بمعنى تتواضع ، لما استطاعت أن تنهض بالمعنى المقصود « وانظر كذلك مقدمة الطبعة الثانية من ديوان البحترى » ، كما أن لفظة « يتصرع » جاءت فعلا فى موضع الذم ، « راجع المعنى فى ١ : ٤٠٦ الموازنة » .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٠٧ والتبريزى ٣ : ٩٩ وفيه « رجعت » .

(٥) ديوانه ٢ : ٤٤٦ والتبريزى ٣ : ٢٦٧ ، وفى س « أهبلت » .

وقال أبو تمّامٍ فى ابنِ أبى دُؤاد[(١)] :

أنْتَ جُبْتَ الظَّلَامَ عن سُبُلِ الآ مَالِ إذ ضَلَّ كُلُّ هَادٍ وحَادِ
فكانَّ المُغِذَّ فِيهَا مُقِيمٌ وكَأنَّ السَّارِى عَلَيْهِنَّ غَادِ[(٢)]
وضِياءُ الآمالِ أَفْسَحُ فى الطَّرْ فِ وفى القَلْبِ من ضِياءِ البلادِ

وهذا جَيِّدٌ بَالِغٌ .

وقال البحترىُّ[(٣)] :

وإنى لَأَرْجُو ، والرَّجاءُ وَسِيلَةٌ عَلِيَّ بنَ يَحْيَى لِلَّتِى هِىَ أَعْظَمُ

فأحسَنَ فى قولِهِ : « والرَّجاءُ وسَيلَةٌ » والْطَفَ ، وأَظُنُّهُ سَمِعَ قَوْلَ أبِى الشِّيصِ[(٤)] :

بِحَسْبِ الذَى يَرجُو نَداكَ ذَرِيعَةً إذَا لَمْ يَكُنْ إلَّا الرَّجاء لَهُ سَبَبْ

وقال أبو نُواسٍ فى مثلِهِ[(٥)] :

رَجَوْكَ فى قَصْدِهِمْ وأَمَّلُوا وللرَّجاءِ حُرْمَةٌ لا تُجْهَلُ

وبيت البحترىّ أَجْوَدُ من هذينِ البَيْتَيْنِ ، وهذا بابٌ الفضلُ فيه لأبى تمّامٍ على البحترىِّ ، لأنَّه تصرَّفَ فى معانى الرَّجاءِ[(٦)] أَكْثَر من تَصرُّفِ البحترىّ / وفى كُلِّ ذاك أحسَنَ وأَجَادَ . ٥٠ س

* * *

(١) ديوانه ١ : ٣٧٥ وشرح التبريزى ١ : ٣٦٠ ، وديوانه فقط : « حاد وهاد » .

(٢) جاء فى النظام : « وقال الآمدى : أى : أوضحت سبل الآمال بجودك وكرمك حتى أضاءت طرقها إليك ، وسلكها مؤملوك ، واثقين بك ، قد زالت ظلمتها : أى شكوكها ، « فكأن المغذ فيها مقيم » أى : فكأن الحثيث السير فى سبل هذه الآمال مقيم ، أى : كأنه قد بلغ واطمأن ووصل إلى ما أراد ، « وكأن السارى عليها غاد » . أى : وكأن الذى يسرى ليلا قد قطع الليل بالسرى وصار غاديا ، أى واصلا إلى البغية » جـ ١ لوحة ٢٨٣ ، وفى ديوانه : « ... السارى عليها كغاد » .

(٣) ديوانه ٣ : ١٩٧٤ ، والمخاطب هو : على بن يحيى المنجم .

(٤) لم أجد البيت فيما بين يدّى من مراجع .

(٥) ديوان أبى نواس ٤٣٣ ، وفيه « رجوك فى تطفيلهم » .

(٦) فى س : « والرجاء » .

## ما قالاه فى الوعد وإنجازه

وقال [1]:

قَومٌ إذا وَعَدُوا أوْ أوْعَدوُا غَمَرُوا   صِدْقًا ذوائِبَ ما قَالُوا بِمَا فَعَلُوا [2]

قَولُه : « ذَوائِبَ مَا قالُوا » ، فذوائبُ كلِّ شيءٍ أعلاهُ ، يُريدُ أنّ أفْعَالَهم زَادَتْ على وَعْدِهم وَوَعيدِهِم حتَّى غَمَرتْهَا .

وقال [3]:

فلوَيْتَ بالمَوْعُودِ أعناق الورى   وَحطمْتَ بالإنْجازِ ظهْرَ المَوْعِدِ

حَطْمُ ظَهْرِ المَوْعِدِ استِعَارَةٌ قبيحةٌ جداً ، والمعنى أيضا ردىءٌ ، لأنّ إنجاز الوعدِ هو تصحيحُه وتحقيقُهُ ، وبذلك جَرت العادةُ ، أن يُقالَ : قد صحَّ وعدُ فُلانٍ ، وتَحقَّقَ ما قالَ ، فجعَل أبو تمّامٍ فى موضعِ صِحَّةِ الوَعِدِ حَطْمَ ظَهْرِهِ ، وهذا إنما يكونُ إذا أُخْلِفَ الوعدُ وكُذِب ، ألا ترى أنهم يقولونَ : قد مَرَّضَ فلانٌ وَعدَهُ وعَلَّلَهُ ووعد وعْداً مريضًا ، فإذا أخْلَف وعَدَه فقد أماته ، فالإخلافُ هو الذى يَحْطِمُ

---

(١) كذا فى س ، وقد يكون : « قال أبو تمّام » كما هى بداية كلّ باب ، ويجوز أن يكون هنا خرم .

(٢) فى س : « قوم إذا وعدوا وعدو » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى ، والبيت فى ديوانه ٢ : ١٨٧ . والتبريزى ٣ : ١٧ ، ونقل ابن المستوفى تعليقاً للآمدى يختلف نصه عن ماورد هنا فقال « قال الآمدى : ذؤابة كل شيىءٍ أعْلاهُ ، أى غمروا قولهم حتى استغرقوه بأفعالهم ، كأنه يريد أنَّ فعلهم يَفْضُلُ عن قولهم ويزيد عليه » .

(٣) ديوانه ١ : ٤٥٣ والتبريزى ٢ : ٥٣ وقد سبق فى ١ : ٢٣٠ ، وفى س : « فلويت بالموعد » .

ظَهْرَ الوَعْد لا الإنجازُ ، فلا خفاءَ بفسادِ ما ذهبَ إليه ، وكان ينبغى أن يقولَ : وحَطَمْت بالإنجازِ ظهرَ المَالِ ، لأنَّ الوعْد كان يَصِحُّ ويَسْلَمُ حينئذٍ ، والمالُ يَتْلَفُ .

وقال :[1]

إذا وَعَد انهلَّتْ يَداهُ فأهْدَتَا لَكَ النُّجْحَ مَحْمُولًا على كَاهِلِ الوَعْدِ

وكاهِلُ الوَعْدِ إذا حَمَلَ النُّجحَ فمِنْ سَبيلِهِ أن يكونَ صحيحاً مُسلَّمًا ، لا أن يكون مَحْطومًا كما قالَ فى البيت الأوّلِ ، وهذه استعارةٌ فى البيت صحيحةٌ ، وإن كان كاهلُ الوعدِ قبيحًا .

ومِثْلُ ذلك فى الفسادِ قولُهُ[2] :

إذا ما رَحًى دارتْ أدَرَّتْ سَمَاحَةً رَحىٰ كُلِّ إنْجازٍ على كُلِّ مَوْعِدِ

وهذا إتْلافُ الوعدِ وإبطالُهُ[3]، وإنما ذَهَب إلى أنَّ الإنجازَ إذا وقعَ بطَلَ الوعدُ ، وليسَ الأمْرُ كذلِك ، لأنَّ الوعدَ ليس بضدٍّ للإنْجازِ ، فإذا وقَع بطَلَ الوَعْدُ ، وليسَ هذا بضِدِّ ذَاكَ[4] ، بلِ الوَعْدُ الصَّادِقُ طَرَفٌ للإنْجازِ ، وسَبَبٌ من أَسْبابِه ، فإذا وَقَعَ الإنْجازُ فهو تَمامُ الوَعْد ، وتصَحيحٌ لَه ، وتحقيقٌ وتصديقٌ ، فهو بهذا غالِطٌ ، والمعنى الصّحيح قولُهُ[5] :

أُبَلِّهُمْ رِيقًا وكَفًّا لِسَائِلٍ وأنْضَرُهُمْ وَعْدًا إذا صَوَّحَ الوَعْدُ

---

(١) ديوانه ١ : ٤٨٦ وشرح التبريزى ٢ : ١١٣ ، وقد سبق فى ١ : ٢٢٩ ، وفى س : « على كل موعد » .

(٢) ديوانه ١ : ٤٣٤ وشرح التبريزى ٢ : ٣١ ، وقد سبق ١ : ٢٣٠ .

(٣) فى ١ : ٢٢٩ « لأنّه جعله مطحوناً بالرّحى » والتعليق هنا هو بنَصّه فى الجزء الأول .

(٤) فى س : « بطل » . تحريف .

(٥) ديوانه ١ : ٤٧٤ وشرح التبريزى ٢ : ٩١ وقد سبق فى ١ : ٢٣٢ ، وفى س : « ربعا » ، والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى .

فتَصويحُ الوعدِ هو أن يُخْلِفَهُ الواعِدُ ، فيَبْطُلَ ، ولا يَصِحَّ ، و « صَوَّحَ النَّبْتُ » إذا جَفَّ .

ومِثْلُهُ فى الصِّحَّةِ قولُهُ[١]:

تَزْكُو مَواعِدُهُ إذا وَعْدُ امْرِئٍ أَنْسَاكَ أحلامَ الكَرىٰ الأَضْغَاثَا

فهذا هو الصَّحِيحُ ، أن يكونَ الوَعْدُ يَزْكُو ، لا أَنْ يَبْطُلَ ويذهَبَ ، ولله درُّ إبراهيمَ بنِ هَرْمَةَ ، إذْ يقولُ[٢] :

/ يَسْبِقُ بالفِعْلِ ظَنَّ سَائِلِهِ[٣] وَيَقْتُلُ الرَّيْثَ عِندَهُ العَجَلُ ٥١ س/أ

فهَذِه الاستعارةُ الصّحيحةُ ، أن يقتُلَ العجَلُ الإبطاءَ ، لا أن يَقْتُلَ الإنجازُ الوعدَ ، فأمَّا قَولُهُ[٤] :

نَوَّمُ أبا الحسينِ وكان قِدْماً فتًى أعمارُ مَوْعِدِه قِصَارُ

وقولُ البحتريِّ[٥] :

وجَعَلْتَ فِعْلَكَ تِلْوَ قَوْلِكَ قَاصِرًا عُمرَ العَدُوِّ بِهِ وعُمْرَ المَوْعِدِ

فإنّ عُمْرَ الْمَوعِدِ مَدّةُ وَقْتِهِ ، فإذا أُنجِزَ صارَ مالًا ، فنفَاذُ وَقْتِهِ لَيْسَ بِمُبْطِلٍ لَهُ ، بل ذلك نَقْلُهُ من حالٍ إلى حالٍ أُخرى .

---

(١) ديوانه ١ : ٣٥٣ وفيه : « الورى الأضغاثا » ، وشرح التبريزى ١ : ٣٢٠ ، وقد سبق فى ١ : ٢٣٢ .

(٢) ديوان إبراهيم بن هرمة ص ١٧٢ ، وفيه « يسبق بالفضل » « يقتل الريث عرفه العجل » وقد سبق فى ١ : ٢٣٢ .

(٣) يبدو أن هناك نسختان لهذا الجزء من الموازنة بخط كاتب واحد ، فقد تكررت الورقة (٥٣) وبمقارنة الورقتين تبيّن أنهما ورقتان من نسختين مختلفتين من الكتاب ، فعلى الرغم من أن خطّهما يدل على أن كاتبهما واحد إلا أنه بداية ونهاية كل منهما تختلف عن الأخرى ، وقد أثبت الورقة المتفقة والمتسقة مع باق الأوراق ، ويلاحظ من الترقيم سقوط رقمى (٥٢ أ ، ٥٣ ب) وهى الورقة الزائدة .

(٤) ديوانه ١ : ٥١٣ ، وشرح التبريزى ٢ : ١٥٦ ، وسبق فى ١ : ٢٣٣ .

(٥) ديوانه ١ : ٥٤٩ ، وقد سبق فى ١ : ٢٣٢ ، ٢٤٤ .

ألا ترىٰ إلى البحتريّ كيف كَشفَ عن المَعْنى ، وجاءَك بالأمر من فصّه[١] فقال[٢] :

يوليك صدر اليومِ قَاصيةَ الغِنىٰ      بمواهِبٍ قد كُنَّ أمْسِ مَواعِدَا

فَبُطْلانُ المَوْعِدِ هو بُطلانٌ للشىءِ الذى المَوعِدُ واقعٌ عليهِ .

ثمَّ أُتبَعَ هذا البيتَ بأن قالَ[٣] :

سَوْمُ السحائِبِ ما بَدأْنَ بوارِقًا      فى عارِضٍ إلا انْثَنَيْنَ رَواعِدَا

فالعارِضُ : السّحابُ ، وجعلَ البوارِقَ مثالاً للمواعيدِ وجعلَ الرَّواعِدَ ، التى هى البوارِقُ على الحقيقة وحالُهما واحدةٌ ، مثالاً للغَيْثِ ، الذى هو العَطايَا / فالرواعِدُ ٥٢ س/ب لَيْستِ بِمُبْطِلَةٍ للبوارِقِ ، بل هىَ هِىَ ، لأنَّ تلك نُورٌ يُحْدِثُهُ ازدحامُ السّحابِ واصْطِكَاكُهُ ، والرّعدُ صوتُ ذلِكَ الازدحامِ ، فالبرقُ يُرىٰ أوَّلاً ، والرَّعْدُ يُسْمَعُ آخِراً ، وذلكَ لِأَنَّ العينَ أَسْبَقُ إلى الإبْصارِ من الأُذُنِ إلى الاسْتِماعِ ، لأنَّ العَيْنَ ترى الشَّىءَ فى مَوقِعِهِ ، والأُذُنَ لا تَسْمَعُ الصّوتَ إلا إذا وصَلَ إليها .

وقال البحتريُّ[٤] :

والوَعْدُ كالوَرَقِ النَّضيرِ تأَوَّدَتْ      فيهِ الغصونُ ونُجْحُهُ أن يُثْمِرَا

فشَبَّهَهَا بالمَواعِدِ التى تَحولُ مَواهِبَ ، وهذا أَحسنُ ما يكونُ من التَّمثيلِ وأَصحُّهُ ، وأقامَ الروَّاعِدَ مقامَ المواهِبِ ، لأنَّهُ قد يكونُ بَرْقٌ لا مطَر فيهِ ، ولا يكادُ يكونُ رَعْدٌ إلا ومَعَه الغَيْثُ ، ثمّ إنّ التَّشْبيهَ إنَّما صَحَّ بأَنْ كانَ الرَّعْدُ بَعْدَ البَرْقِ .

---

(١) فصّ الأمر : أصله وحقيقته .
(٢) ديوانه ٢ : ٨٢٣ ، وقد سبق فى ١ : ٢٣٣ .
(٣) ديوانه ٢ : ٨٢٣ ، وقد سبق فى ١ : ٢٣٣ .
(٤) ديوانه ٢ : ٩٧٧ وفيه « ونجحها » ، وقد سبق البيت برواية أخرى ١ : ٣٣٨ .

وما أَحسنَ ما قالَ خَلَفُ بنُ خَليفَةَ الأَقطعُ[١] :

مَوَاعِيدُهم فِعْلٌ إذا ما تَكَلَّمُوا بِتلْكَ التى إن سُمِّيَتْ وَجَبَ الفِعْلُ

يعنى قَولَهم « نَعَم » ، فجعلَ الوَعْدَ هو الفِعْلَ نَفْسَهُ لِصِحَّتِهِ وصِدْقِهِ ، وقد مَثَّلَ البحتريُّ المواعيدَ أَيْضاً ، وكيف تَحولُ عطاءً تمثيلاً آخَرَ حسَنًا ، فقالَ[٢] :

وشَكَرْتُ مِنْكَ مواهِبًا مَشكُورَةً لو سِرْنَ فى فلَكٍ لَكُنَّ نُجُومًا[٣]
ومواعِدًا لو كُنَّ شيئًا ظاهِرًا تُفْضِى إِلَيهِ العَينُ كانَ غُيومًا[٤]

/ لأَنَّ الغيمَ يصيرُ مطَراً ، كما أَنَّ الوعدَ يصَيرُ عطَاءً ، فأبو تمّامٍ فيما ذهَبَ ٥٣ س
إليهِ غَالِطٌ ، لأنَّه وضَعَ الاستعارةَ فى غَيرِ مَوْضِعِها .

وقالَ[٥] :

لو كانَ فى عاجِلٍ من آجِلٍ بَدَلٌ لكَانَ فى وَعْدِهِ من رِفْدِهِ بَدَلُ
له رِياضُ ندًى لم يُكْدِ زَهْرتَها خُلْفٌ ولم تَتَبَخْتَرْ بَيْنَها العِلَلُ

وهذا غَلَطٌ أيضا ؛ لأنَّ العاجِلَ أبداً أفضلُ من الآجِلِ ، فكيفَ لا يكونُ بدلًا مِنْهُ ، وقد قيلَ – وجرى مثلا[٦] –:

« والنفسُ مولعةٌ بِحُبِّ العاجِلِ »

---

(١) سمّى الأقطع ، لأنه كان أقطعَ اليدِ وله أصابع من جلود ، وكان شاعرا ظريفًا مطبوعا ومن معاصرى جرير والفرزدق « الشعر والشعراء ص ٤٧٤ ، ٧١٤ ، والبيان والتبين ١ : ٥٠ » والبيت من قصيدة له فى حماسة أبى تمّام للمرزوقى ص ١٧٧٤ ، وقد سبق فى ١ : ٢٣٤ .
(٢) ديوانه ٣ : ١٩٦٤ ، وقد سبقا فى ١ : ٢٣٤ .
(٣) ديوانه « مشهورة » .
(٤) ديوانه « كنّ » .
(٥) ديوانه ٢ : ١٧٧ وشرح التبريزى ٣ : ١٠ ، والبيت الأول سبق فى ١ : ١٩٣ .
(٦) سبق هذا الشطر فى ١ : ١٩٣ ، « انظر الهامش » وهو لجرير .

وكان يَنْبغى أن يقولَ :

« لو كانَ فى عاجِلِ قَولٍ بَدلٌ من آجلِ فِعْلٍ »

وإلى هذا ذَهَبَ ، غيرَ أنَّ الصّواب لا يُقْبَلُ إذا كانَ مَطْوِيًّا فى القَلْبِ ، ومَخْبُوءًا تحت الإضْمار ، حتى يَخْرُجَ إلى الوجودِ .

ألا ترَى إلى البحتريِّ[1] لمّا جاءَ بهذا المعنى كيف أوردَهُ على غايةِ الصّحّةِ والسّلامةِ فقال :

لو قَلِيلٌ كفى امرأً من كثيرٍ لاكْتَفَيْنا بِقَوْلِهِ من فَعَالِهْ

وحَسبُكَ بِقولِهِ :

« لم تَتَبَخْتَرْ بَينَهَا العِلَلُ »

قبحا[2] .

وقال أبو تمّام[3] :

تَحِنُّ عِدَاتُهُ إثْرَ التَّقاضِى وتُنْتِجُ مِثْلمَا نُتِجَ العِشَارُ

وهذا بيتٌ رَدِيءُ المعنَى ، لأنّه جَعل الممدوحَ ممّن يُقْتَضىٰ ، وأنّ عِدَاتَهُ تَحِنُّ ، والحنينُ لا يكونُ إلاّ بعدَ حَبْسٍ ومَنْعٍ ، وقالَ :

« وتُنْتِجُ مِثْلمَا نُتِجَ العِشَارُ »

والعِشَارُ من الإبِلِ : الحَوامِلُ ، التى قد أتى لحملها عَشرةُ أشْهُر ، والواحِدَةُ عُشَراءُ ، فلا يزالُ ذلك اسْمَها إلى أن تَضَعَ ، وبعد ما تضَعُ ، فأرادَ أنّ عِداتَهُ تُنْتِجُ لا مَحالَةَ ، كما أنَّ العِشَار تُنْتِجُ لا محَالةَ .

---

(١) ديوانه ٣ : ١٨٤١ ، وقد سبق فى ١ : ١٩٦ .
(٢) هذا التعليق بنصّه نقله ابن المستوفى فى النظام جـ ٢ لوحة ٢٤٢ .
(٣) ديوانه ١ : ٥١٤ والتبريزى ٢ : ١٥٨ .

وإنما خصَّ العِشَارَ دونَ غَيْرِها من الحَوامِلِ لعِظَمِ قَدْرِ الإبِلِ عندهم ، وأنَّها مُعَوَّلهُم فى الخِصْبِ والجَدْبِ ، وعلى كلِّ حالٍ فَقوْلُهُ :

« وتُنْتِجُ مِثْلمَا نُتِجَ العِشَارُ »

ليس بِجَيِّدٍ ، ولا حسَنٍ ، لأنَّه لم يُدْلِلْ بهِ على سُرعةٍ ، بل هُو إلى الدلالةِ على إبطائِهِ أقْرَبُ .

والجيِّدُ لَهُ فى هذا البابِ قولُه فى أبى دلف (١) :

يقولُ قَوْلَ الذى ليسَ الوفاءُ لَهُ ... عَزْماً ويُنْجِزُ إنْجازَ الذى حَلَفا

وهذا فى غايةِ الحُسْن .

وقال البحترىّ (٢) :

يَحِنُّ إلى المعروفِ حتَّى يُنِيلَه ... كما حَنَّ إلْفٌ مُسْتَهامٌ إلى إلْفِ

ويَقْلَقُ حتَّى يُنْجِزَ الوَعْدَ مِثلَ ما ... يُجافِى الذى يَمْشِى عَلى رَمَضِ الرَّضْفِ

وهذا جيِّدٌ حسَنٌ لطيفٌ .

[ وقال ] (٣) :

مَواهِبُ أعدادُ الأمَانِى وَخَلْفَها ... عِداتٌ يَكادُ العُودُ مِنهنَّ يُورِقُ

فذكَر أنَّه إذا أعطىَ وَعَدَ ، والوَعْدُ بعدَ العَطيَّةِ أحسنُ من الوَعدِ قَبْلَ العطيَّةِ ، لأنَّ تِلْكَ عطيَّةٌ واحِدةٌ وهذه عَطِيتانِ ، وفَرْحَتَانِ ، وذلِكَ / دليلٌ على جُودِ الجَوادِ ٥٤ وَربِّهِ (٤) لعِطَاياه ، ومُتَابَعتِهِ إيَّاهَا .

---

(١) ديوانه ٢ : ٥٤ والتبريزى ٢ : ٣٦٦ .
(٢) ديوانه ٣ : ١٣٦٦ .
(٣) ديوانه ٣ : ١٥٣١ .
(٤) رَبَّه ، يَرُبُّه : أى أصلحه ونمّاه .

ومثلُ هذا قولُ أبى النَّضْرِ[١] جَهْمِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ فى الفَضْلِ بنِ يَحْيَى[٢] :

يَفْعَلُ النَّاسُ إذا ما وعَدُوا    وإذا مَا فَعَلَ الفَضْلُ وعَدْ[٣]

وقال البحترىّ[٤] :

يُمْضِى المنايَا دِرَاكًا ثَمَّ يُتْبِعُها    بيضَ العطَايا ، ولم يُوعِدْ ولم يَعِدِ

وقد مدَح البحترىُّ الوَعْدَ ، وفضَّلَ العطاءَ بعدَه على ما يأتى من غير وَعْدٍ ، وشبَّهُ تشبيهاً يفوقُ كلَّ حُسْنٍ وصِحَّةٍ ، فقالَ[٥] :

أُحِبُّ انْتظاراتِ المواعِيدِ والتَّى    تَجىءِ اخْتِلاسًا لا يدومُ سرورُها
وإنّ جِمامَ الماءِ يَزدادُ نَفْعُها    إذا صَكَّ أسماعَ العطَاشِ خَرِيرُها

فسقطَ[٦] الآن الشكُّ فى أنَّ البحترىَّ – فى هذا الباب – أشعرُ من أبى تمّامٍ .

* * *

---

(١) كذا فى س ، وورد فى ص ٢٢٤ باسم « أبو البصير » ، والظاهر أن تصحيفا وقع فى اسمه ، فقد ترجم صاحب الأغانى لأبى النضير عمر بن عبد الملك وقال : « أنه مولى لبنى جمح ، شاعر من شعراء البصريين من أصحاب أبان اللاحقى ، مشهور بالظرف ، وكان يغني بالبصرة على جوار له مولدات ، ويظهر المجون والخلاعة ثم انقطع إلى البرامكة ، فأغنوه إلى أن مات » « الأغانى الدار ١١ : ٨٥ ، وانظر : أخبار الشعراء المحدثين للصولى ص ٨ ، والوافى بالوفيات للصفدى ٢٢ : ٥٢٨ » .

(٢) الفضل بن يحيى البرمكى كان من أكثر البرامكة كرما وجودا ، تولى الوزارة قبل أخيه جعفر فى عهد الرشيد ، كما وَلّاه الشرق كله من شروان حتى آخر بلاد الترك ، ولما قتل الرشيد جعفرا فى نكبة البرامكة ، أُودِعَ الفضل وأبوه السجن ، وتوفى فيه سنة ١٩٣ « ابن خلكان ٤ : ٢٧ » .

(٣) البيت من جملة أبيات نسبت إلى أبى على البصير وأولها :

وُصِفَ الصَدُّ لِمَنْ أهوىٰ فَصَدْ    وبدَا يَمْزَحُ بالهَجْرِ فَجَدْ

« زهر الآداب ص ٣٧٤ » ، وإدراكُ أبى علي الفضلَ بعيدٌ ، فقد دخل أبو علي سامرّاءَ أوّلَ خِلافةِ المعتصمِ وتوفى سنة ٢٥١ ، والفضل – كما قدمت – كان فى زمن الرشيد . « انظر معجم الشعراء ١٨٥ ، ونكت الهميان ٢٢٥ » .

(٤) ديوانه ١ : ٥٧٤ .

(٥) ديوانه ٢ : ١٠٠٢ .

(٦) فى س : « فتسقط » وقد صوبته كما يقتضيه السياق .

## وفى الابتداء بالعطاءِ من غيرِ سؤالٍ

قال أبو تمّام[1]:

يأْخُذُ الزَّائرينَ قَسْرًا ولو كَفَّ (م) دَعاهُمْ إليْهِ وادٍ خَصِيبُ[2]

وهذا معنًى جيِّدٌ بالِغٌ .

وقال[3]:

فأضْحَتْ عطاياهُ نوازِعَ شُرَّدًا تُسائِلُ فى الآفَاقِ عن كُلِّ سَائِلِ

وهذا تَضعيفٌ[4] للمعنى شَديدٌ ، وكيف تَكونُ عطَاياهُ نَوازِعَ شُرَّدًا خاليةً من مُعطىً ، وهل هذا شَىءٌ يُعْقَلُ ، وتقومُ فى النَّفسِ صحَّتُهُ ؟

فإن قيلَ : هذه استعارةٌ ومبالغةٌ ، قيل : الاستعارةُ التى فيها بعض الغلوّ لا تُنكَرُ ، ولكن لِكُلِّ جنسٍ من المعانى سبيلٌ فى الاستعارةِ ، وقد عُهِدَتْ وجرى بها

---

(١) ديوانه ١ : ٣٣٩ ، وفيه « يأخذ المعتفين » ، وشرح التبريزى ١ : ٢٩٤ .

(٢) فى س : أثبتت الياء فى « وادى » ووضع تحت الدال كسرتان ، وفعل هذا فى بعض المواضع ، وكذلك فى مخطوطة كمبردج ، وكأنهم يشيرون إلى جواز إجراء المنقوص مجرى الممنوع من الصرف وهو رأى يونس « انظر الكتاب ٣ : ٣٠٨ » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٢٠ ، وفيه « شُزَّباً » وشرح التبريزى ٣ : ٧٩ .

(٤) س : « تصنيف » تحريف وتصحيف .

الاستعمالُ ، ولم تجر عادةُ الاستعارةِ فى مالِ الجوادِ أن يقولَ المالُ : هل من طالبٍ ؟ هل من سائلٍ ، ثمّ أن يُشَرَّدَ فى الآفاقِ يَلتمسُ من يَأْخُذُهُ ، وإنما العَادَةُ فيهِ أن يكونَ كارِهاً لأن يُبْذَلَ ، خائِفاً أن يُمْحَقَ ، لأنّه يُقالُ : فلانٌ قد أتلف مالَه ، وقد مَحَقهُ ، فالإستعارةُ فيه أن يُجعَلَ المالُ شاكياً من التَّمحيقِ ، وضاجًّا من كثرَةِ البَذْلِ ، كما قالَ هو فى بابٍ من بَعْدُ (١) :

قاسِى الضَّميرِ على التِّلادِ كأنَّما ⠀⠀⠀ يَغْدُو على تَفْرِيقِ مَالِ مُذْنِبِ

وكما قالَ (٢) :

يَلْقَى بها حُرُّ التِّلادِ وعَبْدُهُ ⠀⠀⠀ عِندَ السُّؤالِ مصَارِعاً وحُتوفَا

وكما قال (٣) :

غادَرْتَ فيها ما ملكْتَ قَتيلا

وكما قال أبو نواس (٤) :

بُحَّ صوتُ المالِ مِمَّا ⠀⠀⠀ منكَ يشكُو ويَصيحُ

٥٥ س فعيبَ بقولِهِ : « بُحَّ » لأنّه إفراطٌ فى الاستعارة وغُلوٌّ ، وكذلك جَرتِ العادةُ / فى غيرِ المَالِ أن يُقال للرَّجُل الكثير الاستعمالِ للماء : قد ضجّت منك دجلةُ ، والبحرُ على وَجَلٍ ، ونحوُ هذا ممّا هو على أفواهِ النّاسِ ، وذلك لأنَّ كُلمَّا وقعَ الثَّلْمُ والمَحْقُ لا تكونُ الاستعارة لَهُ إلاّ الخوفُ من ذَلِكَ ، والكرهُ لَهُ ، كما أنّه لو كان سبباً يعقِلُ لما اختارَ أن يَتْلِفَ ويُسْتَهلَكَ .

---

(١) هذا وهم من الآمدى ، فالبيت للبحترى وهو فى ديوانه ١ : ٢٨٤ .

(٢) أى أبو تمّام ، والبيت فى ديوانه ٢ : ٧٨ والتبريزى ٢ : ٣٨٤ ، وفيه :
« تكفى بها نهل البلاء وعَلَّه » ، وقال : والرواية الصحيحة « وذكر رواية الموازنة » .

(٣) ديوانه : ٢ : ٢٩٦ وشرح التبريزى ٣ : ٧١ وصدره :
« كم وقعة لك فى المكارم فخمة » وفى التبريزى : « فتيلا » بالفاء الموحّدة .

(٤) ديوانه : ص ٤٣٤ .

والاستعارة الصّحيحةُ فى هذا قوله(١) :

تكَادُ مغانيـهِ تَهِشُّ عِرَاصُهـا    فتركبُ من شَوْقٍ إلى كُلِّ رَاكِبِ

لأنّ مغانيه لو كانَتْ تعقِلُ لهشَّتْ لِسُؤَّالِهِ ، وعُفَاتِه ، كاهْتِشَاشِهِ هُوَ(٢) إذْ فى احْتِشادِهم فِيها جمالٌ له ولهَا معَهُ .

وأصلحَ معنى هذا البيتِ أيضًا وجوّده قولُه : « تكادُ » ، فإنّما تُمَثَّلُ الجَماداتُ أبداً بما يَعْقِلُ ، فتُحْمَلُ الاستعارةُ على ما يجوزُ فيهِ ، ويليقُ بِهِ ، ألا ترى إلى قولِهِ فى وَصْفِ سَحَابَةٍ(٣) :

لو سعت بقعةٌ لإعظامِ نُعْمى    لَسَعى نحْوَهَا المَكانُ الجَديبُ

وذلك لِما لَهُ فيها من المصلحةِ ، وكذلك قولُ البحتريِّ(٤) :

ولَوَ آنّ مشتاقاً تكلّفَ فوقَ ما    فى وُسْعِهِ لمَشَى إليك المِنْبَرُ

وذلك لِما لَه فى أنْ يَرْقَاهُ من الجَمالِ .

فالمالُ ماوَجْهُ شهوتِهِ لأنْ يُمْحَقَ ويُتْلَفَ حتى يَجعَلهُ شَارِداً فى البِلاد يلتمِسُ من يأْخُذُهُ ؟ فإنْ قِيلَ :

---

(١) ديوانه ١ : ٢٨١ وشرح التبريزى ١ : ٢٠٤ وقد سبق فى ١ : ٣٢٩ ، وقد وجدت ابن المستوف قد نقل تعليق الآمدى الذى سيأتى على هذا البيت ، وهو استطراد للتعليق على بيت أبى تمّام السابق : فأضحت عطاياه نوازع شردا .. « ص ١٣٧ » ، غير أن الناسخ لمخطوطة النّظام أسقط اسم الآمدى سهوا ، فتداخلَ تعليقه مع تعليق الصولى ، وقد سقطت بعض عبارات هذا التعليق من نسخة الموازنة ، واعتمدتُ على مانقله ابن المستوفى لإكمال ما نقص ، والحمد لله على كل حال « النظام لوحة ١٠٠ جـ ١ » .

(٢) فى الأصل : « هوانّ » .

(٣) ديوانه ١ : ٣٣٧ والتبريزى ١ : ٢٩١ .

(٤) ديوانه ٢ : ١٠٧٣ ، وفيه « تكلف غير ما » ، وقد سبق فى ١ : ٣٢٩ و ٢ : ٣٦٤ .

فما الذى يُنْكَرُ من الشَّاعِرِ أن يُغْرِبَ ويُبْدِعَ ، ويأتىَ بما لَم يُسبَقْ إليه ؟ ، قيل : ليس بِمُنْكَرٍ أن يفعلَ ذلك إذا سلَكَ الطُّرقَ المعهودةَ فى ذلك المعنىٰ ، وأن يتفرَّعَ فِيها ، ولا يَخرُجَ عنها ، ويأتِىَ فيها بِكلِّ ما يَسْنَحُ له من المبالَغةِ والإِغْرابِ ، كما قال أبو نواس :

بُحَّ صوتُ المَالِ مِمَّا    منكَ يَشْكُو ويَصيحُ

فلم يَقْتَصِرْ على المعهودِ فى هذَا ، بأن يقولَ : قد شكَا المالُ ، وكَمْ[1] يشكوكَ المالُ ، حتّى يجعلَ له صوتًا قد بُحَّ من كَثرةِ ما يَصيحُ [ فعلى هذا الوجهِ يكون الإغرابُ والإبداعُ ، ولو قَال أبو نُواس : قد بُحَّ صَوتُ المال مِمَّا يصيحُ[2] ] ، ويلتمسُ من يأخُذُه ، لقلنا له : قد هَجَوتَ ممدوحَكَ – أصلحكَ اللهُ – أقبحَ هِجَاءٍ .

والسّليمُ الصَّحيحُ قولُ البحتريِّ[3] :

أعطيتَ سائِلَكَ المُحسَّدَ سُؤْلَهُ    وطَلَبْتَ بالمَعْروفِ غيرَ الطَّالِبِ

وأظنُّ أبا تمّام سَمِعَ قولَ أبى العَتاهِيةِ[4] :

وإنّا إذا ما تركنا النَّوالَ    فلم نَبْغِهِ فَبِهِ يَبْتَدِينَا
وإن نَحْنُ لم نَبْغِ مَعروفَه    فمَعروفُهُ أبـدًا يَبْتَغينَـا

وإنما أرادَ أبو العَتاهِيَةِ : أنَّه يَبْتَغينا لمَعْرُوفِهِ ، لا أنَّ المعروفَ يَنْفَصِلُ عَنْهُ ، ويَشْرُدُ فى طَلَبِنَا والْتِمَاسِنَا ، وقد أَحْسَنَ أبو العتاهية .

---

(١) فى س : « ولم » والتصحيح من النظام .
(٢) الزيادة من النظام .
(٣) ديوانه ١ : ١٦٢ .
(٤) البيتان فى ديوانه ص ٤٥٢ ، فى مدح المهدى ، وفيه « فلم نبغ نائله يبتدينا » ، وفى س : « فيه » ، وقد سبقا فى ١ : ٩٥ ، ويجب تصحيح تشطير البيت هناك ، حيث ألحقت لام « النوال » بالشطر الثانى ، والواجب أن تبقى فى عروض الشطر الأول لتصبح « فعول » .

وقال ابنُ أُذَينةَ [١] :

أسْعَى لَهُ فيُعَنِّينِى تَطَلُّبُه ولو قَعَدْتُ أتَانِى لم يُعَنِّينِى

/ وإنَّما أرادَ يَأْتينى اللهُ بِهِ ، وعلى هذا الوجه قال دِعْبِلُ [٢] : ٥٦ س

والرِّزْقُ أكْثَرُ لِى مِنِّى لَهُ طَلَبَا

أى أنَّ اللهَ – جلّ وعزَّ – يأتينى بِهِ ، فكأنَّهُ يَطْلُبِنِى .

وقد حَذا هوَ [٣] حَذْوَ قولِ ابن أُذَيْنَةَ ، فقالَ [٤] :

الرِّزْقُ لا تَكْمَدْ عليه فإنَّهُ يأْتِى ولمْ تَبْعَثْ إلَيْه رَسُولا

فهذِه طَرِيقَةُ الاستعارةِ فى هذا المَعنَى .

وقال أبو تمّام أيضًا فى الابتداءِ بالعَطاءِ [٥] :

ورأيتَنِى فسألتَ نفَسك سَيبَها لِى ثُمَّ جُدْتَ وما انتظرْتَ سُؤالِى

كالغَيْثِ ليسَ لهُ ، أُريدَ غمامُهُ أو لَمْ يُرَدْ بُدٌّ من التَّهطَالِ

---

(١) هو عروة بن أذينة بن الحارث بن مالك الكنانى ، وأذينة هو يحيى بن مالك ، ويكنى عروة أبا عامر ، وكان ناسكا شاعرا حاذقا غَزِلًا مُقَدَّما من شعراء أهل المدينةِ وكان شريفا ثَبْتًا ، يُحْمَلُ عنه الحديث ، وهو معدود فى الفُقَهاءِ والمُحَدِّثينِ ، وفَدَ على هشامِ بنِ عَبد المَلكِ فقالَ لَهُ : أنت القائلُ :

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلُقِى أنَّ الذى هو رزقى سوفَ يأتِينى
أسَعىٰ له فيُعَنِّينِى تَطَلُّبه ولو قَعَدتُ أتانى لم يُعَنِّينِى

قال : نعم ، قال له : فما أقدمك علينا ؟ قال : سأنظر فى أمرى ، وخرج من فوره ، وانصرف ، فأُخبِرَ بذلك هشام ، فأتْبَعَهُ جَائِزَتهُ « وفِيّات الأعيانِ ٢ : ٣٩٥ والأغانى ٢١ : ١٠٥ ، ابن خلكان ٢ : ٣٩٥ والشعر والشعراء ص ٥٧٩ و المؤتلف ص ٦٩ » والبيتان فى ديوانه : ٣٨٥ وروى فى كل المراجع « لايعنينى » .

(٢) ديوانه : ص ٥٧ وصدره :

أسعى لأطلبه والرزق يطلبنى

(٣) يعنى أبا تمّام .

(٤) ديوان أبى تمّام : ٢ : ٢٩١ وشرح التبريزى ٣ : ٦٨ .

(٥) ديوانه ٢ : ٣٠٥ والتبريزى ٣ : ٧٨ والبيت الأول سبق فى ١ : ٩٦ .

وهذا معنىً فى غاية الجودة ، إلا أنّه كان ينبغى أن يجعَلَ الغيثَ فى موضِع الغمامِ ، والغَمامَ فى موضع الغيثِ ، لأنَّ الذى يُرادُ ليس هو الغَمامُ ، وإنّما هو الغيثُ ، ولو قالَ :

كالغيمِ لَيْسَ له أُردْنا غَيْثَه أَم لَمْ نُرِدْ بُدٌّ من التَّهْطَالِ

أو « كالمُزْنِ » – فإنّها لَفظَةٌ أحسنُ من الغَيْمِ – كانَ عندى أصحَّ وأجودَ .

وقولُه :

ثُمَّ جدتَ وما انْتظَرتَ سُؤالِى

معنىً قد ابْتذَلَتْهُ الشُّعراءُ ، وتقَدَّمتْ فيهِ ، أَلَا ترَى إلى قولِ أَبى العَتاهِيةِ :

فلم نَبْغِهِ فَبهِ يَبْتَدينَا

وقال مُسْلمُ بنُ الوليدِ (١) :

أَخٌ لىَ يُعْطِينى إذا ما سَأَلْتُهُ ولَو لَمْ أُعَرِّضْ بالسُّؤَالِ ابْتَدانِيَا

وأجودُ من كلِّ جيِّدٍ فى هذا قَوْلُ سَلْمٍ الخَاسِرِ (٢) :

أَعْطاكَ قبلَ سُؤَالِـهِ فكَفاك مَكْروهَ السُّؤَالِ

وقال أبو تمّامٍ أيضا (٣) :

أَسائِلَ نَصْرٍ لاتَسلْهُ فإِنَّهُ أَحنُّ إلى الإرفاد منك إلى الرِّفْدِ

وهذا جيِّدٌ بَالِغٌ ، وهو قريبٌ من قولِ مَروانَ بنِ أَبى حَفْصةَ (٤) :

لَمَعْنٌ بما يُعْطِى أَسرُّ مِنَ الذِى بما نَالَ من مَعْروفِهِ يتَموَّلُ

---

(١) البيت فى ملحق ديوانه ص ٣٤٦ .

(٢) البيت فى معجم الأدباء ١١ : ٢٤٠ من قصيدة يمدح فيها يحيى بن خالد بن برمك ، وقد سبق فى ١ : ٩٦ ونسب فى محاضرات الأدباء إلى مسلم ٢ : ٥٣٩ ، وورد فى لباب الأداب ص ٣٠٨ دون نسبة .

(٣) ديوانه ١ : ٤٥٧ والتبريزى ٢ : ٦٦ .

(٤) لم أجده فى شعره المجموع .

وبيتُ أبى تمّامٍ أجودُ ، وأجودُ مِنهما قولُ البُحتريِّ (١) :

يَحِنُّ إلى الإرْفادِ حتَّى يُنيلَهُ  كمَا حَنَّ إلْفٌ مُسْتَهَامٌ إلى إلْفِ

وإنَّما أخذهُ (٢) من قولِ أبى تَمَّامٍ (٣) :

مازالَ بالمَعْروفِ وهو مُتَيَّمُ

وقال البحتريُّ على الوجهِ الأوَّلِ المُبْتَذلِ (٤) :

جادَ حتَّى أفنىٰ السُّؤالَ ، فلمَّا  بادَ مِنَّا السُّؤالُ جادَ ابْتِداءَ

ونحوُه قولُهُ (٥) :

حَليفُ ندًى إن سِيلَ فَاضَتْ جِمَامُهُ  وذُو كَرَمٍ إنْ لم يُسَلْ يَتَبَرَّعُ

/ وقالَ (٦) : ٥٧ س

رَطبُ الغَمامِ إذا ما استُمْطِرَتْ يَدُهُ  جاءَتْ مِواهِبُهُ قَبلَ المَواعِيدِ

وقالَ (٧) :

وَثِقْتُ بنُعماهُ ولم تَجْتَمِعْ بِهَا  يَدِى ، ورأيتُ النُّجحَ قبلَ سُؤالِهِ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٣٦٦ ، وفيه « يحن إلى المعروف » .

(٢) فى س : « أخذ » .

(٣) صدره :

قد تُيِّمَتْ مِنهُ القَوافِى بامْرِئٍ

ديوانه ٢ : ٣٨٣ وشرح التبريزى ٣ : ٢١٤ .

(٤) ديوانه ١ : ١٥ .

(٥) ديوانه ٢ : ١٢٣٩ ، وفيه « فاضت حياضه » و « إلا يُسَلْ » ، و الجِمامُ : جَمعُ الجَمِّ من المَاءِ ، أى مُعْظَمُهُ ، وجَمْعُ الجَمَّةِ وهى البئرُ الكثيرة الماءِ أو مُجتمَعُ مائِها .

(٦) ديوانه ١ : ٥٥٧ .

(٧) ديوانه ٣ : ١٦٢١ .

وقوله : « لَمْ تَجْتَمِعْ بها يَدِى » أىْ : لَمْ أضمّ عليها يَدِى بعد ، ثمّ مَثَّله أحسنَ تمثيلٍ فقال :(١)

وتَعلمُ أنَّ السّيفَ يَكْفيكَ حَدُّه ... مُكاثرةَ الأقرانِ قبل اسْتِلالِهِ

وقال :(٢)

كان ابتداؤكَ بالعطاءِ عَطّيةً ... أُخرى ، وبَذْلُكَ للجَسيمِ جَسيما

وأجودُ من هذا كُلّه قول مسلم :(٣)

أَعْطَى فما تَنْفَكُّ تُنْزَعُ هِمَّةٌ ... أملاً إليْه من المَحلّ الأَبْعَدِ
سَبَقَتْ مواهبُهُ مُنَى مُرْتادِها ... واسْتَحدَثَتْ هِمَمًا لمن لَمْ يَرْتَدِ(٤)

وقال البحترىّ فى ابن بِسْطامٍ :(٥)

وبديهةٌ من طَوْلِهِ لم تَرْتَقِبْ ... وافاكَ مُبْتَدِئًا بهَا إنْعامُهُ(٦)
كالسَّيْلِ أصبَحَ فى ذَرَاكَ أَتِيُّهُ ... والجوُّ مُصْحٍ ما يُحَسُّ غَمَامُهُ(٧)

وهذا أيضا تمثيلٌ فى غاية الحُسْنِ والصِّحَّةِ والحَلاوةِ .

ومثلُه قول السِّمْطِ بن مروانَ بن أبى حَفْصة :(٨)

لَعمرى لَنِعم الغَيثُ غَيثٌ أَصابَنَا ... بِبَغْداد من أَرْضِ الجَزيرة وابِلُهْ
فَكُنَّا كَحيٍّ صَبَّح الغَيثُ أهْلَهُ ... ولم تَنْتَجِعْ أظْعانُهُ وحمَائِلُهْ

---

(١) المصدر السابق .
(٢) ديوانه ٣ : ١٩٦٤ .
(٣) ديوانه ص ٢٣٢ .
(٤) ديوانه « عطيته » .
(٥) ديوانه ٣ : ٢٠٣٥ .
(٦) فى س : « معتديا » .
(٧) فى ديوانه : « والصبح مصح » . والأتىّ : السيل الذى يأتى من حيث لا يدرك .
(٨) قالها فى عبد الله بن طاهر وقد بعث إليه – وهو فى بغداد وعبد الله بن طاهر فى الجزيرة – بعشرين ألف درهم وكسوة ، « انظر الورقة لابن الجراح ص ٤٨ » ففيها شعر السمط وشعر نهشل ورواية ثعلب ، فكأن الآمدى قد نقل منه هذه الرواية ، وانظر هوامش تلك الصفحة فى الورقة ، وقد ذكره المرزبانى فى ترجمة « عياش بن حنيفة الخثعمى » ، وروى له بعض الأبيات « معجم الشعراء ص ١٢٩ » ، ولم يرد البيت الثانى فى الورقة ، ووردا فى ديوان المعانى : ١ / ٦٥ .

ذكَرَ ثَعْلَب عن ابنِ سَلّامٍ قَال : قالَ أبو الغَرّافِ[١] : سَرَقَ هذا المَعْنىٰ من قَولِ نَهْشَلِ بنِ حرِّىّ[٢] ، وقد بعَثَ إليه كَثِيرُ بن الصَّلْتِ الكِنْدىُّ[٣] – وهو قَاضِى عُثْمانَ علىٰ المَدينةِ ، ونَهْشَلٌ بالبَصْرةِ – بِكسْوةٍ ومَالٍ ، فقالَ نَهْشَلٌ[٤] :

جَزىٰ اللهُ خيراً – والجزاءُ بِكَفِّهِ – بَنى الصَّلْتِ إخوانَ السَّماحةِ والمَجْدِ
أتَانى وأهْلِى بالعِراقِ نَداهُمُ كما ارْفَضَّ غَيثٌ من تِهَامَةَ فى نَجْدِ
فما يَتَغَيَّرْ من بِلادٍ وأهْلِها فَما غَيَّرَ الإسلامُ مَجْدَكُمُ بَعْدِى

البحترىُّ فى هذا البابِ عندِى أَشعرُ من أبى تمّامٍ لكثرةِ تصرُّفِهِ فيهِ ، ولِمَا تضمَّنَهُ من إساءةِ أبى تمّام .

* * *

(١) هو عَمرُو بن مرثِدٍ قال المَرْزبانى : شَاعِرٌ مَعْروف سندى « معجم الشعراء ص ٣٠ » .

(٢) نَهْشلُ بنُ حرِّىٍّ بنِ ضَمْرَة بن جابر بن قطن بن نهشل الدارمى شاعر شريف مشهور ، وأبوه حرِّىٌّ شاعر مذكور ، وجده ضمرة بن ضمرة شريف فارس شاعر بعيدِ الذكر كبير الأمر ، بَقِىَ نهشلُ إلى أيام معاويةَ ، وكان مع على فى حروبِهِ ، وقُتِلَ أخوه مالك فى صِفِّين وهو يومئذ رئيس حنظلة فرثاه نهشل بمراث كثيرة « طبقات فحول الشعراء ٥٨٤ ، الاشتقاق ٢٤٤ والأغانى ١٥٣/٨ – ١٣٤/١١ »

(٣) كَثِيرُ بن الصلت بن معدى كرب الكندى : كاتب الرسائل فى ديوان عبد الملك بن مروان . أصله من اليمن ، ومنشؤه فى المدينة ، كان اسمه « قليلا » ، وسماه عمر بن الخطاب « كثيرا » ، ولما ولىَ عثمان أجلسه للقضاء بين الناس فى المدينة ، ثم ولى كتابة الرسائل لعبد الملك بن مروان ، وكان وجيها فى قومه ، وروى أحاديث عن جمع من كبار الصحابة « رضوان الله عليهم » – ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعة أهل المدينة « الإصابة ت ٧٤٨٤ » .

(٤) الورقة ص ٤٩ وديوان المعانى : ٦٥/١ .

## ما وصفا به البشر عند السؤال وحسن اللقاء

قال أبو تمّام[1] :

ومُرَحِّبٌ بالزائرينَ وبِشْرُهُ يغْنيكَ عن أَهْلٍ لَديهِ ومَرْحَبِ

وقالَ[2] :

س / إذا قالَ أهْلاً مَرحبًا نَبعت لَهُم مياهُ النَّدىٰ من تَحْتِ أَهْلٍ ومَرْحَبِ

وقالَ[3] :

وجَدْنَاكَ أَنْدىٰ من رِجالٍ أَنامِلاً وأحسنَ فى الحَاجَاتِ وَجْهًا وأَجْمَلا
تُضِيءُ إذا اسودَّ الزَّمانُ وبَعضُهُمْ يرىَ الموتَ أن يَنْهلَّ أو يَتَهلَّلا

أى : يرىٰ انْهِلَال الموتِ أو يتَهلَّلا ، أىْ : انصبابَ الموتِ أو أن يتَهلَّلَ ، يعنى الطلَاقَةَ والبِشْرَ .

---

(١) ديوانه ١ : ٢١٨ وشرح التبريزى ١ : ١٠١ ، وقال ابن المستوفى : « يروى » « ومرحِّبٍ » بالجر كأنه عطف على قوله : « بضياء ذاك الكوكب » ، ومرحِّبٌ بالرفع على الاستئناف ، أى وهو مُرَحِّبٌ بالزائرين .

(٢) ديوانه ١ : ٢٤٧ وشرح التبريزى ١ : ١٥٢ ، وفى س : « إذا ما قال » .

(٣) ديوانه ٢ : ٣١٠ والتبريزى ٣ : ١٠٢ .

وقال[(١)] :

وإذا المواهِبُ أظْلَمَتْ ألْبستَها ... بِشْراً كبارِقَةِ الحُسام المِخْذَمِ
أَعْطَيْتَ مَالَمْ تُعطِهِ ولَو انقضىٰ ... حُسْنُ اللّقاءِ حَرَمْتَ ما لم تَحْرِمِ[(٢)]

فقولُه : « أعطيتَ ما لم تُعْطِهِ » يعنى : البِشْرَ ، لأنَّه ليس بعطاءٍ على الحقيقةِ ، ولو لَمْ تَفعلْ لحَرَمْتَ ما لم تَحْرِمِ ، أى : لحَرمْتَ مِنْهُ ما لَا يسمَّىٰ حِرْماناً على الصِّحَةِ ، أو أن يكونَ أرادَ : ولو انقضىٰ حُسنُ اللّقاءِ كنتَ قد حَرَمْتَ العَطَاءَ الذى لم يُحْرَمْهُ أى : كُنْتَ كأنَّكَ لم تُعْطِهِ لسوءِ لِقَائِكَ .

وما تركَ زهيرٌ فى البِشْرِ إحْساناً لقائلٍ مع قَوْلِهِ[(٣)] :

تراهُ إذا ماجئتَه مُتَهلِّلاً ... كأنَّكَ مُعْطيهِ الذى أنتَ سَائِلُهْ

وقد قدحَ فيه مالَا يضرُّه ، وهو أنْ قِيلَ : إنّه قد حَطَّ من هِمَّتِهِ ، ووضَعَ مِنْهُ إذ[(٤)] جَعَلَهُ يفرَحُ بعطِيَّةٍ يُعْطَاها[(٥)] ، وكان يَجبُ أن يَجعَل الدُّنيا تصْغُرُ عِنْدَهُ أنْ لُوْ سِيقَتْ إلَيْهِ .

وما قالَهُ زُهيرٌ غيرُ مَانِعٍ أن يكونَ صَاحِبُه بِهذَا الوَصْفِ ، بلَ ما قَالَهُ يُوجِبُ لصاحِبِهِ هذَا الوَصفَ ، أن يكون بِشْرُهُ وطَلاقةُ وَجْهِهِ فى إعطاءِ ما يُعْطى ، وأَخْذِ ما يأْخُذُ على حالٍ واحِدَةٍ ، وقد أخذه الكُمَيْتُ فقَالَ :

يَلْقىٰ أبانًا على عُسْرٍ ومَيْسَرَةٍ ... كأنَّ مُسْتَوْهِبِيهِ المالَ هُمْ وَهَبُوا[(٦)]

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٢٩ وشرح التبريزى ٣ : ٢٥٤ .
(٢) ديوانه « حرمت من لم تحرم » .
(٣) ديوانه ص ١١٣ ، وفيه « كأنك تعطيه » .
(٤) فى س : « إذا » .
(٥) انظر ديوان المعانى : ١ : ٢٩ ففيه هذا الاعتراض .
(٦) هو أبان بن الوليد البجلىّ ، ولم أجده فى ديوان الكميت المجموع .

وقد تصرَّفَ البُحترىّ فى وصفِ البِشْرِ تصرُّفاً كثيراً حَسناً ، فقالَ[١] :

أرْيَحِىٌّ إذا تهَلَّلَ لِلْجُو دِ أضاءَتْ طلاقَةٌ وقَبولُ

وقال[٢] :

لو أنَّ كَفَّكَ لَم تَجُدْ لِمُؤَمِّلٍ لكَفاهُ عاجِلُ وَجْهِكَ المُتَهلِّلِ
وَلَوَ آنَّ مَجْدَكَ لم يَكُنْ مُتقادِماً أغناكَ آخِرُ سُؤْدَدٍ عن أوَّلِ

وقال[٣] :

وتَبَسُّماتك لِلْعَطاءِ كأنَّها زَهْرُ الرَّبيعِ خِلالَ رَوْضٍ مُعْشِبِ

قولُهُ : « تَبسُّماتُكَ » جَمْعُ التَّبسُّمِ ، هُوَ مَصْدَرٌ ، والمَصادِرُ لا تُجْمَعُ فكما لا يُقالُ : تَعَجَّبْتُ تعجُّبَاتٍ ، وتَقدَّمْتُ تَقَدُّماتٍ ، فكذلكِ لَا يُقالُ تَبَسُّماتٍ .

وقال[٤] :

وأبيَضُ وضَّاحٌ إذا ما تغيمت[٥] يداهُ تَجلىٰ وَجْهُهُ فتَقَشَّعا
/ تَرَى ولَعَ السُّؤَّالِ يَكْسو جبينَهُ إذا قَطَّبَ المَسئولُ بِشرًا مُولَّعا ٥ س

وهذا أَحسنُ من قولِ مُسلم بن الوليد[٦] :

لا يَضْحَكُ الدَّهرَ إلا حِينَ تَسألُهُ ولا يُعبِّسُ إلا حينَ لا يُسَلُ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٨٤٦ .
(٢) ديوانه ٣ : ١٧٩٧ .
(٣) ديوانه ١ : ٢٨٤ .
(٤) ديوانه ٢ : ١٢٦٦ .
(٥) فى س : « إذا همّت » والتصحيح من الديوان .
(٦) ديوانه ص ٢٥٠ ، وفيه « وليس يعبس » .

وقال البحتريّ (١) :

وَوَجْهٌ رَقَّ ماءُ الجودِ فيهِ     على العِرْنِينِ والخَدِّ الأَسِيلِ
يُريكَ تألُّقُ المَعروفِ فيهِ     شُعاعَ الشَمْسِ فى السَّيفِ الصَّقيلِ

هَذا من قَولِ أَبى تَمّامٍ (٢) :

بِشْراً (٣) كبارِقَةِ الحُسامِ المِخْذَمِ

فَوكَّدهُ بِذِكْرِ شُعاعِ الشَّمْسِ .

[ وقال ] (٤) :

مُشرِقٌ للنَّدىٰ ومِنْ حَسَبِ السَّيْـ     ـفِ لِمُستَلِّهِ ضياءُ حَديدِهْ
ضَحِكاتٌ فى إِثْرِهِنَّ العَطايَا     وبروقُ السَّحابِ قَبْلَ رُعودِهْ

وهذا مِثْلُ ما تَقَدَّم (٥) من قَوْلِهِ :

سَوْمُ السَّحائِبِ ما بَدأْنَ بَوارِقًا     فى عارِضٍ إلاّ اثْنَيْنَ رَواعِدا

قوله : « ما بَدأْنَ » : يُريدُ السَّحَائِبَ ، يقال : بَدأْتُ الشَّيءَ وأَبْدَأْتُهُ وذَلِكَ عن أَكْثَرِ أَهْلِ اللُّغَة غَيرِ الأَصمعيّ ، فإنّهِ قالَ : لا يُقالُ : بَدأْتُ الشَّيءَ ، وإنّما يُقالُ : أَبْدَأْتُهُ .

وقال (٦) :

أَزْهَرُ ، والرَّوْضُ لا يَرُوقُكَ أَوْ     يَحْكِى مَصابِيحَ لَيْلِهِ زَهَرُهْ

---

(١) ديوانه ١ : ١٧٣٤ .
(٢) سبق فى : ص ١٤٧ وصدره :
« وإذا المواهب أظلمت ألبستها » .
(٣) فى س « بشرٌ » بالرفع ، وهو خطأ لأنه مفعول ثان « لألبستها » .
(٤) ديوانه ١ : ٥٩٩ .
(٥) انظر ص ١٣٢ .
(٦) ديوانه ٢ : ١٠٣٧ .

يُخِيلُ حَتىٰ ترىٰ النَّجاحَ عَلَىٰ    ظَاهِـرِ بِشْرٍ مَتِينَـةٍ بُشَرُهْ[١]
والغَيمُ مَحبُوكَةٌ طرائِقُـهُ    أَحْجىٰ من الصَّحْوِ يُبْتغىٰ مَطَرُهْ

وما لَا نِهايَةَ لِحُسْنِه قَوْلُهُ[٢] :

شِيمةٌ حُرَّةٌ ، وظاهِرُ بِشْرٍ    رَاحَ مِنْ خَلْفِهِ السَّماحُ يَشِفُّ

وأَعْجَبُ منْ هذَا وأَلْطَفُ قَوْلُهُ[٣] :

يُشْرِقُ بِشْرًا ، وَهْوَ فِى مَغْرَمٍ    لَوْ مُنِىَ البَدْرُ بِهِ رَبَّدَهْ
ضَوْءٌ لَوَ انَّ الفُلْكَ ازْدادَ فى    أَنْجُمِهِ فِيـهِ لمَـا أَنْفَـدَهْ

وقالَ[٤] :

تُنْبِى طَلاقةُ وَجْهِهِ عن جُودِهِ    فتكَادُ تَلقَىٰ النُّجْحَ قبل لِقَائِهِ
وضِيَاءُ وَجْهٍ لَوَ تَأَمَّلَهُ امْـرُؤٌ    صَادِى الجَوانِحِ لارْتَوىٰ من مَائِهِ

وهذا مَعنًى حَسَنٌ لطَيفٌ ، والعَطْشَانُ لا يَرْوِيهِ النَّظَرُ إلى الماءِ ، وإنّما يَروِيهِ أن يَكْرَع فيه ، فأَرَادَ البحترىُّ أَنَّ تأَمُّلَ وَجهِهِ يَرْوِى العَطشانَ ، علَى المُبَالَغةِ ، من كَلامِ النَّاسِ أن يَقولُوا : هَذا وجْهٌ يُشْبِعُ الجَائِعَ ويَرْوِى الظَمْآنَ ، يُريدونَ من حُسنِهِ .

وقال[٥] :

٦ س / كانتْ بَشَاشَتُكَ الأُولىٰ التى ابْتَدَأَتْ    بالبِشْرِ ، ثُمَّ اقْتَبَلْنَا بَعْدَها النِّعَمَا
كالمُزْنِةِ اسْتُؤْنِفَتْ أُولىٰ مَخِيلَتِهَا    ثُمَّ اسْتَهلَّتْ بِغُزْرٍ تَابَعَ الدِّيَمَا

---

(١) ديوانه « تخيل حتى نرى » ، و « مُبِينَةٍ » .
(٢) ديوانه ٣ : ١٣٧٤ .
(٣) ديوانه ٢ : ٦٦٥ .
(٤) ديوانه ١ : ٢٤ .
(٥) ديوانه ٣ : ٢٠٤٦ .

وهذا أيضاً تمثيلٌ جيِّدٌ بالغٌ مصيبٌ .

وقال فى إسماعيل بن بلبل[(١)]:

مُضيءٌ ينوبُ البِشْرُ عن ضَحكَاتِهِ ... ولا رَيْبَ فى أَنَّ العُبُوسَ هو العُسْرُ
ولو ضُمِّنَ المعروفُ طَيَّ صَحيفَةٍ ... يُطانُ[(٢)] عَليه كانَ عِنْوانَها البِشْرُ

وهذا بابٌ فَضَلَ البحترِيّ فِيهِ على أبي تمَّامٍ ظاهرٌ لِصِحَّةِ تَمثِيلَاتِهِ وكَثْرَةِ افْتِنَانِهِ .

* * *

(١) ديوانه ٢ : ٨٧٤ ، وفيه « ينوب اليسر » تصحيف .
(٢) ديوانه : « تكاد عليه » وقال محققه : لعله أخذها من كود الشئ : جمعه ، لفظة يمانية . ويُطَانُ أى : يبنى ويسد عليه بالطين ، وضُبِطَ الشطر الأول فيه بنصب « المعروف » ورفع « طىّ » وهو خطأ .

## وفى الإكثار من العطاء

قالَ أبو تمّامٍ[1] :

لُهًى تَسْتَثِيرُ القَلْبَ لَوْلا اتِّصالُهُ بِحُسْنِ دِفاعِ اللهِ وسوسَ قَائِلُهْ

وقالَ[2] :

كم نفحةٍ لكَ لم يَحْفَظْ تَعَجْرُفُها لِصَامِتِ المَالِ لا إِلًّا ولاً ذِمَمَا

مواهِبٌ لو تَوَلَّى عَدَّها هَرِمٌ لَمْ يُحْصِهَا هَرِمٌ حَتَّى يُرىٰ هَرِمَا

يعَنِى هَرِمَ بنَ سِنانٍ المُرِّى ، الذَىَ مَدَحَهُ [ زُهير ] ، وكان من الأجَوادِ .

وقال أبو تمّام[3] :

إذا شِئتَ أن تُحْصِى فَواضِلَ كَفِّهِ فكَنْ كاتباً أو فاتَّخِذْ لكَ كَاتِبَا

وهذا من معانى العَوامّ ، وَضَعَفَةِ المُعَلِّمِينَ .

وقالَ فى أبِى الغَرِيبِ يَحيىٰ بنِ عَبد اللهِ[4] :

لَولا تَنَاهِى كُلِّ مخلوق لَقدْ خِلْنَا نوَالَكَ لَيسَ بالمُتنَاهِى

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٠٥ والتبريزى ٣ : ٣٠ ، وفيهما « لولا اتصالها » .

(٢) ديوانه : ٢ : ٤٣٧ والتبريزى ٣ : ١٧٤ ، وفيه « لم يُحْفَظْ تذمّمها » بالبناء للمجهول وهو خطأ .

(٣) ديوانه ١ : ٢٤١ والتبريزى ١ : ١٤٣ .

(٤) ديوانه ٣ : ٥٧ وشرح التبريزى ٣ : ٣٥٠ .

وليسَ هذا الجِنسُ من الإغراقِ جَيِّداً ولا حَسَناً .

وقالَ أبو تمّامٍ[١] :

وللهِ أنْهارٌ من النَّاسِ شَقَّها لِيَشْرَعَ فِيها كلُّ مُقْوٍ ووَاجِدِ

المُقْوِى : الذى قَد فَنِىَ زَادُهُ ، والواجِدُ : الغَنِىُّ .

ولا يُقَال : أنهارٌ مِنَ النَّاسِ شَقَّها إلا مَن لَمْ يَسْمَعْ بِمَدْحِ المَادحِ ، ولا بِكَلامِ العَربِ قَطُّ ، وإنَّمَا المُستَعملُ فى هذا أن يُقالَ : كالبَحْرِ ، وكالسَّيلِ ، وكالفُراتِ ، فأمّا نَهْرٌ مَشْقُوقٌ فمن أَقْبَحِ لَفْظٍ وَأَوْضَعِهِ .

وإنَّما قَالَ كَعْبُ بنُ مَعْدانَ الأَشْقَرِىُّ[٣] :

بَراكَ اللهُ يومَ براكَ بحراً فَفَجَّرَ مِنْكَ أَنهاراً غِزَارا

بَنِيكَ السَّابِقين إلىٰ المَعالى إذا ما أعْظَمَ النَّاسُ الخِطَارَا[٤]

لأنه جعلَ المهلّبَ بحرًا ، وجعل بَنيهِ أَنْهارًا مُفَجَّرةً مِنْهُ فَحَسُنَ ذلك ولَمْ يَقْبُحْ .

وقال أبو تمّام[٤] :

كأنَّ أموالَه والبَذْلُ يَمْحَقُها نَهْبٌ تَعَسَّفَهُ التَّبذِيرُ أو نَفَلُ

وهذا بيتٌ جَيِّدُ المَعْنىٰ ، وأَجْودُ منه قَوْلُ البُحْتُرِىِّ[٦] :

---

(١) فى س : جيدٌ ولا حسنٌ .

(٢) ديوانه ١ : ٤٦٣ ، والتبريزى ٢ : ٧٦ .

(٣) كعب بن معدان الأشقرى يكنى أبا مالك ، وأمه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود فى الشجعان ، من أصحاب المهلب والمذكور فى حروبه للأزارقة « الأغانى . ١٣ : ٥٤ ، معجم الشعراء ص ٢٣٦ » .

(٤) فى معجم الشعراء والأغانى « بنوك السابقون » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٨١ والتبريزى ٣ : ١١ .

(٦) ديوانه : ١ : ٢٨٠ .

تُحْسَبُ فِى وَفْرِهِ يَداهُ يَدَىْ عَدوٍّهِ أو لِغَيْرِهِ نَشَبُهْ
مالٌ إذا الحَمْدُ مِنْهُ عِيضَ غَدَا مُنْهِبُهُ غانِماً ومُنْتَهِبُهْ

/ قَوْلُهُ : ٦١ س

تُحْسَبُ فى وَفْرِهِ بدَاهُ يَدَىْ عَدوٍّهِ ......................

يُشْبِهِ قَوْلَ أبى تمَّامٍ[(١)] :

وإن خَفرتْ أمْوَالَ قَوْمٍ أكُفُّهُمْ من النَّيْلِ والجَدْوىٰ فكَفَّاهُ مَقْطَعُ

وهذا من قَبيحِ المَعانى[(٢)] .

وقال أبو تمّام[(٣)] :

منَ رأَى بَارِقًا سَرىٰ صَامِتِيًّا جَادَ نَجْدًا سُهولَها والحُزُومَا
فسَقَى طَيِئًا وكَلْبًا وذُودا نَ وقيسًا ووائِلاً وتَمِيمـا
لن ينالَ العُلىٰ خُصُوصاً من الأقْـ ـوامِ مَنْ لم يَكُـنْ نَداهُ عمُومَـا[(٤)]

وهذا جَيِّدٌ بَالِغ فى العُمومِ والكَثْرَةِ .

وقال أيضاً فى كثرةِ العطَاءِ[(٥)] :

يقول الحَاسِدونَ إذا انْصرَفْنَا لَقَدْ قطَعُوا طَرِيقاً أو أغاروا

---

(١) ديوانه ٢ : ١٤ والتبريزى ٢ : ٣٣٠ .

(٢) وقال الصولى : هذا مثل حسن ! .

(٣) ديوانه ٢ : ٤٠٠ والتبريزى ٣ : ٢٢٤ .

(٤) ديوانه وشرح التبريزى : « من الفتيان » .

(٥) ديوانه ١ : ٥١٣ والتبريزى ٢ : ١٥٦ .

وَحسْبُكَ بهذا قُبْحاً ورَكاكَةً ، وكان يجب أن يُتْبِعه بيْتٍ آخرَ يَذكُرُ فيهِ أنّهمْ هَربُوا لِئَلاّ يُؤْخَذُوا فيُعاقَبُوا عُقوبَةَ قُطّاعِ الطُّرُقِ !

ومن هذا البَابِ قَوْلُه[(١)]:

سَخِطَتْ لُهَاهُ على جَدَاهُ سَخْطَةً فاسْتَرْفَدَتْ أَقْصىٰ رِضَى المُسْتَرْفِدِ

« فاللُّهَا » جمعُ « لَهْوَةٍ » ، وهِيَ : العَطِيَّةُ ، وأَصْلُهَا ما تُلْقِيهِ [ فِي فَمِ[(٢)] ] الرَّحا من الحَبِّ ، كأنَّكَ جَعلْته طُعْمَة للرَّحىٰ ، فَشُبِّهَتْ العَطِيَّةُ بِهِ ، والجَدوىٰ هي العَطِيَّةُ أيْضًا ، فكيف يُسْخِطُ عطَايَاهُ ؟ ، هذا عَيْنُ الخَطَأِ ، ولو قَالَ : « سَخِطَتْ يدَاهُ على جَدَاهُ » كان قَولاً حَسَناً مُستَقِيماً .

وقد جاءَ بِهذَا المَعنىٰ فى مَوْضِعٍ آخَرَ وأَتىٰ بِهِ على الصَّوابِ فقَال[(٣)]:

ما الْتَقىٰ وفْرُهُ ونَائِلُه مُذْ كانَ إلَّا وَوَفْرُهُ المَغْلوبُ

قال[(٤)]: والوفْرُ : هو المَالُ الكثيرُ ، والنَّائِلُ : هو المالُ الذى يُعْطِيهِ ، وَهُوَ قِطْعَةٌ يَقْتَطِعُها من وَفْرِهِ ، وهو مُذْهِبٌ لِلْوَفْرِ ومفنيه ، كما قال زُهَيْرٌ[(٥)]:

أخو ثِقَةٍ ، لا تُهْلِكُ الخَمْرُ مَالَهُ ولَكِنَّه قَدْ يُهْلِكُ المالَ نَائِلُهْ

وقد أحسَنَ البحتريُّ فى هذَا البَابِ كلَّ الإحسانِ وذلِكَ قَولُهُ فى الكَثْرةِ والعُمومِ[(٦)]:

وأَنْفَقَ فى العَلْياءِ حتَّى حَسِبْتَهُ من الدَّهْرِ يُعْطِى أَو مِنَ الدَّهْرِ يُنْفِقُ

---

(١) ديوانه ١ : ٤٥٣ والتبريزى ٢ : ٥١ ، وفى ديوانه فقط : « المُتَرفِّد » .
(٢) فى س : « من الرحا » وما أثبته هو ما يوجبه شرح « لهوة » فى اللسان .
(٣) ديوانه ١ : ٣٣٩ والتبريزى ١ : ٢٩٥ .
(٤) كذا فى س ، ولا أدرى من القائل .
(٥) ديوانه ص ١١٣ وفيه « أخى » .
(٦) ديوانه ٣ : ١٤٩٢ .

عطاءٌ كَضوءِ الشَّمْسِ غَمْرٌ ، فَمَغْرِبٌ يَكُــونُ سَواءً فى سَنَــاهُ وَمَشْرِقُ (١)

وقالَ فى قصيدةٍ أُخرى (٢) :

مواهِبُ أعدادُ الأَمَانِى وخَلْفَها عِدَاتٌ يكادُ العُودُ مِنْهُنَّ يُورِقُ

قولُهُ : « أعدادُ (٣) الأَمَانِى » فى غَايةِ الحُسْنِ والصِّحةِ .

وقال (٤) :

لم يُحْصَ عِدَّةُ ما تُولِيهِ من حَسَنٍ وَسَيِّدُ النَّيْلِ مالَمْ يُحْصِهِ العَدَدُ

وقال (٥) :

مَواهِبٌ ضَرَبَتْ فى كُلِّ ذى عَدَمٍ بِثَرْوةٍ وأَمَاحَتْ كُلَّ مُمْتَاجِ

وقالَ (٦) :

كُلمَّا جَاءتِ اللَّيالى بإحسا نٍ ، فبَادِى إحسانِها إحْسَانُهْ

جُمَلٌ من لُهًى يُشَكِّكْنَ فى القَو مِ : أَهُمْ مُجْتَدوهُ أم خُزَّانُهْ ؟

وقال فى مثلِهِ (٧) :

أَعْطَيْتَنِى حَتى حَسِبْتُ جزيلَ مَا أَعَطَيْتَنِيهِ وَديعَةً لَمْ تُوهَبِ

---

(١) ديوانه « عمّ » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٥٣١ .

(٣) س : « عداد » .

(٤) ديوانه ٢ : ٦٤٨ ، وفيه « مأأولاه » .

(٥) ديوانه ١ : ٤٤٤ ، وفى س : « بثورة » والتصحيح من ديوانه .

(٦) ديوانه ٤ : ٢٢٩٨ .

(٧) ديوانه ١ : ٨٢ ، وقد سبق فى ١ : ٣١٤ .

/ وإنَّمَا أخذَ هذا المَعْنى من قَولِ الفَرَزْدَق[١] [٢] : ٧٢ ب

أعطانِيَ المالَ حتَّى قُلْتُ : يُودِعُنِي أو قُلْتُ : أوْدَعَ مالاً قد رَآهُ لَنَا

وبيْتُ البُحْتُرِيِّ أجْوَدُ من هذا[٣] لَفْظًا وسَبْكًا[٤] .

وقال[٥] :

تَجاوَزَ غاياتِ العُقولِ رغائِبٌ يَكادُ بِهَا لَوْلَا العِيَانُ تُكَذَّبُ

وقال فى أبِى نَهْشَلٍ[٦] :

وعَطايَاكَ فى الفُضُولِ عِدَادُ الرَّ (م) مْلِ من « عَالِجٍ » وكَيْفَ الحُقُوقِ[٧]

ظلَّ فيها البَعيدُ مِثْلَ القريبِ الـ ـمُجْتَبىٰ والعدوُّ مثلَ الصَّديقِ[٨]

كَحبِيِّ الغَمامِ جَادَ فَرَوَّىٰ كُلَّ وادٍ من البِلادِ وَنِيقِ

وهذهِ مَعانٍ مُخْتلِفَةٌ ، وكلُّها فى غايةِ الجَودَةِ والصِّحَّةِ ، ولا خفَاءَ بِفَضْلِ البُحْترىِّ – فى هذا الباب أيضا – على أبى تمّام .

* * *

---

(١) من هنا تبدأ نسخة « كمبردج » لتلتقى مع النسخة التونسية وتصاحبها وقد سدت النسخة التونسية خرما كبير فى نسخة كمبردج التى تبدأ من لوحة ٧٢/ب فلله الحمد والمنّة ، وسأشير إليها فى الهامش « بالأصل » .

(٢) الموشح ص ٥١٨ ، وفيه « قلت أودعنى » ، وقد سبق فى ١ : ٣١٤ ، وفيه « أو قلت أعطى » ، وبها ينكسر البيت .

(٣) س : « أجود منه » .

(٤) كذلك قال فى الجزء الأول ، وقال المرزبانى : « أخذ قوله : « البيت » وقصّر وأفحش ، وأسقط أحَدَ القسمين » .

(٥) ديوانه ١ : ١٣٨ ، وفيه :

« ............................... نكادُ لها لَوْلا العيانُ نُكَذِّبُ »

(٦) ديوانه ٣ : ١٤٨٤ .

(٧) « عالج » رملة بالبادية بين فَيْد والقُرَيَّات يَنْزِلُها بنو بُحْترٍ من طَيِّء « معجم البلدان ٤ : ٧٠ » .

(٨) سبق فى ١ : ١٨٩ .

## فى ذكر القَصْدِ والإسرافِ [1]

قال أبو تمّام [2]:

قَصْدُ الخَلائِقِ إلّا فى ندًى ووغًى        كِلاهُمَا سُبَّةٌ ما لَمْ يَكُنْ سَرَفَا

وكان يَنْبَغِى أن يَقُولَ : ما لم يَكُونا سَرَفا ، وكأنَّه تأوَّلَ ما لم يكُنْ ذاكَ ، أو حَمَلَهُ على قَوْلِهِم « كلاهُما فَارِسٌ إذا رَكِبَ ، وفارِسانِ إذا رَكِبَا » [3] لأَنَّ « كِلَا » تَصْلُحُ هَاهُنا للإِفْرادِ والتَّثْنِيَةِ .

وقال البحتريّ [4]:

ولا إسرافَ غيرُ الجُودِ فيهِ        وسائِرُهُ لِهَدْيٍ واقْتِصَادِ

فذَكَرَ السَّرَفَ فى الجُودِ وَحده ، وأبو تَمّام جعلَ السَّرَفَ فى النَّدى والوَغىٰ

---

(١) فى س : « وقد ذكر » .

(٢) ديوانه ٢ : ٥٣ والتبريزى ٢ : ٣٦٥ ، ديوانه : « كلاهما سُنَّة » والتبريزى و س : « إلا فى وغى وندى » .

(٣) فى الأصل : « وكلاهما فارس إذا ركبا » . والتصحيح من س ، وقد ورد الضمير مفردا حملا على اللفظ فى « كلا وكلتا » أكثر من الحمل على المعنى وقد جاء ذلك كثيرا ، انظر « الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الانبارى ٢٦٠ » وهو رأى البصريين ، ومن قوله : « لأن كلا ... » ساقط من س .

(٤) ديوانه ٢ : ٧٢٥ .

جَميعاً ، وأرادَ بالسَّرِفِ فى الوَغىٰ القَتلَ ، فبَيتُهُ أجمَعُ للمعانى ، وبيتُ البحتريِّ أَحَسَنُ سَبكًا وأجودُ لفظًا .

وقال البحتريّ (١) :

كَرَمٌ دَعَتْكَ بِهِ القَبائِلُ مُسْرِفًا ... مامُسْرِفٌ فى المَكْرُماتِ بِمُسْرِفِ

فأما قَولُ أبى تمّامٍ (٢) :

له خُلُقٌ نهىٰ القرآنُ عَنْهُ ... وذَاكَ عطَاؤهُ السَّرفُ البِدارُ

ولم يَكُ ذاكَ إصْرارًا ولكِنْ ... تمَادَتْ فى سَجيَّتِها البِحَارُ

٧٣ / فمِمَّا لايفِى بَجَودَتِه وحُسْنه شَىءٌ ، ولكن جَاءَ بهِ بعدَ بَيتٍ لَو خَرِسَ كان خيراً له مِنْ أنْ يأتِيَ بمِثْلِهِ (٣) ، وهو قولُه :

يقولُ الحاسِدونَ إذا انْصرَفْنَا ... لقَدْ قَطَعُوا طَرِيقًا أو أغارُوا

وقد مضى ذِكْرُه (٤) . وأبو تمّامٍ فى هذا البابِ أشْعَرُ .

* * *

---

(١) ديوانه ٣ : ١٤١٧ ، وفيه « كرما » .

(٢) ديوانه ١ : ٥١٣ . وفيه « البذار » ، وهى رواية « س » ، وانظر تعليق أبى العلاء على هذه الرواية فى شرح التبريزى ٢ : ١٥٦ .

(٣) قوله : « من أن يأتى بمثله » سقط من س .

(٤) انظر ص ١٥٤ .

## ذكر تعجيل العطاء[1]

لم أَرَ أبا تَمَّامٍ جَرَّدَ القولَ فى هذا الباب ، ولا أَتَىٰ فيهِ بشَىءٍ يُعْتَدُّ بِهِ ، ووجَدْتُهُ قالَ فى مُحمدِ بنِ عبد الملكِ الزيَّاتِ[2] :

فما يَلْحَظُ العافِى جَداكَ مُؤَمِّلاً ... سِوَى لَحْظَةٍ حتَى يَؤُوبَ مُؤَمَّلا

وقال البحتريُّ[3] :

عَجِلٌ بالذى تُنيلُ يَداهُ ... إنَّ بُطءَ النَّوالِ من تَنْكِيدِهْ

كادَ مُمْتَاحُهُ لسابِقِ جدوا ... هُ يكونُ الإصْدارُ قبلَ وُرُودِهْ[4]

وهذا معنىً حسَنٌ لطيفٌ وإنّما ساغَ ذلِكَ[5] لِقَوْلِهِ « كاد » .

وقالَ[6] :

إذا قالَ وَعْدًا أو وعيدًا تَسَرَّعَتْ ... مكَارِمُ تَثنى آجِلَ الأَمْرِ عَاجِلا

---

(١) س : « فى تعجيل العطاء » .

(٢) ديوانه ٢ : ٣٠٧ والتبريزى ٣ : ٩٩ ، وفيهما « ما يلحظ » .

(٣) ديوانه ١ : ٥٩٩ .

(٤) الأصل : « يسابق » ، والتصحيح من ديوانه وس .

(٥) ساقطة من س .

(٦) ديوانه : ٣ : ١٦٠٢ ، وفى الأصل : « تشرّعت » بالشين المعجمة .

ومن المَكارِمِ تحقيقُ الوَعيدِ[1] وتَعجيلُه أيضاً كالوَعْدِ ، ولذلِكَ ضمَّهُما معا[2] .

ومثلُهُ[3] قوله :

إنْ يَقُلْ واعِدًا تُوافِ إلى النُّجْـ ... ـحِ يَداهُ فى صَفْقَـةٍ ولِسَانُهْ
ضامِنٌ لِلَّتِـى تُرادُ لَدَيْـهِ ... قَلِقُ الفِكْرِ أو يَصِحُّ ضَمانُهْ

وقال[4] :

حَيثُ لا تَدْفَعُ الحقُوقَ المعاذِيـ ... ـرُ ، ولا يَسبِقُ العَطَاءَ السُّؤَالُ

وأَجْودُ من هذا قولُ ابنِ هَرْمَةَ[5] :

يسبق بالفعل ظنّ سائِله ... ويقتل الرّيثَ عنده العَجَلُ

وقال البحترىّ[6] :

وقد أعجَزَ العذالَ أنْ يتَدارَكُوا ... لُهًى تَسْبِقُ الأَلْحاظَ قَبلَ ارْتدَادِها

وهذا نِهايةٌ فى السُّرعةِ والتَّعجيلِ .

وقال[7] :

كَم قد عَجِلْتَ إلى النَّعماءِ تَصْنَعُها ... مُبادِرًا وبَخِيـلُ القَـومِ مُتَّئِـدُ

وقد أبرَّ البحترىُّ فى هذا البابِ على أبى تمّام[8] .

---

(١) س : « الوعد » .
(٢) زيادة من س .
(٣) من قوله : « ومثله قوله » إلى قول ابن هرمة « ويقتل الريث عنده العجل » أخرته « س » إلى نهاية الباب ، والبيتان : فى ديوانه ٤ : ٢٢٩٨ ، وفيه « للذى يراد لديه » .
(٤) ديوانه ١٨٠٩ .
(٥) ديوانه ١٧٢ .
(٦) ديوانه ٢ : ٦٧٥ .
(٧) ديوانه ٢ : ٦٤٨ ، وفى س : « كم عَجِلْتَ » .
(٨) من قوله : « وقد أبر ..... » ساقط من س .

## ذكر متابعة العطاء[1]

قال أبو تمامٍ[2] :

كلّما زُرْتَهُ وجدتَ لَديهِ نَشَبًا ظَاعِنًا ومَجْدًا مقُيمًا[3]
وتُؤَامُ النَّدىٰ يُرِي الكَرَمَ الفَلْـ ـتَـةَ فى أَكْثَـرِ المواطِنِ لوُمَا[4]

وهذا معنًى صحيحٌ حَسَنٌ .

وقال[5] :

إذا كانت النُّعمىٰ سَلوبًا من امرِئٍ غَدَتْ من خَلِيجىْ كَفِّهِ وهىَ مُتْبِعُ

السَّلوبُ : التى لاوَلَدَ لَها ، والمُتْبِعُ : التى يَتْبَعُها وَلَدُها[6] .

---

(١) س : « فى متابعة العطاء » .

(٢) ديوانه ٢ : ٤٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٢٨ .

(٣) شرح التبريزى « وجدت لديه نسبا » بالسين المهملة « والنشب » المال ، « الظاعن » الرّاحل ، ورواية الموازنة والديوان أجود من رواية التبريزى .

(٤) ديوانه والتبريزى « الكرم الفارد » والفارد : هى الناقة المنفردة المنقطعة عن القطيع ، والفلتة : الأمر يقع فجأة دون تردد أو تدبر .

(٥) ديوانه ٣ : ١٤ والتبريزى ٢ : ٣٢٩ .

(٦) الأصل : « التى لها » ، والتصحيح من س ، قال أبو العلاء : « « السلوب » التى قد سُلِبَ ولدها منها بموتٍ أو غيرِه ، « والمُتْبِعُ » التى يَتْبَعُها ولدها ، و « الخليج » : ما ينقطع من بَحْرٍ أو نهرٍ ، كأنه يُخْلَجُ منه أو يُجْذَبُ وإنما أرادَ من خَلِيجَىْ كَفَّيْهِ ، فدلَّ عليهما بالكفِ الواحدةِ ومثلُ هذا كثيرٌ » .

وقالَ :[١]

وَلْتَعْلَمِ الأَيَّامُ أَنِّى فُتُّهَا ... بأبى الحسَين مُحمدِ بنِ الهَيْثَمِ
بأغرَّ ليسَ بِتَوأَمٍ ويَمينُهُ ... تَغدُو وتَطْرُق بالفَعَال التَّوْأَمِ[٢]
كَلِفٌ بِرَبِّ الحَمْدِ يَزْعُمُ أنَّه ... لم يُبْتَدأْ عُرْفٌ إذا لَمْ يُتْمَمِ[٣]

وقالَ أيْضاً :[٤]

وصنيعةٍ لَكَ ثَيِّبٍ أهديْتَها ... وهى الكَعَابُ لِعَائِذٍ بِكَ مُصْرَمِ
[ حلت مَحَلَّ البكر من مُعْطىً وقد ... زُفَّتْ من المُعطِى زِفافَ الأَيِّمِ ][٥]

قَوْلُهُ : « وصنيعةٍ لَكَ ثَيِّبٍ أهديتها »[٦] يريد : أنكَ قد صنعت مثلها فلَيْسَتْ بِكْرَ صنائِعِكَ[٧] ، أى لَيْسَت أوَّلَ ما صَنعتَ ، ولمَّا لَمْ تَكُنْ بِكْراً جَعلَها ثَيِّباً ، وقالَ : « وهى الكَعَابُ لعائِذٍ بِكَ » ، فأقامَ[٨] الكَعَابَ هَاهُنَا مقَامَ البِكْرِ ، أى هى ثَيِّبٌ عِنْدَك وبِكْرٌ عندَ من تُعْطِيهِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٢٦ والتبريزى ٣ : ٢٥٠ - ٢٥١ ، يمدح ابن شُبانة أبا الحسين محمد بن الهيثم ، من أهل مرو وصاحب ( كتاب الدولة ) « مروج الذهب للمسعودى » ١ : ١٣ » مدحه أبو تمّام بعدة قصائد « ديوانه ١ : ٢٨٧ - ٢٩٦ ، ٢ : ٦٨ ، ٨٠ ، ١٥٢ ، ٣٤١ ، ٣ : ٢٤٨ ، ٢٨٩ » ، وانظر « أخبار أبى تمّام ص ١٨٨ - ١٩٠ » .

(٢) التبريزى : قد كثر تردد هذا المعنى فى شعر العرب ، وذلك أنهم يذمون التوأم من الرجال ، لأنهم ينسبونه إلى نقص فى الخَلْقِ ، وضَعفٍ فى القُوَّةِ ويرون أن المُتْئِمَ من النِّساء قُسِمَ ولدُها اثنين ، وفى التبريزى : « بالنَّوالِ التَّوْأَمِ » ، وعليها الرواية أيضا فى ديوانه .

(٣) التبريزى : « كلف برب المَجْدِ » .

(٤) « أيضًا » زيادة من س ، والبيت فى ديوانه ٢ : ٤٢٨ ، والتبريزى ٣ : ٢٥٥ ، وفى الأصل : « بل مصرم » .

(٥) ساقط من الأصل ، وانظر الشرح بعده .

(٦) « أهديتها » ساقطة من س ، وفيها « أنك صنعتها » .

(٧) س : « بِكْرٌ لصنائعك » .

(٨) الأصل : « وأقام » ، والتصحيح من س .

والكَعابُ هى التى قد كَعَب ثَديُها ، وقد تكونُ بِكراً وتكون ثَيِّباً قد افْتُرِعَتْ ، فليستْ بِضِدٍ للثَّيِّبِ فى الحقيقةِ ، ولكنَّهُ أقامَها مُقامَها ، لقولِهِ : « حَلَّتْ محلَّ البِكْرِ من مُعْطىً » .

وقولُه : « وقد[1] زُفَّتْ مِنَ المُعْطِى زِفَافَ الأيِّمِ » يريد بالأيِّمِ الثَّيِّبَ ، والأيِّمُ هى التى لازَوْجَ لهَا ، بكراً كانتْ أو ثَيِّباً .

وقد بَيَّنْتُ هذا فى أَغاليطِهِ وأَوْضَحْتُهُ[2] .

وقال فى موضِعٍ آخرَ يذكرُ الصَّنيعةَ[3] :

وليستْ بالعوانِ العَنْسِ عِنْدى ولا هِىَ مِنْكَ بالبِكْرِ الكَعَابِ

أ ٧٠ / قولُهُ : « لَيسَت بالعَوانِ العَنْسِ عِنْدِى » يُرِيدُ لِجَلالَتِها ، وأنَّهُ ما أُسْدِىَ إليه مِثْلُها ، وأرادَ أن يقولَ « العانِسَ » فقال[4] « العَنْسَ » ، و « العَنْسُ » إنّما هى النّاقةُ التى قَد انْتَهتْ فى قُوَّتِها وشِدَّتِها وشَبَابِها . وقد ذَكَرتُ هَذا فى أغالِيطِهِ أيْضاً[5] .

وقال أبو تمّام فى الحَسَنِ بن وهبٍ[6] :

جُمعَتْ لنَا فِرَقُ الأمَانِى مِنْكُمُ بأَبرَّ من رُوحِ الحَياةِ وأَوْصَلِ
فصنيعةٌ فى يَوْمِها وصَنيعةٌ قد أُحْولَتْ وصنيعةٌ لم تُحْوِلِ
كالمزن من ماضِى الرَّبابِ ومُقْبِلٍ مُتَنَظِّرٍ ومُخَيِّمٍ مُتهلِّلِ[7]

---

(١) « قد » زيادة من س .
(٢) انظر ١ : ١٦٦ .
(٣) ديوانه ١ : ٣٣٣ والتبريزى ١ : ٢٨٦ .
(٤) ساقطة من س .
(٥) انظر الموازنة ١ : ٩٣ ، ١٧٠ وفى س : « وقد ذكرت هذا أيضا فى أغاليطه » .
(٦) ديوانه ٢ : ٢٧٠ والتبريزى ٣ : ٤٩ وفيهما « وقال يمدح أبا الوليد أحمد بن دؤاد الإيادى » وفى الأصل : « وقال فى الحسن بن وهب » والتصحيح من س .
وفى الديوان قصيدة يمدح أبو تمّام بها الحسن بن وهب من نفس الوزن والقافية وأوّلها :
ليس الوقوفُ بكُفْءِ شوقِكَ فانْزِلِ تَبْلُلْ غليلًا بالدُّموعِ فَتُبْلِلِ
« ديوانه ٢ : ٢٤٤ ، والتبريزى ٣ : ٣٢ » .
(٧) فى الأصل : « مُنْتَظِرٍ » .

قولُهُ : « وصنيعةٍ قد أحْولَتْ ، وصنيعةٍ لم تُحْوِلِ » لا يُشْبِهُ أحوالَ[١] الأمطارِ فى قُرْبِ بَعْضها من بَعْضٍ ، ولكنَّ قَولَهُ « بأبَرَّ من رُوحِ الحياةِ وأوْصَلِ » حَسَنٌ جِدا .

والصَّحِيحُ المَعنىٰ فى هذا قولُ البُحْتُرِىِّ[٢] :

لِىَ مِنْهُ فى كُلِّ يومٍ نَوالٌ لم تَنَلْهُ كُدُورَةُ التَّرْنيـــقِ[٣]
عِندهُ أوَّلٌ ، وعِنْدِىَ ثَانٍ[٤] من نَدَاهُ وثَالِثٌ فى الطَّرِيقِ

وإن كنتُ لا أُحِبُّ لفظةَ[٥] « الطَّرِيقِ » هَاهُنا ، فإنَّها من ألفاظِ العوامِّ .

وقد أحسَنَ البحتريُّ أيضًا فى متابَعةِ العطَاءِ كلَّ الإحسانِ ، فمن ذلك قوله[٦] :

إلى فتًى يُتْبِعُ النُّعمى نَظائِرَها كالبَحْرِ يُتْبِعُ أمواجًا بأمواجِ

وقولُهُ[٧] :

فإن تُتْبِعِ النُّعْمىٰ بنُعِمىٰ فإنَّه يَزِينُ اللآلِى فى النِّظامِ ازْدواجُها

وقوله[٨] :

إذا كرَّتِ الآمالُ فيه تَتَابَعَتْ مواهبُ مَكرورِ الأيادِى مُعادِها

---

(١) ساقطة من س .
(٢) ديوانه ٣ : ١٤٨٣ .
(٣) فى الأصل : « التدنيق » تحريف « والترنيق » : اختلاط الماء بالطين .
(٤) فى س : « ثانى » « انظر هامش ص ١٣٧ » .
(٥) الأصل : « لفظ » والتصحيح من س .
(٦) ديوانه ١ : ٤١٢ .
(٧) ديوانه ١ : ٤٢٧ ، وفيه « فإن تلحق » .
(٨) س : « وقال » ، وفيها تقدّم قوله : « وأحسن من كل حسن قوله : « البيت » على هذا البيت ، وفى ديوانه ٢ : ٦٧٥ ، وفيه « تلاحقت مواهب » .

وأحسَنُ من كلّ حَسَنٍ قَوْلُه[(١)] :

يَكُرُّ نوالُـهُ عَلَلاً عَلْيَنـا ... كُرورَ الكَأْسِ أتْرعَهَا المُديرُ

وقال البحتريُّ أيضا فى أحمدَ بن محمد بن بِسْطام[(٢)] :

تَتَابَـعُ منـه كُلَّ يومٍ مَواهِبٌ ... تفوتُ ارْتدادَ الطَّرفِ سَبْقاً عَجولُها[(٣)]

إذا كرَّها بالبِـرِّ منـه أعادَهـا ... علىٰ النَّهْجِ محَمودُ السَّجايا جَميلُها

وقال[(٤)] :

بلَغَتْ يداهُ إلى التى لم أَحْتَسِبْ ... وثَنَى لأُخرىٰ فهْو بَادٍ عَائدُ

هُوَ واحِدٌ فى المَكْرُماتِ ، وإنَّما ... يكْفِيكَ عَادِيَةَ الزَّمانِ الوَاحِدُ

والبحتريُّ فى هذا كُلِّهُ أشعرُ من أبى تمّامٍ .

* * *

(١) ديوانه ٢ : ٩١٥ .

(٢) س : وقال فى أحمد بن بسطام ، ديوانه ٣ : ١٧٧٧ .

(٣) س : « يفوت » ، ديوانه :

« تتابع منه كل يوم فضيلة ... يفوت ..................... »

(٤) ديوانه ١ : ٦٠٢ يمدح الحسن بن مخلد ، وفى س : وقال البحترى أيضا ، وفى الأصل : « إلى الذى لم أحتسب » ، والتصحيح من س .

## وفى تشبيه جُودِ الجوادِ بالسَّحابِ والغيثِ والأنْواءِ

قال أبو تمّام[1] :

مواهبُ جُدنَ الأرضَ حتى كأنَّما أُخِذْنَ بآدَابِ السَّحابِ الهَواطِلِ

وهذا حَسَنٌ جِدًا .

وقال[2] :

نَشَأَتْ من يَمينِه نفحَاتٌ ما علَيها أَلَّا تكونَ غُيوما

والبيتُ الأوّلُ أجودُ .

وقال[3] :

جرى حَاتِمٌ فى حلْبَةٍ منه لَوْ جَرى بَها القَطْر شَأْوًا قِيلَ أيُّهما القَطْرُ

فهذا تشبيهٌ بالسَّحابِ .

وأكثَرُ ماجَاءَ عَنهُ تفضيلُ جُودِ الجَوادِ على السَّحابِ فمن ذلك قولُهُ[4] :

فى قُلِّهِ كُثْرُ السِّماكِ وإنْ غَدَا هَطِلاً وعفوُ يَدَيْهِ جُهْدُ المِرْزَمِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٢٠ والتبريزى ٣ : ٨٠ ، وفى الأصل : « حُزْنَ الأرض » .

(٢) ديوانه ٢ : ٤٠٠ والتبريزى ٣ : ٢٢٥ .

(٣) ديوانه ٣ : ٦١٧ والتبريزى ٤ : ٥٧٤ .

(٤) س : « وذلك قوله : » ، ديوانه ٢ : ٤٢٨ ، والتبريزى ٣ : ٢٥٢ .

السِّماكُ سِماكانِ : الأعْزَلُ والرَّامِحُ ، وهُمَا كوكَبانِ[١] من نجوم بُرجِ الأَسَدِ[٢] ونوء الأسَدِ من أغْزَرِ الأنواءِ ، والمِرْزَمُ أحدُ كوكَبَىْ ذرَاعَىْ الأسَدِ وقالَ ابنُ هَرْمَةَ[٣] :

جوادٌ تُبارِى المِرْزَمَينِ شِمَالُهُ ... وتَحْقِرُ أنواءَ الرَّبِيعِ يَمِينُها

قَولُ أبى تَمّامٍ أَبْلَغُ ، وهذا أَحْسنُ لفظاً وأبْرَعُ .

وقَوْلُهُ[٤] :

غَيثٌ حوَىٰ كَرَمَ الطّبائعِ دَهْرَهُ ... والغَيثُ يَكْرُمُ مَرَّةً ويَلُومُ

وهذا غايةٌ فى الحُسْنِ والصِّحَّةِ .

وقال فى مِثْلِهِ[٥] :

كَرُمَتْ راحَتاهُ فى أزَماتٍ ... كانَ فِيها صَوْبُ الغَمامِ لَئِيمَا

وقال[٦] :

ولا أرىٰ دِيمَةً أنْفَىٰ لِنائِبَةٍ ... مِنْهُ علىٰ أنّ ذِكرًا طارَ للدِّيَمِ

وقالَ[٧] :

لَهُ كَرَمٌ لو كَان فى المَاءِ لم يَغِضْ ... وفى البَرقِ ما شَامَ امرؤٌ برقَ خُلَّبِ

---

(١) س : « الأعزل والرامح كوكبان » .

(٢) س : « من نجوم الأسد » ، وانظر العمدة لابن رشيق ٢ : ٢٥٢ قوله : « ونوء الأسد ..... ذراعى الأسد » سقط من س .

(٣) لم أجد البيت فى ديوانه المجموع .

(٤) ديوان أبى تمّام ٢ : ٤٢٠ والتبريزى ٣ : ٢٩١ ، وقال التبريزى : « عادة العرب إذا خَفّفوا الهمزةَ فى مثل « يَلؤمُ » أن يُلْقوا الحركةَ على اللام ، ويحذِفوا الهمزةَ ، فيقولوا « يَلِمُ » وفى « يَسأمُ » « يَسِمُ » وفى « يَنْئم » « يَنِمُ » وبعضهم يقول يَلَوْمُ ويَسامُ ويَنيِمَ الليث « أى يئنّ » ، وذلك ردىء ، قليل فى كلامهم » .

(٥) ديوانه ٢ : ٤٠٠ والتبريزى ٣ : ٢٢٥ ، وفيه « كان صوب الغمام فيها لئيما » .

(٦) ديوانه ٢ : ٣٤٩ وشرح التبريزى ٣ : ١٨٧ ، وفى ديوانه : « أَنْجىٰ لمسغبة » والتبريزى : « أمحى لمسغبة » وفى س : « أكفى ..... طاب للديم » .

(٧) ديوانه ١ : ٢٤٦ والتبريزى ١ : ١٥٢ .

٧٧ / وقالَ :[١]

إن غاضَ ماءُ المُزْنِ فِضْتَ وإن قَسَتْ ... كَبِدُ الزَّمانِ عَلَيَّ كُنتَ رَؤُوفَا

وقالَ :[٢]

يَفيضُ سماحةً والمُزْنُ مُكْدٍ ... ويَقْطَعُ والحُسامُ العَضْبُ نَابِ

وقالَ :[٣]

إذا وَعَد انْهلَّتْ يَداهُ فأهدَتَا ... لَكَ النُّجحَ محمولاً على كَاهِلِ الوَعْدِ

دَلوحَانِ تَفْتَرُّ المكَارِمُ عَنْهُما ... كما الغَيثُ مُفْتَرٌّ عن البَرْقِ والرَّعْدِ[٤]

قولُهُ : « دَلوحانِ » من السَّحابِ الدَّوالِحِ ، وهى المُثْقَلَةُ بالمَاءِ.[٥]

« تَفْتَرُّ المَكارِمُ عَنهُما »[٦] تَبْدُو وتَظْهَرُ .

« كما الغيثُ مُفْتَرٌّ عن البَرْقِ والرَّعْدِ » أقامَ راحَتَيْهِ مقامَ البَرْقِ والرَّعْدِ ، وأنَّ الغَيْثَ يفتَرُّ عنهما .

هذا علىٰ ظاهرِ لَفْظِ أَبى تمّامٍ ، وهو عنديَ من المقلوبِ ، لأنَّ حقيقةَ الافترارِ الانكشافُ ، ومنه قولهُم : فَرَرْتُ الدَّابَّةَ ، أى : كَشفتُ جَحْفَلَتَه[٧] لأنْظُرَ إلى

---

(١) ديوانه ٢ : ٧٧ والتبريزى ٢ : ٣٨٣ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٣٢ والتبريزى ١ : ٢٨٤ وفيه : « تفيض » .

(٣) ديوانه ١ : ٤٨٦ وشرح التبريزى ٢ : ١١٣ ، وانظر ١ : ٢٣١ .

(٤) الأصل : « منهل » ، والشرح على « مفتر » فأثبتها .

(٥) قال ابن المستوفى : « دلوحان يعنى يديه أى : هما دلوحان . وأصل الدّلح أن يمشى الرجل مُثقلًا ، ثم استعير لغيره ، وقيل يعنى به النُّجْحَ والوعدَ وقد تقدم ذكره فى البيت الذى قبله » « النظام شرحى المتنبى وأبى تمّام ، مخطوط لوحة ٣٧٢ » .

(٦) س : أى تبدو وتظهر .

(٧) جحفلة الدابة : ما تتناول به العلف ، وهو من الخيلِ والحُمُرِ والبغال وذوات الحافِرِ بمنزلة الشفة من الإنسان والمِشْفَرِ للبعير ، واستعارَهُ بعضهم لذوات الخُفِّ .

سِنّهِ ، وقد فُرَّ فُلانٌ عن ذَكاءٍ ، وفُرَّ عن عَقْلٍ أى كُشِفَ ، فوجْهُ الكَلامِ : دَلُوحَانِ يفترَّانِ عن المَكارِمِ ، أى يَنْكَشِفانِ ويَنْفَتِحانِ عن الغَيثِ ، وهو عندِى من المَقْلوبِ الحَسَنِ السَّائِغِ الجَائزِ مِثلُهُ للمُتَأَخِّرينَ ، لأن اليَدين إذا انْفَتَحَا وانكَشَفَتَا عن المَكارِمِ ، فإنَّ المكارِمَ أيضًا قد انكشَفَتْ ، وكذلِكَ البرقُ والرَّعْدُ إذا انْفَتَحا وانكشَفا عن الغيثِ ، فإنَّ الغيثَ قد انكشَفَ واتَّضَحَ[1] .

وقال البُحْتُرىُّ فى هذَا المَعنى[2] :

لَعَمْرُكَ ما الدُّنيا بِنَاقِصةِ الجَدا　　　إذا بَقِىَ الفَتْحُ بنُ خاقانَ والقَطْرُ

وقالَ[3] :

وجرَى جودُه رَسيلاً لِجود الْـ　　　ـغَيْثِ من غَايَةٍ فجاءا سوَاءَ

وقالَ[4] :

فهْو غَيثٌ ، والغَيثُ مُحْتَفِلُ الوَدْ　　　قِ ، وبَحْرٌ ، والبَحْرُ طامِى العُبابِ

فهذا شَرْطٌ فى غايةِ الجَوْدةِ والقُوَّةِ ، ولكنَّ[5] قولَ أبى تَمّامٍ :

يَفِيضُ سماحةً والمُزْنُ مُكْدٍ　　　ويَقْطَعُ والحُسامُ العَضبُ نَابِى

أَلْطَفُ مَعنىً[6] .

وقد فَضَّلَ البحترىُّ[7] جُودَ الجوَادِ على السَّحابِ والغِيثِ وتصرَّفَ فى ذَلِكَ وافتنَّ افْتِناناً

---

(١) ساقطة من س .
(٢) ديوانه ٢ : ٨٤٤ ، وقد سبق فى ٢ : ٢٩٣ وفى س : « فى هذا الباب » ، وفى الأصل : الجدّ .
(٣) ديوانه ١ : ١٥ ، وفى هامشه « الرسيلُ الفرس الذى يرسَلُ مع آخر فى السباق » .
(٤) ديوانه ١ : ٨٥ .
(٥) فى الأصل : « ولأنّ » .
(٦) من قوله : « ولكن قول أبى تمّام ..... ألطف معنى » سقط من س .
(٧) ساقطة من س

عَجيباً فقالَ[١] :

ليس السَّحابُ ببالِغٍ فيه الرِّضىٰ ... فأقول إنَّ نَدَاهُ صَوْبُ سَحَابِ

[ وقال[٢] :

إنْ أنَا شَبَّهْتُهُ بالغَيْثِ فى مِدَحِى ... غَضَضْتُ مِنْهُ وكُنْتُ المَادِحَ الهَاجِى]

وقال[٣] :

فلو ذَارَعَتْ أخلاقُهُ الغيثَ حافِلاً ... لحَاجَزَهَا بَاعٌ من الغَيْثِ ضَيِّقُ

وقالَ[٤] :

كَرُمْتَ وكانَ القَطْرُ أنأىَ مسَافةً ... وأَضيقَ باعاً من نداكَ وأقصَرا

وقالَ[٥] :

وأُكْبِرُ أن أُشَبِّهَ جُودَ « فَتْحٍ » ... بماءِ غمَامةٍ أو سَيْلِ وَادِ

وقالَ[٦] :

ويَحْمِلُ إسماعيلُ عنَّا ابنُ بُلبلٍ ... من المَحْلِ عِبْئًا لَيْسَ يَحمِلُهُ القَطْرُ[٧]

بِغُزْرِ يَدٍ منه تقولُ : تَعلَّمَتْ ... يَدُ الغَيْثِ مِنْها ، أم تَقَيَّلَهَا البَحْرُ[٨] ؟

---

(١) س : « افتنانا حسنا » ، ديوانه ١ : ٢٩٥ ، وفى الأصل : « وأقول » .

(٢) ديوانه ١ : ٤١٤ وفيه « فكنتُ المادح الهاجى » ، وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٣) ديوانه ٣ : ١٤٩٢ .

(٤) ديوانه ٢ : ٩٣٣ ، ديوانه : « أدنى » ، ورواية الموازنة أجود .

(٥) ديوانه ٢ : ٧٢٥ وفيه « بصوب غمامة » .

(٦) ديوانه ٢ : ٨٧٣ .

(٧) جاء فى الديوان أن هذه القصيدة قيلت فى إسماعيل بن بلبل أو فى أبى عامر الخضر بن أحمد فمن رواها فى الخضر روى البيت فى الخضر قال : « ويحمل عنا الخضر « خضر بن أحمد » .... » .

وفى الأصل : « ويحمل فينا » والتصحيح من ديوانه .

(٨) ديوانه : « أو تقيّلها » .

وقالَ[١] :

إن قَصَّرتْ هِمَمُ العَافِين جاشَ لَهُمْ ... جُحَافُ أغْلبَ فى حافَاتِهِ الزَّبَدُ
عَفوٌ من الجُود لم تَكْذِبْ مَخيلَتُهُ ... يُقَصِّرُ القَطْرُ عنه وهو مُجْتَهِدُ

فقولَه[٢] : « يُقصِّرُ القَطْرُ عَنْه وهو مُجْتَهِدُ » مثلُ قولِ أبى تَمَّام[٣] :

فى قُلِّهِ كُثْرُ السِّمَاك وإن غدا ... هَطِلاً ، وعفوُ يَديه جُهْدُ المِرْزَمِ

وبيت أبى تمّام هذا[٤] أجود .

وقال البحتريّ[٥] :

قَدْ قُلتُ لِلْغَيْمِ الرُّكامِ – ولَجَّ فى ... إبْراقِـهِ ، وأَلـحَّ فى إرعَـــادِهِ
لا تَعْرِضَنَّ « لجَعْفرٍ » مُتَشَبِّها ... بندى يَدَيْهِ فَلسْتَ من أنْدَادِهِ !

وقال[٦] :

أقولُ لِثَجَّاجِ الغمام وقَد سَرىٰ ... بمُحْتَفِلِ الشُّؤبُوبِ صَاب فَعَمَّمَا
أَقِلَّ وأَكْثِرْ لَستَ تَبْلُغُ غَايَةً ... تَبينُ بِهَا حَتَّى تُضَارِعَ « هَيْثَما »

وقال[٧] :

تَرَاحُ الغَوادِي أن تُشَاهِدَ عِنْدَهُ ... شَبَائِهَهَا – من سَيْبِهِ – وشُكولَها

---

(١) ديوانه ٢ : ٦٤٨ .
(٢) س : « قوله » .
(٣) ديوانه : ٢ : ٤٢٨ والتبريزى ٣ : ٢٥٢ وقد سبق ١٦٧ .
(٤) « هذا » زيادة من س .
(٥) ديوانه ٢ : ٧٠٣ ، فى الأصل وس : « للغيث » .
(٦) ديوانه ٤ : ٢٠٨٨ يمدح الهيثم بن عثمان الغنوى وهو أحد قواد الأفشين من أهل الجزيرة ، أنزله فى رستاق يقال له « أرشق » فرّم حصنه وحفر حوله خندقا ، وذلك فى حربه مع بابك الخُرَّمى سنة ٢٢٠ « الطبرى ٧ : ٢٢٧ » .
(٧) ديوانه ٣ : ١٧٩٤ ، وكلمة « وقال » ساقطة من س . وتراح : أى تُسَرُّ وتَفْرَحُ .

بَقِيتَ وكَأين جِئتَ بِادِىءَ نِعْمَةٍ ... يَقِلُّ السَّحابُ أنَ يَجىءَ رَسِيلَهَا[١]

وقالَ[٢] :

/أعطيت حتّى تَرَكْتَ الرِّيحَ حَاسِرَةً ... وَجُدْتَ حتّى كأنَّ الغَيْثَ لم يَجُدِ ٧٨

هذا من قَوْلِهِم : فلانٌ يُبارِى الريحَ جُوداً[٣] ، فيقالُ : أىُّ جودٍ[٤] للرّيحِ حتَّى يُبارِيَها الجوادُ[٥] ، فإنَّما المعنىٰ أنَّه يبارِى هُبوبَها ، فيُعْطِى أبداً ما هَبَّتْ ، كما نَذر لَبيدُ أن يُطْعِمَ ما هَبَّتِ الصَّبَا وخَبَرُهُ فى هذا مَشْهُورٌ[٦] .

ويَجُوزُ أن يكونَ ذَهَبَ إلى أنّ الأمطارَ لا تكونُ إلاّ بالرِّياحِ[٧] ، ولا يَجْمَعُ السَّحابَ ويأتِى بالغيثِ إلا الرّيحُ[٨] ، والأوّلُ أليَقُ وأشْبَهُ لِقولِهِ[٩] : « تركتَ الرِّيحَ حاسِرَةً » أى : مُعْيِيَةً .

وقال[١٠] :

ورأيتُ يومَ نداكَ أشرقَ بهجةً ... واهتزَّ أطرافاً ، ورقَّ نَسيما
ورأيتُ يومَ الغيثِ فى ظَلمائِهِ ... جَهْمَاً مُحَيَّاهُ أغَمَّ بهيمَا[١١]

---

(١) س : « فكأين » وهى رواية الديوان .

(٢) ديوانه ١ : ٥٧٥ .

(٣) س : « سخاءً » .

(٤) س : « سخاء » .

(٥) الأصل : « الجودُ » والتصحيح من س .

(٦) كان لبيد من أجود العرب ، وكان آلىٰ فى الجاهلية ألّا تَهُبَّ صَباً إلّا أطعمَ ، وكان له جفنتان يغدو بهمَا ويروحُ فى كلِّ يومٍ على مسْجد قومِه فيُطْعِمُهُم ، فهبَّتِ الصَّبَا يوما والولَيدُ بنُ عُقْبَةَ على الكوفة ، فصعَد الوليدُ المِنْبَرَ وخَطَبَ الناسَ ثم قالَ : إنَّ أَخاكم لبيدَ بنَ رَبيعةَ قد نَذَر فى الجاهِلِيَّةِ ، ألَّا تَهُبَّ صَبًا إلَّا أطعمَ ، وهذا يومٌ من أيَّامِهِ ، وقد هبت صَبا ، فأعِينُوهُ ، وأنا أوّلُ من فعَلَ ، فأرْسل إليه بمائةِ بكرةٍ « الأغانى ١/١٤ وما بعدها » .

(٧) فى س أورد هنا قوله : « والأول أليق » ، ثم كرَّرهُ بعد ذَلِكَ .

(٨) س : « ولا يجمع السحاب ويأتى الغيث إلا بالريح » .

(٩) س : « كقوله » .

(١٠) ديوانه ٣ : ١٩٦٤ .

(١١) ديوانه : « وشهدت يومَ الغيثِ فى هَطْلانِهِ » .

وَيَخُصُّ أرضًا دونَ أرْضٍ جَوْدُهُ        وسحابُ جُودِكَ فى العُفاةِ عُمومًا (١)

فهذا كُلُّه تفضيلٌ لِجودِ الجَوادِ على الغَيثِ .

وقد شَبَّهَهُ بالغَيثِ أحسَن تَشْبيهٍ فقَالَ (٢) :

يُعْطِى على الغَضَبِ المُتَعْتِعِ والرِّضَا        وعلىَ التَهَلُّلِ والعُبوسِ الأرْبَدِ

كالغَيْثِ يَسقِى الخَابِطِينَ بأبيض        من غَيْمِهِ وبأَحْمَرٍ وبأسْوَدِ

وأحسنُ من هذَا وأجمعُ قولُهُ (٣):

يجودُ على الطُّلاب : سحّاً ودِيمَةً        وهَطْلاً وإرْهاماً ووَبْلاً ورَيِّقَا

فجاءَ بستَّة أنْواع من نُعوت الغَيْثِ فى بيتٍ وَاحِدٍ .

و « السَّحُّ » شِدَّةُ انْصِبابِ المَطَرِ ، و « الدِّيمَةُ » المَطَرُ الدَّائِمُ فى سُكونٍ و « الهَطْلُ » (٤) فوقَ ذلِك ، و « الإرْهامُ » من أرْهَمتِ السَّماءُ وهى الرِّهْمَةُ : المَطَرُ الضَّعيفُ الدَّائِمُ ، و « الوَبْلُ » [ من الوابل و ] (٥) هو المطَرُ الشَّديدُ الضَّخْمُ القَطْرِ ، و « الرَّيِّقُ » من تَرَيُّق الماءِ وهو تَرَدُّدُهُ على وجهِ الأرضِ من الضَّحْضَاحِ ونَحوِهِ ، وإذا انْصَبَّ الماءُ قُلْتَ راقَ يَرِيقُ ، ويُقالُ (٦) أَرَقْتُهُ أنا إراقةً وهرَقْتُهُ ، ويُقالُ راقَ السَّرابُ (٧)

---

(١) الأصل : « جُودُهُ » والتصحيح من ديوانه و س .

(٢) ديوانه ١ : ٥٤٦ .

(٣) س : « وأجود من هذا » ديوانه ٣ : ١٥٠٣ ، وفيه : « تجود » وهى رواية س .

(٤) قال شارح الديوان : « الهطل : المطر الضعيف الدائم » . وجاء فى « فقه اللغة للثعالبى ١٧٩ » « إذا دَامَ المَطَرُ مع سكون فهو الدِّيمَة ، والضَّرْبُ فوقَ ذلك ، والهَطْلُ فوقه ، فإذا زادَ فهو الهَتَلانُ والتَّهتَانُ » وروى ذلك الأصمعى أيضا « اللسان : هطل » ، وهذا المعنى أَقْرَبُ إلى مراد الشاعر .

(٥) زيادة من س .

(٦) ساقطة من س .

(٧) الأصل : الشراب بالشين المعجمة وفى س « راقَ الماءُ يَرِيق رِيقاً » .

يُريقُ إذا تَضَحضَحَ فوقَ الأرْضِ ، والرَّيِّقُ من كلِّ شَيءٍ أَفْضَلُهُ ، رَيِّقُ الشَّرابِ وَرَيِّقُ المَطَرِ .

فأقولُ الآن فى الموازنة بينَهما : إنَّهُ لولا قولُ أبى تَمّامٍ :

والغيثُ يَكْرُم مَرَّةً ويَلُومُ

وقولُهُ :

/ كان فِيها صوبُ الغَمامِ لَئِيمَا ٦٨ ب

لَفضَّلْتُ البحتريَّ علَيه ، ولكنّى أجعَلُهُما متكافِئَيْنِ .

* * *

## وفى تشبيهِ جُودِ الجوادِ بالبحْـرِ

قال أبو تمّام[1] :

هو البَحْرُ من أىِّ النَواحِى أَتيتَه ... فلُجَّتُهُ المعَروفُ والجودُ ساحِلُهْ

وهو مَعنىً فى غايةِ الجَوْدَةِ والصِّحة ، وإنما حَذاهُ على قولِ مُسْلِمٍ[2] :

هو البَحْرُ يغشىٰ سُرَّةَ الأَرْضِ فَيْضُهُ ... وتُدْرِكُ أطرافَ البِلادِ سَواحِلُهْ

وغَيَّرَ معْناهُ .

وقال[3] :

يَمينُ مُحَمَّدٍ بَحْرٌ خِضَمٌّ ... طَموحُ المَوجِ مَجْنونُ العُبَابِ

وقال[4] :

بَحْرٌ يَطِمُّ على العُفَاةِ فإن تَهجْ ... ريحُ السُّؤالِ بِمَوْجِهِ يَغْلَوْلِبِ

والشَّوْلُ ما حُلِبَتْ تَدفَّقَ رِسْلُهَا ... وتَجِفُّ دِرَّتُها إذا لم تُحْلَبِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٩ ، وفيه : « هواليم » .

(٢) س : « على بيت مسلم » ، ديوانه ١٤٦ ، وفيه « فيضه » .

(٣) ديوانه ١ : ٣٣١ وشرح التبريزى ١ : ٢٨٣ يمدح ابن شبانة « محمد بن الهيثم » ، ومن هنا إلى آخر البيت سقط من س .

(٤) ديوانه ١ : ٢١٩ وشرح التبريزى ١ : ١٠٤ ، ١٠٥ .

أرادَ أنَّ هذا المَمدوحَ يَجودُ ويُوسِعُ ، فإن سُئِلَ أعْطَىٰ وأكثَرَ وزادَ ، وذكَرَ أنّ الشَّوْلَ لَيستْ هذِهِ حَالها ، وأنّ أَلْبانَها تَتدفَّقُ إذا حُلِبَتْ ، وتَنْقَطِعُ إذا لَمْ تُحْلَب ، فَفضَّلَ جُودَهُ على لَبَنِ الشَّوْلِ ، وإنَّما كانَ يَنْبغِى أن يُفضِّلَ جُودَه على الغَيْثِ كما قال :

والغَيثُ يَكرُمُ مَرّةً ويَلُومُ (١)

أو علىَ البَحْرِ حسبَ (٢) ما يأتى فى هذَا البَابِ ، ولكنَّهُ ذكر الشَّوْلَ ، لأنَّ أَلْبانَها غِياثُ العَربِ وغِناها ومُعَوَّلُها ، ولِهذَا ماقَالَ فى المَواعِيدِ :

وتُنْتَجُ مِثْلمَا نُتِجَ العِشَارُ (٣)

وإنَّما أخذَ قَوْلَهُ :

وتَجِفُّ دِرَّتُها إذا لَمْ تُحْلَبِ

من قولِ بَشَّارٍ :

والدَّرُّ يَقْطَعُهُ جَفَاءُ الحَالِبِ (٤)

وهذَا كلُّهُ جَيِّدٌ بالِغٌ (٥).

---

(١) س : « تارة » .

(٢) ساقطة من س .

(٣) ديوانه ١ : ٥١٤ والتبريزى ٢ : ١٥٨ وصدره :

« تحنّ عداته إثر التقاضى »

(٤) ديوان بشار بن برد ١ : ١٩٢ . وصدره :

« وإذا جفوتَ قطعتُ عَنكَ مَنافِعِى »

(٥) كلمة « بالغ » ساقطة من س ، وقد نقل ابن المستوفى كلام الآمدى السابق ثم قال معلقًا :

وهذا التمثيلُ الذى ذكره أبو تمّام ، إذا حُمِلَ على ظاهره ، لا يطابِقُ الأولَ من كِلَا جانِبَيْه ، لأنَّ قولَهُ « والشَّوْلُ ما حُلِبَتْ تَدفَّقَ رَسْلُهَا » بإزاء قولِه : « وإن تَهِجْ رِيحُ السُّؤَالِ بِمَوجِهِ يَغْلَولِبِ » .

فأما قوله : « بَحْرٌ يَطمُّ على العُفاةِ » فليس بإزاءِ قَولِهِ : « وتَجِفُّ درَّتُها إذا لم تُحْلَبِ » .

ولعلى أعثرُ فى كتاب على جواب ماذكرته فآتى به ، والمعنىٰ هو الذى ذَكره الآمدى ، ولم يُرِدْ أبو تمّام تشبيهَ الممدوح فى أحوالِه بالشَّوْلِ ، إنما نفىٰ عنه أن يكونَ فى ابتدائِه بالعطاء وسؤالِه مثلَهَا ، وعليهِ المعنى =

ولم يَمُرَّ بي لَهُ تفضيلُ جُودِ الجَوادِ على البَحْرِ ، ولكِنَّ البحتريَّ يقولُ فى المُعْتزِّ (١) :

مَلِكٌ تَدِينُ له الملوكُ وتَقْتَدِى ... لُجَجُ البِحارِ بَسِيْبِهِ المُتَدفِّقِ (٢)

وقال [ فيه ] (٣) :

لم أرَ كالمُعْتَزِّ فى حِلْمِهِ الـ ... ـوافِى وفى نائِلِهِ الغَمْرِ

يُسْتَصْغَرُ البَحرُ إذا اسْتُمْطِرَتْ ... يَدٌ لَهُ تُرْبِى عَلَى البَحْـرِ (٤)

/ وأجودُ من هذا قَولُ قَعْنَبِ بنِ أُمِّ صاحِبٍ (٥) : ٦

قالوا الفراتُ ، وما أَرْضَى بِهِ شَبَهًا ... ولن يَقومَ بِجَارِى سَيْبِكَ النَّهَرُ (٦)

يَسْقِى من الأرضِ جَنْباً لا يُجَاوِزُهُ ... وسائِرُ الأَرْضِ منه يَابِسٌ صَفِرُ

---

= فى كتاب أبى زكريا ، يقول : هو للعُفاةِ بَحْرٌ وإن يَهيجُ بالسؤالِ كَثُرَ فَيْضُهُ ، ثم ضَرب مثلًا لكثرةِ عَطائِه ، وإن سُئِلَ شيئا بعد شئٍ فقال : إنَّ الناقةَ الشَّائلَ إن حُلِبَتْ تدفَّقَ رَسْلُها ، وإن لم تُحْلَبْ جَفَّتْ دَرَّتُها .
هذا كلامُه ، ولم يكشف المَعنى .

وقال الخارَزَنْجِى : أى بَحْرُ نَوالِهِ زاخِرٌ فائضٌ على أهلِهِ ، فإذا صادفَ سُؤالًا غلَب وغَرَّقَ العُفاةَ والزُّوارَ . وقال : الشَّوْلُ الإبِلُ التى جَفَّتْ أَلْبانُها فإن حُلبَتْ دَرَّتْ ورجعتِ الألبانُ التى فى ضُروعِها ، وإن تُرِكَتْ يَبِسَتْ ، أى يُعْطِى ما استُمِيحَ وسُئِلَ ، هذا كلامُهُ ، وجعَلَ النُّوقَ التى جَفَّتْ أَلْبانُها بإزاءِ قَولِهِ « بَحرٌ يَطُمُّ على العفاة » وهو تشبيهٌ وتمثيلٌ رديان . « النظام شرحى المتنبى وأبى تمّام لابن المستوفى ، مخطوط ، دار الكتب ، لوحة ٦٥ » .

(١) فى الأصل : « تدين به » . والتصحيح من ديوانه و س ، ديوانه ٣ : ١٤٧٦

(٢) ديوانه ٣ : ١٤٧٦ .

(٣) ساقطة من الأصل ، والبيتان فى ديوانه ٢ : ١٠١٠ وفى الأصل : روى البيت « يُسْتَمْطَرَ البَحْرُ » ونَصَّ علىٰ رِوايةِ الدِّيوانِ بِخَطٍّ أَدَقَّ .

(٤) فى الأصل : « على البر » وما أثبتته رواية الديوان و س .

(٥) قَعْنَبُ بنُ أُمِّ صَاحِب الفزارى « بالصَّادِ المهملة » ، كما ورد فى كتاب « من نسب إلى أمه من الشعراء لابن حبيب » ، نوادِرُ المخطوطات ، عبد السلام هارون ١ : ٩٢ » وهو : قَعْنَب بن ضَمْرَة ، أحدُ بَنى عبد الله بن غَطَفَان ، وكان فى أيّام الولِيد بن عبد الملك » انظر : « شرح التبريزى للحماسة ٤ : ١٢ » .

(٦) « بجارى » ساقطة من س .

وقد تقدَّم الناسُ فى هذا وأكثروا ، وكلٌّ هذا إفراطٌ حَسَنٌ مستحلًى لا يَنْفِرُ منه الطَّبْعُ ، ولكِنَّ الرَّدِئَ المُطَّرَحَ المَرْذُولَ[١] عند أهلِ العِلْمِ بصناعةِ الشِّعْرِ ما أَنْشَدَهُ المُبَرِّدُ لِبَعْضِهِمْ[٢] :

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبَارِها ... وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ من الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لو أنّ مِعْشَارَ جُودِها[٣] ... على البَرِّ صارَ البَرُّ أندىٰ من البحرِ
ولو أنَّ خَلق اللهِ فى مَسْكِ[٤] فَارِسٍ ... وبَارَزَهُ كانَ الخَلِىَّ من العُمْرِ

وقال البحترىُّ فى ذلك[٥] :

إذا قُرِنَ البَحْرُ الخِضَمُّ بأنْعُمِ الـ ... ـخَليفَةِ كادَ البحرُ فيهِنَّ يَغْرَقُ

وقال[٦] :

فاتَ الرِّجالَ ، وفى الرِّجالِ تَفاوُتٌ ... بخَصائِصِ الأَخْلاقِ ، والآدابِ
فكأنَّما البَحْرُ اسْتَجَاش يَمِينَه ... فَقَضَىٰ بِها أَرَبًا من الآرَابِ

وقال[٧] :

وَفَىٰ جُودُهُ بالبَحْرِ والبَحْرُ لو رَمَىٰ ... إلى سَاعَةٍ من جُودِهِ ما وفَىٰ بِهَا

وقالَ[٨]:

أَلَستَ تَرىٰ مَدَّ الفُراتِ كأَنَّهُ ... جِبالُ شَرَوْرَىٰ جِئْنِ فَى البَحْرِ عُوَّمَا ؟

---

(١) « المرذول » ساقطة من س .
(٢) « لبعضهم » ساقطة من س ، وروى المبرد الأبيات فى الكامل ٣ : ١٢٨ كمثال على التشبيه المفرط المتجاوز ، والأبيات لبكر بن النطاح يقولها فى أبى دلف القاسم بن عيسى .
(٣) الأصل : « معشار عشرها » البيتان الأول والثانى فى ديوان المعانى ١ : ١٠٨ غير منسوبين .
(٤) المَسْكُ : الجِلْدُ .
(٥) « فى ذلك » ساقطة من الأصل ، ديوانه « ٣ : ١٥٣ » ، وفى س : « إذا فرق » تحريف .
(٦) ديوانه ١ : ٢٩٧ .
(٧) ديوانه ١ : ٢٣٥ .
(٨) ديوانه ٤ : ٢٠٩٠ وشَرَوْرَىٰ اسم جبل فى الباديةِ ، بين العَمْقِ والمَعْدنِ ، فى طريق مكة =

ولم يَكُ من عاداتِهِ ، غَيرَ أَنَّهُ رأى شِيمَةً من جَارِهِ فَتَعلَّمَا

وقال فى المعتزّ (١) :

بِحِلْمٍ كَأَنَّ الأَرْضَ مِنْهُ تَوقَّرَتْ وجُودٍ كأَنَّ البَحْرَ مِنْهُ تفَجَّرَا

ولا خفاءَ بِفَضلِ البحتريِّ فى هذا البابِ على أبي تَمَّامٍ .

* * *

= إلى الكوفة وهى بين بنى أسد وبنى عامر « معجم ما استعجم ٧٤٩ » .

(١) ديوانه ٢ : ٩٣٣ ، وفى س : « توقدت » ، وفيها تقدّم الحكم فى الموازنة « ولا خفاء ..... » إلى آخر العبارة ، على قول البحترىّ فى المعتز ، وكأن الناسخ قد استدرك هذا البيت فجاء به آخر الباب .

## ومن خبطِ الجوادِ بنائلِهِ من غيرِ تمييزٍ ولا تأمُّلٍ لإيقاعِ الصنيعةِ في موقعِها

قال أبو تمَّام[1] :

إذا مَا غَدا أَغْدىٰ كريمَةَ مَالِهِ      هَدِيًّا ولو زُفَّتْ لِأَلأَمِ خَاطِبِ

وهذا – وأَبيكَ – الكرمُ المَحْضُ .

وقالَ[2] :

فتًى جُودُه طَبْعٌ فَليْسَ بِحَافِلٍ      أَفِي الجَوْرِ كانَ الجُودُ مِنْهُ أَمِ القَصدِ

وهذا أيضا غايةُ الكَرَمِ[3] .

وقال البحتريُّ[4] :

تَغَطْرُسُ جُودٍ لَمْ يُمَلِّكْهُ وقْفةً      فيَخْتَارَ مِنها للصَّنِيعَةِ مَوْضِعَا

---

(١) ديوانه ١ : ٢٨١ وشرح التبريزى ١ : ٢٠٥ .

(٢) ديوانه ١ : ٤٥٧ وفيه فى س : « أو القصد » وشرح التبريزى ٢ : ٦٦ ، وفى ديوانه فقط : « طبعه جود » ، وفى س والأصل : « أفى الجود » تحريف .

(٣) نقل ابن المستوفى عبارة الآمدى فقال : « قال الآمدى : هذا وأبيك الكرم المحض ، وقال فى مثله بغير لفظه : فتى جوده ..... الخ » ، « النظام شرحى المتنبى وأبى تمّام الجزء الأول ، دار الكتب ، لوحة ١٠١ » .

(٤) ديوانه ٢ : ١٢٦٦ ، وفيه « لم يكلفه » وفى س : « لو تملكه » .

وهذا أَيْضًا جيِّدٌ (١) .

وقال البحتريّ (٢) :

ماضٍ على عَزْمِه فى الجُودِ لو وَهب الـ (م) ـشباب يومَ لِقَاءِ البِيضِ ما نَدِمَا

وهذا أَجوَدُ النَّاسِ وأَجْهَلُهم .

وقال أبو تمَّام فى المعتصم (٣) :

عَطاءٌ لو اسْطَاعَ الذى يَسْتَمِيحُهُ    لأَصبَحَ من بينِ الوَرىٰ وهو عَاذِلُهْ

وقال فيه يَصِفُ مذَاهِبَهُ فى عَزائِمِهِ (٤) :

وعزائِمًا فى الرَّوْعِ مُعْتَصِمِيَّةً    مَيمونَةَ الإِدْبارِ والإِقْبَالِ

فَتَعَمُّقُ الوُزَرَاءِ يَطْفُو فوْقهَا    طَفْوَ القَذىٰ وتَعقُّبُ العُذَّالِ

وهذا لَيْس بالجَيِّدِ ، ومنَ هذَا (٥) الذى يَعذِلُ الخليفةَ على أمرٍ يعَزِمُ عليه ، إنَّما يُشير ويَذْكرُ صَوابًا إن كانَ عِنْدَهَ ، فأَمَّا أن يَعْذِلَ فلا .

[ وقال البحتريُّ فى المُهْتَدِى (٦) :

وقد أَعْجزَ العُذَّالَ أن يَتَدَارَكُوا    لُهىً تَسْبِقُ الأَلْحاظَ قَبلَ ارْتِدَادِها ]

والذى هُو فى غايةِ القُبْحِ (٧) قوْلُ البُحْتُرِيِّ فى المُعْتَزِّ :

لا العَـذْلُ يَرْدَعُـهُ ولا الـ (م) ـتَّعْنِيـفُ عن كَرَمٍ يَصُدُّهْ

---

(١) س : وهذا أيضا جواد .

(٢) ديوانه ٣ : ٢٠٤٦ .

(٣) « فى المعتصم » زيادة من س ، والبيت فى ديوانه ٢ : ٢٠٥ ، والتبريزى ٣ : ٢٩ ، وهنا أضاف المؤلف معنى آخر للباب وهو « عذل الجواد على الجود » وقد سبق فى ص ١٢٣ أن عدهُ باباً مستقلاً .

(٤) ديوانه ٢ : ٢١٨ والتبريزى ٣ : ١٤٥ .

(٥) س : « ومن إذا » .

(٦) ديوانه ٢ : ٦٧٥ ، وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٧) س : « غاية فى القبح » ، والبيت فى ديوانه ١ : ٦١٤ ، وقد سبق البيت فى ١ : ٣٧٦ ، وقال الآمدى هناك معلقا عليه « وهذا عندى من أهجى ما مُدِحَ به خليفةٌ وأَقْبَحِهِ ، ومن ذا يُعَنِّفُ الخليفةَ أو يَصَدُّهُ ؟ ، إن هذا لبالهجو أولى منه بالمدح » ، وانظر تعليق الشريف المرتضى فى أماليه ٢ : ٩٣ .

فَجَعلَ الخَليفَة مِمَّنْ يُعْذَلُ ويُعَنَّفُ على الكَرَمِ .(١)

وقولُ أبى تمّامٍ(٢) :

ميمونةَ الإدْبارِ والإقْبَالِ

لفظٌ غيرُ جيِّدٍ ، من أجل لفظةِ « الإدْبَارِ » . كأنَّه أرادَ أن يقولَ : ميمونةَ البَدْءِ والعَوْدِ ، والكرِّ(٣) والرُّجوعِ أو التَّصرُّفِ ، فقالَ : « الإدبارَ » من أجل قوله : « الإقبالِ » .

وقال [ أبو تمّامٍ ](٤) :

أمَهْدِيًّا لَحيتِ علىَ نَوالٍ ... لقد حُكْتِ المَلَام لِغَيْرِ وَاعِ

وقال(٥) :

لامُلْبِسٌ مَالَه من دونِ سَائلِهِ ... سِتْرًا ولا مُنْصِبُ المَعْروفِ لِلْعَذَلِ

قَوْلُهُ : « ولا مُنْصِبُ المَعْروفِ لِلَعذلِ » أى لا يَجْعَلُهُ نَصِيبًا لِلْعَذْلِ(٦) ، ويَمْنَعُ(٧) من الإعْطَاءِ .

---

(١) ساقطة من س .

(٢) س : « ومنه قول » ، و « ميمونة الإقبال والأدبار » .

(٣) س : أو المكر .

(٤) زيادة من س ، وانظر ديوانه ٢ : ٢٥ ، والتبريزى ٢ : ٣٣٩ ، يمدح مهدى بن أصرم وفى ديوانه : « لقد أسمعت لومك غير واع » .

(٥) ديوانه ٢ : ٢٣٥ والتبريزى ٣ : ٩٣ وفيهما : « ولا ناصبُ المعروفِ » ، وفى ديوانه : « ماملبس » .

(٦) دأب ناسخ الأصل على ضبط « العَذَل » بتسكين أوسطه ، فى البيت وفى التعليق ، ولا يصح الوزن بهذا الضبط .

(٧) وجاء فى النظام لابن المستوفى « وروى الآمدى « ولا مُنْصِبُ المعروف للعذلِ » وقال : « أى لا يجعل المعروف نصبا للعَذَل ويدعه له » « النظام شرحى المتنبى وأبى تمام لوحة ٢٦٤ » وفى الأصل : « لا تجعله ... وتمنع » ، والتصحيح من س .

[ وقالَ البحتريُّ (١) :

له بِدَعٌ فى الجودِ تَدعو عَذُولَهُ عَليها إلى اسْتِحْسانِها فَيُساعِدُهْ ]

وقالَ أيْضاً (٢) :

/ مَلُومٌ على بَذْلِ التِّلادِ مُفَنَّدٌ ولا مَجْدَ إلَّا لِلْمَلومِ المُفَنَّدِ أ

وقالَ (٣) :

أشْهَرْتَ لَيْلَ عَواذِلٍ لَوْلا لُهىً تُصْفِى كَرائِمَها لَبِتْنَ هَواجِدَا

يُسْقَيْنَ مِنكَ الغيظَ دون مَعاشِرٍ يُسْقَونَ بالذَّمِّ الزُّلالَ البارِدا (٤)

[ وإذا وَسَمنكَ والبَخِيلَ بِنَبْزَةٍ (٥) كُنْتَ المُضَلَّلَ والبَخِيلَ الرَّاشِدَا ]

وقالَ (٦) :

وإذا ما رياحُ جُودِكَ هَبَّتْ صارَ قَوْلُ العُذَّالِ فِيها هَبَاءَ

وقالَ (٧) :

إذا جادَ أغضى العاذلونَ وكَفُّهُمْ قَدِيمُ مساعِيهِ التى تُتَقَيَّلُ

ومن ذا يلومُ البحرَ إن باتَ زَاخِرًا (٨) يَفِيضُ، وصَوبَ المُزْنِ إنْ راحَ يَهْطِلُ

وهذا غايةٌ (٩) فى الحُسْنِ والبَراعَةِ ، وإنّما أخَذَه من قولِ الشاعِرِ المَعْروفِ

---

(١) ديوانه ١ : ٥٨٦ وفيه « عليه » ، وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٢) الأصل : « وقال البحترى » والتصحيح من س ، ديوانه ٢ : ٧٧٢ التِّلادُ : المال الموروث ، والمُفَنَّدُ : المخطأ رأيه .

(٣) ديوانه ٢ : ٨٢٥ ، وفيه : « أسهدت » ، و « لولا اللهى » .

(٤) ديوانه : « يُشْفَيْنَ » ، وفى الأصل : مثل ، والتصحيح من س .

(٥) زيادة من س .

(٦) ديوانه ١ : ١٩ وفى س : « فيك هباء » .

(٧) ديوانه ٣ : ١٧٩٠ وفيه « يتقيّل » .

(٨) ديوانه : « أن باتَ يهطل » .

(٩) س : « وهذا فى غاية الحسن » .

بأبي الأَسَدِ(١) في الفَيْضِ(٢) :

وَلائِمةٌ لامَتْكَ « يافَيضُ » في النَّدىٰ ... فقلتُ لَها : لن يَقْدَح اللَّومُ في البَحْرِ

أَرادَتْ لِتَثْنِي الفَيْضَ عن عَادَةِ النَّدىٰ ... ومن ذَا الذي يَثْنِي السَّحابَ عن القَطْرِ

بيتُ البُحْتُريِّ الثَّاني أجْمَعُ ، وبيتُ أبي الأَسَدِ الثَّاني(٣) أَبْرَعُ ، والبحتريُّ في هذا(٤) الباب ، أشْعَرُ من أبي تَمَّامٍ .

* * *

---

(١) هو نُباتَةُ بن عبد الله الحِمَّاني « بكسر الحاء المهملة » من شيبانَ ، شاعرٌ مطبوعٌ متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طيبا مليح النوادر مدّاحا خبيث الهجاء ، وكان صديقا لعلوية المُغَنِّي الأعسر ، ينادمه ويواصل عشرته ويَصِلُهُ علوية بالأكابِرِ ويعرضه للمنافع ، وكُنْيَتُهُ أبو الأسد ، وكان منقطعا إلى الفيضِ بن أبي صالح وزير المهدى ، كما انقطع قبله إلى أبي دلف « الأغانى ١٢ : ١٩٧ والوزراء والكتاب ص ١٦٤ » .

(٢) س : يمدح الفيض ، وهو : الفَيْضُ بن أبي صالِح ، واسم أبي صالح شِيَرَويه ، وكان سَخيًّا سَرِيًّا ، وكثيرَ الإفضال واسع الحَال ، وكان مُتكبراً مُتجبراً مُترفِّعاً ، وكان الفيضُ قد وُصِف للمهدى لما عَزَم على يعقوبَ بن داودَ ، فلما قَبضَ عليه أحضرَ الفَيْضَ واستوزره سنة ١٦٦ هـ ومات المهديّ وهو وزيرُه ، ولم يستوزره الهادى ، وبقيَ الفيضُ إلى أيام الرشيد ثم مات سنة ١٧٣ « الوزراء والكتاب للجهشيارى ١٦٤ وما بعدها ، الفخرى في الأداب السلطانية لابن الطقطقى ١٣٥ وما بعدها » ، وقد أوردت الأصل بيتاً واحداً ملفقا من صدر الأول وعجز الثانى والتصحيح من س والبيتان : وردا من جملة أبيات فى مدح « الفيض » هى :

ولائمة لامتك يا « فيض » فى الندى ... فقلت لها لن يقدح اللوم فى البحر

أرادت لتثنى « الفيض » عن سنن الندى ... ومن ذا الذى يثنى السحاب عن القطر

مواقع جود « الفيض » فى كل بلدة ... مواقع ماء المزن فى البلد القفر

كأن وفود « الفيض » لما تحملوا ... إلى « الفيض » وافوا عنده ليلة القدر

« الأغانى ١ : ١٩٨ ، والوزراء والكتاب ص ١٦٤ والفخرى ص ١٢٦ وديوان المعانى ١ : ٣٠ ، ٦٣ » وانظر العمدة لابن رشيق ٢ : ٧٤ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ٥ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه « ونَسَبَ البيت لأبى الأسود الدؤلى » ٣ : ٥ ، وقراضة الذهب لابن رشيق ٨٧ ، وقد أورد البيت ملفقا كما ورد فى الأصل ، ونسبه إلى حمزة بن بيض ، « ترجمته فى الأغانى ١٥ : ١٤ » ، وفى مرآة الجنان لِليافعى ١ : ٤٣٩ منسوباً إلى أعرابى فى مدح الفضل بن يحيى البرمكى » .

(٣) زيادة من س .

(٤) زيادة من س .

## تعجرُف الجوادِ على مالِهِ وإتلافِهِ إيَّاه [1]

قال أبو تمّام [2] :

كأنَّ أموالَهُ والبَذْلُ يَمحَقُهُا    نَهْبٌ تَعَسَّفَهُ التَّبْذيرُ أوْ نَفَلُ

وقالَ [3] :

جَزَى اللهُ كفًّا مِلْؤُها من سَعَادَةٍ    سَرَتْ فى هَلاكِ المَالِ والمَالُ نَائِمُ

قولُهُ : « مِلْؤُها من سَعَادَةٍ » من أحْسَنِ لَفْظَةٍ وأبْرَعِها .

وقالَ [4] :

كم وَقْعَةٍ لَكَ فى المكارِمِ ضَخْمَةٍ    غَادَرْتَ فِيها ما مَلَكْتَ قَتِيلا

« ضَخْمَةٍ » لَفْظَةٌ غيرُ جَيّدِةٍ فى هذا المَوْضِعِ ولا لائِقةٍ ، وإنَّما جَعَلَها فى مَوْضِعِ « عَظِيمةٍ » .

---

(١) سقط هذا الباب والباب الذى يليه من نسخة الأصل « ك » وأوردته « س » ، بينما جعلت « ك » هذا العنوان على باب « إعطاء الجواد حتى لا يجد من يعطيه » ، وهو فى لوحة ٧١ تونسية إلى لوحة ٧٤ .

(٢) ديوانه ٢ : ١٨٠ والتبريزى ٣ : ١١ .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٨٧ والتبريزى ٣ : ١٧٨ .

(٤) ديوانه ٢ : ٢٩٦ والتبريزى ٣ : ٧١ . وفى ديوانه : « فخمة » .

وقَولُهُ : « فى المَكارم » أى فى سبيلِ المَكارِمِ ، كما تقولُ : فى اللهِ ، أى فى سبيل الله .

وقالَ[١] :

وإن خَفرتْ أموالَ قَومٍ أكُفُّهُمْ  من النَّيْلِ والجَدوىٰ فكَفَّاهُ مَقْطَعُ

وهذا البَيْتُ مِمَّا عَهِدْتُ الشيوخَ يَضْحكُونَ مِنْه ، وقد أتىٰ البحتريُّ بِمثلِ قولِهِ : « فكفَّاه مَقْطَعُ » ، ولكنَّه جاءَ به حَسَنًا فقال[٢] :

تُحْسَبُ فى وَفْرةٍ يَدَاهُ يَدْى  عَدوِّهِ أو لِغَيْرِهِ نَشَبُهْ

وقالَ أبو تمّامٍ[٣] :

فالمالُ أنّى مِلْتَ ليسَ بسَالِمٍ  من بَطْشِ كَفِّكَ مُصْلِحاً أوْ مُفسِدَا

[ وقال ][٤] :

يَلْقَى بها حُرُّ التِّلادِ وعَبْدُهُ  عِنْدَ السُّؤالِ مَصارِعًا وحُتُوفَا

وقالَ[٥] :

كم نَفْحةٍ لَكَ لم يَحْفَظْ تَعَجْرُفُهَا  لِصَامِتِ المَالِ لا إلًّا ولَا ذِمَمَا

---

(١) ديوانه ٢ : ١٤ والتبريزى ٢ : ٣٣٠ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٨٠ .

(٣) ديوانه ١ : ٤٨٢ والتبريزى ٢ : ١٠٧ ، وفى ديوانه : « من بطش جودك » ، ومعنى هذا البيت متعلق بالبيت الذى قبله وهو :

لمّا زَهِدتَ زَهِدتَ فى جَمعِ الغِنَىٰ  ولَقَدْ رَغِبْتَ فكنتَ فيه أزْيَدا

وقال الخارزنجى : يقول : أنت فى حالَتَىْ زُهْدك ورغبتك لا يسلم منك مالك ، فإنك تنفقه إذا زهدت فى الدنيا فى أعمال البر ، وتنفقه إذا رغبت فيها فى ابتناء المكارم ، « النظام حـ ١ لوحة ٣٧٠ » ، وفى س « أنى نلت » .

(٤) ساقطة من س ، وانظر ديوانه ٢ : ٧٨ والتبريزى ٢ : ٣٨٤ ، وفى الأصل « البلاد » تصحيف والتصحيح من شرح التبريزى ، وفى ديوانه : « تكفى بها نهل البلاء وعلّه » .

(٥) ديوانه ٢ : ٤٣٧ والتبريزى ٣ : ١٧٤ وفيهما « يُحْفَظْ » بالبناء للمجهول وهو خطأ ، العَجْرفةُ : ركوبك الأمر لا تَرَوِّىَ فيه ، « والإل » : الحلف ، و « الذِّمةُ » : العهد ، من قوله تعالى : « كيف وإن =

وقالَ (١) :

مَلَكَتْ مَالَه المَعَالى فمَا تَلْـ ـقَاهُ إلا فَرِيسَةً لِلحقُوقِ
يَقِظٌ وهْوَ أكْثَرُ النَّاسِ إغْضا ءً على نَائِـلٍ لَهُ مَسْرُوقِ (٢)

فقولُهُ : « فَريسةً لِلحقُوقِ » كلامٌ حَسَنٌ حُلْوٌ .

وقوله : « على نائل لَهُ مَسْروقِ » ، معنًى ليسَ بالجيِّد بل هو ردئٌ ؛ لأنّ نائلَه هو ما يُنيلهُ ، فكيف يكونُ مَسروقًا منه ؟ (٣) ، وهل يكونُ الهَجْوُ إلّا هكَذا : أن يجعَلَ نائِلَه مأخوذًا منه على وَجهِ السَّرِقَةِ ؟ .

وإنما اعتمَدَ المطابقةَ لمَّا وصَفَهُ بالتَّيقُّظِ جعَلَه مِمَّنْ يُسرَقُ مِنْهُ ، إذ كان من شأنِ المُتيَقِّظِ ألّا يغفل حتى يَسْتَمِرّ (٤) عليهِ السَّرَقُ ، وكان يَصِحُّ هذا المعنى لو (٥) قالَ : « على مالٍ لَه مَسروقِ » حتى يكونَ يُعْطِى مالَه اختيارًا لجُودِهِ ، ويُغْضى إذا سُرِقَ مِنْهُ لِكَرَمِهِ ، وقد ذَكَرْتُ هذَا فى أغَالِيطهِ (٦) على هَذا الشَّرْحِ .

وقال البحتريُّ (٧) فى هذا البابِ :

فكَم لَكَ فى الأموال مِنْ يَوْمِ وَقْعَةٍ طَوِيلٌ – من الأهوالِ – فيه عَوِيلُها

---

= يظهرُوا عليْكُم لا يرقبُوا فيكم إلّا ولا ذمةً » التوبة آية ٨ .

(١) ديوانه ٢ : ١٤٦ والتبريزى ٢ : ٤٤٥ .

(٢) سبق التعليق عليه فى ١ : ٢٤٠ .

(٣) قال ابن المستوفى بعد أن ذكر شروح بعض الشيوخ لهذا البيت : لم يُلِمَّ أحَدٌ منهم بتَفْسيرِ قَوْلِه : على نائلٍ لَهُ مَسروقِ ، وكيف يكونُ نائلٌ ينيلُهُ مَسْروقًا ، وهو مأخوذٌ بِعلْمِهِ ؟ « النظام ٢ لوحة ١٩٦ » .

(٤) فى الجزء الأول ص ٢٤٠ « استتمّ عليه » وهو خطأ ، وذكر المحقق فى الهامش رواية هذا الجزء ، واستمر : يستمر : ذهب ، وفى س : « حتى استمرّ » .

(٥) فى س : « ولو » .

(٦) انظر ١ : ٢٤١ .

(٧) ديوانه ٣ : ١٧٧٨ ، وقد سبق فى ١ : ٣٢٢ ، وفى الأصل « من الأموال » تحريف ، والتصحيح من روايته التى سبقت فى الجزء الأول ومن ديوانه .

ومِثلُ هذَا قولُ أبى نُواس[١] :

بُحَّ صوتُ المَالِ مِمَّا مِنكَ يَشْكُو ويَصيحُ

ومازالَ النّاسُ يعيبونَ قولَه : « بُحّ »[٢] .

وقال البحتريُّ أيضا[٣] :

و يَحكُمُ فى ذَخائِرِه نَداهُ كمَا حَكَمَ العَزيزُ على الذَّليلِ

وأحسَنُ من كلِّ حَسَنٍ قولُهُ[٤] :

يَتفَادىٰ من نَداهُ تَالِدٌ لو ترَقَّى للثُّرَيا ما وَأَلْ

وهذا أَجْوَدُ من أبياتِ أبى تمَّامٍ كُلِّها .

وقالَ[٥] :

غريبُ المَكْرُماتِ تَرى لديهِ رِقابَ المالِ تُهْتَضَمُ اهْتِضَاما

إذا وهبَ البدُورَ رأيتَ وَجْهًا يُخالُ لِحُسْنِهِ البـدرَ التَّمامَـا[٦]

وقال فى محمّدِ بن عبد الملك[٧] :

مافقَدْنا الإعدامَ حتَّى مَددْنَا أملًا نَحوَ سَيْبِكَ المَمْدُودِ

سُؤْدَدٌ يُصْطَفىٰ ، ونَيْلٌ يُرجّىٰ وثَناءٌ يَحْيَا ، ومَالٌ يُودِى

* * *

---

(١) ديوانه ٤٣٤ ، وقد سبق فى ١ : ٣٢٢ .
(٢) انظر الموشح ص ٤١٤ .
(٣) ديوانه ٣ : ١٧٣٤ .
(٤) ديوانه ٣ : ١٧١٥ و « وَأَلَ » : أى نجا .
(٥) ديوانه ٣ : ٢٠٠٥ .
(٦) ديوانه : « تَخالُ » بالبناء للمعلوم .
و « البدور » : جمع بَدْرَةٍ ، كيس فيه ألف أو عشرة آلاف .
(٧) ديوانه ١ : ٦٣٦ .

## دفع جودِ الجوادِ وعطاياه لنوائبِ الدّهرِ

قالَ أبو تمّامٍ[1] :

مشتِ الخُطوبُ القهْقرَى لمّا رأتْ خببى إليكَ مُؤكّدًا برسيمِ
فَزِعَتْ إلى التوْديعِ غيرَ لَوابِثٍ لمّا فَزِعْتُ إليكَ بالتّسْليمِ
والدّهْرُ أَلْأَمُ من شَرَقْتَ بلَوْمِهِ إلّا إذا أشْرقتَهُ بكريمِ

وهذا البيتُ الأخيرُ من الاستعارةِ القبيحَةِ .

وقوله[2] :

صَدَمتْ مواهِبُهُ النّوائِبَ صَدْمَةً شَغَبَتْ على شَغَبِ الزّمانِ الأنْكَدِ

وحَسْبُكَ بـ « صَدَمَتْ » لفظةً هجينةً قبيحةً .

وقال[3] :

أيُّ مُدَاوٍ لِلْمَحْلِ نَائِلُهُ وهانِئٍ للزّمانِ من جَرَبِهْ
إنْ جدَّ ردَّ الخطوبَ تَدْمَى وإنْ يَمْزَحْ[4] فجِدُّ العَطَاءِ فى لَعِبِهْ

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٤٥ والتبريزى ٣ : ٢٦٧ .
(٢) ديوانه ١ : ٤٥٢ والتبريزى ٢ : ٥١ .
(٣) ديوانه ١ : ٣٢٣ والتبريزى ١ : ٢٧٢ والهانئ : الطالى الإبل بالقطران .
(٤) ديوانه وشرح التبريزى : « يلعب » .

قولُهُ :

« وهانئ للزَّمانِ من جَرَبِهْ »

هى الاستعارةُ الجيِّدةُ الحسَنَةُ ، وكان ينبغى أن يقولَ :

« وإن يلعَبْ فجِدُّ العطَاءِ فى لَعِبِه » (١)

وأبلغُ وأجودُ من هذا قولُ البُحْتُرِىِّ (٢) :

وادعٌ يلعَبُ بالدَّهرِ ، إذا جَدَّ فى أُكْرومَةٍ قُلْتَ : هَزَلْ !

وقال أبو تمّام وأحسَنَ (٣) :

بَرقَتْ بوارِقُ من يمينِكَ غَادَرتْ وَضَحًا بِوَجْهِ الخَطْبِ وَهْوَ بَهيمُ
ضَرَبتْ أُنوفُ المَحْلِ حَتَّىٰ أُقْلعَتْ والعُدْمُ تحت غَمَامِها مَعْلُومُ

وقال (٤) :

أَوْطَأْتَ أرضَ البُخْلِ فيها غارةً تَرَكَتْ حُزُونَ الحادِثاتِ سُهولا

وهذا كلُّه جَيِّدٌ .

وقال (٥) :

أَلا لَا يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بِسَيِّءٍ إلى مُجْتَدِى نَصرٍ فتُقْطَعَ من الزَّنْدِ

وهذا من مَضاحيكِ شعرِهِ التى تُشْبِهُ شِعْرَ أَبى العِبَرِ (٦) .

---

(١) وهى الرواية التى عليها البيت فى ديوانه وشرح التبريزى .
(٢) ديوانه ٣ : ١٧١٤ ، وقد سبق فى ١ : ٣٢٠ .
(٣) ديوانه ٢ : ٤٢١ والتبريزى ٣ : ٢٩١ ، وفى ديوانه : « بوجه الدّهر » .
(٤) ديوانه ٢ : ٢٩٦ والتبريزى ٣ : ٧٠ .
(٥) ديوانه ١ : ٤٥٧ والتبريزى ٢ : ٦٤ ، وفى ديوانه « فتقطع للزّند » .
(٦) قال عبد الله بن المعتز : تجاوز حدّ المدح ولم يجئ بشئ فى ذكر زند يد الدّهر ، « انظر النظام جـ ١ لوحة ٣٣٦ ، ونقل هذا أيضا المرزبانى فى الموشح ص ٤٧٧ دون أن يعزوه » ، وأبو العبر هو : أحمد بن محمد هاشمى من بنى العباس ، كان من آدب الناس ، إلا أنه لمّا نظر إلى الحماقة والهزل أنفق على أهل =

وقال البحترىّ[(١)] :

شَامَتْ بُرُوقَ سَحابَةٍ « قُرَشِيّةٍ » غَرِقَتْ صُرُوفُ الدَّهر بَيْنَ سُيُولِها

وقَالَ[(٢)] :

كَريمٌ لا يَزالُ لَهُ عَطَاءٌ يغَيِّر سُنَّةَ السَّنَةِ الجَمَادِ

وقَالَ[(٣)] :

إنْ تَرْمِ آلاؤهُ فى الدَّهْرِ عَنْ وَتَرٍ تَكُن لها نُوَبُ الأَيَّامِ أَهْدافَا

وهذا بَيْتٌ حَسَنٌ جِدّا .

وقَالَ[(٤)] :

وَ دَعِ الخُطُوبَ فإنَّه يَكْفيكَها مِن حَيْثُ واجهَهَا « أبو الخطاب »
خَرِقٌ إذا بَلَغ الزَّمانُ فِنَاءَه نَكَصَتْ عَوَاقِبُهُ عَلَى الأَعْقَابِ

وَقَالَ[(٥)] :

قَمَرٌ مِنَ الفِتيَان أبيضُ صَادِعٌ لِدُجَى الزَّمانِ الفَاحِم الغِرْبِيبِ
أعيَى خُطُوبَ الدَّهْرِ حَتَّى كَفَّها والدَّهْرُ سِلْكُ حَوادِثٍ وخُطُوبِ[(٦)]

قوله : « سِلْكُ حوادِثٍ » من أحسن لفظٍ وأعذبه .

هُمَا عندى فى البَابِ متكَافِئَانِ ، على ما لأبى تمّام من الإساءَةِ[(٧)] .

---

= عصره ، أخذ بها وترك العقل ، فصار فى الرقاعة رأسا ، وكان يمدح الخلفاء ويهجو الملوك بشعر ركيك ، وكان يؤمر على الحمقى فيشاورونه فى أمورهم « طبقات ابن المعتز ٣٤٢ - ٣٤٣ » .

(١) ديوانه ٣ : ١٧٦٨ ، وقد سبق فى ١ : ٣٠٠ .

(٢) ديوانه ٢ : ٧٢٥ .

(٣) ديوانه ٣ : ١٣٧٨ .

(٤) ديوانه ١ : ٢٩٥ .

(٥) ديوانه ١ : ٢٤٨ .

(٦) فى الأصل « أغنى خطوب » تصحيف والتصحيح من ديوانه .

(٧) إلى هنا ساقط من الأصل .

## وفى إعطاء الجواد حتى لا يجد من يُعطيه (1)

قال أبو تمّام (2) :

فَنَوَّل حتى لم يَجِدْ مَن يُنيلُهُ وحَارَب حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يحارِبُهْ

وقد قال أبو نواس (3) :

وأطعم حَتَّى ما بمكَّة آكِلُ

وقال علىّ بن جبلة (4) وأظنُّ أَبَا تَمَّام أَخذ مِنْه :

[أُعطيْتَ حَتَّى لَمْ تَجِدْ لَكَ سَائِلا وَبَدأت إذْ قَطَعَ العُفَاةُ سؤَالَها (5) ]

ومِثْلُه سواءً (6) قَولُ البحترىّ ومنه أخذ فيما أُظُنّ :

جَادَ حَتَّى أُفنَى السُّؤَالَ فَلَمَّا بَادَ مِنَّا السُّؤَالُ جَادَ ابتدَاءَ

---

(1) عنوان هذا الباب فى الأصل : تعجرف الجواد على ماله وإتلافه ، والتصحيح من س .

(2) هنا ينتهى الخرم فى الأصل الذى أشرت إليه فى ص ١٨٦ ، والبيت فى ديوانه : ١ : ٢٩٤ ، وشرح التبريزى ١ : ٢٢٧ .

(3) ديوان أبى نواس ٤٣٦ ، وعجزه : وأعطى عطايا لم تكن بضمار

وقد سبق فى ١ : ٩٤ ، وفى الأصل : « آجل » والتصحيح من ديوانه ومن س .

(4) وهو الشاعر الضرير المعروف بالعَكَوَّكِ .

(5) هذا البيت ساقط من الأصل والتكملة من س ، وقد سبق فى ١ : ١١٣ وهو فى ديوانه ٩٩ .

(6) كلمة « سواء » ساقطة من الأصل ، والبيت فى ديوانه ١ : ١٥ .

وعَلَى أنَّ هَذا كُلَّه عندى من المعانى المشتركةِ ، التى لَيس بمنكَرٍ أن تَتَّفِق الخواطرُ فيها[١] لأنَّها[٢] خلائقُ الأجوادِ مشاهَدة ، وما شُوهِدَ وصف واتُّفِقَ عليه .

وقال أبو تمّام أيضا[٣] :

١ ب / تَلاَفَى نَداكَ المُجْتَدينَ فأصبَحُوا ولم يَبْقَ مَذْخُورٌ ولم يَبْقَ مُجْتَدِ

وَقَال البحتريّ[٤] :

إذا قيلَ قد فَنِيَ السّائِلُو ن قالت عطاياه هل مِنْ مَزِيدِ

صاحبُ أبى تمّامٍ أكرَمُ ، لأنّه لم يُبْقِ مَذْخُورًا .

وقَوْلُهُ[٥] : « قَالَتْ عَطَايَاه هل مِن مَزِيدِ » ، فالعَطَايا هِيَ ما يعطيه فيخرُجُ عن يَدِه إلى المجتدين ، فكيفَ قالت : هل من مَزيد ؟؟ ، وإنما وجه الكلام – لو ساغ له الوَزْنُ – أنْ يقول : قَالَت مَكَارِمُهُ هل مِن طَالِب ؟ هل من مُلْتَمِسٍ ؟ وهذا عندى فى الخَطَأ شبيه بقول أبى تمّام[٦] :

وأَضْحَتْ عَطَايَاه نَوَازِعَ شُرَّدًا تُسَائِلُ فِي الآفَاقِ عَنْ كُلِّ سائِلِ

وقَالَ البحتريّ[٧] :

بَثَّ اللُّهَى فى المعتفِينَ فَلَمْ يَدَعْ فى الأَرْضِ مُجْتَدِيًا ولا مُسْتَرْفِدا

---

(١) س : « عليها » .

(٢) سبق أن عدّ الآمدى قول أبى تمّام « فنوّل حتى لم يجد من ينيله » مأخوذا من قول أبى نواس السابق ١ : ٩٤ ، كما اعتبره أيضا من السرق الصحيح الذى خرجه ابن أبى طاهر ١ : ١١٣ .. !! .

(٣) « أيضا » ساقطة من س ، ديوانه : ١ : ٤٣٤ ، والتبريزى ٢ : ٣١ ، وفى الأصل : « تلاف جداك » .

(٤) ديوانه ٢ : ٧٦٦ ، وفيه « عطاياه » .

(٥) من هنا إلى قوله « عن كلّ سائل » سقط من س .

(٦) ديوانه ٢ : ٢٢٠ ، والتبريزى ٣ : ٧٩ ، وفى ديوانه : « شزّبا » .

(٧) لم أجده فى ديوانه .

المُجتدى هو المسترفِدُ ، وقد وَكَّد الأوّل بالثّانى لاخِتلاف اللّفظَيْن ، ولو كانَ بينهما خِلافٌ كَانَ أجودَ فى المعنَى ، ولا يجوز أن يكُونَ مُسترْفَدًا بفتح الفَاء ، أى شيئا يُرْفَدُ ، لأنَّ ذلك فى الأَرْضِ كَثِيرٌ وليس يَمْلِكُهُ ، ويحسن أَنْ يُقَال على المُبالغة : لم يدع فى الأَرض مسترفِدا إلّا أغناه ، يريد مسترفِدا له .[(١)][(٢)]

وقال البحتريّ :[(٣)]

أعطَيْتَ حَتّى لم تَجِدْ لَكَ سَائِلًا وعَلَوْتَ حَتّى لَمْ تَجِدْ لَكَ مَصْعَدَا

وَقَال أَبو تمّامٍ فى نَحو هَذَا :[(٤)]

وإذَا حَلَلْتَ بِهِ أَنَالَكَ جُهْدَه وَوَجَدْتَ فَوْقَ الجُهْدِ مِنْهُ مَزِيدَا

وقال البحتريّ :[(٥)]

جَادَ حَتَّى لو استُزِيدَ مِنَ الجو دِ لما كَانَ عِنْدَه من مَزِيدِ

وكِلَاهُما[(٦)] قَدْ ذَهَبَ مَذْهَباً جَيِّدًا مَحْمُوداً .

* * *

---

(١) ساقطة من س .

(٢) ساقطة من س .

(٣) لم أجد هذا البيت فى ديوانه « تحقيق الصيرفى » ، وقد أورد الآمدى فى الجزء الأول ص ٥٨ بضعة أبيات للبحترى لم ترد فى ديوانه على نفس الوزن والقافية ، وقد جعلها محقق ديوان البحترى فى ملحقات الديوان نقلا عن الموازنة ، واعتمد المحققان « محقق الموازنة ومحقق ديوان البحترى » على كتاب « القول الفائق » لابن الأثير لتخريج البيت ، ونسخة هذا الكتاب المزعوم موجودة فى معهد المخطوطات تحت رقم ١٤١٥ ، وهذا الكتاب فى حقيقته قطعة من الموازنة لفقت نسبته إلى ابن الأثير ، وهو منه براء ، فالأبيات بالطبع وردت تحت الباب نفسه « وصف الديار وساكنيها » فى الموازنة ، وفى الكتاب المدّعى لابن الأثير ؛ لأنه نسخة تكاد تلتزم بترتيب الأبواب نفسه الذى جاء فى الموازنة ، أما العبارات والألفاظ فإنها هى هى بنصها فى الموازنة ، وفوت مثل هذا على المحققين الكبيرين أمر يدعو إلى العجب . !!

(٤) ديوانه ١ : ٤٠٩ والتبريزى ١ : ٤٢٠ وفيهما : « ومتى حللت .... بعد الجهد » .

(٥) ديوانه ٢ : ٧٦٩ .

(٦) سقطت الواو من س .

## فى التذاذ الجواد بالجود

قال أبو تمّام فى المأمونِ[1] :

لَوْ يَعْلَمُ العَافُونَ كَمْ لَكَ فِى النَّدَىٰ      مِن لَذَّةٍ وقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَـدِ

/ أى : مِن لَذّة واقترَاح ، أىْ : ابتِدَاع واستخراج . ٧

وهَذَا عندى غَلَطٌ مِنهُ ، لأَنَّ هذَا الوَصْفَ الذى وَصَفَهُ بِهِ ، داعيهِ[2] إلى أن يَتَنَاهى الحامِدُ لَهُ فى الحَمدِ ويجتهِدَ[3] فى الثناء ، لا أن يَدَع حَمْدَه[4] ، وإنـما ذَهَـب إلى أنّ الإنسـانَ[5] إنَّما يُحْمَدُ على الشئ الذى [ يتَكَلَّفُهُ[6] ويَتَجَشّمُهُ ، ويَتحمَّلُ المَشَقَّةَ فِيهِ ، لا على الشئ ][7] الذى له بواعثُ شهوةٍ وشِدَّةِ صَبَابَةٍ إليه وَمَيْلٍ إلى فِعْلِهِ ، ومَنْ كَانَ غرَامُهُ بالجُودِ هَذَا الغَرَام ، فَعَلى[8] قَدرِ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يُحمَدَ ويُمْدَح ، وقد

---

(١) ديوانه ١ : ٤٥٣ والتبريزى ٢ : ٥٣ ، وقد سبق فى ١ : ١٢٤ ، ٢٤١ ، وقال ابن المستوفى : « قال الصولى : نقل كلام المأمون فى العفو فصيّره له فى الجود ، قال المأمون : إنى لأعشق العفو حتى أظنّ أنى لا أؤجر عليه » « النظام جـ ١ لوحة ٣٣١ » .

(٢) فى الأصل : « داعيا » والتصحيح من س .

(٣) س : « ولا يجتهد » .

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) س : « الناس » .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

(٨) ساقطة من س .

ذَكَرتُ هذا فى أَغَالِيطِهِ على هذا(١) الشَّرح(٢) .

فأمّا قول البحترىّ(٣) :

وَلَقد أَبْدْتَ الحَمْدَ حَتَّى لَوْ بَنَتْ كَفَّاكَ مَجْدًا ثَانِيا لَمْ يُحْمَدِ

فَمَذهَبٌ صحيح ، يُرِيدُ أَنَّكَ قَدْ أَفنيْتَ أوصافَ(٤) المَحَامِدِ ، فإن جِئْتَ بِنَوْعِ مِنَ المَكَارِمِ تَبنى بِها(٥) مَجْدًا آخرَ لَمْ يَقْدِر من يَحْمَدُكَ أو يثنى عَلَيْكَ على أكثرِ ممّا قَدَّمَ(٦).

وقال البحترىّ(٧) :

يَلَذُّ الأَرْيَحِيَّةَ للعَطَايَا كَمَا لَذَّت لِشَارِبها الشَّمُولُ

وهَذَا حَسَنٌ حُلْوٌ .

وَوَجَدْتُ فِي التَّعليقاتِ أَنَّ بشاراً أَخَذَ قَوْلَهُ فى عُقْبَةَ بن سَلْم(٨) :

ليس يُعْطِيكَ للرجاءِ ولا الخَوْ فِ ولكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ

---

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) انظر ١ : ٢٤١ .

(٣) فى الأصل : « وقال البحترىّ » ، والبيت فى ديوانه ١ : ٥٤٩ ، وفيه « ولقد بنيت » ، و فى ديوانه وفى س : « لم تحمد » ، وقد سبق فى ١ : ٢٤٢ .

(٤) س : « الأوصاف والمحامد » .

(٥) فى الأصل : « تبنى به » .

(٦) الأصل : « تقدم » .

(٧) فى الأصل : « قال البحترى » ، ديوانه ٣ :١٨٢٠ .

(٨) عقبة بن سلم بن نافع الهنائى من الأزد ، قال ابن حزم فى الجمهرة : « ولاه المنصور البحرين والبصرة ، فأكثر القتل فى ربيعة ، حتى كان ذلك سبب انحلال الحلف بين ربيعة والأزد ، وقتله رجل من ربيعة . فتك به فى جامع البصرة بحضرة النّاس » « جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى ص ٣٨٠ » ، وانظر : تاريخ الطبرى ٧ / ٥١٩ ، ٨ / ١٦٥ ، ديوان بشار ١ : ١٣٦ .

مِن قَولِ القَائِلِ (١) :

يَلَذُّ عَطَاءَ الرَّاغِبِين إذَا غَلَوا كما لَذَّ أنفاسَ العَرُوسِ مَشُوقُ

وَهَذا كُلُّه أَجْوَدُ من قولِ أبى تَمَّامٍ (٢) .

* * *

(١) لم أقف عليه بعد .

(٢) يعنى قوله :

لو يعلم العافون كم لك فى النّدى من لذة وقريحة لم تحمد

## إغناءُ الجوادِ للسائلين حتى يكونوا مَسْئولين (1)

وقال (2) أبو تمّام (3) :

تَنْدَى عُفَاتُك للعُفَاةِ وَتَغْتَدِى ... رِفْقًا إلى زوّارِكَ الـزُّوَّارُ

وقال (4) :

فَمَا يَلْحَظُ العَافِى جِدَاكَ مؤمِّلاً ... سِوى لَحْظَةٍ حَتّى يَؤُوبَ مُؤمَّلا

وقَالَ (5) :

فَكَمْ لَحْظَةٍ أعْطَيتَها لابن نَكْبَةٍ ... فأصْبَح منها ذَا عِقَابٍ وَنَائِلِ

وَقَالَ (6) :

وكُنْتُ أخَا الإعْدَام لسنا لِعَلَّةٍ ... فكَمْ بِكَ بعْدَ العُدْم أغْنَيْتُ مُعْدِمَا

---

(1) سقط هذا العنوان من س فالتحق هذا الباب بالباب السابق ، أما فى الأصل فقد جاءت العبارة محرفة ، ثم اتصلت بالجملة التى انتهى بها الباب السابق فصارت هكذا « وهذا كله أجود من قول أبى تمام أغنى يعنى السائلين حتى يكونوا مسئولين » ، ولعل الصواب ما أثبتّه ، وانظر ص ١٢٢ من هذا الجزء .

(2) كذا فى الأصل ، وربما يكون المعطوف عليه أبياتا سقطت من النسختين .

(3) ديوانه ١ : ٥٢٨ والتبريزى ٢ : ١٨١ .

(4) ديوانه ٢ : ٣٠٧ والتبريزى ٣ : ٩٩ .

(5) ديوانه ٢ : ٢٢٠ والتبريزى ٣ : ٨٠ ، وقال المرزوقى «أى : فكم منكوب رفعته وأعرته لحظك ، فأصبح من بعد يعاقب من يشاء وينيل من يشاء» ، وقال ابن المستوفى : «المنكوب الذى نكبه الدهر واجتاحه» ، «النظام شرحى المتنبى وأبى تمّام لوحة ٢٦٢ » ، وفى س : « فكم لحظة أعطيتها » وهى رواية الديوان .

(6) ديوانه : ص ٢٩٨ والتبريزى ٣ : ٢٤٤ ، وفيه « يقول كنت أنا والاعدام أخوين ، و « لسنا لعلة » أى : لضرّة ، والأخوان إذا كانا لأب وأم كانا أجدر بمودة وائتلاف » .

وإذ أنا مَمْنُونٌ عَلَىَّ ومُنْعَمٌ     فَأَصبَحْتُ مِنْ خَضْرَاءِ نُعمَاكَ مُنْعِمَا

وأَنشَدَ ابنُ أبى طَاهِرٍ لأَبِى تَمَّامٍ (١) :

وإنِّى لأَرجُو عَاجِلًا أَنْ تَرُدَّنِى     مواهِبُهُ بَحْرًا تُرَجَّى مَوَاهِبِى

وذَكَرَ أنّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ دِعْبل (٢) :

إنْ جَاءَه مُرْتَغِباً سَائِلٌ     آلَتْ إليهِ رَغْبَةُ السَّائِلِ

فسائِرُ أبياتِه على هَذَا مَحْذُوَّةٌ (٣) .

وقال البحترىّ فى مثل ذلك (٤) :

أَلحَقْتَنِى بِرِجَالٍ كُنْتُ أَتْبَعُهُمْ     وأَطْلُبُ الرِّفْدَ مِنهم إن هُمُ رَفَدُوا

فالآنَ أُجْدِى كَمَا كَانَتْ سَراتُهُمُ     تُجْدِى ، وأُحْمَدُ إفْضَالًا كَمَا حُمِدُوا (٥)

مَقَسِّما نَشَبى فِى عُصْبَتَىْ طَلَبٍ     فَعُصْبَةٌ صَدَرَتْ ، وعُصْبَةٌ تَرِدُ

---

(١) ديوانه ١ : ٢٨٨ والتبريزى ١ : ٢١٥ ، وروى التبريزى : « وإنى لأرجو أن تردّ ركائبى ... » .

(٢) سبق هذا فى ١ : ٩٤ ، ديوانُه ٢٢٨ .

(٣) ولكن الآمدى سبق أن قرر فى الجزء الأول أنه : « غير منكر لشاعرين مكثرين متناسبين ومن أهل بلدين متقاربين ، أن يتفقا فى كثير من المعانى ، ولا سيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد فى الأشعار ذكره ، وجرى فى الطّباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله » ، ١ : ٥٦ ، قال هذا مدافعا عن من يدعى أن البحترى قد سرق من أبى تمّام بعض أبياته ، وقد طبق هذا المقياس أيضا على الادعاء القائل بأن أبا تمّام سرق بعض المعانى من ديك الجن ، « انظر ص ١١٣ » ، ونحن نعلم أن دعبلا معاصر لأبى تمّام فكيف يقبل أن يكون أبا تمّام سرق من دعبل بعض معانيه ، وقد قرر الصولى « أخبار أبى تمّام ص ١٠١ » قبله المبدأ الذى اتفق عليه العلماء الذين بحثوا فى السرقات قال : « حكم النقاد للشعر العلماء به قد مضى بأن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا أو جمعاهما ، أن يجعل السبق لأقدمهما سنا ، وأولهما موتا ، وينسب الأخذ إلى المتأخر ، لأن الأكثر كذا يقع ، وإن كانا فى عصر واحد ألحق بأشبههما كلاما ، فإن أشكل ذلك تركوه لهما » .

(٤) ديوانه ١ : ٤٩٦ .

(٥) س : « فصرت » وهى رواية الديوان .

[ وَقَالَ (١) :

كَرُمَ الأميرُ بنُ الأميرِ فَأَقْبَلَ الْـ ـمُجْدِى إِلَيْه وَهْوَ عَافٍ مُجْتَدِ ]

وَقَالَ (٢) :

أَمَّا أَيَادِيكَ عِنْدِى فَهِى واضِحَةٌ ما إنْ تَزَالُ يَدٌ مِنْهَا تَسُوقُ يَدَا
[ أَلازِمِى الكُفْرُ إنْ لَمْ أَجْزِها كَمَلًا أَمْ لَاحِقِى العَجْزُ إنْ لَمْ أُحْصِهَا عَدَدَا ] (٣)
أَصْبَحتُ أُجْدِى عَلَى العَافِينَ مبْتَدِئاً مِنها ، وما كُنْتُ إلا مُسْتَمِيحَ جَدَا
وَمَنْ يَبِتْ مِنْكَ مَطْوِيًّا عَلَى أَمَلٍ فَلَنْ يُلَامَ عَلى إعْطَاءِ مَا وَجَدَا (٤)

وهذا فى غَايَةِ الحُسْنِ .

وقال (٥) :

مَنْ شَاكِرٌ عَنِّى الخَلِيفَةَ فى الَّذِى أَوْلَاه مِن طَوْلٍ ومِنْ إحْسَانِ
حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ أَفْضَالِهِ ورأَيْتُ نَهجَ الجُودِ حِينَ أَرَانِى
مَلأَتْ يَدَاهُ يَدِى وشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِى فأَفْقَرَنِى كَمَا أَغْنَانِى
وَوَثِقْتُ بالخَلَفِ الجَمِيلِ مُعَجَّلاً مِنْهُ فَأَعطَيْتُ الذِى أَعْطَانِى

أَخَذَ هَذَا مِن قَوْلِ ابن الخيّاط المكىّ (٦) :

---

(١) ديوانه ١ : ٥٤٥ ، وفيه : « فأصبح المجدى إليه » ، وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٢) ديوانه : ٢ / ٧١٩ .

(٣) زيادة من س .

(٤) الأصل : « فلن يلام باعطاء » ، والتصحيح من ديوانه ومن س .

(٥) ديوانه ٤ : ٢٢٢٧ و ٢٢٥٥ ، ديوانه : « أولى من الأفعال والإحسان » ، وذُكِرَتْ رواية الموازنة فى القصيدة الثانية ص ٢٢٥٥ .

(٦) فى الأصل « من ابن الخياط » والزيادة من س ، وابن الخياط هو عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس مولى لقريش أو لهذيل ، شاعر ظريف ماجن خليع هجّاء خبيث مخضرم من شعراء الدولة =

لَمستُ بِكَفِّى كَفَّهُ أبْتَغِى الغِنَى ... ولَمْ أَدْرِ أنَّ الجُودَ من كَفِّهِ يُعْدِى

فَلَا أنَا مِنْهُ مَا أفاد ذَوُوا الغِنَى ... أفَدْتُ وأَعْدَانى فَفَرَّقْتُ مَا عِنْدِى

هُمَا عِنْدِى فِى هَذَا البابِ مُتَكَافِئَانِ ، لأنَّهُمَا أَخَذَا المعْنَى الذى رَكِبَاهُ من غَيْرِهِمَا .(١)

* * *

= الأموية والعباسية ، وكان منقطعا إلى آل الزبير بن العوام ، مداحا لهم ، وقدم على المهدى مع عبد الله بن مصعب فأوصله إليه ، وتوصل له إلى أن سمع شعره وأحسن صلته ، « انظر أخباره فى الأغانى ١٨ : ٩٤ وما بعدها ، وفى زهر الآداب قال : « ابن الخياط المكى واسمه – عبد الله بن سالم » ١ : ١١٤ » ، وفى عيون الأخبار « ابن الخياط المدينىّ » ٢ : ٢٨٤ ، فلعله مكىّ مدينى كما قال محقق كتاب الحيوان : الأستاذ / عبد السلام هارون ٣ : ٤٩١ « وانظر أخبار أبى تمّام ص ١٥٩ » ، والبيتان فى الوساطة ص ٢٢٣ ، والصناعتين ص ٢٠٦ ، وفى الأغانى ١٨ : ٩٤ وفيه « أخذت بكفى » ، وقد سبق البيت الأول فى ١ : ٧٠ ، وهما وفى الأغانى ٣ : ٢٦ منسوبان لبشار ، وفى شرح الحماسة للمرزوق ص ١٦٣٠ .

(١) من قوله : « هما ... » إلى آخر التعليق سقط من س .

## ذكر الشرف في العطاء (١)

قال أبو تَمَّام فى أَبِى دُلَف (٢) :

تُدْعَى عَطَايَاه وَفْرًا وهْىَ إن شُهِرَتْ ... كَانَتْ فَخَارًا لِمَن يعفوه مُؤْتَنَفَا (٣)

مازِلْتُ مُنْتَظِرًا أُعْجُوبَةً زَمَنًا ... حَتَّى رأيتُ سُؤَالا يَجْتَنِى شَرَفَا (٤)

وهذا معنى حسن جدا .

وإنما أخذه من قول أميّةَ بن أبى الصّلت (٥) :

---

(١) ساقطة من س ، وفيها : « الشوف » بالواو تحريف .

(٢) ديوانه : ٢ : ٥٤ والتبريزى ٢ : ٣٦٥ .

(٣) جاء فى النظام « قال الصولى : يظن قوم عطاياه للغنى ، وإنما هى للشرف والفخر ، ويقال : عفاه يعفوه إذا سأله ... ، وقال أبو زكريا : وفرا أى غنى ؛ لأن كل من أعطاه فقد استغنى عن الناس كلهم ، وهو يعطى سرا وجهرا ، فعطاياه فى السر إن شهرت ، كانت فخرا مؤتنفا وشرفا مستطرفا لسائله ، لأنه شريف العطاء ، فمن أعطاه أكسبه إعطاؤه فخرا وغنى ، وقال الخازرنجى : يقول عطاياه تدعى مالا ، وهى فخار لمن حافظ عليها ؛ لأنه لا يسأله إلا شريف وجليل الخطر » ، النظام لابن المستوفى ٢ لوحة ١٧٠ – ينى جامع – ، « وقد سبق البيت فى ١ : ٣٣٣ » ، وفى الأصل : « كان » والتصحيح من الديوان ومن س .

(٤) ديوانه والتبريزى : « أعجوبة عننا » ، وفى النظام « قال ابن المستوفى : وفى طرة : « عننا » ، أى يعنّ أى يعرض ، وروى : زمنا « النظام جـ ٢ لوحة ١٧٠ » ، وفى الأصل : « يُجْتَنَى » بالبناء للمجهول ، والتصحيح من ديوانه .

(٥) فى الأصل : « بن الصلت » ، وهو أمية بن أبى الصلت بن أبى ربيعة ، وكان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل ورغب عن عبادة الأوثان ، وكان يخبر بأن نبيا يبعث قد أظلّ زمانه ويؤمّل أن يكون ذلك النبى ، فلما بلغه خروج رسول الله « ﷺ » وقصته كفر حسدا له ، وقال عنه الرسول « ﷺ » لما سمع شعره : آمن لسانه وكفر قلبه ، وقد أتى بألفاظ كثيرة فى شعره لا تعرفها العرب ، وقال ابن قتيبة =

عطاؤُكَ زَيْنٌ لامرئٍ إنْ حَبَوْتَهُ ... بخيرٍ وما كلُّ العطاءِ يَزِينُ[(١)]

وقال أبو تمّام[(٢)]:

لا يَكْرُمُ النَّائِلُ المُعْطَى وإنْ أُخِذَتْ ... بِهِ الرَّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ[(٣)]

وقال البحتريّ ومنه أَخَذَ[(٤)]:

عَلَّمْتَنِى الطَّلَبَ الشَّرِيفَ ورُبَّما ... كُنْتُ الوَضِيعَ من اتِّضاعِ مَطَالِبِى

وقال[(٥)]:

عَالِى النَّوَالِ أنَالَنِى بنوالِهِ ... شَرَفًا أَطَلَّ عَلَى النُّجوم مُنِيفُهُ

أىُّ اليَدَيْنِ أَجَلُّ عِنْدى نِعْمَةً ... إغْنَاؤُه إيَّاىَ أمْ تَشْرِيفُهُ ؟

---

= « وعلماؤنا لا يرون شعره حجة فى اللغة » « انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٢٦٢ ، وخزانة الأدب ١ : ٢٤٧ ، والشعراء والشعراء لابن قتيبة ١ : ٤٥٩ ، والأغانى ٣ : ١٧٩ » .

(١) البيت فى مدح عبد الله بن جدعان الجواد المشهور ، انظر « ديوان أمية بن أبى الصلت ص ٨٠ » وقد سبق فى ١ : ١٠٣ .

(٢) ديوانه ١ : ٣٠٣ والتبريزى ١ : ٢٤٥ وفى س « وقال » .

(٣) ديوانه والتبريزى : « لايكرم الظّفر » وقد سبق البيت فى ١ : ٣٣٩ وهناك « وإن أخذت منه الرغائب » وقال ابن المستوفى « قال المرزوقى وروى : « لايكرم الظفر المعطى وإن كثرت به الرغائب » ، إنما العرف يكرم والنوال يشرف متى صين طلب العافى الزائر من المطل ، ولم يهن ، ولم يبتذل بالتسويف والدفاع . قال المبارك بن أحمد : وقد ذكرت معنى هذا البيت فى موضع آخر ، وهو أنه يجوز أن يريد بذلك أن الظفر لا يكون كريما وإن حصلت به الرغائب ، حتى يكون الطلب كريما ، يعنى أن الطالب يقصد بطلبه من يكون كريما ، قال الصولى : وروى

لن يكرم الظفر المعطى وإن أخذت ... به الرغائب حتى يكرم الطلب

كذا يرويه الناس وقرأته على أبى مالك :

لن يكرم الظفر المعطى وإن أخذت ... منه الرغائب حتى يكرم الطلب

يقول : لا يكون كريم الظفر حتى يكوم كريم الطلب ، وَاطَّلَبَ الرجل : طلب مطلباً كريما » « النظام لابن المستوفى ١ لوحة ١١٥ ، ١١٦ ، دار الكتب » .

(٤) ديوانه ١ : ١٦٢ ، وقد سبق فى ١ : ٣٣٩ .

(٥) ديوانه ٣ : ١٤٢٠ ، ديوانه و س : « عالى المحلّ » وفى س : « أناله » تحريف .

وقال :[1]

وَإِذَا اجْتَدَاهُ المجْتَدُونَ فإنَّه ... يَهَبُ العُلَا فى نَيْلِهِ الموْهُوب[2]

شُهِرَتْ عطاياه فَصِرْنَ قبائِلاً ... لقَبائِلٍ من زَوْرِهِ وَشُعُوبِ[3]

كَمْ حُزْنَ مِنْ ذكْرٍ لِغُفْلٍ خامِلٍ ... وَبَنَيْنَ من حَسَبٍ لِغَيْرِ حَسِيبِ

قولُ أبى تمّامٍ :

حَتَّى رأيْتُ سُؤَالاً يَجْتَنِي شَرَفا

خَيْرٌ منْ هَذَا كُلِّهِ ، وَإِنْ كان المعنى مسروقا .

وقال أبو تمّام فى ضِدِّ ما تقدّم :[4]

فإنْ كَانَ ذَنْبِى أنَّ أحسَنَ مَطْلَبِى ... أَسَاءَ فَفِى سُوءِ القَضَاءِ لِىَ العُذْرُ

حَذَا حذو قول عبّاس بن الأحنف :[5]

وَما كَانَ مِثْلِي يُعتَرِيكَ رَجَاؤُهُ ... ولكِنْ أسَاءَتْ شِيمَةٌ مِنْ فَتىً مَحْضِ

---

(١) ديوانه ١ : ٢٤٨ .

(٢) سبق فى ١ : ٣٣٣ ورواه هناك « فى سيبه الموهوب » .

(٣) ديوانه : « نشرت عطاياه » .

(٤) ديوانه ٣ : ٦١٤ والتبريزى ٤ : ٥٧١ ، وقد سبق البيت ١ : ٩٦ .

(٥) نسبه فى الجزء الأول ، ص ٩٦ إلى مسلم بن الوليد ، وقد ورد البيت مع بيتين فى ديوان مسلم ابن الوليد ص ٢٨٦ ، كذلك وردت تلك الأبيات فى زهر الآداب ٤ : ١٠٧١ منسوبة إلى مسلم ، وفيه « أساءت نعمة » ، ولم أجده فى ديوان العباس ، والبيتان الآخران :

وإنى لأستحيى السُّؤَالَ ومذهبى ... عَريضٌ وآبى الشحَّ إلا على عِرْضى

وإنى وإشرافى عليكَ بهمَّتى ... لكالمُبْتَغِى زُبْدًا من الماءِ بالمَخْضِ

والعباس بن الأحنف بن الأسود الحنفى اليمامى ، أبو الفضل ، شاعر غزل رقيق ، قال عنه البحترى : أغزل الناس ، أصله من اليمامة « نجد » وكان أهله فى البصرة ، وبها مات أبوه ، ونشأ هو ببغداد ، وتوفى بها ، وقيل بالبصرة سنة ١٩٢ ، خالف الشعراء فى طريقتهم فلم يمدح ولم يهج ، بل كان شعره كله غزلا وتشبيبا ، وهو خال ابراهيم بن العباس الصولى « وفيات الأعيان ٣ : ٢٠ ومعاهد التنصيص ١ : ٥٤ والأغانى الدار ٨ : ٣٥٢ » .

وقال البحترىّ[(١)] :

لُمْتَنِى أن رَمَيْتُ فِى غَيْرِ مَرْمىً        وعَزِيزٌ عَلىَّ تَضْيِيعُ سَهْمِى

٧٠ ب / إنْ أكُنْ خِبْتُ فِى سُؤَالِ بَخيلٍ[(٢)]        فبكُرْهِى – ذَاكَ السُّؤَالُ – وَرَغْمِى

وهذا جيّد بالغ .

وأبو تمّام أشعر فى قوله « يَجْتَنى شرفاً »[(٣)] وإن كان المعنى مأخوذًا .

* * *

(١) ديوانه ٣ : ١٩٣٨ .

(٢) ديوانه « حبت » بالحاء المهملة .

(٣) من هنا إلى نهاية العبارة سقط من س ، وفى الأصل « ذلك » .

## ماقالاه فى شفاعة الجواد

قال أبو تمّام[1] :

أنْضَرتْ أَيْكتِى عَطَايَاكَ حتَّى صارَ ساقًا عُودِى وَكَانَ قَضِيبا
مُمْطِرٌ لى بالْجَاهِ والْمَالِ ما ألْـ ـقَاكَ إلَّا مُسْتَوْهِبًا أوْ وَهُوبا[2]
وإذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ رِشَاءً وإذَا ما أرَدْتَ كُنْتَ قَلِيبا[3]

وهذا معنىً فى غايةِ الحُسْنِ وتمثيلٌ فى غايةِ الصِّحَّةِ .

وقال[4] :

فَلَقَيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطائِهِ وَلَقَيْتُ بَيْنَ يَدَىَّ مُرَّ سُؤَالِهِ
وَإذَا امْرُؤٌ أسْدَى إلَيْكَ صنيعَةً[5] مِنْ جاهِهِ فكَأنَّها مِنْ مَالِهِ

وهذا حسن جدّا .

ولِدعْبِلٍ مثل معنى البيت الأوّل[6] — وأظنّ أبا تمّام عليه حذا — وذلك قوله :

---

(١) ديوانه ١ : ٢٥٨ والتبريزى ١ : ١٧١ .
(٢) ديوانه والتبريزى : « ممطرا » ، وقد سبق البيت الأول فى ١ : ٣٣٤ ، وفى التبريزى و س : « لا ألقاك » .
(٣) فى التبريزى : « فإذا ما أردتُ .... وإذا ما أردتُ » بالإسناد إلى ضمير المتكلم .
(٤) ديوانه ٢ : ٢٨٦ والتبريزى ٣ : ٦٠ ، وقد سبق البيتان فى ١ : ٧٠ ، ٣٦٩ .
(٥) فى س : « أسدى إلىّ » .
(٦) س : « مثل معنى بيت الأول » .

شَفِيعَكَ فاشْكُرْ فِي الحَوائِجِ إنَّه     يَصُونُكَ عن مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يُخْلِقُ (١)

فأمّا معنى البيت الثانى فمبتذل متداول ، يجرى فى العادات وفى كلام النّاس ، إلاّ أنّ أبا تمّام أحسن العبارة عنه فصار مثلا .

وقال البحترىّ (٢) :

وَكَرِيمٍ غَدَا ، فَأَعْلَقَ كَفِّي     مُسْتَمِيحًا فِي نِعْمَةٍ مِنْ كَرِيمِ
حازَ حمدى (٣) وللرّياح اللّواتى     تَجْلُبُ الغيثَ مثلُ حَمْدِ الغُيومِ

وأصحاب السّرقات يقولون : هذا مأخوذ من قول أبى تمّام :

« وإذا امرؤٌ أسدىٰ إليك (٤) صنيعة »

وليس الأمرُ كذلك ، لأنّ هذا المعنى مشتركٌ بين النّاسِ ، وليس باختراعٍ لأبى تمّام ، لأنّك أبدًا تسمعُ القائلَ (٥) يقول لمن بلغ حاجتَه بشفاعَتِهِ : ما أعتدُّ هذا إلّا من مَالِكَ ، أو من اللّهِ ثم منك (٦) ، فليس لأبى تمّام فيه أكثرَ من أن عبَّر عنه عبارةً حسنة مكشوفة / فصارت مثلا ، والمعنى جارٍ فى العادات فجاء به البحترىّ ومَثَّلَهُ بمثالٍ أبدَع فيه فأغرب (٧) ، وهو قوله : ٧١

حازَ حمدِى وللرِّياح اللّواتِي     تَجلُبُ الغَيْثَ مثلُ حَمْدِ الغُيومِ

---

(١) ديوان دعبل بن على : ص ١٩٣ وانظر تخريجه هناك ، وقد سبق البيت فى ١ : ٧٠ ، وجاء فى أخبار أبى تمّام « أن دعبلًا قال : كان أبو تمّام يتتبع معانىّ فيأخذها ، « وذكر الأبيات » ، فقال له رجل فى المجلس : والله لئن كان أخذ المعنى وتبعته فما أحسنت ، وإن كان أخذه منك لقد أجاده ، فصار أولى به منك ، فغضب دعبل وقام » . « أخبار أبى تمّام للصولى ص ٦٤ » .

(٢) ديوانه ٤ : ٢٠٧٢ .

(٣) فى الأصل : « مدحى » ، والتصحيح من ديوانه ومن س .

(٤) س : « إلىّ صنيعة » .

(٥) س : « فسمع والقائل ... » .

(٦) س : « ومنك » .

(٧) تعليق الآمدى السابق سبق - بنصه تقريبا - فى ١ : ٣٧٠ ، وفى س : و « أغرب » .

فلو كانَ [ أبو تمّام ](١) أوردَ هذا المعنى ، كانَ البحتريُّ(٢) سارقاً منه لا محالة .

وقال البحتريّ(٣) :

يُشَفِّعُنِى فيما يَعِزُّ وجُودُه ... ويَمْهَدُ لِى عند الرِّجالِ وَيَشْفَعُ(٤)

سُرَىٰ الغيثِ يُرْوِى غُزْرُهُ حيث يَنْبَرِى ... وتَتْبَعُــهُ أُكْــلاؤُهُ حيــنَ يُقْلِــعُ(٥)

وهذا أيضاً تمثيلٌ فى غاية الحسن والصّحة ، وهو نحوُ قولِ ابنِ مُطَيْرٍ(٦) :

فتًى عِيشَ فى معروفِهِ بعد مَوْتِهِ ... كما كانَ بعدَ السَّيلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا(٧)

وعلى هذا الحذو أيضا حذا البحترىّ فى وصف قصيدته فقال(٨) :

فقد أَتَتْكَ القوافى غِبَّ فائِدةٍ ... كما تَفَتَّحَ غِبَّ الوابِلِ الزَّهَرُ

وقال البحترىّ(٩) :

لَمْ يَأتِ جُودُك سَابِقًا فى سُؤْدَدٍ ... إلّا وجَاهُكَ للعُفـاةِ رَدِيفُـهْ

غَيْثَانِ إن جَدْبٌ تَتَابَعَ أَقْبَلا ... وهُما رَبيـعُ مُؤَمِّـلٍ وخَرِيفُـهْ

---

(١) فى الأصل : « البحترىّ » والتصحيح من س .

(٢) ساقطة من س .

(٣) ديوانه ٢ : ١٢٧١ .

(٤) ديوانه « فيشفع » .

(٥) ديوانه و س : « حين ينبرى » .

(٦) الحسين بن مطير بن مكمل ، مولى لبنى أسد بن خزيمة ، ومن مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، شاعر مقدم فى القصيد والرجز ، فصيح مدح بنى أمية وبنى العباس ، كان زيّه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية ، وذلك بيّن فى شعره ، مدح معن بن زائدة ثم رثاه بقصيدة منها بيته هذا . « خزانة الأدب ، ٥ : ٤٧٥ ، معجم الأدباء ١٠ : ١٦٦ » .

(٧) فى الأغانى « ممرعا » ١٥ : ١١٠ ، والبيت من قصيدة يرثى فيها معن بن زائدة وفيها يقول :

أَلِمّا على معنٍ وقُولا لِقَبْرِه ... سقتكَ الغَوادِى مَرْبَعًا ثم مَربعا

فياقبرَ مَعْنٍ أنتَ أولُ حُفْرةٍ ... من الأرض خُطَّتْ للمكارم مَضْجَعا

ويا قَبرَ مَعْنٍ كيف واريتَ جُودَه ... وقد كان منه البَرُّ والبَحْرُ مُتْرعا

وكنتَ لدارِ الجودِ يامعنُ عامرا ... وقد أصبحتْ قَفْرا من الجُودِ بَلْقعا

(٨) ديوانه ٢ : ٩٥٨ وسقطت فى س « فقال » .

(٩) ديوانه ٣ : ١٤٢١ .

وقال البحتريُّ أيضا[١] :

« أبا عيسى » وأنتَ المَرْءُ تعلو ... له النَّفسُ الشَريفةُ والقَبيلُ[٢]
وَفَرْتُكَ ، لا هوًى بكَ فى وفُورٍ ... إذا ما حانَ من حَقٍ نُزولُ[٣]
ولكن جاهُ ذى خَطَرٍ شَرِيفٍ ... أراهُ وَهْوَ من جُودٍ بَديلُ
إذا ما القَولُ عادَ لنا بِطَوْلٍ ... فَفَيْضٌ من فَعالِكَ ما نَقُولُ[٤]

وقال فى المهتدى وابنهِ العبّاس[٥] :

وإنِّى أرْتَجِيكَ وأرْتَجِيهِ ... لديكَ لِنائِلٍ بكَ مُسْتَفَادِ
وأقربُ ما يَكونُ النُّجْحُ يَومًا ... إذا شَفَعَ الوجيه إلَى الجَوادِ

وقال فى حَمُولة[٦] :

خَطَبْنَا إليه قَوْلَه غِبَّ فِعْلِهِ ... ومن يَفْعَلِ المَعروفَ فَهْوَ يَقُولُ[٧]
وما عائِدٌ من جَاهِهِ بعد جُودِهِ ... بِمُبْعِدِه من أنْ يُنَالَ جَزِيلُ[٨]

---

(١) ديوانه ٣ : ١٨٢١ وفى س : « وقال أيضا » وأبو عيسى هو العلاء بن صاعد .

(٢) س : « والقبول » .

(٣) فى الأصل : « وقربك » ... « وقوف » والتصحيح من ديوانه ، وفيه « إذا ما كان » .

(٤) ديوانه « ماتقول » ، « فقبض » بالموحدة التحتية ، وهى أصح لرواية الموازنة « مانقول » .

(٥) كذا فى الأصل وصوابه « المستعين » ومما يعزز هذا أن البحترى يذكر قتل « أوتامش » وكاتبه « شجاع » فى أول القصيدة :

وعَرَّفَتِ الليَّالى فى « شُجَاعٍ » ... و « تَامشَ » كَيف عاقِبَةُ الفَسادِ

وهذا حدث سنة ٢٤٩ فى خلافة المستعين « الطبرى ٩ : ٢٦٣ » ، وفى سنة ٢٥٠ أُجْلِسَ العباسُ بن أحمد بن محمد ، « وهو العباس بن المستعين » ، وعُقِدَ لَهُ وقد ذكر هذا البحترى فقال :

لِيَهْنِكَ فى ابنك « العباس » هَدْىٌ ... تَبَيَّنَ من رَشيدِ الأَمْرِ هَادِ
أقَمْتَ بهِ ، ولم تَأْلُ أختيارا ... سبيلَ الحَجِّ فينا والجِهادِ

« وانظر الطبرى ٩ : ٢٧٦ وديوانه ١ : ٥٢٤ » .

(٦) ديوانه ٣ : ١٨٣٣ ، وحمولة هو : أبو العباس حمولة وزير أبى دلف « الفهرست ص ٢٤٠ » .

(٧) عبث الوليد ص ١٩٨ « يفعل الإحسان » وقال : « الوجه جزم « يفعل » لأن الفاء تدلّ على الجزاء ، والرفع جائز ..... » .

(٨) فى الديوان : « وما ساعةٌ ... بِمُبْعِدَةٍ ... » .

أراني حقيقاً أنْ أؤولَ إلى الغِنَى ... إذا كانت الشُّورىٰ إليكَ تؤولُ

وقال :(١)

وهَبْتَ لنَا العِنايَةَ بَعدَما قَدْ ... نَراهَا عنـد أقـوامٍ تُبَـاعُ

ولم يُحْظَرْ عَلَيْنا الجَاهُ حتَّى ... جَرَتْ عَنه المَذانِبُ والتِّـلاعُ(٢)

فَفِعْلُكَ إن سُئِلْتَ لنا مُطِيعٌ ... وقَوْلُكَ إن سأَلْتَ لنَا مُطَاعُ

وقال :(٣)

ولمّا الْتَمسْتُ جَاهَه جاءَ تَالِيًا ... لِمُسْتَسْلِفٍ من سَبْقِ مَوْهُوبِ مَالِهِ(٤)

ولَسْتَ خَليقًا بانتِفَاعٍ ترومُهُ ... بِقَوْلِ امْرِئٍ لَمْ تَنْتَفِعْ بِفَعَالِهِ

وقال :(٥)

ظَنَنْتُ بِهِ التى سَرَّتْ صَديقِى ... فكان الظَّنُّ قُدّامَ اليَقينِ

وكُنْتَ إليه فى وَعْدٍ شَفيعى ... فَصِرْتَ إليه فى نُجْحٍ ضَمينِي(٦)

وما وَلِىَ المَكارِمَ مِثْلُ خِرْقٍ ... أغرَّ يرىٰ المَواعِدَ كالدُّيـونِ

وقال:(٧)

راشنَا أمسِ جَاهُهُ ، وثَنَى اليَوْ ... مَ لنَا بالرِّيَاشِ أجْمَعَ مَالُهْ(٨)

كانَ مَعْروفُهُ المُقَـدَّمُ قَوْلاً ... فقفَـا القَـوْلَ من قَريبٍ فعالُـهْ

---

(١) ديوانه ٢ : ١٢٤٦ .

(٢) ديوانه : « تَحْظِرْ » بالبناء للمعلوم .

(٣) ديوانه ٣ : ١٨٤٥ .

(٤) ديوانه : « لانتفاع » ، و « لستُ » بضم التاء ، و « يَنْتَفِعْ » ، والصواب رواية الموازنة .

(٥) ديوانه ٤ : ٢٢٦٩ .

(٦) فى الأصل : « أولى » والخِرْق : هو الفتى الكريم خليقة ، المتخرق فى الكرم .

(٧) ديوانه ٣ : ١٨٢٩ .

(٨) الأصل : « فَقَفَا اليوم » .

[ قد تَصَّرَفَ البحتريُّ فى هذا البابِ تَصرُّفاً جميلا ، وأحسنَ كُلَّ الإحسانِ فى قوله :

« إذا شفع الوَجيهُ إلى الجَوادِ »

ولولا قولُ أبى تمّام :

« فلَقَيْتُ بين يَديْكَ حُلوَ عطَائِهِ »

لَفضَّلْتُهُ على أبى تَمَّامٍ ، ولكنّى أُجْعَلُهما مُتكافِئَيْنِ(١) ] .

* * *

(١) زيادة من س .

## ذكر ما استنه الكريمُ فى النّاسِ من الكرم (١)

قال أبو تمّام (٢) :

أَيْقَظْتَ نُوّامَ الكِرام بحادثٍ لِنَداكَ أَظْهَر كَنْزَ كُلِّ كَرِيمِ (٣)

ولَقَد نَكونُ ولَا كريمَ نَنالُهُ حتّى نَخُوضَ إليه أَلْفَ لَئِيمِ

وسَنَنْتَ بالمَحْمُودِ من أَثَرِ النَّدىٰ (٤) سُنَنًا شَفَتْ من دَهْرِنَا المَذْمُومِ

وُسِمَ الورَىٰ بِخَصاصَةٍ فَوَسَمْتَهُ بِسَماحَةٍ لَاحَتْ علىٰ الخُرْطُومِ

وهذه معانٍ جِيادٌ (٥) .

وقال (٦) :

أَوَلَيْسَ عَمْرٌو سنَّ لِلنَّاسِ النَّدىٰ حَتَّى اشْتَهَيْنَا أن نُصِيبَ بَخِيلا ؟

---

(١) س : « ما استنه الكريم من سنن الكرام » .

(٢) ديوانه ٢ : ٤٤٦ والتبريزى ٣ : ٢٦٧ .

(٣) ديوانه والتبريزى و س :

« أَيْقَظْتَ لِلْكَرَمِ الكِرامَ بِنَاطِقٍ لِنَداكَ أَظْهَرَ كَنْزَ كُلِّ قَدِيمِ »

(٤) ديوانه والتبريزى : « فسننت » ، والتبريزى : « بالمعروف » .

(٥) س : « جيدة » .

(٦) ديوانه ٢ : ٢٩٦ والتبريزى ٣ : ٧١ ، عمرو : هو أبو المملوح نوح بن عمرو بن حُوَيّ بن ماتع السّكسكى ، من ولد السكاسك بن أشرس بن كندة ، ولهم ثروة عظيمة بالشام ، وهو بيت « لهيا » بقرب دمشق ، وحُوَيٌّ هو قاتل عمّار بن ياسر رضى الله عنه « جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٣١ – ٤٣٢ » .

٧٢ أ / ومازَالَ النَّاسُ يَسْتَقْبِحونَ هذا اللَّفظَ والمعنَى[(١)] ، وإنما سَمِع أبَا نُواسٍ[(٢)] قال :

سَنَّ لِلنَّاسَ النَّدىٰ فَنَدَوْا ... فكأنَّ البُخْلَ لَمْ يَكُنِ

فأَخَذه وأَفْسَدَهُ بِشَهْوَتِهِ أنْ يصيبَ بَخيلا .

وقال[(٣)] :

أرىٰ النَّاسَ مِنْهاجَ النَّدىٰ بعدما عَفَتْ ... مَهايِعهُ المُثْلَىٰ ومَحَّتْ لَواحِبُهْ

ففى كُلِّ شرقٍ فى البِلادِ ومَغْربٍ[(٤)] ... مَواهِبُ لَيْسَتْ مِنهُ وهْىَ مَواهِبُهْ

وهذا مَعنى حَسَنٌ جِدًّا ، ومِثْلهُ قوْلُ البُحْتُرِيِّ[(٥)] :

رَغَّبْتَ قوماً فى السَّماحِ ، وأَيْنَ هُمْ ... إنْ سَاجَلُوكَ من السِّماكِ الأَعْزَلِ

سَامَوْكَ من حَسَدٍ فَأَفْضلَ مِنْهُمُ ... غَيْرُ الجَوادِ ، وجَادَ غَيْرُ المُفْضِلِ

فَبَذَلْتَ فِينا ما بَذَلْتَ سَماحَةً ... وتَكَرُّمًا وبَذَلْتَ مَالَمْ تَبْذُلِ[(٦)]

قولُهُ : « وجَادَ غَيْرُ المُفْضِلِ » أى : صَار جَوادًا من لَمْ يَقْدِرْ على الإفضالِ ، وقولُهُ : « وبَذَلْتَ مالَمْ تَبْذُلِ » أى : لمَّا سَامَاك حُسَّادُك فَسمَحُوا وبَذَلُوا ، كانَ ذلك البَذْلُ كأنَّهُ مِنْكَ ، وإن لم تَكُنْ بَذَلتَهُ على الحَقيقةِ ، فهذا مَعنى قَولِ أبى تَمّامٍ :

فَفى كُلِّ شَرْقٍ فى البِلَادِ ومَغْرِبٍ ... مُواهِبُ لَيْست مِنهُ وَهْىَ مَواهِبُهْ

---

(١) س : « يستقبحون القول بهذا اللفظ » .

(٢) ديوان أبى نواس ٤١٣ .

(٣) ديوانه ١ : ٢٩٥ وشرح التبريزى ١ : ٢٢٨ .

(٤) فى ديوانه والتبريزى : « ففى كل نجد فى البلاد وغائر » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٧٩٧ .

(٦) ديوانه : « يُبْذَلِ » بالبناء للمجهول .

وقال البحترىّ[1] :

كَمْ سَرِىٍّ تَقَيَّلَ السَّرْوَ عَنْهُمْ    واشْتِبَاهُ الأَفْعَالِ عَدْوىٰ وإِلْـفُ !

وقال[2] :

أقَامَ به فى مُنْتَهىٰ كلّ سُؤْدَدٍ    فَعالٌ أقَامَ النَّاسَ دوُنَ مناَلِهِ[3]

فإن قَصَّرَتْ أكْفَاؤُهُ عن مَحَلِّهِ    فإِنَّ يمينَ المَرءِ فَوقَ شِمَالِهِ

وما أحسنَ ما قالَ دِعْبِلٌ[4] :

عَلَّمَ الجَرْىَ فى السَّمَاحَةِ حتَّى    قَدْ جَرىٰ فى السَّماح كُلُّ بليد

رَأْيُهُ للخُطُوبِ والسَّيفُ لِلْمَضْـ    ـرِبِ[5] وَقْـفٌ والمَـالُ للتَّبْديـدِ

[ هُما فى هذا البَابِ مُتكافِئان ، لأَنَّهمُا رَكِبَا معَنىً قد تَقدَّم النَّاسُ فيهِ ، وهو من المعانى المشتركة[6] ] .

* * *

(١) ديوانه ٣ : ١٣٧٣ ، وفيه « واشتباه الأخلاق » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٦٢١ .

(٣) ديوانه : « دون امتثاله » و س : « مثاله » .

(٤) لم أجدهما فى ديوانه ، ولم أقف عليهما فيما بين يدىّ من مراجع .

(٥) س : « للمضروب » .

(٦) زيادة من س .

## فى اعتذار الجواد بعد العطاء

قال أبو تمّام[(١)]:

لَهُ كَرَمٌ لو كان فى المَاءِ لم يَغِضْ وفى البَرقِ ما شَام امرؤٌ بَرقَ خُلَّبِ

٧٤ ب / أخو أَزَمَاتٍ بَذْلُه بَذْلُ مُحْسِنٍ إلَيْنَا ولكن عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنِبِ

أزماتٌ : شدائِدُ وجَدْبٌ .

وقال[(٢)]:

يُعْطِى عطاءَ المُحْسنِ الخَضِلِ النَّدىٰ عَفْواً ويَعْتـذرُ اعتِـذَارَ المُـذْنِبِ

هذا من قولِ دِعبلٍ[(٣)]:

فتًى يَعْتَفِـيكَ بإنْعَامِـهِ كما تَعْتَفِيكَ يَدُ الطَّالِبِ

ويُعْطِيكَ مُعْتذِراً فوقَ ما تُؤَمِّلُهُ رغبـةُ الـرَّاغِبِ

فَتَحْوى مَواهِبَهُ جَمَّـةً وأَنْتَ بِمَنْزِلَـةِ الـوَاهِبِ

---

(١) ديوانه ١ : ٢٤٦ ، والتبريزى ١ : ١٥٢ .

(٢) ديوانه ١ : ٢١٨ ، والتبريزى ١ : ١٠١ .

(٣) لم أجدها فى شعره المجموع ، ولم أقف عليها بعد .

وهذا من قولِ زُهَيرٍ[١] :

كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الذى أَنْتَ سَائِلُهْ

وأمّا البحتريُّ فإنّه قالَ فى الطّائى[٢] :

أَيَّدُ الأَعباءِ لو حَمَّلَهُ سائِلو القَومِ « ثبيراً »[٣] لَحَمَلْ
سَاحَةٌ إنْ يَعْتَمِدْهَا يَعْتَرِفْ نَاشِدُ السُّؤْدَدِ فيها ما أضَلْ
حَيثُ لا تُبلَى المعاذيرُ ، ولا يَطَأُ[٤] اليأسُ على عَقْبِ الأَمَلْ

ولكن لم يُردِ البُحتريُّ بالمعاذيرِ ، الاعتذارَ الذى يقَعُ مع العَطاءِ[٥] على نحوِ ماذهب إليه أبو تمّام ، ولكنَّ قولَهُ :

أَيَّدُ الأَعباءِ لو حَمَّلَهُ سائِلو القَومِ ثَبِيراً لحَمَلْ[٦]

يَنفِى عنه الاعتذارَ على كلِّ حَالٍ .

وكلاهما أَحسنَ ، وأبو تمّامٍ فيما ذَهَبَ إليه أشعرُ .

---

(١) ديوان زهير بن أبى سلمى ص ١٤٢ .
وصــدره :

تَراهُ إذا مَا جِئْتَهُ مُتهلّلا

وفى س : « معطيه » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧١٤ والطائىّ هو : أحمد بن محمد الطائى : أحد القادة الأمراء ، ولاه المعتمد الكوفة وسوادها ، وفى سنة ٢٧١ عقد له على المدينة وطريق مكة ، وفى سنة ٢٧٢ تصدى لثورة العامة فى سامراء بسبب غلاء الأسعار ، وفى سنة ٢٧٥ تغلبّ على « فارس العبدى » الذى تصعلك وعاث فى سامراء ، وفى نفس السنة أمر أبو أحمد بن الموفق بتقييد الطائىّ وحبسه ، وكان يلى الكوفة وسوادها وطريق خراسان والشرطة ببغداد وخراج بادوريا وقطربل ، وفى سنة ٢٨١ توفى ودفن فى مسجد السهلة ، « الطبرى ٩ : ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ١٠ : ٨ ، ١٠ ، ١٤ ، ٣٦ ، المنتظم لابن الجوزى ٥ : ٨٠ » .

(٣) « ثبير » اسم جبل . وجمعه : أثبرة وهى جبال معروفة المواضع « انظر : معجم ما استعجم ١ : ٣٣٦ » .

(٤) س : « الناس » تصحيف .

(٥) س : « العطايا » .

(٦) « ثبيراً لحَملْ » ساقطة من س .

## وهاهنا بابٌ آخر فى الاعتذار للجواد من تأخر عطائه

قال أبو تمّامٍ[1]:

علىٰ أيِّ أحوالٍ مَضَيْتُ فشَاكِرٌ ... لِما كَان من بِرِّ الأَمِيرِ وعَاذِرُ
فإن صَدقَ البَرقُ الذى شِمْتُ عَارِضًا ... فلا عَجَبٌ من أن تَجودَ المَوَاطِرُ
وإن عاقَتِ الأَسبابُ فالبَحْرُ رُبَّما ... تمَنَّعَ مِنْهُ جَانِبٌ وهو زَاخِـرُ

وهذا مِثْلُ قول أبى ذُفَافَةَ المصرىّ[2]، أحد شعراء البرامكة :

أَنْتَ الرَّبيعُ الذى تَحيا الأنامُ بِهِ ... كلٌّ يعيشُ بفَضْلٍ منك مَقْسومِ[3]
وما السَّحابُ إذا ما انجابَ عن بَلَدٍ ... وحـانَ ميقَاتُـهُ فيـهِ بِمَذْمُـومِ[4]
/ إن جُدْتَ فالجُودُ أَمْرٌ قد عُرِفْتَ بِهِ ... وإن تَجَافَيْتَ لم تُنْسَبْ إلى لُومِ[5]

---

(١) لم أجد الأبيات فى دواوينه المطبوعة والمخطوطة .

(٢) س : « البصرى » ، وقد ورد ذكره فى « تتمة يتيمة الدهر » للثعالبى ص ٤٥ ، وروى بعض أبيات له ، ومنها بيتان من الأبيات الثلاثة التى وردت هنا ، وهما الثانى والثالث ، والأبيات رويت فى المنتحل للثعالبى « الاسكندرية ١٩٠١ ص ٦٠ » منسوبة للبحترى ، ولهذا أثبتها محقق الديوان فى ملحق الديوان ٤ : ٢٦٦٣ .

(٣) س : « يحيا » .

(٤) س والمنتحل : « انحاز » ، « وجاز ميقاتُهُ » وفى تتمة اليتيمة : « ولم يلمّ به يوما بمذموم » .

(٥) فى تتمة اليتيمة : « فالجود شئ » ، و « وإن تَحَافَيْتَ لم تُنسبْ إلى اللُّوم » .

وهذا حَسَنٌ جدًا ، وأظُنُّ أبا تمام عليه حذا .

وقد تقدَّمَ ابن هَرْمَةَ[(١)] فى هذا المَعنى ، فقال فى المَنْصورِ :

يجودُ إذا ما صادفَ الجودُ حقَّهُ ... ويبخلُ أحيانًا فيُعْذَرُ بالبُخْلِ[(٢)]

وقال المتوكِّلُ لعبدِ الأعْلىٰ بن حمَّادٍ النَّرْسىِّ[(٣)] : إنى أُريدُ أن أُبَرَّكَ فيَمْنَعُنى مِن ذلك النِّسْيانُ ، فقالَ : أحسن اللهُ – يا أميرَ المؤمنينَ – عن هذه النِّيَةِ جَزاءَك ، ألاَ[(٤)] أُنْشِدُكَ فى هذا المعنى ؟ ، قال : هاتِ ، فأنشَدَهُ[(٥)] :

لأَشكُرَنَّكَ معروفًا هَمَمْتَ بهِ ... إنَّ اهتِمامَكَ بالمَعْروفِ مَعْروفُ

ولا ألومُكَ إذ لم يُجْرِهِ قَدَرٌ ... فالشىءُ بالقَدَرِ المَحْتُومِ مَصْروفُ[(٦)]

وقال عُمارةُ بن عَقيلٍ[(٧)] فى خَالدِ بن يزيد :

---

(١) فى الأصل : « وقد تقدم قول ابن هرمة » والتصحيح من س .

(٢) لم أجد البيت فى ديوانه المجموع ، غير أنَّ فيه جملة أبيات قالها فى المنصور من نفس الوزن والقافية ، ويبدو أنَّها تؤلف جزءا من قصيدة طويلة فى مدح المنصور العباسى « ديوان ابن هرمة ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، والموازنة ٢ : ٣٣٤ » .

(٣) عبد الأعلى بن حماد الباهلى المعروف بالنَّرسىِّ ، و « نرسٌ » لقبٌ لجَدهِ لَقَّبته به النَّبَطُ ، وكان اسمُهُ « نَصْراً » فقالوا : نرس ، سكنَ بغدادَ مدة ، وحَدَّثَ بها عن مالك بن أنس ، وحماد بن سلمة ، ووهب ابن خالد ، وغيرهم ، وروى عنه أبو يحيى صاعقة ، والبخارى ومسلم فى صحيحهما وغيرهم ، توفى فى بغداد سنة ٢٣٧ « تاريخ بغداد ١١ : ٧٥ » .

(٤) الأصل : « إلاّ أنى أنشدك » .

(٥) ( قال هات ) ساقطة من س .

(٦) س : « إن لم » . عيون الأخبار ٣ : ١٦٥ ونهاية الأرب ٣ : ٢٤٥ ، وبهجة المجالس ١ : ٣١٦ ، وجذوة المقتبس ١٢٩ ونسبهما لابن عائشة ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ٣٥٢ وفيه : « إذ لم يمضه قدر » ، وتاريخ بغداد ١١ : ٧٥ « ولا ألومك إن لم يمضه قدر » ووفيات الأعيان ١ : ٤٧٧ « إن لم تمضه قدرا » والمستطرف للأبشيهى ١ : ٢٣٧ .

(٧) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الخطفى ، ويكنى أبا عقيل ، شاعر مقدم فصيح ، وكان يسكن بادية البصرة ، ويزور الخلفاء فى الدولة العباسية ، فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكلّ فائدة ، وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة ، وقال العلماء : جاء عمارة بن عقيل على ساقة الشعراء « الأغانى ٢٠ : ١٨٣ ، وأخبار أبى تمّام ٦٣ ، ومعجم الشعراء ٧٨ وتاريخ بغداد ١٢ : ٢٨٢ ، وطبقات ابن المعتز ٣١٦ » .

وخالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ، القائد المشهور ، ولاه المأمون الموصل ، ثمّ زاده ، ديار ربيعة كلها ، ولما انتقض أمر أرمينية فى أيام الواثق جهز خالدا إليها ، فاعتلَّ ومات فى الطريق سنة ٢٣٠ ، وكان جوادًا شجاعًا ، وأولاده أيضا كانوا قوادًا ، اتصلت الرئاسة فيهم أول أيام مروان بن محمد ، ثمّ جميع دولة بنى العباس إلى آخر أيام المعتضد . « جمهرة أنساب العرب ٣٢٦ ، ووفيات الأعيان ١ : ٧٨ ، ٦ : ٣٤١ ، والأغانى ٢٠ : ١٨٦ ، والبيان والتبين ١ : ٣٤٢ » .

أأتْرُكُ إن قَلَّتْ دَراهِمُ خَالِدٍ زِيارَتَــهُ إنِّــى إذًا لَلَئِيــمُ[١]
وقد يُسْلِعُ المرءُ اللَّئِيمُ اصْطِنَاعَهُ وَيعْتَلُّ نَقْدُ المَرءِ وهو كَرِيمُ

« يُسْلِعُ » أىْ تَكْثُرُ سِلْعَتُهُ[٢].

وقال أبو تمّام[٣]:

وكنتُ أعلَمُ عِلْمًا لاكفَاءَ لَه أن لَيْسَ كلُّ قِطَارٍ يُنْبِتُ العُشُبَا
وربَّما عَدلَتْ كَفُّ الكَرِيمِ عن الـ ـقَومِ الحضُورِ ونَالَتْ مَعْشَرًا غَيَبَا

وقال البحترىّ[٤]:

وما مَنعَ الفتحُ بنُ خاقَانَ نَيْلَهُ ولكِنَّها الأقدارُ تُعْطِى وتَحْرِمُ
سحابٌ خطَانِي جُودُه وهو مُسْبِلٌ وبَحْرٌ عدانى فَيْضُهُ وهو مُفْعَمُ
وبَدْرٌ أضَاءَ الأرضَ شرقًا ومَغْرِبًا ومَوْضِعُ رِجْلِى مِنْهُ أسوَدُ مُظْلِمُ
أأشكو نَدَاهُ بعدَما وَسِعَ الوَرَى ومن ذَا يَذُمُّ الغيثَ إلّا المُذَمَّمُ[٥]

[ هما فى هذا الباب أيضا متكافئان ، لأنَّ المعنى الذى رَكبَاهُ مشترك ][٦] .

---

(١) الكامل : ١ : ٣١٣ ، والبيت الأول من دلائل الإعجاز ص ١١٧ ، والمستظرف للأبشيهى ١ : ١٦ ، والثانى فى الأغانى ٢٠ : ١٨٧ .

(٢) جاء فى الكامل : « مَنْ رَفَعَ « المرء » نصب « اصطناعه » ومن نصب « المرء » رفع « اصطناعه » ، وأما على تفسير أبى العباس فَينَصْبِ « اصطناعه » لا غير » .

وقال المرصفى فى « رغبة الآمل ٣ : ١٨٦ » : « اصطناعه » كذا وقعت هذه الكلمة ، وهى تحريف من الناسخ ، والصواب « اضطباعه » بالضاد المعجمة والباء الموحدة ، مصدر « اضطبع الشئ » ، أدخله تحت ضبعيه ، وهما عضداه ، كنى بذلك عن شحه وبخله ، فأما « الاصطناع » وهو إسداء المعروف فغير مناسب هنا .

« ومن رفع المرء ... الخ » هذا الاحتمال سائغ لو كان الفعل متعديا ، ولم يثبت عندنا ، وتفسير أبى العباس صريح فى أنه لازم ، وأنّ « اضطباعه » بالنصب مفعولا لأجله » .

(٣) ديوانه ١ : ٢٩٨ والتبريزى ١ : ٢٣٦ .

(٤) ديوانه ٣ : ١٩٧١ .

(٥) ديوانه و س : « إلّا مذمم » ، وقد سبق البيت برواية الديوان فى ١ : ٣٢٨ .

(٦) ما بين القوسين زيادة من س .

## ذكر كتمان الجواد لنائله (١)

قالَ أبو تَمّامٍ فى الفَضْلِ بنِ صَالِحٍ الهاشَمِىِّ (٢) :

سُمَيْدعٌ يَتَغطَى من صَنائِعِه      كما تَغطَّتْ رِجالٌ من فَضائحِها (٣)
وفَأْرَةُ المِسْكِ لايُخْفِى تَضوُّعَها      طولُ الحِجابِ ولا يُزْرِى بِفَائِحِها (٤)

وهذا غايةٌ فى الحُسْنِ والحَلاوَةِ .

وقالَ فى ابن الهَيْثَمِ (٥) :

عُرْفٌ غَدا ضَرْبًا نَحيفًا عندَهُ      شُكْرُ الرِّجالِ وإنَّهُ لَجسيمُ
أَخْفَيْتَهُ فَخَفَيْتُهُ وطَوَيْتَهُ      فَنَشرْتُهُ والشَّخْصُ منهُ عَمِيمُ (٦)

---

(١) « ذكر » ساقطة من س .

(٢) ديوانه ١ : ٢٧٠ والتبريزى ١ : ٣٥٢ والفضل بن صالح هو : الفضل بن صالح بن عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس ، من أحفاد عبد الملك بن صالح وكان فى أيام الرشيد جليل القدر جدا ، وفى غاية الرفعة والتصاون ، ونكبه الرشيد وحبسه سنة ١٨٧ « انظر الطبرى ٨ : ٣٠٢ ، وجمهرة النسب ص ٣٦ » ، واتهم الفضل بن صالح بأنه قتل أخاه عبد الله بن صالح وتزوج جاريته أتراك ، وأبو تمّام يدفع عنه هذه التهمة « انظر ديوانه ١ : ٣٧٠ والتبريزى ١ : ٣٤٤ ، ٣٥٣ ، والنظام لابن المستوفى جـ ١ لوحة ٢٧٠ دار الكتب » وفى الأصل : « بن صلح » .

(٣) السميدع : الشجاع السيد الكريم .

(٤) فى الأصل « لاتخفى » ، والتصحيح من الديوان والتبريزى .

(٥) ديوانه ٢ : ٤٢٢ والتبريزى ٣ : ٢٩٢ .

(٦) الأصل : « غميم » بالغين المعجمة ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى وفيه : العميم : التام .

جودٌ مَشَيْتَ به الضَّرَّاء تَواضُعاً وعَظُمْتَ عن ذِكْرَاهُ وهو عَظِيمُ

وهذا جَيِّدٌ بالِغٌ .(١)

« والضَّرَّاءُ » ماواراك من شَجَرٍ أو غَيْرِهِ ، يقالُ : هو يَمْشى الضَّرَّاءَ أى يسْتُرُ ما يَفْعَلُهُ ولا يُجاهِرُ بِهِ ، يُرِيدُ أنَّه يَفْعَلُ الجَميلَ فى سِتْرٍ(٢) لِيَكونَ أبعَدَ من الامتِنانِ .(٣)

وقال فى مالك بن طوق :(٤)

[ وصَنيعَةٍ لَكَ قد كَتَمْتَ جَزيلِهَا فأبى تَضَوُّعُها الذى لايُكْتَمُ ]

مَجْدٌ تَلوُحُ حُجُولُهُ وفَضِيلَةٌ لك سَافِــرٌ والحقُّ لايَتَلَثَّـــمُ(٥)

وهذا معنًى لا يُسْمَعُ ألطَفُ ولا أَحسَنُ منْهُ.(٦)

وقد قال دعبل:(٧)

إذا انْتَقَمُوا أعْلَنُوا أَمْرَهُمْ وإن أَنْعَمُــوا أَنْعَمُوا باكْتِتَــامِ(٨)

تَقــوُمُ القُعــودُ إذا أَقْبَلُــوا وتَقْعُــدُ هَيْبَتُهُـــم بالْقِيَـــامِ

وهذا لعَمْرِى حَسَنٌ ، وأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُهُ(٩) :

---

(١) س : « وهذا أيضا » .

(٢) س : « ستره » .

(٣) فى التبريزى ٣ : ٢٩٣ « ابن السكيت : هذه الكلمة فى الأضداد ، وزعم أنه يقال : مشى الضَّرَّاءَ ، إذا أظهر أمره » .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٦١ والتبريزى ٣ : ٢٠١ ، وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٥) التبريزى : « تلوح فضوله » ومالك بن طوق التغلبى : صاحب الرحبة ، أحد الأشراف الأجواد ، ولى إمرة دمشق للمتوكل وهو الذى بنى الرحبة التى على الفرات وإليه تنسب توفى سنة ٢٥٩ « النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢ ، فوات الوفيات ٢ : ٢٩٤ ، الفرج بعد الشدة ٢ : ٣٦٠ » ، وفى س : « يتثلم » .

(٦) س : « لاتسمع ألطف منه ولا أحسن » .

(٧) ديوان دعبل المجموع : القسم المنسوب إلى دعبل ص ٤٢١ .

(٨) « وأعلنوا » ساقطة من س .

(٩) لم أقف على البيتين ، ولم أجدهما فى ديوانه .

يَهوىٰ اقْتِرَابَكَ كلُّ طَالِبِ حَاجَةٍ كَرَمًا كما يَهْوىٰ الطَّبِيبَ المُدْنَفُ
وإذا صَنْعتَ صَنيعَةً أُنسِيتَها وذَكَرْتَ مَوعِدَكَ الذى لَايُخْلَفُ

ولَهِجَ النَّاسُ بقول الخُرَيْمِىِّ[1] ، وأعرضوا عما سواه وهو يَسْتَحِقُّ ، وذلك قوله :

زادَ مَعْروفَك عندى عِظَمًا أَنَّهُ عِندَكَ مَسْتُورٌ حَقيرُ
تَتنَاسَاه كأنْ لَمْ تَأتِهِ وهو عند النَّاسِ مَشْهورٌ كَبيرُ

وقال مُنْقِذُ الهِلالىُّ[2] :

فإنّ إحياءَهــا إماتَتُهــا وإنَّ مَنًّا بِهَا يُكَدِّرُها

وقال أبو البَصيرِ جَهْمُ بنُ عَبدِ المَلِك[3] – أَظُنُّه السَّوَّاقَ مولىٰ المَهالِبَةِ[4] – :

أَمْوالُــهُ بين أَخِلَّائِــهِ وفى الوَغىٰ كالأَسَدِ العَادِى
يَكْتم ما يَفْعَلُ من جُودِهِ وقد حدَا فى جُودِهِ الحَادِى

---

(١) هو إسحاق بن حسان بن قوهى ، من العجم ، كان مولى ابن خريم وسمى به ، اتصل بمحمد بن منصور كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح ، وقد عمى بعدما أسنّ ، وهو جميل الشعر ، وقيل هو أشعر المولدين « الشعر والشعراء ٢ : ٨٥٢ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٢٨٨ ، وديوانه ٢٥ » .

(٢) منقذ بن عبد الرحمن بن زياد الهلالى ، شاعر بصرى خليع ماجن ، متهم فى دينه يرمى بالزندقة ، اشتهر فى صدر الدولة العباسية « معجم الشعراء للمرزبانى ٣٣٠ الأغانى الدار ١ : ٣٤٤ ، ١٨ : ١٠١ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١٠٥٢ ، ١١٩٨ » ، والبيت فى البيان والتبين ٣ : ٢٢٧ من ثلاثة أبيات .

(٣) انظر ما سبق ص ١٣٦ ، وسماه هناك « أبو النضر » ، والمعروف هو أبو النضير عمر بن عبد الملك ، وقد ترجمه له صاحب الأغانى « الدار ١١ : ٢٨٥ » ، وقد وردت بعض الأخبار عن « أبى البصير » ، وبعضها أورده صاحب الأغانى عن « أبى النضير » ، والراجح أن تصحيفا وقع فى اسمه .

(٤) وظن الآمدى ليس فى محله فالسواق هو : إبراهيم السواق مولى المهالبة ، كان مقدما فى الشعر ، روى له المبرد بعض أبيات فى مدح بشر بن داود بن يزيد بن قبيصة بن المهلب ، « الكامل ٢ : ٣٠ ، وسماه صاحب العقد الفريد : « إبراهيم السويقى » ونقل حديثا له فى ضُرٍّ نَالَهُ « العقد الفريد ٥ : ٣٧٩ » ، وانظر كتاب البغال « رسائل الجاحظ ٢ : ٢٩٨ » .

وقال أبو قابَوسٍ النَّصرانيُّ (١) :

رأيتُ يحيىٰ أتمّ اللهُ نعمَتَهُ عليه يَأتِى الذى لَمْ يأْتِهِ أُحَدُ

يَنسىٰ الذى كانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أبدًا إلى الرِّجالِ ولا يَنْسَىٰ الذى يَعِدُ

* * *

(١) البيتان فى مدح يحيى بن خالد البرمكى « معجم الشعراء ٣٢ وزهر الآداب ٢ : ٣٧٤ ومرآة الجنان ١ : ٤٢٨ وابن خلكان ٦ : ٢٢٥ » .

بَيتُ أبى تمَّامٍ فى الجُودِ قولُهُ[(١)] :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حتّىٰ لَوَ انَّهُ ... ثَناها لِقَبْضٍ لَم تُجِبْهُ أنامِلُهْ

وبيت البحتريّ[(٢)] :

لايُتْعِبُ النّائِلُ المبذولُ هِمَّتَهُ ... وكيفَ يُتْعِبُ عَينَ النّاظِرِ النَّظَرُ

وهذان المعنيانِ لا غايةَ وراءَهما فى [ الحُسْنِ ][(٣)] وقد وَقَعَت فيهما جَميعًا[(٤)] معارضةٌ من [ أهل ][(٥)] الإعْنَاتِ ، فقيلَ فى بيت أبى تمّام : إنّ الجوادَ لايُعطى مايُعطيه من يدِه[(٦)] ، وإن كانَ فى يدِه شىءٌ يعطِيه فلن[(٧)] يكونَ مَبْسوطَ الكفِّ [ به ][(٨)] لأنّ الكفَّ حينئذٍ تكون فارغةً ، وإنما يَبْسُطُهما للسَّلامِ[(٩)] والمُصَافَحةِ ، لا لِأَنْ يُعْطِى[(١٠)] شيئاً فِيها[(١١)]

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٩ ، وقد سبق فى ١ : ٨٣ .

(٢) ديوانه ٢ : ٩٥٦ .

(٣) زيادة من س .

(٤) س : « مَعاً » .

(٥) زيادة من س .

(٦) س : « يديه » .

(٧) س : « فلم » .

(٨) زيادة من س .

(٩) س : « وإنما هى للسلام » .

(١٠) الأصل : ( تُعطى ) بالاسناد إلى المخاطب .

(١١) ساقطة من س .

وهذه معارضةٌ فى غايةِ الفَساد ، إنما ذهب أبو تمّامٍ إلى المَعْنىٰ المشهورِ المعتادِ فى[1] استعمالِ النّاسِ أن يقولوا : فلان مبسوطُ اليدِ بالمكارمِ ، وسَبْطُ الأنَامِلِ بالخَيْراتِ ، ويقولونَ فى البخيلِ : شَنِجُ[2] الأَصَابِعِ ، وجَعْدُ الكَفِّ ومقبوضُ الكفِّ عن الخيرِ ، وهذا[3] أكثرُ فى كلامِهِم[4] من أن يُحْتَاجَ عليه إلى استشهاد .

وإنما أخرجَ أبو تمّامٍ المعنَى على هذه العادةِ وحذا حَذْوَ مسلم بن الوليد فى قوله[5] :

لا يستطيعُ « يزيدٌ » من طَبيعَتِهِ عن المُروءَةِ والمعروفِ إحْجاما

إلا أنّه كَشَف المعنىٰ ، وأحسَنَ العِبارةَ عنه ، فصارَ أولىٰ به .

وقيل فى بيت البحترىّ : وكيف لا[6] يُتْعِبُ عينَ الناظرِ النَظَرُ ؟ وأنت ترى الإنسانَ أبدًا يُكِبُّ على شىءٍ يَعْمَلُهُ فَتَسْدَرُ[7] عَيْنُهُ ، وخاصّةً[8] الكاتِبُ المُكِبُّ على الكِتَابَةِ ، أو النَاظِرُ فيها[9] ، وهذا أبدًا ترى كلَّ أحدٍ يَشْكُوهُ ، وترى الإنسان يُعْمِلُ طَرْفَهُ فى النَّظَرِ إلى الشىءِ البَعيدِ فَيَسْدَرُ نَاظِرُهُ حتّى لا يرىٰ شيئًا ، فهلْ هذا كُلُّهُ إلّا من إتعابِ العينِ بالنَّظرِ ، وأنت أبدًا تقولُ للمديم الدّراسةِ لِلْكُتُبِ[10] : لاتُتْعِبْ

---

(١) ساقطة من س .

(٢) رجل شَنِجُ الكف : ضيِّقُها ، والشَّنَجُ : تقبض الجلد والأصابع وغيرها .

(٣) س : « وهو » .

(٤) س : « فيه » .

(٥) ديوان مسلم بن الوليد ٦٤ وفيه : « عن المنية » وقد سبق فى ١ : ٨٣ وفى س : « حذا حذو قول مسلم بن الوليد » يمدح يزيد بن مزيد الشيبانى .

(٦) فى الأصل : ( وكيف يتعب عين الناظر النظر ؟ ) والتصحيح من س .

(٧) سدر : لم يكد يبصر .

(٨) فى الأصل : « خاصة » .

(٩) س : « فيه » .

(١٠) ساقطة من س .

عَيْنَك وأَرْفُقْ بِها ، ورَوِّحْ عَنها [ ونحو هذا ](١) .

وهذه أيضا معارضةُ فى غايةِ الفساد ، لأنّ البحتريَّ لم يذهبْ إلى استعمال

٨٢ ب العين وَ(٢)كدّها فى النَّظر إلى الشيءِ الواحد ، لأنّ ذلك / إخراجٌ لها عن(٣) عادتها الطبيعية ، كالكلام الذى إذا أخرجته عن العادة الطبيعية إلى أن ترفعَ به الصوتَ من غِناء أو حداء ، أو خُطبةٍ طويلة أتعبت جميع(٤) الآلات من الحلق ومجارى النَّفَس والفكين(٥) ، وإلّا فالكلام الذى تستعمله فى عاداتك غير متعب ، لأنّك لست تَحْمِلُ على الطبيعة ، إنما تتركُها فيه وعادتَها ، وذلك غيرُ(٦) متعبٍ لها ، فكذلك العين إذا تركتها ونظرَها الطبيعيَّ ، فإن ذلك غيرُ متعب لها ، وكذلك اليدُ والرِّجل وسائر الأعضاء ، وجناحُ الطائر مثله ، وإذا أتعبت اليد بأن تحملَ الشيءَ الثقيلَ ، وأتعبت الرِّجل بالمشى الطّويل ، فقد حملت على(٧) الحركةِ الطبيعية وأخرجتها عن عادتها ، وللطّائر أيضا فى طَيَرانِه حدودٌ محدودَةٌ فى استعمال جناحيه ، ومواقيت موقتة ، فإن لم يسقطْ للاستراحة ، أسْقَطَهُ التعبُ والكدُّ ، فهذا كله أنت تراه مشاهدة ، فإنما ذهب البحتريّ(٨) إلى أنّ عينَ النّاظِرِ لا يتعبها النظرُ الطبيعيُّ(٩) ، الذى جعل البارى تبارك و(١٠)تعالى له مبلغا وقَــدْرًا فيها ليستـــدرك النّاظــرُ به معرفــة ما يُشاهد من الأشياءِ .

---

(١) زيادة من س .
(٢) قوله : « كالكلام .... الطبيعية » سقط من س .
(٣) ساقطة من س .
(٤) س : « عادتك » .
(٥) س : « تحمل فيه على الطبيعية » .
(٦) ساقطة من س .
(٧) س : « والطائر أيضا فى طيرانه له حدود محدودة .... »
(٨) ساقطة من س .
(٩) س : « يستدرك » .
(١٠) س : « ما يشاهده » .

وهذان البيتانِ بيتا الطائيين فى الجود .

وقال بَكرُ بن النَّطّاحِ الحَنفىُّ (١) :

ولَو لَم يَكُنْ فى كَفِّهُ غَيرُ رُوحِهِ     لجَادَ بها فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ

وقد قال مُسْلِمُ بنُ الوليد (٢) :

يجودُ بالنَّفسِ إن ضنَّ البخيلُ بها     والجُودُ بالنَّفْسِ أقصىٰ غايةُ الجُودِ

وهذا البيت هو بيت مسلم فى الجود الذى يُفْتَخرُ له به ، وبيتُ بَكْرٍ أجودُ من هذا لقوله (٣) :

« ولَوْ لَمْ يَكُنْ فى كَفِّه غَيْرُ رُوحِهِ » .

ولقولــــه (٤) :

« ..... فَلْيتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ »

وهذا – لعمرى – إفراط حسن .

وبيتا الطائيّين أجودُ معنى وألطفُ ، لأنّهما لم يَخْرُجا عن طريقة الجُودِ والكَرَمِ ، وهذان البيتان خارجان عَنهما (٥) .

* * *

(١) س : أبو بكر وانظر ترجمته ص ٢٤٢ ، وهذا البيت روى لأبى تمام فى ديوانه ٢ : ٢٠٣ وشرح التبريزى ٣ : ٢٩ وينسب أيضاً لزياد الأعجم ، ولأخت يزيد بن الطثرية . « انظر العمدة ٢ : ٢٨٣ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٣٧٥ » .

(٢) ديوان صريع الغوانى ص ١٦٤ ، وفيه « إذْ أنت الضنين بها » ، وفى س : « إن ضن الجواد بها » .

(٣) الأصل : من هذا القول .

(٤) س : « وقوله » .

(٥) س : « عنها » .

## ومن نوادر باب الجود

قولُ أبى تَمّامٍ فى تَوجُّهِهِ إلى عبد الله بن طاهر[1] :

/ يقول فى قُومَسٍ صحبى وقد أخذَتْ … منا السُّرى وخُطى المَهْرِيَّةِ القُودِ ٨٣

أمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَبْغِى أن تَؤُمَّ بِنَا … فقلتُ كَلَّا ولكن مَطْلِعَ الجُودِ

وهذا مالا نهايةَ لِحُسْنِه ، ولكنَّه[2] نقل هذا المعنى من قول ابن هَرْمَةَ فى وصْفِ امرأةٍ[3] :

تَبدَّتْ لنَا كالشَّمْسِ يوم طُلوعِها … بِلَوْنٍ غَنىٍّ الجِلْدِ عن أَثَرِ الوَرْسِ

فلمّا ارْتَجَعْتُ الطَّرْفَ قلتُ لِصَاحِبى[4] … على مِرْيةٍ : ما هَاهُنا مَطلِعُ الشَّمْسِ

---

(١) ديوانه ١ : ٥٠٠ والتبريزى ٢ : ١٣٦ وفيهما : « تنوى أن تؤمّ بنا » وعبد الله بن طاهر : هو أبو العباس بن الحسين الخزاعى بالولاء ، كان سيدا نبيلا عالى الهمة شهما ، وأحد الأجواد الأسخياء ، تولىّ الشام مدّة ، والديار المصرية مدة ، وتوفى سنة ٢٣٠ « الديارات ص ١٣٢ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٨٣ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٤٨٣ » .

وقال ابن خلكان : « قُومَس » المذكور فى شعر أبى تمّام : بضم القاف وفتح الميم وقيل بكسرها ، أقليم من عراق العجم حدّه من جهة « خراسان » « بسطام » ، ومن جهة العراق « سمنان » هاتان المدينتان داخلتان فى أعمال « قُومَس » ، وكرسىّ « قُومَس » « الدامغان » . وانظر : « معجم البلدان ٤ : ٤١٤ » .

(٢) س : « وأظنه » .

(٣) ديوانه ١٣٤ ، وفيه : « تبدت فقلت : الشمس عند طلوعها » ، وفى س : « عند طلوعها » .

(٤) ديوانه : « لما ارتجعت الروح » ، وقال الشيخ عبد الرحيم العباسى فى معاهد التنصيص =

فحوّلَ المعنى إلى ذِكْرِ الجُودِ .

وقال البحتريّ في معنى آخر[١] :

دانٍ على أيدى العُفاةِ ، وشَاسِعٌ عن كلِّ نِدٍّ – فى النَّدىٰ – وضَرِيبِ
كالبَدْرِ أفْرَط فى العُلوِّ ، وضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جدُّ قَرِيبِ

وهذا أيضًا غايةٌ فى حُسنه[٢] ومعناهُ ، وبيتا[٣] أبى تمّام ألطفُ معنى .

وقال أبو تمّام[٤] :

رأى البخلَ من كلِّ فظيعًا فعافَهُ على أنَّهُ مِنْهُ أمَرُّ وأَفْظَعُ
وكلُّ كُسُوفٍ فى الدَّراريِّ شُنْعَةٌ ولكنّه فى البَدْرِ والشَّمْسِ[٥] أشْنَعُ

قوله : « على أنّه منه » أى : على أنَّ البُخْلَ من أبى سَعيدٍ أمَرُّ وأَفْظَعُ منه من غَيْرِه[٦] .

وقولُه : « وكلُّ كسوفٍ فى الدَّراريِّ شُنْعَةٌ » يريد بالدّراريِّ : النّجومَ المضيئةَ

---

= « ٤ : ٢٤٩ » : إن أبا تمّام أخذ معنى البيتين من قول مسلم :

يقولُ صحبى وقد جدوا على عَجَلٍ والخَيْلُ تستنُّ بالرُّكْبان فى اللُّجُم
أمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَنْوى أن تَؤُمَ بنا فقلت كلا ولكن مَطْلِعَ الكَرَمِ

وقد أثبت محقق ديوان مسلم البيتين فى ذيل الديوان الذى احتوى شعره المجموع « ص ٣٤٠ » .

(١) ديوانه ١ : ٢٤٨ ، وفى س : « على كل نِدٍ » .

(٢) ساقطة من س .

(٣) س : « وبيت » .

(٤) ديوانه ٢ : ١٠٢ وشرح التبريزى ٢ : ٣٢٧ .

(٥) فى ديوانه والتبريزى والنظام و س : « فى الشمس والبدر » .

(٦) وقال أبو العلاء : « يقول : الكسوف فى النجوم يشنع وهو فى النيرين أشنع وكذلك البخل فى غير الممدوح من الرؤساء أقلّ شناعة منه فيه » ، وقال ابن المستوفى : « لم يتعرّض أبو تمّام إلى قلة شنعة البخل فى غير الممدوح كما ذكروا ، ولو ذهب إلى ذلك لكان ناقضا لما ضرب به المثل من زيادة الشنعة فى الشمس والبدر وإنما أطلقها » « النظام لوحة ١٣٩ جـ ٢ » .

وكسوفُها ليس[1] ممّا يَظْهَرُ لعيونِ النَّاسِ ، لأنّ كسوفَ الكوكبِ إنما هو أن يَحْصُلَ فى سَمْتِـهِ كَوْكَبٌ فى فَلَكٍ[2] هو أَسْفَـلُ من فَلَكِـهِ[3] فَيَسْتُـرَهُ ، فذاك[4] كُسُوفُـهُ ، ولا يَتفقَّـدُهُ و[ لا[5] ] يَعْرِفُـهُ إلّا المنجمـونَ ، فليست[6] فيـه شُنْعَةٌ ، لأنّ الشُّنْعَةَ ما عَمَّتْ رؤيتُهُ[7] فجعل أبو تمّام كسوفَ الكواكبِ شُنْعةً[8] وجعل كسوفَ الشَّمْسِ والبَدْرِ أَشْنَعُ وقد أحسن ولم يُسِيءْ .

ولِلْبُحْترىّ شىء يقارب هذا فى المعنى ، ولكن ليس مثله [ فى الجودة ] وهو قوله[9] :

فرَّقَ بين النَّاسِ فى نَجْرِهِمْ ما يُعْظِمُ العَبْدُ لَه سَيِّدَهْ
وأَنْجُمُ الأُفْقِ نِظَامٌ ، خَلَا ما خَالَفَتْ أَنْحسُهُ أَسْعُدَهْ
لَمْ أَحْفِلِ الأَشْبَاحَ حتَّى أرىٰ بيـانَ ما تَأْتِى بِهِ الأَفْئِدَهْ[10]

---

(١) الأصل : « فليس » والتصحيح من س .

(٢) س : « ملك » .

(٣) س : « ملكه » .

(٤) س : « فذلك » .

(٥) زيادة من س .

(٦) قوله : « فليست ... عمت رؤيته » سقط من س .

(٧) كرر هذا الرأى أبو العلاء « انظر شرح التبريزى ٢ : ٣٢٧ » ، وقد علق ابن المستوفى على قول أبى العلاء فقال : « ولا معنى لقوله « كما أن كسوف النجوم لا يظهر للعامة كما يظهر كسوف الشمس والقمر » ، إذ لو لم يرد بكسوف الدرارى ظهوره ، لم يقع الفرق بينه وبين كسوف الشمس والقمر لخفاء ذاك وظهور هذا ، ولما جمع فى الكسوف بين الشمس والقمر ، وإن كان لأحدهما جاز أن ننسبه إلى النجوم أيضا » النظام جـ ٢ لوحة ١٣٩ .

(٨) س : « فجعل أبو تمّام فيه شنعة ما » .

(٩) ديوانه ٢ : ٦٦٣ ، وما بين القوسين زيادة من س .

(١٠) س وديوانه : « لا أحفل » .

وهذا شبيهٌ بقول نُصَيْبٍ الأصْغَرِ (١) :

وإذا جَهِلْتَ من امرئٍ أَعْرَاقَهُ وقَدِيمَهُ فانْظُرْ إلى ما يَصْنَعُ (٢)

وهذا معنًى شائعٌ .

وقال نابغةُ بنى شيبانَ (٣) :

لاتَحْمدَنَّ امْرَأً حتّى تُجرِّبَهُ ولا تَذُمَّنَّهُ من غَيْرِ تَجْرِيبِ

وقال آخر (٤) :

إنى آمْرُؤٌ قلمَّا أُثنى على أحدٍ حَتَّى أرىٰ بعضَ ما يأْتى وما يَذَرُ
لاتَحْمَدَنّ امرأً حتى تُجَرِّبَهُ ولا تَذُمَّنَّ مَن لَمْ يَبْلُهُ الخَبَرُ

وقد أحسنَ بَشَّارٌ (٥) فى قَوْلِهِ :

ولَوْلا الذى زَعَمُوا لم أَكُنْ لِأَحْمَدَ ريحانةً قَبْلَ شَمّ

---

(١) نُصَيْبٌ الأصغر : مولى المهدى ، عبد نشأ باليمامة واشْتُرِىَ للمهدىّ في حياة المنصور ، فلما سمع شعره قال والله ماهو بدون نُصَيبٍ « يعنى نُصَيْباً الأكبر مولى عبد العزيز بن مروان ، وسمّى هذا الأصغر تمييزا له عنه » وأعتقه المنصور وزوّجه أمة له يقال لها « جعفرة » وكنّاه أبا الحجناء ، وقد مدح المهدى وتوفى بعد سنة ١٧٠ هـ « وفيات الأعيان ٦ : ٦٩ وزهر الآداب جـ ٤ : ١٠٣٠ ، وفوات الوفيات ٢ : ٦٠٢ » .

(٢) الأغانى ٢٠ : ٣٤ وفيه « وإذا نَكِرْتَ » ، وزهر الآداب ٤ : ١٠٣٠ ، والوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٢٠٣ ، ونقل عن عبد الصمد بن على : أن أبا الحجناء أخذ بيته من قول مسلم الآخر :

لا تسأل المرء عن خلائقه فى وَجْهِهِ شَاهِدٌ عن الخَبَرْ

(٣) ديوانه ٧٥ وهو عبد الله بن المخارق بن سليم بن بنى شيبان ، شاعر بدوى محسن من شعراء العصر الأموى ، كان يفد إلى الشام يمدح الخلفاء من بنى أمية فيجزلون عطاءه ، مدح عبد الملك بن مروان وولده من بعده ، وله فى الوليد بن يزيد مدائح كثيرة توفى فى أيامه سنة ١٢٥ « المؤتلف والمختلف للآمدى ص ٢٩٤ ، الأغانى ٦ / ١٤٦ » .

(٤) البيتان للنجاشى وهو قيس بن عمرو الحارثى وكان فاسقا رقيق الإسلام « الشعر والشعراء ١ : ٣٢٩ وحماسة البحترى ص ٣٧٠ » وفى س : « وقال » ، وفيها « على رجل حتى أتى » .

(٥) ديوانه ٤ : ١٨١ وفيه : « لأمدح ريحانة ... » .

وأظُنُّ أوّل من نظم هذا المعنى الأعشى فى قولِه[(١)]:

فجِئتُكَ مُرْتَادَ ما خَبَّرُوا ولولا الذى خَبَّروا لم تَرَنْ

وقال آخر[(٢)]:

أبْلُ من شِئْتَ تَقْلَهْ عن قَلِيلٍ لِفِعْلِهْ

* * *

(١) ديوان الأعشى الكبير ص ٧٥ وفى الأصل : « جئتك » والتصحيح من س .

(٢) فى الأصل : « لفعله » بتحريك الهاء ، والبيت لأبى العتاهية ، وانظر فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال لأبى عبيد البكرى ٣١٠ ، وبهجة المجالس وأنس المجالس للقرطبى ١ : ٣٠٣ ، ولم أجد البيت فى ديوانه .

## ومن نوادر باب الجود [1]

قول أبي تمّام [ في مُحمّد بن الهَيثمِ ] [2] :

لدى ملكٍ من أيْكَةِ الجُودِ لم يَزَلْ    على كَبِدِ المَعْروفِ من فِعْلِهِ بَرْدُ

ودانى الجَدا تأْتِى عطَاياهُ من عَلٍ    ومَنْصِبُـهُ وَغْـرٌ مطَالِعُـهُ جُرْدُ [3]

فقد نزلَ المُرتَادُ منه بِمَاجِدٍ    مَواهِبُـهُ غَوْرٌ وَسؤْدَدُهُ نَجْـدُ [4]

به أسلمَ المعروفُ بالشّامِ بعدَما    ثوىٰ منذُ أودىٰ خِالدٌ وهو مُرْتَدُّ [5]

فقال [6] : « دانِي الجَدا [7] » ، ثمّ قالَ : « تأْتِي عطَاياه من عَلٍ » و « الجدَا » : هو العطَاءُ الذى يُعطِيه ، وهذا من عَويصَاتِه التى يَتَجَنَّبُ مِثلَها الحُذَّاقُ ، وهو مَشغُوفٌ بها ، وكأنَّه يريدُ : أنَّ عطاياهُ دانِيَةٌ من يِد المُتنَاوِلِ ، وأنَّها تأتى من عَلٍ لِعُلوِّ قَدْرِهِ ،

---

(١) س : « ومن نوادر الجود » .

(٢) زيادة من س ، والأبيات فى ديوانه ١ : ١٧٤ ، والتبريزى ٢ : ٨٧ .

(٣) س : « الخبا » .

(٤) فى الأصل : « ترك » تصحيف ، والتصحيح من ديوانه و س .

(٥) هذا البيت والبيت الأول سبقا فى ١ : ٢٦٣ .

(٦) س : « قال » .

(٧) فى الأصل : « يأتى الجدا » وفى س : « دانى الجنا » .

أو أراد[1] أنّها تأتى كما يأتى السّيلُ مِن[2] ارتفاعٍ إلى هبوطٍ ، فيكونُ أغزرَ لها وأسرعَ ، وكأنَّ المعنى الأوَّل أقوى ، لأنَّه قد كرّرهُ وأكّدهُ / بقولِهِ : ٨٤

مَواهِبُهُ غَوْرٌ وسُؤْدَدُهُ نَجْدُ

وبقوله[3] :

ومَنصِبُهُ وَعْرٌ مَطالِعُهُ جُرْدُ

أى : جَداهُ دانٍ قَريبٌ مِمَّنْ يُريدُهُ ، ومَنْصِبُهُ بعَيدُ المَرامِ ممّن يريد التعلّقَ به أو المساواةَ له ، فمطالعه جُرْدٌ[4] : جمع أجردَ ، أى مُلْسٌ لا يتعلقُ بها شىء[5] ، كما يُقال : « تقدَّم إليه المُتَناوِلُ » [؟][6] والمعنيانِ لا يتشاكلان كلَّ التشاكُلِ ؛ لأنَّ العطايا ليست من المَنْصِب فى شَىء ، وإنما كان يَنْبَغى أن يقولَ : ودانِى الجدَا تأتى عطاياه من يدٍ هى [ مع ][7] الثُّريا ، أو من راحةٍ هى فوقَ النجمِ ، حتّى تكونَ عطاياهُ دانيةً مع علوّ يده ، لأنّ العطايا منها تأتى ، وعنها تَصْدُرُ ، فيُشْبِهُ شيءٌ شيئًا ، وتَصِحُّ المقابلَةُ ، أو أنْ يجعَلَ الممدوحَ دانِيًا ممّنْ يريُدُه ، دَمِثًا متواضِعًا سهلا ، ويجعلَ مَنصِبَه رَفيعًا وَعْرًا صَعبًا[8] ، حتّى يكونَ المعنى أنّه رفيعُ القَدْرِ على تَواضُعِهِ ، كما قالَ البحتريُّ[9] :

دنوتَ تَواضُعًا ، وعلوتَ قَدْرًا فشأْناكَ : انْخفاضٌ وارْتِفَاعُ
كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أن تُسَامَى ويدنُو الضَّوءُ مِنها والشُّعَاعُ

---

(١) س : « وأراد » .
(٢) فى الأصل : « قرره » والتصحيح من س .
(٣) الأصل : « ويقول » .
(٤) ساقطة من س .
(٥) الأصل : « فمطالعه جرد فليس يتعلق بها شئ » .
(٦) كذا فى الأصل : وتبدو العبارة هنا ناقصة ، وقد سقطت هذه العبارة من س فلم أتمكن من تصحيحها ولعل صواب العبارة : « كما يقال : تفوت يد المتناول » .
(٧) زيادة من س .
(٨) ساقطة من س .
(٩) ديوانه ٢ : ١٢٤٧ ، وفيه « وبعدت قدراً » ، وفيه وفى س « انحدار وارتفاع » .

فأمّا أنْ تُجْعلَ عطَاياهُ دانِيةً مع عُلوِّ قَدْرِهِ ورَفيعِ مَنْصِبِه ، فكذا[(١)] يَجِبُ أن تكونَ ، وليس هذا بِبَديعٍ ، ولا بِمعْنًى مفيد ، لأنّه ليس بطباق ، ثمّ[(٢)] أنا ما علمنا[(٣)] أنّ للمعروفِ كَبِدًا ، وأنّه كان مرتدّاً فأسلم ، إلّا من هذه الأبيات ، فأما[(٤)] قوله :

« ................ وإنْ قَسَتْ كَبِدُ الزّمانِ عَلَيَّ كُنْتَ رَؤُوفَا

فإن استعارةَ الكَبِدِ هاهُنا ليست بقبيحةٍ كَقُبْحِ استعارةِ الكَبِدِ للمَعروف ، لأنّ المعروفَ لا يُوصَفُ بالقَسْوةِ ولا بالشِّدَّةِ كما وُصِفَ الزّمانُ ، فلمّا وَصَفَ الزّمانَ بالشدّةِ والصُّعوبَةِ ، لم يُنْكَرْ أن يَجْعَلَ له على الاستعارةِ كَبِداً قاسيةً ، فعلى هذه السّبيل وما أشبهها[(٥)] تحسن الاستعارة وتَقْبُحُ ، وقوله : « منذ أودى خالد وهو مُرْتَدٌّ[(٦)] » يريدُ خَالدَ بن يزيدَ بن مزيدٍ[(٧)] .

وقال فى خالِدِ بن يزيدَ أيضا[(٨)] :

ظِلُّ عُفـاةٍ يُحِبُّ زَائِـرَهُ حُبَّ الكبيرِ الصَّغيرَ من وَلَدِهْ[(٩)]

---

(١) س : « فكذلك » .
(٢) ساقطة من س .
(٣) س : « ما رأينا » .
(٤) « فأما » ساقطة من الأصل وهى فى س ، والبيت فى ديوانه ٢ : ٧٧ والتبريزى ٢ : ٣٨٣ وفيه :
« إن غاض ماء المزن فُضْتَ وإن قَسَتْ ................................ »
(٥) « وما أشبهها » ساقطة من س .
(٦) « وهو مرتد » ساقطة من س .
(٧) قال أبو العلاء : يعنى خالد بن يحيى البرمكى ، لأنه كان فارسيّا ، فتقرّب إلى الممدوح بذكره ، لأن الممدوح أيضا من فارس ، وهذا أشبه من أن يعنى خالد بن يزيد ، أو خالد بن عبد الله القسرى ، أو خالد ابن يزيد بن معاوية « النظام جـ ١ لوحة ٣٦٧ ، والتبريزى ٢ : ٩١ » .
(٨) ساقطة من س .
(٩) ديوانه ١ : ١٣ والتبريزى ١ : ٤٣١ « الأبيات ١٦ ، ١٧ ، ٥٥ ، ٥٧ » قال ابن المستوفى : قال الخارزنجى : يقولُ هو ظِلُّ عفاةٍ ، يريحهم من تعبِ القلب ومن حرارةِ الشمس ، ويُحبِ من يزوره لطلب معروفه كحب الوالد الكبير الصغيرَ من ولده . وفى الكتاب العجمى : « ظل نداه » أو « حياه » ؛ لأن تنكير « عفاة » غير مستحب . قال المبارك بن أحمد « ابن المستوفى » : الرواية « عفاة » ولم أجد ما ذكره فى نسخة ما ، ولا بأس من تنكير « عفاة » وإن كان التعريف أجودُ « النِّظامُ جـ ١ لوحة ٣١٠ » .

إذا أَناخُوا بِبَابِهِ أَخَذُوا ... حُكْمَيْهِمُ من لِسَانِهِ ويَدِهْ (١)
آثَرَنِي إذْ جَعلْتُهُ لَجَأً ... كُلُّ امْرِئٍ لَاجِئٌ إلى سَنَدِهْ (٢)
إِيثَارَ شَزْرِ القُوىٰ يرى جَسَدَ الـ ... ـمعروفِ أولىٰ بالطبِّ من جَسَدِهْ (٣)

فقد أَفَدْنا من الأبياتِ الأُوَلِ أنّ للمعروف كَبِدًا ، وأنّه كَان مُرتدًا فأسلمَ ، وأفدنا من هذه الأبيات أنّ جَسدَه ممّا يَجِبُ أن يُتَطبَّبَ له ، وأنّ الممدوحَ يرى أنّه أولى بالطبِّ من جَسدِ نَفْسِهِ (٤) .

وقال (٥) :

وقُدِدْتَ من شِيَمٍ كأنَّ سُيورَها ... يُقْدَدْنَ من شِيَمِ السَّحاب المُرْزِمِ
شُهِرَتْ فما تَنْفَكُّ تُوقِعُ باسْمِها ... من قَبْلِ مَعنَاها بِعُدْمِ المُعْدِمِ

---

(١) س : « حكمهم » وهى رواية النظام وقال : قال الخارزنجى : إذا أَناخَ العُفاة ببابه وجدوا مايحبون من إنعامه باللسان وإعطائه باليد . وهذان الحكمان اللذان يريدونهما . قال المبارك بن أحمد : الصحيح أنه مثل قوله :

نرمى بأشباحنا إلى ملك ... نأخذ من مالِهِ ومن أدبِه

« ديوانه ١ : ٣٢٠ » .

وفى النسخة العجمية ويروى « حُكْمَيْهِم » أى . بالبسط والإيناس والبرّ والصِّلة . « جـ ١ لوحه ٣١٠ » .

(٢) فى الأصل : « راجع » وكتب الناسخ فوقها « لاجىء » وهذه هى رواية ديوانه والتبريزى والنظام ، وفى ديوانه : « إذ جعلته سنداً » وقال الخارزنجى : أى اختارنى ، يقول آثرنى وأكرمنى إذ انقطعت إليه وتمسكنا بحبله وجعلته سندى ومعقلى « النظام جـ ١ لوحة ٣١٤ » .

(٣) فى ديوانه والنظام « رأى » وقال الصولى : شَزْر القوى ، يريد : شديد الفَتْلِ ، والشَّزْر : شدة الفتل . « رأى جسد المعروفِ » يقول : رأى إصلاح ابن أبى دؤاد له أولى من إصلاح جسده ، أراد بهذا إيثاره الكرم والمدح : قال المبارك بن أحمد : نصب ، « إيثار » على المصدر ، وعمل فيه آثرنى ، ومن رفع فعلى خبر مبتدأ محذوف ، والأول أقوى ، وفى نسخة يقول : هذا الرجل يداوى المعروف ليزيل مرضه وهو على شفائه أحرص « من » شفاء جسده إذا اعتلّ « النظام جـ ١ لوحة ٣١٤ ، وقد سبق البيت فى ١ : ٢٦٣ » .

(٤) س : أولى من جسد نفسه بالطب ، وفى حاشية نسخة الموازنة « برلين » : « قد جعل امرؤ القيس للّيل أعجازا وأردافا وصلبا وكلكلا ، وما رأينا من ذمّه » وقال صاحب الحاشية تعليقا على قول الآمدى « وقد عاب امرأ القيس بهذا البيت . الخ » الموازنة ١ : ٢٦٦ : « ما عاب من عاب امرأ القيس من حيث الاستعارة ، وإنما لكونه وصف الليل بالطول ، وذكر الأرداف والصدر ليس فيه دليل على الطول عند هذا المعيب ، وأما الاستعارة فما عابه أحد عليها ، ويلزم المؤلف أن يعيبه كما عاب أبا تمّام » الموازنة – برلين ٢٦٠ لوحة ٧٥ .

(٥) ديوانه ١ : ٤٣٠ والتبريزى ٣ : ٢٥٥ ، وفيهما : « لَقُدِدْت » .

وهذا من فلسفته التى يُخْرِجُ العبارةَ عنها خُروجًا صحيحًا ، يريد أنَّ المُعْدِمَ إذا أَمَّلَكَ وفكَّر فى كريم أخلاقِكَ ، ذهب عنه البُؤسُ والفقرُ قبل عطَائِكَ لِثِقَتِهِ بالغِنىٰ من جِهَتِكَ .

وقال[1] :

لا شمسُهُ حَرَّةٌ تُشوىٰ الوجوهُ بها　　يومًا ولا ظلُّهُ عنها بِمُنْتَقِلِ

تحولُ أموالَهَ عن عَهْدِها أبدًا　　ولم يَزُلْ قطُّ عن عَهْدٍ ولَمْ يَحُلِ

وهذا معنًى ليس بالجيِّدِ[2] ، وظاهِرُهُ أنّ أموالَه أبدًا تَنْتَقِلُ عن يَدِهِ وأنّ كونَها فى يده عَهْدٌ بينَها وبينه ، وليس بممدوحٍ[3] من جُعِلَ هو ومالُه متعاهِدَيْنِ[4] ، وكأنَّه أراد أنّ أموالَه تحولُ عن عَهْدِ العَاهِدِ لها من اجتماعها عنده ، ووفورِها لديه ، لأنَّه يُفرِّقُها ، ولم يَحُلْ هو قَطُّ عن عَهْدٍ عُهِدَ عليه من كَرَمٍ ولا غيرِهِ .

والجيّدُ الحَسن الذى لا يتطرَّقُ عليه التأوُّلُ فى هذا المعنى قولُ البحتريِّ[5] :

إمَّا تَنَقَّلتِ العُهودُ فإنَّـهَ　　ثَبْتٌ على عَهْدِ النَّدىٰ وذِمَامِهِ

معاهدةُ النَّدىٰ إنما هى[6] فى بَذْلِ المَالِ .

ومثلهُ فى الجَوْدَةِ[7] قولُ دِعْبِلٍ :

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٣٥ والتبريزى ٣ : ٩٤ ، وفى ديوانه والتبريزى : « لاشمسه جمرة » وديوان والتبريزى : « ولا ظلّه عنّا » ، وفى النظام « تشوى الوجوه » على ما سمى فاعله وقال : « رواية الخارزنجى « يشوى الوجوه بها » وقال يقول : لا يأتيك أذاه فيبلغ إليك إذ كنت وليّه ، ولا ينطوى عنك نفعه وخيره . وروى غيره « تشوى الوجوه » على مالم يسمّ فاعله « ... وعنّا بمنتقل » « النظام جـ ٢ لوحة ٢٦٤ .

(٢) ساقطة من س .

(٣) س : « لا » .

(٤) الأصل : « ووقوعها » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٩٨٥ .

(٦) س : « هو » .

(٧) س : « فى الجود » ، محاضرات الأدباء ٢ : ٥٧٨ ، ولم يرد البيت فى ديوانه ، وفى س : « معسرتى » .

والجود يَعلم أنى مُنذُ عَاهدَنِى ماخُنْتُهُ وَقْتَ مَيْسُورِى ومَعسُورِى

وقال البحترىُّ فى مُعاقَدةِ الجَوادِ والجُودِ(١):

إنَّ « القَنَانِىَّ » ، وإن النَّدىٰ تِرْبَا اصْطِحَابٍ ، وأُخَيَّا لِدَهْ

تعَاقَدا حِلْفًا على وَفْرِ ذِى وَفْرٍ إذا جَمَّعَـــهُ بَدَّدَهْ

٨٥ / فالفعلُ فَوْتُ القَولِ إن فاضَ فى عَارِفَةٍ ، والجودُ فَوتُ الجِدَهْ

وهذا معنىً حَسنٌ حلوٌ ، وقد تقدَّم النّاسُ فيهِ ، فقال مُوسى شهواتٍ فى سعيد ابن خالد بن أُسَيِدٍ(٢) :

عَقِيدُ النَّدىٰ ماعاش يرضىٰ به النَّدىٰ فإن ماتَ لم يَرْضَ النَّدىٰ بعَقيدِ

فأخذتْ هذا المعنى بِعَيْنِه أختُ الوليدِ بن طَرِيفٍ(٣) فقَالَتْ :

---

(١) س : معاقدة الجواد الجود ، ديوانه ٢ : ٦٦٤ يمدح عبدون بن مخلد و « القنانى » : نسبة إلى قنان ابن سعد بن مالك بن سعد بن زيد بن ماة بن تميم « جمهرة الأنساب ص ٢١٥ » .

وقال أبو العلا المعرى فى عبث الوليد : « وقوله : « وأخيَّا لِدة » غير مستعمل ، وإن كان هو الأصل المعتمد لأنهم يقولون : فلان لِدَةُ فلان وفلانة لِدَةُ فلانة ، يستعملونه فى المذكر والمؤنث يريدون أنهما فى سنّ واحدة » ثم يقول « ولدة فى الحقيقة إنما هو مصدر ولد لِدَةً ، مثل وعد عدة ووجد جدة ، إلا أنهم استعملوه فى الأخبار ، وقلما يقولون : عجبت من لدة فلانة فلانا ، أى : ولادتها ، وذلك الأصل ، إلا أنه ترك ، وإن حمل بيت أبى عبادة على أنه مضاف إلى اللّفظ دون المعنى ، فذلك سائغ ، وقد ذهبت إليه طائفة من أهل العلم » « عبث الوليد ص ٩٢ ، ٩٣ » .

(٢) موسى شهوات : موسى بن يسار المدنى أبو محمد شاعر من الموالى ، نشأ وعاش فى المدينة ونزل بالشام فى أيام سليمان بن عبد الملك ، وقد هوى أمة من إماء المدينة ، فأتى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ابن عفان فشكا إليه حبها ، وسأله شراءها له ، فاعتلّ عليه ، فأتى سعيد بن خالد بن أسيد فأخبره بقصته ، فأمر له بثمنها وزاده مائة دينار لجهازها وكسوتها فقال فيه :

سعيد الندى أعنى سعيد بن خالد أخا العرف ولا أعنى ابن بنت سعيد

ولكننى أعنى ابن عائشة الذى كلا أبويه خالد بن أسيد

عقيد الندى « البيت » .

فسمى عقيد الندى « الأغانى الدار ٣ : ٣٥١ ، ٣٦٥ والشعر والشعراء ٢ : ٥٧٧ » وسعيد بن خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ، وكان سيّدا ممدحا ، وهو المعروف بعقيد الندى « جمهرة الأنساب ص ١١٤ » ، وفى س « لم يرض بحليف » .

(٣) قيل هى الفارعة ، وقيل فاطمة ، وقيل ليلى ، رثت أخاها بقصيدة أجادت فيها ، وكانت تسلك فى شعرها سبيل الخنساء فى مراثيها لأخيها صخر ، وأخوها الوليد بن طريف الشارى ، انظر أخباره وأبيات أخته فى تاريخ الطبرى ٨ : ٢٥٦ – ٢٦١ ومن قوله : « فأخذت ... إلى آخر البيت » ساقطة من س .

حليفُ النَدىٰ ما عاش يَرْضىٰ به النَّدىٰ فإن ماتَ لم يَرْضَ النَّدى بِحَليِف

وأظنُّ الأعشىٰ أوّل سَابِقٍ إلى هذا المعنى بقوله (١) :

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيانِها وباتَ على النَّارِ النَّدىٰ والمُحلَّقُ

رَضِيعَىْ لِبَانٍ ثَدْىَ أُمٍّ تَقاسَما بأسْحَمَ دَاجٍ عَوْضَ لا نَتَفرَّقُ (٢)

قيل فى « أسْحَم دَاجٍ » أنّه أرادَ : تقاسما فى ظُلْمَةِ الرَّحِمِ ، أى : تحالفَا هناك وتعاقَدا ، لأنّهما أخَوان ، وقيلَ « أسحمُ دَاجٍ » الرَّمادُ ، لأنّ العربَ كانت تَحلِفُ بِهِ وبالنَّارِ .

وقال حبيبُ بن شَوذَبٍ المدنيُّ فى السَّرِيِّ بن عبد اللهِ الهَاشِمِيِّ (٣) :

فكَّ السَّرِيُّ عن النَّدىٰ أغلالَهُ فجرىَ وكان مُكَبَّلًا مَغْلُـولا (٤)

وتَعاقَدا العَقْدَ الوَثِيقَ وأشْهَدا من كلِّ قَوْمٍ مُسْلِمِينَ عُدُولا

فوفَىٰ النَدىٰ لكَ بالذى عَاقَدْتَهُ ووفَىٰ السَّرِيُّ فما يُرِيدُ بديِلا

---

(١) ديوانه ص ٢٧٥ يمدح المحلّق الكلابىّ ، وهو عبد العزيز بن حيثم بن شداد ، وسمى محلقا لأن حصانا له عضة فى وجنته ، فترك فى جهة أثرا كالحلقة ، « وانظر الأغانى ٨ : ٧٧ » .

(٢) ديوانه : « تحالفا » وفيه : « عَوْضُ » ، ومعناه : أبد الدهر ، وقال فى اللسان « يبنى على الحركات الثلاث ، والنصب أكثر وأفشى » وروى بيت الأعشى السابق بالنصب ، و « أسحم داج » : الليل ، وقيل حلمة الثدى ، اللسان : « سحم » .

(٣) حبيب بن شوذب الأسدى المدنى أبو الرُّمّيح « وفى الفهرست : جندب بن شوذب » شاعر راوية له أبيات جياد ، مُقِلّ ، وكان من موالى بنى أسد فى المدينة ، أدرك الفرزدق وجرير ، وكان يتعصب للفرزدق ، مدح الحكم بن المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومى — وكان من الأجواد المتجاوزين الحد فى السخاء — « الورقة لابن الجراح ص ٧٨ والفهرست للنديم ص ١٨٧ » . والسَّرِىُّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب ، تولى خراسان خليفة للمهدى من قبل المنصور سنة ١٤١ ، وفى سنة ١٤٣ تولى مكة والطائف بعد عزل الهيثم بن معاوية وعزل عنها سنة ١٤٦ « جمهرة أنساب العرب ص ١٨ ، والطبرى ٧ ص ٥١١ ، ٥٥١ ، ٦٥٦ » .

(٤) الأبيات فى الورقة لابن الجراح ، وفيه « ووفى النّدى » .

فهذا لم يَرْضَ بالحلف والعَقْدِ حتى أوْقَعَ بينهما شهادةَ قومٍ مُسْلِمِينَ عُدولٍ ، فَوَيْحَهُ[(١)] ، ألا قال : « وأشهدا مَلِكَ السماءِ وأشهدا جِبْرِيلا » ؟! ، لأن الإنسانَ [ قد ][(٢)] يقولُ فيما يَعْقِدُه على نفسه : أُشهِدُ اللهَ وملائِكَتَه على كذا ، وهذا النّحو إنما يُخْرِجُهُ الشعراء مَخْرجَ النّادِرَةِ ، وهو غيرُ حَسَنٍ ولا جميلٍ .

وقد قالَ حبيبُ بن شَوْذَبٍ هذا – وهو حَسنٌ[(٣)] ، وإن كان قَد غَلا فى الاستعارةِ[(٤)] –:

أنْتَ أنْفُ الجُودِ إن فارَقْتَهُ    عطَسَ الجُودُ بأنْفٍ مُصْطَلَمْ

ومثل قَوْلِهِ :

فكَّ السَّرِيُّ عن النَّدىٰ أغلالَه    فجرىٰ وكانَ مُكبَّلًا مَغْلُولا

قولُ بَكرِ بنِ النَّطاحِ الحَنَفِيِّ[(٥)] :

أبا دُلَفٍ إنّ السّماحةَ لم تَزَلْ    مُغلَّلَةً تَشكو إلى اللهِ غُلَّها[(٦)]

فبشَّرَها رَبِّى بِميلادِ قَاسِمٍ    وأرْسَلَ جِبْرِيلًا إليْها فحَلَّها

---

(١) الأصل : فوبَّخَهُ والتصحيح من س .

(٢) ساقطة من الأصل والتصحيح من س .

(٣) س : ماهو أحسن اللفظ ، وفى الأصل : « وقال حبيب » .

(٤) الورقة ص ٧٩ .

(٥) بكر بن النطاح الحنفى أبو وائل ، قيل هو عجلى ، شاعر غَزِلٌ من فرسان بنى حنيفة ، من أهل يمامة ، انتقل إلى بغداد فى زمن الرشيد ، كان شاعرا حسن الشعر كثير التصرف فيه ، وكان صعلوكا يقطع الطريق ، ثم اقتصر على ذلك ، اتصل بأبى دلف العجلى فجعل له رزقا عاش فيه إلى أن توفى « طبقات الشعراء لابن المعتز ٢١٧ ، والأغانى ١٧ : ١٥٣ ، والحماسة ٣ : ١٢٨٥ » .

(٦) أبو دلف : القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلى ، كان كريما سريا جوادا ممدحا شجاعا مقدما « وفيات الأعيان ٤ : ٧٤ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٦ » . ولم أقف على البيتين .

وهذا ليسَ بغُلوٍّ ولا استعارةٍ قَبيحَةٍ .

وممّا أُخْرِجَ مخرجَ النّادرةِ قولُ ابنِ المَوْلَى[١] :

رِشْتَ النَّدى ولَقَدْ تَكسَّرَ رِيشُهُ فَعلَا النَّدى فوقَ البِلادِ فطَارا

ونَحْوُ هذا[٢] ماأَنْشَدَه الأَخْفَشُ لبعْضِهم ، وهو من بَابِ الهِجاءِ[٣] :

لأَضرِبَنَّ رَجائِى أَلْفَ مِقْرَعَةٍ غَدًا وأَصْلُبُ آمالِى على خَشَبَهْ

إذْ مَنّيانِىَ قَوْمًا لا حراكَ بِهِمْ وإن سَمِعْتُ لَهم فى دُورِهِم ، جَلبَهْ

وهذه نوادِرُ من الشُّعراءِ مُضْحِكَاتٌ .

* * *

(١) ابن المولى : هو محمد بن عبد الله بن سالم بن المولى ، مولى الأنصار شاعر متقدم مجيد من مخضرمي الدولتين ومدّاحى أهلهما « الحماسة للمرزوقى ٤ : ١٧٦١ ، ومعجم الشعراء للمرزبانى ٣٤٢ » .

(٢) س : ونحوه .

(٣) لم أقف على البيتين .

## ومن نوادر باب الجُود

ويصلُحُ أن يكونَ فى بابِ « تَعجْرُفِ الجَوادِ على مَالِه » ، قولُ البحتريّ[1] :

غَريبُ السَّجايا ماتَزالُ عقولُنا مُدلَّهةً فى خَلَّةٍ من خِلالِهِ
إذا مَعْشَرٌ صانُوا السَّماحَ[2] تَعسَّفَتْ بهِ هِمَّـةٌ مَجْنُونَـةٌ فى ابْتِذَالِـهِ

قوله : « إذا مَعْشَرٌ صانوا السَّماحَ » معنًى ردىءٌ ، لأنّ البخيلَ ليسَ من أهْلِ السَّماحِ ، فيكونَ له سَماحٌ يصَونُه ، وسواءٌ عليه قال : صَانُوا السَّخَاءَ ، أو[3] ، صانوا الجُودَ أو صانُوا الكَرَمَ[4] ، فإنَّ هذا كُلَّه لايَمْلِكُ البُخَلاءُ منه شيئًا ، وهو منهم بعيدٌ ، فكيف يصونونَهُ ؟ ، فإن قيلَ : إنما أقامَ السَّماحَ مقام الشيء الذى يُسْمَحُ به ، وفى مجازات العرب ماهو أبعدُ من هذا[5] ، قيل : البحتريُّ لايُسوَّغُ [ له ][6] مثلُ ذلك ، ولايُجَوّزُ له ، لأنه مُتَأخِرٌ ، لاسيما[7] وليستْ هاهنا ضرورة ؛ لأنه قد كان يُمْكِنهُ أن

(١) ديوانه ٣ : ١٦٢٠ وفيه « صانوا التلاد » وقد سبق البيتان والتعليق فى ١ : ٣٧٩ .
(٢) س : الرماح .
(٣) الأصل : أم .
(٤) الأصل : الحزم .
(٥) فى الأصل : « مثل » والتصحيح من س .
(٦) زيادة من س .
(٧) س : ولاسيما .

يقول : « صانُوا الثَّراء » مكان « السَّماحِ »(١) ، [ وينبغى أن يُلحَق هذا بِمَساوِئِهِ ](٢) .

ومن هذا الباب قول البحترىّ أيضا(٣) :

يااِبنَ عبدِ المليكِ مَلَّككَ الحمـ ـدَ وُقوفٌ بين النَّدىٰ والجُودِ(٤)
/ مافقدنا الإعدامَ حتى مَددْنَا سببًا نحو سَيْبِكَ المَوْجُودِ ٨٦
سُؤْدَدٌ يُصطَفىٰ ، ونَيْلٌ يُرجَّى وثناءٌ يُحْيا ، ومالٌ يُودِى

ويصلح أن يكون فى باب الرَّجاءِ والأمَلِ .

قولُهُ : « ملَّككَ الحَمدَ وقُوفٌ » إن كانَ أرادَ : وقوفَ قَومٍ بين النَّدىٰ والجُودِ ، أى : ليس لهم فيهمَا(٥) حظٌّ ، فقد أقامَ النَّعتَ مقام المَنْعوُتِ ، والمعنى ردىءٌ ، جعل الممدوحَ لم يملِكِ الحمدَ إلّا لَمَّا(٦) بَخِلَ هؤلاء ، فلم يكنْ لهم فى الجود حظٌّ ، فكأنَّهم [ هم ](٧) الذين ملَّكوهُ الحَمدَ ، أى : إنَّما حُمِدَ لمّا أضيفَتْ أفْعالُهُ إلى

---

(١) علق محقق ديوان البحترى على كلام الآمدى السابق « والذى ورد فى الجزء الأول ص ٣٧٩ – ٣٨٠ » قال : « ونقول إن الرواية التى أثبتناها » التّلاد « تنفى هذا العيب » « ديوان البحترى ٣ : ١٦٢٠ هامش ٢٠ » .

وأقول : لقد كان من نتائج الخصومة العنيفة بين البحترى وأبى تمّام أن حرص أنصار كل من الشاعرين على تغيير روايات البيت المعيب للتخلص من مواطن الثلب ، وذهب بعضهم إلى ادعاء الشعر الردىء ونسبه إلى شاعر الخصوم ، ولو سمع الآمدى تلك الرواية لما تردد فى الإشارة إليها ، كما أن هذه الرواية خالفتها نسخ الديوان التى ذكرها المحقق « أ وأخواتها : هـ ، ح ، ل » وانظر عن محاولة أنصار كل من البحترىّ وأبى تمّام فى هذا الميدان المذموم « الموشح ص ٥٠٥ والعمدة ٢ : ٢٤٩ والجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٢٤ ، والتبريزى ١ : ٣٠٥ هـ ٣ ، و ٤ ٧٩ وأخبار أبى تمّام ص ٥٦ » ، وقال ابن العميد بعد أن غير كلمة فى بيت من أبيات أبى تمّام « وكذا يلزم لمثل أبيات أبى تمّام إذا أمكن إصلاح بيت وتهذيب قصيدة » ، « النظام لابن المستوفى ١ : ١٢١ » .

(٢) زيادة من س .

(٣) « أيضا » زيادة من س وفيها : يا ابن عبد الحميد وهو تحريف ، فالقصيدة فى مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، « انظر الديوان ص ٦٣٦ هـ ٢٨ » .

(٤) كتب الناسخ فى الأصل فوق نهاية البيت « الممدود » ، وهى رواية الديوان .

(٥) س : فيها .

(٦) س : إلا كما .

(٧) زيادة من س .

٨٧ أفعال البُخلاء ، وهذا إلى الذم أقرب[١] منه إلى المدح .

وكأنه[٢] أرادَ « ملَّكك الحَمْدَ وقوفٌ » ، أى : وقوفُكَ بين النَّدىٰ والجُودِ ، أى : إنّك لا تَقِفُ إلّا بَيْنَهما ، كأنّهُ مقيم بينهما لايُفارِقُهما ، كما يقال : أنا مقيم بين أمرك ونَهْيِك ، وواقفٌ عندَ طَاعَتِك .

وقولُهُ : « بين النَّدىٰ والجُودِ » [ ليس بالجيّد[٣] ] ، لأن النَّدىٰ هو الجودُ والجودُ هو النَّدىٰ ، يُقالُ : فلانٌ يتَنَدَّى على إخوانه ويَتَجوَّدُ[٤] عَليَهِمْ ، ويقال : هو ذو ندًى ، كما يقال : هو ذو جُودٍ .

و « بين » هاهنا ليست قويّةَ المعنى ، لأنّها ليست كالواو التى تَنْسِق بالكلمةِ على الكلمة الأخرى التى هى فى معناها ، مثل[٥] النَّأْى والبُعْدِ ، والسِّرِّ والنَّجْوىٰ ، بل يُوجِبُ أن تكونَ احدى الكلمتين غيرُ الأخرىٰ[٦] ، وكأنَّ البحتريَّ ذهبَ إلى أنّ النّدى سَجِيَّتُهُ فى الكَرَمِ والبَذْلِ ، وأنّ الجودَ العطاءُ ، وهو مُحْتَمِلٌ [ وينبغى أن يُلحق هذا أيضا بمساوئه[٧] ] .

ومن نوادرِ بابِ الجُودِ قولُ أبى تمّام[٨] :

نِعْمَ الفتى عُمَرٌ فى كلِّ نَائبةٍ ... نَابَتْ وقَلَّ لهُ « نِعْمَ الفَتىٰ عُمَرُ »
يُعْطِى ويَحْمَدُ من يأتِيه يَحْمَدُهُ ... فَشُكْرُهُ عِوَضٌ ومالُهُ هَدَرُ

---

(١) س : وهذا أقرب إلى الذم منه إلى المدح .
(٢) الأصل : وإن كان أراد .
(٣) زيادة من س .
(٤) س : يجود .
(٥) س : كالنأى والبعيد .
(٦) س : الأولى .
(٧) زيادة من س .
(٨) ديوانه ١ : ٥٣٣ ، والتبريزى ٢ : ١٨٨ ، وفيه « وقلت له » .

وهذا نهاية فى حسنه وصحته ، ولست أعرف للبحترى مثل هذا [ المعنى ][(١)] ، ولكنّه قال[(٢)] :

فهْوَ يُعطِى جزْلًا ويُثْنَىٰ عَلَيْهِ    ثُمّ يعْطِى علىٰ الثّناءِ جَزَاءَ

/ وهذا مذهبٌ آخرَ ، وذلك ألطفُ وأجودُ فى معناه . ٨٧

ومن نوادر بابِ الجُودِ أيضًا قولُ أبى تمّام فى أبى الغريب يحيى بن عبد الله القُمىّ[(٣)] :

عَرفْنَا الجودَ فيك ومَا عَرضْنَا    لسَجْلٍ من نَداكَ ولا ذَنُوبِ

ولكن دَارَةُ القَمَرِ استَتَمَّتْ    فدَلَّتْنَا على مَطَرٍ قَرِيبِ

وقال البحترىّ[(٤)] :

مُعَوِّلُ آمالٍ تُرجَّىٰ نَسيئةً    ويُصْبِحُ مُنْسُوهَا مَلِيِّينَ بالنَّقْدِ[(٥)]

وقد دَفَعُوا بُخْلَ الزّمانِ بجوُدِهِ    ولا طِبَّ حتى يُدفَعَ الضِّدُّ بالضّدِّ

ومن نوادِرِ بَابِ الجُودِ قولُ أبى تمّام[(٦)] :

من شَرّدَ الإعدامَ عن أَوْطانِهِ    بالبَذْلِ حتى استُطْرِفَ الإعدَامُ

أخذَ « تشرِيدَ الإعدامِ » – واللهُ أَعْلَمُ – من قولِ الأعشى[(٧)] :

هُمْ يَطردونَ الفَقْرَ عن جَارِهِم    حتى يُرىٰ كالغُصنِ النّاضِرِ

---

(١) زيادة من س .

(٢) ديوانه ١ : ١٥ ، وفى الأصل : « جزيلًا » .

(٣) لم أجد البيتين فى ديوانه ولا فى شرح التبريزى وهما فى الطراز للعلوى ١ : ١٩١ ، والسَّجْلُ : الدّلو الضخمة المملوءة ماء ، ذنوب : الدَّلْوَ التى يكون فيها الماء دون مَلْئِها .

(٤) ديوانه ٢ : ٧٤٩ .

(٥) ديوانه : « يَرْخَنَ » و س « ويصبح متهوما » تحريف .

(٦) س : ومن نوادر الباب ، والبيت فى ديوانه ٢ : ٣٧٥ وشرح التبريزى ٣ : ١٥٣ ، وسبق فى ١ : ١٢٢ .

(٧) ديوان الأعشى الكبير : ص ١٩٥ ، وفيه « والشافعون الجوع عن جارهم » ، وسبق فى ١ : ١٢٢ .

إلّا أنَّ أبا تمّامٍ شرَّد الإعدامَ عن أوْطانِه ، والأعشى طَرَدَ الفقْر عن جار القَوْمِ .

ومازالَ النّاسُ يعيبون قولَه : « حتى استْطْرِفَ الإعدامُ »[١] .

وقال أبو تَمَّامٍ[٢] :

غَرِيمٌ لِلْمُلِـمِّ بِهِ وحَـاشَا ... نَداهُ مِنْ مُمَاطَلَةِ الغَرِيمِ

هذا حَذاهُ على قَوْلِ بَشّارٍ[٣] :

كأنّ لهم دَيْنًا عليه و مَا لَهُمْ ... سِوَى جُودِ كَفَّيْهِ عَلَيْهِ حُقُوقُ

وقال البحتريُّ[٤] :

و مَا وَلِىَ المكارِمَ مثلُ خِرْقٍ ... أغرَّ يرى المَواعِدَ كالدُّيونِ

وقال أبو تمّام[٥] :

وتَرىٰ تَسَحُّبَنَا عَلَيْهِ كأنَّنَا ... جِئْنَاهُ نَطْلُبُ عِنْدَه مِيرَاثَا

وهذا حَسَنٌ جِدّا .

وقال أبو تمّام[٦] :

لَيْسَ الغبىُّ بسيِّدٍ فِى قَوْمِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتغَابِى

---

(١) نقل الآمدى فى الجزء الأول ص ١٢٢ ما خرّجه ابن أبى طاهر من سرقات أبى تمّام وقال : وفى بيت أبى تمّام زيادة حسنة ، وهى قوله « حتى استطرف الإعدام » !

(٢) ديوانه ٢ : ٣٩٢ وشرح التبريزى ٣ : ١٦١ .

(٣) فى الأصل : « حذا » والتصحيح من س ، ديوانه ٤ : ١٤٠ .

(٤) ديوانه ٤ : ٢٢٦٩ .

(٥) ديوانه ١ : ٣٥٣ وشرح التبريزى ١ : ٣٢٠ .

(٦) ديوانه ١ : ٢١٤ والتبريزى ١ : ٨٧ ، وقد سبق فى ١ : ١٠٥ .

/ وقال البحترىّ[(١)]: ٨٧

إلى غُمُرٍ فى مَالِهِ تَستَخِفُّـهُ صِغَارُ الحُقُوقِ وهو عَوْدٌ مُجَرِّبُ

وهذا من قولِ دِعْبِلٍ[(٢)]:

تَخـالُ أحيانًـا بهِ غَفْلَـةً من كَرَمِ النَّفْسِ وما أعْلَمَهْ !

وقال أبو دُلامةَ[(٣)] فى المنصور:

وآنْخَدَعْ خليفتَنَا عنه بِمَسْأَلَةٍ إنّ الخليفـةَ للسُّؤالِ مُنْخَـدِعُ[(٤)]

وقال آخر[(٥)]:

مُجرِّبٌ لاترىٰ الأعداءَ تَخْدَعُهُ ولو يُخادِعُهُ السُّؤَّالُ لانْخَدَعا

وقال أبو تمّام[(٦)]:

وما إن زالَ فى جَرْمِ بنِ عمرٍو كَريمٌ من بَنِى عبد الكريـمِ[(٧)]

---

(١) ديوانه ١ : ١٣٧ .

(٢) سبق فى ١ : ١٠٥ .

(٣) أبو دلامة زند بن الجون الأسدى بالولاء ، شاعر مطبوع ، من أهل الظرف والدعابة ، أسود اللون ، نشأ فى الكوفة ، أدرك آخر بنى أمية ، ونبغ فى أيام بنى العباس توفى سنة ١٦١ ، « ابن خلكان ٢ : ٣٥٠ ، والأغانى ٩ : ١١٥ » .

(٤) البيت من قصيدة يمدح بها المنصور وأولها :

إن الخليط أجَدّوا البينَ فانْتَجعوا وزودوك خَبالا بئس ما صَنَعوا

« الأغانى الدار ١٠ : ٢٣٨ وفيه « عنها » .. « ينخدع » ، ومعاهد التنصيص ٢ : ٢١٣ ، ونهاية الأرَب لِلنويرى ٤ : ٣٨ وفيهما « عنا » ، وطبقات ابن المعتز ص ٥٥ وفيه :

إيتِ الخليفةَ فاخدعه بمسألَةٍ إنَّ الخليفةَ للسؤال يَنْخَدِعُ

غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة لبرهان الدين الوطواط ص ٢٦٠ وفيه :

خادِعْ خليفَتَنا عَنْها بمسألَةٍ إن الخَليفَةِ للتَّسْآل يَنْخَدِعُ

(٥) لم أقف عليه بعد ، وفى س : « لو يساعدهُ » .

(٦) ديوانه : ٢ : ٣٩٢ شرح التبريزى : ٣ : ١٦٠ مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .

(٧) س : « من جرم » .

يكادُ نَداهُ يَتْركُه عَدِيمًا ... إذا هَطَلَتْ يَداه علَى عَديمِ (١)

تَراهُ يَذُبُّ عن حَرَمِ المَعالِى ... فَتَحْسِبُهُ يُدافِعُ عن حَرِيمِ

أحَقُّ النَّاسِ بالكَرِمِ امرؤٌ لم ... يَزَلْ يأوِى إلى أَصْلٍ كَرِيمِ

أحَلَّهُمُ النَّدىٰ سِطَةَ المَعالِى ... إذا نَزَل البَخيلُ على التُّخُومِ (٢)

إذا نزل النَّزِيعُ بهم قَرَوْهُ ... رِياضَ الوُدِّ من أُنُفٍ جَمِيمِ (٣)

فلَوْ أبْصَرْتَهُمْ والزَّائِرِيهِم ... لما مِزْتَ البَعيدَ من الحَمِيمِ (٤)

أخذَ هذا المعنى من قَوْلِ مُحمَّدِ بن بشيرٍ الخَارِجيِّ (٥) :

وإذا رَأيتَ صَديقَهُ وشَقِيقَه ... لم تَدْرِ أَيُّهُما ذَوو الأَرْحامِ

وقد ذكرتُه فى سَرقاتِه المَجْموعَةِ (٦) .

ومن نوادرِ بَابِ الجود قَوْلُ أبى تمّام (٧) :

شَافَهْتُ أسبابَ الغِنَى بمُحَمّدٍ ... حتى ظَنَنْتُ بأنّها تَتَكلَّمُ

---

(١) س : تكاد يداه تتركه عديما .

(٢) سطة : مصدر وسط يسط سطة ، وجعلها هاهنا فى معنى الوسط .

(٣) ديوانه وشرح التبريزى : « رياض الريف » « والنَّزِيعُ » مثل الغريب .

(٤) سبق فى ١ : ٨٢ ، وفى ديوانه : « فلو عاينتهم » ، وشرح التبريزى « فلو شاهدتهم » .

(٥) محمد بن بشير الخارجى المدنى ، وهو من بنى خارجة ، وليس من الخوارج ، ويكنى أبا سليمان ، وكان ينزل الروحاء ، شاعر فصيح حجازى من شعراء الدولة الأموية ، « الأغانى ١٦ : ١٠٣ الدار ، ووفيات الأعيان ٦ : ٣٤٠ » .

(٦) سبق فى ١ : ٨٢ وهو أحد أبيات أربعة وقبله :

نعم الفتى فَجَعتْ به إخوانَه ... يومَ البقيعِ حَوادِثُ الأيّامِ

طَلْقُ اليدين لمن يَحِلّ بِبَابِهِ ... عَطّافُ أكْنافٍ على الأيتامِ

هَشٌّ إذا نزل الوفودُ بِبَابه ... سَهْلُ الحجاب مؤدَّبُ الخُدامِ

« معجم الشعراء ص ٣٤٣ » ، ورويت لأبى البلهاء عمير بن عامر ، « معجم الشعراء ص ٧٥ » وقال فى هامش الموازنة ١ : ٨٢ « ورويت لعمر بن عامر » وأحسب أنه خطأ مطبعى والصحيح ما سبق ، وانظر أيضاً : شرح حماسة أبى تمام للمرزوقى ٨٠٨ ، ١٥٩٩ والعقد الفريد ٢ : ٣١٥ وعيون الأخبار ١ : ٨٩ ، والبيان والتبيين ١ : ١٦٨ ، ٢ : ٣٣٢ ، والمحاسن والمساوىء للبيهقى ١ : ١٢٤ .

(٧) ديوانه : ٢ : ٣٨٣ وشرح التبريزى ٣ : ٢١٤ .

قد تُيِّمَتْ منه القَوافِى بامْرِئٍ ... مازالَ بالمَعْرُوفِ وهْوَ مُتَيَّمُ
يَحْلُو وَيْعذُبُ إنْ زمانٌ نالَهُ ... بِغِنًى وتَلْتَاثُ الخُطوبُ فيَكْرُمُ
تَلْقَاهُ إن طَرَقَ الزَّمانُ بِمَغْرَمٍ ... شَرِهًا إليه كأَنَّما هو مَغْنَمُ
لايَحْسُبُ[1] الإقلالَ عُدْمًا بل يرَى ... أنّ المُقِلَّ من المُروءةِ مُعْدِمُ

وهذا مَدْحٌ شريفٌ .

[ وأبو تمّام فى هذه الأبواب من النوادِرِ أكثرُ تَصرُّفًا وأَشْعَرُ من البُحتريّ ][2] .

* * *

(١) فى ديوانه والتبريزى « لا يحسِب » بكسر السين ، بمعنى « ظنَّ » وحَسَبَ يَحْسُبُ أى : « عَدَّ » .

(٢) ما بين القوسين زيادة من س .

## ذكر اعتداد المدّاح بنعم الممدوحين

قد مرَّ فى [ هذِه ][1] الأبوابِ من هذا الجِنْسِ غيرُ شَىءٍ مِمَّا وجدُتُه لائِقًا بِمَوْضِعِه فأثْبَتُّهُ فيهِ ، وهذا بابٌ مُفْرَدٌ فى ذلك .

قال أبو تمّام[2] :

وكم لكَ عندى من يدٍ مُسْتَهِلَّةٍ    علىَّ ولا كُفرانَ منِّى ولا جَحْدُ[3]
يَدٌ تَسْتَذِلُّ الدَّهرَ من نَفَحاتِها    ويَخْضَرُّ من مَعْرُوفِها الأُفُقُ الوَرْدُ[4]

وهذا حسَنٌ جِدًا .

وقال البحترىّ[5] :

يَدٌ لَكَ عندى قَدْ أبَرَّ ضِياؤُها    على الشَّمْسِ حتى كادَ يَخبُو سِرَاجُها
فإن تُتْبِعِ النُّعمىٰ بِنُعْمىٰ فإنَّه    يَزِينُ الَّلآلِى فى النِّظامِ ازْدِواجُها[6]

---

(١) زيادة من س .

(٢) س : وقال ، ديوانه ١ : ٤٧٣ ، والتبريزى ٢ : ٩٣ .

(٣) شرح التبريزى : « ولا كفران عندى » .

(٤) ديوانه وشرح التبريزى : « يد يُستَذَلُّ » بالبناء للمجهول ، وفى س : « من نفحاته » .

(٥) ديوانه ١ : ٤٢٧ .

(٦) ديوانه : « فان تُلْحِقِ النُّعْمىٰ » ، وقد سبق فى ٢ : ٨٥ .

وكنتُ إذا مارَسْتُ عِنْدكَ حَاجَةً ... على نَكَدِ الأيَّامِ هانَ عِلاجُها

وهذا أيضا حَسَنٌ جِدًّا .

وقال البحتريّ أيضا[(١)]:

أمّا أيَاديكَ عِنْدى فهى وَاضِحَةٌ ... ما إن تَزالُ يَدٌ مِنها تَسوقُ يَدا

ألَازمى الكُفْرُ إن لمْ أجْزِها كَمَلًا ... أم لاحِقى العَجْزُ إن لَمْ أُحْصِها عَدَدَا

لِمْ لا أمُدُّ يَدِى حَتى أنَالَ بِها ... مدَى النُّجومِ إذا ما كُنْتَ لِى عَضُدَا

وقال أيضا[(٢)]:

كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَمْ أكُنْ أشْرى بِهَا ... رَبْعِيَّ صَوْبِ الدِّيمَةِ السَّحَّاحِ

إن سُدْتَ فِيها المُنْعِمِينَ فإنَّنِى ... بالشُّكْرَ عَنْها سَيِّدُ المُدَّاحِ

وقال أبو تمّام فى كَفِّ الدّهر نوائِبَهُ[(٤)]:

لَقِيتَ صُروفَ الدَّهْرِ عَنِّى تَابِعًا ... لِأمْرِ العُلىٰ واخْتَرْتَ شُكْرِى على عُذْرِى[(٥)]

وأوْلَيْتَنِى فى النَّائباتِ صَنائِعًا ... كأنَّ أياديها فُجِرْنَ من البَحْرِ[(٦)]

فَعَلَّمْتَنِى أنْ ألْبِسَ الحَمْدَ أهْلَهُ ... وذَكَّرْتَنِى ماقَدْ نَسِيتُ مِنَ الشُّكْرِ[(٧)]

قوله : « وذَكَّرْتَنِى[(٨)] ماقَدْ نَسيتُ من الشُّكْرِ » حَسَنٌ [ جدًّا[(٩)] ] ، يُرِيدُ عَهدِى

---

(١) ديوانه ٢ : ٧١٩ ، وفى الأصل « وهى واضحة » .

(٢) ديوانه ١ : ٤٧٧ ، س : وقال البحترىّ .

(٣) ديوانه « فى الشكر » .

(٤) س : الدهر ونوائبه ، ديوانه ١ : ٥١٨ ، التبريزى ٢ : ١٦٤ .

(٥) ديوانه وشرح التبريزى « دونى » .

(٦) س : « أوليتنى » بإسقاط الواو .

(٧) س : وأذكرتنى .

(٨) س : وأذكرتنى .

(٩) زيادة من س .

٨٨ أ بإحسانٍ / المُحْسِنِينَ [ إِلَيَّ مِمَّنْ كُنْتُ أَشكُرُه ][(١)] بَعِيدٌ ، فنَسِيتُ الشُّكْرَ حَتَّى أَحْسَنْتَ إِلَيَّ فذكرْتُهُ بشُكْرِى إِيَّاكَ .

وقال أبو تمّام فى نحوِهِ[(٢)] :

حَبِيبٌ بغَيِظٍ عند رَاميكَ عن قِلًى ... وسَيْفٌ على شَانِيكَ لَيسَ لَهُ غِمْدُ
وكم أَمْطَرَتْهُ نَكْبَةٌ ثُمَّ[(٣)] فُرِّجَتْ ... ولِلّهِ فى تَفْرِيجِها ولَكَ الحَمْدُ
وقد كان دَهْرًا للحوادِث مُضْغَةً ... فأَضْحَتْ جَمِيعًا وهْى عن لَحْمِهِ دُرْدُ[(٤)]
تُصارِعُهُ – لَوْلاكَ – كُلُّ مُلِمَّةٍ ... ويَغْدُو عَلَيْهِ الدَّهْرُ من حَيْثُ لَايَغْدُو

وقال فى نَحْوِهِ[(٥)] :

جَعَلْتُ حُطامًا مَنْكِبَ الدَّهْرِ إِذْ نَوَى ... زِحَامِىَ لَمَّا أَنْ جَعَلْتُكَ مَنْكِبِى
وما ضِيقُ أَقْطارِ البِلادِ أَضافَنِى ... إِلَيْكَ ولكِنْ مَذْهَبِى فيكَ مَذْهَبِى
فَقَوَّمْتَ لى ما اعْوَجَّ من قَصْدِ هِمَّتِى ... وبَيَّضْتَ لى ما اسْوَدَّ من وَجْهِ مَطْلَبِى

وقال أبو تمّام فى كَفِّ الدَّهرِ نوائِبَه وقَمْعِها[(٦)] :

نَبَذْتُ إِلَيْه هِمَّتِى فكأَنَّما ... نَبَذْتُ بِه نَجْمًا على الدَّهْرِ ثاقِبَا
وكُنْتُ امْرأً أَلْقَى الزَّمانَ مُسالِمًا ... فآلَيْتُ لا أَلْقَاهُ إِلّا مُحارِبَا

وهذا جَيِّدٌ حسَنٌ[(٧)] .

---

(١) زيادة من س .
(٢) ديوانه ١ : ٤٧٢ والتبريزى ٢ : ٩٢ .
(٣) « ثم » ساقطة من س .
(٤) ديوانه والتبريزى : « وكم » .
(٥) ديوانه ١ : ٢٤٦ وشرح التبريزى ١ : ١٥٤ ، وفيهما : « تركت حطاماً » .
(٦) ديوانه ١ : ٢٤١ وشرح التبريزى ١ : ١٤٢ ، وفيهما وس : « كدرت به » .
(٧) س : وهذا حسن جدا .

وقالَ فى نَحْوِه – وهو أحسَنُ من كلِّ حَسَنٍ وأَجودُ من كُلِّ جَيِّدٍ[(١)] –:

بِمَهْدِىّ بن أَصْرَمَ عادَ عُودِى ... إلى إِيرَاقِهِ وامْتَدَّ بَاعِى

أطالَ يَدِى على الأَيَّامِ حَتَّى ... جَزَيْتُ صُرُوفَها صَاعًا بِصاعِ

وهذا عَيْنُ هذا[(٢)] البَابِ كُلِّهِ .

وقال[(٣)] :

قَرَّبَ الدَّهْرَ[(٤)] من يَدِى وأَكَنَّتْ ... يَدُهُ من سَمائِمِ العُدْمِ حَالِى[(٥)]

ولِهَذا أَضْحىٰ ثَنائى طَرِيقًا ... عَامِرًا بينَهُ وبَيْنَ اللَّيالِى[(٦)]

وهذا عَيْنُ هذا البابِ كُلِّه فى الرَّدَاءةِ والسُّخفِ ؛ لأَنَّ قولَهُ « وأَكنَّتْ يَدُه من سمائِمِ العُدْمِ حَالِى » استعارةٌ ماوراء قُبْحِها غَايَةٌ .

وقال البحترىّ[(٧)] :

---

(١) ديوانه : ٢ : ٢٤ وشرح التبريزى ٢ : ٣٣٨ .

(٢) ساقطة من س .

(٣) هذان البيتان لم يردا فى ديوانه أو فى شرح التبريزى ، غير أنى وجدتهما فى النسختين المخطوطتين لديوانه – لوحة ١٢٩ ، ١٥٤ وهما من قصيدة فى مدح الحسن بن وهب مطلعها :

قِفْ نُؤَبِّنْ كِنَاسَ ذاكَ الغَزالِ ... إنَّ فيه لَمَسْرَحًا لِلْمقَالِ

« ورد هذا البيت فى الموازنة ١ : ٤٣١ » ، ووردت ستة أبيات من مقدمة القصيدة الغزلية فى باب الغزل فى ديوانه بشرح الصولى ٣ : ٤٦٣ وفى شرح التبريزى ٤ : ٢٥٩ أوّلها :

شَدَّ ما استَنْزَلَتْكَ عن دَمْعك الأَظْـ ... ـعانُ حتى اسْتَهلَّ دَمْعُ الغزالِ

(٤) فى الأصل : « الدهرُ » بالضم وهو خطأ ظاهر .

(٥) فى النسختين المخطوطتين من ديوانه « وأكنَّتْ حاله » ، وأُكنّت : سترت ، سمائم : جمع سموم : الريح الحارة .

(٦) فى المخطوطتين « المعالى » .

(٧) ديوانه ١ : ١٠٥ .

وإنَّ « ابن دينارٍ » ثَنى وَجْهَ همَّتِي ... إلى الخُلُقِ الفَضْفَاضِ والنَّائِلِ النَّهْبِ (١)

٨٠ ب / فلم أمُلْ إلّا من مَودَّتِهِ يَدِى ... ولا قُلْتُ -إلّا مِنْ مَواهِبِه-: حَسْبِي ! (٢)

لَقِيتُ بِهِ حَدَّ الزَّمانِ فَفَلَّهُ (٣) ... وقد يَثْلِمُ العَضْبُ المُهَنَّدُ فى العَضْبِ

وقال (٤) :

ألنتَ لِيَ الأيَامَ من بَعْد قَسْوةٍ ... وعاتَبْتَ لى الدَّهْرَ المُسِيءَ فأُعْتَبَا (٥)

وألْبَستَنِي النُّعْمىٰ التى غَيَّرتْ أخِي ... عَلَيَّ فأمْسَىٰ نَازِحَ الوُدِّ أجْنَبا (٦)

وقال فى ضِدِّ البيتِ الأخيرِ (٧) :

وعَرَفْتُ وُدَّكَ فى تَعَصُّبِ شِيعَتِي ... وَوُجُوهِ إخْوانِى ، وعَطْفِ أقَارِبِى

وقال (٨) :

وآليتُ لا أنْسىٰ بلوغِي بِكَ العُلىٰ ... على كُرْهِ شَتَّىٰ مِنْ شُهودٍ وغُيَّبِ

وَدفْعِي بِكَ الأعْداءَ عَنِّي ، وإنَّما ... دَفَعْتُ بِرُكْنٍ مِنْ « شَرَوْرَىٰ » (٩) ومَنْكِبِ

---

(١) ابن دينار : هو عبد الله بن دينار بن عبد الله وأبوه كان من كبار القواد فى الدولة العباسية ، وفى سنة ٢٢٧ خرج أبو حرب المبرقع اليمانى فى فلسطين على المعتصم ، فأرسل إليه المعتصم رجاء بن أيوب الحضارى ، واشترك معه عبد الله بن دينار هذا فى محاربة المبرقع وأسره « الطبرى ٩ : ١١٦ وما بعدها » ويقول فى البيت العشرين من القصيدة :

لَجرَّدَ نَصْلَ السَّيْفِ حَتَّى تَفَرَّقَتْ ... عن السَّيْفِ مَخْضُوباً جُموعُ أَبِى حَرْبِ

(٢) « يدى » ساقطة من س .

(٣) س : « لقيت وجه الزمان » .

(٤) ديوانه ١ : ٢٠١ .

(٥) الأصل : « وأعتبت لى » عاتب : لام ، وأعتب : رضى والتصحيح من ديوانه ، وفيه « دهرى » .

(٦) س : « فأوليتنى النعمى ... فأضحى نازح الدار أجنبا » ، وديوانه « فأضحى » .

(٧) س : « وفى ضد هذا الباب الآخر يقول » ، ديوانه ١ : ١٦٢ ، وفى الأصل : « تعصب شيمتى » تحريف .

(٨) ديوانه ١ : ١٩٥ .

(٩) شرورى : جبل سبق التعريف به .

وقال :(١)

تَدارَكَنى الإحسانُ مِنْكَ ومَسَّنِى على حاجَةٍ ذاكَ الجَدا والتَّطَوُّلُ
ودَافَعْتَ عَنِّى حينَ لا الفَتْحُ يُبْتَغَى لِدَفْعِ الذى أَخْشَى ولا المُتَوكِّلُ(٢)

وقال :(٣)

أَأَنساكَ بعد الهَوْلِ ثُمَّ انْصِرَافِهِ وبَعْدَ وُقُوعِ الكُرْهِ ثُمَ انْدِفَاعِهِ
إذًا نَسِىَ اللهُ اطِّيافى بِبَيْتِهِ وَوَفْدُ الحَجِيجِ حَاشِدٌ فى اجْتِماعِهِ(٤)

وقال أبو تمّام :(٥)

أَبْدَيْتَ لى عن جِلْدَةِ المَاءِ الذى قد كُنْتُ أَعْرِفُهُ كَثِيرَ الطُّحْلُبِ(٦)
وَوَرَدْتَ بى بَحْبُوحَةَ الوَادِى ولَوْ طَاوَعْتَنِى لَوَقَفْتُ عِنْدَ المِذْنَبِ(٧)
وبَرَقْتَ لى بَرْقَ اليَقِين وطَالَما أَمْسَيْتُ مُرْتَقِبًا لِبَرْقِ الخُلَّبِ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٩١ « الجدا » : كالجدوى وهما العطية ، « التطوّل » : التفضل .

(٢) ساقطة من س .

(٣) ديوانه ٢ : ١٣٢١ .

(٤) « إطياف » : كثرة الطواف بالبيت الحرام ، س : « وافد فى اجتماعه » .

(٥) ديوانه ١ : ٣١٣ والتبريزى ١ : ٢٦١ ، و « أبو تمام » ساقطة من س .

(٦) ديوانه : « عن صفحة » وجاء فى النظام جـ ١ لوحة ١٢١ : « قال الصاحب رحمه الله « الصاحب ابن عباد ت ٣٨٥ هـ – ٩٩٥ م » : سمعت الأستاذ الرئيس « هو ابن العميد محمد بن الحسين ، أبو الفضل ت ٣٦٠ هـ – ٩٧٠ م » ينشد أبيات أبى تمّام التى أَوّلُها « أما وقد ألحقتنى بالموكب » . وينشد : « أبرزت لى عن صفحة الماء » فقلت : زين سيدنا هذا الشعر بإقامة « الصفحة » مقام « الجلدة » ، فقال : كذا يلزم لمثل أبى تمّام إذا أمكن إصلاح بيت وتهذيب قصيدة بكلمة » ونقل الدكتور محمد عبده عزام – رحمه الله – هذا فى شرح التبريزى « ١ : ٢٦١ هـ (١) . » ، وقال عن « الأستاذ الرئيس » هو « الشريف الرضى » ، وهو خطأ ظاهر ، ونقل محقق شرح الصولى الدكتور خلف رشيد نعمان هذا الخطأ فى هامش الكتاب دون تصحيح ، فالشريف الرضى وهو محمد بن الحسين توفى سنة ٤٠٦ ومولده سنة ٣٥٩ « تاريخ بغداد ٢ : ٢٤٦ ، والمنتظم ٧ / ٢٧٩ » ، وفى ديوانه والتبريزى وس : « كنت أعهده » .

(٧) ديوانه « ولو خلفتنى » والتبريزى « ولو خليتنى » .

فَجَعَلْتَ لِى مَنْدُوحَةً من بَعْدِمَا    أَكْدَىٰ عَلَىَّ تَصرُّفِى وتَقَلُّبِى (١)
والحُرُّ يَسلُبُهُ جَميلَ عَزائِهِ    ضِيقُ المَحلِّ فكَيْفَ ضِيقُ المَذْهَبِ
هَيْهَات تَأْبَى أن تَضِلَّ بِىَ السُّرَىٰ    فى بَلْدَةٍ وسَنَاكَ فِيهَا كَوْكَبِى (٢)

وهذا كُلُّه جَيِّدٌ بالِغٌ حَسَنٌ .

وقال أبو تَمّامٍ فى الاسْتِغنَاءِ بالمَمْدُوحِ عَمَّنْ سِواهُ (٣) :

/ فتًى أَحْيَتْ يَداهُ بعد يَأْسٍ    لَنا المَيْتَيْنِ من كَرَمٍ وجُودِ ٨١
لَبِسْتُ سِواهُ أقواما فكانوا    كما أَغْنَىٰ التَّيمُّمُ بالصَّعيدِ

وقالَ فى مثلِ ذلك (٤) :

غَنِيتُ به عَمَّنْ سِواهُ وحُوِّلَتْ    عِجَافُ رِكَابِى من سُعَيْدٍ إلى سَعْدِ (٥)
تَجلَّى بِهِ رُشْدِى وأَثْرتْ بِهِ يَدِى    وفاضَ به ثَمْدِى وأَوْرَىٰ به زَنْدي
ومازالَ مَنْشُورًا علىَّ نوالُه    وعِنْدِىَ حَتَّى قد بَقِيتُ بِلا عِنْدِ (٦)

قوله : « قَدْ بَقِيتُ بِلا عِنْدِ » من كلامِ السُّقَّاطِ ورُذَّالِ العَوامّ (٧) .

---

(١) ديوانه والتبريزى « وجعلت » قال الصولى : أصل « الكُدْيَةُ » : أَنْ يَبْلُغَ الحافِرُ لِلْبِئرِ إلى حَجَرٍ لا ينفذ فيه الحفر ويقال « أكدى » ، وجعل مثلا لكل من طلب شيئا فلم يبلغه . قال المبارك بن أحمد : « المندوحة » والمنتدح : السعة « النظام جـ ١ لوحة ١٢١ » .

(٢) ديوانه والتبريزى « يأبى أن يضل » .

(٣) ديوانه ١ : ٤٤٠ وشرح التبريزى ٢ : ٤٢ .

(٤) ديوانه ١ : ٤٥٧ ، شرح التبريزى ٢ : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .

(٥) ديوانه والتبريزى « عن سعيد إلى سعد » ، وهو مثل يضرب فى التحوّل من هلكة إلى نجاة ، لقولهم « انج سعد فقد هلك سعيد » ، مجمع الأمثال للميدانى ١ : ٣٢٩ ، ٢ : ٣٣٩ .

(٦) س : غنيت .

(٧) جاء فى اللسان « عند » قال الأزهرىّ : وهو « أى عند » ظرف مبهم ولدلك لم يتمكن إلا فى موضع واحد ، وهو أن يقول القائل لشىء بلا علم : هذا عندى كذا وكذا . فيقال : ولك عند ؟ زعموا أنه فى هذا الموضع يراد به القلب ، وما فيه معقول من اللبّ ، وهذا غير قوىّ » ، وقال المرزوقى فى « المشكل =

وقال البحتريُّ فى نَحْوِ هَذا :(١)

وأَغْنَيْتَنِى عن مَعْشَرٍ كُنْتُ بُرْهَةً ... أُكافِحُهُمْ عَنْ نَيْلِهِم وأُقَارِعُ
فَلسْتُ أُبالِى جَادَ بالبَذْلِ بَاذِلٌ ... عَلَى رَاغِبٍ أو ضَنَّ بالخَيْرِ مانِعُ(٢)

وقال فى نحوه :(٣)

نَفْسِى فِدَاؤُكَ طالَما أَغْنَيْتَنِى ... فَكَفَيْتَنِى عن هَذِه الأَشْبَاحِ
خِلَقٌ مُمَثَّلَةٌ بِغَيْرِ خلائِقٍ ... تُرْضَى ، وأَبْدانٌ بلا أرواحِ(٤)

وقال فى نحوه :(٥)

للهِ دَرُّكُما من سَيِّدَىْ زَمَنٍ ... أَجْرَيْتُما من مَعاليه إلى أَمَدِ
وَجدتُ عِندكُما الجَدوى مُيَسَّرةً ... أَوَانَ لا أَحَدٌ يُجْدِى عَلى أَحَدِ
وقَدْ تَطَلَّبْتُ جَهْدِى ثَالِثًا لكما ... عند اللّيالى فلم تَفْعَلْ ولَمَ تَكَدِ

وقالَ :(٦)

ورِجَالٍ جَارَوْا خَلائِقَكَ الغُرَّ (م) ولَيستْ يَلامِـقُ من دُروعِ

---

= أبى تمّام المفردة » ص ٢٣٣ : هذا يحتمل وجهين : أحدهما أن يريد قطعنى عن الناس كلهم إلى نفسه ، فلم يزل يصطفينى ويسدى إلىّ إلى أن أغنانى عن غيره ... حتى ليس لى أن أقول عندى كذا من جهة ، والثانى أن يريد – وهو الأحسن والأجود بل يغلب لى ظنى أن أبا تمّام لم يرد غيره – أنه لم يزل يخولنى ويفضل علىّ إلى أن لم تكن للنعمة علىّ محمل ، وللاحسان عندى مكان ، فبقيت بلا عند ، أى غمرنى ، وملأ ساحتى إلى أن ضقت عن تحمل المنن فلا طريق إلى قبول الزيادة منها وعليها » .

قال ابن المستوفى « وفى النسخة العجمية: بلا عند ، أى بلا موضع أى لم يبق موضع أضع فيه عطاء . وقال الخازرنجى : أى ملأ « عندى » نوالا حتى لا عندى خال ، وهذا تمليح للشعر » النظام جـ ١ لوحة ٣٣٧ .

(١) ديوانه ٢ : ١٣٠٥ .

(٢) ديوانه ، و س : « جاد بالعرف باذل » .

(٣) ديوانه ١ : ٤٧٧ .

(٤) ديوانه : « خلق مخيلة » ، وقد سبق البيت فى ١ : ٣٥٢ وروايته هناك « ترجى وأجسام بلا أرواح » .

(٥) ديوانه ١ : ٥١٥ .

(٦) ديوانه ٢ : ١٢٨١ وفى س : وقال البحترى ، و « جازوا » بالزاى .

وَلَيالى الخَرِيف خُضْرٌ ، ولكِنْ    زَهَّدَتْنَا عَنْهَا لَيالِى الرَّبِيعِ[(١)]

قَوْلُه : « ولَيْسَتْ يَلامِقُ مِن دُروع » تَشْبِيهٌ قَبيحٌ جدًّا ، وغَيرُ لائقٍ بالمَعْنَى ، وكان يَنْبَغى – لمّا ذَكَر المُجارَاة[(٢)] – أَنْ[(٣)] يَقول : ولَيْسَ البَطِىءُ مِثْلَ السَّرِيعِ ، ونحوَ هذا ، أَوْ لَوْ كانَ جعلَ صَدْرَ البيت[(٤)] « ورجالٌ ظَنَنْتُهم جُنْنًا دونى » ، لَصَلُحَ أن يقولَ « ولَيْسَتْ يلامِقُ من دُروعٍ » فَتصِحَّ[(٥)] القِسْمَةُ ، لأنَّ « اليَلامِقَ » جَمْعُ « يَلْمَقٍ » ، وهو القِباءُ المَحْشُوّ ، ولا يَرُدُّ ما [ يَرُدُّ[(٦)] ] الدِرْعُ التى هى[(٧)] أَحْصَنُ الجُنَنْ ، إذ لو[(٨)] ساعدت القافية لما ذكر الغُرَّ حتى يقولَ : وليس الأغَرُّ مثلَ البَهِيمِ[(٩)] ، لكان[(١٠)] هذا من أصحِّ تَقْسِيمٍ .

والبحترىُّ أَحْذَقُ النَّاسِ بالتَّقْسيماتِ والمُقَابَلاتِ ، ولَسْتُ أدرى كَيفَ تَسامَح[(١١)] فى مِثْلِ هذا ، وإذا لم تُساعِدِ القَافِيةُ ، فاطّراحُ[(١٢)] البيتِ من الشِّعْر [ واسْتِئْنافُ آخرَ أَولَى بالصَّواب ، وأَشْبَهُ بِمَذاهِبِ الحُذَّاقِ من الشُّعَراءِ ][(١٣)] .

وقال أبو تَمّام فى نَحْوٍ آخر[(١٤)] :

---

(١) ديوانه : « رغبتنا » .
(٢) س : « المجازاة » بالزاى المعجمة .
(٣) ساقطة من س .
(٤) س : قال « ورجال ظننتهم ... » .
(٥) س : حتى تصح .
(٦) ساقطة من الأصل .
(٧) س : الذى هو .
(٨) س : ولو .....
(٩) فى س : وليس الغُرُّ مثلَ البُهْمِ .
(١٠) س : كان .
(١١) س : ولا أدرى كيف سامح .....
(١٢) س : « فكان اطّراح » .
(١٣) الأصل : « فاطرح البيت من الشعر أجدر وأحرى » وما بين القوسين زيادة من س .
(١٤) ديوانه ١ : ٣٨٢ والتبريزى ١ : ٣٧٥ ، وقد سبقا فى الجزء الأول ص ٦٩ .

وما سَافَرْتُ فى الآفاقِ إلَّا ... ومِنْ جَدواكَ راحِلَتِي وزَادِى
مُقِيمُ الظَّنِّ عندك والأمانِى ... وإنْ قَلِقَتْ رِكَابى فى البِلادِ

هَذا مِنْ قَوْلِ أبى نُواسٍ(١):

وإنْ جَرَتِ الألْفاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ ... لِغَيْرِكَ إنْسانًا فأنْتَ الذى نَعْنِى

وإنَّما أخذَ أبو نُواسٍ هَذا من قول كُثَيِّرٍ(٢):

مَتى ما أَقُلْ فى آخِرِ الدَّهْرِ مِدْحَةً ... فما هِىَ إلا لابنِ لَيْلَى(٣) المُكَرَّمِ

وما أحسنَ ما اعْتَذرَ ابن هرمة، وليس هو هذا المَعنى بِعَيْنِهِ، وذلك قوله(٤):

فإن أَكُ قَدْ هَفَوْتُ إلىٰ أميرٍ ... فَعَنْ غَيرِ التَّطَوُّعِ والسَّمَاحِ
ولكِنْ سَقْطَةٌ عِيبَتْ عَلَيْنَا ... وبَعْضُ القَولِ(٥) يَذْهَبُ فى الرِّياحِ

وقال أبو تمّام(٦):

أَعْطَيْتَنِى دِيَةَ القَتيلِ ولَيْسَ لِى ... عَقْلٌ ولا حَقٌّ عليكَ قديمُ
إلّا نَدًى كالدَّيْنِ حَلَّ قضاؤُهُ ... إنَّ الكريمَ لِمُعْتَفِيهِ غَرِيمُ

وقال(٧):

---

(١) « هذا » ساقطة من س، ديوانه ٤١٥، وقد سبق البيت ١ : ٦٩، وفى س: « يومًا بمدحة ».
(٢) « هذا من » ساقطة من س، ديوانه ٣٠٢.
(٣) ابن ليلى: هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم يعرف بابن ليلى « وهى ليلى بنت زبان بن الأصبغ الكلبية، ابنة عم نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان رضى الله عنه »، ولى مصر من قبل أخيه عبد الملك ابن مروان وتوفى بها سنة ٨٥ « جمهرة الأنساب ص ٨١، ٨٧، ١٠٥، والطبرى ٦ : ١٤٥ ».
(٤) ديوان ابن هرمة ص ٨٦.
(٥) « وبعض القوم ». تحريف، و « بالرياح ».
(٦) ديوانه ٢ : ٤٢١ وشرح التبريزى ٣ : ٢٩٢.
(٧) ديوانه ١ : ٢٢٣ وشرح التبريزى ١ : ١١٣.

صَدَفْتُ عَنْهُ فلَمْ تَصْدِفْ مَودَّتُهُ   عَنّى وعَاودَهُ ظَنّى فَلَمْ يَخِبِ
كالغَيْثِ إنْ جِئْتَهُ وافاكَ رَيِّقُهُ   وإنْ تَحمَّلْتَ عَنْهُ كانَ فى الطَّلَبِ (١)

وهذا فى غَايَةِ الحُسْنِ والصِّحَةِ والحلاوة .

وقال (٢) :

كُلُّ شِعْبٍ كَنْتُمْ بِهِ آل وَهْبٍ   فَهْوَ شِعْبِى وشِعْبُ كُلِّ أَديبِ (٣)
/ لم أَزَلْ بَارِدَ الجَوانِحِ مُذْ خَضْـ (م) ـخَضْتُ دَلْوِى فى مَاءِ ذَاكَ القَلِيبِ ٨٢
بِنْتُمُ بالمَكْروهِ دُونِى وأَصبَحْـ (م) ـتُ الشريكَ المُخْتارَ فى المَحْبُوبِ (٤)
ثُمَّ لَمْ أُدْعَ من بَعيدٍ لَدَى الإِذْ   نِ ولم أُثْـنَ عَنكُــمُ من قَرِيبِ (٥)
كُلَّ يَوْمٍ تُزَخْرِفُونَ فِنَائِي   بِحِبَاءٍ فَرْدٍ وبِــرٍّ غَريبِ
إنّ قَلْبِى لَكُمْ لَكَالْكَبِدِ الحَرَّ (م) ى وقَلْبِــى لِغَيْرِكُـمْ كالْقُلُــوبِ (٦)

وهذا الاعتدادُ (٧) عِنْدِى (٨) الذى لايفي بِحُسْنِهِ وغَرَابَتِهِ شَىءٌ .

وقَالَ (٩) :

أبا سَعِيدٍ وَمَا وَصْفِى بِمُتَّهَمٍ   على الثَّنَاءِ وما شُكْرِى بِمُخْتَرَمِ

---

(١) س : « وفاك صَيِّبه » .
(٢) ديوانه ١ : ٢٣٠ وشرح التبريزى ١ : ١٢٤ .
(٣) فى الأصل : « فيوسعنى » تحريف .
(٤) س : « وأصبحت الكريم » .
(٥) س : « ثم لم أدع منكم من بعيد » .
(٦) الأصل : « كالكبد » .
(٧) س : الاعتذار .
(٨) ساقطة من س .
(٩) ديوانه ٢ : ٣٩٥ والتبريزى ٣ : ٢١٨ ، يمدح أبا سعيد : محمد بن يوسف وفى س : وقال أبو تمّام .

لَئِنْ جحدْتُكَ ما أُولَيْتَ من حَسَنٍ ... إنِّى لَفِى اللُّؤمِ أَحظىٰ مِنْكَ فى الكَرَمِ (١)
أَنْسىٰ ابْتِسامَكَ والألوانُ كاسِفَةٌ ... تبسُّمَ البَرْقِ فى دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ (٢)
كَذا أَخوكَ النَّدىٰ لو أنه بَشَرٌ ... لم يُلْفَ طَرْفَةَ عَيْنٍ غَيْرَ مُبْتَسِمِ
رَدَدْتَ رَوْنَق وَجْهى فى صَحيفَتِهِ ... رَدَّ الصِّقالِ بَهاءَ الصارمِ الخَذِمِ (٣)
وما أُبالى وخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ ... حَقَنْتَ [ لى ] ماءَ وَجْهي أَمْ حَقَنْتَ دَمِى (٤)

وقال البحتريُّ (٥) :

أأَكْفُرُكَ النَّعماءَ عِنْدى وقد نَمَتْ ... عَلَىَّ نُموَّ الفَجْرِ ، والفَجْرُ ساطِعُ
وأنْتَ الذى أَعْزَزْتَنى بعد ذِلَّتِى ... فلا القَوْلُ مَخْفُوضٌ ولا الطَّرْفُ خاشِعُ

وقال (٦) :

أراكَ بعينِ المُكْتَسى ورَقَ الغنىَ ... بآلائِكَ اللَّاتِى يُعَدِّدُها الشِّعْرُ (٧)
ويُعْجِبُنى فَقْرِى إلَيْكَ ولَمْ أَكُنْ ... لِيُعْجِبُنى لَوْلَا مَحبَّتُكَ الفَقْرُ (٨)
ووَاللهِ ما ضَاعَتْ أيادٍ أَتَيْتَها ... إلَىَّ ولا أَزْرىٰ بِمَعْروفِكَ الكُفْرُ (٩)
ومالِىَ عُذْرٌ فى جُحودِكَ نِعْمَةً ... ولَوْ كانَ لِى عُذْرٌ لما حَسُنَ العُذْرُ

---

(١) روى فى ديوانه : « لئن حمدتك » وهو لا يتناسب مع معنى البيت ، وفى التبريزى « أولى منك » .

(٢) أى لا أنسى ، فحذف « لا » ومثله كثير « التبريزى » ، وفى ديوانه وشرح التبريزى : « تَبَسُّم الصبح » .

(٣) شرح التبريزى « بماء الصارم » .

(٤) أراد « أحقنت » ، فحذف حرف الاستفهام « التبريزى » ، وفى س وديوانه والتبريزى : « أوحقنت » ، وما بين المعقوفين سقط من الأصل ، واستدرك فى هامش س .

(٥) ديوانه ٢ : ١٣٠٥ ، وفى الأصل : « يمر الفجر » تحريف .

(٦) ديوانه ٢ : ٨٤٧ .

(٧) الأصل : « بالآجل اللائى » تحريف .

(٨) ديوانه : « ولم يكن » .

(٩) س : « بمعروفها » .

وقال[١] :

أَعْطَيْتَنِي حتى حَسبْتُ جَزِيلَ ما أَعْطَيْتَنيهِ وَدِيعَةً لم تُوهَبِ[٢]
فَشَبِعْتُ من بِرٍّ لَدَيْكَ ونائِلٍ ورَوِيتُ من أَهْلٍ لَديكَ ومَرْحَبِ[٣]

أَخذه من قَوْلِ الفرزْدَقِ :

/ أَعْطانِيَ المالَ حتى قُلْتُ يُودِعُنِي أو قُلْتُ أَوْدَعَ مالًا قَدْ رآهُ لَنَا[٤] ٨٨ ب

وبَيْتُ البُحْتُرِيِّ أَجْوَدُ .

وقال[٥] :

إِنِّي هَجَرْتُكَ إِذْ هَجرْتُكَ وَحْشَةً لا العَوْدُ يُذْهِبُها ولا الإِبْداءُ
أَخْجَلْتَني بِنَدى يَدَيْكَ وسَوَّدَتْ ما بَيْنَنَا تلك اليَدُ البَيْضَاءُ[٦]
وقَطَعْتَنِي بالجُودِ حَتَّى إِنَّنِي مُتَخوِّفٌ أَلَّا يكون لقاءُ
صِلَةٌ غَدَتْ في النَّاسِ وهْيَ قَطِيعَةٌ عَجَبٌ ، وبِرٌّ راحَ وهو جَفَاءُ !
لِيُواصِلَنَّكَ رَكْبُ شِعْرٍ سَائِرٍ يَرْوِيهِ[٧] فيك لِحُسْنِهِ الأَعْداءُ
حتَّى يَتِمَّ لكَ الثَّناءُ مُخلَّدًا أَبَدًا كما تَمَّتْ لِيَ النَّعْماءُ
فَتَظَلُّ تَحْسُدُكَ المُلوكُ الصِّيدُ بِي وأَظَلُّ يَحْسدُنِي بِكَ الشُّعَراءُ

وهذا [ أيضا[٨] ] حَسَنٌ حلوٌ في معناه .

---

(١) ديوانه ١ : ٨١ ، ٨٢ .
(٢) سبق في ١ : ٣١٤ .
(٣) ورد في الديوان سابقا للبيت الذى قبله ببيت واحد .
(٤) سبق في ١ : ٣١٤ ، وانظر الموشح ص ٥١٨ .
(٥) ساقطة من س . والأبيات في ديوانه ١ : ٢١ ، ٢٢ .
(٦) ديوانه : « أحشمتني » ، و س : « منك اليد » .
(٧) « يرويه » ساقطة من س .
(٨) زيادة من س .

وقريبٌ منه(١) قولُ مروانَ الأصْغرِ – وهو ابن أبى الجَنُوبِ(٢) – فى المُتوكِّلِ :

وأَمسِكْ ندى كَفَّيْكَ عَنِّى ولا تَزِدْ فقد خِفْتُ أَنْ أَطْغَى وأَنْ أَتَجَبَّرا(٣)

وقال البحترىُّ – ومَوْضِعُها مع الأبياتِ فى أَوَّلِ البَابِ(٤) – :

لابسٌ منكَ نِعْمَةً لا أَرىَ الإخـ ـلاقَ فى حَالَةٍ لَها بِخَلِيقِ
إنْ تَقُلْ(٥) زِينَةٌ فَحِلْيَةُ عِقْيَا نٍ ، وإنْ خِفَّةٌ فَفَصٌّ عقَيقِ
هِىَ(٦) أَغْلَتْ قَدْرِى ، وأَمْضَتْ لِسانى وأَشاعَت باسْمِى ، وبَلَّتْ رِيقِى

ولستُ أَعرِفُ للبحترىِّ مَعنًى رَثًّا ولفظًا غَثًّا إلّا قَوْلَهُ : « فَصٌّ عقيقٍ » .

[ وأبو تمّامٍ فى هذا البَابِ أَشْعَرُ من البُحْتُرِىِّ(٧) ]

* * *

(١) س : وقريب من قول .

(٢) مروان بن أبى الجنوب وهو مروان بن يحيى بن مروان بن سليمان بن أبى حفصة يكنى « أبا السمط » ، ويلقب « غبار العسكر » لبيت قاله ، ويعرف بمروان الأصغر ، تمييزا له عن جده مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور ، « ابن خلكان ٥ : ١٩٣ ، تاريخ بغداد ١٣ : ١٥٤ ، الأغانى ١١ : ٢ » .

(٣) البيت فى الأغانى ١١ : ٢ وفيه « فقد كدت » ، وتاريخ بغداد ١٣ : ١٥٤ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٥ والطبرى ٩ : ٢٣٢ .

(٤) ديوانه ٣ : ١٤٨٥ .

(٥) ديوانه : « إن يُقَلْ » بالبناء للمجهول .

(٦) س : « هل » ، وديوانه « وأشاعت ذكرى » ، « أعلت » بالهملة .

(٧) ساقطة من س .

## وهذا بابٌ فيما نَطَقَ به من الشُّكْرِ والحَمْدِ

والبابُ الذى رَسَمْتُهُ وتَرْجَمْتُهُ قَبلَ هذا بالاعْتِدادِ هو صَرِيحُ الشُّكر ، وفى هذا البابِ إفْصاحٌ بِلَفْظِ الشُّكْرِ والحَمْدِ.[1]

قالَ أبو تَمّام فى الحَسنِ بنِ وَهبٍ[2] :

يَهَبُ النَّائِلَ الجَزيلَ ويُعْطِى    إنْ مَطَلْنا بالشُّكرِ بَعضَ المَطالِ

لَفْظَةُ « المَطْلِ بالشُّكْرِ » هاهُنا[3] حُلْوةٌ جِدًّا .

وقال فى ابنِ الهَيْثَمِ[4] :

أَقولُ بِبَعْضِ ما أُسْدَيْتَ عِنْدِى    وما أَطْلَبْتَنِى قَبْلَ الطِّلابِ

/ ولو أنِّى استَطَعْتُ لقَامَ عَنِّى    بِشُكْرِكَ من مَشىٰ فَوْقَ التُّرابِ[5] ٨٩

إذًا شَكَرَتْكَ «مَذحِجُ» حَيثُ كَانَتْ    بَنُو دَيَّانِها وبَنُو الضِّبَابِ[6]

---

(١) العبارة فى الأصل مضطربة وصححتها من س .

(٢) س : « وقال » ولم يرد هذا البيت فى شرح الصولى أو شرح التبريزى ، وقد وجدته فى مخطوطتى الديوان السابق ذكرهما لوحة ١٥٤ ، ١٢٩ ، وفيهما : « النائل النجاز » ، « إن مطلناه الشكر » .

(٣) فى الأصل : « لفظة المطل هاهنا الشكر » .

(٤) ديوانه ١ : ٣٣٤ والتبريزى ١ : ٢٨٧ وفى س : « وقال فى أبى الحسن محمد بن الهيثم » .

(٥) س : « عظْمُ مَنْ فَوقَ التراب » .

(٦) قال التبريزى : « مَذحج » اسم امرأة ، واسمها « مدلة » وقيل « دلة » وقيل : سميت =

وَجِئْتُكَ فى قُضاعَةَ قَدْ أطَافَتْ   بِرُكْنَىْ عَامِرٍ وبَنِى جناب (١)
ولاسْتَنْجَدْتُ حَنْظَلَةً وعَمْرًا   ولم أُعْدِلْ بِسَعْدٍ والرِّبَابِ (٢)

هَذهِ لَامُ التَّوْكِيدِ. (٣)

ولاسْتَرْفَدْتُ من قَيْسٍ ذُرَاها   بَنِى بَدْرٍ وصِيدَ بَنِى كِلابِ (٤)
ولاحْتَفَلتْ رَبِيعةُ لِى جَمِيعًا   بأَيَّامٍ كَأَيَّامِ الكُلابِ (٥)
وأَشْفِى من صَمِيمِ الشُّكْرِ نَفْسِى   وتَرْكُ الشُّكْرِ أَثْقَلُ لِلرِّقابِ (٦)

وقالَ فى مَدْحِ الحَسَنِ بنِ وَهْبٍ: (٧)

والحَمْدُ شَهْدٌ لاترَى مُشْتَارَهُ   يَجْنِيهِ إلّا من نَقِيعِ الحَنْظَلِ
غُلٌّ لِحَامِلِهِ ويَحْسَبُهُ الذى   لم يُوهِ عاتِقَهُ خَفِيفَ المَحْمَلِ (٨)

---

= « مذحج » لأنها ولدت فوق أكمة ، فانذحجت من أعلاها إلى أسفلها ، وقال قوم : بل الأكمة كان يقال لها « مذحج » ، ... ثمّ ذكر قضاعة لما تدعيه من القربى إليهم ، وذكر غيرهم من العرب لأن الإصْهارَ فى القبائل وتَزَوُّجَ بعضهم إلى بعض صَيَّرَ بينهم أسبابا من الخوؤلة والقرابة .

(١) فى الأصل و س : « بنو » والتصحيح من الديوان وشرح التبريزى .

(٢) فى الأصل : « وسعدا » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى و س .

(٣) يعنى اللام فى قوله « ولاستنجدت » ، وربما تكون هذه العبارة من تعليقات بعض العلماء فأقحمها الناسخ ، ومما يعزز هذا أنها ساقطة من س .

(٤) س : « بنى بكر » وبنو بدر : هم أبناء بدر بن عمر بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة .

(٥) أيام الكُلاب : وقائع مشهورة ، فيوم الكُلاب الأول : لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور ، ومعه بنو تغلب والنَّمِرُ بن قاسط وسعد بن زيد مناة والصنائع على أخيه شرحبيل بن الحارث بن عمرو ومعه بكر وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد ، فَقُتِلَ شرحبيل ، أما يوم « الشعيبة » فهو يوم الكُلاب الثانى لبنى تميم وبنى سعد والرباب رئيسهم قيس بن عاصم ، على قبائل مذحج فى نحو اثنى عشر ألفا ، رئيسهم زيد بن المأمور ، والكُلاب : موضع بالدهناء بين اليمامة والبصرة وفيه كانت الوقعتان « الاشتقاق ص ٢١ والعمدة ٢ : ٢٠٦ » .

(٦) ديوانه والتبريزى و س : « فأشفى » .

(٧) ديوانه : ٢ : ٢٥٩ والتبريزى ٣ : ٤٢ .

(٨) فى الأصل : « ثقيل » والتصحيح من ديوانه والتبريزى و س .

وقال[١] :

أَثْنيتُ إِذْ كان الثَّناءُ حِبالَةً شَرَكًا يُصادُ بِهِ الكَرِيمُ المُنْعِمُ
وَوَفَيْتُ إِنَّ مِنَ الوَفاءِ تجارَةً وشَكَرْتُ إِنَّ الشُّكْرَ حَرْثٌ مُطْعِمُ

وقال البحترىّ[٢] :

يَمِيلُ وَزْنُ القَوافى بالنَّوالِ ولَوْ راحَ النَّوالُ وَفِى مِيزانِه « أُحُدُ »
والشُّكْرُ أَنْ يُخْبِرَ الوُرَّادُ سَائِلَهُمْ عن فَضْلِ مُخْتَبَرِ العِدِّ[٣] الذى وَرَدُوا

وقال أبو تمّام فى ابن المعتصم[٤] :

والحَمْدُ بُرْدُ جَمالٍ اخْتالَتْ بِهِ غُرَرُ الفَعالِ ، ولَيْسَ بُرْدُ لِبَاسِ
وكَأَنَّ بَيْنَهُما رِضاع الثَّدْيِ مِنْ فَرْطِ التَّصافِى أو رِضاعَ الكَاسِ[٥]

وقال فى أبى عبد الله حَفْصِ بنِ عُمَرَ الأَزدِىِّ[٦] :

وما كُنْتُ ذَا فَقْرٍ إلى صُلْبِ مَالِهِ وما كانَ حَفْصٌ بالفَقيرِ إلى حَمْدى
ولكِنْ رَأَى شُكْرِى قِلادَةَ سُؤْدَدٍ فصاغَ لها سِلْكًا بَهِيًّا من الرِّفْدِ

« السِّلْكُ » هو الخَيْطُ نَفْسُهُ ، وذلك لا يُصاغُ ، ولو قالَ : « فصاغَ لَهاَ عِقْدًا » كانَ أَحْسَنَ[٧] .

فما فَاتَنِى ما عِنْدَه من حِبَائِهِ ولا فَاتَهُ[٨] من فَاخِرِ الشِّعْرِ ماعندي

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٦٢ ، شرح التبريزى ٣ : ٢٠٢ .
(٢) ديوانه ٢ : ٦٤٦ .
(٣) الماء العد : الدائم الذى لا ينقطع كماء العين .
(٤) ديوانه ١ : ٥٧١ والتبريزى ٢ : ٢٤٨ ، وفى س : « فى المعتصم » .
(٥) ديوانه : « لارضاع الكاس » .
(٦) ديوانه ١ : ٤٩٣ والتبريزى ٢ : ١٢٥ .
(٧) قوله : « كان أحسن » سقط من س .
(٨) فى الأصل : « فاته » والتصحيح من ديوانه والتبريزى و س .

وقال [ أبو تمَّامٍ فى ابن أبى رِبْعِىٍّ ](١) :

مامِنْ جَميلٍ من الدُّنْيا ولا حَسَنٍ    إلَّا وأكْثَرُهُ فى ذَلِكَ الخُلُقِ(٢)

يامِنَّةً لكَ لَوْلَا ما أُخَفِّفُها    بهِ من الشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ ولم تُطَقِ

باللهِ أَدْفَعُ عِنِّى ثِقْلَ فادِحِها    فإننى خائِفٌ مِنْها على عُنُقِى(٣)

وقال البحترىُّ فى يوسفَ بنِ محمدٍ(٤) :

وما اخْتَرْتُ دَارًا غيرَ دَارِكَ من قِلًى    وأينَ تُرَى قَصْدى ومن دُونىَ البَحْرُ(٥) ؟

سَأشكرُ لا أَنِّى أُجازِيك نِعْمةً    بأُخرىٰ ، ولكِنْ كَىْ يُقالَ لَهُ شُكْرُ

وأذْكُرُ أيَّامى لَديْكَ وحُسْنَها    وآخِرُ مايَبْقىٰ من الذَّاهِبِ الذِّكْرُ(٦)

وقال البحترىّ(٧) :

بِنِعْمَتِكُمْ يا « آل سَهْلٍ » تَسهَّلَتْ    عَلَىَّ نَواحِى دَهْرِىَ المُتوعِّرِ

شَكَرْتُكُمْ حتى استكانَ عَدوُّكُمْ    ومن يُولَ ما أوْلَيْتُمونِىَ يَشْكُرِ(٨)

أَلَسْتُ ابْنَكُمْ دونَ البَنِينَ وأنْتُمْ    أحِبَّاءُ أهْلِى دُونَ «مَعْنٍ» و «بُحْتُرِ»(٩)

---

(١) زيادة من س . وفيها ( فى أبى ربعى ) والتصحيح من ديوانه ، وفى الأصل « وقال أيضًا » .

(٢) ديوانه ٢ : ٩٠ والتبريزى ٢ : ٤٠١ .

(٣) ديوانه والتبريزى : « حق » .

(٤) ديوانه ٢ : ٨٩٥ .

(٥) س وديوانه : « ومن خلفى » .

(٦) ديوانه : « ونعمتى » .

(٧) ديوانه ٢ : ٨٩٠ .

(٨) ديوانه : « ما أوليتمونيه » .

(٩) « معن » و « بحتر » إبنا عنود بن عنين بن سلامان بن ثُعَل ، وهما بطنان ضخمان من طيئ ومنهم البحترىّ .

وقال فى إبراهيمَ بنِ حسنِ بن سَهْلٍ[1] :

جِئْناكَ نَحْمِلُ ألفاظًا مُدبَّجةً  كأنَّما وَشْيُها من يُمْنَةِ اليَمَنِ
نُهْدِى القَرِيضَ إلى رَبِّ القَرِيضِ مَعًا  كحَامِلِ العَصْبِ يُهْدِيهِ إلى عَدَنِ[2]
من كلِّ زَهْراءَ كالنُّوَّارِ مُشْرِقَةٍ  أَبْقَى على الزَّمَنِ البَاقِى من الزَّمَنِ[3]
شُكْرُ امْرِئٍ ظَلَّ مَشْغُولًا بِشُكْرِكَ عن  فَرْطِ البُكاءِ على الأَطلالِ والدِّمَنِ

[ أى : هِىَ شكر[4] ] .

وقالَ فى عَبد الله بن يحيىٰ بنِ خَاقانَ [ أخى عبيد الله[5] ] :

نَفْسي فِداءَ أبى مُحمَّدٍ الذى  مازِلْتُ أحْمَدُ فى ذَرَاهُ مَكَانى
خِلٌّ بَلَغْتُ بِرأْيِهِ شَرَفَ العُلىٰ  وأخٌ غَنِيتُ بهِ عَنِ الإِخْوانِ
واللهُ يَجْزِيكَ الذى لَم يَجْزِهِ[6]  شُكْرِى ، ولم يَبْلُغْ مَداهُ لِسَانى

وقال فى الفَضْلِ بن إسماعيلَ الهاشمىِّ[7] :

مُسْتَأْثِرٌ بالمَكْرُماتِ تَلُومُهُ  فِيها خَلائِقُ حَاسِدٍ وبَخِيـــلِ[8]
/ ومَتى عَرضْتَ لِشُكْرِهِ فالبَرْحُ مِنْ  نَيْلٍ علىَ ثَبَجِ الثَّنَــاءِ ثَقِيـــلِ[9]  ٩٠

---

(١) ديوانه ٤ : ٢١٩٤ ، وفى س « إبراهيم بن سهل » .

(٢) العَصْبُ : نوع من البرود اليمنية .

(٣) س : « أبقىٰ من » .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من س ، وفى الديوان « شُكْرَ » بالنصب ، وعلى الرغم من عبارة المؤلف الواردة فى س ، فقد ضُبِطَتْ الكلمة فيها وفى الأصل « شكرَ » بالنصب ، وقد صححت الضبط على ما تقتضيه عبارته وهو الرفع .

(٥) ديوانه : « يمدح عبيد الله بن يحيى بن خاقان » ٤ : ٢٢٤٠ وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٦) ديوانه و س : « الله يجزيك » .

(٧) ديوانه ٣ : ١٦٦٠ .

(٨) ديوانه : « تعوده » .

(٩) ديوانه : « فالبُرْحُ مِن تَبَلٍ » والمَعنى على هذه الرواية غامض . والمعنى هنا : أن عطاياه عظيمة ينو بحِمْلِها الثناءُ ، فلا يُوفِّيها حقَّها ، والبيت الذى بعده فى الديوان يؤكد هذا المعنى فقد قال :

ومن الصَّنائعِ ما يُؤَكِّدَ باللُّهَىٰ  فينوءُ حامِلُه بِعِبْءِ الفيلِ

وقال فى إسماعيلَ بنِ بُلْبُلٍ[١] :

هَاتيكَ أخْلاقُ « إسْماعيلَ » فى تَعَبٍ ‏ ‏ من العُلَا ، والعُـلَا مِنْهُـنَّ فى تَعَبِ[٢]

أَتْعَبْتَ شُكْرِى فأضْحَى مِنْكَ فى نَصَبٍ ‏ ‏ أَقْصِرْ ، فمَالِىَ فى جَدْواكَ مِن أَرَبِ[٣]

لا أَقْبَلُ الدَّهْرَ نَيْلًا لايقـومُ بِهِ ‏ ‏ شُكْرِى ، ولو كانَ مُسْدِيهِ إلَىَّ أَبِى

لمّا سَأَلْتُكَ وافانِى نَدَاكَ علىٰ ‏ ‏ أَضْعافِ ظَنِّى ، فلم أَظفَرْ ولم أَخِبِ

وقد أحسنَ البُحْتُرِىُّ فى هذا كُلَّ الإحسانِ .

وقد قال دِعْبل فى خلاف هذا المعنى ، وكلاهُما فى غَايةِ الحُسْن ، [ فقال ][٤] يَمْدَحُ قَوْمًا[٥] :

لايَقْبَلونَ الشُّكْرَ مَالَمْ يُنْعِمُوا ‏ ‏ نُعْمَى يَكونُ لَها الثَّناءُ تَبِيعا

وقال أبو تَمّامٍ [ ويُنْقَلُ إلى الباب الذى قَبْلَهُ[٦] ] :

ومن الرَّزِيَّةِ أَنَّ شُكْرِىَ صَامِتٌ ‏ ‏ عمَّـا فَعَـلْتَ وأنَّ بِرَّكَ نَاطِـقُ[٧]

تَأْتِى الصَّنِيعةُ مِنْك ثُمَّ أُسِرُّها ‏ ‏ إنِّـى إذًا لِيَدِ الكَريـمِ لسَارِقُ[٨]

ويروى : لِنَدى الكَريمِ لَسارِقُ[٩] .

---

(١) ديوانه ١ : ١٢٠ .

(٢) سبق فى ٢ : ٣٠٣ .

(٣) ديوانه : « فاذهبْ فمالِىَ فى جَدواكِ من أَرَبِ » ، وس . « أضحى منك فى تعب » .

(٤) زيادة من س .

(٥) شعره المجموع ص ١٨٤ وفيه « نِعَمًا » .

(٦) ديوانه ٢ : ١٥٥ والتبريزى ٢ : ٤٥٥ ، وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٧) هذه رواية س والتبريزى ، وفى الأصل روى « عما صنعت » ثم كتب فوقها تلك الرواية .

(٨) ديوانه والتبريزى : « آرى الصنيعة ... ليد الكرام ... » .

(٩) هذه العبارة ساقطة من س .

وقالَ فى مِثْلِهِ (١) :

لَلنَّارُ نارُ الشوقِ فى كَبِدِ الفَتىٰ ‏ ‏ [ والبَيْنُ ] أَوْقَدَها هَوًى مَسْمُومُ (٢)

خيرٌ لَهُ من أَنْ يُخامِرَ صَدْرَهُ ‏ ‏ وحَشاهُ مَعْروفُ امْرِئٍ مَكْتُومُ

سَرَقَ الصَّنيعةَ واستَمَرَّ بِلَعْنَةٍ ‏ ‏ يَدْعُو عَلَيْهِ النَّائِلُ المَظْلُومُ (٣)

أَأُقَنَّعُ المَعْروفَ وَهْوَ كأَنَّهُ ‏ ‏ قَمَرُ الدُّجى إنى إذًا لَلَئِيمُ !

مُثْرٍ مِنَ المَالِ الذى مَلَّكْتَنِى ‏ ‏ أَعْناقَهُ ، ومن الوَفاءِ عَدِيمُ ؟

فأروحُ فى بُرْدَيْنِ لم يَسْحَبْهُمَا ‏ ‏ قَبْلِى فتًى وهما الغِنَى واللُّوم

[ وأبو تَمَّامٍ فى هذا البابِ أَيْضًا أَلْطَفُ من البُحْتُرِىِّ ] (٤) .

* * *

(١) ديوانه ٢ : ٤٢٣ والتبريزى ٣ : ٢٩٣ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « النّار ... يوقده ... » ، و « البين » ساقطة من الأصل .

(٣) س وديوانه : « فاستمر » .

(٤) زيادة من س ، وإلى هنا تنتهى نسخة س ، وختمت بالتالى :
« والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطيبين وسلم » .

# كتاب البأسِ والنَّجدَةِ[1]

فأوّل مَا أبدأ بِهِ مِن ذلِكَ :

- وَصْفُ الجَيْشِ وكَثَافَتِهِ وَعِظَمِهِ .
- وفِى الرَّأىِ والتَّدبِيرِ .
- وفِى صِفَةِ الحَربِ .
- وفِى وَصْفِ رِجَالِ الحَرْبِ[2] .
- وفِى تَشْبِيهِ الأبْطَالِ بالسِّبَاعِ .
- وفى وَصْفِ السّيوفِ والرِّمَاحِ .
- وفى وَصْفِ الدُّرُوعِ والجُنَنِ .
- وفِى وَصْفِ الخَيْلِ فى الحَرْبِ .
- وفِى المَسِيرِ إلى أرْضِ العَدُوِّ والنّزُولِ .
- وفِى ذِكْرِ الظَّفَرِ والفُتُوحِ .
- [و] فِى ذِكْرِ مَنِ انْهَزَم ونَجَا بِحُشَاشَتِهِ[3] ومَنْ أُسِرَ .
- ذِكْرُ الصَّلْبِ عَلَى الجُذُوعِ وحَمْلِ الرُّؤُوسِ .
- ذِكْرُ الحَرْبِ فى البَحْرِ .
- ذِكْرُ حَرْبِ ذَوِى الأرْحَامِ والحَضِّ عَلى الصُّلحِ والصَّفْحِ .

---

(١) من هنا تبدأ زيادة نسخة « الأصل » ، « وقد انتهت صحبتها مع « س » إلى خاتمة باب الجود والكرم فى الصفحة السابقة » وتستمر هذه الزيادة إلى نهاية الكتاب .

(٢) الأصل : « وصف حال الحرب » وانظر ص ٣٠٤ .

(٣) الأصل : « نجاشته » .

## ماقالاه في وصف الجيش وكثافته

قَالَ أَبُو تَمَّام[1] :

مُثْعَنْجِرٌ لَجِبٌ تَرَى سُلَّافَهُ ... وَلَهم بِمُنْخَرِقِ الفَضَاءِ زِحَامُ
مَلأَ المَلا عُصَباً فَكَادَ بِأَنْ يُرَى ... لا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَّامُ

« مُثْعَنْجِرٌ » ، يقال : اثْعَنْجَرَتِ العَيْنُ دَمْعًا ، واثْعَنْجَر دَمْعُهَا ، وَهو انْصِبَابُ الدّمع وتَتابُعُهُ ، واثْعَنْجَرَ السَّحَابُ بِالمَطَرِ ، واثْعَنْجَرَ المَطَرُ ، وَقَوْلُ امْرِئِ القَيْسِ[2] :

« وجفنة مُثْعَنْجِرَةْ »

أى : مَمْلُوءَةٌ تَفِيضُ إهَالَة[3] .

و « السُّلَّافُ » : المُتَقَدمُونَ ، و « لَجِبٌ » ، أَرَادَ : كَثِيرَ الأَصْوَاتِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٧٦ ، والتبريزى ٣ : ١٥٥ ، عُصَبٌ : جمع عُصْبةٍ وعصابة .

(٢) ديوانه ص ٣٤٩ وفيه : « وقال لما حضرته المنية بأنقرة :

رب طعنة مثعنجرة
وجفنــة متحيّــرة
وقصيــدة محبّــرة
تبقى غدا بأنقرة »

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٣) فى المخطوطة : « وطعنة » وتحتها : « وجفنة » والشرح عليها فأثبتها ، والإهالة : الودك .

وَقَوْلُهُ : « مَلأً المَلَا عُصَبَا » : فالمَلَا[1] – مقْصُورٌ – ما اتَّسَعَ مِنَ الأَرْضِ ، أَراد أنَّ الجَيْشَ قد مَلأَه لِكَثْرَتِهِ . وهذا مَعنًى قد تَداوَلتْهُ العَرَبُ وتَقَدَّمَتْ فِيهِ الشُّعَراء ، وجَوَّدُوهُ ، قال أوس بن حجر[2] :

تَرَىٰ الأَرْضَ مِنَّا بالفَضاءِ مَرِيضَةً مُعَضَّلَةً مِنَّا بِجَيْشٍ عَرَمْرَمِ

قَوْلُه : « مُعضَّلَةً » مِنْ قَوْلِهِم : عَضَّلَتِ المَرْأَةُ عِنْدَ الوِلَادَةِ ، إذَا نَشِبَ وَلَدُهَا فى بَطْنِهَا ، وَعَسُرَ خُرُوجُه ، يُؤَكِّدُ بذَلِكَ كَثرة الجَيْشِ ، وأَنَّ الأَرضَ الفَضاءَ قَدضَاقَتْ بِهِ ، ومِن هَذَا قَولُهم : قَدْ أَعْضَلَ الأَمْرُ ، وأَمْرٌ مُعْضِلٌ ، أى : عَسِرٌ ضَيِّقٌ .

و « العَرَمْرَمُ » الكَثِيرُ .

وتَبعَ النابِغَةُ أَوساً فِى هَذَا فَقَالَ[3] :

مَجْرٌ يَظَلُّ بِهِ الفَضاءُ مُعَضِّلًا يَذَرُ الإِكَامَ كأَنَّهُنَّ صَحَارِى

فأَوْرَدَ النَّابِغَةُ مَعْنَى بَيْتِ أوْسٍ فى صَدْرِ بَيْتِهِ ، وزَادَ عَلَيْهِ فِى العَجُزِ بِقَوْلِهِ :
« يَذَرُ الإِكَامَ كأَنَّهُنَّ صَحَارِى[4] »

أى : يَهْدِمُها ويَطْحَنُها بِحَوافِرِ الخَيْلِ حَتَّى تَلْحَقَ بالأَرْضِ .

---

(١) فى اللسان « ملا » : وأما المتسع من الأرض فغير مهموز ، يكتب بالألف والياء ، والبصريون يكتبونه بالألف .

(٢) الشعر والشعراء ١ : ٢٠٦ ، وديوان المعانى ٢ : ٦٨ ، واللسان « عضل » وفيها : « بجمع عرمرم » وانظر : ديوانه ص ٢١ .

(٣) الشعر والشعراء ١ : ٢٠٦ وفيه « جيش يظل به ... » ، والمجر : الجيش العظيم المجتمع . « اللسان مجر » وفى ديوانه : ص ٨٨ : « جمعا يظل به ..... » .

(٤) فى الأصل : « صحار » .

وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ زَيْدِ الخَيْلِ (١) :

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَراتِهِ ... تَرَى الأُكْمَ فِيهِ سُجَّدا للحَوَافِرِ

/ أى : تَدُقُّهَا الحَوَافِرُ بِكَثْرتِها ، وتَكُبُّها إلى الأَرْضِ ، وبَيْت النَابِغَةِ أَجْوَدُ ٩١
البَيْتَينِ ، لأنّه تَضمَّنَ المَعْنَيَيْنِ جَمِيعًا ، واقتَصَر أبو تَمَّام على وصف الكَثْرةِ فى بيتِهِ بِمَعْنَيَيْنِ مُخْتلِفيْنِ ، كَأَنَّه اتَّبع أَوْسًا ، إلّا أنَّ قَوْلَهُ :

وَلَهُمْ بِمُنْخرِقِ الفَضَاءِ زِحَام

لَفْظٌ حَسَنٌ .

وَقد حَذَا البُحْترىُّ عَلى قَوْلِه (٢) :

يَذَرُ الإكَامَ كأَنَّهُنَّ صَحَارِى

فَقَالَ (٣) :

إذَا سارَ فى « ابنىْ مَالِكٍ » قَلِقَ الحَصى ... عَلَى جَبَلٍ يَغْشَى الجِبَالَ فَتَقْلَقُ (٤)
عَفَارِيتُ هَيْجاءٍ كَأَنَّ خَمِيسَهُمْ ... بِهِ حِينَ تَلْقَاهُ الكَتَائِبُ أَوْلَقُ (٥)

---

(١) هو زيد بن مهلهل الطائى ، كان فارسا مغوارا مظفرا شجاعا بعيد الصيت فى الجاهلية وأدرك الإسلام ، ووفد إلى النبى « ص » ولقيه وسُرَّبِهِ وقَرَّظَه وسماه : زيد الخير وقال له : ما وصف لى أحد فى الجاهلية فرأيته فى الإسلام إلا رأيته دون ما وصف لى غيرك ، وأقطعه أرضا بنجد ، فمكث فى المدينة سبعة أيام ، وأصابته حمى شديدة فخرج عائدا إلى نجد ، فمات فى طريقه « الإصابة : ٢٩٣٥ والبغدادى ٥ : ٣٧٩ ، والشعر والشعراء ١ : ٢٨٦ » ، وديوانه ٦٦ ، وقال فى ديوان المعانى : « قوله « تضلّ البلق فى حجراته » غاية فى صفة الكثرة ، لأن البُلْقَ مشاهيرُ فإذا خَفِيَ مكانُها فى جَمْع ، فليس وراءه فى الكَثْرةِ شَيءٌ ، والعربُ تقول : أشهرُ من فارس الأبلق ، ورؤساء العرب لا يركبون البُلْقَ فى الحرب لئلا يُنَمَّ عليهم فيُقْصدوا بِشَرّ » .

(٢) يعنى أوس بن حَجَر فى بيته السابق .

(٣) ديوانه ٣ : ١٤٩٣ وفيه « قلق القنا » ونقل فى الهامش تعليق المعرى فى عبث الوليد على رواية « قلق الحصى » فانظره .

(٤) ابنى مالك : هما : الخيار ونبت ابنا مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ « جمهرة الأنساب ص ٣٣٠ » .

(٥) الأولق : المجنون .

فَقَوْلُهُ : « يغشى الجِبَالَ فَتَقْلَق » أي : يَحْطِمُها بكَثْرَتِهِ ، وَيَجُوزُ أن يُرِيدَ بِقَوْلِهِ : « يَغْشَىٰ الجِبالَ » أى : جُيوشاً فَيَقُضُّها ، والأَوَّلُ أَشْبَه .

وقال البحتريّ في كَثَافَةِ الجَيْشِ وَكَثْرَتِه (١) :

لَمَّا أَتَاكَ يَقُودُ جَيْشًا أَرْعَنًا ... يُمْشَى عَلَيْهِ كَثَافَةً وجُمُوعَا

يُرِيدُ انضِمَام الخَيْلِ والرَّجَّالة ، بَعْضِهِم إلى بَعْض ، بِكَثْرَتِهم حَتَّى يَمْشِيَ الماشِي عليهم ، وإنَّما نَحَا نَحْوَ قَوْلِ قيس بن الخَطِيم (٢) :

لَوَ انَّكَ تُلْقِي حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنا ... تَدَحْرَجَ عَنْ ذِى سَامَةِ المُتَقَارِبِ

وقوْلُ قَيْسٍ أحسَنُ وأَجْوَدُ وأَبْرَعُ .

وقَوْلُهُ : « عَنْ ذِي سامَةِ » أى : عَلَى ذِى سَامَةٍ ، والسَّامُ : خُطُوطٌ فِي البَيْضِ يَجْرِى فِيهَا مَاءُ الذَّهَبِ (٣) .

وَقَد أَخَذَ ابنُ الرُومِى أَيْضا معناه ، وَلَفْظَهُ أيضا فَقَالَ (٤) :

فَلَو حَصَبْتُهُمْ بالفَلاةِ سَحَابَةٌ ... لَظَلَّ عَلَيْهِم حَصْبُها يتَدَحْرَجُ

وَلَيْسَ فِي قَصِيدتِهِ أَجْوَدُ مِنْ هَذَا البَيْتِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ١٢٥٥ .

(٢) ديوانه : ص ٨٦ .

وهو أبو يزيد قيس بن الخطيم ، واسم الخطيم ثابت ، شاعر الأوس وأحد صناديدها فى الجاهلية ، تتبع قاتلى أبيه وجده فقتلهما ، أدرك الاسلام ، وتريث فى قبوله ، فقتل قبل أن يسلم ، « الأغانى ١٦ : ١٥٤ ، وجمهرة أشعار العرب ٥٠٧ » .

(٣) جاء فى ديوانه : « السام : عروق الذهب الواحدة سامة ، وبه سُمِّيَ سامة بن لؤى » ثم قال : « وأراد بالسام هاهنا : خطوط ذهب على البَيْضِ تُموّه بها » .

وفى اللسان « سوم » « البيت » : أى : على ذى سامه ، وعن فيه بمعنى على ، والهاء فى سامه ترجع إلى البيض ، يعنى البيض المموّه به ، أى البيض الذى له سام ، قال ثعلب : معناه أنهم تراصّوا فى الحرب ، حتى لو وقع حنظل على رؤوسهم على املاسه واستواء أجزائه لم ينزل إلى الأرض .

(٤) ديوانه ٢ : ٤٩٧ وفيه « ... بالفضاء سحابة ... » .

وفِى كَثَافَةِ الجَيْشِ واجتماعِهِ يقول أبو نُواسٍ (١) :

أَمَامَ خَمِيسٍ أُرجُوانٍ كأنَّه قَمِيصٌ مَحُوكٌ مِن قَنًا وَجِيَادِ

« الجِيَادُ » الخَيْلُ ، وَلو كَانَ قَالَ :

........... لَيس فيه خصاصة كَثَوبٍ مَحُوكٍ ...............

كَانَ « ثوبٌ » أحسنَ من « قَمِيصٍ » .

وَقَالَت امرأة مِن بَنِى سُلَيْم فِى كَثْرةِ الجَيْشِ وانتِشَارِه (٢) :

وَكَانَ إذَا مَا أَوْرَدَ الخَيْلَ بِيشَةً إلى جَنْبِ أَشْرَاجٍ أَنَاخَ فَأَلْجَمَا

وأَرسلَها رَهْوا رِعَالًا كأنَّها جَرادٌ زَهَتْهُ رِيحُ نَجْدٍ فَأَتْهَمَا

وأَحْسَن مِن كلِّ حَسَنٍ فى عِظَمِ الجيشِ وكَثْرَتِهِ ، قَوْل مَالِك بن الرَّيْبِ المازنىِّ (٣) :

---

(١) ديوانه : ص ٤٧٣ .

(٢) البيتان للخنساء فى ديوانها « وهى الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد من بنى سليم » وفيه :

وكان إذا ما أقدم الخيل بيشة إلى هضب أشراك أناخ فألجما
فأرسلها تهوى رعالا كأنها جراد زفته ريح نجد فأتهما

« شعر الخنساء ص ١٨٣ » ، وانظر : « معجم ما استعجم ١ : ٢٩٣ » وقال : « وهذا الشعر يرويه أبو عبيدة لريطة بنت عباس الأصم الرعلىّ ، ترثى أباها وكانت خثعم قتلته ، فأدرك بثأرها عباس بن مرداس » وانظر ديوان المعانى ٢ : ٦٨ ، والبيت الثانى فى اللسان : « رها ، زها » ، بيشة : واد من أودية تهامة ، أشراج : جمع شرج ، وهى مسيل الماء من الحرة إلى السّهل ، رهوا : الرهو هنا السريع وهو من الأضداد .
رعالا : جمع رعلة ، وهى القطعة من الخيل قدر العشرين ، زهته : ساقته .

(٣) انظر غرر الخصائص ص ٣٤١ وفيه :

« بجيش لهام يشغل الطير جمعه عن الأرض ...................... »

وفى محاضرات الأدباء نسبه إلى المتنبى ولم أجده فى ديوانه وفيه « بجيش لهام » ٣ : ١٥٠ وجيش لغام : أى ذو زبد ، وهو من لغام الإبل ، ولِهام : يلتهم كلّ شئ .

والشاعر هو مالك بن الريب المازنى التميمى ، كان ظريفا أديبا فاتكا ، هرب من الحجاج لأنه هجاه وأصاب الطريق مدة ، ثم نَسُك ، فأمّنه بشر بن مروان ، وخرج إلى خراسان فغزا مع سعيد بن العاص ومات بها « معجم الشعراء ٢٦٥ والشعر والشعراء ٣٥٣ » .

بِجَيْشٍ لُغَامٍ يَشغَلُ الأرضَ جَمْعُهُ　　عَلَى الطَّيرِ حَتَّى ما يَجِدنَ مَنَازِلا

وَقَال أبو تَمَّامٍ فى صِفَةِ الجَيْشِ[1] :

بأرْشَقَ إذْ سَالَتْ عليهم غَمَامَةٌ　　جَرَتْ بالعَوالِى والعِتَاقِ الشَّوازب

قَوْلُهُ : « سَالَتْ » و « جَرَتْ » مَعْنَاهُمَا وَاحد ، وقد كان تَكْفى إحْدَى اللّفظَتَيْنِ مِنَ الأخرى ، ولَيْسَ بِعَيْبٍ .

وَقَالَ البُحْتُرِىّ[2] :

إذا انْشَعَبَتْ فِى جَانِبَيْهِ غَمَامَةٌ　　إلى بَلَدٍ كَانَتْ دَمًا مُتَدَفِّقَا

وَأجْوَدُ مِنْ غَمَامَتَىْ أبى تَمَّام والبُحتُرىّ قَوْل عَبْدِ اللهِ بنِ عَمرو بن العاص[3] :

غَدَاةَ أتَى أهْلُ العِرَاقِ كَأنَّهُمْ　　مِنَ البَحْرِ لُجٌّ مَوْجُهُ مُتَرَاكِبُ[4]

وَجِئْنَا إلَيْهِم فى الحَدِيدِ كَأنَّنَا　　سَحَابُ خَرِيفٍ زعزعته الجَنَائِبُ[5]

وَقَال البُحترِىُّ[6] :

بِجَمْعٍ تَرى فِيهِ النَّهارَ قبيلَةً　　إذَا سارَ فِيهِ والظَّلامَ قَبَائِلا

أَرَاد : أنّك ترى النّهارَ قَبِيلَةً من قَبائِلِ الجَيْش لِعظَمِه ، وترى الظلام

(١) ديوانه ١ : ٢٨٤ والتبريزى ١ : ٢١١ ، وأرشق : موضع ، والشوازب : المضمرات .

(٢) ديوانه ٣ : ١٥٠٠ .

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، كان اسمه « العاص » فغيّره النبى ﷺ ، أسلم قبل أبيه وقَبْلَ فتح مكة ، أذن له الرسول « ﷺ » فى أن يكتب عنه فى حالى الغضب والرضا « الإصابة ترجمة : ٤٨٥٠ ، المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد الأندلسى ١ : ٥٤ » .

(٤) البيتان نسبا لمحمد بن عمرو بن العاص من جملة أبيات فى « وقعة صفين » ص ٣٧٠ وفيه : « غداة غدا » وانظر : المغرب فى حلى المغرب ١ : ٦٣ والعقد ٤ : ٣٤٣ – ٥ : ٢٨٤ .

(٥) روى صدره فى وقعة صفين : « وجئناهُمُ نمشى صفوفا كأننا » .

(٦) ديوانه ٣ : ١٦٠٢ .

قَبَائِلا ، كَأَنَّهُ جَعَلَ الظَّلَامَ مُخْتَلِفَ الأحوالِ فى الظُّلْمَةِ يَشْتَدُّ اسودَادُه ، ويَخِفُّ ، بِحَسَب اختلاف أحوالٍ تَعْرِض لِلَّيلِ مِن رِيحٍ أو غَمَامٍ ، أَوْ تَجَلِّى قَمَرٍ ، أو غُيوبِهِ ، وأنتَ تَرى اللَّيلَ على هذه الأحوالِ أَبَدا ، والنّهارُ حَالُهُ حَالٌ واحدةٌ ، لايقبِضُ البَصَر فِيهِ شىءٌ فى حالِ صَحوٍ ولا غَمَامٍ ، فَهَذا معنى – إن شاء اللهُ – يَلِيقُ بِالصَّوَابِ ، أو يقارِبُهُ .

وَوَجْهٌ آخَرُ أنَّ اللّيل لا يَقْبِض الطَّرْفَ دَفْعَةً واحِدَةً بَلْ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتَّى يَشْتَدَّ سَوادُه إلى أن يمضىَ ثُلثُه ، وتلك فَحْمَة اللّيلِ ، ثُمَّ يَتَجَلَّى إلى ظُلْمَةٍ هى أرَقُّ ، ويُقَالُ بَلِ العَيْنُ تَأْلَفُ سَوَادَ الليلِ إذا امتدَّ إلى هَذَا الوَقْتِ ، فَتَقْوى عَلَى إدراكِ مالم تُكن تُدْرِكُه عند هُجُوم الظُّلمةِ ، وَهِى قَرِيبَةُ العَهْدِ بالضَّوْءِ ، وهَذَا قَوْلٌ غَيْرُ مَدْفُوعِ الصِّحَّةِ ، ثُمَّ إنَّهم يَقُولُون فى مَجِىء اللّيلِ : جُهْمَةٌ بَعْدَ جُهْمَةٍ ، حَتَّى إنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ إنَّهُ يَرَى الظَلَامَ يتحرَّكُ / عند انحساره ولِهَذَا قَالَ امرؤُ القيس : ٩٢

« ولَيْلٍ كموجِ البحرِ ... » (١)

وقَال :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ      وأَرْدَفَ أعْجَازًا ونَاءَ بِكَلْكَلِ

وقَال البُحْتُرِىّ (٢) :

فِى خَمِيسٍ كأنَّمَا طُرِقُوا مِنْـ      ـهُ بِلَيْلٍ ، أَوْ صُبِّحوا بِنَهَار

وَهَذا حَسَنٌ ، والبُحْتُرِىّ مُتَّبِعٌ فِى هَذا وَغَيْرُ مُبْتَدِعٍ .

---

(١) البيت بتمامه :

وليلٍ كموج البحر أرخَى سُدُولَه      علىَّ بأنواع الهُمُوم ليبتَلِى

وهو والبيت الذى يليه فى ديوانه ص ١٨ وفيه « تمطى بجوزه » أى بوسطه .

(٢) ديوانه ٢ : ٩٨٩ .

وَقَالَ ضَوْءُ بنُ اللِّجْلاجِ الذُّهْلِيُّ (١) :

بأرْعَنَ جَرَّارٍ كَأَنَّ زُهَاءَهُ دُجَى اللَّيْلِ أَلْقَى جَانِبَيْهِ فَعَسْكَرَا

وَبَيْتُ البُحْتُرِيّ أَبْرَعُ ، لأنَّه جَمَعَ فِيه اللَّيلَ والنَّهارَ بأَحْسَنِ لَفْظٍ .

وقال أَحْمَرُ بنُ شُجَاعٍ الكَلْبِيّ (٢) :

بِجَأْوَاء تُغْشِي النَّاظِرِينَ كَأَنَّهَا دُجَى اللَّيلِ بَلْ هِيْ مِنْ دُجَى اللَّيْلِ أَكْثَرُ

وَهَذا إفْرَاطٌ حَسَنٌ .

وَقَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ (٣) فِي وَصْفِ كَتِيبَةٍ يشبِّهُهَا باللَّيْل :

طودٌ جَنابَاهُ القِنَانُ الحُلَّكُ (٤)
مِنهَا الدَّجُوجِيُّ ومِنْهَا الأَرْمَكُ (٥)
ذا الليلِ إلّا أنَّها تَحَرَّكُ

---

(١) فى الأصل · « الماهلى » ، وهو ضوء بن اللّجْلاج بن عبد الله بن مصبح ، أحد بَنِى عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، شاعر فارس « المؤتلف والمختلف ص ٢١٦ ، ص ٢٦٥ » ، ولم أقف على البيت ، و « زهاؤه » شخصه .

(٢) هو الأحمر بن شجاع بن القعطل بن سويد بن الحارث الكلبى ، شاعر فارس « المؤتلف والمختلف ص ٤١ » ، والبيت فيه من جملة أبيات وروايته هناك « من دجى الليل أكبر » ، والجأواء : صفة للكتيبة من جهة لونها وهو سواد فى حمرة ، و« هى » بكسْرِ الهاء وإسكان الياء .

(٣) هو أبو نخيلة السعدى وكنيته أبو الجنيد « كذا قال فى الأغانى » ، وفى المؤتلف والمختلف والشعر والشعراء : يعمر من بنى حِمَّان بن كعب بن سعد شاعر راجز كان عاقا لأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه فخرج إلى الشام ، سخط عليه عيسى بن موسى فقبض عليه وقتله سنة ١٤٥ « الشعر والشعراء ٦٠٢ والأغانى ٨ : ١٣٩ » .

(٤) فى الأصل « الكَلَّك » ، ولم أعرفها فأثْبَتُّ ماهو أقرب إلى المعنى .

(٥) هذا البيت والذى بعده فى ديوان المعانى ٢ : ١١٦ والصناعتين ٤٢٥ ، والحيوان ٣ : ١٢٥ « والدّجوجىّ » الشديد السواد المظلم ، « الأرمك » ما جاء لونه كالرماد « اللسان دجج ، رمك » وطبقات الشعراء ٦٤ « وفيها « كالليل إلا أنها تحرك » .

وهذا إحسانُ أبى نُخَيْلَةَ المشهُورُ الّذي يَفُوقُ كُلَّ إحسانٍ . وفى كثرة الجيش وعِظَمِهِ يَقُولُ النَّابِغَةُ الجَعْدىُّ (١) :

بأرْعَنَ مِثْلَ الطَّودِ يُحْسَبُ أَنَّهُمْ وُقُوفٌ لأمرٍ والرِّكَابُ تُهَمْلِجُ (٢)

وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الجَيِّدِ المَشْهُورِ ، وَهَو ضِدُّ مَعْنى أبى نُخَيْلَةَ ، وكِلاَهُمَا بَدِيعٌ فى مَعْنَاهُ ٨٨ ب

وأنشد إسحاقُ المَوْصِلِىُّ (٣) :

كَأَنَّهُمْ لَيْلٌ إذا استُنْفِرُوا أَوْ لُجَّةٌ لَيْس لَهَا سَاحِلُ (٤)

وقد أَحْسَنَ النّجاشِىُّ (٥) أيضا فى قَوْلِهِ :

فَمَنْ يَرَ صَفَّيْنا غَدَاةَ تَلاقَيَا يَقُلْ جَبَلا جَيْلان يَنْتَطِحَانِ
قَتَلْنَا وأَفْنَيْنا ومَا كُلُّ مَاتَرَى بِكَفِّ المُذَرِّى تَأْكُلُ الرَّحَيانِ

---

(١) هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدى العامرى ، أبو ليلى شاعر مفلق صحابى ، من المعمرين « الأغانى ٤ : ١٢٧ ومعجم الشعراء ١٩٥ والشعر والشعراء ٢٨٩ » .

(٢) تُهَمْلِج : من الهملجة والهملاج : السير الحسن فى سرعة وبخترة ، والبيت فى ديوانه ص ١٨٧ وفيه « وقوف لحاج » .

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان الموصلى أبو محمد بن النديم ، من أشهر ندماء الخلفاء ، تفرد بصناعة الغناء ، وكان عالما باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، « الأغانى دار الكتب ٥ : ٢٦٨ ووفيات الأعيان ١ : ٢٠٢ » .

(٤) البيت فى الوحشيات من ثلاثة أبيات نسبت إلى أبى الحيال الباهلى ص ٦٤ ، وقال استاذنا الشيخ محمود شاكر فى هامشه : « هكذا بالياء ، وانظر معجم الشعراء للمرزبانى ص ٥١٢ : أبو الحبال الكلابى بالباء » ، والبيتان الآخران رواهما الآمدى فى وصف الطعنة ص ٣٢٠ .

(٥) هو قيس بن عمرو بن مالك من بنى الحارث بن كعب ، نُسِب إلى أمه ، وكانت من الحبشة ، وكان شاعرا هجاءً مخضرما اشتهر فى الجاهلية والإسلام أصله من نجران ، واستقرّ بالكوفة « الشعر والشعراء ٣٢٩ » ، والبيتان فى الوحشيات ص ١١٣ وفيه « فمن ير جمعينا ومعتلج القنا » ، « أكلنا وأبقينا » ، ووقعة صفين ص ٥٢٤ ، وفيه : « فمن يرخيلينا » ، « أكلنا وأبقينا » ، ونسبا إلى الأعور الشنّىّ فى المؤتلف والمختلف ص ٤٥

وأَجْوَدُ مِنْ كُلِّ جَيِّدٍ قَوْلُ مُهَلْهِلٍ[(١)] :

كَأَنَّا غُدوَةً وبَنِى أَبِينَا    بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَا مُدِيرِ

وَقَالَ البُحْتُرِىُّ[(٢)] :

جَوٌّ إذا رُكِزَ القَنَا فِى أَرضِه    أَيقَنْتَ أنَّ الغَابَ غَابُ أُسُودِ

وإِذَا السِّلَاحُ أضَاءَ فِيهِ رَأَى العِدَا[(٣)]    بَرًّا تَأَلَّقَ فِيهِ بَحْرُ حَدِيدِ

وفِى لَمعَانِ الحَدِيدِ يَقُولُ البُحْتُرِىّ أيضًا[(٤)] :

جَافِى المَضَاجِعِ لاينْفَكُّ فى لَجَبٍ    يَكَادُ يُقْمِرُ مِن لألائِهِ القَمَرُ

وَهَذَا – لَعَمْرِى – مَعنًى حَسَنٌ ، وأحَسَنُ مِنْه وأَصَحُّ مَعْنًى قَوْلُ الأَخْنَس بن شِهابٍ التَّغلِبِىِّ[(٥)] :

وجأواءَ تُغْشِى النَّاظِرِينَ كَأَنَّها    إِذَا مَابَدَتْ قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ

وَقَد قَالَ المتأخِرُونَ فى وَصْفِ السِّلاحِ ولمَعَانِ الحَدِيدِ مَايَفوقُ كُلَّ حُسْنٍ وصِحَّةٍ ، ومِن ذَلِكَ قَوْل سَلْمٍ الخَاسِرِ :

وَكَتَائِبٍ تُعشِى العُيُونَ إذا جَرَى    ماءُ الحَدِيدِ عَلَيْهِم الرَّجرَاجُ[(٦)]

---

(١) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ١٥٤ .

(٢) ديوانه ٢ : ٦٩٩ .

(٣) ديوانه : « وإذا السلاح أضاء فيه حسبته » .

(٤) ديوانه ٢ : ٩٥٨ .

(٥) هو الأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدى بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب أحد الشعراء الفرسان ، جاهلى قبل الإسلام بدهر ، وهو فارس العصا ، « المؤتلف والمختلف ص ٣٠ ، والاشتقاق ٣٣٦ » .

(٦) كتيبة رجراجة ، التى تموج من كثرتها ، والرجراج هنا المضطرب .

وَتَفرَّقَتْ زُرْقُ الأَسنَّةِ فِيهِمُ تَسْقِى المنايا مالَهُنّ مِزَاجُ
نَزَلَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ فَوْقَ رؤُوسِهِمْ ولكُـلِّ رأسٍ كَوْكَبٌ وَهَّـاجُ (١)

وَحَسْبُكَ بِهذَا حُسْنًا وَحَلاوَةً .

وقال مُسلِمٌ (٢) :

فى عَسْكَرٍ تَشْرَقُ الأَرْضُ الفَضَاءُ بِهِ كاللَّيلِ أَنْجُمُهُ القُضْبَانُ والأَسَلُ

وَقَال العَتَّابِىُّ (٣) :

تَبْنِى سَنَابكُها مِن فَوقِ أرؤسِهِم سَقْفًا كواكِبُهُ البِيضُ المباتِيرُ (٤)

أَرَادَ بالسَّقْفِ : الغُبَارَ ، وَذَهَب إلى قَوْل بشارٍ (٥) :

جَعَلْنَا سَمَاءً فَوْقَنَا بِنُجُومِهَا سُيُوفًا ونَقْعًا يقْبِضُ الطَّرفَ أَقْتَمَا

أو إلى قَولِهِ الذى لايدَانِيهِ معنًى ولا يتعلّقُ بِهِ (٦) ، وَهو :

كَأَنَّ مُثَارَ النّقعِ فَوْقَ رؤوسِنَا وأَسَيافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُه

---

(١) هذا البيت فى الأغانى ٢١ : ٨٤ وفيه « ولكلّ قوم » ، وأنه لبشار فأدخله سلم فى قصيدته هذه التى يمدح فيها الرشيد .

(٢) ديوانه : ص ٢٥١ وفيه « تُشرِقُ » بضم المثناة فى أوله وكسر الراء المهملة . وفى شرح العكبرى لديوان المتنبى « شَرِق » ١ : ١٢٨ .

(٣) هو : كلثوم بن عمرو بن كلثوم الشاعر التغلبى من أهل قنسرين ، كان شاعرا بليغا مجيدا ، ومترسلا مطبوعا وكان يتجنب غشيان السلطان قناعة وصيانة وتنزها ، وكان منقطعا إلى البرامكة ، ومنصور النمرى راويته وتلميذه توفى سنة ٢٢١ « الأغانى ١٢ : ٣ وفوات الوفيات ٢ : ٢٨٤ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٨٨ » .

(٤) أسرار البلاغة ١٥١ .

(٥) فى ملحق ديوان بشار ٤ : ١٨٥ وانظر تخريجه هناك ، وفيه « خلقنا سماء » .

(٦) ديوانه ١ : ٣٣٥ .

وَلَوْ قَالَ : لَيْلٌ تضيءُ كَوَاكِبُه ، أَوْ تَلُوحُ كَوَاكِبُه ، أَو تُنِيرُ ، لَكَانَ أَيْضًا قَوْلًا مُستَقيما ، فَلَمَّا قَالَ : تَهَاوَىٰ كَوَاكِبُه ، استَوْفَى المعنى بأسرِهِ ، وانتهى إلى غَايَةِ التشْبِيه ، وكَمَالِ الوصْفِ .

وقال مُحمّد بنُ وُهَيبٍ[١] :

وأرعَنُ فيه للسَّوابغِ لُجَّةٌ ... وَسقْفُ سَمَاءٍ أنشأتْهُ الحَوافِرُ[٢]
٩٣ / له فَلَكٌ فَوْقَ الأَسِنَّةِ دائِرٌ ... ونَقْعُ المَنَايَا مُسْتَطِيرٌ وَثَائِرُ[٣]

وَلَوْلا أنّ قَصْدِىَ الإجمالُ والاختصارُ ، لَأَوْرَدْت فِى هَذَا البابِ مِن أَوْصَافِ الجُيُوش والكَتَائِبِ أَكْثَرَ مِمَّا أوردتُهُ ، وفِيمَا ذَكَرتُهُ مُقْنِعٌ لَكَ فِى أنَّ الطَّائِيَّيْنِ قد قَصَّرا عن جَميعِ معانِيه ، ولم يُبْدِعا فِى البابِ إبدَاعًا يتقدّمانِ به غيرَهُما ، ولا يساويانِه ، ومن شأنِ المُتَأَخّر أن يَزِيدَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ ، أو لايَعْرِضَ للمَعْنَى .

* * *

(١) فى الأصل « بن وهب » .

(٢) البيت والذى يليه من قصيدة له فى الأغانى يمدح فيها الحسن بن سهل وفيه « للسوابغ جنّة » « الأغانى ١٧ : ١٤٤ » .

(٣) فى الأغانى « لها فلك فيه الأسنة أنجم » .

## ما قالاه في الرأي والتدبير في الحرب

## والمكر والخديعة والحزم وإمضاء العزم

قال أبو تمَّامٍ فى أبى دُلَف[1] :

وَيَومَ أرشَقَ والهَيْجَاءُ قَدْ رَشَقتْ مِنَ المَنِيَّةِ رَشْقًا وابِلًا قَصِفَا
فكَانَ شَخْصُكَ فِى أغفالِها عَلَمًا وَكَانَ رَأْيُكَ فِى ظلمائِهَا سَدَفَا

« وابِلٌ » شَبَّهَهُ بالمَطَر ، والوابِلُ : الشَّدِيدُ .

وقَولُهُ « فى أَغْفَالِها » أى : المَوَاضِعُ الخَالِيَةُ من الفُرسَانِ وأَهْلِ الحِمَايةِ ، أو : فى المواضِعِ التى يُخْفِى فِيها الفُرْسَانُ أنفُسَهم لِشدَّة الأمرِ .

وَقَوْلُه « وكَانَ رأيُكَ فى ظَلمَائِها سَدَفًا » والسَّدَفُ : اختلاطُ الضَّوءِ بالظُّلْمَةِ ، ولِهذَا يُذكَرُ فى الأضدَادِ ، فيُجْعَلُ مَرَّةً الضَّوْءَ ، ومَرَّةً الظُّلْمَةَ ، ولَوْ جَعَل رأيَهُ كالنّهارِ ، كان أجودَ على مَذْهَبِهِ ، ولكن قد يُسْتَعمَلُ فى هَذَا أن يُقَالَ : قد وضُحَ هَذَا الأمرُ كالفَجْر ، وقَدْ بَانَ كالفَجْرِ ، والسَّدَفُ : هُوَ وقْتُ الفَجرِ وبَعْدَهُ أَيْضًا ، ولكنَّ لفْظَةَ الفَجْرِ في هَذَا أجودُ مِنَ السَّدَفِ وأحسَنُ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٥٦ وشرح التبريزى ٢ : ٣٦٧ وفيهما « فى يوم » .

وقَالَ فى أبى سَعِيدٍ[1] :

وصَلَيبُ القَنَاةِ والرَّأىِ والإسـ ـلامِ ، سَائِلْ بذاك عنه الصَّلِيبَا
حَيَّةُ اللَّيلِ يُشمِسُ الحَزْمُ فِيه[2] حِينَ فَاءَت شَمسُ النَّهارِ الغُرُوبَا

قَوْلُهُ : « صَلِيبُ القَنَاة » يُرِيدُ رُمْحَه ، وليس يُرِيدُ صُلْبَهُ وظَهْرَهُ ، ولو كانَ أرادَ ذَلِكَ لما كان مَدحًا .

و « صليبُ الرَّأْيِ » جَائِزٌ سائِغٌ ، و « صَلِيبُ الإسلام » [ فيه ][3] قُبْحٌ لأنَّه غَيْرُ مُستَعْمَلٍ[4] ، ولكنَّ المَنْسوقَ قد يُحْمَلُ على ما نُسِقَ عليه ، إذا كان مقاربًا له .

وقولُهُ : « يُشْمِسُ الحَزْمُ فيه » أى : يُضِيءُ ويَستَنِيرُ ، كأنَّهُ يُرِيدُ أنَّه يَظْهَرُ صَوابُهُ .

وقَوْلُهُ : « حين فَاءَتْ شَمْسُ النَّهارِ غُروبًا » أى : يُشْرِقُ حَزْمُهُ حَتَّى يُضِيءَ لِنُورِهِ اللَّيلُ[5] .

وقال فى هذه القصيدةِ[6] :

سَكَّنَ الكَيْدَ فيهِمُ إنَّ من أعْـ ـظَمِ إرْبٍ ألَّا يُسَمَّىٰ أَرِيبَا

---

(١) ديوانه ١ : ٢٥٣ وشرح التبريزى ١ : ١٦٢ ، ١٦٨ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « إن أرادت شمس النهار الغروبا » .

(٣) ساقطه من الأصل والتصحيح من النظام .

(٤) الذى نقله ابن المستوفى فى النظام جـ ١ لوحة ( ٨٣ ) من تعليق الآمدى فيه زيادة عما ورد هنا وهى قوله : « كثيرا ما يقولون : فلان صُلْبٌ فى دينه ، قوىّ شديد ، أما إذا لم يستعمل مع لفظة الإسلام فنعم وفيه نظر ، وإن كان الدين هو الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ إنّ الدين عند الله الاسلام ﴾ » .
وهذا ساقط من نسختنا الوحيدة .

(٥) قال أبو العلاء : « تقول العرب حَيَّةَ الوادى وحَيَّةُ الجبل ، فأما حيّة الليل فيجوز ألا يكون أحدٌ استعملها قبل الطائى » التبريزى ١ : ١٦٨ ، ونقل ابن المستوفى تعليق الآمدى السابق لوحة (٨٥) .

(٦) ديوانه ١ : ٢٥٣ وشرح التبريزى ١ : ١٦٤ وفى ديوانه : « ساكن الكيد » .

مَكْرُهُمْ عِندَهُ فَصيحٌ وإن هُمْ　　خاطَبوا مَكْرَهُ رَأَوْهُ جَلِيبَا

قَوْلُهُ : « سَكَّنَ الكيدَ فِيهم » أى : أَخْفَاهُ ، و « سَكَّنَ » لا يَنُوبُ منابَ « أخفَىٰ » ولا يُستَعمَلُ أَيْضًا فى هذا المَوْضِعِ .

ثمّ قالَ : « إنّ من أَعظَمِ إرْبٍ أَلّا يُسمَّى أرِيبَا » و « الإرْبُ » : الدَّهاءُ ، يُرِيدُ أَنَّهُ لَمّا أَخْفَى كَيْدَه ، فقالوا : لَاكيدَ لَهُ ، فقالَ : إنَّ من أَعْظَمِ إرْبٍ ، أَىْ : من أَعْظَمِ دَهاءٍ أَلّا يُسمّى داهِيًا ، أى : إنَّ من أَعْظَم دَهائِه أن يُخْفِىَ كَيْدَهُ فلا يَظُنُّوا به الدَّهاءَ .

ثمّ قال : « مَكْرُهم[1] عِندَه فَصيحٌ » أى : ظَاهِرٌ بَيّنٌ .

« وإن هُمْ خَاطَبوا مَكْرَه رَأَوهُ جَليبا » يُرِيدُ : أَعْجَمِيًّا مَجْلوبًا ، فجَعَل المَكرَ يُخاطب ، وجعلَه أعجميّا ، ودلَّ على عُجْمَتِهِ بالجَلَبِ ، وما أظنُّ أبالعِبَرِ لو تَعمَّل للسُّخْفِ كانَ يَنْتَهى[2] إلى هذا الحَدِّ .

وقال فى أبى سعيد[3] :

كَادَتْ تُحَلُّ طُلاهُمْ من جَماجِمهِمْ　　لَو لَم يَحُلُّوا بِبَذْلِ الحُكْمِ ماعَقَدُوا
لَكن بَذَلْتَ لهم رأْى ابنِ مُحصِنَةٍ　　يَخَالُهُ السَّيفُ سَيْفًا حين يُجْتَهَدُ[4]

قولُهُ : « يَخالُهُ السَّيفُ سَيْفًا » من إغراقِه المَعْرُوفِ الذى لاحلاوَةَ لَهُ ولا تَحصيلَ فيه .

---

(١) فى الأصل « مكره » .
(٢) نقل ابن المستوفى تعليق الآمدى السابق على البيتين فى النظام لوحة ٨٣ .
(٣) ديوانه ١ : ٤٢٨ وشرح التبريزى ٢ : ٢٠ .
(٤) ديوانه والتبريزى « ندبت » . وفيهما : « يَجْتَهِدُ » بالبناء للمعلوم ، وقال : والأحسن أن يكون يَجْتَهِد ها هنا : للسيف ، لأنه أبلغ فى المدح .

وقال البحتريُّ فى عليِّ بنِ مُرٍّ[(١)] :

إذا ارْتقَىٰ فى أعالِى الرَّأيِ لاحَ لَهُ ... مافِى الغُيوبِ التى تَخْفىٰ فَتسْتَتِرُ
توسَّطَ الدَّهْرَ أحْوالًا ، فلا صِغَرٌ ... عن الخُطوبِ التى تَعْرُو ، ولا كِبَرُ
كالرُّمحِ أَذْرُعُه عَشْرٌ وواحِدَةٌ[(٢)] ... فلَيسَ يُزْرِي بهِ طُولٌ ولا قِصَرُ
مُجَرِّبٌ طالمَا أَشْجَتْ عزائِمُهُ ... ذَوِى الحِجَا ، وهو غِرٌّ بَيْنَهمْ غُمُرُ
آراؤُه اليومَ أسيافٌ مُهنَّدَةٌ ... وكانَ كالسَّيفِ إذ آراؤُهُ زُبَرُ

قوله : « آراؤُهُ اليومَ أسيافٌ مُهنَّدَةٌ » أى : ماضِيَةٌ ، لأنَّه قَدْ كَمُلَ فى عَقْلِهِ وتَجارِبِه ، فكانَ فى نَفْسهِ كالسَّيفِ ، « إذْ آراؤُه زُبَرُ » ، أى : لم تطبع ، يُرِيدُ : لم يُسْتَكْمَلْ ، يقولُ : إنَّه اليومَ يُمضِى الأمورَ بآرائِهِ بِحِنْكَتِهِ وتَجْرُبَتِهِ ، وكان قبل الحِنْكَةِ والتَّجْرُبَةِ يُمْضيها بِمُباشَرَتِهِ إيَّاها بِنَفْسِهِ بِشَجاعَتِهِ وإقدامِهِ .

/ وقال أبو تَمّام فى عُمَر بنِ عَبْد العَزيز الطَّائىِّ[(٣)] : ٩٤

نِعْمَ الفتى عمرٌ فى كُلِّ نائِبَةٍ ... [نَابَتْ] وقُلْ لَهُ «نِعْمَ الفَتَى عُمَرُ»[(٤)]
مُجرِّدٌ سَيْفَ رَأْيٍ من عَزيمَتِهِ ... للدَّهْرِ صَيْقَلُهُ الإِطْرَاقُ والفِكَرُ
عَضْبًا إذا سَلَّهُ فى وَجْهِ نَائِبَةٍ ... جاءَتْ إليْهِ صُروفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ

يريد : مُجَرِّدٌ للدَّهْرِ سيفَ رأيٍ ، وهذه مبالغَةٌ فى غايَةِ الحُسْنِ والجَوْدَةِ والحلاوةِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٩٥٦ .
(٢) فى الأصل : « عشر واحدة » .
(٣) ديوانه ١ : ٥٣٣ وشرح التبريزى ٢ : ١٨٨ .
(٤) ما بين القوسين ساقطة من الأصل ، وفى التبريزى : « وقلت له » .

وقال البحتريُّ فى أبى سعيد[(١)] :

يَبيتُ وراءَ «النَّاطُلُوقِ» ورَأْيُهُ ... يَجُزُّ بأقْصَى «السَّيْسَجانَ»[(٢)] المَفاصِلَا

إذا اسودَّ فيه الشَكُّ كان كَواكِبًا ... وإن سَارَ فيه الخَطْبُ كان حَبائِلَا

« النَّاطُلُوق » : بِبَلدِ الرُّومِ ، و « السَّيْسَجانُ » : من بِلادِ المَشْرِقِ ، أَظُنُّه من « سِجِسْتَانَ » . أرادَ أنَّه إذا كان غَازِيًا ، فإنّهُ لا يَغْفُلُ مابَعُدَ عَنه من الأمورِ التى وُكِلَتْ إليه ، وعُوِّلَ فيها على رأيِهِ ، وهذا مَعنًى حَسَنٌ جِدًّا .

وقالَ فى أبى سعيدٍ ، يَذكُر كَيْدَه وتَدْبيرَه فى الظَفَرِ بِبُقْرَاطَ بن أَشُوطَ[(٣)] :

بِتَدبيرِكَ المَيْمُونِ أُغْلِقَ كَيْدُهُ ... [عَلَيهِ] ، وكَلَّتْ سُمْرُهُ وبَواتِرُهْ

وطَيِّكَ سِرًّا لو تَكَلَّفَ طَيَّهُ ... دُجَى اللَّيْلِ عَنَّا ، لم تَسَعْهُ ضَمائِرُهْ

وهذا هُو التَّدبيرُ والكَيْدُ الصَّحيحُ ، لاقولُ أبى تَمَّامٍ :

« سَكَّنَ الكيدَ فِيهم »

وقولَهُ :

« مَكْرُهُمْ عِندَه فَصِيحٌ »

---

(١) ديوانه ٣ : ١٦٠١ « الناطلوق » : موضع ذكره أبو تمّام فى شعره ، وقال شارح ديوان البحترى : الأناضول . « راجع ٣ : ١٤٦٩ » .

(٢) فى الأصل « السّجسجان » وانظر تعليق الآمدى . و « السيسجان » : بلدة بعد « أران » افتتحها حبيب بن مسلمة ، وذلك فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه . « ياقوت » .

(٣) ديوانه ٢ : ٨٧٩ والذى ظفر ببقراط بن أشوط – وهو « بطريق البطارقة » فى أرمينية – هو يوسف بن محمد ، وهو ابن أبى سعيد محمد بن يوسف « انظر ابن الأثير أخبار سنة ٢٣٧ ، والطبرى ٩ : ١٨٧ دار المعارف » . وبقراط بن أشوط هو بطريق البطارقة بأرمينية ، خرج يطلب الإمارة فأخذه يوسف بن محمد وقيده ، وبعث به إلى باب الخليفة ، فأسلم بقراط وابنه . وما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

وقال فى أبى سعيد :(١)

فى عارضٍ يَدِقُ الرَّدىٰ أَلْهَبْتَهُ    بصَوَاعِقِ العَزمَات والآرَاءِ

العارِضُ : السَّحابُ ، وإنّما يُرِيدِ الجَيشَ .

« يَدِقُ الرَّدىٰ » : يَذْرى الرَّدىٰ(٢) ويُمْطِرهُ ، من الوَدْقِ : وهو القَطْرُ إذا أُرسَلَهُ السَّحابُ . والوَدِيقَةُ : شِدَّةُ الحَرِّ ، لِدُنُوِّ الشَّمْسِ من سَمْتِ الرُّؤوسِ .

وقال :(٣)

عَزماتٌ يُضِئْنَ دَاجيَةَ الخَطْـ    ـبِ، وإن كُنَّ من وراءِ حِجَابِ(٤)
يَتوقَّدْنَ والكـواكِبُ مُطْفَـا    ةٌ ، ويَقْطَعْنَ والسُّيوفُ نَوابِ

وقال البُحْتُرِىُّ :(٥)

حتى إذا كادَتْ مَصابِيحُ الدُّجىٰ    تَخْبُـو وكادَ مُمَـرُّهُ يتَـقَضَّبُ(٦)
ضَرَب الجِبالَ بِمِثْلِها من رَأيِهِ    غَضْبانَ يَطْعَنُ بالحِمامِ ويَضْرِبُ

وقال فى أبى سعيد :(٧)

ثُمَّ فَرّقْتَ من كتائِبِ آرا    ئك جُنْدًا لايَأْخُـذونَ عطَـاءَ(٨)
بَينَ ضَرْبٍ يُفَرِّج الهامَ أنْصَا    فاً ، وطَعْـنٍ يُفَـرِّجُ الغَمّـاءَ(٩)

---

(١) ديوانه ١ : ١٢ .
(٢) كذا فى الأصل
(٣) ديوانه ١ : ٨٥ .
(٤) ديوانه « ولو كان من وراء حجاب » .
(٥) ديوانه ١ : ٧٥ .
(٦) ديوانه : « مصابيح الهدى » ، المُمَرُّ : من المريرة وهى الحبل الشديد الفتل ، يتقضب : يتقطع .
(٧) ديوانه ١ : ١٨ .
(٨) ديوانه : « يوم فرقت » .
(٩) ديوانه : « يفلّق الهام » .

وَيَودُّ العَدوُّ لَو تُضْعِفُ الجَيـ ـشَ عَليهِـمْ وتَصرُفُ الآراءَ (١)

وقال فى الخِضْر بن أحمد التَّغْلِبِىِّ (٢) :

مُسْتَشارٌ فى المُعْضِلاتِ إذا مَا ارْ تَفَع الخَطْبُ عن نِداءِ وَلِيدِهْ
ومُصيبٌ مَفاصِلَ الرَّأْىِ إن حا رَبَ كانَتْ آراؤُه من جُنودِهْ
قَوَّمَتْ عَزْمَهُ الأصالَةُ ، والرُّمـ ـحُ يُقيمُ الثِّقافُ من تَأْوِيدِهْ

وأجودُ من هذا كُلِّه وأَشْبَهُهُ بِوَصْفِ الرَّأْىِ قولُ أَبى تَمَّامٍ فى مَدْحِ أبى دُلَفٍ (٣) :

وقد عَلِمَ الأَفْشِينُ وهو الذى بِهِ يُصانُ رِداءُ المُلْكِ عن كُلِّ جَانِبِ (٤)
بأَنَّكَ لما استَحَنكَ الأَمْرُ واكْتَسىٰ أَهابِىَّ تَسفِى فى وُجوهِ التجَارِبِ (٥)
تَجلَّلْتَهُ بالرَّأْىِ حتى أَرَيْتَه به مِلْءَ عَيْنَيْهِ مكانَ العَواقِبِ
بأَرْشَقَ إذ سَالَتْ عليهم غَمامَةٌ جَرَتْ بالعَوالِى والعِتَاقِ الشَوازِبِ
نَصَلْتَ له سَيْفَينِ رَأْيًا ومُنصُلًا وكُلٌّ كَنَجْمٍ فى الدُّجُنَّةِ ثَاقِبِ (٦)
وكُنْتَ متى تُهْزَزْ لِخَطْبٍ تُغَشِّهِ ضَرائبَ أمضىٰ من رِقاقِ المَضارِبِ (٧)

وهذا إحسانٌ يجبُ أن يُعْفىٰ لأبى تمَّام من أَجْلِه عن كُلّ إساءَةٍ .

وقد سَلَكَ البُحْتُرِىُّ (٨) هذه السَّبِيلَ فقال :

---

(١) ديوانه : « وبودّ » بالموحدة التحتية .
(٢) ديوانه ١ : ٥٩٨ .
(٣) ديوانه ١ : ٢٨٤ والتبريزى ١ : ٢١٠ .
(٤) ديوانه والتبريزى « جاذب » .
(٥) فى الأصل : « استحكك » ، والتصحيح من ديوانه ، وفى شرح التبريزى « اسحنكك » .
(٦) التبريزى : « نضدت له رأيين سيفا ومنصلا » .
(٧) ديوانه « رقاب » .
(٨) ديوانه ١ : ١٨٣ .

إلى صامتيٍّ الكَيْدِ لو لَمْ يَكنْ لَهُ قَريحَةُ كَيدٍ لاكْتَفى بالتَّجارِبِ[(١)]
عَليمٌ بما خَلْفَ العَواقِبِ إنْ سَرَتْ رَوِيَّتُهُ فَضْلًا بما فِى العَواقِبِ
وصَيْقَلُ آراءٍ يَبيتُ يَكرُّها ويَشْحذُها شَحْذَ المُدىٰ للنَّوائِبِ[(٢)]
تُحَرِّقُ تَحريقَ الصَّواعِقِ أُلْهِبَتْ بِرَعْدٍ ، وتَنْقَضُّ انْقِضاضَ الكَواكِبِ[(٣)]

وهذا لعَمْرى جَيِّدٌ بَالِغٌ ، ولكِنَّه يَقْصُرُ عن قَولِ أبى تَمَّامٍ .

والذى هُو فى غَايَةِ الجَوْدَةِ ، قَوْلُهُ فى أبى نَهْشَل بن حُمَيْدٍ[(٤)] :

إذا مارَمىٰ بالرَّأْى خَلْف أَبِيَّةٍ من الأَمْر يَومًا أدْرَكَتْهُ مَكائِدُهْ[(٥)]
لَهُ فِكَرٌ بين الغُيوبِ إذا انْتَهىٰ إلى مُقْفَلٍ مِنْها فَهُنَّ مَقالِدُهْ
صَواعِقُ آرَاءٍ لو انْقَضَّ بَعضُها على « يَذْبُلٍ » لانْقَضَّ أو ذَابَ جَامِدُهْ

وحَسْبُكَ بهذا جودةً .

وقال البحترىَ أيضًا فى « الفتح »[(٦)] وهو من فَاخِرِ كَلامِهِ :

بَعيدُ مَقِيلِ السِرِّ لايُدْرِكُ التى يُحاوِلُها مِنْهُ الأَرِيبُ المُخَادِعُ[(٧)]
ومُكْتَتِمُ التَّدْبيرِ لَيْسَ بِظَاهِرٍ على طَرْفِه الرَّأْىُ الذى هو تَابِعُ[(٨)]
ولايَعْلَمُ الأَعْداءُ من فَرْطِ عَزْمِهِ متَى هُو مَصْبُوبٌ عليهِم فَواقِعُ

---

(١) الصامتى : منسوب إلى صامت من بنى عمرو بن طيئ « الاشتقاق ص ٣٩٦ ، وجمهرة الأنساب ص ٤٠٤ » .
(٢) ديوانه : يكدّها .
(٣) ديوانه : « يحرق ... وينقض » .
(٤) ديوانه ١ : ٥٨٣ .
(٥) ديوانه : « مصائده » .
(٦) ديوانه ٢ : ١٣٠٥ .
(٧) ديوانه : « لا يقبل » .
(٨) ديوانه « على سِرِّهِ » .

خَلائِقُ ماتَنْفَكُّ تُوقِفُ حاسِدًا  لَهُ نَفَسٌ فى إثْرِها مُتَراجِعُ
ولَنْ يَنْقُلَ الحُسَّادُ مَجْدَكَ بَعْدمَا  تَمكَّنَ رَضْوىٰ واطْمَأَنَّ مُتالِعُ (١)

وقال أبو تمّام فى أبى سعيد (٢):

يَقْظَانُ أَحْصَدَتِ التَّجارِبُ عَقْدَهُ  شَزْرًا وثُقِّفَ حَزْمُهُ تَثْقِيفَا
واسْتَلَّ من آرائِهِ الشُّعَلَ التى  لو أَنَّهُنَّ طُبِعْنَ كُنَّ سُيُوفَا
كَهْلُ الأَنَاةِ فَتى الشَّذَاةِ إذا غَدا  لِلرَّوْعِ كانَ القَشْعَمَ الغِطْرِيفَا

وقد أحسنَ البحتريُّ فى هذا الباب إحْسانًا كثيرًا إلَّا أنَّ أبا تمّامٍ فيهِ عِندى أَشْعَرُ منه .

* * *

(١) سبق فى ١ : ٣٥٣ .
(٢) ديوانه ٢ : ٣٨٢ الشذاة : بأس الرجل ، القشعم : المسن ، الغطريف : الحدث أو السيد « ديوانه وشرح التبريزى » .

## ما قالاه في وصف الحرب

قال أبو تمّام[1]:

فى مَعْرَكٍ أَمَّا الحِمامُ فَمُفْطِرٌ ... فى هَبْوَتَيْه والكُماةُ صِيامُ
والضَّرْبُ يُقْعِدُ كُلَّ قَرْمٍ كَتيبَةٍ[2] ... شَرِسِ الضَّرِيبَةِ والحُتوفُ قِيَامُ
فَفَصَمْتَ عُرْوَةَ جَمْعِهِم فِيهِ وقَدْ[3] ... جَعَلَتْ تُفَصَّمُ مِن عُرَاهَا الهَامُ

« الهَبْوةُ » : الغَبَرَةُ ، وجَعلها هَبْوتَيْنِ ، يريد غَبرَةَ هَؤلاءِ وهَؤلاءِ فى الكَرِّ والرُّجوعِ ، وقد يَجوزُ أن يَكونَ أرادَ هَبوةً واحِدةً فثَنَّاهَا مَرَّتَين[4] [!] . و « الضَرِيبَةُ » الخُلُقُ والطَّبِيعَةُ .

وقال فى مدح أبى سعيد[5]:

ويَومٍ يَظَلُّ العِزُّ يُحْفَظُ وَسْطَهُ ... بِسُمْرِ العَوالِى والنُّفوسُ تُضَيَّعُ
مَصيِفٌ من الهَيْجَاومن جَاحِمِ الوَغَى ... ولكِنَّهُ من وَابِلِ الدَّمْعِ[6] مَرْبَعُ

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٧٩ والتبريزى ٣ : ١٥٦ .
(٢) ديوانه : « الضرب ، يقعد ... » وفيه وفى التبريزى « يُقْعِد قَرْمَ كُلِّ كتيبةٍ » .
(٣) ديوانه والتبريزى : « عن » .
(٤) كذا فى الأصل والصحيح « فثناها » ، وكلمة « مرتين » لا محلّ لها .
(٥) ديوانه ٢ : ١٥ والتبريزى ٢ : ٣٣٠ .
(٦) التبريزى « الدم » .

« المَصيِفُ » : هو المَوضِعُ الذى يَصيِفُونَ فيهِ ، و « المَرْبَعُ » : مَنْزِلُهم فى الرَّبيعِ ووَقْتِ المَطَرِ والخِصْبِ .

وقال أبو تمّام:[1]

ومَشْهَدٍ بين حُكْمِ الذُلِّ مُنقَطِعٌ    صَالِيه أو بِحِمَامِ المَوْتِ مُتَّصِلُ[2]
ضَنْكٍ إذا خَرِسَتْ أَبْطالُهُ نَطَقَتْ    فيه الصَّوارِمُ والخَطِّيَّةُ الذُّبُلُ
لايَطْمَعُ المَرءُ أن يَجْتَابَ ظُلْمَتَه[3]    بالقَولِ مالَمْ يَكنْ جِسْرًا لَهُ العَمَلُ

قوله : « بين حُكمِ الذُّلّ » ردىءٌ ، لأنّ حُكمَ الذُّلّ ليس يُرادُ به أشياءَ متفرّقةً ، فيَصْلُحُ فيها « بين » ، لأنّ حُكمَ الذُّلّ ، والذُّلُّ بِمَنْزِلَةٍ ، وكذلك حكمُ العزِّ والعِزُّ وحُكْمُ الظُّلمِ والظُّلمُ ، وحكمُ العَدْلِ والعَدْلُ ، وقد بَيّنْتُ هذا فى بابِ أغالِيطِه ، وهو الجزءُ الثّانى من جُمْلَةِ كِتَابِ الموازَنةِ .[4]

وليس هذا من اللُّحونِ التى يُتجاوَزُ فى مثلها ، مثلُ تَسْكينِ مايَجِبُ أن يكونَ مَنصُوبًا ، أو تحريكِ ما يَجبُ أن يكونَ سَاكِنًا ونحوِ ذلك ، لأنَّ هذا فَسادٌ فى اللّفظِ ، وذلك فسادٌ فى اللّفظِ والمَعْنىٰ ، وكان يَنْبَغِى أن يقولَ : ومَشْهَدٌ بَيْنَ[5] حُكمِ الذُّلِّ وحُكْمِ العِزِّ ، لأنّه قد قالَ : « مُنْقطِعٌ صالِيهِ » يُرِيدُ فِرارَهُ عن الحَربِ ، « أو بِحبَالِ المَوْتِ مُتّصِلُ » ، الذى لايَبرَحُ مكانَهُ حتّى يُقْتَلَ أو يَظْفِرَ .[6]

---

(١) ديوانه ٢ : ١٨٥ والتبريزى ٣ : ١٦ .

(٢) « وقال أبو العلاء : يجوز فى « منقطع » الرفع والخفض فالخفض على أنه وصف للمشهد إذ كان الضمير قد رجع إليه فى قوله « صاليه » ، والرفع على أن يجعل خبرا « لصالية » قُدّم عليه » ، وفى ديوانه والتبريزى « أو بحبال » .

(٣) فى التبريزى : « غمرته » وفى ديوانه « لجته » .

(٤) انظر ١ : ٢٣٨ .

(٥) فى الأصل : « أن يقول : حكم الذل .... » والزيادة من ١ : ٢٣٨ .

(٦) أخطأ الآمدى فى فهم معنى البيت مما أداه إلى تخطئة أبى تمّام ، والمعنى الواضح للبيت أن صالىَ مشهد الحرب بين حُكم الذل وهو الفرار أو الاتصال بحبال الموت بالثبات فى الحرب . =

ثمّ قال :

جَلَّيْتَ والموتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ     وقد تَفَرْعَنَ فى أَفْعالِهِ الأَجَلُ[(١)]

وقد عابَهُ النّاسُ بهذا ، وقالُوا : اشتقَّ للأَجَلِ – الذى هو مُطِلٌّ على النُّفوسِ – فِعْلًا من اسم فِرْعونَ ، وقد أتى الأَجَلُ على نَفْسِ فِرْعَونَ ، وعلى كُلِّ فِرْعونٍ ، كان على وجه الأَرضِ.[(٢)]

وقال :[(٣)]

وإذا كان عَارِضُ الموتِ سَحًّا     خَضِلًا بالرَّدى أَجشَّ هَزِيما

فى ضِرامٍ من الوَغىٰ واشْتِعالٍ     يُحْسَبُ الجَوُّ مِنْهُمَا مَحْمُوما[(٤)]

« عارِضُ المَوتِ » : سحَابُ المَوْتِ ، « أجش » : ذو رَعْدٍ . وقولُهُ : « يُحسَبُ الجَوُّ مِنْهُما مَحْمَوما » مِمّا أَنْكَرَهُ النَّاسُ عَلَيهِ ، وإنَّمَا ذَهَبَ إلى نَحوِ قولِ امرىءِ القَيْسِ :[(٥)]

إذا رَكِبُوا الخَيْلَ واسْتَلأَمُوا     تَحرَّقَتِ الأَرْضُ واليومُ قَرّ

وهذا هو الوصفُ الذى لاشىءَ يَفوقُه ، فجعَلَ أبو تَمامٍ الجوَّ مَحْمومًا .

وقال فى أبى سعيدٍ :[(٦)]

فى مَوْقِفٍ وَقَفَ المَوتُ الذُّعافُ بِهِ     والمَجْدُ يُوجَدُ والأَرْواحُ تُفْتَقَدُ

---

= وقال المرزوق فى « شرح مشكل شعر أبى تمّام ص ١٧ » : يريد مشهد حرب بين حكم الذل ، أى من ضعف فيه وعجز حكم عليه بالذل منقطع صاليه ، أى من صلى به ، انقطع وسقط أو يتصل بحبال الموت فينجو من الذل والانقطاع .

(١) ديوانه : « فى أقطاره » والتبريزى : « فى أوصاله » .

(٢) انظر ١ : ٢٣٨ .

(٣) ديوانه ٢ : ٤٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٢٨ .

(٤) ديوانه والتبريزى : « تَحْسِبُ – يَحْسِبُ » بالبناء للمعلوم ، والتبريزى : « مهموما » .

(٥) ديوانه : ص ١٥٤ .

(٦) ديوانه ١ : ٤٢٥ والتبريزى ٢ : ١٢ ، وفيهما « الزعاف » بالزاى ، وموت زعاف وذعاف وذؤاف وزؤاف : شديد ، وفى التبريزى « فالموت يوجد » .

/ وقال البحتريّ(١)(٢) : ٩٦

وقد كان التُّرابُ جَنادِلا

أرادَ أنّ الجَيْشَ طحَنَ الصَّخْرَ بحوافِرِ الخَيْلِ لِكَثْرَتِهِ ، حَتّى صارَتْ تُرابًا ، وإنّما أَلَمّ بقولِ زَيدِ الخَيْلِ(٣) :

وَمجْرٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَراتِهِ ترى الأُكْمَ فيهِ سُجَّدًا لِلْحَوافِرِ

وقولُهُ : « وقد كانَ التُّرابُ جَنادِلا » ، يُرِيدُ : وقدْ كانَ تُرابُ الفَلَا أيضًا جَنادِلَ ، فصيَّرتْهُ حوافِرُ خَيلِنا تُرابًا قبل هذا الوَقْتِ ، أو أنْ يكونَ أرادَ : فاغْتَدىٰ جَنْدَلُ الفَلاةِ تُرابا ، بعد أنْ كانَ جَنادِلَ ، أى بعدَ أنْ كانَ بالأَمْسِ جَنادِلَ ، وهذا أشْبَهُ من المَعنىٰ الأوَّلِ ، لأنَّ ذاكَ يُوجِبُ أنْ لم يَكُنْ لِلْفَلا أَصْلًا تُرابٌ الْبَتَّةَ .

وقالَ أيضًا فى موضِعٍ آخَرَ فى وَصْفِ وَقْعةٍ أَوْقَعَها أبو سعيدٍ أَيْضًا بالرّوم(٤) :

وَهَدَّةِ يَومٍ لابنِ يُوسفَ أَسْمَعَتْ من الرُّومِ مَنْ بينَ «الصَّفَا» و«الأَخَاشِبِ»

أنْكَرَ النَّاسُ على مُهَلهِلٍ قَوْلَهُ(٥) :

فلَوْلَا الرِّيحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحِجْرٍ صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ

---

(١) الكلام غير متصل بما قبله .

(٢) ديوانه ٣ : ١٦٠٣ والبيت فيه :

أدَارَ رحَاهُ فاغْتدىٰ جَندلُ الفَلا تُرابًا ، وقد كانَ التُّرابُ جنَادِلا

وقد سبق البيت فى ١ : ٣٢٦ وروى هناك « أدار رجاه » .

(٣) سبق البيت فى ص ٢٧٧ من هذا الجزء ، وروى هناك « بجمع » .

(٤) ديوانه ١ : ١٧٨ وفيه « ما بين الصفا والأخاشب » .

(٥) الأصمعيات ص ١٥٥ وفيه « أسمع أهل حجر » « يُقْدَعُ بالذكور » ، وقال أبو العباس الأحول : أول كذب سمع فى الشعر هذا « الأمالى ٢ : ١٣٤ » والذكور : أجودُ السيوف وأَيْبَسُها .

وقيلَ كان بينَ الوَقْعَةِ وبين « حجرٍ » ، — وهى قَصَبَةُ اليَمامَة — مَسيرَةُ عَشْرةِ أَيَّامٍ ، وعلى أنّه قالَ « فَلَوْلَا الرِّيحُ » ، فجاءنَا البحترىُّ بما طَمّ على قَولِ مُهْلهِلٍ ، فزَعَم أنَّ هذه الوقعةَ بالرُّومِ أَسْمعَتْ أهلَ مكةَ ، و « الأخاشِبُ » : جِبالُ مَكَّةَ ، وقد اعْتُذِرَ لَه بأنْ قِيلَ : إنّهُ أرادَ خبرَهَا صارَ إلى أَهْلِ مَكَّةَ ، وكذا أرادَ لامَحالَةَ .

ومن إفراطِ البحترىِّ قولُهُ فى أحمدَ بنِ محمدِ بن بِسطَام[١] :

وكَمْ لكَ فى الأَمْوالِ من يَومِ وقْعَةٍ طَوِيلٍ من الأَهْوالِ فيهِ عَوِيلُها
ومن صَوْلَةٍ فى يَومِ بُؤسٍ على العِدَا يُهالُ فُؤَادُ الدَّهْـرِ حين تَصُولُها[٢]

قوله : « يُهالُ فؤاد الدّهر » مثل قول أبى تمّام[٣] :

.................... لَسَمِعْنا لِقُلوبِ الأَيَّامِ مِنْكَ وَجِيبَا

جَعلَ هذا لِلدَّهرِ فُؤادًا يُهالُ ، كما جَعلَ ذَلِكَ للأيّامِ قُلوبًا تَجِبُ .

وقال البحترىُّ فى مَدْحِ إسحقَ بن إبراهيمَ[٤] :

وَوقَفْتَ مَشْكُورَ المَكانِ كَرِيمَهُ والبِيْضُ تَطْفُو فى الغُبارِ وتَرْسُبُ
مَا إنْ تَرى إلّا تَوقُّدَ كَوكَبٍ من قَوْنَسٍ قَد غَابَ فيه كَوْكَبُ[٥]
فَمُجدَّلٌ ، ومُرَمَّلٌ ، [و] مُوسَّدٌ ومُضرَّجٌ ، ومُضَمَّخٌ ، ومُخَضَّبُ

(١) ديوانه ٣ : ١٧٧٨ وقد سبق فى ١ : ٣٢٢ و ٣ : ١٨٨ .
(٢) ديوانه : « يصولها » .
(٣) ديوانه ١ : ٢٥٥ والتبريزى ١ : ١٦٦ والبيت :

لو أُصَخْنا من بعدها لَسَمِعْنا لِقُلوبِ الأَيَّامِ مِنْكَ وَجِيبا

(٤) هو إسحاق بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب المصعبى الخزاعى بالولاء ، صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق المتوكل ، وكان وجيها مقربا من الخلفاء ذا رأى وشجاعة توفى سنة ٢٣٥ « الطبرى ٨ : ٥٩٢ وما بعدها ، الديارات ص ٣٥ وما بعدها » ، والأبيات فى ديوان البحترى ١ : ٧٥ .
(٥) ديوانه : « فى قونس قد غار فيه كوكب » .

سُلِبُوا وأَشْرقَتِ الدِّماءُ عَلَيْهِمُ ... مُحْمَرَّةً ، فكأَنَّهُم لم يُسْلَبُوا [(١)]

وفى نحوِ قَوْلِهِ :

والبَيْضُ تَطْفُو فى الغُبارِ وتَرْسُبُ

قوله [(٢)] :

فى مَقامٍ تَخِرُّ فى ضَنْكِهِ البَيْـ ... ـضُ على البَيْضِ رُكَّعًا وسُجُودَا

وقال أبو تمّام فى إسحقَ بن إبراهيم – أَظُنُّهُ فى حرب الخُرَّمِيَّةِ [(٣)] –:

وَقَائِعُ أَشْرَقَتْ مِنْهُنَّ جَمْعٌ ... إلىٰ خَيْفَىْ مِنىً والمَوْقِفَيْنِ [(٤)]

ثَوىٰ فى المَشْرِقَيْنِ لهَا ضِجَاجٌ [(٥)] ... أطَـارَ قُلوبَ أَهْـلِ المَغْرِبَيْـنِ

قوله : « أَشْرَقَتِ مِنْهُنَّ جَمْعٌ » أى : أَضاءَتْ ، من الإشراقِ والحُسْنِ ، لمَّا جاءتِ الأَخبارُ والبَشائِرُ بذَلِكَ ، وقولُهُ : « أطارَ قُلوبَ أَهْلِ المَغْرِبَيْنِ » لمَّا سَمِعُوا [(٦)] بِذَلِكَ خَوفًا ، وهذا كلُّه يَسْتَقِيمُ على الوجه الذى أراده البحترىّ .

---

(١) سبق فى ١ : ٣٢٠ .

(٢) ديوانه ١ : ٥٩٣ ، وفى ديوانه « على البِيَضِ » .

(٣) وجه المعتصم إسحق بن إبراهيم سنة ٢١٨ لقتال بابك فأوقع بهم فى أطراف الجبال « الطبرى أحداث سنة ٢١٨ » ، وجاء فى ديوان أبى تمّام فى أول القصيدة : وقال يمدح إسحاق بن إبراهيم ويذكر إيقاعه بالمحمرة أصحاب بابك ، وكانوا تواعدوا إلى موضع علم به ، فوقف لهم فيه ، فكلّ من جاء قُتِلَ وحُزَّتْ أُذُنُه ، حتى وجَّه إلى المعتصم بستين ألف أذن « التبريزى ٣ : ٢٩٧ » .

(٤) ديوانه ٣ : ١٦ والتبريزى ٣ : ٢٩٩ وفيهما « فالموقفين » وجَمْعُ : اسم لمِنىٰ أو موضع قريب منه ، وقال أبو عبيد البكرى هو : المزدلفة « معجم ما استعجم ٣٩٢/١ » : والخيف : ما ارتفع من المسيل وانحدر من الجبل .

(٥) ديوانه : « ضجيج » .

(٦) يعنى قوله :

وهدّة يوم لابن يوسف أسمعت ... من الروم من بين الصفا والأخاشب

وقال البُحْتُرِىّ[١]:

رُبَّما كُنْتُ للأَوانِسِ زِيرًا ... مُسْتَهامًا بكُلِّ بَيْضاءَ رُودِ
كَمْ جَمَعْتُ الرَّحِيقَ والرِّيقَ مِنْها ... وكِلانَا قَتِيلُ صِنْجٍ و عُودِ
وكِلانَا قد أَحدثَ الرَّاحُ فيهِ ... زَهْوَ عيسىَ بنِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ[٢]
فارِسٌ يضْرِبُ القوَانِسَ بالسَّيْـ ... ـفِ إذا ما الْتَقَتْ جِبَالُ الْحَدِيدِ

وقال البُحْتُرِىُّ أَيْضًا[٣]:

معاقِلُهُمْ سُمْرُ القَنَا ، وعَتَادُهُمْ ... شَرِيجَانِ : أَسْيافٌ وقُمْصُ حَدِيدِ[٤]
إذا غَمَراتُ المَوْتِ أَدْجَتْ تَكَشَّفَتْ ... بِهِمْ عن أُسُودٍ زُوحِفَتْ بأُسُودِ
هُمُ أَخْمَدوا نَارَ العدُوّ ، وَأَوْقَدُوا ... من الحَرْبِ نارًا غيرَ ذَاتِ خُمودِ
بِشَهْباءَ من مَاءِ الحَديدِ كأَنَّها ... جِبَالُ « شَرَوْرَى » أُضْرِمَتْ بِوَقُودِ[٥]
تُرِيكَ إذا ما الحَرْبُ غَامَتْ سمَاؤُها ... نجومَ صِعَادٍ فى سَمَاءِ صَعِيـدِ

وهذا حُجَّةٌ فى أَنَّ الصَّعِيدَ هو التُّرابُ فى الآيَةِ[٦].

---

(١) ديوانه ٢ : ٨٠٢ .

(٢) قال محقق الديوان لم نهتد إلى شخصية عيسى بن خالد بن الوليد ، وقلت : هو عيسى بن خالد بن الوليد من ولد الحارث بن هشام المخزومى ، أبو سعد ، شاعر من أهل بغداد جيد الشعر مدح المأمون وهاجى دعبلا وكان دعبل يَنْفيه ويَسِمُهُ بالدّعى « معجم الشعراء ٩٨ ، سمط اللآلى ٥٧٨ ، طبقات الشعراء ٢٩٤ ، نهاية الأَرَبِ ٣ : ٩١ » .

(٣) ديوانه ٢ : ٧٧٩ .

(٤) ديوانه : « وكنوزهم » .

(٥) ديوانه : « لوقود » .

(٦) يريد قوله تعالى فى سورة النساء « آية ٤٣ » « يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ، ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا » .

وقوله تعالى فى سورة المائدة « آية ٦ » : « وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » .

=

وقالَ أبو تمَّامٍ[١] :

والحَرْبُ تَركَبُ رَأْسَها فى مَشْهَدٍ | عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمِ[٢]
/ فى سَاعَةٍ لو أَنَّ لُقمانًا بِهَا | وهو الحَكِيمُ لكَان غَيْرَ حَكِيمِ[٣] ٩٧
جَثَمَتْ طُيورُ المَوْتِ فِى أُوْكارِها | فَتَرَكْنَ طَيْرَ العَقْلِ غَيْرَ جُثُومِ[٤]

البيتان الأوَّلانِ فى غَايةِ الجَوْدةِ وصِحَة المَعْنىٰ .

قولُهُ : « جَثَمتْ طُيورُ المَوْتِ فى أُوكَارِها » بيتُ رَدِىءُ القِسْمَةِ رَدِىءُ المَعْنىٰ ، لأنَّه جعلَ طَيْرَ المَوْتِ فى أوكارِها جُثُومًا سَاكِنةً لايُنفِّرُها شَيءٌ ، وطَيْرَ العَقْلِ غَيْرَ جُثُومٍ ، يَعنى أنَّها قَدْ نُفِّرَتْ فطَارَتْ ، يُرِيدُ طيَرانَ عُقولِهم من شِدَّةِ الرَّوْعِ ، وما كانَ يَنْبَغِى أن يَجْعلَ طَيْرَ المَوْتِ جُثومًا فى أُوْكَارِها ، وإنَّما كَانَ الوَجْهُ أن يَجْعلهَا جاثِمَةً على رُؤوسِهِم ، أو وُقَّعًا عليهِم ، فأمَّا أن تَكونَ فى أُوْكارِها ، فإنَّها فى السِلْمِ وفى الأَمْنِ فى أُوْكارِها أيضًا ، وطيرُ العَقْلِ لَيْسَ بِضِدٍّ لِطَيْرِ المَوْتِ ، وإنَّما هى ضِدٌّ لِطَيْرِ الجَهْلِ ، وطَيْرُ الحياةِ هى الضِّدُّ لِطَيْرِ المَوْتِ ، وهذا المَعْنىٰ الذى رَكَّبَهُ عِندى خَطأٌ ، وقد بَيَّنْتُهُ فيما قَدَّمْتُ ذِكْرَه من أَغالِيطِهِ .

وقد أساءَ أبو تَمّام فى هذا الباب إساءاتٍ كَثيرةٍ ، والبحترىُّ فيهِ عِنْدى أَشْعَرُ مِنْهُ .

* * *

= وقال ابن كثير : « الصعيد : قيل هو كل ما صعد على وجه الأرض فيدخل فيه . التراب والرمل والشجر والحجر والنبات ، وهو قول مالك ، وقيل ما كان من جنس التراب كالرمل والزرنيخ والنورة وهذا مذهب أبى حنيفة ، وقيل هو التراب فقط وهو قول الشافعى وأحمد بن حنبل وأصحابهما » « تفسير ابن كثير ١ : ٤٣٣ » .

(١) ديوانه ٢ : ٤٤٥ والتبريزى ٣ : ٢٦٦ وقد سبقت الأبيات والتعليق عليها فى ١ : ٢٤٤ .

(٢) فى الأصل : « بألف حكيم » والتصحيح من رواية الجزء الأول ومن ديوانه وشرح التبريزى .

(٣) فى الأصل : « وهو حكيم » والتصحيح من ديوانه .

(٤) ديوانه : « طيور الجهل » .

## ذكر وصف رجال الحرب

قال أبو تمّام[1]:

مُسْتَرْسِلِينَ إلى الحُتوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الحُتوفِ وبَيْنَهم أَرْحَامُ

هذا معنًى لَيْسَ بالجَيِّدِ ، لأَنَّ الاستِرْسالَ قد يكونُ إلى ذَوى الأَرْحامِ وقَد لايكونُ ، وهل العَداوةُ والشِّقاقُ والضَّغائِنُ إلا بين ذَوى الأَرْحامِ .

والجَيِّدُ النَّادِرُ فى هذا قولُ البُحتريِّ[2]:

تَسَرَّعَ حَتّى قالَ من شَهِدَ الوَغَىٰ لِقَاءُ أعَادٍ أم لِقَاءُ حَبَائِبِ

وَمِثْلُهُ فى الجَوْدَةِ بل أَوْكَدُ مِنه قَوله أَيْضًا[3]:

يَمْشُونَ تَحت ظُبا السُّيوفِ إلى الوغىٰ مَشْىَ العِطَاشِ إلى بُرودِ المَشْرَبِ

ثُمَّ قال بعد هذا ماهو أَحسنُ من كُلِ حَسَنٍ ، وأَصحُّ من كلِّ صِحَّةٍ ، وهو قوله[4]:

يَتراكَمُونَ على الأَسِنَّةِ فى الوَغى كالصُّبْحِ فَاضَ على نُجومِ الغَيْهَبِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٧٨ والتبريزى ٣ : ١٥٦ .
(٢) ديوانه ١ : ١٧٨ .
(٣) ديوانه ١ : ٨٢ .
(٤) المصدر السابق .

فإن كان سَمِعَ قولَ سَلْمٍ الخَاسِرِ[(١)]:

كأنّه والقَنا دَوانٍ يَومٌ على لَيْلَةٍ مُغيرُ

فَعَلَيْه – واللهُ أعلمُ – حَذَا ، ولا أَدْرِى أَيُّهُما أحلىٰ وأَبْرَعُ .

وقال بَشّارٌ[(٢)]:

إذا الحرب قَامَتْ بِهِم شَمَّرُوا وكَانُوا أُسِنَّةَ خِرْصَانِهـــا

وهذا أيضًا حُلْوٌ فى مَعناه .

وأجودُ منه وأحلىٰ قولُ البَرْدَخْتِ الضَّبِّىِّ[(٣)]:

وأَشْجَعُ من أبى شِبْلَيْنِ وَرْدٌ وأَنْفَذُ فى الكَرِيهَةِ من سِنَانِ

وقال البُحترىُّ[(٤)]:

وعَصائِبٍ يَتَهافَتُونَ إذا ارْتَمىٰ بهِمُ [الوَغىٰ][(٥)] فى جاحِمِ الهَيْجَاءِ

مِثلَ اليَراعِ بَدَتْ له نَارٌ وقَدْ لَفَّتْهُ ظُلْمَـةُ لَيْلَـةٍ لَيْـلاءِ

وهذا أصَحُّ فى المَعنىٰ وأَشْبَهُ من كلِّ مامضىٰ .

وقال أبو تَمَّامٍ[(٦)]:

حَنَّ إلى الموتِ حَتى ظَنَّ جَاهِلُهُ بأنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقًا إلى وَطَنِ

---

(١) البيت فى ديوانه « شعراء عباسيون » جمع غوستاف فون غرنباوم ص ١٠٤ وهو أيضا فى معاهد التنصيص ٤ : ٢٧ .

(٢) محاضرات الأدباء : ٣ : ١٤٨ والخرصّان : الدروع أو الرماح .

(٣) هو علىّ بن خالد أحد بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، والبردخت بالفارسية ، الفارغ الذى لا عمل له ، هاجى جريرا والكميت « معجم الشعراء ١٣١ ، الشعر والشعراء ٧١٢ » .

(٤) ديوانه ١ : ١١ .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقطة من الأصل والتصحيح من ديوانه ، وفيه : « فى غمرة الهيجاء » .

(٦) ديوانه ٣ : ٣٥٧ والتبريزى ٤ : ١٤٠ .

وقد جاءَ البحتريُّ بالوطَنِ فى مَوضعٍ هو أَلْيَقُ به من هَذا المَوْضِعِ، فقال[(١)]:

تَسْمُو إلى حِلَلِ العَلْياءِ أَنْفُسُهم كأنّ أنفُسَهم يَطْلُبْنَ أَوْطَانا

وَذلِكَ لِذِكْرِه حِلَلَ[(٢)] العَلْياءِ.

وقد أتى به أيضا فى موضع ليس بِجَيِّدٍ فيه، وذلك قَوْلُه:

أَلِفُوا الفِرَاقَ كَأَنَّهُ وَطَنٌ لَهُمْ لَايَقْرُبُونَ إِلَيْهِ حَتَى يَبْعُدُوا[(٣)]

وقال أبو تَمّامٍ[(٤)]:

رَكوبٌ بَأَثْبَاجِ المَتالِفِ عَالِمٌ بِأَنَّ المَعالى بَيْنَهُنَّ المَهالِكُ[(٥)]
مُطِلٌّ على الرُّوحِ المَنيعِ كأنّه لِصَرْفِ المَنَايا فى النُّفوسِ مُشارِكُ[(٦)]

وهذا من معانيه الجيادِ، جَعَلهُ شَرِيكًا لِلمنايا فى القُدْرَةِ على النُّفوسِ. وأَبْلَغُ من هذا وأَوْكَدُ وأَلْيَقُ قَوْلُهُ[(٧)]:

لَقيتَهُمْ والمَنايا غَيرُ دَافِعَةٍ لِمَا أَمَرْتَ بِهِ والمُلْتَقَى كَبِدُ

وقال البحتريُّ فى نَحْوه، ومِنْه – واللهُ أعلمُ – أَخَذَ[(٨)]:

إذا الْتَهبتْ فى لَحْظِ عَيْنيهِ غَضْبَةٌ رَأَيْتَ المَنَايا فى النُّفوسِ تُؤَامِرُهْ

---

(١) ديوانه ٤ : ٢١٥١ .
(٢) حِلَل : جمع « حِلّة » بكسر الحاء المهملة أى : المَنزل .
(٣) ديوانه ١ : ٦٢٧ .
(٤) ديوانه ٢ : ١٦٢ والتبريزى ٢ : ٤٦٠ .
(٥) ديوانه والتبريزى : « دونهنّ » .
(٦) ديوانه والتبريزى : « على الآجال حتى كأنه » .
(٧) ديوانه ١ : ٤٢٥ والتبريزى ٢ : ١٢ والكَبِدُ : الضيق والشدة .
(٨) ديوانه ٢ : ٨٧٨ .

فجَعلَ المنَايا مُطِيعَةً له ، تَفْعَل ما يَأْمُرها به ، فإن كانَا جَميعا سَمِعا قولَ سَلْمٍ الخَاسِرِ :

/ كأنَّ المنايا عَامِلاتٌ بِرَأْيِهِ إذا اخْتَلَفتْ أَرْماحُهُ ومَناصِلُهْ[1] ٩٨

فمِنْه أَخذَا ، أو أَخذه أبو تمّامٍ فأَخذه البحتريُّ منه .

ومثلُهُ قولُ دِعْبِلٍ[2] :

وتَرىٰ المنايا تَحتَ ظِلِّ لِوَائِهِ طَوْعَ القَواضِبِ والوَشِيجِ الذُّبَّلِ

وقدْ تَجاوزَ سَلْمٌ هذا المَعْنىٰ إلىٰ إفْراطٍ فَقَالَ[3] :

تخشى المنَايا حَدَّ صَوْلَتِهِ والجُودُ عندَ عَطائِهِ بُخْلُ

فجَعل المنَايا تَخشىٰ حَدَّ صولَته ، وجعَل الجُودَ بُخْلا لِعِظَمِ مايُعْطِى ويُنِيلُ .

وما أحسنَ عَنتَرَةَ فى قَولِهِ[4] :

إنَّ المنايا لو تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ مِثْلِى إذا نَزَلُوا بِضَنْكِ المَنْزِلِ

وقال أبو تَمَّامٍ[5] :

وسائِلٍ عن أبى حَفْصٍ فَقُلْتُ لَهُ أَمْسِك عِنَانكَ عَنْه إنَّه القَدَرُ

جَعلَهُ هَاهُنَا القَدرَ ، أَرَاد أَنَّهُ يَدْفَعُ البُؤْسَ ويَصْرِفُهُ ، ويَنْفِى العُسْرَ والفَقْرَ ، لأنَّه قالَ بعد هذَا :

---

(١) لم أجده فى ديوانه المجموع .
(٢) لم أجده فى ديوانه .
(٣) لم أجده فى ديوانه .
(٤) ديوان عنترة ص ١٢٠ .
(٥) ديوانه ١ : ٥٣٤ والتبريزى ٢ : ١٨٨ .

فتًى تراهُ فَتَنْفِى العُسْرَ غُرَّتُهُ  نَفْيًا ، ويَنْبَعُ من أَسْرارِها اليُسْرُ (١)

فَوضَعَ القَدرَ هَاهُنا بحيثُ أرادَ أنَّهُ جالِبٌ للخيرْ واليُمْنِ والغِنَى ، وليس يليقُ القَدَرُ بهذا الموضعِ ، ولو كانَ ذَكرهُ فى حَرب ، وأنَّهُ مُنصبٌ على النُّفوسِ انْصِبَابَ القَدَرِ الذى لامَردَّ لَهُ ، كان ذلك أَلْيَقَ وأشْبَه ، كما قَالَ البحترىّ (٢) :

ضَرَبَ الجِبالَ بِمِثْلِها من رَأْيِهِ  غَضْبانَ يَطْعَنُ بالحِمَامِ ويَضْرِبُ
أَوْفَى ، فظَنُّوا أنَّهُ القَدَرُ الذى  سَمِعُوا بهِ ، فَمُصَدِّقٌ ومُكَذِّبُ

ولكنَّهَ قدْ قَالَ فى مَوْضِعٍ آخَرَ وأجادَ وأَحْسَنَ (٣) :

بِأَسْمحَ من غُرِّ الغَمامِ سَماحةً  وأَشْجَعَ من صَرْفِ الزَّمانِ وأَنْجَدِ

فَفضَّلَهُ فى السَّماحةِ على غُرِّ الغَمامِ ، وفى البَأْسِ على صَرفِ الزَّمانِ .

وقال أبو تمّام (٤) :

رآهُ العِلْجُ مُقْتَحِمًا عَلَيْهِ  كَما اقْتَحم الفَناءُ على الخُلودِ

أخذَه من قول مُسْلِمِ بنِ الوَلِيدِ (٥) :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يَومِ ذِى رَهَجٍ  كأنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَىٰ إلىٰ أَمَلِ

وقد أحسنَ كُلَّ الإحسانِ الذى يَقُولُ (٦) :

سَرِيعُ اخْتِلاسِ الرُّوحِ يَغدُو فلا يُرَىٰ  به البَاسِلُ العادِى إليه بِبَاسِلِ

---

(١) التبريزى : « يمنا » .
(٢) ديوانه ١ : ٧٥ .
(٣) يعنى أبا تمّام . والبيت فى ديوانه ١ : ٤٣١ والتبريزى ٢ : ٢٤ .
(٤) ديوانه ١ : ٤٣٧ والتبريزى ٢ : ٣٧ .
(٥) ديوانه : ص ٩ ، وقد سبق البيتان فى ١ : ٧٨ من الموازنة .
(٦) لم أقف على قائلهما بعد .

كأنَّ له عَيْنًا إلى كُلّ مُهْجَةٍ تُطالِعُ أو عِلْمًا بِطُرْقِ المَقَاتِلِ

وقال أبو تمّامٍ[(١)]:

تناوَلَ الفوتَ أيدى المَوتِ قَادِرةً إذا تناولَ سَيْفًا مِنْهُمُ بَطَلُ

قولُهُ: « تَناوَلَ الفَوْتُ ... » عَويصٌ من عويصَاتِهِ، وهو أيْضاً مُحالٌ، وإنَّما سَمِع قولَ سَعْدِ بن مالك[(٢)]:

هَيْهَاتَ حَالَ الموتُ دو نَ الفَوْتِ وانْتُضِىَ السِّلاحُ

« فالفَوتُ » هو النَّجاةُ، أى حَالَ المَوْتُ دونَ النَّجاةِ، وهذا صَحيحٌ مُسْتَقيمٌ، فقال هو: « تناوَلَ الفوتُ أيدى المَوتِ » وهذا مُحالٌ، لأنَّ النَجَاةَ لاتَتَناوَلُها يَدُ المَوْتِ ولا تَصِلُ إلَيْها، وإلّا لَمْ تَكُنْ نجاةً، وقد ذَكَرْتُ هذا فيما قَدَّمْتُ ذِكْرَه من أغالِيطِهِ[(٣)].

وقال أبو تمّام[(٤)]:

بَادِى المُحَيَّا لأطْرَافِ الرِّماحِ فما يُرىٰ بِغَيْرِ الدَّمِ المَعْبُوطِ مُلْتَثِما
يُضْحِى على المَجْدِ مَأْمُونًا إذا اشتَجَرتْ سُمْرُ القَنا وعلىٰ الأرواحِ مُتَّهَما

وهذا غايَةٌ فى الحُسْنِ والصِّحَّةِ، ثمّ قالَ بَعْدَهُ:

قد قَلَّصَتْ شفَتاهُ من حَفيظَتِهِ فَخِيلَ من شِدَّةِ التَّعبِيسِ مُبْتَسِمَا

---

(١) ديوانه ٢ : ١٨٨ والتبريزى ٣ : ١٨ وقد سبق البيت فى ١ : ٢٤٢ .

(٢) سعد بن مالك بن ضُبَيْعة، أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها فى الجاهلية، وكان شاعرا، وهذا البيت من أبيات قالها سعد يعرّض بالحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس فى يوم التحالق أو يوم قضة « انظر شرح الحماسة للتبريزى ٢ : ٢٩ وما بعدها، والمؤتلف والمختلف ص ١٩٨ ، والعقد الفريد ٥ : ٢٢٠ » .

(٣) انظر ١ : ٢٤٢ .

(٤) ديوانه ٢ : ٤٣٥ والتبريزى ٣ : ١٧٠ .

وإنَّما سَمِع قَوْلَ عَنْتَرَةَ (١) :

لَمّا رأنِى قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ　　أبدىٰ نَواجِذَهُ لِغَيْرِ تَبسُّمِ

فَوصفَهُ بِشِدَّةِ الجَزَعِ لمَّا أَقْبل نَحْوَهُ ، وذَلِك من أَوْصافِ الجُبنَاءِ لا الأبطالِ ، وكذلك قَولُهُ :

قد قَلَّصَتْ شَفَتاهُ من حَفيظَتِهِ

من قَوْلِ عَنْتَرَةَ (٢) :

إذْ تَقْلِصُ الشَفتَانِ عن وَضَحِ الفَمِ

وهذا إنَّمَا يَكونُ من الهَوْلِ والشِدَّةِ ، فجَعلَهُ أبو تَمَّامٍ من الحفَيظَةِ ، وهى الغَضَبُ ، وقد تَعْرِضُ هذه الحَالُ للغَضْبانِ ، غَيْرَ أَنها تُذْكَرُ عِنْدَ الشِّدَّةِ والجَهْدِ والرَّوْعِ ، فهذا مَوْضِعُها / المَعْروفُ الذى تُسْتَعملُ فيهِ مِنَ الشّعْرِ . ٩٩

وقَدْ قالَ ابنُ هَرْمَةَ (٣) :

كَريمٌ لَهُ وَجْهانِ وَجْهٌ لِذى الرِّضَا　　أسِيلٌ ، وَوَجْهٌ لِلْكَرِيهَةِ باسِلُ

والوَجْهُ الأحسَنُ قولُ أبى تَمّامٍ (٤) :

كاللَّيْثِ لَيْثِ الغَابِ إلّا أَنَّ ذَا　　فى الرَّوْعِ بسَّامٌ وذاكَ شَتِيمُ

وقال البُحْتُرِىُّ (٥) :

ضَحوكٌ إلى الأَبْطالِ وهو يَرُوعُهُمْ　　ولِلسَّيْفِ حَدٌّ حينَ يسطو ورَوْنَقُ

---

(١) ديوانه : ص ١٥١ .
(٢) ديوانه : ص ١٥٢ وصدره :
ولقد حَفِظْتُ وُصاةَ عَمِّىَ بالضُّحىٰ
(٣) ديوانه المجموع : ص ١٦٧ وفيه « للكريهة » .
(٤) ديوانه ٢ : ٤٢٠ والتبريزى ٣ : ٢٩٠ .
(٥) ديوانه ٣ : ١٤٩٤ .

حياةٌ وموتٌ واحِدٌ مُنْتَهاهُما كَذلِكَ غَمْرُ المَاءِ يُرْوِى ويُغْرِقُ

وهذا لاشيءَ أحسَنُ منه ولا أَلْطَفُ .

وقالَ الفرزدقُ (١) :

إذا الْتَقَتِ الأَبْطالُ أَبْصَرتَ لَوْنَهُ مُضِيئًا وأعناقُ الكُماةِ خُضُوعُ

وكان يَنْبغِى أَنْ يَقولَ : « وأَلْوانُ الكُماةِ كَاسِفَةٌ » .

وأَخذَ المَعْنىٰ منه مَرْوانُ بنُ أَبِى حَفْصَةَ وصَحَّحَ قِسْمَتَه فَقال (٢) :

تَمْضى أَسِنَّتُهُ ويُسْفِرُ وَجْهُهُ فى الروع عند تَغَيُّرِ الأَلْوانِ

وقال البُحْتُرِىُّ (٣) :

تَبَسُّمٌ وقُطوبٌ فى نَدًى ووغًى كالبَرْقِ والرَّعْدِ وَسْطَ العَارِضِ البَرِدِ

وهذا بَيْتٌ ردىءُ المَعنىٰ على ما أَذْكُرُهُ ، لأَنَّه شَبَّه تَبسُّمَه عِنْدَ العَطاءِ بالبَرْقِ ، وهذا معَنى صحَيحٌ مستقيمٌ ؛ لأَنَّ التَّبسُّمَ يَلَوحُ مَعَهُ الثَّغْرُ كَما يَلوُحُ البَرْقُ ، وإذا كانَ فى وَقْتِ العَطَاءِ فإنَّ العَطاءَ يَتْبَعُهُ ، كما أَنَّ الغَيْثَ يَتْبَعُ البَرْقَ فى أَكْثَرِ أَحْوالِهِ .

وشَبَّهَ القُطَوبَ بالرَّعْدِ ، وإنَّما كَانَ يَنْبَغِى أن يُشَبِّهَه بالمَرْئِيَّاتِ لا بالمَسْمُوعاتِ ، والرَّعْدُ إنَّما يُوضَعُ فى مَوضِعِ التَّهَدُّدِ والوَعِيدِ .

والقُطُوبُ أَيْضًا فى الوَغىٰ لايَدُلُّ على شَجاعَةِ الشُّجاعِ ، لأَنَّ الجبَانَ أيضًا فى الحَرْبِ مُقَطِّبٌ مُكَلِّحٌ ، فَلْيسَ القُطوبَةُ فى هذهِ الحَالِ مَدْحًا ، كالتَّبسُّمِ فى حالِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٥٠٩ وفيه « أبصرت وجهه » .

(٢) ديوان مروان بن أبى حفصة ص ١٠٦ .

(٣) ديوانه ١ : ٥٧٥ والبَرِدُ الذى يُمْطِرُ البَرَدَ « هامش ديوانه » .

العَطايا ، لأنَّ هذا دَليلُ الكَرَمِ وذاكَ لَيْسَ بِدَليلٍ على الشَّجاعَةِ ، بَلْ دليلُ الشَّجاعةِ التَّبسُّمُ فى الحَرْبِ كما قال :

ضَحوكٌ إلى الأَبْطالِ وهو يَروعُهمْ[1]

وكما قال أبو تمّام :

إلّا أنَّ ذا فى الرَّوْعِ بَسّامٌ وذاكَ شَتِيمُ

وقد قال بَشَّار[2] :

إذا ماتَردّىٰ عَابِسًا فاضَ سَيْفُهُ دِمَاءً ويُعْطِى مَالَه إنْ تَبسَّما

قَوْلُه : « إذا مَا تَردّىٰ » أى : تَقَلَّدَ السَّيفَ ، وقَوْلُهُ : « عَابِسًا » أى : مِنَ الغَضَبِ ، والمُحارِبُ لايُنْكَرُ منه الغَضَبُ ، والغَضْبانُ يُعبِّسُ وهو آمِنٌ ، فَلَيْسَ العُبُوسُ هَاهُنا بِمَدْحٍ ، وأمّا تَقْلِيصُ الشَّفَةِ فأَكثَرُ مايَعْرِضُ من شِدَّةِ الفَزَعِ ، وخَاصَّةً فى الحَرْب

قال أبو تمّام[3] :

لُفُظٌ لِأَخلاقِ التِّجَارِ وإنَّهُمْ لِغَـدٍ بما ادَّخَـرُوا لَهُ لَتِجَـارُ[4]
ومُجرِّبُونَ سَقاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ فإذا لُقُوا فكأَنَّهمْ أَغْمارُ

أَخذَ معنى البيتِ الأوَّلِ من قَوْلِ الشَّاعِرِ[5] :

يَبيعُ ويَشْتَرِى لَهُمُ سِواهُمْ ولكِنْ بالطِّعانِ هُمُ تِجَارَ

---

(١) فى الأصل : « يريعهم » ، وهو خطأ .

(٢) لم أجده فى ديوانه .

(٣) ديوانه ١ : ٥٢٦ والتبريزى ٢ : ١٧٨ ، وقد سبقا فى ١ : ٧٨ .

(٤) ديوانه والتبريزى « لغدا » .

(٥) البيت لابن هرمة « ديوان المعانى ٢ : ٦٥ » ، ولم أجده فى ديوانه المجموع ، وقد سبق فى ١ : ٧٨ .

ولكِنّه ذَهبَ إلى غرضٍ آخرَ فأفسدَ المعنى ، وأخذ معنى البيت الثّانى من قَوْلِ قَطرىٍّ بن الفُجاءَةِ ، وعَكَسَهُ وكلا المَعْنَيَيْنِ جَيِّدٌ ، وبيتُ قَطرِىٍّ أَبْرَعُ وأجودُ لأنَّه قابلَ بين المعنيينِ فى نِصْفِ بَيتٍ ، وذلِكَ قَوْلُهُ (١):

ثمّ انْثَنَيْتُ وقَدْ أُصَبْتُ ولَمْ أُصَبْ ... جَذَعَ البَصِيرة قَارِحَ الإقْـدَامِ

وذَهبَ البحترىُّ أيضًا فى هذا الشّعرِ إلى ماذهبَ إليه أبو تمّام حين عَكَس بَيْتَ قَطَرىٍّ ابنِ الفُجَاءَةِ فَقالَ (٢):

مَلِكٌ لَه فى كُلِّ يومٍ كَرِيهَةٍ ... إقْدَامُ غُرٍّ واعْتِزَامُ مُجَرِّبِ

وقد أَتى أبو تمّامٍ بمِعَنى قَطَرِيٍّ بعَيْنِهِ فقالَ فى أبى سعيدٍ (٣):

كَهْلُ الأَنَاةِ فَتى الشَّذَاةِ إذا غَدا ... لِلْحَرْبِ كَان القَشْعَمَ الغِطْرِيفَا

وقال أبو تَمّام وقد ذَكرَ الخَيْلَ (٤):

يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ سُمْرُ القَنَا ... بإهابه أَوْلَىٰ من السِّرْبَالِ

[ خَلطَ الشَّجاعةَ بالحَياءِ فأَصبْحا ... كالْحُسْنِ شِيبَ لِمُغْرَمٍ بدَلالِ ] (٥)

فقوله :

سُمْرُ القَنا بإهَابِهِ أَوْلَىٰ من السِرْبالِ

---

(١) حماسة أبى تمّام بشرح المرزوقى ١ : ١٣٨ ، وقد سبق فى ١ : ٧٨ .

(٢) ديوانه ١ : ٨١ وقد سبق فى ١ : ٣٢٧ .

(٣) ديوانه ٢ : ٧٧ والتبريزى ٢ : ٣٨٢ ، وقد سبق فى ١ : ٧٨ وقال الخارزنجى : الشذاة : بأس الرجل ونفاذه والقشعم : المسن ، والغطريف : الحدث يقول : يتآنى فى الأمور تأنى الشيخ ويَعْجَلُ إلى البأس عَجَلَة الشاب النشيط ، فهو المسنّ الحدث فى الحالين « النظام لابن المستوفى حـ ٢ لوحة ١٧٤ » .

(٤) ديوانه ٢ : ٢١٢ والتبريزى ٣ : ١٣٧ .

(٥) سقط هذا البيت من الأصل وسيرد ذكره فى تعليق الآمدى ، انظر هامش ٢ ص ٣١٥ .

إنمّا سَمِعَ قولَ عَنْتَرةَ[١] :

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ      لَيْس الكَرِيمُ على القَنا بِمُحَرَّمِ

فَظنَّ أنَّ عَنْتَرَة أرادَ الثِّيابَ نَفْسَها ، وإنَّما أرادَ الرَّجُلَ نَفْسَهُ لا الثِّيابَ كما قَال الأَغْلَبُ[٢] :

أَوْجَب حجًّا فى ثِيابٍ دُسْمِ[٣]

١٠٠ أى : فى نَفْسٍ كَثِيرَةِ الخَطَايَا / والذُنُوبِ ، فكَنَىٰ عن النَّفْسِ بالثِّيابِ ، وعن الثِّياب الدُّسْمِ ، وهُوَ يُرِيدُ الوَسَخ ، ومِثْلُ هَذا مَوْجُودٌ فى كَلامِهِمْ ، وقد قِيلَ : « وثِيابَك فطَهِّرْ »[٤] أى : نَفْسَك فى بَعْضِ تَفْسير الآيَةِ[٥] ، وقال أبو تمّام :

............... سُمْرُ القَنا      بإهابِهِ أَوْلَىٰ من السِّرْبَالِ

مُظْهِرًا لمِخَالَفَةِ عَنْتَرةَ إلى ماهو أولىٰ عِنده ، ولم يَعْلَمْ ماذَهب إليه عَنْتَرَةَ ، وقد بَيَّنَ المَعْنىٰ أبو مِحْجَنٍ الثَّقَفِيُّ[٦] فقَال :

وَمَارِمْتُ حَتّىَ خَرَّقُوا بِرِمَاحِهِمْ      ثِيَابِى وَجادَتْ بالدِّماءِ الأَبَاجِلُ[٧]

---

(١) ديوانه ص ١٥٠ .

(٢) هو الأغلب العجلى الراجز ، قال الآمدى فى المؤتلف « هو أَرْجَزُ الرُّجاز وأرصَنُهم كلامًا » أدرك الإسلام فأسلم وسارَ إلى العراق واسْتُشْهِدَ فى وقعةَ نهاوند سنة ١٩ هـ ، وهو أول من أطال الرّجز ، وعاش تسعين سنة « طبقات فحول الشعراء ص ٧٣٨ ، الأغانى ١٨ : ١٦٤ ، المؤتلف والمختلف ص ٥٣ » .

(٣) هو فى اللسان مادة « دسم » ، وفيه : « أوذم حجا » ، وأوذم أى : أوجب ، وقبله :

« لاهُمَّ إنَّ عَامِرَ بنَ جَهْمِ »

ولم أجده فى ديوانه .

(٤) سورة المدثر آية (٤) .

(٥) قال مجاهد : « وثيابك فطهر » أى نَفْسكَ لَيْسَ ثِيابَهُ » ابن كثير ٤ : ٣٨٥ ولطائف الاشارات للقشيرى ٣ : ٦٤٨ .

(٦) هو عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف أحد الأبطال الشعراء الكرماء فى الجاهلية والإسلام أسلم سنة ٩ هـ كان مولعا بالشراب ، وقد حُدَّ على شربه الخمر مرات وقصته مع سعد بن أبى وقاص فى وَقْعَةِ القادسية معروفة . « طبقات فحول الشعراء ٦٨ ، الأغانى ٢١ : ١٣٧ » .

(٧) البيت فى الأغانى ٢١ : ١٤٠ وفيه « خَرَّقُوا بسلاحِهم إهابى » و « رِمْتُ » من رام يَرِيم إذا بَرِحَ .

وما أحسن ماقال منصورٌ النَّمَرِيُّ (١) :

تَرَى الخَيْلَ يومَ الرَّوْعِ يَظْمأنَ تَحْتَهَ     وتَرْوَى القَنا فى كَفِّهِ والمَناصِلُ
حلالٌ لأَطْرافِ الأسِنَّةِ نَحْرُهُ     حَرامٌ عَلَيْها مَتْنُه والكَواهِلُ

وقد قِيلَ : « فشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأصَمِّ ثِيابَه » أى : دِرْعُهُ .

وقوله : « خلَطَ الشَّجاعةَ بالحَياءِ » (٢) . من قَوْلِ لَيْلى الأخْيَلِيَّةِ :

فَتًى هو أَحْيا من فَتاةٍ حَيِيَّةٍ     وأَشْجَعُ من لَيْثٍ بخَفَّانَ خَادِرِ (٣)

ولكِنَّه مَثَّلَه بمِثَالٍ فى غَاية الحَلاوةِ والحُسْنِ على ظَاهرِهِ ، وهو قَوْلُهُ : « كالحُسْنِ شِيبَ لِمُغْرَمٍ بِدَلالِ » ، فَجعلَ الحُسْنَ بإزاءِ الحَياءِ ، لأَنَّ الحَياءَ يُعَصْفِرُ الوجهَ الجميلَ فَيَزِيدُه حُسْنا ، وجعلَ الدَّلالَ بإزاءِ الشَّجاعةِ ، ولو قَالَ : « كالحُسْنِ شِيبَ لِمُغْرَمٍ بِقَسْوَةٍ » ، حتى تكونَ القَسْوةُ بإزاءِ الشَّجاعةِ ، أَوْ « بِسَطْوَةٍ عَلَيْهِ » ، أو « بِظُلْمٍ » ، أو « تَعَدٍّ » ، كانَ أَكْشَفَ لِلْمَعنىٰ ، ولكنْ لَفْظَةُ الدَّلالِ مع الحُسنِ من أليقِ شَىءٍ بشىءٍ ، على أنَّ المُدِلَّ يَقْسُو ويَسْطُو ويَتعَدَّىٰ وَيظْلِمُ ، فلا أرىٰ شيئًا أحسنَ من الدَّلالِ فى هذا المَوْضِعِ .

وقال أبو تمَّامٍ (٤) :

إذا كَانَتِ الأنْفاسُ جَمْرًا لدَى الوَغىٰ     وضَاقَتْ ثِيابُ القَومِ وَهْىَ فَضافِضُ

---

(١) ديوانه ص ١١٥ وفيه « حرام عليها منه متن وكاهل » .
(٢) هذا من البيت الذى سقط من الناسخ وأثْبَتّه « انظر ص ٣١٣ هامش (٥) » .
(٣) البيت فى الأغانى ١١ : ٢٢٧ وروى هناك :
« وتَوْبَةُ أحيا ................     وأجرأ .................. »
وفى ص ٢٤٣ وروايته فيها : « فتى كانَ أحيا ...... » ، وفى حماسة البحتريّ ص ٤٢٤ وفيها « فتى كان أحيا ...... » وليلى الأخيليه : هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب من بنى عامر بن صعصعة ، شاعرة فصيحة ذكية جميلة ، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحُمَيِّر ، ماتت فى ساوة ودفنت هناك « الأغانى الدار ١١ : ٢٠٤ ، فوات الوفيات ٢ : ٢٨٩ ، حماسة البحترى ص ٤٢٣ » .
(٤) ديوانه ١ : ٦٠٣ والتبريزى ٢ : ٢٩٩ .

بحَيْثُ القلُوبُ السَّاكِناتُ خوَافِقٌ وَماءُ الوُجُوهِ الأرْيَحِيَّاتِ غَائِضُ

فأَنْت الذى تُسْتَنْطَقُ الحَرْبُ باسْمِهِ إذا جَاضَ عن حَدِّ الأَسِنَّةِ جَائِضُ (١)

إذا قَبضَ النَّقْعُ العيونَ سَمالَها هُمامٌ على جَمْرِ الحَفيظَةِ قَابِضُ

قولُهُ : « وأنْتَ الذى تُسْتَنطَقُ الحربُ باسْمِهِ » ، لَيستَ قِسْمَتُهُ مع عَجُزِ البَيْتِ قِسْمَةً مؤْتَلِفَةً على ظَاهِرِ اللَّفْظِ ، وإنَّما يَأْتَلِفُ المَعْنىٰ على التَّأَوُّلِ ، وكان اللَّفْظُ يَحْسُن فى القِسْمَةِ لو قَالَ : « وأَنْتَ الذى تُسْتَنْطَقُ الحربُ باسْمِهِ ، إذا كان اسْمُ غَيْرِكَ يُخْرِسُها ولا يُنْطِقُها » وإنَّما يُرِيدُ : يُورِّيها ويُشْعِلُها ، أو أَنْ يَقولَ :

وأَنْتَ الذى يَغْشىٰ الأسِنَّةَ مُقْدِمًا إذا جاضَ عن حَدِّ المَنِيَّةِ جَائِضُ

والقِسْمَةُ الصَّحِيحَةُ فى هذا قولُ البُحْتُرِىِّ (٢) :

إذا خَرِسَ الأبطالُ فى حَمَسِ الوَغىٰ عَلَتْ فوقَ أَصْواتِ الحَديدِ زَمَاجِرُهْ

وسائرُ أبياتِ أبى تمّامٍ فى غَايَةِ الجَوْدَةِ والصِّحَّةِ .

وقال البُحْتُرِىُّ (٣) :

غمامُ حَيًا ما تَسْتَرِيحُ بُروقُهُ وعَارِضُ مَوتٍ ماتَفِيلُ رَواعِدُهْ

---

(١) التبريزى « جائض مثل حائد ، وقالوا : هو يمشى الجَيضَّى ، لِضربٍ من المشى يميلُ فيه » .
وقال جعفر بن علبة الحارثى : « وأنشده فى الحماسة » :

ولم نَدْرِ إنْ جُضْنَا مِنَ المَوْتِ جَيْضَةً كَم العُمْرُ بَاقٍ والمَدىٰ مُتطاوِلُ

« المحقق » .

(٢) ديوانه ٢ : ٨٧٨ ، والآمدى لا يقبل القسمة التى لا تصح الا بالتأوّل ، بل يريد القسمة ذات المعنى الظاهر الواضح ، ويرى أن المقابلة لا تصح بين « استنطق – جاض » والواقع أن القسمة أو المقابلة اللفظية ليست مطلوبة ، ولا مقصودة ، بل إن أبا تمّام أراد أن يصور إقدام وشجاعة ممدوحه فى اقتحام الوغى ، فالحرب لا يوريها إلا هو عندما يفر منها الجبان ، وهذا هو المعنى الذى لا يصح إلا بالتَّأوّل غير أن الآمدى يدعوه إلى أن يأخذ عفو الأشياء بمعانيها المباشرة ، وكأنه بهذا يضرب لأبى تمّام المثل للكيفية التى يكون عليها التحسين اللفظى ، بحيث يتم الابتعاد عن التعقيد والتأوّل .

(٣) ديوانه ١ : ٥٨٥ ، تفيل : تضعف ، وفى ديوانه « لا تفيل » .

تَظَلُّ العَطايَا والمَنايَا قَرائِنًا  لِعافٍ يُرَجِّيهِ وغاوٍ يُعانِدُهُ
إذا افْتَرقَتْ أسْيَافُهُ وَسْطَ جَحْفَلٍ  تفرَّقَ عَنْهُ هَامُهُ وسَواعِدُهُ

وهذا غايَةٌ فى الحُسنِ والصِحَّةِ ، ولو كَانَ أبو تمَّامٍ القائِلَ لِهَذا لَقَال : « إذا اجْتمَعتْ أسْيافُهُ وَسْطَ جَحْفَلٍ » لِيَكونَ الاجْتِماعُ والتَّفَرُّق طِبَاقًا ، والبُحْتُرِىُّ لايَقْصِدُ هَذا فى كُلِّ الأَحْوالِ ، إنَّما قَصْدُه أنْ يُجِيدَ اللَّفظَ والسَّبْكَ .

وقال[1] :

مَزَّقْتَ أنْفُسَهم بِقَلْبٍ واحِدٍ  جُمِعَتْ قَواصِيهِ وقَلْبٍ أَوْحَدِ[2]
فى فِتْيَةٍ طَلَبُوا غُبَارَكَ إنَّهُ  رَهَجٌ تَرفَّعَ عن طَرِيقِ السُّؤْدَدِ[3]
كالرُّمحِ فيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً  مُنْقادَةً تحت السِنانِ الأَصْيَدِ[4]

وهذا فى غَايَةِ الحُسْنِ والجَوْدَةِ ، وتَشْبِيهٌ فى غَايَةِ القُرْبِ والحَلاوةِ .

وقال[5] :

نِعْمَ المُفَرِّقُ من أَعْنَاقِ مَأْسَدَةٍ  قد الْتَقَتْ بِصَفِيحِ الهِنْدِ تَجْتَلِدُ

وهذا بَيْتٌ حُلوُ المَعنىٰ جِدًّا .

وقال أبو تمّامٍ فى أبى سعيد[6] :

وفى أَبْرشْتَوِيمَ وهَضْبَتَيْهَا  طَلَعْتَ على الخِلافَةِ بالسُّعودِ

---

(١) ديوانه ١ : ٥٤٨ .
(٢) ديوانه : « وسيف أوحد » .
(٣) ديوانه : « نهج » .
(٤) ديوانه : « خلف » وقد سبق فى ١ : ٣١٣ .
(٥) ديوانه ٢ : ٦٤٧ مأسدة : مكان الأسود ، تجتلد : تتضارب .
(٦) يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى . ديوانه ١ : ٤٣٨ ، والتبريزى : ٢ : ٣٨ ، أَبْرشْتَوِيمُ : جبل بالبذ من أرض موقان من نواحى أذربيجان كان يأوى إليه بابك « معجم البلدان » .

بِضَرْبٍ تَرْقُصُ الأَحْشَاءُ مِنْهُ ... وتَبْطُلُ مُهْجَةُ البَطَلِ النَّجِيدِ
وبَيَّتَّ البَيَاتَ (١) بِعَقْدِ جَأْشٍ ... أَشَدَّ قُوًى من الحَجَرِ الصَّلُودِ
/ رأوا ليث الغريفَةِ (٢) وهو مُلْقٍ ... ذِراعَيْـهِ جَميعًـا فى الوَصِيـدِ ١٠١
عَلِيمًا أن سَيَرْفُلُ فى المَعَالى ... إذا ما بَاتَ يَرْفُلُ فى الحَدِيدِ (٣)

قولُهُ : « يَرْفُلُ فى المَعالِى » استعارةٌ قَبيحَةٌ ، لأنَّه يَحُطُّ المَعالى حتى يَجُرَّها على الأرض ، فتَصيرَ حِينئِذٍ غَيرَ مَعالٍ (٤) ، ولو استوىٰ له أن يقولَ : يَرْفُلُ فى السُّؤْدَدِ ، أو فى المَجْدِ ، كان أقلَّ قُبْحًا ، ومثلُ هذا قولُهُ (٥) :

سَعىٰ فاستَنْزَلَ الشَّرَفَ اقْتِسَارًا ... ولولَا السَّعْىُ لم تَكُنِ المَساعِى

وليسَ يَنبغِى للشَّاعِرِ – إذا لَمْ يُساعِدْهُ الوَزْنُ – أن يَعْذُر نَفْسهُ ، ويَرْكَبَ المُحالَ .

وقال أبو تمّامٍ فى مَدْحِ (٦) ابنِ أبى دُؤاد :

يُفَرِّجُ (٧) مِنْهُمُ الغَمَراتِ بِيضٌ ... جِلَادٌ تَحْتَ قَسْطَلَةِ الجِـلادِ
لَهِمْ جَهْلُ السِّباعِ إذا المَنايَا ... تَمَشَّتْ فى القَنَا وحُلومُ عَادِ

قَوْلُهُ : « بِيضٌ جِلادٌ » يعنى : رِجالًا لا سيوفًا ، لِأنَّ السّيوفَ لا تُوصَفُ بالجِلادِ ، وهذا فى غَايَةِ الجَوْدَةِ والرَّصَانَةِ ، يُقال : جَلِدٌ و جِلَادٌ مَثل كَلِبٌ و كِلابٌ .

---

(١) التبريزى : « البَيَاتُ » : أَنْ يُطْرَقَ العَدوُ لَيْلًا فى مَبِيتِهِ .
(٢) ديوانه والتبريزى « بالوصيد » ، والغريفة : موضع الأسد .
(٣) ديوانه : « إذا هو بات يرفل فى الحديد » .
(٤) فى الأصل : « غير معالى » باثبات الياء ، وهذه طريقة بعضهم فى الكتابة ، وانظر ص ١٣٧ هامش ٢ .
(٥) ديوانه ٢ : ٢٥ والتبريزى ٢ : ٣٣٩ ، وقد سبق فى ١ : ٢٤٠ .
(٦) ديوانه ١ : ٣٨٢ والتبريزى ١ : ٣٧٣ ، وقد سقطت « الحاء » من كلمة « مدح » فى الأصل .
(٧) ديوانه والتبريزى : « تُفَرِّجُ عنهم » بالإسناد إلى المخاطب .

وقال فى عَبدِ اللهِ بن طاهر[(١)] :

وَيا أَيُّهَا السَّارِى اسْرِ غَيْرَ مُحاذِرٍ جِنَانَ ظَلامٍ أو رَدًى أنْتَ هائِبُهْ
فقد بَثَّ عبدُ اللهِ خَوْفَ انْتقامِه على اللَّيلِ حَتَّى ما تَدِبُّ عقَارِبُهْ

وهذا غايةٌ فى النَّجْدَةِ والبَأْسِ وعِظَمِ الهَيْبَةِ .

وما وَصَفَ أحدٌ الشُّجاعَ فى الحرب بأبلغَ من قَوْلِ زُهَيرٍ[(٢)] :

لَيْثٌ بِعَثَّرَ[(٣)] ، يَصْطَادُ الرِّجالَ ، إذا ما اللَّيْثُ كَذَّب ، عن أقرانه ، صَدَقَا
يَطْعَنُهُم ما ارْتَمَوْا حتى إذا اطَّعَنُوا ضَارَبَ حتَّى إذا ماضَارَبُوا اعْتَنَقَا

والقِتالُ لا يكونُ بأكثرَ من هَذهِ الأحوالِ ، فَجَمَعها فى بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وهَذِه بَراعةٌ لايَقْدِرُ عليهَا الطَّائِيانِ ولا أَمْثالُهما ، ولم أرَهُما وَصفَا أَحوالَ الطَّعْنِ والضَّرْبِ ، فإنَّ النَّاس قد تَقدَّموا فى هذا البابِ بما بَالغُوا فيه واسْتَقْصَوْا ، ومن ذَلكِ قولُ قَيس بن الخَطيمِ[(٤)] :

يُرىٰ قائِمٌ من دُونِها ماوَراءَها

وقولُ قيَسِ بنِ الخَطيمِ أيضاً[(٥)] :

---

(١) ديوانه ١ : ٢٩٥ والتبريزى ١ : ٢٢٩ ، وفيه « فيا أيها » .
(٢) ديوانه ص ٥٠ .
(٣) فى الأصل : « تعثر » ، والتصحيح من ديوانه ، وفيه : عثر : قبالة تبالة ، وهى بلد فى اليمن .
(٤) ديوانه ص ٤٦ وصدره :

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّى فأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا

(٥) البيتان فى الأشباه والنظائر منسوبان إلى القتال الكلابى « ١ : ٣٣ » . ولم أجِدْهُمَا فى دِيوان قَيْسٍ ابن الخطيم .

أَتَتْكَ المَنايا من بِلادٍ بَعيدَةٍ     بِمُنْخَرِقِ السِّرْبالِ عَبْلِ المَناكِبِ (١)
أخى العُرْفِ والنَّكْراءِ يَعْدِلُ دَفَّه     بِأَبْيضَ سَقَّاطٍ وَراءَ الضَّرائِبِ (٢)

وقال النَّمِرُ (٣) :

تَكادُ تَحفِرُ عَنْهُ إن ضَرَبْتَ بِهِ     بَعْدَ الذِّراعينِ والسَّاقَيْنِ والهَادِى (٤)

وقال آخَرُ (٥) :

وفَارِسٌ جَلَّلْتُهُ ضَرْبَةً     فبانَ عن مَنْكِبِهِ الكَاهِلُ
فصارَ مابَيْنَهُما رَهْوَةً     يَمْشِى بِهَا الرَّامِحُ والنَّابِلُ

وقال الفرزدق (٦) :

ولولَا الحَياءُ زِدتُ رَأْسَكَ هَزْمَةً     إذا سُبِرَتْ ظَلَّتْ جَوانِبُها تَغْلِى (٧)
بَعيدَةُ مابينَ الصُّدوعِ كَأَنَّها     رَكِيَّةُ لُقمانَ الشَّبيهةُ بالدَّحْلِ (٨)

---

(١) مُنْخَرِق السِّربال كِنايةٌ عن المضاء فى الأَسْفارِ والحُروبِ ، عبل : غليظ .

(٢) يعدل دفة : أى يقيم جانبه وفى الأشباه والنظائر « يَعْلُوكَ وقعة » وقال محققه فى الهامش : « أ و ب « بعدك دفه » والتصحيح منا » ، ورواية الموازنة أصح .

وسيف سقاط وراء الضرائب : أى يقطعها ويسقط من ورائها حتى يجوز إلى الأرض ، وانظر ديوان القتال الكلابى « ص ٣٨ » .

(٣) هو النمر بن تَوْلب العُكْلىُّ شاعِرٌ مخضرم عاش عمرا طويلا فى الجاهلية ولم يمدح أحدًا ولا هجا ، وكان جوادا واسعَ العطاء كثير القِرى ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه « الكَيِّسُ » لجودة شعرهَ ويُشبِّه شعره بشعر حاتم الطائى ، وفى كتاب المُعَمِّرين أنه عاش مائتى سنة « طبقات فحول الشعراء ١٥٩ ، الشعر والشعراء ١ : ٣٠٩ ، الخزانة ١ : ٣٢١ » .

(٤) البيت فى الشِّعْرِ والشُّعَراءِ وفيه : « تَظَلُّ تحفر » وقال : ذَكَر أَنَّهُ قَطَعَ ذلك كُلَّه ثم رَسَب فى الأرض حتى احتاج إلى أن يُحْفَر عنه ، وهذا من الإفراط والكذب ، وانظر نهاية الأرب ٦ : ٢١٤ .

(٥) البيتان من ثلاثة أبيات فى الوحشيات منسوبان إلى « أبى الحيال الباهلى » ص ٦٤ ، وانظر التشبيهات ص ١٥٩ بدون نسبة ، والموشح ص ١١٦ بدون نسبة ، وعيار الشعر ٧٩ ، والحيوان الأول فى ٣ : ١٢٦ ، والثانى والثالث فى ٦ : ٤١٣ .

(٦) ديوانه ٢ : ٧١٣ .

(٧) الهَزْمَةُ : خسْفُ البئر وقَطْعُ حجرها ، السَّبْرُ : قياسُ الجراحة وتقديرُها .

(٨) رَكِيَّةُ لقمان : بِئْرٌ عظيمة « بِثَأج » قريبٌ من البحرين « معجم البلدان» ، والدَّحْلُ – بالدال المهملة –: الكَهْفُ ، وفى ديوانه « بعيدة أطراف الصدوع » و « الذَّحل » بالذال المعجمة .

ومثلُ هذا كثيرٌ .

وقال البحتريُّ فى أبى مُسْلِم الكَجِّىِّ (١) :

إذا ارْتَدّ يومُ الحربِ لَيْلًا رَدَدْتَهُ نَهارًا بَلألاءِ السُّيوفِ الصَّوارِمِ
وإن غَلَتِ الأَرْواحُ أَرْخصْتَ سُوقَها هنالِكَ فى سُوقٍ من المَوتِ قائِمِ
بِضَرْبٍ يَشيدُ المَجْدَ فى كُلِّ مَوْقِفٍ ويُسْرِعُ فى هَدْمِ الطُّلَى والجَماجِمِ (٢)
فَتَصْرِفُ وَجْهَ المَجْدِ أبيضَ مُشْرِقًا بِوَجْهٍ من الهَيْجاءِ أَغبَرَ قاتِمِ

وهذا جَيّدٌ حسنٌ لَفظهُ ومَعْناهُ .

وأقولُ فى الموازَنةِ بَيْنَهما : أَنَّهُما جَمِيعًا قد أَحْسنا فى هَذا البَابِ وأساءا ، ولكنى أُفَضِّلُ أبا تمَّامٍ على البُحْتُرِىِّ لِقَوْلِ أَبى تَمّامٍ :

لَهُم جَهْلُ السِباع إذا المَنَايَا تَمشَّتْ فى القَنا وحُلومُ عادِ (٣)

* * *

(١) ديوانه ٣ : ١٩٦٨ وفيه أنّ القصيدة فى مدح أبى مسلم بن حُمَيد الطائى ، وأبو مُسْلم الكَجىّ هو إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكَجِّى البصرى ، كان من أهل الفضل والأمانة ومن حفاظ الحديث له كتاب « السنن » ، مات فى بغداد وحمل إلى البصرة ومولدُه فيها ، ويُنْسَبُ إلى كج « بلدة بخوزستان » « تاريخ بغداد ٦ : ١٢٠ ، معجم البلدان كج ، كش » .

(٢) ديوانه : « فتصرف وجه البيض » .

(٣) سبق فى ٣١٨ .

## ذِكرُ تَشبيهِ الأَبطالِ بالسّباعِ

قال أَبو تَمّام[١] :

آسادُ مَوتٍ مُخْدِرَاتٌ مَالَها إلا الصَّوارِمُ والقَنا آجَامُ

وقال البحتريُّ[٢] :

حَشَدَتْ حَوْلَها سِباعُ المَوالى والعَوالى غَابٌ لِتِلْكَ السِباعِ

١٠٢ / « المَوالى » فى ذلك الوَقتِ : الأَتْراكُ ، وهى لَاتَعْمَلُ بالرِّمَاح وكَذلِكَ الخَزَرُ[٣] والسُّغْدُ فيما أَظُنُّ .

وقال أبو تمّامٍ فى مِثْلِ ذَلِكَ[٤] :

أُسْدُ العَرِين إذا مَا الرَّوْعُ صَبَّحها أو صَبَّحَتْهُ ولكنْ غَابُها الأَسَلُ

كأَنَّهُ أراد إذا أُغِيرَ عَلَيْها أو أَغارَتْ هِيَ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٧٨ والتبريزى ٣ : ١٥٦ .

(٢) ديوانه ٢ : ١٢٤٤ وسبق فى ١ : ٣٣٧ .

(٣) الخزر : جيل خزر العيون وهو انقلاب الحدقة نحو اللحاظ ، « والسغد » بين بخارى وسمرقند « معجم البلدان » .

(٤) ديوانه ٢ : ١٨٧ والتبريزى ٣ : ١٨ .

وقال[١] :

يايَومَ أرْشَقَ كُنْتَ رِشْقَ مَنِيَّةٍ  لِلْخُرَّمِيَّةِ صَائِبُ الآجَالِ
أُسرىٰ بَنُو الإسلامِ فيهِ وأَدْلَجُوا  بِقُلوبِ أُسْدٍ فى صُدورِ رِجالِ

« أُسْرىٰ » من السُّرىٰ ، وَهْو السَّيْرُ باللَّيلِ ، و « الإدْلَاجُ » أيضا باللَّيلِ ، وإنَّما أرادَ : « الإدِّلَاجَ » بالتَّشْدِيدِ[٢] .....

* * *

(١) ديوانه ٢ : ٢٠٩ والتبريزى ٣ : ١٣٥ .

(٢) هُنَا خَرمٌ يستمر إلى نهاية « باب تشبيه الأبطال بالسباع » وبداية « باب وصف السيوف » وتتداخل فى المخطوطة الجملة الأخيرة مع جملة أخرى فى التعليق على أبْيَاتٍ فى وصف السيف .

## فى وَصْفِ السُّيوفِ والرِّماحِ [1]

[ [2] وقال أبو الهول الحميرى [3] :

أَخضَرُ اللَّوْنِ بينَ حَدَّيْهِ مَاءٌ     من ذُعافٍ تَميسُ فيه المَنُونَ
فإذا مَا سَلَلْتَهُ بهَرَ الشَّمْـ     سَ ضياءً فلَمِ تَكَدْ تَسْبِينُ
يَسْتَطِيرُ الأبْصَارَ كالقَبَسِ المُشْـ     ـعَلِ لَاتَسْتَقِـرُّ فيـه العُيـونُ
وكأَنَّ المَنونَ نِيطَتْ إليهِ     فهوَ من كُلِّ جَانِبَيْهِ مَنُونُ ]

[ وما [4] ] .................................................................................

يَبْهَرُ الشَّمْسَ ويَزِيدُ عَلَيْها فى النُّور لايُشَبَّهُ بالقَبَسِ المُشْعَلِ ، ثُمَّ قَالَ : « ماتَسْتَقِرُّ فيهِ العيُونُ » ، والقَبَسُ المُشْعَلُ تَسْتَقِرُّ فيه العينُ ، ولا تَنْبُو عَنْهُ ، ولَا يغْشِها ضَوؤُه ، وقالَ : « المَنوُن » ثمّ كَرَّر القَافِيَةَ فقالَ « مَنونَ » بِغَيْرِ أَلِف ولَامٍ ، وهذا جَائِزٌ فى القَوافِى ، ولكنَّ الأحسنَ إذا بَعُدَ مابَين القَافِيَتين .

---

(١) وضعت هذا العنوان اعتمادا على ما أورده الآمدى فى مقدمة باب الشجاعة والبأس .

(٢) هنا خرم أشرت إليه فى نهاية الباب السابق ، ولعل الله عز وجل يوفقنا فنظفر بنسخة أخرى تكمل هذا النقص .

(٣) بعد دراسة الشرح الوارد بعد الأبيات تيقّنت أنه على الأبيات التى أثبتُّها ، وهى فى وصف الصمصامة « سيف عمرو بن معدى كرب » وتنسب لابن يامين المصرى « الوحشيات ٢٨٠ ، مروج الذهب ٣ : ٣٤٥ ، التشبيهات ١٤٢ ، ديوان المعانى ٢ : ٥٢ ، زهر الآداب ٣ : ٨٣٦ ، العقد الفريد ١ : ١٨٠ ، سمط اللآلى ٦٠ » .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

ومن المُستَحسنِ المُختارِ فى وَصْفِ السَّيفِ قَولُ إسحاقَ بن خَلفَ البَهْرانيّ[(١)]:

أَلْقَى بجَانِبِ خصْرِهِ  أَمْضَى مِنَ الأَجلِ المُتَاحْ
وكأنَّما ذَرّ الهَبَا  ءَ عليه أَنْفاسُ الرِّيَاحْ

ولكنَّ الذى وَصفَ السَّيفَ وأَبرَّ فيه على كلِّ مُحْسِنٍ مِمَّن تقَدَّم وتأَخَّرَ البحتريُّ فى قَوْلِهِ لِمُحمّد بن علىٍّ القُمىّ يستهديهِ سَيْفًا[(٢)]:

قَدْ جُدْتَ بالطِّرْفِ الجَوادِ فَثَنِّهِ  لِأَخيك من أُدَدٍ أَبِيكَ بِمُنْصُلِ
يَتناوَلُ الرُّوحَ البَعِيدَ مَنالُهُ  عَفوًا ، ويَفْتَحُ فى القَضاءِ المُقْفَلِ[(٣)]
بإنارَةٍ فى كُلِّ خَطْبٍ مُظْلِمٍ  وهِدَايَةٍ فى كلِّ نَفْسٍ مَجْهَلِ[(٤)]
ماضٍ وإنْ لَمْ تُمْضِهِ يَدُ فَارِسٍ  بَطَلٍ ، ومَصْقولٌ وإنْ لم يُصْقَلِ
يَغشَى الوَغى فالتُّرْسُ ليس بجُنَّةٍ  من حَدِّهِ والدِّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلَ
مُصْغٍ إلى حُكْمِ الرَّدَى فإذا مَضَى  لم يَلْتَفِتْ ، وإذا قَضَى لم يَعْدِلِ
مُتوقِّدٌ يَبْرِى بأَوَّلِ ضَرْبَةٍ  ماأَدْرَكَتْ ، وَلَوَ انَّها فى يَذْبُلِ
وإذا أصابَ فكلُّ شَىءٍ مَقْتَلٌ  وإذا أُصيبَ فما لَهُ من مَقْتَلِ
وكأَنَّما سُودُ النِّمالِ وحُمْرُها  دَبَّتْ بأَيْدٍ فى قَرَاهُ وأَرْجُلِ
وكأنَّ شَاهِرَهُ إذا استَضْوَى بِهِ الزَّ  حْفَانِ يَعْصَى بالسِّماكِ الأَعْزَلِ[(٥)]
حَمَلَتْ حَمائِلُهُ القَدِيمَةُ بَقْلَةً  مُذْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لم تَذْبُلِ[(٦)]

---

(١) هو أبو سعيد إسحاق بن خلف الحنفى البهرانى المعروف بابن الطبيب : ونَسَبُهُ فى بنى حنيفة لسِبَاءٍ وقع عليه ، كان رجلا شأنه الفُتُوَّة ، ومعاشرة الشطار ، وإيثار أصحاب الطنابير ، وكان من أحسن الناس إنشادا ، حبس فى جناية ، ولم يفارق الحبس حتى مات « الكامل للمبرد ٢ : ١٩ وانظر فهرسته ، طبقات ابن المعتز ص ٢٩١ ، فوات الوفيات ١ : ١٦ » . والبيتان فى : « التشبيهات ١٤١ – والكامل ٣ : ٤٨ ، وفوات الوفيات وقال : وقال المبرد : « وقد قالت الشعراء فى رونق السيف ضروبا من الأقاويل ما سمعت فيها بأحسن من هذا » ووردا ناقصين فى التمثيل والمحاضرة ص ٢٩٢ .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧٤٦ .

(٣) انظر تعليق الباقلانى على هذا البيت فى إعجاز القرآن ص ٢٣٧ .

(٤) ديوانه « حتف مُظلم » .

(٥) ديوانه « .... إذا استعصى به فى الروع ... » .

(٦) يعنى هذا السيف الذى لم يتغير .

قوله : « حَمَلَتْ حَمائِلُهُ القَدِيمَةُ بَقْلَةً » من وَحْيِ الشِّعْر[١] ، وقَوْلُهُ : « وكأنَّما سُودُ النِّمال وحُمْرُها » من قول أَوْسِ بن حَجَر[٢] :

كأنّ مَدبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرُّبَىٰ ... ومَدْرَجَ ذَرٍّ خافَ بَرْدًا فأَسْهَلا
على صَفْحَتَيْهِ قَبْلَ حِينِ جِلائِهِ ... كَفَىٰ بالذى أُثْلو وأُنْعِتُ مُنْصُلا[٣]

فقد بَانَ فَضْلُ البُحْتُرِيِّ فى هَذا البابِ على أبى تمّامٍ ، وبِهذِهِ الأبيات على كُلِّ أَحَدٍ فى وَصْفِ السَّيْفِ .

وأَحسنُ ماقِيل فى وَصْفِ رُمْحٍ قَوْلُ مسكينِ الدَّارِمِيِّ ، ويروى لِسَالِمِ بنِ قَحْفَانَ[٤] :

جَماجِمُنا عند اللِّقاءِ تِراسُنا ... إلى المَوْتِ نَمْشِي لَيس فِينا تَجانُفُ
بِكُلِّ رُدَيْنِيٍّ كأنَّ كُعوبَه ... قَطًا نسقٌ مُسْتَورِدُ المَاءِ صَائِفُ[٥]
كأنَّ هِلالًا لاحَ فَوقَ قَناتِهِ ... جَلا القَينُ عَنْه والقَتامَ الحَراجِفُ[٦]
لَهُ مِثلُ حُلْقومِ النَّعامَةِ حَيَّةٌ ... ومِثْلُ القُدامىٰ شَافَه لك شَائِفُ[٧]

كأنَّه أرادَ أنْ يقولَ : جَلا القينُ عنه والحَراجِفُ القتامَ ، يُقالُ : رِيحٌ حَرْجَفٌ إذا كانَتْ عاصِفَةً شَدِيدَةً ، فَقلَبَ اللَّفْظَ .

---

(١) قال الباقلانى : « تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة ، والكلام الرَّذْل النَّذْل » إعجاز القرآن ٢٤١ .

(٢) البيتان فى الشعر والشعراء ص ٢٠٥ .

(٣) ديوانه : ص ٨٥ وفيه : « كفى بالذى أُبْلِىٰ وأُنعتُ » وفى الشعر والشعراء « أُنعتَ » بالنصب « انظر هامشه » .

(٤) ديوانه ص ٤٥ أما سالم بن قحفان فهو من بنى العنبر ، انظر « الأمالى ٤/٢ ، الحماسة للمرزوق ١٥٨١/٤ ، ١٧٢٦ » ، والبيتان الثانى والثالث فى ديوان المعانى ٥٨/٢ .

(٥) فى ديوانه « قَطاً سابق » .

(٦) القَيْنُ : الحَدَّادُ ، القتَامُ : الغُبارُ .

(٧) شافَه أى : جَلاهُ .

والقَينُ لاوَجْهَ لَهُ هَاهُنا مع الحَراجِفِ ، لأنَّه إنَّمَا يَصِفُ الهِلالَ الذى شَبَّهَ السِّنانَ بِهِ ، وأنَّ الحَراجِفَ جَلتَ عَنْه القَتامَ حتَى أضاءَ واستَبانَ ، والقَيْنُ إنما جَلا السِنانَ لا الهِلالَ .

* * *

## ما قالاه فى وصف الدُّروع

قالَ أبو تَمامٍ[1] :

تَخِذُوا الحديدَ من الحديدِ معَاقِلًا　　سُكَّانُها الأَرْواحُ والأَجْسَامُ

هذا كلامٌ رَائِقٌ وليس لَه مُفَتَّشٌ ، لأَنّ المَعاقِلَ كُلَّها لو كانَتْ من صَخْرٍ لصحَّتِ الفَائِدَةُ / وكان يقولُ : « تَخِذوا الحَديدَ معاقِلًا إذ كانت معاقِلُ غيرهم الحِجارَةَ والشِّيدَ[2] » ، فيكونُ فَضْلُهم على غَيْرِهم إذْ كَانَتْ معَاقِلُهمُ من حَديدٍ ، ومعاقِلُ غَيْرِهم من الأَبْنِيَةِ ، ولو قَالَ : « تَخِذوا الحديدَ من الحَديدِ معاقِلًا » ، وتَمّمَ البَيْتَ بمعنًى آخرَ لَما كانَ ذَلِك مُنْكرا ، إذْ لَيْسَتِ المَعاقِلُ والحُصونُ من حديدٍ . ١٠١

وَلمَّا قالَ : « سُكانُها الأَرْواحُ والأَجْسامُ » لم يَفِدْنا بهذا الكلامِ[3] كَبيرَ فَائِدَةٍ ، إذِ المعاقِلُ من أيِّ جِنْسٍ كانَتْ لا يكونُ سُكَّانُها إلا الأرواحُ والأَجْسامُ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٧٧ والتبريزى ٣ : ١٥٦ .

(٢) الشِّيدُ : كلُّ ما طُلِىَ به من الجصِّ والمِلاطِ .

(٣) نقل ابن الأثير فى استداركه على ابن الدهان رأى الآمدى هذا ، ثم قال : « وليس كما ظَنَّ ، فإنه لو لم يَقُلْ : « الأرواح والأجسام » لجازَ أن يكون المرادُ الدروعَ ، ولجازَ أن يكونَ المُرادُ به السيوفَ ، لأن كِلَيْهما حديدٌ ، لأن لَفظَة « المَعاقِلِ » للدُّروعِ والسُّيوفِ مَجازٌ وليست حقيقةً إلا فى الحصُونِ خاصةً » « الإستدراك ص ١٢٧ » ، وعلى الرَّغم من هذا فقد قال الصولى شارحا البيت : « أى جعلوا سيوفهم معاقل من سيوف غيرهم » .

والجَيِدُ النَّادِرُ ، والمَعنى الصَّحيحُ فى هذا قولُ عبد المَلكِ بن عَبد الرَّحيمِ الحارِثِيّ[١] :

ولا لَاقِيا كَعبَ بنَ عمروٍ يَقودُها أبو دَهْثَمٍ نَسْجُ الحَديدِ ثِيابُها

فجَعَلَ الحديدَ ثيابًا وهى الدُّروعُ ، ولا تُسمَّى ثِيابًا ، فأغْرَبَ بِهَذا اللَّفْظِ وأَحْسَن ، ولو قالَ : « نَسْجُ الحديدِ لِبَاسُها » لما كانت له غَرابَةٌ ، وإنَّما أرادَ : قد أَلِفُوها فصَارَتْ لَهُم كالثِّياب ، لا كُلْفَة عَليهْم فِيها ، ونَحْوُه قولُ جَرِيرٍ[٢] :

تَرَدَّينَا المَحامِلَ قدَ عِلمْتُمْ بِذِى لَجَبٍ وكُسْوَتُنا الْحَديدُ

قولُهُ : « تَرَدَّيْنَا المَحامِلَ » أى : جَعلْنَا مَحامِلَ السُّيوفِ على عَواتِقِنَا فى مَوْضِعِ الأَرْدِيَةِ ، وقد أَحسنَ جِدًّا .

ومثلُ هذا قَولُ البُحتريِّ[٣] :

يَهولُ العِدَى جِدُّهُ فى ادِّخا رِ قُمْصِ الحَديدِ وأَبْدانِهِ

فَجعلَ الدُّروعَ قُمْصًا .

وقالَ فى مثل هذا[٤] :

معاقِلُهم سُمْرُ القَنا ، وعِتَادهُم شَرِيجانِ : أَسْيافٌ وقُمْصُ حَديدِ

وأَحْسنُ من هذا كلِّهِ وألطَفُ قولُ البحتريِّ[٥] :

---

(١) فى الأصل : « الحازنى » ولم أجد البيت ، وقد سبق ١ : ٣١٤ ونسب هناك إلى محمد بن عبد الملك الفقعسى .

(٢) ديوانه ١٦٣ ، وفيه « بذى نجب » .

(٣) ديوانه ٤ : ٢٢١٩ .

(٤) ديوانه ٢ : ٧٧٩ ، و « شريجان » : قسمان متساويان .

(٥) ديوانه ٣ : ١٦٠٣ وقد سبق فى ١ : ٣١٤

مُلوكٌ يَعدُّونَ الرِّمَاحَ مَخاصِرًا ‏ إذا زَعْزَعُوهَا والدُّروعَ غَلائِلا

يقول : لا كُلْفَةَ عَليهِم من حَمْلِ الرِّماح ، وأنَّها فى أَكُفِّهِم مثلُ المَخاصِرِ ، وهى القُضْبَانُ لِخِفَّتِها عَلَيْهم ، واعْتِيَادِهم لِحَملِهَا ، ولا ثِقَلَ عَليهم من لِبْسِ الدُّروعِ ، وأنَّها عليهم كالغَلائِلِ على الأبدانِ ، وأنَّها تُرْفَةُ لِبَاسِهِمْ ، كما أنَّ الغَلائِلَ من تُرَفِ اللِّبَاسِ ، فهذا هو البديعُ المُفيدُ .

وكذلك قولُ البُحْتُرِيّ (١) :

ولم يَدَّرِعْ وَشْيَ الحَديدِ فيَلْتَقِي ‏ على شَابِكٍ شَاكٍ حَديدٍ أظافِرُهْ

فجعل الدُّروعَ كالوَشْيِ الذى يُزَيَّنُ بِهِ .

وقال البحتريّ (٢) :

يَمْشُون فى زَغْفٍ كأنَّ مُتونَها ‏ فى كُلِّ مَعركَةٍ مُتونُ نِهَاءِ
بِيضٌ تَسيلُ على الكُماةِ فُضُولُها ‏ سَيلَ السَّرابِ بِقَفرةٍ بَيْداءِ
وإذا الأَسِنَّةُ خالَطَتْها خِلْتَها ‏ فِيها خَيالُ كَواكِبٍ فى مَاءِ

وهذا من إحسانه المشهور .

قَوْلُهُ : « سَيْلَ السَّرابِ » يُريدُ إضاءَةَ الدُّروعِ ولَمعانَها ، شَبَّهَهَا بالسَّرابِ ، لِأنَّه يَطَّرِدُ كاطِّرادِ المَاءِ ، وشَبَّه الأسِنَّةَ فيهِ بالكَواكِبِ المَرْئِيَّةِ فى المَاءِ . وأَظُنُّهُ – والله

---

(١) البيت فى ديوانه ٢ : ٩٦٤ مع اختلاف فى عجزه فقد روى :
« على شابِكِ الأنْيابِ شَاكِي الأَظَافِرِ » وفى الأصل : « على شابل » .

(٢) ديوانه ١ : ١١ زَغْفٌ جمع زَغْفَةَ : الدِّرْعُ المُحْكَمَةُ ، نَهاء : جمع نِهَى بالكسر والفتح : الغَدِيرُ فى لُغَةِ أهلِ نجد .

أعلَم – سَمِعَ قَوْلَ سَلْمٍ الخَاسِرِ (١) :

قومٌ إذا لَبِسُوا الحديدَ كأنّه جارِى السَّرابِ بِقفْرةٍ ضَحْضاحِ

فقالَ : « سَيْلَ السَّرابِ بِقَفْرَةٍ بَيْداءِ » .

وقد قال قَيسُ بنُ حَوطٍ التَّيْمِيُّ (٢) :

إذا غَدَوْنا علينا كلُّ سَابِغَةٍ كأنَّها من زُلالِ المَاءِ تَطَّرِدُ

فأحسَنَ وأجادَ ، وأجودُ منه وأغربُ لفظًا قولُ أَنَس بن الدَّيانِ الحارِثيِّ (٣) :

والْبَسْ فى الرَّوْعِ فضْفَاضَةً كَماءِ الغَدِيرِ إذا نَمْنَمَا

وقال ذَوّادُ بنُ الرَّقْراقِ العُقَيْلِيُّ (٤) :

وفَرسانُ الحِفاظِ بِكُلِّ ثَغْرٍ إذا ما الرِّيحُ زَعْزَعَتِ العُقَابَا
كأنَّ مُتونَهُنَّ تَظَلُّ تُكْسَى شُعاعَ الشَّمْسِ أو ذَهباً مُذابَا

وقال سَالمُ بنُ قَحْفانَ العَنْبَرِىُّ – وتُروى لِمسْكينٍ الدَّارِمِيِّ (٥) – :

تَهِشُّ لِعِرْفَانِ الدُّروعِ جُلودُنا إذا جاءَ يومٌ مُظْلِمُ الشَّرِّ كَاسِفُ (٦)
فَرِيحُ الصَّدَا المُسْوَدُّ أَطْيَبُ عِنْدَنا من المِسْكِ ذَاقَتْهُ أُكُفٌّ ذوائِفُ
تَعلَّقُ فى مِثْلِ السَّوارِى سُيوفُنَا وما بَيْنَها والكَعْبِ غُوطٌ نَفانِفُ (٧)

---

(١) غير موجود فى ديوانه المجموع ، وضحضح السراب : إذا ترقرق .

(٢) لم أعرفه .

(٣) هو أنس بن الديان ، واسم الديان : يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب ، وهم أخوال أبى العباس السّفاح : « جمهرة الأنساب ٤١٧ » .

(٤) فى المؤتلف والمختلف ص ١٦٨ ، وهو فيه من بنى عبد الله بن غطفان ، ولم أجد البيتين .

(٥) ديوان مسكين ص ٥٣ .

(٦) ديوانه : « وتضحك لعرفان الدروع جلودنا » ، والذيف والذوف : الخلط .

(٧) فى اللسان : « غوط » « وما بينها والأرض غُوطٌ نفانِف » ، قال : والنفنف مهواة بين جبلين .

وهذا كلُّه جَيِّدٌ نادِرٌ .

وأَنْشَدَ المُفَضَّلُ لجِذْعِ بنِ عَمروٍ الشَّيْبانيِّ[(١)] :

كالجِنِّ يَمْشُون فى الحَديدِ فمَا ... تُبْصِرُ إلّا الأَطْرافَ والمُقَلا

وهذا يَفوق كُلَّ حُسْنٍ وصِحَّةٍ .

وقالَ :

عَلَيْنا دلاصٌ من تُراثِ مُحَرِّقٍ ... كَمِثْلِ السَّماءِ زَيَّنَتْها نُجُومُها[(٢)]

١٠٤ / وأينَ الطَّائِيانِ من هَذهِ المَعانى وهَذِهِ المَذاهِبِ .

وقالَ مُحمّدُ بن عَبد المَلكِ بنِ صَالِحٍ الهَاشِمىُّ الحَلَبِىُّ[(٣)] :

نهنهت أُولَاها بِضَرْبٍ صَائِبٍ ... هَبْرٍ كَما عُطَّ الرِّداءُ المُعْلَمُ

وعلىَّ سابِغَةٌ كأَنَّ قتِيرَها ... سَلْخٌ كسانِيهِ الشُّجاعُ الأَرْقَمُ

وشَبَّه الدِّرْعَ بِجِلْدِ حَيَّةٍ ، وهذَا أَحْسَنُ تَشْبيهٍ وأَصَحُّه وأَلْطَفُهُ ، فى أَبْرَعِ لَفْظٍ ، وأَجْوَدِ سَبْكٍ ، وإنَّما أَخذ المَعنىٰ من قَوْلِ آخَرَ – وأَنْشَدَه ثَعلَبٌ –:

---

(١) لم أقف عليه بعد .

(٢) المُحرِّق لَقَبٌ لبعض مُلُوكِ العرَبِ ورؤوسائهم وهم : مُحرِّقُ الأكبرُ وهو امرؤ القيس بن عمرو ابن عدى اللَّخمى ، ومحرِّقٌ الأصغرُ عمرو بن هند لأنه حرَّق مِائَةً من بنى تَميم ، ومحرِّقٌ أيضا هو لَقَبُ الحارِثِ بن عمرو ملك الشام من آل جفنة ، لأنَّه أول من حرَّق العربَ فى دِيارِهم « اللسان » « حرق » ، ولم أقف على البيت .

(٣) هو مُحمَد بن عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب شاعِرٌ مشهورٌ أديب ، كان ينزل قنّسرين من أرض الشام وله مع المأمون خبر « عيون الأخبار ١ : ١٠٥ » وبقى إلى أيام المتوكل وجرت بينه وبين أبى تمّام والبحترى مخاطبات « أخبار أبى تمام ص ٢٤٨ ، ومعجم الشعراء ص ٣٦٣ » . والبيتان فى التشبيهات ص ١٤٩ ، ومجموعة المعانى « الثانى » ص ١٩٣ ، وديوان المعانى ٢ : ٦٢ ، ونهاية الأرب ٦ : ٢٤٥ .

ونَثْرَةٍ تَهْزَأُ بالنِّصَالِ كَأَنَّها من خِلَعِ الهِلالِ [١]

وقالَ : الهِلالُ : الحَيَّةُ .

* * *

(١) اللسان « هلَّل » وفيه « ونثلة » وقال : النثرة والنثلة : الدرع .

## ذكر وصف القوانس والبَيْض

قَالَ أبو تَمَّامٍ[1] :

بِالمُصعَبِيِّين الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ آسادُ أغْيالٍ وجنٌّ صَرِيمِ[2]
مِثْلُ البُدورِ تُضيءُ إلَّا أَنَّها قَدْ قُلْنِسَتْ مِنْ بَيْضِهم بِنُجُومِ[3]

ويُرْوَى : « قَدْ قُنِّسَتْ » مِنَ القَوْنَسِ[4]، وَهَذا لَفْظٌ ومَعْنًى سَخِيفانِ ، وأَظُنُّهُ سَمِعَ قَوْلَ سَلْمٍ الخاسِرِ[5] :

نَزَلَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ فَوْقَ رؤُسِهِمْ فلِكُلِّ رَأْسٍ كَوْكَبٌ وهَّاجُ

وَقَالَ أبو تَمَّامٍ[6] :

كَأَنَّهُمْ وقَلَنْسِ البَيْضِ فَوْقَهُمُ يَوْمَ الهِياجِ بُدورٌ قُلْنِسَتْ شُهُبا

وَهَذَا أسخَفُ وأوْضَعُ من بَيْتِه الأوّل ، ولله درُّ أبى لُبَيْدٍ القُرَشِيِّ إذ يَقُولُ[7] :

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٤٣ والتبريزى ٣ : ٢٦٤ .
(٢) « أغْيَال » جمع غيل وهو الشجر الملتف ، « صريم » : الليل . أو القطعة العظيمة من الرمل .
(٣) التبريزى وديوانه : « من بيضها » .
(٤) القَوْنَس : مقدم البيضة وقيل أعلاها .
(٥) الأغانى : ٢١ : ٨٤ ، وفيه « ولكل قوم » .
(٦) ديوانه ١ : ٢٩٨ والتبريزى ١ : ٢٣٥ .
(٧) هو أبو لُبَيْد بن عَبَدَة بن جابر كان أحد فرسان قريش وشعرائها فى الجاهلية وهو الذى يقول :=

إذَا لَبِسُوا القَوانِسَ ثُمَّ جَاءوا ... كَأَمْثَالِ الكواكِبِ حِينَ تَجْرِى

وَقَالَ أبو تَمَّامٍ[(١)]:

مَصيفٌ مِنَ الهَيْجَا ومِن جَاحِمِ الوَغَى ... ولكنَّــه مِنْ وابِـلِ الـدَّم مَرْبَــعُ[(٢)]

عَبوسٌ كَسَا أَبطَالَهُ كُلَّ قَوْنَسٍ ... يُرَى المَرْءُ مِنْهُ وَهْوَ أَقْرَعُ أَنْزَعُ[(٣)]

قَوْلُهُ : « وَهْوَ أَقْرَعُ أَنْزَعُ » كَمَا يُقَالُ : هَذَا الشَرَابُ حُلْوٌ حَامِضٌ ، أَىْ قَدْ جَمَعَ الطَّعْمَيْنِ ، أى : يُرَى المَرْءُ وَهو أَقْرَعُ وَهْوَ أَيْضاً أَنْزَعُ ، وإلى هَذَا ذَهَبَ والله أعلم ، وفِيهِ مُعَارَضَةٌ ، وَهْوَ أَنَّه لايَكُونُ مِن أَجْلِ البَيْضَةِ أَقْرَعَ ، وإنَّما يَكُونَ من أَجْلِهَا أَنْزَعَ فَقَطَ ، اللَّهمَّ إلّا أَنّ يُقِيمَ البَيْضَة مَقامَ الشَّعْرِ ، وذَلِكَ فِى غَايَةِ البُعْدِ ، وَلَوْ كَانَتِ الرِّوَايَةُ : « يُرَى المرءُ فيه » - مكان « مِنه » - « وهو أَقْرَعُ أَنْزَعُ » كَانَ المَعْنَى صَحِيحًا ، وَلَوْ كَانَتِ القَافِيَةُ مَنْصُوبَةً لكان المعنى أَصحَّ مِنْ كلِّ صَحِيحٍ ، أَىّ : يُرَى المرءُ - الذى هو أَقرَعُ - أَنْزَعَ .

ولله درُّ أَبِى عُبَادَةَ إذ يَقُولُ[(٤)]:

قَوْمٌ إذَا قِيلَ : النَّجاءَ ، فَمَا لَهُم ... غَيْرُ الحَفَائِظِ والرَّدَى مِنْ مَهْرَبِ

حَصُّ التَّرِيكُ رُؤوسَهُم ، فرُؤُوسُهم ... فى مِثْلِ لأْلاءِ التَّرِيكِ المُـــذْهَبِ[(٥)]

---

= ألا يا أيها المُهْدِى إلينَا ... رسالتَه سَترجِعُها بصُغْــر

فلا وأَبيك ما تُغْنِى سُهَيْلا ... ولا عوفًا ولا قيس بن دَهْرِ

الاشتقاق ١١٤ وفيه « أبو لَبِيد » ، جمهرة النسب لابن الكلبى ص ٣٩٤ وفيه « أبو لُبَيْدة » وفى الإكمال لابن ماكولا : « أبو لُبَيْد » ١٨٨/٧ .

(١) ديوانه ٢ : ١٥ والتبريزى ٢ : ٣٣٠ .

(٢) ديوانه : « الدمع » .

(٣) ديوانه وشرح التبريزى : « أفرع » بالموحّدة .

(٤) ديوانه ١ : ٨٢ .

(٥) التريك : بيضة الحديد .

وَقَوْلُه[١] :

جَلَّيْتَهُ بِشُعَاعِ رَأْسٍ رَدَّهُ  لُبْسُ التَّرائِكِ للهِيَاجِ صَلِيعَا

غَيْرَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ وَصْفًا للبَيْضِ .

وَمَا أَحْسَن ماقَالَ قَتَادَةُ بنُ سَلْمَةَ الحَنَفِيُّ[٢] :

وَمعى أسُودٌ مِنْ حَنِيفَةَ فِى الوَغَى  للبَيْضِ فَوْقَ رؤُوسِهم تَسْوِيمُ[٣]

قَوْمٌ إذَا لَبِسُوا الحَديد كَأَنَّهُم  فِى البَيْضِ والحَلَقِ الدِّلاصِ نُجُومُ

وقَال خِداشُ بن زُهَيْر[٤] :

وكَتِيبَةٍ بَيْضَاءَ يَبْرقُ بَيْضُهَا  مِثْلَ السَّماءِ تَزَيَّنَتْ بِنُجُومِ

خَالَطتُها بِمُهنَّدٍ ذِى رَوْنَقٍ  وأَصَمَّ مُطَّرِدِ الكعوبِ قَوِيمِ

* * *

---

(١) ديوانه ٢ : ١٢٥٦ .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الأغانى « بن مسلمة » ، وهو شاعر جاهلى استجار به الحارث بن ظالم المرى بعد قتله خالد بن جعفر بن كلاب فأجاره . « الأغانى ١٠ : ٢٥ » .

(٣) الأبيات فى الحماسة ، شرح المرزوقى ٢ : ٧٧٠ .

(٤) خداش بن زهير بن ربيعة من بنى عامر ، شاعر جاهلى من شعراء قيس المجيدين ، ويغلب على شعره الفخر والحماسة ، ويقال إن قريشا قتلت أباه فى حرب الفجار ، وكان خداش يكثر من هجوها ، وقال عمرو بن العلاء : « خداش أشعر من لَبيد فى عظم الشعر ، وأبى الناس إلا تقدمة لبيد » ، « الأغانى الدار ٢٢ : ٦٤ ، وطبقات فحول الشعراء ص ١٤٣ ، والمؤتلف والمختلف ص ١٥٣ ، والإصابة ترجمة : ٢٣٢٩ » ، ولم يَرد البيتان فى ديوانه .

## ذِكْرُ وصفِ الراياتِ

قَال أبو تَمَّام فى حَرْب بَابَك ، وَيَذْكُر رايَاتِ الأفشينَ[١] :

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقبانُ رَايَاتِهِ ضُحىً  بِعقْبانِ طَيْرٍ فى الدِّمَاءِ نَواهِلِ[٢]
أقَامَتْ مع الرَّايات حَتَّى كَأَنَّها  مِنَ الجَيْش إلا أنَّها لَمْ تُقَاتِلِ

وَهذَا مَعْنَى قَدْ تَداوَلَتْه العَرَبُ فِى الجَاهِلِيَّةِ والإسلامِ ، وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِى سَرِقَاتِه وَكُلَّ ماقِيلَ فِيهِ[٣] .

وَقَالَ فِى مَدْح أبِى سَعِيدٍ[٤] :

فَتَح اللّٰهُ فِى اللّوَاءِ لَكَ الخَا  فِقِ يَوْمَ الإثْنَيْنِ فَتْحاً عَظِيمَا
حَوَّمَتْهُ رِيحُ الجنُوبِ وَلَنْ يُحْـ  ـمَدَ صَيْدُ العُقَابِ حَتَّى تَحُومَا[٥]

/ قَوْلُهُ : « وَلَنْ يُحْمَدَ صَيْدُ العُقَابِ حَتَّى تَحُومَا » ، لأنَّها إذَا حَامَتْ ١٠٥
أَبْصَرَتِ الطَّرائِدَ فانْقَضَّتْ عَلَيْها .

---

(١) ديوانه ١ : ٢٢٣ والتبريزى ٣ : ٨٢ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « أعلامه » .

(٣) انظر ١ : ٦٥ وانظر أيضا رأى الصولى فى شرحه ١ : ٢٢٣ ، وأخبار أبى تمّام ص ١٦٤ .

(٤) ديوانه ٢ : ٤٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٢٩ .

(٥) ديوانه والتبريزى : « صيد الشاهين » .

وَقَالَ الْبُحْتُرِىُّ[١] :

تُصَوِّتُ فَوْقَهم حِزَقُ العَوالى ... وغَابُ الخَطِّ مَهْزوزُ العُلُوبِ[٢]

كَنَخْلِ « سُمَيْحَةَ » اسْتَعْلَى رَكِيبٌ[٣] ... تُكَفِّيها الرِّياحُ على رَكِيب

فهذا هو التّشبيه الصّحيح والمعنى المستقيم .

وقال أبو تمّام[٤] :

نِعْمَ لواءُ الخَميس أُبْتَ بِهِ ... يومَ خَميسٍ عالى الضُّحَى أَفِدِهْ[٥]

خِلْتُ عُقابًا بَيْضاءَ فى حُجُرا ... تِ المُلْكِ طارَتْ مِنْهُ وفى سُدَدِهْ[٦]

فشاغبَ الجَوَّ وهو مَسْكَنُهُ ... وقاتَلَ الرِّيحَ وهْىَ مِنْ مَدَدِهْ

ومرَّ تَهْفُو ذُؤابَتاهُ على ... أَسْمَرِ مَتْنٍ يومَ الوَغَى جَسِدِهْ[٧]

مارِنِــه لَدْنِــهِ مُثَقَّفِــهِ ... عَرّاصِهِ فى الأَكُفِّ مُطَّـرِدِهِ[٨]

تَخْفِقُ أَثْناؤُهُ على مَلِكٍ ... يَرى طِرادَ الأَبطالِ مِنْ طَرَدِهْ

نالَ بعارى القَنا ولابسِه ... مجدًا تبيتُ الجَوْزاءُ من أَمَدِهْ

يَعْلَمُ أن لَيْسَ لِلْعُلَى لَقَمٌ ... نَهْجٌ إذا لم يَطَأْ على قِصَدِهْ[٩]

---

(١) ديوانه ١ : ١٠١ .

(٢) ديوانه : « الكعوب » .

(٣) « سميحة » : بئر بالمدينة غزيرة الماء وعليها نخل « معجم البلدان » ، « ركيب » : الحائط من النخل .

(٤) ديوانه ١ : ٤١٦ والتبريزى ١ : ٤٣٦ .

(٥) ديوانه : « أنت به يوم خميس » الأفد : العَجِلُ السريع ، ويلزم تصحيح تشطير البيت فى الديوان .

(٦) ديوانه والتبريزى : « خلتَ » للمخاطب ، سدده : جمع سدّه وهى الباب ، ويلزم تصحيح تشطير البيت فى الديوان .

(٧) التبريزى : « متنا » ، الجساد : الدّم اليابس .

(٨) العرّاص : الذى يهتز .

(٩) اللَّقَمُ : الطريق الواضح ، قِصَدٌ : جمع قِصْدَةٍ وهى الكسرة من القنا ، وفى ديوانه والتبريزى : « نهج لمن لم يَطأْ » .

وهذا شِعْرٌ فى غايةِ الاضْطرابِ ورداءةِ المعانى وسوءِ التأليف .

قولُهُ : « على أَسْمَرِ مَتْنٍ » أراد : أَسْمَر المتْنِ ، كما يُقالُ : مَررْتُ بأَحْوَلِ عَيْنٍ وأَصْفَرِ وَجْهٍ ، أى : بأحولِ العَيْنِ وأَصْفَرِ الوجه ، وليسَ فى هذِهِ الأبياتِ بَيْتٌ جَيِّدٌ إلّا قَوْلُهُ :

« فَشَاغَبَ الجوَّ وَهْوَ مَسْكَنُهُ »

وَقولُهُ :

« يَرى طِرادَ الأَبطالِ مِنْ طَرَدِه »

وحَذَا حَذْوَ قَوْلِ أبى نُواسٍ[(١)]:

تَعُدُّ عِينَ الوَحْشِ من أَقْوَاتِها

وأَخَذَه أبو نُواسٍ من قَوْلِ أبى النَّجْمِ[(٢)]:

تَعُدُّ عَاناتِ اللَّوى من مَالِها

* * *

---

(١) ديوانه : ص ٦٢٨ وصدره :

بأَكْلُب تَمْرَحُ فى قِدَاتِها

(٢) البيت فى الشعر والشعراء ٢ : ٦٠٥ ، وعانات : جمع عانة : القطيع من حُمُرِ الوحش ، وديوانه المجموع ص ١٦٣ ، واللَّوىٰ : اعوجاج فى ظهر الفرس .

## ذكر وصف الخيل في الحرب

قَالَ أبو تَمَّام[1] :

وَاكْتَسَتْ ضُمَّرُ الجِيادِ المذاكِي ... مِن لِباس الهيجا دَمًا وحَمِيمَا

فى مَكَرٍّ تَلُوكُهَا الحَرْبُ فيه ... وهِىَ مُقْوَرَّةٌ تَلُوكُ الشكيمَا[2]

وَهَذا مَعْنًى قَبِيحٌ جِدًّا ، أَنْ جَعَلَ الْحَرْبَ تَلُوكُ الخَيْلَ مِنْ أجل قَوْلِهِ : « تَلُوكُ » ، و « تَلُوكُ الشَكِيما » هَاهُنَا أيضا خطأً ، لأَنَّ الخَيْلَ لاتَلُوكُ الشَّكِيمَ فى المَكَرِّ وحَوْمَةِ الحَرْب ، وإنَّما تَفْعَلُ ذَلِكَ إذا كَانَتْ واقِفَةً ، وقَدْ ذَكَرْتُ هَذَا فى أَغالِيطِهِ فى المعانى وأوضَحْتُه[3] .

و « المُقْوَرَّةُ » : الضَّامِرةُ .

وأما قول أبى حُزَابَةَ التَّمِيمىِّ[4] :

خَاضَ الردَّى فى العِدَى قُدْمًا بِمُنْصُلِهِ ... والخَيْلُ تَعْلُكُ ثِنَّ المَوْتِ باللُّجُمِ[5]

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٢٩ .

(٢) ديوانه : « موقورة » .

(٣) انظر ١ : ٢٤٣ .

(٤) فى الأصل « التَّيمى » ، وهو الوليد بن حنيفة وأحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم ، شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوى حضر وسكن البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك ، وكان شاعرا راجزا فصيحا خبيث اللسان هجّاء « الأغانى ١٩ : ١٥٢ » .

(٥) حماسة أبى تمّام بشرح المرزوقى ص ٦٨٨ وفيه « .. قدما ... تعلك ثنى ... » ، وقد سبق فى =

فإنَّما قَالَ : « ثِنّ الموت » ، مَثَلا ، والثِّنُّ : هو حُطَام النَّبات اليابِسِ ، ولم يُرد أنها تَعْلُكُ اللُّجُمَ عَلَى الحَقيقَةِ .

وَقَال أَنسُ بنُ الدَّيَّانِ (١) :

أَقُودُ الجِيادَ إلى عَامِرٍ ... عَلائِكَ لُجْمٍ تَمُجُّ الدَّما

ولم يَقُل أَنَّها تَفعَلُ هَذَا فى حَالِ كَرِّهَا .

وقال أبو تَمَّامٍ (٢) :

تُقَاسِمُنا بِها الجُرْدُ المَذاكِى ... سِجَالَ الكَرْهِ والدَّأْبِ البَعِيدِ (٣)
فَتُمْسِى فى السَّوابِغ مُحْكَمَاتٍ ... وتُمسِى فى السُّروجِ وفى اللُّبودِ (٤)
حَذَوْنَاها الوَجَى [و] الأينَ حتَّى ... تَجَاوَزَتِ الرُّكُوعَ إلى السُّجُودِ (٥)
إذا خَرَجَتْ مِنَ الغَمَراتِ قُلْنَا ... خَرَجْتِ حَبَائِسًا إنْ لَمْ تَعُودِى (٦)
فَكَمْ مِن سُؤْدَدٍ أمكَنْتِ مِنْهُ ... بِرُمَّتِهِ عَلَى أَنْ لَمْ تَسُودِى
أَهَانَكِ للطِّرادِ ولم تَهُونى ... عَلَيْهِ ولِلْقِيَادِ أَبُو سَعِيدِ
بَلاكِ وكُنتِ أَرْشِيَةَ المَعَالِى ... وبُرْدَ مَسَافَةِ الأَمَدِ البَعِيدِ (٧)

---

= ١ : ٢٤٤ ، واختار محققه الشيخ السيد صقر رواية « ثِنَى » ، وغيّر الكلمة فى تعليق الآمدى إلى « ثنى » ، وقال فى الهامش إن « ثن » تحريف ، والصحيح أن ما فعله شيخنا هو التحريف ، « فالثِّنُّ » هو حطام النبات اليابس لا « الثنى » ، وهو ما شرحه به الآمدى ، وقد أشار المرزوقى فى شرحه لحماسة أبى تمّام إلى هذه الرواية « ثن » وإن كان قد اختار الأخرى .

(١) سبق فى ١ : ٢٤٤ وفيه : « الريان » تحريف .

(٢) ديوانه ١ : ٤٣٦ والتبريزى ٢ : ٣٤ .

(٣) التبريزى : « الكرّ » وديوانه والتبريزى : « العنيد » ، وكتب الناسخ فوق « البعيد » « والعتيد » .

(٤) ديوانه : « فى سوابغ » « وتصبح » والتبريزى : « فتمسي فى سوابغ » .

(٥) الوجَى : شدة الحفا ، والأين : الأعياء ، وحذوناها : أى جعلناهما لها مثل الأحذية .

(٦) الحبائس : الموقوفة على الجهاد .

(٧) التبريزى : « أرشية الأمانى » وديوانه والتبريزى : « مسافة المجد البعيد » ، وفى الأصل : « بلال وكنت ... » تحريف .

وهَذَا وَصْفٌ حَسَنٌ ، ومَعَانٍ جَيِّدةٌ حُلْوةٌ .

قَوْلُهُ : « أهانَكِ للطِّرادِ » مَعنًى صحيح ، و « للقياد » أَظُنُّهُ يُريدُ إذا قِيدَت بين يَدَىْ من يَهَبُهَا لَهُ ، ويَحْمِلُهُ عليَهْا ، أى : يَهْونُ عَلَيْهِ أن يُطَارِدَ عَلَيْها فيَتْعِبَها ويُنْصِبَهَا ، ويَهُونُ عَلَيْهِ أن يَهَبَها ، وإلّا فلَيْس بها هَوانٌ أن تُقَادَ بَيْنَ يَدَىْ أبى سَعِيدٍ ، بَلْ قَوْدُ الخَيْل إذا تَعِبَت والجَنائِبِ بَيْنَ يَدَىْ المُلوكِ من إكرامِهَا لا مِنْ هَوَانِهَا .

وقَالَ البُحْتُرِىّ[١] :

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الخَيْلِ أبقَىٰ عَلَى السُّرى ... ولا مِثْلَنا أحْنَى عَلَيْها وأشفقا
١٠٦ / وَمَا الحُسْن إلّا أَنْ تراها مُغِيرةً ... تُجَاذِبُنَا حَبْلًا مِنَ الصُّبْحِ أَبْرَقَا
فكَمْ مِنْ عَظِيمٍ أَدْرَكَتْهُ صُدُورُها ... فبَاتَ غَنِيًّا ثُمَّ أصبح مُمْلِقَا
وأَوْحَشَها مِنْ يوسِفٍ حَمْلُ يوسُفٍ ... عَلَيْها المعالى جامِعـا ومفرِّقـا
إذَا أَفْلَتَتْ من سَمْلَقٍ بنُفوسِها ... أَعَادَ عَلَيْها رائِدُ المَجْدِ سَمْلَقا[٢]

قَوْلُهُ : « تُجَاذِبُنا حَبْلًا من الصُّبح أبْرَقَا » غَايَةٌ فى حُسْنِهِ وحَلَاوتِهِ .

وقَوْلُه : « حَمْلُ يُوسُفٍ عليها المَعَالِى جَامِعًا ومُفرِّقًا » أى : وَأَوْحَشَها مِنه كدُّه إيّاها فى طَلَبِ المَعَالِى ، بأن يُغِيرَ فَيَجْمَعَ الأَموالَ ويُفَرِّقَها .

وَقَالَ[٣] :

عَابِسَاتٍ حَمَلْنَ يَوْماً عَبُوسًا ... لأُنَاسٍ عَنْ خَطْبِهِ غَافِلِينَا

---

(١) ديوانه ٣ : ١٥٠٠ .

(٢) ديوانه : « رائد الموت » ، والسَّمْلَقُ : الأرض المستوية الجرداء .

(٣) ديوانه ٤ : ٢١٦٦ ، وفيه « يحملن يوماً عبوساً » .

زُرْنَ بالدَّارِعِينَ أَهْلَ « البُقَّلا     ر » وأَجْلَوْا عَنْ « صاغرىٰ » صاغِرِينا[١]

قد طَواهُنَّ طَيُّهنَّ الفيافِى     واكتَسَيْنَ الوَجِيفَ حَتَّى عَرِينا

كَوُعولِ الهِضَابِ رُحْنَ وَمَا يَمْـ     ـلِكْـنَ إلّا صُمَّ الرِّمَاحِ قُرُونَـــا[٢]

جُلنَ فى يَابِس التُّرَابِ فَمَا رِمْـ     ـنَ طِعَانًا حتَّى وَطِئْنَ الطِينَا

« البُقَّلار » و « صاغرىَ » من بِلادِ الرّوم ، و « الوَجِيفُ » : ضَرْبٌ من السَّيْرِ ، وجَعَلَهُ كِسْوَةً للخَيْل عَلَى مَذْهَب أبى تَمَّام الرَّدىءِ فى الاستعَارَةِ ، وإنَّما قَالَ : « اكْتَسَيْنَ » من أجل قَوْلِهِ : « عَرِينَ » يُرِيدُ : عَرِينَ من اللَّحْمِ من طول السَّيْرِ .

وقَوْلُهُ :

كَوعُولِ الهِضَابِ رُحْنَ وَمَا يَمْـ     ـلِكْنَ إلّا صُمَّ الرِّماحِ قُرُونَا

من أَحْسَنِ تَشْبِيهٍ وألطَفِهِ ، شَبَّهَ الخَيْلَ بِوُعُول الهِضَابِ ، لأنَّه قَطَع بِهَا جِبَال الرُّوم ، وجعل قُرُونَها الرِّمَاحَ ، وإنما سَمِعَ الحجاجَ بنَ عِلاطٍ السُّلَمِىَّ[٣] :

تَرَىٰ غابَةَ الخَطِّىِّ فوقَ مُتُونِهِم     كَمَا أَشرَقَتْ فَوْقَ الصِّوارِ قُرُونُها[٤]

---

(١) ديوانه : « زرت » ، « بُقّلار » موضع فى ثغر أذربيجان « معجم البلدان » ، « صاغَرَى » : قرية من قرى أذربيجان « معجم ما استعجم ٢ : ١١٠٤ » .

(٢) يجب تصحيح تشطير البيت فى دوانه .

(٣) الحجاج بن علاط السُّلَمِىُّ معدود فى أهل المدينة ، سكنها وبنى بها دارا ومسجدا يعرف به ، أسلم وحسن إسلامه ، وفى عام خيبر رخص له رسول الله ﷺ أن يقول فيه بما شاء عند أهل مكة من أجل ماله وولده بها ، فجاء العباسَ بفتح خيبر وأخبره بذلك سرا ، وأخبر قريشا بضده جهرا ، حتى جمع ما كان له من مال بمكه وخرج عنها ، عاش إلى ما بعد وقعة الجمل ، وذكر صاحب الاستيعاب أنه مدفون « بقاليقلا » من نواحى تركيا رضى الله عنه « الاستيعاب ١ : ٣٢٥ ، والطبرى ٤ : ٥٦٥ ، « انظر فهرسته » » .

(٤) ديوان المعانى ٢ : ٦١ وفيه « ... فوق رؤوسهم ... كما أشرفت ..... » غير منسوب ، وقد سبق فى ١ : ٣١٥ ونسب هناك إلى نصر بن الحجاج بن علاط السُّلَمِى .
نصر بن الحجاج .

واحتذى عليه كُثَيِّرٌ[1] فقال :

وَهم يَضْرِبُونَ الصَّفَّ حتّى يُثَبِّتوا وهم يُرجِعُونَ الخَيْلَ جُمًّا قُرُونُها

أَرَاد أَنَّهم يَطْعَنونَ بالرِّماحِ حتَّى تَكَسَّرَ ، وقُرُون الخَيْلِ : الرِّمَاحُ ، كَذَا فَسَّرَهُ يَعْقُوبُ .

وقَوْلُهُ : « حتى يُثَبِّتوا » أى : أَمْرَهُم وملكَهُم ، وقولُهُ : « يُثَبِّتوا » من قَوْلِهم : رَجُلٌ مُثْبَتٌ ، أى مُثْخَنٌ بالجِراحِ ومُثْبتٌ مِنَ المَرَضِ .

وقَالَ البُحْتُرِىُّ[2] :

وأَزَرْتَ الخُيول قَبْرَ « امرِىءِ القيـ ـسِ » سِرَاعاً فَعُـدْنَ عَنْـه بِطَـاءَ[3]

وجَلَبْتَ الحِسَانَ حُوًّا وحُورًا آنساتٍ حتَّى أَغَرْتَ النِّساءَ

* * *

---

(١) ديوانه ٢٤٣ .

(٢) ديوانه ١ : ١٨ .

(٣) قبر امرىء القيس : يعنى مدينة أنقرة .

## ذكر المسير إلى أرض العدوّ والنزول عليها والظفر والفتوح

قال أبو تمّام[1] :

لَقَدِ انْصَعْتَ والشِّتَاءُ لَهُ وَجْـ ـهٌ تَرَاهُ الكُماةُ جَهْمًا قَطُوبَا

طاعِنًا مَنْحَرَ الشَّمالِ مُتِيحاً لِبِلادِ العَدوِّ مَوْتًا جَنُوبَا

أخذ البُحْتُرِيُّ المعنى فَقَالَ[2] :

وَرَمى بِثُغْرتِهِ الثُّغُورَ فَسَدَّهَا طَلْقُ اليَدَيْنِ مُؤَمَّلا مَرْهُوبَا

بالسَّيْفِ أرسَلَهُ الخَلِيفَةُ مُصْلَتًا والمَوْتُ هَبَّ مِنَ العِرَاقِ هُبُوبَا

بَيْتُ البُحْتريّ أَحْسن وأجودُ لِذِكرِهِ الهُبوبَ ، وبيت أبي تمّام أجمع لِذِكرِهِ الشَّمالَ مع الجَنُوبِ .

ثُمَّ وَصفَ أبو تَمَّامٍ شِدَّةَ الزّمانِ من البردِ فَقَالَ[3] :

فِي ليالٍ تَكَادُ تُبْقِي بِحدِّ الشّـ ـمْسِ من رِيحِهَا البليلِ[4] شُحُوبَا

---

(١) ديوانه ١ : ٢٥٤ والتبريزى ١ : ١٦٥ وفيهما « يراه الكماة » .

(٢) ديوانه ١ : ١٨٦ .

(٣) ديوانه ١ : ٢٥٤ والتبريزى ١ : ١٦٥ .

(٤) البليل : الريح الباردة التى فيها شيء من المطر .

سَبَراتٍ إذَا الحُرُوب أُنِيخَتْ ‏ ‏ هَاجَ صِنَّبْرُها فَكَانَتْ حُرُوبا (١)
فَضَرَبْتَ الشِّتَاء فى أَخْدَعَيْهِ ‏ ‏ ضَرْبَةً غَادَرَتْه عَوْدا رَكوبـا (٢)

وهذه من استعاراته القبيحة المعرُوفَةِ (٣).

وَقَال فى ضِدّ قولِه : « فَضَرَبْتَ الشِّتاء فى أخدَعَيْه » فى مدح أبى سعيد (٤) :

كَرُمَتْ غَزْوَتاكَ بالأَمْسِ والخَيْـ ‏ ‏ ـلُ دِقَاقٌ والخَطْبُ غَيْرُ دَقِيقِ
كَمْ أَفَادَتْ مِنْ أَرْضِ قُرَّة من قُرَّ ‏ ‏ ةِ عَيْنٍ وَرَبْرَبٍ مَرْمُوقِ
ثُمَّ آبَتْ وأُبْتَ خَوْفَ الغَمَامِ الـ ‏ ‏ ـفَظُّ ذا فِكْرَةٍ وقَلْبٍ خَفُوقِ (٥)
لاتُبَالِى بَوَارِقَ البِيضِ والسُّمْـ ‏ ‏ ـرِ ولكِن بَالَيْتَ لَمْعَ البُروق
تَشْنَأُ الغَيْثَ وَهْوَ جِدُّ حَبِيبٍ ‏ ‏ رُبَّ حزمٍ فى بِغْضَةِ المَوْمُوقِ (٦)
لَمْ تَخَوّف ضَرَّ العَدُوِّ ولا بَغْـ ‏ ‏ ـياً ولكِن تَخَافُ ضَرَّ الصَّدِيقِ

وقال البُحتُرِىّ (٧) :

إذ مَضَى مُجْلِبًا يُقَعْقِعُ فِى الدَّرْ ‏ ‏ بِ زَئِيرًا يُنْسِ الكِلابَ العُوَاءَ
/ يَوْمَ حَاضَتْ مِن خَوْفِهِ رِبَّةُ الرّو ‏ ‏ م صَبَاحًا ، ورَاسَلَتْهُ مَسَاءَ ١٠٧
حِينَ أَبْدَتْ إلَيْكَ « خَرْشَنة العُلْـ ‏ ‏ ـيا » مِنَ الثَّلج هَامَةً شَمْطَاءَ (٨)

---

(١) السَّبرات : « الغدوات الباردات – الواحدة سبرة – « الصِنَّبْرُ » : واحد صنابر الشتاء وهو شدة البرد ، وفى ديوانه وشرح التبريزى : « أُبيخَت » من باخت النار تبوخ إذا سكن لَهَبُها ، أما « أُنِيخَتْ » فمن أناخ الابل أى أبركها ، والمعنى : إذا سكنت الحروب هاج البرد .

(٢) « عودا » : أى جملا مسنا ، « ركوبا » : مذللا وقد سبق فى ١ : ٢٦١ ، ٢٧١ .

(٣) انظر رأى عبد القاهر فى اللفظ الواحد يقع مقبولا ومكروها « دلائل الإعجاز ص ٤٧ » .

(٤) ديوانه ٢ : ١٤٢ والتبريزى ٢ : ٤٤٢ .

(٥) التبريزى : « الفظّ » وذكر رواية الموازنة ، والتبريزى وديوانه « ذو فكرة » .

(٦) التبريزى وديوانه : « حَقُّ حبيبٍ » .

(٧) ديوانه ١ : ١٦ ، الأبيات « ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٨ ، ٣٩ » .

(٨) خَرْشَنَةُ : بلد قرب مَلَطِيَّة من بلاد الروم « معجم البلدان » .

مَانَهاك الشِّتاءُ عَنْها وفِى صَدْ ... رِكَ نَارٌ للحِقْدِ تُنْهِى الشِّتاءَ

قوله : « خَرْشَنَةُ العُلْيَا » هى خَرْشَنةٌ واحِدةٌ ، وإنَّما قَالَ : « العُلْيا » أراد : التى هى عَالِيَةٌ .

وقَوْلُهُ : « وفى صَدْرِكَ نارُ الحِقْدِ تُنْهِى الشِّتَاءَ » أحْسَنُ من « فضَرَبْتَ الشتاء فى أخْدَعَيْهِ » ، وخلافُ قَوْلِهِ :

لاتُبَالِى بَوارِقَ السُّمرِ والبِيـ ... ـضِ ولكنَ بَالَيْتَ لَمْعَ البُرُوقِ (١)

وَقَالَ أبو تمّامٍ (٢) :

أوْقَدْتَ مِنْ دونِ الخَليجِ لأَهْلِها ... نارًا لَهَا خَلْفَ الخَليجِ شَرَارُ

إلا تَكُنْ حُصِرَت فَقَدْ أُضْحى لها ... من خَوْفِ قارِعَةِ الحِصَارِ حِصَارُ

فَهُنَاكَ نَارُ وغَىً تُشَبُّ وهاهُنا ... جَيْشٌ له لَجِبٌ وثَمَّ مُغَارُ

خَشعُوا لَصَوْلَتِكَ التِى هِىَ عِنْدَهُم ... كالمَوْتِ يأتِى لَيْسَ فيه عَارُ

وهَذَا فى غَايَةِ الجَوْدةِ والصحةِ والسَّلامَةِ .

وقال بَعْدَ هَذَا :

غَادَرْتَ أرضَهُمْ بِخَيْلِكَ فى الوَغَى ... فَكَـأَنَّ أمنعَهـا لَهَـا مِضْمَـارُ

« لها » : للخَيْلِ مِضْمَارُ ، وَهْوَ الميدانُ الذى تَجْرِى فِيهِ وتُضَمَّرُ .

فأقَمْتَ فِيها وادِعاً مُتَمَهِّلًا ... حَتَّى ظَنَنَّا أنَّها لَكَ دَارُ

---

(١) رواه قَبْلُ : « البيض والسمر » .

(٢) ديوانه ١ : ٥٢٢ والتبريزى ٢ : ١٦٨ .

وهَذَا مَعْنًى حَسَنٌ لَطِيفٌ ، وأحْسَنُ منه وأجْوَدُ وأحلى قول البُحْتُرِىّ[١] :

وَوَصَلْتَ أَرْضَ الرُّومِ وَصْلَ كُثَيِّرٍ أطلالَ عَزَّةَ فى لِوَى تَيْمَاءِ
فى كلِّ يَوْمٍ قد نَتَجْتَ مَنِيَّةً لِحُمَاتِها من حَرْبِكَ العُشَراءِ

وَقَال أبو تَمَّامٍ فى فتح عمّوريَّة[٢] :

يَايَوْمَ وَقْعَةَ عَمُّورِيَّةَ انصَرَفَتْ مِنكِ المُنَى حُفَّلا مَعْسُولَةَ الحَلَبِ[٣]
أبْقَيْتِ جَدَّ بَنِى الإسْلامِ فى صَعَدِ والمُشْرِكِينَ ودَارَ الشركِ فى صَبَبِ
أُمٌّ لهَمْ لَوْ رَجَوا أن تُفْتَدى جَعَلُوا فِداءَها كلَّ أُمٍّ مِنهُمُ وأبِ
وَبَرْزَةُ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُها كِسرى وَصدَّتْ صُدُودًا عَنْ أبى كَرِبِ[٤]
بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ وَلَا تَرَقَّتْ إلَيْها هِمَّةُ النُّوَبِ
مِنْ عَهْدِ إسكَنْدرٍ أوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ شَابَتْ نَوَاصِى اللَّيَالِى وهْىَ لَمْ تَشِبِ
حَتَّى إذا مَخَّضَ اللّهُ السِنِينَ لها مَخْضَ البَخِيلةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ[٥]
أتتهمُ الكُرْبَةُ السَّوْداءُ كارِبَةً[٦] مِنْهَا وَكانَ اسْمُها فَرَّاجَةَ الكُرَبِ
جَرَىٰ لَها الحَالُ بَرْحًا يَوْمَ أنقرَةٍ إذْ غُودِرَتْ وحشةَ السَّاحاتِ والرَّحَبِ[٧]
لما رَأَتْ أُخْتَها بالأمْسِ قد خَرِبَتْ كَانَ الخَرابُ لَها أَعْدَى من الجَربِ

---

(١) ديوانه ١ : ١٠ .
(٢) ديوانه ١ : ١٩٠ والتبريزى ١ : ٤٦ .
(٣) ديوانه : « عنك » .
(٤) أبو كرب : كنية أحد التبابعة من ملوك اليمن « التبريزى » .
(٥) ديوانه : « الحلبية » .
(٦) فى الأصل « سادرة » وهى رواية الديوان والتبريزى ، غير أن الآمدى روى « كاربة » فى الشرح بعد الأبيات فأثبتُّها .
(٧) ديوانه والتبريزى : « الفال » .

قوله : « مَخْضَ البَخِيلةِ » ، لأنّها تَسْتَقصِى مَخْضَ السِّقَاء حتى لايَبْقى شَىءٌ مِن الزُّبْدِ إلا استخرَجَتْهُ .

وقَوْلُهُ : « الكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ » مِن أجْلِ الرَّاياتِ السّودِ ، « كارِبةً مِنْها » يُرِيد مِن عَمُّورِيَّة ، « كارِبةً » أى : غَاشِيةً لَهَا ودانِيَةً مِنهَا ، يُقَال : قَدْ كَرَبَ أن يَفْعَل كَذَا أى : دَنَا وقَرُبَ .

« وكَانَ اسْمُها فَرَّاجَةَ الكُرَبِ » أى : الكُرْبَةُ السَّوْدَاء ، يريد الرَّايَاتِ السُّودُ ، و « فَرَّاجَةَ الكُرَبِ » : لأنّها فَرَّجَتِ الكُرْبَةَ مِن الدولَةِ الأمويَّةِ لمَّا خَرَجَت مِن خُرَاسَان[1] .

ثُمَّ وَصفَ الحَرِيقَ فَقَالَ :

تَرَكْتَ فِيها بَهِيمَ اللَّيلِ وَهْوَ ضُحىً ... يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ

حَتَّى كأنَّ جلابيب الدُّجَى رَغِبَتْ ... عَنْ لَوْنِها وَكأنَّ الشَّمسَ لَمْ تَغِبِ

ضَوءٌ مِن النَّارِ والظَّلماءُ عاكِفَةٌ ... وظُلْمَةٌ[2] من دُخَانٍ فِى ضُحىً شَحِبِ

فَالشَّمسُ طَالِعَةٌ مِن ذَا وقَدْ أفَلَتْ ... والشَّمس واجِبَةٌ مِنْ ذَا ولَمْ تَجِبِ

وإنَّما حَذَا فى هَذَا كُلِّهِ حَذْوَ قَوْلِ النَّابِغَةِ يَصِفُ يَوْمَ حَرْبٍ[3] :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمسُ طَالِعَةٌ ... لا النُّورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ

ثُمَّ قَالَ[4] :

تَكَشَّفُ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الغَمَامِ لَهَا ... عَنْ يَوْمِ هَيْجاءَ مِنْها طَاهِرٍ جُنُبِ

---

(١) قال ابن المستوفى فى النظام : « ويروى كارِبَةً منها أى : من عمورية أى دانية منها ، يقال : كَرَبَ أى : دنا . وقوله « فَرَّاجَةَ الكُرَبِ » لأنها [فَرَّجَت] الكرب من الدولة الأموية لما خرجت من خراسان » . « النظام حـ ١ لوحة ٥٠ » .

(٢) فى الأصل : « وظلمته » .

(٣) ديوانه ١٣٤ .

(٤) ديوانه والتبريزى : « تصرّح » .

مَارَبْعُ مَيَّةَ معْمُورا يُطيفُ به غَيْلانُ أَبهى رُبىً مِن رَبْعِها الخَرِبِ (١)
ولا الخدودُ وَقَد أُدْمِينَ مِنْ خَجلٍ أَشْهَى إلى نَاظرٍ من خَدِّها التَّرِبِ (٢)
سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ منَّا العُيونُ بِهَا عن كُلِّ حُسْنٍ بَدَاأو مَنْظَرٍ عَجَبِ (٣)
١٠٨ / وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْقَى عواقِبُهُ جَاءَت بَشَاشَتُهُ من سُوءِ مُنْقَلبِ

وقَوْلُهُ : « ماربْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ به غَيلانُ » إنما استَحْسنَه غَيْلانُ وَحْدَه ويَكُون بَهيًّا عِندَه لا عِنْدَ النَّاسِ ، وكَأَنَّه أرادَ : أبهى رُبىً عِنْدَنا من رَبْع مَيَّة عِند غَيْلان (٤) ، والمعنى غيرُ جَيِّد ، وإنَّما كَانَ يَنبغى أن يشبِّهه بشىءٍ له بَهَاءٌ عَلَى كلِّ حَالٍ عند كلِّ أَحَد على العُمُومِ ، لكنَّ البُحتْرىّ ذَكَر كُثيِّراً وأطَلالَ عَزَّةَ فَوَضَعَ القَوْلَ فِى مَوْضِعِه الذى يَليقُ بِهِ فَقَالَ (٥) :

وَوَصلْتَ أَرْضَ الرُّوم وَصْلَ كُثَيِّرٍ أطـلالَ عَزَّةَ فى لِوَى تَيْمَـاءِ

وَهَذا فى غَايَةِ الحُسْنِ والصِحَّةِ ، يَصْلح أن يَكونَ مِثَالا لكلِّ شىءٍ أدَام الملازمةَ لشىءٍ .

وَقَال البُحْتُرىّ (٦) :

رَمَى الرُّومَ بالغَزْوِ الذى ماتَتَابَعَتْ نوافِذُهُ إلا أصبْنَ المقاتِــلا

---

(١) غيلان : هو ذو الرّمّة ، ومَيَّة : صاحبته التى يشبب بها .

(٢) ديوانه : « ولو أُدْمينَ » .

(٣) التبريزى : « تبدو » .

(٤) قال أبو العلاء : وفى بيت الطائى حذف يدل عليه المعنى ، وذلك أنه ذكر رَبْعَ مَيّة وليس له بهاءٌ ، إلا عند غيلان لمكان لَهْجِه بها ، فكأن المعنى : ماربعُ مَيَّةَ فى نفس غيلان أبهى من هذا الرَّبْع الخَرِبِ فى أعين المسلمين « التبريزى ١ : ٥٧ » .

(٥) ديوانه ١ : ١٠ ، وتيماء : بُلَيْد فى أطراف الشام بين الشام ووادى القرى « معجم البلدان » .

(٦) ديوانه ١٦٠١ .

غزاهُمْ فأفْناهُمْ ، ولم يَقْتَصِرْ بِهِمْ     على العَامِ حَتَّى جَدَّدَ الغَزْوَ قَابِلا (١)
رُويدَك ! أنْظِرْهُمْ لِتَنْتجِعَ الرُّبى     مُنوَّرَةً أوْ تَحْلُبَ الخِلْفَ حَافِلا (٢)
فقد غُرْتَ بالغَاراتِ فى وهَدَاتِهِمْ     وَلِيًّا وَوَسْمِيًّا رِذَاذًا ووابِلا
وسُقْتَ الذى فوقَ المَعاقِلِ مِنْهُمُ     فلَمْ يَبْقَ إلا أنْ تَسوقَ المَعَاقِلا

فهذه هى الطَّرِيقَةُ العربيَّةُ والبلاغَةُ المُتْقَنَةُ .

وقال (٣) :

حوَى كُلَّ ما دُونَ الخليجِ ولم يَدَعْ     فُؤادًا بما دونَ الخَليجِ مُعَلَّقَا (٤)
قليلُ السُّرورِ بالكثيرِ ينالُهُ     فتَحْسَبُهُ – وهو المُظَفَّرُ – مُخْفِقَا
ومُحْتَرِسٍ من أين رُمْتَ اغْتِرَارَهُ     وَجَدْتَ له سَهْمًا إليك مُفَوَّقَا

وهذا حَزْمٌ وتَيَقُّظٌ لا غايةَ وراءَهُما ، ولَفْظٌ وعِبارةٌ عن معنىً لاشىءَ أوضحُ مِنْهُ .

ومثلُ قَوْلِهِ : « ... وهو المُظَفَّرُ مُخْفِقا » قَوْلُهُ فى أبى سَعيدٍ (٥) :

يُرَجِّى التُّقَى من هَدْيِهِ واعْتِلائِهِ     سَكِينَةَ مَغْلُوبٍ وأوْبَةَ غَالِبِ

* * *

(١) ديوانه : « لهم » .
(٢) ديوانه : « لك الخير » والخلف : الضرع .
(٣) ديوانه ٣ : ١٥٠٠ .
(٤) الخليج : بحر دون قسطنطينية : « معجم البلدان » ، وفى ديوانه « بما خلف » .
(٥) ديوانه ١ : ١٨٢ . وفيه « يزجى » وفى الهامش : « « يرجى » تصحيف » .

## ذكر من انهزم ونجا بحشاشته ومن أُسر

قال أبو تَمّامٍ يعنى بابَكَ الخُرَّمىَّ[(١)] :

ونَجا ابنُ خَائِنَةِ البُعولَةِ لَوْ نَجا بِمُهَفْهَفِ الكَشْحَينِ والآطالِ
تركَ الأَحِبَّةَ ساليًا لا نَاسِياً عُذْرُ النَّسىِّ خِلافُ عُذْرِ السَّالى[(٢)]
هَتَكتْ عجَاجَتَهُ القَنا عن وَامِقٍ أهدى الطِعانُ له خَليقَةَ قَالِ

وقال فيه[(٣)] :

عَشِيَّةَ صَدَّ البَابكىُّ عن القَنا صُدودَ المُقَالى لا صُدودَ المُجامِلِ
تَحدَّر من لِهْبَيْهِ يَرجُو غَنيمةً بِسَاحةِ لا الوَانى ولا المُتخَاذِلِ[(٤)]
فكان كَشاةِ الرَّمْلِ قَيَّضَهُ الرَّدىٰ لِقَانِصِهِ من قَبْلِ نَصْبِ الحَبَائِلِ[(٥)]

وهذا وما قَبْلَهُ جَيِّدٌ بالِغٌ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٢١٧ والتبريزى ٣ : ١٤٢ .
(٢) التبريزى : « خلىّ الأحبة سالما لا ناسيا » .
(٣) ديوانه ٢ : ٢٢٦ والتبريزى ٣ : ٨٣ .
(٤) اللِّهْبُ : طريق ضيّق فى الجبل .
(٥) شاة الرمل : البقرة الوحشية « التبريزى » .

وقالَ[1] :

عَدا اللّيلُ فِيها عن مُعاوِيَة الرَّدى ... وما شَكَّ رَيْبُ الدَّهْرِ فى أنَّه رَدِى
لَعَمْرِى لقَد حَرَّرْتَ يومَ لَقِيتَهُ ... لَوَ انَّ القَضاءَ وَحْدَهُ لم يُبَرِّد
وَفى أَرْشَقِ الهَيْجَاءِ والخَيْلُ تَرْتَمِى ... بأَبْطَالِهـا فى جَاحِمٍ مُتَوقِّـدِ
عَطَطْتَ على رَغْم العِدا عَزْمَ بَابَكٍ ... بِصَبْرِكَ عَطَّ الأَتْحَمِىِّ المُعَضَّدِ[2]
فإنْ لايَكنْ وَلَّى بِشِلْوٍ مُقَدَّدٍ ... هُنـاك فَقـدْ وَلَّـىٰ بِعزَمٍ مُقَـدَّدِ[3]

قَوْلُهُ : « لَوَ انَّ القَضاءَ وَحْدَه لم يُبَرِّدِ » من معانيه التى كان الشيوخُ يَضْحَكُونَ مِنْهَا[4] .

وقولُهُ : « وفى أَرْشَقِ الهَيْجاءِ » أَرادَ : فى هَيجَاءَ أَرْشَق فجاءَ بِهِ على القَلْبِ ، أى : فى حَرْبِ أَرْشَق ، « عَطَطْتَ » : شَقَقْتَ ، والأَتحمِىُّ : ضَرْبٌ من الثِّيابِ .

وقالَ :

وقد كانَتِ الأَرْمَاحُ أَبْصَرْنَ قَلْبَهُ ... فأَرْمَدَهَا سِتْرُ القَضاءِ المُمَدَّدِ

والسِتْرُ المَمْدُودُ من كلِّ شَىءٍ إنَّما يَحجِبُ العَينَ عن أنْ تَنْظُرَ إلى ما وراءَهُ ، فأمّا أن يُرْمِدَها فلَا ، لَكِنَّه ذهبَ إلى أنَّ الأَرْمَدَ لايُبْصِرُ .

---

(١) ديوانه ١ : ٤٣٢ والتبريزى ٢ : ٢٧ .
(٢) عط : شق ، والأتحمى : ضرب من البرد « التبريزى » .
(٣) فى الأصل : « بشاة » تحريف .
والشلو : العضو ، وقيل بقية الجسد « التبريزى » .
(٤) قال ابن المعتز : وأنشد البيت » : لم تخرج له هذه المطابقة خروجا حسنا ، ولا تحسن فى كلّ شىء « الموشح ص ٤٧١ » ، ونقل هذا ابن المستوفى فى النظام ، وزاد عليه فقال : ونقلت من خطّ عبد الله بن محمد ابن سعيد بن سنان وقال « وأنشد البيت » ومعه قوله :

فإن خفرت أموالَ قَوْمٍ أَكفُّهم ... من النَّيْلِ والجَدوىٰ فكَفَّاهُ مَقطَعُ

فهذان البيتان من الطباق القبيح الذى لم يرد لحسن معناه وسلاسة لفظه ، بل ليكون فى الشعر مطابقة فقط « النظام حـ ١ لوحة ٣٢٠ » .

[ وقال ](١) :

وكَانَ هُوَ الجَلْدُ القُوَىٰ فَسلَبْتَهُ ... بِحُسْنِ الجِلادِ المَحْضِ حُسْنَ التَّجلُّدِ
لَعَمْرى لقد غَادَرْتَ حِسْىَ فُؤادِهِ ... قَرِيبَ رِشاءٍ لِلقَنا سَهْلَ مَوْرِدِ
فكان بَعيدَ القَعْرِ من كُلِّ مَاتِحٍ ... فغادَرْتَه يُسْقَىٰ ويُشْرَبُ باليَدِ

وهذا غاية فى حسنه وصحّته وحلاوته وغرابته .

وقال(٢) :

١٠٩ / إلّا تَنَلْ « مَنْوِيلَ » أطرافُ القَنا ... أو تُثْنَ عَنْه البِيضُ وهْىَ حِرَارُ
فلقَدَ تَمنّىٰ أنَّ كُلَّ مَدِينَةٍ ... جَبَلٌ أصَمُّ ، وكلَّ حِصْنٍ غارُ
فانْظُرْ بعَيْنِ شَجاعَةٍ فَلَتَنْظُرَنْ(٣) ... أنَّ المُقامَ بحَيْثُ كُنْتَ فِرَارُ
هَيْهاتَ جاذَبَكَ الأعِنَّةَ بَاسِلٌ ... يُعْطِى الشَّجاعَةَ كُلَّ من تَخْتَارُ(٤)
فَمضَى لو آنَّ النَّارَ دونَكَ خَاضَها ... بالسَّيْفِ إلّا أنْ تَكونَ النَّارُ(٥)

وقال يمدحُ الأفْشِينَ(٦) :

لاقَاكَ بَابَكُ وهو يَزْأَرُ فانْثَنىٰ ... وزَئِيرُهُ قد عادَ وَهْوَ أنِينُ
لما رَأىَ عَلَمَيْكَ ولّى هَارِبًا ... ولِكُفْرِهِ طَرْفٌ عَلَيْه سَخِينُ
وَلّى ولَمْ يَظْلِمْ وهلْ ظَلَمَ أمرؤٌ ... حَثَّ النَّجاءَ وخَلْفَه التِّنِّينُ

(١) ساقطة من الأصل .
(٢) ديوانه ١ : ٥٢٣ والتبريزى ٢ : ١٧١ .
(٣) ديوانه والتبريزى : « فلتعلمن » .
(٤) ديوانه والتبريزى : « كلّ ما » .
(٥) ديوانه : « يمضى » .
(٦) ديوانه ٣ : ٣٦ والتبريزى ٣ : ٣١٨ .

طَعَنَ التَّلهُّفُ قَلْبَهُ فَفُؤادُهُ ... من غَيْرِ طَعْنَةِ فارِسٍ مَطْعونُ
ورجَا بِلادَ الرُّومِ واسْتَعْصَىٰ بِهِ ... أَجَلٌ أَصمُّ عن النَّجاءِ حَرونُ
هَيْهاتَ لم يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ ثوىٰ ... بالصِّينِ لم تَبْعُدْ عَليكَ الصِّينُ[1]

وهذا كلُّه معنًى ولفظًا لا مطعنَ عَلَيْهِما فى الصحَّةِ والاسْتِقَامةِ والحُسْنِ والجَوْدَةِ .

وقالَ[2] :

إن يَنْجُ مِنْكَ أبو نَصْرٍ فَعَنْ قَدَرٍ ... تَنْجُو الرِّجالُ ولكِنْ سَلْهُ كَيفَ نَجا

وهذا بَيْتُهُ المَشْهُورُ الذى يُسْتَحْسَنُ من أَجْلِ إجْمالِهِ وتَرْكِهِ أَنْ يُشْرَحَ .

وقد أَحسنَ البُحتريُّ فى قَوْلِهِ[3] :

إن يَنْجُ مُنْهَزِمًا رَكْضًا فَقَد وَطِئَتْ ... مِنْهُ الرِّماحُ صَلِيفَىْ كَاهِلٍ وقَفَا

وقال أبو تمّامٍ[4] :

ولَّىٰ مُعاويةُ عَنْهُمْ وقَد أخذَتْ ... فيه القَنا ، فأَبىٰ المِقْدارُ والأُمدُ[5]
نجَّاكَ فى الرَّوْعِ مانَجَّىٰ سَمِيَّك فى ... صِفِّينَ والخَيْلُ بالفُرْسانِ تَنْجَرِدُ[6]

---

(١) فى الأصل : « لم يعلم بابك » تحريف .

(٢) ديوانه ١ : ٣٦٢ والتبريزى ١ : ٣٣٦ .

(٣) ديوانه ٣ : ١٤٣٦ .

(٤) ديوانه ١ : ٤٢٦ والتبريزى ٢ : ١٤ .

(٥) جاء فى النظام « وفى نسخة : معاوية اسم بابك » النظام حـ ١ لوحة ٣١٧ ، وفى التبريزى : « وقد حكمت » .

(٦) أراد قول النجاشى فى معاوية بن أبى سفيان :

ونجَّى ابنَ حَرْبٍ سابِحٌ ذو عُلالَةٍ ... أَجَشُّ هَزِيمٌ والرِّماحُ دَوانِى

« وقعة صفين ٥٢٤ » .

إنْ تَنْفَلِتْ وأُنوفُ المَوتِ رَاغِمَةٌ فاذْهَبْ فأنْتَ طَليقُ الرَّكْضِ يالُبَدُ (١)

وقال فيها :

تَرَكْتَ مِنهُمْ سبيلَ النَّارِ سَابِلَةً فى كُلِّ يَوْمٍ إلَيْها عُصْبَةٌ تَرِدُ
كأنَّ بَابَك بالبَذَّيْنِ بَعْدَهُمُ نُؤْىٌ أقامَ خِلافَ الحَىِّ أو وَتَدُ (٢)

وقالَ (٣) :

لمَّا رَأى الحَرْبَ رَأْىَ العَينِ تَوْفَلِسٌ والحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى من الحَرَبِ (٤)
غَدا يُصَرِّفُ بالأَمْوالِ جِزْيَتَهـا فَعَزَّهُ البَحْـرُ ذُو التَّيـارِ والحَـدَبِ (٥)
لم يُنْفِقِ الذَّهَبَ المُرْبِى بِكَثْرَتِهِ على الحَصَى وبهِ فَقْرٌ إلى الذَّهَبِ
إنَّ الأُسُودَ أُسودَ الغِيلِ هِمَّتُها يَوْمَ الكَرِيهَةِ فى المَسْلوبِ لا السَّلَبِ (٦)
وَلَّى وقَدْ أَلْجَمَ الخَطِّىُّ مَنْطِقَهُ بِسَكْتَةٍ تَحْتَها الأَحْشَاءُ فى صَخَبِ
أَحذَى قَرابِينَه صَرْفَ الرَّدَى ومَضَى يَحْتَثُّ أنْضَى مطَايَاهُ من الهَـرَبِ (٧)

وهذا إحْسانُهُ المعروفُ الذى لَاشَىء يَفوقُهُ .

---

(١) « لبد » اسم أحد نسور لقمان ، وهو اسم يتشاءم منه « انظر التبريزى » .

(٢) شبهه بالنؤىء أو الوتد المهملين يريد أنه تُرِكَ ذليلا .

(٣) ديوانه ١ : ٢٠٠ والتبريزى ١ : ٦٤ .

(٤) توفلس : هو توفيل بن ميخائيل ، انظر تاريخ الطبرى ٩ : ٥٥ ، دار المعارف . وقد سبق البيت فى ١ : ٧١ .

(٥) ديوانه والتبريزى « جريتها » بالراء المهملة وقال الصولى : « وسمعت من لا يفهم شيئا ويدّعى كل شىء ولا أسميه ، يقول : « جزيتها » بالزاى يذهب إلى أنه أراد أن يعطى الجزية ، وهذا تصحيف قبيح ، لأنه لو بذل الجزية لأخذت منه ، إنما بذل مالا لا على سبيل الجزية » .

(٦) ديوانه « الغاب » .

(٧) ديوانه : « أخفى » والتبريزى « أنجى » .

وقال[1]

رآهُ العِلْجُ مُقْتَحِمًا عليه ... كما اقْتَحم الفَناءُ علىَ الخُلودِ
فمرَّ ولو يُجارِي الرِّيحَ خِيلَتْ ... لدَيهِ الرِّيحُ تَرْسُفُ فى القُيودِ

قوله :

كما اقْتَحم الفَناءُ على الخُلودِ

من قول مُسْلِمِ بن الوَلِيدِ[2] :

كأنَّه أَجَلٌ يَسْعىٰ إلىٰ أَمَلِ

وقولُهُ :

........................ خِيلَتْ ... لَدَيهِ الرِّيحُ تَرْسُفُ فى القُيودِ

فى غايَةِ الجَودَةِ .

وقال فى مَدح إسحاق بنِ إبراهيمَ[3] :

سَمّاهُمُ البَطَرُ الأُسْدَ الغِضَابَ فلَمْ ... تَهْجَعْ سُيُوفُكَ حَتَّى صُيِّروا نَعمَا[4]
ولَتْ شَياطِينُهم عن حَدِّ مَلْحَمَةٍ ... كَانَتْ نجُومُ القَنَا فِيها لَهُمْ رُجُما[5]

وما وراءَ هذا البيتِ غايةٌ فى حُسْنِهِ وحلاوتِهِ وصِحَّةِ مَعناهُ ، ولَسْتُ أَدْرى أَيُّهما أجوَدُ فى مَعناه أَهُو أَمْ قولُ البُحْتُرىِّ :

---

(١) ديوانه ١ : ٤٣٧ والتبريزى ٢ : ٣٧ وقد سبق البيت الأول فى ١ : ٧٨ .

(٢) ديوانه : ص ٩ وصدره :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يَوم ذى رَهَجٍ

(٣) ديوانه ٢ : ٤٣٦ والتبريزى ٣ : ١٧٢ .

(٤) التبريزى يقول : بَطِرُو وعَتَوْا على الإسلام وأهلِه عَتْوَةَ الأُسْدِ الغِضابِ .

(٥) التبريزى أى : كانوا فى تعرضهم للإسلام كالشياطين التى تسترق السمع ، وكنت فى قمعهم كالكواكب تُرْجَمُ بها الشياطين .

قَمَرٌ يكرُّ على الكُماةِ بِكَوْكَبِ ؟[١]

وقال فى مَدْح خالدِ بن يَزيدَ بنِ مَزْيَدٍ[٢] :

ولمَّا رَأى تَوْفِيلُ راياتِكَ التى … إذا ما اتْلأَبَّتْ لايُقاوِمُها الصُّلْبُ[٣]
تَولَّى ولم يَأْلُ الرَّدىٰ فى اتِّباعِهِ … كأنَّ الرَّدى فى قَصْدِه هَائِمٌ صَبُّ
غدا خَائِفًا يَسْتَنْجِدُ الكُتْبَ مُذْعِنًا … عليكَ فلا رُسْلٌ ثَنَتْكَ ولا كُتْبُ
وما الأَسَدُ الضِّرْغامُ يومًا بِتَارِكٍ … صَرِيمَتَه إن أَنَّ أَوْ بَصْبَصَ الكَلْبُ[٤]
/ فمرَّ ونَارُ الكَرْبِ تَلْفَحُ قَلْبَهُ … وما الرَّوْحُ إلّا أَنْ يُخامِرَهُ الكَرْبُ[٥] ١١٠
مَضىٰ مُدْبِرًا شَطْرَ الدَّبُورِ ونَفْسُهُ … على نَفْسِهِ من سَوءِ ظَنٍّ بِهَا إِلْبُ[٦]
جَفا الشَّرْقَ حتى ظَنَّ من كَان جَاهِلًا … بِدِينِ النَّصارىٰ أنَّ قِبْلَته الغَرْبُ

وحَسْبُكَ بِهذَا جَوْدَةً .

وقال البحتريُّ[٧] فى هذا البابِ :

أَشْلَى على « مَنويلَ » أَطْرافَ القَنا … فنَجَـا عَتِيــقَ عتِيقَــةٍ جَرْداءِ[٨]
ولَوَ انَّـهُ أَبطَىٰ لَهُـنَّ هُنَيْهَـةً … لصَدَرْنَ[٩] عَنْـهُ وهُـنَّ غَيْرُ ظِمَـاءِ

---

(١) ديوانه ١ : ٨١ وصدره : « وتَراهُ فى ظُلَمِ الوغىٰ فَتخالُه » .

(٢) ديوانه ١ : ٢٧١ والتبريزى ١ : ١٨٨ .

(٣) اتلأبّت أى : استقامت « التبريزى » .

(٤) ديوانه والتبريزى : « بعاكس » .

(٥) الرَّوْحُ : الفرح ، والمَعنىٰ : وما الرَّوْحُ للمسلمين إلا أن يخامر هذا العدوَّ الكَرْبُ ، فحذف لعلم السامع « التبريزى » ، وفى ديوانه : « تلفح وجهه » .

(٦) يقال : هم إلب عليك أى تألّبوا « التبريزى » .

(٧) ديوانه ١ : ١٢ .

(٨) منويل قائد من قواد امبراطور الروم ، والمعنى : أن الفرس العتيقة أعتقته من الأسر « ديوانه » وانظر عبث الوليد ص ٢٢ .

(٩) فى الأصل : « فصدرن » والتصحيح من ديوانه .

فَلَئِنْ تَبَقَّاهُ القَضاءُ لِوَقْتِهِ فلقدْ عَمَمْتَ جُنودَه بِفَنَاءِ
أَثْكَلْتَهُ أشياعَه ، وتَرَكْتَهُ لِلْموتِ مُرْتَقِبًا صَباحَ مَساءِ
حتَّى لوِ آرْتَشَفَ الحديدَ أذابَهُ بالوَقْدِ من أنْفاسِه الصُّعَداءِ

وقالَ[1] :

وما كانَ « بُقراطَ بن آشوطَ » عِنْدَهُ بأَوَّلِ عَبْـدٍ أَوْبَقَتْـهُ جَرائِــرُهْ[2]
وقدْ شَاغَبَ الإسلامَ خَمْسينَ حُجَّةً فلا الخَوفُ نَاهِيهِ، ولا الحِلْمُ زَاجِرُهْ
ولَمْ يَرْضَ من « جُرْزانَ » حِرزًا يُجيرُهُ ولا فِي « جِبالِ الرُّوُمِ » رَيْدًا يُجاوِرُهْ[3]
فجاءَ مَجِيءَ العِيرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ إلىٰ أُهْرَتِ الشِّدْقَينِ تَدْمىٰ أظَافِرُهْ[4]
ومن كانَ فى اسْتِسْلامِهِ لائِمًا لَهُ فإِنِّى على مَاكانَ من ذَاكَ عاذِرُهْ
ولم يَبْقَ بَطْرِيقٌ لَهُ مِثْلُ جُرْمِهِ « بأَرّانَ »[5] إلّا عازِبُ اللُّبِّ طَائِرُهْ
كَسَرْتَهُمْ كَسرَ الزُّجَاجَةِ بَعْدَهُ ومن يَجْبُرُ الوَهْىَ الذى أَنْتَ كَاسِرُهْ
فإنْ يَكُ هذا أَوَّلَ النَّقْصِ فِيهِمُ وكُنْتَ لَهُمْ جاراً فما هُو آخِرُهْ

وهذا فى غَايَةِ الحُسْنِ والصِّحَّةِ والسَّلامَةِ .

وقوله :

فجاءَ مَجِيءَ العِيرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ

---

(١) ديوانه ٢ : ٨٧٨ .

(٢) بقراط بن أشوط ، ويقال له بطريق البطارقة ، خرج يطلب الإمارة فى أرمينية سنة ٢٣٧ هـ ، « الطبرى ٩ : ٨٨٧ ، دار المعارف » .

(٣) جرزان : اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس « معجم البلدان » .

(٤) سبق فى ١ : ٣٤٩ .

(٥) أرّان : من أصقاع أرمينية « معجم البلدان » .

مثل قولِ أبى تمَّام[١]:

فكانَ كشَاةِ الرَّمْلِ قَيَّضَهُ الرَّدىٰ

والبيتانِ جميعًا جَيِّدَانِ ومَعناهُما مُشْتَرَكٌ جارٍ فى العاداتِ ولَيس مِثْلُهُ مَسْروقاً[٢].

وقال[٣]:

ولقد عَذَلْتُ «أبا أُمَيَّةَ» لَوْ وَعَتْ ... أُذُنَـاهُ ذاكَ العَـذْلَ والتَّأْنِيبَا
قَصَدَ الهُدىٰ بالمُعْضِلاتِ يَكيدُهُ ... ودعَـا إلى إضْلالِـهِ[٤] فأُجِيبَـا
حتَّى تَقنَّصَ فى أظَافِرِ ضَيْغَمٍ ... مَلأَتْ هَماهِمُهُ القلوبَ وَجِيبَا
ونَهيتُ «بُقْراطَ بنَ حَمْزَةَ»[٥] لو نَهىٰ ... أمـلًا كَبَارِقَـةِ الجَهَـامِ كَذُوبَـا
ظنَّ الظُّنونَ صَواعِدًا فَرَدَدْتَهُ ... خزْيَانَ يَحْمِلُ مَنْكِبًا مَنْكُوبَا
مُتقسِّمُ الأَحْشَاءِ يَنْفُضُ رَوْعُهُ ... قَلْبًا كأنُبوبِ اليـرَاعِ نَخيبَـا[٦]

وهذا كلُّه جَيِّدٌ بالِغٌ لَفْظاً ومعَنًى وسَبْكا.

وقال[٧]:

ولمَّا رأىَ الأَكْرادُ بَرقَ سِنَانِهِ ... تَمُجُّ[٨] دَمًا مِنْهُمْ فوبْلٌ ورِيِّقُ
تَوَلَّوْا، فهَامٌ بالفِرَارِ مُعَيَّرٌ ... دُهورًا، وهَامٌ بالسُّيوفِ مُفَلَّقُ

---

(١) سبق البيت فى ٣٥٢ وعجزه: «لِقَانصِهِ من قَبْلِ نَصْبِ الحَبائِلِ» وشاةُ الرمل: البقرة الوحشية.
(٢) انظر تفصيل هذا فى ١: ٣٤٩.
(٣) ديوانه ١: ١٨٦.
(٤) ديوانه: «إذلاله».
(٥) فى ديوانه: «آشوط بن حمزة»، وهو الذى أسره بغا الشرابى بعد مقتل يوسف بن محمد، وكنيته أبو العباس وهو صاحب الباق، وهى من كور البُسْفُرَّجان وهى بأرض آران السابق ذكرها، فى أرمينية الثالثة ومدينتها «النَّشوَىٰ» «الطبرى ٩: ١٨٨ – معجم البلدان ١: ٤٢٢»، وفى الأصْلِ: «الحِمام» ولا معنى لها والتصحيح من ديوانه، «والجهام»: السحاب الذى لا ماء فيه.
(٦) النخيب: الذى لا قلب له وهو الجبان.
(٧) ديوانه ٣: ١٤٩٣.
(٨) ديوانه «يثجّ».

وهذا كما تَرى غايَةٌ فى حُسْنِهِ وغرابَتِهِ .

وقال :[١]

وزَرَّ فُروجَ المُرْهَفاتِ على بَنِى ... زُرارَةَ واخْتـارُوا عَلَيْـهِ السَّلاسِلا[٢]
وأَصْلَح مِنهُمْ كُلَّ من كانَ فَاسِدًا ... وقَـوَّمَ مِنهـمْ كُلَّ من كانَ مَائِـلا[٣]
وأَصْعَدَ «مُوسَى» فى السَّماءِ فلم يَجِدْ ... بَهـا مَهْرَبًـا مِنْـهُ فأَقْبَـل نَازِلا[٤]
ولم تَسْتَطِعْ « بَدْلِيسُ » تَمْنَعُ رَبَّها ... من الأُسدِ المُزْجِى إلَيْها القَنابِـلا[٥]
لأَذْكَرْتَهُ بالرُّمْحِ ما كانَ نَاسِياً ... وعَلَّمْتَهُ بالسَّيْفِ ماكانَ جاهِلا
أَحطْتَ بِهِ قَهْرًا ، فلمَّا مَلَكْتَهُ ... أَحطْتَ بِهِ مَنًّا عَلَيْه ونائِلا
ولَوْ لَمْ تُناهِضْهُ وأَبْصرَ عُظْمَ مَا ... تُنيلُ من الجَدوىٰ لجاءَك سَائِلا

وهذا هو الإحسانُ الذى لا يتعلق به إحسان ، غَيْرَ أنَّ قَوْلَهُ : « وزرَّ فُروجَ المُرْهفَاتِ » استعارةٌ رَديئَةٌ وتَجْنيسٌ قَبيحٌ يُشْبِهُ تَجْنِيساتِ أَبى تمّامٍ الرَّدِيئة .

وقال :[٦]

سُلِبُوا وأشْرَقَتِ الدِّماءُ عَلَيْهِمُ ... مُحْمَرَّةً ، فكأنَّهم لَمْ يسْلُبُوا[٧]
ولَوَ انَّهُمْ رَكِبُوا الكَواكِبَ لم يَكُنْ ... يُنَجِّيهِمُ مِنْ أَخْذِ بَأْسِكَ مَهْرَبُ[٨]

« رَكِبُوا الكَواكِبَ » لأَنَّهُ لاتَفِى بِحَرَكَةِ سَيْرِها حَرَكةٌ .

---

(١) ديوانه ٣ : ١٦٠٣ .
(٢) فى الأصل : « فرارة » والتصحيح من ديوانه .
(٣) ديوانه : « كل ما كان » .
(٤) هو موسى بن زراة كان على ابنة بقراط بن أشوط ، بطريق بطارقة فى أرمينية « الطبرى ٩ : ١٨٧ » .
(٥) بدليس : بلدة من نواحى أرمينية قرب خِلاط ذات بساتين كثيرة « معجم البلدان » .
(٦) ديوانه ١ : ٧٦ .
(٧) سبق فى ١ : ٣٢١ .
(٨) ديوانه « لِمُجِدِّهم » .

وما أحسنَ ماقالَ عَبدُ العُزّىٰ بنُ ودَيعَةَ المُزَنيُّ[١] :

كأنَّ سُيوفَنَا فِينَا وفِيهِمْ سحَابٌ يَسْتَهِلُّ ويَسْتَطِيرُ
كَأَنَّهُمُ وقَد وَلَّوْا جَرَادٌ بذِي لَجَبٍ تُهَوِّرُهُ الدَّبُورُ

* * *

(١) لم أقف عليه بعد ، ذو لجب : كناية عن الجيش ، واللجب الصخب والجَلَبة ، تهوّره : تشتّته وتفرّقه ، الدبور : ريح .

قال أبو تمّام(١) :

لما قضَى رَمضانُ فيهِ قضاؤُهُ     شَالَتْ بِهِ الأيّامُ فى شوّالِ
أهْدى لِمَتنِ الجذْعِ مَتْنَيْهِ كذَا     من عَافَ مَتْنَ الأسْمَرِ العَسَّالِ
لا كَعْبَ أسفَلَ مَوضِعًا من كَعْبِهِ     مَعَ أنَّهُ عن كُلِّ كَعْبٍ عَالِ
سامٍ كأنَّ العِزَّ يَجْذِبُ ضَبْعَهُ     وسُمُوُّهُ من ذِلَّةٍ وَسِفَالِ
مُتَفَرِّغٌ أبدًا وليْسَ بِفارِغٍ     من لا سَبيلَ لَهُ إلى الإشْغَالِ

هذا كُلُّه من مَشْهور إحسْانهِ وبارِعِ قَوْلِهِ .

وقولُهُ : « مُتَفرِّغٌ أبدًا ...... » من الفَلْسَفةِ العَجِيبَةِ ، وهو البَيْتُ الذى كانَ الكِنْدىُّ(٢) يُعْجَبُ بِهِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٢١٧ والتبريزى ٣ : ١٤٣ « يمدح المعتصم ويذكر قتلَ بَابَك وصَلْبَهُ فى سامراء » .

(٢) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندى من أبناء ملوك كندة ، وفيلسوف العرب والإسلام فى عصره ، نشأ فى البصرة وانتقل إلى بغداد فتعلم واشتهر بالطب والموسيقى والهندسة والفلك وألف وترجم وشرح كتبا كثيرة « انظر طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص ٢٨٥ وأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٤٠ وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقى ص ٤١ » .

وقال فيه : (١)

| | |
|---|---|
| وَلَقَدْ شَفى الأَحْشاءَ مِنْ بُرَحائِها | أَنْ صَار « بَابَكُ » جَارَ « مَازيَّارِ » (٢) |
| ثَانِيهِ فى كَبِدِ السَّماءِ ولم يَكُنْ | لاثنينِ ثَانٍ إذْ هُما فى الغَارِ |
| وكَأَنَّما انْتَبذا لِكَيْما يَطْوِيَا | عن « نَاطِسٍ » خَبرًا من الأَخبارِ (٣) |
| سُودُ اللِّباسِ كأنَّما نَسَجَتْ لَهَمْ | أَيدِي السَّمُومِ مَدارِعًا من قَارِ |
| بَكَرُوا وأَسْرَوْا فى مُتونِ ضَوامِرٍ | قِيدَتْ لَهُم من مَرْبَطِ النَّجارِ |
| لايَبْرَحُونَ ومن رَآهُمْ خَالَهُمْ | أَبدًا على سَفَرٍ من الأَسْفارِ |

قَوْلُهُ : « .... لم يَكُنْ لاثنينِ ثَانٍ إِذْ هُما فى الغَارِ » من لُحونِه القَبيحَةِ ، وقد ذَكَرْتُه فى جُملةِ ماذَكَرْتُه من أَغالِيطِهِ فى المَعانِى . (٤)

وأما « نَاطِسُ » فَلسْتُ أَدْرى ما أَرادَ بِهِ وَأَظُنُّه عَظيماً من عُظَماءِ أهلِ الشِّرْكِ مِمَّنْ كانَ تَجِبُ طَاعَتُه ، كَأَنَّما أَتَاهُما خَبَرٌ فَهُما يَتفاوَضَانِهِ ويَطْوِيانِهِ ، وقَدْ كُنْتُ سَمِعْتُ فِيه شَيْئًا أَظُنُّه هَذا . (٥)

---

(١) أى : فى بابك ديوانه ١ : ٥٤٧ والتبريزى ٢ : ٢٠٧ .

(٢) مازَيّارَ بن قَارن كان على طبرستان أيام المعتصم ، وانتَقَض عليه فحاربه المعتصم وأسره ثم صلبه إلى جانب بابك سنة ٢٢٤ « الطبرى ٩ : ٨٠ – ١٠٣ » .

(٣) ديوانه والتبريزى « الثياب » .

(٤) انظر ١ : ٣٠ .

(٥) نقل ابن المستوفى من حاشية كتاب الخارزنجى أبو يحيى : حُكِيَ أن جذعى مازيار وأفشين كانا فوق جذع ياطس وكلا الجذعين مائل أحدهما إلى صاحبه كأنهما يتناجيان بينهما مايطويانه عن ياطس فى رأى العين لا فى الحقيقة « النظام حـ ٢ لوحة ٥٥ » .

وقال المرزوقى فى شرح مشكل أبيات أبى تمّام « ص ٣٠ » : « يعنى بابك ومازيار ، وكانا لما صُلِبا قُرِّب أحدهما من الآخر ونحّى عنهما ناطس الرومى ، فقال : كأنما تنحيا عن ناطس ليكتما عنه سرا ويطويا دونه خبرا لا يريدان وقوفه عليه » .

وناطس هو ياطس الرومى الذى كان عَلىٰ عمورية من قبل ملك الروم عندما دخلها المعتصم ظافرا وأسره ، ومات ياطس سنة ٢٢٤ وصلب بسامراء إلى جانب بابك « الطبرى ٩ : ٦٣ ، ٦٤ ، ١٠٢ » .

وقَوْلَهُ :

لَايَبْرَحُونَ ومن رآهمْ خَالَهم      أَبدًا على سَفَرٍ من الأَسفارِ

مَأْخوذٌ من قَولِ آخر – وأَنْشَده ثَعْلبٌ[١] –:

قَامَ ولمَّا يَسْتَعِنْ بِسَاقِهِ      آلَفَ مَثْواهُ على فِرَاقِهِ

وقال البحتريُّ فى صَلْبِ بَابَكَ يخاطب أبا سعيد[٢] :

مازِلْتَ تَقْرَعُ بابَ « بَابَك » بالقنا      وتَزُورُه فى غَارةٍ شَعْواءِ

حتّى أَخذْتَ بِنَصْلِ سَيْفِك عُنْوةً      مِنْهُ الذى أَعيا على الخُلفَاءِ

أَخْليتَ منه « البَذَّ » وهى قَرارُهُ      ونَصبْتَهُ عَلماً بـ « سامَرّاءِ »

لَم يُبْقِ مِنْهُ خوفُ بَأْسِك مَطْعمًا      لِلطَّيرِ فى عَوْدٍ ولا إبْداءِ

فتَرَاهُ مُطَّرِدًا على أعوادِهِ      مثلَ اطِّرادِ كَواكِبِ الجَوْزَاءِ

مُسْتَشْرِقًا للشَّمْسِ مُمْتَدًّاً لها      فى أُخْرَياتِ الجِذْعِ كالحِرْبَاءِ[٣]

قَوْلَهَ : « بسامَرّاء » من لُحونهِ القَبيحَةِ ، وإنما ذهب إلى أَنْ جَعلَها اسمًا واحِدًا كما تَلْفُظ بهِ العَامَّةُ ، وإنما هِىَ[٤] : « سُرَّ مَنْ رأى » .

وقَوْلَهُ : « مُطَّرِدًا على أعوادِهِ » أى : يَلُوحُ ، لأَنَّ الشَّمْسَ صَيَّرتْهُ كما تُرَى الكَواكِبُ ، كأَنَّها تَتَحرَّكُ . تَطَّرِدُ أى : يَطْرُدُ ضَوءُها بَعْضُهُ[٥] بَعْضًا ، كأَنَّ الضَّوءَ يَتَدَافَعُ ، وخَصَّ كواكِبَ الجَوْزَاءِ لأَنَّها كَهَيئَةِ الإنسانِ المَصْلُوبِ .

---

(١) سبق هذا فى ١ : ٨٢ وانظر تخريجه هناك .

(٢) ديوانه ١٠ : ٩ .

(٣) فى الأصل « متشرقا » تحريف ، والتصحيح من ديوانه .

(٤) قال ياقوت : فيها لغات : سامراء ، ممدود ، سامرا مقصور وسر من راء مهموز الآخر وسرّ من رأى مقصور الآخر « معجم البلدان » .

و « البذ » كورة بين أذربيجان وأرّان بها كان مخرج بابك الخرمى ، « معجم البلدان » .

(٥) فى الأصل : « بَعضُها » .

وقَولُه : « فى أُخْرَيَاتِ الجذْعِ كالحِرْباءِ » مازِلْتَ أَسمَعُ الشُّيوخَ من أهْلِ العلمِ بالشِّعْرِ يقولونَ إنّه ماشُبِّهَ المَصْلوبُ بأصحَّ من هَذا التَّشْبيهِ ولا أَقربَ ولا أَحْسنَ لَفْظًا ولا أَشْبَه بكلامِ العَرَبِ .

وأمّا ما تَقدَّم من قولِ أبى تمّامٍ فإنَّهُ حِكْمَةٌ مُتْقَنةٌ وفَلْسفَةٌ تَفُوق كُلَّ فَلْسَفةٍ وتَتَقدَّم معَانى النَّاسِ فى الرِقَّةِ واللَّطافَةِ .

وقال البُحترىّ فى قومٍ أُخِذُوا ومَعَهم صَليبٌ لَهُمْ فَصُلِبُوا (١) :

وما صَليبُ [ابنِ] آشوطٍ بأَمْنَع مِنْ ... صَليبِ « بُرجان » إذ خَلَّوْهُ وانْجَفَلُوا (٢)
أَمْسىٰ يَردُّ حَريقَ الشَّمْسِ جَانِبُهُ ... عن « بَابَكٍ » وهْوَ فى الباقينَ يَشْتَعِلُ (٣)
كأَنَّهُمْ رَكِبُوا فى الحَرْبِ وهو لَهُم ... بَنْدٌ ، فمالُفَّ مُذْ أُوفِىٰ ولا نَزَلُوا (٤)
تَفاوَتُوا بَيْنَ مَرْفُوعٍ ومُنْخَفِضٍ ... عَلى مَراتِبَ مَاقالُوا ومافَعَلُوا
رَدَّ الهَجِيرُ لِحاهُمْ بعد شُعْلَتِها ... سُودًا ، فعَادُوا شَبَابًا بعدما اكْتَهَلُوا

وهذا مرعًى ولا كالسَّعْدانِ (٥) .

وقالَ (٦) :

قَوْمٌ تَرى أَرْماحَهُمْ يومَ الوَغىٰ ... مَشْغوفَةً بِمواطِنِ الكِتْمـــانِ (٧)

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٥٨ .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقطة من الأصل ، والتصحيح من ديوانه ، وبرجان : موضع من بلاد الخزر « معجم البلدان » ، أو جنس من الروم .
(٣) ديوانه : « وهى فى الباقين » .
(٤) البند : العلم الكبير .
(٥) السَّعْدانَ : نبت ذو شوك كأنه فلكة يستلقى فتنظر إلى شوكه كالِحًا إذا يبس ، ومنبته سهول الأرض وهو من أنجع المراعى ، والعرب تقول : أطيب الإبل لبنا ما أكل السعدان والحُرْبُثَ ولهذا قيل فى المثل : مرعىَ ولا كالسَّعْدانِ .
(٦) ديوانه ٤ : ٢٣٦٥ .
(٧) فى الأصل : « أرواحهم » والتصحيح مما سبق ومن ديوانه ، وقد سبق فى ١ : ٣١٦ .

يَتسرْبَلُونَ أَسِنَّةً وصَفائِحاً والمَوْتُ بين صَفيحَةٍ وسِنَانِ
/ قَوْمٌ إذا شَهِدوا الكَرِيهَةَ صَيَّرُوا كُمَمَ الرِّماحِ جَماجِمَ الأَقْرانِ[(١)] ١١٢

فهذا مَأْخُوذٌ من قَولِ مُسْلِمٍ[(٢)]:

يُغْشِي السُّيوفَ نُفوسَ النَّاكِثِينَ بِه ويَجْعلُ الهَامَ تيجانَ القَنا الذُّبُلِ

وأَخذَه أبو تَمَّامٍ فأساءَ الأَخْذَ وقبَّح لَفظاً ومعنىً ، وسَلكَ وَجْهاً آخَرَ فقَالَ[(٣)]:

بَدَّلْتَ أَرْؤُسَهم يومَ الكَرِيهَةِ مِنْ قَنا الظُّهورِ قَنا الخَطِّيِّ مُدَّعما

وإنما أَلَمَّ مُسلِمٌ بن الوليدِ بِقَوْلِ جَرِيرٍ[(٤)]:

كَأَنَّ رُؤُوسَ القَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنا غَداةَ الوَغَى تِيجَانُ كِسْرى وقَيْصَرا

وقال آخر[(٥)]:

سَخِطَتْ جماجِمُهم على أَجْسادِهم فتبَدَّلَتْ مِنْهـا صُدورُ رِمَـاحِ[(٦)]
ماوَاجَهتْكَ عُقابُ حَرْبٍ مَرَّةً إلّا كَسَرْتَ جنَاحَها بِجَناحِ

* * *

---

(١) سبق فى ١ : ٣١٩ .
(٢) ديوانه : ص ١١ وفيه « يكسو » ، وقد سبق هذا البيت برواية الديوان فى ١ : ٨١ ، ٣١٩ .
(٣) ديوانه ٣ : ٤٣٥ والتبريزى ٣ : ١٧١ ، وقد سبق فى ١ : ٨١ ، وانظر تعليق صاحب الوساطة فى الهامش .
(٤) لم أجدهُ فى ديوانه ، وهو فى الوساطة ٢٢٩ ، ومحاضرات الأدباء ٣ : ١٦٠ ، وشرح العكبرى ١ : ١١٩ ، وعجزه فى ديوان المعانى ٢ : ٧١ .
(٥) هو المُعَلَّى بن طارق الطائىّ ، والبيتان فى الوحشيات من أربعة أبيات والبيتان الآخران :
مَشَتِ الهُوَيْنَى فى العَدُوِّ رماحنا حتى عَرَفْنَ مَسالِكَ الأَرْواحِ
تَشْفَى بِضَحْكَتِهِ البدورُ فإن غَدا غَضْبانَ أَضْحَكَ ذَابِلَ الأَرْمَاحِ
« الوحشيات ص ١١٧ » .
(٦) فى الوحشيات : « فَتَحشَّدَتْ غصًّا » .

## ذكر الحرب في البحر

قال البحتريّ فى أحمد بن دينار فى الحرب التى تولّاها فى البحر[1] :

ولما تَوَلَّى البَحْرَ والجُودُ صِنْوُهُ ... غدَا البَحْرُ من أَخْلاقِهِ بينَ أَبْحُرِ
أضافَ إلى التَّدبير فَضْلَ شَجاعَةٍ ... ولَاعَزْمَ إلّا للشُّجاعِ المُدبِّرِ
إذا شَجَرُوهُ بالرِّماحِ تَكسَّرَتْ ... عَوامِلُها فى صَدْرِ لَيثٍ غَضَنْفَرِ
غَدَوْتَ على « المَيْمُونِ » صُبْحًا وإنَّما ... غدَا المركبُ المَيمونُ تَحْتَ المُظَفَّرِ
أطلَّ بِعِطْفَيْهِ ومَرَّ كَأَنَّمَا ... تَشَوَّفَ من هَادِى حِصَانٍ مُشَهَّرِ
إذا زَمْجَر النُوتِيُّ فَوْقَ عَلاتِهِ ... رَأَيْتَ خَطيبًا فى ذُؤابَةِ مِنْبَرِ
يَغُضُّونَ دون الاشْتِيامِ عُيونَهم ... وُقُوفَ السِّماطِ لِلْعَظِيمِ المُؤَمَّرِ[2]
إذا عَصَفَتْ فيه الجَنوبُ اعْتَلَىٰ لَهَا ... جَناحَا عُقابٍ فى السَّماءِ مُحَجَّرِ[3]

---

(١) أحمد بن دينار قائد من قواد الموفق فى حربه مع صاحب الزنج ، ومن الذين تطوعوا لقتاله ، كان عاملا على إيذاج ونواحيها من كور الأهواز ، وصار إلى الموفق فى جمع كثير من الفرسان والرجالة ، فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قتل صاحب الزنج وذلك سنة ٢٧٠ هـ ، أما معركته البحرية فقد كانت فى أول خلافة المتوكل ، والأبيات فى ديوانه ٢ : ٩٨٢ .

(٢) الاشتيام : رئيس المركب : كلمة نبطية ، وفى ديوانه : « وفوق » ، والسماط : الصف من القوم ويقال : قام القوم حوله سماطين ، وكل صف من الرجال سماط .

(٣) ديوانه : « مهجّر » .

إذا مَا انْكَفَى فى هَبْوَةِ النَّارِ خِلْتَهُ ... تَلَفَّعَ فى أَثْنَـاءِ بُرْدٍ مُحَبَّـرِ [1]
وحَوْلَكَ رَكَّابُونِ لِلْهَوْلِ عَاقَرُوا ... كُؤُوسَ الرَّدَى من دَارِعِينَ وحُسَّرِ [2]
تَمِيلُ المَنايا حيثُ مَالَت أَكُفُّهُمْ ... إذا أُصْلِتُوا حَدَّ الحديدِ المُذَكَّرِ
إذا رَشَقُوا بالنَّارِ لَم يَكُ رَشْقُهم ... لِيُقْلِعَ إلّا عن شِواءٍ مُقَتَّرِ
صَدَمْتَ بهم صُهْبَ العثانينِ دونَهم ... ضِرابٌ كَإيقادِ اللُّظَى المُتَسعِّرِ
يَسوقُونَ أُسْطولًا كأَنَّ سَفِينَهُ ... سَحائِبُ صَيْفٍ من جَهامٍ ومُمْطِرِ
كأَنَّ ضَجِيجَ البَحْرِ بَين رِماحِهم ... إذا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيعُ عَوْدٍ مُزَمْجِرِ [3]
يُقارِبُ من زَحْفَيهِمُ فكأَنَّما ... يُؤَلَّفُ من أَعْناقِ وحشٍ مُنَفَّرِ
فمَا رِمْتَ حتى أَجْلَتِ الحَرْبُ عن طُلًى ... مُقَطَّعَـةٍ فيهِـمْ وَهَـامٍ مُطَيَّـرِ [4]
على حينَ لانَقْعٌ تُطَوِّحُهُ الصَّبا ... ولا أَرْضَ تُلْفَى للصَّرِيعِ المُقَطَّرِ
وكُنْتَ ابنَ كِسْرى قبلَ ذاك وبَعْدَهُ ... مَلِيًّا بأَنْ تُوهِي صَفاةَ ابنِ قَيْصَرِ
جَدَحْتَ له المَوْتَ الذُّعافَ فعَافَهُ ... وطارَ على ألواحِ شَطْبٍ مُشَمَّـرِ [5]
مَضَى وهو مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُر فَضْلَها ... عَلَيْهِ ، ومن يُولَ الصَنيعَةَ يَشْكُرِ

وهذا من إحسانِ أبى عُبادَةَ المَشْهورِ الذى يَفُوقُ كُلَّ إحْسانٍ .

وليس لأبى تَمَّامٍ فى حَرْبِ البَحْرِ شَىءٌ .

* * *

---

(١) ديوانه : « هَبْوة الماء » .
(٢) الدارعون : لابسوا الدروع ، والحسّر : ضد الدراعين .
(٣) العَوْدُ : المسن من الابل وفى ديوانه « مجرجر » .
(٤) الطُّلى : صفحات الأعناق .
(٥) ديوانه : « مسمّر » بالسين المهملة ، الجدح : خلط الدقيق الناعم بالماء ، الشطب : الأخضر من جريد النخل .

## ما قالاه في حرب ذوي الأرحام والحضّ على صلحهم والصفح عنهم

قال أبو تَمَّام في مالَكِ بن طَوْقٍ[1] :

لو أنَّ دَهْرًا ردَّ رَجْعَ جوابِ[2]

ياماِلكَ ابنَ المَالِكينَ ولَمْ تَزلْ تُدعىٰ ليَوْمَىْ نائلٍ وعِقَابِ
لم تَرْمِ ذَا رَحْمٍ بِبَائِقَةٍ ولَا كَلَّفْتَ قَوْمكَ من وراءِ حِجَابِ[3]
لِلْجودِ بَابٌ فى الأنامِ ولم تَزلْ كَفَّاكَ مِفْتَاحًا لِذَاكَ البَابِ[4]
ورَأَيتَ قَوَمَك والإساءَةَ مِنْهُمُ جَرحىٰ بِظُفْرٍ للزَّمانِ ونَابِ
همَ صيَّرُوا تِلْكَ البُروقَ صَواعِقًا فِيهِمْ وذَاكَ العَفْوَ سَوْطَ عَذابِ
وَأَقِلْ أُسَامَةَ جُرْمَها واصْفَحْ لَها عَنْهُ وهَبْ مَاكانَ لِلوَهَّابِ[5]
رَفَدُوكَ فى يَوْمِ الكُلابِ وشَقَّقُوا فِيهِ المَزَادَ بجَحْفَلٍ غَلَّابِ[6]

---

(١) ديوانه ١ : ٢٠٨ والتبريزى ١ : ٧٥ .
(٢) عجزه : « أو كف من شأويه طول عتاب » .
(٣) ديوانه والتبريزى : « كلمت » .
(٤) التبريزى : « يمناك » .
(٥) أسامة : حى من تغلب .
(٦) يوم الكُلاب : كان بين الملكين شرحبيل بن الحارث وأخيه مسلمة بن الحارث . شَقَّقُوا فيه المزاد : أى أراقوا ما كان معهم من الماء ، وقالوا لانشرب إلا من الكُلاب .

وهُمْ بِعَيْنِ أُبَاغَ رَاشُوا لِلوَغى ... سَهْمَيْكَ عِند الحَارِثِ الحَرَّابِ(١)
ولَيالِى الثَّرْثَارِ والحَشَّاكِ قَدْ ... جَلَبُوا الجِيادَ لواحِقَ الأَقْرابِ(٢)
فَمضَتْ كُهُولُهُمْ ودَبَّرَ أَمْرَهُمْ ... أَحْداثُهُم تَدْبِيرَ غَيْرَ صَوابِ
لا رِقَّةُ الحضَرِ اللطيفِ غَذَتْهُمُ ... وتَباعَدُوا عن فِطْنَةِ الأَعْرابِ
/ وإذا كَشَفْتَهُمْ وَجَدتَ لَديهِمُ ... كَرَمَ النُّفوسِ وقِلَّةَ الآدَابِ ١١٣
أَسْبِلْ عَلِيهِمْ سِتْرَ عَفْوِكَ مُفْضِلًا ... وَانْفَحْ لَهُم من نائِلٍ بِذِنَابِ
لكَ فى رَسولِ اللهِ أَعْظَمُ أُسوَةٍ ... وأَجلُّها فى سُنَّةٍ وكِتَابِ
أَعطى المُؤَلَّفَةَ القُلوبِ رِضَاهُمُ ... كَمَلًا وردَّ أخايِذَ الأَحزَابِ(٣)
والجَعْفَرِيُّونَ اسْتَقَلَّتْ ظُعْنُهُمْ ... عن قَوْمِهِمْ وَهُمُ نُجُومُ كِلابِ(٤)
حَتَّى إذا أَخذَ الفِراقُ بِقسطِهِ ... مِنْهُمْ وشَطَّ بِهِمْ عن الأَحْبَابِ
ورَأَوْا بِلادَ اللهِ قد لَفَظَتْهُمُ ... أَكنافُها رَجَعُوا إلى جَوَّابِ(٥)
فَأَتَوْا كريمَ الخِيمِ مِثْلَكَ صافِحاً ... عن ذِكْرِ أَحْقَادٍ مَضَتْ وضِبَابِ(٦)
ليسَ الغَبِىُّ بِسَيِّدٍ فى قَوْمِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِه المُتغَابِى
فاضْمُمْ قَواصِيَهُمْ إِلَيْكَ فإِنَّهُ ... لَايزْخَرُ الوَادِى بِغَيْرِ شِعَابِ(٧)
والسَّهْمُ بالرِيشِ اللُّؤَامِ ولَنْ تَرَى ... بَيْتًا بلا عَمَدٍ ولا أَطْنابِ

---

(١) عين أباغ : موضع معروف كانت فيه وقائع فى العصور الجاهلية الأولى . الحارثَ الحَرَّابِ : من ملوك العَرَبِ ، راشوا سهميك : أى أعانوك .

(٢) الثَّرثار والحَشَّاك : موضعان كانت بهما وقعتان لبنى تغلب مع قيس عيلان ، لواحق الأقراب : الجيادُ الضَامرة .

(٣) الأخايذُ : السبَايا .

(٤) الجَعفريون : بنو جعفر بن كلاب .

(٥) هو جواب الكلابى نابذه الجعفريون من بنى قومه فلما لم يقدروا عليه وعلموا خطأهم رجعوا .

(٦) الخِيم : الأصل والنَّجْر ، ضِباب : جمع ضِبّ وهو الحِقْدُ .

(٧) التبريزى : « أقاصيهم » ديوانه : « بغير عباب » .

وهذه من قَصائدِ أبى تمَّامٍ التى يَرْضاها أضْدَادُهُ لِتَرْكِه التَّصنُّعَ فيها بِطَلَبِ الطِّباقِ والتَّجْنِيسِ والاستعاراتِ إلَّا أَبياتًا يسيرَةً فى نَسيبِها .

وقال أبو تَمَّامٍ فى مَالكِ بن طَوْقٍ[1] :

مَهْلًا بَنِى عَمْرِو بنِ غَنْمٍ إنَّكُمْ هَدَفُ الأَسِنَّةِ والقَنا يَتحطَّمُ
وسَتَذْكُرونَ غَدًا صنائِعَ مَالِكٍ إنْ جَلَّ خَطْبٌ أو تُدوفِعَ مَغْرَمُ
إن تَذْهَبُوا عن مالِكٍ أو تَجْهَلُوا نُعْماهُ فالرَّحِمُ الضعيفَةُ تَعْلَمُ
هِيَ تِلْكَ مُشْكاةٌ بِكُمْ لو تَشْتَكِى مَظْلُومَةٌ لَوْ أنَّهـا تَتَظَلَّـمُ
كَانَتْ لَكُمْ أخلاقُهُ مَعْسُولَةً فَتَركْتُموهُ وَهْىَ مِلْحٌ عَلْقَمُ
فَقَسا لِتَزْدَجِرُوا ومن يَكُ حَازِماً فَلْيَقسُ أَحْيانًا على مَنْ يَرْحَمُ[2]
أَعْزِزْ عَلَيْهِ إذا ابْتَأَسْتُمْ بَعْدَهُ وتُذُكِّرَتْ بالأَمْسِ تِلْكَ الأَنْعُمُ
وَوَجْدتُمُ قَيْظَ الأَذَى ورَمَيْتُمُ بعيونِكُمْ أيْنَ الرَّبيعُ المُرْهِمُ
وَندمْتُمُ ولَوْ اسْتطَاعَ علَى جَوَى أَحْشائِكُمْ لَوقاكُمُ أنْ تَنْدَمُوا

قَوْلُهُ : « هى مُشْكاةٌ بِكُمْ » أى : مُشْكاةٌ مِنكُمْ يُقالَ : أَشْكَيْتُهُ إذا شكا إلَيْك فَزِدْتَهُ مِمَّا كانَ شَكاهُ ، وأَشْكَيْتُهُ : إذا نَزَعْتَ عَمَّا شَكاهُ ، وهِيَ من الأَضْدادِ وهى هَاهُنا : لو أَنَّها تَشْتَكِى لِزَدْتُمُوهَا .

وقَوْلُهُ : « لَوَقَاكُمُ أَنْ تَنْدَمُوا » كأنَّه لَفظٌ مَوضُوعٌ فى غَيرِ مَوْضِعِهِ ، لأَنَّ ندَمَهم إنَّما هو عُقوقُهم لَهَ ، والنَّدمُ إنَّما هو رُجوعٌ واسْتِبْصارٌ ، فكَيْفَ يَقِيهم من رُجوعِهم واسْتِبْصارِهم ، فإن قِيلَ : إنَّما أَرادَ : يقيهِم الأَمْرَ الذى نَدِمُوا عليه لا أَنْ

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٥٨ والتبريزى ٣ : ١٩٨ .

(٢) التبريزى « أحيانا وحينا يرحم » .

يَقيَهُم النَّدمَ ، قيلَ فالذِى نَدِمُوا عليهِ هو العُقوقُ ، فكَيْفَ يَقيهِمُ العقُوقَ . وَوَجْهُ هذَا عِندى أنَّهَ أرَادَ : لَوقَاكُمْ غَمَّ النَّدَم وَلَوْعَته ، وقَدْ يكونُ أرَادَ : لَوقَاكُمْ الأمْرَ الذى تُدْفَعونَ إلَيْه فيكونُ سببَ نَدَمِكُمْ ، فوضَعَ النَّدمَ مَوْضِعَ سَببِ النَّدمِ .

وقالَ أيْضًا فى مَالِك بنِ طَوْقٍ (١) :

سَلِّمْ على الرَّبْعِ من سَلْمى بذِى سَلَمِ (٢)

مَهْلًا بَنِى مَالِكٍ لاتَجْلُبُنَّ إلىٰ ... حَيّ الأَرَاقِمِ دُؤْلُولَ ابْنَةَ الرَّقِمِ (٣)
فأىَّ حِقْدٍ أثَرْتُمْ من مَكامِنِهِ ... وأىَّ عَوْصَاءَ جَشَّمْتُمْ بَنِى جُشَمِ
لم يَأْلُكُمْ مَالِكٌ صَفْحًا ومَغْفِرَةً ... لو كانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الحىِّ فى فَحَمِ
لا بالْمُعاوِدِ وَلْغًا فى دِمائِكُمُ ... ولا إلى لَحْمِ خَلْقٍ مِنْكُمُ قَرِمِ
أخْرَجْتُموهُ بِكُرْهٍ من سَجِيَّتِهِ ... والنَّارُ قَدْ تُنْتَضىٰ من نَاضِرِ السَّلَمِ
أوْطَأْتُمُوهُ على جَمْرِ العُقوقِ وَلَوْ ... لم يُحْرَجِ اللَّيْثُ لم يَخْرُجْ مِن الأَجَمِ (٤)
قَدِ انْثَنَى والمَنَايَا فى أُسِنَّتِه ... وقد أَقامَ حَيارَاكُم على اللَّقَمِ (٥)
جَذْلَانَ من ظَفَرٍ حرَّانَ إن رَجَعَتْ ... أَظْفَـارُهُ مِنْكُـمُ مَخْضُوبَـــةً بِدَمِ (٦)
دِينٌ يُكَفْكِفُ مِنْهُ كُلَّ بَائِقَةٍ ... ورَحْمَةٌ رَفْرَفَتْ مِنْهُ على الرَّحِمِ (٧)

« الدُّؤْلُولُ » : الأَمْرُ الشَّدِيدُ العَظِيمُ ، أرادَ بِهِ أبو تمَّامٍ الدَّاهِيَةَ ، و « العَوْصاءُ » : الأَمْرُ المُعْتَاصُ الشَّدِيدُ ، و « السَّلَمُ » : شَجَرٌ شَدِيدُ الصَّلابَةِ

(١) ديوانه ٢ : ٣٤٦ والتبريزى ٣ : ١٨٤ .
(٢) عجزه : « عليه وسم من الأيام والقدم » .
(٣) الدؤلول والرقم : من أسماء الداهية .
(٤) التبريزى « لم يبرح من » .
(٥) حيارى : جمع حيران ، واللَّقَمُ : الطريق الواضح « التبريزى » وفيه « بالمنايا » .
(٦) ديوانه والتبريزى : « مخضوبةً منكم أظفاره بدم » .
(٧) فى الأصل : « يكفكف منكم » ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى ، وستأتى فى تعليقه على الأبيات .

لايَكادُ تُقْدَحُ مِنه النَّارُ ، و « اللَّقَمُ » : جادة الطّريق ، وإنّما أرادَ أقَامَهم على الهُدىٰ وأرَاهُم إيَّاهُ .

وقوله : « دِينٌ يُكَفْكِفُ مِنْهُ كُلَّ بائِقَةٍ » يُقال : كَفْكَفْتُ الشَّىءَ عن

١١٤ الشَّىءِ ، إذا رَدَدْتُه عَنْهُ ، مِثْلُ « كَفَفْتُهُ » . ويكونُ : « يُكَفْكِفُ عَنْهُ [1] كُلَّ بَائِقَةٍ » / – يَدْفَعُ ، أى : تَقِفُ وتُحْجِمُ – مثلَ قوله [2] :

إذا دَرَجَتْ فيه الصَّبا كَفْكَفَتْ لَها ... وقَام يُبَارِيها أبو الفَضْلِ جعْفَرُ

وليس فى هذهِ القَصيدَةِ بَيْتٌ جيِّدٌ عليه طَلاوةٌ إلّا قَوْلُهُ :

أَخْرَجْتُمُوه بِكُرْهٍ مِنَ سجِيَّتِهِ ... والنَّارُ قَدْ تُنْتَضىٰ من نَاضِرِ السَّلَمِ

فإنّهُ من مَشْهورِ إحْسانِه ونَادِرِ مَعانِيه ، والبَيْتُ الذى بَعدَهُ أيضاً جَيدٌ بَالغٌ .

وما أحسَن ماقالَ شمَّاسُ بنُ أَسودَ الطُّهَوِىُّ [3] :

فإلّا تَصِلْ رِحْمَ ابنِ عمرِو بنِ مَرْثِدٍ ... يُعلِّمْكَ وَصْلَ الرِّحْمِ عَضْبٌ مُجرِّبُ

وقال حُمَيْدُ بن أبى شِحَاذٍ الضَبِّىُّ [4] :

---

(١) الرواية « منه » كما سبق . وقال التبريزى : الكَفْكَفَةُ فى معنى الكَفّ ، وَوزنُ كَفْكَفَ عند سيبويه فَعْلَلَ ، وعند صاحب كتاب العَيَن فعفع ، وعند الفَراءِ فَعْفَلَ .

(٢) ديوانه : ١ : ٥٥٣ والتبريزى ٢ : ٢١٥ والممدوح هو جَعْفَر بن دينار الخياطُ مِن كِبار القُوادِ اشْترك مع الأفشين فى حَرْب بابك كما شارك فى فتح عمورية ، وقد ولاه المعتصم اليمن سنة ٢٢٤ ثم عزله عنها فى السنة التالية ، وأعاده إليها الواثق سنة ٢٣١ .

(٣) البيت من جملة أبيات فى الحماسة بشرح التبريزى ٢ : ٣٦ ، ويقولها لِحَرِّىّ بن ضَمْرةَ بن ضَمْرة ، وكان قد جاوره عمرو بن عمران الأسدى فأخذ قيس بن حسان « وأخواله بنو مجاشع » بَكْرا من إبل عمرو بن عمران ، فأتى عمرُو حَرِّىَّ شاكيًا فغضب حَرّىُّ ، فأتى قيسًا فضَرَبه ، وأخذَ من إبلِه ثلاثين بَعيرًا ، ودفعها إلى عمرو بن عَمران ، فأخذ قيسٌ أخوالَه بنى مجاشع ، فانطلقوا إلى بنى نهشل يطلُبونَ رد الإبل أو أن يخلعوا حَرِّىَّ بن ضمرة ، فخلعوه ، وأخذه بنو مجاشع فضَرَبُوه ، وأخذوا منه أكثر مما أخذ .

(٤) حميد بن أبى شِحَاذٍ الضبى قال المرزبانى : هو إسلامى واسمه محمد « معجم الشعراء ص ٣٤٤ ، وانظر « حماسة أبى تمّام للمرزوقى ص ١١٩٩ ، ١٢٠٢ » ، وفى التاج « شَحِذَ » : « عمر بن أبى شحاذ ، ككتاب شَاعِرٌ ضَبِّىٌ » .

فَقَضْينا قَضاءَنا من بَنى عَبْـ سٍ وقد يَقْتُلُ الشقيقَ الشَّقِيقُ
هُمْ بَنُو أُمِّنا فَجَرَّبَنَا الدَّهْـ ـرُ ففى أُهْبِ بَيْنِنا تَمْزِيقُ

وقال القُطاميُّ[1]:

لَمْ تَرَ قَوْمًا هُمُ شَرٌّ لإخوَتِهِمْ مِنَّا عَشِيَّةَ يَجرِى بالدَّمِ الوَادِى
نُفْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٌ نَقُدُّ بِهَا ما كانَ خَاطَ عليهِمْ كُلُّ زَرَّادِ

وَحسْبُكَ بِهَذا جَوْدَةً .

ولله دَرُّ أبى عُبادةَ إذ يقولُ لِبَنَى الحَارِثِ بنِ كَعب فى قصيدةٍ يَمْدَحُ بِهَا علىَّ بنَ مُرٍّ[2]:

أَقِيمُوا « بنِى الدَّيَّانِ » من سُفَهائِكُمْ فقد طَال عن قَصْدِ السَّبِيلِ مُجِيدُها
أما آنَ أن يَنْهَى عن الجَهْلِ والخَنَا قِيـامُ المَنايَـا فِيكُـمُ وقُعودُهـا ؟
قَرابَتُكُـمْ لاتَظْلِمُوهـا فَتبْعَثُـوا عليكُمْ صُدُوراً ماتُموت حُقُودُها
لَها الحَسَبُ الزَّاكى الذى تَعرِفُونَهُ وفيكُمْ[3] طَرِيفاتُ العُلا وَتليدُهـا
فلاتَسأَلُوها عن قَديمِ تُراثِها فَعَسْجدُها مِمَّا أَفَادَ حَدِيدُها
ذَوُو النَّخَلاتِ الخُضْرِ من بَطْنِ «حَائِلٍ» وفى « فَلَجٍ » خُطْبَانُها وَهبيدُها[4]
وأَهلُ « سُفُوحٍ » من شَمائِلَ تَكْتَسِى بِهِمْ أرَجًا حَتَّى يُشَمَّ صَعِيدُها[5]
يَنامُونَ عن أَكْفَائِهِمْ وَلَدَيْهِمُ مِنَ اللهِ نُعْمَى مايَنامُ حَسودُها[6]

---

(١) ديوانه ص ١١ .
(٢) ديوانه ٢ : ٦٥٠ وفيه « وقال يَمْدَحُ مُرَّ بن عَلىّ الطائى » .
(٣) ديوانه : « وفيهم » .
(٤) « حائل » واد فى جبل طىء، « فلج » : مدينة باليمامة . « الخطبان » : الحنظل، و « الهبيد » : حب الحنظل، وفى ديوانه : « فى بطن » .
(٥) « سفوح » : مدينة عرض اليمامة وما حولها « معجم البلدان » .
(٦) ديوانه : « وعليهم » .

مَقَامَاتُهم أركانُ « رَضْوىٰ » و « يَذْبُلٍ » ... وأَيْدِيهُـم بأسُ اللَّيالِـى وجُودُهـا [١]

« أبا خَالِدٍ » ماجَاوَر اللهُ نِعْمَةً ... بِمِثْـلِك إلّا كانَ حَتْمًا خُلودُهـا [٢]

وَجدنَا خِلالَ الخَيْرِ عِندَك كُلَّها ... ولو طُلِبَتْ فى الغَيْثِ عَزَّ وجُودُها

فقد جَزِعَتْ « جَلْدٌ » ولَوْلَاكَ لَمْ يَكُنْ ... لِيجزَعَ من صَرْفِ الزَّمانِ جَليدُهـا [٣]

فأَوْلِهِمُ نُعمىٰ ، فكلُّ صَنيعَةٍ ... رأيْناكَ تُبديها فأنْتَ تُعيدُها

قَرابَتَكَ الأَدنَيْنَ من حِيثُ تَنْتَمِى ... وجِيرَتَك الدَّانِى إلَيْكَ بَعيدُهـا [٤]

أَتَهْدِمُ جُرْفَيْهَا وطَوْدُكُ طَوْدُها ... وتَنْحِتُ فَرْعَيْها وعُودُك عودُها

وتَنْهَضُ بالأَبْطالِ تُفْنِى عدَيدَها ... وسُؤْلُكَ فى أنَّ التُّرابَ عَديدُها [٥]

إلَيْكَ وُقودُ النَّارِ عند ابْتدائِها ... ولَيْسَ إذا تَمَّتْ إليكَ خُمودُها

فَأَقْصِرْ فَفِى الإقْصَارِ بُقْيا فإنَّها ... مَكارِمُ حَيَّىْ « يَعْرِبٍ » تَستفيدُها

ودُونَك فاخْتَرْ فى قبائِلِ « مَذْحِجٍ » ... أَتَقْهَرُها عن أَمْرِها أم تَسودُهـا

قَوْلُهُ : « وأهلُ سُفُوحٍ » فسُفُوحٌ : مَوضِعٌ ، « من شَمائِلٍ » ، أى : وفى أَهْلِ سُفوحٍ شَمائلٌ أى : أَخْلاقٌ ، و « مِنْ » زائِدة . « تكتسى أَرَجاً » أى : تَكْتَسى سُفوحٌ بأَهْلِها أَرَجاً ، « حتّى يُشَمَّ صَعِيدُها » أى : تُرابُها ، وهذا هو اللَّفْظُ الجَزْلُ والمَعْنىٰ الفَحْلُ والنَّظْمُ الرَّصِينُ والطَّبْعُ السَّلِسُ والمَذْهَبُ العَجَبُ .

ومِثْلُهُ فى الجَوْدَةِ والرَّصانَةِ والحَلاوةِ قَوْلُهُ [٦] فى القصيدَةِ التى يَمْدَحُ فيها المُتَوكِّلَ ويَذْكُر حَرْبَ تَغْلِبَ وإصلاحَ الفَتْحِ بَيْنَهُمْ :

---

(١) رضوى ويذبل : جبلان .

(٢) ديوانه : « جمّا » .

(٣) « جلد » : عشيرة جلد بن مالك بن أُدُد بن زيد بن كهلان « جمهرة الأنساب ص ٤١٢ » .

(٤) ديوانه : « قرابتُكَ الأدنَوْنَ » .

(٥) ديوانه : « فى الأبطال » .

(٦) ديوانه ٢ : ١٢٩٨ .

أَسِيْتُ لأخْوالِى « ربِيعَة » إذْ عَفَتْ مَصايِفُها فِيها ، وأقْوَتْ رُبوعُها
بِكُرْهِىَ أَنْ بَاتَتْ خَلاءً دِيارُها وَوْحشًا مَغانِيها وشَتَّى جَميعُها
وأَمْسَتْ تُسَاقِى المَوْتَ من بَعْدِما غَدَتْ شَرُوبًا تُسَاقِى الرَّاحَ رِفْهًا شُرُوعُها

« الرِّفْهُ » : أن تَرِدَ الإبلُ الماءَ كُلَّ يومٍ .

إذا افْترقُوا عن وَقْعةٍ جَمعَتْهُمُ لأُخرىٰ دِماءٌ مايُطَلُّ نَجيعُها [(١)]
تَذُمُّ الفَتاةُ الرُّوُدُ شيمةَ بَعْلِها إذا باتَ دُونَ الثَّأْرِ وهو ضَجِيعُها
حَمِيَّةُ شَغْبٍ جَاهِلِيٍّ وعِزَّةٍ كُلَيْبِيَّةٍ أعيا الرِّجالَ خُضُوعُها
١١٥ / وفُرْسانُ هَيْجاءٍ تجَيشُ صدورُها بأحقادِها حتَّى تَضيقَ دروُعُهَا
تُقَتِّلُ من وِتْرٍ أعزَّ نُفوسِها عَلَيْها بأَيْدٍ ماتَكادُ تُطِيعُها
إذا احْتَرَبَتْ يومًا فَفاضَتْ دِماؤُها تَذَكَّرَتِ القُرْبىٰ فَفَاضَتْ دُموعُها
شَواجِرُ أَرْماحٍ تَقطَّعُ بَيْنَها شواجِرُ أَرْحامٍ مَلُومٌ قَطُوعُها [(٢)]
ولولا أَميرُ المؤمنينَ وطَوْلُهُ لعادَتْ جُنوبٌ والدِّماءُ دُروعُها [(٣)]
ولاصْطُلِمَتْ جُرثُومَةٌ تَغْلِبِيَّةٌ بِهِ اسْتُبْقِيَتْ أَغْصانُها وفُروعُها [(٤)]
رَفَعْتَ بِضَبْعَىْ « تَغْلبَ ابنَةِ وَائِلٍ » وقد يَئِسَتْ أَنْ يَسْتَقِلَّ صرِيعُها
وكُنتَ أمينَ اللهِ مَولىٰ حياتِها ومَولاكَ « فَتْحٌ » يومَذاك شَفِيعُها [(٥)]
فأَلَّفَهُمْ من بَعدِ ما شَرَّدَتْهُمُ حَفائِظُ أخلاقٍ بَطىءٍ رُجوعُها [(٦)]

---

(١) فى الأصل : « رقعة » يطلّ : يهدر .
(٢) ديوانه : « تقطع بينهم شواجر أرحام » .
(٣) ديوانه : « لعادت جيوبٌ والدِّماءُ رُدوعُها » .
(٤) فى الأصل : « اصطلمت » بالبناء للمعلوم ، والتصحيح من ديوانه ، وفى ديوانه : « بها استبقيت » .
(٥) « الفتح » : الفتح بن خاقان .
(٦) ديوانه : « شرّدت بهم » .

وأَبْصَر غَاوِيها المَحجَّةَ فاهْتَدىٰ ... وأَقْصرَ غَالِيها ودَانىٰ شَسُوعُها
وأَمضىٰ قَضاءً بَيْنَها فتحاجَزَتْ ... ومَخْفُوضُهـا رَاضٍ به ورَفِيعُهـا (١)
فَقَدْ رُكِزَتْ سُمْرُ الرِماحِ وأُغْمِدَتْ ... رِقَاقُ الظُّبا : مَجْفُوُّهَا وَصنِيعُهـا (٢)
أَتَتْكَ وقد ثَابَتْ إليها حُلومُها ... وباعَدَها عمَّا كَرِهْتَ نُزوُعها
فَقَرَّتْ قلوبٌ كان جمًّا وجيبُها ... ونامَتْ عُيونٌ كان نَزْرًا هُجوعُها
تُعِيدُ وتُبْدِى من ثَناءٍ كَأَنَّهُ ... سبائِبُ رَوْضِ الحَزْنِ جَادَ رَبِيعُها
تَصُدُّ حَياءً أَنْ تَراكَ بأَوْجُهٍ ... أَتىٰ الذَّنْبَ عَاصِيها فَلِيمَ مُطِيعُها
ولا عُذْرَ إلَّا أَنَّ حِلْمَ حليمِها ... يُسَفِّهُهُ فى شَرٍّ جَناهُ خَلِيعُهـا (٣)
بَقِيتَ ، فكم أَبْقَيْتَ بالعَفْو مُحْسِنًا ... على « تَغْلِبٍ » حتّى استَمَرَّ ظَلِيعُها (٤)
ومشفقةٍ تَخْشىٰ حِمَامًا على ابْنِها ... لأَوَّل هَيجاءٍ تَلاقىٰ جُموعُهـا (٥)
رَبَطْتَ بِصُلْحِ القَوْمِ نَافِرَ جَأْشِها ... فَقَرَّ حَشاهَا واطَمـأَنَّتْ ضُلوعهـا (٦)

وقالَ البحترىُّ فى هذه الحربِ بِعَيْنِها ، ويَذْكُرُ ماكان مِنَ « الفَتحِ » فى صُلْحِ بَيْنِهم ، وهىَ من المُنْصِفَاتِ ، وقد بَيَّنَتْ عن فَضْلِ البُحْتُرِىّ وعَربيَّتِهِ وطَريقَتِه التى لَيْسَتْ لِشاعِرٍ مِن المُتَأخرين ، وهى تُبرُّ على كلِّ ماقالُوه فى وَصِفْ حَربٍ ، وهى القَصيدَةُ التى أَوَّلُها (٧) :

ضَمانٌ على عَيْنَيْكِ أَنِّىَ لا أَسْلُو

---

(١) ديوانه : « راض بها » .
(٢) المجفوّ : الغليظ ، الصنيع : الصقيل .
(٣) ديوانه : « تُسَفِّهُهُ » .
(٤) فى الأصل : « حتى تغلب » .
(٥) ديوانه : « تخشى الحمام » .
(٦) ديوانه : « فقرّت » .
(٧) ديوانه ٣ : ١٦١١ وعجز البيت : « وأنَّ فُؤادِى من جَوًى بِكِ لايَخلُو » .

بنى « تَغْلِبٍ » أَعْزِزْ علىَّ بِأَنْ أَرىٰ    دَيارَكُم أَمْسَتْ ولَيْس بِهـا أَهْـلُ (١)
خَلَتْ « بَلَدٌ » من ساكنِيها وأَوْحَشَتْ    مَرابعُ من « سِنْجَارَ » يَهْمِى بِها الوَبْلُ (٢)
وأَزْعَـج أَهْـلَ المَحْلَبِيَّاتِ نَاجِـزٌ    من الحَرْبِ مافيـه خِداعٌ ولا هَزْلُ (٣)
وأَقْوَتْ من القَمقامِ أَعراضُ « مارِدٍ »    فمـا ضُمِّـنَتْ تِلْكَ الأَعِقَّةُ والرَّمْـلُ (٤)
أَفِى كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ من جَميعِكُمْ    تَبِيدُ ودَارٌ من مَجامِعِكُمْ تَخْلُو
مَصارِعُ بَغْيٍ تَابَعَ الظُّلْمُ بَيْنَها    بِسَاعَةِ عِزٍّ كَانَ آخِرَهُ الذُّلُّ
إذا ما الْتَقَوْا يوم الهياجِ تَحاجَزُوا    ولِلْمَوْتِ فيما بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ
غَدَوْا عُصْبَتَىْ وَرْدٍ سَجالُهُما الرَّدَىٰ    فَفِى هَذهِ سَجْلٌ ، وفى هَذِهِ سَجْلُ
إذا كَان قَرْضٌ من دَمٍ عندَ مَعْشَرٍ    فلا خَلَفٌ فى أَنْ يُؤَدَّىٰ ولا مَطْلُ
كَفِىٌّ من الأَحْياءِ لَاقَى كَفِيَّهُ    ومِثْـلٌ من الأَقْرانِ زَاحَفَـهُ مِثْـلُ (٥)
إذا ما أَخٌ جَرَّ الرِّماحَ انْبرَىٰ له    أَخٌ لابَليدٌ فى الطِّعَانِ ولا وَغْلُ
تَحُضُّهُمُ البِيضُ الرِّقاقُ وضُمَّرٌ    عِتَاقٌ ، وأَحسابٌ بها يُدْرَكُ التَّبْلُ (٦)
وما المَوتُ إلّا أنْ تُشاهِدَ ساعَةً    فوارِسَهُـمْ فى مَأْقِطٍ وَهُـمُ رَجْـلُ (٧)
بِطَعْنٍ يَكُبُّ الدَّارِعِينَ دِرَاكُهُ    وضَرْبٍ كَما تَرْغُو المُخَزَّمَةُ البُزْلُ
يُهـالُ الغُـلامُ الغِـرُّ ثُمَّ يَرُدُّهُ    على الهَوْلِ من مَكْرُوهِها الأَشْيَبُ الكَهْلُ (٨)

---

(١) ديوانه : « وليس لها » .
(٢) بلد : مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ .
« سنجار » : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . « معجم البلدان » .
(٣) المحلبيات : المحلبية : بُلَيْدَةٌ بين الموصل وسنجار « معجم البلدان » .
(٤) مارد : بلاد ماردين وسيأتى ، وفى ديوانه : « الأعراص » بالصاد المهملة ، الأعقة : جمع العقيق : الوادى ، القمقام : السيد الكثير الخير ، والماء الكثير .
(٥) ديوانه : « من الأقوام » .
(٦) ديوانه : « تحثهم » ، والتبل : العداوة والحقد .
(٧) ديوانه : « مأزق » ، والمأقط : المضيق فى الحرب .
(٨) ديوانه : « الغلام الغمرُ حتى يرده » .

تَجَافىٰ أميرُ المؤمنِينَ عنِ التى ... عَلِمْتُمْ ، ولِلْجانِينَ فى مِثْلِهَا الثُّكْلُ (١)

وعادَ عَلَيْكُمْ مُنْعِمًا بِفَواضِلٍ ... أَتَتْ وأَميرُ المؤمنِينَ لَها أَهْلُ

وكَانَتْ يَدُ الفتْحِ بنِ خَاقانَ عَندكُمْ ... يَدُ الغَيْثِ عند الأَرْضِ أَجْهَدَها المَحْلُ (٢)

ولَوْلَاهُ طُلَّتْ بالعُقوقِ دِماؤُكُمْ ... فلا قَوَدٌ يُعطىٰ الأذَلَّ ولا عَقْلُ

تلافَيْتَ يا « فَتْحُ » « الأَراقِمَ » بَعدَمَا ... سَقَاهُمْ بأَوْحَىٰ سُمِّهِ الأَرْقَمُ الصِّلُّ (٣)

وَهبَّتْ لَها بالسِّلْمِ باقِى نُفوسِهِم ... وقَدْ شَارَفُوا أنْ يَسْتَتِمَّهُمُ القَتْلُ

أَتَوْكَ وُفُودَ الشُّكْرِ يَثْنُونَ بالذى ... تَقدَّمَ من نُعْمَاكَ عِنْدَهُمُ قَبْلُ

فلَمْ أَرَ يومًا كان أَكْثَرَ سُؤْدَدًا ... من اليَوْمِ ضَمَّتْهُمْ إلى بَابِكَ السُّبْلُ

تَراءَوْكَ من أَقْصىٰ السِّمَاطِ فَقصَّرُوا ... خُطَاهُمْ وقد جَازُوا السُّتُورَ وَهُمْ عُجْلُ (٤)

/ ولمَّا قَضَوْا صَدْرَ السَّلامِ تَهافَتُوا ... على يَدِ بسَّامٍ سَجِيَّتُهُ البَذْلُ (٥)

إذا قَلَّبُوا أَبْصارَهم من مَهابَةٍ ... ومَالُوا بِلَحْظٍ خِلْتَ أَنَّهُمُ قُبْلُ (٦)

قَولُهُ : « وأَقوتْ من القَمقامِ أَعَراضُ مَارِدٍ .......... » « فالقَمْقَامُ » : العدد الكَثِيرُ ، و « الأَعَراضُ » جَمْعُ عُرْضٍ ، وعُرْضُ كُلِّ شَيْءٍ نَاحِيَتهُ ، ويَجوزُ أن يكونَ أرادَ بالأَعْرَاضِ : جَمْعَ عَرْضٍ ، والعَرْضُ : الجَبَلُ ، و « مَارِدٌ » : يريدُ بِلادَ مارِدِين ،

---

(١) ديوانه : « أتيتم » ، فى الأصل : « النُّكْلُ » ولا يصح .

(٢) ديوانه : « حرّقها » .

(٣) الأراقم : حىّ من تغلب من ولد بكر بن حبيب وهم : جشم ، وفيه البيت والعدد ، ومالك ، والحارث ، وعمرو ، وثعلبه ومعاوية . « جمهرة الأنساب ص ٣٠٤ » ، وفى اللسان « رقم » : أن ناظرا نظر إليهم تحت الدِّثار وهم صغار فقال : كأن أعينهم أعينَ الأراقم ، فلجّ عليهم اللقب ، و « الأرقم » : من الحيات الذى فيه سواد وبياض ، وهو من أخْبَثِها وأطْلَبِها للنّاس ، « الصِلُّ » : الحيّةُ التى تقتل إذا نهشت من ساعَتها .

(٤) سبق فى ٢ : ٣٧١ .

(٥) ديوانه : « صدر السّماط » .

(٦) سبق فى ٢ : ٣٧١ ، قُبُلٌ : جمع أقبل ، ضرب من الحول ، وفى ديوانه : « نكسوا » .

ولِمَارِدِين جَبالٌ فيها حُصونٌ[1] . و « الأَعِقَّةُ » : جمع عَقِيق ، فجَمَعَهُ بما أحوالِهِ[2] [ ؟ ] ، وكذلك « الرَّمْلُ » هَاهُنا : مَوْضِعٌ .

وقَوْلُهُ : « فِرْقَةٌ من جَميعِكم ..... » أى : من كِلَا الحِزْبَيْنِ ، و « دَارٌ من مَجامِعكُم ... » أى : من مَحافِلِكُمْ واجْتماعِكُم .

وقوله : « سِجَالهُمَا الرَّدىٰ ..... » فالسِجالُ : المُساجَلَةُ وهو مِنَ السَّجْلِ ، والسَّجْلُ : الدَّلْوُ وذلك أَنْ يتَبارَى السَّاقِيانِ بِسَجْلَيْهِمَا فى الاسْتِقَاءِ ، فَيسْتَقِى هذا سَجْلًا وهَذَا سَجْلا ، فجَعَلَهُ مَثلا هَاهُنا ، أى : لِكُلِّ واحِدٍ مِنهُما قِسْطٌ من الرَّدىٰ .

وللبُحْتُرِىِّ قَصيدةٌ أُخْرى فى حَرْبِ بنى الأَعْمامِ ، مُنْصِفَةٌ ، هى مِثْلُ القَصيدَةِ التّى مَضَتْ ، أو تَزيدُ عَليها فى الجَوْدَةِ والبَراعَةِ ، يَمدَح فيها أبَا المُعَمَّرِ الهَيْثَم بن عَبدِ اللهِ التَّغْلبِىَّ ويَذْكُر حُروبَ بَنِى تَغْلِب أيْضا ، أَوَّلُها[3] :

أَمِنْكَ تأوُّبُ الطَّيْفِ الطَّروبِ

أمَا « لِرَبيعةَ الفَرَسِ » انْتِهاءٌ عَنِ الزَلـزال فِيهـا والحُـروبِ[4]
لِكُلِّ قَبيلَةٍ خَيْلٌ تدَاعَىٰ إلى خَيْلٍ مُعاوِدَةِ الرُّكوبِ
كَدأْبِ « بَنِى المُعَمَّرِ » حينَ زَارُوا « بَنِي عَمرٍو » بِمُصْمِيَةٍ شَعُوبِ
تَبَالَوْا صَادِقَ الأَحسابِ حَتّىٰ نَفَوْا خَوْرَ الضَّعِيفِ عن الصَّلِيبِ[5]

---

(١) ماردين : قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرفة على دنَّيسِر ودارَا ونصيبين « معجم البلدان » .
(٢) كذا فى الأصل .
(٣) ديوانه ١ : ٩٨ وعجزه :
« حَبيبٌ جَاء يُهْدىٰ من حَبيب » .
(٤) رَبيعَةُ الفَرَسِ هو : ربيعة بن نزار أخو مضر « جمهرة الأنساب ٢٩٢ ، مروج الذهب للمسعودى ٢ : ١١٦ » .
(٥) تَبالَوْا : استحسنوا واختبروا ، الصليب : الخالص النسب .

صَرِيحُ الخَيْلِ والأَبْطالِ أَغْنىٰ    عَنِ الهُجُناتِ والخَطأ المَشُوبِ[1]
وكَانُوا رَقَّعُوا أَيَّامَ سِلْمٍ    على تِلْكَ القَوادِحِ والنُّدوبِ
إذا ما الجُرْحُ دُمَّ على فَسادٍ    تبَيَّنَ فيهِ تفرِيطُ الطَّبِيبِ[2]
رَزِيَّةُ هَالِكٍ جلبَتْ رزَايَا    وخَطْبٌ بَاتَ يَكْشِفُ عن خُطوبِ
يَشُقُّ الجَيْبَ ثمّ يَجِيءُ أَمْرٌ    يُصَغِّرُ فيهِ تَشْقيقُ الجُيوبِ
وقَبْرٌ عن أَيامِنَ « بَرْقَعِيدٍ »    إذا ما نَاحَرتْ أُفُقَ الجَنُوبِ[3]
يَسُحُّ تُرابُهُ أَبدًا عَلَيْها    عِهادًا من مُراقِ دَمٍ حَبيبِ
إذا سَكَبَتْ سماءٌ ثُمَّ أَجْلَتْ    ثَنَتْ بِسَماءِ مُغْدِقَةٍ سَكُوبِ
ولمْ أَرَ للتِّراتِ بَعْدَنَ عَهْدًا    كَسَلِّ المَشْرَفِيَّةِ مِنْ قَرِيبِ
تُصَوِّتُ فِيهِمُ حِزَقُ العوَالِي    وغَابُ الخَطِّ مَهزوزُ العلُوبِ[4]
كَنَخْلِ سُمَيْحَةَ استَعلىٰ رَكِيبٌ    تُكَفِّيهِ الرِّياحُ على رَكِيبِ
فَمَنْ يَسْمَعْ وَغىٰ الأخوَيْنِ يُذْعَرْ    لِصَكٍّ مِن قِرَاعِهِمَا عَجِيبِ
تَخَمَّطَ « تَغْلِبَ » الغَلْبَاءِ الْقَتْ    على « الثَّرْثَارِ » بَرْدًا و « الرَّحُوبِ »[5]
زَعِيمَا خُطَّةٍ ورَدَا حِمامًا    ورُودَهُما حيا المَاءِ الشَّرُوبِ[6]
إذا آدَ البَلاءُ تَحمَّلاهُ    على دَفَّىْ مُوَقَّعَةٍ رَكُوبِ[7]
إذا قُسِمَ التَّقَدُّمُ لم يُرَجَّحْ    نَصِيبٌ فى الرِّجالِ عَلى نَصيبِ

---

(١) ديوانه : « والخِلْطِ المشوب » ، ورواية الديوان أوجه فى رأيى .

(٢) ديوانه : « رُمَّ » بالراء .

(٣) ديوانه : « إذا هى ناحرّت » . وبرقعيد : بليدة فى طرف بَقْعاء الموصل بينها وبين الموصل أربعة أيام « معجم البلدان » .

(٤) ديوانه : « تُصَوِّبُ فوقهم » ، « مهزوز الكعوب » .

(٥) الثرثَار : واد عظيم بالجزيرة ، والرَّحوب : ماء بالجزيرة لبنى جشم بن بكر .

(٦) فى الأصل : « وردّهما » والتصحيح من ديوانه .

(٧) على دَفَّىْ مُوَقَّعَةٍ : أى صفحتى وجانبى الناقة الذلول .

على أنَّ الكَبيرَ يُزادُ فَضْلًا كفَضْلِ الرُّمحِ زِيدَ مِنَ الكُعُوبِ[(١)]
فهل لابْنَىْ عَدِىٍّ مِن نَصيحٍ يَرُدُّ شَرِيدَ حِلْمِهِما الغَرِيبِ[(٢)]
أخافُ علَيْهِما إمْرارَ مَرْعىً من الكَلأ الذى عُلِفاهُ ، مُوبِى[(٣)]
وأَعْلَمُ أنَّ حَرْبَهُما خَبالٌ على الدَّاعى إلَيْها والمُجيبِ
كما أَسْرَىٰ القَطَا لِبَيَاتِ « عَمرٍو » وسَالَ لِهُلْكِهِ « وادى قضيبِ »[(٤)]
وفى حَرْبِ العَشيرَةِ مُؤْيِداتٌ تُضَعْضِعُ تَالِدَ العِزِّ المَهيبِ[(٥)]
لَعَلَّ « أبَا المُعَمَّر » يَتَّلِيها ببُعْدِ الهَمِّ والصَّدْرِ الرَّحيبِ
فكَمْ من سُؤْدَدٍ قَد بَاتَ يُعْطِى عَطِيَّةَ مُكْثِرٍ مِنْهُ مُطيبِ[(٦)]

فهَذهِ طَرِيقَةُ الشُّعراءِ الفُحولِ فى مَذْهَبٍ لايُحسنِه إلّا الفُصحاءُ المَطْبوعونَ من الأَعْرابِ ، ولا يَتَّجِهِ لمِثْلِه مُسْلِمٌ ولا أبُو نواسٍ فضْلًا عن أبي تَمّامٍ .

قَوْلُهُ : « بِمُصْمِيَةٍ ... » فَمُصْمِيَةٌ : دَاهِيَةٌ ، يقال : « رَمَاهُ فأَصْماهُ » إذا قتَلَه مكَانَه ، و « رَماهُ فأنْماهُ » ، إذا أَصاب الصَّيْدَ فتحامَل وغَاب عن عَينِ الرَّامِي ، و « رَمَاه فَأَشْواهُ » ، إذا أصابَ الشَّوَىٰ / وهو الأَطْرافُ غَيرُ المَقاتِلِ ، ١١٧
و « الشَّعُوبُ » : التّى تَشْعَبُ أى تُفرِّقُ .

---

(١) ديوانه : « خلا أن الكبير » .
(٢) فى الأصل : « لبنى عدى » تحريف والتصحيح من ديوانه .
(٣) ديوانه : « عَلِقَاه » بالمثناة ، موبى : من الوباء .
(٤) وادى قضيب فى أرض تهامة ، وفيه جرى المثل : سال قضيب بماء أو حديد ، وذلك عندما ائتمرت قبيلة مراد بعمرو بن أمامة من المنذر بن امرىء القيس وهو أخو عمرو بن هند من أبيه ، وكان قد قصد ملكا من ملوك حمير ليأخذ له بحقه فأرسل معه مرادا ، وعندما نزلوا بوادى قضيب من أرض قيس عيلان ثاروا به ، فقالت له امرأته : « ياعمرو أتيت أتيت سال قضيب بماء أو حديد » فذهبت مثلا . « معجم البلدان » .
(٥) المؤيدات : الدواهى .
(٦) ديوانه : « مكثر فيه » .

وقَولُهُ : « تَبالَوْا صَادِق الأَحسابِ » تَفاعلُوا ، من البَلْوىٰ ، وهى الاخْتبارُ حتّى نَفَوْا الضِّعافَ وأَبقَوْا الشِّدَادَ .

« إذا ما الْجُرْحُ دُمَّ » أى عُولجَ حتّى انْدمَّ ، امتْلأَ والْتَحَمَ .

« إذا ما ناحَرت أُفُقَ الجَنوبِ » ، أى : كانَت فى نَحْرِها ، أى : تِلْقاءِ هُبوبِها . « عِهَادًا » أى : شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، مِثلَ عِهادِ المَطَرِ .

وقولُهُ : « مَهزُوزَ العُلوبِ » : يُرِيدُ عوَامِلَ الرِّماحِ ، وهى صُدورُها ، والعُلوبُ : من قَوْلِهِم : رُمْحٌ مَعلَّبٌ ، وهو الذى يُشَدُّ مَوضِعُ السِّنانِ مِنْهُ بالعِلْباءِ ، وهى عَصَبَةُ العُنقِ من البَعيرِ .

و « سُمَيْحَةُ » : مَوضعٌ كَثيرُ النَّخِيل ، « اسْتَعلىٰ رَكِيبٌ » أى : نَخيلٌ مَرْكوبٌ ، عليه حِمْلُهُ كالرَّاكِبِ ، أوْ يُرِيدِ بالرَّكيبِ الذى قد غُرِسَ سَطْرًا بإزاءِ سَطْرٍ .

وقولُهُ : « أسرىٰ القَطا لِبَيَاتِ « عَمروٍ » » : له خَبَرٌ ، وكَذلِك « وادِى قَضيبِ »[(١)] .

وقال أيضا[(٢)] :

لا دِمْنَةٌ بِلِوَىٰ خَبْتٍ ولا طَلَلُ

بَنِى زُرارَةَ نُصْحٌ مالَه ثَمَنٌ يُرْجىٰ لَديكُمْ ، وقَوْلٌ كُلُّهُ عَذَلُ
وإنَّما هَلكَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ « إرَمٌ »[(٣)] لأَنَّهُمْ نُصِحُوا دَهْرًا فما قَبلُوا

---

(١) فى الأَصْلِ : « رأى قصب » تحريف ، وانظر الخبر فى معجم البلدان : « قضيب » والبيات : من تَبييتِ العَدوّ لَيْلًا والإيقاع بِهِ .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧٥٤ وعجزه :
« يَرُدُّ قَوْلًا على ذى لَوْعَةٍ يَسَلُ » .

(٣) هى إرم ذاتُ العِماد ، وجَبّارُها شداد بن عاد ، والتى خسف الله بها الأَرض . « معجم البلدان » .

مُسْتَعْصِمِينَ مع الأَرْوَى كَأَنَّكُمُ ... لَاتعلَمونَ بأَنَّ العُصْمَ لاتَئِلُ[1]

أَنْذَرْتُكُمْ عَارِضًا تَدْمَى مَخايِلُهُ ... اَلقَطْرَةُ الفَذُّ مِنه عَارِضٌ هَطِلُ

هذا « ابنُ يوسفَ » فى سَرْعانِ ذى لَجَبٍ ... فيهِ الظُّبا والقَنَا والخَيْلُ والحِيَلُ[2]

غَزَاكُمُ بقلوبٍ مالَها خَلَلٌ ... مِنْ خَلْفِها ، وسُيوفٍ مالَها خِلَلُ[3]

وَلَّاكُمُ البَغْىَ ثُمَّ انْسابَ نَحْوَكُمُ ... بالمَشْرَفِيَّة وهى الثُّكْلُ والهَبَلُ[4]

وانْحَازَ مِثْلَ انْحِيازِ الطَّوْدِ يَتْبَعُهُ ... رَأْىٌ يُصَغَّرُ فيهِ الحَادِثُ الجَلَلُ

أَللهَ ! أَللهَ ! كُفُّوا إنَّ خَصْمَكُمُ ... « أبو سَعِيدٍ » ، وضَرْبُ الأَرْؤُسِ الجَدَلُ

تَغَنَّمُوا الصُّلْحَ إنَّ الحَرْبَ تُوعِدُكُمْ ... يومًا يَعُودُ بِهِ « صِفِّينُ » و « الجَمَلُ »[5]

الآنَ والعُذْرُ مَبْسوطٌ لِمُعْتَذِرٍ ... والأَمْرُ مُسْتَقْبَلٌ ، والعَفْوُ مُقْتَبَلُ

وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مِنـهُ تَبَذُّلُـهُ ... بالإِذْنِ حَتَّى اسْتَوَى الأَرْبَابُ والخَوَلُ

فإن يَكُنْ ظاهِرًا فالشَّمْسُ ظَاهِرَةٌ ... أو كانَ مُبْتَذَلًا ، فالرُّكْنُ مُبْتَذَلُ[6]

طَالَ الرِّوَاءُ الذى فى رَأْسِ فَحْلِكُمُ ... لايَسْهُلُ الصَّعْبُ حَتَّى يُقْصَرَ الطِّوَلُ[7]

---

(١) « الأروى » : ضأن الجبل « تئل » : من آل يئل : إذا طَلَب موئلا ينجو فيه .

(٢) سرعان : أوائل الجيش وفى عَبَثِ الوليد : يقال : سَرْعانُ وسِرْعان وسُرعان ، والأجودُ : سَرَعان بفتح السين والراء . « عبث الوليد لأبى العلاء المعرى ص ٧٤ » .

وابن يوسف : هو محمد بن يوسف الثغرى الصامتى ، وفى ديوانه : « والكيد والحيل » .

(٣) الخَلَلُ : بالفتح الضعف والفساد ، وبالكسر : جمع الخِلَّةِ ، أى جَفْنُ السيف .

(٤) الثكل والهبل : معناهما واحد .

(٥) ديوانه : « تغنّموا السّلم » ، و « يعود به صفون » ، صفين : فيها لُغَتان إحداهما : إجراءُ الإعراب على ما قبل النون ، وتركها مفتوحة كجمع السّلامة ، فتقول : شهدت صِفِّينَ ، وبِئْسَتِ الصِّفُّونَ ، والثانية : أن تَجعَلَ النُونَ حرف الإعراب ، وتُقِرَّ الياءَ بحَالِها ، فتقولُ : هذه صِفِّينُ ، ورأيتُ صِفِّينَ ، ومررتُ بصِفِّينَ .

(٦) الابتذال هنا : سهولة لقائه والتحدث إليه ، والرُّكْنُ : أَحَدُ أَرْكانِ الكعبة .

(٧) « الرِّواءُ » : الحبل الذى يُرْوَى به على الدَّابَةِ إذا عُكِمَتْ المَزادَتَان ، و « الطِوَلُ » حبل طويل تشدّ به قائمة الدابة ، أو هو الحبل الذى يُطَوَّلُ للدابة فترعى فيه ، وفى ديوانه : « يَقْصُرَ » مبنى للمعلوم .

لايَجْذِبُ الوَطَنُ المأْمولُ عَزْمَتَهُ ولا الغَزَالُ الذى فى طَرْفِهِ كَحَلُ (١)
مُسافِرٌ ومطاياهُ مُحلَّلَـةٌ غُروضُها ، ومُقِيمٌ وهو مُرْتَحِلُ (٢)
يَهَشُّ لِلْغَزْوِ حَتَّى شَكَّ عَسْكَرُهُ فِيه ، فَقَالُوا : أَغَزْوٌ ذاكَ أَمْ قَفَلُ (٣)

* * *

(١) ديوانه : « الوطن المألوف » .
(٢) سبق فى ١ : ٣٣٠ ، والغروض : جمع غرض وهو حزام الرحل .
(٣) القفل : الرجوع من الغزو ، « قارن ما شرحه به محقق الديوان » .

هذا آخر القسم الأول من الجزء الثالث من كتاب « الموازنة » للآمدى ، رحمه الله بتجزئه محققه غفر الله له .

يتلوه إن شاء الله فى القسم الثانى من الجزء الثالث ما قالاه فى أوصاف الخيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

## تصويب الأخطاء

| الصفحة/السطر | الخطأ | الصواب |
| --- | --- | --- |
| **أولاً : الدراسة** | | |
| ١٤/١١ | ومَنِّهِ | ومَنُّهُ |
| ٢١/١١ | قبلنا | قبلناه |
| ١٦/٤٠ | شِعْرَ | شعْرُ |
| ١٣/٤٥ | قرضتكم | قرظتكم |
| ١٦/٥٥ | الغيثَ | الغيثُ |
| ١٧/٧٧ | ثم | ثَمَّ |
| ٩/٨٨ | المتعلة | المفتعلة |
| * * * | | |
| **ثانياً : النص المحقق** | | |
| ٢/٥ | الهُدَىٰ | الهَدَىَ |
| ٢/٨ | رأيتُ | رأيتَ |
| ١١/٩ | طِخْية | طَخْية |
| ١٢/٢٩ | جَلَبُ | جُلَبُ |
| ٦/٣٧ | لِتُنصِفَهُ | لِتَنْصُفَهُ |
| ٩/٤١ | تَنْدِبُ | تَنْدُبُ |
| ٢/٤٢ | فضَضْتَ | فضضتُ |
| ٣/٤٢ | الزُّهْرُ | الزَّهَرُ |
| ١١/٤٢ | تُراثُ | تراثَ |
| ١٠/٦٢ | لينُ | لِينَ |

| الصفحة/السطر | الخطأ | الصواب |
| --- | --- | --- |
| ٩/٦٤ | بُغْضة | بِغْضة |
| ١١/٦٦ | وُجدان | وِجدان |
| ١٠/٦٨ | خُفِّضَتْ | خَفَّضَتْ |
| ٥/٧٢ | تَمْحُلُ | تُمْحِلُ |
| ٢/٧٧ | مِنَ البأس والمعروفِ والجودِ | مَنِ البأسُ والمعروفُ والجودُ |
| ١/٨٧ | منشوراً | منثوراً |
| ٢/٨٨ | تَخْدُمُ | تخذُمُ |
| ١٠/٨٨ | المستعملةِ | المستعملةُ |
| ١٠/١٠١ | لأُخْبِرَنَّك | لَأُخَبِّرَنَّكَ |
| ١/١٠٩ | لسكُونُ | لسِيكُونِ |
| ٢/١١٧ | تُذْلِلْ | تُذْلَلْ |
| ١٢٢/عنوان | الجودِ والكرمِ | الجودُ والكرمُ |
| ١٢/١٣٤ ، ١٥ ١٨ ، ٣/١٣٥ | تُنْتِجُ | تُنْتَجُ |
| ١٠/١٤٤ | تَرْتَقِب | تُرتَقَب |
| ٤/١٦١ | أو يصحُّ | أو يَصحَّ |
| ٨/١٨٤ | البخيلَ | البخيلُ |
| ٧/١٨٧ | وَفْرِهِ | وفْرِهِ |
| ٩/١٩١ | أنوفُ | أنوفَ |
| ٢/١٩٩ | رِفقاً | رُفقاً |
| ٣/٢٠٠هـ | أن يكون أبا تمام | أن يكون أبو تمام |
| ٢/٢٢٢ | سُمَيْدَع | سَمَيْدَع |

# تصويب الأخطـــاء

| الصفحة/السطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|
| ٨/٢٣١ | أَشْنُعُ | أَشْنَعُ |
| ٩/٢٥٣ | بالشُّكْرَ | بالشُّكْرِ |
| ٦/٢٦٠ | يَرُدُّ | تَرُدُّ |
| ١٤/٢٨٩ | محُصِنَة | مُحْصَنَة |
| ١١/٢٩٢ | غضبان | عَضبانُ |
| ٥/٣٠٨ | | |
| ٣/٢٩٦ | شرس | شَرَسَ |
| ٤/٢٩٦ | تُفَصَّمُ | تَفَضَّمُ |
| ٨/٣٠١ | ضِجاج | ضَجَاجٌ |
| ٨/٣٠٩ | الفوتُ | الفوتَ |
| ٧/٣١٣ | غُرٌّ | غِرٌّ |
| ٢/٣١٩ | جِنان | جَنان |
| ٨/٣٢١ | أَنهما | إنَّهما |
| ٢/٣٢٢ | الصوارمُ | الصوارمَ |
| ٢/٣٢٣ | صائبُ | صائِبَ |
| ٢/٣٢٤ | المنونَ | المنونُ |
| ١٠/٣٢٥ | فالتُّرس | فالتُّرس |
| ٤/٣٢٦ | جَلائِهِ | جِلائِهِ |
| ١٤/٣٢٩ | عِتادهم | عَتادهم |
| ١٢/٣٣٠ | خيالُ | خيالَ |
| ٥/٣٤٥ | طَلْقُ | طَلْقَ |
| ٦/٣٤٥ | مصلَتاً | مُصْلِتاً |
| ٢/٣٤٦ | غادَرْتَه | غادَرْتُهُ |
| ٥/٣٤٨ | يالوم وقعةَ | يايوم وقعةِ |
| ٢/٣٥٤ | الجَلَدُ | الجَلَدَ |
| ٦/٣٥٩ | حُجَّةٌ | حِجَّةٌ |
| ٥/٣٦١ | مِنهُمْ | مِنهُمُ |
| ٢/٣٦٣ | قضاؤه | قضاءَهُ |
| ٥/٣٦٣ | سِفالِ | سَفَالِ |
| ٢/٣٧٠ | رَخِيمِ | رَحِيمِ |
| ٤/٣٧٠ | الإساءَةَ | الإساءَةُ |
| ١/٣٧٦ | أيديهِمْ | أيديهِمُ |
| ١٦/٣٧٧ | حفائض | حفائظُ |
| ٨/٣٧٩ | وَرْد | وِرْدِ |
| ١٥/٣٨١ | خَوْرَ | خَوَرَ |
| ٧/٣٨٢ | حَبيب | صَبيب |
| ٧/٣٨٤ | مَعَلَّبَ | مُغَلَّبَ |

# الموازنة

## بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي

ت ٣٧٠

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد الله حمد محارب

الجزء الثالث - القسم الثاني

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى بمكتبة الخانجى

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م



مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٦٨٥١

## ما قالاه في أوصاف الخيل

قال أبو تمّام :(1)

جَرَّتْ له أسماءُ حَبْلَ الشَّمُوسْ(2)

وامْدُدْ عِنَانِى بِوَأَى ضِلْعُهُ     تَذْرَعُ والعُذْرَةُ فيهِ تَنُوسْ(3)

أُقَاتِلُ الهَمَّ بإيجَافِهِ     فإنَّ حَرْبَ الهَمِّ حَرْبٌ ضَرُوسْ

[ إذَا المَذَاكِى خَطَبَتْ نَقْعَهُ     فَحَظُّهَا مِنْهُ اللَّفَاءُ الخَسِيسْ ](4)

مُوضَّحٌ لَيْسَ بِذِى رُجْلَةٍ     أَشْأَمَ والأَرْجَلُ مِنْها بَسُوسْ(5)

فكلُّ لَونٍ فَلْيَكُنْ ما خلا الـ     أَشْهبَ فالأَشْهَبُ لَونٌ لَبِيسْ(6)

ومُجْفَرٌ لم يُصْطَلَمْ كَشْحُهُ     فالضُّمُرُ المُفْرِطُ فِيها رَسِيسْ

---

(١) ديوانه ١ : ٥٨٧ والتبريزى ٢ : ٢٧٤ .

(٢) عجزه : « والوصل والهجر نعيم وبوس » .

(٣) ديوانه والتبريزى : « فامدد » ، وفى ديوانه والتبريزى : « ضلعه تثبت » .

(٤) ساقط من الأصل ، وفى ديوانه : « اللّقاء » بالمثناة ، وانظر الشرح بعد الأبيات .

(٥) فى ديوانه وشرح التبريزى « والأَرْجُلُ » بضم الجيم وهو خطأ ظاهر ، والأعجب أن الصولى قد شرحها فقال : « يقول الأَرْجُلُ : مشؤوم كشؤم البسوس » ، ومع هذا فقط ضبط محققه الكلمة كما هى فى التبريزى ، والأَرْجَل من الرُّجلة والتَّرجيل ، وهو بياض فى إحدى رجلى الدابة لابياض به فى موضع غير ذلك ، والأَرْجَلُ من الخيل الذى فى إحدى رجليه بياض ، ويكره ألا يكون به وضح .

(٦) فى الأصل : « ما لبيس » تحريف ، وفى التبريزى « فالشبهة لون .... » .

إنْ زَارَ ميداناً شَأَىٰ أَهْلَهُ ... أو نَادِياً قامَ إليْهِ الجُلوسْ[(١)]
تَرى رِزَانَ القَومِ قَدْ أَسْمَحَتْ ... أَعْيُنُهُمْ فِى حُسْنِه وَهْىَ شُوسْ
كَأَنَّمَا لَاحَ لَهُــمْ بَارِقٌ ... فى المَحْلِ أو زُفَّتْ إليهم عَرُوسْ
سَامٍ إذا استَعْرَضْتَهُ زَانَهُ ... أعَلىٰ رَطِيبٌ وقرارٌ يبَيِسْ
فإنْ غدا يَرْتَجِلُ المَشْىَ فالْـ ... ـمَركَبُ فى إحْسانِهِ والخَمِيسْ[(٢)]
كَأَنَّمَا خامَـرَهُ أَوْلَــقٌ ... أو غَازَلَتْ هَامَتَهُ الخَنْدَّرِيسْ
عَوَّذَهُ الحاسِدُ بُخْلًا. بِهِ ... ورَفْرَفَتْ خوفاً عليه النُّفُوسْ
ومِثْلُهُ ذو العُنُقِ السَّبْطِ قَدْ ... أَمْطَيْتَهُ والكَفَلِ المَرْمَرِيسْ
غَادَرْتَهُ وَهْـوَ عَلىٰ سُؤْدَدٍ ... وَقْفٌ وفى سُبْلِ المَعالِى حَبِيسْ

قَوْلُهُ : « فامْدُدْ عِنَانى بِوأَى » أى : اجْعَلْ لى عِنانًا أَمُدُّهُ ، « بوأَى » على وزن : وغًا ، وهو الحديدُ الشَّديدُ . « ضِلْعُهُ تَذْرَعُ » أى : تَتَّسِعُ ، والذَّرَاعَةُ السَّعَةُ ،
١١٨ كأنَّهُ مَأْخُوذٌ من الذَّرْعِ ، يُرِيدُ أنَّ ضِلْعَهُ واسِعَةٌ تامَّةٌ [ تهمى[(٣)] فإنّه ] / ، مُنْتَفِخُ الجَنْبينِ ، ويُرْوىٰ « يُعْذِرُ » أى : يُوسِعُ و « العُذْرَةُ » : الشَّعْرُ الذى فى قَفا الفَرسِ ، ويُسْتَحَبُّ أن يكونَ لَهُ تمَامٌ وسَبَاطَةٌ وتَفَرُّقٌ ، كما قال امرؤُ القيسِ[(٤)] :

لَهَا عُذَرٌ كقُرونِ النّسا ... ءِ رُكِّبْنَ فى يَومِ رِيحٍ وَصِرْ

وقوله : « تَنُوسُ » أى : تتَحَرَّكُ وتَضْطَرِبُ وإذا كانَتْ قصيرةً لم يَكنْ لها تَحرُّكٌ . و « المذَاكِى » من الخَيلِ التّى قد جَاوزَتْ القُروحَ[(٥)] بِثَلاثِ سِنينَ ، واحِدُها

---

(١) شأى أهله : سبقهم أو أعجبهم وشاقهم ، وفى ديوانه والتبريزى : « إن زار ميدانا مضى سابقا »
(٢) ديوانه : « وإن غدا » ، وفيه وفى التبريزى : « فالموكب » .
(٣) كذا وربما هى : « يعنى أنه ..... » .
(٤) ديوانه ص ١٦٥ .
(٥) يقال : قرح الفرس يقرح قروحا ، إذا انتهت أسنانه وإنما تنتهى فى خمس سنين .

مُنَكٍّ ، وهُو جَمْعٌ على غَيْرِ قِياسٍ ، وجَمْعُها الصَّحيحُ : مُذَكِّيَاتٌ ، وهى مسَانُّ الخَيْلِ ، و « اللَّفاءُ الخَسيسُ »[(١)] ... [؟] .

و « المُوَضَّحُ » : الذى به أَوْضاحٌ ، والأَوْضَاحُ البيَاضُ فى أَطْرافِهِ ، وقولُهُ : « لَيْس بِذِى رُجْلَةٍ » أى لَيْسَ بأَرْجلَ ، والأَرْجَلُ : الذى تَحْجِيلُهُ فى رِجْلٍ واحِدَةٍ دونَ سَائِر قَوائِمِهِ ، وقالَ : « بَسوسَ » ، لأَنَّه يُتَشاءَمُ بِهِ ، والبَسوسُ المَرأَةُ الَّتى رَمَى كُليبُ وائِلٍ ضَرْعَ ناقَتِها ، وكانت فى جِوار جسَّاسٍ ، فقتله جسّاس فكانت حرب بكر وتغلب من أجلها ، فضرب بها المثل فى الشؤم ، وليست للبسوس ها هنا حلاوة فى الموضع ولا طلاوة[(٢)] .

وكذلك قَوْلُهُ : « فالشُّهْبَةُ لَوْنٌ لَبِيس » ، والأَشْهَبُ من مَراكِبِ المُلوكِ ، يُقالُ : شُهُبُ الخَيْلِ مُلوُكُها .

ولا وَجْه لِقَوْلِهِ[(٣)] : « لَوْنٌ لَبِيس » ، ولا عَلِمْتُ أَحداً نَعَتَ الشُّهْبَةَ بِهَذا النَّعتِ ، لأَنَّ اللَّبِيسَ هو الذى قَدِ اسْتُعْمِلَ فأُخْلِقَ واتَّسَخَ ، ومن أَيْنَ جَعَلَهُ خَلِقاً أو دَنِساً ؟ بل هُو مِنْ أَحَدِّ أَلْوانِ الخَيْلِ وأَنْصعِها ، لا سِيَّمَا إنْ كانَ أَسودَ العَرْفِ والذَّنَبِ ، فإنَّ ذَاكَ من مرَاكِبِ الخُلفاءِ والجَبابِرَةِ ، وإنَّما يُقالُ فى الأَشْهَبِ أَنَّهُ لَيْسَ من سراعِ الخَيْلِ ، ولا مِمَّا يَجْرى فى الحَلْبَةِ لِقِلَّةِ صَبْرِهِ ورِقَّتِهِ ، لأَنَّ البيَاضِ عِنْدَّهُمْ رِقَّةٌ وتُرْفَةٌ ، وكذلِكَ الأَبْلَقُ ما سَبَقَ قَطُّ فى حَلْبَةٍ من أَجْلِ مَافيه من البَياضِ ، فهذَا عيبُ الشُّهْبَةِ عندَ أَهْلِ البَادِيَةِ ، فمَا وَجْهُ قَوْلِهِ : « لَبِيس » ؟ .

وقَوْلُهُ : « لم يُصْطَلَمْ كَشْحُهُ » أى : لم يَصْطَلِمْهُ الضُّمْرُ حَتَّى يَذْهَبَ بِهِ ،

---

(١) هنا كلمات ساقطة ، و « اللّفاء » : الشيء القليل وهو ضد « الوفاء » .

(٢) أورد ابن المستوفى تعليق الآمدى السابق « النظام لوحة ١١١ » .

(٣) نقل ابن المستوفى هذا التعليق « النظام ٢ لوحة ١١١ » .

والكَشْحُ هو الخَاصِرَةُ ، ويُسْتَحَبُّ فيها أن تَكونَ ضَامِرَة ، فيَقُولُ : إنَّ الضُّمْرَ المُفْرِطَ فِيها – يَعنِى الخَيلَ – رَسِيسٌ ، يُرِيدُ عِلَّةً وسُقْما ، ويُقالُ : بِهِ رَسِيسٌ من مَرَضٍ ، فالمَعنىٰ صَحيحٌ واللَّفظُ والنَّظْمُ رديئان جِدًا .

وقولُهُ : « والكَفَلِ المَرْمَرِيس » ، يُرِيدُ انملاسه ، واسْتِواءَه ، والجُسْأَةُ[1] فى عُنُقِ الفَرَسِ ، والكَزازَةُ من أعيب عيوبه ، والسَّباطَةُ ضِدُّ ذَلِك ، فلِهَذا قالَ : « ذو العُنُقِ السَّبِطِ » ، والمَرْمَرِيسُ من الألْفاظِ الوَحْشِيَّةِ الغرَيبَةِ التّي يُدْخِلُها فى شِعْره مع ألْفاظٍ لا تُشْبِهُها ولا تَليقُ بِها .

وليسَ فى هذه الأبياتِ من أوصافِ الخَيْل مَعنىً لطيفٌ ولا مُسْتَحْسَنٌ .

وقولُهُ : « أعلى رَطِيبٌ وقَرارٌ يَبِيس » ، فقد تَقدَّم النَّاسُ فيه ، وأوْرَدُوه نَظْماً ونَثْرا ، فهو فيه مُتَّبِعٌ .

وقولُهُ : « قامَ إلَيْه الجلُوسُ » و « زُفَّتْ إلَيهِمْ عَروسُ » و « رَفْرَفَتْ عليه النُّفوسُ » ، فإنَّ قوماً يَسْتَحْسِنونَه ولَيْسَ من أوْصافِ الخَيْلِ فى شَىءٍ ولا طَائِلَ فيهِ .

وقَولُهُ : « أسْمَحَتْ أعْيُنهُمْ فى حُسْنِه وهىَ شُوسٌ » ، فالأشْوَسُ هو الذى يَنْظُر بِمُؤَخّرِ عَيْنِه من الكِبْرِ ، فيقولُ : ترَىٰ العيونَ التى لا تَملأُ طَرْفَها من الشّيء كِبْراً ، وإنما تُخَزِّرُ[2] فى النَّظَرِ ، قد أسْمَحَتْ فى النَّظَرِ إلَيْهِ من حُسْنِهِ .

وقالَ فى قصيدَةٍ يَمْدَح فيها الحَسَنَ بنَ وَهْبٍ[3] :

يَا بَرْقُ طَالِعْ مَنْزِلاً بالأَبْرَقِ[4]

---

(١) فى الأصل : « الجساءة » .
(٢) تنظر بمؤخرة العين .
(٣) ديوانه ٢ : ٩٦ والتبريزى ٢ : ٤٠٦ .
(٤) عجزه : « واحدُ السَّحابَ لَهُ حُداء الأَنْيُق » .

ما مُقْرَبٌ يَخْتَالُ فى أَشْطَانِهِ ... ملآنُ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلَهْوُقِ
بِحِوَافِرٍ حُفْرٍ وصُلْبٍ صُلَّبٍ ... وأَشاعِرٍ شُعْرٍ وخَلْقٍ أَخْلَقِ
وبِشُعْلَةٍ نَبْذٍ كَأَنَّ فَلِيلَها ... فى صَهْوَتَيهِ بُدوُّ شَيْبِ المَفرِقِ (١)
ذُو أَوْلَقٍ تحت العَجَاجِ وإنَّما ... من صحّةٍ إفْراطُ ذاكَ الأَوْلَقِ
تُغْرَىٰ العيونُ به ويُفْلِق شَاعِرٌ ... فى نَعْتِهِ عَفْواً ولَيْسَ بِمُفْلِقِ
بِمُصَعَّدٍ من حُسْنِهِ ومُصوَّبٍ ... ومُجَمَّعٍ من نَعْتِـهِ ومُفَــرَّقِ (٢)
صَلَتَانُ يَبْسُط إن ردىٰ أَوْ إنْ عَدا ... فى الأَرْضِ باعًا مِنْهُ لَيْسَ بِضَيِّقِ
وتُطَرِّقُ الغُلْواءُ مِنْهُ إذا عَدَا ... والكِبْرياءُ لَهُ بِغَيْرِ مُطَرِّقِ
/ أَهْدَىٰ كُناراً جَدُّه فيما مَضىٰ ... للسَّيْلِ واسْتَصَفىٰ أَبَاةَ الْيَلْبَـقِ (٣) ١١١٩ أ
مُسْوُدُّ شَطْرٍ مثلَ ما اسْوَدَّ الدُّجىٰ ... مُبْيَضُّ شَطْرٍ كابْيِضاضِ المُهْرَقِ
قد سَالَتِ الأَوْضاحُ سَيْلَ قَرارَةٍ ... فيهِ فَمُفْتَرِقٍ عَلَيْهِ ومُلْتَقِي
[ وكأَنَّ فارِسَهُ يُصرِّفُ إذْ بَدا ... فى مَتْنِهِ ابْنًا للصَّباحِ الأَبْلَقِ ] (٤)
صافِى الأَديمِ كأَنَّما أَلْبَسْتهُ ... من سُنْدُسٍ بُرُداً ومن إسْتَبْرَقِ
إمْلِيسُهُ إمْلِيدُهُ لو عُلِّقَتْ ... فى صَهْوَتَيْهِ العَيْنُ لَمْ تَتَعلَّقِ
يُرْقى وما هُوَ بالسَّليمِ ويَغْتَدِى ... دونَ السِّلاحِ سلاحَ أَرْوعَ مُمْلِقِ
فى مَطْلَبٍ أو مَهْرَبٍ أو رَغْبَةٍ ... أو رَهْبَةٍ أو مَرْكَبٍ أَوْ فَيْلَقِ (٥)

---

(١) ديوانه والتبريزى : « بدء » ، وفى الأصل : « وبِشُعْلَةٍ فَذٍّ » تحريف .

(٢) التبريزى : « من خلقه » .

(٣) ديوانه : « كُنارٌ » بالرفع وقال أبو العلاء : « هذا البيت اختلفت الرواية فيه ، والأجود أن يرفع « كنار » وينصب « جده » ويجعل « كنار » هو المُهْدِى ، وفى ديوانه : « ليلبق » ، والتبريزى « أباه ليلبق » ، وفيهما معا « للمثل واستصفى ..... » . وانظر هامش ص ٣٩٩ .

(٤) سقط هذا البيت من الأصل وسيرد فى الشرح ص ٣٩٨ .

(٥) ديوانه وشرح التبريزى : « أو موكب » .

قولُهُ : « من صَلَف » يريد الكِبْرَ والتِّيهَ ، وهذا مَذْهَبُ العَامَّةِ فى هذه اللَّفْظَةِ ، فأمَّا العَربُ فإنّها لَا تَستَعْمِلُهُ على هذا المَعْنىٰ ، وإنَّما تقولُ : صَلِفَتِ المَرْأَةُ عندَ بَعْلِها ، إذا لَمْ تَحْظَ عِنْدَه ، وصَلِفَ الرَّجُلُ كَذاكَ إذا كانتْ زَوْجَتُهُ تَكْرَهُهُ ، قال جَريرٌ (١) :

إنِّى أواصِلُ من أردتُ وِصَالَهُ      بِحِبالِ لا صَلِفٍ ولا لَوَّامِ

والصَّلِفُ : الذى لا خَيْرَ عِنْدَه ، ومَثَلٌ يُضْرَبُ : « رُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ » (٢) يَعْنِى رَعْداً بلا مَطَرٍ . فهذا مَعْنَى الصَّلَفِ فى كَلامِهِم ، وعلى هذَا فَقَدْ ذَمَّ أبو تَمّام الفَرسَ ولم يَمْدَحْهُ (٣) .

و « التَّلَهْوُق » : لا أَعْرِفُه إلاَّ لُطْفَ المُداراةِ والحِيلَةِ وإظْهارَ الخُضوعِ بالقَوْلِ وغَيْرِه حتَّى تُبْلَغَ الحاجَةُ ، ويَدُلُّ على ذَلِك قَوْلُ الأَغْلَبِ العِجْلىِّ (٤) يَصِفُ مُدَاراةَ رَجُلٍ امْرأَةً حتّى نَالَ مِنْها مَا أَرَادَ :

فلَمْ يَزَلْ بالحَلِفِ النَّجِىِّ      لَها وبالتَّلَهْوُقِ الخَفِىِّ

أَنْ قَدْ خَلَوْنَا بِفضاءٍ قِىٍّ (٥)

---

(١) ديوانه ص ٥٥١ .

(٢) مجمع الأمثال ٢ : ٣٦ وقال : يضرب للبخيل مع الوجد والسّعة .

(٣) نقل ابن المستوفى كلام الآمدى السابق « النظام ٢ : ١٨٥ » .

(٤) هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة العِجْلىّ ، قال الآمدى : هو أَرْجَزُ الرُّجَازِ وأَرْصَنُهم كلامًا وأصحهم معانى ، وله فى المُفَاحشات ما لَيس لِشَاعرٍ . وكان جاهليًا إسلاميا عاش تسعين سنة وقتل بنهاوند سنة ٢١ هـ ، وهو أول من أطال الرَّجز وشبهه بالشعر « المؤتلف والمختلف ص ٢٢ ، الشعر والشعراء ٢ : ٦١٣ ، طبقات فحول الشعراء ص ٧٣٨ » .

(٥) القِىُّ : القفر من الأرض ، المستوية الملساء ، وقد سبقت الأبيات فى ١ : ٢٤٧ ، وورود هناك « بقى » وهو خطأ .

وقد ذَكَرَهُ أبو عُبيدٍ فِي « كِتَابِ الغَرِيبِ المُصنَّفِ »(١) في أَوّلِ نَوادِرِ الأَسْماءِ.(٢)

وما أَرَى أبا تَمَّامٍ فى وَضْعِ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ فى هَذا المَوْضِعِ إلاَّ غَالِطا.(٣)

[ وأَظُنُّ(٤) أَنَّ أبا تَمَّامٍ عَثَر بِقَوْلِ أَبِى نُواسٍ يَصِفُ فَلاةً قطَعَها على نَاقَةٍ(٥):

كَلَّفْتُها أُجُداً تَخَالُ بِهَا مَرحاً من الخُيَلاءِ أو صَلَفَا

وأبو نُواسٍ قال : « تخَالُ بِها » فجاءَ بِهِ على التَّشْبيهِ ، فجَعَلَهُ أبو تَمَّامٍ حَقِيقَةً فقالَ : « مَلآن من صَلَفٍ به وتَلَهْوُقِ » فالخَيْلُ قد تُوصَفُ بالكِبْرِ ، وكذلك الإِبِلُ ، وإنما يُرادُ به قُوَّةُ نُفُوسِها ، وأما الصَلَفُ الذى مَعْناهُ البُغْضُ – ويُوضَعُ فى مَوْضِعِهِ التِّيهُ – فلَيْسَ مِمَّا يُوصَفُ بِهِ(٦)] .

وقولُهُ : « بِحوَافِرٍ حُفْرٍ » فى نِهايَةِ الهَجَانَةِ والرَّكَاكَةِ ، يُرِيدُ أَنَّه حَافِرٌ للأرْضِ ، والجَمْعُ حُفْرٌ مِثْلُ صَابِرٍ وصُبْرٍ ، وإِنَّما قَال الشَّاعِرُ(٧):

تَرَى الأُكْمَ مِنْها سُجَّدًا لِلْحَوافِرِ

---

(١) أبو عُبيد هو القَاسِم بن سلام الهروى الأزدى الخزاعي بالولاء الخُراسَانى البغدادى من كبار العلماء بالحديث والأدب كان منقطعا إلى عبد الله بن طاهر ، تولى القضاء بطرسوس ، توفى فى مكة ٣٢٤ وكتابه هذا « الغريب المصنف » هو أهمُّ كُتُبِه ، وروى أنّه قضَى فى تصنيفه أربعين سنة وهو يشتمل على ألف باب ومائتين وألف شاهد والكتاب لا يزال مخطوطاً « تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٣ وابن خلكان ٤ : ٦٠ ومراجع أخرى كثيرة » .

(٢) قال أبو عبيد : « والتَّلَهْوُقُ مِثْلُ التَمَلُّقِ » الغَرِيبُ المُصَنَّفُ لوحه ١٨٤ « مصورة معهد المخطوطات العربية » .

(٣) سبق هذا التعليق فى ١ : ٢٤٧ .

(٤) مابين الحاصرتين زيادة من النظام لابن المستوفى ٢ لوحة ١٨٦ .

(٥) ديوانه ص ٤٣٢ والناقة الأجد : القوية الموثقة الخلق .

(٦) قال ابن المستوفى عقبه : « آخِرُ كلامِهِ » وسقط هذا النص من الأصل .

واستطرد ابن المستوفى قائلا : إنّما بنى أبو تمّام معنى الصلف على ما أرادته العامة ، وهو العجب والتية ، وإن كان هذا لا يسوغ استعماله لكونه عاميا ، وكذلك قوله « وتلهوق » وإن كان لفظا عربيا إلا أنه مُسْتَنْشَعٌ وهو موضوع فى غير موضعه فى بيته ، فقد جمع بين اللفظ العامى واللفظ الحوشى والله أعلم « النظام لابن المستوفى ٢ لوحة ١٨٦ : أ » .

(٧) هو زيد الخيل وصدره : « ومَجْرٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَراتِهِ » .

١٣١ ب /يُريدُ كثْرَة الخَيْلِ ، وأنَّها تَطْحَنُ الأُكْمَ إذا سارَتْ عَلَيْها ، وإنَّما ذَهَبَ إلى ما ذَكَرَتْهُ العَربُ من أَوْصافِ الخَيْلِ فى عَدَدِها ، وما تُثِيرُهُ من العَجاجِ ، نحو قَولِ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرةَ (٢) :

لتبك خَليلِى مَالِكًا كلُّ شَطْبَةٍ     تُثِيرُ غُبارًا كالدَّواخِنِ أَكْدَرا

وقال طُفَيْلٌ (٤) :

إذا اسْتَعْجَلَتْ بالرَّكْضِ سَدَّ فُروجَها     غُبارٌ تَهاداهُ السَّنابِكُ أَصْهَبُ

[ وهذا يَحْسُنُ إذا ذُكِرَ جَرْىُ الفَرَسِ ، فاسْتَعْملوهُ ] (٥) علىٰ هذَا الوَجْهِ وبِنَحْوِ هذَا اللَّفْظِ ، وذَلِك من أَوْصافِهِم للشَّىءِ على ماهُو ، وإذا أرَادُوا المُبالغَةَ ذَمّوا هذا الوَجْهَ ، كما قال امرؤ القَيْسِ (٦) :

مِسَحٌّ إذا ما السّابِحاتُ على الوَنىٰ     أَثَرْنَ الغُبارَ بالكَديدِ المُركَّلِ

وقال البحترىّ على هذا الوجه وأحسنَ كلَّ الإحسان (٧) :

خَفَّتْ مواقِعُ وَطْئِهِ فَلَوَ انَّهُ     يَجْرِى بِرَمْلَةِ « عَالِجٍ » لم يُرْهِجِ

---

(١) هنا اختلاف فى ترتيب الصفحات ، وقد أعدتُ ترتيبها على الوجه الصحيح إن شاء الله .

(٢) مُتَمِّمُ بن نويرةَ بنِ مالك بن شَدَّاد اليَرْبوعى التَّمِيمِىُّ ، أبو نَهْشَلٍ شاعِرٌ فَحْلٌ صحابِىٌّ من أشْرافِ قَوْمِهِ اشْتُهِرَ فى الجاهلية والإسلام وأشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك الذى قتله خالد بن الوليد فى حُروبِ الرِّدَةِ وتَسرَّى امرأته ، فغَضِبَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه على خالد ورد امرأةَ مالك إلى قومه . « معجم الشعراء ٤٣٢ ، الأغانى ١٤ : ٦٣ ، ابن خلكان ٦ : ١٢ ، الخزانة ٢ : ٢٤ ، الاصابة ترجمة ٧٧٢٣ » ، والبيت غير موجود فى ديوانه المجموع ، الشَّطْبَةُ : من الرجال والخيل الطويل الحَسَنُ الخَلْقِ .

(٤) ديوانه ص ٤٤ .

(٥) زيادة من النظام لوحة ١٨٦ .

(٦) ديوانه ص ٢٠ وفيه « أثرن غبارا » ، ومِسَحٌّ : أى يسح العَدْوَ سَحًّا مثل سَحّ المَطَرِ . السابحات : التى تبسط يديها إذا عدت فكأنها تسبح ، الونى : الفتورُ ، الكَدِيدُ : ماغَلُظَ من الأرض ، المُرَكَّل : الذى قد رَكَلَتْهُ الخَيْلُ بحوافِرِها .

(٧) ديوانه ١ : ٤٠٣ وعالج : رمال بين فيد والقريّات على طريق مكة « معجم البلدان » .

فَهذِهِ الطَّرِيقَةُ أَحْسنُ ، وتَلِـْكَ الطَّرِيقَةُ أَعَمُّ فى أشْعَارِهم وأَكْثَرُ ، فأَمَّا « حَوافِرُ حُفَرٌ » فَفِى غَايَةِ القَباحَةِ ، كَذلِكَ « صُلْبٌ صُلَّبُ » يريد صلابته .

وقوله : « أشَاعِرُ شُعْرٌ » معنَى صَحيحٌ ، لأَنَّ « الأشَاعِرَ » : ما حَوْلَ الحافِرِ من الشَّعْرِ ، ويُسْتَحبُّ أن يَكونَ وَافِياً ، و « خَلْقٌ أَخْلَقُ » أَيْضاً كلامٌ عَدْلٌ ، لأَنَّه أَرَادَ إمِّلاسَهُ واستواءَهُ ، والخَلاقَةُ أيضاً حُسْنٌ ، وإنَّما طَرَحَهُ فى تَخْلِيطِ الصَّدْرِ صِحَّةُ هذَا العَجُزِ ؛ لأنَّه أرادَ أَنْ يَجْعلَ ألفاظَ هذا البيتِ كُلَّها مُتَجانِسَةً ، وما أَفْسَدَ شِعْرَه وأَحَالَ أَكْثَر مَعانِيهِ وخَبَّلَهُ غَيْرُ عِشْقِهِ للطِّباقِ والتَّجْنِيسِ .

وقَوْلُهُ[(١)]: « وبِشُعْلَةٍ نَبْذٍ كَأَنَّ فَلِيلَها » يُرِيدُ ما تَفرَّقَ مِنْها فى صَهْوتَيهِ ، والصَّهْوةُ مَوضِعُ اللِّبْدِ ، وهُوَ مَقْعَدُ الفَارِسِ ، وذلِكَ المَوْضِعُ أَبَداً يَنْحَتُّ شَعْرُهُ ويَبْيَضُّ لِغَمْزِ السَّرْجِ إيَّاهُ ، وأَنْتَ تَراهُ فى الخَيْلِ كُلِّها على اخْتِلافِ شِياتِها ، ولَيْسَ هوَ بالبيَاضِ المَحْمودِ ، ولا هِىَ شُعْلَةٌ ، ولا البَياضُ فى [ ذَلِكَ المَوْضِعِ ](٢) أَنْ لَوْ كَانَ خِلْقَةً حَسَناً ولا جَميلَا ، وهذَا من أَقْبحِ الأَوْصافِ وأَهْجَنِها ، وأَبْعَدِها عن الصَّوابِ . والشُّعْلَةُ والشَّعَلُ إنَّما هِىَ بَياضٌ فى الذَّنَبِ والنَّاصِيَةِ / وهُوَ من عُيوبِ الخَيْلِ ، وهو ١٣٢
فى النَّاصِيةِ الشعَلُ والسَّعَفُ ، ولا يكونُ الشعَلُ فى الصَّهْوَةِ ، لا يُقَالُ : فَرَسٌ أَشْعَلُ إلاّ لِلَّذيِ فى عَرْضِ ذَنَبِه ، أو نَاحِيَةٍ مِنْ نَاصِيتِه بَيَاضٌ .

وقد أَخذَ البحترىُّ هَذا مِنْهُ ، فأَتَى بِهِ على غَايَةِ مَا يكونُ مِنَ الحَلاوَةِ والحُسْنِ فقَالَ[(٣)]:

وبِشُعْلَةٍ كالشَّيْبِ مَرَّ بِمَفْرِقَىْ    غَزِلٍ لهَا عَنْ شَيْبِهِ بِغَرامِهِ

---

(١) سبق البيت والتعليق فى ١ : ٢٥١ .

(٢) زيادة من النظام .

(٣) ديوانه ٣ : ١٩٨٧ وفيه : « فى شُعْلَةٍ كالشَّيْبِ لَاحَ » وانظر ١ : ٢٥٢ .

وأرادَ : « لَهِىَ » فقال : « لهَا » على لَفْظ طَيِّء ، فجعلَ الشَّعَلَ فى مَوْضِعِهِ ، لأَنَّهُ أرادَ النَّاصِيةَ ، إلاَّ أَنَّهَ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ المَدْح ، وهو عَيْبٌ فى الخَيْلِ ، [ لأَنَّهُ فَرَسٌ حَمَلَهُ عَلْيهِ مُحَمد بنُ يوسفَ ، فأَرادَ أن يُعْلِمَه أنَّ ذَلِكَ حَسَنٌ غَيْرُ مَعيبٍ ](١)

---

(١) ما بين القوسين سقط من الأصل ، والزيادة من النظام ٢ : لوحة ١٨٦ ، ونقل صاحبُ النِّظام بعد هذا تعليقًا آخرَ للآمدى على هذا البيت ، وربَّما كان هذَا التعليق من كتاب الآمدى المَفْقودِ « شرحُ معانى أبْياتِ أبى تَمّامٍ » ، قال ابن المستوفى : « وقال فى موضع : لمّا وصفه أراد ألا يجعل فيه عَيْبًا ، ولمّا شبّه الشَّعْر فى ناصيته بالشيب فى مَفْرِق الرّجل الغَزِلِ ، اعتذر للرّجل بأن جعله لَهِىَ عن خِضَابه وتَغْيِيره بِغَرامِه ، أى بلَهْوِه وغَزَلِهِ ، وهذا - وإن كان الشَّعَلُ عَيْبًا فى الخَيْلِ - من أحسنِ تَشْبيهٍ وألْيَقِه ، وأَوْقَعهِ فى مَوْقعه ، وأىُّ شَىءٍ فى بياضِ صهوةِ الفَرسِ من الحُسْن حتّى يُذْكَر ؟ لأَنَّ هذا المَوضعَ إنَّما يَبْيَضُّ لِغَمْزِ السَّرجِ إياهُ ، وأىُّ تَشبُّهٍ وقُربٍ بين صَهْوَةِ الفَرسِ ومَفْرِقِ الإنْسانِ ؟ آخر كلامه فى الموضعين .

قال المبارك بن أحمد : الإنشادُ الصحيحُ فى بَيْتِ البحتريّ : « فى شُعْلَةٍ » ، لأَنّ ماقَبْلَه مايَنْسُقُ عَلْيهِ ، ويجوزَ أن يكونَ « لَها » من « اللَّهْو » ، لا مِنَ « التَرْكِ » كأنَّه قال : « اشْتَغَل عن شَيْبِهِ بغرامِه » . ويكونُ المَعَنىٰ أيضًا صحيحًا ، والشُّعْلَةُ : أن يكونَ فى الذَّنَبِ بياضٌ مع أى لونٍ كانَ فى الفَرسِ ، وهذا هو الأَكْثَرُ ، ورُبمّا كان فى النَاصِيَةِ ، قال الأصمعىُّ : إذا خَالَط البَياضُ الذَّنَبَ فى أىّ لَوْنٍ فذلِك الشُّعلَةُ ، يقال : فَرَسٌ أَشْعَلُ وفرس شَعْلاءُ ، ذكَرَه فى شِياتِ الخَيْلِ ، ولم يَذْكُره فى عُيوبها ، واستَعارَ أبو تمّام الشُّعلَةَ للصَّهْوةِ لِيَدُلَّ على أنَّ الفرَس كان جوادًا يكْثُر رُكوبُه فى الوقَائِع ، فيكونُ ذلك دَلالةً على شَجاعة ممدوحِهِ الذى أعطاهُ إيّاهُ ، وهُوَ الحَسنُ بنُ وَهبٍ ، فابْيَضَّ من مَوضِعِ صَهْوَتِهِ القليلُ لِقْولِهِ : « نُبْذٍ » ، وهو الشيءُ اليسيرُ ، وزاده قِلَّةً بقوله : « كأنَّ فُلولَها » فشبَّهَهُ بِبدُوِ الشَّيْبِ لِقِلَّتِه ، وهو أولىٰ من بيت البحترىّ : « فى شُعلَةٍ كالشَّيْبِ » ، لأَنَّ الأكثرَ الغَالِبَ ، أن تكونَ الشُّعلَةُ بياضًا فى الذَّنَب بجملها [ كذا ] بجملةِ الشَّيْبِ ، وإذا كَانت « الشَّعلَةُ » عند الآمدىّ عَيْبًا فذِكْرُ القَليلِ مِنْها أَجْوَدُ من ذِكْرِ الكثير .

وقولُ الآمَدى : « فجعَلَ الشَّعَلَ فى مَوْضِعِه ، لأَنَّهُ أرادَ الناصِيَةَ » فلا دَلالةَ فى البيت على أنَّه أرادَ النَّاصِيَةَ دون الذَنَبِ ، لِمَا ذَكَرهُ من أن الشَّعَلَ يكونُ فِيهما جَميعًا ، والأَكثرُ أن يَكونَ فى ذَنَبِ الفَرَسِ .

وقولُه : « إلا أنّه أخرجَهُ مَخرَج المَدْح ، وهو عَيْبٌ فى الخَيْلِ ، لأَنَّه فَرَسٌ حَملَهُ عَلَيْه محمد بن يوسف ، فأراد أن يُعْلِمَه أنّ ذلك حَسَنٌ غَيرُ مَعيبٍ » فاحتجاج ظاهِرٌ عنه عُذْرهُ ، لأَنّ حَمل مُحمَّدٍ البحترىَّ على هذا الفرسِ لايُزيلُ مافيهِ من عَيْبٍ إن كانَ فيه .

وما يزالُ الآمدىُّ كَثيرَ العصَبِيّةِ على أبى تمّام ، كثير العصبيّة للبُحْتُرِىّ ، وإن كانَ البحترىُّ أشعرَ مِنْهُ فى الخَاءيْنِ : الخَيْلِ ، والخَيَالِ » .

وقوله : « مُسْوَدٌّ شَطرٍ ومُبْيَضٌّ شَطرْ » ، فَشَطْرُ الشَّىء : ناحِيَتُهُ وجانِبُهُ ، قال اللّٰهُ تعالىٰ : « فولِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِد الحَرامِ »(١) أى نَاحِيَتَهُ وقد يُرادُ بالشَّطرِ نِصْفُ الشّىءِ ، فيُقالُ : قد شَاطَرْتُكَ مالِى ، أىْ : قد نَاصَفْتُكَ ، فهذا هو الأكثرُ الأعمُّ فيما يَسْتَعْملِونَ ، وذلِكَ من أَقبحِ شياتِ الأبْلَقِ على ظَاهِرِ هذا المَعْنىٰ ، ولم يُرِدْهُ ، وإنَّمَا أرادَ بالشَّطْرِ هَاهُنا : البَعْضَ ، أو الجُزءَ ، أى : مُسْوَدٌّ جُزْءٍ ومُبْيَضٌّ جُزْءٍ ، فجاءَ بالشَّطرِ ، والجَيِّدُ النادِرُ فى هذا قولُ البُحْتُرىِّ(٢) :

أو أَبْلَقٍ يَلْقَى العُيونَ إذا بَدا     من كُلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٍ بِنَموذَجِ

وقدْ كَانَ جَعَلَهُ فى أوَّلِ الأبْياتِ أشْعَلَ بقولِهِ : « وشُعْلَةٍ نَبذٍ »(٣) ، ثُمَّ جعلَه هاهُنا أبْلَقَ ، فهذَا الفَرَسُ هو الأَشْعَلُ الأَبْلَقُ ، على مَذهَبِ أبى تَمَّامٍ فى هذا التَّشْبِيهِ(٤) [ و ] لا يُنْكَرُ مثلُ هذَا من ابْتداعَاتِهِ .

وقولُهُ : « قد سالَتِ الأَوْضاحُ » ، و « الأَوْضاحُ » : بياضُ أطْرافِ الفَرسِ وقولُهُ : « فَمُفْتَرِقٌ عَلَيْه ومُلْتَقِى » لا أَعْرِفُ وَجْهَهُ إلا أَنْ يَكونَ أرادَ من بَياضِ التَّحْجِيلِ مالاَ يَسْتَديرُ على وَظِيفِهِ وإنَّما يُحيطُ بِبِعْضِهِ(٥) ومِنْهُ ما يُحيطُ بِهِ كُلِّهِ(٦) ،

---

(١) البقرة آية ١٤٤ .

(٢) ديوانه ١ : ٤٠٤ ، وفى الأصل « لو أبلق » .

(٣) فى الأصل : « فى هذه الشية » والتصحيح من ١ : ٢٥٢ .

(٤) نقل الخفاجى فى سر الفصاحة رأى الآمدى ثم قال : وهذا من أبى القاسم تحامل على أبى تمّام لأنه يصفُ فرسا أشعل ويريد بقوله : أنه « مُسَودٌّ شَطْرٍ ومُبْيَضٌّ شَطْرٍ » أن سوادَه وبياضَه متكافئان ، فلو جُمِعَ السوادُ لكان نصفَه وكذلك البياضُ ، وهذا الوصفُ من تكافُؤ السوّادِ والبياضِ فى الأشْعلِ مَحْمودٌ ، حتى إن النخاسين ليقولون : أشعل شعرة شعرة ، فعلى هذا لايكون شِعْرُ أبى تمام من المُتناقِضِ « سر الفصاحة ص ٤٣٣ » . .

(٥) العبارة فى الأصل مضطربة وجاءت هكذا « ما يستدير على وظيفة بعضه » والتصحيح من النظام لوحة ١٨٨ .

(٦) فى الأصل : « مالا يحيط به كله » والتصحيح من النظام ويؤيده الشرح بعده .

فَسَمَّىٰ ذَاكَ « مُفْتَرِقاً » وسَمَّىٰ هذَا « مُلْتَقيا » ، وهذَا وَصْفٌ ما سُمِعَ بِمِثْلِه ، ولا أُظُنُّ أحداً نَطَقَ بِهِ ، لأنَّهُ فى غَايَةِ القَبَاحَةِ ، وما دَعاهُ إلى مُفْتَرِقٍ ومُلْتَقٍ إلّا إعْوازُ الكَلامِ ، وحاجتُه إلى تَمامِ البَيْتِ .

وقولُهُ : « قد سَالَتِ الأَوضاحُ سَيْلَ قَرَارَةٍ » سَيْلاً اسْتَقَرّ فى مَوْضِعِهِ ، كما قَالَ[1] :

« ولِكُلِّ سَائِلَةٍ تَسيلُ قَرارُ »

أى مَوضِعٌ تَسْتَقِرُّ فيهِ ، فيريدُ : كأَنَّ البيَاضَ فى أَطْرافِهِ سَيْلٌ سالَ واسْتَقَرّ فى مَوْضِعِهِ .

وقولُهُ :

وكأَنَّ فارِسَه يُصرِّفُ إذ بدا فى مَتْنِهِ ابْناً للصَّباحِ الأَبْلَقِ

فهذا الذى يَنبغي أن تَسمَعهُ وتَضْحَكَ منهُ .

وقولُهُ : « .... من سُنْدسٍ بُرْداً ومن إسْتَبْرَقِ »

فالسُّنْدُسُ على ما يُقالُ : دَقيقُ الدِّيباجِ ، والإسْتَبرَقُ : غَليظُهُ ، ويُقالُ : السُّنْدسُ هُوَ الحريرُ الأَخْضَرُ ، وإنَّما أرادَ صفاءَ لَوْنِهِ ، وأَنَّ نُصوعَهَ كَنصوعِ الدِيبَاجِ ، ولَمْ يُرد هِذا اللَّونَ .

وقولُهُ : « إمْلِيسُهُ » يريد إمَّلاسَه واستواءَه ، وكذلِك « إمْلِيدُهُ » ، والأُمْلُودُ من القُضْبانِ : الحَسَنُ الاسْتِواءِ والإمَّلاسِ .

وقَولُهُ : « لو عُلِّقَت فى صَهْوتَيْهِ العَيْنُ لم تَتعلَّقِ » يُريد أنَّها تَلْمَعُ وتَرِفُّ من صَفائِها ، فلا يَتمكَّنُ النَّاظِرُ من إثْباتِ النَّظَرِ إلَيْها .

---

(١) ديوانه ١ : ٥١٣ والتبريزى ٢ : ١٥٣ وفيهما :

« كذاكَ لِكُلّ سائِلَةٍ قَرارُ »

وصَدْرُ البَيْتِ :

« وكانَتْ لَوعةٌ ثُمّ اطمأنَّتْ »

وقولُهُ :

أهدَى كُناراً جَدُّه فيما مَضىٰ    للسَّيْلِ واسْتَصْفَى أباةَ اليَلْبَقِ[١]

فهو مِمّا يتعلَّقُ بِخَبَرٍ وفيه مَعنىً غامِضٌ قد ذَكَرْتُهُ فيما أَفْرَدْتُهُ من تفسيرِ غَامِضِ مَعانيهِ[٢].

---

(١) فى الأصل « أناة » تصحيف .

(٢) يعنى كتابه « تفسير معانى أبيات أبى تمّام » والذى ذكره ابن المستوفى فى النّظام ونقل منه فى مواضع عدة ، ومن حسن الحظ أن ابن المستوفى قد نقل فيما نقله تفسير الآمدى لهذا المعنى فقال : « وقال الآمدى : « وأنشد البيت » وهذا البيت مما يُسأل عنه ، وإنّما يُفَسرِّه خبره وقصّته . وظاهِرُ المعنى أن جَدَّ هذا الفرسِ أهدى فيما مَضىٰ كُناراً للسَّيْل ، على أن كُنارًا اسم فَرِسٍ أعجمى ، كان جرى فى حَلْبَة مع هذا الفرس العربى جَدُّ هذا الفرس الذى ذكرهُ ، فجاء سابِقا وانقْطع الفرس الذى يُقالُ له : كُنَارٌ وتَلِفَ قبل الوُصولِ إلى الغايَةِ وإنما قَالَ : أهداهُ للسَّيل علي سَبيلِ المَثَلِ ، أى أهداه للهْلاكِ ، كما يُقالُ : سالَ به السَّيْلُ ، أى هَلَكَ ، ويجوزُ أن تكون ساخَتْ قوائِمُ كُنارٍ فى رَمْلٍ سائِلٍ فبَقِىَ فى مَوضِعِه ، والدليلُ على هذا أنّه قالَ : « واسْتَصْفى أباةَ اليَلْبَق » والأباءَةُ : القَصَبَةُ مَمْدودَةً مَهمْوزةً فقصَرَها ضَرورةً و «اليَلْبَقُ » بالتركية : الأول ، ويُقالُ : الشديدُ ، فكأنّه أرادَ : أهدى كُنارا للسّيل واستصفى قصبةَ السَّبْق ، وجاء بلفِظةِ « اليَلبَقِ » لأنّها لغة أربابِ الفَرس المسبوقِ ، وهو كُنار ، ومعناها : الأوَل ، والشّديدُ ، وجعلها فى موضع السبق من اللغة العربية ، والله أعلم .

ويقال أنّ أبا تمّام أرادَ بقوله : « أهدى كُنارًا جدُّه » ، يعنى جدَّ هذا الفرس الذى وصفه ، وهو « الضُبَيبِ » فرسُ حنظلةَ الخير بن أبى رُهِمْ بن حَسّان الطائى ، ويقال له : فارِسُ الضُّبيبِ ، وكان غزا مع كسرى التُّرك ، فانهزم كِسرى ومن مَعَه ، وتَبع كسرى رَجلٌ كان مَلِكًا على الرىِّ يقال له : كُنارٌ ، أو على فرس يقال له : كُنار ، جَواد ، وإنّ كسرى كانَ يَنْظُر إلى الضُّبيْبِ تحت حَنْظَلةَ ، فنَزَل عنه فركِبَه كِسرى فنجا ، وانْقَطَع فَرَسُ الرجل الذى كان يَتْبَعُ كِسْرى ، فكان كِسْرى يَشْكُر ذلِكَ لحنِظْلَة ، وأقْطَعَه قُرىً من قُرى السواد ، وفى ذَلِك يقول حَنظَلةُ :

نَزلَتُ لَه عن الضُبَيْبِ وقد بَدَت    مسوّمَةٌ من خَيْل تُركٍ وكابُلِ

فى أبيات [ المؤتلف والمختلف ص ١٨٠ ، واللسان : « كبل » ] .

فذلك معنى قول أبى تمّام : أهدى كُنارًا جَدُّه يعنى الضُبَيبِ ، جَعَلَه جدَّ الفرسِ الذى وصَفَه ، للسَّيلِ : أى لِلْهلاكِ ، وأكثرُ النَّاس يروونَه « أباه » من الأبُوَّةِ ، وإنما هو : « أباةَ اليَلْبَق » يريد: أباءَة ، فقَصرَها على ماذَكَرْتُه » .

ثم عَقَّب ابن المستوفى على كلامِ الآمدى السابق فقال :

« وعلى أنَّ الذى ذكره الآمدىُّ مما أغْلقَ مَعناهُ وزَادَهُ قُبْحًا وفيهِ نَظَرٌ لِمَنْ تَأمّلَهُ » .

« النظام حـ ٢ لوحة ١٨٧ » .

وليس فى هذه الأبياتِ بَيْتٌ جيدٌ إلا قولُهُ :

« بِمُصعَّدٍ من حُسْنِه ومُصَوَّبِ »

وقوله :

« وتُطَرِّقُ الغُلَوَاءُ مِنْهُ إذا عَدا[١] »

وما بَقِىَ – ممّا [ لم ][٢] أذكره – صَالِحُ المعنى ، على ما فيه من التَّكلُّفِ .

وقال يَمْدَحُ مالِكَ بنَ طَوقٍ[٣] :

قالَتْ وعِىُّ النِّساءِ كالخَرَسِ

هلْ يَرْجِعَنْ غيرَ جَانِبٍ فَرساً ... ذو سَبَبٍ فى رَبِيعَةَ الفَرَسِ
كأنّنى بِىَ قدْ زُرْتُ ساحَتَها[٤] ... بِمُسْمِحٍ فى قِيادِهِ سَلِسِ
أحْمرَ منها مثل السّبِيكَةِ أوْ ... أحوىٰ بهِ كاللَّمَى أو اللَّعَسِ
أو أدْهَمٍ فيه كُمْتَةٌ أمَمٌ ... كأنَّه قِطْعَةٌ من الغَلَسِ
مُبْتَلُّ مَتْنٍ وَصَهْوَتَيْنِ إلىٰ ... حوافِــرٍ صُلَّبٍ لَهُ مُلُسِ[٥]
فَهوَ على الرَّوعِ والحلائبِ ذُو[٦] ... أعْلىٰ مُنَدًّى وأسْفَلٍ يَبَسِ
يُكْثِرُ[٧] أن يَسْتَحِمَّ فى الحَرِّ والـ ... ـقَرِّ حَميماً يزيدُ فى النَّجَسِ

---

(١) فى الأصل : « إذا بدا » .

(٢) ساقطة من الأصل ، ويقتضيها السياق .

(٣) ديوانه ١ : ٥٦٥ والتبريزى ٢ : ٢٣٤ وعجزه :
« وقد يصبن الفصوصَ فى الخُلَسِ »

(٤) ديوانه : « قد زِنْتُ » والتبريزى : « كأننى قد وردت » .

(٥) فى الأصل : « مُلْس » ، ولا تستقيم القافية مع التسكين وإن كان هو الصواب والتحريك جائز « انظر التبريزى ص ٢ : ٢٣٦ » .

(٦) ديوانه : « فهو لدى الروع » وكذلك التبريزى .

(٧) ديوانه والتبريزى : « يُكْبِرُ » ويجب تصحيح تَشْطير البيت فى ديوانه والتبريزى .

مُخَلَّقٌ وجْهُهُ علَى السَّبْقِ تَخْـ ـليقَ عَروسِ الإبْناءِ لِلْعُرُسِ (١)
/ حُرٌّ له سَوْرَةٌ لدَى السَّوْطِ والزَّ (م) جْرِ وعِنْدِ العِنَانِ والمَرَسِ (٢) ١٣٣
فَهْو يَسُرُّ الرُّواضَ بالنَّزِقِ السَّ (م) ـاكِنِ مِنْهُ واللِّينِ وَالشَّرَسِ (٣)
صَهْصَلِقٌ فى الصَّهِيلِ تَحْسَبُهُ أُشْرِجَ حُلْقُومُه على جَرَسِ
تَقْتُلُ عَشْراً من النَّعامِ بِهِ بِوَاحِدِ الشَّدِّ واحِدِ النَّفَسِ

قَوْلُهُ : « كأنَّنى بِى » من أَقْبَحِ ألفاظِ العَوَامِّ وأَسْخَفِها ، وقولُهُ : « أَحْمرَ منها » يريدُ الخَيلَ ، ولا شَىْءَ أَقْبَحُ من قَوْلِهِ : « مِنْها » ، ولَيْسَتْ بِهِ إليْها حاجَةٌ ، وقولُه : « أحْوىٰ » : فالحُوَّةُ حُمْرةٌ تَضْرِبُ إلى السَّوادِ ، وهِىَ من الألْوانِ التى تَسْتَحِبُّها العربُ ، وقولُهُ : « كاللَّمىٰ أو اللَّعَسِ » ، واللَّمىٰ : هو سوادُ اللِّثَةِ ، ويَدُلُّ على طِيبِ الفَمِ ، وبِهِ قيلَ للمراةِ لَمْياءُ ، و « اللَّعَسُ » سَوادٌ يعلو شَفَةَ المَرْأةِ البَيْضَاءِ وقد جَعَله العَجَّاجُ فى الجَسَدِ كُلِّه ، إذا كانَ بياضاً ناصعاً تعلوه أُدْمَةٌ خَفيفَةٌ ، قال : (٤)

وبَشَرٍ مع البيَاضِ أَلْعَسَا (٥)

فجعَلَهُ أبو تَمّامٍ فى أَلْوانِ الخَيْلِ ، وقد كان فى « أَحْوَىٰ » كِفايَةٌ ، لأنَّه اللّونُ المعروفُ من ألوانِ الخَيْلِ ، وهذا كلُّه إنّما يَأْتِى بِهِ لِشِدَّةِ مَحبَّتِهِ للإغْرابِ .

---

(١) فى ديوانه وشرح التبريزى : « الأبناء » بفتح أوله ، وقال أبو العلاء : « الأشبه أن يكون أراد كأبناء فارس وهم معشر باليمن يعرفون بهذا الاسم » ، ورواية الموازنة أصح فى رأيى ، وسيأتى الكلام عليها ، ويجب تصحيح تشطير البيت فى ديوانه والتبريزى .

(٢) ديوانه : « وعبد العنان » التبريزى : « ... لدى الزجر والسوط وعبد العنان ... » ويجب تصحيح تشطير البيت فى ديوانه والتبريزى .

(٣) حرّك محقق التبريزى هاء الضمير « فهو » وتبعه محقق شرح الصولى والواجب تسكينها . ويجب تصحيح تشطير البيت فى الديوان والتبريزى .

(٤) ديوانه ص ١٢٦ .

(٥) فى الأصل : « وبشرًا » بالنَّصْب والتَصْحيحُ من ديوانهِ بالجَرِّ لأنه مَعْطُوفٌ على البيتِ الذى قَبْلَهُ وهو قَوْلُهُ : « بِفَاحِمٍ دوُوِىَ حتى اعْلَنْكَسا » .

وقولُهُ : « أو أُدْهَمٌ فيهِ كُمْتَةٌ أَمَمٌ » فالأَمَمُ : القَصْدُ ، أى كُمْتَتَهُ مُقْتَصِدةٌ يَسيرَةٌ ، ولهذا يُقالُ فى تَفسير الأَمَمِ مَرّةً يُقالُ : قَصْدٌ ، ومرّةَ : قَرِيبٌ ، وهذا من ألوانِ الخَيْلِ يقالُ لَه : أَدْهَمُ ، على ما ذَكره أبو عُبَيْدة(١) ، وهو أَهْوَنُ الدُّهْمِ سَوَاداً ، وتراهُ تَعْلوه حُمْرَةٌ ، ويقال للأُنْثىٰ : جَوْنَةٌ ، ولِلْجَميع جُونٌ [ وإنّما يُقالُ : أَدْهمُ جَوْنٌ ، ولا يُقالُ : أَدْهَمُ فيه كُمْتَةٌ(٢) ] ، وقولُه : « كأنَّه قِطْعَةٌ مِنَ الغَلَسِ » أى : هُو أَدْهَمُ تَعلوهُ حُمْرَةٌ يَسيرَةٌ ، كما أَنَّ الغَلَس هو اخْتِلاطُ الظُّلمةِ بِضِياءِ النَّهارِ ، وذلِكَ الوَقْتُ لا حُمْرَةَ فيهِ ، وإنَّما هو بَياضُ الفَجْرِ يَعْتَرِضُ الأُفُقَ ، فإذا جاءَتِ الحُمْرَةُ فَلَيْسَ ذَلِكَ بَغلَسٍ ، بل ذلك حُمْرَةُ الشَّمْسِ وأَوَّلُ النَّهارِ ، وقد تَبِعَهُ البُحْترىُّ فى هذا المَعنىٰ فقالَ فى وَصْفِ لَونِ الفَرَسِ بالحُمْرةِ(٣) :

صِبْغَةُ الأُفْقِ بينَ آخِرِ لَيْلٍ مُنْقَضٍ شَأنُهُ وأَوَّلِ فَجْرِ

ولا حُمْرَةَ بينَ آخِرِ اللَّيْلِ ، وأَوَّلِ الفَجْرِ ، لأَنَّ أَوّلَ الفَجْرِ الزُّرْقَةُ ثُمَّ البَياضُ ، وإذا جاءتِ الحُمْرَةُ فذَلِكَ لِطلوعِ الشَّمْسِ ، وهو أَوَّلُ النَّهارِ ، وهذَا الوصْفُ مِنْهما جميعاً عندى إلى الخَطإِ أَقْرَبُ منه إلى الصَّوابِ .

وقوله :

يُكْثِرُ أنْ يَسْتَحِمَّ فى الحرِّ والـ ـقرِّ حَميماً يزيدُ فى النَّجَسِ

---

(١) هو مَعْمرُ بن المثنى مولى بنى تيم قريش اللغوى البصرى ، من أئمةِ العلم والأدب ، وقال ابن قتيبة : كان الغريبُ أغلبَ عليه وأخبارُ العرب وأيامُها ، وكان مع معرفتِه ربّما لم يُقِمْ البيتَ إذا أنشدَه حتى يَكْسِرَهُ ، وكان يُخطِىءُ إذا قرأ نَظَرًا ، وكان يَنْتَقِصُ العرَبَ وألَّف فى مثالبها كُتُبًا ، وكان يَرى رَأْىَ الخَوارِج ، وُلِدَ سنة ١١٠ وتوفى سنة ٢٠٩ « المعارف لابن قتيبة ٥٤٣ ، وفيات الأعيان ٥ : ٢٣٥ ، بغية الوعاة ٢ : ٢٩٤ ، وانظر كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ٢٣٠ » .

(٢) زيادة من النظام .

(٣) ديوانه ٢ : ٩٧٣ وقد سبق فى ١ : ٣٧٧ ، ففى ديوانه : « صبغة الأفق عند ... » وفى الأصل « وأوّل الفجر » .

يُرِيدُ أنَّه إذا جَرى فى أىِّ أَوقاتِ[1] الزَّمانِ – من حَرٍّ كانَ أو مِنْ بَرْدٍ – أَرسَلَ العَرقَ ، وذلِكَ مِمَّا يُحمدُ فى الخَيْل ، ويُكْرَهُ مِنْها الذى يُبطىءُ عَرَقُهُ أو يَقِلُّ ، وقَوْلُهُ : « يزَيِدُ فى النَّجَسِ » من إبْداعاتِه القَبيحَةِ ، أى : لَيْسَ استحْمامُهُ مِمَّا يُؤدِّي إلى طَهارَةٍ ونَظافةٍ ، بل ذَاكَ يَزِيدُ فى النَّجَسِ ، يُريد النَّجاسةَ ، ولَيْسَتْ هُناك نَجاسةٌ ، وإنَّما أرادَ : يزِيدُ فى الوَسخ الذى يَتَعلَّقُ به من الغُبارِ وغَيرِه ، فجعلَ مكانَ الوَسخِ النَّجَسَ من أَجْلِ القَافِية فَقبَّحَ كُلَّ التَّقْبيحِ ، ومن أَوْصافِ جِيادِ الخَيْلِ ودَلائِلِ العتِق فِيها طِيبُ رائِحَةِ العَرَقِ ، قال أبو النَّجْم[2] :

كأنَّ مِسْكاً عَلَّهُ مُعلِّلُهْ فى نَاضِحِ المَاءِ الذى يُشَلْشِلُهْ

قوله : « مُخَلَّقٌ وَجْهُهُ على السَّبْقِ » مَعنىً عامِىٌّ[3] وبيتٌ سَخيفٌ ، وقال : « عروسُ الإبْناء » ، ولم يَقُلْ : « البِناءِ » ، لأنَّ البِناءَ مصدرُ البَانى على أَهْلِه ، فإذا صَنَع غَيْرُه لَه أَمْرَ البِنَاءِ فقد أَبْناهُ ، كما يَبْنِى البَانى البَيْتَ ، فإذا أعانَه غَيْرُهُ ، أو أَمْكَنَه من بِنَائِهِ فقد أَبْناهُ ، كمَا قال الشاعِرُ[4] :

لَوْ وَصَلَ الغَيْثُ أَبْنَيْنَ امْرأً كانَتْ لَهُ قُبَّةٌ – سَحْقَ بِجَادْ

« أَبْنَيْنَ امْرأً » يَعنِى الخَيْلَ إذا أَغارَتْ[5] أَلْحقَتِ الغَنِىَّ بالفَقيرِ .

---

(١) فى الأصل : « أول » تحريف والتصحيح من النظام .

(٢) البيت الأول فى ديوانه ص ١٧١ ، وفيه « تخال مسكاً ... » ، ولم أعثر على البيت الثانى .

(٣) فى الأصل : « عام » والتصحيح من النظام .

(٤) البيت فى الحيوان ٥ : ٤٦١ ، والمخصص ٥ : ١٢٢ ، والخصائص ١ : ٣٨ وفيه : أنه لأبى مارد الشيبانى ، والمعانى الكبير لابن قتيبة ص ٨٩٤ ، والتنبيه ١٩ ، وفسره فقال : « لو اتَّصل الغَيْثُ وأخصَبْنا لاغزْنا على المَلكِ وأَخذْنا مَتاعَهُ وقُبَّتَهُ حتى نَحوجَه أنْ يَتَّخذ قبةً من قِطْعةِ كِسَاءٍ » . وانظر اللسان مادة بنَى ، وتعليق الميمنى فى السمط ص ٢٣ .

(٥) فى الأصل « غارت » .

وقولُهُ : « حُرٌّ لَهُ سَوْرَةٌ » أى : حرُّ الطِّينَةِ ، كرِيمُ الأَصْلِ ، لا يَصْبِرُ على الهَوانِ ، فَلَهُ عِنْدَ السَّوطِ والزَّجْرِ سَوْرَةٌ ، لا كالكَوْدَنِ الذى إذا ضُرِبَ لم يُحَرِّكْ منه الضَّرْبُ كبيرَ تَحريكٍ ، وقولُهُ : « عِنْدَ العِنَانِ » أى لَه سَوْرَةٌ ، أى : انْبعاثٌ وحَرَكَةٌ عند السَّوطِ والزَّجرِ وعند تَحْريكِ العِنَانِ ، وإنَّما أرادَ قولَ امرىءِ القَيْسِ (١) :

فَلِلزَّجْرِ أُلْهُوبٌ ولِلسَّاقِ دِرَّةٌ وللسَّوْطِ مِنْه وَقْعُ أَهْوجَ مِنْعَبِ

وبَقِىَ قَوْلُهُ : « والمَرَس » وهو مِمَّا يُسأَل عَنْهُ ، وإنَّما جعل المَرَسَ – وهو المَعْقودُ – تَبعاً للعِنَانِ إذا حَرَّكَهُ ، لأنَّ الفَرَسَ يُلْجَمُ ومِقْوَدُهُ عَلَيْهِ ، كذلك تَفْعَلُ العَرَبُ والصَّعاليكُ (٢) .

١٣٤ وقوله : « يَسرُّ الرُّواضَ بالنَّزِقِ السَّاكِنِ (٣) » – الزَّاىُ / من « النَّزِق » مَكسُورَةٌ – أى : يَسُرُّ الرّواضُ منه ، أى : من نَفْسِه ، « النَّزِقِ السَّاكِنِ » أى : إذا سَكَّنُوهُ سَكَنَ وإذا نَزَّقُوه نَزَقَ ، وكذلِكَ « اللَّيِّنُ والشَّرِسُ » ، ويُرْوى « اللَّيِّنِ الشَّرِسِ » مثل « النَّزِقِ السَّاكِنِ » .

و « الصَّهْصَلِقُ » الصّافى من الأصوات الحَادُّ ، وقولُه : « تَقْتُلُ عَشْراً من النَّعامِ بِهِ » أى : إذا أُرْسَلْتَهُ إلى عَشْرِ نَعامَاتٍ أَقْعَصَها ، وقولُهُ : « بِوَاحِدِ الشَّدِّ » أى :

---

(١) ديوانه ص ٥١ ، وفى الأصل « أحرج مهدب » والتصحيح من ديوانه ، أُلْهوبٌ : أى أَلْهبَ الجَرْىَ كالْتِهابِ النّارِ ، والمِنْعَبُ : الذى يَسْتعين بعُنُقِه فى الجَرْى ويَمُدُّه . « ديوانه » .

(٢) روايته كما ذكرت فى ديوانه والتبريزى « عبد العنان والمَرَس » وفى التبريزى : « هو حرُّ النَّفْس يغضب عند السَّوطِ والزَجْر ، فإذا دُورِىَ وخُوتِلَ كان عبدا للعِنَان والحَبْلِ ، وأحسن الانقيادَ والطاعةَ » وهذه الرواية يؤيدها البيت الذى بعده .

(٣) وقع وهم من الناسخ هنا إذ ظنّ أن كلمة « الساكن » هى وصف لإحدى حركات الكلمة فَجرَّ « الزاى » فصارت « النزق الساكن الزاى » ثم شطب الكسرة تحت الزاى ورسم السكون فوقها غير أن الوزن لايستقيم فضلا عن عدم صحتها .

بالطَّلَقِ الوَاحِد ، لا بتَكْرِيرِ العَدْوِ ، وقولُهُ : « واحِدِ النَّفسِ » أى : بِشَدٍّ واحِدٍ ، ونَفَسٍ واحد ، لا بِتَكْرِيرِ الأنفاسِ المُوجِبَةِ لِلْبَهْرِ(١) والتَّعَبِ .

وقال فى قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب(٢) :

هل أثَرٌ مِنْ دِيارِهم دَعْسُ(٣)

نِعْمَ متاعُ الدُّنيا حَبَاكَ بهِ ... أَرْوَعُ لا جَيْدَرٌ ولا جِبْسُ(٤)

أَصْفَرُ مِنْها كأنَّه مُحَةُ الْـ ... ـبَيْضَةِ صافٍ كَأَنَّه عَجْسُ(٥)

هَادِيهِ جِذْعٌ من الأَرَاكِ ومَا ... خَلْفَ الصَّلا مِنْهُ صَخْرةٌ جَلْسُ(٦)

يكادُ يَجرى الجادِىُّ من ماءِ عِطْـ ... ـفَيْهِ ، ويُجْنَى مِنْ مَتْنِهِ الوَرْسُ

هُذِّبَ فى جِنْسِهِ ونَالَ المَدَى ... بِنَفْسِهِ فَهُوَ وَحْدَهُ جِنْسُ

أَحْرَزَ آباؤُه الفَضِيلَةَ مُذْ ... تَفَرَّسَتْ فى عُروقِها الفُرْسُ

لَيْس بديعاً(٧) مِنْه ولا عَجَباً ... أن تَطْرُقَ الماءَ وِرْدُهُ خَمْسُ

يَتْرُكُ ما مَرَّ مُذْ قُبَيْلُ بِهِ ... كأنَّ أَدْنَى عَهْدٍ بِهِ الأَمْسُ

وهو إذا ما نَاجَاهُ فَارِسُهُ ... يَفْهَمُ عنْهُ ما تَفْهَمُ الإنْسُ

---

(١) البَهْرُ : مصدر البُهْرِ وهو تتَابُع النَفَسِ من الإعياءِ .

(٢) ديوانه ١ : ٥٥٦ والتبريزى ٢ : ٢٢٣ .

(٣) عجزه : « حيث تلاقى الأجراع والوَعْسُ »

والدَعْس : الموطوءُ ، والدَعْساءَ : ما طال من الرمال ولان ، والأجراعُ : مواضعُ تُنشِفُ الماء سريعا . وقال التبريزى : هذا الضرب لم يذكره الخليل فى العروض وذكره غيره فى المنسرح ، وجعل العروض الأولى ضربين ، هذا الثانى منهما ، وتستعمل بردف وغير ردف ، والردف أحسن ، ولم يستعمله القدماء وهو قليل فى أشعار المحدثين .

(٤) يعنى فرسا حمله عليه . والجيدر : القصير ، والجبس : الوخم الثقيل .

(٥) ديوانه : « أصفر فيها » وقال أبو العلاء الرواية الصحيحة « أصفر منها »

(٦) سبق فى ١ : ١٤١ .

(٧) فى الأصل : « بدعيا » تحريف .

وَهْوَ ولمَّا تَهْبِطْ ثَنِيَّتُهُ لا الرُّبْعُ فى نَقْعِهِ ولا السُّدْسُ (١)
وَهْوَ إذَا مارنَا بِمُقْلَتِهِ كَانَتْ سُخاماً كأنَّها نِقْسُ (٢)
وهو إذا ما أَعَرْتَ غُرَّتَهُ عَيْنَيكَ لَاحَتْ كأنَّها بِرْسُ (٣)
ضُمِّخَ من لَوْنِه فجاءَ كأَنْ قَدْ كَسَفَتْ فى أَدِيمِهِ الشَّمْسُ
كُلُّ ثَمينٍ من الثَّناءِ بِهِ غَيْرُ ثَنائِى فإنَّهُ بَخْسُ

قولَهُ : « أَصْفَرُ مِنْها » مِثْلُ قَوْلِهِ فى القَصيدَةِ التى قَبْلَها : « أَحْمَرُ مِنْها » (٤) ، يريدُ من الخَيْلِ ، وهى فى هذا الموضعِ عِيٌّ قَبِيحٌ ، ولُكْنَةٌ تَزِيدُ على كُلِّ لُكْنَةٍ (٥) ، و « العِجْسُ » والمَعْجِسُ من القَوْسِ مَقْبِضُ الرّامي .

وقولُهُ : « هَادِيهِ جِذْعٌ من الأراكِ » غَلَطٌ ، لأنَّ عيدانَ الأَرَاكِ لا تُسمَّى جذُوعا ، ولا تَعْظُمُ حَتَّى تَكونَ فى امْتلاءِ الجُذوعِ ، ولا اسْتِوائِها ولا قَرِيباً مِنْها ، و « الصَّلا » الظَّهْرُ ، و « الصَّخْرَةُ الجَلْسُ » يَعنى كَفَلَهُ ، شَبَّهَهُ بالصَّخْرَةِ ، لِشِدَّةِ لَحْمِهِ وصَلابَتِهِ ، أَرادَ أن يَنْفِيَ عَنهُ الرَّخاوَةَ ، وقولُهُ : « جَلْسُ » يُرِيدُ مُتَمكِّنَةً فى مَوْضِعِها .

و « الجَادِيُّ » الزَّعْفرانُ ، و « الوَرْسُ » هو العُصْفُرُ وهو الحُصُّ .

---

(١) ديوانه والتبريزى « جريه » .
(٢) ديوانه والتبريزى : « رمى » « والنِّقْسُ » : المداد .
(٣) البِرْسُ : القطن .
(٤) انظر ص ٤٠٠ .
(٥) أورد ابن المستوفى فى النظام زيادة على كلام الآمدى هذا ، ولأنه قد يكون نقلها من موضع آخر غير كتاب الموازنة ، أَثْبَتُّهَا هنا وهى : « وأظنه عمر بمعنى حميد بن ثور يصف ناقة :

وصَهْبَاءَ مِنها كالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ به الحَمْل حتى زَاد شَهْرًا عَدِيدُها

قوله : « مِنها » يريد من الإبل ولم يجر لها ذكر ، وليس هذا فى الرداءة كقول أبى تمّام ، لأن هذا اخترع الكلام فى الحال ، وأبو تَمّامٍ يُطيلُ الرَوِيَّةَ وهو مُتَّبِعٌ ، وسبيله ألا يَحْتَذِيَ إلا على أحسنِ الألفاظ » .
« النظام ٢ لوحة ١٠٠ » .

وقولُهُ : « وِرْدُهُ خَمْسُ » أى لَيْس عجيبا أن يُصبِّحَ السَّيْرَ ، ويَطْرُقَ الماءَ ، أى يأتِيه طُرُوقاً ، أى مَساءً ، وَوِرْدُهُ خَمْسُ ، أَىْ : لا يُوصَلُ إليه فى المَسيرِ إلاّ فى اليومِ الخامسِ ، فَيسيرُ هو فى يَوْمٍ واحِدٍ ، لأنّهُ ليس فى ذِكْرِ الطُّرُوقِ فائِدَةٌ إلاّ إذا كانَ السَّيرُ من أوَّلِ نَهارِ ذلكِ اليومِ ، وإلاّ فالكَوْدَنُ والحَميرُ قد تَطْرُقُ ذَلِكَ الماءَ بعد سَيْرِ أيَّامٍ ولِذلِكَ قالَ :

يترُكَ مامَرَّ مُذْ قُبَيْلُ بِهِ كأنَّ أَدْنَىٰ عهْدٍ بِهِ الأَمْسُ

وإنما أرادَ السُّرعَةَ .

وقَوْلُهُ : « لا الرُّبْعُ فى نَقْعِهِ ولا السُّدْسُ » فالرُّبْعُ أرادَ جَمْعَ رَبَاع ، والسُّدْسُ جَمع سَديس ، وأراد الرُّبُعَ والسُّدُسُ ، فسَكَّنَ عَيْنَ الفِعْلِ ، والرَّباعىُّ مِنَ الخَيْلِ الذى قد سَقَطَتْ رَباعِيَتُهُ فى السَّنَةِ الرَّابِعَةِ ، وفى السَّنَةِ الخَامِسَةِ هُوَ قَارِحٌ ، ولَيْسَ السَّدِيسُ من أَوْصافِ الخَيْلِ ، وإنَّما ذَلِكَ فى الإِبِلِ ، وهذا غَلَطٌ مِنْهُ إن كانَ أرادَ الخَيْلَ ، وإن كان أرادَ الرَّباعِيَّ من الإِبِلِ – وهو الذى يُلْقِى رَباعِيَتَهُ فى السَّنَةِ السَّادِسَةِ ، والسَّديسُ هو الذى يُلْقِى السِّنَّ التى بَعْد الرَّبَاعِيَةِ فى السَّنَةِ التَاسِعَةِ – لا يَلْحقَانِ نَقْعَهُ – أى غُبارَهُ – فذلِكَ سائِغٌ ، أى أنَّ الإِبِلَ لا تَلْحَقُهُ فى الجَرْىِ أو فى السَّيْرِ .

ووجدْتُ فى أَكْثرِ النُّسَخِ العُتْقِ :

وَهْوَ إذا ما أَعَرْتَ عُذْرَتَهُ عَيْنَيْكَ لَاحَتْ كأنَها بِرْسُ

و « العُذْرَةُ » من الفَرسِ هِى خُصْلَةُ الشَّعْرِ التى على قَفَاهُ ، ولَيْس بياضُ ذَلِك الشَّعْرِ بِمَحْمودٍ ، بَلْ هو عِنْدِى عَيْبٌ ، كما أنَّ بياضَ النَّاصِيَةِ عَيْبٌ ويُسَمَّىٰ : السَّعَفُ ، وهو من عيُوبِ الخَيْلِ ، وما أَظُنُّهُ قالَ إلاّ « غُرَّتَهُ » .

فهذا ما وَجَدْتُ لَهُ من [ وَصْفِ ](١) الخَيْلِ فى هذهِ القصائِدِ الأَرْبعِ ، ولَيْسَ لَهُ طَبْعٌ فى وَصْفِ الخَيْلِ يَدُلُّ على ذَلِكَ قِلَّةُ مَعْرِفَتِهِ بِهَا ، ومُلَابَستِهِ لِهَا .

وقد قالَ البُحْتُرِىُّ(٢) وأَحْسنَ كُلَّ الإِحْسانِ :

١٣٥ / مَالَتْ نَواحى عُرْفِهِ فكَأَنَّها ... عَذَبَاتُ أَثْلٍ مَالَ تَحْت حَمَامِهِ
واسودَّ ثُمَّ صَفَتْ لِعَيْنَىْ نَاظِرٍ ... جَنباتُهُ ، فأَضاءَ فى إِظْلامِهِ
ومُقَدِّمُ الأُذُنَيْنِ يُحْسَبُ(٣) أَنَّهُ ... بِهِمَا يَرىٰ الشَّخْصَ الذى لِأَمَامِهِ
يَخْتَالُ فى اسْتِعْراضِهِ ويُكِبُّ فى اسـ ... ـتِدْبارِهِ ، ويَشِبُّ فى اسْتِقْدَامِهِ
وإِذا التَقَى الثَّفَرُ(٤) القَصيرُ وراءَهَ ... فالطُّولُ حَظُّ عِنَانِهِ وحِزَامِهِ
وكأَنَّ فَارِسَه وراءَ قَذَالِهِ ... رِدْفٌ فَلَسْتَ تَراهُ من قُدَامِهِ
لَانَتْ معاطِفُهُ فَخَيَّلَ أَنَّهُ ... للخَيْزُرانِ مُناسِبٌ بعِظَامِهِ
فى شُعْلَةٍ كالشَّيْبِ مَرَّ بِمَفْرِقَىْ ... غَزِلٍ لَهَا عن شَيْبِهِ بغَرَامِهِ
ومُرَدَّدٌ(٥) بَيْنَ القَوافِى يَجْتَنِى ... ما شَاءَ من أَلِفِ القَرِيضِ ولَامِهِ
وكأَنَّ صَهْلَتَهُ إذا اسْتَعْلىٰ بِهَا ... رَعْدٌ تَقَعْقَعَ(٦) فى ازْدِحامِ غَمامِهِ
مِثْلُ الغُرابِ بَدَا(٧) يُبارِى صَحْبَهُ ... بِسَوادِ نُقْبَتِهِ وحُسْنِ قَوامِهِ
أَو كالعُقَابِ انقضَّ من عَلْيائِهِ ... فى بَاقِرِ « الصَّمَّانِ » أَو أَرْآمِهِ
لا شَىْءَ أَجْوَدُ مِنْهُ غَيْرُ فتىً غَدا ... من جُودِهِ الأَوْفىٰ وَمِنْ إِنْعامِهِ

---

(١) لازمة للسياق .
(٢) ديوانه ٣ : ١٩٨٦ وفيه « جوانب عرقه » .
(٣) ديوانه « تحسب » .
(٤) الثَفَر : السير الذى فى مؤخرّ السَّرج .
(٥) فى الأصل « ومُرَدَّدٍ » .
(٦) فى ديوانه : « يُقَعْقِعُ » بصيغةِ المضارع .
(٧) ديوانه : « أو كالغراب غدا » .

أَرْسَلْتَهُ مِلءَ العيونِ مُسلَّمًا     مِنْها لِشَهْوتِها لِطولِ دَوامِهِ[(١)]
وكأنَّ كُلَّ عجيبةٍ مَوْصولَةٌ     بِتَقَسُّمِ اللَّحظَاتِ فى أقْسامِهِ
والطِّرْفُ أجْلَبُ زائرٍ لِمَؤُونَةٍ     مالَمْ تُزِرْهُ بِسَرْجِهِ ولِجَامِهِ

قَوْلُهُ : « ومُقَدَّمُ الأُذُنَيْنِ » بِكَسْرِ الدَّالِ ، يريدُ أنَّهُ يُنْصِبُهُما ، وإذا فَعَلَ ذَلِكَ فإلى قُدّامِهِ يُنْصِبُهُما ، وإنَّما يَفْعَلُ الفَرَسُ ذلك لأنَّهُ يُصغِي بها فَيَسْمَعُ الشيءَ على بُعدٍ ، يقالُ : « أَسْمَعُ من فرسٍ » ، وكُلَّما أَنِسَ شيئًا أو خافَ من شَيءٍ عَرَفْتَ ذلِكَ من نَصْبِه أُذُنَيْهِ وتَقْديمِهِ إيَّاهُما .

وقولُهُ : « يخْتالُ فى اسْتِعْراضِهِ » أى إذا اسْتَعْرضْتَهُ فرأيْتَهُ من عُرْضِهِ رَأيْتَ خُيَلاءَهُ ، وقولُهُ : « ويُكِبُّ فى اسْتِدْبارِهِ » أى إذا رأيْتَهُ مُسْتَدْبِراً رأيْتَهُ كالمُكِبِّ لارْتفاعِ كَفَلِهِ ، وقَوْلُهُ : « ويَشِبُّ فى اسْتِقْدامِهِ » أى إذا رأيْتَهُ من مُقَدَّمِهِ مُقْبِلاً كأنَّهُ قد شَبَّ لإشْرافِ رَأسِهِ وعُنُقِهِ ، وهذا أَوْضَحُ وأحْسَنُ ما يكونُ من أَوْصافِ الخَيْلِ ، وذلِكَ كما قالَ ابنُ أُقَيْصِرَ[(٢)] – وكان أعلَمَ النَّاسِ بالخَيْلِ –: خَيْرُ الْخَيْلِ ما إذا اسْتَقْبَلْتَهُ أَقْعَى ، وإذا اسْتَدْبَرْتَهُ جَبَّى ، وإذا اسْتَعرضْتَهُ اسْتَوى[(٣)] .

والمُقْعِى : يَرْفَعُ مُقَدَّمَهُ ويَخْفِضُ مُؤَخَّرَهُ ، والمُجَبِّى : الذى يَرْفَعُ مُؤَخَّرَهُ ويَخْفِضُ مُقَدَّمَهُ ، وهذاوَصْفُ البُحْتُرىِّ بِعَيْنِهِ .

---

(١) ديوانه : « بشهوتها » .

(٢) ابن أقيصر هو أحد بنى أسد بن خُزيمة . أرسل عبد الرحمن الثقفى – وكان والياً على الكوفة – ألفَ فرس فى حَلبة فعرضها على ابن أقيصر فقال : تجيء هذه سابقة ، قال : فجاءت سابقة « الأمالى ٢ : ٢٥١ وعيون الأخبار ٢ : ١٥٤ » .

(٣) وزاد فى عيون الأخبار : وإذا مشى ردَى ، وإذا عدا دحا ، وفى الأمالى : خير الخيل الذى إذا استقبلته جَنَأ ، وإذا استدبرته أَقْعى ، وإذا استعرضته استوى ، وإذا مشى رَدَى ، وإذا عدا دحا . وانظر أيضا العقد الفريد ٢ : ١٥٤ .

وقَوْلُهُ : « وإذا اتّقى الثَّفَرُ القَصيرُ وَراءَه » ، إنَّما جَعلَهُ قصيراً لِيَدُلَّ على قِصَرِ ظَهْرِ الفَرسِ ، وذلك هو المحمودُ فى الظَّهْرِ ، والطُّولُ مَذْمومٌ فيه ، وقولُه : « فالطُّولُ حَظُّ عِنَانِهِ وحِزَامِهِ » ، لأنَّ العِنَان إنَّما يَطولُ لِطُولِ عُنُقِ الفَرسِ ، وكُلَّما طالَتْ عُنُقُ الفَرَسِ كان أَعْتَقَ لَهُ وأكْرَم وأسْرَع إذا عَدا ، وإذا طالَ الحِزامُ فإنَّما هو لانْتِفاخِ جَوْفِهِ ، وذلِكُ هو المَحْمودُ وضِدُّهُ الهَضْمُ ، فَوصَفَهُ فى هذا البَيتِ بِطُولِ العُنُقِ وانْتِفاخِ الجَنْبَيْنِ وقِصَرِ الظَّهْرِ فأحسنَ كلَّ الإحسانِ ، وأتى من الوَصْفِ بالصَّوابِ كُلِّهِ فى أَجْودِ لَفْظٍ وأحْسنِ نَسْجٍ .

وقولُهُ : « وكأنَّ رَاكِبَه وراء قَذَالِهِ رِدْفٌ » أى : وكأنَّ راكِبَهُ ردفٌ وراءَ قَذَالِه ، أى تَحْسَبُهُ رَديفاً لإشْرافِ رَأْسِهِ وعُنُقِهِ ، فلَسْتَ تَراهُ من قُدَّامِهِ .

وقولُهُ : « وبِشُعْلةٍ كالشَّيْبِ ... » أَحسنَ فيه كُلَّ الإحْسانِ لأنَّه يَصِفُ فَرسًا أَدْهمَ ، فأرادَ أنَّ شُعْلَته شَعَراتٌ بيضٌ يسيرةٌ فى دُهْمَتِهِ ، كما يَبْتَدِىءُ الشَّيْبُ بِمفْرِقِى الرَّجلِ الغَزِل فَيَلْهى عَنْهُ ، ولا يُزيلُهُ بِخِضَابٍ وغَيْرِهِ لا شْتِغَالِهِ بِلَهْوِهِ وغَرامِه ، وهذا أَحسنُ وأصحُّ وأَلْيَقُ ما يكونُ من الأَوْصافِ فى مِثْلِ هذا المعنى لا قولُ أبى تمَّامٍ :

وبِشُعْلَةٍ نَبْذٍ كَأَنَّ فَليلِهَا فى صَهْوتَيْهِ بُدُوُّ شَيْبِ المَفْرِقِ

وهو يَصِفُ فرسًا أَبْلَقَ .

وقولُهُ : « لِلْخَيْزُرانِ مُناسِبٌ بعِظَامِهِ »(١) تَشْبيهٌ فى غايَةِ الصِّحَّةِ والاسْتِقامَةِ .

وقوله : « مِثْلُ الغُرابِ » يريدُ سوادَه واستواءَه ، يعنى الغُرَابَ الأَسْوَدَ .

---

(١) فى الأصل : « لعظامه » تحريف .

وقولُه[(١)] : « أو كالعُقابِ انقضَّ من عليْائِهِ » رَدِيءٌ ، لأنَّ العقَابَ أُنثى ، قال امرؤ القيس :

عُقابٌ تَدَلَّتْ من شَمارِيخِ ثَهْلانِ[(٢)]

وقد ذكرها وعلةُ الجرمىُّ[(٣)] فقال :

١٣٦ / عُقابٌ تَدلَّى عند تَيْمَنَ كاسِرُ[(٤)]

وأظُنُّهُ أَخرَج كَاسِراً مُخرَجَ : جَارِيةٍ بَالِغٍ وطَاهِرٍ ، أى ذَاتُ بلُوغٍ وطُهْرٍ[(٥)] ، وناقَةٌ ضَامِرٌ ونازِعٌ إلى وَطَنِها ، كما يُقالُ للجمَلِ عاقِرٌ ، وعانِسٌ للرَّجُلِ والمَرأَةِ ، وقَوْلُهُ : « فى بَاقِرِ الصَّمَّانِ أو أَرْآمِهِ » يريدُ بَقَرَ الصَّمَّان ، و « الصَّمَّانُ » مَوْضِعٌ و « الأَرْآمُ » الظِّباءُ البِيضُ الخالِصَةُ البيَاضِ ، والأُدْمُ أيضاً البِيضُ إلّا أنَّها تَعْلُوها كُثْرةٌ فيها غُبْرَةٌ ، واحِدُها رِئْمٌ ، أى انْقَضَّت على البَقَرِ أو أولادِ البَقَرِ والظِّبَاءِ ، شَبَّه الفَرَس إذا عدَا بِها فى تِلْكَ الحَالِ .

---

(١) فى الأصل « وقوله : العقاب مثل أو كالعقاب انقض ... » وقد صحّحت العبارة على مايقتضيه السياق .

(٢) ديوانه ص ٩٢ وصدره :

« كَتَيْسِ الظِّباءِ الأَعْفَرِ انْضَرَجَتْ لَهُ »

وشماريخ ثهلان : أعاليه .

(٣) هو وَعْلَةُ بنُ الحارثِ الجَرْمى ، شاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ، كان صاحب اللواء فى يوم الكُلاب الثانى وانهزم وكان من فرسان قضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها « المؤتلف والمختلف ص ٣٠٢ ، الأغانى ١٩ : ١٤١ » .

(٤) البيت فى الأغانى ١٩ : ١٤١ ومعجم ما استعجم ١ : ٣٣١ والعقد الفريد ٥ : ٢٣١ ومعجم البلدان « تيمن » والخزانة ١ : ٤١٤ وروايته فيها :

نَجَوتُ نجاءً لم يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ      كأنِّى عُقابٌ عند تَيْمَنَ كاسِرُ

أما رواية الآمدى هذه فلم أعثر عليها .

(٥) قال أبو العلاء معلقا على بيت البحترى : « وقد حكى تذكير العقاب وهو قليل ، وأحسن من هذا الوجه أن يُجْعَل « انقَّض » للفَرَس ، لأنه إذا قال « كالعُقاب » فقد شَبَّهَهُ بِهَا فى جميع أمورها ، والانقضَاض بعضُ أفعالِها ، وبهذا الوجه يَسْلَمُ من الضَّرُورَةِ ، إنما يَحْسُنُ تذكير العُقاب إذا ذَهَبَ بها مَذْهَبَ الطَائِرِ لأنَّ تأنيثَها حَقِيقةٌ إذْ كانت تبيضُ وتفرخُ ، وليست كالأرض والعشية وغيرِهما مما لا تأنيث له حقيقى » . عبث الوليد ص ٢١٢ .

وقولُهُ :

لا شَيءَ أجودُ مِنْهُ غيرُ فَتىً غَدا       من جَودِه .................

أى : غيرُ فَتى غَدا الفَرسُ من جُودِه ، أى من بَعْضِ جُودِه وإنْعامِهِ .

وقولُهُ : « أَرْسَلْتَهُ » أى : أَرْسَلْتَهُ إلىَّ ، لأنَّه حَمَله عَلَيْهِ ، « مِلْءَ العُيونِ » لأنَّها لا تُقْلِعُ عن النَّظَرِ إلَيْه ، يُقالُ : هو يَمْلأُ العَيْنَ والقَلْبَ ، أى يَمْلأُهُمَا حُسْنًا ، و « مُسلَّمًا مِنْها » أى مِنَ العُيونِ لا يُصابُ بِها لِشَهْوتِها لِنَقَائِهِ وسَلامَتِهِ ، وذلك أنّ أكثرَ الإصابَةِ بالعين إنما يَقعُ من الحَاسِدِ والمُبْغِضِ بإدارةِ[1] النَّظرِ إلى الشىءِ .

وقولُهُ : « وكأَنَّ كلَّ عجَيبةٍ » من أَوْصافِهِ ، « مَوْصولَةٌ بتَقَسُّمِ اللَّحَظاتِ » أى بِتَفَرُّقِها فى أَقْسامِهِ ، أى فى أَجْزائِهِ وأَعضائِه .

وهذه القصيدةُ من إحسانِه المشهورِ .

وقال البحترىُّ[2] أيضاً فى قصيدتِه التى على الجيم يمدحُ أبا نَهْشَلٍ بنَ حُميدٍ ويَسْتَهدِيهِ فَرسًا :

فأَعِنْ علىٰ غَزْوِ العَدوِّ بِمُنْطَوٍ       أَحْشاؤُه طَىَّ الكِتابِ المُدْرَجِ
إمَّا بأشْقَر سَاطِعٍ أَغْشَىٰ الوغى       مِنْهُ بِمِثْلِ الكَوْكَبِ المُتأَجِّجِ
مُتسَرْبِلٍ شيَةً طَلَتْ أَعْطافَهُ       بدَمٍ فمَا تَلْقاهُ غَيْرَ مُضَرَّجِ
أو أَدْهمٍ صَافِى السَّوادِ كأَنَّهُ       تَحْتَ الكَمىِّ مُظهَّرٌ بِيَرَنْدَجِ
ضَرِمٍ يَهيجُ السَّوْطُ من شُؤْبُوبِهِ       هَيْجَ الجَنائِبِ من حَريقِ العَرْفَجِ
خَفَّتْ مواقِعُ وَطْئِهِ فلَوَ انَّهُ       يَجرى برَمْلَةِ « عالِجٍ » لم يُرْهِجِ

---

(١) فى الأصل : « إرادة » ووضع الناسخ دالا فوق الراء وراء فوق الدال .

(٢) ديوانه ١ : ٤٠٢ .

أو أَشْهَبٍ يَقِقٍ يُضىءُ وراءَه   كَفَلٌ كَمَتْنِ اللُّجَّةِ المُتَرَجْرِجِ [١]
تَخفَى الحُجُولُ وما بَلَغْنَ لَبَانَهَ   فى أَبْيضٍ مُتَأَلِّقٍ كالدُّمْلُجِ [٢]
أَوْفَى بِعُرفٍ أَسْودٍ مُتَغَرْبِبٍ   فيما يَلِيهِ وحَافِرٍ فَيْرُوزَجِى
أو أَبْلَقٍ يَلْقَى العُيونَ إذا بَدا   من كُلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٍ بِنَموذَجِ
جَذْلانَ تَحْسدُهُ الجِيادُ إذا مَشَى   عَنَنًا بأَحْسَنِ حُلَّةٍ لَمْ تُنْسَجِ [٣]
أَرمِى به شَوْكَ القَنا وأَرُدُّه   كالسِّمْعِ أَثَّرَ فيهِ شَوْكُ العَوْسَجِ [٤]
وأَقَبَّ نَهْدٍ للصَّواهِلِ شَطْرُهُ   يوم الفَخَارِ وشَطرُهُ للشُّحَّجِ
خَرِقٍ يَتيهُ على أَبِيهِ ويَدَّعِى   عَصبيَّةً لِبَنى الضُّبَيْبِ وأَعوَجِ
مِثْلُ المُذرِّعِ جاءَ بَيْنَ عُمومَةٍ   فى « غافِقٍ » وخُؤُولَةٍ « لِلْخَزْرَجِ » [٥]
لا دَيْزَجٌ يَصِفُ الرَّمَادَ ، ولم أَجِدْ   حالاً تَخَسَّسُ من وَراءِ الدَيْزَجِ [٦]
وعَرِيضُ أَعْلَى المَتْنِ لو عَلَّيْتَهُ   بالزِّئْبَقِ المُنْهالِ لم يَتَرَجْرَجِ
خَاضَتْ قوائِمُهُ الوَثِيقُ بِناؤها   أمواجَ تَحْنيبٍ بِهِنَّ مُدرَّجِ
ولَأَنْتَ أَبْعَدُ فى السَّماحةِ هِمَّةً   من أن تَضِنَّ بِمُرْكَبٍ أو مُسْرَجِ [٧]

قولُهُ : « فما تلْقاهُ غيرَ مُضَرَّجِ » ، لأنَّ الضَّرَجَ الحُمْرةُ .

وقولُهُ : « مُظَهَّرٌ بِيَرنْدَجِ » هى لَفْظَةٌ فارِسِيَّةٌ ، وأظُنُّه جِلْداً أَسْوَدَ ، وقوْلُهُ : « كَمَتْنِ اللُّجَّةِ ... » إذا تَرَجْرَجَ لَحْمُهُ .

---

(١) ديوانه : « متنُ كَمَتْنِ » .
(٢) ديوانه : « ولو بَلَغْنَ » .
(٣) ديوانه : « عَنَقًا » .
(٤) فى الأصل : « كالشَّمْع » تصحيف ، والسِمْعُ ، سَبُعٌ مُركَّبٌ ، وهو وَلَدُ الذِّئْبِ من الضَّبُعِ .
(٥) ديوانه : « وخؤوله فى الخزرج » .
(٦) ديوانه : « تحسّن » .
(٧) ديوانه « بموكف » ، وهو الذى عليه الوكاف وهو ما يوضع على البعير والحمار والبغل .

وقولُهُ : « تَخْفَىٰ الحُجُولُ ... » يُرِيدُ أنَّ بَيَاضَ قوَائِمِه لَيْسَ هو من أَجْلِ بَياضِ شُهْبَتِهِ ، فهى خَافِيَةٌ فيهِ لا تَتَبيَّنُ ، أى لَوْ أنَّ هُنَاكَ تَحجيلاً فى أَصْلِ خِلْقَتِه ، ولو اتَّصَل بياضُهُ حتّى يَصِلَ إلى لَبَانِهِ ، لَخفِىَ فى شِدَّةِ بَيَاضِ شُهْبَتِهِ ، كأنَّه يُؤَكِّدُ نَقاءَ بَيَاضِهِ ، فقولُهُ : « مَتالِّقٌ[١] كالدُّمْلُجِ » لَفْظٌ ومعنىً فى غَايةِ الحُسنْ وصِحَّةِ التَّشْبيهِ ، وكذلِكَ قَوْلُهُ : « حَافِرٌ فَيْروزَجِى » ، لأنَّه إذا كان ذلك لونُه دلَّ على شِدَّتِهِ .

وقولُهُ : « إذا مشى عَنَنًا » أى اعْتراضًا ، كما يَعِنُّ الماشِى ، أى يَعرِضُ حتَّى تَراهُ .

وقولُهُ : « أَرْمى بهِ شَوْكَ القَنا[٢]... » إلى آخر البيت ، من أحسن كلامٍ وأَفْصَحِهِ وأبرْعِهِ وأشْبَهِهِ بكلامِ الأوائلِ ، وعلى أنَّها طريقَتُه التى لَا يكادُ يزولُ عنها إلاّ غَالِطاً .

« وأَقَبَّ نَهْدٍ » يُرِيدُ بَغْلاً مُشْرِفًا ، « للصَّواهِلِ » يريدُ الخَيْلَ ، و « الشُّحَّجُ » الحميرُ .

« خَرِقٌ يتيهُ على أَبيهِ » أى يَتَرفَّعُ عنْه ، « ويَدَّعِى عَصبيَّةً لِبَنِى « الضُّبَيْبِ » و أَعْوَجِ » ، « فالضُّبَيْبُ » / فَرَسٌ مَشْهورٌ من خَيلِ طَيىءٍ ، « وأَعْوَجُ » فَرَسٌ[٣] ، ١٣٧
وهما أعْوَجانِ ، فالأَعْوَجُ الأَكْبَرُ من خَيلِ « غَنِىٍّ » والأَعْوَجُ الأَصْغَرُ « لِبَنِى هِلالٍ » .

وقَولُهُ : « خَرِقٌ » يريدُ أَخْرَقَ ، كما يُقالُ أحْمَقُ وحَمِقٌ أى : هو أَخْرَقُ فى سَيْرِهِ ، والخُرْقُ الجَهْلُ ، كأنَّهُ الذى يَخْبِطُ بِيَدِه فى سَيْرِهِ من النَّشاطِ ، فَيُقالُ : ناقَةٌ خَرْقَاءُ كذلِكَ لِنجَابَتِها ، قال الشَّاعِرُ يَصِفُ نَاقَةً[٤] :

فهى صَنَاعُ الرِّجْلِ خَرْقاءُ اليَدِ

---

(١) فى الأصل : « المتألق » .

(٢) فى الأصل : « الفتى » تصحيف .

(٣) انظر : أسماء خيل العرب وفرسانها للغندجانى ، ص ٣٥ ، ٣٧ .

(٤) هذا البيت ورد فى شرح حماسة أبى تمّام للمرزوق ١ : ٥٥ ، الاشتقاق ١ : ٧٢ ولم أعرف قائله .

يَصِفُ ناقةَ تَخْبُطُ السَّيْرَ خَبْطًا من نَشاطِها ، والرِجْلَ لمَّا كانَتْ تابعةً لِلْيَدِ جَعَلَها صَناعًا لاتِّباعِها ، وجَعلَ اليَدَ مَخْصُوصةً بالخُرْقِ لأنَّها المُبْتَدِئةُ .

وقولُهُ : « مِثْلُ المُذَرِّعِ » فالمُذَرِّعُ الكَرِيمُ الأُمِّ الوَضيعُ الأَبِ ، و« غَافِقٌ » حَيٌّ من أَحْياءِ اليَمَنِ ، أظنُهم من الأَزْدِ(١) ، وهو مَأْخُوذٌ من الغَفْقِ ، وهو الهُجومُ على الشَّىءِ ، كأنَّه يُخَسِّسُ أَمْرِ غَافِقٍ ويُعَظِّمُ أَمْرَ الخَزْرَجِ .

وقَوْلُهُ : « خَاضَتْ قَوائِمُهُ الوَثِيقُ بِناؤُها .... » قد شَرَحْتُهُ فى جُزءٍ(٢) أَخْرَجْتُ فِيه الغَامِضَ من مَعانِيه ، فاطْلُبْهُ هُناكَ .

وهذا مِنْ مَشهورِ إحسانِ البُحترىِّ فى نَعْتِ الخَيلِ .

وقالَ فى قَصيدةٍ يخاطِبُ فيها مُحمّدَ بنَ عبد اللهِ بنِ طاهر(٣) :

غَرامٌ ما أُتيحَ من الغَرامِ(٤)

أراجعَتِى يَداكَ بأَعْوجِىٍّ ... كَقِدْحِ النَّبعِ فى الرِّيشِ اللُّؤامِ ؟
بأدْهَمَ كالظَّلامِ أَغرَّ يَجْلُو ... بغُرَّتِهِ دَياجِيرَ الظَّلامِ
تَقدَّمَ فى العِنانَ فمَدَّ مِنهُ ... وضُبِّرَ فاسْتَزادَ من الحِزَامِ(٥)
تَرىٰ أَحْجَالَه يَصْعَدْنَ فِيه ... صُعودَ البَرْقِ فى الغَيْمِ الجَهامِ
وما حَسَنٌ بأن تُهْدِيهِ فَذًّا ... سَلِيبَ السَّرْجِ مَنْزوعَ اللِّجامِ

---

(١) هم بنو غافق بن الشاهد بن علقمة بن عك بن عدنان ، جمهرة الأنساب ص ٣٢٨ .

(٢) يعنى كتابه « شرح معانى أبيات البحترى » .

(٣) ديوان البحترى ٣ : ٢٠٢٦ والممدوح هو مُحَمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى الخراسانى ، الأمير أبو العباس كان جوادا ممدحا أديبا حازما شجاعا ، كان مألفا لأهل الفضل والأدب والإمرة والتقدم . ولاه المتوكل على بغداد وعظم سلطانه فى دولة المعتز إلى أن توفى سنة ٢٥٣ « الكامل أحداث سنة ٢٥١ ، سنة ٢٥٢ ، فوات الوفيات ٢ : ٤٤٩ ، الوافى بالوفيات ٣ : ٣٠٤ ، تاريخ بغداد ٣ : ٣٠٤ » .

(٤) عجزه : « وشَجْوٌ للمُحِبِّ المُسْتَهامِ » ، وقد سبق البيت فى ٢ : ٧٣ .

(٥) فى الأصل « العتاق » ، والتصحيح من ديوانه .

فأتْمِم ما مَنَنْت بهِ ، وأَنْعِمْ  فمـا المَعْـروفُ(١) إلاّ بالتَّمـــامِ

وقال يُخاطِبُ أبا صَالحٍ عَبدَ اللهِ بنَ مُحمدِ بنِ يَزْداد(٢) :

إمَّا أَلَمَّ فَبَعْدَ طُولِ تَجَنُّبِ(٣)

هل أَنْتَ مُبْلِغِيَ التى أَغْدُو لَهَا  بِمُقَلِّصِ السِّرْبالِ أَحْمَر مُذْهَبِ
لَوْ يُوقَدُ المِصْباحُ مِنْه لسَامَحَتْ  بِضِيَائِهِ شِيَةٌ كَوَهْيِ الكَوْكَبِ(٤)
إمَّا أَغَرُّ تَشُقُّ غُرَّتُه الدُّجىٰ  أو أَرْثَمُ(٥) كالضَّاحِكِ المُسْتَغْرِبِ
مُتَقارِبُ الأَقْطَارِ يَمْلأُ حُسْنُهُ  لَحَظَاتِ عَيْنِ النَّاظِرِ المُتَعجِّبِ
وأُجِلُّ سَيْبَكَ أَنْ تكونَ قَناعَتِي  مِنْه بأَشْقَرَ سَاطِعٍ أو أَشْهَبِ(٦)
وإذا التَّقىٰ شعرى وجُودُك يَسَّرا النَّـ  ـيْلَ الجَزيـلَ ، وثَنَّيـا بالمَـرْكَبِ(٧)

قَولُهُ : « مُقَلِّصُ السِّرْبَالِ » يريدُ أَنَّ قوائِمَهُ مَعْرُوقَةٌ عارِيةٌ من اللَّحْمِ ، فكأنَّه قد جَعلَ لَحْمَه كِسْوَةً لا تَصِلُ إلى قوائِمهِ ، فكانَ بِذَلِكَ مُقَلِّصَ السِّرْبالِ ، وكان بعضُ الشُّيوخِ يقولُ : إنَّما عَنى فَرَساً خَلُوقِيًّا مُجَبَّبًا ، فبَيَاضُ التَّجْبِيبِ إلى رُكَبِهِ ، فذلك هو تَقْلِيصُ السِّرْبالِ .

---

(١) ديوانه « وأَفْضِلْ فما الإفضال ... » .
(٢) فى الأصل « داود » تحريف .
(٣) ديوانه ١ : ٢٨٢ وفى الأصل « تجنيب » تحريف ، وفى ديوانه « فبعد فرط تجنب » وعجزه :
« أَوْ آبَهُ هَمٌّ فمِنْ مُتأَوِّبِ »
(٤) ديوانه « كضوء » .
(٥) الأرثَمُ : الذى فى طَرَفِ أَنْفِه بَياضٌ ، وانظر كتاب الخيل لأبى عبيدة معمر بن المثنى ص ٢٣٧
(٦) ديوانه : « وأَجَلَّ سَيْبِكِ » .
(٧) ديوانه : « يَسَّرا نيل الجزيل » .

وقولُهُ : « كَوَهْيِ الكَوْكَبِ » قد مَضى تَفْسِيرُهُ عند تَفْسِيرِ قَوْلِهِ فِى وَصْفِ الخَمْرِ[1] :

من كُميتٍ تَقُولُها وَهْىَ نَجْمٍ ضَوْأً اللَّيْلَ أو مُجَاجةَ شَمْسٍ[2]

وقولُهُ : « إمّا أَغَرَّ » والغُرَّةُ من الفَرَسِ : فوق الدِّرْهَمِ ، والقُرْحةُ : قَدْرُ الدِّرهم ، والأَرْثَمُ : إذا كَانَتْ بِجَحْفَلَتِه العُليَا بَياضٌ ، وذلِك ممّا يُستَحْسَنُ ، فإن كانَ البَياضُ بالسُّفْلىٰ فهو أَلْمَظُ وقَوْلُهُ : « كالضَّاحِكِ المُسْتَغْرِبِ » تَشْبِيهٌ لَطِيفٌ حَسَنٌ .

وقَوْلُهُ : « مُتقَارِبُ الأَقْطارِ » لفظٌ ومَعْنًى ما لِحُسْنِهِما نِهَايَةٌ

وقوله : « وأُجِلُّ سَيْبَكَ » كأَنَّهُ استَعْفىٰ من الأَشْهَب ، والأَشْقَرِ ، ولمْ يُكرِّهْ كلُّ أشقَرَ وأشهَبَ ، وإنَّما عنىٰ دَابَّتَيْنَ كانَتا عِنْد أبى صالِح بأَعْيانِهما ، أَشْقَر وأَشْهَبَ ، واقْتَرحَ عَلْيهِ غَيْرَهُما .

وقال يَمدحُ محمّدَ بنَ علىٍّ القُمِّىَّ ، ويصف فرسًا حمَلَه علَيه ، ويَستَهديه سَيْفًا[3] :

وأغرَّ فى الزَّمَنِ البَهيمِ مُحجَّلٍ قد رُحْتُ مِنه على أغرَّ مُحجَّلِ
كالهَيْكَلِ المَبْنِىِّ إلاّ أنَّــه فى الحُسْنِ جاءَ كَصُورَةٍ فى هَيْكَلِ
وافى الضُلوعِ يُشَدُّ عَقْدُ حِزامِهِ يومَ اللِّقاءِ على مُعِمٍّ مُخْوِلِ[4]

---

(١) النَسخةُ هذه ترتيبها مُختَلّ ويَبدو أن الناسخ قد اعتمد على مثلها ، فوصف الخمر متأخر عن هذا الباب ، وانظر ص ٦٢١ ، ٦٧٠ .

(٢) ديوانه ٢ : ١١٥٨ وفيه « وَهْىَ نَجْمٌ » ورواية الموازنة أوجه ، وفى الديوان « من مُدامٍ تَظُنُّها ... » ، وفى اللسان « وَهْىَ إذا سقَط » .

(٣) ديوانه ٣ : ١٧٤٠ .

(٤) سبق فى ١ : ٣٦٨ .

أخوالُـهُ للرستمين بِفَـارِسٍ — وجـدُودُه للتُّبَّعيـنَ بِمَوْكَـلِ (١)

يَهوِى كما تهوِى العُقاب وقد رَأَتْ — صَيْدًا وينْتَصِبُ انْتِصابَ الأَجْدَلِ

تُتوهَّمُ الجَوْزاءُ فى أَرْسَاغِهِ — والبَـدْرُ فوقَ جَبينِـهِ المُتهلِّـلِ (٢)

/ مُتوجِّسٌ برَقيقَتَيْن كأنَّما — يُريانِ منْ وَرَقٍ عَلَيْه مُوَصَّلِ ١٣٨

ذَنَبٌ كما سُحِبَ الرِّداءُ يذَبُّ عَنْ — عُرْفٍ ، وعُرْفٌ كالقِناعِ المُسْبَلِ (٣)

ما إنْ يَعافُ قَذًى ولَوْ أَوْرَدتُهُ — يوماً خلائِقَ حَمْدوَيهِ الأَحْوَلِ (٤)

جَذَلانُ يَنْفُضُ عُذْرَةً فى غُرَّةٍ — يَقِقٍ تَسيلُ حجُولُهَا فى جَنْدَلِ

كالرَّائِحِ النَّشْوانِ أَكْثَرُ مَشْيِـهِ — عَرْضًا على السَّنَنِ البَعيدِ الأَطْوَلِ

ذَهَبُ الأَعَالِى حِينَ تَذْهَبُ مُقْلَةٌ — فِيه بِنَاظِرِها ، حَدِيدُ الأَسْفَلِ

صَافِى الأَديمِ كأَنَّما عُنِيَتْ لَهُ — لِصَفَاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِسُ صَيْقَلِ

وكأنَّما نَفَضَتْ عَلَيْهِ صِبْغَها — صَهْباءُ لِلْبَرَدانِ أو قُطْرُبُّلِ

لَبِسَ القُنُوءَ مُزَعْفَرًا ومُعَصْفَرًا — يَدْمَى فَرَاحَ كأَنَّهُ فى خَيْعَلِ (٥)

وتَخالُهُ كُسِىَ الخُدودَ نواعِمًا — مَهْما تُواصِلُها بِلَحْظٍ تَخْجَلِ

وتَراهُ يَسْطَعُ فى الغُبارِ لَهِيبُه — لَوْنًا وشَدًّا كالحَرِيقِ المُشْعَلِ

وتَظُنُّ رَيْعانَ الشَّبابِ يَرُوعُهُ — من جِنَّةٍ أو نَشْوةٍ أو أَفْكَلِ (٦)

هَزِجُ الصَّهيلِ كأنَّ فى حَيْزُومِهِ — نَبَراتُ مَعْبَدَ فى الثَّقِيلِ الأَوَّلِ (٧)

مَلَكَ العيونَ فإن بَدَا أَعْطَيْنَهُ — نَظَرَ المُحبِّ إلى الحَبيبِ المُقْبِلِ

---

(١) « رستمين » نسبة إلى رستم اسم فارسى ، « والتُّبَّعين » : جمع تُبَّع أقيال اليمن ، و« مَوْكَل » : موضع باليمن .

(٢) ديوانه : « والبَدرُ غُرَّة وَجْهِهِ المُتَهلِّلِ » .

(٣) سبق البيت والتعليق عليه فى ١ : ٣٧١ .

(٤) ديوانه « أوردتَه » بالإسناد إلى المخاطب .

(٥) ديوانُه : « القُنُوَ » بتَرْك الهَمْزِ وهو لُغَةٌ فيهِ .

(٦) سبقَ البيت فى ١ : ٣٣٢ .

(٧) سبق الشطر الثانى فى ١ : ٢٧ .

قَوْلُهُ : « وينْتَصِبُ انْتصابَ الأَجْدَلِ » يُرِيدُ الصَّقْرَ وليْس بأحسنَ انْتصابًا من الغُرابِ ، ولكن لمَّا شبَّهَهُ فى هَوِيِّه بالعُقاب ، شَبَّهَهُ فى انْتِصَابِهِ بالأَجْدَلِ .

وقَوْلُهُ : « مُتوجِّسٌ » أى : مُسْتَمِعٌ ، والفَرَسُ كَثِيرَ التَّوَجُّسِ بأُذُنَيْهِ ، وبعيدُ الاسْتِماعِ ، يُقالُ : أَسْمَعُ من فَرَسٍ(١). وقولُهُ : « بِرَقِيقَتَيْنِ » ، لأنّهُ يُسْتَحبُّ فى الأُذُنِ الانْتِصابُ والرِّقَّةُ ، وقَوْلُهُ : « كأنَّما تُرَيَانِ » أى كأنَّما تُظَنَّانِ من وَرَقٍ مُوصَّلٍ عَلَيْهِ لِرِقَّتِهِما وكَثْرَةِ حَرَكَتِهما .

وقولُهُ : « ذَنَبٌ كما سُحِبَ الرِّداءُ » قد ذَكَرْتُهُ فى أغَالِيطِه(٢)، و « عُرْفٌ كالْقِناعِ المُسْبَلِ » معنىً حَسَنٌ صَحيحٌ .

وقولُهُ : « ما إنْ يَعافُ قَذًى ولو أورَدْتُهُ ... » معنىً فى غَايةِ البَراعَةِ والصِّحَّةِ والجَوْدَةِ ، لأنَّه يُسْتَحبُّ من الفَرسِ أن يَأْكُلَ من كُلِّ ما وجَدَ ويَشْرَبَ من كلِّ شيءٍ ، ولا يَعافُ الأَقْذارَ والأَوْسَاخَ فى مَأْكَلِه ولا مَشْرَبِهِ(٣).

---

(١) فى مجمع الأمثال : « أَسْمَعُ من فَرَسٍ بِهَيْماءَ فى غَلَس » ٢ : ١٣٤ .

(٢) انظر ١ : ٣٧١ . وأضِفْ إلى هامشه هناك تعليق المرتضى فى أماليه على نقد الآمدى « أمالى المرتضى ٢ : ٩٥ » .

(٣) روى الصولى عن البحترى فى أخبار أبى تمّام أبياتا لأبى تمام فى وصف الفرس ومنها قوله :

أيقنت – إن لم تَثَبَّتْ – أَنَّ حافِرَه ... من صَخْرِ تَدْمُرَ أو من وَجْهِ عُثْمانِ

قال البحترى : ثم قال لى « أى أبو تمام » ما هذا من الشعرِ . قلتُ : لا أَدْرى ، قال : هذا المُسْتَطرَدُ ، أو قال الاسْتِطَراد قلت : وما معَنى ذلك ؟ . قال يُرِى أَنَّه يُرِيدُ وَصْفَ الفَرَسِ وهو يُرِيدُ هِجاء عُثمانَ . قال الصولى : فاحتذى هذا البحترى فقال فى قصيدته التى مدح فيها محمّد بن على القمى ويصف الفرس : « ثم ذكر أبياته السابقة » وقال عن حمدويه : وكان هذا عدوا للذى مدحه ، فحدثنى عبد الله بن الحسين وقد اجتمعا بِقَرْقِيسْيَاءَ قال : قلت للبحترى : إنك احتذيت فى شعرك – يعنى الذى ذكرناه – أبا تمّام وعملت كما عمل من المَعنى ، وقد عاب هذا عليك قَوْمٌ ، فقال لى : « أيعاب على أن أتبع أبا تمّام ، وما عَمِلتُ بيتا قطُّ حتى أُخْطِرَ شعرَه ببالى ؟ ، ولكنى أُسقِطُ بيت الهجاء من شعرى » . فكان بعد ذلك لايُنْشِده ، وهو ثابت فى أكثر النُسَخ . « أخبار أبى تمّام ص ٦٩ » .

وقَوْلُهُ : « يَنْفُضُ عُذْرةً فى غُرَّةٍ » فالعُذْرَةُ : شَعْرُ قَفَاهُ ، وهِىَ هَاهُنَا خُصْلَةُ شَعْرِ نَاصِيَتِهِ ، وكلُّ خُصْلةٍ من الشَّعْر عُذْرةٌ .

وقَوْلُهُ : « ذهَبُ الأعالى » ، لأنَّه يَصِفُ فرسًا خَلوقِيًّا ، و « حَدِيدُ الأَسْفَلِ » ، وهذه قِسْمةٌ فى غايَةِ الحُسْنِ والصِّحَّةِ .

وقد كَرَّرَ ذِكْرَ شِيَةِ الفَرَسِ فى ثَلاثَةِ أبياتٍ أُخَر متُوالِيَةٍ ، وليس هذا من أفعالِهِ ، فقالَ : وكأنَّما نَفَضَتْ عليه صِبْغَها ...

وقال :

لَبِسَ القُنوءَ مُزَعْفرًا ومُعَصْفَرًا ...[1]

وقال :

وتخاله كُسِىَ الخُدودَ نواعِمًا ...

والشعراءُ أَهْلُ الشَّرَهِ ، يفعَلون هذا ، ومثلُهُ فى بلاغتِه وبراعَتِه كان يكفيه من هذه الأبياتِ بَيْتٌ واحِدٌ .

و « الخَيْعَلُ » القَميصُ الذى لاكُمَّىْ لَهُ[2] ، وهو من لِباس النِّساءِ ، والمرأةُ أبداً تَصْبُغُه بالزَّعْفران والعُصْفُرِ مع شيءٍ من الطِيبِ فتَطْرَحُها على جَسَدِها تَتطَيَّبُ بِهِ ، فإذا ارْتَفَع بياضُ التَّحْجيلِ عن أَوْظِفَةِ الفَرَسِ حتّى يَكونَ مُجَبَّبًا أو فوقَ التَّجبيبِ كانتْ شِيَتُهُ كالقَمِيص الذى لاكُمَّ لَهُ .

وقولُهُ : « وتَراه يَسْطَع فى الغُبارِ لَهيبُهُ لَوْنًا وشَدًّا ... » معَنى حَسَنٌ جِدًا .

---

(١) فى الأصل « القنوع » تحريف .

(٢) أسْقِطَتِ النونُ من « كُميّنِ » للإضافة ، لأن اللام كالمُقْحَمةِ لايُعْتَدُّ بها فى مثل هذا المَوضع ، كَقَوْلِكَ لا أبالك وأصْلُه لا أباك ، ولا تُحذَفُ النونُ فى مثل هذا إلا عِنْدَ اللام دون سائر حروف الخَفْضِ ، لأنها لا تأتى بمعنى الإضافة . « اللسان : خعل ، سيبويه ٢ : ٢٧٨ ، المقتضب ٤ : ٣٧٣ » .

وقولُهُ : « وتَظُنُّ رَيْعَانَ الشَّباب ... » أى : قُوّةُ الشَّبابِ تُفزِّعُهُ ، أى تَحْسِبُ قوّةَ ذاك من جِنَّةٍ أو نَشْوةٍ أو أَفْكَلٍ (١) ، يُرِيدُ بذلك كُلِّه قلقَهُ وكَثْرَةَ حَرَكَتِهِ ، أى لَيْس لَهُ معهَا استِقْرارٌ من نَشَاطِهِ وعِزَّةِ نَفْسِهِ .

ويُعابُ عَلْيهِ : « نَبراتُ مَعْبدَ فى الثَّقيلِ الأوَّلِ » فلم يَصْرِفْ معْبداً (٢) ، والمُتأخِّرونَ لا يَعْرَوْنَ من اللَّحْنِ ، وقد قَال أبو تَمَّامٍ (٣) :

صَلَتانُ يَبْسُطُ إنْ رَدَى أَوْ إنْ عَدا ... فى الأَرْضِ باعاً مِنْهُ لَيْس بِضَيِّقِ

ولَهُما لُحونٌ فى مَواضِعَ أُخَرَ .

وهذهِ القِطْعَةُ أيضاً من مَشْهورِ إحْسانِهِ ، وعجيبِ أَوْصَافِهِ .

ومِمَّا يتَجاوَزُ كلَّ صِحّةٍ وحُسْنٍ وحَلاوةٍ وبَراعَةٍ قَوْلُهُ يَمدح المتوَكِّلَ على الله ويَصِفُ خَيْلَ الحَلْبَةِ ، وقد أَلْبِسَ السُّودانُ الذين يَجُرُّونهَا أنواعَ الحَريرِ (٤) :

يا حُسنَ مَبْدَى الخَيْلِ فى بُكُورِهَا ... تلوحُ كالأنْجمِ فى دَيْجُورِهَا

جَاءَتْ وقدْ أبدعَ من تَشْهيرِها ... مُصوِّرٌ أَحْسنَ من تَصْويرِهَا (٥)

---

(١) أفكل : الرِّعْدةُ من بَرْدٍ أو خَوْفٍ .

(٢) قال أبو العلاء : الذى يوجبه أهلُ البصرة كسر الدَّال فى مَعْبِد ، ويَجُوزُ الفتحُ على مَذْهَب أهل الكوفة « عَبَثُ الوليد ص ١٨٨ » ومَعْبِد هو : مَعْبِد بنُ وَهْبٍ أبو عَبَّاد المَدَنى ، من أشهر المغنين فى العصر الأموى ، كان مولىً لبنى مخزومٍ ، وكان أديبًا فصيحًا ، عاش طويلا إلى أن انقطع صوته . « الأغانى الدار ١ : ٣٦ » .

(٣) ديوانه ٢ : ١٠٦ والتبريزى ٢ : ٤١٢ ، وقد منع « صَلَتانُ » من الصرف ضَرورةً ، فلم يُنوَّن لأنَّ ما جاءَ من الصِّفاتِ علىَ وَزْن « فعَلان » وجَبَ أن يُصْرَف ، والصَلَتَانُ : المَاضِى فى الأُمورِ .

(٤) ديوانه ٢ : ١٠٤٣ .

(٥) ديوانه :

« كأنَّما أبدعَ فى تَشْهيرها ... مُصوِّرٌ حَسَّنَ مِنْ تَصْويرِها »

١٣٩ أ / تَحْمِلُ غِرْبانًا على ظُهورِها — فى السَّرَقِ المَنْقوشِ من حَرِيرِها
إن حَاذَرُوا النَّبْوَةَ من نُفُورِها — أَهْوَوْا بأيديهم إلىٰ نُحورِها
كأنَّها والحَبْلُ فى صدُورِها — أجَادِلٌ تَنْقَضُّ فى سُيُورِها[1]
مَرَّتْ تُبارِى الرِّيحَ فى مُرورِها — تَرى الرِّجال شُرُفاً لِسُورِها[2]
والشَّمْسُ قدْ غابَ ضِياءُ نُورِها — فى الرَّهَجِ السَّاطِعِ من تَنْوِيرِها
حتى إذا أَصْغَتْ إلىٰ بُدورِها — وهَطَلَتْ تَنْصَبُّ فى حُدورِها[3]
تَصوُّبَ الطَّيرِ إلى وُكورِها[4] — أُعْطِىَ فَضْلَ السَّبْقِ من جُمْهُورِها
مَنْ فَضَلَ الأُمَّةَ فى أُمُورِها — فى فَضْلِهَا وبَذْلها وخَيْرِها
« جَعْفَرٌ » الذَّائِدُ عن ثُغورِها — تَبْهىٰ بِهِ وَهْوَ علىٰ سَرِيرِها
خَليفةٌ[5] وُفِّقِ فى تَدْبِيرِها

ومثلُ هذا الجِنْس من الألْفاظِ والمَعانى لا يَأْتِى بِهَا إلاّ عَربىُّ اللَّفْظِ عَربىُّ المَعْرِفَةِ بما يَنْثِرُ ويَنْظِمُ .

وقال يُخاطِب عبد الرَّحمن بنَ خاقانَ :

أَضْحَتْ بِمَرْوِ الشَّاهِجَانِ مِنادِحِى[6]

---

(١) ديوانه : « أجادل تنهض فى سيورها » .
(٢) ديوانه : « صار الرجال ... » .
(٣) ديوانه : « أصغت إلى مديرها « . « وأنقلبت تهبط فى حدورها » .
(٤) فى الأصل « بكورها » تحريف والتصحيح من ديوانه ، وسيأتى برواية الديوان بعد قليل .
(٥) ديوانه « خلافة » .
(٦) فى الأصل « مناوحى » تحريف ، ديوانه ١ : ٤٦٨ وفيه : وقال يمدح عبد الرحمن بن خاقان ويصف فرسا حملها البحترى إليه هدية ، « ومرو الشاهجان » : مرو العظمى أشهر مدن خراسان ، « ومرو » هى الحجارة البيض التى يقتدح بها ، « والشاهجان » : لفظة فارسية معناها « نفس السلطان » « معجم البلدان » . وعجزُه : « ولأهلِ مرو الشاهجان مدائحى » .

إنِّى أَقولُ ولا أَقولُ مُعرِّضًا فى ذِكْرِ مَكْرُمَةٍ بِعَبْثَةِ مَازِحِ

أى : إنِّى أَقولُ وما أُعرِّضُ بِذِكرِ المَكارِمِ مَازِحاً لأُنَبِّهكَ ، أى على نائِلٍ تُنيلُهُ ، بل أَقُولُ على سَبيلِ الحَقِيقَةِ :

ماذا تَرى فى مُدْمَجٍ عَبْلِ الشَّوىٰ من نَسْلِ أَعْوجَ كالشِّهابِ اللاَّئِحِ
لا تِرْبُهُ الجَذَعُ الذى يَعْتاقُهُ وَهْنُ الكَلالِ ، ولَيْس كُلَّ القارِحِ
عُنُقٌ كقائِمَةِ القَليبِ تَعَطَّفَتْ أَوَدًا ، ورأسٌ مِثْلُ قَعْبِ المائِحِ (١)
يَخْتالُ فى شِيَةٍ يَمُوجُ ضِياؤُهَا مَوْجَ القَتيرِ عَلَى الكَمِىِّ الرَّامِحِ
لو يَكْرَعُ الظَّمآنُ فِيها لَمْ يُمِلْ طَرْفًا إلى الماءِ الزُّلالِ السَّائِحِ (٢)
أَهْدَيْتَهُ لِتَرُوحَ أَبْيضَ واضِحاً مِنْهُ على جَذْلانَ أَبْيَضَ وَاضِحِ
فتكونَ أَوَّلَ سُنَّةٍ مَأْثُورَةٍ أَنْ يَقْبَلَ المَمْدوحُ رِفْدَ المَادِحِ

(٣) إذا فَنِىَ الماءُ من البِئْرِ وبَقِىَ مالا تُخْرِجُه الدَّلْوُ ، نَزَل المائِحُ وله قَعْبٌ فيَجْمَعُ فيِهِ المَاءَ / ثُمَّ يَصُبُّه إلى الدَّلوِ حتّى يَملأَها . ١١٩ ب

وقولُهُ : « مَوجَ القَتيرِ » والقَتيرُ مَسامِيرُ الدُّروعِ ، ويُقالُ رُؤوسُ المَسامِيرِ ، وإنما يُرِيدُ الدِّرْعَ نَفْسَها . ولم يَخُصَّ الرَّامِحَ هَاهُنا بِقَوْلِهِ (٤) لأَنَّ فيه عِلَّةً فى هذا المَوضِعِ لَيْسَت للسَّيْفِ ، ولو كانَتِ القَافِيَةُ على الفَاءِ حتّى يَقُولَ : « الكَمِىِّ السَّائف » لكان أيضاً صحيحاً مستقيماً ، وإن كان لَفظُ « الرَّامِح » أحسَنَ وأَكْثَرَ فى الاستعمالِ .

---

(١) ديوانه : « قعو الماتح » ، وهو البكرة من الخشب أو المحور من الحديد ، ورواية الموازنة أوجه وسيأتى تفسيرها .

(٢) ديوانه : « الظمآن فيه » ، « إلى عذب الزلال » .

(٣) هنا خرم ، فالشرح مبتور .

(٤) يعنى قوله « على الكمى الرّامح » .

وهذا أليقُ الأوْصافِ وأَحسنُ المذاهبِ فى نعوتِ الخَيْلِ .

وقال البحتريُّ فى قَصيدَةٍ أَوَّلُها[١] :

شدَّ ما أُغْرِيَتْ « ظَلومُ » بِهَجْرِى[٢]

أَىُّ شَىءٍ تُرىٰ يَكونُ وقَدْ كَثُـ (م) ـرتَ فيه قَصرَ الكُمَيْتِ وقَصْرِى[٣]

مُتْعَةُ العَيْنِ من حَلاوةِ مَرْعًى ... ورِضَى النَّفْسِ من وَثاقَةِ أَسْرِ

حَذَفَتْ مِنْ فُضُولِهِ صِحَّةُ العتـ ... ـقِ فأَدَّتْهُ كالْجَدِيلِ المُمَرِّ

يتعَالىٰ بِهِ التَّدفُّقُ سَيْلاً ... كانْكِفَاتِ السَّرِىِّ أَسْرَعَ يَجْرِى[٤]

أو تَقَدِّى الشُّجاعِ بَادَرَ يَنْضُو ... مِزَقًا مِنْ قَميصِهِ المُتْفَرِّى

فَهْوُ يُعْطِيكَ من تَضَرُّمِ شَدٍّ ... نُهْيَةَ العَيْنِ من تَضَرُّمِ جَمْرِ

شِيَةٌ تخْدَعَ العُيونَ تُرى أنَّ (م) عَليْـهِ مِنْهـا سُحَالَـةَ تِبْـرِ

صِبْغَةُ الأُفْقِ عِنْدَ آخِرِ لَيْلٍ ... مُنْقَضٍ شَأْنُهُ وأَوَّلِ فَجْـرِ[٥]

عَلَّكَ ابنَ الحَصَانِ تَزْدَادُ فى غَيْـ ... ـظِ أُعادِىَّ بالحِصَانِ الطِّمِرِّ

فالْجَوادُ الأغَرُّ مِثْلُكُ لا يَمْـ ... ـنعُ مِثْلِى من الجَوادِ الأَغَرِّ[٦]

قولُهُ : « قَصرَ الكُميتِ وقَصْرِى » من قَوْلِهِم : قُصارَكَ أن تَفْعَل كذاً ، وقَصْرَكَ أن تفعَل كذَا ، أى : غايةُ أَمْرِك الذى يَزولُ معها طُولُكَ فتصيرُ بِهَا قصيراً ،

---

(١) ديوانه ٢ : ٩٧٠ .

(٢) ديوانه « أُغْرِمَتْ » ، وقد سبق البيت فى ٢ : ٧٣ و ١٨٤ « صدره فقط » وعجزه :

« بَعْد وَجْدِى بِهَا وغُلَّةِ صَدْرِى »

(٣) يجب تصحيح تشطير البيت فى الديوان .

(٤) ديوانه « يتغالى » بالغين المعجمة .

(٥) سبق فى ١ : ٣٧٧ و ٣ : ٣٧١ .

(٦) يجب تصحيح تشطير البيت فى الديوان .

كَذا ، فهُو من القِصَرِ مأخوذٌ ، كأنَّه أرادَ : أىُّ شىءٍ تُرَى يَكونُ وقَدْ كثُرَتْ فى مَسْأَلتكِ الكُمَيْتَ انتهاءَ أُمْرِى وأمْرِهِ حتَّى يَقْصُرَ القَوْلُ ، ويَقِلَّ ويَسْقُطَ التَّكْثِيرُ وترديدُ المَسْأَلةِ .

وقولُهُ : « من حلاوَةِ مَرْعىً » يريدُ ما ترَعْاهُ العَينُ ، إذا كَرَّرتِ النَّظرَ إلَيْه وردَّدْتَهُ فيهِ ، جعل ذَلِك مَرعىً لِلْعَيْنِ .

و « السَّرِىُّ » : النَّهْرُ لَيسَ بالكَبيرِ العَريضِ .

« أو تَقَدِّى الشُّجَاعِ » يريدُ الحَيَّةَ ، وتَقَدِّيهِ : انْصِلاتُهُ / فى الجَرْىِ ١٢٠
وسُرْعَتُهُ ، « يَنْضُو » : يَنْزَعُ ، « مِزَقًا » : قِطَعًا مُتَمَزِّقَةً من جِلْدِهِ ، وذَلِكَ أنّ الحيَّةَ إذا أرادَ أنْ يَسْلَخَ ، — وهو أَنْ يَرْمِى بِجِلْدَتِهِ كَمَا يَنْسُلُ الطَّائِرُ إذا رَمَى بِريشِهِ — سَعى سَعْيًا شَدِيدًا حتى يَسْلَخَها .

وَقوْلُهُ : « وَهْوَ يُعْطِيكَ من تَضَرُّمِ شَدٍّ » أى : يُعْطِيكَ من تَضَرُّمِ عَدْوِهِ ، كما أَعْطىٰ عَيْنَك لَهَبًا من « تَضرُّمِ جَمْرِ » يُرِيدُ حُمرةَ لَوْنِهِ التى كانَتْ نِهايَةَ العين فى الاحْمِرارِ ، وهذا تَمْثِيلٌ حَسَنٌ جِدّا .

وقولُهُ : « صِبغْةُ الأُفُقِ بين آخرِ لَيْلٍ » قد تقَدَّم القَوْلُ فِيهِ[1] .

وهذَا من قَوْلِ مَنْ يعلمُ أمرَ الخَيلِ ويدرى كيف يَصِفُها وهذا بابٌ البحترىُّ فيه أشْعَرُ من أبى تمّامٍ وغَيْرِهِ من شُعراءِ أهلِ زمانِهِ ، وإن كان العَكَوَّكُ قَد أتىٰ فى قَصيدَتِهِ التى على الباءِ[2] بِكُلِّ معنىً جيِّدٍ ، ولكن لَيْس فيها حلاوةُ أَلْفاظِ البحترىِّ ومعانيهِ .

---

(١) انظر ١ : ٣٧٧ و ٣ : ٤٠٢ .

(٢) فى الأصل : « الياء » وهو تصحيف ، وفى الأصل « كُلَّ » وهى صحيحة على ضَعْفِها ، والقصيدة هى أرجوزته البائية المشهورة فى مدح أبى دلف العجلى « ديوانه المجموع ص ٣٢ » وأولها :

رِيَعْت لِمَنْشورٍ عَلىٰ مَفْرِقِه      ذَمَّ لهَا عَهْدَ الصِّبَا حِينَ انْتَسَبْ

وقد أحسنَ غَيرُ العَكوَّكِ فى وصفها ولكن فى البيتين والثّلاثَةِ من القصيدةِ نحو (١) قولِ مُسلمِ بن الوَلِيدِ :

وغَيْثٌ من الوَسْمِىِّ جادَ على الحِمىٰ    فأبْرزَ عن نَوْرِ الأقَاحِى المُكلَّلِ
غَدوْتُ عليه فى مسَارِب وَحْشِهِ    بِذى مَيْعةٍ والشَّمْسُ لَمْ تَتَرَجَّلِ
نَتَجْناهُ عن رِيحٍ وبَرْقٍ فأسْبَلَا    شَآبِيبُهُ كالعارِضِ المُتهلِّلِ

وقال ابن النَّطَّاح (٢) :

كُمَيْتٌ كأنَّ الرِّيحَ حَشْوُ عظامِهِ    على أنَّه مِنْ جِرْيَةِ المَاءِ أُطْلَقُ
يُشَبَّهُ بالسَّيْفِ الصَّقيلِ صَريمَةً (٣)    وجَوْهَرُه من جَوْهَرِ السَّيْفِ أَعْتَقُ

قَوْلُهُ : « كأنّ الرّيحَ حَشْوُ عِظامِهِ » حَسنَ جُدا ، وفَرَسُ البحُتُرِىِّ أَسْرَعُ ، (٤) لإنّه قال :

جارَى الجِيادَ فطَار عن أوْهامِها    سَبْقاً وكادَ يطير من أوْهامِهِ

وقالَ (٥) :

مَرَّتْ تُبارِى الرِّيحَ فى مُرورِها    تَصَوُّبَ الطَّيْرِ إلى وُكورِها

فطيرانُ الطَّيْرِ السَّرِيعِ أسْرَعُ من مَرِّ الرِّيحِ .

ولم يأتِ أبو تمّام فى السُّرعةِ بشىءٍ يُعْتَدُّ به ، ولا فى غَيْرِها من الوَصْفِ .

* * *

---

(١) لم أجد الأبيات فى ديوانه .
(٢) لم أقف عليهما .
(٣) كتب الناسخ فوق الصقيل « العتيق » فهى رواية أخرى .
(٤) ديوانه ٣ : ١٩٨٦ ، وفيه « وكاد يطير عن أوهامه » .
(٥) هذان البيتان سبقا فى ٤٢٢ مع اختلاف فى الترتيب .

# ماقالاه في الفخر

قال أبو تمّام[1] :

ألَا صَنَع البَيْنُ الذى هُو صانِعُ

وعاوٍ عَوىٰ والمَجْدُ بَينِى وبَيْنَهُ ⁂ له حَاجِزٌ دُونى ورُكْنٌ مُدافِعُ
تَرقَّت مُناهُ طَوْدَ عِزٍ لو ارْتقَتْ ⁂ بِهِ الرّيحُ فِتْرًا لَا نْثَنَتْ وهىَ ظَالِعُ
أنا ابْنُ الذين اسْتُرْضِعَ الجُودُ فِيهِمُ ⁂ وسُمِّـىَ مِنهم وَهْـوَ كَهْـلٌ ويَافِـعُ[2]
سَما بِىَ أوْسٌ فى السَّماءِ وحَاتِمٌ ⁂ وزَيْـدُ القَنـا والأَثْرَمـانِ ورَافِـعُ[3]
وكان إياسٌ ما إياسٌ وعارِقٌ ⁂ وحَارِثَةٌ أَوْفَىٰ الوَرىٰ والأَصَامِعُ[4]

---

(١) ديوانه ٣ : ٦٣٢ والتبريزى ٤ : ٥٨٠ وعجزه :

فإن تَكُ مِجْزاعًا فما البَيْنُ جَازِعُ

(٢) ديوانه والتبريزى : « وسُمِّىَ فيهِمْ » .

(٣) قال ابن المستوفى فى النظام : « يعنى أوس بَن حارثة بن لام وهو أوس بن سعدى ، « وحاتم » مشهور ، وهو حاتم بن عبد الله و « زيد القنا » يعنى زيد الخيل ، وقد أدرك الإسْلامَ « والأثرمان » رجلان من طيئ « ورافع » يجوز أن يعنى به رافع بن عميرة ، وزعم قوم أن الأَثْرَمَيْنِ : بُجَيرٌ بن حاتِم ورافِعُ بن حُميد ، ولم يثبت ذلك ، هذا قول أبى العلاء » . حـ ٢ لوحة ١٤٩ .

وقال الصولى فى شَرْحِه : الأَثْرَمَانِ : يحيىٰ بن أوس بن حارثة ورافع بن عميرة كان أبذَلَ العرب « ٣ : ٦٣٠ » .

(٤) الاصامعُ : من طَيِّئ أيضًا نزلَ بهم امروءُ القيس ، ومنهم سدوس بن أصمع الذى يقول فيهم :

إذا ما كنتَ مُفْتَخِرًا ففاخِرْ ⁂ بِبَيْتٍ مثلَ بَيتِ بَنى سَدوسَا

« التبريزى ٤ : ٥٨٦ » .

نجومٌ طوالِعٌ ، جبالٌ فوارِعٌ غيُوثٌ هوامعٌ سيولٌ دوافِعُ
مَضَوْا وكأنَّ المَكْرُماتِ لَدَيْهِمُ لِكَثْرَةِ ما أُوْصَوْا بهِنَّ شرائِعُ
فأىُّ يَدٍ فى المَجْدِ مُدَّتْ فَلَمْ تكُنْ لهَا رَاحةٌ من جُودِهِم وأصابعُ ؟
هُمُ اسْتَوْدَعُوا المَعْروفَ محَفوظَ مالِنَا فضاعَ وماضَاعَتْ لدَينَا الودَائِعُ
بَهالِيلُ لو عايَنْتَ فَضْلَ أَكُفِّهِمْ لأيْقَنْتَ أنَّ الرِّزْقَ فى الأرْضِ واسِعُ
إذا خَفقَتْ بالبَذْلِ أرواحُ جوْدِهِم حَداها النَّدىٰ واسْتَنْشَقَتْها المَطامِعُ
رياحٌ كَريحِ العَنْبَرِ المَحْضِ فى النَّدىٰ ولِكنَّهـا يومَ اللِّقـاءِ زعَـازِعُ
إذا طَيِّءٌ لم تَطْوِ مَنْشُورَ بَأْسِهَا فأنفُ الذى يُهدِى لهَا السُّخْطَ جَادِعُ[1]
هى السُّمُّ ما يَنْفَكُّ فى كلِّ بَلْدةٍ تَسيلُ بهِ أرْماحُهمْ وهوَ نَاقِعُ
أصَارَتْ لهَم أَرْضَ العدوِّ قَطائِعًا نُفوسٌ لِحَدِّ المُرْهفَاتِ قواطِعُ[2]
بِكُلِّ فَتًى ما شابَ من رَوْعِ وَقْعَةٍ ولكنَّه قد شِبْنَ مِنه الوَقائِعُ
إذا ما أَغَاروا فاحْتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ أغارَتْ عَليْهِم فاحْتَوَتْهُ الصَّنائِعُ
فتُعْطِى الذى تُعطِيهِمُ الخَيْلُ والقَنَا أكُفٌّ لإرْثِ المَكْرُماتِ مَوانِعُ
هُمُ قَوَّمُوا دَرْءَ الشَّآمِ وأَيقَظُوا بِنَجْدٍ عيُونَ الْحَرْبِ وهىَ هَواجِعُ
إذَا أَسَرُوا لم يَأْسِرِ البَغْىُ عَفوهُمْ ولَمْ يُمْسِ عَانٍ فيِهِمُ وَهْوَ كَانِعُ[3]
إذا أَطْلَقُوا عَنهُ جَوامعَ غُلِّهِ تَيَقَّـنَ أنَّ المَـنَّ أيضاً جَوامِـعُ[4]

---

(١) فى الأصل : ( وأنف ) والتصحيح من ديوانه .
(٢) ديوانه والتبريزى : « قطائع » .
(٣) فى التبريزى : « لم يأسر البأس عفوهم » ، وفى هامش الأصل : « كانع : ذليل محتاج » .
(٤) قال الصولى : « قيدوه بالمن عليه ، فهو أبدا معهم وشاكر لهم ، وهذا كقول الخارجى : غلَّ يدًا مُطْلِقُها ، واسترقَّ رَقَبَةً مُعْتِقُها » « والجوامع » : جمع جامِعةٍ ، وهى التى تجمع يَدَ الأسيرِ وعُنُقَهُ .
« شرح الصولى ٣ : ٦٣٧ » .

إذا صَارَعُوا عن مَفْخَرٍ قَامَ دُونَهم ... وخَلْفَهُمْ بالجَدِّ جَدٌّ مُصَارِعُ
/ عَلَوْا بِجُنُوبٍ مُوجَداتٍ كأنَّها ... جُنوبُ فيُولٍ مالَهُنَّ مَضاجِعُ ١٢١ أ
كَشَفْتُ قِناعَ الشِّعْر عن حُرِّ وَجْهِهِ ... وطَيَّرْتُهُ عن وَكْرِه وهو واقِعُ
بِغُرٍّ يَراها من يَراها بسَمْعِهِ ... ويدنُو إلَيْها ذُو الحِجَى وهو شَاسِعُ
يَوَدُّ وِدادًا أنَّ أعضاءَ جِسْمِهِ ... إذا أُنْشِدَتْ شوقًا إلَيْها مَسامِعُ

وهذا كلُّه جَيِّدٌ بالغٌ ، ومعانٍ صحَيحةٌ ، وأغراضٌ حسَنةٌ مستقيمةٌ ، وليس فيها بيت رديءٌ إلاّ قولُهُ : « إذا خَفقَتْ بالبَذْل » .

وقوله : « سمَا بِيَ أَوْسٌ » يريد أَوْس بَن حارِثَةَ بن لأمٍ ، و « زَيدَ القَنا » يريد زَيْد الخَيْل ، وقولُه : « إياسُ » يعنَى إياسَ بن عامِرِ الثَّعْلَبِيَّ ، وثَعْلَبَةُ هو جَرْمُ بن عمرٍو بنِ الغَوْثِ بنِ طَيِّيءٍ ، أو يُرِيدُ أَوْسَ بنَ قَبيصِةَ الطَّائيَّ[(١)] . « وعارِقٌ » هو قَيْس بن جروة بن سيف بن وائِلةَ بن عمرٍو الطَّائيُّ ، وقَيل له « عارِقٌ » لقَوْلِه في عَمْرو بن هِندٍ[(٢)]:

لَئِن لَمْ تُغيِّر بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمُ ... لأَنْتَحِيَنْ لِلعَظْم ذو أَنت عَارِقُهْ

وَقَالَ أيضا يَفْخَرُ[(٣)]:

تَصدَّتْ وحَبْلُ البَيْنِ مُستحصِدٌ شَزْرُ

---

(١) قال أبو العلاء : إياس بن قبيصة الطائى وكان كسرى ولاه الحيرة بعد النعمان بن المنذر ، النظام حـ ٢ لوحة ١٤٩ » .

(٢) البيت من جملة أبيات له فى الحماسة ، ولهذا الشعر قصة وهو أن الملك وهو عمرو بن هند أخفق فى غزاة غزاها فمرّ من منصرفه بطائفة من طيئ — وكان عاقدهم ألا يغزوهم أو يفاخرهم — فأراد تجاوزهم ، فقال له بعض ندمائه : إستغنمهم وأوقع بهم ، فقال : إنهم فى ذمتى ، فلم يزل يُقرِّب الأمر فيه معه حتى استباحهم . « حماسة أبى تمّام بشرح المرزوقى ٣ : ١٤٤٦ ، ٤ : ١٧٤٦ ، الأغانى ١٩ : ١٢٧ ، معجم الشعراء ٢٠٣ ، خزانة البغدادى ٧ : ٤٤٠ ، واللسان « عرق » » .

(٣) ديوانه ٣ : ٦٠٨ والتبريزى ٤ : ٥٦٧ وعجزه :

« وقد سَهَّلَ التوديعُ ماوَعَّرَ الهَجْرُ »

أَبَى لِىَ نَجْرُ الغَوْثِ أَنْ أَرْأَمَ الَّتِى … أُسَبُّ بِهَا والنَّجْرُ يُشْبِهُهُ النَّجْرُ (١)

وَهَلْ خَابَ مَنْ جِذْمَاهُ فى ضِنْءِ طَيِّىءٍ … عَدِىُّ العَدِيِّينَ القَلَمَّسُ أو عَمْرو ؟ (٢)

لَنَــا غُرَرٌ زَيْدِيَّــةٌ أُدَدِيَّــةٌ … إذَا نَجَمَتْ ذَلَّت لها الأَنْجُمُ الزُّهْرُ

لَنَا جَوْهَرٌ لَوْ خَالَطَ الأَرْضَ أَصْبَحَتْ … وبُطْنَانُها مِنه وظُهْرَانُها تِبْــرُ

جَدِيلَةُ والغَوْثُ اللَّذان إليْهِمَا … صَغَتْ أُذُنٌ للمَجْدِ لَيْسَ بِهَا وَقْرُ (٣)

مقَامَاتُنَا وَقْفٌ عَلَى العِلْمِ والحِجَا … فأَمْرَدُنـا كَهْلٌ وأشيبُنَا حَبْــرُ (٤)

أَلَنَّا الأَكُفَّ بالعَطَـاءِ فَجَـاوَزَتْ … مَدَى اللِّينِ إلاّ أَنَّ أعراضَنا صَخْـرُ (٥)

كَأَنَّ عَطَايَانَا يُنَاسِبْنَ من أَتَى … ولا نَسَبٌ يُدْنِيه مِنَّا ولا صِهْرُ

إذا زينَةُ الدُّنْيا من المالِ أَعْرَضَتْ … فأَزيَنُ مِنْها عِندَنا الحَمْدُ والشُّكْرُ

وُكُورُ اليَتامى فى السِّنين فَمَنْ نَبَا … بِفَرْخٍ لَهُ وَكْرٌ فَنَحْنُ لَهُ وَكْرُ

أَبَى قَدْرُنَا فى الجُودِ إلاّ نَبَاهَةً … فَلَيْس لمالٍ عِنْدَنا أَبَداً قَدْرُ

لِيُنْجِحْ بِجُودٍ مَنْ أراد فإِنَّهُ … عَوَانٌ لِهذا النَّاس وَهْوَ لَنَا بِكْرُ (٦)

/ جَرَى حَاتِمٌ فى حَلْبَةٍ مِنْهُ لو جَرَى … بِهَا القَطْرُ شَأْوًا قِيلَ أَيُّهُما القَطْرُ ٥٤ ب

فتًى ذَخَرَ الدُّنيا أُناسٌ وَلَمْ يَزَلْ … لَهَا بَاذِلا فانْظُر لِمنْ بَقِىَ الذُّخْرُ

فَمَن شَاءَ فَلْيَفْخَر بِمَا شَاءَ من نَدًى … فَلَيْسَ لِحَىٍّ غَيْرِنا ذَلِكَ الفَخْرُ

---

(١) النَّجر : الأصل ، أرْأم : من رئمت الناقة ولدها أى شمته ودرت عليه ، أى أدنو من أمر يعاب على .

(٢) « جذماه » تثنية جذم أى الأصلْ ، « والضِّنْءُ » : الأصل والمعدن ، « وعدى العديين » على معنى التعظيم له كقولك عظيم العظماء ، وكريم الكرماء ، والقَلَمَّسُ : البحر ، وعمرو : هو عمرو بن الغوث الطائى والد ثعل بن عمرو .

(٣) ديوانه والتبريزى : « جديله والغوثُ اللذين » .

(٤) ديوانه والتبريزى : « مقاماتنا وقفٌ على الحِلْمِ والحِجَا » .

(٥) فى الأصل : « العطايا » والتصحيح من ديوانه والتبريزى .

(٦) ديوانه : « لِيُنْجِعْ » .

جَمَعْنَا العُلَى بالجُودِ بَعْدَ افتِرَاقِها ... إلَيْنَا كَمَا الأَيَّامُ يَجْمَعُهَا الشَّهْرُ
بِنَجْدَتِنَا أَلْقَتْ بِنَجْدٍ بَعَاعَها ... سَحابُ المَنايَا وهْىَ مُظْلِمَةٌ كُدْرُ
بكُلِّ كَمِىٍّ نَحْرُهُ غَرَضُ القَنا ... إذَا اضطربَ الأحشَاءُ وانْتَفخَ السَّحْرُ (١)
فأَعْجِبْ بِهِ يُهدِى إلى المَوْتِ نَحْرَهُ ... وأعْجَبُ مِنْهُ كَيْفَ يَبْقَى لَهُ نَحْرُ
يُشَيِّعهُ أبْنَاءُ مَوْتٍ عَلَى الوَغَىٰ ... يُشَيِّعُهُم صَبْرٌ يُشَيِّعُهُ نَصْرُ (٢)
كُمَاةٌ إذَا ظَلَّ الكُمَاةُ بمَعْرَكٍ ... وأَرْمَاحُهُمْ حُمْرٌ وأَلوانُهمْ صُفْرُ
بِخَيْلٍ لِزَيْدِ الخَيْل مِنْها فَوَارِسٌ ... إذَا نَطَقُوا فى مَجْلسٍ خَرِسَ الدَّهْرُ (٣)
عَلَىٰ كُلِّ طِرْفٍ يَحسُرُ الطَّرْفَ سَابِحٍ ... وسابِحةٍ لكِنْ سَباحَتُها الحُضْرُ (٤)
طَوَىٰ بَطْنَها الإسْآدُ حتَّى لَو أنَّها ... بَدَتْ لَكَ مَا شَكَكْتَ فِى أنَّه ظَهْرُ (٥)
ضُبَيْبِيَّةٌ ما إن تُحدِّثَ نَفْسَهَا ... بِمَا خَلْفَها ما دَامَ قُدَّامَها وِتْرُ (٦)
فإنْ ذَمَّتِ الأعداءُ سوءَ صَنِيعِها ... فَلَيسَ يُؤَدِّى شُكْرَهَا الذِّئْبُ والنَّسْرُ
بِهَا عَرَفَتْ أَقْدَارَها بَعْدَ جَهْلِها ... بأَقْدارِها قَيْسُ بنُ عَيْلانَ والفِزْرُ
وتَغْلبُ لَاقَتْ غَالِبًا كُلَّ غالبٍ ... وبَكْرٌ فَأَلْفَتْ حَرْبَنا بَازِلاً بَكْرُ
وأَنْتَ خَبِيرٌ كَيْفَ أَبْقَتْ سُيُوفُنَا ... بَنِى أَسَدٍ إنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الخُبْرُ (٧)
وقِسْمَتُنا الضِيزَى بِنَجْدٍ وأَهْلِها ... لَنَا خُطْوَةٌ فى عَرْضِها ولَهُمْ فِتْرُ (٨)
مَسَاعٍ يَضِلُّ الشِّعْرُ فى طُرْقِ وَصْفِهَا ... فَمَا يَهْتَدِى إلاّ لأصغرِهَا الشِّعْرُ

---

(١) ديوانه والتبريزى : « إضطمر » وقال : الاضطمار ضد الأنتفاخ .
(٢) ديوانه والتبريزى : « إلى الوغى » .
(٣) ديوانه والتبريزى : « فى مشهد » .
(٤) الحضر : ارتفاع الفرس فى عدوه عن الثعلبية ، والثعلبية أن يعدو الفرس عدو الكلب ، « اللسان » وفى الأصل : « ولكن سباحته » والتصحيح من ديوانه والتبريزى .
(٥) ديوانه والتبريزى : « حتى لو انَّهُ بدالك » .
(٦) التبريزى : « أنفسا » .
(٧) ديوانه والتبريزى : « أسودنا » .
(٨) ديوانه والتبريزى : « .... بنجد وأرضها » .

وهذه القصيدةُ فيها جَيِّدٌ نَادرٌ ، وفيها رَدِىءٌ سَاقِطٌ ، وفيهَا ألفاظٌ وضَعَها فى غَير مَوْضِعَها ، فمن ذلك قوله : « لنَا غُررٌ زَيْدِيَّةٌ أُدَدِيَّةٌ إذَا نَجَمَتْ » وَلَيْسَ هَذَا مَوضعُ « نَجَمَتْ » ، إنما هو مَوْضِع « ذُكِرَتْ » ، لأنّ الشىءَ يُذْكَرُ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتِ ، وإذَا نَجَمَ الشىءُ فَلَيْس يَنْجُمُ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتِ ، يُقَالُ : قَدْ نَجَمَ خارجىٌّ فى مَوْضع كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ نَجَمَ فِي بَلَدِ كَذَا مَذْهَبٌ رَدِىءٌ ، أىْ ظَهَرَ ، وَقَدْ نَجم
٥٥ قَرْنُ / الظَّبْيِ ، إذَا طَلَع ، ونَجَمَتْ سِنُّ الصَّبِىِّ ، فَمَا مَعْنَى « لَنَا غُرَرٌ إذَا نَجَمَتْ » وهِىَ قد نَجَمَتْ وفَرَغَ اللهُ مِنْ نُجُومِها ؟ ، و « ذُكِرَتْ » كَانَ أَوْلَى بِهذا المَوْضِعِ ، وإنَّمَا قَالَ « نَجَمَتْ » من أجل قَوْلِهِ « الأَنْجُمُ » لِيَتَجَانَسَ اللَّفظُ ، وإنَّمَا يَحْسُنُ التَّجْنِيسُ إذَا حَسُنَتْ وَصَحَّتِ المَعانى .

وَقَوْلُهُ : « لنا جَوْهَرٌ ... » بَيْتٌ رَدِىءٌ سَخِيفٌ ، وزَادَ فِى سُخْفِهِ قَوْلُهُ : « مِنْهُ » ، لأنَّ « مِنْهُ » إنَّما يُوجِبُ أنْ يَكُونَ مِن جَوْهَرِنَا ، وهو لَيْس يُرِيدُ : لَنَا جَوْهرٌ لَوْ خَالطَ الأرضَ أصبَحتْ وبُطْنَانُها مِنْ جَوْهَرِنَا ، وإنَّما كَانَ ينبغى أن يَقُولَ : لَنَا جَوْهَر [!][١] وظُهرانُها تِبْرٌ ، لأنَّ هَذَا الجَوْهَرَ غَيْرُ ذَلِكَ الجَوْهَرِ ، وإنَّما قَاسَه بِهِ ، فإذَا قَالَ : « وبُطْنَانُها مِنْهِ » فقد ردّ الكِنَايةَ إلى الجَوْهَر الأَوَّلِ وَسَقَط أن يَكُونَ فى ذلك فَائِدةٌ ، وهو إنَّما أَرَادَ لَفْظَ الجَوْهَرِ ولم يُراعِ المعنى فَجَاءَ به رَدِيئًا .

وَقَوْلُهُ : « وُكُورُ[٢] اليَتَامَىٰ فى السِّنِين ... » بَيْتٌ رَكِيكٌ جِدا بارِدُ المَعْنَى سَخِيفٌ عَامِّىٌّ .

وَقَوْلُهُ :

« كُمَاةٌ إذَا ظَلَّ الكُمَاةُ بِمَعْرَكٍ وأَرمَاحُهُـم حُمْـرٌ .... »

---

(١) هنا خرم ، فالكلام غير متصل .

(٢) فى الأصل « وكون » تحريف .

أى : هم كُمَاةٌ وأرماحُهم حُمْر إذَا ظَلَّ الكُمَاةُ بمَعْرَكٍ وألوانُهم صُفْرٌ ، أىْ : رِمَاحُ هؤلاء حُمْرٌ مِنَ الطَّعنِ وألوانُ الكُمَاةِ صُفْرٌ مِنَ الرَّوْعِ ، والبَيْتُ رَدِىءٌ وليس بجيِّدِ التَّأليفِ .

وقَوْلُهُ : « لَكن سباحَتُها الحُضْرُ » تَفْسِيرٌ سَخِيفٌ أَحمَقُ ، ومن شَكَّ فِى أنَّ سَباحتَها الحُضْرُ ، وهل يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّ سَبَاحتَها غَيرُ الحُضْرِ .

وقَوْلُهُ : « ما شكَكْتَ أَنَّه ظَهْرُ » مَعْنىً أَقْبَحُ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ .

وكذلك : « ما إن تُحدِّثَ نَفْسَها » من أرْذَلِ لَفْظٍ وأَدْوَنِهِ ، وفِيهَا غَيْرُ بَيْتٍ سَخِيفٍ ، وأكثَرُها جَيِّدٌ نَادِرٌ .

و « الإسآدُ » : سَيْرُ اللَّيْلِ ، و « التَّأْويب » : سَيْرُ النَّهارِ .

و « الفِزْرُ » سَعْدُ بنُ زَيْد مَنَاةَ بنِ تَميمٍ .

وقَوْلُهُ : « وَتَغْلِبٌ لاقَتْ غَالِبًا كُلَّ غالبٍ » يُرِيدُ غالبَ بنَ(١) ...

وقال البُحتُرىُّ يَفْخَرُ(٢) :

إنَّما الغَىُّ أن تَكُونَ رَشِيدَا

إنَّ قَوْمِى قَوْمُ الشريفِ قَدِيمًا وحَدِيثًا : أُبُوَّةً وجُدُودَا(٣)
فإذَا مَا عَدَدتُ « يَحْيَى » و « عَمْرا » و « أبَانًا » و « عامرًا » و « وَلِيدَا »(٤)

---

(١) بياض فى الأصل ولم أصل إلى صحة الاسم بعد .

(٢) ديوانه ١ : ٥٩٠ وعجزه :

« فانقصا من ملامِهِ أو فزيدَا »

(٣) فى الأصل « الشراف » .

(٤) ديوانه : « والوليدا » .

و « عُبَيْدًا » و « مُسْهِرًا » و « جُدَيًّا »    و « تَدولاً » و « بُحْتُرًا » و « عَتُودا »

لَمْ أَدَعْ من مَنَاقِبِ المَجْد ما يَمْـ    ـنَعُ من هَمَّ أن يَكُونَ مَجيـدًا[1]

ذَهَبتْ طَيِّئٌ بِسَابِقَةِ المَجْـ    ـدِ على العَالَمِينَ : بأسًا وَجُودَا

مَعْشَرٌ أَمْسَكَتْ حُلومُهُمُ الأَرْ    ضَ ، وكَادَتْ من عِزِّهِمْ أَنْ تَمِيدَا

نَزَلُوا كَاهِلَ الحِجَاز فأضْحىٰ    لَهُمُ ساكِنُوهُ طُرًّا عَبِيدا

مَنْزِلا قَارَعُوا عَلَيْه العَمَالِيـ    ـقَ وعادًا فى عِزِّهَا وثَمُودَا

وإذَا قُوتُ « وائِلٍ » و « تَمِيمٍ »    كَانَ إذ ذَاكَ حَنْظَلاً وهَبِيدَا[2]

ظَلَّ وِلْدَانُنَا يُغَادُونَ نَخْلاً    مُؤْتِيًا أُكْلَه وَطَلْحًا نَضِيدَا[3]

بَلَدٌ يُنْبِتُ المَعَالِى فما يَثَّـ (م) ـغِرُ الطِفْلُ فِيهِ حَتَّى يَسُودَا[4]

ولُيُوثٌ من طَيِّءٍ وغُيوثٌ    لَهُمُ المَجْدُ : طَارِفًا وَتلِيدَا

فإذا المَحْلُ جاءَ جاءُوا سُيُولا    وإذا النَّقْعُ ثَارَ ، ثَارُوا أُسُودا

يَحْسُنُ الذِكْرُ عَنْهُمُ والأحادِيـ    ـثُ إذا حَدَّثَ الحَديدُ الحَدِيدَا

فِى مَقَامٍ تَخِرُّ فى ضَنْكِهِ البيـ    ـضُ عَلَى البِيضِ رُكَّعًا وسُجُودَا

يَفْرُجُونَ الوَغَى إذَا مَا أثَارَ الـ (م) ـضَّرْبُ من مُصْمَتِ الحَدِيدِ صَعِيدا

بِوُجُوهٍ تُعْشِى العُيونَ ضِيَاءً    أو سُيوفٍ تُعْشِى الشُّموسَ وَقُودَا[5]

عَدَلُوا الهَضْبَ من تِهامَةَ أَحْلا    ماً ثِقَالاً ، ورَمْلَ نَجْدٍ عَدِيدَا

---

(١) فى الديوان : « يقنع » .

(٢) ديوانه « كان إذ كان ... » .

(٣) ديوانه : « وطلعا » ، والطلح : لغة فيه ، أو هو الموز .

(٤) أثْغَر الطِّفْلُ : سقط أو نبت مُقَدَّمُ أسنانه .

(٥) فى الأصل : « بوجوه تغشى السيوف ... » ، و « تغشى » بالغين المعجمة فى الموضعين ، والتصحيح من ديوانه ، وفيه : « وسيوفٍ تعشىٰ الشموس وُقودا » ، والوَقُودُ بفتح الواو الحَطَبُ وبضَمِّها التَّوَقُّدُ .

مَلَكُوا الأَرْضَ قَبْلَ أَنْ تُمْلَكَ الأَرْ ضُ وقَادُوا فِى حَافَتَيْهَا الجُنُودَا
وجَرَوْا عِنْدَ مَوْلِدِ الدَّهْرِ فى السُّؤْ ددِ والمكْرُمَاتِ شأَوًا بَعِيدَا
بِمَساعٍ مَنْظُومَةٍ أَلْبَسَتْهُنَّ (م) اللَّيَالِى : قلائِدًا وعُقُودَا
«عبد شمسٍ» «شَمْسُ» «العريب»[١] أَبُونَا مَلَكَ النَّاسَ واصْطَفَاهُمْ عَبِيدَا
وَطِئَ السَّهْلَ والحُزُونَةَ بالأَبْـ ـطَالِ شُعْثًا ، والخَيْلَ قُبًّا وَقُودَا[٢]
وأَبُو الأَنْجُمِ التى لاتَنِى تَجْـ ـرى على النَّاسِ أَنْحُسًا وسُعُودَا
نَحْنُ أبناءُ « يَعْرُبٍ » أعربُ النَّا سِ لِسَانًا وأَنْضَرُ النَّاسِ عُودَا
وَكأَنَّ الإِلَهَ قَالَ لَنَا : فى الـ ـحَرْبِ كُونُوا حِجَارَةً أو حَدِيدَا

قَوْلُهُ : « مَنْ هَمَّ أَنْ يَكُونَ مَجِيدًا » أى : لَمْ أَدَعْ من مَنَاقب المَجْدِ شَيْئًا يَمْنَع مَنْ هَمَّ / بالمَجْدِ أن يَبْلُغَ المَجْدَ لخُلُوِّهِ مِنْه وفَوْتِه إيَّاهُ ، أى : إذا ذَكَرْتُ هؤلاءِ وفِيهم الخِلَالُ التى تَجْمَعُ المَجْدَ كُلَّهُ ، ولَمْ أَدَعْ خَلَّةً للحُسْنِ لَيْسَ فِيهم ، مِمَّا يَمْنَعُ المَاجِدَ أن يَكُونَ مَجِيدًا بِفَقْدِهِ إيَّاهَا . ٥٦

و « الهَبِيدُ » ثَمَرُ الحَنْظَل ، و « الطَّلْحُ » يُقَالُ هو المَوْزُ ، وإيَّاه عَنى هَاهُنا .

وقولُهُ : « عِنْدَ مَوْلِدِ الدَّهْرِ » تَعَدٍّ وإسْرافٌ فى المُبَالَغَةِ ، ولكنّه غَيْرُ قَبِيح لحُسْنِ لَفْظِه .

وقد استعمل الإيطاءَ[٣] فى هَذِه القصيدةِ فأتى بِقَوْلِه : « عبِيدا » فى مَوْضِعَيْن ، وهَذَا يَجْرِى مِنَ المطبُوعِينَ من قِلَّةِ التَّفقُّدِ .

---

(١) فى الأصل « الغريب » بالغين المعجمة تحريف ، والعريب هو : عريب بن زيد بن كهلان .

(٢) القب : خيول ضامرة البطن ، القُودُ : الذَّلُول من الخَيْل ، الطويل العنق .

(٣) الإيطاء : أن تتكرر القافية فى قصيدة واحدة بمعنى واحد ، وأصله أن يطأ الإنسان فى طريقه على أثر وطء فيعيد الوطء على ذلك الموضع .

وأَقُولُ فى المُوَازَنةِ بَيْنَهُما : إنْ وَازَنْتُ بين مَعانِيهِما خَاصَّةً فيما افتَخَرا بِهِ ، كان أبو تَمَّامٍ أشْعَرَ ، لأنَّه أبرَعُ وأَفصَحُ وأسْلَمُ ألفاظًا وأَحْكَمُ ، وأبو تمّام عَلَى كلّ حالٍ فى قصيدتِهِ العيْنِيَّةِ أشعرُ ، لأنَّ ألفَاظَها وَسَبْكَها غَيْرُ مُقصِّرَيْنِ .

ومِمَّا أجاد فِيه البُحتريُّ وأحْسَنَ كلَّ الإحسانِ قَوْلُهُ (١) يَمْدَح بَنِى مَخْلَدٍ :

« بِنى مَخْلَدٍ » كُفُّوا تَدَفُّقَ جُودِكُمْ ... وَلَا تَبْخَسُونَا حَظَّنَا فى المَكَارِمِ

ولا تَنْصُروا مَجْدَىْ « قَنَانٍ » و « مَالِكٍ » ... بأَنْ تَذْهَبوا مِنَّا بِسُمْعَةِ حَاتِمِ (٢)

وَكَانَ لَنَا آسمُ الجُودِ حَتَّى جَعَلْتُمُ ... تَغُضُّونَ مِنَّا بالخِلالِ الكرائِمِ

وشَيَّبَنِي ألاَّ أزالَ مُجَرِّراً ... سَرابِيلَ سَآلٍ كَثِيرِ المغارِمِ

وَ مَا خَطَرِى دُونَ الغِنَى إن بلَغْتُهُ ... سُؤَالاً ، ولا عِرْضِى نَظيرُ الدَّرَاهِمِ

ومن عَرَبِيّ شِعْرِهِ ، وفَاخِرِ كَلَامِهِ الدَّالِّ عَلَى بَدَوِيَّتِهِ وحلاوةِ طَبْعِهِ قَوْلُهُ (٣) فى نَحو هَذَا المَعْنَى لعُبَيْدِ اللهِ بن عبد اللهِ بن طَاهِرِ :

تَزَاجَرَ هَذَا النَّاسُ عَنِّى تَقِيَّةً ... فَمَا بَالُ هَذَا « الطَّاهِرِيّ » و بَالِى ؟

يُسَاجِلُنِى حَتَّى كَأَنْ لَيْس « بُحْتُرٌ » ... أَبى ، و « ابنُ هَمَّامِ بنِ مُرَّةَ » خَالِى (٤)

أَخِى وابنُ عَمِّى سَابَقَتْنِى خِصَالُهُ ... إلى شَرَفٍ أو سَابَقَتْهُ خِصَالِى

---

(١) ديوانه ٤ : ٢٠٩٣ .

(٢) فى الأصل : « ولا تَنْصُرا » ، و « قَنَان » : من بنى الحارث بن كعب « تاج العروس ، اللسان مادة قنن » . « مالك » : هو مالك بن كعب بن الحارث بن كعب « جمهرة النسب ص ٣٧٦ » .

(٣) ديوانه ٣ : ١٨١٥ ، وكانت قد وقعت جفوة بينه وبين عبيد الله بن طاهر « انظر ديوانه ١ : ٢٠٨ » .

(٤) « بحتر » هو ابن عَتود بن عُنين بن سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طيئ « جمهرة النسب ص ٤٠١ » .

وهمّام بن مرة بن ذهل بن شيبان وفى ولده البيت والعدد « جمهر النسب ص ٣٢٥ » .

«بَنُو الحَارِثِ الحَرّاب» يَغْشَوْنَ نَصْرَه بِكُـلِّ جَهِيـرٍ فى السّلاحِ طُوَالِ[(١)]
أولئك قَوْمٌ أَنْتَ كُفْءُ سَرَاتِهِم وشَرْواهُـمُ فى سُؤْدَدٍ ومَعَـالِ
دِيارُهُـمُ بالغُوطتَيْـنِ ودَارُكُـمْ «بِعُسْفانَ» يَغْدو بِرُّها وَغَزالِ[(٢)]
لَهُمْ وَرَقُ الزّيتُونِ غَضًّا ، وعِنْدَكُمْ شَرِيجانِ مِنْ أَثْلٍ يَرِفُّ وضَالِ
تُرَاكَ مُسَامِيَّ الغَدَاةَ فَفَائِتِي بِجُمْلَةِ شِعْرِى ، وهوَ جُمْلَةُ حَالى ؟

قَوْلُهُ : «يغدو بِرُّهَا وغزالِ» فَغَزالٌ : هَضْبَةٌ مُرْتَفِعَةٌ ويُقَالُ : ثَنِيّةُ غَزَالٍ بِنَواحِي عُسْفَانَ[(٣)] .

يَقُولُ : إن كُنْتَ نظيرى فى النَّسَبِ والشَّرَفِ والمَحَلِّ والبَلَدِ ، فإنَّكَ لا تَتَقَدَّمُنِى فى الشِّعرِ ، الذى هو جُمْلَةُ ما أفتخِرُ عَلَيْكَ بِهِ ، فَسَلَكَ أَحْسَنَ مَسْلَكٍ بأبرعِ لَفْظٍ ومَعْنًى .

وقال[(٤)] :

أَحْبِب إلَيَّ بِطَيْفِ «سُعْدَى» الآتِي[(٥)]
ومِنَ الأقارِبِ مَنْ يُسَرُّ بِميتَتِي سَفَهًا ، وعِزُّ حَيَاتِهِمْ بِحَيَاتِي[(٦)]

---

(١) ديوانه : «طِوال» بكسر الطاء وهى جمع طويل ، وطُوَال بضم الطاء ومعناهما واحد ، والحارث الحرّاب : الملك الكندى جد امرىء القيس بن حجر ، سمى بذلك لأنه كان يَحْرُبُ الناس . «الاشتقاق ص ٧٥» .

(٢) «عُسْفان» : قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وهى حد تهامة «معجم البلدان» وفى ديوانه :

بِعُسْفَانَ تُسْقَى من حَياً بَغَزَالِ

(٣) انظر معجم البلدان «غزال» ، ومعجم ماستعجم ٩٥٦ ، ٩٩٦ .

(٤) ديوانه ١ : ٣٦٣ .

(٥) عجزه : «وطروقِهِ فى أعجب الأوقات» .

(٦) سبق فى ٢ : ٢٣١ .

إنْ أبْقَ أو أهْلِك فَقَدْ نِلْتُ التى ... مَلأَتْ صُدورَ أَصَادِقِى وعُدَاتِى

وغَنِيْتُ نَدْمَانَ الخلائِفِ نَابِهًا ... ذِكْرِى ، وناعِمَةً بِهِمْ نَشَواتِى

وَشَفَعْتُ فِى الأمْرِ الجليلِ إِلَيْهِمِ ... بَعْدَ الجَلِيلِ فأنْجَحُوا طَلِبَاتِى

وَصَنْعتُ فى العَرَب الصَّنائِعَ عِنْدَهُم ... من رِفْدِ طُلاَّبٍ وفَكِّ عُنَاةِ

يَجْرِى لِيَدْخُلَ فى غُبارِ تَسرُّعِى ... مَنْ لَيْس يَعْشُرُ فى الرِّهانِ أَنَاتِى

ويَذِيمُنى مَنْ لو ضَغَمْتُ قَبِيلَهُ ... يَوْمَ الفَخَارِ لطَارَ فى لَهَوَاتِى

جَدِّى الّذِى رَفَعَ الأذَانَ « بِمَنْبِجٍ » ... وأقَامَ فِيها قِبْلَةَ الصَّلَوَاتِ

فالآنَ إذْ ناصَيْتُ أعنَانَ العُلَا ... ورقِيتُ فيها أرْفَعَ الدَّرجَاتِ (١)

وأَبِى « أَبُو حَيَّان » قائِدُ « طيّئٍ » ... للرُّوم تَحْتَ لوائِهِ المُنْصَاتِ (٢)

وَوَلِىُّ فَتْحِ الجِسرِ إذ أغْرَى بهم ... « عَمْرُوٌ » وفَاعِلُ تِلكُمُ الفَعَلات (٣)

وخُؤُولَتِى « فالحَوْفَزانُ وحَاتِمٌ ... والخَالِدَان » الرَّافِدانِ حُمَاتى (٤)

إذ لَمْ يكن شَرَفُ المَنَاكِحِ يُشْتَرى ... بالمَالِ فى اللأْواءِ واللَّزَبَاتِ (٥)

* * *

---

(١) ديوانه : « رقيت منها » وهذا البيت فى ديوانه بعد قوله :

« وصنعت فى العرب الصنائع »

(٢) لم أعرفه ، وربما يعنى حابس بن سعد بن المنذر ، كان على طيئ بالشام مع معاوية ، قتل يوم صفين ، وكان عمر ولاه قضاء حمص « الاشتقاق ٣٩٣ » .

(٣) ديوانه : « إذ أغرى بِهِ عُمَرٌ » .

(٤) الحَوْفَزانُ : الحارث بن شريك بن الصّلب .

(٥) اللأواء : الشدة ، اللزبات : المحن .

## ما قالاه في التوجع من العلل والنكبات والتهاني على السلامة منها

قَالَ أبو تَمَّامٍ[1] :

أَبَالقاسِمِ المَحْمُودَ ، إن ذُكِرَ الحَمْدُ ... وُقيتَ رَزَايا ما يَرُوحُ وَمَايَبْدو[2]

وطَابَت بلادٌ أنْتَ فيها فأَصْبَحَتْ ... ومَرْبَعُها غَوْرٌ ومُصْطافُها نَجْدُ[3]

فإنْ تَكُ قَدْ نَالَتْك أَطْرَافُ وعكَةٍ ... فلا عَجَبٌ أَنْ يُوعَكَ الأَسَدُ الوَرْدُ

/ سَلِمْتَ وإنْ كَانَتْ لَكَ الدَّعْوَةُ اسمُها ... وَكَانَ الذى يَحْظَى بإنجاحِها المَجْدُ[4] ٥٧

فَقَدْ أُصبَحتْ مِنْ صُفْرَةٍ وَوُجُوهُها ... ورَايَاتُها سَيَّانِ غَمًّاً بِكَ الأُزْدُ[5]

بِنَا لا بِكَ الشكوى فَلَيْس بِضَائِرٍ ... إذَا صَحَّ نَصْلُ السَّيْف مالَقِىَ الغِمْدُ

وهذه أبياتٌ مضْطربةُ الألْفَاظِ والمَعَانِي .

---

(١) ديوانه ١ : ٤٧٧ والتبريزى ٢ : ٩٨ .

(٢) فى ديوانه والتبريزى « وما يغلو » .

(٣) جاء فى النظام : « قال الآمدى : « ومربعها غور » دعا لها أن يكون ربيعها -- وهو إما أول الشتاء وإما آخره -- بأن يكون غورا ، أى مُنْخَفِضا ليكون دفئًا ، وقوله : « ومصطافها نجد » دعالها أن يكون مصيفها أى صيفها نجدا ، أى باردا عذبا . « النظام ١ : لوحة ٢٣٨ » .

(٤) فى الأصل « لانجاحها » والتصحيح من ديوانه وستأتى رواية الديوان بعد قليل . وفى التبريزى : « بإنجاحها السَّعْدُ » .

(٥) ديوانه والتبريزى « من صفرةٍ فى وجوهها » .

وأَحْسَنُ مِن هَذَا وأَبْرَعُ قَوْلُ أبى الشِّمْرِ الغَسَّانىُّ – وهو العَلاءُ بنُ عاصِمٍ(١)–:

فإنْ تك حُمَّى الرِّبع شَفَّكَ وِرْدُها ... فَعُقْبَاكَ منها أن يَطُولَ لكَ العُمُرُ

وَقَيْنَاك ، لو نُعْطى الهوىٰ فِيك والمُنَى ... فَكَانت لَنا الشكوىٰ وكَانَ لَكَ الأَجْرُ(٢)

وأجوَدُ منها وألطَفُ مَعْنًى قَوْلُ محمَّدٍ المعرُوفِ بالبَيْدَقِ(٣) ، شَاعِرٌ رشيدِىٌّ كان الرّشيدُ يَسْتَحْسِنُ إنشَادَه ، يقول فى عمرو بن مَسْعَدة(٤) :

قَالُوا أَبُو الفَضْلِ مُعْتلٌّ فَقُلْتُ لَهُمْ ... نَفْسِى فَداءٌ له من كُلِّ محذورِ

ياليت عِلَّتَه بى ثُمَّ إنَّ له ... أَجْرَ العَلِيل وأنىّ غَيْرُ مأجُورِ

وأوَّلُ مَنْ قَالَ هذا أظنُّ الأخْطَلَ فى يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ(٥) :

ونَعُودُ سَيِّدَنَا وسَيِّدَ غَيْرِنَا(٦) ... لَيْتَ التَّشَكِّى كَانَ بالعُوَّادِ

---

(١) لم أقف له على ترجمة ، والبيتان فى عيون الأخبار ٣ : ٤٥ ، وفيه : « حُمىّ الغِبِّ » : وهى التى تعاود المريض يوما بعد يوم ، و « حُمَّى الرِّبع » : إتيانها فى اليوم الرابع .

(٢) روى هذا البيت فى العقد ٢ : ٤٤٨ وفى عيون الأخبار :

... لو نعطى المنى فيك والهوى ... لكان بى الشكوى ..................

ولم ينسبا فيهما . وفى العقد : « لكان بنا » .

(٣) هو محمد البيدق النصيبى الراوية ، كان قصيرا فلقب بالبيدق ، وكان ينشد هارون الرشيد أشعار المحدثين ، وكان أحسن خلق الله إنشادا ، وكان إنشاده أشد طربا من الغناء « الأغانى ١٢ : ١٩ ، ١٨ : ١١٦ ، ومجالس ثعلب ٢ : ٤٨٠ » .

(٤) هو أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول وزير المأمون ، وأحد الكتاب البلغاء ، كان جوادا ممدحا فاضلا نبيلا توفى سنة ٢١٧ « معجم الأدباء ١٦ : ١٢٧ ، معجم الشعراء للمرزبانى ٣٣ ، وفيات الأعيان ٣ : ٤٧٥ » . والبيتان ومناسبتهما فى وفيات الأعيان ٣ : ٤٧٥ ، وهما أيضا فى عيون الأخبار ٣ : ٤٥ ، والعقد ٢ : ٤٤٨ دون عزو ، ورواية البيت الأول فيهما :

نُبِّئتُ أنَّك معتلٌّ فَقُلتُ لَهُمْ ... نَفْسى الفِداءُ لَهُ منْ كُلِّ مَحْذُورِ

(٥) البيتان فى ديوان كثير ص ٣١١ والبيت الأول فى ديوان جرير ص ٥٠٧ وقال أبو العباس المبرد فى « التعازى والمراثى » ص ٢٦٩ : هذا الشعر غلط ، إنما هو لجرير فى الوليد بن عبد الملك ، وفى عيون الأخبار ٣ : ٥٠ أنهما لكثير فى عبد الملك مروان ، وفى العقد الفريد ٢ : ٤٤٨ وقال : هما لكثير فى عبد العزيز بن مروان .

(٦) فى الأصل : « عمرنا » تحريف .

لَوْ كَانَ يُقْبَل فِدْيَةٌ لَفَدَيْتُهُ بأنَـامِلى وبطارِفِـى وتِـلادِى[(١)]

وقال أبو تمّام[(٢)]:

لا عَيْش أو يَتَحامىٰ جسمَك الوَصَبُ فَتَنْجلى بِكَ عن إخوانِكَ النُّوَب[(٣)]
لَعًا أبا جَعْفَرٍ واسْلَمْ فَقَدْ سَلِمَت بك المُروءَةُ واستَعلى بِكَ الحَسَبُ[(٤)]
إنا جَهِلْنَا فَخِلْنَاكَ اعْتَلَلْتَ ولا واللهِ ما اعتَلَّ إلا الظَرفُ والأدبُ[(٥)]

وَقَالَ فى خُرُوجِ أبى دُلَفٍ من عِلَّةٍ[(٦)]:

قَدْ شَرَّدَ الصُّبْحُ هَذَا اللَّيلَ عن أُفُقِهْ وَسوَّغَ الدَّهْرُ ما قَد كَانَ من شَرَقِهْ
سِيقَتْ إلى الخَلْقِ فى النيروزِ عافيةٌ بِها شَفَاهُم جَديدُ الدَّهْرِ مِنْ خَلِقِهْ[(٧)]
يَارُبَّ مُصْطَبحٍ بالبَثِّ مُغْتَبِقٍ صَحَا ومُشْتَجِرٍ لَيْلاً ومُرْتَفِقِهْ
لمَّا اكْتَسى القَاسِمُ البُرْدَ الأنيقَ غَدَا على السُّرورِ فأعْداهُ عَلَى حُرَقِهْ[(٨)]
اللهُ جَلاَّهُ من كَرْبٍ ومِنْ وَصَبٍ كَادَ السَّماحُ يَذُوقُ المَوْتَ من فَرَقِهْ[(٩)]
لَمْ يَبْقَ ذُو كَرَمٍ إلاّ وَجَامِعَةٌ ثَقِيلةٌ قد حَنَاها الدَّهرُ فى عُنُقِهْ
أجنَاكَ من ثَمَراتِ البُرْءِ أيْنَعَها رَبٌّ كَسَاكَ الأثِيثَ النَّضْرَ مِنْ وَرَقِهْ
حَتَّى يُقَالَ لَقَدْ أَضْحَى أبو دُلَفٍ وَخَلْقُهُ قَدْ طَغَا حُسْناً عَلَى خُلُقِهْ

---

(١) فى ديوان كثير والعقد وعيون الأخبار : « بالمصطفى من طارفى وتلادى » .
(٢) ديوانه ١ : ٣٤١ والتبريزى ١ : ٢٩٦ .
(٣) ديوانه والتبريزى : « خُلْصَانِكَ الكُرَبُ » .
(٤) لعاً : كلمة تقال للعاثر ، معناها انتعش من عثرتك .
(٥) ديوانه والتبريزى : « إلا الملك والأدب » .
(٦) ديوانه ٢ : ٩٢ والتبريزى ٢ : ٤٠٢ .
(٧) فى الأصل : « سيقت » تصحيف ولأن الوزن لا يصح بها فقد شُطِبَتْ وكُتِبَ فى الهامش « صُبَّتْ » ، والتصحيح من ديوانه .
(٨) ديوانه والتبريزى : « إلى السرور » .
(٩) ديوانه والتبريزى : « عافاه » .

وَهَذا كُلُّهُ رَدِىءٌ لَفْظًا ومعنىً إلاّ قَوْلَه : « أجْنَاكَ مِن ثَمراتِ البُرءِ أيْنَعَها .... » .

وَقَالَ البُحتُرِىُّ فى إبراهيمَ بنِ المدبِّرِ (١) :

بِأَنْفُسِنَا لا بالطَّوارِفِ والتُّلْـدِ ... نَقِيكَ الذى تُخْفِى من الشَّكْوِ أو تُبْدِى
بِنَا مَعْشَرِ الأخوانِ مابِكَ مِن أذًى (٢) ... فإنْ أشْفَقُوا مِمَّا أَقُولُ فبِى وَحْدِى
ظَلِلْنَا نَعُودُ المَجْدَ مِنْ وَعْكِكَ الَّذى ... وَجَدْتَ ، وقُلْنَا : اعتَلَّ عُضْوٌ مِن المَجْدِ
وَلَمْ نُنْصِفِ اللَّيْثَ اقتَسمْنَا نَوَالَهُ ... ولَمْ نَقْتَسِمْ حُمَّاهُ إذ أقْبَلَتْ تَرْدِى
ولَسْتَ تَرَى شَوْكَ القَتَادةِ خَائِفًا ... رِيَاحَ السَّمُومِ الآخِذَاتِ مِنَ الرَّنْدِ (٣)
ولَا الذِّئْبَ مَحْمُومًا وإنْ طَالَ عُمْرُه ... ألا إنَّمَا الحُمَّى عَلَى الأسَدِ الوَرْدِ (٤)
وَحَرَّتْ عَلَى الأيْدِى مَجَسَّةُ كَفِّهِ ... كذلِكَ مَوْجُ البَحْرِ مُلْتَهِبُ الوَقْدِ (٥)
بَدَتْ صُفْرَةٌ فى لَوْنِهِ إنَّ حَمْدَهم ... من الدُّرِّ مَا اصْفَرَّتْ نواحِيهِ فى العِقْدِ

قَوْلُه : « قُلْنَا : اعتَلَّ عُضْوٌ مِن المَجْد » إنَّما أخذَ المعنىٰ مِن قَوْل أبى تمّامٍ فى الأبيات المُتَقدِّمة : « وكَانَ الذى يَحْظَى بإنجاحِها المَجْدُ » .

وَقَوْلُهُ : « ألا إنَّما الحُمَّى على الأسَدِ الوَرْدِ » مِن قَوْلِ أبى تمّامٍ : « فَلا عَجَبٌ أن يُوعَكَ الأسَدُ الوَرْدُ » ولعَمْرى أنَّ هذا معنًى مشتركٌ يتَداوَلُهُ النَّاسُ ، ولكن لمَّا أخذ ذَلِكَ المعنى الأوّلَ ذكر به هذا وأوْرَدَهُ مَعَهُ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٧٥٦ .

(٢) ديوانه : « معشر العواد » .

(٣) ديوانه : « ولست ترى عود الأراكة خائفا .:. سموم الرياح » .
وقد سبق فى ١ : ٣٢٥ .

(٤) ديوانه « وما الكلبُ » وقد سبق فى ١ : ٣٢٥ ، وروى هناك « ولا الكلبَ » .

(٥) ترتيب الأبيات يختلف عن ما ورد فى ديوانه .

وأبيات البُحتُرىّ على كلّ حَالٍ أبرع وأجْوَدُ .

وقد عابَه أبو العَبّاس بن نعمان(١) من حيث ظَنَّ أنّ الأبيات لأبى تمَّام(٢) بقولِهِ :

............ إنّ حَمْدهَــــم من الدُّرّما اصْفرَّت نواحيه فى العِقْدِ

وقال : ما حَمِدَ النَّاسُ ذَلِكَ قَط ، وما المَحْمُود من الدُّرِّ إلا الأبيضُ النَّقِىُّ البَيَاضِ .

وَلَمْ يُرِد البُحتُرىُّ الصُّفرَةَ المَعِيبةَ ، وإنَّما أرَادَ الصُّفَار الذى يُخْرِج الدُّرَّةَ عن أن تَكُونَ ناشِفَةَ اللَّونِ ، ولهَذَا قَالَ النّاسُ : لَوْنٌ دُرِّىٌّ ، يُرَادُ صَفَاؤُهُ وَحُسْنُه ، وأنَّهُ لَيْس بِبَيَاضٍ نَاشِفٍ فإنّ ذلك مكروهٌ فى الألوانِ(٣) .

/ وقال البحترىّ(٤) : ٥٨

---

(١) لم أعرفه ، ولم يذكره الآمدى إلا فى هذا الموضع ، وربما وقع تحريف فى الاسم ، فيكون أبا العباس ابن عمار ، المعروف بالعُزَير ، وقد نقل عنه الآمدى فى مواضع كثيرة من كتابه ، انظر ١ : ١٤٠ .

(٢) قال صاحب الصناعتين مانَصُّهُ :

« ومن الخطأ قول البحترى – ورواه لنا أبو أحمد عن ابن عامر لأبى تمّام – ، والصحيح أنه للبحترى « وذكر البيت » ، « الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ١٣٣ » وانظر ترجمة أحمد بن عبيد الله بن عمّار فى معجم الأدباء ٣ : ٢٣٢ وتاريخ بغداد ٤ : ٣٥٢ .

(٣) قال صاحب الصناعتين : وإنما يوصف الدر بشدة البياض ، وإذا أريد المبالغة فى وصفه وصف بالنصوع ، ومن أعيب عُيوبه الصفرة ، وقالوا : كوكب درّى ، وإذا أصفرّ احتيل فى إزالة صفرته ليبيض .

وقال الشريف المرتضى فى أماليه بعد أن ذكر البيت : أما تشبيهه صفرة اللون بصفرة الدّر ، فهو تشبيه مليح ، موافق لِغَرَضِهِ ، إلا أنّه أخطأ فى قوله :

......................... إن حمدهم من الدّر ما اصفرت نواحيه فى العقد

لأن ذلك ليس بمحمود بل مذموم ، ولو شبّه وترك التعليل لكان أجود .

(٤) ديوانه ١ : ٢٥٣ .

إنْ تَرْجُ نَيْلَ « عُبَيْدِ اللهِ » لَمْ تَخِبِ ... أو تَرْمِ فى غَرَضٍ من سَيْبِهِ تُصِبِ (١)
ذاكَ أَخٌ أَفْتَدِيهِ أن يُحِسَّ أَذًى ... بالنَّفسِ - عما توقَّاهُ - وبالنَّشَبِ (٢)
إنْ كَانَ مِن فَارِسٍ فى بَيْتِ سُؤْدَدِهَا ... وكُنْتُ من طَيِّيءٍ فى البَيْتِ والحَسَبِ (٣)
فَلَمْ يَضِرْنَا تَنَائِى المَنْصِبَيْنِ وَقَدْ ... رُحْنَا نَسِيبَيْنِ فى خُلْقٍ وفى أَدَبِ
إذَا تَسَاجَلَت الأخلاقُ واقْتَرَبَتْ ... دَنَتْ مَسَافَةُ بَيْنَ العُجْمِ والعَرَبِ (٤)
اِسْلَمْ ، ولازِلْتَ فى سِتْرٍ من النُّوَبِ ... وعِشْ حَمِيدًا عَلى الأيَّامِ والحِقَبِ
ولْيَهنَكَ البُرءُ مِمَّا كُنْتَ تَأْلَمُهُ ... والأَجْرُ فِى عُقْبِ ذَاكَ الشكْوِ والوَصَبِ
أَوْحشْتَ - مُذْغِبْتَ - قَوْمًا كُنْتَ أُنْسَهُمُ ... إذا شَهِدْتَهُمُ فاشْهَدْ ولا تَغِبِ
وإنْ فَصَدْتَ ابتِغاءَ البُرءِ مِن سَقَمٍ ... فقد أرَقْتَ دَمًا يَشْفِى مِنَ الكَلَبِ

وهذه أبيات جِيادٌ حِسانُ المعنى .

وقال فى أَبِى نُوحٍ عيسى بنِ إبراهيم : (٥)

نَعْتَدُّ أنْحسَنَا بِعِزِّكَ أسعُدا ... ونُسَرُّ فِيكَ بِما يُساءُ به العِدَا (٦)
فاسْلَم « أبا نُوحٍ » فإنَّك إنَّما ... تَهوى السَّلامَةَ كى تَجودَ وتُحمَدَا
وهنَّتْكَ عَافِيةُ الأَميرِ فإنَّهُ ... قد رَاحَ مُجْتَمِعَ العَزِيمَةِ واغْتَدَى

---

(١) ديوانه : « ن تَرْجُ طَوْل عبيد الله لاتخب » . وعبيد الله : هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة ، مؤرخ جغرافى فارسى الأصل من أهل بغداد ، إتصل بالمعتمد العباسى فولاه البريد والخبر بنواحى الجبل ، وجعله من ندمائه ، له تصانيف منها : المسالك والممالك « الفهرست ص ١٦٥ ، وانظر تاريخ الأدب الجغرافى لكراشكوفسكى ص ١٥٣ » .

(٢) ديوانه :

ذاكم أخ أفتديه أن يحس أسى ... بالنفس - مما توقاه - وبالنشب

(٣) ديوانه : « البيت ذى الحَسَب » .

(٤) ديوانه : « إذا تشاكلت » .

(٥) ديوانه ١ : ٥٣٩ .

(٦) ديوانه : « له العدا » .

فى نِعْمةٍ هى للمكَارِمِ والعُلىٰ وسلامَةٍ هى للسَّماحَةِ والنَّدَى
لَمَّا تَشَابَهتِ الرِّجَالُ حكيْتَهُ مَجْدًا أطَلَّ عَلَى النُّجُومِ وسُؤْدَدَا
ومَرِضْتُمَا وَفْقًا فكانَ دُعاؤُنَا أَنْ تَبْقَيَا وتَكُونَ أنْفُسُنا الفِدَا [١]
لَكَ عادَةٌ ألاّ تَزَالَ شَرِيكَهُ فِيما عَنَاه مُساعِفًا ومُساعِدا [٢]
لو يَسْتَطيعُ وقَاكَ عادية الضَّنَى أو تَسْتَطيعُ وقَيْتَه صَرْفَ الرَّدَى
والنَّفسُ واحدةٌ وإن أصبَحْتُمَا شَخْصَيْنِ غارًا فى السَّماح وأنْجَدَا
رُوحٌ تُدَبِّرُ مِنْكُما حَرَكاتُها بَدَنينِ : ذا عَبْدًا ، وهٰذا سَيِّدَا

هَذَا المَعْنى هو مَا قَالَه ابنُ وُهَيْبٍ [٣] :

فَكَأَنَّهُ رُوحٌ تُدَبِّرُنَــا حركاتُهُ وكَأَنَّنَا جَسَدُ

وقال فى أبى نُوحٍ – وكَانَ الأَسَدُ غَشِيَهُمْ لَيْلًا ، وأظُنُّه جَزِعَ فَمَرِضَ – [٤] :

اللهُ جارُكَ مَكْلوءًا وُممْتَنِعًا مِنَ الحَوادِثِ حتّى يَنْفَذَ الأَبَدُ
إِذَا اعتلَلْتَ ذَمَمْنَا العَيْشَ وهو نَدٍ طَلْقُ الجوانِبِ ، صافٍ ، ظِلُّهُ رَغَدُ
لَوْ أنَّ أنفُسَنَا اسْطَاعَتْ وُقِيتَ بها حَتَّى تَكُونَ بِهَا الشَكْوى التى تَجِدُ [٥]
ما أنْصَفَ الأَسَدُ العَادِى مُخَاتَلَةً والرَّاحُ تسرِى وجِنْحُ اللّيلِ مُحْتَشِدُ [٦]
وَلَوْ يُلَاقِيكَ صُبْحًا مُصحِرًا لرأى صَرِيمَةً يَنْثَنِى عن مِثْلها الأَسَدُ
لصَدَّه عَنْكَ عَزْمٌ صَادِقٌ ، ويَدٌ طَوِيلَةٌ ، وحُسَامٌ صَارِمٌ يَقِـــدُ [٧]

---

(١) الأصل : « ومرضتما وقعًا » .
(٢) ديوانه : « مما عناه مرافقا أو مسعدا » .
(٣) سبق فى ص ٢٨ .
(٤) ديوانه ١ : ٤٩٧ .
(٥) ديوانه : « بنا الشكوى » .
(٦) فى الأصل : « محاملة » والتصحيح من ديوانه ، وفى ديوانه : « والراح تجرى » ، « وجِنْحُ » بفتح الأول وكسره لغتان .
(٧) ديوانه : « وصدّه » .

وَهَذَا مِمَّا لا يَفِى بحُسنِهِ وصحَّتِه وحَلاوتِهِ شىءٌ .

وقال فى الفتح بن خاقان يُهَنِّئُهُ بِسَلَامَتِه من الغَرَق[١] :

بعدوِّكَ الحَدثُ الجَلِيلُ الواقِعُ ... ولمَن يُكَايِدُكَ الحِمَامُ الفاجعُ
قُلْنَا : لَعًا ، لَمّا عَثَرْتَ ، ولا تَزَلْ ... نُوَبُ اللَّيالِى وهْىَ عَنْكَ رَوَاجِعُ[٢]
ولَرُبَّمَا عثرَ الجَوَادُ وشَأْوُه ... مُتَقَدِّمٌ ، ونبا الحُسَامُ القاطِعُ
لَنْ يَظْفَرَ الأعداءُ مِنْكَ بِزَلَّةٍ ... واللهُ دُونَك حَاجِزٌ ومُدَافِعُ
إِحْدَى الحوادِثِ شَارَفَتْكَ فَرَدَّها ... دَفْعُ الإلهِ وصُنْعُهُ المُتَتَابِعُ
دَلَّتْ عَلَى رأى الإمامِ وأَنَّه ... قَلِقُ الضَّمِيرِ ، لِما أصابَكَ ، جازِعُ
هَلْ غايَةُ الوَجْدِ المبرِّح غيرُ أَنْ ... يَعْلُو نَشِيجٌ أو تَفِيضَ مَدَامِعُ ؟
وفَضِيلَةٌ لَكَ أَنْ مُنِيتَ بِمثلِهَا ... فَنَجَوْتَ مُتَّئِدًا وَقَلْبُكَ جَامِعُ
ما حَالَ لَوْنٌ عِنْدَ ذاكَ ولا هَفَا ... عَزْمٌ ، ولارَاعَ الجوانِحَ رائِعُ
حَتَّى برزْتَ لَنَا وَجَأْشُكَ سَاكِنٌ ... مِنْ نَجْدَةٍ وضِياءُ وَجْهِكَ سَاطِعُ
خَبَرٌ يَسوُءُ الحاسِدِينَ إذَا بَدَا ... وأَعَادَ فِيهِ مُحَدِّثٌ أو سَامِعُ

وَحَسْبُكَ بِهَذَا جَوْدَةً وَحُسْنًا .

وَقَالَ يهنىء المَتوكِّل بسلامَةِ الفتح من الغَرَقِ[٣] :

هَنَتْك أَمِيرَ المؤمنين عَطِيَّةٌ ... مِنَ اللهِ يَزْكُو نيلُها ويَطِيبُ[٤]
يَدُ اللهِ فى « فَتْحٍ » لَدَيْكَ جميلَةٌ ... وإنْعامُهُ فيـه عَلَيْكَ عَجِيبُ[٥]

---

(١) ديوانه ٢ : ١٣٠٧ وفيه : « وقال يمدحه ، ويذكر سقوطه عن الجسر فى عين الزاهرية » .

(٢) فى الأصل « وهن عنك رواجع » ولا يستقيم معها الوزن ، والتصحيح من ديوانه ، « لعا » : دعاء للعاثر بأن يقوم من عثرته .

(٣) ديوانه ١ : ٢٠٢ ، وخبر انخساف الجسر فى « الفرج بعد الشدة » ٣ : ٣٢٤ .

(٤) ديوانه : « لتهنئ » .

(٥) ديوانه : « إليك » .

وَلِـيُّك دونَ الأولِيـاءِ محبَّـةً ... ومَوْلَاكَ ، والمَوْلَى الصَّريحُ نَسيبُ
وعَبْدُكَ أحْظَتْهُ لَدَيْكَ نَصِيحَةٌ ... وأرضَاكَ منه مَشْهَدٌ ومَغِيبُ
/ رَمَتْهُ صُرُوفُ النَّائِبَاتِ فأَخْطَأَتْ ... كَذَا الدَّهْرُ يُخْطِى مَرَّةً ويُصِيبُ ٥٩
وَلَمْ أنسَه يَطْفُو ويَرْسُبُ تَارَةً ... ويَظْهَـرُ للرَّائِيـنَ ثُمَّ يَغِـيبُ
دَعَا باسِمِكَ المَنصورِ والمَوْجُ غَامِرٌ ... لِدَعْوَتِهِ ، والمَـوْتُ مِنْـهُ قَرِيبُ
وأُقْسِمُ لَوْ يَدْعُوكَ والخَيْلُ حَوْلَهُ ... لَفرَّجَها عَنْـهُ أَغَـرُّ نَجِيبُ
فلَوْلَا دِفَاعُ اللهِ دَامتْ عَلى البُكَا ... عُيُونٌ ولَجَّتْ فِى الغَرَامِ قُلُوبُ
فَجاءَ عَلَى يَأسٍ وقَدْ كَادَتِ القُوى ... تَقطَّعُ والآمَالُ فيـهِ تَخِـيبُ
فَيَا فَرْحَةً جَاءَتْ عَلَى إثْر تَرْحَةٍ ... وبُشْرى أَتَتْ بعد النَّعِيِّ تَؤُوبُ
ثَنَتْ من تَبَاريحِ الغَلِيلِ ، ونَهْنَهَتْ ... مَدامِعَ مَا تَرْقَا لَهُنَّ غُرُوبُ
بَقِيتَ أميرَ المُؤْمِنِين ، فإنَّمَا ... بَقَاؤُكَ حُسْنٌ للزَّمَانِ وطِيبُ (١)
وَلَا كَانَ للمكْرُوه نَحْوكَ مَذْهَبٌ ... وَلَا لصرُوفِ الدَهْرِ فِيكَ نَصِيبُ

وَقَال فى مِثْلِه مِن قَصِيدةٍ (٢) :

لَقَدْ كَانَ يَوْمُ النَّهْرِ يَوْمَ عَظِيمَةٍ ... أَلَمَّتْ ، ونَعْماءٍ جَرَى بِهما النَّهْرُ (٣)
أَجَزْتَ عَلَيْه عَابِراً فَتَشَاغَبَتْ ... أواذِيُّهُ لَمَّا طَغَا فَوْقَهَا البَحْرُ (٤)
وَزَالَتْ أواخِى الجِسْرِ ، وانْهدَمَتْ بِهِ ... قَوَاعِدُه العُظْمَى وما ظَلَمَ الجِسْرُ
تَحمَّلَ حِلْمًا مِثْلَ قُدْسٍ ، وهِمَّةً ... كَرَضْوَى ، وقَدْرًا لَيْسَ يَعْدِلُه قَدْرُ
فَلولا دِفَاعُ اللهِ عَنْكَ ومَنُّهُ ... عَلَيْكَ وفَضْلٌ مِنْ مَوَاهِبِه غَمْرُ (٥)

---

(١) لم يرد هذا البيت فى الديوان ، وقد أثبته الأستاذ الصيرفى فى ملحق الديوان الأول نقلا عن ثمار القلوب للثعالبى ص ٢٢٥ « ديوانه : ٤ : ٢٥٠٨ » .
(٢) ديوانه ٢ : ٨٤٦ .
(٣) ديوانه : « عظيمةٍ أطلّت » .
(٤) ديوانه : « فتساجلت » ... « لماطما » .
(٥) ديوانه : « ولولا » .

لأظّلَمتِ الدُّنْيَا ، ولانْقَضَّ حُسْنُها ... ولانْحتَّ مِنْ أَفْنَانِها الوَرَقُ الخُضْرُ
ولمَّا رأيْتَ الخَطْبَ ضَنْكًا سبيلُهُ ... وَقَدْ عَظُمَ المكروُهُ واستُفْظِعَ الأَمْرُ (١)
صَرُمْتَ فَلَمْ تَقْعُدْ بعَزْمِكَ حَيْرَةُ الـ ... ـمَرُوعِ ، وَلَمْ يَسْدُدْ مَذاهِبَكَ الذُّعْرُ (٢)
وَمَا كَانَ ذَاكَ الهَوْلُ إلاّ غَيابَةً ... بَدَا طَالِعًا مِنْ تَحْتِ ظُلْمَتِهَا البَدْرُ
فإنْ نَنْس نُعْمَى اللهِ فِيكَ فَحظّنَا ... أَضَعْنَا ، وإنْ نشكُرْ فقد وجَبَ الشُّكْرُ

وقال أبو تمّامٍ فى علَّةٍ نَالَتْ أحمد بن أبى دؤاد (٣) :

لا نَالَكَ العَثْرُ مِن دَهْرٍ ولا الزَّلَلُ ... ولا يكُنْ للعُلا فى فَقْدِك الثُّكُلُ (٤)
لا تَعْتَلِلْ إنَّمَا بالمكْرُمَاتِ إذا ... أَنْتَ اعْتَلَلْتَ تُرىٰ الأَوجَاعُ والعِلَلُ
تَضاءَلَ الجُودُ مُذْ مُدَّتْ إلَيْكَ يَدٌ ... مِنْ بَعْض أَيْدِى الرَّدى (٥) واستأسَد البَخَل
لَمْ يَبْق فِى صَدْرِ راجى حاجَةٍ أَمَلٌ ... إلا وَقَدْ ذَاب سُقْمًا ذَلِكَ الأَمَلُ (٦)
بَيْنَا كَذَلِكَ والدنْيَا عَلَى خَطرٍ ... والعُرْفُ فيكَ إلى الرَّحمٰن يَبْتَهِلُ
وأَعْيُنُ النَّاسِ (٧) تُعطِى فَوْقَ ما سُئِلَتْ ... عَلَيْكَ والصَّبْرُ يُعْطى دُونَ ما يُسَلُ
حَبَا بِكَ اللهُ مَنْ لَوْلاكَ لانبعَثَتْ ... فيه اللَّيالِى ومنها الوَخْدُ والرَّمَلُ
سُقْمٌ أُتِيحَ له بُرءٌ فَذَعْذَعَهُ ... والرُّمحُ يَنْآدُ حينًا ثُمَّ يَعْتَدِلُ (٨)

---

(١) ديوانه : « واسْتَفْظَعَ » بالبناء للمعلوم .
(٢) ديوانه : « صَرَمْتَ » بفتح الراء .
(٣) ديوانه ٢ : ٢٧٣ والتبريزى ٣ : ٥٣ .
(٤) ديوانه : « مانالك » ، والتبريزى : « ولا زلل » . .
(٥) ديوانه : « أيدى النوى » والتبريزى : « أيدى الضنى » .
(٦) ديوانه : « دبّ » .
(٧) ديوانه والتبريزى : « وأعين الخلق » .
(٨) نقل ابن المستوفى تعليقا للآمدى على هذا البيت قال : « قال الآمدى : – وأنشد قوله : سقم أتيح له برء فذعذعه ... البيت –: وعليه فى هذا التمثيل مَقالٌ ، لأنّ الرّمح لاينآد من عيب فيه ولا علّة تعرض له فتجعله مثالا لسقم السقيم ، بل إنما ينآد من لينه ، واللّين هو المحمود فيه ، وإذا لم يك فيه لين فقد يبس وجف وصار حطبا ، والعُذْرُ له يتوجه أن يكون أراد بقوله : « ينآد حينا » أى : يكون مُعْوَجًّا وقتا فيثقف فيعتدل ، ألا ترى إلى قوله فى موضع آخر : « مافى مَتْنِهِ أود » أى : اعوجاج « النظام ٢ : لوحة ٢٥٦ » . =

وَحَالَ لَونٌ فَرَدَّ اللهُ نَضْرَتَهُ والنَّجْمُ يَخْمُدُ شَيْئًا ثُمَّ يشتَعِلُ
وكَسْبُ أَجْرٍ ولَمْ تَعْمَلْ لَهُ وَبَلَى وعَكْ المُقِيمِ عَلَى توحِيدِهِ عَمَلُ [١]

الأربعةُ الأبياتُ الأوَلُ جيادٌ ، والبَاقِيةُ رَدِيئةٌ مُضْطَرِبَةُ الألفاظِ والمعانِى ، والنَّجْمُ لا يوصَفُ بالخُمود ، ومَا رَأَيْنا نَجْمًا قَطُّ خَمَدَ ، وإنَّما تَسْتُرُهُ هَبْوةٌ أَوْ غَمَامَةٌ ، فَيُقَالُ : غَابَ واسْتَتَرَ ولا يُقَالُ خَمَدَ [٢] .

وَقَالَ فى مَرَضِ إلياس بن أسد [٣] - يُكْتَبُ فى أوّلِ الباب -:

إلياسُ كُنْ فى أمانِ اللهِ والذِّمَمِ ذَا مُهْجَةٍ عَنْ مُلِمَّاتِ الأذَى حَرِمِ [٤]
سَلامَةً لَكَ لا تَهتاجُ نَضْرتُها ودَعْدَعًا ولَعًا فى النَّعلِ والقَدَمِ
اللهُ أَنْقَذَ مِنْها عِلَّةً عَرَضًا لَمْ تُنْحِ أظْفَارَهَا إلاّ عَلَى الكَرَمِ [٥]
تَكَشَّفَتْ هَبواتُ الثَّغْرِ مُذْ كَشَفَتْ آلاءُ رَبِّكَ ما استَشْعَرْتَ مِنْ سَقَمِ
فَإنْ يكن وَصَبٌ عانَيْتَ سَوْرَتَهُ فالوِرْدُ حِلْفٌ لِلَيْثِ الغَابَةِ الأضِمِ
إنَّ الرِّيَاحَ إذَا ما أَعْصَفَتْ قَصَفَتْ عِيدَانَ نَجْدٍ ولم يَعْبَأنَ بالرَّتَمِ
بَنَاتُ نَعْشٍ ونَعْشٌ لا كُسوفَ لهَا والشَّمسُ والبَدْرُ مِنْهُ الدَّهْرَ فى الرَّقِمِ

---

= والموضع الذى ذكره الآمدى هو قوله :

من كُلِّ أَزْرَقَ نَظَّارٍ بلا نَظَرٍ إلى المَقاتِلِ مافى مَتْنِه أَوَدُ

ديوانه ١ : ٤٢٧ والتبريزى ٢ : ١٨ « المحقق » .

(١) ديوانه والتبريزى : « أجر أتاك ... فكر المقيم ... » .

(٢) نقل ابن المستوفى فى النظام رأى الآمدى السابق مع اختلاف العبارة قال : قال الآمدى : وهذا مما يسأل عنه ، فيقال : أى نجم رآه خَمَدَ ثمّ اشْتعلَ ، فإنما النجم يستره بخار أو هبوة ، فإذا انجلت أضاء ، فيقال : فذلك الذى أراده وإليه ذهب . « النظام حـ ٢ لوحة ٢٥٦ » ، ويبدو أن ابن المستوفى قد نقل هذا التعليق من كتاب « شرح الأبيات » للآمدى .

(٣) لم أجد له ترجمة سوى أنه صاحب عبد الله بن طاهر « وفيات الأعيان ٢ : ٢٤ » ، والأبيات فى ديوانه ٢ : ٤٥٥ ، والتبريزى ٣ : ٢٧٩ .

(٤) ديوانه : « النوى » . وفى ديوانه والتبريزى « حَرَم » بفتح الراء ، ورواية الموازنة أصح .

(٥) ديوانه والتبريزى : « الله عافاك » .

والحادِثَات عَدوٌّ الأكرمين فَمَا    تَعْتَامُ إلا امرأً يَشْفِى من القَرَمِ[1]

فَلْيَهْنِكَ الأجْرُ والنُّعْمى التى سبغت    حَتَّى جَلَتْ صَدَأً الصَّمصَامِةِ الخَذِمِ

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بالبلوىٰ وقد عَظُمَتْ    ويبتَلِى اللهُ بَعْضَ القَوْمِ بالنِّعَمِ[2]

وَهذِهِ أبْيَاتٌ جِيادٌ ، وَهذَا البيتُ الأخِيرُ فى غَايَةِ الحُسْنِ والحَلاوة ، وإنما حَذَا عَلَى قَوْلِ أبى العتاهية فى قَوْلِه[3] :

كَمْ نِعمةٍ لا يُسْتَقَلُّ بشُكرِهَا    للهِ فى طَىِّ المَكَارِهِ كامِنَهْ

/ إلا أنَّهُ أحْسَنَ كُلَّ الإحسانِ فى أنْ جَاءَ بالزيادَةِ التى هى عَكْسُ المَعْنَى ٦٠
الأوّل ، فصارَ البيتُ مَقْسُوماً قِسْمَيْنِ نَادِرَيْنِ .

قَوْلُهُ : « دَعْدَعَا ، ولَعَا » لَفْظٌ يُقَالُ للعَاثِرِ إذَا عَثَر : قُمْ قُمْ وانْتَعِش ، ولَوْ قَالَ هَذَا رُؤْبَةُ بنُ العجَّاجِ لاسْتُثْقِلَ منه فكيف أبو تمّامٍ .

وَقَالَ[4] :

أعْقَبَكَ اللهُ صِحَّةَ البَدَنِ    ماهَتَفَ الهاتِفَاتُ فِى غُصُنِ[5]

كَيفَ وَجَدْتَ الدوَّاءَ أوْجَدَكَ اللـ (م)    ـهُ شِفَاءً به مَدَى الزَّمَنِ

لا نَزَعَ اللهُ مِنْكَ صالِحَةً    أبْلَيْتَها مِنْ بَلائِكَ الحَسَنِ

وهَذا لعَمْرِى جَيِّدٌ .

---

(١) التبريزى : « تعتام » تختار ، أى : لا ترضى إلا بالرئيس من القوم ، وأصل القرم : شهوة اللحم .

(٢) التبريزى : « وإن عظمت » .

(٣) سبق فى ١ : ٩١ ، وهو فى عيون الأخبار بدون نسبة ٣ : ٥٢ ، ونسب إليه فى الصناعتين ٢٣٢ ، ولم ينسب فى بهجة المجالس ٢ : ٣٦٧ ، وكذلك فى التمثيل والمحاضرة للثعالبى ص ١١ .

(٤) ديوانه ٣ : ١٦٤ والتبريزى ٣ : ٣١٥ من أبيات قالها لابن أبى دؤاد وقد شرب دواءً .

(٥) ديوانه والتبريزى : « فى الغُصُن » .

وَقَالَ البُحْتُرِىُّ فى مُحَمَّدِ بن عَلِىٍّ القُمىِّ لمَّا خَرَجَ من الحَبْس (١) :

لِشَهْرِ رَبِيعٍ نِعْمَةٌ ما يَفِى بِهَا ... ثَنَاءٌ ولَوْ قمنا بِأَضْعَافِها نُثْنِى
غَدَاةَ غَدَا مِنْ سِجنِهِ البَحْرُ مُطْلَقًا ... وَمَا خِلْتُ أنَّ البَحْرَ يُحْظَرُ فى سِجْنِ
ولَيْسَتْ لَهُ إلَّا السَّمَاحَ جِنَايَةٌ ... إذَا أُخِذَ الجَانِى بِبَعْضِ الذى يَجْنِى
تَقَلْقَلُ مِنْهُ فى الحَدِيدِ عَزِيمَةٌ ... يَكِلُّ الحَدِيدُ عن جَوَانِبِهَا الخُشْنِ
فَمَا فَلَّ رَيْبُ الدَّهْرِ من ذلك الشَّبَا ... ولا زَعْزَعَ المكْروهُ من ذلك الرُّكْنِ
ولَمّا بدا صُبْحُ اليَقِينِ وكُشِّفَتْ ... بِهِ الظُلْمَةُ الطَّخْياءُ من شُبَهِ الظَّنِّ (٢)
تَجَلَّى لَنَا مِنْ سِجْنِهِ وهو خَارِجٌ ... خُروُجَ شُعاعِ الشَّمْسِ مِنْ جَانِبِ الدَّجْنِ
يَفِيضُ كَمَا فَاضَ الغَمَامُ تَتَابَعَتْ ... شَآبِيبُـــهُ بالهَطْــلِ مِنَّـــا وبالهَتْـــنِ (٣)
مُحَمَّدُ عِشْ للمكرُمَاتِ التى اصطفَتْ ... يَدَاك وللمَجْـدِ الرَّفِـيع الـذى تَبْنِى
فَكَمْ مِن يَدٍ بَيْضَاءَ مِنْكَ بِلايَدٍ ... ومِـنْ مِنَّـــةٍ زَهـــراءَ مِنْك بِلَا مَنِّ (٤)

« بلايَدٍ » أَىْ : بِلايَدٍ كَانَتْ إِلَيْكَ .

وقال فى أَبِى أَيّوبَ (٥) :

لِتَهْنِكَ النِّعْمَةُ المُـخْضَرُّ جَانِبُهـا ... من بَعْدِ مَا اصفَرَّ فِى أَرجائِها العُشْبُ
قَدْ كَانَ أُعْطِىَ مِنْها حَاسِدٌ حَنِقٌ ... سُؤْلًا ، ونَـيَّبَ فيها كَاشِحٌ كَلِبُ (٦)
فَمِن دُموعِ عُيونٍ قَلَّما دَمَعَتْ ... ومِنْ وجيبِ قُلُوبٍ قَلَّما تَجِبُ

---

(١) ديوانه ٤ : ٢٣٢٧ .

(٢) ديوانه : « ظُلْمَةُ الطَّخْياءِ عن شُبْهَةِ الظَّنِّ » .

(٣) ديوانه : « منه » .

(٤) فى الأصل : « تلايد » تصحيف .

(٥) ديوانه ١ : ١٧٠ ، وقد سبقت ترجمة أبى أيوب سليمان بن وهب ص ٤٠ .

(٦) نيَّبَ : أى أنشب فيها أنيابه .

عَافُوكَ خصَّكَ مَكْروهٌ فعمَّهُمُ … ثُمَّ انْجَلَى فَتَجَلَّت أوجُهٌ شُحُبُ (١)

بحُسْنِ رأىِ أميرِ المؤمنينَ وَمَا … لِـ « صَاعِدٍ » وَهْوَ مَوْصُولٌ به سَبَبُ

ما كَانَ إلاّ مُكافَاةً وتَكْرِمَةً … ذَاكَ الرِّضى وامْتِحَانًا ذَلِكَ الغَضَبُ (٢)

وربَّمَا كَانَ مَكْروهُ الأمورِ إلى … مَحْبُوبِهَا سَبَبًا ما مِثْلُهُ سَبَبُ (٣)

هَذِى مَخَايِلُ بَرْقٍ خلْفَهُ مطَرٌ … جَوْدٌ ، وَوَرْىُ زِنادٍ خَلْفَهُ لَهَبُ

وأزْرَقُ الفَجْرِ يأتِى قَبْلَ أَبْيَضِهِ … وأَوَّلُ الغَيْثِ قَطْرٌ ثُمَّ يَنْسَكِبُ

وَقَالَ فى حَبْسِ أبى سَعِيدٍ محمّد بن يُوسُفَ (٤) :

جُعِلْنَا فِدَاكَ ، الدَّهْرُ لَيْسَ بِمُنْفَكٍّ … من الحادِثِ المَشْكوِّ والنَّازِل المُشْكِى

وما هَذِه الأسبابُ إلاّ مَنَازِلٌ … فَمِن مَنْزِلٍ رَحْبٍ ومن مَنْزِلٍ ضَنْكِ (٥)

وقَدْ هَذَّبتكَ النائِبَاتُ ، وإنَّما … صَفَا الذَّهبُ الإبريزُ قَبْلَكَ بالسَّبْكِ

وَمَا أَنْتَ بالمَهْزوزِ جَأْشًا عَلَى الأذَى … ولا المُتَفَرِّى الجلدتَيْنِ على الدَّعْكِ

على أنَّهُ قَدْ ضِيمَ فى حَبْسِكَ الهُدَى … وأضْحَى بِها الإسلامُ فِى قَبْضَةِ الشِّركِ (٦)

أمَا فِى نَبِى اللهِ « يُوسُفَ » أُسْوَةٌ … لِمِثْلِكَ محبُوساً عَلَى الظُّلْمِ والإفْكِ

أَقَامَ جَمِيلَ الصَّبر فِى السِّجْنِ بُرْهَةً … فَآلَ بِهِ الصَّبْرُ الجميلُ إلى المُلْكِ

وهَذَا من إحسانِهِ المشْهورِ .

وَكَانَ سَبَبُ حَبْسِهِ أنَّه كُوتِبَ بأن يَدْعُوَ على مَنابرِ الثُّغُورِ التى يَلِيهَا لسَعِيد

---

(١) عافوك : جمع العاف ، وهو الرائد أو الوارد طالب الحاجة .

(٢) ديوانه : « هذا الرضى » .

(٣) ديوانه : « ما مثلَهُ » على إعمال « ما » وهو الأفصح .

(٤) ديوانه ٣ : ١٥٦٣ . وفيه : « جُعِلْتُ فداك » .

(٥) ديوانه : « وما هذه الأيام » .

(٦) ديوانه « وأضحى بك الإسلام » .

ابنِ الحَاجِبِ[١]، حاجِبِ المُتوكِّل ، وكَانَ المتوكِّلُ أَرَادَ أن ينوِّهَ باسمِهِ ، ويَرْفَعَ مِن قَدْرِهِ ، فامْتَنَع أَبو سَعيد ، ورُوجِع فامتَنَع ، فأُنْفِذَ إِلَيْه نقيبٌ ، وتُقُدِّمَ إليه بأن يُخَاطِبَهُ بإقامةِ الدّعوةِ لسعيدٍ ، فإن فَعَل وإلا حَمَلَه مُقَيَّدًا ، فَلَمْ يَفْعَل ، وقدم رِجْلَه فقيَّده النَّقيبُ وحَمَله ، فلَّما قَرُبَ من سُرَّ من رأى سلَّمه سعيدٌ الحاجب إلى كاتبٍ له نصرانيّ[٢]، فحفر له جُبًّا وحَبَسه فيه فبقى على تِلك الحالِ بُرْهةً .

ثمّ إنَّ المتوكل أُخْبِرَ أنّ جاريةً له روميّةً جاءها رسولٌ مِن أَهْلِها ببلد الروم ، فأحضرها وسأَلها وداعَبَها ، وقال : كَيفَ بلادُكِ ؟ قالَتْ : أَعْمَرُ بلادٍ مُذْ قُتِلَ مُحمّدُ ابن يوسف الثغرىُّ ، فَبَكىٰ المتوكِّلُ بُكاءً عظيمًا ، وَجزِعَ جَزَعًا شديدا ، وأمر بإحضار سعيدٍ ، فلما بَصُرَ بِهِ ، قال : يا ابن الفاعِلَةِ ، نُفيتُ من قرابة رسول الله — ﷺ — / لئن كان سَقَط من رأس محمَّد بن يوسف شَعْرةٌ لأضرِبَنَّ عُنُقَك وعُنُقَ كُلِّ ٦١
من يقال له سعيد ، أين محمّد بن يوسف ؟ ويلك ! ، قال : عِنْدى يا أمير المؤمنين حَىٌّ يُرزَقُ ما شِيكَ بِشَوْكَةٍ ، قال : جئنى به السّاعةَ على حالِ رضًى لا على حالِ سُخْطٍ ، وأَذنَ للقُوّاد وأهلِ الدَّوْلة ، وقال لهم : لاجزاكم الله عنّى وعن الإسلامِ خَيْرًا ، أما كان فيكم من يُذَكِّرُنى بأَمْرِ محمد بن يوسف ؟ ، أما تَعْلَمون له علما ؟ ، فقال له بُغا[٣]: كيف لا نعلم ؟! وهو فى يَدَىْ أبى الخير النَّصرانىّ ، كاتبِ سعيدِ بنِ

(١) سعيد بن صالح صاحب المتوكل ، وصاحب الشرطة فى عهد المعتز . وهو الذى تولى قتل المستعين . وفى سنة ٢٥٦ توجه إلى البصرة لحرب صاحب الزنج ، فانهزموا أمامه ، ثم دارت عليه الدوائر ، فأوقع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه فقتل ومن معه سنة ٢٥٧ « الطبرى ٢٨٧ ، ٤٧٨ » .

(٢) فى أخبار البحترى « وسلم إلى أبى الخير النصرانى الجهبذ » .

والجهبذ : النقاد الخبير بغوامض الأمور ، وهو معرب « التاج » .

(٣) بغا : القائد التركى المعروف بالكبير من موالى المعتصم وأحد قواده الكبار ، شارك فى معارك بابك الخرمى وظفر فى جميعها ، وهو الذى اعتقل الأفشين لما غضب عليه المعتصم ، واشترك فى قتل المتوكل ، توفى سنة ٢٤٨ .

الحاجبِ ، يلعبُ بهِ كما يَلْعَبُ السِّنَّوْرُ بالفأرة ، وأنتَ أَمَرْتَ أنْ لا تُذُكَّر به لاشْتِدَادِ غَضَبِكَ عليه ، فلم يُقْدِم أَحدٌ عَلَى إذْكارِكَ ، فقَالَ : لا يَبْقَى مِنْكُم أحدٌ إلاّ يلقاه .

فتوجَّهَ النّاسُ كلُّهم نَحْوَه ، وأُخْرِجَ من الجُبِ فلم يُبْصِرْ شيئا لَمَّا عايَنَ الضوءَ وجَعَل الأمراءُ يُسَلِّمونَ عليه فلا يعرِفُهم حتى يُعَرِّفُوه أَنْفُسَهم ، فأُدخِلَ الحَمَّامَ وصُبَّ على رأسِهِ الماءُ الفاتِرُ وعولِجَ ساعةً حتّى أَلِفَ الضوءَ .

وتوجَّهَ النَّاسُ وهو معهم إلى دارِ الخِلَافَةِ ، فوَقفَ على دابَّتِهِ بِبابِ العامَّةِ ، فقيلَ لَهُ : ادْخُلْ ، فقالَ : قدْ كانَتْ لى مرتَبَة أَنْزِلُ عِندها ، ثمّ سُخِطَ عليَّ ، فلست أدرى أىَّ مرتبة أُرَتَّبُ ، فوصل النّاسُ إلى المتوكل ، وهو يَتَشوَّفُهُ ، فَقِيلَ : إنّه لا يدرى أىَّ مرتبةٍ يُرَتَّبُ ، ولا أينَ يَنْزِلُ عن دابَّتِهِ ، فقال : على بساطى هذا ، فدخل مُرتَّبًا فى أَجَلِّ المراتِبِ ولَه مع المتوكِّل فى هذا المعنى خِطَابٌ ، ثمّ ولّاه الثغورَ ، وزَادَه إلى ما كَانَ فى يده أَمْصَارًا كثيرةً .

وقال البحتريُّ فيهِ وهوَ فى حَبْسِ أبى الخَيْرِ النَّصرانيِّ كاتبِ سَعيدٍ:(١)

يَاضَيْعَةَ الدُّنْيا وَضَيْعَةَ أَهْلِهَا ... والمُسْلِمِينَ وضَيْعَةَ الإِسْلَامِ
طُلِبَتْ ذُحُولُ الشِّرْكِ فى دارِ الهُدَى ... بَيْنَ المِدادِ وأَلْسُنِ الأَقْلامِ
هذا « ابنُ يُوسفَ » فى يَدَىْ أَعْدَائِه ... يُجْزَىٰ عَلَى الأَيَّامِ بالأَيَّامِ
نَامَتْ بَنُو العبَّاسِ عَنْهُ ولَمْ تَكُنْ ... عَنْهُ أُمَيَّةُ لو رَعتْ بِنِيَامِ(٢)

ويُقَالُ : إنَّ هَذِه الأَبْيَاتَ بَلَغَتْ المتوكِّلَ فَرَضِيَ عَنْه ، والسَّبَبُ هو الأوَّلُ .

وممّا لا يَفِى بحُسْنِه وصحَّتِهِ وجَوْدَتِه وحَلاوتِه شيءٌ قولُهُ فى عِلَّةٍ اعتلَّها الفتح

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٠٣١ .

(٢) فى الأصل : ( لِتنامَ ) تحريف .

فى القَصِيدةِ التى أوّلها (١) :

أكُنتَ مُعَنِّفِى يَوْمَ الرَّحيلِ

ولَمَّا اعْتَلَّ أصْبَحتِ المَعالى مُحبَّسةً عَلَى خَطَرٍ مَهُـولِ
فكائِنْ فُضَّ مِنْ دَمْعٍ غزيرٍ وأُضْرِمَ من جوى كَمَدٍ دَخِيـلِ (٢)
أَلَمْ تَر للنَّوائِب كَيْفَ تَسْمُو إلى أهلِ النَوافِلِ والـفُضُولِ
وكَيْفَ تَرومُ ذا الشَّرفِ المُعَلَّى وَتخْطُو صَاحِبَ القَّدْرِ الضَئِيلِ (٣) ؟
وما تَنْفَكُّ أحداثُ اللّيالِـى تَمِيلُ على النَّباهَةِ للخُمُولِ
فَلَوْ أنَّ الحوادِثَ سَاعَدَتْنِى وأعْطَتْنِى صُرُوفُ الدهرِ سُولِـى (٤)
كَفَاكَ اللّهُ ما تَخْشَى وغَطَّى عَلَيْك بظلِّ نِعْمَتِهِ الظَّلِيـلِ
فَلَمْ أَرَ مثْلَ عِلَّتِكَ استَفَاضَتْ بإعـلانِ الصَّبابَـةِ والعَويــلِ
وَكَمْ بَدَأَتْ وَثَنَّتْ مِنْ مَبِيتٍ على رَمَضٍ ، وجَافَتْ مِن مَقِيلِ (٥)
وَقَد كَانَ الصحيحُ أشدَّ شَكوىٰ غَدَاتَئِذٍ من الدَّنِفِ العَليـلِ
مُحاذَرَةً عَلَى الفَضْلِ المُرَجَّى وإشْفَاقًا على المَجْـدِ الأثيــلِ (٦)
وعِلْمًـا أنَّهـمْ يَرِدُونَ بَحْـرًا بِجُودِكَ غَيْرَ مَوْجُودِ البَدِيلِ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٣٢ وقد سبق فى ٢ : ٦ وعجزه :

« وقد لجت دموعى فى الهمول »

(٢) كائن : بمعنى كم .

(٣) ديوانه : « ذا الفضل المرجىّ » .

(٤) ديوانه : « طاوعتنى » .

(٥) ديوانه : « على مضض » والرّمض : شدة الحرّ ، والمراد هنا الأوجاع ، والمقيل : موضع القيلولة .

(٦) الأثيل : الأصيل .

ولَوْ أنَّ الذى رَهِبُوا وخَافُوا  إذَا ذَهَبَ النَّوالُ من المُنِيلِ (١)
إذًا لغَدَا السَّمَاحُ بلا حَلِيفٍ  لَهُ وجَرَى الغَمَامُ بِلا رسِيلِ
تُعَافَىْ فِى الكثيرِ وأنْتَ باقٍ  لنـا أبـدًا وتُوعَـظُ بالقَلِيــــلِ (٢)

* * *

(١) ديوانه : « ولو كان الذى ..... » وفى الأصل : « إذا ذهب النوال فلا منيل » ، والتصحيح من ديوانه .

(٢) فى الأصل : « تعافى فى القليل » .

# ماقالاه فى المراثى

قد جَرت العادةُ فى كُلّ بابٍ أن تُعْتَبَرَ فيه الابتداءاتُ ، فيجبُ أن أُقَدِّمَ ابتداءاتِ هذا البابِ .

قال أبو تمّامٍ(١) :

كَذا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ ولْيَفْدَحَ الأَمْرُ ‌ ‌ ‌ ‌ وَلَيْس لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ ماؤُها عُذْر

قد عابَهُ قَوْمٌ من مُتقَدِّمى الشُّيوخ بِهذا ، وقالوُا : قولُه « كَذا » إشَارَةٌ إلى مَجْهولٍ غيرِ مَعْروفٍ(٢) . وقالوُا : كان يَنْبَغِى أن يقولَ كما قالَ البُحْتُرِىُّ(٣) :

أُنْظُرْ إلى العَلْياءِ كيفَ تُضَامُ ‌ ‌ ‌ ‌ ومآتِمِ الأَحْسابِ كَيْفَ تُقامُ

/ فأوضَحَ المَعْنى بِقَوْلِهِ : « ومآتمِ الأَحْسَابِ كَيفَ تُقام » ، ولَيْس هذا ٦٢ أ
العَجُزُ بِمُبَيِّنٍ عن مَعنى صَدْرِهِ كما ذَكَرُوا ، وإنَّما هو قِسْمٌ مَنْسوقٌ على قِسْمٍ آخرَ ، لُه معنىً غيرُ معناهُ ، فقولُهُ : « أُنْظُرْ إلىٰ العلياءِ كيف تُضَامُ » مِثْلُ قَوْلِ أبى تمَّامٍ : « كذا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ ولْيَفْدَح الأَمْرُ » .

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٩١ والتبريزى ٤ : ٧٩ . وفيهما : ( فليس ) .

(٢) انظر فى تفصيل هذا الخلاف حواشى ديوانه بشرح الصولى ، وشرح التبريزى ، وأخبار أبى تمّام ص ٢٦٥ .

(٣) ديوانه ٣ : ١٩٤٥ .

وإنَّما نَظَر كلُّ واحِدٍ مِنْهُما إلى الجُيوبِ تُشَقَّقُ والسُّتورِ تُهْتَكُ ، والأعلامِ تُمَزَّقُ ، والرِّماحِ تُكَسَّرُ ، فإنّ مِثْلَ هذا يُفْعَلُ عند هلاكِ السَّادةِ من الأُمَراءِ وغَيْرِهِم ، والخَيْلُ إنَّما تُعْقَرُ عند قُبورِهِم وأَشْباهُ هذا ، فلما عاينَ هذانَ الشّاعرانِ من الأَمْر ما عَايَنَاهُ قالَ هَذا : « [ كَذا ](١) فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ وَلْيَفْدَحَ الأَمْرُ » ، وقال ذاكَ : « أُنظُرْ إلى العَلْياءِ كَيْف تُضَامُ » ، ونَظَر البُحتريُّ إلى كَثْرةِ النِّساءِ ، وعِظَمِ أَقْدارِهِنَّ ، وانْهِتَاكِهِنَّ ، وما يَفْعَلْن بأَنْفُسِهِنَّ ، فأَتَمَّ البيتَ بأن قالَ : « ومآتِمِ الأَحْسابِ كَيفَ تُقَامُ » ، لأنَّ المآتِمَ هي اجْتِماعُ النِّساءِ فى الفجائِع ، ومُساعَدةُ بَعْضِهِنَّ لِبعْضٍ ، فما على أَحَدِهِمَا فيما قَالَهُ مَطْعَنٌ .

وقال أبو تَمَّامٍ(٢) :

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وإن كانَ أَسْمَعَا ... وأَصبحَ مَغْنىٰ الجُودِ بَعدَكَ بَلْقَعَا

وهذا معنىً حَسَنٌ جِدا ، وليس يُرِيدُ بالصَّمِمِ انْسِدادَ السَّمْعِ ، وإنَّما يُريدُ أَنَّ النَّاعيَ أُذْهِلَ عن كلِّ شيءٍ وحُيِّرَ ، حتَّى صارَ الإنسانُ يُخَبَّرُ بالشيءِ فلا يَفْهَمُ ما يقُالُ لِعظَمِ ما وَرَدَ ، فجعَلَ ذَلِكَ صَمَمًا ، وإنَّما أخذَ هذا من قَوْلِ مُحَيَّاةَ بنتِ طَلِيقٍ إحدىٰ نِساءِ بَنِى تَيْمِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ(٣) :

نَعىٰ ابْنَىْ مُحِلٍّ صَوْتُ نَاعٍ أَصمَّنِى ... فلا آبَ مَحْبورًا بَرِيدٌ نعَاهُما

---

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) ديوانه ٣ : ٣١٩ والتبريزى ٤ : ٩٩ وقد سبق فى ١ : ١٠٣ .

(٣) سبق البيت فى ١ : ١٠٣ ، ولم أقف لمحياة هذه على خبر ولم أجد البيت فيما بين يدى من مراجع .

ومن الواضح هنا أن الآمدى قد أثنى على بيت أبى تمّام وإن عده مسروقا ، ولكن ياقوت فى معجم الأدباء فى ترجمته للآمدى نعى عليه تعصبه على أبى تمام فى كتاب الموازنة وقال : « وحسبك أنه بلغ فى كتابه إلى قول أبى تمّام : =

وقَبْلُها ما قالَ النَّابِغَةُ (١) :

وخُبِّرتُ – خيرَ النَّاس – أنَّكَ لُمْتَنِى وتِلْكَ التى تستكُّ مِنها المَسامِعُ

وقد قَالَهُ غيرُ النَّابِغَةِ (٢) .

وقال أبو تمّام (٣) :

أىُّ القُلوبِ عَلَيْكُم لَيْسَ يَنْصَدِعُ وأىُّ نَوْمٍ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يمْتَنِعُ

وهذا ابْتِدَاءٌ حَسَنٌ حُلْوٌ .

وقالَ (٤) :

/ (٥) مازَالَتِ الأَيّامُ تُخْبِرُ سائِـلاً أَنْ سَوفَ تَفْجَعُ مُسْهِلاً أَوْ عَاقِلا ٦٧ ب

أراد تَفْجَعُ مُسْهِلاً وعاقِلا ، فأقْحمَ الألِفَ ، وهى تَدْخُل مع الواو أبَدًا ، وهو ابتداءٌ حَسَنٌ .

وقال (٦) :

أىُّ ندًى بين الثّرىٰ والجَبُوبِ وسُؤْدَدٍ لَدْنٍ ورأْيٍ صَليبِ

---

= أصَمَّ بِكَ النَّاعِى وإن كانَ أَسْمَعَا

وشرع فى إقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين ، فتارة يقول : هو مسروق ، وتارة يقول : هو مرذول ، ولا يحتاج المتعصب إلى أكثر من ذلك ، إلى غير ذلك من تعصباته ... » معجم الأدباء ٨ : ٨٨ . فلم يَعُدَّ الآمدىُّ هذا البيت مرذولًا كما مر بنا ، ولا أدرى كيف قال هذا ياقوت ، وهو أمر غريب حقا .

(١) ديوانه ص ٥٤ وفيه : « أتانى – أبيت اللعن – أنك لمتنى » .

(٢) انظر ١ : ١٠٣ .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٠٨ والتبريزى ٤ : ٨٩ .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٣٠ والتبريزى ٤ : ١١٣ .

(٥) اللوحات هنا غير مرتبة ترتيبا صحيحا ، وقد قمت باعادة جمعها على الوجه الصحيح إن شاء الله .

(٦) ديوانه ٣ : ٢٥٨ والتبريزى ٤ : ٤٧ .

والجبوب : يقال أنها الأرض الغليظة ، وقيل الطين اليابس ، وقيل هى ظاهر الأرض « التبريزى » .

عَجزُ هذا البَيْتِ رَدىءٌ لِقَوْلِهِ : « وسؤُدَدٍ لَدْنٍ » فإنَّها لَفْظَةٌ قَبِيحَةٌ فى هذا الموضع ، وإنَّما أرادَ الطِباقَ ، واللَّدْنُ أيْضًا يكون صَليبًا ، لأنَّ الرُّمْحَ يُوصَفُ باللُّدونَةِ ، واللُّدونَةُ فيهِ تَثَنِّيهِ ، وتلك صَلابَتُهُ وتَثَنِّيهِ ، وإنْ لَمْ يَكُنْ مُتَثَنِّيا أسْرَعَ الكَسْرُ إليه ، وقد قالَ أبو تَمَّامٍ (١) :

.................... وإنما يَشْتَدُّ بَأسُ الرُّمحِ حينَ يَلِينُ

والصَّلابَةُ فى الرَّأْيِ والسُّؤْدَدِ بمِنزِلَةٍ واحِدَةٍ ، اللَّهُمَّ إلاَّ أنْ يكونَ ذَهَبَ إلى أنَّ رَأْيَهُ صَلِيبٌ لايَنْثَنِى عن جِهَتِهِ وسَدادِه ، وأنَّ سُؤْدَدَهُ يَنْعطِفُ ويَنْثَنِى وأرادَ بِهِ نَفْسَهُ ، وهذا كلُّه رَدِىءٌ ، ولَفْظٌ موضوعٌ فى غيرِ مَوضِعِهِ ، وما سَمِعْنا فى نَثْرٍ ولا نَظْمٍ بسؤْدَدٍ لَدْنٍ ، وإنّما يُقالُ : سؤْددٌ أوّلٌ وقديمٌ ومكينٌ وعالٍ وَنبيهٌ ورَفِيعٌ ، ويُقالُ : رأىٌ وثيقٌ ، ورأى مُحْصَدٌ (٢) ، ورأىٌ سديدٌ ومُصِيبٌ .

وقال (٣) :

ما لِلدُّموعِ تَرومُ كُلَّ مرامِ والجَفْنُ ثاكِلُ هَجْعةٍ ومَنامِ

وهذا ابتداءٌ جَيِّدٌ بَالِغٌ .

وقال (٤) :

جَوًى ساوَرَ الأحْشاءَ والقَلْبَ وَاغِلُهْ ودَمْعٌ يَضيمُ العَيْنَ والجَفْنَ هَامِلُهْ

---

(١) صدره : « لانَتْ مَهزَّتُهُ فعزَّ وإنَّما » .
ديوانه ٣ : ٤٢ والتبريزى ٣ : ٣١٧ .

(٢) المحصد : المحكم .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٦٣ والتبريزى ٣ : ٢٠٣ .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٢٦ والتبريزى ٤ : ١٠٧ .

وقال[١] :

بِأَبِى وغيرِ أَبِى وذاكَ قليلُ ثاوٍ عليهِ ثرىٰ النَّباجِ مَهيلُ

وهذانِ ابتداءانِ صالِحانِ .

وقال[٢] :

لَنِمْنَا وصَرْفُ الدَّهْرِ ليسَ بِنائِمِ خُزِمْنَا لَهُ قَسْرًا بِغَيْرِ خَزائِمِ

وهذا ابتداءٌ ردیءٌ كزُّ اللَّفْظِ والمَعْنىٰ .

وقال[٣] :

دموعٌ أجابَتْ دَاعِىَ الحُزْنِ هُمَّعُ تَوصَّلُ مِنَّا عن قُلوبٍ تَقَطَّعُ

وقال[٤] :

/ اليومَ أُدْرِجَ زَيْدُ الخَيْلِ فى كَفَنِ وانْحلَّ معَقُودُ دَمْعِ الأَعْيُنِ الهُتُنِ ٦٨ أ

وهذان ابتداءان صالِحان .

وقال[٥] :

رَيْبُ دَهْرٍ أَصَمَّ دُونَ العِتَابِ مُرْصِدٌ بالأَوْجالِ والأَوْصَابِ

(١) ديوانه ٣ : ٣٢١ والتبريزى ٤ : ١٠١ و « النَّباجُ » : مَوْضِعٌ وهو من البَصْرَة على عَشْرِ مَراحِلَ ، وبه يَوْمٌ من أيام العرب مشهور لتميم على بَكْرِ بن وائِلَ « معجم البلدان » .

(٢) ديوانه ٣ : ٣٤٨ والتبريزى ٤ : ١٢٩ .

(٣) ديوانه ٣ : ٣١٢ والتبريزى ٤ : ٩٢ .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٥٦ والتبريزى ٤ : ١٣٩ .

(٥) ديوانه ٣ : ٢٥٣ والتبريزى ٤ : ٤٣ .

وهذا ابتداءٌ ليس بِجَيِّدٍ ولا رَدىءٍ .

وقال :[(١)]

نَعاءِ إلى كُلِّ حيٍّ نعَاءِ فتى العَرَبِ احْتَلَّ رَبْعَ الفَنَاءِ

كأنَّهُ يَقولُ لِنَفْسِهِ : آنْعَ إلى كلِّ حيٍّ آنْعَ ، وهي لَفْظَةٌ عربيَّةٌ مُسْتَعْمَلةٌ ولكنَّها غَيْرُ حُلْوةٍ إذا ابْتُدِىءَ بِها ، وقد ابتدأ بها الكُمَيْتُ فقَالَ :[(٢)]

نَعاءِ جُذامًا غَيْرَ مَوْتٍ ولا قَتْلِ

أى : آنعَ جُذامًا ، وكَثيرًا ما يَقْتَدِى بهِ أَبُو تمّام .[(٣)]

وقال :[(٤)]

بَكىٰ شَجْوَهُ قَلْبٌ بَكَتْهُ فَواجِعُهْ وإنْسانُ عَيْنٍ لَيْسَ تَرقَا مَدامِعُهْ

يُرِيدَ الأَحْداثَ التى فَجعتْهُ رَحْمةً لَهُ ، أو لَعَلَّهُ قَالَ : فَجائِعُهُ وذَلِك أَبْعَدُ فى الاسْتِعارَةِ وأَقْبَحُ ، وهذا رِدىءٌ .

وقال :[(٥)]

دَابُ عَيْنِى البكاءُ والحُزْنُ دَابِى فَدَعِينى – وُقِيتِ مابِى – لِمَا بِى

وهذا من أَلْفاظِ الصَّوفِيَّةِ ومعانيهِمِ المُخَلَّقَـةِ .

---

(١) ديوانه ٣ : ٢١٢ والتبريزى ٤ : ٥ .

(٢) عجزه : « ولكن فِراقًا للدعائِم والأُصُلِ » « التبريزى » .

(٣) نقل ابن المستوفى تعليق الآمدى بنصه ، إلا أن كلمة « يَقتدى » رسمت فى النظام « يبتدى » ، وقد نقلها الدكتور عبده عزام فى هوامشه على شرح التبريزى كما هى دون تصحيح ، وكذلك فعل محقق شرح الصولى لديوان أبى تمّام .

(٤) لم أجده فى شرحى الصولى والتبريزى لديوانه ، ولا فى نسخ ديوانه المخطوطة التى بين يدّى .

(٥) ديوانه ٣ : ٢٦٣ والتبريزى ٤ : ٥١ ، وفيهما : « فاتركينى » مكان « فدعينى » .

وقال :[1]

لو صَحَّحَ الدَّمْعُ لِي أو نَاصحَ الكَمَدُ    لقلما صَحِبَاكَ الخَـدُّ والكَبِـدُ

وهذا ابتداء ردِيءٌ لِقَوْلِه : « أو نَاصحَ الكَمَدُ » .

وقال :[2]

أَعيدِى النَّوْحَ مُعْوِلَةً أَعيدِى    وزِيدى مِنْ بُكائِكِ ثُمَّ زِيدى

وهذا من أَلْفاظِ النَّوائِحِ .

وقالَ :[3]

يَادَهْرُ قَدْكَ وَقَلَّما يُغْنِى قَدِى    وأَرَاكَ عِشْرَ الظِّمْءِ مُرَّ المَوْرِدِ

قوله : « عِشرَ الظِّمْءِ » العِشْرُ : أن تُعطَّشَ الإبِلُ ، ولا تُوردُ الماءَ إلاَّ بَعْدَ عَشْرٍ ، يقول : فإذا أُورِدْتَ كان مَوْرِدَكَ مُرًّا غَيْرَ عَذْبٍ ، وهذِهِ اسْتِعارَةٌ قبيحَةٌ جِدًّا .

فذلك ثمانية عشَرَ بَيْتاً لَيْسَ فِيها جَيِّدٌ إلاَّ الأَرْبعَةُ التى ذَكَرْتُها .

وله مُقطَّعَاتٌ لا يُعْتَدُّ بمِثْلِها ، ولَيْسَ فيها جَيِّدٌ إلاّ مَقْطُوعَتَانِ ، مِنْهُما قَوْلُهُ[4] :

/ مُحَمَّدُ بنُ حُمْيدٍ أُخْلِقَتْ رِمَمُهْ    أُرِيق ماءُ المَعالِى مُذْ أُرِيقَ دَمُهْ ١٦ ب

وإراقَةُ ماءِ المَعالى قَبيحٌ جِدًّا ، ولم يَسْتَوِ لَهُ لضِيقِ الحِيلَةِ فى النَّظْمِ أن يقولَ : دَمُ المَعالِى ، لأَنَّ ذاكَ أشْبَهُ بازْدواجِ أَلفاظِهِ وأَجْوَدُ .

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٨٦ والتبريزى ٤ : ٧٤ وفيهما : « لقلّما صحبانى الروح والجسد » ، وفى الأصل « لما صحبانى » والتصحيح من ديوان والتبريزى .

(٢) ديوانه ٣ : ٢٦٦ والتبريزى ٤ : ٥٥ .

(٣) ديوانه ٣ : ٢٧١ والتبريزى ٤ : ٦١ .

(٤) ديوانه ٣ : ٢٨٢ والتبريزى ٤ : ١٣٧ ، وفى ديوانه « هريق ماء المعالى » .

ومنهما قَوْلُه[(١)]:

جُفوفَ البِلَى أَسْرَعْتَ فى الغُصُنِ الرَّطْبِ وخَطْبَ الردَّىٰ والمَوتِ أَبْرَحْتَ من خَطْبِ

وهذا – لَعمْرِى – ابْتِداءٌ حَسَنٌ جَيِّدٌ .

وقَدْ نُحِلَ أبو تمّامٍ قَصائِدَ أُخَرَ رديئةٌ جِدًّا ، وهِىَ ثابِتَةٌ فى نُسْخَةِ أَبِى علىٍّ مُحمَّدِ بنِ العَلاءِ ، ولم أَذْكُرْ مِنها شَيْئًا .

وهذه ابتداءات البحترىّ :

[ قال ][(٢)] :

أُنْظُرْ إلى العَلْياءِ كَيْف تُضَامُ ومآتِمِ الأَحْسابِ كَيْفَ تُقَامُ

وقال[(٣)] :

بأىِّ أَسىً تُثْنَى الدُّموعُ الهَوَامِلُ ويُرْجَى زيالٌ من جَوًى لا يُزايِلُ

وقال[(٤)] :

أَقولُ لِعَنْسٍ كالعَلاةِ أَمونِ مُضبَّرةٍ فى نِسْعَةٍ ووَضِينِ

وقال[(٥)] :

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٦٥ والتبريزى ٤ : ٥٣ .

(٢) ديوانه ٣ : ١٩٤٢ .

(٣) ديوانه ٣ : ١٧٢٧ .

(٤) ديوانه ٤ : ٢١٨١ ، « العلاة » : السندان ، وتُشَبَّهُ به الناقةُ لصلابتها ، يقال : ناقة علاة الخَلْقِ . « ناقة أَمون » : أمينة وثيقة الخَلْقِ ، قد أُمِنَتْ أن تكون ضعيفة ، وهى التى أَمِنت العَثَار والإعياء ، والجمع : أُمُنٌ . ، الوَضِينُ : الحِزامُ لِلْهَودَجِ وهو كالنِّسع إلا أنَّهُما من السُيورِ إذا نسج نساجةً بَعْضُها على بعض والجمع : وُضُنٌ ، « مُضبَّرة » : مُقَيَّدة .

(٥) ديوانه ٢ : ١٠٤٥ وفى ديوانه : « تغاوره » ، والقاطول : نَهْرٌ مأخوذ من دِجلةَ . وكان =

مَحلٌّ على « القَاطولِ » أَخْلقَ دَاثِرُهْ　　　وعادتْ صروفُ الدَّهْرِ وَهْى تُساوِرُهْ

وقالَ[١] :

أرانِى متى أَبْغِ الصَّبابَةَ أَقْدِرِ　　　وإنْ أَطْلُبِ الأَشْجانَ لا تَتَعذَّرِ

وقال[٢] :

عَذيرِىَ من صَرْفِ اللَّيالِى الغَوادِرِ　　　وَوَقْعِ رزايا كالسُّيوفِ البَواتِرِ

وقال[٣] :

أَفِى مُسْتَهِلَّاتِ الدُّموعِ السَّوافِحِ　　　- إذا جُدْنَ - بُرْءٌ من جَوًى فى الجَوانِحِ ؟

وقال[٤] :

تَقضَّى الصِّبا إلا تَلَوُّمَ رَاحِلِ　　　وَأَغْنَى المَشِيبُ عن مَلامِ العَواذِلِ

١٧ وهذِه القصيدةُ ليستْ مَرْثِيَّةً بِأَسْرِها ، وإنَّما المَرْثِيَّةُ بَعْضُ أَبْياتِهَا / فِلهذَا ابتدأَ هذا الابْتِداءَ .

وقال[٥] :

« أَقَصْرَ حُمَيْدٍ » لاعَزاءَ لِمُغْرَمٍ　　　ولا قَصْرَ عن دَمْعٍ ولَوْ كانَ مِنْ دَمِ

---

= فى موضع سامراء قبل أن تُعمَّرَ ، وكان الرشيدُ أول من حَفرَه « معجم البلدان » .

وقال المرزباني : « ومما أُنْكرَ على البحتريّ قَوْلُه : « البيت » وقالوا : إنما يقالُ دَثَرَ مُخْلِقُهُ ولا يُقال أَخْلَقَ دَاثِرُهْ ، لأنّ الدَّاثِرَ لا بَقِيَّةَ لَه فَتَخْلقَ أو تَسْتَجِدَّ » « الموشح ص ٥١٧ » .

(١) ديوانه ٢ : ١٠٥٨ .

(٢) ديوانه ٢ : ٩٦٢ .

(٣) ديوانه ١ : ٤٤٧ .

(٤) ديوانه ٣ : ١٨٥٨ ، وقد سبق فى ٢ : ١٩٣ و ٢٢٣ .

(٥) ديوانه ٣ : ١٩٤٠ وهى فى رثاء حميد الطوسى وأولاده ، « قصر حميد » : هو دار بنى حميد بن قحطبة ومساحتها ميل فى مثله ، وهى فى طوس « معجم البلدان « طوس » » .

وقال[١] :

مَلامَكِ أنَّه عَهْدٌ قَرِيبُ ورُزْءٌ ما عَفَتْ منه النُّدوبُ

وَقَالَ[٢] :

اِعْجَبْ من الغَيْثِ كيف ٱرْفَضّ فانْقَشَعَا وصَالِحِ العَيْشِ كيف اعتيقَ فارتُجِعا

وَقَالَ[٣] :

لأيَّةِ حَالٍ أعْلَنَ الوَجْدَ كاتِمُهْ وأقْصَرَ عَنْ دَاعِى الصَّبابَةِ لائِمُهْ

وَقَالَ[٤] :

غُروبُ دَمْعٍ مِن الأجْفَانِ تَنْهَمِلُ وحُرْقَةٌ بِغَلِيلِ الحُزْنِ تَشْتَعِلُ

فَذلِكَ ثَلاثَةَ عَشَر ابتداءً كلُّها جيِّدٌ حَسَنٌ إلاّ قَوْلَهُ :

« وإنْ أطْلُبِ الأشجانَ لا تَتعذَّرُ »

فإنَّ الأشْجَانَ جمع شَجنٍ ، والشَجَنُ : الحاجَةُ المُهمةُ ، وهَذا ضِدُّ ماذهب إليهِ ، وكأنَّهُ – واللهُ أعلم – أرَادَ : « وإن أطلب الأشجاءَ » جَمْع شَجَا ، مِن : شَجَيْتُ بالشيءِ أشْجى شجًا ، فتكون : مَتَى أبْغِ الصبَابَةَ – وهى رِقَّةُ الشَّوْقِ – أقْدِرُ عَلَيْها ، لأنّها مَوْجُودَةٌ مَعِى ، وإنْ أُطْلُبْ مَا أشْجَىٰ بِهِ ويُحْزِنُنِى لا يتعذَّرُ أيْضًا ، فيكونُ المَعْنَى : أنَّهُ صَبٌّ أبَدًا ، وحَزِينٌ أبدًا ، ولَمْ يَقْصِد إلى قِسْمَينِ مُخْتَلِفَيْنِ ، وما أظنُّه قَالَ إلّا « الأشْجَاءَ » – واللهُ أعلم – فألْحِقت النُّونُ ، وإلاّ فمِثْلُ البُحْتُرِىّ لا يَذْهَبُ عَلَيه فَرْقُ مَا بَيْنَ الشَجىٰ والشَجَن .

---

(١) ديوانه ١ : ٢٥٥ .

(٢) ديوانه ٢ : ١٣٢٤ ، وفيه « إعجب من الغيم » .

(٣) ديوانه ٣ : ١٩٤٩ ، وقد سبق فى ٢ : ١٩٥ .

(٤) ديوانه ٣ : ١٨٨٣ .

أو أن يَكُونَ أَرَادَ : « وإن أطْلُبِ الأشْجَانَ تَتعذَّرْ » ، وجَاءَ بَقوْلِهِ « لا » زائدةً ، فإنّها تُزَادُ كَثِيرا ، والمَعْنِيُّ طَرْحُها ، قال أبو النَّجْمِ[(١)]:

فَمَا أُلومُ البيضَ أَلَّا تَسْخرا

أراد : أنْ تَسْخَرَ .

وقال العَجَّاجُ[(٢)]:

فى بِئْرِ لا حُورٍ سَرى وما شعَرْ

أَرَادَ : فِى بِئْرِ هَلاكٍ[(٣)]، وأصل الحَوْرِ : النُّقْصَانُ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : « لئلاّ يَعْلَم أهلُ الكِتَابِ[(٤)] » أى : لِيَعْلَمَ ، و « قال ما مَنَعك ألا تَسجُدَ إذ أَمَرْتُكَ[(٥)] » أى : أَنْ تَسْجُدَ[(٦)].

فَهَذِهِ ابتداءاتُهمَا فى سائِرِ مراثيهما ، فأَمَّا الموازَنَةُ بَيْن الجملتين فإنّ ابتداءاتِ البحترىّ أَجْوَدُ مِن ابتداءاتِ أبى تَمَّام ، لِمَا فى ابتداءَات أبى تمّامٍ من التَّخْليطِ الذى قد ذكرتُه . وسَلَامةِ ابتداءاتِ البحترىّ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ .

فأمّا المُوازَنَةُ بَيْنَ مَعَانِى الأبياتِ ، فَلَيْس بين معانِيهما اتفاقٌ إلاّ فِى صَدْر

---

(١) ديوان أبى النجم العجلى ص ١٢١ .

(٢) ديوانه : ص ١٤ ، واللسان « حور » .

(٣) فى الأصل « هلال » تحريف ، وفى اللسان : « أراد : فى بئر لا حؤور ، فأسكن الواو الأولى وحذفها لسكونها وسكون الثانية بعدها ، قال الأزهرى : و « لا » صلة فى قوله ، قال الفراء : « لا » قائمة فى هذا البيت صحيحة ، أراد فى بئر ماء لايحير عليه شيئا . وقال أبو عبيدة : أى فى بئر حور ، و « لا » زائدة » .

(٤) الآية ٢٩ من سورة الحديد .

(٥) الآية ١٢ من سورة الأعراف .

(٦) كل ما أورده الآمدى هنا ليعتذر به عن خطأ البحترىّ ، لم يُعِنْ إلّا على توضيح زلله حتى صار خطؤهُ بَيِّنًا لاشك فيه « المحقق » .

البيتينِ الأوّلين على ماوَصَفْتُهُ ، ثمّ ماذكراهُ من أمرِ البُكاءِ والدَّمْعِ ، فإنّ أبا تمّامٍ قَالَ :

« وليس لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ »

وقَالَ البُحتُرِيُّ :

« ولا قَصَّرَ من دَمْعٍ ولَوْ كَانَ من دَمِ »

وكِلاهُمَا جيِّدٌ فى مَعْنَاهُ .

وقال أبو تَمَّامٍ :

« دُمُوعٌ أجابَتْ داعى الحُزْنِ هُمَّعُ »

وقَالَ البُحتُرِيُّ :

« بأىِّ أسىً تُثْنَىٰ الدُّمُوعُ الهَوَامِلُ »

والمعنَيَانِ مُخْتَلِفانِ ، وكلاهما جيِّدٌ حَسَنٌ .

وقال أبو تمّامٍ :

« ما للدُّموعِ تَروم كُلَّ مَرامِ »

وقَالَ البُحتُرِيُّ :

« غُروبُ دَمْعٍ مِن الأَجْفَانِ تَنْهَمِلُ »

وكِلاهُمَا صَالِحٌ ، وباقى ما قالَهُ أبو تمَّامٍ فى الدَّمْعِ رَدِيءٌ .

وقَالَ البُحتُرِيُّ :

أفى مُسْتهلاّتِ الدُّموعِ السَّوافِحِ — إذا جُدْنَ — بُرْءٌ من جوًى فى الجوانِحِ

وهذا حُلْوٌ حَسَنٌ ، فأَجْعَلهُمَا فِى هَذِهِ المَعَانى خَاصَّةً مُتكَافِئَيْنِ ، وجُمْلَةُ أبياتِ البُحْتُرِىِّ أَفْضَلُ الجُمْلَتَيْنِ .

* * *

## الموازنة بعد الابتداءات من الأبيات

اِعْلَمْ أَنَّ تَأْبينَ الميّتِ كَمدحِ الحَيِّ ، لا فَرْقَ بَيْنَهُما إلاّ مايَفترقُ بِذَلِكَ من ذِكْرِ التَّوجُّعِ وأنواعِهِ ، فلا يُمْكنُ الموازنةُ بين قَصيدَةٍ وقَصِيدَةٍ ، كما لَمْ يمُكِنْ ذلِك فى قَصائِدِ المَدْحِ ، لأَنَّ القصيدةَ الواحدةَ تَتَضَمَّنُ من المعانى ما لَيسَ فى القصيدةِ الأُخرىٰ ، ولو اعْتمدْنا أن نَعْرِفَ أَيُّهُما أَشْعرُ فى جُملَةِ مراثيهِ حَتَّى نُثْبِتَ قصائِدَهما بأسْرِها فى هذا البابِ لم يَخْلُصْ لأبى تمّامٍ إلاّ قَصيدَتَانِ ، وهما :

« كذا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ ولْيَفْدَحَ الأَمْرُ »

وقولُهُ :

« مازَالَتِ الأَيَّامُ تُخْبِرُ سَائِلاً »

ومَقْطُوعَتَانِ تقُومان مقامَ قصيدةٍ وهُما :

« أصمَّ بِكَ النَّاعِى وإن كانَ أُسْمَعَا »

وقوله :

« أىُّ القُلوبِ عَليكُمْ لَيْسَ يَنْصَدِعُ »

فإنَّهِ بَرَّز فى هذهِ القصائدِ وأحسنَ وأجادَ لفظاً ومعنىً وسبكًا ، حتى كأنَّها من بحرٍ غيرِ بَحْرِهِ ، ومن مَعْدنٍ / سوى مَعْدِنِه ، وكان يَظْهَرُ تَقْصِيرُه فى بَاقِى ١٨

قصائِدِه وهى أَرْبعَ عَشْرةَ قَصيدةً ، لأنّ الجَيّدَ فيها إنّما هو لُمَعٌ قليلةٌ بين الرّدىءِ السَّاقِطِ ، ورداءتُهُ إمّا فى مَعناهُ أو لَفْظِه أو نَسْجِه أو تأليفِه . وقد تقدّم ذِكْرُ جميعها فى بابِ الابتداءاتِ ، فكان كَثْرةُ رديئِه يشينُ قليلَ جَيِّدهِ ويُزْرى به ، وكانَ يَظْهَرُ فَضْلُ البُحْتُرىّ فى قَصائِدِه ، وهى ثلاثَ عَشْرةَ قصَيدةً ، لأنّ كُلَّها جيِّدٌ ، لا يكادُ يختَلُّ من القصيدةِ شيءٌ الْبتَّة إنْ شاءَ اللهُ ، إلاّ أن تَكونَ القصيدةُ التى أوّلُها :

« لأيَّةِ حالٍ أعْلنَ الوَجْدَ كاتِمُهْ »

فإنّ فيها بيتًا أو بَيْتَيْنِ ، فكُنّا لو فعلْنَا ذَلِكَ نَحْكُمُ بِفَضْلِ جُمْلةِ قَصائِدِ البحترىِّ على جُملةِ قصائدِ أبى تمّامٍ .

ولو اطَّرَحْنا ردىءَ أبى تمّامٍ كُلَّهُ من جميع قَصائِدِه وتَلقَّطْنا جَيِّدَهُ مِنْها وأَضَفْنَاهُ إلى القَصائِدِ الأَرْبَعِ اللّواتى قدَّمْتُ ذِكْرَهَا ، ووازَنّا بالجميع قَصائِدَ البُحترُىِّ – حتَّى نَكونَ قد وازَنَّا جيِّداً بِجَيِّدٍ ، كما يَخْتَارُ أصحابُ أبى تَمّامٍ ، لأنّهم أبدًا يقولونَ : فدَعوُا رديئَهُ وخذُوا جَيِّدَه – كان فى ذلك ظُلمٌ للبُحْتُرِىِّ قبيحٌ ، وتَعَدٍّ ظاهرٌ مَعلومٌ ، لأنّ المُتخيَّرَ المُتَنَقَّىٰ الذى قَدْ نُفِىَ رديئُهُ ، وبَقِيَتْ عيونُهُ وفاخِرُهُ لا يُقاسُ جُمْلةً على جِهَتِهِ إن[(١)] كانَ نَقِيًّا من الدَّرَنِ ، لأنّ النّقاوةَ لها أبَدًا فَضْلُهَا ، ولِكِنّ المُوازنَة تكونُ بين جُملةٍ وجُملةٍ ، واخْتِيارٍ واخْتيارٍ ، والمَنصِفُونَ من أَصْحابِ أبى تَمّامٍ يُمَثِّلونَ القَصْيدَةَ من شِعر البحترىِّ بعِقْدٍ فيه خَرَزٌ وأنواعُ جَوْهرٍ سِوَى الدُّرِّ[(٢)] ، ويقولونَ : أىُّ العِقْديْنِ أَثْمَنُ ؟ ، فقيلَ لَهم : بل قُولوا : أىُّ العِقْدَيْن أَحْسَنُ ، وأَيُّهُما أوْلىٰ بأنْ يكونَ على صَدْرِ الجاريةِ الكَعابِ ، هذا إن سُلِّمَ لكمُ انْفِرادُ أبى تمّامٍ من شَرِيفِ المعانى بما ليسَ للبحترىِّ مِثْلُهُ ، ولكنْ لَيس بِمُنْكَرٍ أن يكونَ

---

(١) فى الأصل « فإن » .

(٢) أى : سوى العقد الذى هو درّ .

لأبى تمّامٍ معانٍ لَطِيفَةٌ ليس لِلبحترى مثلُها من ذلِكَ الجِنْسِ ، كما أنّ للبحترىّ أيضًا معانىَ لطيفةً ليس لأبى تمّامٍ مثلُهَا من جِنْسِها ، وقد مرَّ مثلُ هذا كثيراً فيما تقدّمَ من أبوابِ هذه الموازنةِ ، ومثلُ ذلكِ أيضًا موجودٌ فى أشْعارِ القُدماءِ ، أنْ تَرى الشاعِرَ قد سُخِّرَ له مَعنىً أو معانٍ لا يوجَدُ مِثْلُها من جِنْسِها فى شعرٍ من هو أعلىٰ طَبَقةً مِنْهُ ، فلا يُقَدَّمُ عليه من أَجْلِها ، لأنّ التَّقْدِمَةَ لا تكونُ بالمعانى وَحْدَها[(١)] ، وإنَّما يُنْظَر إلى بَحْر الشَّاعِرِ وجنسِ شعرِه وبلاغَتهِ وقُدْرتِهِ وتَمكُّنِ خاطرِه واسْتِواءِ طَرِيقَتِه ، فإن أَحْبَبتَ أن تَمْتَحِنَ ذلك فأثْبِتْ مراثى الطَّائيينِ كلَّها فى البابِ وتأمَّلِ الجميعَ ، فإنَّ الأمرَ يَظْهَر لكَ ظُهورًا بيِّنًا وَاضِحًا ، ولا تَكُنْ مُراعاتُك مَقْصورَةً على تَأَمُّلِ المَعانى دونَ ما سِواها ، فإنَّ رداءَةَ الكَلامِ مَنْظُومِهِ ومَنْثُورِه لَيْسَتْ من أجلِ رداءةِ المَعنىٰ فقط ، بل يكونُ أيضاً من أجلِ رَدىءِ اللَّفْظِ ، وقبيحِ النَّظْمِ وسوءِ التأليفِ ، وأنْ يَقْترنَ البيتُ بما لا يليقُ بمِوْضعِهِ[(٢)] ، ألمْ تَسْمَعْ بعضَ الشعراءِ وقد قالَ لابْنِهِ — وكان أيضاً شاعِراً —: أنا أَشْعَرُ مِنْك ، قال : بِمَ ذاك ؟ ، فقال : أنَا أقولُ البَيْتَ وأَخَاهُ وأنْتَ تقولُ البَيْتَ وابنَ عَمِّهِ[(٣)] .

واعْلَمْ أنَّ ردىءَ اللَّفْظ يكونُ على وَجْهَيْنِ : إمّا أن تَكونَ اللَّفْظَةُ مِنْ ألفاظِ العوامِّ سَخيفةً فى نَفْسِها ، أو جَيِّدَةً قد وُضِعَتْ فى غَيْرِ مَوْضِعِهَا فصارَتْ رديئَةً فى ذلك المَوْضعِ خاصَّةً ، فإن كانَتْ لكَ بلاغةٌ وبِجَوْهَرِ الكلامِ خِبْرةٌ تعرفُ هذا إذا مَرَّ بِكَ من النَّظْم والنَّثْر لا محالةَ ، وإن كُنْتَ بمعزِلٍ عن ذلك فلَستَ تَقْدِرُ أبدًا على

---

(١) فى الأصل « لا تكون إلا بالمعانى » خطأ وصوابه ما أثبت .

(٢) فى الأصل « بما لا ولايليق بموضعه » .

(٣) رويت هذه العبارة عن عمر بن لجأ فى البيان والتبين ١ : ٢٠٦ ، والشعر والشعراء ١ : ٩٠ ، وفيهما أنه قالها لبعض الشعراء ، وفى الموشح ص ٥٥٢ أنه قالها لابن عمه .

تمييز ما بينَ الجَيِّدِ والرَّدىءِ ، فاتْرك هذَا البابَ لِأَهْلِهِ ، ولا تُداخِلْهُمْ فيهِ .

ولَمَّا كانت طَرِيقَةُ الشَّاعِرِ وجِنْسُ شِعْرِهِ على ما وَصَفْتُه لا تَبينُ إلاّ لِطائِفَةٍ من النَّاسِ ، وهم ذَوو البَلاغَةِ ، وأهلُ الأَطْبَاعِ النَّقِيَّةِ ، والقَرائِحِ السَّليمَةِ ، وكان مَنْ سواهُمْ لا يَعْلَمُهُ ولا لَهم جُمْلَتُهُ(١) حتّى تَقَع الموازنةُ فيهِ بين بيتٍ وبيتٍ ، ومعنىً ومعنىً ، وجبَ أن أَعْدِلَ فى المَراثِى أيْضًا إلى انْتِزَاعِ الأبياتِ المُتَّفِقَةِ المَعانى من كُلِّ قَصِيدَةٍ من قصائِدِهما ، وأُنَوِّعُهما(٢) أنْوَاعًا ، وأُوازِنَ بَيْنَ أبياتِ كلِّ نَوْعٍ على حَسَبِ ما فَعَلْتُ فى الأبوابِ المُتَقَدِّمةِ من هذا الكتابِ ، حتّى يَظْهَر الفَضْلُ(٣) فى المعانى خَاصَّةً ، وباللهِ أَسْتَعِينُ .

* * *

---

(١) فى الأصل « حملته » ، ولعل المراد « ولا تبين لهم جُمْلَته » .

(٢) فى الأصل : « أنواعهما » .

(٣) فى الأصل : « الفعل » ولا معنى لها .

## أنواع المعاني

عمومُ الفَجيعَةِ وجَلالةُ الرُّزْءِ .
البكاءُ على الفقيد .
زوالُ الصَّبْرِ عن المَفْجُوعِ .
ذَمُّ الدَّهْرِ والأيّامِ لاخْتِرامِها الفَقيدَ .
تولّي العَيْشِ وذهابُهُ وتَغَيُّرُ الأَشْياءِ لِفَقْدِهِ .
تَخطّي المنايا إلى الأَشْرفِ فالأَشْرفِ والأَفْضلِ فالأَفْضَلِ .
ذكرُ السُّؤددِ والمَجْدِ والعُلى وبكائهما على المَيّتِ وقُبْحِهما بَعْدَه .
ذكرُ انْقِطاعِ الرَّجاءِ والأَمَلِ من الطّالِبين وقُعودِهم عن الطَّلبِ .
ذكرُ سُقوطِ الحُزْنِ وخِفَّةِ المَصائِبِ بَعد الفَقيدِ .
ذِكرُ شماتَةِ الأعداءِ والحُسّادِ وتَهديدِ القاتلين .
ذِكرُ صَبْرِ المَقْتولِ واخْتيارِهِ القَتْلَ على الفِرارِ .
ذَكِرُ تحقيرِ القاتِلِ وتَهوينِ أَمْرِهِ .
ذكرُ القُبورِ والدُّعاءِ لها بالسُّقْيا وتَشْييعِ المَيِّتِ .
وذِكرُ النَعْشِ والكَفَنِ .
الذِّكْرُ الجَميلُ وحُسْنُ الحديثِ بعد الفقيدِ .
ذكرُ تعديدِ مناقِبِ المَيِّتِ بعدَهُ .
ذكرُ من يَخْلِفُ الميّتَ وَيَسُدُّ مَسدَّهُ .
مَرْثِيَّةُ الصِّغارِ .

* * *

## ذكر عموم الفجيعة وجلالة الرزء

قال أبو تمّام[1] :

لَئِنْ أُلْبِسَتْ فيهِ المُصيبةَ طَيِّىءٌ ... لما عُرِّيَتْ مِنْهُ تَميمٌ ولا بَكْرُ[2]

كذلِكَ لا نَنْفَكُّ نَفْقِدُ هالِكًا ... يُشارِكُنا فى فقدِهِ البَدْوُ والحَضْرُ[3]

وهذانِ بيتانِ جيِّدانِ .

وقال[4] :

لقد فُجعتْ عتَّابُهُ وزُهَيْرُهُ ... وتَغْلِبهُ أُخرىٰ الليالِى وَوَائِلُهْ[5]

وكانَ لَهمْ غيثًا وعِلْمًا فمُعْدِمٍ ... فَيَسْأَلُهُ أو بَاحِثٍ فَيُسائِلُهْ

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٠٤ والتبريزى ٤ : ٨٤ .

(٢) ديوانه والتبريزى « منها » .

(٣) ديوانه والتبريزى : « ما » وديوانه فقط : « تنفك » « تشاركنا » .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٢٩ والتبريزى ٤ : ١٠٩ .

(٥) فى الأصل : « وثعلبة » تصحيف ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى ، وقال : « وائل » أبو هذه القبائل ، وهو فى النَّسَبِ ، عتّابُ بنُ سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل ، فكأنه يريد أباه الأقرب ثمّ ارتفع حتّى بلغ إلى وائل ، وهذا كما تقول فى الكلام : لقد فجعت به تميم ، ثم تزيد فى ذلك فتقول وأُدُّ بنُ طابخةَ ثمّ ترتفع فى النسب فتقول : وإياسُ بنُ مُضَر ، ثم تقول : ومُضَر ، فَتَعَظَّمَ الفادِحَة كلما ارْتَقيتَ فى النَّسَبِ .

وهذا البَيْتُ الأوَّل فى غَايةِ الجَودَةِ والبَراعَةِ ، لأنّه عمَّ بالفجيعةِ عمومًا حسنًا ، والبيتُ الثّانى من أَشْعارِ المُعَلِّمينَ ، وقد قَرَنَ الغَيْثَ بالعِلْم ، وهما لا يَتجَانَسانِ .

وقال [ البحتريّ ][1] :

ورَزِيئةٌ حمَلَ الخَلِيفَةُ شَطْرَها والمُسْلِمونَ ، وشَطْرَهَا الإِسْلامُ

وهذا عُمومٌ حَسَنٌ .

وقال[2] :

أما وأبى « كهلانَ » يومَ مُصابِهِ لقد أُثقِلَتْ بالرُّزْءِ منها الكَواهِلُ
رَأوا شَمْسَهُمْ فى يَوْمِهِمْ وهىَ ظُلْمَةٌ وبَدْرَهُمْ فى لَيْلِهِمْ وهوَ آفِلُ
فشَامُوا سُيوفًا ما لهُنَّ مَضارِبٌ وأَلْقَوْا رِماحًا مالَهُنَّ عَوامِلُ

وهذا غايةٌ فى حُسْنِهِ وصِحَّتِهِ .

وقال أبو تَمَّامٍ[3] :

كأنَّ بَنِى نَبْهانَ يومَ وفَاتِهِ نُجومُ سَماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها البَدْرُ

وهذا معنًى حَسنٌ جِدًّا[4] ، ولكنّه أَخذَهُ من قَوْلِ مَريمَ بِنْتِ طَارِقٍ[5] :

كنّا كَأَنْجُمِ لَيْلٍ بَيْنَنَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجىٰ فَهَوى من بَيْننا القَمَرُ[6]

---

(١) ساقطة من الأصل ، والبيت فى ديوانه ٣ : ١٩٤٩ .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧٣٠ .

(٣) ديوانه ٣ : ٢٩٧ والتبريزى ٤ : ٨١ ، وقد سبق فى ١ : ٧٢ .

(٤) قال الصولى فى شرحه : قد عاب أيضا عليه هذا البيت من لا يدرى كيفَ تتكلم العربِ ولا فهم معنى قط ، وقد ذكرت الاحتجاج له فى الرِّسالة التى فيها أخباره . « انظر أخبار أبى تمّام ص ١٢٥ » .

(٥) فى الأصل « هريم بن طارق » ، والتصحيح من الجزء الأول ص ٧٢ حيث ورد البيت هناك .

(٦) انظر تخريجه فى ١ : ٧٢ وأضف إليه : حماسة البحترى ٤٣١ وفيه : وقالت طَيِّبَةُ الباهلية ترثى أخاها ، والتشبيهات ص ٢١٥ بدون نسبة .

أو مِنْ قَوْلِ جَريرٍ يَرثِى الوليدَ بنَ عبدِ المَلكِ(١):

ياعَينُ جودِى بِدَمْعٍ هَاجَهُ الذِّكَرُ     فما لِدَمْعِكِ بعدَ اليومِ مُدَّخَرُ
إنَّ الخليفةَ قد وارىٰ شَمائِلَهُ     غبراءُ مَلْحودَةٌ فى جُولِهَا زَوَرُ(٢)
أمسىٰ بَنُوه وقدْ جَلَّتْ مُصيبَتُهُمْ     مِثْلَ النُّجومِ هَوىٰ مِنْ بَيْنِها القَمَرُ(٣)

« الجُولُ ، والجَالُ » : جانب البئر .

وأَحْسَنُ من هذا كُلِّهِ قَولُ ديكِ الجِنِّ(٤):

عذَاكَ أبا العبّاسِ ما منهُ عُدِّيتُ     وأَعْقَب تَأْليفَ القَرابَةِ تَشْتِيتُ
فَناؤُكَ أَبْقانَا بِغَيْـرِ بَقِيَّـةٍ     كأَنَّا [ جُمِعْنَا ثُمَّ ] قيل لنا موتوا(٥)

* * *

(١) ديوانه ٢٤٢ .

(٢) « الجُولُ » : ناحية البئر والقبرِ وما حولَه ، « زَوَرُ » : المَيْل والأعوجاجُ ، وفى الأصل : « ملحودٌ » والتصحيح من ديوانه .

(٣) سبق فى ١ : ٧٢ .

(٤) لم أجد البيتين فى ديوانه كما لم أقف عليهما فيما بين يدىّ من مراجع .

(٥) فى الأصل : « كأنّا جميعا قيل لنا موتوا » والوزن هكذا مختل ، فأصلحته بما رأيت أنه أقرب إلى المعنى .

## ذكر البكاء على الميت

قال أبو تمّام[1]:

فلَمْ أرَ يَوْمًا كانَ أُشْبَه ساعَةً  بِيَوْمٍ من اليَوْمِ الذى فِيه وَدَّعا[2]
مَصيِفٌ أفاضَ الحُزْنُ فيهِ جَداوِلًا  من الدَّمْعِ حتى خِلْتُهُ صارَ مَرْبَعا[3]
ووالله لاتَقْضِى العيونُ الذى لَهُ  عَلَيْها ولو صَارَتْ مع الدَّمْعِ أدْمُعا

قوله : « ..... كانَ أُشْبَهَ سَاعَةً بِيَوْمٍ ... » يُرِيدُ : كانَتْ ساعاتُهُ كأيَّامٍ ، يريدُ طُولَ اليَوْمِ من شِدَّةِ الوَجَعِ والحُزْنِ .

وقال[4]:

اليومَ أُدْرِجَ زَيْدُ الخَيْلِ فى كَفَنٍ  وانْحَلَّ مَعْقُودُ دَمْعِ الأَعْيُنِ الهُتُنِ

هذا بَيْتٌ ردىءُ لِقَولِهِ : « وانْحلَّ مَعْقودُ ... » ، فجَعَل الدَّمْعَ مَعْقودًا ، والاسْتِعارَةُ غيرُ مُنْكَرَةٍ إلّا إذا وَقَعتْ فى غَيْرِ مَوْضِعِها الذى يَلِيقُ بِها ، ولو كان

---

(١) ديوانه ٣ : ٣١٩ والتبريزى ٤ : ٩٩ .
(٢) التبريزى : « بِيَوْمى » .
(٣) ديوانه والتبريزى « عاد » .
(٤) ديوانه ٣ : ٣٥٦ والتبريزى ٤ : ١٣٩ . وسبق ص ٤٦١ .

٢٠ أ قالَ : / « الأعْيُنِ الجُمُدِ » كانَ أَوْلَى لو كَانَتِ القَافِيَةُ على الدَّالِ ، لأنَّ « الأعْيُنَ الهُتُنَ » لايكونُ دَمْعُها الآنَ مَعْقُودًا ، وذاكَ أَجْوَدُ .

ومِثْلُ هذا قَوْلُهُ(١) :

« أُذِيلَتْ مَصوناتِ الدُّموعِ السَّواكِبِ »

ولَوْ قَالَ : « الجَوامِدَ » لكان أليقَ بالْمَعْنَى ، ولكِنَّه أرادَ التى هِىَ الآنَ(٢) .

وقالَ البحتريُّ فى يوسفَ بنِ مُحمدِ بن يوسفَ(٣) :

أعاذِلَتى ، ما الدَّمْعُ من فَرْطِ صَبْوَةٍ ... ولا مِنْ تَنائِى خُلَّـةٍ فذرينـى
ولا تسأَلى عمَّا بَكَيْتُ فإنَّهُ ... على ماءِ عَينِى جادَ ماءُ جُفونِى(٤)

---

(١) ديوانه ١ : ٢٧٦ والتبريزى ١ : ١٩٨ وصدره :
« على مِثْلِها من أَرْبُعٍ ومَلَاعِبِ »

(٢) سبق البيت والتعليق عليه فى ١ : ٤٥١ ، وقال ابن المستوفى بعد أن نقل كلام الآمدى : « وجدت فى حاشية من نسخ شعره عند قوله : « أُذيلت مصوناتِ الدموع السواكب » السواكب : ليست صحيحة فى العربية وإنما هو المسكوبات ، والمنسكبات ، فأما السواكب فالصَّوابُ ، وهذا من تخليطاته ، فإن احتج محتج فقال : ساكبة ذات انسكاب ، فإن هذا يقالُ فيما قيل ، ولا يقاس عليه مالم يسمع . قال المبارك ابن أحمد : قال أبو بكر محمد بن دريد : سكب الدمع وانسكب إذا جعلت الفعل له ، وسكبت العينُ دمعَها ، فعلى هذا القول يكون السواكبُ جمعَ ساكبة ، من قولهم : سكبت العين دمعها . وقوله : فأما السواكب فالصوابُ ، فجائز أن يُحْمَل قولُ أبى تمّام : السواكِبَ على أنه أراد : الصوابَّ ، ولايَفْسُدُ المعنى فإن اسم الفاعل أيضا من سكبت العين دمعها ساكبة ، وجمعه سواكب ، وإن كان بمعنى «صوابّ» .

ثم قال ابن المستوفى عقبه : « وأُظُنُّ هذا القول من كلام الآمدىِّ ، فإن عثرت عليه له أو لغيره نسبته فيما بعد ، وقد جاء فى شعر العرب « السواكب » ، قال خِداشُ بن زهير :

أَعَيْنَىَّ جُودىِ بالدَّموعِ السَواكِبِ ... وبَكِّى على قَيْسٍ خَليلِى وصَاحِبِى
على مِثْلِ قَيْسٍ تَخِمشُ الأَرْضُ وَجْهَهَا ... وتُلْقِى السَّماءُ جِلْدَها بالكَواكِبِ

« النظام حـ ١ لوحة ٩٦ » .

وانظر ديوان خداش ص ٦١ « البيت الثانى » .

(٣) ديوانه ٤ : ٢١٨٢ .

(٤) ديوانه : « ماء وجهى » .

قولُهُ : « على ماءِ عينى جادَ مَاءُ جُفونى » من قولهم : لُؤلُؤَةٌ كثيرةُ المَاءِ ، أى : الصَّفاءِ والضياءِ والرَّوْنَقِ ، وكذلِكَ « ثوبٌ كَثيرُ المَاءِ » ، ولو عَدلَ إلى اللَّفظَةِ المُسْتَعْمَلَةِ ، فقالَ : « نُورُ عَيْنِى » لكانَ أَوضَحَ ، وأَظنُّه عَدلَ عَنْها لأنَّها من كَلامِ العَوامِّ ، وأرادَ أن يَجْمعَ بَيْنَ « مَاءٍ » و « مَاءٍ » فى قَوْلِهِ : « مَاءِ عينى ، وماءُ جُفونى » على مَذْهب أبى تمّامٍ .

وقال حَذْوًا على قَوْلِ أبى تَمَّامٍ : « ولَوَ صَارَتْ مع الدَّمْعِ أَدْمُعا » :

ودَمْعٌ متى أَسْكُبْهُ لا أَخْشَ لَائِمًا ... ولو أَنَّنى مِمَّا تَفِيضُ هَزائِمُهْ [1]

قَوْلُهُ : « ولو أَنَّنى مِمَّا تَفِيضُ هَزَائِمُهْ » أى : لو أَفاضَتْنى ، أى : أَجْرَتْني هزَائِمُهُ مَعَها ، فقَصَّرَ عن أبى تَمّامٍ وأَساءَ وقَبَّحَ .

وقال [2] :

أُلامُ إذا ذَكَرْتُكِ واستَهلَّتْ ... غُروبُ العَيْنِ تَتْبَعُها غُروبُ [3]
ولو أنَّ الجِبالَ فَقَدنَ إِلْفًا ... لأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْها يَذوبُ [4]

وقالَ [5] :

تَوَلَّى سَحابُ الجُودِ تَرْقَا سُجومُهُ ... وجَاءَ سَحابُ الدَّمْعِ تَدْمَى سَوَاجِمُهْ

---

(١) ديوانه : ٣ : ١٩٥١ ، والهزائم : البئار الكثيرة الماء .
(٢) ديوانه ١ : ٢٥٧ .
(٣) ديوانه : « الغُروب » وهى الدموع ، وفيه « ذكرتُكَ » .
(٤) سبق فى ٢ : ١٢٢ .
(٥) ديوانه ٣ : ١٩٤٩ .

وقال :(١)

سلامُ اللهِ والسُّقيا سِجَالًا على تِلْكَ الضَرائِحِ واللُّحودِ
رَزَايا من شُيوخِ « الأَزْدِ » أَلْقَتْ علينَـا ظِلَّ مُوهِنَـةٍ(٢) هَدُودِ
نَصُكُّ لها الجِبَاهَ إذا احْتَشَمْنَا حَياءَ النَّاسِ من لَطْمِ الخُدودِ
مَبَاكٍ نَسْتَزِيدُ الدَّمْعَ مِنها(٣) وما لِلَّدْمِع فِيها مِنْ مَزيدِ

/ وهذا كُلُّه جَيِّدٌ بالِغٌ ولكن لايَفِى بِقَوْلِ أَبى تَمَّامٍ : ب

ووالله لاتَقْضِى العيون الذى لَهُ عَلَيْها ولوْ صَارَتْ مع الدَّمْعِ أَدْمُعا

* * *

(١) ديوانه ١ : ٥٢٠ .
(٢) ديوانه : « كلّ موهنة » .
(٣) ديوانه « تستزيد الدمع فيها » .

## ذكر ذم الدهر والأيام بعد الميت وذم الدنيا

قال أبو تَمَّامٍ (١) :

لَئِنْ أُبْغِضَ الدَّهْرُ الخَؤُون لِفَقْدِهِ　　لَعَهْدِى بِهِ مِمَّن يُحَبُّ لَهُ الدَّهْرُ

وَقَالَ (٢) :

لَئن غَدَرَتْ فِى الرَّوعِ أَيَّامُهُ بِهِ　　فَمَا زَالَتِ الأَيَّامُ شيمتها الغَدْرُ

وَقَالَ (٣) :

فَلَوْ شَاءَ هَذَا الدَّهْرُ أَقْصَرَ شَرُّهُ　　كَمَا قَصُرَتْ عَنَّا لُهَاهُ وَنَائِلُهْ

سَنَشْكُوه إِعْلَانًا وَسِرًّا ونِيَّةً　　شَكِيَّةَ مَنْ لايستطيعُ يُقَاتِلُهْ

هَذَا كُلُّه مِن أشعارِ صِبيانِ المكاتِب وألفَاظِهم ، وكَيْفَ جسَر على شَكِيَّةِ الدَّهْرِ إعْلانًا ، فأمَّا شكواهُ سِرًّا فمن ذا الذى سَكَن إلَيْه ووثِقَ بِهِ حتَّى شَكَاهُ إلَيْهِ ، ولله دَرُّ أبى عُبَادَة إذ يَقُولُ (٥) :

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٠٤ والتبريزى ٤ : ٨٣ .

(٢) فى التبريزى وديوانه : « لما زالت ... » ، والبيت فى الموضعين السابقين من ديوانه والتبريزى .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٢٦ والتبريزى ٤ : ١٠٧ ، واللّهى : جمع لهاة وهى العطية .

(٥) ديوانه ٢ : ٩٦٢ ، وقد سبق البيتان فى ٢ : ٢٤٨ والثانى فى ١ : ٣١٥ ، وفى ديوانه « ماتنفك تشكو » .

أَجِدَّكَ مَاتَنْفَكُّ نَشْكُو قَضِيَّةً ... تُرِدُّ إلى حُكْمٍ مِن الدَّهْرِ جَائِرِ
يَنَالُ الفَتَىٰ مالم يُؤَمِّلْ ، وَرُبَّما ... أَتاحت لَهُ الأَقْدَارُ مَالَمْ يُحَاذِرِ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ[1] :

إنَّ رَيْبَ الزَّمَانِ يُحْسِنُ أن يُهْـ ... ـدِى الرَّزَايَا إلى ذَوِى الأَحْسَابِ
فَلِهَذَا يَجِفُّ بعد اخضِرارٍ ... قَبْلَ رَوْضِ الوِهادِ رَوْضُ الرَّوَابِى

وهذا أيضا من أَلْفَاظِهِ الرَّكِيكَةِ السُّوقِيَّةِ ، وعَادَاتِهِ السَّخِيفَةِ العامِّيَّةِ ، لأَنَّ من أَلْفَاظِ العَوامِّ أَبَدًا أن يقولوا : يافَلانُ أَنْتَ تُحْسِنُ أن تَأْخُذَ ، ولَا تُحْسِنُ أن تُعْطِى ، وتُحْسِنُ أن تَعُقَّ ، ولا تُحْسِنُ أن تَبَرَّ ، وربَّمَا جاءَ اللَّفْظُ فى مَوْضِعِه فَلَمْ يَقْبُحْ ، فَجَاءَ بِهِ أبو تمّامٍ فِى أَقْبَحِ مَوْضِعٍ ، وَمَا كَانَتْ بِهِ حَاجَةٌ إلى « يُحْسِن »[2] ، و [لَوْ] قَالَ :

إنَّ رَيْبَ الزَّمَانِ يُهْدِى المَنَايَا ... والرَّزَايَا إلى ذَوِى الأَحْسَابِ

فَتَكُونُ المَنايَا مهداةً إلى مَنْ أُصِيبَ ، والرزَايَا إلى قَوْمِهِ ، أَوْ غَيْرُ المَنَايَا ، فإنَّ الألفاظَ / كَثِيرَةٌ ، ولو قَالَ : « إنَّ رَيْبَ الزَّمَانِ لن ينى يُهْدِى الرَّزَايَا » أو « إنَّ رَيْبَ الزَّمَانِ مُجْتَهِدٌ يُهْدِى الرَزَايَا » ، ولَوْ قَالَ : « فَتَراها تَجِفُّ بَعْدَ اخضرار » لكانَ أَحْسَنَ من قَوْلِهِ : « فلِهَذَا » ، لأَنَّا قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ مايُرِيد بالتَّمْثِيلِ من غيرِ إشارةٍ هَجِينةٍ .

وَقَالَ البُحْتُرِىّ[3] :

مَاكُنْت أَحْسَبُ أَنَّ عِزَّك يُرتَقَى ... بالنَّائِبَاتِ ، ولا حِمَاكَ يُرَامُ
قَدَرٌ عَدَتْ فيه الحَوادِثُ قَدْرَهَا ... وتَجَاوَزَتْ أَقْدَارَهَا الأَيَّامُ

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٥٣ والتبريزى ٤ : ٤٣ .

(٢) فى الأصل : « أن يحسن » .

(٣) ديوانه ٣ : ١٩٤٧ .

وَقَالَ (١) :

عَجِبْتُ لِهَذَا الدَّهر أفْنَى « مُحمَّدا » وَكَانَ الذى يَسْطُو بِهِ ويُصَاوِلُ (٢)
مَضَى فَمَضَى مَجْدٌ تَلِيدٌ وسُؤْدَدٌ وأوْدَى فأوْدَى مِنْه بأسٌ وَنائِلُ
وَكَانَ سِراجَ الأرضِ والأَرْضُ مُظْلِمٌ قَرَاها (٣) ، وحَلْىَ الدَّهْرِ ، فالدَّهْرُ عَاطِلُ

وَهَذَا لَعمْرِى حَسَنٌ .

ونَحْوُ هَذَا قَوْلُ أبِى تَمَّامٍ (٤) :

فَتىً سُلِبَتْهُ الخَيْلُ وَهْوَ حِمًى لَهَا وبُزَّتْه نَارُ الحَرْب وَهْوَ لَها جَمْرُ

وإنَّما أخَذَ المَعْنَى من قَوْلِ مَروانَ بن أبى حَفْصَة فى مَعْنِ بن زائدةَ (٥) :

ألَمْ تَعْجَبْ لَهُ أنَّ المَنَايَا فَتَكْنَ بِه وهُنَّ لَهُ جُنُودُ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٢٩ .

(٢) هو أبو سعيد محمد بن يوسف الثغرى .

(٣) قرى الأرض : ظهرها ، والعاطل : التى ليس عليها حلىّ .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٠٣ والتبريزى ٤ : ٨٢ . قال أبو العلاء : « إذا رويت « سُلِبَتْهُ » بضم السين على مالم يُسمّ فاعله فيجب أن يروى « وبُزَّتْهُ » بضم الباء لتكون الجملة الثانية مثل الأولى » وانظر النظام : جـ ٢ لوحة ٦٥ .

(٥) لم أجد البيت فى ديوان مروان بن أبى حفصة المجموع ، ووجدته فى الأغانى من قصيدة منسوبة إلى التيمى « عبد الله بن أيوب أبو محمد مولى بنى تيم ثم مولى بنى سليم » يرثى فيها يزيد بن مزيد ١٨ : ١١٥ ، والقصيدة أيضا منسوبة إلى مسلم بن الوليد وهى فى ديوانه ص ١٤٧ ، ونقل القالى فى أماليه عن أبى بكر بن الأنبارى قال : الشاعر مسلم بن الوليد ، قال : وقال أبو الحسن بن البراء قال لى ابن أبى طاهر : الشاعر هو التيمى « الأمالى ٢ : ٨٤ » ، وقال مثل هذا ابن خلكان وقال : والصحيح أنها للتيمى المذكور « وفيات الأعيان ٦ : ٣٣٨ » وقال كذلك فى العقد « ٣ : ٢٩٣ » وروى البيت :

ألَمْ تعلم أخى أنّ المنايا غدرن به وهن له جنودُ

وفى الحيوان « ٦ : ٥٠٥ » :

ومن عجب قصدن له المنايا على عمد وهُنَّ له جنودُ

ومحاضرات الأدباء ٢ : ٥٢٣ ونسبه لمسلم بن الوليد ، ونُسِبَ أيضا للتيْمِى فى تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١٨٥ .

## ذكر تخطي المنايا إلى الميت والعجز عن دفعها

قَالَ أبو تَمَّامٍ[1] :

مَازَالتِ الأَيَّامُ تُخْبِرُ سَائِلًا أَنْ سَوْفَ تَفْجَع مُسْهِلاً أو عَاقِلا[2]

إنَّ المَنُونَ إذا استَمَرَّ مَرِيرُهَا كَانَتْ لَهَا جُنَنُ الأَنَامِ مَقَاتِلا

ما إن تَرَى شَيْئا لشيءٍ مُحيِيًا حَتَّى تُلاقِيه لآخَرَ قَاتِلا

مِن ذَاكَ أجهدُ أن أرَاهُ فَلَا أَرَى حَقًّا سِوى الدُّنْيا تُسَمَّىٰ بَاطِلا

« فالمُسْهِلُ » : الذِي يأوِى السَّهْلَ ، « والعَاقِلُ » : الذى يأوى المعاقِلَ ، وهى الجِبالُ .

وَقَوْلُهُ : « مِن ذَاكَ أَجْهَدُ أن أرَاهُ » من سَخِيفِ أَلفَاظِ العَوامِّ ، ولَيْسَ من ألفاظ الشُّعَرَاءِ ، وهَو هَاهُنَا يُشْبِه قَوْلَهُ : « فَلِهَذَا يَجِفُّ بَعْدَ اخضِرَارِ ..... » .

وَقَالَ[3] :

وفَاجِعُ مَوْتٍ لاعَدُوًّا يَخَافُهُ فَيُبْقِى ولايَلْقَى صَدِيقًا يُجَامِلُـهْ[4]

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٣١ والتبريزى ٤ : ١١٣ .

(٢) المسهل : الذى نزل السّهل : أسهل القوم إذا نزلوا السهل بعد ماكانوا نازلين بالحَزْن ، العاقل : هو النازل بالمعقل وهو الحصن ، وعقل الوعل أى امتنع فى الجبل العالى ، وبه سُمِّىَ الوعل عاقلا على حد التسمية بالصفة .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٢٦ والتبريزى ٤ : ١٠٧ .

(٤) ديوانه : « بباق ولا يَبقَى .. » والتبريزى « فَيُبْقِى ولا يُبْقي ... » .

وأَىُّ أخى عَزَّاءَ أو جَبْرِيَّةٍ ينابِذُهُ أو أىُّ قِرْنٍ يناضِلُهْ[١]
إذا ماجَرى مَجْرى دَمِ المَرْءِ حُكْمُهُ وبُثَّتْ على طُرْقِ النُّفوسِ حبائِلُهْ

قَوْلُهُ : « وفَاجِعُ مَوْتٍ لاعَدوٌّ يَخافُهُ » من كلامِ النّوائِحِ وتَعْديدِهِم ولَيْسَ من كَلَامِ الشُّعراءِ ، أَفَتَراهُ لَمْ يَسْمَع قَوْل يَحْيىٰ بن زِيادٍ الحَارِثِىّ[٢] :

دفَعْنَا بِكَ الأَيَّامَ حَتَّى إذَا أَتَتْ تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِع لَهَا عَنْكَ مَدْفَعا

وللهِ دَرُّ الفَرَزْدَقِ إذْ يَقُولُ فى بشرِ بن مَرْوانَ[٣] :

ولَوْ أنَّ قَوْمًا قَاتَلُوا المَوْتَ قَبْلَنَا بِشَىءٍ لَقَاتَلْنَا المَنِيَّةَ عَنْ بِشْرِ

وَقالَ أَبُو الخطَّارِ[٤] الكَلْبِىُّ وأَحْسَن كُلَّ الإحسانِ :

وَلَوْ كَانَتِ المَوْتَى تُبَاعُ اشتَرَيْتُهُ بِكَفِّى وَمَا استثنيت مِنْها أَنَامِلِى[٥]

---

(١) فى الأصل :

« وأى أخى عزاء أوجب دية بنافذة ........................ »

تحريف والتصحيح من ديوانه والتبريزى . وفى ديوانه « أم أى رام يناضله » والتبريزى « أو أىّ رام يناضله » ، « الجبرية » : هم الفرقة المعروفة التى ترى أن الانسان مجبر على الفعل ، « والقرن » : الكفء والنظير فى الحرب والشجاعة .

(٢) هو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثى ، وزياد بن عبد الله خال أبى العباسِ السفاح قلّده المدينة فى خلافته ، ويحيى يكنى أبا الفضل ، وكان شاعرا أديبا ظريفا خليعا ، ومنزله بالكوفة وكان صديق مطيع بن إياس وحماد عجرد ، ورمى بالزندقة « معجم الشعراء ص ٤٨٥ ، تاريخ بغداد ١٤ : ١٠٦ » ، والبيت فى « حماسة أبى تمّام بشرح المرزوقى ص ٨٦١ ومعجم الشعراء ص ٤٨٦ » .

(٣) ديوانه ١ : ٢٦٨ .

(٤) فى الأصل : « أبو الخطاب » تحريف والتصحيح من المؤتلف والمختلف للآمدى ص ١٢٤ ، قال : هو الحِسام بن ضرار بن سلامان بن جشم بن جَعْوَل بن ربيعة ، شاعر فارس . ولِىَ الأندلس فى عهد هشام ابن عبد الملك وأظهر العصبية لليمانية على المُضَرية ، وقتله الصَّمِيلُ بن حاتم الضِّبابىُّ « جمهرة الأنساب ٤٥٧ ، جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس للحُمَيْدِى ص ٢٠٠ ، تاج العروس مادة « خطر » » .

(٥) البيت فى المؤتلف والمختلف وجذوة المقتبس .

وَقَالَ أبو تَمَّامٍ [(١)] :

هَدَمَتْ صروفُ الدّهرِ أرفَعَ حَائِطٍ ضُرِبتْ دَعائِمُــــهُ على الإسلامِ [(٢)]
دَخَلَتْ عَلَى مَلِكِ المُلوكِ رِوَاقَهُ وتَسرَّبتْ [(٣)] لمُقَــوِّمِ القُـــوَّامِ

وهَذَانِ بَيْتَانِ جَيِّدَانِ .

وَقَالَ البُحتُرِىُّ لمُحَمَّد بن عبد الله بن طَاهِر يَرْثِى أخاه وعَمَّه [(٤)] :

أَزَالَ حِجابَ المُلْكِ عَنْهُ رَزِيَّةٌ تَهجَّمُ أخياسَ الأسودِ الخوادِرِ [(٥)]
مُسَلَّطةٌ لَمْ يَتَّئِرْ [(٦)] من وُقُوعِهَا بِسَاعٍ ولَمْ يُنْجَدْ عَلَيْها بِنَاصِرِ
يُؤَسِّ الأَدانِى عَنْهُ أَنْ لَيْسَ عِنْدَهم نكيرٌ [(٧)] سِوَى سَكْبِ الدُّمُوعِ البوادِرِ

وهَذَا جيّدٌ بَالِغٌ .

* * *

(١) ديوانه ٢ : ٣٦٣ والتبريزى ٣ : ٢٠٣ .
(٢) ديوانه والتبريزى : « صروف الموت » .
(٣) ديوانه : « تشرّبت » والتبريزى : « تشزّنت » .
(٤) ديوانه ٢ : ٩٦٤ .
(٥) ديوانه : « أزالت » ، الأخياس : جمع خيس وهو غابة الأسد .
والخوادر : المستترة فى العرين .
(٦) ديوانه : « لم يَتَّئِرْ لوقوعها » ، إتَّآر : أحدُّ النّظر والرَّمْىَ إليه .
(٧) النكير : تَغْيير مايُسْتَنكرُ والمعنى : « ليس عندهم حيلةٌ لتغيير ما أصابهم » وشرحها فى هامش ديوانه على أنها : الشديد الصعب ، ولا يتفق هذا مع معنى البيت .

## ذكر ثكل المعالي والمجد والجود والبأس وبكائها على الميت

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ[1] :

يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعزَّى بِهِ العُلَى  وَيَبْكِى عَلَيْه البَأْسُ والجودُ والشِّعْرُ

وَهذِهِ استِعارةٌ حَسَنَةٌ لائِقَةٌ .

وَقَالَ[2] :

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى رَبِيعَةَ أَنَّهُ  تَقَشَّع طَلُّ الجُودِ عَنْها ووابِلُهْ .

/ وأَنَّ الحِجى منها استطَارَتْ صُدُوعُه  وأَنَّ النَّدى مِنها أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ ١٦ أ

وهَذَا أيضا جَيِّدٌ بَالِغٌ .

وَقَالَ[3] :

إذَا فُقِدَ المَفْقودُ مِنْ آل مَالِكٍ  تَقَطَّع قَلْبِى رَحْمَةً للمَكَارِمِ

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٠٢ والتبريزى ٤ : ٨٢ ، وفيهما : « ويبكى عليه الجود والبأس والشعر » .

(٢) ديوانه ٣ : ٣٢٧ والتبريزى ٤ : ١٠٨ وفى الأصل : « من مبلغ » والتصحيح من ديوانه والتبريزى ، وفيهما « الجود منها » .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٤٨ والتبريزى ٤ : ١٣٠ .

وَتقطُّعُ قَلْبِهِ رَحْمَةً للمَكَارِمِ رَكَاكَةٌ ماسُبِقَ إِلَيْها[١]، وحَمَاقَةٌ لايُنَافَسُ عَلَيْها[٢]، ولكِنَّ الجَيِّدَ النَادِرَ قَوْلُهُ[٣]:

ألا إنّ فِى ظُفْرِ المَنيّةِ مُهْجَةٌ تَظَلُّ لَهَا عَيْنُ العُلَى وهى تَدْمعُ
هى النَّفْسُ إن تَبْكِ المكارِمُ فَقْدَها فَمِن بَيْنِ أحشاءِ المكارِمِ تُنْزَعُ

قَوْلُهُ : « فَمِن بَيْن أَحْشَاءِ المكارِمِ تُنْزَعُ » استعارةٌ تَفُوقُ كُلَّ حُسْنٍ وحَلَاوةٍ .

وَقَالَ[٤]:

فَمَالَنَا اليَوْمَ وَمَا للعُلَى مِن بَعْدِه غَيْرُ الأَسَى والنَّحِيبِ

ونَحِيبُ العُلى غُلُوٌّ فى الاستِعَارةِ ، والجَيِّدُ المستقيمُ فِى هَذَا قَوْلُ البُحتُرىّ[٥] :

فَتًى أَقْفَرتْ مِنْه المَعَالى ولَمْ تَكُنْ لِتُقْفِرَ مِمَّن بان إلا المَنَازِلُ
وَثاوٍ بَكَتْهُ المكرُمَاتُ وإنّما تُبَكِّى على الثّاوى النِّسَاءُ الثَّواكِلُ

وقَدْ غَلَا فى الاستعارَاتِ غُلُوًّا قَبِيحًا ، والرَّدىءُ لايؤتَمُّ به ، ولايُحْتَذى عَلَيْهِ .

وقَدْ يَأتِى غُلُوٌّ غَيْرُ مُسْتَهجَنٍ لحُسْنِ تألِيفِهِ وحَلَاوةِ العِبَارةِ ، وذلك نحو قَوْلِ ابنِ مُطِير فى مَعْنِ بنِ زَائدةٍ[٦]:

---

(١) فى الأصل : « إليه » والتصحيح مما يقتضيه السياق .

(٢) نقل المرزبانى فى الموشح تعليقا لابن المعتز على هذا البيت قال : وهذا قد عيب قبلنا ، وقالوا : « تقطّع رحمة للمكارم » من كلام المخنثين ، الموشح ص ٤٧٤ .

(٣) ديوانه ٣ : ٣١٧ والتبريزى ٤ : ٩٧ .

(٤) ديوانه ٣ : ٢٦٢ والتبريزى ٤ : ٥٠ .

(٥) ديوانه ٣ : ١٧٢٩ .

(٦) القصيدة فى الأمالى ١ : ٢٧٥ والأغانى ١٤ : ١١٣ ومعجم الأدباء ١٠ : ١٦٩ .

ولمَّا مضَى مَعْنٌ مَضى الجُودُ وانْقَضَى وأَصْبَح عِرْنِينُ المكارِمِ أجْدَعَا
بَكى الجودُ لَمَّا مَات مَعْنٌ فَلَمْ يَدَع لِعيْنَيهِ لَمَّا أن بَكَى الجودُ مَدْمَعَا

وَقَال حبيبُ بنُ شَوذَبِ المدنِى[(١)]:

أنت أنْفُ الجُودِ إن فَارقْتَهُ عَطَس الجُودُ بأنْفٍ مُصْطَلَمْ

وَقالَ الفَرَزْدَق – ولَيْسَ من بَابِ الغُلُوّ[(٢)] –:

فإلّا تَكُن هِنْدٌ بَكَتْهُ فَقَدْ بَكَتْ عَلَيْه الثُّرَيَّا فِى كَواكِبها الزُّهرِ

وَقالَ مَيْسَرةُ أَبُو الدَّرْدَاءِ فى مُعَاوِيَةَ[(٣)]:

فَهاتِيكَ الكَواكِبُ وهْيَ خُرْسٌ يَنُحْنَ على مُعاويةَ الشآمِى
/ ونَادى الفَرْقَدانِ بَنَاتِ نَعشٍ يُبشِّرنَ الثُّريَّا بالإمامِ ٢٠ ب
نَعتْهُ الرِّيحُ للآفاقِ حتَّى بَكَتْهُ الأرْضُ رافعةَ الخِدامِ[(٤)]

وَهَذا كُلُّه جَيِّدٌ إلّا قَوْلَهُ: « رافِعَةَ الخِدام » فإنَّه من الغُلُوِّ، وكُلُّ ماذَكرَتْهُ العَرَبُ من بُكاءِ الأشياءِ عَلَى المَيِّتِ، فإنَّما ذَلِك يَقُومُ مَقامَ النُّفوسِ عِنْدَ عِظَمِ المُصَابِ، وجَلِيلِ الرُّزْءِ، أنّ الأشياءَ قد حَالتْ عن صورِهَا وتغيَّرَتْ عن حالاتِهَا، ولِذَلِكَ قَالَ أوسُ بنُ حَجَر[(٥)]:

---

(١) البيت من ثلاثة أبيات فى « الورقة » يمدح فيها الحكم بن المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومى، وكان من الأجواد المتجاوزين الحد فى السخاء. الورقة ص ٧٩.

(٢) ديوانه ١ : ٢٦٨.

(٣) لم أجد له ترجمة فيما بين يدىّ من مراجع.

(٤) الخدام: الخلاخيل. والبيت الأول فى اللسان مادة « شأم » منسوبا إلى ميسرة أبى الدرداء، ولم أجد للبيتين الثانى والثالث أثرا فيما بين يدى من مراجع.

(٥) لاحظت أن الناسخ كثيرا مايضبط « حَجَر » بضم فسكون وهذا خطأ كما هو معلوم.

أَلَمْ تكسِيفِ الشَّمسُ شَمْسُ النَّهارِ　　مع النَّجْـمِ للقَمَــرِ الـــوَاجِبِ (١)

وقَالَ النَابِغَة (٢) :

بَكى حارثُ الجَوْلانِ من هُلْكِ رَبِّهِ　　وحَـوْرانُ مِنْـهُ خاشِعٌ مُتضائِـــلُ (٣)

وَقَال [ أبو قَطِيفةَ (٤) ] لمّا أَخرجَ ابنُ الزّبير بنى أُميّةَ مِنَ الحِجَاز :

بكى أُحُدٌ إذْ فارقَ اليومَ أَهْلَهُ (٥)

وَقَالَ جَزْءُ بنُ ضِرار فى عُثْمانَ بنِ عَفَّانَ (٦) :

أَبَعْدَ قَتِيلٍ بالمَدِينَةِ أَصْبَحَتْ　　له الأَرْضُ تَهْتَزُّ العِضَاهُ بأَسْؤُقِ (٧)

---

(١) ديوانه ص ١٠ .

(٢) ديوانه ١٥٦ .

(٣) حارث الجولان : جبل بالشام ، وفى ديوانه « موحش متضائل » .

(٤) سقط اسم الشاعر من الأصل ، وهذا شطر بيت لأبى قطيفة وهو : عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط ويكنى أبا الوليد ، وأبو قطيفة لقب غلب عليه ، من شعراء قريش ، يكثر القول فى الحنين إلى وطنه بالمدينة لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من أخرج من بنى أميّة ونفاهم إلى الشام « المؤتلف والمختلف ص ٦٧ ، والأغانى – دار الكتب – ١ : ١٢ » .

(٥) البيت فى الأغانى بروايتين مختلفتين ، أولاهما :

بَكَى أُحُدُ لَمَّا تحمَّل أهلُه　　فكيف بِذى وَجْدٍ من القَوْمِ آلِفِ

والثانية :

بَكَى أُحُدٌ لما تحمَّل أَهْلُـه　　فسَلْعٌ فدار المال أَمْسَتْ تصَدَّعُ

(٦) هو جزء بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وهو أخو الشمّاخ وهم ثلاثة أخوة من أب وأم كلهم شعراء « الشَّماخ ومُزَرِّد وجَزء » « الأغانى ٨ : ٩٧ » .

(٧) كذا فى الأصل ، وفى ديوان الشماخ وباقى المراجع : « أظلمت له الأرض » . والبيت فى ملحق ديوان الشماخ بن ضرار مع الشعر المختلف فى نِسبَتِهِ إليه ، وانظر تخريجه هناك ص ٤٤٩ ، وقيل إنه فى عمر بن الخطاب .

« العِضاهُ » جَمْعُ عِضَةٍ (١) ، وهِىَ كُلُّ شَجرةٍ ذاتِ شَوْكٍ ، و « أَسْؤُقٍ » جَمْعُ ساقٍ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ أختِ الوَلِيدِ بنِ طَرِيفٍ (٢) :

أيَا شَجَرَ الخَابُور مالَكَ مُورِقًا ... كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ على ابنِ طَرِيفِ

ولِهَذَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ (٣) :

لَبُدِلَتِ الأَشْيَاءُ حَتَّى لَخِلْتُهَا ... سَتَثْنِى غُروبَ الشَّمْسِ من حَيْثُ تَطْلُعُ

وقال البُحْتُرِىُّ (٤) :

حَالَتْ يَدُ الأَشْياءِ عن حالَاتِها ... فالحُزْنُ حِلٌّ والعَزاءُ حَرَامُ

وقَالَ أَيْضا (٥) :

لَعَادَ النَّهارُ الضَّوءُ جَوْنًا كَأَنَّمَا ... تَجَلَّلهُ من مُصْمَتِ اللَّيلِ فاحِمُهْ (٦)

مُصَابٌ كأَنَّ الجَوَّ يُمْنَى بِعُظْمِهِ (٧) ... فَمَا يَنْجَلِى فى نَاظِرِ العَيْنِ قاتِمُهْ

ونرجِعُ إلى الاستعارةِ ، قال أبو تَمَامٍ (٨) :

/ أإدريسُ ضَاعَ المَجْدُ بَعْدَكَ كُلُّه ... ورأىُ الذى يَرْجُوه بَعْدَكَ أَضْيَعُ ٢١

---

(١) فى اللسان « الواحدةِ عِضاهة وعِضهة ، وعِضَهٌ ، وعِضَةٌ ، أصلها : « عِضْهَةٌ » ، قال الجوهرى : فى عِضَةٍ تُحذَفُ الهاءُ الأصلَية كما تحذف من الشفة ، وترد الهاء فى الجمع والتصغير والنسب » .

(٢) البيت فى العقد ٣ : ٢٦٩ ومجموعة المعانى ١١٩ ، ومحاضرات الأدباء ٢ : ٥١٧ ، وابن خلكان ٦ : ٣٢ ، وحماسة البحترى ٤٣٥ .

(٣) ديوانه ٣ : ٣١٢ والتبريزى ٤ : ٩٢ وفيهما « تبدلت » .

(٤) ديوانه ٣ : ١٩٤٧ .

(٥) ديوانه ٣ : ١٩٥٠ .

(٦) ديوانه : « فعاد النهار الجون » والجَوْن : الأسود .

(٧) ديوانه : « كأن الجو يُعْنَى بِبَعْضِهِ » .

(٨) ديوانه ٣ : ٣١٢ والتبريزى ٤ : ٩٢ ، والمرثى هو إدريس بن بدر القرشى عم على بن الجهم الشاعر « ديوانه » .

وأصبحتِ الأحزانُ لا لِمَبَرَّةٍ  تُسَلِّمُ شَزْرًا والمَعالِى تُودَّع

وتسليم الأحزانِ شَزْرًا من كلامِ الطُّومِىِّ[١] .

وقَالَ البُحْتُرِىُّ[٢] :

سَكَنُ العُلَى أوْدى فَهُنَّ ثواكِلُ  وأبو العُفَاة ثَوى فَهُمْ أيْتَامُ

« الأيتام » هَاهُنَا أشْبَهُ مِنْ قَوْلِ أبى تَمَّام[٣] :

وتكفَّلَ الأيْتَامَ عَنْ أبائِهِمْ  حَتَّى وَدِدْنا أنَّنا أيْتَامُ

وإنَّما أخذَ أبو تمَّامٍ هَذَا مِن قَوْل أبى دَهْبَل[٤] :

مازِلْتَ فى العَفْوِ للذُّنُوبِ وإطـ  ـلاقِ لعانٍ بجُرمِهِ غَلِقِ
حَتَّى تَمنَّى البُراةُ أنَّهُمُ  عِندكَ أمْسَوا فى القَدِّ والحَلَقِ

* * *

(١) لم أعرفها ولعلها الطمطمىّ : وهو الأعجم الذى لا يفصح .

(٢) ديوانه ٣ : ١٩٤٦ .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٧٥ والتبريزى ٣ : ١٥٣ .

(٤) سبق فى ص ٥٢ من هذا الجزء .

## ذكر الخيل والسلاح وقبحها بعد الميت وبكائها عليه

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ[1]:

وَقَدْ كَانَتْ البِيضُ المَبَاتِيرُ فى الوَغى بَوَاتِرَ فَهِىَ الآنَ من بَعْدِه بُتْرُ

يُرِيدُ بِقَوْلِه : « بُتْرٌ » أى لَيْسَت لها أَيدٍ تَصِلُها وتَضْرِبُ بِهَا .

وَقَالَ[2]:

لَئِنْ عَمَّ ثُكْلا كُلَّ شىءٍ مُصَابُهُ لَقَدْ خصَّ أطْرافَ السُّيوفِ الصَّوارِمِ

وَقَالَ[3]:

للسَّيْفِ بَعْدَك حُرْقَةٌ وعَوِيلُ وَعَلَيْك للمَجْدِ التَّلِيدِ غَلِيلُ

وحُرْقَةُ السَّيْفِ استعارَةٌ فيها استقصاءٌ ، ولَوْ قَالَ : بكى السَّيْفُ ، أو : لِيبْكِ السَّيفُ ، لكَانَت استَعارةً مأْلُوفَةً معتَادَةً .

وقَدْ قَالَ ابنُ هَرْمَة[4]:

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٠٣ والتبريزى ٤ : ٨٣ ، وفيهما « المآثير » .

(٢) ديوانه ٣ : ٣٥١ والتبريزى ٤ : ١٣٣ .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٢٢ والتبريزى ٤ : ١٠٢ .

(٤) لم أجد البيت فى ديوانه المجموع ونسبه أستاذنا عبد السلام هارون - رَحِمهُ الله - إلى ليلى الأخيلية ، إذ جاء فى الحماسية رقم ٧٠١ بشرح المرزوق دون نسبة مع بيتين فى فخر « الأخايل » رهط =

تَبْكِي السُّيوفُ إذا فَقَدن أُكفَّنَا جَزَعًا وتَعْلَمُنَا الرِّفَاقُ بُحورَا

فاسْتقصَى بِقَوْلِه : « جَزَعًا » .

وَقَالَ كَعْبُ بنُ سَعْدٍ الغَنَوِيّ (١) :

لتَبْكِكَ أرماحٌ شَهِدْنَ [بكَ] الوغى فأُبْنَ ولَمْ تُخْضَبْ لَهُنَّ كُعوبُ (٢)

وَقَال الخُرَيْمِيُّ (٣) :

وإنَّ مَصَالِيتَ السُّيوفِ تَضاءَلَتْ وسُمْرُ القَنَا قَدْ أصبَحتْ وَهْى خُشَّعُ

وَقَالَ البُحْتُرِيُّ (٤) :

سَتَبكيه عَيْنٌ لا تَرى الجُودَ بَعْدَه إذا غَاضَ مِنْها هامِلٌ عاد هَامِلُ (٥)

وَتعْلَمُ جُرْدُ الخَيْلِ أنْ لَيْسَ فَارِسٌ سِواه ، وسُمْرُ الخَطِّ أنْ لَيْس حامِلُ (٦)

---

= ليلى الأخيلية ، والبيت الأول منها ورد فى اللسان منسوبا إلى ليلى الأخيلية ، وجاء بيتان منها فى الأغانى أنشدهما الحجاج عندما دخلت عليه ليلى الأخيلية « الأغانى ١٠ : ٧٩ ، وفيه « تبكى الرماح ... » واللسان مادة « خيل » ، وزهر الأداب ٢ : ٩٣٨ ، ومعجم الشعراء ٢٣٢ » ، وقيل إن هذه الأبيات لجدها كعب بن حذيفة .

(١) كعب بن سعد بن عمرو بن عقبة بن عوف بن رفاعة الغنوى : يقال له كعب الأمثال لكثرة مافى شعره من الأمثال ومرثيته التى أولها :

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الشرابَ طبيب

إحدى مراثى العرب المشهورة ، يرثى بها أخاه المغوار ، وكان خرج بأخيه من المدن إلى البادية لمرض كان بالمدينة « معجم الشعراء ٢٢٨ ، ابن سلام ١ : ٢١٢ والهامش ، والأصمعيات ص ٩٣ وانظر تخريجه للقصيدة فى الهامش » .

(٢) فى الأصل : ( شهدن الوغى ) ، ولم يرد البيت فى القصيدة المشهورة التى رثى بها أخاه ، ولم أجده فى كل المصادر التى روتها .

(٣) لم أجد البيت ، ويبدو أنه من قصيدته التى رثى فيها أبا الهيذام « الأغانى ١٨ : ١١٤ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٤٨ وديوان المعانى ٢ : ١٧٥ » .

(٤) ديوانه ٣ : ١٧٢٩ .

(٥) ديوانه « إذا فاض » .

(٦) ديوانه « أن ليس راكب سواه » .

جَعَل للخَيْلِ والرِّمَاحِ عِلْمًا ، وقد تَقَدَّم النَّاسُ فى مِثل هَذَا ، قَالَ النَّابِغَةُ (١) :

والخَيْلَ تَعْلَمُ أَنَّا فى تَجَاوُلِنَا ... يَوْمَ الحِفَاظِ أُولو بأْسٍ وإنْعامِ

وقَالَ ابنُ هَرْمَة (٢) :

وقد عَلِمَ المَعْرُوفُ أَنَّك خِدْنَهُ ... ويَعْلَمُ هَذَا الجُوعُ أَنَّك قاتِلُهْ

وَقَالَ مُسْلِمُ بنُ الولِيدِ (٣) :

سَخُنَتْ أعيُنُ الجِيادِ عَلَيْهِ ... وَبَكَا بَعْدَه القَنَا والصَّفِيحُ

وَيْحَها أَدَرَتْ عَلَى مَنْ تَنُوحُ ... أَقَرِيحٌ فؤَادُها أم صَحِيحُ

جَبَلٌ أطبَقوا عَلَيْه بِجُرْجَا ... نَ ضَرِيحًا ماذا أجَنَّ ضَرِيحُ

وهَذَا أَجْوَدُ مِن كُلِّ مَامَضَى .

* * *

(١) ديوانه ص ١٣٥ وفيه :

« ................ فى تجاولنا ... عند الطعان أولو بُؤْسٍ وإنعام »

(٢) ديوانه المجموع ص ١٧٥ ، وفى الأصل : « هذا الجود » ولا يستقيم المعنى وقد صححتها من ديوانه ومن الأغانى ٤ : ٣٨٥ .

(٣) لم ترد هذه الأبيات فى ديوان مسلم ، ووجدتها فى أخبار الشعراء المحدثين للصولى منسوبة لأشجع السلمى يرثى أحمد بن زيد السلمى ص ١٥٨ ، والثانى والثالث فى الأغانى ١٧ : ٤٤ ، ومعاهد التنصيص ٤ : ٧٤ .

## ذكر انقطاع الرجاء والأمل من الطالبين وتركهم للرحيل والطلب

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ[1]:

تُوُفِّيتِ الآمالُ بَعْدَ مُحمَّدٍ ... وأصبَحَ فى شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفْرُ
أَلَا فى سَبِيلِ اللهِ مَنْ عُطِّلَتْ لَهُ ... فِجَاجُ سبيلِ اللهِ وانْثَغَرَ الثَّغْرُ

أَخَذَ هَذَا المَعْنَى مِن قَوْلِ مُسْلِم بنِ الوَلِيدِ[2]:

نَفَضَتْ بِكَ الأَيَّامُ أَحْلاسَ المُنَى ... واسترْجَعَتْ نُزَّاعَها الأَمْصَارُ

وَقَالَ البُحتُرِىّ فى مِثْلِ ذَلِكَ[3]:

خَبَرٌ ثَنَى رُكَبَ الرِّكَابِ فَلَمْ يَدَعْ ... لِلرَّكْبِ وجْهَ تَرَحُّلٍ فأَقَامُوا

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ[4]:

أَظْلَمَتِ الآمَالُ مِنْ بَعْدِهِ ... وعُرِّيَتْ من كُلِّ حُسْنٍ وطِيبِ

---

(١) ديوانه ١ : ٢٩٥ والتبريزى ٤ : ٨٠ وقد سبقا فى ١ : ٨٠ .

(٢) ديوانه ص ٣١٣ وفيه « أحلاس الغِنَى » . وقد سبق فى ١ : ٨٠ وروى هناك : « نفضت بك الأحلاس نفض إقامة » .

(٣) ديوانه ٣ : ١٩٤٥ .

(٤) ديوانه ٣ : ٢٥٩ ، التبريزى ٤ : ٤٨ .

كَانَتْ خُدودًا صُقِلَتْ بُرْهَةً  فاليومَ صارَتْ مألَفًا للشُّحُوبِ

فَيَاوَيْحَهُ ! ضَاقَتْ المَعانِى والاستعاراتُ الحَسَنة حَتَّى جَعَل للآمالِ خُدودًا مَصْقُولَةً وشَاحِبَةً .

/ وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بن أبى الشِّيصِ فى هَذَا المَعْنَى – وأظنُّ أباه إنَّما كُنِىَ ، لأنَّه كَانَ شِيصَ[1] الشعراءِ فى وَقْتِهِ ، وكَانَ يقْفُو مَذْهَبَ أبى تَمَّامٍ[2] –: ٢٢

قَدْ هُدِّمَتْ قُبَّةُ[3] آمالِى  وَأجْتُثَّ فَرْعُ الشَّرَفِ العَالِى

لا رحلةٌ بَعْدَ أبِى جَعْفَرٍ  أيقَن بالرَّاحـةِ أجْمَالِـى

فَذَكَر أنّ قُبَّةَ آمالِهِ قَدْ انهدَمَتْ ، ولا يُنْكَرُ لَعبد اللهِ مِثْلُ هذهِ الاستعارةِ ، فَلَيْسَ أبو العذافِرِ[4] بأشعَرَ مِنْهُ إذ يَقُولُ :

بَاضَ الهوى فِى فُؤَادِى  وفَـــرَّخَ التَّذْكَـــارُ[5]

ولا الذى يَقُولُ – وأنْشَدَهُ أبُو العَنْبَسِ[6] –:

---

(١) الشِّيص : ردىء التمر ، وَشيَّص فلان النّاس ، إذا عذبهم بالأذى ، وقد سبقت ترجمة أبى الشيص ص ٦٢ ، أما ابنه عبد الله ، فقد كان صالح الشعر ، منقطعا إلى محمد بن طالب ، وكان يرى أنه أشعر الناس ، غلبت عليه السوداء ، « طبقات ابن المعتز ٣٦٤ ، أخبار أبى تمّام ٢٧٨ ، الأغانى الدار ١٦ : ٤٠٠ ، تاريخ بغداد ١٠ : ٦٤ » .

(٢) لم أقف على البيتين .

(٣) فى الأصل « قبلة » وكتب الناسخ فوقها « قبة » .

(٤) أبو العذافر : هو ورد بن سعد العَمِى ، نسبة إلى عمم ، وهو عدى بن نمارة بن لخم ، لقيه دعبل ، بصرى صالح الشعر ، إتصل بعلى بن ماهان ، أحد الولاة فى عهد الرشد ، وصحبه إلى خراسان « الورقة ص ٣ ، معجم الشعراء فيمن غلبت كنيته على اسمه ، الموشح ص ٤٣٨ » .

(٥) الورقة ص ٥ ، والموشح ص ١٩٦ .

(٦) أبو العنبس الصَّيمرىّ : محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمرى ، والعنبس من أسماء الأسد ، نديم المتوكل والمعتمد العباسيين ، كان أحد الأدباء الملحاء ، عارفا بالنجوم ، شاعرا هجّاءً خبيث اللسان ، ولى قضاء الصيمرة فنسب إليها ، توفى سنة ٢٧٥ ودفن فى الكوفة « معجم الأدباء ١٨ : ٨ ، تاريخ بغداد ١ : ٢٣٨ » . والبيتان وردا فى الموشح ص ١٩٦ والورقة ص ٥

ضِرامُ الحُبِّ عَشْعَشَ فِي فُؤادِي ... وحَضَّن فَوْقَه طَيْرُ البعـــادِ (١)
وأنْبَذتُ الهوى فى دَنِّ قَلْبِى ... فَعَرْبَدَتِ الهموم عَلَى فُؤادِى (٢)

فَياوَيْحَ الطائىِّ ! أَمَا كَفاهُ مِنْ هَذا المَعْنَى ماحَذاه على حَذْوِ مُسْلِم حَتَّى جَاءَ بهذا التَّخْلِيطِ !؟.

ولله دَرُّ مُسْلِمِ بنِ الوليدِ إذ قَالَ فِي الفَضْلِ بنِ سَهْلٍ ذِى الرِّياستين (٣) :

ثَوَى وثَوَتْ عِيسُ الفَلاة مُناخَةً ... بِكُلِّ سَبِيلٍ مَالَهُنَّ سَبِيلُ (٤)
خَلِيلَىَّ مَالِى فِي سَرَخْسَ تَئِيَّةٌ (٥) ... عَلَى جَدَثٍ فيه السَّماحُ قَتِيلُ

وَقَالَ مَرْوانُ بنُ أبى حَفْصَةَ (٦) :

أَقَمْنَا بالمدِينَةِ بَعْدَ مَعْنٍ ... مُقَامًـــا مانُرِيـــدُ بِهِ زِيَـــالا (٧)
وقُلْنَا أيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ ... وقَدْ ذَهَبَ النَّــوَالُ فَلَا نَوَالا (٨)

---

(١) فى الأصل : « صرّار » والتصحيح من الورقة والموشح .

(٢) فى الورقة والموشح : « وأنبذ للهوى » .

(٣) الفضل بن سهل بن عبد الله ، أبو العباس الملقب « ذا الرِّياستين » كان من أولادِ ملوك العجم وأسلم أبوه سهل فى أيام هارون الرشيد ، ويقال إن الفضل هو الذى أسلم على يد المأمون ، وكان مجوسيا ، وصحبه قبل أن يلى الخلافة فلمّا وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معا ، فكان يلقب بذى الرياستين « الحرب والسياسة » مولده ووفاته فى سَرَخْس بخراسانَ ، كان أكرمَ الناس عهدا ، وأحسنَهم وفاءً ووُداً ، وأجزلَهم عطاء وبذلا ، وأبلغَهم لِسانا ، وأكْتَبَهم يدا « وفيات الأعيان ٤ : ٤١ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٣٣٩ ، الوزراء والكتاب ص ٢٣١ » .

(٤) لم أجدهما فى ديوانه ولم أقف عليهما .

(٥) سَرْخَس : بفتح أوّله وسكون ثانيه وفتح الخاء المعجمة ، ويقال سَرَخْس بالتحريك ، والأوّل أكثر « مدينة قديمة من نواحى خراسان كبيرة واسعة ، وهى بين نيسابور ومرو فى وسط الطريق « معجم البلدان » وتئيّة : أى تلبّث ومكث .

(٦) ديوانه المجموع ص ٨٣ .

(٧) فى ديوانه :

أقمنا باليمامة إذ يئسنا ... مقاما لانريد له زيالا

(٨) ديوانه : « أين نرحل » .

وَهَذا وإن كَانَ غَايةً فى مَرْثِيَّةِ المَيِّتِ ، فهو خَطأٌ من جِهَةِ الشِعْرِ ، لأنّ مَرْوان دَخل على المَهْدِىِّ فى جُمْلَةِ الشُّعراءِ فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ القَائِلَ فِى مَعْنٍ :

وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالَا ؟

اذْهَبْ فَلَا شىءَ لَكَ عِنْدَنا ، وحُجِبَ مروان عَنْهُ بُرْهَةً مِن الزَّمانِ حَتَّى عَمِل هَذِهِ القَصِيدَةَ (١) :

طَرَقَتْكَ زائِرةٌ فحىِّ خَيَالَها

وَتلَطَّفَ فى الوُصول فأَنْشَدهُ فحِظَى مِنْه بما لم يَحْظَ به شَاعِرٌ قَطُّ مِنْه ولا من غَيْرِه .

وَقَدْ سَبَقَ النَّابِغَةُ إلى هَذَا المَعْنَى فَقَالَ (٢) :

فإنْ يَهْلِكِ النُّعمانُ تَعْرَ مَطِيَّةٌ  وتُخْبَأُ فِى جَوف العِيَاب قُطُوعُها

وَقَالَ البُحتُرىُّ فى نَحْوِ هَذَا (٣) :

من يَعْتَفِى العَافِى بِهِمَّتِهِ ، وَمَنْ  يَحْدُو إلَيْه المُعْتِمُ المُعْتَامُ

وَقَالَ (٤) :

---

(١) ديوانه : ص ٩٦ وعجزه :

« بَيْضَاء تخلطُ بالحَيَاءِ دَلَالَها »

(٢) البيت فى ديوانه ص ٥٨ ورواية عجزه فيه :

« ويلق إلى جنب الفناء قطوعها »

« تَعْرَ مطيّةٌ » : تصبح بلا رحل . « العِيابُ » : جمع العيبة وهو وعاء من أدم يكون فيها المتاع . القطوع جمع قطع : وهى الطنفسة نكون تحت الرَّحْلِ على كتفى البعير .

(٣) ديوانه ٣ : ١٩٤٥ – « المعتم » : السائر فى الليل ، « المُعْتَام » : الذى يختار العِيمة « بكسر العين » وهى خيار المال .

(٤) ديوانه ٣ : ١٩٤٦ ، وفيه « أسفا عليه » .

أَسَفِى عَلَيْكَ لآسِيفِ بَيْنَ القَنَا    أَسْوانَ تُعْذَلُ خَيْلُهُ وتُلامُ
ولمُجْتَدٍ رجعَتْ يَدَاهُ بِلَا جَدًا    أَعْيَا عَلَيْهِ البَذْلُ والإنْعامُ

وَقَالَ[1] :

سَتَبْكِيهِ عَيْنٌ لَاتَرَى الجُودَ بَعْدَه    إذَا فَاضَ مِنْها هامِلٌ عَاد هامِلُ

وَهَذا مَعْنَى كَثِيرا[2] ماتَذْكُره العَرَبُ وتكرِّرُهُ فى مَرَاثِيهَا ، ومِن ذَلِكَ قَوْلُ أَوْسِ[3] ابن حَجَرٍ :

لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ والمُدَامَةُ والـ    ـفِتْيَانُ طُرًّا وطَامِعٌ طَمِعا
وذَاتُ هِدْمٍ عَارٍ نَواشِرُها    تُصْمِتُ بالمَاءِ تَوْلَبًا جَدِعَا

* * *

(١) ديوانه ٣ : ١٧٢٩ .

(٢) فى الأصل : « كثيرا مما » .

(٣) ديوانه : ٥٥ ، والكامل : ٤ : ٣٨ والأمالى ٣ : ٣٥ يرثى أبا دجالة فضالة بن كلدة أحد بنى أسد بن خزيمة .

## ذكر ذهاب الحزن على الهالك بعده

قال الْبُحْتُرِىُّ [1] :

دَعِ الْمَوْتَ يَغْتَلْ مَنْ أَرَادَ فإِنَّهُ ... ثَوَى اليوْمَ مَنْ تُخْشَى عَلَيْهِ الغَوَائِلُ

وَلَمْ يَبْقَ مَرْهُوبٌ يُخَافُ شَذَاتُهُ [2] ... وَلَا مُفْضِلٌ تُرْجَى لَدَيْهِ الْفَوَاضِلُ

قَوْلُهُ : « دَعِ الموتَ يغتلْ مَنْ أَرَادَ » مِنْ قَوْلِ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةِ [3] :

فَآلَيْتُ أبكى بَعْدَ تَوْبَةَ هَالِكًا ... وَأَحْفِلُ مَنْ غَالَتْ صُرُوفُ المَقَادِرِ

وَأَنْشَدَ الطَّائِىُّ فِى الْحَمَاسَةِ [4] :

فَأَقْسَمْتُ لَا آسَى عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ ... قَدِى الآنَ مِنْ وَجدٍ عَلَى هَالِكٍ قَدِى

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٢٧ ولم ترد فى هذه النسخة أبيات لأبى تمّام فى هذا المعنى ، وقد راجعت مراثيه ولم أجد فيها هذا المعنى ، والآمدى ينبه على هذا كما فعل فى « وصف الحرب فى البحر » وربما سقط التعليق من النسخة .

(٢) الشذاة : الحدّة .

(٣) البيت فى حماسة البحترى ص ٤٢٤ والأغانى الدار ١١ : ٢٣١ .

وتوبة : هو توبة بن الحميّر بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل « الاشتقاق ص ٢٩٩ والأغانى ١١ : ٢٠٤ ، وجمهرة الأنساب ص ٢٩١ ، وسمط اللآلىء ص ١٢٠ » ، وفى الأغانى وحماسة البحترى « فأقسمت » « وأحفل من نالت ... » .

وآليت أبكى : أى آليت لا أبكى .

(٤) الحماسة لأبى تمّام تحقيق د . عبد الله عسيلان ، ورد البيت فى موضعين الحماسية ٣٠٣ ، =

وَقَالَ العُجَيْرُ السَّلُولِىُّ[(١)] :

أَلَا لِيَمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا    عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حَذَارِيَا[(٢)]

وَقَالَ مُطِيعُ بنُ إِياسٍ[(٣)] فى يَحْيَىٰ بنِ زِيَادٍ :

أَقُولُ لِلْمَوْتِ حِينَ بَادَهَنِى    وَالْمَوْتُ نَزَّالَةٌ عَلَىٰ الْبُهَمِ[(٤)]

/ لَوْ قَدْ تَدَبَّرْتَ مَنْ فُجِعْتَ بِهِ[(٥)]    قَرَعْتَ سِنًّا عَلَيْهِ مِنْ نَدَمِ

فَاذهَبْ بِمَنْ شِئْتَ إِذْ ذَهَبْتَ بِهِ    مَابَعْدَ يَحْيَىٰ لِلرُّزْءِ مِنْ أَلَمِ[(٦)]

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ[(٧)]:

---

= ٣٨٣ ونسبت فى التخريج إلى الرُّقَيْع بن عُبَيْد الأسدى « شاعر والبى أسدى إسلامى فى زمن معاوية رضى الله عنه » تاج العروس « رقع » ، وقال أسامة بن منقذ فى لباب الآداب ص ٤٠٨ « وقال رُقيع بن عُبَيْد بن صَيفِىّ الأسدى ، يرثى أخاه صيفيا وابنَ أخيه معبدا » وأنشد أبياتا بينها هذا البيت ، وانظر شرحى الحماسة للمرزوق « الحماسية ٣٠٢ ، ٣٨٢ » والتبريزى « ٢ : ١٨٣ ، ٣ : ٥٧ » .

(١) العُجَيْرُ السَّلُولِىُّ : العُجَيْرُ لقبٌ له ، واسمه عُمَيْرُ بن عبد الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول ، والعُجَيْرُ شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية ، وكان يكنى أبا الفرزدق ، جعله محمد بن سلام فى طبقة أبى زبيد الطائى ، وهى الخامسة من طبقات شعراء الإسلام . « طبقات فحول الشعراء ٢ : ٦١٥ ، المؤتلف والمختلف ص ٢٥٠ ، الأغانى ١١ : ١٤٦ » .

(٢) شرح المرزوق للحماسة ، الحماسية ٣٠٧ ، ومحاضرات الأدباء ٢ : ٥١١ ، ومجموعة المعانى ص ١١٧ ولم ينسب فيها كلها .

(٣) مُطِيعُ بن إياس الكنانى ، شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، كان ظريفا خليعا ، حلو العشرة ، مليح النادرة ماجنا ، متهما فى دينة بالزندقة ، مولده ومنشؤه بالكوفة ، وولاه المهدى العباسى الصدقات بالبصرة فتوفى فيها « الأغانى ١٢ : ٧٥ ، معجم الشعراء ٤٥٤ ، تاريخ بغداد ١٣ : ٢٢٥ » .

(٤) فى أمالى المرتضى :

أنظر إلى الموت كيف بَادَهَهُ    والموت مِقْدَامَةٌ عَلَىٰ البُهَمِ

وفى تاريخ بغداد :    انظر إلى الموت حين بادهه

(٥) تاريخ بغداد ١٤ : ١٠٧ « ما سعيت به » وأمالى المرتضى « ماصنعت به » .

(٦) ورد هذا البيت فى وفيات الأعيان ٦ : ٣٣٨ .

(٧) شرح حماسة أبى تمّام للمرزوق الحماسية ٢٨٢ ، وأمالى المُرْتضى ١ : ١٣٥ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٤٦٩ ، وفيها جميعا :    فإن تك قد فارقتنا وتركتنا

وفى الأصل : « من طمع » وهو خطأ .

لَئِنْ كُنْتَ قَدْ خَلَّفْتَنَا وَتَرَكْتَنَا ... ذَوِىْ خَلَّةٍ مَافِى انْسِدَادٍ لَهَا طَمَعْ
لقدْ جَرَّ نَفْعًا فَقْدُنَا لَكَ أَنَّنا ... أَمِنَّا عَلَىٰ كُلِّ الرَّزَايَا مِنَ الْجَزَعْ

وَقَالَ مَروانُ فِى مَعْنٍ[1]:

لَقَدْ عَزَّىٰ رَبيعةَ أَنَّ يَوْمًا ... عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَايعُودُ

وَقَالَ البُحْتُرِىّ[2]:

تَنكَّرَ العَيْشُ حَتَّىٰ صَارَ أَكْدَرُهُ ... يَأْتِى نِظَامًا وَيَأْتِى صَفْوُهُ لُمَعَا
وَآنَسَتْ مِنْ خُطُوبِ الدَّهْرِ كَثْرَتُهَا ... فَلَيْسَ يُرْتَاعُ مِنْ خَطْبٍ إذا وَقَعَا[3]

* * *

(١) هو مَروانُ بنُ أبى حَفْصَةَ ، ولم يرد البيت فى ديوانه المجموع ، وروى ضمن قصيدة لمسلم بن الوليد فى ديوانه ص ١٤٧ ، وقد اُخْتُلِفَ فى نسبة هذه القصيدة ، ورُجِّحَ أنها للتيمىّ عبد الله بن أيوب ، وهذا البيت هو آخر أبيات القصيدة ، انظر : الأمالى ٢ : ٨٤ ، وفيات الأعيان ٦ : ٣٣٨ ، الأغانى ١٨ : ١١٧ ، العقد الفريد ٣ : ٢٩٥ ، تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١٨٥ ، وانظر ص ٤٨٣ هـ (٥) .

(٢) ديوانه ٢ : ١٣٢٥ .

(٣) ديوانه : « إذا طلعا » .

## ذكر الكفن والنعش وتشييعه وترك الميت في حفرته والانصراف عنه

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ[1] :

ثَوَىٰ فِي الثَّرَىٰ مَنْ كَانَ يَحْيَىٰ بِهِ الثَّرَىٰ ... وَيَغْمُرُ صَرْفَ الدَّهْرِ نَائِلُهُ الغَمْرُ

مَضَىٰ طَاهِرَ الأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ ... غَدَاةَ ثَوَىٰ إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرٌ[2]

قوله : « إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرٌ » مِنْ أَلْفَاظِهِ المَوْضُوعَةِ فى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ، ومازالَ النَّاسُ يَسْتَكْرِهُونَهَا ، لأَنَّهُ جَعَلَهَا فِي مَوْضِعِ « وَدَّتْ » ، وأنتَ لَاتقولُ : « أَشْتَهِي أَنِّي قَدَرْتُ » ، وَإِنَّمَا تَقُولُ : « أَوَدُّ أَنِّي قَدَرْتُ » ، وَلِلّٰهِ دَرُّ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ إِذْ يَقُولُ فِي مَرْثِيَّةِ الْمَهْدِيِّ[3] :

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٠٥ والتبريزى ٤ : ٨٤ وفيهما يتقدم الثانى على الأول .

(٢) كتب الناسخ فوق « بقعة » « روضة » وهى رواية التبريزى .

وقال أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمار فى رسالته إلى أبى موسى سليمان بن محمد النحوى فى خطأ أبى تمّام فى شعره تعليقًا على هذا البيت : « وهذه أرذل لفظة جعلت فى هذا الموضع ، واستعار ابن أبى حكيم هذا المعنى بلفظة حسنة فقال فى قصيدة يرثى بها عبد الله بن طاهر :

وَلَقَدْ دُفِنْتَ وَمَاعَلَيْهَا بُقْعَةٌ ... إِلَّا تَمَنَّىٰ أَنَّهَا لَكَ مَضْجَعُ »

« النظام حـ ٢ لوحة ٦٤ » .

(٣) لم أجد البيت فى ديوانه المجموع ولم أقف عليه بعد .

لَمَّا اسْتَبَانَ بِبَطْنِ مَكَّةَ هُلْكُهُ      حَنَّ التُّرَابُ إِلَيْهِ مِنْ بَطْحَائِهَا

وَفِيهَا يَقُولُ[١] :

لَوْ خُلِّدَتْ بَعْدَ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ      نَفْسٌ لَمَا فَرِحَتْ بِطُولِ بَقَائِهَا

وَقَالَ التَّيْمِىُّ [فِى] مَنْصُورِ بْنِ زِيَادٍ[٢] :

أَمَّا القُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسٌ      بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَالدِّيَارُ قُبُورُ

وَقَالَ [ عَبْدُ الملِكِ بنُ عبدِ الرَّحيمِ الحَارِثى ][٣] :

إِنِّى لِأَرْبَابِ الْقُبُورِ لَغَابِطٌ      لِسُكْنَى سَعِيدٍ وَسْطَ أَهْلِ الْمَقَابِرِ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ[٤] :

رَاحَتْ وُفُودُ الْأَرْضِ عَنْ قَبْرِهِ      فَارِغَةَ الْأَيْدِى مِلَاءَ الْقُلُوبِ

قَدْ عَلِمَتْ مَارُزِئَتْ إِنَّمَا      يُعْرَفُ فَقْدُ الشَّمْسِ بَعْدَ الْمَغِيبِ

---

(١) ورد هذا البيت فى تاريخ الطبرى « دار المعارف حوادث سنة ١٧٠ — ٨ : ٢٢٥ » وفيه « إنْ خُلِّدَتْ .... نَفْسى » .

(٢) فى الأصل : « وقال منصور بن زياد التيمى » والتصحيح من حماسة أبى تمّام للمرزوقى الحماسية ٣٢٧ ، ٢ : ٩٥٠ ، ومجموعة المعانى ص ١١٩ ، ونهاية الأرب للنويرى ٥ : ١٨٠ ، وفى العقد الفريد ٣ : ٢٩١ نسبت إلى مسلم بن الوليد ونسبت فى الكامل ٤ : ٢٩ إلى قطرب النحوى .

ومنصور بن زياد كاتب البرامكة ، وكانوا يثقون بمنصور وابنه محمد فى جميع أمورهم لقديم صحبته لهم وحرمته بهم ، قربه يحيى بن خالد بن برمك واختصه حتى كان الناس ربما توسلوا به فى حوائجهم « الطبرى حوادث سنة ١٧٦ ، ٨ : ٢٤٢ دار المعارف ، والشعر والشعراء ٨٥٤ ، الوزراء والكتاب للجهشيارى : انظر فهرسته » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل ، والبيت فى حماسة أبى تمّام شرح المرزوق « الحماسية ٢٩٠ ٢ : ٨٧٩ » ، وهو من قصيدة فى رثاء أخيه سعيد بن عبد الرحيم ، وفى الأصل : « سكنى » .

(٤) ديوانه ٣ : ٢٥٨ والتبريزى ٤ : ٤٧ .

وَهَذَا جيدٌ حسَنٌ ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ البُحْتُرِىّ [(١)] :

فَاذهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ بِسَاطِعِ نُورِهَا شَمْسُ النَّهَارِ وَأُعقب الإِظْلَامُ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ [(٢)] :

غَدَوْا فِى زَوَايَا نَعْشِهِ وَكَأَنَّمَا قُرَيْشٌ قُرَيْشٌ يَوْمَ مَاتَ مُجَمِّعُ [(٣)]
وَمَا أَنْسَ [(٤)] سَعْىَ الْجُودِ خلفَ سَرِيرِهِ بِأَكْسَفِ بَالٍ يَسْتَقِيمُ وَيَظْلَعُ
وَتَكْبِيرَهُ خَمْسًا عَلَيهِ مُعَالِنًا وَإِنْ كَانَ تَكْبِيرَ المُصَلِّينَ أَرْبَعُ [(٥)]
وَمَا كُنْتُ أَدْرِى – يَعْلَمُ اللهُ – قَبْلَهَا بِأَنَّ النَّدَىٰ فِى أَهْلِهِ يَتَشَيَّعُ

قَوْلُهُ : « وَكَأَنَّمَا قُرَيْشٌ قُرَيْشٌ يَوْمَ مَاتَ مُجَمِّعُ » مِنْ أَحْسَنِ مَعْنَىٰ وَأَجْوَدِهِ وَأَبْرَعِهِ .

وَأَمَّا سائرُ الأبياتِ فَقَد اختزلَ أبو تَمَّامٍ عَنْ مَعَانِيهَا مُسَاعِدَةً [(٦)] ، وَحَلَفَ أيضًا بِعِلْمِ اللهِ أَنَّهُ مَاعَلِمَ أَنَّ النَّدَىٰ يَتَشَيَّعُ حَتَّىٰ رَآهُ قَدْ كَبَّرَ عَلَىٰ إِدْرِيسَ بن بَدْرٍ خَمْسًا ، فَيَنْبَغِى أَنْ يُصَدَّقَ وَلَا يُرَدَّ قَوْلُهُ ، فَلَيْسَ مَحَلُّهُ مَحَلَّ مَنْ يَخْتَرِعُ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ كُلِّهِ كَذِبًا إِنْ شَاءَ اللهُ !!؟ .

---

(١) ديوانه ٣ : ١٩٤٧ .

(٢) ديوانه ٣ : ٣١٤ والتبريزى ٤ : ٩٥ .

(٣) المجمّع : هو قُصَىُّ بْنُ كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب لأنه جمعَ أَمْرَ قريش ، قال الشاعرُ :

أبونا قصى كَانَ يُدْعَىٰ مُجَمِّعًا بِهِ جَمَعَ اللهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

يقول : كَأَنَّ وَجْدَ قُرَيْشٍ بِهِ وَجْدُهُمْ بِمُجَمِّعٍ .

وفى ديوانه والتبريزى : « المجمع » .

(٤) ديوانه والتبريزى : « ولم أنس » .

(٥) قال التبريزىُّ « وجعل « أربعا » اسمَ كان وهو نكرة ، و « تكبيرَ المصلينَ » خبرًا وهو معرفة . وقد جاء ذلك عن الفصحاء » .

وقلتُ قال خداش بن زهير :

فإنك لاتبالى بعد حول أظبىٌّ كان أُمَّكَ أم حِمارُ

وانظر الكتاب لسيبويه ١ : ٢٣ ، والمقتضب للمبرد ٤ : ٩١ .

(٦) لم أفهم مراد الآمدى من هذه العبارة .

وَقَالَ الْبُحْتُرِيّ[(١)] :

سَلَا حِقْبَةً عَنْ صَاحِبِ الْجَيْشِ إِنَّهُ    أَقَامَ بِظَهْرِ الْكَرْخِ وَالْجَيْشُ رَاحِلُ[(٢)]
أَعَاقَتْهُ عَنْ ذَاكَ الْعَوَائِقُ ؟ أَمْ عَدَتْ    عَلَيْهِ الْعِدَىٰ ؟ أَمْ أَعْلَقَتْهُ الْحَبَائِلُ ؟

وَقَالَ[(٣)] :

عَجِبْتُ لِأَيْدٍ غَيَّبَتْهُ فَلَمْ تَصِرْ    رَمَائِمَ فِي حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ رَمَائِمُهْ[(٤)]
أَمَا وأَبِي النَّعْشِ الْخَفِيفِ لَقَدْ حَوَتْ    مَآخِيرُهُ ثِقْلَ الْعُلَىٰ وَمَقَادِمُهْ

وَهَذَا كُلُّهُ جَيِّدٌ .

* * *

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٢٨ .
(٢) ديوانه « خُفْيَةً » .
(٣) ديوانه ٣ : ١٩٥١ .
(٤) ديوانه « عَجِبْتُ لِأَيْدٍ أَحْدَرَتْهُ وَلَمْ تَعُدْ » .

## تعديدُ آبائه وذكرُ محاسنه

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ[(١)]:

وَمَا كَانَ يَدْرِى مُجْتَدِى يُسْرِ كَفِّهِ ... إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْعُسْرُ[(٢)]

/ وَمَا كَانَ إِلَّا مَالَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَىٰ وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ ٢٤

فَتًىٰ كَانَ عَذْبَ الرُّوحِ لَا مِنْ غَضَاضَةٍ ... وَلَكِنَّ كِبْرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبْرُ

وَحَسْبُكَ بِهَذَا حُسْنًا وَحَلَاوَةً .

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ[(٣)]:

تُعِزُّ ضِعَافَ النَّاسِ عِزَّةُ نَفْسِهِ ... وَتَقْطَعُ أَنْفَ الكِبْرِيَاءِ عَنِ الكِبْرِ

وَبَيْتُ أَبِى تَمَّامٍ أَجْوَدُ .

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ[(٤)]:

فَتًىٰ سِيطَ حُبُّ المَكْرُمَاتِ بِلَحْمِهِ ... وَخَامَرَهُ حُبُّ السَّمَاحِ وَبَاطِلُهْ[(٥)]

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٩٥ والتبريزى ٤ : ٨٠ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « مُجْتَدِى جُودِ كَفِّهِ » .

(٣) ديوانه ٢ : ٩٧٥ .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٢٧ والتبريزى ٤ : ١٠٩ .

(٥) ديوانه والتبريزى : « وخامره حق » و « سيط » من السوط : وهو خلط الشىء بعضه ببعض .

فَتًى جَاءَهُ مِقْدَارُهُ وَبُنَى الْعُلَى ... يَدَاهُ وَعَشْرُ الْمَكْرُمَاتِ أَنَامِلُهْ (١)

جَعَلَ يَدَيْهِ أبنيةَ العُلَى ، وإنما كان يجب أن يجعل يديه تَبْنِيَانِ العُلَى ، عَلَى مَاجَرَتْ بِهِ عاداتُ الشعراءِ فِى مِثْلِ هَذَا ، غيرَ أَنَّهُ أرادَ المبالغةَ ، فجعلَ يَدَيْهِ أَنْفسَهُمَا أبنيةَ العُلَى ، وَهَذَا مِنْ شِدَّةِ تَقَعُّرِهِ .

وأرادَ أنْ يقولَ : « وَالمَكْرُمَاتُ عَشْرُ أَنَامِلِهِ » وَهِىَ معروفةٌ ، فقالَ : « عَشْرُ الْمَكْرُمَاتِ » فجعلَ المكرماتِ عشرًا ، وَحَصرَهَا بهذا العددِ ، وَأَنَّهَا أَنَامِلُهُ ، وَالمكرماتُ غيرُ مَحْصِيَّةِ العددِ ، وَهَذَا قِلَّةُ حِيلَةٍ فِى اللّفظِ وَالنّظمِ .

وَقَالَ الْبُحْتُرِىّ (٢) :

أَحَقًّا بِأَنَّ اللَّيْثَ بَعْدَ ابْتِزَازِهِ ... نُفُوسَ الْعِدىٰ مِنْ شَاسِعٍ وَمُجَاوِرِ
مُخِلٌّ بِتَصْرِيفِ الْأَعِنَّةِ ، تَارِكٌ ... لِقَاءَ الزُّحُوفِ وَاقْتِيَادَ العَسَاكِرِ
وَمُنْصَرِفٌ عَنِ المَكَارِمِ وَالعُلَا ... وَقَدْ شَرَعَتْ فَوْتَ العُيُونِ النَّوَاظِرِ
كَأَنْ لَمْ يُنِفْ نَجْدَ المَعَالِى وَلَمْ تُغِرْ ... سَرَايَاهُ فِى أَرْضِ العَدُوِّ المُغَاوِرِ
وَلَمْ يَتَبَسَّمْ لِلْعَطَايَا فَتَنْبرِى ... مَوَاهِبُ أَمْثَالُ الْغُيُوثِ البَوَاكِرِ (٣)
وَلَمْ يَدَّرِعْ وَشْىَ الحَدِيدِ فَيَلْتَقِى ... عَلَىٰ شَائِكِ الأَنْيَابِ شَاكِى الْأَظَافِرِ (٤)
عَلَىٰ مَلِكٍ مَا انْفَكَّ شَمْسَ أَسِرَّةٍ ... تُعَارُ بِهِ ضَوْءًا وَبَدْرَ مَنَابِرِ

وَقَالَ (٥) :

وَلِىُّ هُدَىٰ سَفْرٍ إِلَىٰ الْمَوْتِ سَائِرٍ ... وَقَائِدُ زَحْفٍ لِلْخُطُوبِ مُقَاتِلِ (٦)

---

(١) ديوانه والتبريزى : « اثنتا العُلا » .
(٢) ديوانه ٢ : ٩٦٣ .
(٣) انظر ٣٣٠ هـ (١) .
(٤) فى الأصل : « لم أنفك » تحريف .
(٥) ديوانه ٣ : ١٨٦٠ .
(٦) ديوانه « إلى المجد سائر » .

يُؤَمَّلُ لِلْخَيْرِ الكَثِيرِ إِذَا نَبَتْ ... خَلَائِقُ أَصْحَابِ الْخُيُورِ الْقَلَائِلِ(١)
إِذَا طَلَعَتْ مِنْهُ شَذَاةٌ عَلَىٰ الْعِدَىٰ ... أَرَتْ أَنَّ بُغْثَ الطَّيْرِ صَيْدُ الْأَجَادِلِ
زعيمُ « بَنى ميكالَ »(٢) حيثُ تَكَامَلُوا ... وكانَ ابتداءَ النَّقْصِ فرطُ التَّكامُلِ

وقال أبو تمّامٍ(٣) فى خالدِ بنِ يزيدَ بنِ مزيدٍ :

تذكَّرْتُ خُضْرَةَ ذَاكَ الزَّمَانِ ... لَدَيْهِ وَضَجَّةَ ذَاكَ الفِنَاءِ(٤)
وَزُوَّارُهُ للعَطَايَا حُضُورٌ ... كَأَنَّ حُضُورَهُمُ لِلْعَطَاءِ

وممّا لايفى بِحُسْنِهِ وحلاوتِهِ وصحتِهِ شيءٌ قولُ حُسينِ بنِ مطيرٍ(٥) فى مَعْنٍ :

فَتًىٰ عِيشَ فى معروفِهِ بعدَ موتِهِ ... كَمَا كانَ بعدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا

* * *

---

(١) « الخيور » : جمع خير .

(٢) « بنو ميكال » : الشاه محمد بن ميكال وأبناؤه ، وكان من قواد المستعين والمعتز ومن تلاهما ، توفى سنة ٣٠٢ وأبناؤه عبد الله بن محمد وإسماعيل بن عبد الله بن محمد وهم الذين مدحهم ابن دريد بقصيدته المشهورة « المقصورة » « ابن خلكان ٤ : ٣٢٣ ، معجم الأدباء ٧ : ٥ ، شذرات الذهب ٢ : ٤١ » .

(٣) ديوانه ٣ : ٢٣٤ والتبريزى ٤ : ٢٦ .

(٤) ديوانه والتبريزى « وعمران ذاك الفناء » .

(٥) سبق فى ٣/٢٠٩ .

## ذكر القبور وأوصافها والدعاء بالسقيا لها

قال أبو تمّام[1] :

سَقَىٰ الغيثُ غيثًاوارتِ الأرضُ شَخْصَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلَا قَطْرُ
وكيفَ احتمالِى للسَّحابِ صَنِيعَةً بِإسقائِهَا قَبْرًا وَفِى لَحْدِهِ الْبَحْرُ

ذكر ابنُ أبى طاهر أنّ قولَهُ : « سَقَىٰ الغيثُ غيثًا » مِنْ قولِ شَقِيقِ ابْنِ السُّلَيْكِ العَامِرِىّ[2] :

« سَقَاكَ الغيثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثاً[3] »

وقولُهُ : « وكيفَ احتمالِى للسَّحابِ صنيعةً » ، يشبهُ قولَ آخر – ولستُ أَدْرِى أَيُّهُمَا أَقْدَمُ ؟ أَهُوَ أَمِ الطَّائِىُّ[4] – ؟ – :

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٠٤ والتبريزى ٤ : ٨٤ .

(٢) فى الأصل : « الغامدىّ » تحريف ، وشقيق بن السليك العامرى الأسدى شاعر إسلامى « الطبرى ٦ : ٣١٦ ، حماسة أبى تمام للتبريزى ٢ : ١٤١ ، والتشبيهات ١٠٧ ، نهاية الأرب ٢ : ٦٩ » .

(٣) سبق هذا الشطر فى ١ : ١٢١ .

(٤) البيتان نسبا فى الأشباه والنظائر لطريخ الثقفى ٢ : ٢٣٥ ، وهو شاعر الوليد بن يزيد الأموى عاش إلى أيام الهادى العباسى « الأغانى ٤ : ٣٠٢ الدار ، ومعجم الأدباء ١٢ : ٢٢ » وقد سبقا فى ١ : ٩٣ دون تخريج .

مَاكنتُ أَحْسَبُ أنّ بحرًا زاخرًا عمّ البريَّـــةَ كُلَّهـــا إِرْوَاءَ[1]
أَضْحَىٰ دفينًا فِى ذِراعٍ واحدٍ مِنْ بعدِ مَا مَلَكَ الفضاءَ فَضَاءَ[2]

وقال[3] :

لِلَحْدِ أَبِى نَصْرٍ تَحِيَّةُ مُزْنَةٍ إذا هِىَ حَيَّتْ مُمْعِرًا عَادَ مُمْرِعَا

« المُمْعِرُ » من الأرض الذى قد ذهبَ نباتُهُ ، وذلكَ من المَعَرِ ، وَهُوَ سُقُوطُ الشَّعْرِ .

وقال[4] :

يَاحُفْرَةَ المَعْصُومِ تُرْبُكِ مُودَعٌ ماءَ الحياةِ وقاتِلَ الإِعْدَامِ
إنَّ الصّفائحَ مِنْكِ قَدْ نُضِدَتْ عَلَىٰ مُلْقَىٰ عِظَامٍ لَوْ عَلِمْتِ عِظَامِ

وهذا جَيِّدٌ حَسَنٌ .

وقال[5] :

وَمَا يومُ زُرْتَ اللَّحْدَ يَوْمُكَ وَحْدَهُ عَلَيْنا وَلَكِنْ يَوْمُ عَمْرٍو وَحَاتِمِ
فكَمْ مُلْحِدٍ[6] فِى يومِ ذلكَ غَانِمٍ وَكَمْ مِنْبَرٍ فِى يومِ ذلكَ غارمِ

وقال[7] :

/ بَنِى مالكٍ قدْ نبَّهتْ خامِلَ الثَّرَىٰ قُبورٌ لَكُمْ مستشرفاتُ المَعَالِمِ

---

(١) الأشباه والنظائر « الدأداء » وهو الفضاء .
(٢) الأشباه والنظائر « من بعد ما ملأ الفضاء علاء » .
(٣) ديوانه ٣ : ٣١٩ والتبريزى ٤ : ٩٩ .
(٤) ديوانه ٢ : ٣٦٣ والتبريزى ٣ : ٢٠٣ .
(٥) ديوانه ٣ : ٣٥١ والتبريزى ٤ : ١٣٣ .
(٦) فى الأصل : « فكم ملحِد » بكسر الحاء ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى .
(٧) ديوانه ٣ : ٣٥٢ والتبريزى ٤ : ١٣٤ .

رواكد قِيسُ الكفِّ مِنْ مُتَنَاوِلٍ ... وفيها عُلًى لَاتُرْتَقَىٰ بالسَّلَالِمِ

وهذا إحسَانُهُ المشهورُ ، ولكنَّهُ أَفْسَدَهُ بِأَنْ قَالَ :

قَضَيْتُمْ حُقُوقَ الأرضِ منكُمْ بِأَعْظُمٍ ... عِظَامٍ قَضَتْ دهرًا حُقُوقَ المَقَاوِمِ

يريدُ : حقوقَ المقاماتِ التى قاموها عَلَىٰ الأرضِ ، وإنَّمَا كانَ يجبُ أنْ يجعلَهُ اعتدادًا للأرضِ ، لأنَّهَا ثَبَّتَتْ أقدامَهُمُ فِى تلكَ المقاوِمِ ، حَتَّىٰ يكونَ دفنُهُم فيهَا قضاءً لِحَقِّهَا ، لَا أنْ تكونَ هذِه العظامُ قضتْ حقَّ الأرضِ بثباتِهَا ، فإنّ هذا لَاشَىء للأرضِ فيهِ ، وَلَايعودُ عليهَا مِنْهُ جمالٌ إذا أَحْسَنُوا ، وَلَا قُبْحٌ إذا أساءُوا .

وقال[(١)] :

أَطْفَأَ اللَّحْدُ والثَّرَىٰ لُبَّكَ المُسْـ ... ـرَجَ فى وقتِ ظُلْمَةِ الألبابِ

وتَبَدَّلْتَ مَنْزِلًا ظاهِرَ الجَدْ ... بِ يُسَمَّىٰ مُقَطَّعَ الأسبابِ

وهذا ردىءٌ جِدًا .

وقال[(٢)] :

لايُبْعِدِ اللهُ مَلْحُودًا أقَـامَ بِهِ ... شخصُ الحِجَىٰ وسَقَاهُ الواحدُ الصَّمَدُ

ياصاحبَ القبرِ دَعْوَىٰ غَيْرِ مُتَّئِبٍ ... إنْ قالَ أَوْدَىٰ النَّدَىٰ والبدرُ والأَسَدُ

وهذا يرجعُ إلىٰ قولِ مُسْلِمٍ[(٣)]:

كَأَنَّ فِى سَرْجِهِ بدرًا وضِرْغَامَا

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٥٤ والتبريزى ٤ ٤٤ .

(٢) ديوانه ٣ : ٢٨٩ والتبريزى ٤ ٧٧ .

(٣) ديوان مُسْلِم ص ٦٥ وصدره :

تَمْضِى المَنَايَا كَمَا تَمْضِى أَسِنَّتُهُ

وقال البُحْتُرِيُّ (١) :

يَاصاحبَ الجدَثِ المُقِيم بِمَنْزِلٍ ... مَا للأنيسِ بِحُجْرَتَيْهِ مُقَامُ
قَبْرٌ تُكَسَّرُ فوقَهُ سُمْرُ القَنَا ... مِنْ لَوْعَةٍ ، وَتُشَقَّقُ الأَعْلَامُ
مَلْآنُ مِنْ كَرَمٍ وليسَ يَضُرُّهُ ... مَرُّ السَّحابِ عليهِ وهو جَهَامُ
بِيَ – لابغيرِي – حُفْرَةٌ مَحْفورةٌ ... لَكَ فى ثراها رِمَّةٌ (٢) وَعِظَامُ

قولُهُ : « ملآنُ مِنْ كَرَمٍ » بيتٌ فى غايةِ الحسنِ ، وَإِنَّمَا هُوَ محذوٌّ عَلَىٰ قولِ أبى تمّامٍ (٣) :

« وكيفَ احتمالِى للسَّحَابِ صنيعةً »

وإِنْ كانَ قدْ عدلَ عَنِ المعنىٰ عُدُولًا لطيفًا .

وقال (٤) :

سَقَىٰ اللهُ قبرًا لو يَشَاءُ تُرَابُهُ ... إِذًا سُقِيَتْ منهُ الغيومُ الهَوَاطِلُ
نَأَىٰ رَبُّهُ عَنَّا ، وأعرضَ دُونَهُ ... عَلَىٰ كُرْهِنا عَرْضُ الثَّرَىٰ والجَنَادِلُ
حَيَا الأَرضِ أَلقَتْ فوقَهُ الأرضُ ثِقْلَهَا ... وهولُ الأعادِى فوقَهُ التُّرْبُ هَائِلُ

قولَه : « لو يشاءُ تُرابُهُ » إسرافٌ عظيمٌ كأَنَّهُ إسرافُ أبى تمَّامٍ ، وليسَ هُوَ مأخوذًا مِنْ قولِ أبى تمّامٍ : « وكيفَ احتمالِى .... » .

وقال البحترىُّ (٥) :

وَمَا اشتدَّ خطبُ الدّهرِ إِلّا أَلَانَهُ ... حُمَيْدُ بَنِى عبدِ الحميدِ الأكارِمِ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٩٤٦ .
(٢) ديوانه : « تُرْبَةٌ مَجْفُوَّةٌ » .
(٣) أنظر ما سبق فى ١ : ٣٢٩ .
(٤) ديوانه ٣ : ١٧٢٩ .
(٥) ديوانه ٣ : ١٩٦٨ .

أسودٌ يَفِرُّ الموتُ مِنْهُمْ مَهَابَةً ... إِذَا فَرَّ منهُ كلُّ أَرْوَعَ صَارِمِ
مَصَارِعُهُمْ حولَ العُلَا وقبورُهُمْ ... مَجَامِعُ أوصالِ النُّسُورِ الحَوَائِمِ

وقال[1] :

فَلِلَّهِ قَبْرٌ فِي « خُرَاسَانَ » أَدْرَكَتْ ... نَوَاحِيهِ أقطارَ العُلَا وَالمَآثِرِ
تُطَارُ عَرَاقِيبُ الجِيَادِ إِزَاءَهُ ... وَتُسْقَى صُبَابَاتِ الدِّماءِ المَوَائِرِ[2]
جَرَى دُونَهُ العَصرانِ تَسْفِي تُرابَهَا ... عليهِ أعاصِيرُ الرِّياحِ الخواطِرِ
سَقَى جُودَهُ جَوْدُ الغَمَامِ وَمَنْ رَأَى ... حَيًّا ماطِرًا تَسْقِيهِ دِيمَةُ مَاطِرِ ؟

قَوْلُهُ :

.................. ومن رأى ... حَيًّا ماطِرًا تسقِيهِ دِيمَةُ ماطِرِ ؟

مِنْ قولِ أبى تمّامٍ :

وَكيفَ احتمالِى للسَّحَابِ صنيعةً

وقالَ فى أولادِ حُمَيْدٍ[3] :

أَحَبَّ بنوكَ المَكْرُمَاتِ فَفرّقَتْ ... جَمَاعَتَهُمْ فى كُلِّ دَهْيَاءَ صَيْلَمِ[4]
تَدَانَتْ مَنَايَاهُمْ بِهِمْ وَتَبَاعَدَتْ ... مضاجِعُهُمْ عنْ تُرْبِكَ المُتَنَسَّمِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٩٦٣ .

(٢) « صبابات » : البقايا ، « الموائر » : الجاريات .

(٣) ديوانه ٣ : ١٩٤١ وقال ابن حزم فى جمهرة النسب ص ٤٠٤ : « ومن بنى سعد بن نبهان : قحطبة بن شبيب بن خالد معدان .... وبنوه : الحسن وحميد ، وعبد الله وشبيب ، بنو قَحْطَبَة ، وابن عمه لَحًّا : عبد الحميد بن ربعى بن خالد بن معدان ، وأبناه أصرم وحُمَيْد أبو غانم ، إبنا عبد الحميد ، ومهدى بن أصرم ، ومحمد بن حميد ، وأبو نصر بن حميد أخوه ، الذين مدح حبيب ورثى بالقصائد المشهورة » .

(٤) ديوانه : « فَفَرَّقت جماعتُهم » .

فَكُلٌّ لَهُمْ قَبْرٌ غريبٌ بِبَلْدَةٍ    فَمِنْ مُنْجِدٍ نائِى الضَّرِيحِ وَمُتْهِمِ (١)
قبورٌ بأطرافِ الثُّغورِ كأنَّما    مواقِعُها مِنْها مواقِعُ أَنْجُمِ

وهذا غايةٌ فى حُسنِهِ وبَراعتِهِ .

وقال : (٢)

لِمُصيبَةٍ بأَبِى عُبَيْدٍ أُرْدِفَتْ    بأبِى حُمَيْدٍ بَعْدَهُ وَمُبَشِّرِ (٣)
وَلَوَ انَّهُمْ مِنْ هَضْبِ أَعْفَرَ ثُلِّمُوا    لَتَتابَعَتْ قِطَعًا ذَوَائِبُ أَعْفَرِ (٤)
كَانُوا ثلاثةَ أَبْحُرٍ أَفْضَىٰ بِهِمْ    وَلَعُ المَنُونِ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْبُرِ (٥)

/ وَهَذَا أَيْضًا مِنْ إحسانِهِ المشهورِ ٢٠

وقالَ فِى غُلَامِهِ قَيْصَرَ : (٦)

وَكُنْتُ – وَتُرْبُهُ يُحْثَىٰ عَلَيْهِ –    كَنِضْوِ الدَّاءِ أَيْأَسَهُ الطَّبِيبُ (٧)
أَأَنْسَىٰ مَنْ يُذَكِّرُنِيهِ أَلَّا    نَدِيدَ يَنُوبُ عَنْهُ وَلَا ضَرِيبُ

---

(١) فى ديوانه « فكلٌّ له » .

(٢) ديوانه ٢ : ١٠٣١ .

(٣) فى الأصل : « لَمصُيبَةٌ » على أن اللام للابتداء ، والتصحيح من ديوانه ، فاللام هنا جارة ، والبيت متعلق بالبيت قبله وهو :

وَمِنَ العجائبِ أَنَّ غِلَّ صُدُورِكُمْ    لَمْ يُطْفَ لِلْحَدَثِ الجليلِ الأكبرِ

(٤) أعفرَ : جبل فى أرض بَلْقَيْنَ ، وهم بنو القَيْنِ بْنِ جَسْرٍ « انظر : معجم ما استعجم ١ : ١٧١ ، والاشتقاق ٥٤٢ » .

(٥) سبق فى : ١ : ٣٦٥ ، وفى ديوانه : « أفضىٰ بها » .

(٦) ديوانه ١ : ٢٥٦ ، مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .

(٧) ديوانه :

« وَتُرْبُهُمْ يُحْثَىٰ عَلَيْهِمْ » ، و « آيَسَهُ الطبيب »

وأَتْرُكُ لِلثَّرىٰ من كُنْتُ أَخْشى ... عليهِ العَينَ تُؤْمِنُ أو تَرِيبُ ؟ (١)
وأَصْفَحُ لِلثَّرى عن حُرِّ وَجْهٍ ... غَنِيتُ يَروعُنى فيهِ الشُّحوبُ ؟ (٢)
ضَجيعُ مُسَنَّدَيْنِ « بِكَفْرِ تُوثَى » ... خَفُوتٌ مِثْلَ ماخَفَتَ الشُّروبُ (٣)
هُجودٌ لَمْ يَسلْ بِهِمُ حَفِيٌّ ... ولم تُقْلَبْ لِضَجْعَتِهِمْ جُنوبُ
تُغَلَّقُ دورُهمْ عَنهمِ عِشاءً ... وقد عَزُّوا بها زَمنًا وهِيبُوا
سَقَى اللهُ « الجزيرةَ » لا لِشيءٍ ... سوىٰ أنْ يَرْتَوى ذَاكَ القَلِيبُ
مُلِظٌّ بالطَّرِيقِ فليس يُصْغِى ... لِأَنْجِيةِ الطَّرِيقِ ولا يُجيبُ (٤)
وما كانَتْ لِتَبْعُدَ عَنْهُ عِيْنٌ ... سَفُوحُ الجَفْنِ لو أَنِّى قَرِيبُ (٥)

وهذا عَجَبٌ فى حُسْنِهِ ورِقَّتِهِ .

وقولُهُ : « سقىٰ اللهُ الجزيرةَ .... » مثلُ قَولِ النَّمِرِ بنِ تَوْلَبٍ :

فو اللهِ ما أُسْقِى الدِّيارَ لِحُبِّهَا ... ولكِنَّنِى أسْقِيكَ حارِ بنِ تَوْلَبِ (٦)

وقال أبو تمّام فى جارية رثاها : (٧)

---

(١) ديوانه : « تُومِىءُ أو تَرِيبُ » .

(٢) ديوانه : « وأَصفَحُ للبِلى عن ضَوءِ وَجْهٍ » ، « يروعُنى مِنْهُ الشُّحوبُ » .

(٣) فى ديوانه : « خفوتًا » .

« كفر توثىٰ » : قرية كبيرة من أعمال الجزيرة ، بينها وبين دارا خمسة فراسخ ، وهى بين دارا ورأس عين « معجم البلدان » .

(٤) ديوانه : « مُلِطٌّ » بالطاء المهملة أى : ألصق قبره بالأرض ، وبالمعجمة أى : مُقِيم .

(٥) ديوانه : « لتبعد عنك عين » ، « سفوح الدمع » .

(٦) البيت فى الأغانى ١٩ : ١٦٠ يرثى أخاه الحارث بن تولب . وفيه : « ولكنما أسقى .... » .

(٧) ديوانه ٣ : ٢٦٥ والتبريزى ٤ : ٥٣ وفيهما :

« وقال يرثى امرأة محمد بن سهل ، وهى أخت مهران بن يحيى » .

لَقَدْ نَزَلَتْ ضَنْكًا من الأَرضِ ضَيِّقا ولو كانَ رَحْبَ الذَّرْعِ ماكانَ بالرَّحْبِ (١)
وكيف أُرجِّى القُرْبَ وهْىَ بَعيدَةٌ فقد نُقلَتْ بعَدْىَ عن البُعْدِ والقُرْبِ (٢)
لها مَنْزِلٌ بين الثَّرىٰ وعَهَدْتُها لها مَنْزِلٌ بين الجَوانِحِ والقَلْبِ (٣)

وهذا أيضا حَسَنٌ لطيفٌ .

وقال مُحْرِزُ بنُ مُكَعْبِرٍ (٤) :

لِأُمِّ الأَرْضِ وَيْلٌ ما أَجَنَّتْ بِحَيْثُ أَضَرَّ بالحَسَنِ السَّبيلُ (٥)

فهذا عدَلَ عن الدُّعاءِ لِحُفْرَتِه بالسُّقيا ، إلى أَنْ جعَلَ لهَا الوَيْلَ .

* * *

(١) ديوانه والتبريزى : « لقد نزلت ضنكا من اللحد والثرى » .

(٢) ديوانه والتبريزى : « وكنت أرَجِّى » .

(٣) ديوانه والتبريزى : « تحت الثرى » .

(٤) محرز بن المكعبر الضبى من ولد بكر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة وفى اللسان « كعبر » : « يقال : كعبرهُ بالسيف أى قطعه ، ومنه سمى المكعبر الضبى لأنه ضرب قوما بالسيف » « انظر معجم الشعراء ٣٣١ ، والحماسة شرح المرزوقى الحماسية ١٨٥ ، ٦١٠ ، والحماسة شرح التبريزى ٤ : ١٥ » والبيت فى الحماسة منسوبا إلى عبد الله بن عَنَمَةَ الضَّبِّىِّ يرثى بسطام بن قيس ، وقد ردّ عليه محرز بأبيات ذكر بعضها المرزبانى فى ترجمة محرز فى معجم الشعراء ، وانظر تخريج د . عبد الله عسيلان للأبيات فى كتاب « الحماسة » الحماسية ٣٥٦ ، وأضف إليه معجم البلدان « حسن » والاشتقاق لابن دريد ص ١٩٩ ، واللسان مادة : « ضرر » .

(٥) الحسن : جبل ، وقال ياقوت : « الحسنان كثيبان معروفان فى بلاد بنى ضبة ، يقال : لأحدهما : الحسن ، وللآخر : الحسين ، وقال ابن دريد فى الاشتقاق : عبد الله بن عنمة الضبى الشاعر ، كان متزوجا فى بنى شيبان نازلا فيهم وهو ابن أختهم ، فلما قتلت بنو ضبة بسطاما رثاه ، وذلك أنه خاف بنى شيبان أن يقتلوه .

وفى اللسان : « أضرّ بالطريق : أى دنا منه ولم يخالطه ، قال عبد الله بن غنمة الضبى يرثى بسطام بن قيس » وأنشد البيت ، « أى : ويل لأم الأرض ، ماذا أجنت من بسطام ، أى بحيث دنا الحسن من السبيل » .

## ذكر شماتة الأعداء والحساد وتهديد القائلين

قال أبو تمّام في بني حُمَيْد[1]:

بُودِّ أعدائهم لو أنَّهم قُتِلوا     وأنَّهم صنَعُوا مِثْلَ الذى صنَعُوا[2]

فِيمَ الشَّماتةُ إعلانًا لِأُسْدِ وغىً     أفناهُمُ الصَّبْرُ إذْ أبقاكُمُ الجَزَعُ[3]

وهذا المعنى ليسَ باختراعٍ لأبى تمّامٍ ، وإنَّما أَخذَه من قَوْلِ السَّموأَلِ[4]:

يُقَرِّبُ حُبُّ المَوْتِ آجالَنا لَنا     وتَكْرَهُهُ آجالُهُمْ فتَطُولُ[5]

وليسَ لِلْبُحْتُرِيِّ في هذا المَعْنى شيءٌ ، ولَهُ يقولُ في أبى سَعيدٍ[6]:

وبِرَغْمِ أَنْفِى أن أراكَ مُوسَّدًا     يدَ هالِكٍ ، والشَّامِتُونَ قِيامُ

وهذا معنًى آخرُ حَسَنٌ .

---

(١) ديوانه ٣ : ٣١١ والتبريزى ٤ : ٩٠ ، ٩١ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « بعض الذى صنعوا » .

(٣) ديوانه والتبريزى : « بأسد وغى » .

(٤) هو السموأل بن غريض بن حَيًّا بن عاديا ، صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء ، ويضرب به المثل فى الوفاء لإسلامِهِ ابْنَه حتى قُتِلَ ولم يَخُنْ أمانَتَهُ فى أَدْراعٍ أُودِعَها « الأغانى ١٩ : ٩٨ ، طبقات فحول الشعراء ١ : ٢٧٩ » .

(٥) البيت فى الحماسة ١ : ١١٥ بشرح المرزوقى وهو فى الحماسية رقم ١٥ فى حماسة أبى تمّام لعبد الله عسيلان ، وانظر تخريج الأبيات فى الهامش .

وتروى هذه الأبيات لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ، انظر مقدمة ديوانه « ص ٤٠ وما بعدها » .

(٦) ديوانه ٣ : ١٩٤٧ .

## ذكر من يخلف الميت بعده وينوب منابه

قال أبو تمّام فى مَرثيّة المُعْتَصِم:[1]

إنَّا غَدَوْنا واثِقِينَ بوَاثِقٍ ... باللهِ ، شَمْسُ ضحىً وبَدْرُ تَمامِ[2]

للهِ أىُّ حَياةٍ انْبَعَثْ لنَا ... يومَ الخَميسِ وبعدَ أىِّ حِمَامِ[3]

أُودَى بخيرِ إمامٍ اضْطربَتْ بهِ ... شُعَبُ الرِّجالِ وقامَ خَيْرُ إمامِ

تِلْكَ الرَّزِيَّةُ لا رَزِيَّةَ مِثْلُها ... والقِسْمُ لَيْس كسائِرِ الأَقْسامِ[4]

إنْ أصْبَحَتْ هَضَباتُ قُدْسَ أزَالها ... قَدَرٌ فمازَالَتْ هِضَابُ شَمَامِ[5]

ما إنْ رأى الأَقْوامُ شَمْسًا قَبْلها ... أَفَلَتْ فلَمْ تَعْقِبْهُمُ بِظَلامِ

وهذا – لَعمْرى – مُسْتوفِى الحُسْنِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٦٤ والتبريزى ٣ : ٢٠٤ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « إنّا رحلْنا » .

(٣) فى الأصل : « أبى حمام » تحريف .

(٤) القسم : الحظّ .

(٥) « شمام » : جبل لبنى قُشَير ، وله هضبتان تسميّان ابنىْ شمام « معجم ما استعجم ٢ : ٨٠٧ » وفى شرح التبريزى : « أصابها » مكان « أزالها » .

وقال : (١)

رأى فِيهِمُ رِيشَ الجنَاحِ إذا مَضَتْ ... قَوادِمُ مِنْه بُشِّرَتْ بِقَوادِمِ

وقالَ يَرْثِى المُعْتَصِمَ ويهنىءُ الواثِقَ : (٢)

لَنَاعٍ نَعىٰ بدرًا ثوىٰ قَبْرَ مُلْحَدٍ ... بدا بعْده بَدْرٌ أضاءت مطَالِعُهْ

وما ماتَ من أَبْقىٰ لنا بَعْدَ مَوْتِهِ ... إمامًا هدانَا نَهْجُهُ وشَرائِعُهْ

لِئِن بَكَتِ الدُّنيا لِثَامِنِ مَلْكِها ... فقدْ ضَحِكَتْ إذْ قامَ بالمُلْكِ تاسِعُهْ

وقال البحترى : (٣)

لَاتَبْعَدَنَّ ، وكيف يَقْرُبُ نَازِلٌ ... بالغَيْبِ تَفْنَىٰ دُونَهُ الأَعْوَامُ

ولَقَدْ كفاكَ المَكْرُماتِ مهذَّبٌ ... يُرْضِيكَ مِنه النَّقْضُ والإبْرامُ

حُزْتَ العُلَا سَبْقًا ، وصَلّى ثَانِيًا ... ثُمَّ استَوتْ من بَعْدِه الأَقْدامُ (٤)

وقال : (٥)

٢٧ / فقَدَناكَ فِقْدانَ الحياةِ وأَقْبلَتْ ... تُلاحِظُنَا خُزْرًا إلينا القَبائِلُ

ولولا ابْنُكَ المَرْجُوُّ فينَا لأَصْبَحَتْ ... أَعالى الرُّبىٰ مِنَّا وهُنَّ أَسافِلُ (٦)

رَدَدْنا إِلَيْهِ الأَمْرَ طَوْعًا ولم نَقُلْ ... لَهُ فى الذى يَأْتيه : ماأَنْتَ فَاعِلُ ؟

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٥٣ والتبريزى ٤ : ١٣٥ وفيهما :

رَأَيْتُهُم رَيشَ الجَناح إذا ذَوَتْ ... قَوادِمُ مِنها أُيِّدَتْ بِقَوادِمِ

(٢) لم أجد الأبيات فى ديوانه ولا فى شرح التبريزى ، كما لم أعثر عليها فى نسخ دواوينه المخطوطة التى بحوزتى .

(٣) ديوانه ٣ : ١٩٤٩ .

(٤) سبق فى ١ : ٣٦٧ وصلى ثانيا : أى أتى تاليا للأول ، ويعنى ابن المرثى يوسف بن محمد بن يوسف الثغرى .

(٥) ديوانه ٣ : ١٧٣٠ .

(٦) ديوانه : « أَعَالى الرُّبىٰ مِنْها » ، وهو هنا يرثى محمد بن يوسف الثغرى .

تَخَطَّى إليهِ الرُّزءُ من كُلِّ وُجْهَةٍ　　حريمَ ندًى لاتَخْتَطِيهِ العَواذِلُ

قولُهُ : « فقَدنَاك فِقدانَ الحياةِ » من قَولِ أختِ الوليدِ بنِ طَريفٍ[1] :

فَقدنَاك فِقدانَ الحياةِ ولَيْتَنا　　فَدَيْناكَ من دَهْمائِنا بألُوفِ

وقالَ دِعْبِلٌ فأحسَنَ كُلَّ الإحْسانِ[2] :

ودَاعُكَ مثلُ وداعِ الحَياةِ　　وفَقْدُكَ مثلُ افْتِقادِ الدِّيَمْ[3]

عليكَ السَّلامُ فكَمْ من وَفاءٍ　　نُفارِقُ مِنْكَ وكَمْ مِنْ كَرَمْ[4]

وقالَ[5] :

على أنَّهُ لامُرْتَجىً كَمُحمَّدٍ　　ولا سَلَفٌ فى الذَّاهِبينَ كطَاهِرِ

سحابا عطاءٍ من مُقيمٍ ومُقْلِعٍ　　ونجما ضِياءٍ من مُنيفٍ وغَائِرِ

وقال البحترىُّ يَرْثِى قَوْمًا من أهلِهِ ويَذْكُرُ أَبَاهُ[6] :

أَبعْدَ « مُبَشِّرٍ » و « أبِى عُبَيْدٍ »　　و « مَعْيوفٍ » المكَارمِ والمَعالى

وبَعد أبى « أَبى العَطَّافِ » أَرْجُو　　وفاءَ الدهرِ أو عَهْدَ الليالى

شيوخُ « بنى عُبَيْدٍ » أَسْلَمونى　　إلىٰ رَبْعٍ من الأَكْفاءِ خالِ

وَرِثْتُ سُيوفَهَمْ ، ومَضَوْا كِرامًا　　وما نَفْعُ السُّيوفِ بِلَا رِجَالِ

* * *

---

(١) البيت فى حماسة البحترى ص ٤٣٥ وفيها : « فقدناه فقدان الربيع ... » ، و « فديناه » وفى وفيات الأعيان ٦ : ٣٢ « فقدناك فقدان الشباب » « من فتياننا بألوف » .

(٢) ديوانه المجموع : ص ٢٤٨ .

(٣) ديوانه : « مثل وداع الرَّبيع » .

(٤) ديوانه : « نفارقه منك أو من كرم » .

(٥) أى البحترى ، ديوانه ٢ : ٩٦٢ يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر ، ويرثى أخاه طاهر بن عبد الله ابن طاهر والحسين بن طاهر بن الحسين عم محمد بن عبد الله .

(٦) ديوانه ٣ : ١٨٤٤ .

## ذكر صبر المقتول على القتل واختياره إيَّاه على الفرار وتأثيره الجميل قبل أن يُصاب

قال أبو تمام[1]:

فتى مات بين الطَّعْنِ والضَّرْبِ مِيتَةً ... تَقُومُ مَقامَ النَّصْرِ إذْ فاتَهُ النَّصْرُ
وما ماتَ حتَّى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ ... من الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عَلَيْهِ القَنَا السُّمْرُ
وقد كانَ فَوتُ المَوْتِ سَهْلًا فرَدَّهُ ... إليهِ الحِفَاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونَفْسٌ تعافُ العَارَ حتَّى كأنَّما ... هو الكُفْرُ يومَ الرَّوْعِ أو دُونَهُ الكُفْرُ[2]
فأَثْبَتَ فى مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ رِجْلَهُ ... وقالَ لَها من دُونِ أَخْمَصِكِ الحَشْرُ[3]

وهذا غايةٌ فى حُسْنه وحَلَاوتِه ، وإنَّما أَخَذهُ من قَوْلِ عَبدِ يَغوثَ[4]:

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٩٥ والتبريزى ٤ : ٨٠ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « حتى كأنَّهُ » .

(٣) ديوانه والتبريزى : « من تحت أخمصك » .

(٤) هو عبد يغوث بن صلاءة بن وقاص شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس سيد لقومه من بنى الحارث بن كعب ، وهو كان قائدهم فى يوم الكُلاب الثانى إلى بنى تميم ، وفى ذلك اليوم أسر فقتل ، وعبد يغوث من أصل بيت شعر معرق لهم فى الجاهلية والإسلام منهم اللجلاج الحارثى وأخوه مُسَهِّر ، وقال هذه القصيدة فى يوم الكُلاب الثانى ، وهو اليوم الذى جمع فيه قومه وغَزا تميماً فَظَفِرَتْ به بَنُو تَميمٍ وأَسروهُ وقُتِلَ يَوْمئذٍ . « الأغانى ١٥ : ٦٩ ، والعقد الفريد ٥ : ٢٢٤ » .

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِى مِنَ الخَيْلِ نَهْدَةٌ ... تَرىٰ خَلْفَها الحُوَّ الجِيادَ تَوالِيا[(١)]
وَلَكِنَّنِى أَحْمى ذِمارَ أَبِيكُمُ ... وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحامِيَا

وقالت أمُّ الصَّريح الكِنْدِيَّةُ[(٢)]:

ولـو أنَّهـمْ فَرُّوا لكانُـوا أَعِـزَّةً ... ولكنْ رَأَوا صَبْراً علىٰ المَوْتِ أَكْرَما

وأبياتُ أبى تمَّامٍ أَجْوَدُ ، وكذا سَبيلُ المتأخِّر إذا أخذَ المَعْنىٰ .

وقال[(٣)]:

فتىً كانَ شِرْبًا للعُفاةِ ومَرتعا ... فأَصْبحَ لِلْهِنْدِيَّةِ البِيضِ مَرْتَعا
فتًى كُلَّما أَزْدادَ الشُّجاعُ من الرَّدى ... مَفَرًّا غداةَ المَأْزِقِ ارْتَادَ مَصْرَعا[(٤)]
إذا ساءَ يومٌ فى الكَرِيهَةِ مَنْظرًا ... تَصَلَّاهُ عِلْمًا أن سَيَحْسُنُ مَسْمَعَا
وما كنتَ إلّا السَّيْفَ لاقَى ضَرِيبَةً ... فقَطَّعَهـا ثمّ انْثَنـىٰ فتَقَطَّعـا[(٥)]

وهذا البيتُ لِيحيَى بن زِيادٍ الحارثِىّ[(٦)] ، وهو أُنْشَدهُ فى الحَماسَةِ .

---

(١) البيتان فى المفضليات ١٥٧ « نهدة » : المرتفعة الخلق ، « الحوّاء » من الخيل : التى تضرب إلى خضرة . « شرح المفضليات للتبريزى ٢ : ٦٠٩ » .

(٢) أم الصريح الكندية كانت تحت جرير ، ووقع بينها وبين أخت جرير لحاء وفخار فقالت أبياتا انظر « اللسان : حقب » ، وهذا البيت أنشده أبو تمّام فى الحماسة « الحماسة ٣١٨ » من ثلاثة أبيات ترثى بها أخوتها « اللسان : حقب ، نيب » ، و« معجم البلدان لياقوت « جيشان » » ، وانظر « شرح الحماسة للتبريزى ٤ : ٨١ » ، ونُسِبَ فى « حماسة البحترى ص ٤٥ » إلى امرأة من عبد القيس . وقال الخالديان فى « الأشباه والنظائر ٢ : ٣٠٤ » : وممن آثر القتل على الفرار بنو ماوية بنت الأَحَبِّ وكانوا سبعة ، فقتلوا بأجمعهم فى بعض حروب خثعم ، فقالت أمهم ترثيهم : « الأبيات » .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٢٠ والتبريزى ٤ : ١٠٠ .

(٤) ديوانه والتبريزى « كلما ارتاد » .

(٥) فى الأصل « سيفا » والتصحيح من ديوانه والتبريزى .

(٦) هو حقا فى الحماسة ليحيى بن زياد ١ : ٤١٥ تحقيق د . عبد الله عسيلان ، ولم يرد عند المرزوق والتبريزى .

ومثلُهُ قولُ البَعيثِ[1]:

وإنّا لَنُعْطِى المَشْرَفِيَّةَ حَقَّها ... فَتَقْطَعُ فى أَيْمانِنا وتَقَطَّعُ

وقال ابنُ هَرْمَةَ[2]:

أوفىٰ به الدَّهْرُ من أَحْداثِهِ شَرَفًا ... والسَّيْفُ يَمْضِى مِرارًا ثُمَّ يَنْقَصِدُ

وقالَ[3]:

ولِىَّ الحُماةُ فَأَضحىٰ عِنْدَ سَوْرَتِهِ ... مع الحَفيظةِ كالمَشْدُودِ فى قَرَنِ[4]

حنَّ إلى المَوتِ حَتّى ظَنَّ جاهِلُهُ ... بأنّـه حنَّ مُشتاقًـا إلىٰ وَطَـنِ[5]

رَأَىَ المنايَا حُبالاتِ النُّفوسِ فَلَمْ ... يَسْكُنْ سوى المِيتَةِ العُليا إلىٰ سَكَنِ

لو لَمْ يَمُتْ بينَ أَطْرافِ الرِّماحِ إذًا ... لَماتَ إذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الحَزَنِ

وقال[6]:

يَنتجِعُونَ المَنايا فى منابِتِها ... ولم تَكُنْ قَبْلَهُمْ فى الدَّهْرِ تُنْتَجَعُ

---

(١) أورد الآمدى فى المؤتلف والمختلف أسماء ثلاثة شعراء لقبوا بالبعيث : البعيث المجاشعى ، والبعيث الحنفى ، والبعيث التغلبى « ص ٧١ وما بعدها » ، وقد سبق البيت فى ١ : ٦١ وأضاف الشيخ سيد صقر بين معقوفين « الحنفى » ، ولم تذكر المراجع التى أوردها فى الهامش هذه النسبة وإنما اقتصرت على « البعيث » وورد على هذه الصورة فى أخبار أبى تمّام ص ١٠٠ ، والتبيان ١ : ٣٦٩ ، والوساطة ص ٢٧ ، وفى معجم الشعراء نسب إلى موسى بن جابر ص ٢٨٠ ، وقبله بيت آخر هو :

وإنا لَوقّافونَ بالثغرة التى ... يُخاف رداها والنُّفوسُ تَطَلَّعُ

(٢) البيت فى أخبار أبى تمام منسوباً إلى البعيث ص ١٠٠ ، ولم أجده فى ديوان ابن هرمة المجموع .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٥٧ والتبريزى ٤ : ١٤٠ .

(٤) ديوانه والتبريزى « مع الحميّة » .

(٥) فى الأصل « بأنه حسن » تحريف .

(٦) ديوانه ٣ : ٣٠٨ والتبريزى ٤ : ٨٩ .

كأنّما بِهِمُ من حُبِّهـا شَرَهٌ إذا هُمُ انْغَمَسُوا فى الرَّوْعِ أو جَشِعُوا (١)

٢٨ / وقال البحتريُّ (٢) :

رأى الموتَ رأى العَينِ لاستِتْرَ دونَهُ وما موتُ شَكٍّ مِثلُ مَوتِ يَقينِ
وقيلَ : انْجُ من ظَلْمائِها ، فأَبَتْ بهِ (٣) سَجيَّةُ شَكْسٍ فى اللِّقَـاءِ حَرُونِ
ولمّا استَخَفُّوا لِلنَّجاةِ أَبَتْ لَهُ (٤) جَوانِبُ ثَبْتٍ للسيوفِ رَكِينِ
وَقَى كَتفِيْهِ والرِّماحُ شَوارِعٌ بِثُغرةِ نَحْرٍ واضِحٍ وجَبينِ

وقال فى بنى حُمَيدٍ (٥) :

ولمَّا رَأَوا بعضَ الحياةِ مذَلَّةً عَليهِمْ وعزَّ المَوتِ غَيرَ مُحَرَّمِ
أَبَوْا أن يَذوقُوا العَيْشَ والذمُّ واقعٌ عَلَيْهِمْ (٦) ، ومَاتُوا مِيتةً لم تُذَمَّمِ
حُتوفٌ أصابَتْها الحُتوفُ وأَسْهُمٌ من المَوْتِ كَرَّ المَوتُ فِيها بأَسْهُمِ
ولو أَنْصَفَتْ « نَبْهانُ » ماطَلَبَتْ بِهِمْ سِوىَ المَجْدِ ، إنَّ المجدَ خُطَّهُ مَغْرَمِ
دعاهَا الرَّدىٰ بعد الردّىٰ فتتَابَعتْ تَتَابُعَ مُنْبَتِّ الفَريـدِ المُنَظَّـمِ

قولُه : « ما طَلَبَتْ بِهِم سِوى المَجْدِ » معنًى حُلْوٌ (٧) جِدّا ، أى لولا طَلَبُ المَجْدِ والمحَافَظةِ عَلَيْهِ ، ماصبَروا لِلْقَتْلِ ولَنَجَوْا .

---

(١) فى التبريزى « أو جشع » وقال ابن المستوفى فى النظام « ويروى « أو جشع » عطفا على « شره » ، وجشعوا : حرصوا « حـ ٢ لوحة ١٤٦ » » وفى الأصل « إذا هم نعسوا » تحريف ، وفيه أيضا « أو خشعوا » بالخاء المعجمة تصحيف .
(٢) ديوانه ٤ : ٢١٨٥ .
(٣) ديوانه « انج من غمائها ، فأبت له » .
(٤) ديوانه « للنجاء توقرت » .
(٥) ديوانه ٣ : ١٩٤٢ .
(٦) ديوانه « واقع عليه » .
(٧) فى الأصل « حشو » تحريف ، فلا يقال « حشو جداً » ، كما أنه عَلَّق على البيت الذى يليه بقوله : « وهذا معنى حُلْوٌ أيضاً حَسَنٌ » .

وقَوْلُه : « تَتابُعَ مُنبَتِّ الفَرِيدِ المُنَظَّمِ » حلوٌ أيضاً حَسَنٌ .

وقولُه : « حتُوفٌ أصابَتْها الحتوف » مَحذُوٌّ على قَوْلِ يَحْيى بنِ زِيادٍ الذى ذَكَرْتُهُ(١) ، أو قولِ أبى قابوسَ النَّصرانىِّ(٢) :

وما أَبْصَرتُ قَبْلَك يا ابْنَ يَحْيىٰ حُسامًا فَلَّهُ السَّيْفُ الحُسامُ

وأحسنُ من هذا كُلِّه قولُ لَيْلىٰ الأَخْيلِيَّةِ(٣) :

إن يَقْتُلوكَ فقدْ قَتَلْتَ سَراتَهُمْ والَّلَيْثُ أَكْرَمُ مايَكونُ قَتِيلَا

* * *

(١) انظر ص ٥٢٤ هامش ٦ .

(٢) ورد البيت فى العمدة ١ : ٦٠ من قصيدة يشفع فيها للفضل بن يحيى بن برمك عند الرشيد بعد أن أوقع بجعفر أخيه ، وقال ابن رشيق : « وقد اختلط هذا الشعر بشعرين فى وزنه ورويّه ومعناه : أحدهما لأشجع السّلمى والآخر لسليمان أخى صريع « كذا » ، فالناس فيه مختلفون ، وهذه صحته » .

وقد وجدت هذا البيت أيضا فى قصيدة منسوبة إلى سليمان هذا وهو سليمان الأعمى ابن مسلم بن الوليد « العقد الفريد ٥ : ٧٠ » ، وقال المرزبانى فى ترجمة الفضل بن عبد الصمد الرقاشى الخطيب ص ١٨٠ : « وله فيه « أى فى جعفر بن يحيى البرمكى » ، وقد رويت لأبى قابوس الحيرى والصحيح أنها للرقاشى — : « وأنشد بيتين من القصيدة » .

(٣) سبقت ترجمتها فى ص ٣١٥ ، ولم أقف على البيت .

## ذكر تحقير القاتلِ وتهوينِ أمرِه وتعظيم أمرِ المقتولِ وتهديدِ القاتِل

قال أبو تمَّامٍ[1] :

من لَمْ يُعايِنْ أبَا نَصْرٍ وقَاتِلَهُ     فما رَأى ضَبُعًا فى شِدْقِها سَبُعُ

أخذَ هذا المعَنى على ماحكَى ابنُ المُنجِّم[2] ، من قول طُرَيْحٍ الثَّقفِىِّ[3] :

فـلله عَيْنا منَ رَأى قَطُّ حَادِثًا     كَفَرْسِ الكِلابِ الأُسْدَ يومَ المُشَلَّلِ

وقال عبدُ الرحمن بنُ الحَكَمِ[4] فى قَتْل عبدِ المَلكِ بنِ مَرْوانَ عمرَو بنَ سَعيدٍ الأَشْدَقِ[5] :

---

(١) ديوانه ٣ : ٣١١ والتبريزى : ٤ : ٩١ .

(٢) هو هارون بن على بن يحيى بن أبى منصور ، المنجم البغدادى ، كان حافظاً رواية للأشعار له مصنفات منها كتاب « البارع » فى أخبار الشعراء المولدين توفى ٢٨٨ « وفيات الأعيان ٦ : ٧٨ » ، وانظر ترجمة أبيه ص ٦٣١ .

(٣) سبق فى ١ : ٩٨ ولم أقف عليه بعد ، « والمشلّل » : ثَنِيَّةٌ مشرفة على قُدَيْد بين مكة والمدينة ، « معجم ما استعجم ١٢٣٣ » وفى الأصل : « المشكل » تحريف .

(٤) عبد الرحمن بن الحكم هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، ويكنى أبا مطرفة شاعر إسلامى متوسط الحال فى شعراء زمانه ، وكان يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه وينتصف كل واحد منهما من صاحبه ، وهو القائل لمعاوية حين استحلق زيادا :

أَتَغْضَبُ أنْ يقُالَ أبوكَ عَفٌّ     وتَرضى أنْ يقُالَ أبوك زانِ

« الأغانى ١٢ : ٦٩ ، ١٣ : ١٤٤ » .

(٥) عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، أمير من الخطباء البلغاء ، جعل له مروان بن الحكم ولاية العهد بعد ابنه عبد الملك ، فلما استخلف عبد الملك أراد خلعه من ولاية العهد ، فنفر عمرو واستولى على دمشق وبايعه أهلها ، فحاصره عبد الملك ، وظفر به وقتله ، فقيل إنها أول غدرة فى الإسلام « فوات =

كأنَّ بَنِى مَرْوانَ إذْ يَقْتُلُونَهُ بُغاثٌ من الطَّيْرِ اجتْمَعْنَ على صَقْرِ (١)

وقال البحترىُّ (٢) :

ولاعَجَبٌ للأُسْدِ إنْ ظَفِرَتْ بِهَا كلابُ الأعَادِى من فَصِيحٍ وأَعْجَمِ
فَحَرْبةُ وَحْشِىٍّ سقت حمزةَ الرَّدىٰ وموتُ عَلىٍّ من حُسامِ ابنِ مُلْجَمِ (٣)

وقال (٤) :

فياويحَ الحوادِثِ كَيْف تُعْطِى شَقِىَّ القَوْمِ من حظِّ السَّعِيدِ
وكيفَ تَجُورُ إذْ همَّتِ بِحُكْمٍ فَتَحْمِلُ لِلْغَوِىِّ على الرَّشيـــدِ (٥)
ومابَرِحَتْ صروفُ الدَّهْرِ حَتَّى أَرَتْنا الأُسْدَ قَتْلىٰ لِلْقـرُودِ

وماعِنْدِى أنّ أحدًا من هؤلاءِ أخذَ من آخَرَ ، لأنَّهُ من المعانى المُشْتَرَكةِ الجَارِيَةِ فى عاداتِ النَّاسِ .

وقال الحارثُ بن النَّمِرِ التَّنوخىُّ (٦) :

وقد تَنْقِلُ الأَيَّامُ حالاتِ أَهْلِهَا فَتَعْدُوا علىٰ أُسْدِ الرِّجالِ الثَّعالِبُ

* * *

= الوفيات ٢ : ٢٣٢ ، الإصابة ت « ٦٨٥٣ » رغبة الآمل ٤ : ٢٢ » .

(١) الحيوان ٦ : ٣٥ بدون نسبة ، وفى ٧ : ٦٠ نسب إلى بشر بن مروان ، وقال : ولا يعرف له شعر ، ثمار القلوب ١٣٠ بدون نسبة ، الممتع فى صنعة الشعر ص ١٩٨ بدون نسبة ، والتشبيهات ٣٣٤ بدون نسبة ، ونُسِبَ فى فوات الوفيات ٢ : ٢٣٣ إلى يحيى بن الحكم أخى مروان .

(٢) ديوانه ٣ : ١٩٤٤ ، ووَحْشِىٌّ هو قاتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فى غزوة أحد ، وابن مُلْجَم قاتل على رضى الله عنه .

(٣) فى ديوانه « وحتف على » ، و « فى حسام » .

(٤) ديوانه ١ : ٥١٨ وقد مضت الأبيات فى ٢ : ٢٣٧ .

(٥) ديوانه « وكيف تجوز إن همّت بحكم » .

(٦) لم أعرفه ، ولم أقف على البيت .

## ذكر تأسف من لم يشهد المقتول فيحميه أو يموت دونه (1)

قال البحتريُّ فى يوسفَ بنِ محمّد بن يوسفَ (2) :

خلا أمَلى من يوسفَ بنِ مُحمَّدٍ ... وأَوْحشَ فِكْرِى بَعْدَهُ وظُنونِى (3)

وكانَ يَدى شُلَّتْ ، ونَفْسى تُخُوِّنَتْ (4) ... ودُنْيـاىَ بائَتْ يومَ بانَ وَدِينِــى

فواأسَفِى ألَّا أكونَ شَهِدتُهُ ... فجاسَتْ (5) شِمَالى عِنْدَهُ ويَمِينِى

وألّا لَقِيتُ الموتَ أحْمَرَ دُونَه ... كما كانَ يَلْقَى المَوْتَ أحْمرَ دُونِى (6)

* * *

(1) لم يرد هذا المعنى فى مراثى أبى تمّام ، غير أنّ الآمدى لم ينبه على هذا كما هى طريقته .

(2) ديوانه ٤ : ٢١٨٢ .

(3) فى الأصل « وأوحش فكره » ومكان « بعده » بياض .

(4) ديوانه « تُخُرِّمت » .

(5) فى ديوانه « فخاست » بالخاء المعجمة .

(6) ديوانه « كما كان يلقى الدهر أغبر دونى » .

# مراثى الصّغار

قال أبو تمّام فى ابنَىْ عَبدِ اللهِ بنِ طَاهرٍ[(١)] :

لِلهِ أيّةُ لَوْعَةٍ ظِلْنا بِهَا    تَركَتْ بَكِيَّاتِ العيونِ هَوامِلا[(٢)]

مَجْدٌ تأوّبَ طارقًا حتّى إذا    قُلْنا أقامَ الدّهرَ أُصْبح آفِلا[(٣)]

نَجْمانِ شاءَ اللهُ ألّا يَطْلُعَا    إلا ارْتِدادَ الطَّرْفِ حتّى يَأفُلا

إنّ الفَجيعَةَ بالرِّياضِ نَواضِرًا    لأَجَلُّ مِنْها بالرِّياضِ ذَوابِلا

/ لَوْ يُنشآنِ لكانَ هذا غارِبًا[(٤)]    لِلمَكْرُماتِ وكانَ هذا كاهِلا ٢٩

لَهْفًا على تِلْكَ الشَواهِدِ فِيهِما    لو أُمْهلتْ حتّى تَكونَ شَمائِلا[(٥)]

لغَدَا سُكونُهما حِجًى وصِباهُما    كَرَمًا ، وتِلْكَ الأَرْيَحِيَّةُ نائِلا[(٦)]

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٢٢ والتبريزى ٤ : ١١٤ .

(٢) « لله » ساقطة من ديوانه !!! وأثبت محقق الديوان البيت مع وضوح الخطأ ، واستدركه فى ملحق التصويب : ٦٦٠ .

(٣) ديوانه والتبريزى « راحلا » .

(٤) ديوانه والتبريزى « لو ينسآن » بالسين المهملة ، وقال الصولى فى أخبار أبى تمّام : « كذا أنشده أى « ينشآن بالشّين المعجمة » ، وكذا ينشده النّاس ، والذى أقرأنيه أبو مالك عون بن محمد الكندى ، وقال قرأته على أبى تمّام « لو ينسآن » أى لو يؤخران ، وهو الأجود عندى » : ٢١٧ .

(٥) ديوانه والتبريزى « لهفى » .

(٦) ديوانه والتبريزى : « وصباهما حلما » ، وانظر أخبار أبى تمّام للصولى : ٢١٨ .

ولأُعْقِبَ النَّجْمُ المُرِذُّ بديمَةٍ ولعادَ ذاكَ الطَّلُّ جَوْدًا وابلا
إنَّ الهِلالَ إذَا رأيتَ نُموَّه أيْقَنْتَ أَنْ سَيكونُ بَدْرًا كاملا

وهذا مالا شيءَ أحسنُ منه ، ولا أَلْطفُ ولا أَبْرعُ لَفْظا ومَعنًى .

قَوْلُه :

أُمْهِلَتْ حتَّى تَكونَ شَمائِلا

أخذه من قول الفرزدقِ فى امرأةٍ له تُوفيّتْ حامِلا :[1]

وجَفْنِ سِلاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنُحْ عَلَيْهِ ولم أَبْعَثْ إلَيْهِ البَواكِيا[2]
وفى جَوْفِهِ من دارمٍ ذو حَفيظَةٍ لَو آنَّ المنايا أَنْسَأتْهُ لياليا[3]

وقال أبو تمّامٍ :[4]

ياشهابًا خبَا لآلِ عُبَيْدِ اللَّـ (م) ـهِ أَعْزِزْ بفقده من شِهابِ[5]
زَهْرَةٌ غضَّةٌ تَفتَّحَ عَنْهُ الـ ـمَجْدُ فِى مَنْبِتٍ أَنيقِ الجَنابِ[6]
خُلُقٌ كالمُدامِ أو كَرِضَابِ الـ ـمسك أو كالعبير أو كالمَلابِ[7]
أنزلته الأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِها من بَعْدِ إثبات رِجْلِهِ فى الرِّكَابِ

البيتُ الثانى فى غايةِ الحُسن والحلاوة ، وهذا الأخيرُ فى غَايةِ الرَّداءة والسَّخَافةِ .

وتأتى بعد هَذا جهالاتٌ وحماقاتٌ مِنْها :

---

(١) ديوانه ٢ : ٨٩٤ وقال : ومر بجارية لبنى نهشل فوثب عليها فأحبلها ، فماتَتْ بجَمْع .

(٢) ديوانه : « وغِمْدُ سلاح » ، « لم أبعث عليه » .

(٣) ديوانه : « لَوَ آنّ الليالى أنسأته لياليا » .

وفى الأصل : « أنشأته » باعجام الشين ، والبيتان سبقا فى ٢ : ٨٦ .

(٤) ديوانه ٣ : ٢٥٥ والتبريزى ٤ : ٤٥ .

(٥) ديوانه والتبريزى : « بفقد هذا الشهاب » .

(٦) ديوانه « تفتق » .

(٧) فى الأصل : « أو كالعنبر » تصحيف . ويجب تصحيح تشطير البيت فى الديوان وفى شرح التبريزى .

فَهْوَ غضُّ الإباءِ والرَّأيِ غَضُّ الْـ ـحَزْمِ غَضُّ النَّوالِ غَضُّ الشَّبابِ (١)

وحَسْبَك بِهذا رَقاعةً ورُعونةً وسُخْفا .

وقال : (٢)

حينَ ارتوى الماءَ وافْتَرَّتْ شَبيبَتُهُ عن مُضْحِكٍ لِلْمعالى ثَغْرُهُ بَرَدُ

فَجَعل لِلْمَعالى ثَغْرًا ، وجَعله بَرَدًا .

وقال البحتريُّ يَرْثِى غُلامًا صغيرًا لابن بِسْطامٍ مُغَنِّيًا (٣) :

يَقُولُونَ لَمْ يَكْبُرْ فَيَشْتَدَّ حُزْنُهُ وكانَ الهَوىٰ يَحْلىٰ لأَصْغَرِ أَصْغَرِ (٤)
وأَعْتَدُّ إبْهامِى أَشَدَّ أَصابِعى ولم يَتَحمَّلْ خاتَمي مِثْلُ خِنْصِرِى (٥)

رثَى هذا الغلامَ كما يَليق بالغِلْمانِ ، لا كما يَرثِى أولادَ السادَّةِ ، يقولُ فيها :

يَشيدُ بحاجاتِ النُّفوسِ إذا اعْتَزَىٰ إلى « ابنْ سُرَيْجٍ » أو حكى « ابْنَ مُحَرِّرٍ » (٦)
لَنِعْمَ شَرِيكُ الكَاسِ فى لُبِّ ذى الحِجَى إذا اسْتَهْلَكَتْــهُ بين نَايٍ ومِزْهَــرِ (٧)

---

(١) ديوانه والتبريزى :

« وهو غض الآراء والحزم خرق ثمّ غض النوال غض الشباب »

(٢) ديوانه ٣ : ٢٩٠ والتبريزى ٤ : ٧٨ .

(٣) ديوانه ٢ : ١٠٥٨ .

(٤) ديوانه : « فَيَشْتَدَّ رزؤه » وقد أثبتها فى الأصل بخطٍ دقيق ، وفى ديوانه : « وكان الهوى نُحلاً لأصغرِ أصغر » .

(٥) ديوانه : « حمْلَ خنصَرى » ، ويجوز فتح الصاد وكسرها فى « خنصر » .

(٦) فى الأصل : « ابن شريج » ، وقال محققه عن « ابن محرّر » – ورواها « ابن محزّر » باعجام الزاى الأولى – : أخطأ البحترى فى اسم هذا المُغَنِّى ، فليس فيما بين أيدينا من المراجع من يُعْرَفُ بهذا الاسم ، وقد ورد فى بعض النسخ « ابن مُحَرَّرِ » ، والمعروفُ هو « ابن مُحَرَزِ » بالرّاءِ قبل الزاى » .

وأقول : وهل نستطيع أن نجزم بأنه لم يكن هناك من اسمه « ابن محرّرِ » أو « ابن مُحَزّرِ » ؟ وهل يجوز أن يُخَطَّأَ البحتريُّ فى مثل هذا ؟؟ .

(٧) ديوانه : « شريك الراح » .

ومَغُتَالُ طولِ اللَّيْلِ حَتَّى يُقيمَنا   على سَاطِعٍ من طُرَّةِ الفَجْرِ أَحْمَرِ
غَرِيرٌ متَى تُخْلَطْ به النَّفسُ تَبْتَهِجْ   لَهُ ، ومَتى يُقْرَنْ بِهِ العَيْشُ يقْصُرِ
إذا ماتراءتْهُ العُيونُ تَحدَّثَتْ   بِكُلِّ مُسَرٍّ من هَواها ومُضْمَرِ
أُسَيْتُ لِمَوْلاهُ علىٰ حُسْنِ مَسْمَعٍ   خَلِيقٍ بِشَغْلِ السامعينَ وَمَنْظَرِ[1]
مُضِيءٌ تَظَلُّ العَيْنُ تَصبُغُ خَدَّهُ   مَتى تَثْنِ فِيهِ نَظْرَةً يَتَعَصْفَرِ
كأَنَّ النُّجومَ الزُّهْرَ أَدَّتْهُ خَالِصًا   لِزُهْرَةِ صُبْحٍ قَدْ تَعَلَّتْ ومُشْتَرِى

* * *

---

(١) هذا البيت والذى بعده ترتيبهما فى الديوان قبل الأبيات السابقة . وفى الديوان : « تُثْنَ فيه نَظرةٌ تَتعصْفَرِ » .

## الذِّكرُ للميِّتِ وطِيبُ الأحاديثِ بَعْدَه

قال أبو تَمَّامٍ[1] :

فتًى يَنْفَحُ الأَقْوامَ مِنْ طِيبِ ذِكْرِهِ ... ثناءً كأنَّ العَنْبَرَ الوردَ شامِلُهْ[2]

وقال[3] :

إلَّا تَكُنْ صَدَرتْ عَنْ مَنْظَرٍ [ حَسَنٍ ] ... مِنْهُ فَقَدْ صَدَرتْ عن مَسْمَعٍ حَسَنِ

وقال[5] :

وقُمْنا فَقُلْنَا بَعد ما أُودِعَ الثَّرىٰ ... لَهُ مايُقالُ فى السَّحابَةِ تُقْلِعُ[6]

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٢٨ والتبريزى ٤ : ١٠٩ .

(٢) ينفح : نَفَح الطِّيبُ أَرِجَ وفاحَ وفى ديوانه والتبريزى « ينفج » بالجيم أى : يثور .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٥٧ والتبريزى ٤ : ١٤١ .

وما بَيْن المعقوفين سقط من الأصل ، وفى ديوانه وشرح التبريزى : « حَزْبٌ فقد صدرت .... » .

(٥) ديوانه ٣ : ٣١٥ والتبريزى ٤ : ٩٧ . وفيهما : « بعد أن أُفْرِدَ الثرى به ... » .

(٦) بعد هذا البيت فى الأصل بيت لبشار فى ذكر الاستبطاء والتنجز ، ويبدو أن هناك خرما وتداخلا فى الأبواب ، وعلى أية حال فإن مراجعة أبواب الرثاء التى وردت فى هذه النسخة على أنواع المعانى التى سردها فى بداية « كتاب المراثى » أظهرت أن هذه النسخة لم تخل إلا بِبَابَيْ :

( أ ) زوالُ الصَّبْرِ عن المفجوع .

(ب) تولى العيش وذهابُه وتغيُّرُ الأشياءِ لفقده .

مع ملاحظة أن هناك أبوابا شرحها الآمدى ولم يذكرها فى مقدمة كتاب المراثى وهى :

( أ ) ذكر الخيل والسلاح وقبحهما بعد الميت وبكائهما عليه .

(ب) ذكر من لم يشهد المقتول فيحميه أو يموت دونه .

(١)

..............................................................................

## ذكر الحجاب والشفاعة والاستبطاء والتنجز (٢)

(١)

..............................................................................

(٣)
[ وقال بشار ] :

تُعْطِى الغَزِيرَةُ دَرَّها فإذا أبت ... كانَتْ مَلامَتُها على الحَلَّابِ

يقولُ : أَنْت من المَهدىِّ بِمَنْزِلَةِ الحَالِبِ من النَّاقِةِ الغَزِيرةِ ، التى إذا لم يوصلْ إلى دَرِّها فليس ذلَك من قِبَلِها ، وإنما هو من مَنْع الحَالِبِ منها .

(٤)
وقال أبو تمّام وذكرَ الحِجابَ :

ومُحجَّبٍ حَاوَلْتُهُ فَوَجَدْتُـهُ ... نَجْمًا عنِ الرَّكْبِ العُفاةِ شَسُوعَا

لمَّا عَدِمْتُ نَوالَهُ أَعْدَمْتُهُ ... شِعْرِى فَرُحْنا مُعْدَمَيْنِ جميعا

---

(١) (١) هنا نهاية باب المراثى الذى يختم « بالذكر للميت وطيب الأحاديث بعده » وبعد أن ذكر ثلاثة أبيات لأبى تمّام نجد الناسخ قد أدخل بيت بشار معها فصار هذا الباب متداخلا مع الرثاء ، والواضح أن خرمًا قد وقع في بداية هذا الباب فى النسخة التى ينقل منها .

(٢) انظر : ٥٤٣ ، وهذا العنوان ساقط من الأصل وأثبته استنادا إلى ما ورد هناك .

(٣) ديوانه ١ : ١٨٨ وما بين المعقوفين سقط من الأصل .

(٤) ديوانه ٣ : ١٦٢ ، وشرح التبريزى ٤ : ٣٩١ وفيهما : « نجما على الركب » و « أعدمته شكرى » .

وهذا غايَةٌ فى حُسْنِهِ وصِحَّتِهِ وهو من مَشْهورِ إحْسَانِهِ .

وقال البُحْتريُّ[١] فى قريب من هذا المعنى :

/ ومُؤَمَّرٍ صَارَعْتُـهُ عَنْ عُرْفِـهِ ... فَوجَدْتُ « قُدْسَ » مُعَمَمًّا بِعمَائِهِ ٣٠

جِدَةٌ يَذود البُخْلَ عَنْ أَطْرافِها ... كالبَحْرِ يَدْفَعُ مِلْحُهُ عن مائِهِ

أَعْطىٰ القَليلَ وذَاكَ مَبْلَغُ قَدْرِهِ ... ثُمَّ استَـرَدَّ فذاكَ مَبْلَـغُ رَائِـهِ[٢]

خَطَبَ المديحَ ، فَقُلْتُ : خَلِّ طَرِيقَهُ ... لِيَجُوزَ عَنْكَ فلَسْتَ من أَكْفائِهِ

وقال أبو تمّامٍ[٣] :

صَبْرًا على المَطْلِ مَالَمْ يَتْلُهُ الكَذِبُ ... فلِلْخُطـوبِ إذا سَامَحْتَهـــا نُوَبُ[٤]

يا أَيُّهـا الملكِ النَّائـي برؤْيَتِـهِ ... وجُـــودُه لِمُراعـــى جُودِهِ كَثِبُ[٥]

لِيسَ الحِجابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِى أَمَلًا ... إنَّ السَّماءَ تُرجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ

هذا معنى عابَهُ به أبو العبَاسِ المُبَرِّدُ على ماحكاه عنه الفزاريُّ[٦]، وقال : الذى يُرجَّى هو الحِجابُ نَفْسُه ، وإنَّما أخذَ هذا من قَوْل مُسْلم بنِ الوليدِ[٧] :

كذلِكَ الغَيْثُ يُرْجىٰ فى تَحَجُّبِهِ ... حتَّى يُرىٰ مُسْبِلًا عن وابِلِ المَطَرِ[٨]

---

(١) ديوانه ١ : ٢٩ . وفيه : « ومُؤَمَّلٍ صارعته » .

قدس : جبل ، وقيل جبل عظيم فى نجد .

(٢) ديوانه : « مبلغ وائه » .

(٣) ديوانه ٣ : ٤٨٩ والتبريزى ٤ : ٤٤٦ .

(٤) فى ديوانه والتبريزى : « إذا سامحتها عُقَبُ » .

(٥) ديوانه والتبريزى : « لِمُرَجِّى جُودِهِ كَثِبُ » .

(٦) هو أبو زُرْعةَ الفزارى ، ذكره الزبيدى فى « طبقات النحويين ص ١١٤ » فى الطبقة التاسعة من أصحاب أبى العباس المبرد ولم يترجم له .

(٧) ديوانه : ٣٢١ نقلا عن الموازنة ١ : ٧١ .

(٨) روى هناك : « مُسْفِراً عن وابلِ المَطَر » .

وقَوْلُ أبى تمَّامٍ أَقْرَبُ إلى الصِّحَّةِ من قَوْلِ مُسْلِمٍ ، وقد ذَكَرْتُ مافى البَيْتَيْنِ جميعًا فى بابِ سَرِقات أبى تَمَّامٍ .(١)

---

(١) هذا وهم من الآمدى فلم يذكر ما فيهما فى ذلك الباب ، وإنما قال : « إلا أن لبيت أبى تمّام وجها من الصواب ، وقد ذكرته فى باب من هذا الكتاب ، مع ما أخذ على مسلم بن الوليد فى بيته من العيب » ١ : ٧١ ، كما لم يذكرهما فى موضع آخر من الكتاب وفقا للنُّسَخ التى بين أيدينا ، ووجدت ابن المستوفى نقل فى كتابه « النظام » نصاً للآمدى من كتابه المفقود « تفسير معانى أبيات أبى تمّام » « ولم يرد اسم هذا الكتاب مع أسماء الكتب التى ذكرها من ترجموا له قديما ، وقد أشار إليه الآمدى فى هذا الجزء اشارة صريحة فى : ص ٦٤٧ » ، قال ابن المستوفى : « ذكر الآمديُّ القول فى هذا البيت فى غير موضع من كتابه « يعنى الموازنة » واستوفى القول عليه فى شرح الأبيات « يعنى كتاب » تفسير معانى أبيات أبى تمّام » فقال – وأنشده – :

« قد عابه قوم بهذا المعنى ، وقالوا : إنّ السّماء إذا احتجبت بالسحاب فحجابُها هو المرجوُّ دونَها ، وإنْ كان أرادَ بالسَّماءِ السَحَابَ فقد أخطأ أيضا ، لأن السَّحابَ يحتجب بماذا ؟ فإن أراد أنّ بعضه يحجب بعضا ، فذلك أيضاً خطأ فى العبارة ، وتأوّل بعيد أن يكون سحاب محجوب فى سحاب ، ويكون الماطر هو المحجوب دون حجابه ، وهذا ما لا يُعْقَلُ .

والبيت عندى صحيح ، ولم يذهب أبو تمّام إلى شيء مما ذهبوا إليه ، وإنما أراد السّماء نفسها ، لأنّ الرّزق من السّماء ينزل ، على ما جرى به العرف ونطق به القرآن فى قوله تبارك اسمه : « وفى السماء رزقكم » « الذاريات آية ٥١ » ، لأنّ الإنسان إنما يرفع يده في مسألة ربّه والتماس الفضل من عنده إلى السّماء ، فإذا أجابه وأعطاه فكأنّ رزق الله من السماء نزل عليه ، وكذلك إذا افتقر وانسدّت عليه الأبواب قال : كأن رزقى انقطع من السّماء ، وكأنّ أبواب السّماء أُغلِقَتْ دونى ، ونحو هذا فإذا جاء الغيث فهو منسوب إلى السماء ، وإن كان من السحاب الذى هو حجاب ، وإنما أخذه أبو تمّام من قول مسلم بن الوليد :

كذلِكَ الغَيْثُ يُرجىَ فى تَحجُّبِهِ  حتَى يُرىٰ مُسْفِراً عن وابِلِ المَطَرِ

وما أرى العيب فى هذا لاحقا غير مسلم ، لأنّ العذر له يضيقُ ، لأنَّا إن تأوّلنا له أنّ احتجاب الغيث هو بالغمام – وإن كان الغيث هو الغمام نفسه إذا ذاب وانحلّ – وجعلنا ما انحدر منه كأنّه كان محتجبا فيما بقى من السّحاب فلا عذر له فى قوله : « حتى يرى مسفرا عن وابل المطر » ، لأنّ الغيث كيف يكون مُسْفِرًا عن وابل المطر ، وهو المَطَرُ نفسه ؟ ، وإن أراد بقوله : « حتى يُرىٰ مسفرا » : السّحابَ ، فذلك خطأ ، لأنَّ السحاب كان محتجباً بماذا ؟؟ .

وإنّ المُفْسِدَ لبيت أبى تمّام أبُو العبَّاس محُمَدُ بنُ يزِيدَ ، لأنى وجدت ما حكيته بَخِطِّ الفزارِىِّ فى جملة أشياء كتبها من ألفاظِه ، وكان ملازما له » .

« النظام مخطوطة دار الكتب : ١ لوحة ١٤٣ » .

وقال البحتريّ[(١)] فى هذا المعنى :

عَجَبًا مِنْهُ ما انْطوىٰ سَيْبُهُ عنـ (م) ـا بِعَوْقٍ أَنَّىٰ طواهُ حِجابُـهْ[(٢)]
لم يكُنْ نَيْلهُ الجَزيلُ وقد رُمْـ ـناه صعبا ، فكيف يَصْعُبُ بَابُهْ؟[(٣)]
خابَ من خابَ عن طَلاقَةِ بِشْرٍ ضَوّأَ الحادِثَ المُضِبَّ شِهابُهُ[(٤)]

وأحسنُ ماقيلَ فى رَفْع الحِجاب قولُ الفرزدق[(٥)] :

و لَوْ شاءَ بِشْرٌ كان من دِونِ بَابه طَماطِمُ سُودٌ أو صَقَالِبَـةٌ حُمْـرُ[(٦)]
ولكِنَّ بِشْرًا سَهَّل الإِذْنَ لِلَّتِي يَكُونُ لِبِشْرٍ عِنْدَها الحَمْدُ والشُّكْرِ[(٧)]
يُرىٰ بارِزًا لِلنَّاسِ بِشْرٌ كَأَنَّهُ إذا رَاحَ فى أَثْوابِـهِ القَمَـرُ البَـدْرُ[(٨)]

وقال أبو تمّام[(٩)]:

وَلِى هِمَّةٌ تَمضِى العُصورُ وإنَّها كَعَهْدِكَ من أَيَّامِ مِصْرَ لحَامِلُ

---

(١) ديوانه ١ : ١١٨ .

(٢) ديوانه : « إذا طواه » .

(٣) هذا البيت شُطِّرَ خطأً فى الديوان .

(٤) ديوانه : « عن طلاقة وجه » .

(٥) لم أجد الأبيات فى ديوان الفرزدق ، وروى الأول والثانى فى البيان والتبيين ٣ : ٣١٠ لابن عَبْدَلَ الأسدىّ وفيه :

ولكِنَّ بِشْراً سَهَّل البابَ لِلَّتِي تَكونُ لِبِشْرٍ غِبُّها الحَمْد والأَجْرُ

وورد الأول والثانى أيضا فى رسائل الجاحظ ٢ : ٨١ منسوبين مع بيت ثالث إلى أيمن بن خُرَيْم الأسدى وفيه :

ولكِنَّ بِشْراً أَسْهَل البَابَ لِلتِي يَكونُ له من دونِها الحَمْدُ والشُّكْرَ

ووردت الأبيات الثلاثة فى الأغانى « ٢١ : ٨ » فى أخبار أيمن بن خُرَيْم .

(٦) فى الأصل « لو شاء » والتصحيح من الأغانى ، وفيه : « أو صقالبة شقر » .

(٧) فى الأغانى :

« أبى ذا ولكِنْ سَهَّل الإِذْنَ لِلتِي يكون لَهُ فى غِبِّها الحمْدُ والشُّكْرُ »

(٨) فى الأغانى : « إذا لاح فى أثوابه قمرٌ بدرُ » .

(٩) ديوانه ٢ : ٣٤٢ وشرح التبريزى ٣ : ١٢٨ ، ١٢٩ وفيه « كعهدك من أيام وعدك حامل » .

ولو حَارَدَتْ شَوْلٌ عَذَرْتُ لِقَاحهَا ... ولكنِ حُرِمْتُ الدَّرَّ والضَّرْعُ حافِلُ

وقال مُنقِذُ بنُ هِلالٍ فى غَيْرِ هذا المَعْنى (١) :

علامَ أرىٰ من مرورِ الغُيو ... ثِ حَوْلِى وأُحْرَمُ أمطَارَها

وقال البحتريُّ (٢) :

وما مَنعَ الفَتْحُ بنُ خاقانَ نَيْلَهُ ... ولكِنَّها الأَقْدارُ تُعطِى وتَحْرِمُ

سحابٌ خَطانِى جُودُه وَهْوَ مُسْبِلٌ ... وبَحرٌ عدانى فَيْضُهُ وَهْوَ مُفْعَمُ

وبَدْرٌ أضاءَ الأَرْضَ شرْقًا ومَغْرِبًا ... ومَوضِعُ رِجلى مِنْهُ أسْودُ مُظْلِمُ !

أأَشْكُو نداهُ بَعْدَما وَسِعَ الوَرىٰ ؟ ... ومَنْ ذَا يَذُمُّ الغَيْثَ إلّا مُذَمَّمُ !

وقال آخَرُ (٣) :

وما حَسَنٌ أن يَعْذِرَ المَرْءُ نَفْسَهُ ... ولَيْسَ لَهُ خَلْقٌ من النَّاسِ عَاذِرُ

وقال أبو تمّام يَسْتَشْفِعُ (٤) :

كيفَ الشّكايَةُ للزَّمانِ وصَرْفِهِ ... ونَدَى الأَمِيرِ وأَنْتَ من أَيَّامِه (٥) ؟

هذا سحابٌ أَنتَ سُقْتَ ثِقَالَهُ ... وعلَيْكَ بعدَ اللهِ صَوْبُ غَمَامِهِ (٦)

---

(١) منقد بن عبد الرحمن بن زياد الهلالى ، قال المرزبانى فى معجم الشعراء : ٣٣٠ : « بصرى خليع ماجن متهم فى دينه ، يرمى بالزندقة ، كان فى صدر الدولة العباسية » ، وبعده :

وقد كُنْتَ عَوَّدْتَنِي عَادَةً ... تَتَبَّعتِ النَّفْسُ آثارَها

(٢) ديوانه : ٣ : ١٩٧٦ .

(٣) البيت لمضرس بن ربعى ، شرح حماسة أبى تمّام للمرزوقى ٣ : ١١٥٢ وفيه « ليس له من سائر الناس عاذر » ، والمزهر للسيوطى ١ : ١٣٦ والمضنون به على غير أهله : ٢٦ .

(٤) لم أجد الأبيات فى ديوانه برواية الصولى ، وهى فى التبريزى ٣ : ٢٦٩ ، وديوانه لمحى الدين خياط ٣٠٩ .

(٥) ديوانه « خياط » ، والتبريزى : « وأنت فى أيامه » .

(٦) ديوانه « خياط » والتبريزى : « أنت سقت غمامته » ، « فيض غمامِهِ » .

إنَّ ابْتِداءَ العُرْفِ مَجْدٌ بَاسِقٌ ۝ والمَجْدُ كلُّ المَجْدِ فى اسْتِتْمامِهِ
هذا الهِلالُ يَروق أَبْصَارَ الوَرى ۝ حُسنًا ولَيْس كَحُسْنِهِ لِتمَامِهِ

وقال :[1]

بأيِّ نُجومِ وَجْهِكَ يُسْتَضَاءُ ۝ أبا حَسَنٍ وَشِيمَتُكَ الإباءُ ؟
أَتَتْرُكُ حاجَتِى عَرَضَ التَّوانِى ۝ وأَنْتَ الدَّلْوُ فِيها والرِّشَاءُ ؟!
تَأَلَّفْ آلَ إِدْرِيسَ بنِ بَدْرٍ[2] ۝ فتَسْبِيبُ العَطَاءِ هو العَطَاءُ

وهذا معنًى حَسَنٌ ثمّ أَفْسَدَهُ بِقَوْلِهِ :

وخُذْهُمْ بالرُّقَىٰ إنَّ المَهارِي ۝ يُهَيِّجُها على السَّيْرِ الحُدَاءُ
فإمّا جادَ منّى الشِّعْرُ فِيهم ۝ وإمّا جادَ مِنْكَ الْكِيمِيَاءُ[3]

« الكيمياءُ » فى هذا المَوْضعِ لَيْسَ يَقْبُح كَقُبْحِهِ فى قَوْلِهِ :

كِيمياءُ السُّؤْدَدِ[4]

---

(١) ديوانه ٣ : ٤٨٥ والتبريزى ٤ : ٤٤٠ .
(٢) فى الأصل : « تألَّف آل إدريس » والتصحيح من ديوانه والتبريزى .
(٣) ديوانه وشرح التبريزى :
« فإما جاز ...................... وإما جاز ...................... »
وفى الأصل : « مثل الكيمياء » تحريف .
(٤) أراد قولَ أبى تمّامٍ يَمْدح المأمونَ :
ما زالَ يَمْتَحِنُ العُلىٰ ويَرُوضُها ۝ حتى اتَّقَتْهُ بِكِيمِياءِ السُّؤْدَدِ
« ديوانه : ١ : ٤٥٣ والتبريزى : ٢ : ٥٠ وانظر الموازنة : ٢ : ٣٥٣ » .
وقد نقل ابنُ المستوفى فى النِّظامِ تعليقات بعض شارحى شعر أبى تمّام فقال :
« قال الآمدى : قد أنكر عليه قوم « كيمياء السؤدد » واستهجنوه ، وليس عندى منكر ، لأنّه أراد بكيمياء السؤدد ، أى : سرُّ السؤددِ ، الذى هو أخلصه وأجوده ، وقال الخارزنجى : « كيمياء السؤدد » : جوهره وخميرته التى بها يجود ، وتنتهى إليه غايته ، « حتى اتقته بكيمياء السؤدد » أى : حتى أعطته جوهر السؤدد ، ويقال : اتقى فلان فلانا بحقه ، أى : أعطاه حقه . =

وقال البحتريُّ فى المهتدى وابنِه العباسِ[١]:

وإنى أَرْتَجِيكَ وأَرْتَجِيــهِ لَدَيْكِ لِنَائِلِ بِكَ مُسْتَفادِ
وأَقْرَبُ مايكونُ النُّجْحُ يَوْمًا إذا شَفَع الوَجِيهُ إلى الجَوادِ

٣١ / وهذا إحسان أبى عُبادَة الذى يُتمَثَّل بِهِ .

وقال[٢]:

أبا عيسىٰ وأنتَ المرءُ يَعلُو له النَّفْسُ الشَريفَةُ والقَبيلُ
وَفَرْتُكَ ، لاهوًى لكَ فى وُفورٍ إذا ماكانَ من حَقٍّ نُزولُ[٣]
ولكِنْ جاهُ ذى خَطَرٍ شَرِيفٌ أَراهُ وَهْوَ مِنْ حَقٍّ بِدَيــلُ[٤]
إذا ما القَوْلُ عادَ لنَا بِطَوْلٍ فَقَبْضٌ من فَعالِكَ ماتَقُولُ

وقال[٥]:

خَطَبْنا إلَيْهِ قَوْلَهُ غِبَّ فِعْلِهِ ومن يَفْعَلِ المَعْروفَ فَهْوَ يَقُولُ
وما عائِدٌ من جَاهِهِ بعد جُودِهِ بِمُبْعِدِه من أنْ ينالَ جَزيــلُ[٦]

---

= وقال أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار فى رسالته فى « ذكر أخطاء أبى تمّام » : وتالله ما يدرى كثير من العقلاء ما أراد ، ولا يتكلم بهذا إلا من يجب أن يُحْظَر عليه ما له ويطال فى « المرستان » حبسه وعلاجه .

وقال عبيد الله بن محمد بن سعيد بن سنان وأنشد قوله :

لِيَزِدْكَ وَجْداً بالسَّماحةِ ما تَرَى من كِيمِياءِ المَجْدِ تَغْنَ وتَغْنَمِ

« ديوانه : ٢ : ٤٢٨ » .

و « كيمياء » من الألفاظ العامة المبتذلة ، وليس من كلام الخاصة ، ولا يحسن نظم مثلها » « النظام ١ : لوحة ٣٣٠ » .

(١) ديوانه ١ : ٥٢٦ .

(٢) ديوانه ٣ : ١٨٢١ .

(٣) ديوانه : « لاهوى بك ...... » و « إذا ما حان من حق نزول » .

(٤) ديوانه : « وهو من جود بديل » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٨٣٣ .

(٦) ديوانه : « وما ساعة من جاهه بعد جوده « بمبعدة » .

أرانى حقيقًا أن أؤولَ إلى الغِنىٰ    إذا كانَتِ الشُّورى إليْك تؤولُ

وهذا كلُّه جَيِّدٌ بالِغٌ .

ولَهُمَا فى « كِتابِ الجُودِ والكَرَمِ »[1] بابٌ أَفْرَدتُه فى الشَّفاعَةِ ، ولكِنْ ذاك وَصْفٌ لما كانَ من شَفاعَةِ الجَوادِ ، وهذا سؤالٌ للجْوادِ أَنْ يَشْفَعَ .

وقالِ البحترىُّ وذكرَ الشَّفاعةَ فى وَجْهٍ آخر[2] :

أَبَعْدِ إِعْطائِكَ الجزيلَ وإِيـ    ـمانٍ مُرَجٍّ من سوء مُنْقَلبِهْ

أَبْغِى شفِيعًا إِليْكَ أو سَبَبًا    عِنْدَك فى النَّاس أَسْتَزِيدُك بِهْ ؟

والظُّلْمُ أَنْ يَبْتغِى الفَتَى سَبَباً    يَجْعَلُهُ وُصْلَةً إلىٰ سَبَبِهْ !

ولأبى تَمّامٍ فى الاسْتِبْطاءِ والتَّنَجُّزِ أشياءُ رديئةٌ قَبيحةٌ منها قوله[3] :

أَبَا بِشْرٍ قَدِ اسْتَفْتَحْتَ أَمْرًا    وقـد أَتْمَمْتَـهُ إِلّا قَلِيـلا

فأَصْبحَ وَهْو جَبَّارٌ وعَهْدِى    بِهِ مُذْ أَشْهُرٍ يُدعىٰ فَسِيلا

ومنها قَوْلُه[4] :

قد لانَ أَكْثَرُ ما أُريدُ وبَعْضُهُ    خَشِنٌ وإِنّى بالنَّجـاحِ لَواثِـقُ[5]

فى الرَّوْض قُرّاصٌ وفى سَيل الرُّبىٰ    كَدَرٌ وفِى بَعْضِ الغُيوث صَواعِقُ[6]

وغيرُ هذا من السُّخفِ الذى لَمْ أَكْتُبْهُ .

---

(١) سبق فى ص ٢٠٧ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٤٤ .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٨١ والتبريزى ٣ : ٦٤ ، والجبار من النخل : ما فات اليد . وفى التبريزى : « قد استفتحت باباً » .

(٤) ديوانه ٢ : ١٥٣ والتبريزى ٢ : ٤٥٢ .

(٥) ديوانه والتبريزى : « أكثر ما تريد » .

(٦) ديوانه التبريزى : « قُرّاص » بالصاد المهملة .

وقال أبو تمّام[١] :

إذا ما الحاجَةُ انبعَثَتْ يداها　　جَعْلتَ المَنْعَ مِنْكَ لِها عُقالا
وأينَ قَصائِدٌ لِى فيكَ تَأْبَىٰ　　وتَأْنَفُ أن أُهانَ وأَنْ أُذالا ؟
من السِّحْرِ الحَلالِ لِمُجْتَنيهِ　　ولم أَر قَبْلَها سِحْرًا حلالَا

فالبيتُ الأوّلُ جَيِّدٌ ، والثّانى رَدِىءٌ ، ومعنَى الثّالثِ مُتداوَلٌ على الأفواهِ وجارٍ فى العاداتِ .

وقال البحترىُّ يُخاطِبُ الحَسنَ بنَ مَخْلَدٍ[٢] :

أَمُطْلِقِى مِنْ يَدِ « السَّيْبِىِّ » أَنْتَ فَقَدْ　　كلَّتْ لَدْيهِ رِكابُ الطَّالِبِ الطُّلُحُ[٣]

* * *

---

(١) ديوانه ٣ : ٥٣٣ ، والتبريزى ٤ : ٤٨١ .

(٢) ديوانه ١ : ٤٣٩ .

والحسن بن مخلد : كاتب الموفق ، كان يتولى ديوان الضياع للمتوكل جعفر ، استوزره المعتمد بعد موت عبيد الله بن يحيى ولد سنة ٢٠٩ وتوفى سنة ٢٦٩ « الفخرى ص ٢٥١ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٤٥ سير أعلام النبلاء ١٣ : ٧ » .

(٣) وجاء فى أخبار البحترىّ الخبر رقم ٥٤ : « وحدثنى أبو الغوث قال : لما طولب الناس فى أيام المعتمد بردّ الإقطاعات ونقص الإيغارات قُسِّطَتْ على الضياع الأموالُ ، طولب أبى بمِثلِ ذلِكَ . فقال :

أَمُرْتَجَعٌ منى حِباءُ خلائِفٍ　　تَوَلَّيْتُ تسيير المديح لهم وحدى

الأبيات .... ثم رأى أنه لا يخلصه من ذلك إلا أبو محمد الحسن بن مخلد فمدحه بقصائد .....
فجعل أمره إلى كاتبه « السيبى » ، وأمره أن يفعل ما يريد ، فطالبه بِصُلْحٍ عن ضَيعَتِهِ ، فقال يمدح الحسن ويشكو السيبى إليه :

لكَ الخلائقُ فينا السَّهلةُ السُّمُحُ　　والنَّيْلُ يَسْلُسُ للرَّاجي ويَنْسَرِحُ

فلما سمعها بلغ له إلى ما أراد ، وأزال المطالبة عنه .
« أخبار البحترىّ للصولى : ١٠٩ - ١١٠ » .

# العتابُ والوعيدُ والتهددُ والذَّمُّ المُجْمَلُ والهِجاءُ

## العِتابُ

قال أبو تمّام فى محمد بن عبد الملك الزّيات (١) :

سأقطع أمطاء المطايا بِرِحْلَةٍ ⁂ إلى الوطَن الغَرْبِىِّ هَجْرا ومُوصِلا (٢)
إلى الرَّحِمِ الدُّنيا التى قَدْ أجَفَّها ⁂ عُقوقِى عَسَتْ أسبابُها أنْ تَبَلَّلا (٣)
قَبِيلٌ وأَهْلٌ لَمْ أُلاقِ مَشُوقَهُمْ ⁂ لِوَشْكِ النَّوى إلَّا فَوَاقًا كَلَا ولَا
كأنَّهُمْ كَانُوا لخِفَّةِ وَقْعَتِى ⁂ مَعارِفَ لِى أو مَنْزِلًا كانَ مَنْزِلا (٤)
وأَصْرِفُ وَجْهِى عَنْ بِلادٍ غَدابها ⁂ لِسانِىَ مَعْقولًا وقَلْبِىَ مُقْفَلا (٥)
وَجُدَّ بها قَوْمٌ سِوایَ فصَادَفُوا ⁂ بهَا الصُّنْعَ أَعْشَى والزَّمانَ مُغَفَّلا (٦)

(١) ديوانه ٢ : ٣١١ وشرح التبريزى ٣ : ١٠٤ وما بعدها ، والممدوح : هو محمد بن أبان ، وكان شاعرا بليغا وُزِرَ لثلاثةِ خلفاء : المعتصم والواثق ، والمتوكل ، وبعد أربعين يوما من وزارته للمتوكل نَكَبَهُ وقتله فى النَّكْبة سنة ٢٣٣ « وفيات الأعيان ٥ : ٩٤ » .

(٢) مُوصِلا : من قولهم جئته بالأصيل أى : آخر النهار ، وفى الأصل بفتح الميم والتصحيح من شرح التبريزى ، وفى ديوانه والتبريزى : « إلى البلد الغربى » .

(٣) ديوانه وشرح التبريزى : « عسىٰ » .

(٤) ديوانه وشرح التبريزى « وقفتى » .

(٥) التبريزى « مشكولا » .

(٦) فى ديوانه والتبريزى « وجَدَّ » بفتح الجيم وهو يصح على الوجهين ، فبالضم أى أصابهم الجَدُّ وهو الحظ ، وبالفتح أى طرأوا ، والوجه الأول أحسن .

كلابٌ أغارَتْ فى فَرِيسَةِ ضَيْغَمٍ　　طُرُوقًا وهامٌ أُطْعِمَتْ صَيْدَ أَجْدَلا
وإنَّ صَرِيحَ الحَزْمِ والرَّأْىِ لامْرِىءٍ　　إذا بَلَغَتْـهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتحـوَّلا (١)
لَعَمْرى لئن أَوْجَدْتَنِى فى تَقَلُّبِى　　مآلاً لَقـدْ أَفقَدْتَنِى مِنْكَ مَوْئِلا (٢)
وإنْ عِفْتُ أَمْرًا مُدْبِرَ الوَجْهِ إنَّنى　　لأَتْرِكُ حَظًّا فى فِنَائِكَ مُقْبِلا (٣)
وإنْ كُنْتُ أخطو ساحةَ المَحْلِ إنَّنى　　لأَتْرُكُ رَوْضًا من جَداكَ وَجدْوَلا
فَمُرْنِى بِأَمْرٍ أحوذىٍّ فإنَّنى　　رَأَيْتُ العِدا أَثْرَوْا وأَصْبَحْتُ مُرْمِلا
فَسِيَّانِ عِنْدِى صادَفوا لِىَ مَطْمَعًا　　أُعابُ به أَوْ صادَفُوا لِىَ مَقْتَلا
وواللهِ لا أَنْفَكُّ أُهْدى شَوارِدًا　　إِلَيْكَ يُحَمَّلْنَ الثَّناءَ المُنَخَّلا (٤)
تَخالُ بِهِ بُرْدًا عَلَيْكَ مُحبَّرًا　　وتَحْسِبُهُ عِقْدًا عَلَيْك مُفصَّلا
أَلَذَّ مِنَ الشَّكْوى وأَطْيَبَ نَفْحةً　　من المِسْكِ مَفْتُوقًا وأَيْسرَ مَحْمِلا (٥)
٣٢ / أَخفَّ على قَلْبٍ وأَثْقَلَ قِيمةً　　وأَقْصرَ فى سَمْعِ الجَلِيسِ وأَطْوَلا
ويُزْهَى له قَومٌ ولَمْ يُمْدَحُوا بِهِ　　إذا مَثَلَ الرَّاوى بِهِ أَوْ تَمثَّلا
على أَنَّ إفراطَ الحَياءِ استمالَنِى　　إِلَيْهِمْ ولَمْ أَعْدِلْ بِعِرضِىَ مَعْدِلا (٦)
فَثَقَّلْتُ بالتَّخْفيفِ عَنْكِ وبَعْضُهُمْ　　يُخَفِّفُ فى الحاجَاتِ حتَّى يُثَقِّلا (٧)

وهذه قَصِيدَتُهُ المشهورُ إحسانُهُ فِيها .

---

(١) ديوانه والتبريزى : « لَامرؤٌ » .

(٢) ديوانه والتبريزى « لئن همى أوجدتنى ... أفقدتنى » .

(٣) ديوانه والتبريزى : « رمت أمرا » . والتبريزى : « سأَتْرُكُ » .

(٤) ديوانه : « المبجلا » .

(٥) ديوانه والتبريزى « السّلوى » وقال ابن المستوفى فى النظام : « ويروى : ألذ من الشكوى » : ٢ لوحة ٢٦٨ .

(٦) فى التبريزى : « إليك » .

(٧) فى الأصل : « فخففت بالتثقيل عنك » والتصحيح من ديوانه .

قولُهُ : « وإن عِفْتُ أمراً مُدْبِرَ الوَجْهِ » ، هو من العِيافَةِ والزَّجْرِ ، كما يَخْرُجُ العائِفُ فى طَلَبِ الرِّزْقِ فيتَعَيَّفُ الطَّيْرَ ويَزْجُرُ ، وربّما صادفَ خَيْرًا فى وَجْهِهِ ، وربَّما أَخْفَقَ ، وللعرَبِ فى هذا مَذاهِبُ مَأْثورَةٌ .

ومنه قول الأعشى :

ما يَعِيفُ اليومَ فى الطَّيْرِ الرَّوَحْ (١)

أى : الرائحة ، يقال : رائِحُ ورَوَحُ . مثل : غَائِبٍ وغَيَبٍ (٢) .

وقوله : « فواقًا كلَا و لا » أى : الاستراحة بهذا المقدار ، قول القائل : « لا لا » . وفى التّنزيل : « مالها من فواق » (٣) قيل : من اسْتراحةٍ (٤) وهذا من أبى تمّام عَذْبٌ حَسَنٌ ، استعمل فيه حسن الأدب .

والجيِّدُ الحَسَنُ الحُلْوُ لفظًا ومعنًى قولُ الآخَرِ (٥) :

قد يُبْلِغُ المُشتاقَ مَوْضِعَ شَوْقِهِ ⁂ سُرَى البُخْتُرِيّاتِ البَعيدِ كَلَالُها

تَرَكْتُ سوادَ الشَكِّ وانْحَزْتُ طالِبًا ⁂ بياضَ الثُّرَيّا حيثُ مال ذُبالُها

وقال أبو تمّام يعاتِبُ على التَّعْبيسِ والقُطوبِ (٦) :

---

(١) ديوانه ٢٨٧ وفيه « تعيف » ، وعجزه : « من غراب البَيْنِ أو تَيْسٍ بَرَحْ » .

(٢) وفى اللسان ( روح ) « وأنشد البيت » وقال : ويروى الرَّوْحُ وقيل : ( الرَّوَحُ ) فى هذا البيت المتفرقة ، وليس بقوىّ ، إنما هى الرائحة إلى مواضعها ، فجمع الرائح على روح ، مثل خادم وخدم . وغَيَب : اسم للجمع ، وصحت فيها الياء تنبيها على أصل غاب ، وإنما ثبتت الياء فيها مع التحريك لأنه شُبِّهَ بِصَيَدَ ( اللسان : غَيبَ ) .

(٣) سورة ص آية ١٥ .

(٤) وجاء فى لطائف الإشارات للقشيرى :
« ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق » أى : ليس ينتظرون إلا القيامة وما هى إلا صيحة واحدة ، وإذا قامت فإنها لا تسكن « لطائف الإشارات للإمام القشيرى ٣ : ٢٤٧ » .

(٥) لم أعرفه ، ولم أقف على البيتين .

(٦) ديوانه ٢ : ٢٨٤ ، ووردت فى شرح التبريزى فى موضعين ، فى باب المدح ٣ : ٥٨ وباب العتاب ٤ : ٤٨٥ يعاتب أبا دلف فى بذله ماله وتقطيبه فى وجهه .

عجبًا - لَعْمرى - أَنَّ وَجْهك مُعْرِضٌ     عَنِىّ وأَنْتَ بوجْهِ ودُّك مُقْبِلُ ؟![(١)]
بِرٌّ بدأتَ بِهِ ودارٌ بابُها     لِلخَلْقِ مَفْتُوحٌ ووجْهٌ مُقْفَلُ[(٢)]
أوَ لاتَرَى أنَّ الطَّلاقَةَ جُنَّةٌ     من سُوءِ ماتَجْنِى الظُّنونُ ومَعْقِلُ ؟!
حَلْىُ الصَّنيعة أن يكونَ لِرَبِّها     لَفْظٌ له زَجَلٌ وطَرْفٌ قُلْقُلُ[(٣)]
ومَودةٌ مَطْويــةٌ مَنْشُورَةٌ     فيها إلى إنْجاحِهَا مُتعَلَّلُ
إنْ تُعْطِ وَجْهًا كاسفا من تَحْتِهِ     كَرَمٌ وطِيْبُ خليقةٍ ماتُدْخَلُ[(٤)]
فَلَرُبَّ سارِيَةٍ عليك مَطِيرَةٍ     قَدْ جاء عارِضُها وما يَتَهلَّلُ[(٥)]

وهذا تمثيل فى غاية الحسن والصّحّةِ ، والأبيات كلها جِيَادٌ .

قوله : « مَطْوِيَّة » أى : مَصُونَةٌ محْفُوظَةٌ ، و « مَنْشُورَةٌ » : مُظْهَرَةٌ مَبْذُولَةٌ « فيها إلى إنجاح الصِّنْيْعة مُتعَلَّلُ » . وقوله : « ماتُدْخَلُ » لفظة غير جيّدة هاهنا كأنّه أراد مايُدْخَلُ عليها مايُفْسدُها .

وقال فى نَحْوِهِ[(٦)] :

لَيْسَ يَدْرِى إلّا اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ     أَىُّ شَيْءٍ يُطْوَىٰ عليه الضَّمِيرُ ![(٧)]
ويقولونَ إنَّكَ المَرْءُ بِالغَيْـ     ـبِ مُحَامٍ على الصَّدِيق نَصُورُ[(٨)]

---

(١) التبريزى : « عجب لعمرك » ، ديوانه والتبريزى : « بوجه نفعك » ، التبريزى فى الموضع الآخر : « بوجه فِعْلِكَ » .
(٢) ديوانه والتبريزى : « ووجهك » .
(٣) ديوانه والتبريزى : « لفظٌ يُحَسِّنُها » .
(٤) ديوانه والتبريزى : « لا تجهل » .
(٥) ديوانه والتبريزى : « قد جاد عارضها » .
(٦) ديوانه ٣ : ٥٠٤ وشرح التبريزى ٤ : ٤٤٨ .
(٧) ديوانه والتبريزى « الصدور » وقد رسمت فى الأصل بخط دقيق فوق كلمة : « الضمير » .
(٨) الديوان والتبريزى « محام عن الصديق » .

وإذَا جِئْتُ زَائِرًا حَجَبَتْ وَجْـ ـهكَ عنّـــى كآبَـــةٌ وبُسُورُ[١]
فَتَطَلَّقْ مِنَ العِنَاية إنّ الـ ـبِشْرَ فى أكثر الأمـورِ بَشِيرُ[٢]
إنّما البِشْرُ رَوْضَةٌ فإذَا كَا نَ وبِـــرٌّ فَرَوْضَةٌ وغَدِيـــــرُ[٣]
فاقْسِمِ اللَّحظَ بيْننا إنَّ فى اللَّحـ ـظِ لَعنْوانُ ماتُجِنُّ الضَّميرُ !

وَلَه أشياءُ رديئةٌ لم أكْتُبْها .

وقال البُحْتُرِىّ[٤] :

عَلَى أىِّ أمرٍ مُشْكِلٍ أتَلَوَّمُ أُقِيمُ فأثوِى أو أُهُمُّ فأعْزِمُ ؟
ولو أنْصَفَتْنِى سُرَّ مَنْ رَاءَ لم أكُنْ إلى العِيسِ من إيطانها أتَظَلَّمُ[٥]
لقد خابَ فيها ناطِقٌ وهو جاهِدٌ وأُعْطِىَ منها وادِعٌ وهو مُفْحَمُ[٦]
فَلَو وَصَلَتْنِى بالإمَامِ ذَرِيعَةٌ دَرَىٰ النّاسُ أىَّ الطَّالِبينَ يُحَكَّمُ
أُعَاتِبُ إخْوَانِى ولَسْتُ أَلُومُهُمْ مُكَافَحَةً إنَّ اللَّئِيمَ المُلَوَّمُ
وكُنْتُ أُرَجِّى ، والرَّجَاءُ وسِيلَةٌ عَلِىَّ بنَ يحيى لِلَّتى هِىَ أَعْظَمُ[٧]
مُشَاكَلَةُ الآدَابِ تَصرِفُ نَاظِرِى إلَيْهِ ، وَوُدٌّ بَيْنَنا مُتَقَدِّمُ
وَهِزَّتُهُ للمجدِ حَتَّى كَأَنَّما تَثَنَّىٰ بِهِ الْخَطِّىُّ فِيها المُقَوَّمُ
« أبا حَسَنٍ » ماكان عَذْلُكَ دونَهم[٨] لِوَاحِـــدةٍ إلّا لأنَّكَ تَفْهَـــمُ
وما أنت بالثانى عنانًا عن العُلا ولا أنا بالخِلِّ الذى يَتَجرَّمُ
خَلَا أنَّ بابًا رُبَّما الْتَاثَ دُونَهُ وَوَجْهًا طَلِيقًا رُبَّما يَتَجَهَّمُ

---

(١) البسور : من بسر يبسر بسرا وبسورا أى عبس .
(٢) ديوانه والتبريزى : « مع العناية » . وورد البيت فى ديوانه والتبريزى وقد شطر خطأ ويجب تصحيحه .
(٣) ديوانه وشرح التبريزى : « فإذا كان ببذل » .
(٤) يعاتب علىّ بن يحيى المنجّم ويَسْتَبْطِئُ الفتح بن خاقان . ديوانه : ٣ : ١٩٧٤ .
(٥) الإيطان : الإقامة ، وقد سبق فى ١ : ٣٣٥ .
(٦) ديوانه : « جاهد وهو ناطق » وهو الأجود لتناسبه مع الشطر الثانى .
(٧) ديوانه : « وقد كنت أرجو » .
(٨) ديوانه : « فيهم » .

وإنىٍّ لَنِكسٌ إن ثَقُلْتُ عن العُلا ... وكنتُ خفيفَ الشَّخْصِ إذْ أنا مُعْدِمُ
سأحْمِلُ نفسى عنك حِمْلَ مُجَامِلٍ ... وأُكْرِمُها إنْ كانت النَّفسُ تُكْرَمُ
٣٣ / وأَبْعُدُ حتى تَعْرِضَ الأرضُ بيننا ... ويُمْسِى التلاقى وَهْوَ غيْبٌ مُرَجَّمُ
عليكَ السلامُ أقْصَرَ الوصْلُ فانْطَوى ... وأَجْمَعَ تَوْدِيعًا أخوكَ المُسلِّمُ
وإلّا تُساعِدْنى الليالى فرُبَّما ... تأَخَّرَ فى الحظِّ الرئيسُ المُقَدَّمُ
وما مَنَع الفَتْحُ بنُ خاقانَ نَيْلَهُ ... ولكِنَّها الأقدارُ تُعْطِى وتَحْرِمُ (١)
سَحَابٌ خطَانِى جُودُه وَهْو مُسْبِلٌ ... وبَحْرٌ عَدَانِى فيضُه وهو مُفْعَمُ
وبدرٌ أضاءَ الأرْضَ شَرْقا ومَغْرِبًا ... ومَوْضِعُ رِجْلى منه أَسْوَدُ مُظْلِمُ
أأَشْكُو نَداهُ بعدما وَسِعَ الورَى ... ومَنْ ذا يذمُّ البحر إلا مُذَمَّمْ ؟ (٢)

وهذا من إحسانِ أبى عُبادَةَ المَشْهُورِ .

وقال : (٣)

رأيتُ خيرَ الأيّامِ قَلَّ فعِنْـ ... ـدَ اللهِ أُخرى الأيَّـامِ نَحْتَسِبُهْ (٤)
واسْتُؤْنِفَ الظّلمُ فى الصّديق ، فهَلْ ... حرٌّ يبيعُ الإنصافَ أو يَهَبُهْ
عندى مُمِضٌّ من الهِنَاءِ إذا ... عِرِّيضُ قومٍ أُحكَّـهُ جَرَبُـهْ (٥)
ولى من اثْنَيْنِ واحِدٌ أبدًا : ... عِرْضُ عزيزِ الرِّجالِ أو سَلَبُهْ
وخيرُ ما اخْتَرْتُ أو تُخُيِّرَ لى ... رضا شريفٍ يَسوءُنِى غَضَبُـهْ (٦)
وصاحِبٍ ذاهِبٍ بِخُلَّتِـهِ ... وَلَّى بها ، وانْثَنَيْتُ أَطْلُبُهْ
يُرْصِدُ لى إن وَصَلْتُهُ مَلَلَ الْـ ... ـجافى ، وأَشْتاقُ حِيْنَ أَجْتَنِبُهْ (٧)

---

(١) هذا البيت والأبيات التى تليه سبقت فى : ص ٢٢٠ .
(٢) سبق فى ١ : ٣٢٨ ، وفى ديوانه : « ومن ذا يذمّ الغيث » .
(٣) ديوانه ١ : ٢٧٧ .
(٤) الأصل : « خير الأنام » تحريف والتصحيح من ديوانه وفيه « أحتسبه » .
(٥) الهناء : القطران ، العِرِّيض : من يتعرض للناس بالشر .
(٦) فى الأصل : « أو خيّر لى » والتصحيح من ديوانه .
(٧) فى الأصل : « ولأشتاق » والتصحيح من الديوان .

فلست أدرى أَبُعْدُ شُقَّتِهِ ... أَشَقُّ رُزْءًا عَلَـىَّ أم صَقَبُـهْ[1]

تاركْتُه ناصرًا هواهُ علَـى ... هواىَ فِيه حتّى انْقضَىٰ أَرَبُهْ

هَجْرَ أخى لَوْعَةٍ يُرِى جَلَدًا ... وهو مَرِيضُ الحَشَا لَها وَصِبُهْ[2]

فَاضَلَ بَيْنَ الأَخْوَانِ عُسْرى ، وعن ... ظَلْمـاءِ لَيْـلٍ تَفـاضَلَتْ شُهُبُـهْ[3]

وعُدَّتى للهُمُومِ إنْ طَرَقَتْ ... توخيدُ هذا المَطِىِّ أو خبَبُهْ[4]

سَاقَتْ بِنا نَكْبَةٌ مُذَمَّمَةٌ ... فِينا ودَهْرٌ رَخِيصَةٌ نُوَبُـهْ

فهل لضيف « العِراقِ » من صَفَدٍ ... عِنْـدَ عَمِيـدِ « العِـرَاقِ » يَرْتَقِبُـهْ[5]

ومُسْتَسرِّينَ فى الخُمُولِ بَلَوْ ... نَاهـم فَذَمَّ الحَـرَامَ مُكْتَسِبُـهْ[6]

كانوا كَشَوْكِ القَتَادِ يُسْخِطُ رَا ... عِيه ، ويأْبَىٰ رِضَاهُ مُحْتَطِبُهْ

لا أَحْفِلُ المرءَ أو تُقَدِّمُهُ ... شَتَّىٰ خِصالٍ أَشَفُّها أَدَبُهْ

ولسْتُ أَعْتَدُّ للْفَتَى حَسَبًا ... حتى يُرَى فى فِعَالِه حَسَبُهْ

وقال :[7]

دَعانى إلى قولِ الخَنَا واسْتَماعِهِ ... أبو نَهْشَلٍ بَعْدَ القَرَابَةِ والحِلْفِ[8]

وأَخْطَرَنى للشامِتِين ولَمْ أكنْ ... لأَشْتُمَ إلا بالتَّكذُّبِ والقَرْفِ[9]

---

(١) الصَّقَبُ : القرب .

(٢) فى الديوان « وَصَبُهْ » بفتح الصاد ، والوَصَبُ « بفتح الصَّاد » : المرض « وبكسرها » : المريض .

(٣) فى الأصل : « فاضلت » والتصحيح من ديوانه .

(٤) ديوانه : « ذاك المطىّ » والتوخيد : للبعير الإسراع ، الخبب : ضرب من العدو .

(٥) الصفد : العطاء .

(٦) المستسرّ : المختفي .

(٧) ديوانه ٣ : ١٣٩٤ .

(٨) أبو نهشل : هو محمد بن حميد الطوسى ، وهو وأخواه : أبو نصر محمد وأبو عبد الله محمد بنو حميد بن عبد الحميد الطائى القائد الذى قتل فى حرب بابك سنة ٢١٤ ، وكلهم شعراء أدباء كما روى المرزبانى ، « معجم الشعراء : ٣٦٨ » ، وفى ديوانه « بعد المودة » .

(٩) ديوانه : « للشاتمين » وهو الأجود .

فلا ثَلَمُوا مجْدى ، ولا فَتَلُوا يدى ... ولاضَعْضَعُوا رُكْنِى ولا زَعْزَعُوا كَهْفِي (١)
وهل هَضْبَاتُ ابْنَى شَمَامٍ بوَارِحٌ ... إذا عَصَفَتْ هُوْجُ الْجَنائِبِ بالعَصْفِ (٢)
رجَعْتُ إلى حِلْمى وإن شِئْتُ شُرِّدَتْ ... نَوَافِذُ تَمْضى فى الدِّلَاصِيَّةِ الزَّغْفِ (٣)
ولما تَنَادَيْنا فَرَرْتُ من الْخَنَا ... بأشْياخ صِدْقٍ لمْ يُفِرُّوا من الزَّحْفِ (٤)
جَمْعتُ قِوىٰ عَزْمى ، ووجَّهْتُ هِمَّتِى ... فَسِرْتُ ، وَمِثْلِى سار عن خُطَّةِ الْخَسْفِ (٥)
وإنى مَلِىءٌ إن ثَنيْتُ ركائِبِى ... بديمومةٍ تَسْفِى بها الريحُ ماتَسْفِي
تَرَكْتُك للقومِ الذين تركْتَنِى ... لَهُمْ ، وسَلَا الإلفُ المشوق عن الإلْفِ (٦)

وقال : (٧)

يُرَاقَبُ صَوْلُ الوَغْدِ حينَ يَهزُّه اقـ ... ـتدارٌ ، وَصَوْلُ الحُرِّ حينَ يُضَامُ
وأَعْلَمُ ماكُلُّ الرِّجَالِ مُشَيَّعٌ ... ولا كُلُّ أسيافِ الرِّجال حُسَامُ (٨)
أدينُ بألَّا تُسْتَحَلَّ أَمَانَةٌ ... لحُرٍّ وألّا يُسْتَبَاحُ ذِمَامُ (٩)
وأَتْرُكُ عِرْضَ المرءِ لو شئْتُ كان لى ... ولِلذَّمِّ فيه مَسْرَحٌ ومَسَامُ (١٠)

---

(١) ديوانه : « فماثلموا حدى » و « ولا ضعضعوا عزمى » .

(٢) الجنائب : جمع الجنوب وهى ريح ، الهوج : جمع هوجاء وهى الرياح التى لا تستوى فى هبوبها وتقتلع البيوت ، « العصف » : ورق الزرع .

« ابنا شمام » : شمام جبل لباهلة له رأسان يسميان « ابنى شمام » .

(٣) الدلاصية : الدروع الملساء اللّينة ، الزغف : الدروع الواسعة الطويلة وفى الديوان : « ولو شئت شردت » .

(٤) الديوان : « ولما تباذينا » .

(٥) الديوان : « قوى حزمى » .

(٦) فى الديوان : « إلى الإلف » .

(٧) ديوانه ٤ : ٢٠٦٧ .

(٨) فى الديوان : « وما كل أسياف .... » ، والمشيع : الشجاع كأنه قد شيّع قلبه لركوبه الأهوال .

(٩) الأصل : « ولا يستباح » والتصحيح من الديوان .

(١٠) المسام : مكان السوم أى الرعى .

وكيف أذودُ الخسْفَ عمَّن تَطُولُهُ ... يَدِى ، وأُسَامُ الخَسْفَ حَيثُ أُسَامُ؟[(١)]
فتاللّهِ أَرْضَىٰ فى العراقِ إقَامَةً ... وفى الأرضِ للسَّفْرِ المُغِذِّ شَآمُ
شَذَاتِيَ من نحو الصَّديق كليلةُ الْـ ... ـمُدَى وزِيَارَاتِى الصَّديقَ لِمَامُ
وَلَسْتُ بغاشى القوْمَ إلّا ذؤابةً ... ولا بَابَهم إلّا عَلَيْهِ زِحَامُ

أى : لا أغشى إلّا أبواب الملوك الأشراف .

وقال[(٢)] :

هل « ابنُ حمدونَ » مَرْدُوْدٌ إلى كَرَمٍ ... عَهِدْتُهُ مَرَّةً عِنْدَ « ابنِ حَمْدونِ »
/ أَخٌ شكَرْتُ له نُعْمَىٰ أخِى ثِقَةٍ ... زَكَتْ[(٣)] لَدىَّ ومنًّا غيْرَ ممنونِ ٣٤
طاف الوُشَاةُ بِهِ بَعْدِى ، وغيَّرَهُ ... معاشِرٌ كلُّهم بالسُّوءِ يعْنِينى
أَصْبَحْتُ أَرْفَعُهُ حَمْدًا ، ويَخْفِضُنى ... ذمًّا وأَمْدَحُهُ طَوْرًا ويَهْجُونى
وكاد[(٤)] مُحْتَفِلًا بالسُّوءِ يَهْدِمُنى ... وكانَ – مِن قَبْلُ – بالإحْسَانِ يَبْنِينى
تدعو اللِّئامَ إلى شَتْمى ومَنْقَصَتِى ... بِئْسَ الحِبَاءُ عَلَى مَدْحِيكَ تَحْبُونِى !
أين الوِدَادُ الذى قد كُنْتَ تَمْنَحُنِى ... أينَ الصَّفَاءُ الذى قَدْ كُنْتَ تُصْفِينِى[(٥)]؟
إنْ كانَ ذَنْبٌ فأهلُ الصَّفْحِ أنْتَ ، وإنْ ... لَمْ آتِ ذَنْبًا ففيمِ الذَّمُّ يَعْرُونِى[(٦)] ؟!

---

(١) فى الديوان : « حين أسام » .

(٢) ديوانه ٤ : ٢٢٤٩ يمدح ابن حمدون ويعاتبه .

وهو أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن حمدون الكاتب النديم ، كان أخف الناس روحا وأحلاهم دعابة ، وكان المتوكل يستملحه ، كان أستاذا لثعلب قرأ عليه قبل ابن الاعرابى وتخرج من يده « بغية الوعاة للسيوطى ١ : ٢٩٧ ، معجم الأدباء ٢ : ٢٠٤ » .

(٣) فى الأصل : « زلّت » تحريف والتصحيح من ديوانه .

(٤) فى الديوان : « وعاد محتفلا » .

(٥) فى الأصل : « تصفونى » والتصحيح من ديوانه .

(٦) فى الديوان : « ففيم اللوم يعرونى ؟ » .

بنى زُرَارَاءَ ما أَزْرَىٰ بكم حَسَبٌ    دُونٌ ، وما الْحَسَبُ العادِىُّ بالدُّونِ (١)

تلك الجَماجِمُ تَنْمِيكُم أوائِلُها    إلى النَّوائبِ مِنْها والعرانِيـــنِ (٢)

فخرُ الدهاقينِ مأثورٌ وجَدُّكُمُ    من قَبْلُ دَهْقَنَ أبناءَ الدَّهاقِينِ (٣)

إنى أَعُدُّكُمْ رهطى ، وأَجْعَلُكم    أحَقَّ بالصَّوْنِ مِنْ عِرْضِى ومِنْ دِينِى

وقال : (٤)

قدْ قُلْتُ لابن الشَّلْمَغانِ ، وقَدْ بَدا    منْ ظُلْمِه لى ما أَمَضَّ وأَرْمَضَا : (٥)

مازال لى مِنْ عَزْمَتِى وصَرِيمَتِى    سَنَدٌ يُثَبِّتُ وطْأَتِى أنْ تُدْحَضَا (٦)

لاتُنْكِرَنْ مِنْ جَارِ بَيْتِكَ إنْ طَوىٰ    أطنابَ جانبِ بَيْتِه أو قَوَّضَا

فالأرضُ وَاسِعَةٌ لنُقْلَةِ رَاغِبٍ    عَمَّــن تَنَقَّــلَ وُدُّهُ وتَنَــقَّضَا (٧)

لاتَهْتَبِلْ إغضاءَتِى إذ كُنْتُ قَدْ    أُغْضَيْتُ مُشْتَمِلًا على جَمْرِ الغَضَا

لسْتُ الذى إنْ عارضَتْهُ مُلِمَّةٌ    أَلْقى إلى حُكْمِ الزَّمـانِ وفَـوَّضَا (٨)

لايَسْتَفِزُّنِىَ الطَّفيفُ ولا أُرىٰ    تبعًا لبَارِقِ خُلَّبٍ إنْ أَوْمَضَا

---

(١) فى الديوان : « تلك الأعاجم » .

(٢) ديوانه : « وفخركم من قبل » و « آباء الدهاقين » .

(٣) الغلو والإفراط جعلا البحترى يفضّل الممدوح على عرضه ودينه .

(٤) ديوانه ٢ : ١٢٠١ .

(٥) ديوانه : « ورابنى من ظلمه » .

وابن الشلمغان : هو أحمد بن عبد العزيز ، وهو أخو الحسن بن عبد العزيز المادرائى « ابن الأثير ٦ : ٦٦ والطبرى أحداث سنة ٢٧٦ » معجم البلدان « شلمغان » ورسم « مادريا » .

(٦) روى هذا البيت فى الديوان قبل البيت الأول بأربعة أبيات ، وفى ديوانه : « ما زال لى من عزمتى وصريمتى سندا ... » بالنصب .

(٧) ديوانه : « عمّن تنقّل عَهْدُهُ » .

(٨) هذا البيت والذى يليه رويا فى الديوان قبل البيت الأول .

وقَالَ فى الفَتْح بنِ خَاقَانَ (١) :

فدينالكَ مِن أىِّ خَطْبٍ عَرَا ... ونائبةٍ أَوْشَكَتْ أَنْ تَنُوبَا
وإن كانَ رأْيُكَ قدْ حَال فىَّ ... فلقَّيْتَنى بعد بِشْرٍ قُطُوبا
وخيَّبْتَ آمَالِىَ النازِعا ... تِ إليْكَ وما حقُّها أنْ تَخِيْبا (٢)
يَرِيبُنِىَ الشَّىْءُ تأتى بهِ ... وأُكْبِرُ قَدْرَكَ أَنْ أَسْتَرِيبَا
وأَكْرَهُ أَنْ أَتَمَادَىٰ عَلى ... سبيلِ اغْتِرَارٍ فأَلْقَى شَعُوبا (٣)
أُكَذِّبُ ظنى بأَنْ قَدْ سَخِطْـ ... ـتَ ، وما كنتُ أَعْهَدُ ظَنِّى كَذُوبَا
ولَوْ لَمْ تكُن ساخِطًا لم أَكُنْ ... أذُمُّ الزمانَ وأشكو الخُطُوبَا
ولابد من لَوْمَةٍ أنْتحى ... عليكَ بها مُخْطِئًا أو مُصيبَا (٤)
أَيُصْبحُ وِرْدِىَ فى ساحَتَيْـ ... ـك طَرْقًا ومرعاى مَحْلًا جَدِيبَا (٥)
أَبيعُ الأَحِبَّةَ بَيْعَ السَّوَامِ ، ... وآسَى عَلَيْهم حَبِيبًا حَبِيبَا (٦)
ففى كُلِّ يوْمٍ لنا مَوْقِفٌ ... يُشَقِّقُ فيه الوداعُ الجيوبا
وما كان سُخْطُكَ إلَّا الفِرَاقَ ... أفاضَ العيونَ وأشْجَىٰ القُلُوبا
ولو كُنْتُ أَعْرِفُ ذَنْبًا لَمَا ... تَخَالَجَنى الشَّكُّ فِى أَنْ أَتُوبَا
سَأَصْبِرُ حَتَّى أُلَاقى رِضا ... كَ : إمّا بعيداً وإمّا قَرِيبَا
أُرَاقِبُ رَأْيَكَ حَتَّى يَصِحَّ ... وأَنْظُرُ عَطْفَكَ حَتَّى يَثُوبَا

---

(١) ديوانه ١ : ١٥١ .
(٢) فى الديوان : « وخيبّت أسبابى » .
(٣) شعوب : المنية .
(٤) فى الأصل : « ولابد من لوعة » تحريف والتصحيح من ديوانه .
(٥) الطَّرْق : الماء الذى خوضت الأبل وبولت فيه .
(٦) السوام : المبايعة ، أن يعرض البائع السلعة مع ذكر ثمنها .

وقال فى أبى الفَضْلِ الحَسَنِ بنِ سَهْلٍ[١] :

فِداؤُكَ نفسى دون أَهْلِى ومَعْشَرِى ... ومَبْدَاىَ مِنْ عُلْوِ « الشَّآمِ » ومَحْضَرِى
فكم شِعْبِ جُودٍ يَصغُرُ البَحْرُ عِنْدَه[٢] ... تَوَرَّدْتُـه من سَيْـبِكَ المُتَفَجِّـرِ !
وكم أَملٍ فى ساحَتَيْك غَرَسْتُه ... فَمِنْ مُورِقٍ زاكى النباتِ[٣] ومُثْمِرِ !
فلا يَهنِىءِ الواشينَ إفْسَادُ بَيْنِنَا ... بأَسْهُمِهِم مِنْ بالـغٍ ومُـقَصِّرِ
تقدَّمتُ فى الهِجْرَانِ حتى تأخَّرتْ ... حُظُوظِىَ فى الإحسانِ[٤] كُلَّ التَّأَخُّرِ
ولَوْلاكَ مارِمْتُ « القطيعةَ » بَعْدَما ... وقفتُ عَلَيْها وَقْفَةَ[٥] المُتَحَيِّـرِ
لأَسْمَعْتَنى فى ظُلْمَةِ الهَجْرِ دعوةً ... سَرَتْ بِى على وَقْتٍ مِنَ العفوِ مُقْمِرَ[٦]
أتيْتَ بِمَعْرُوفٍ مِنَ الصَّفْحِ بَعْدَمَا ... أَتَيْتُ بمَذْمُومٍ من الغَدْرِ مُنْكَرِ[٧]
وكنتُ إذا استَبْطَأْتُ وُدَّكَ زُرْتُه ... بتَفْوِيفِ شِعْرٍ كالرِّدَاءِ المُحَبَّرِ
عِتَابٌ بأَطْرَافِ القَوافِى كَأَنَّه ... طِعَانٌ بأطْرَافِ القَنا المُتَكَسِّرِ
فَأَجْلُوا به وَجْهَ الإخاءِ وأَجْتَلِى ... حَيَاءً كصِبْغِ الأُرْجُوانِ المُعَصْفَرِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٨٨٩ ، ويتفق الآمدى هنا مع رواية ابن خلكان « ٥ : ٧٩ » ، وابن المعتز فى طبقات الشعراء المحدثين « ١٨٦ » فى أن هذه القصيدة قيلت فى الحسن بن سهل ، الذى اشترى غلام البحترى « نسيما » ثم ندم البحترىّ ، ولما رده مدحه بهذه القصيدة ، غير أن الديوان وباق المصادر ترى أن هذه القصيدة قيلت فى إبراهيم بن الحسن بن سهل .
« أخبار البحترىّ ص ١٢٧ والأغانى ١٨ : ١٧١ » وهو الراجح .
وفى ديوانه : « دون رهطى » .
(٢) فى الأصل « يصغر الفجر » تحريف .
(٣) الديوان : « أزكى النبات » .
(٤) فى الأصل : « من الإحسان » والتصحيح من ديوانه .
(٥) فى الأصل : « وقعة » والتصحيح من الديوان .
(٦) الشطر الثانى جاء فى الديوان : « على الهَجْرِ فى وقت من العَفوِ مُقْمِرِ » .
(٧) هذا البيت روى فى الديوان بين البيت الثالث والرابع .

قوله : « ولَوْلَاك مَارِمْتُ القَطِيْعَةَ » ، أى : كُنْتَ سببَ قَطِيعَتى لَك ، لأنّك رَددْتَ / الغُلام عليَّ(١) فَشُغِلْتُ به عنْكَ ، فتأَخَّرَتْ حُظُوظِى منك ، وشَرْحُ هذا المعنى فى باقى القصيدة . ٣٥

وقال فى ابراهيم بنِ حَسَنِ بن سَهْلٍ(٢) :

أإبراهيـمُ ! دَعْـوَةَ مُسْتَعِيـدٍ ... لرأيٍ مِنْك مَحْمـودٍ فقيـدِ(٣)
تَجلَّى بِشْرُكَ الأَمْسِيُّ عنـا ... تَجَلِّـىَ جانِبِ الظِّـلِّ المديـدِ
وفى عينيك تَرْجَمَـةٌ أراهـا ... تدُلُّ على الضَّغَائِن والحُقُودِ(٤)
وأخلاقٌ عَهِدتُ اللِّينَ مِنها ... غَدَتْ وكأنَّهـا زُبَـرُ الحديـدِ(٥)
وأظلمَ بيننَا ما كَانَ أضْوَا ... على اللَّحَظَاتِ مِنْ فَلَقِ العَمُودِ
أَمِيلُ إليكَ عنْ وُدٍّ قريبٍ ... فتُبْعِدُنى على النَّسَبِ البعيدِ(٦)
فما ذنبى بأن كانَ ابنُ عمِّى ... سِوَاكَ ، وكان عُودُك غيْرَ عودى !
لئن بَعُدَتْ « عِراقُك » عن « شآمِى » ... كما بَعُدَتْ جُدُودُكَ عن جُدُودِى
فلم تَكُ نِيَّتِى عنك اخْتِيَارًا ... وكان اللهُ أَوْلَـى بالعبيـدِ

---

(١) فسرّ محقق ديوان البحترى قول الشاعر : « ولولاك ما رمت القطيعة » بقوله : « رام يريم : زال وفارق ، والقطيعة : ما يقطع من أرض الخراج ، والشاعر يشير إلى الأرض التى اقتطعت للحسن بن سهل أى الممدوح وسميت باسمه » .

وشرح الآمدى هو الأوجه وعليه يكون معنى « رِمْتُ » : من يرومه روما ومراما أى : أراده .

(٢) ديوانه : ١ : ٥٧٦ ، وإبراهيم بن الحسن بن سهل بن عبد الله السَّرخسيّ نسبة إلى سرخس من بلاد خراسان ، كان إبراهيم صاحبا للمتوكل ، وأبوه الحسن بن سهل ذو الرياستين « وفيات الأعيان ٢ : ١٢٠ ، تاريخ بغداد ٧ : ٣٠٩ » .

(٣) ديوانه : « عنى » .

(٤) ديوانه : « اللين فيها » .

(٥) فلق العمود : الصباح .

(٦) يشير إلى اختلاف الأصل والمنبت بين الممدوح والشاعر .

ويُصنَعُ فى مُعانَدتى لِقَومٍ ... وبعض الصُّنْعِ مِن سَبَبٍ بعِيدِ
أما استَحْيَيْتَ مِنْ مِدَحٍ سَوَارٍ ... بِوَصْفِكَ فى التَّهائمِ والنُّجودِ !؟
تودُّ بأنَّها لك فيَّ عُجْبًا ... بجوهَرِها المُفصَّلِ فى النَّشيدِ
بَنَتْ لَكَ مَعْقِلًا فى الشِّعرِ ثَبْتًا ... وأبْقَتْ مِنْكَ ذِكْرًا فى القَصيدِ
وتبْدَهُنِى إذا ما الكَاسُ دَارَتْ ... بنَزَقَاتٍ تَجِىءُ عَلَى البَرِيدِ
عَرَابِدُ تُطْرِقُ الجُلَسَاءُ مِنْها ... عَلىَّ كأنَّها خُطَبُ الوُفودِ (1)
ومُعْتَرضِينَ إنْ عَظَّمْتَ أمْرا ... بِهِمْ شَهِدوا عَلىَّ وهُمْ شُهُودِى
ومالِى قُوَّةٌ تَنْهاكَ عَنِّى ... ولَا آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدِ
سِوَى شُعَلٍ يخاف الحُرُّ مِنْها ... لهيبًا غير مَرْجُوِّ الخُمُودِ (2)
ولو أنِّى أشاءُ ، وأنت تُرْبِى ... علىَّ لَثُرْتُ ثَوْرَةَ مُسْتَقِيدِ
ظَلَمْتَ أخًا لَوِ التَمَسَ انْتِصارًا ... غَزاكَ مِنَ القَوافِى فِى جُنُود
وقد عاقَدْتَنِى بِخِلافِ هذا ، ... وقال الله : أوفوا بالعقودِ (3)
أتُوبُ إليْكَ من ثِقَةٍ بِحُرٍّ ... طَرِيفٍ فى الأُخُوَّةِ أو تَلِيدِ (4)
وأشْكُرُ نِعْمَةً لك باطِّلاعِى ... عَلى أنَّ الوفاءَ [اليَوْمَ] مُودِ (5)
سأرْحَلُ عاتبا ، ويكونُ رَحلِى ... على غَيْرِ التَّهدُّدِ والوعيدِ (6)
وأحْفَظُ مِنْك ماضَيَّعْتَ مِنِّى ... على رَغْمِ المُكَاشِحِ والحَسُودِ

---

(1) فى الديوان : « خَطَبُ الوقود » .
(2) فى الأصل : « غير موجود » تحريف ، والتصحيح من ديوانه .
(3) الآية الأولى من سورة المائدة .
(4) فى الديوان : « من ثِقَةٍ بخِلٍّ » .
(5) ساقطة من الأصل .
(6) ديوانه : « ويكون عَتْبِى » .

رأيْتُ الحَزْمَ فى صَدْرٍ سَرِيعٍ ... إذا استوبَأْتُ عاقبةَ الوُرُودِ (١)
وكُنْتُ إذا الصَّدِيقُ رَأَىٰ وِصَالِى ... مُنَاجزةً رَجَعْتُ إلى الصدودِ (٢)

وقال لما ارْتُجِعَ إقطاعُه (٣):

أَمُرْتَجَعٌ منى حِبَاءُ خلائفٍ ... تَوَلَّيْتُ تَسْيِيرَ المديحِ لَهُمْ وَحْدِى ؟!
ولم يَشْتَهِر إلا الَّذى قلتُ فِيهِمُ ... وإن رَفَلُوا قَوْمًا وزَادُوا على الرِّفْدِ (٤)
فإن أُخِذَ الإيغَارُ أَخْذَ صَرِيمَةٍ ... ودارت على الإقْطَاعِ دائرةُ الرَّدِّ (٥)
ولَمْ يُغْنِ تَوْكيدُ السِّجلَّاتِ والّذى ... تَناصَرَ فِيها من ضَمَانٍ ومن عَقْدِ
فَرُدُّوا القوافى السّائِراتِ التى خَلَتْ ... وما كَسَبَتْكُمْ من سَنَاءٍ ومن حَمْدِ (٦)
وشَرْخَ شبَابٍ قد نَضَوْتُ جَدِيدَهُ ... إليكمْ كَما يَنْضُو الفَتىَ سَمَلَ البُرْدِ (٧)
وما أَنَا والتَّقْسِيطُ إذْ تَكْتُبونَنِى ... ويُكتَبُ قَبْلِى جِلَّةُ القَوْمِ أَوْ بَعْدِى (٨)

---

(١) استوبأ المكان : لمس فيه الوباء .

(٢) ديوانه : « متاجرة » .

(٣) جاء فى ذيل طبقات الشعراء لابن المعتز : « حدثنى إبراهيم بن عمر قال : كتب وكيل البحترى من منبج يعلمه أن العامل قد تحامل عليه فى خراجه ، وعارضه فيما أقطعه السلطان بما يكره ، وأنه أدخله فى جملة أهل البلد فى التقسيط – قال : وللبحترى ضياع جليلة بمنبج وغلةٌ كثيرة – فقامت على البحترى القيامة ، وصار إلى ديوان عبيد الله ، والعمال والكتاب مجتمعون ، فشكا إليهم ما كتب به وكيله ، فقال له بعض العمال : تحتاج إلى بذل لنكتب لك إلى العامل هناك أن يجرى ضياعك على ما لم تزل ، فأنشأ البحترى يقول : « وذكر الأبيات » طبقات الشعراء المحدثين ص ٤٥٨ .

وقال القصيدة فى عبيد الله بن يحيى بن خاقان « ديوانه : ١ : ٤٩٣ » .

(٤) فى الديوان : « وإن رفلوا يوما » .

(٥) الإيغار : أن يوغر الملك لِرَجُلٍ الأرضَ يَجعلُها لَهُ من غير خراجٍ ، وقد يُسمّى ضمان الخراج إيغارا ، وهى كلمة مولدة ، وقيل : سمى الإيغار لأنه يوغر صدور الذين يزاد عليهم خراج لا يلزمهم .

(٦) ديوانه : « من ثناء ومن مجد » ورسم الناسخ فى الأصل « ثناء » فوق « سناء » .

(٧) ديوانه : « لديكم » .

(٨) جِلَّةُ القوم : جمع جليل .

سَبِيلِىَ أَنْ أُعْطِىٰ الذى تَطْلُبُونَهُ ... وحُكْمِىَ أَنْ يُجْدَىٰ عَلَىَّ ولا أُجْدِى(١)

صَحِبْتُ رِجالًا أَطْلُبُ المالَ عِنْدَهُمْ ... فكيف يَكونُ المَالُ يُطْلَبُ من عِنْدِى!(٢)

وقال(٣) :

أَتَغْضَبُ أنْ تُعاتَبَ بالقوافِى ... وفيها المجدُ والشَّرَفُ الحَسِيبُ(٤) ؟

وكَمْ مِنْ آمِلٍ هجوى لِيَحْظىٰ ... بذكرٍ منه يَصْعَدُ أو يصوبُ !؟

فكيـف بسُيَّـرٍ مُتَنَخَّـلَاتٍ ... تجوبُ مِنَ الفيافِـــى ماتجوبُ(٥)

ينـافِسُ سامِعٌ فيها أَبَـــاه ... إذا جَعَلَتْ بسُؤْدَدِهِ تُهيبُ

بَلغْنَ الأَرضَ لم يَلْغُبْنَ فيها ، ... وبعضُ الشعرِ يُدْرِكُهُ اللُّغُوبُ

فَإِلَّا تُحْسَبِ الحسناتُ منها ... لصاحِبِها فلا تُحْصَ الذنوبُ(٦)

أتوبُ مِنَ الإساءةِ إنْ أَلَمَّتْ ... وَأَعْرِفُ مَنْ يُسِيءُ فَلَا يتوبُ(٧)

وقال يعاتبُ الحسنَ بنَ وَهْبٍ(٨) :

٣٦ إِسْمَعْ مَديحِىَ فى كَعْبٍ ومَاوَصَلَتْ ... كَعْبٌ فَثَمَّ ثناءٌ مَالَهُ ثَمَـنُ(٩)

---

(١) فى الأصل : « لأن يجدى » ولا يصح معها الوزن ، وفى ديوانه :
« ...... الذى تسْألوننى ... وحَقِّىَ ...... »

(٢) فى الديوان :
« تَبِعْتُ رِجالاً أَطْلُبُ المالَ عِندَهمُ ... فكَيفَ يَكونُ المالُ مُطَّلباً عِندى ؟ »

(٣) ديوانه ١ : ٢٥٩ .

(٤) فى الديوان : « أيغضب أن يعاتب بالقوافى » .

(٥) فى الديوان : « تجوب من التَّنائِف » .

(٦) فى الديوان : « فإلا تحسب الحسنات منا » .

(٧) فى الديوان : « ولا يتوب » .

(٨) ديوانه : ٤ : ٢٣٠٩ والحسن بن وهب هو بن سعيد بن عمرو بن حصين الكاتب ، كان كتب لمحمد ابن عبد الملك بن الزيات . وقد ولى ديوان الرسائل ، وكان شاعرا بليغا مترسلا فصيحا وأحدَ ظرفاء الكتاب وله ديوان رسائل « أخبار أبى تمّام : ١٠٨ و : ١٨٣ ، الفهرست : ١٣٦ ، فوات الوفيات ١ : ٢٦٧ – ٢٦٩ ، الأغانى ٢٠ : ٥٤ – ٥٥ » .

(٩) كعب : هو كعب بن الحارث بن كعب « الأغانى ٢٠ : ٦٧ » وفى ديوانه : « فثم مديح .... » .

حَقٌّ مِنَ الشِّعْرِ مَلْوِيٌّ بواجبِهِ ... فلا سُلَيْمَانُ يقضيهِ وَلَا الحَسَنُ (١)

أَأَعْجزتُكُمْ مُكَافَاتِى بِهِ ، ولَكُمْ ... مِصرٌ فَمَا خَلْفَهَا فالسِّنْدُ فاليَمَنُ ؟

أَلِلْخِلَافَةِ أستَبْقِى الرجاءَ ! فَلَنْ ... يُعْطَى الخلافةَ نجرانٌ وَلَا عَدَنُ

هَلْ فى مسامعكم عَنْ دعوتى صَمَمٌ ... أم فى نواظِرِكُمْ عَنْ خَلَّتِى وَسَنُ ؟

إنْ أَرْمِكُمْ تَكُ مِنْ بَعْضِى لَكُمْ شُغُلٌ ... تَهْوِى إلَيْكم ومِنْ بَعْضِى لَكُمْ جُنَنُ (٢)

أَوْ أُجْرِ فى الحَلْبَةِ الأُولى بِلَا صَفَدٍ ... تُولُونَهُ فَهُوَ الخُسْرَانُ والغَبَنُ

لَأُغْمِدَنَّ لِسانِى جَانِبًا أَبَدًا ... عن تَيْنِ فيكم فلا سُوءٌ وَلَا حَسَنُ (٣)

وحَسْبُنا اللهُ لاتُقْذِى عيونَكُمُ ... رُوحٌ يمانيةٌ أنتمْ لها بَدَنُ

رددتُ نَفْسِى على نَفْسِى وقلتُ لها ... بنو أبيكِ فما الأحقادُ والإِحَنُ ؟ (٤)

وهذا عتابٌ لاشىءَ أليقَ منه ولا أحسنَ .

وقال : (٥)

وكيفَ أنظرُ مختارًا إلى بلدٍ ... يكونُ يأسِىَ أَعْلَى فيه مِنْ أملى ؟

جاءَ الوليُّ فَبَلَّ الأرضَ رَيِّقُهُ ... وغُلَّتِى مِنْكَ ما أَفْضَتْ إلى بَلَلِ (٦)

وقد سَأَلْتُ فما أُعْطِيتُ مَرْغَبَةً ... وكان حَقِّىَ أَنْ أُعْطَى وَلَمْ أَسَلِ

أَرْمِى بظنِّى فلا أعدو به خطأً ، ... فاعْجَبْ لِأَخْطَاءِ رَامٍ مِنْ بنى ثُعَلِ (٧)

---

(١) سليمان أخو الحسن بن وهب : وزر للمعتز والمهتدى « الأغانى ٢٠ : ٦٧ » .

(٢) الديوان : « يك » والجُنَنُ : جمع جنة وهو السلاح

(٣) الديوان : « لَيُغْمَدَنَ » ، « فلا سَيِّءٌ ولا حَسَنُ » . « لسانى خائباً » .

(٤) الإحَنُ : جمع الإِحْنَةِ ، وهى الحقد وإضمار العداوة .

(٥) ديوانه ٣ : ١٨٦٩ .

(٦) ديوانه : « وغلّتى منه » والوَلِيُّ : المطر المتوالى .

(٧) ديوانه : « أعدو الخطاءَ بِهِ » ، « أعجب » .

يريدُ قولَ امرىءِ القيسِ :

« ربّ رامٍ مِنْ بَنِى ثُعَلٍ »[١]

وكانوا رُمَاةً .

وقال فى أبى نَهْشَلِ بْنِ حُمَيْدٍ[٢] :

أبا نَهْشَلٍ للحادثِ النُّكْرِ إنْ عَرَا ... وللدّهرِ ذى الخَطْبِ المُبَرِّحِ والصَّرْفِ
كَرُمْتَ فما دَرَّرْتَ نَيْلَكَ عِنْدَنا ... بِمَنٍّ ولا خَلَّفْتَ وَعْدَكَ بالخُلْفِ[٣]
وما الهجرُ مِنِّى عَنْ قِلًى غيرَ أنَّهَا ... مجاراةُ أوغادٍ نَفَضْتُ بها كَفِّى[٤]
فَلِمْ صِرْتُ فى جَدْوَاكَ أُسْوَةَ واحِدٍ ... وقد نُبْتُ فى تَفْوِيفِ مَدْحِكَ عَنْ أَلْفِ ؟
وإنى لَأَسْتَبْقِــى وِدَادَكَ لِلَّتِــى ... تُلِمُّ ، وأَرْضَىٰ منكَ دونَ الذى يَكْفِى
وأسأَلُكَ النِّصفَ احتجازًا وربما ... أَبَيْتُ فلم أسمحْ لغيرِكَ بالنِّصْفِ
وَكَمْ لكَ عندى مِنْ يَدٍ صَامِتِيَّةٍ[٥] ... يَقِلُّ لها شُكْرِى ويَعْيَا بها وَصْفِى
فلا تَجْعَلِ المعروفَ رِقّاً فإنَّنَا ... خُلِقْنَا نُجُومًا لَيْسَ يُمْلَكْنَ بِالْعُرْفِ

* * *

---

(١) عجزه : « مُتْلِجٍ كَفَّيْهِ فى قُتَرِهْ » .
مُتْلِجٌ : مُدْخِلٌ ، قُتَر : بيوت الصائد التى يكمن فيها لئلا يَفْطِنَ له الصيد فينفر منه ، بنو ثُعَل : قبيلة من طيىء ينسب الرَّمْيُ إليهم .
والبيت فى ديوانه : ١٢٣ ، وشرح الأعلم الشنتمرى : ٢٦٤ .
والرَّامى : هو عمرو بن مسبّح الطائى ، وهو رجل صائد من أرمى العرب « انظر المعمرين : ٧٧ » .
وقال المرزبانى وروى : « مخرج زنديه » ، : « عابه بهذا الأصمعى وقال : أما علم أنّ الصائد أشدّ من أن يظهر منه شيئا : ثم قال : فَكَفَّيْهِ إن كان لابد أصلح ، قال : فهو أصلحه « كَفَّيْه » الموشح : ٢٨ .
(٢) ديوانه ٣ : ١٣٩٧ .
(٣) ديوانه : « فما كدَّرْتَ » وفى « اللسان » : دَرَّرْتَ : أى كَثَّرتَ وزَكَّيتَ .
(٤) فى الديوان : « مجازاة » .
(٥) صامتية : نسبة إلى الصامتى وهو جد الممدوح .

## الوعيد والتهدد

قال البُحْتُرِىّ[1]:

مالى يُخَوِّفُنِى مَنْ ليس يَعْرِفُنِى ... بالنَّاسِ ، والنَّاسُ أَحْرَىٰ أَنْ يَخَافُونى

إذا عَقَدْتُ عَلَىٰ قومٍ مُشَنَّعَةً ... فليُكْثِرُوا القولَ فى عَيْبِى وتَهْجِينِى

وقَدْ بَرِئْتُ إلى العِرِّيضِ مِنْ فِكَرٍ[2] ... مُبِيرَةٍ ، ولِسانٍ غيرِ مضمونِ

وَلَسْتُ مُنْبَرِيًا بالجهلِ أجعلُهُ ... صناعةً ، ماوجدتُ الحِلْمَ يكفينى

إنى وإنْ كنتُ مرهوبًا لِعَادِيَةٍ ... أَرْمِى عَلُوِّى بها فى الفَرطِ والحِينِ

لَذُو وَفَاءٍ لِأَهْلِ الوُدِّ مُدَّخَرٍ ... عِنْدِى ، وغَيْبٍ عَلَىٰ الإِخْوَانِ مَأْمُونِ

وقال[3]:

قَعْقَعْتُ للبُخَلَاءِ أَذْعَرُ جَأْشَهُمْ ... ونَذيرةٌ مِنْ نَابِلٍ أَنْ يَنْبِضَا[4]

وكفاكَ من « حَنَشِ » الصَّرِيمِ تَهَدُّدًا ... إنْ مَدَّ فَضْلَ لسانِهِ أَوْ نَضْنَضَا[5]

---

(١) الديوان ٤ : ٢٢٤٧ « يعاتب ابن حمدون النديم ويمدحه » .

(٢) العريض : الذى يتعرض لغيره بالشتم والأذى ، مبيرة : مهلكة .

(٣) ديوانه : ٢ : ١١٩٨ .

(٤) فى الديوان : « ونذيرة من باتِك أن ينتضى » وفى أمالى المرتضى « ونذيرة من قاصل أن ينتضى » ٢ : ١٣٦ وفى هامش الأمالى : « وفى حاشية الأصل « من نسخة » : « من نابل أن ينبضا » أى يحرك وتَر قَوْسِهِ » . وهى رواية الموازنة .

ونذيرة : إنذار ، القاصل : السيف ، الباتك : القاطع من السيوف .

(٥) فى الأصل : « جيش الصريم » وهو تصحيف ، الحنش : نوع من الحيّات ، الصريم : أرض سوداء ، نضنضا : أخرج لسانه يحركه .

وقال :[(١)]

أَرُومُ انتصارًا ثُمَّ يَثْنِى عزيمَتِى ... تُقَاىَ التى تَعْتَاقُنِى وتَحَرُّجِى[(٢)]

هُمَا حَجزَا شَغْبِى وكَفَّا شَكِيمَتِى ... ولَمْ أَتَوَعَّرْ فى وسيقَةِ مَنْهَجِ[(٣)]

ولَمْ أَسْرِ فى أعراضِ قومٍ أعزّةٍ ... سُرَىٰ النّارِ شُبَّتْ فى ألَاءٍ وَعَرْفَجِ

وقدْ يُتَّقَىٰ قتلُ الحليمِ إذا رَأَىٰ ... ضرورةَ مدلولٍ عَلَىٰ القتلِ مُحْرَجِ[(٤)]

تَهَضَّمَنِى مَنْ لو أَشَاءُ اهتضامَهُ ... لأدرَكَهُ تَحْتَ الخمولِ تَوَلُّجِى[(٥)]

ومِنْ عادَتِى والعجزُ مِنْ غيرِ عادَتِى ... مَتَىٰ لَا أُرِحْ مِنْ حَضْرَةِ الذُّلِّ أُدْلِجِ[(٦)]

وقال:[(٧)]

وَمِنَ العجائبِ تُهْمَتِى لَكَ بَعْدَمَا ... كُنْتَ الصَّفِىَّ لَدَىَّ وَالخُلْصَانَا

وتوقُّعِى مِنْكَ الإساءَةَ جاهدًا ، ... والعدلُ أنْ أتوقعَ الإحْسَانَا

وكَمَا يَسُرُّكَ لِينُ مَسِّى راضيًا ... فكذاكَ فاخْشَ خشونَتِى غَضْبَانَا

وقال فى الحَارِثِىّ :[(٨)]

٢ / أَخَاعُلَةٍ ! سارَ الإخاءُ فأوضَعَا ... وأوشكَ باقِى الوُدِّ أنْ يَتَقَطَّعَا

---

(١) ديوانه ١ : ٤١٥ .

(٢) « ثم » مطموسة فى الأصل والتصحيح من الديوان ، وفى الديوان « تقاى الذى يعتاقنى » .

(٣) فى الديوان « فى وشيعة » والوشيعة : طريقة الغبار ، والوسيقة : القطيع من الإبل ونحوه .

(٤) فى الديوان : « وقد يتقى فتك الحليم ... على الفتك .... » .

(٥) فى الأصل : « من لو يشاء » والتصحيح من ديوانه .

(٦) فى الديوان : « متى لا أرح عن حضرة الذل أدلج » .

(٧) ديوانه ٤ : ٢٣١١ .

(٨) ديوانه ٢ : ١٢٩٢ والحارثى اسمه : عبد الملك بن عبد الرحيم من شعراء القرن الثالث ، أثنى عليه ابن المعتز فى طبقاته . وقد هجاه البحترى بشعر كثير « طبقات ابن المعتز ١٣٠ - ١٣٢ ، الأغانى ١٠ : ٢١٠ - ٢١١ » .

بَدَأْتَ ، وبَادِى الظُّلْمِ أظلمُ فانْتَحَىٰ ... بِكَ القولُ شَأْوًا رَدَّ مِنْكَ وَأَسْرَعَا (١)
وما أنا بالظَّمآنِ منكَ إِلَىٰ الّتِى ... أَرَىٰ بينَ قُطْرَيْهَا لِجَنْبِكَ مَصْرَعَا (٢)
أغارُ عَلَىٰ مابيننا أنْ يَنالَهُ ... لسانُ عَدُوٍّ لمْ يَجِدْ مِنْكَ مَطْمَعَا (٣)
وآنَفُ « للدَّيَّانِ » أنْ ترتمِى بِهِ ... غِضَابُ قوافِى الشِّعْرِ خَمْسًا وَأَرْبَعَا (٤)
وكمْ حُفْرَةٍ فى غَوْرِ نَجْرَانَ أَشْفَقَتْ ... ضُلُوعِى عَلَىٰ أَصْدَائِهَا أنْ تُرَوَّعَا
مَلَكْتُ عِنَانَ الهَجْرِ أنْ يَبْلُغَ المَدَىٰ ... ونَهْنَهْتُ قولَ الهجرِ أنْ يَتَسَرَّعَا (٥)
فإنْ تَدْعُنِى لِلشَّرِّ أُسْرِعْ ، وإنْ تُهِبْ ... بصُلْحِى فقدْ أبقيتُ للصُّلْحِ مَوْضِعَا

وقال : (٦)

مَالِى أَرَىٰ القومَ لايَخْشَوْنَ عادِيَتِى ... وقدْ أشادَ بها صُبْحِى وإظلامِى (٧)
يَتْلُو عُقُوقِى عقوقَ الوالدَيْنِ غَدَا ... عِزًّا ويُكْرَمُ عِرضُ الحُرِّ إِكْرَامِى (٨)
أمّا العُدَاةُ فقدْ آلَوْ عَلَىٰ صُغُرٍ ... وَهُمْ طرائدُ تَسْيِيرِى وإِحْكَامِى (٩)
ولَوْ هُدُوا لصوابِ الرأىِ أَقْنَعَهُمْ ... مِنْ وَابِلِى فى غداةِ الشَّرِّ إِرْهَامِى (١٠)

---

(١) فى الديوان : « فأسرعا » .

(٢) ديوانه : « وما أنا الظمآن فيك ... » ، « بجنبك » .

(٣) ديوانه : « لم يجد فيك مطمعا » .

(٤) « الديان » : يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث « جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى : ٤٦٢ » .

(٥) ديوانه : « قول الشعر » .

(٦) ديوانه ٤ : ٢٠٩٥ .

(٧) « وقد » فى الأصل مطموسة والتصحيح من الديوان .

(٨) فى الديوان : « وإن عزًّا » .

(٩) فى الديوان : « إلى صغر » .

(١٠) الأرهام : ضد الوابل من المطر وهو المطر الضعيف الدائم . وانظر فقه اللغة للثعالبى : ١٨٠ .

وقال[(١)] :

يَوَدُّ العِدَىٰ أَنِّى سَلَكْتُ سَبِيلَهُم ... وأينَ بِناءُ المُعْلِيَاتِ مِنَ الهَدْمِ ؟[(٢)]

وهل يُمْكِنُ الأعداءَ وضعُ فضيلةٍ ... وقدْ رُفِعَتْ للنّاظِرِينَ مَعَ النَّجْمِ ؟

وقال فى إسماعيل بْنِ شِهَابٍ[(٣)] :

هل للنَّدَىٰ عَدْلٌ فيغدُو مُنْصِفًا ... من فِعْلِ « إسماعيلِهِ بْنِ شهابِهِ »

العارضِ الثَّجَّاجِ فى أخلاقِهِ ... والرَّوْضَةِ الزهراءِ فى آدابِهِ

أَزْرَى بِهِ مِنْ غَدْرِهِ بصديقِهِ ... وعقوقِهِ لأخيهِ ما أَزْرَىٰ بِهِ

فى كُلِّ يومٍ : وَقْفَةٌ بفنائِهِ ... تُخْزِى الشَّرِيفَ وَرَدَّةٌ عَنْ بابِهِ

اِسْمَعْ لغضبانٍ تَثَبَّتَ سَاعَةً ، ... فَبَدَاكَ قَبْلَ هِجَائِهِ بعتَابِهِ

تَاللّٰهِ[(٤)] يَسْهَرُ فى مديحِكَ ليلةً ... مُتَمَلْمِلًا ، وتنامُ دونَ ثوابِهِ

يقظانَ يَنْتَخِبُ الكلامَ كأَنَّهُ ... جيشٌ لديْهِ يريدُ أنْ يَلْقَى بِهِ

فأتَىٰ بِهِ كالسَّيْفِ رَقْرَقَ صَيْقَلٌ ... مابينَ قائمِ[(٥)] سيفِهِ وذُبَابِهِ

وحَجَبْتَهُ حَتَّىٰ تَوَهَّمَ أَنَّهُ ... هاجٍ أتاكَ بشتمِهِ وسِبَابِهِ

وإذا الفَتَىٰ صَحِبَ التَّبَاعُدَ واكتسَىٰ ... كِبْرًا عَلَىَّ فلستُ مِنْ أصحَابِهِ

وَلَرُبَّ مُغْرٍ لِى بِعِرْضِكَ زادَنِى ... غَيْظًا بِجِيئَةِ قَوْلِهِ وَذَهَابِهِ

لَوْلَا الصفاءُ وذِمَّةٌ أَعْطِيتُهَا ... حَقَّ الوفاءِ قَضَيْتُ مِنْ آرَابِهِ

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٠٠٩ .

(٢) ديوانه : « لَوْ كُنتُ سالِكَ سُبْلِهِمْ » .

(٣) ديوانه : ١ : ٨٨ وإسماعيل بن شهاب « أبو القاسم » كان كاتبا للقاضى أحمد بن أبى دؤاد ، وللبحترى فيه قصيدة مدح وعدة أهاج ، ومدحه أبو تمام « أنظر ديوان البحترى ٢ : ٩٣٠ » الهامش « وديوان أبى تمّام بشرح التبريزى ٢ : ٤٤٧ » .

(٤) فى الأصل : « الله » ، والتصحيح من ديوانه .

(٥) ديوانه : « قائم سنخه » ، وهو طرف السلاح الداخل فى النصاب .

وليس لأبى تمّام تهديدٌ ولا هجاءٌ يعْتَدُّ بهِ ، ومِنْ تهديدِهِ قولُهُ[(١)] :

أَظُنُّ عِنْدَكَ أقوامًا وأَحسبهُمْ لَمْ يَأْتَلُوا فِىَّ ماعَدَوْا وما رَكَضُوا[(٢)]

لولا صيانةُ عِرْضِى وانتظارُ غَدٍ والكَظْمُ حَتْمٌ عَلَىَّ الدَّهْرَ مُفْتَرَضُ[(٣)]

لَمَا فَكَكْتُ رِقَابَ الشِّعْرِ عَنْ فِكَرِى وَلَا رِقَابَهُـمُ إلا وَهُـمْ حِيَضُ[(٤)]

وأمثالُ هذا ممّا لم أكتبْه لرداءَتِهِ .

والبحتريُّ شديدُ التّهديدِ والوعيدِ كما رأيتَ ، فإذا هجَا قَصَّرَ ، وأبو تمّامٍ فى هجائِهِ أشدُّ تقصيرًا .

* * *

---

(١) ديوانه ٣ : ٥١٤ وشرح التبريزى ٤ : ٤٦٦ .

(٢) يعرض بابن الأعرابى « أى يغتابونى عندك » ، وفى ديوانه وشرح التبريزى « أعدو » بضم الدال ، ورواية الموازنة تتفق مع شرح الصولى حيث قال :

يقول : اغتابونى عندك فعدوا بالباطل وركضوا ، من العدو والركض .

وقال الخارزنجى فى النظام ٢ : لوحة ١٣٣ : قوله « أَعْدَوا » « بفتح الدال » من إعدائك الفرس ، جعل الركض والعدو مثلا لظفر أعدائه فيه وسخطهم عليه ، تقول : فلان يقوم ويعقد ويُعْدِى ويركض ، فى معنى تناوله منك ونقصه إيّاك .

(٣) التبريزى : « لولا صُبابَة » ، وهى بقية الماء أو اللبن فى الإناء .

(٤) حِيَض : بكسر ففتح جمع حيضة ، وضبطت فى ديوانيه بشرح الصولى ، والتبريزى بضم الأول والثانى ، جمع حائض ، حُرِّك ثانية لضرورة الشعر ، قال صاحب شرح الشافية فى جمع فاعل الصفة : « ويجمع كثيرا على فُعُل بضمتين ، كبُزُل ، وشُرُف ، تشبيها بفعول ، لمناسبته له فى عدد الحروف ثمّ يخفف عند بنى تميم بإسكان العين ، وأما الأجوف نحو : عوط وحول ، جمع عائط ، وحائل ، فيجب عند الجميع إسكان واوه للاستثقال » « شرح شافية ابن حاجب للاستراباذى ٢ : ١٥٧ » ، وفى النظام ٢ : لوحة ١٣٤ بكسر ففتح ، وقال الخارزنجى : « أراد بالحِيَضِ ها هنا الفضيحة والشهرة بالهجاء » .

## الذمّ المجمل لغير مذكور

قال أبو تمّامٍ[1]:

غابَ واللهِ أحمدٌ فأصابتـ ـنى لَهُ قطعـةٌ مِنَ الأَحْزانِ[2]
وتَخَلَّفْتُ عِنْدَهُ فى أُناسٍ[3] ألبسونى صبرًا عَلَى الحَدَثـانِ
مَا لِنَوْرِ الرّبيعِ فِى غَيْرِ حُسْنٍ مَا لَهُمْ مِنْ تَغَيُّرِ الأَلْوانِ
أَنْكَرَتْهُمْ نَفْسِى وماذلك الإنـ ـكارُ إِلّا مِنْ شِدَّةِ العِرْفَانِ
كَثْرَةُ الصُّفْرِ يَمْنَةً وَشِمَالًا أَضْعَفَتْ فِى نَفَاسَةِ العِقْيانِ

قولُهُ : « قِطعةٌ مِنَ الأحزانِ » ضرورةُ مَنْ قَلَّتْ حيلتُهُ فى الألفاظِ .

وقد قالَ البحتريُّ فى معنًى هذا البيتِ ماهو أجودُ وأحسنُ وألطفُ معنًى ، وذلك قولُه[4]:

غرائبُ أخلاقٍ هِىَ الرَّوْضُ جادَهُ مُلِثُّ العَزَالَى ذو رَبابٍ وهيـدبِ[5]

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٠٧ وشرح التبريزى ٤ : ٤٣٥ .

(٢) ديوانه : « فَطْرَةٌ من الإخوان » .

(٣) ديوانه والتبريزى : « وتخلفت بعده » .

(٤) ديوانه ١ : ١٩٣ .

(٥) فى الأصل : « الغزالى » والتصحيح من الديوان ، والعَزَالَى : جمع العزلاء وهى مصب الماء من القربة ونحوها ، الرَّبَابُ : السَّحاب الأبيض ، الهيدبُ من السحاب : هو المتدلى الذى يدنو من الأرض .

وقدْ زادَهَا إفراطَ حُسْنٍ جِوارُهَا     خلائقَ أصفارٍ مِنَ المجدِ خُيَّبِ (١)
وحُسْنُ دَرَارِيِّ الكواكبِ أنْ تُرَى     طَوَالِعَ مِنْ داجٍ مِنَ الليلِ غَيْهَبِ (٢)

٣٨ وقال أبو تمّام (٣) :

أخُو ثِقَةٍ نَأَى فَبَقِيْتُ لَمَّا     نَأَى غَرَضًا لإخوانِ السَّلامِ
ذَوِى الهِمَمِ الهوامِدِ والأكُفِّ الـ     ـجوامِدِ والمُرُوَّاتِ النِّيَامِ
يظَلُّ عليكَ أصْفَحُهُمْ حَقُودًا     لرؤيا إنْ رَآها فى المَنَامِ
ومِنْ شَرِّ المياهِ إذا اسْتُمِيحَتْ     أواجِنُهَا عَلَى طولِ المُقَامِ

وقال البُحْتُرِىّ (٤) :

وخَلَّفَنِى الزّمانُ عَلَى أُناسٍ     وُجُوهُهُمُ وأيديهِمْ حديدُ
لَهُمْ حُلَلٌ حَسُنَّ فَهُنَّ بِيضٌ     وأفعالٌ سَمُجْنَ فَهُنَّ (٥) سُودُ
وأخلاقُ البِغَالِ فَكُلَّ يومٍ     يَعِنُّ لبعضِهِمْ خُلُقٌ جديدُ
وأكثرُ ما لسائِلِهِمْ لَدَيْهِمْ     إذا ماجَاءَ قولُهُمُ : تَعُودُ
ووَعْدٌ ليسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسِ انـ     ـقِبَاضِهِمُ : أوَعْدٌ أمْ وَعِيدُ (٦) ؟
أناسٌ لو تأمَّلَهُمْ « لبيدٌ »     بَكَى الخَلْفَ الذى يَشْكُو « لبيدُ » (٧)

---

(١) فى الديوان : « لأخلاق أصفار » ، وقد رويت فى الجزء الأول من الموازنة ص ٣١٦ ، وأسرار البلاغة ص ٢١١ والمثل السائر ٢ : ٣٩١ « خلائق » .

(٢) فى الديوان : « فِى دَاجٍ » .

(٣) ديوانه ٢ : ٤٥٤ والتبريزى ٣ : ٢٧٨ .

(٤) ديوانه ١ : ٥٨٠ « وقال يخاطب رجلا من أهل نصيبين ، يقال له : سعيد بن معاوية » .

(٥) فى الأصل : « بهنّ » تحريف والتصحيح من ديوانه .

(٦) سبق فى ١ : ٣٢٦ .

(٧) الشاعر هنا يشير إلى بيت لبيد : ديوانه : ١٥٧

ذهبَ الذينَ يُعاشُ فى أكنافِهِمْ     وبَقِيْتُ فِى خَلْفٍ كجلدِ الأجْرَبِ

أَلَا ليتَ المقادِرَ لَمْ تُقَدِّرْ ... ولَمْ تكنِ الأحاظِى والجدودُ
فأنْظُرُ أيُّنا يُضْحِى ويُمْسِى ... لَهُ هَذِى المراكبُ والعبيدُ (١)
فَلَوْ كانَ الغِنَىٰ حظًّا كريمًا ... لَأَخطَأهُ « النَّصارَىٰ » وَ « اليهودُ »
وَلَكِنَّ الزمانَ زمانُ سُوءٍ ... سِجَالُ الأمرِ يَفْعَلُ مَايُرِيدُ
فَأَسْعَدُهُ عَلَىٰ قومٍ نُحُوسٌ ... وأَنْحَسُهُ عَلَىٰ قومٍ سُعُودُ

وقال : (٢)

سألتُ عنْ أصدقاءِ الصّدقِ مُؤْتَنِفًا (٣) ... وَقَدْ تَرَىٰ عَدَمِى منهمْ وَإِقْلَالِى
أَشِيمُ مِنْهُمْ بُرُوقَ الخُلَّبَاتِ فَهَلْ ... شَخصٌ يُبَلِّغُنَا عَنْ بَارِقِ الخَالِ ؟ (٤)
والناسُ كالشَّجَرِ البَادِى تَفَاوُتُهُ ... وَقَدْ تَرَىٰ بُعْدَ بينِ النَّبْعِ وَالضَّالِ

وقال : (٥)

يَا « [أحمدَ] بْنَ مُحَمَّدٍ » نَضِبَ النَّدَىٰ ... مِنْ كَفِّ كُلِّ أخى نَدَىٰ يَا [أَحْمَدُ] (٦)
أَشْكُو إليكَ أناملًا ماتَنْطَوِى ... يُبْسًا وَأَخْلاقًا تُقَصِّفُهَا اليَدُ
وَأَنَا « لَبِيدٌ » عِنْدَ آخرِ دَمْعَةٍ ... يَصِفُ الصبابةَ ، والمكارمُ أربدُ (٧)

---

(١) فى الديوان : « فننظر ..... المواكب » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧١٨ .

(٣) مؤتنفاً : مبتدئا .

(٤) بروق الخُلَّبَاتِ : بروق السحاب الذى لا مطر فيه ، بارق الخال : الذى لا يُخْلِفُ مَطَرُهُ .

(٥) ديوانه ١ : ٦٢٧ « يمدح أبا أيوب أحمد بن محمدبن شجاع المعروف بابن أخت أبى الوزير » وهو : الذى زاد فى مسجد عمرو أيام بن طولون وكان صاحب الخراج بمصر سنة ٢٥٨ « النجوم الزاهرة ٣ : ٧ » .

(٦) فى الأصل : « ياحمد » والتصحيح من الديوان .

(٧) « أربد » هو : أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر أخو « لبيد » الشاعر لأمه ، وهو الذى تآمر مع عامر بن الطفيل على قتل رسول الله ﷺ فدعا عليهما فمات « عامر » بطاعون فى رقبته ، وانْقَضَّتْ صاعقة على « أربد » فقتلته « تهذيب سيرة بن هشام : ٣٤٧ » و « جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ٢٨٥ » .

الناسُ حولَكَ : روضةٌ ماتُرْتَعى ـ رَيَّا النَّباتِ ، ومَنْهَلٌ مايُورَدُ[١]
جِدَةٌ وَلَا جودٌ ، وطالِبُ بُغْيَةٍ ـ فِى الباخِلِينَ ، وبُغْيَةٌ لاتُوجَدُ[٢]
تَرَكُوا العُلَا وَهُمُ يَرَوْنَ مَكَانَهَا ـ وَدَعَا اللُّجَيْنُ قُلُوبَهُمْ وَالعَسْجَدُ
فَتَمَاحَكُوا فِى الْبُخْلِ حَتَّىٰ خِلْتُهُ ـ دِينًـا يُدَانُ بِهِ الإِلَـهُ وَيُعْبَـدُ[٣]
أُرْضِيهِمُ قَوْلًا ، وَلَا يُرْضُونَنِى ـ فِعْلًا ، وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ لَاتُقْصَدُ
فَأَذُمُّ فِيهِمْ مَا يُذَمُّ ، وَرُبَّمَا ـ سَامَحْتُهُمْ ، فَحَمِدْتُ مَا لَا يُحْمَدُ[٤]

* * *

(١) فى الديوان : « روضةٌ ما تُرْتَقَىٰ » .

(٢) فى ديوانه : « ما توجد » .

(٣) فى الديوان : « وتماحكوا » .

(٤) فى الأصل : « بِحَمْلِك ما لا يُحْمَدُ » .

## الهجاء

لَيْسَ للطّائِيين هِجاءٌ يُعْتَدُّ بهِ إلّا القَلِيلُ ، من ذلك قولُ البحتريِّ[1] :

ومُؤمَّرٍ[2] صارَعْتُهُ عن عُرْفِهِ     فوَجَدْتُ « قُدْس » مَعمَّمًا بعَمائِهِ
جِدَةٌ يَذودُ البُخْلُ عن أطْرافِها     كالبَحْرِ يَدْفَعُ مِلْحُهُ عن مائِهِ
أعطى القليلَ وذاكَ مَبْلَغُ قَدْرِهِ     ثُمَّ اسْتَرَدَّ وذاكَ مَبْلَغُ رائِهِ[3]
ماكانَ من أَخْذي غداةَ رَدَدْتُهُ     فى وَجْهِهِ إذْ كانَ من إعْطائِهِ
وقد انْتَمى فانْظُرْ إلى أَخْلاقِهِ     صَفْحًا ولا تَنْظُرْ إلى آبائِهِ
خَطَبَ المَديحَ ، فقُلتُ : خَلِّ طَرِيقَهُ     لِيَجُوزَ عَنْكَ ، فلَسْتَ من أَكْفائِهِ !

وللبِحْتُرىِّ قَصيدَتُه المَشْهورةُ فى ابن أبى قِماشٍ[4] ، سَلكَ فيها ذلِكَ المَسْلَكَ وسَبيلُها أن تُكْتَب هاهُنا ، وهى :

---

(١) سبقت فى : ٥٣٧ ، ديوانه ١ : ٢٩ ، وانظر رأى أبى الفرج فى هجاء البحترى « الأغانى ٢١ : ٣٧ هيئة الكتاب » .

(٢) ديوانه : « ومُؤَمِّلٍ » .

(٣) ديوانه : « مبلغ وائه » .

(٤) ديوانه ٣ : ١٤٠٣ ، الحسن بن عمرو بن أبى قماش كان صاحب الخبر من قبل المعتز « الطبرى أحداث سنة ٢٥١ » وسماه « ابن قماش » وجاء فى ديوانه « وقال يهجو ابن أبى قماش وكانت له جارية يعشقها أحمد بن صالح بن شيرزاد فحملها إليه » « انظر هامش : ١٤٠٢ فى ديوانه » .

مرَّتْ علىٰ عَزْمِها وَلَمْ تَقِفِ  مُبْدِيَـةً  لِلشَّنـانِ  والشَّنَـفِ(١)

ركِنْتَ فِيها إلى الهَدايَا ، ولَمْ  تَحْذَرْ عَلَيْها حَرائـرَ التُّحَـفِ

وَقَدْ رَأَتْ وَجْهَ مَنْ تُراسِلُهُ  فانْحَرَفَتْ عنكَ شَرَّ مُنْحَرَفِ(٢)

وكانَ حَقًّا عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ الْـ  ـمَكْتُومَ مِنْ سِرِّ صَدْرِهَا الكَلِفِ(٣)

أَلسْتَ « بالسِّنْدَ هِنْد » ذَا بَصَرٍ  إلَّا تَفُـقْ حاسِبِيهِ تَنْتَصِفِ(٤)

وَقَدْ بَحَثْتَ العُلُوم أَجْمَعَ واسْـ  ـتَظْهرتَ حِفْظًا مَقَالَةَ السَّلَفِ(٥)

بما تَعَاطَيْتَ فى الْغُيوبِ وَمَا  أُوتيتَ مِنْ حِكْمةٍ ومِنْ لَطَفِ(٦)

/ ما اقْتَصَّ وَالِيسُ فى الفضَاءِ وَجَا  بَانُ ومـا سَيَّـرا من النُّتَـفِ(٧) ٣٩

وماحَكـاهُ ذُرُوثيـوسُ وبَطْـ  ـلَمْيوسُ من واضِحٍ لَهُمْ وخَفِى(٨)

فكيفَ أَخْطَأْتَ يا أُخَىَّ ولَمْ  تَنْزِعْ إلى ما سَطَّرْتَ فى الصُّحُفِ؟(٩)

هَلَّا زَجَرْتَ الطَّيْرَ العُلَى ، وَتَعـ (م) ـيَّفْتَ المَها ، أَوْ نَظَرْتَ فى الكَتِفِ؟

حَمَلْتها والفِـراقُ مُحْـتَشِدٌ  لِرَاكِبٍ مِنْكُمَـا ومُرْتَـدِفِ

---

(١) هذا البيت ترتيبه العاشر فى الديوان . وفى الديوان « جرائر » بالجيم .

(٢) فى الديوان : « قد كان حقا » ، « المكنون » .

(٣) « السند هند » كتاب فى حركات النجوم .

(٤) يجب تصحيح تشطير البيت فى الديوان .

(٥) اللُّطَفُ : طرائف التحف .

(٦) « واليس » : هو فاليس الرومى صاحب كتاب « المدخل إلى علم صناعة النجوم » وكان فى قرابة منتصف القرن الثانى للمسيح انظر « الفهرست : ٣٢٨ . وتاريخ الحكماء للقفطى : ١٧٢ » .

و « جابان » : منجم كسرى « البداية والنهاية ٧ : ٢٧ الطبرى ٣ : ٥٥٦ » وفى الأصل : « ولا جابان » والتصحيح من الديوان .

(٧) فى الأصل « فوريوس » والتصحيح من ديوانه ، و « ذُرُوثيوس » : عالم رياضى رومى عالم بالفلك والنجوم « تاريخ الحكماء : ١٧٢ » ، « بَطْلَمْيُوس » : صاحب كتاب المجسطى فى رصد الكواكب « الفهرست : ٣٢٧ » . وفى الديوان : « من واضح لكم وخفى » ، وقد شُطِّرَ البيت فى الديوان خطأً فليصحح .

(٨) فى الديوان : « ولم تركن » .

(٩) الزجر والعيافة : رمى الطير أو غيرها بحصاة يتفاءلون أو يتشاءمون حيث تتجه ، الأُكتاف : علم البحث عن الخطوط والأشكال التى ترى فى أكتاف الضأن والمعز إذا قوبلت فى شعاع الشمس « كشف الظنون ١ : ١٤١ » فى ديوانه « أو تعيفت » .

ورُحْتُما والنُّحوسُ تَخْبِرُ عَنْ ... شَأْنٍ مِنَ الرَّائِحِينَ مُخْتَلِفِ (١)

أما أَرَتْكَ النُّجومُ أَنَّكُما ... فى حَالَتَىْ بَائِتٍ ومُنْصَرِفِ ؟ (٢)

وما رَأَيْتَ المِرِّيخَ قَدْ حاسد الـ (م) ... ـزُّهْرَةَ فى الحَدِّ مِنْهُ والشَّرَفِ (٣)

تُخْبِرُ فى ذَاك أَنَّ زَائِرَةً ... تَشْفى مَزُورًا من لَاعِجِ الدَّنَفِ (٤)

من أَيْنَ أَغْفَلْتَ ذا وَأَنْتَ على الـ (م) ... ـتَّقْويمِ والزِّيجِ جِدُّ مُعْتَكِفِ (٥)

رَذُلْتَ فى هذهِ الصِّناعَةِ ؟ أَمْ ... أكديتَ أَمْ رُمْتَها معَ الخَرَفِ ؟

لم تَخْطُ بَابَ الدَّهْلِيزِ مُنْصَرِفًا ... إِلَّا وخَلْخَالُها مَعَ الشُّنُفِ

فأيْنَ حِلْمُ الفَتى وذِمَّتُهُ ؟ ... وأَيْنَ قَوْلُ العَجُوزِ لاتَخَفِ ؟ (٦)

ما أَخْونَ النَّاسَ لِلعهودِ ! ومَا ... أَشَدَّ إِقْدامَهُمْ على الحَلِفِ!

تَصُبوا إلى مِثْلِهِ إذا نَظَرَتْ ... فيك إلى جيفةٍ من الجِيَفِ

يَسُرُّنى أَنْ تُساءَ فِيها ، وأَنْ ... تُفْجَعَ مِنْهـا بالـرَّوْضَةِ الأُنُفِ (٧)

قد خَبَّروها قِيامَ شَيْخِكَ فى الْـ ... ـحَمَّامِ فاسْتَعْبَرتْ مِنَ الأَسَفِ

وأَعْلَمُوهَـــا بأَنَّ كُنْيَتَـــهُ ... « أَبُو قُماشٍ » الحمَّامِ والكُنُفِ (٨)

وخَبَّروها بالدَّسْتَبانِ وبالصَّـ ... ـنِّ فكادت تُشْفِى على التَّلَفِ (٩)

وقد تَبَيَّنْتَ ذاكَ فى الكَمَدِ الـ ... ـبادِى عَلَيْها والواكِفِ الذَّرِفِ

---

(١) ديوانه : « تنبىء عن حال » .

(٢) ديوانه : « ثابت ومنصرف » .

(٣) « الحد » : أقسام الكواكب « الشرف » : درجة فى برج الكواكب .

(٤) فى الديوان : « تخبر عن ذاك » .

(٥) الزيج : كتاب تعرف به أحوال حركات الكواكب ، ويؤخذ منه التقويم « علم الفلك : ٤٢ » .

(٦)فى الديوان : « فأين حلف » .

(٧) فى الديوان : « يسوءنى » ، والبيت الذى يليه شُطِّر خطأً فى الديوان فليصحح .

(٨) فى الديوان : « أبو قِماشِ الحشُوشِ » والحشُوشُ والكُنُفُ : بيت الخلاء .

(٩) « الصِّنُّ » : سلة كبيرة يجعلَ فيها الطَعام ، وفى ديوانه : « وحدثوها » .

وزُهْدِها فى الدُنُوّ مِنْكَ فمَا ... تُعْطِيكَ إلّا بالتَّعْسِ والعُنُفِ

أَنْتَ كَما قَدْ عَلِمْتَ مُضْطَرِبُ الْـ ... ـهيئةِ والقَدِّ ، ظَاهِرُ الجَلَفِ

والسِّنُّ قَدْ بَيَّنَتْ فَنَاءَكَ فِى ... شِدْقٍ على ماضِغَيْكَ مُنْخَسِفِ

وَجْهٌ لَعِينُ القِسْمَيْنِ يقْطَعُهُ ... أَنْفٌ طَوِيلٌ مُحَدَّدُ الطَّرَفِ

ورُتَّةٌ تَحْتَ غُنَّةٍ ، قَذُرَتْ ... من هَالِكِ الرَّاءِ دَامِرِ الأَلِفِ (١)

كأَنَّ فى فِيهِ لُقْمَةً عَقَلَتْ ... لِسانَهُ ، فالْتَوى على جَنَفِ

مُحَـرِّكٌ رَأْسَهُ تَوَهُّمُـهُ ... قد قَامَ من عَطْسَةٍ علىٰ شَرَفِ

سَماجَةٌ فِى العيونِ فَاحِشَةٌ ... خَلَّفْتَ فى حَمْلِها « أبا خَلَفِ » (٢)

تَرُومُ وَصْلَ المَها ، وأنتَ كَذا ... هذا لَعَمْرِي من أَسْرَفِ السَّرَفِ ! (٣)

وقال يَهْجُو يَعقوبَ بن الفَرجِ الجَهبذ بحلب : (٤)

تَظُنُّ شُجُونِىَ لَمْ تَعْتَلِجْ ... وقد خلجَ البَيْنُ مَنْ قَدْ خلَجْ (٥)

أَشَارَتْ بِعَيْنَيْـنِ مَكْحُولَتَيْـ ... ـنِ من السِّحْرِ إِذْ وَدَّعَتْ والدَّعَجْ

عِنَاقُ وداعٍ أَجَالَ اعْتِرا ... ضَ دَمْعِىَ فى دَمْعِها فَامْتَزَجْ

فَهَلْ وَصْلُ ساعَتِنا مُنْسِىءٌ ... صُدودَ شُهورٍ خَلَتْ أو حِجَجْ (٦)

---

(١) « الرُّتَّةُ » العجمة ، « هالِكُ الرَّاءِ دامِرُ الأَلِف » أى : ألثغ لا يكاد يبين فى كلامه .

(٢) « أبو خلف » كنية القرد . وفى ديوانه : « خُلِّفْتَ فى قُبْحِها » .

(٣) فى الديوان : « هذا لعمرى ضرب من السَّرف » .

(٤) ديوانه ١ : ٤١٩ « وجاء فى أخبار البحترى : ١٢٩ » قال الصولى : حدثنى الغوث بن الوليد قال : طالب أبى يعقوبَ النصرانيَّ بحق له فجحده إياه ، ودخل بينهما الناس فقال يعقوب : أنا أحلف ، فقال له البحتريّ : أحلف بما أحلفك به من شعرى ، قال : وما هو : فأنشده القصيدة . فقال له : أنا لا أستحل أسمع هذا ، فكيف أحلف به وأرضاه ! » .

(٥) سبق فى ٢ : ١٣ .

(٦) ديوانه : مُنْشِىءَ « بالشين المعجمة » .

وما كَانَ صَدُّك إلّا الدَّلا ... لَ ، وإلّا المَلالَ ، وإلّا الغَنَجْ

فان تَكُ قَدْ دَخلتْ بَيْنَنا ... مَهامِــهُ لِلآلِ فِيها لُجَـجْ[1]

فَكَمْ رَوْضَةٍ بِفناءِ الرَّبيـ ... ـعِ يُضاحِكُها البَرْقُ من كُلِّ فَجّ

تَأيًّا « قُوَيْقٌ » لِتَدويرِها ... فَنَكَّبَ عن قَصْدِها وانْعَرَجْ[2]

إذا هَزَّتِ الرِّيحُ أَغْصانَها ... تَعانَــقَ نُوَّارُهــا وازْدَوجْ

لِقيناــكَ فِيها فَخَايَلْـتَها ... بِلينِ التَّكَفِّي وطِيبِ الأَرَجْ

سَقَى « حَلَبًا » حَلَبٌ مُسْبِلٌ ... من الغَيْثِ يهْمِى بها أو يَثِجْ

وإنْ حالَ من دُونِ حَقِّى فلَمْ ... يُسَلِّمْهُ « يَعْقوبُها » « ابْنُ الفَرَجْ »

أَيُتْلِفُ « يَعْقُوبُ » مالِى لَدَيـ ... ـه و « يَعْقُوبُ » مُتَّئِدٌ لم يُهَجْ !

وإنّى مَلِىٌّ بأَنْ لاَيُسَرَّ ... بما نَالَ مِنِّــى ولا يَبْتَهِـجْ[3]

إذا شَدَّ عُرْوةَ زُنّـــارِهِ ... على سَلْحَةٍ ضَخْمَةٍ وانْتَفَجْ

تَوَهَّمَ أنّى لا أَسْتَطِيـ ... ـعُ مَساءَةَ أَغْتَرَ بَادِى الهَوَجْ[4]

ومن أَيـنَ يَكْثُرُ أَنْصارُهُ ... فيأْتِى الأَحَجُّ له فالأَحَجْ

وزَوْجَتُهُ قَدْ عَسا بَظْرُها ... على كَبْرةٍ وابْنُهُ قَدْ عَلَجْ ؟؟[5]

/ وأَلّا تورَّعَ عمَّا جَنَى ... عَلَىَّ الخَبيثُ وأَلّا حَرِجْ ؟[6]

« أبا يوسِفٍ » سَمِجٌ ما أَتَيْـ ... ـتَ ، وما يَكُ مِثْلُكَ يأْتِى السَّمِجْ[7]

---

(١) فى الديوان « وإن تك » .

(٢) « قويق » : نهر فى حلب ، وهو الذى كان جاريا بباب سيف الدولة « معجم ما استعجم ٢ : ١١٠٣ » .

(٣) فى الأصل : « ولم يبتهج » والتصحيح من ديوانه .

(٤) أغتر : أحمق .

(٥) ديوانه : « عشا » بالسين المعجمة ، وعسا : اشتد ويبس وغلظ .

(٦) ديوانه : « فإلا » .

(٧) ديوانه : « ولم يك » .

وشرُّ المُسيئِينَ ذُو نبْوةٍ ... إذا لِيمَ فِيها تَمادىٰ ولَجْ
هَلُمَّ إلى الصَّدْقِ نَسْرى إلَيْـ ... ـهِ بِحُجَّتِنَا فِيه أو نَدَّلِجْ
ونَعْتَمِدُ الحَقَّ حتى يَصِحَّ ... لَنا مُظْلِمُ الأَمْرِ أو يَنْبَلِـجْ (١)
وفى مَوْقِفٍ مالَنا بَعْـدَهُ ... تَنازُعُ نَجْوىٰ ولا مُعْتَلَجْ
فمن أَبْرأَ الحُكْمُ فِيه نَجا ... ومن أَلْحَجَ الحُكْمُ فيهِ لَحِجْ
وإن لَمْ يَكُنْ شَاهِدٌ يُرْتَضىٰ ... وراؤك فى الحُكْمِ مُودٍ مُضِجْ (٢)
وأَنْتَ فلا حَالِفٌ بالعِتَا ... قِ ولا حالِفٌ فى طَلاقِ الحَرَجْ (٣)
فهل تَتَقَيَّلُ جُرْمَ القُسُو ... سِ ، وتَقْطَعُ من إلْهِمْ ما وَشَجْ ؟ (٤)
وتَضْرِطُ فى لِحْيَـةِ الجاثليـــ ... ـقِ إذا خارَ فى سِفْرِ « شَعْيا » وعَجْ
وتزْعُمُ أَنَّ الذيـن ابْتَـدَوْا ... علُومَ النَّصارىٰ رَعَاعٌ هَمَجْ
بأنَّك لَمْ تُتْوِ مَالِى ، ولَمْ ... تَطَلَّبْ عَلَىَّ عَوِيصَ الحُجَجْ (٥)
فإن كُنْتَ أَدْهَنْتَ أو خُنْتَ أَوْ ... لَهِجْتَ بِظُلْمِى فِيمَنْ لَهَجْ
فخَالَفْتَ « مَرْيَمَ » فى دِينِها ... وفَارَقْتَ نامُوسَهَا المُنْتَهَـجْ
وخَـرَّقْتَ غُفُّورَهـا كَافِــرًا ... بمِنَ غَزَلَ الثَّوبَ أو مَنْ نَسَجْ (٦)
وأَعْظَمْتَ ما أَعْظَمَته اليَهُو ... دُ تُصَلِّى لِقِبْلَتِهِم أَوْ تَحُجْ (٧)

---

(١) فى الديوان : « يضىء لنا » .
(٢) فى الديوان : « وإذ لم يكن » ، « ورائك فى الجحد » ، رائك : رأيك .
(٣) فى الديوان : « ولا حانث فى طلاق الحرج » .
(٤) فى الديوان : « فهل تتقبّل » ، وأقال البيع إقالة : فَسَخَهُ .
(٥) أتوى : أهلك .
(٦) فى الأصل : « وتحرقت » والتصحيح من ديوانه .
(٧) فى الأصل : « ما أعظمت » .

وَنِكْتَ عَجُوزَكَ حَتَّى تَرُدَّ (م) فى رَحْمِها دَاخِلًا مَاخَرَجْ
وهدَّمْتَ « بَيْعَةَ مَاسَرْجِسٍ »[١] وأَطْفَأْتَ نِيرانَهـا والسُّرُجْ
وأَوْقَدتَ نَاقُوسَهـا والصَّلِيـ ـبَ تَحْتَ عِشائِكَ حتى نَضِجْ
وَبَكَّرْتَ تَخْرأُ فى المَذْبَحِ الـ ـكَبيرِ ، وتَلْطَخُ تِلْكَ الدَّرَجْ
وزِلْتَ من اللهِ فى لَعْنَةٍ تُقيمُ عَلَيْكَ فلا تَنْزعِجْ[٢]
وأَيْرُ « طِماسٍ » إذا ما أَشظَّ (م) فى صَدْعِ إمْرَاتِكَ المُنْعَرِجْ[٣]
يَمِينٌ متى ما اسْتَحلَّ امْرُؤٌ تَجَشُّمَها عِنْدَ قَاضٍ فَلَجْ ؟

وقال أبو تمَّامٍ فى عيَّاشِ بن لَهِيعَةَ[٤] :

أَعَيَّاشُ ارْعَ أَوْ لا تَرْعَ حَقِّى وصِلْ أَوْ لا تَصِلْ أبدًا وَسِيلِى
أَمِثْلُكَ يُرْتَجىٰ لَوْلَا تَنائِى أُمورِى والْتِياثِى فى حَوِيلِى ؟!
رجاءٌ حَلَّ من عَرصَاتِ قَلْبِى محَلَّ البُخْلِ من قَلْبِ البَخِيلِ
ورأىٌ هَزَّ حُسْنَ الظَنِّ مِنِّى جَرىٰ ماءاهُ فى عَرْضِى وطُولِى[٥]
فأَجْدىٰ مَوْقِفِى بِنداكَ جَدوىٰ وقُوفَ الصَّبِّ بالطَّلَلِ المُحِيلِ[٦]
وأَعْكَفْتُ المُنَى فى ذَاتِ صَدْرِى عُكوفَ اللَّحْظِ فى الخَدِّ الأَسِيلِ[٧]

---

(١) بيعه ما سَرْجس : هو دَيْر بعانة وهى مدينة على الفرات عامرة ، « الديارات للشابشتى : ٢٢٨ » .

(٢) فى الديوان : « ولا تنزعج » .

(٣) فى الأصل : « إذا شظ » وطماس : هو أحمد بن عبد الله بن العباس ، وفى ديوانه : « المنفرج » .

(٤) ديوانه ٣ : ١٨٨ وشرح التبريزى ٤ : ٤١٦ ، والمهجو هو : عياش بن لهيعة الحضرمى ، وكان أبو تمام قد قدم عليه مصر ، ومدحه ، ثم استسلفه مائتى مثقال ، فشاور عياش امرأته ، فقالت له : هو شاعر يمدحك اليوم ويهجوك غدا ، فاعتلّ عليه ، واعتذر إليه ولم يقض حاجته ، وقد عاتبه أبو تمام ، ثم هجاه حتى مات وهجاه بعد موته « العقد الفريد ١ : ٢٨٥ » .

(٥) ديوانه : « ووأى » ، وشرح التبريزى وديوانه « هَزَّ حُسْنَ الظن حَتَّى » .

(٦) فى الأصل : « وقوف الضبّ فى الظلّ المحيل » تحريف والتصحيح من ديوانه .

(٧) فى الأصل : « عطوف » والتصحيح من التبريزى ، وفى ديوانه : « فأعلقت .... علوق » .

وكُنْتُ أعزَّ عِزّاً من قَنوعٍ ... فعوَّضَهُ صَفُوحٌ عن جهولِ (١)
فَصِرْتُ أذَلَّ من مَعْنًى دقيقٍ ... بِهِ فَقْرٌ إلى ذِهْنٍ جليلِ
فما أَدْرِى عمايَ عَنِ ارْتِيادي ... دَهاني أمْ عماكَ عن الجَميلِ ؟
متى طَابَتْ جَنًى وزَكَتْ فُروعٌ ... إذا كَانَتْ خبيثاتِ الأُصُولِ
نَدَبْتُكَ للجميلِ وأنْتَ لَغْوٌ ... ظَلَمْتُكَ لَسْتَ من أَهْلِ الجَميلِ (٢)
رُوَيْدَكَ إنَّ لَوْمَكَ سَوْفَ يُجْلِى ... لك الظُّلُماتِ عن حُزْنٍ طَوِيلِ (٣)

وهذا كلُّه رَدِىءٌ إلّا هذه الأبياتُ الأَرْبَعَةُ الأخيرةُ . والقصيدةُ أيضًا كلُّها رديئةٌ . وقد ذَكَرْتُ غلطَهُ فى قَوْلِهِ :

وكُنتُ أعَزَّ عِزًّا من قَنوعٍ

فى أَغاليــطِهِ (٤) .

ولَوْلا أنَّ هذا من مَشْهور هِجائِهِ ، لأَلْغَيْتُ ذِكْرَه مع غَيْرِه .

ولأبى تمّامٍ قصيدَتُه الطَّويلَةُ التى أوّلها :

« الدّارُ ناطِقَةٌ ولَيْسَتْ تَنْطِقُ (٥) »

---

(١) ديوانه والتبريزى : « تَعوَّضَهُ » .

(٢) ديوانه والتبريزى : « ندبتك للجزيل ... من أهل الجزيل » .

(٣) ديوانه والتبريزى :

رويدك إنَّ جَهْلك سوف يَجْلُو ... لك الظلماءَ عن خِزْيٍ طويل

(٤) لم أجد البيت فى أغاليطه فى الجزءِ الأوَّلِ ، وجاء فى ديوانه بشرح التبريزى « ٤ : ٤١٧ » : رُدَّ على أبى تمام « القنوع » فقال المرزوق « القنوعُ » قد يكون المسألة وليس ذلك بمانعِهِ من أن يكون موضوعا لشيء آخر ، والذى أراده أبو تمام الخروج من الشيء والميل إلى غيره ، ومنه « قنعت الإبل » إذا خرجت من الحلّة إلى الحمض قنوعا ، ومنه « القانع » وهو الذى خرج من أرض إلى أرض ، وإذا كان كذلك فقد سلم قول الرجل ، والمعنى : « ما يعتاضه من الخروج من ودّه إلى ود غيره » .

(٥) ديوانه ٣ : ٢٢٨ وشرح التبريزى ٤ : ٣٩٣ وعَجُزهُ :

« بِدُثُورِها أنَّ الجَدِيدَ سَيُخْلِقُ »

يَهْجُو فيها رَجُلًا[١] نَالَ من بنى عَبْدِ الكَرِيمِ كُلُّها رِديئةٌ ، يقُول فيها :

أَإِلَىٰ بَنِى عَبدِ الكَرِيمِ تَشَاوَسَتْ ... عَيْنَاك ويْبَكَ خِلْفَ مَنْ تَتَفَوَّقُ[٢] ؟!

قومٌ تَراهُمْ حِينَ يَطْرُقُ حَادِثٌ ... يَسْمُونَ لِلْخَطْبِ الجَلِيلِ فَيَطْرُقُ[٣]

بيضٌ إذا اسْوَدَّ الزَّمانُ تَوضَّحُوا ... فيهِ فَغُودِرَ وَهْوَ مِنهمْ أَبْلَقُ[٤]

هَيْهَاتَ غَالَكَ أَنْ تَنَالَ مَآثِرِى ... إِسْتٌ بِهَا سَعَةٌ وبَاعٌ ضَيِّقُ

وتَنَقُّلُ مِنْ مَعْشَرٍ فى مَعْشَرٍ ... فكأَنَّ أُمَّكَ أو أَبَاكَ الزِّئْبَقُ

أَفَعشِتَ حتَّى عِبْتَهُمْ قُلْ لِى مَتَىٰ ... فُرْزِنْتَ ، سُرعَةَ ما أَرَى يابَيْذَقُ[٥]

٤١ / فهذا أَجْوَدُ مافى هذه القصيدةِ من الهِجَاء ، وقَدْ تَرى كيفَ جَعلَ الزَّمانَ أَبْلَقَ وجاءَ بالزِّئْبقِ والفِرْزَانِ . ولَهُ أَهاجٍ يُضحِكُ من رَداءَتِها .

ولَهُ أُرْجُوزَةٌ صالِحَةٌ يقولُ فِيها[٦] :

ومَلِكٍ فى كِبْرِه ونُبْلِهِ ... وسُوقَةٍ فى قَوْلِهِ وفِعْلِهِ

بَذَلْتُ مَدْحى فِيهِ باغِى بَذْلِهِ ... فَجَدَّ حَبْلَ أَمَلِى من أَصْلِهِ[٧]

---

(١) هو عتبة بن أبى عاصم : كلبى من قضاعة ، وكان عالما أديبا شاعرا وهو الذى قال لبنى عبد الكريم بعد أن سمع رد أبى تمام عليه : أَخرِجُوا هذا من بلدنا فليس يصلح أن يقيم فى بلدنا « وفيات الأعيان ٢ : ٢١ » .

(٢) ديوانه : « ويَحْكَ » وشرح التبريزى : « ويْلَكَ » وهما « كَوَيْب » زنةً ومعنىً .

(٣) شرح التبريزى : « حين يَطْرُقُ مُعشرٌ » .

(٤) التبريزى : « قوم إذا اسود الزمان توضحوا » .

(٥) فى ديوانه والتبريزى « يا بيدق » بالدال المهملة ، وهو من أسماء لعبة الشطرنج وكلها أعجمية .

(٦) ديوانه ٣ : ٥٧٣ وشرح التبريزى ٤ : ٥٣٠ ، وانظر موقف ابن الأعرابى من هذه الأرجوزة « أخبار أبى تمام : ١٧٥ . الموازنة ١ : ٢٣ ، مروج الذهب ٤ : ٧٣ » والأبيات يختلف ترتيبها فى الموازنة عنه فى التبريزى وديوانه .

(٧) شرح التبريزى : « فحذ» .

من بَعْدِ ما استَعْبَدنِى بِمَطْلِهِ ... ثُمَّ اغتـدىٰ مُعْتَـذِرًا بِجَهْلِــهِ[١]

ذا عُنُقٍ فى المَجْدِ لَمْ يُحَلِّهِ ... يَعْجَبُ من تَعَجُّبى مِن بُخْلِهِ[٢]

يَلْحَظُنِى فى جِدِّه وهَزْلِـهِ ... لَحْظَ الأَسيرِ حَلَقاتِ كَبْلِهِ

حتّى كَأَنِّى جِئْتُهُ بِعَزْلِـهِ ... ياواحِـدًا مُنْفَـرِدًا بِعَدْلِــهِ

أَلْبَسْتَهُ النُّعمىٰ فلا تُمَلِّـهِ ... ما أَضْيَعَ الجَفْنَ بِغَيْرِ نَصْلِـهِ[٣]

والشِّعْرَ مالَمْ يَكُ عِندَ أَهْلِهِ[٤]

وقال البحترىّ[٥]:

لِسانُكَ أَحْلىٰ من جَنَىٰ الشَّهْدِ مَوْعِدا ... وكَفُّكَ بالمَعْروفِ أَضْيَقُ من قُفْلِ[٦]

تُمَنِّى الذى يَأْتِيكَ حَتَّى إذا انْتَهىٰ ... إلى أَمَدٍ نَاوَلْتَهُ طَرَفَ الحَبْلِ

وقال[٧]:

مَدَحْتُ أبا الخُشَيْنِ لِلْخَيْرِ ضَلَّةً ... أُؤَمِّلُ مِنْهُ فَضْلَ مَنْ مَالُهُ فَضْلُ[٨]

مَدحْتُ امْرأً لو كانَ بالغَيْثِ مابِهِ ... لما بَلَّ وَجْهَ الأَرْضِ من مُزْنَةٍ وَبْلُ[٩]

---

(١) ديوانه وشرح التبريزى : « ثم أَتى مُعْتَذِراً » .

(٢) ديوانه والتبريزى « لم يُخْلِهِ » ولا يَصِحُّ بها الوزن والتصحيح من ديوانيه المخطوطين .

(٣) ديوانه التبريزى : « تُمْلِهِ » ولا يصح بها الوزن والتصحيح من ديوانيه المخطوطين ، وديوانه وشرح التبريزى : « أَلْبَسْتَهُ الغنى » .

(٤) فى الأصل : « ما لم يكن » والتصحيح من ديوانه والتبريزى .

(٥) ديوانه ٣ : ١٦٧٨ ، وأنظر تخريجهما هناك وفى ٥ : ٢٨٠٠ .

(٦) ديوانه : « من جَنىٰ النَّحْلِ » .

(٧) ديوانه ٣ : ١٦٦٥ .

(٨) ديوانه : « مدحت أبا العَبَّاسِ لِلحَيْنِ ضَلَّةً » .

(٩) فى الديوان : « من قَطْرِهِ » .

لئيمَ الجدودِ والفَعالِ فما لَهُ ... أَبٌ داخِلٌ فى الأَكرمِينَ ولا فِعْلُ
لَهُ هِمَّةٌ لو فَرَّقَ اللهُ شَمْلَها ... على النَّاسِ لَمْ يُجْمَعْ لِمَكْرُمَةٍ شَمْلُ
لَهُ حَسَبٌ لو كانَ للشَّمْسِ لَمْ تُنِرْ ... ولِلْماءِ لم يَعْذُبْ ، ولِلنَّجْمِ لم يَعْلُ

وهذا أهجاُ بَيْتٍ سَمعتُ بهِ لَهُ على تَقْصيرِ البُحْتُرىِّ فى الهِجَاءِ ، والبُحْتُرىُّ على كُلِّ حَالٍ أَهْجاُ من أَبى تَمَّامٍ .

وقال أبو تمَّامٍ يَهْجُو عيَّاش بنَ لَهيعَةَ (١) :

النَّارُ والعَارُ والمَكْروهُ والعَطَبُ ... والقَتْلُ والصَّلْبُ والمُرّانُ والخَشَبُ
أَحْلىٰ وأَعْذَبُ من سَيْبٍ تَجُودُ بِهِ ... ولَنْ تَجودَ بِهِ ، ياكَلْبُ ، ياكَلِبُ !
بَنِى لَهيعَةَ ما بالِى وبَالُكُمُ ... وفى البِلادِ مَنادِيحٌ ومُضْطَرَبُ ؟
لِحاجَةٌ بِىَ فِيكُمْ لَيْسَ يُشْبِهُهَا ... إلَّا لَحَاجَتُكُمْ فى أَنَّكُمْ عَرَبُ !
عَيَّاشُ مالَكَ فى أُكْرومَةٍ أَرَبٌ ... ولا لِأُكْرومَةٍ فى سَاقِطٍ أَرَبُ
يا أَكْثَرَ النَّاسِ وَعْدًا حَشْوُهُ خُلُفٌ ... وأَكْثَرَ الناسِ قَوْلًا حَشْوُهُ كَذِبُ (٢)
ظَلِلْتَ تَنْتَهِبُ الدُّنيا وزُخْرُفَها ... وظَلَّ عِرْضُكَ عِرضَ السُّوءِ يُنْتَهَبُ

قَوْلُهُ : « النَّار والعَارُ » من أَبياتهِ المَشْهورَةِ التى يُضْحَكُ مِنْها ، وإنَّما أَرادَ بقَوْلِهِ : « المُرّانُ والخَشَبُ » [ أَنَّه تَمَنَّى ] (٣) أن يُضْرَب بِهِمَا ، كَأَنَّه اخْتار ذَلِكَ على نائِلِ الذى مَدَحَهُ ، ودَعَتْهُ الضَرورَةُ إلى أَنْ جمَعَ بَيْنَ « المُرَّانِ والخَشَبِ » ، وكان أَحدُهما يَكْفِى من الآخرِ .

---

(١) ديوانه ٣ : ٨٤ وشرح التبريزى ٤ : ٣١٣ .

(٢) ديوانه : « كلّه كَذِبُ » .

(٣) الزيادة من النظام لابن المستوفى ١ لوحة ١٤٢ .

والمُرّانُ من الخَشَبِ الصُّلْبُ الشَّدِيدُ ، ومِنْهُ تُنْحَتُ الزّانَاتُ والرِّمَاحُ القِصارُ ، ولَهُ اهْتِزازٌ وتَثَنٍّ كالقَنا ، والضَّرْبُ بِهما وَبالأَرْزَنِّ[1] والسَّلَمِ[2] – وهُما أَيْضًا من الخَشَبِ الصُّلْبِ – أَشَدُّ من الضَّرْبِ بِغَيْرِهِما ، وإنَّما ذهب إلى أن يُطْعَنَ[3] بالمُرَّانِ ويُضْرَبَ بالخَشَبِ ، ومن تَمنى النَّارَ والقَتْلَ والصَّلْبَ لايَنْحَطُّ بَعْدَ هذا إلى الضَّرْبِ بالخَشَبِ، وكان يَنْبَغِى أن يَجْعَل مكانَ المُرّانِ والخَشَبِ التنكيلَ والسَّلْبَ[4] ، أو الحَرَبَ[5] أو غَيْرَهما فإنَّ الكلامَ كَثِيرٌ .

وقد جمَعَ هذا البيتُ من قُبْحِ الأَلْفاظِ ، وقُبْحِ المَعانِى ، وقُبْحِ الضَّرورَةِ مالا شَىءَ أَشْنَعَ مِنْه و كأنَّه[6] من كلامِ خَالِدٍ الحَدادِ[7] .

* * *

---

(١) الأَرْزَنُّ : شَجَرٌ صُلْبٌ يُتخذُ منه العِصِىُّ ، وأَنشَدَ الأَصْمَعِىُّ :

أَعْدَدْتُ للضِّيفانِ كَلباً ضارِياً          وهَرَاوَةً مَجلوزَةً من أَرْزَنِ

« البيان والتبين ٣ : ٧٩ » .

(٢) السَّلَمُ : ضَرْبٌ من الشَّجَر ، قال العُمَانِىُّ :

وهزَّ فى الكَفِّ وأَبْدىٰ المِعْصَما          هَرَاوةً نبعيَّةً أو سلَمَا

تترك ما رامَ رُفاتاً رِمَمَا

« البيان والتبيين ٣ : ٧٣ » .

(٣) الأصل : « يُضْرَبُ » والتصحيح من النظام .

(٤) انظر فى الترتيب من الأنفس إلى الأخس « الصناعتين : ٢٢٩ ، وشرح التبريزى ٤ : ٤٦ » .

(٥) فى الأصل : « والحَرْبُ » والتصحيح من كتاب النظام ، و « الحَرَبُ » بالتحريك أن يُسْلَبَ الرَّجُلُ ما لَهُ .

(٦) فى الأصل : « وكلّه » والتصحيح من النظام .

(٧) بعد أن نقل ابن المستوفى كلام الآمدى قال : « لا شبهة فى أن هذين البيتين ليسا فى مختار =

..............................................................................

* * *

= الهجاء ولا متوسطه ، ولا شكّ فى رداءتهما ، والبيت الثانى قريب المعنى لولا ما ختمه بقوله « يا كلب يا كلب » فإن ذلك قبيح .

قال الجوهرى : المُرّانُ بالضمِّ الرِّماحُ ، وهو فُعَّال ، الواحدة مُرَّانَةٌ ، فأتى أبو تمّام بالرِّماح والخَشَبِ على اختلافه ، وفَرَّق بين الرِّماح والخشب . وقوله : « والضرورة دعته إلى أن جمع بين المُرَان والخشب لأن المُرّانَ من الخشب وكان أحدهما يكفى من الآخر – وما بعده » ناقضَ فيه ما ذَكَرَهُ ، لأنَّهُ وصَفَ المُرّانَ بِوَصْفٍ يُخْرِجُهَ أنْ يكونَ خَشبَا مُطْلقا ، فتَميَّزَ من الخَشَبِ ، ويُؤَيِّدُ ذلك ما قاله الجوهرى ، ولو أن المُرّانَ لم يُسمَّ بما سُمِّى به ، وكان له صفة الخشب أو هو هو بعينه لجاز ذكره لاختلاف اللفظين ، وهذا مشهور فى كلامهم من النظم والنثر .

وقوله : « ومن تمنى النار والعطب والقتل والصلب ، لا ينحط بعد هذا إلى الضرب بالخشب ، وكان ينبغى أن يجعل مكان المُران والخشب التنكيل والسلب أو الحرَبَ أو غيرهما » وهذا الذى أنكره عليه لم يَعُد منه بما يساعده على ما أنكره ، لأن التنكيل والسلب أيضا فيه انحطاط عن العطب والصلب ، إذ هو أهون منه وهما أشدّ منه كثيرا ، لأن التنكيل ربما سلم صاحبه ، وما رأينا من عَطَب وصُلِبَ عاش .

وقد اَعْتُذِرَ له بقوله « أو أن يطعن بالمران ويضرب بالخشب » عن جمعه بينهما لاختلاف اسميهما ، واختلاف الفعل بهما ، على أن الواو لا يقتضى الترتيب فى أصح القولين .

« النظام لابن المستوفى ١ لوحة ١٤٢ » .

# الاعتذار

قال أبو تمّام يعتذر إلى ابن أبى دؤاد[1] :

أَتَانِى عَائِرُ الأَنْبَاءِ تَسْرِى عَقارِبُـــهُ بِداهِيَـــةٍ نَآدِ
نَثَا خَبَرٌ كأَنَّ القَلْبَ أَمْسَى يُجَرُّ بِهِ على شَوْكِ القَتَادِ
كأَنَّ الشَّمْسَ جَلَّلها كُسُوفٌ أو اسْتَتَرتْ بِرِجْلٍ من جَرادِ
بأَنِّى نِلْتُ من مُضَرٍ وخَبَّتْ إِلَيْكَ شَكِيَّتِى خَبَبَ الجَوادِ
وما رَبْعُ القَطِيعَةِ لى بِرَبْعٍ ولا وَادِى الأَذَى مِنِّى بِوَادِ[2]
وأَيْنَ يَجُورُ عن قَصْدٍ لِسَانِى وقَلْبِى رَائِحٌ بِرِضَاكَ غَادِ !
ومِمَّا كانَتِ الحُكماءُ قَالَتْ لِسَانُ المَرْءِ من خَدَمِ الفُؤادِ
وَقِدْمًا[3] كنتُ مَغْسولَ الأَمانِى ومَـــأْدُومَ القَوافِـــى بالسَّدادِ



---

(١) ديوانه ١ : ٣٨٠ وشرح التبريزى ١ : ٣٦٩ وما بعدها ، وابن أبى دؤاد : هو أبو عبد الله قاضى القضاة أحمد بن أبى دؤاد كان فصيحاً مفوها شاعرا جوادا ممدحا ، رأسا فى التجهم وهو الذى شغب على الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتله ، وبسببه وفتياه أمتحن الإمام أحمد بن حنبل وأهل السُّنة بالضرب والهوان على القول بخلق القرآن ، وأبتلى ابن أبى دؤاد بعد ذلك بالفالج ، توفى سنة ٢٤٠ هـ وله ثمانون سنة « شذرات الذهب ٢ : ٩٣ ، وتاريخ بغداد ٤ : ١٤٢ - ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ١ : ٨١ - ٩١ » .

(٢) ديوانه والتبريزى : « ولا نادى الأذى منى بنادى » .

(٣) شرح التبريزى : « فقدما » .

لقد جازَيْتُ بالإحْسانِ سُوءًا ... إذًا وَصبغْتُ عُرْفَكَ بالسَّوادِ
وصِرْتُ أسوقُ عِيرَ اللُّؤْمِ حَتَّى ... أُنخْتُ الكُفْرَ فى دَارِ الجِهادِ
ولَيْسَتْ رُغْوَتِى مِنْ فَوقِ مَذْقٍ ... ولا جَمْرِى كَمينٌ فى الرَّمادِ
وغَيرِى يَأكُلُ المَعْروفَ سُحْتًا ... وتَشْحُبُ عِندهُ بِيضُ الأَيَادِى
تَثَبَّتْ إنَّ قولًا كَانَ زُورًا ... أَتى النُّعمانَ قَبْلَكَ عن زِيادِ
إلَيْكَ بَعْثتُ أَبْكارَ القَوافِى ... يَلِيها سَائِقٌ عَجِلٌ وحادِى[1]
تَنصَّلَ رَبُّها من غَيْرِ جُرمٍ ... إلَيْك سِوى النَّصيحَةِ والوِدَادِ
ومن يأْذَنْ إلى الواشينَ تُسْلَقْ ... مسامِعُهُ بألسِنَـــةٍ حِدادِ

قولُه : « تَسْرى عَقارِبُهُ » ، لَيْسَ هذا مَوْضِعُ سُرىٰ العقارِبِ ، لأنَّه لايُقالُ : هذا خَبرٌ تَسْرِى عَقارِبُه ، ولا أتَانى خَبَرٌ سَرَتْ عقَارِبُه إلَىَّ ، لأنَّ الأَخْبارَ الرَّديئَةَ التى يُورِدُها المُورِدُ وَيُبَلِّغُها المُبلِّغُ هى العقَارِبُ أَنْفُسهَا ، وإنَّما يُقالُ : تَسرِى عقارِبُ زَيْدٍ إلىَّ ، وذلك إذا كان شَرًّا ، وليس الخَبَرُ العائِرُ الذى ذَكَرهُ من الشَرِّ فى شَىءٍ .[2]

وقولُه : « صَبَغْتُ عُرْفَكَ بالسَّوادِ » مِمَّا عابَه « أبو العباس بن عَمّارٍ » ولَيْس بِخَطإٍ ، ولا هُو حَسَنٌ .

---

(١) التبريزى : « أبكار المعانى » .

(٢) قال ابن المستوفى « عائر الأنباء من قولهم : عار الفرسُ ، إذا لَدَّ وذهب شارداً . وعقاربُهُ : شُرُوره . وقالُوا : النآد : الداهِيةُ ، ثم وصفوا بها الداهية ، وإذا كان كذلك ففيها زيادة جاز لها أن توصف بها الداهية وإلّا فإن وصف الشيء بنفسه غير جائز » « النظام شرح المتنبى وأبى تمّام لابن المستوفى – مخطوط » .

أما قول الآمدى : « وليس الخبر العائر من الشرّ فى شيءٍ » فأقول : إنه يكفيه شرا إفساده المودة بين الشاعر وممدوحه « وهو من هو فى الرئاسة والتسلط » وهذا ما أزعج الشاعر وجعله يعيش فى حالة من الرعب والخوف صورهما فى أبياته التى تلت هذا البيت .

وقال يعتذر إلى موسى بن ابراهيم[(١)]:

أَمُوسَىٰ بْنَ إبراهيمَ دَعْوَةَ خامِسٍ ... بِهِ ظَمأُ التَّثريبِ لا ظَمأُ الوِرْدِ[(٢)]
جَليدٌ على عَتْبِ الخُطوبِ إذا الْتوتْ ... ولَيْسَ على عَتْبِ الأخلّاءِ بالجَلْدِ
أتاني مع الرُّكْبانِ ظَنٌّ ظَنَنْتَهُ ... لَفَفْتُ له رَأسِي حَياءً مِنَ المَجْدِ
لَقَدْ نَكَبَ الغَدْرُ الوفاءَ بساحَتِي ... إذًا وسَرَحْتُ الذَّمَّ فى مَسْرَحِ الحَمْدِ
وهَتَّكْتُ بالقَوْلِ الخَنا حُرْمَةَ العُلىٰ ... وأَسْلَكْتُ حُرَّ الشِّعْرِ فى مَسْلَكِ العَبْدِ
نَسيتُ إذًا كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ شاكَلَتْ ... يَدَ القُرْبِ أَعْدَتْ مُسْتَهامًا على البُعْدِ
ومن زَمَنٍ أَلْبَستنيهِ كأنَّهُ ... إذا ذُكِرَتْ أيَّامُهُ زَمَنُ الوَرْدِ
وأنَّكَ أَحْكَمْتَ الذى بَيْن فِكْرَتِي ... وبَيْنَ القَوافِى من ذِمامٍ ومن عَقْدِ
وكَيْفَ وما أَخْلَلْتُ بَعْدَكَ بالحِجا ... وأَنْتَ فَلَمْ تُخْلِلْ بمَكْرُمَةٍ بَعْدِي ؟
أُسَرْبِلُ هُجْرَ القَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ[(٣)] ... إذًا لَهَجانِي عَنْهُ مَعْروفُهُ عِنْدِى ؟
كَريمٌ متى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والوَرىٰ ... مَعِي ومَتى مالُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِى
ولَوْ لَمْ يَزِعْنى عَنْكَ غَيْرَكَ وازِعٌ ... لأَعْدَيْتَنِي بالحِلْمِ إنَّ العُلىٰ تُعدى
أَبَى ذاكَ أنى لَسْتُ أَعْرِفُ دائمًا ... على سُؤْدَدٍ حَتَّى يدومَ على العَهْدِ
وأنِّى رَأيْتُ الوَشْمَ فى خُلُقِ الفَتَى ... هو الوَشْمُ[(٤)] لا ماكانَ فى الشَّعْرِ والجِلْدِ

---

(١) ديوانه ١ : ٤٨٧ وشرح التبريزى ٢ : ١١٤ . والممدوح هو : أبو المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى . ولى دمشق من قبل المعتصم « أنظر قصة توليه دمشق فى الفرج بعد الشدة للتنوخى ٤ : ٤١٨ » وفى سنة ٢٢٧ صَلَبَ من قيس خمسة عشرَ رَجلًا فثاروا عليه وطالبوا بعزله « شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٢ : ٥٩ » وفى سنة ٢٤٠ كان أميرا على حمص ، فقتل رجلاً من رؤسائهم فوثبَ عليه أَهْلُ حِمْصٍ ، وقتلوا بعض أصحابه وأخرجوه منها فعزله المتوكل « الطبرى ٩ : ١٩٧ ، الكامل لابن الأثير ٥ : ٢٩٣ » .

(٢) خامس : من إظماء الإبل أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع ، ثم قال : ليس بعطش ورد ، وإنما هو عطش التثريب ، أى قد كذب على عندك ، وأخاف تثريبك ولومك . « شرح الصولى » .

(٣) فى الأصل : « يسربل » : وسيأتى البيت بعد قليل بالرواية الصحيحة ، وفى ديوانه وشرح التبريزى « أَأُلْبِسُ » ، وانظر رواية الموازنة فى هامشهما .

(٤) شرح التبريزى : « الوسم » بدون إعجام .

أَرُدُّ يَدِى عن عِرْضِ حُرٍّ ومَنْطِقِى    وأَمْلَؤُها من لِبْدَةِ الأَسَدِ الوَرْدِ
فإن يَكُ جُرْمٌ عَنَّ أو تَكُ هَفْوَةٌ    على خَطَإٍ مِنّى فَعُذْرِى عَلى عَمْدِ

وهذا هو الاعتذارُ الذى يَسُلُّ كُلَّ سَخيمَةٍ ، ويَمْحو كَلَّ خطيئَةٍ .

وما سَمِعْتُ فى الاعْتِذار أَجْودَ ولا أَلْطفَ ولا أَحْلَى من قَوْلِ القَتَّالِ الكِلَابىِّ (١) :

جَنَيْتُ - وكَنْتُمْ كَهْفِى - عَلَيْكُمْ    وقَدْ تحنى اليَمِينُ عَلىٰ الشِّمالِ

وإنما أَخذَ أبو تمَّامٍ قَوْلَه :

أُسَرْبِلُ هُجْرَ القَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ    إذًا لَهَجانِى عَنْهُ مَعْروفُهُ عِنْدِى

---

(١) القتال الكلابى : اسمه عبد الله بن مجيب المضرحىّ بن عامر بن كعب بن كلاب ، وهو شاعر إسلامى كان فى الدولة المروانية ، فى عصر الراعى والفرزدق وجرير ، ولقب بالقتّال لتمرده وفتكه ، وكان شجاعا شاعراً ، وكان فى دناءة النفس كالحُطَيئة ، وكانتْ عَشيرَتُهُ تُبْغضُهُ لكثرة جناياته وما يَلْحَقُها من أذاهُ ولا تَمْنَعُهُ من مَكْروه يَلْحقُهُ « الكامل للمبرد ١ : ٥٤ ، الأمالى للقالى ٢ : ٢٢٥ ، الشعر والشعراء ٢ : ٧٠٥ ، المؤتلف والمختلف : ٢٥٢ » .

ولم أَجِدْهُ فى ديوانِهِ ، وورَدَ فى الأَشْباهِ والنَّظائِرِ لِلخالِدِيَّيْنِ ٢ : ٢٧٧ منسوبا إلى جعدة بن عبد الله وفيه « وأنتم عضدى » وروى معه بيت آخر هو :

وأَنْتُمْ يابنى عمَرٍو ضَمِنْتمْ    على الأَيَّامِ أحداثَ اللّيالى

ورواه الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ٢٥٣ منسوبا إلى القَتَّال البَجلىّ ثم السُّحْمىّ شاعِرٌ فارس جاهلى ، يقوله لِأَسدَ بن كُرْزٍ سَيِّد بَجيلة فى قِصَّةٍ مذكورة « راجع الأغانى ١٩ : ٥٣ » ، وكان أسدٌ هذا يُدْعَىٰ ربَّ بَجيلة ، وقبله بيت آخر هو :

فأبلغ ربنا أسد بن كُرْزٍ    بأَنَّ النأى لم يَكُ عن تَقالى
جَنَيْتُ - وكُنْتُمْ كَهفى - عَلَيْكُمْ    وقد تَجْني اليَمينُ على الشِّمالِ

مِنْ قَوْلِ[1] الخارجيِّ الذى سامَهُ قَطَرِىٌّ[2] قِتالَ الحجَّاجِ فامْتَنَع عليه ؛ لأنّ الحجَّاجَ مَنَّ عَلَيْهِ[3] . وقال :

أأُقَاتِلُ الحجَّاجَ فى سُلْطانِهِ ... بيدٍ تُقِرُّ بأنَّها مَوْلاتُهْ[4]

إنِّى إذًا لأخُو الدَّناءَةِ والذى ... عَفَّتْ على إحْسانِهِ جَهلاتُهْ

ماذا أقُولُ إذا وقَفْتُ إزَاءَهُ ... فى الصَّفِ واحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلاتُهْ[5] ؟

ولَهُ فى الاعْتِذارِ أشْياءُ رَدِيئَةٌ مِنْها :

شِعْبِى وشِعْبُ عُبَيْدِ اللهِ مُلْتَئِمُ[6]

لم أكْتُبْها لِرَداءَتِها .

وقال البحترىُّ[7] :

---

(١) فى الأصل : « على » .

(٢) قطرىّ بن الفُجاءَةِ : اسمه جَعونة بن مازن أحد زُعماء الخوارج ، خرج زمان مصعب بن الزبير لما ولى العراق نيابة عن أخيه عبد الله ، وكانت ولاية مصعب فى سنة ٦٦ للهجرة ، فبقى قطرىّ عشرين سنة يقاتل ويُسَلَّمَ عليه بالخلافة ، وكان الحجّاج يسيِّر إليه جيشا بعد جيش فيهزمه ، ولم يزل كذلك حتى توجه إليه سفيان بن الأبْرَدِ الكَلْبِىُّ فَظَهر عَلَيْه وقَتَلَهُ سنة ٧٨ هـ ، وقطرىّ نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان « قطر » ، « راجع وفيات الأعيان ٤ : ٩٣ ، ٩٤ خزانة الأدب ١٠ : ١٦٣ » .

(٣) القائل عمران بن حطان بن ظبيان السدوسى الشيبانى الوائلى ، أبو سماك : رأس القَعَدِيَّةِ من الصُّفْرِيَّة وخطيبهُم وشاعِرُهم . كان قبلَ ذلك من رجال العلمِ والحَديثِ من أهلِ البصرة ، وأدرك جماعة من الصحابة فروىٰ عنهم ، ثم لَحِقَ بالشراةِ ، فطلبه الحجّاج فهرب إلى عمان ولجأ إلى قوم من الأزد ومات عندهم أباضيا « الكامل ٣ : ١٦٧ ، المؤتلف والمختلف ١٢٥ » .

(٤) انظر قصته مع الحجّاج فى « أخبار أبى تمّام : ٢٠٥ ، ديوان المعانى : ٩٢٤ » وفيهما « عن سُلْطانِهِ » .

(٥) وقد سبقت الأبيات فى ١ : ١٧٥ .

(٦) ديوانه ٣ : ٥٤١ والتبريزى ٤ : ٤٩٢ يعاتب عبيد الله بن البراء الطائى وعجزه :
« وكَيْفَ يَخْتلِفانِ السَّاقُ والقَدَمُ »

(٧) ديوانه : يعاتب الفتح بن خاقان ويعتذر إليه ٣ : ١٩٧٧ وانظر أخبار البحترىّ : ٧٧ .

وَلَمْ أَنْسهَا عِندَ الوداعِ ونَثْرَها … سوابِقَ دَمْعٍ أُعْجَلتْ أَنْ تُنَظَّمَا
وقالت : هلِ الفَتْحُ بنُ خَاقانَ مُعْقِبٌ … رِضىً فيعودَ الشَّمْلُ مِنَّا مُلأَّمَا ؟
خَلِيلَىَّ ! كُفَّا اللَّوْمَ فى فَيْضِ عَبْرةٍ … أَبَىٰ الوَجْدُ إِلّا أَنْ تَفيضَ وتَسْجُما
ولا تَعْجَبا مِنْ فَجْعَةِ البين ، إِنَّنِى … وَجَدْتُ الهَوىٰ طَعْمَيْنِ : شُهْدًا وعَلْقما (١)
/ عَذِيرِى من الأَيَّامِ رَنَّقْنَ مَشْرَبِى … ولَقَيْنَنِى نَحْسًا من الطَّيْرِ أَشْأَمَا (٢) ٤٣
وأَكْسَبْنَنِي سُخْطَ امرىءٍ بِتُّ مَوْهِنًا … أَرىٰ سُخْطهَ لَيْلًا معَ اللَّيْلِ مُظْلِمَا (٣)
تَبلَّجَ عن بَعْضِ الرِّضَا ، وانْطَوى عَلىٰ … بَقِيَّةِ عَتْبٍ شَارَفَتْ أَنْ تَصَرَّما
إِذا قُلْتُ يَوْمًا : قد تَجاوَزَ حَدَّها … تَلَبَّثَ فى أَعْقابِها وتَلوَّما
وأَصْيَدَ إِن نَازَعْتُهُ اللَّحْظَ رَدَّهُ … كَلِيلًا ، وإِنْ رَاجَعْتُهُ القَوْلَ جَمْجَمَا (٤)
ثَنَاهُ العِدىٰ عَنِّى فأَصْبَحَ مُعْرِضًا ، … وأَوْهَمَهُ الوَاشُونَ حتَّىَ تَوهَّما
وقد كانَ سَهْلًا واضِحًا فتوعَّرَتْ … رُباهُ ، وطَلْقًا ضَاحِكًا فتَجَهَّما
أَمُتَّخِذٌ مِنِّى الإِساءَةَ مُحْسِنٌ ، … ومُنْتَقِمٌ مِنِّى امْرؤٌ كانَ مُنْعِمَا ؟ (٥)
ومُكْتَسِبٌ فِىَّ المَلامَةَ ماجِدٌ … يَرى الحَمْدَ غُنْمًا والمَلامَةَ مَغْرَما
يُخَوِّفُنِى من سُوءِ رَأْيِكَ مَعْشَرٌ ، … ولا خَوْفَ إِلَّا أن تَجورَ وتَظْلِمَا
أُعيذُكَ أَنْ أَخْشاكَ من غَيْرِ حَادِثٍ … تَبَيَّنَ أو جُرْمٍ إِلَيْكَ تَقَدَّمَا
أَلَسْتُ المُوالِى فِيكَ نَظْمَ قَصائِدٍ … هى الأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مع اللَّيْلِ أَنْجُمَا ؟
ثناءً كأَنَّ الرَّوْضَ مِنْه مُنَوِّرًا … رُبَىً وكأَنَّ الوَشْىَ مِنْهُ مُسَهَّمَا (٦)

---

(١) ديوانه : « رأيت الهوى » .
(٢) رنّق : كدر .
(٣) المَوْهِنُ : نحو منتصف الليل .
(٤) الأَصْيَدُ : الذى لا يلتفت تكبرا ، وجمجم : ألاَّ يُبَيِّنَ كلامَه من غيرِ عِيٍّ .
(٥) ديوانه : « أمتخذ عندى » .
(٦) ديوانه : « ضحى » و « كأنّ الوشى فيه » .

ولو أَنَّنى وقَّرتُ شِعْرِى وَقَارَهُ ... وأَجْلَلْتُ مَدحِى فِيكَ أن يُتَهَضَّمَا (١)

لأُكْبِرْتُ أَنْ أُومِى إِلَيْكَ بإصْبَعٍ ... تَضرُّعُ ، أَوْ أُدْنِى لِمَعْذِرَةٍ فَمَا

وكانَ الذِى يَأْتِى بِهِ الدَّهْرُ هيِّنًا ... عَلَىَّ ولو كانَ الحِمامَ المُقَدَّمَا

ولكِنَّنِى أُعْلِى مَحلَّكَ أن أُرىٰ ... مُدِلًّا ، وأَسْتَحْيِيكَ أَنْ أَتعظَّمَا

أَعِدْ نَظرًا فِيمَا تَسَخطتَ ، هَلْ ترىٰ ... مَقالًا دَنِيًّا أو فَعَالا مُذمَّمَا ؟

رَأَيتُ العِراقَ ناكَرَتْنِى وأَقْسَمَتْ ... عَلَىَّ صُروفُ الدَّهْرِ أَنْ أَتشأَمَا (٢)

وكان رَجَائِى أَنْ أَؤوبَ مُمَلَّكاً ... فصارَ رَجائِى أَنْ أَؤوبَ مُسَلَّما

وما مَانِعٌ مِمَّا تَوهَّمْتَ غَيْرَ أَنْ ... تَذَكَّرَ بَعْضَ الأُنسِ أَوْ تَتَنَدَّمَا (٣)

وأَكْبَرُ ظَنِّى أَنَّكَ المَرءُ لَمْ تَكُنْ ... تُحَلِّلُ بالظَّنِّ الذِّمامَ المُحَرَّمَا

حياءً فَلَمْ يَذْهَبْ بِىَ الغَىُّ مَذْهَبًا ... بَعيدًا ولَمْ أَرْكَبْ مِنَ الأَمْرِ مُعْظَما

ولَمْ أَعْرِفِ الأَمرَ الذى سُؤْتَنِى لَهُ ... فَأَقْتُلَ نَفْسِى حَسْرَةً وَتَنَدُّمَا (٤)

ولَوْ كَانَ ماخُبِّرْتَهُ أَوْ ظَنَنْتَهُ ... لمَا كانَ غَرْوًا أَنْ أَلُومَ وتَكْرُما (٥)

أُذَكِّرُكَ العَهْدَ الذى لَيسِ سُؤْدَدًا ... تَناسِيهِ ، والوُدَّ الصَّحِيحَ المُسَلَّمَا

وما حَمَلَ الرُّكْبانُ شَرْقًا ومَغْرِبًا ... وأَنْجدَ فى أَعْلىٰ البِلادِ وأَتْهمَا

أُقِرُّ بِمَا لَمْ أَجْنِهِ مُتَنَصِّلًا ... إِلَيْكَ على أَنِّى إِخالُك أَلْوَما

---

(١) ديوانه : « فلو » .

(٢) ديوانه : « أنكرتنى » ، أتشأما : أذهب إلى الشام .

(٣) ديوانه : « ولا مانع » ، « مما توهمتُ » بالرفع ، « نتذممّا » .

(٤) ديوانه : « ولم أعرف الذنب » .

(٥) « ألوم » يريد « أَلْوُم » ، وهو ضرب من تخفيف الهمز رديءٌ كما قال أبو العلاء فى عَبَثِ الوليد ، وقال : وهذا إذا خُفِّفَ عِنْدَ سيبويه وجب أن يُقال « ألم » ، فتنقل حركة إلى اللام وتحذف وكذلك يقولون الناقه « تَرَمُ » ولَدَها يريدون « تَرْأَمُ » « عبث الوليد : ٢١٠ » .

لِيَ الذَّنْبُ مَعْرُوفًا وإن كُنْتُ جَاهِلًا ... بِهِ ولَكَ النُّعْمَى عَلَيَّ وأَنْعُمَا (١)
ومَثْلُكَ إن أَبْدَى الفَعَال أعَادَهُ ... وإِنْ صنعَ المَعْروفَ زَادَ وتَمَّما

وهذا إحسانُهُ المَعْروفُ الذى فَوقَ كُلِّ إحْسانٍ .

وقال : (٢)

أقولُ ليَعْقُوبَ بنِ أَحْمدَ والنَّدَى ... يَرومُ به العَوْصاءَ لَيْسَ تُرامُ (٣)
تكالِيفُ فِعْلٍ لو عَلى الأَرْضِ ثِقْلُهُ ... شكا يَذْبُلٌ ما نَابَهُ وشَمَامُ (٤) :
لَأَظْلَمَ ما بَيْنِى وبَيْنَك مُضْحيًا ... ولِلظُّلْمِ بين الخُلَّتَيْنِ ظَلامُ
أأَذْكُرُ أَيَّامَ المُصافاةِ بَعْدما ... تَجرَّم عَامٌ بَعْدَهُنَّ وعَامُ (٥)
نَدِمْتُ على أَمْرٍ مَضَى لم يُشِرْ بِهِ ... نَصِيحٌ ، ولم يَجْمَعْ قُوَاهُ نِظَامُ
وقد خَبَّروا أنَّ النَّدامَةَ تَوْبَةٌ ... يُصَلَّى بها أَنْ تُقْتَنَى ويُصَامُ
وإنَّ جُحودِى سُوءُ ظَنٍّ بِمُنْعِمٍ ... وعَدَّى مَعَاذِيرِى عليه خِصامُ
وقد شَمِلَتْ بِشْرًا لأَوْسٍ صَنيعةٌ ... بما أَمَرتْ سُعْدَى وَوَرَّثَ لَامُ (٦)

---

(١) ديوانه : « ولك العتبى وأَنْعَمَا » بفتح عين « أنعم » أى : العُتْبَى وزيادة .

(٢) ديوانه ٤ : ٢٠٦٦ .

(٣) العوصاء : الجدب والشدّة .

(٤) ديوانه : « لو علا الأرضَ » ، « تكاليفَ » بالنَّصب .

(٥) ديوانه : « أُذَكَّرُ » .

(٦) يشير إلى قِصَةِ بِشْرِ بن أبى خازم الذى كان فى أول أمره يهجو أوس بن حارثة بن لأم الطائىّ ، فأسرته بنو نبهان من طيءٍ ، فركب أوس إليهم فاستوهبه منهم ، وكان قد نذر ليحرقنه إن قدر عليه ، فوهبوه له ، فقالت له أمه سعدى : قبح الله رأيك ، أَكْرِمِ الرَّجُلَ وخَلِّ عَنْه ، فإنه لا يمحو ما قال غيرُ لسانه ، ففعل ، فجعل بشرٌ مكان كلِّ قصيدة هجاء قصيدة مدح .

« الشعر والشعراء : ٢٧١ ، وخزانة الأدب ٤ : ٤٤١ ، وأسماء من قتل من الشعراء ، نوادر المخطوطات ٢ : ١١٢ ، ٢١٤ ، ومختارات ابن الشجرى : ٦٥ ، ٨٣ » .

فإنْ تَمْتَثِلْها فالمَكارِمُ خُطَّةٌ ... لَكُمْ تَابِعٌ فى نَهْجِها وإمامُ[1]
ولَوْ شِئْتُمُ أنْ تَسْتَثِيرُوا اسْتَثَرْتُمُ ... عِجَالًا ، ولكِنَّ الكِرامَ كِرامُ
يُكَرُّ عَلَىَّ اللَّوْمُ فِيكُمْ ، ولابِسٌ ... من اللُّومِ من لايَسْتَفِيقُ يُلامُ
يُجَرِّحُ[2] أقْوالُ الوُشاةِ فَرِيصَتي ... وأكْثَرُ أقْوالِ الوُشاةِ سِهَامُ
تَرَى ألْسُنًا أُصْمِتْنَ بالعِيِّ أنْ هَفَا ... بِىَ اللُّبُّ مَصنوعًا لَهُنَّ كَلامُ
لَعَلَّ غيَابَاتِ السَّخائِمِ تنجَلِى ... ومُعْوَجَ ماتُخْفِى الصُّدورُ يُقامُ
ولمَّا نَبتْ بِى الأَرْضُ عُذْتُ إلَيْكمُ ... أَمُتُّ بِحَبْلِ الوُدِّ وَهْوَ رِمَامُ
وقَدْ يُهْتَدىٰ بالنَّجْمِ يَسْفُلُ سَمْتُهُ[3] ... ويُرْوىٰ بِمَاءِ الجَفْرِ وَهْوَ ذِمَامُ
وما كُلُّ مابُلِّغْتُمُ صِدْقُ قَائِلٍ ... وفى البَعْضِ إزْراءٌ عَلَىَّ وذَامُ
/ ولا عُذْرَ إلّا أنَّ بَدْءَ إساءَةٍ ... لَها مِنْ زِيادَاتِ الوُشاةِ تَمامُ ٤٤

وهذا اعْتِذارُهُ الذى بَرَّزَ فيه عَلى كُلِّ اعْتذارٍ ، وأَوْفىٰ على كُلِّ إحْسانٍ .

ولَهُ بَعْدَ هذا اعْتذارَاتٌ جيادٌ إنْ أَوْرَدتُها بَعدَ هذَا سَقطَ فَضْلُها وأَظْلَمَ نُورُها ، مِنْها قَوْلُهُ فى عَبْدونَ[4] :

مِن عَطاءِ الإلهِ بَلَّغْتُ نَفْسِى ... صَوْنَها ثُمَّ مِنْ عَطاءِ ابنِ عَمِّى[5]

---

(١) فى الأصل : « والمكارم » والتصحيح من ديوانه .

(٢) ديوانه : « تجرح » .

(٣) فى الديوان وعبث الوليد : ٢١٥ « يشكل سمته » .

(٤) ديوانه ٣ : ١٩٣٦ « يمدح عبدون بن مخلد ويعتذر إليه » وهو : أخو الوزير صاعد بن مخلد أسلم أخوه ، وظل عبدون على نصرانيته ، وكان وجها من وجوه النصارى ، وإليه يُنْسَبُ دير عبدون بسر من رأى لأنه كان كثير التردد عليه « أنظر وفيات الأعيان ٣ : ٨٠ » ، وقُبِضَ عليه مع أخيه صاعدَ وصودِرَا ونُهِبَت منازِلُهُما ، ولما توفى صاعد أُطْلِقَ عَبدونُ من الحبس فصار إلى دير قُنَّىٰ فأقام فيه يتعبد ومات وهو مترهب سنة ٣١٠ « الديارات للشابشتى تحقيق كوركيس عواد ، ٢٧٠ – ٢٧٣ ، والفرج بعد الشدة ٣ : ٢٣ » .

(٥) جاء فى هامش الديوان : يقصد بقوله « ابن عمى » ، أنه وممدوحه يرجعان بنسبهما إلى أصل يمنىٍّ ، فالشاعر طائى والممدوح مذحجىّ .

كُلَّما قُلْتُ : أَيْبسَ المَحْلُ عُودِي ... وَلِيتْنِي غَمَامَةٌ مِنْهُ تَهْمِي (١)
فلَهُ مِنْ مَدائِحي حُكْمُهُ الأَوْ ... فَى ، وَلِي مِنْ نَوالِهِ الغَمْرِ حُكْمِي
كُلُّ مَشْهورَةٍ يُؤَلِّفُ فِيهَا ... بَيْنَ دُرِّيَّةِ الكَواكِبِ نَظْمِي (٢)
أَيْنَما قامَ مُنْشِدٌ لاحَ نَجْمٌ ... مُتَلالٍ مِنْها على إثْرِ نَجْمِ
وجَهُولٍ رمَى لَدَيْه مَكانِي ... قُلْتُ : أَقْصِرْ ، ماكُلُّ رامٍ بِمُصْمٍ !
وإذَا مَا العِرِّيضُ وَالَى أَذاتِي ... كان خُرْطُومُهُ خليقًا بِوَسْمِي
في بَنِي الحارثِ بنِ كعبِ بن عمرٍو ... سَيِّدُ النَّاسِ بَيْنَ عُرْبٍ وعُجمِ
بِأَبِي أَنْتَ عَاتِبًا ! وَقليلٌ ... لَكَ مِنِّي أَبِي - فِداءٌ - وأُمِّي ! (٣)
لُمْتَنِي أَنْ رَمَيْتُ فِي غَيْرِ مَرْمىً ... وعَزِيزٌ عَلَيَّ تَضْيِيعُ سَهْمِي
إنْ أَكُنْ خِبْتُ في سُؤالِ بَخيلٍ ... فَبِكُرْهِي - ذاكَ السُّؤالُ - ورَغْمِي (٤)
والذي حَطَّنِي إلى أَنْ بَلَغْتُ الـ ... ـسَماءَ ماكانَ من تَرفُّعِ هَمِّي
وإبائِي على مُمَلَّكِ أَرْضِي ... مَاتَوَلَّاهُ من عَطائِي وَشكْمِي
ثمّ حَالَتْ حالٌ تُكَلِّفُنِي قِسْـ ... ـمَةَ حَمْدِي بَيْنَ الرِّجالِ وذَمِّي (٥)
وأَرَى أَيْنَ مَوْضِعُ الجُودِ مِنْهُم ... مِنْ مَكانِي ، ومَيَّزَ النَّاسَ عُدْمِي (٦)
فَعلامَ التَّثْرِيبُ واللَّوْمُ إذْ عِلْـ ... ـمُكَ فِيما أَقُولُهُ مِثْلُ عِلْمِي !؟
وكأَنَّ الإعْراضَ عنِّي قَضاءٌ ... فاصِلٌ عنْ أَلِيَّةٍ مِنْكَ حَتْمِ (٧)

---

(١) في الديوان : « أيبس المحل أرضي » .
(٢) في الديوان : « يؤلف منها » .
(٣) في الديوان : « فداءً » بالنصب ، ورواية الموازنة أوجه .
(٤) في الأصل : « إن كنت » ولا يستقيم بها الوزن والتصحيح من الديوان ، وفي ديوانه : « حبت » بالحاء المهملة ، من الحوب وهو الإثم .
(٥) في الأصل : « تكلفني » والتصحيح من الديوان .
(٦) في الديوان : « أين موضع الجود في القوم » .
(٧) في الأصل : « عزالية » تحريف والتصحيح من ديوانه ، والأَلِيَّةُ : القسم .

حِينَ لَامَلْجَأَ سِواكَ أُرجِّيـ ـهِ تَجَهَّمْتَنِى ولَسْتَ بِجَهْمِ[(١)]
وإذا ما سَخِطْتَ والمُخُّ رارٌ رَقَّ عَنْ أَنْ يُطِيقَ سُخْطَكَ عَظْمِى
لاتُجاوزْ مِقدارَ سَطْوِكَ إنْ لَمْ تَتطوَّلْ بالصَّفح مِقْدَارَ جُرْمِى[(٢)]
فاحْتَرِسْ مِنْ ضِياعِ حِلْمِكَ فِى الجَفْـ ـوَةِ ، وَالإنْقِبَاضِ إنْ ضَاعَ حِلْمِى

وقال :[(٣)]

طَاف الوُشاةُ بِها فأحدثَ ظُلْمةً فى جَوّهِ ، وَوُعــورةً فى أَرْضِهِ[(٤)]
غَضْبانَ حُمِّلَ إحْنَةً لَوْ حُمِّلَتْ ثَبَجَ الصَّباحَ لَثَقَّلَتْ من نَهْضِهِ[(٥)]
مَهلًا ! فذَاكَ أُخوكَ ذُو أَلْهَيْتَهُ عن لَحْظِهِ وشَغَلْتَهُ عن غُمْضِهِ[(٦)]
خَزْيانَ ، أُكْبَرَ أَنْ تَظُنَّ خِيانَةً فى بَسْطِهِ لِصَدِيقِهِ أَوْ قَبْضِهِ
ماذا تَوهَّمُ أَنْ يَقُولَ ، وقَوْلُهُ فى نَفْسِهِ ، ولِسَانُهُ فى عِرْضِهِ ؟
أَنَبوْتُ عَنْكَ بزَعْمِهِم ؟ ومَتَى نَبَا فى حَالةٍ بَعْضُ امْرِىءٍ عن بَعْضِهِ !
أَنَصَلْتُ مِنْ عَوْدِ الحَياءِ وبَدْئِهِ وخَرَجْتُ من طُولِ الوَفاءِ وعَرْضِهِ ؟
« المَذْحَجِيَّةُ » بَيْنَنا مَوْصُولَةٌ بِنوافِلِ الأَدَبِ الأَصيلِ وفَرْضِهِ[(٧)]
وتَرَدُّدٌ لِلكأسِ أَحْدَثَ حُرْمَةً أُخرىٰ ، وحقًّا ثالثًا لَمْ نَقْضِهِ

---

(١) رار : ذائب فاسد .

(٢) ديوانه : « واحترس » .

(٣) ديوانه ٢ : ١١٩٥ .

(٤) ديوانه « طاف الوشاة به » .

(٥) الإحنة : الحقد ، الثبج : ما بين الكاهل إلى الظهر .

(٦) قال المعرى : « ذو ألهيته » لغة طيىء ، وإنما أتبع أبا تمّام لأنه كان يقفو أثره » « عبث الوليد : ١٢٦ » ، وفى ديوانه : « ذو ألهيته عن لهوه » .

(٧) المذحجية : نسبة إلى « مذحج » قبيلة يمنية ، وهو اسم لمالك وطيىء اللذين « أذحجت » أمهما بعد موت بعلها أدد فلم تتزوج .

ومن نوادِرِ الاعتذارِ قولُ البحتريّ لإسماعيلَ بنِ بُلبلٍ، وتَدْخُل فى بَابِ الحِجابِ[(١)]:

لكَ الخَيْرُ مِنْ مُسْتَبْطِىءٍ فى تَأَخُّرِى ... يَرى أَنَّنِى آثَرْتُ هِجْرَتَهُ عَمْدا[(٢)]

متى كُنْتَ ياخَيْرَ الأَكَارِمِ عَائِدًا ... بِلَوْمٍ على أَلَّا تَرانِى فَلَمْ «سَعْدا»[(٣)]

وما أَصْطَفِى لَوْنَ الحِدَادِ، ولا أَرَى ... لِعَيْنَىَّ حَظًّا فى الرَّمادِ إذا اسْوَدَّا[(٤)]

لَئِنْ كُنْتَ نُورًا ساطِعًا فطَرِيقُنَا ... إِلَيْكَ علىٰ ظَلماءَ دَاجِيَةٍ جِدًّا

وقال فيه[(٥)]:

وأَظْلَمْتَ حِينَ لَبِسْتَ السَّوا ... دَ ظَلامَ الدُّجىٰ لَمْ يَسِرْ رَاكِبُهْ

ولمَّا وقفنـا ببـاب الأمير ... وقد رُفِـعَ السِّتْـرُ أو جَانِبُـهْ[(٦)]

ظَلِلْنَا نُرَجِّمُ فِيكَ الظُّنُونَ ... أَحَاجِمُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِبُهْ ؟

* * *

---

(١) ديوانه ١ : ٥٣٥ وإسماعيل بن بلبل وزير المعتمد.

(٢) ديوانه : « هجرانه ».

(٣) ديوانه : « ياخير الأخلاء »، و « سعد » وهو : سعد النوشرى حاجب ابن بلبل.

(٤) يصف الحاجب هنا بالسواد، وجاء فى حاشية الأصل « لعله الرقاد » ولا وجه له هنا.

(٥) أى : فى سعد الحاجب، وانظر ديوانه : ١ : ٢٧٢.

سعد النوشرى : حجب عددا من الوزراء منهم عبيد الله بن يحيى بن خاقان وبعده صاعد بن مخلد ثم أبو الصقر إسماعيل بن بلبل « أخبار أبى تمّام : ١١٧ ».

(٦) فى الديوان : « ولما حضرنا لأذن الوزير ». وفى ديوانه ألحقت ( راء ) الأمير بالشطر الثانى والصحيح بقاؤها فى الشطر الأول فَلْيُصَحَّحْ.

## بابُ

### فيما جاءَ عنهُما في الرِّياضِ والأنوارِ والشَّرابِ ومُعاطاةِ النُّدمانِ وما يتَّصِلُ بذلكَ ويدخلُ في معناهُ

قال أبو تمّامٍ[1] :

قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فى الغُلَوَاءِ[2]

٤٥ / ومُعَرَّسٍ للغيثِ تَخْفِقُ بينَهُ ⁂ راياتُ كلِّ دُجُنَّةٍ وَطْفَاءِ

نَشَرَتْ حدائِقَهُ فَصِرْنَ مَآلِفًا ⁂ لِطرائـفِ الأنْـواءِ والأنْـداءِ

فسقاهُ مِسْكَ الطَّلِّ كافورُ الصَّبَا ⁂ وَانْحَلَّ فيهِ خيطُ كُلِّ سَمَاءِ

عُنِيَ الرَّبيعُ بِرَوْضِهِ فكَأَنَّمَا ⁂ أَهْدَىٰ إليهِ الوشْىَ مِنْ صَنْعَاءِ

صَبَّحْتُـهُ بِسُلَافةٍ صَبَّحْتُهَـا ⁂ بسُلافةِ الخُلَطَـاءِ والنُّدَمَـاءِ

بمُدَامَةٍ تَغْلُو المُنَىٰ لِكُؤوسِهَا ⁂ خَوَلًا على السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ[3]

---

(١) الصولى : ١ : ٧٩ ، والتبريزى : ١ : ٢٠ .

(٢) عجزه « كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمْ سُجَرَائِى ؟ » قَدْكَ : حسبك ، اتَّئِبْ : استحى ، أربيت : أسرفت ، سُجَرَائى : أصدقائى .

(٣) الخَوَلُ : أصله ما يملكه الإنسان مما خوّله الله .

رَاحٌ إذا ما الرَّاحُ كُنَّ مطِيَّهَا ... كانتْ مَطَايَا الشَّوْقِ فى الأَحْشَاءِ[(١)]
عِنبيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ سَبَكَتْ لَهَا ... ذَهَبَ المعانى صَاغَةُ الشُّعَرَاءِ
صَعُبَتْ وراضَ المَزْجُ سَيِّءَ خُلْقِهَا ... فتَعَلَّمَتْ مِنْ حُسْنِ خُلْقِ المَاءِ
خَرْقَاءُ تَلْعَبُ بالعقولِ حَبَابُهَا ... كَتَلَعُّبِ الأفعالِ بالأسماءِ[(٢)]
وضعيفةٌ فإذا أصابتْ فرصةً ... قَتَلَتْ، كذلكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ[(٣)]
جَهْمِيَّةُ الأوصافِ إِلَّا أَنَّهُمْ ... قدْ لَقَّبُوهَا جوهرَ الأشياءِ[(٤)]
وكأنَّ بهجَتَها وبهجة كَأْسِهَا ... نارٌ ونورٌ قُيِّدَا بوِعَاءِ
أوْ دُرَّةٌ بيضاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ ... حَبَلًا عَلَى الياقوتةِ الحَمْرَاءِ[(٥)]

وقولُه: « نَشَرَتْ حَدَائِقَهُ » أى: حَيِيَتْ، يُقَالُ: أنشرَ اللهُ الموتَى فَنَشَرُوا أى: حَيُوا، وَإِنَّمَا أَرَادَ: أنَّ هذهِ الحدائقَ حَيِيَتْ بالغيثِ الذى تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ[(٦)].

وقولُه: « فسقاهُ مِسْكَ الطَّلِّ كافورُ الصَّبَا » لأنّ الصَّبا رِيحٌ طيبةٌ، عذبةٌ تأتى بالمطرِ، وقد يكونُ معها ندىً، وأضافَ الكافورَ إليها لأنّه أليقُ بالرِّيحِ لبياضهِ،

---

(١) الراح الأولى: الخمر. والثانية: جمع راحة الكف، وقال ابن المستوفى: لما جعل الأكف مطايا الراح جعل الراح مطايا الشوق، « النظام ١ لوحة ١١ ».

(٢) ديوانه وشرح التبريزى: « يلعب » قال أبو العلاء: الخرقاء التى لا تحسن العمل من النساء، فاستعار هذه الكلمة للراح، ولعلها ما وُصِفَتْ بالخرق من قبل الطائى « النظام لابن المستوفى لوحة ١٢ » وانظر « شرح التبريزى ١: ٢٩ ».

(٣) الموازنة ١: ٧٦، وقال ابن المستوفى فى النظام: وإلمامه بقول عمارة بن عقيل واضح:
ضعائفُ يقتلنَ الرِّجالَ بلا دَمٍ ... فَيَا عجباً للقاتلاتِ الضعائفِ
« ديوانه المجموع: ٦٧، النظام ٢: لوحة ١٣ ».

(٤) سيأتى الحديث عن معناه واختلاف العلماء فى تفسيره بعد قليل.

(٥) رواية الصولى وشرح التبريزى: « على ياقوتةٍ حمراء ».

(٦) نقل ابن المستوفى شرح الآمدى هذا فى النظام ١: لوحة ١٠.

وأضافَ المسكَ إلى الطَّلِّ لسوادِهِ ، وأرادَ بالجميعِ طيبَ الرَّائِحَةِ.[١]

وقولُه : « وانحلَّ فيه خيطُ كُلِّ سَمَاءِ » مِنْ قولِهِم : « انْحَلَّتْ عَزَالِيهَا »[٢] .

وقولُه : « جَهْمِيَّةُ الأوصافِ » قدْ أكثرَ النَّاسُ فى تعاطِى تفسيرِهِ ، وأقربُ ما سمعتُهُ فيهِ أنَّ « جَهْمًا »[٣] كانَ يقولُ : إنَّهُ ليسَ شىءٌ عَلَىٰ الحقيقةِ غيرُ اللهِ تَعَالَىٰ ، إذْ كُلُّ شىءٍ يبطلُ ويتلاشَىٰ غَيْرُهُ ، وأن الأشياءَ كُلَّهَا أَعْرَاضٌ أَلَّفَهَا وَخَلَقَهَا .

وَأَظُنُّ أَبَا تَمَّامٍ أرادَ أنَّ الرَّاحَ لِرِقَّتِهَا عَرَضٌ لَاجِسمٌ ، وهذا مذهبٌ قريبٌ .

وقولُه : « قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ الأشياءِ » هو الذى لَمْ أَرَهُمْ يُصَحِّحُونَ لَهُ تفسيرًا إِلَّا عَلَىٰ الظَّنِّ ، لِأَنَّهُمْ[٤] ما رَأَوْا أحدًا لَقَّبَهَا هذا اللَّقَبَ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يقولُ : إِنَّمَا أرادَ قِدَمَهَا ، وإِنَّ مِنْ أسمائِهَا « الخَنْدَرِيسُ » ، و « الخَنْدَرِيسُ » القديمةُ ،

---

(١) وقال أبو العلاء المعرى : فجمع بين شيئين متضادين من الطيب وهما الكافور والمسك لأن أحدهما باردٌ والآخر حار « النظام لوحة ١٢ » .

(٢) قال ابن المستوفى « قال الصولى : يقول طيب الصبا يجمع الغيم ويجلب طيب الطّل ، فاستعار المسك والكافور لطيبهما واختلافهما فى شدّة الحرارة والبرودة ، ولا أعرف فى وصف المطر أحسن من قوله وتشبيهه المطر بخيوط متّصلة من السّماء إلى الأرض وهو قوله : « وانحلّ فيه خيط كلّ سماء » ، ثم رد عليه ابن المستوفى بقوله : « لا معنى لقول الصولى وتشبيهه المطر بخيوط متصلة من السماء إلى الأرض ، وإنما أراد أبو تمّام حسن الاستعارة ، فجعل لكلّ مطر خيطا معقودا ثم جعله منحلّا فيه ، يعنى : سقاه كل مطر ، كما يقال حلّ السحاب عَزَ الِيَهُ ، و « العزلاءُ » ، فم المزادة السفلى وإنما تكون مشدودة بخيط » « النظام فى شرح المتنبى وأبى تمّام ، لابن المستوفى ، مخطوط ١ : لوحة ١٠ » .

(٣) وهو الجهم بن صفوان الذى تنسب إليه الطائفة الجهمية ، تلميذ الجعد بن درهم الذى قتله خالد ابن عبد الله القسرى يوم عيد الأضحى سنة ١٢٦ هـ وظهرت بدعة مذهب جهم فى الجبرية الخالصة فى ترمذ ، وقد قتل جهم سنة ١٢٨ بيد مسلم بن أحوز المازنى ، وهو أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عز وجل عن صفاته . « الملل والنحل للشهرستانى ١ : ٨٦ ، البداية والنهاية للحافظ بن كثير ١ : ١٩ ، ٢٧ » .

(٤) فى الأصل : « لمَّا » والتصحيح من النظام لابن المستوفى ١ : لوحة ١٢ .

ولَعَمْرِى إنَّهَا قديمةٌ ، ولكنْ ليستْ جوهرَ الأشياءِ ، ولَا هِىَ أَوَّلٌ لَهَا ، ومازلْتُ أسمعُ الشيوخَ يقولونَ : إنَّ هَذَا البيتَ مِنْ تخليطِهِ وَوَسَاوِسِهِ ، لِأَنَّ الشِّعْرَ إنَّمَا يُسْتَحْسَنُ إذَا فُهِمَ وهذِهِ الأشياءُ الَّتِى يأتى بِهَا منغلقةٌ ، ليستْ عَلَىٰ مذاهبِ الأوائلِ وَلَا المتأخرينَ .(١)

---

(١) نقل ابن المستوفى كلام الآمدى السابق ثم قال معلقا عليه :

« قال المبارك بن أحمد « ابن المستوفى » : قول الآمدى « لأنهم ما رأوا أحدا لقبّها هذا اللّقب » ، ما أظن أبا تمّام أراد به مواضعة الناس على هذا البيت لها ، ولا إصطلاحهم عليه ، وإنما أراد أنّ أصحاب جهم بن صفوان لقبوها بذلك ، كما أخبر أن أوصافها جهمية أخبر أنهم وصفوها بذلك ، ولهذا قالوا إنّ رواية : جهمية الوصاف أولى لإعادة ضمير لقبوها إليهم .

وفى حاشية من حاشية ديوان من دواوين شعره : المعنى أن الوصف الذى تستوجب هذه أن توصف به وصف الجهم بن صفوان للبارى عزّ وجلّ ، لأنه لا يقدر على وصفه بحِسٍّ ولا عيان ، ووصفهم للقرآن بأن القرآن مخلوق ، فكذلك من أراد أن يصفها يقول هى مخلوقة ، وليس مما تعتصر من الأعناب وهو قال : هكذا يجب أن توصف إلّا أنّهم سموها باسم الخمر الذى تسمى به وغيره » .

ثم نقل ابن المستوفى شرح الآمدى لهذا البيت فى كتابه المفقود « تفسير معانى أبيات أبى تمّام » « وانظر : ٦٤٧ من هذا الجزء » قال ابن المستوفى :

**قال الآمدى** – تفسير معانى أبيات أبى تمّام – : وهذا البيت مما عهدتهم يفيضون فيه وفى تفسيره فلا يصح إلّا بالحدس والظّن ، لأن جوهر الأشياء لا يدرى ما أراد به إلّا أن يكون ذهب أن الخمر لقدمها أصل الأشياء ، وأوّلها على المبالغة لأن جوهر الشئ أصله الذى منه يبتدئ أو يتركب حتى يكون جسما ، وقوله قد لقبوها جوهر الأشياء قول لا يعرف ، وما علمنا أن أحدا لقبها هذا اللقب ، فإن كان أراد بذلك معنى قولهم : خندريس ، أى قديمة عتيقة فقد ذهب مذهبا ، وإن كان قد تعسّف القول وأبعد التأوّل ، وإن كان أراد جوهرا للجوهر وجنسا للجنس ، فإن لفظه لا يدل على هذا .

وأما قوله « جَهْمِيَّةُ الوُصَّافِ » فإنه بلغنى أن جهما يقول إنه ليس شئ على الحقيقة إلّا الله عز وجل ، لأن كل شئ يبطل ويتلاشى غيره تبارك اسمه ، ويقول إنه عز وجل منشئ الأشياء ، وإن الأشياء كلها غير الله أعراض تجمّعت فأظن أبا تمّام أراد بها جوهرا للأعراض ، والجوهر هو الذى تتركب منه الأجسام وليست الأجسام عنده أجساما على الحقيقة ، فيريد أن الخمر أصلاً للأعراض وإذا كانت أصلاً للأعراض فهى لا ترى ولا تحس ، كما ترى الأعراض وتحس ، كلّ ذلك يؤكد رقتها وقدمها ، فقوله : « جَهْمِيَّةُ الوُصَّاف » أى أنها لاتحس ، وقوله « جَوْهَرَ الأشياءِ » أى أصل الأعراض ، وكأنَّ قوله : « وَلَقَّبُوهَا » يريدُ قَوْلَهُم : خَنْدَرِيسُ ، والخَنْدَرِيسُ القديمةُ عَلَىٰ مَا ذَكَرُوْا » .

ثم ينقل ابن المستوفى آراء يحيى بن محمد بن عبد الله الأرزنى وأبى العلاء والمرزوقى ثم يقول : « فسر كل عالم هذا البيت على ما أداه رأيه إليه ، والصحيح ما ذكره الآمدى من قوله : وهذا البيت مما عهدتهم يفيضون فيه وفى تفسيره فلا يصح إلّا بِالْحَدْسِ وَالظَّنِّ » .

« النظام شَرْحَىْ المتنبى وأبى تَمَّامٍ لابن المستوفى مخطوط ١ : ١١ ، ١٢ » .

وقولُه :

وكَأَنَّ بَهْجَتَها وبهجة كَأْسِهَا ... نارٌ ونورٌ قُيِّدَا بِوِعَـاءِ

شَبَّهَ الخمرَ بالنَّارِ والزُّجاجَ[1] بالنُّورِ ، وإنَّما قالَ : « قُيِّدَا بِوِعَاءِ » لِأَنَّ النَّارَ والنُّورَ لايقومانِ بأنفسِهِمَا ، فكأَنَّهما جميعًا جُمِعَا فى إناءٍ أمسكَهُمَا .

وَهٰذَا معنًى جَيِّدٌ ، وهو مسبوقٌ إليْهِ.[2]

أو دُرَّةٌ بيضاءُ بِكْرٌ أُطْبَقَتْ ... حَبَلًا[3] عَلَىٰ ياقوتـةٍ حَمْـرَاءِ

مازلتُ أسمعُهُمْ يَسْتَسخِفُونَ لَفْظَهُ ويَسْتَهْجِنُونَ قولَه : « أُطْبَقَتْ حَبَلًا »[4] وباقِى الأبياتِ جَيِّدٌ ، وليسَ لَهُ فى شيءٍ منها معنًى مخترعٌ ، وإنَّمَا اتَّبَعَ فيها كُلِّهَا مذاهبَ النَّاسِ .

وقالَ البُحترىّ[5] :

أَخَذَتْ ظهورُ « الصَّالحِيَّةِ » زِينَةً ... عَجَباً مِنَ الصَّفْرَاءِ والحَمْرَاءِ

---

(١) فى الأصل : « والرياح » والتصحيح من النظام .

(٢) يريد قول على بن جبلة « العَكَوَّك » « وسيأتى » :

كانَّ يَدَ النديمِ تديرُ منِها ... شعاعاً لا يحيطُ عليهِ كَاسُ

« الموازنة ١ : ٢٨ ، ٣١٣ ، ٣٨١ » وديوانه المجموع : ٧٢ .

(٣) فى الأصل « جبلا » بالجيم وهو تصحيف .

(٤) وانظر ١ : ٦٨ ، ويرى أن هذا البيت قد أخذه أبو تمّام – وأساء الأخذ – من قول أبى نواس « ديوانه : ٢٦٥ » :

فالخمرُ ياقوتةٌ والكاسُ لؤلؤةٌ ... مِنْ كَفِّ لؤلؤةٍ ممشوقةِ القَدِّ

وقال : لأن قوله « أُطْبَقَتْ حَبَلاً » كلام مستكره قبيحٌ جدا .

وواضح أن الاختلاف كبير بين بيت أبى تمّام وبيت أبى نواس ، فهما لا يشتركان إلا فى وصف الخمر « بياقوتةٍ » .

(٥) ديوانه ١ : ٥ .

نَسَجَ الرَّبيعُ لِرَبْعِهَا دِيبَاجَةً  مِنْ جَوْهَرِ الأنوارِ بالأنْواءِ
بَكَتِ السَّماءُ بِهَا رَذَاذَ دموعِهَا  فَغَدَتْ تَبَسَّمُ عَنْ نجومِ سَمَاءِ [١]
فِى حُلَّةٍ خضراءَ نَمْنَمَ وَشْيَهَا  حَوْكُ الرَّبيعِ وَحُلَّةٍ صَفْرَاءِ
فاشربْ عَلَىٰ زَهْرِ الرِّيَاضِ يَشُوبُهُ  زَهْرُ الخُدودِ وزهرةُ الصَّهْبَاءِ
مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِى الهمومَ ، وتبعثُ الـ (م) ـشَّوْقَ الذى قَدْ ضَلَّ فِى الأَحْشَاءِ
يُخْفِى الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا ، فَكَأَنَّهَا  فِى الكَفِّ قائمةٌ بغيرِ إِنَاءِ
ولها نسيمٌ كالرِّياضِ تَنَفَّسَتْ  فِى أَوْجُهِ الأرواحِ والأَنْدَاءِ
وفَوَاقِعٌ مِثْلُ الدُّمـوعِ تَرَدَّدَتْ  فى صَحْنِ خَدٍّ الكاعبِ الحَسْنَاءِ
يَسْقِيكَهَا رَشَأٌ يكادُ يَرُدُّهَا  سَكْرَىٰ بِفَتْرَةِ مُقْلَةٍ حَوْرَاءِ
٤ / يَسْعَىٰ بِهَا ، وبِمِثْلِهَا مِنْ طَرْفِهِ  عَوْدًا وإِبْدَاءً عَلَىٰ النُّدَمَاءِ

وهذا كلُّهُ لفظٌ بارعٌ ونَسْجٌ كثيرُ المَاءِ .

وقد اجتهدَ أصحابُ أبى تمَّامٍ فى إفسادِ قولِهِ :

يُخْفِى الزّجاجةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا  فِى الكَفِّ قائمةٌ بغيرِ إِنَاءِ

وقالُوا : لو مُلِىءَ القدحُ دِبْسًا أو لبنًا أو نحوَ ذلكَ لَخَفِىَ لونُ الزُّجاجةِ ، وهَذَا باطلٌ ، وقدْ بَيَّنْتُ فسادَهُ فيما تقدَّمَ وأوضحتُهُ [٢] .

والمعنىٰ ليسَ ممّا اخترعَهُ البُحْتُرِىُّ بَلْ إِنَّمَا أخذهُ مِنْ قولِ علىٍّ بْنِ جَبَلَةَ .

[٣] كَأَنَّ يدَ النّديمِ تديرُ مِنْهَا  شعاعًا لاتحيطُ عليهِ كاسُ

---

(١) ديوانه : « تَبَسَّمَ » بالنصب .

(٢) ١ : ٢٨ وما بعدها ، و ٣١٣ ، ٣٨١ وما بعدها .

(٣) ديوانه المجموع : ٧٢ وانظر تخريجه هناك .

وعَلِىُّ بْنُ جبلةَ هو الشاعر المعروف بالعَكَوَّك كان ضريراً ، دقيق الفطنة سهل الكلام وكان مداحا =

أَوْ مِنْ قولِ الآخرِ[(١)] :

إنَّمَا لِقْحَتُنَا مَوْسُومَةٌ ضُمِّنَتْ حمراءَ تَرْمِى بالزَّبَدْ
وإذا مَابُزِّلَتَ فِى كَأْسِهَا فهى والكَأْسُ مَعًا شيءٌ أَحَدْ

وإنما اعتمدَ البحترىُّ وهذانِ الشاعرانِ أنْ يصفوا رِقةَ الخمرِ وَرِقةَ الإناءِ جميعًا ، وإلىٰ هذا ذهبَ أبو تمّامٍ فى قولِهِ « نارٌ ونورٌ قُيِّدا بوِعَاءِ » فسلكَ طريقًا آخرَ ، وما ذهبَ إليهِ هؤلاءُ أجودُ وأحسنُ ، وهو شيءٌ تراهُ مشاهدةً .

وقدْ أنشدَ ثعلبٌ قولَ البحترىِّ هَذَا فى أمالِيهِ ، وقالَ : إنَّهُ أخذَ المعنىٰ مِنْ قولِ الأعشىٰ[(٢)] :

تُرِيكَ القَذَىٰ مِنْ دُونِهَا وَهْىَ دُونَهُ إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ[(٣)]

وقال : إنَّ هذا البيتَ أجودُ ماقِيلَ فى وصفِ الخمرِ[(٤)] .

وقولُهُ : « تَنَفَّسَتْ فى أَوْجُهِ الأرواحِ والأَنْدَاءِ » .

وإذا تنفستْ فى أَوْجُهِ الأرواحِ والأنداءِ وعبقت بِهَا ، حَمَلَتْهَا وأَشَاعَتْ رَوَائِحَهَا .

---

= مجيدا ، وصّافا محسنا مدح المأمون وَحُمَيْد بن عبد الحميد الطوسي وأبا دلف العجليّ والحسن بن سهل ، وسارت له أمثال توفى فى بغداد سنة ٢١٣ « انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٨٦٤ ، طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٧٠ ، الأغانى دار الكتب ٢٠ : ١٣ – ٤٣ » .

(١) الموازنة ١ : ٣٨٢ ، والبيت الثانى فى : ص ٣٤ وقال : « أنشدناه أبو الحسن على بن سليمان الأخفش » ، وروايته هناك : « فإذا ما مزجت » .

(٢) ديوانه : ٢٦٩ .

(٣) ورد صدر البيت فى الأصل مضطربا هكذا « تُرِيكَ القَضَا دُونَهُ ونها وهى دونه » والتصحيح من الديوان ، والتمطق : إلصاق اللسان بالغار الأعلى فيسمع له صوت وذلك عند استطابة الشئ .

(٤) انظر ١ : ٣٨٢ .

وقولُهُ : « وفَوَاقِعَ مِثْلِ الدُّمُوعِ تَرَدَّدَتْ » بيتٌ بارعُ اللَّفْظِ حُلْوُ المعنىٰ ، وقدْ اجتهدَ أصحابُ أبى تمّامٍ أيضًا فى إفسادِهِ ، وقالُوا : الدُّمُوعُ لاتتردَّدُ فى الخَدِّ كما يتردَّدُ الحُبَابُ فى الكَأْسِ ، وإنَّمَا الدُّمُوعُ تَجْرِى وَتَتَابَعُ ، وهذه معارضةٌ لاتلزَمُهُ ، لِأَنَّ الترَدُّدَ قدْ يكونُ الجَوَلَانَ وقدْ يكونُ التَتَابُعَ لِأَنَّكَ تقولُ : « تتابعتْ رُسُلِى إليكَ وتَرَدَّدَتْ ، وتواترتْ كُتُبِى وتَرَدَّدَتْ » وقدْ يجرى الحُبَابُ فى الكأسِ إلى جِهَةٍ واحدةٍ كما يجرى الدَّمْعُ فى الخَدِّ إلى جِهَةٍ واحدةٍ[١] ، ويَقِفُ الدَّمْعُ فى صَحْنِ الخَدِّ ، كما تقفُ الحُبَابُ فى صَحْنِ الكَأْسِ ، وما تشبيهٌ هُوَ أليقُ ولا أحسنُ مِنْ تشبيهِ حُمْرَةِ الخَمْرِ بِحُمْرَةِ الخَدِّ وحُمْرَةِ الخَدِّ بِحُمْرَةِ الخَمْرِ ، فإذا وُصِفَ الحُبَابُ فَمِنْ أليقِ التّشبيهِ أنْ يُشَبَّهَ [ بالدَّمْعِ[٢] ] وهذا بيتٌ فى غايةِ الحُسْنِ والصِّحَةِ .

وقولُهُ : « يَسْقِيكَهَا رَشَأٌ يَرُدُّهَا سَكْرَىٰ » مبالغةٌ حسنةٌ ومعنىٰ فى غايةِ المَلَاحَةِ .

ولستُ أُفَضِّلُ أحدَهُمَا عَلَىٰ الآخرِ فى هاتينِ القطعتينِ ، بَلْ أجعلُهُمَا متكافئينِ .

وقال أبو تمّامٍ[٣] :

وَقَفْتُ بها اللَّذَّاتِ فى مُتَنَفَّسٍ مِنَ الغيثِ يَسْقِى رَوْضَةً فى ثَرًى جَعْدِ
وصفراءَ أَحْدَقْنَا بِهَا فى حَدائِقٍ تجودُ مِنَ الأثمارِ بالثَّعْدِ والمَعْدِ

---

(١) عبارة « كما يجرى الدَّمْعُ فى الخدِّ إِلَىٰ جهةٍ واحدةٍ » مستدركةٌ من الناسخ فى الهامش .

(٢) فى الأصل : « بِالْحُبَابِ » وهو خطأ ظاهر .

(٣) ديوانه ١ : ٤٥٦ والتبريزى ٢ : ٥٩ .

بِقَاعِيَّةٍ تجرى علينا كُؤوسُهَا ... فَتُبْدِى الذىْ نُخْفِى وتُخْفِى الذىْ نُبْدِى (١)

وَقَالَ : (٢)

أَصِبْ بِحُمَيَّا كأسِهَا مَقْتَلَ العَذْلِ ... تكنْ عِوَضًا إنْ عَنَّفُوكَ مِنَ العَذْلِ (٣)
وكأسٍ كَمَعْسُولِ الأَمانِى شَرِبْتُهَا ... ولكنَّهَا أَجْلَتْ وَقَدْ شَرِبَتْ عَقْلِى (٤)
إذا عُوتِبَتْ بالماءِ كانَ اعتذارُهَا ... لهيبًا كَحَرِّ النَّارِ فى الحَطَبِ الجَزْلِ (٥)
إذا هِىَ دَبَّتْ فى الفَتَىٰ خالَ جِسْمَهُ ... لِمَا دَبَّ فيهِ قَرْيَةً مِنْ قُرَىٰ النَّمْلِ (٦)
إذا ذاقَهَا – وَهْىَ الحياةُ – رأيتَهُ ... يُقَطِّبُ تقطيبَ المُقَدَّمِ للقَتْلِ (٧)
إذ اليدُ نالَتْهَا بِوِتْرٍ تَوَقَّرَتْ ... عَلَىٰ ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرِّجْلِ (٨)
تُصَرِّعُ ساقِيهَا بِإِنْصَافِ شَرْبِهَا ... وصَرَّعَهُمْ بالجَوْرِ فى صُورةِ العَدْلِ

---

(١) علّق الآمدى على هذا البيت فى الموازنة « ١ : ٢٤٩ » وأنهى تعليقه بقوله « والأضداد لا يستعمل أحدها فى موضع الأخر إلا على سبيل المجاز » ، وجاءت أداء الاستثناء قلقه هنا لكونها تنقض كلامه الذى سبق . وبعد مراجعة تبين أن النص فى مخطوطة الموازنة « كمبردج » وما نقله ابن المستوفى فى كتاب « النظام شرحى المتنبى وأبى تمّام » وردا بدونها ، وقد تداركها الشيخ محى الدين عبد الحميد فى طبعته الثانية ، كما أن النصّ عند ابن المستوفى لا ينتهى حيث انتهى فى الموازنة « كل الطبعات » بل يزيد ، والزيادة هى : « فإن قيل : إنما أراد بقوله « فتبدى الذى نخفى » السُّخْفَ ، و « تخفى الذى نبدى » الْوَقَارَ ، وقد يكون الوقار والسكينة فى الإنسان طبعًا لا تكلفا ، فإذا شرب أحدثت الراح فيه السُّخْفَ والوَقَارَ الذى هو طبع فيه تخاله أنه ليس يزول ، قيل : هذا غلط من التأول ، لأن الإنسان محل لهما جميعا ، فلا يجوز أن يجتمع الشئ وضده فى محلّ واحدٍ ، فيكون أحدهما كامنا والآخرُ ظاهرا بل إذا حلّ أحدهما انتفى الآخر » « النظام – دار الكتب – ١ لوحة ٣٣٦ » .

(٢) ديوانه ٣ : ٥٦٣ ، التبريزى ٤ : ٥١٩ .

(٣) ديوانه وشرح التبريزى « من التَّبْلِ » .

(٤) ديوانه والتبريزى : « كوقع النَّارِ » .

(٥) سبق فى ١ : ٨٨ .

(٦) ديوانه والتبريزى « يعبّس تعبيس » .

(٧) شرح التبريزى « على ضعفها » وأنظر ١ : ٦١ .

(٨) ديوانه : « وتصرع ... فيصرع » وشرح التبريزى « ويصرع ... وَصرْعَهُمْ » .

قولُهُ : « مقتل العذل » و « إنْ عَنَّفُوكَ من العَذْلِ » ليسَ بجيِّدٍ ، وإنْ كانَ جائزًا .

وقولُهُ : « إذا هِيَ دَبَّتْ فِى الفَتَىٰ خالَ جِسْمَهُ » .

أرادَ قولَ الأخطلِ[1]:

تَدُبُّ دبيبًا فِى العظامِ كَأَنَّهُ  دَبِيبُ نِمَالٍ فى نَقًا يَتَهَيَّلُ

فأخذَ المعنىٰ فأفسدَهُ بِرَدِىءِ لَفْظِهِ .

وقولُهُ :

إذا اليـدُ نالَتْهـا بِوِتْـرٍ تَوَقَّـرَتْ  عَلَىٰ ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرِّجْلِ

وَهُوَ الجيدُ مِن هذهِ الأبياتِ .

٤١ / وقدْ قالَ دِيكُ الجِنِّ[2]:

تَظَلُّ بِأَيْدِينا نُتَعْتِعُ رُوحَهـا  فتأخذُ مِنْ أقدامِنَا الرَّاحُ ثَارَهَا

وكانا فى عصرٍ واحدٍ ، وأصحابُ البحترىّ يقولونَ : إنّ أبا تمّامٍ هُوَ الآخذُ مِنْ ديكِ الجِنِّ ، وَإِنَّ ديكَ الجِنِّ كانَ أَتْيَهَ وَأَجَنَّ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ أبى تمّامٍ ، وهذا عندى حكمٌ عَلَىٰ الغيبِ ، ولِمَ[3] لا يكونُ أبو تمّامٍ أَوْلَىٰ بالتِّيهِ مِنْ ديكِ الجِنِّ وأبعدَ مِنْ أنْ يسرقَ مِنْ أهلِ عصرِهِ ؟ ، وفى الجملةِ إنَّ بيتَهُ أجودُ مِنْ بيتِ ديكِ الجِنِّ ، وإنْ كانَ لِعَجُزِ بيتِ ديكِ الجِنِّ حلاوةٌ[4].

---

(١) ديوانه ١٩ وقد سبق فى ١ : ٨٨ .

(٢) ديوانه ١٠٨ .

(٣) فى الأصل : « ولئلا » ولا يستقيم بها السياق .

(٤) انظر ١ : ٦١ ، وقد قال هناك بعد أن أورد بيتى أبى تمّام وديك الجن : « كذا وجدته فيما نقلت ، وليس ينبغى أن نقطع على أيهما أخذ من صاحبه ؟ لأنهما كانا فى عصر واحد » .

وقالَ أبو تمّامٍ :[١]

أَفِيكُمْ فَتًى حَيٌّ فَيُخْبِرُنى عَنِّى　　بِمَا شَرِبَتْ مشروبةُ الرَّاحِ مِنْ ذِهْنِى ؟
غَدَتْ وَهْىَ أَوْلَىٰ مِنْ فؤادِى بِعَزْمَتِى　　وَرُحْتُ بِمَا فى الدَّنِّ أَوْلَىٰ مِنَ الدَّنِّ [٢]
لَقَدْ تَرَكَتْنِى كاسمِها وحقيقَتِى　　مجازٌ وصُبْحٌ مِنْ يَقِينِى كالظَّنِّ [٣]
هَىَ اخْتَدَعَتْنى والغَمَامُ وَلَمْ أَكُنْ　　بِأَوَّلَ مَا أَسْلَمتُ عَقْلِى إِلَىٰ الدَّجْنِ [٤]
إِذَا اشْتَعَلَتْ فِى الكَأْسِ وَالطَاسِ نَارُهَا　　تَقَبَّلْتُهَا مِنْ رَاحَتَىْ يَقِقٍ لَدْنِ [٥]
هَرَاقَ الصِّبَا فى وجنتَيْهِ مَلَاحَةً　　فَتَنْتُ بِهَا أَيَّامَ يُوسُفَ فِى الحُسْنِ [٦]
إذا نحنُ أَوْمَأْنَا إليهِ أَدَارَهَا　　سُلَافًا كماءِ الجَفْنِ وَهْىَ مِنَ الجَفْنِ
تُوَرِّدُ رُوحَ المرءِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ　　وَتَدْخُلُ مِنْهُ حيثُ شاءتْ بِلَا إِذْنِ [٧]
وَمُسْمِعُنَا طَفْلُ الأناملِ عِنْدَهُ　　لَنَا كُلُّ يومٍ مِنْ قِرَىٰ العينِ والأُذْنِ [٨]
لَنَا وَتَرٌ منهُ إذا ما اسْتَحَثَّهُ　　فصيحٌ ، وَلَحْنٌ فى أَمَانٍ مِنَ اللَّحْنِ

---

(١) ديوانه ٣ : ٥٨٢ وشرح التبريزى ٤ : ٥٤١ وفيه « وقال للحسن بن وهب ووصف مجلسا له حضره » وجاء فى ديوانه : « محى الدين خياط » « وقال غير الصولى : قال أبو تمّام : شربتُ عند الحسن بن وهب فغلب علىّ السُّكْرُ ، فأُخبِرْتُ أنى كسرت آنية ، فحُمِلْتُ بين أربعة ، فلما أفقت كتبت إليه هذه الأبيات » .

(٢) انظر ١ : ٨٧ .

(٣) ديوانه والتبريزى : « لقد تركتنى كأسها » ، وشرح التبريزى :

.................................. وحقيقتى　　مُحالٌ وحق من فعالى كالظَّنِّ

وفى ديوانه :

.................................. وتيقُنِى　　كَشَكٍّ وَحقٌّ مِنْ فُؤَادِىَ كالظَّنِّ

(٤) ديوانه والتبريزى : « بأولَ مَنْ أهدىٰ التغافلَ للدَّجْنِ » ، والدّجن : إظلام السماء بالغيم .

(٥) ديوانه وشرح التبريزى · « صليت بها من راحتى ناعِم لَدْنِ » .

(٦) ديوانه والتبريزى :

قَرِيْنُ الصِّبَا فِى وجنتَيْهِ مَلَاحةً　　ذَكَرْتُ بها أَيَّامَ يُوسُفَ فِى الحُسْنِ

وفى الأصل : « بها فتنت » ولا يصح الوزن بها .

(٧) ديوانه وشرح التبريزى : « تقلّبُ رُوْحَ المَرْءِ » .

(٨) ديوانه وشرح التبريزى : « كل نوع » .

وَفِى رَوضةٍ بَيْتِيَّةٍ صَبَغَتْ لَهَا جداوِلَهَا نُوَّارُهَا صِبْغَةَ العِهْنِ[(١)]
ظَلِلْتُ بِهَا فِى جَنَّةٍ غابَ نَحْسُهَا تُذَكِّرُنَا لَذَّاتُهَا جَنَّةَ العَدْنِ[(٢)]
نَعِمْنَا بِهَا فى بَيْتِ أَرْوَعَ مَاجِدٍ مِنَ القومِ آبٍ لِلدَّنِيَّةِ واللَّعْنِ[(٣)]
فَتَى شُقَّ مِنْ عُوْدِ المَحَامِدِ عُودُهُ كَمَا اشْتُقَّ مُسْمُوهُ لَهُ اسْمًا مِنَ الحُسْنِ

وهذهِ أبياتٌ منها جَيِّدٌ حُلْوٌ ، ومنها ردىءُ المعنىٰ[(٤)] واللّفظِ ، قبيحُ النَّسْجِ .

فقوله : « وصبحٌ مِنْ يقينِى كالظَّنِّ » ردىءٌ : مِنْ أجلِ قولِهِ : « وصبحٌ » كأنَّهُ أرادَ أنْ يقولَ : « صحيحٌ مِنْ يقينِى كالظَّنّ » فلمْ يستوِ لَهُ أنْ يقولَ : « صحيحٌ » ، فجعلَ مكانَهُ « صبحٌ » ، أىْ : واضحُ يقينِى وَنَيِّرُهُ كالظَّنِّ[(٥)]

وقولُهُ : « هِىَ اخْتَدَعَتْنِى والغمامُ » بيتٌ صحيحُ المعنىٰ ردىءُ اللفظِ والنَّسجِ .

وكذلك قولُهُ : « إذَا اشْتَعَلَتْ فِى الكَاسِ وَالطَّاسِ » وقدْ كانتِ الكاسُ تكفى مِنْ ذكرِ الطَّاسِ ، وإنْ كانَ هذا يسوغُ ، ومثلُهُ موجودٌ فى أشعارِ النّاسِ .

وقولُهُ : « راحتىْ يَقِقٍ لَدْنٍ » يريدُ راحتىْ أبيضَ ناعِمٍ ، وأبيضُ ناعمٌ أجودُ وأحسنُ لفظًا مِنْ « يَقِقٍ لَدْنٍ » وأحلىٰ فى هذا الموضعِ .

وقولُهُ : « هِىَ مِنَ الجَفْنِ » يريدُ الكَرْمَ ، يقولُ : هِىَ مِنَ الكَرْمِ ، أىْ ليستْ مِنَ التَّمْرِ ولَا غيرِهِ مِنَ الأشربةِ الّتِى ليستْ خمرًا .

---

(١) ديوانه وشرح التبريزى : « وفى روضةٍ نَبْتِيَّةٍ صَبَغَتْ لها » و « صِبْغَةَ الدُّهْنِ » .
(٢) ديوانه والتبريزى : « ظَلِلْنَا بها » ، « تذكرنا حباتُها » ، وفى الأصل : « وتذكرنا » ، والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى .
(٣) ديوانه وشرح التبريزى « آبٍ للدناءةِ والأفْنِ » .
(٤) فى الأصل : « ردىٔ والمعنى » .
(٥) انظر اختلاف رواية البيت فى هامش الصفحة السابقة .

وقولُهُ : « بَيْتِيَّةٍ » يريدُ أَنَّهُمْ كانوا فى دارٍ لَهَا بُسْتَانٌ ، لَا فِى صحراءَ ؛ لأنّه قالَ : « نَعِمْنَا بِهَا فى بيتِ أروعَ ماجدٍ » .

وقولُهُ : « فِى صِبْغَةِ العِهْنِ » يريدُ الشقائقَ ، و « العِهْنُ » الصوفُ الأحمرُ .

وقولُهُ : « آبٍ للدَّنِيَةِ واللَّعْنِ[١] » أىْ : يأبى أنْ يأتىَ من الفعلِ مايُلْعَنُ مِنْ أَجْلِهِ .

وقولُهُ : « كَمَا اشْتَقَّ مُسْموهُ لَهُ اسْمًا مِنَ الحُسْنِ » يريدُ أَنَّ اسْمَهُ حَسَنٌ .

وليسَ لأبى تمّامٍ فى وصفِ الخمرِ ومُعَاطَاةِ النُّدْمَانِ شىءٌ غيرُ ماذَكَرْتُه .

والبحترىُّ مَلِىٌّ وَفِىٌّ بهذا البابِ وما يتصلُ بِهِ ويدخلُ فى معناهُ ، فَمِنْ ذلكَ قولُهُ[٢] :

رُوَيْدَكَ إِنَّ شَانَكَ غَيْرُ شَانِى[٣]

وَكَمْ غَلَّسْتُ مُدَّلِجًا بِصَحْبِى ... عَلَىٰ مُتَعَصْفِرِ النَّاجُـــودِ قَانِ[٤]
أُغَادِى أُرْجُوَانَ الرَّاحِ صِرْفًا ... عَلَىٰ تُفَّـاحِ خَدٍّ أُرْجُوَانِـى
إذا مَالَتْ يَدِى بالكَأسِ رُدَّتْ ... بِكَفٍّ خضيبِ أَطْرَافِ البَنَانِ
تَأَمَّلْ مِنْ خِلَالِ الشَّكِّ ، فانْظُرْ ... بِعَيْـنِكَ مَاشَرِبْتُ وَمَـنْ سَقَانِـى[٥]
تَجِدْ شَمْسَ الضُّحَىٰ تَدْنُو بِشَمْسٍ ... إِلَـىَّ مِنَ الرَّحِيـقِ الخُسْرَوَانِـــى[٦]

---

(١) فى الأصل : « آبى الدَّنِيَّة » .
(٢) ديوانه ٤ : ٢٢٧٥ .
(٣) عجزه : « وَقَصْرُكَ لستُ طاعةَ مَنْ نَهَانِى ! » .
(٤) غلس : سار فى الظلمة ، المُدْلج : السائر الليل كلَّه ، النَّاجُود : كل إناء تُحْمَلُ فيه الخمرُ .
(٥) ديوانه : « تَأَمَّلْ مِنْ خِلَالِ السَّجْفِ » .
(٦) ١ : ٣١٨ « تَجِدْ بَدْرَ الدُّجَىٰ » .

سُبُوتُ الإصْطِبَاحِ مُعَشَّقَاتٌ　　　وَأَحْظَاهُنَّ سَبْتُ المِهْرَجَانِ (١)

أَتَىٰ يُهْدِى الشتاءَ عَلَىٰ اشتياقٍ　　　إِلَيْهِ وَصَيِّبَ الدِّيمِ اللَّوَانِي

يُحَيِّينِى (٢) بِنَرْجِسِهِ ، وَيُدْنِى　　　مكانَ الوَرْدِ وَرْدَ الزَّعْفَرَانِ

وَمِنْ أُكْرُومَةٍ (٣) حَثُّ النَّدَامَى　　　وإعمالُ المَثَالِثِ والمَثَانِى

٤٨ / وليس له فى هذه الأبياتِ اختراعٌ ، وإنَّما هى معانى النّاسِ التى قد تداولُوهَا ، حَتَّىٰ صارتْ كالمُشْتَرَكَةِ بَيْنَهُم .

وَقَالَ (٤) :

أَتَرَاهُ يَظُنُّنِى أَوْ يَرَانِى　　　ناسِيًا عَهْدَهُ الذى اسْتَرْعَانِى ؟

وَنَدِيمٍ نَبَّهْتُهُ وَدُجَىٰ اللَّيْـ　　　ـلِ وضوءُ (٥) النَّهَارِ يَعْتَلِجَانِ

قُمْ نبادر (٦) به الصِّيَامَ فقدْ أَقْـ　　　ـبَلَ ذاكَ الهلالُ مِنْ شَعْبَانِ

بِنْتُ كَرْمٍ يَدْنُو بِهَا مُرْهَفُ القَدِّ　　　غَرِيْرُ الصِّبَا ، خضيبُ البَنَانِ

أُرْجُوانيةٌ تُشَبَّهُ فِى الكَأْ　　　سِ بِتُفَّاحِ خَدِّهِ الأُرْجُوَانِى

بَاتَ أَشْهَىٰ (٧) إِلَىَّ مِنْ سِنَةِ النَّوْ　　　مِ ، وَأَحْلَىٰ مِنْ مُفرِحَاتِ الأَمَانِى

---

(١) سُبُوت جمع « سَبْت » .

(٢) فى ديوانه : « يحيِّينا » .

(٣) ديوانه :

« ومن إكرامه ................　　　وإعجال ................ »

والأُكْرُومَةُ : فعل الكرم ، المثالث والمثانى : يريدُ أوتارَ العودِ .

(٤) ديوانه ٤ : ٢٢٧٠ .

(٥) ديوانه : « وضوء الصباح » وهذا البيت جاء ترتيبه فى الديوان السابع .

(٦) ديوانه : « قُمْ نبادر بها .... » و « فَقَدْ أَقْمَرَ ذَاكَ الهِلَالُ » .

(٧) ديوانه :

« بَاتَ أحلىٰ لَدَىَّ مِنْ سِنَةِ النَّوْ　　　مِ وَأَشْهَى مِنْ مُفْرِحَاتِ الأَمَانِى »

وَقَالَ : (١)

أَقَامَ كُلُّ مُلِثُّ الوَدْقِ رَجَّاسِ (٢)

هَلْ مِنْ سبيلٍ إِلَىٰ الظُّهْرَانِ مِنْ « حَلَبٍ »    ونَشْوَةٍ بينَ ذاكَ الوَرْدِ وَالآسِ
إِذْ أَقْبَلَ الرَّاحَ – وَالأيامُ مُقْبِلَةٌ –    مِنْ أُهَيْفَ خَنِثِ العِطْفَيْنِ مَيَّاسِ
أَمُدُّ كَفِّى لِأَخْذِ الكَأْسِ مِنْ رَشَأٍ    وحَاجتِى كُلُّهَا فِى حَامِلِ الكَاسِ
بِبَرْدِ أَنْفَاسِهِ أَشْفِى الغليلَ إِذَا    دَنَا فَقَرَّبهَا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِى

وقال: (٣)

بِعَمْرِكَ تَدْرِى أَىَّ شَأْنَىَّ أَعْجَبُ (٤)

أَلَا رُبَّمَا كَأْسٍ سَقَانِى سُلَافَهَا    رَهِيفُ التَّثَنِّى وَاضِحُ الثَّغْرِ أَشْنَبُ
إِذَا أَخَذَتْ أطرافُهُ مِنْ قُنُوئِهَا    رأيتَ اللُّجَيْنَ بالمُدَامَةِ يُذْهَبُ
كَأَنَّ بعينَيْهِ الذى جاءَ حامِلًا    بِكَفَّيْهِ مِنْ ناجودِهَا حِينَ يُقْطَبُ
لَأَسْرَعَ فِى عَقْلِى الذى بِتُّ مَوْهِنَا    أَرَىٰ مِنْ قَرِيبٍ لَا الذى بِتُّ أَشْرَبُ (٥)
لَدَىٰ رَوْضَةٍ جَادَ الرَّبِيْعُ نَبَاتَهَا    بِغُرِّ الغَوَادِى تَسْتَهِلُّ وَتَسْكُبُ
إِذَا أَصْبَحَ الحَوْذَانُ مِنْ جَنَبَاتِهَا    تُفَتَّحُ ، وُهِّمْتَ الدَّنَانِيرَ تُضْرَبُ (٦)

---

(١) ديوانه ٢ : ١١٤٧ .

(٢) عجزه : « على ديارٍ بِعُلْو الشام أدراس » .

والمُلِثُّ : المطر المستمر أياما . الرَّجَّاس : السَّحاب المرعد .

(٣) ديوانه ١ : ١٣٤ .

(٤) عجزه : « فقد أشْكَلا : باديهمَا والمُغَيَّبُ ؟ » .

(٥) فى الأصل : « كأسرع » .

(٦) الحَوْذَانُ : نبت من نبات السهل حلو طيب الطعم ، يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء فى أصلها صفرة ، وفى ديوانه : « فى جنباتها » .

وَقَالَ (١) :

أَكَانَ الصِّبَا إِلَّا خَيَالًا مُسلِّمًا ... أَقَامَ كَرَجْعِ الطَّرْفِ ثُمَّ تَصَرَّمَا (٢)
أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ يختالُ ضَاحِكًا ... مِنَ الحُسْنِ حَتَّىٰ هَمَّ أنْ يَتكَلَّمَا (٣)
وَقَدْ نَبَّهَ النَّوْرُوزُ فِى غَلَسِ الدُّجَىٰ ... أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأمسِ نُوَّمَا
يفتِّقُهُ بَرْدُ النَّدَىٰ فكَأَنَّهُ ... يَنُثُّ حَدِيثاً كَانَ قَبْلُ مُكَتَّمَا (٤)
وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ ... عَلَيْهِ كَمَا نَشَرْتَ وَشْيًا مُنَمنَما
أَحَلَّ ، وَأَبْدَىٰ للعيونِ بَشَاشَةً ... وَكَانَ قَذًى للعينِ إِذْ كَانَ مُحْرِمَا (٥)
وَرَقَّ نسيمُ الرِّيحِ حَتَّىٰ حَسِبْتُهَا ... تَجِىءُ بأنفاسِ الأحِبَّةِ نُعَّمَا (٦)
فَمَا يَحْبِسُ الرَّاحَ الَّتِىْ أنتَ خِلُّهَا ... وَما يمنعُ الأوتارَ أَنْ تَتَرَنَّمَا !؟
ومازِلْتَ شمسًا للنَّدَامَىٰ إذا انْتَشَوْا ... وَرَاحُوا بُدُورًا يَسْتَحِثُّونَ أَنْجُمَا
تَكَرَّمْتَ مِنْ قَبْلِ الكُؤُوسِ عَلَيْهِمُ ... فَمَا اسْطَعْنَ أَنْ يُحْدِثْنَ قَبْلُ تَكَرُّمَا (٧) !

وهذا المعنىٰ الذى أَبَرَّ البحتريُّ فيهِ عَلَىٰ كُلِّ مُحْسِنٍ ، لِأَنَّ امْرأَ القَيْسِ قَالَ (٨) :

سَمَاحَةَ ذَا وَبِرَّ ذا ووفاءَ ذَا ... و نَائِلَ ذَا إذا صَحَا وَإذَا سَكِرْ

---

(١) ديوانه ٤ : ٢٠٨٧ .

(٢) سبق فى ٢ : ١٩٤ .

(٣) هذا البيت والأبيات التى تليه تبدأ من رقم ٢٥ – ٣٣ من القصيدة ، وفى الديوان « حَتَّىٰ كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا » .

(٤) فى الديوان : « يُفَتِّقُهَا » ، « يَبُثُّ حديثاً » .

(٥) ديوانه : « أَحَلَّ ، فَأَبْدَىٰ » .

(٦) ديوانه : « حَسِبْتُهُ يَجِىءَ » .

(٧) ديوانه : « فِيكَ تَكَرُّمَا » .

(٨) ديوانه شرح الأعلم الشنتمرى ص ٢٤٨ .

وَقَالَ عَنْتَرَةُ[١] :

وَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنَّنِى مُسْتَهْلِكٌ مَالِى وَعِرْضِى وَافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ
وإذا صَحَوْتُ فما أُقصِّرُ عن نَدًى وكما عَلِمْتِ شَمائِلِى وتَكَرُّمِى

ومازالَ من يَتَعَصبُ على البُحْترِىّ يَجْتَهِدُ فى الطَّعْنِ على إحسانِهِ كلِّهِ ، حتى فى هذا البيت ، فإنَّهم قالوا فى قَوْلِهِ : « تَكرَّمْتَ من قَبْلِ الكُؤوسِ عَلَيْهم » : إنَّ التَّكرُّم إنَّما هَو أن يَتكلَّفَ الكرَمَ ، ويتعاطاه ولَيْس من أَهْلِه ، وكان الأَجْوَدُ أَنْ يقول « كَرُمْتَ » .

وهذا غَلَطٌ منهم قبيح ، إنَّما التكارُمُ هو أن يُظْهِرَ الكرمَ وليس من أَهْلِهِ ، وكذلك التَّحالُمُ والتَّجاهُلُ والتَّعاقُلُ وما أشبه ذلك ، فأمّا التَّكرُّمُ فمعناه : أنَّه جَعلَ نَفْسه كَرِيمًا ، وأَدْخَلها فى الكَرَمِ ، وذلك مِثْلُ تشجَّعْتُ وتَجَلَّدتُ وتَبصَّرْتُ ، ومثل هذا لا يكونُ الإنسانُ مَذْمومًا ولا معيبًا به ، بَلْ مَمْدوحًا ، ويستعمل « كَرُمَ وتَكرَّمَ » على وجه واحد ، وكذلك شَجُع وتَشجَّع ، وخَشِعَ وتَخَشَّعَ .

وقد قال عنترة : « وكما عَلِمْتِ شمائِلِى وتَكَرُّمِى » وهذا ما لا ينكره من له علم بكلام العرب ، وعلى أن البحترىّ قد بيّن هذا وجمع بين هذين الفعلين فى بيت وفرّق بينهما فقال[٢] :

وأرى التَّكرُّمَ فى الرِّجال تَكارُمًا مالَمْ يَكُنْ بمحاتِدٍ ومنَاصِبِ

٤٩ / وقال[٣] :

عَذيرِىَ من نَأْيٍ غَدًا وبِعَادِ[٤]
تدارَكَ غيِّى نَشْوةٌ فى لِقَائِها ذَمَمْتُ لَها حتَّى الصَّباحِ رَشادِى[٥]

---

(١) ديوانه : ص ١٤٩ .
(٢) ديوانه ١ : ١٥٨ وفيه : « ما لم يكن بمناسبٍ ومناصب » .
(٣) ديوانه ١ : ٥٦١ .
(٤) عجزه : « وسَيْرٍ مخُبٌّ لا يَسيرُ بِزَادِ ! » .
(٥) ديوانه : « نَشْوةً من لقائها » .

وما بلغَ النَّومُ المُسامِحُ لَذَّةً    سَرىٰ أُرَقِي فى حِينِهَا وسُهَادِي[1]
علىٰ بَابِ «قِنِّسْرينَ» واللَّيْلُ لَاطِخٌ    جَوانِبَــهُ من ظُلْمَــةٍ بِمِــدَادِ[2]
كَأَنَّ القُصورَ البِيضَ فى جَنَباتِهِ    خَضَبْنَ مَشِيباً نَازِلًا بِسَوادِ
كأنَّ انْخِرَاقَ الجَوِّ غَيَّرَ لَوْنَهُ    لَبُوسُ حَديدٍ أو لِبَاسُ حِدَادِ
كأنَّ النُّجومَ المُسْتَسِرَّاتِ فى الدُّجَىٰ    سِكَــاكُ دلاصٍ أو عُيــونُ جَرادِ[3]
ولَا قَمَرٌ إلا حَشَاشَةُ غَائِرٍ    كَعَيْنِ «طِمَاسٍ» رَنَّقَتْ لِرُقادِ[4]
فَبِتْنَا ، وباتَتْ تَمْزِجُ الكَأسَ بَيْننا    بأَبْيَضَ رَقْرَاقِ الرُّضَابِ بُرَادِ[5]
ولَمْ نَفْتَرِقْ حَتىٰ بدَا الدِّيكُ هَاتِفًا    وقامَ المُنَادى بالصَّلاةِ يُنَادِى[6]

قوله : «تَدارَكَ غَيِّي[7] نَشْوَةٌ» كلامٌ حُلْوٌ عَجَبٌ من العَجَبِ .

وقولُهُ :

«وما بلغَ النَّومُ المُسامِحُ لَذَّةً    سَرىٰ أُرَقِي فى حينها ........ »

أي : مابلغَ النَّومُ لَذةً ذَهَب أَرَقى فى وَقْتِها ، والسُّرَىٰ : مَسيرُ اللَّيْلِ ، يُريدُ مَضَى أَرَقِى فى حِينِها ، وهذا أيضًا معنى حَسَنٌ لطيفٌ .

---

(١) ديوانه : «سِوَىٰ أرق فى حُبها» .

(٢) قنِّسرين «بكسر المشددة وفتحها» : مدينة بين حلب ومعرّة النعمان ، كانت آهلة إلى سنة ٣٥٥ عندما خربّها ملك الروم فى حربه مع سيف الدولة ، «معجم البلدان ١٦ : ٣٧١» .

(٣) الدلاص : الدُّروع اللّيِّنةُ البَراقةُ ، السِكَاكُ : جمع السكّ «المسامير» .

(٤) طِماس : هو أحمد بن عبد الله بن العباس ، ابن أخى إبراهيم بن العباس وعم أبى بكر محمد بن يحيى الصولى «أخبار أبى تمام : ٢٧٠» كان أعورَ ثقيل الظِلِ ، قال الحسن بن وهب لابراهيم بن العباس : تعال حتى نعدَّ البغضاءَ ، قال : ابدأ بى أولا من أجل ابن أخى «طماس» ثم ثنّ بِمَن شئت «الأغانى – دار الكتب ١٠ : ٥٤ – ٥٥» .

(٥) ديوانه : «تمزج الراح» .

(٦) ديوانه : «حتى ثنى الديك» .

(٧) فى الأصل : «عنّى» تصحيف .

وقد كرَّرَ فى هذه الأبياتِ معنًى واحدًا فى ثلاثةِ أبياتٍ مَتواليَةٍ ، وهذا لم يَكُنْ من عادَتِهِ ومَذْهَبِهِ ، ولا عَرَفْتُ لَهُ مِثْلَهُ ، وذلِكَ قَوْلُهُ :

.................. واللَّيْلُ لَاطِخٌ جَوانِبَهُ من ظُلْمَةٍ بِمِدَادِ (١)

وقوله : خَضَبْنَ مَشيبًا نازِلًا بسوادِ

وقوله : لَبوسُ حَديدٍ أو لِباسُ حِدادِ

وكان فى بَيتٍ واحِدٍ من هذه الثلاثةِ الأبياتِ كِفَايَةٌ ، ولكنَّه جاءَ بهذه الثلاثةِ المَعانِى لاختلافِها .

وقولُهُ : كَعَيْن « طِماسٍ » ، « فطِماسٌ » كان رجلاً صغيرَ العَيْنِ أَخْفَشَها ، لايكادُ يُقِلُّ جَفْنَهُ ويَنْظُرُ إلّا بِشدَّةٍ ، وكان البُحتُرِىُّ قد أُولِعَ بِذكْرِه فى شِعْرِه ، وقد ذكرهُ فى غَيْرِ مَوْضِعٍ (٢) . وما تؤتى «؟» (٣) هذه الأبياتُ من براعةٍ وحُسنِ مَعْنًى وفَصاحَةٍ .

وقال لِعَبْدِ اللهِ بنِ الحُسَيْن – وكان أهدى إليه نبيذًا (٤) –:

خانَ عَهْدِى مُعاوِدًا خَوْنَ عَهْدِى (٥)

لَيسَ بَرْحُ الغَرامِ مابثَّ تُخْفِى إنَّ بَرْحَ الغَرامِ مابثَّ تُبْدِى

---

(١) انظر تعليق عبد القاهر الجرجانى على نقص الصفة فى المشبه به فى هذا البيت « أسرار البلاغة ٢٠٢ » ، وكذلك رأى أبى هلال العسكرى فى « ديوان المعانى ١ : ٣٤٤ » .

(٢) ديوان البحترى : ٤٤٢ – ٥٦٢ – ١١٢٧ – ١١٦٣ .

(٣) كذا فى الأصل ، وربما تكون العبارة « وما تخلو » .

(٤) ديوانه : ١ : ٥٥٩ وهو : أبو محمد عبد الله بن الحسين بن سعد القطربُلى ، كانت داره بالخُلْد يجتمع فيها المبرد والبحترى وكثير من الشعراء ، صاحب التاريخ تقلّد عمالة بلد إسكاف ، وكان من أهل الأدب والعلم ، وقد حفظ وسمع ، وكان راوية لأشعار المحدثين ، وقصده الشعراء لِيُثيبَهم وتوفى سنة ٢٩٢ « ابن خلكان ٦ : ٢٠٠ – أخبار أبى تمّام : ٦٧ ، والوافى بالوفيات للصفدى ١٧ : ١٣٨ » .

(٥) عجز البيت : « مَنْ لَهُ خُلَّتِى وخَالِصُ وُدِّى » .

صَبَّ يَسْقِى ، فكادَ يَصْبُغُ ماجا  وَرَ من حُمْرَتَىْ مُدامٍ وخَـدٍّ [١]
وجَنَىٰ الوَرْدِ ثالِثٌ فسَبيلِى  شَمُّ وَرْدٍ طَورًا وتَقْبيلُ وَرْدِ
حَسُنَتْ لَيْلَةُ الثُّلاثاءِ وابْيَضَّـ  ـتْ بِمُسْوَدِّهَا يَدُ الدَّهْرِ عِنْدِى
باتَ أَرْضَى الأَحْبابِ عِنْدِى ، وعَبْدُ الـ  ـله ، أرضَىٰ « بَنِى الحُسَيْنِ بنِ سَعْدِ »
سَيِّدٌ يَصْرَعُ المكارِمَ فى السُّؤْ  دَدِ بالسَّاعِـدِ القَـوِىِّ الأَشَدِّ [٢]
قَدْ أَتَتْنَا تِلْكَ الهَدِيَّةُ والصَّهْـ  ـباءُ من خَيْرِ ماتَبرَّعْتَ تُهْدِى [٣]
وتَرَكْنا لكَ المَراكِبَ مِنْ أَحْـ  ـوى غريبٍ فى لَوْنِـهِ وسَمَنْـدِ [٤]
و « بَنِى الرُّوُمِ » بَيْنَ أَبْيَضَ بَضٍّ  مُشْرِقٍ لَوْنُـهُ وآخَـرَ جَعْـدِ [٥]
واقْتَصَرْنَا على التى فاجأَتْنَـا  وَرْدَةً عندمـا استُشِفَّتْ لِوَرْدِ [٦]
لَبِسَتْ زُرْقَةَ الزُّجاجِ فجاءَتْ  ذَهَبًـا يَسْتَنِيـرُ فى لَازَوَرْدِ

ومن نادِرِ شعرِ البحترىِ وفاخرِ كلامهِ قَوْلُهُ يخاطب أبا صالح بنَ عمارٍ الحَلَبِّى فى أبياته التى أوّلها :

هذا كِتابُكَ فيهِ الجَهْلُ والعُنُفُ [٧]

---

(١) ديوانه : « هبَّ يسقى » .
(٢) ديوانه : « يصرع المُصارِع » .
(٣) ديوانه : « طرقتنا تلك الهدية » .
(٤) الأحوى : الأسود ، السَّمْنُدُ : صفة فى لون الفرس تميل إلى الصفرة ، وفى ديوانه : « قد تركنا » ، « أو سَمَنْدِ » .
(٥) ديوانه : « وأَسْمَرَ جَعْدِ » .
(٦) فى الديوان : « وردةٌ » بالضمّ .
(٧) ديوانه : ٣ : ١٣٩٣ وعجزه « قد جاءَنَا فَفَهِمْنا كلَّ ما تَصِفُ » .
وأبو صالح بن عمار كتب فيه البحترى عدة مقطوعات أنظر ديوانه ١ : ٤٦٥ – ٤٧١ ، ٣ : ١٣٩٢ ، ١٨٠١ ، ٢٢٤٦ ، ٢٣١٤ ، وجاء فى صدر هذه المقطوعة : « وقال فى أبى صالح بن عمار ، وكان دعاه فى يوم مطير ، فتخلف عنه ، وكتب إليه كتابا يمازحه فيه ، فقال مجيبا له : » ، وفى =

مالِى ولِلرَّاحِ تَدْعُونِى لأَشْرَبَها ... ولى فُؤادٌ بِشَىءٍ غَيْرِها كَلِفُ
إنّ التَّزاوُرَ فِيما بَيْنَنا خَطَرٌ ... والأَرْضُ من وَطْأَةِ البِرْذَوْنِ تَنْخَسِفُ
إذا اجْتَمَعْنَا على يَوْمِ الشِّتاءِ ، فَلِى (١) ... همٌّ بما أَنا لاقٍ حينَ أَنْصَرِفُ
أَلِلْغَدِيرِ إذا ضَاقَ الطَّرِيقُ بِهِ ... أم للطَّرِيقِ المُعَمَّى حينَ يَنْعَطِفُ (٢)
وقُلْتُ : دَجْنٌ يُرِيقُ المَاءَ رَيِّقُهُ ... من كُلِّ غَادِيَةٍ أجفَانُها وُطُفُ (٣)
وكيفَ يَطْرَبُ للدَّجْنِ المُقيمِ إذا ... سَحَّتْ سحائِبُهُ مَنْ بَيْتُهُ يَكِفُ (٤)
لا أقربُ الرَّاحَ أو تَجْلُو السماءَ لنا ... [ شَمْسُ الرَّبيعِ ] وتَبْهى الرَّوْضَةُ الأُنُفُ (٥)
ويَفْتُقُ الرَّوْضُ خُضْرًا من مُعَصْفَرَةٍ ... فيكْتَسِى نَوْرَهُ القَاطُولُ والنَّجَفُ (٦)
هنَاكَ تَجْمِيعُ شَمْلٍ كانَ مُفْتَرِقًا ... مِنَّا ، وتأْلِيفُ رأْيٍ كان يَخْتَلِفُ (٧)

وقد قالَ أبو تمّامٍ فى هذا المعنى إلَّا أَنَّ البحترىَّ أَبرَّ عليه وزَادَ ، وذلك قَوْلُهُ (٨) فى آلِ مُصْعَبٍ :

---

= أخبار البحترى : ١١٥ « سأل البحترى أبا صالح بن يزداد حاجة ، فلم يقضها له فكتب يدعوه فى يوم مطير برقعة فيها أبيات يتولع به فيها ، فقال البحترى : « الأبيات » » .

وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد هو وزير المستعين ، كان عنده أدبٌ وفَضْلٌ ، وكانت أجوبته وتوقيعاته من أحسن التوقيعات والأجوبة « الفخرى فى الأدب السلطانية : ١٧٧ » وهو أحد الكتاب البلغاء ذكره صاحب الفهرست بين الكتاب المسترسلين ممن دونت رسائله « الفهرست : ١٣٨ ، ١٩٢ » وأورد له المرزبانى فى معجم الشعراء بعض الأبيات « معجم الشعراء : ٣٨٩ » .

(١) فى الأصل : « فى يوم الشتاء » ولا يصح معها الوزن والتصحيح من ديوانه .

(٢) ديوانه : « أبا لغدير ... أم بالطريق » .

(٣) ديوانه : « يروق العين ريقه » .

(٤) الدَّجْنُ : المطر الكثير ، يَكِفُ : يقطر سقفه ، وديوانه « فكيف » .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل والتصحيح من الديوان .

(٦) ديوانه : « ويفتق الورد .... ويكتسى » .

(٧) فى الأصل : « هناك جميع » .

(٨) ديوان أبى تمّام ٢ : ٨٥ والتبريزى ٢ : ٣٨٩ : وفيه « وقال يعتذر إلى إبراهيم والفضل كاتبى =

/ قُولا لإبْراهيمَ والْفَضْلِ الذى     سَكَنَتْ مَودَّتُه جُنُوبَ شَغَافِى (١)
مَنع الزِّيارَةَ والوِصالَ سَحائِبٌ     شُمُّ الغَوارِبِ جَأْبَةُ الأَكْنافِ (٢)
ظَلَمَتْ بَنِى الحَاجِ النَّزِيعِ وأَنْصَفَتْ     عَرْضَ البَسيطَةِ أَيَّمـــا إنْصَافِ
فأَتَتْ بِمَنْفَعةِ الرِّياضِ وضَرُّهَا     أَهْلَ المنازِلِ أَلْسَنُ الوُصَّافِ (٣)
فَجَفَوْتُكُمْ وعَلِمْتُ فى أَمْثالِها     أنَّ الوُصولَ هو القُطوعُ الجَافِى (٤)
لمَّا اسْتَقَلَّتْ ثَرَّةً أَخْلافُها     مَمْلوءَةَ الأَرْجَاءِ والأَكْنَــافِ
وعَلَمْتُ مايَلْقىٰ المَزُورُ إذَا هَمَتْ     من مِمْطَرٍ ذَفِرٍ وطَينٍ خِفَافِ (٥)
شَهِدَتْ لَها الأَنْواءُ أَجْمَعُ أَنَّها     من مُزْنَـةٍ لَكَرِيمَـةُ الأَطْرَافِ (٦)
فكمِ اغْتَدَتْ فِيها السَّماءُ فأَنْعَمَتْ     للأَرْضِ مِنْ تُحَفٍ ومِنْ أَلْطـافِ (٧)
فكَأَنَّنِى بالرّوضِ قَدْ أُجْلىٰ لَنَا     عن حِلْيَةٍ من وَشْيِهِ أَفـوافِ

---

= عبد الله بن طاهر من تأخره عنهما بالمطر ، وكانا من أهله من طيىء ، وآل مصعب : يعنى الممدوح وهو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب أمير خراسان ووالى مصر من قبل المأمون ، وهو خزاعِىٌّ بالولاء ، وكان أبوه طاهر بن الحسين من أكبر أعوان المأمون ، وابن أخيه إسحق بن إبراهيم المصعبى ، كان المأمون اصطنعه وولاه خراسان ، كما جعله على الشرطة فى بغداد وحارب بابك ، انظر : « وفيات الأعيان ٢ : ٥٣ ، ٣ : ٨٣ ، والديارات للشابشتى : ١٣٦ وما بعدها » .

(١) ديوانه والتبريزى : « الاكتاف » .

(٢) ديوانه : « ظلمت بنى الحاج المُلِمّ » ، وشرح التبريزى « ظلمت بنى الحاج المُهِمّ » ، وقال ابن المستوفى « النظام ٢ : ١٧٦ » : « وروى المرزوق : « ضامت بنى الحاج النزيع » ، وقال : فأما « النزيع » فمن قولهم : « خيل نزائع » ، وهى التى تُجْلَبُ إلى غير بلادها ومُنْتَجِها » .

(٣) شرح التبريزى : « الوَصول والقَطوع » بفتح فاء الكلمة .

(٤) ديوانه وشرح التبريزى : « ملمومَةَ الأَرْجَاءِ » .

(٥) شرح التبريزى : « شهدت لها الأثراء » .

(٦) ديوانه وشرح التبريزى : « كم أهدت الخضراء فى أحمالها » .

(٧) ديوانه وشرح التبريزى :

« .... قد أجلى لها     عن حُلَّةٍ .... »

وكأنّنِى بالشَّذْقِمِيَّةِ وَسْطَـهُ　　خُضْرَ اللُّهى والوُظْفِ والأَخْفَافِ
إنَّ الشِّتَاءَ على شَتامَةِ وَجْهِهِ　　لَهوَ المُفيدُ طَلاقَةَ المُصْطافِ

وقال البحترىّ (١) :

أناةً أيُّها الفَلَكُ المُدارُ (٢)

وَيومٌ « بالمَطيرَةِ » أَمطَرَتْنا　　سَماءٌ صَوْبُ وابِلِها عُقارُ (٣)
نَزَلْنا مَنْزِلَ « الحَسنِ بْنِ وَهْبٍ »　　وَقَدْ دَرَسَتْ مغَانِيهِ القِفارُ
تَلَقّانَا الشِّتاءُ بِهِ (٤) ، وَزُرْنا　　بَناتَ اللَّهْوِ إذْ قَرُبَ المَزارُ
أقَمْنا ، أَكْلُنا فِيها اسْتلابٌ　　هنَاكَ ، وشُرْبُنَا فِيهَا بِدَارُ (٥)
تَنازَعنا المُدامَةَ وهْىَ صِرْفٌ　　وأَعْجَلْنَا الطَّرائِحَ (٦) وهْىَ نَارُ
ولَمْ يَكُ ذَاكَ سُخْفًا ، غَيرَ أنّى　　رَأَيْتُ الشَّرْبَ سُخْفُهُمُ الوَقارُ
رَضِينَا من « عَقيدٍ » و « ابْنِ حَبْرٍ »　　بَصوْتِ الأَثْلِ إذَ مَتَعَ النَّهارُ (٧)
تُزَعْزِعُهُ الشَّمالُ ، إذا تَوافَى (٨)　　على أنْفاسِهَا قَطْرٌ صِغَارُ

(١) ديوانه ٢ : ٩٥٩ .

(٢) عجزه : أَنَهْبٌ ما تطَرَّفُ أم جُبَارُ ؟

(٣) ديوانه : « العُقار » ، و « المَطَيرَةُ » : قَرْيَةٌ من نَواحِى سَامَرَّاء ، وكانت من متنزهات بغداد ، « ياقوت » .

(٤) ديوانه : « تلقينا » .

(٥) ديوانه : « أكلنا أكل استلاب ...... وشربنا شرب » .

(٦) ديوانه : « الطبائخ » .

(٧) ديوانه وعبث الوليد « رضينا من مخارق وابن خير » ، وفى الأصل : « منع النهار » تصحيف ، ومتع : ارتفع ، وقال أبو العلاء « إذا رُويَتْ « مُخارِق » فهو على حذف التنوين وقد مضى مثله كثير ، والمعنى : أنه لم يَكُنْ لَهمْ مغن وإنما غنوا بصوت الأثل » عبث الوليد : ١٠٨ .

وعقيد المُغَنّى : فى عصر المأمون وقد انتقده إسحق بن إبراهيم الموصلى « الأغانى ٥ : ٥٣ » ولم أَعْرِفِ ابنَ حَبرٍ المُغَنّى .

(٨) ديوانه : « وقد تُوافَى » .

غَداةَ دُجُنَّةٍ لِلغَيْثِ فِيها خِلالَ الرَّوْضِ : حَجٌّ واعْتِمَارُ
كأنَّ الرِّيحَ والمَطَرَ المُناجِى خَواطِرَها : عِتَابٌ واعْتِذارُ
كأنّ مَدارَ « دجلةَ » حِيْثُ جاءَتْ بأَجْمَعِهَا : هِلالٌ أو سِوارُ (١)

ومن جَيِّدِ شِعْرِه وبَارِعِ أَلْفاظِهِ قَوْلُهُ فى قَصِيدَتِهِ (٢) :

تَوَهَّمَ « لَيْلَى » وأَظْعَانَها (٣)

سَرَى البَرْقُ يَلْمَعُ فى مُزْنَةٍ تَمُدُّ إلىٰ الأَرْضِ أَشْطانَها
فلا تَسْأَلَا (٤) باستواءِ الزَّمانِ وَقَدْ وَافَتِ الشَّمْسُ مِيزَانَها
شَبِيبَةَ لَهْوٍ تَلَقَّيْتُها فَسايَرْتُ بالرَّاحِ رَيْعانَها
ولا أَرْيَحِيَّةَ حَتَّى تُرىٰ طَرُوبَ العشيَّاتِ نَشْوانَها
ولَيْسَتْ مُدامًا إذا أَنْتَ لَمْ تُواصِلْ مع الشَّرْبِ إِدْمانَها
وكَمْ بالجَزِيرَةِ مِنْ رَوْضَةٍ تُضاحِكُ دَجْلَةُ ثُعْبَانَها (٥)
غَرائِبُ تَخْطِفُ لَحْظَ العيُونِ (٦) وقَدْ جَلتِ الشَّمْسُ أَلْوانَها
إذَا غَرَّدَ الطَّيْرُ فيها ثَنَتْ إِلَيْكَ الأَغانِىُّ أَلْحانَها

---

(١) ديوانه : « كأن مدار دجلة إذ توافت » .

(٢) ديوانه ٤ : ٢١٧٤ .

(٣) عجزه : « ظباءَ الصَّرِيم وغزلانها » .

(٤) ديوانه : « فلَا تسألَنْ » .

(٥) ديوانه : « ثُغْبَانها » ، وثعبان : جمع ثعب ، وهو مَسِيلُ الوادى .

(٦) ديوانه : « إذا جلت .... » ، وفى ديوانه : « تخْطَفُ » بفتح الطاء ، وقال فى اللسان : « وفيه لغة أخرى حكاها الأخفش : « خطف بالفتح يخطِفُ بالكسر » : وهى قليلة رديئة لا تكاد تُعرَفُ » فرواية الديوان أعلى وأجود .

تَسيرُ العِمَاراتُ أَيْسارَها ... ويَعترضُ القَصْرُ أَيمانَها[(١)]

وتَحْمِلُ دَجْلَةُ حَمْلَ الجَموحِ ... حتّى تُناطِحَ أَرْكَانَها

كأَنَّ العَذارَى تَمشَّى [ بِهَا ][(٢)] ... إذا هَزَّتِ الرِّيحُ أَفْنانَها

تُعانِقُ لِلْقُرْبِ شَجْراؤُها ... عِناقَ الأَحبَّةِ أَسْكانَهَا

فَطَوْرًا تُقَوِّمُ مِنْها الصَّبا ، ... وطَوْرًا تُمَيِّلُ أَغْصانَها

جُنُوحًا[(٣)] تُنَقِّلُ أَفْيَاءَها ... كما جَرَّتِ الخَيْلُ أَرْسانَها[(٤)]

ومن جَيِّدِ شِعْرِهِ فى الخَمْرِ قوله :

قَدْ سَقانِى ولَمْ يُصَرِّدْ « أَبُو الغَوْ ... ثِ » عَلَى العسكَرَيْن شَرْبَةَ خَلْسِ

من عُقارٍ تَقُولُها وَهْىَ نَجْمٍ[(٥)] ... ضَوْءُ اللَّيْلِ أَوْ مُجاجَةَ شَمْسِ

وتُرَاهَا[(٦)] إذا أَجدَّتْ سُرورًا ... وارْتياحًا للشَّارِبِ المُتَحسِّى

أُفْرِغَتْ فى الزُّجاجِ من كُلِّ قَلْبٍ ... فَهْىَ مَحْبُوبَةٌ إلىٰ كُلِّ نَفْسِ

قوله : « وَهْىَ نَجْمٍ » مِنْ : وَهَى يَهِي : أَىْ : مايَنفَصِلُ من النَّجْمِ ، يُرِيدُ ضَوْءَ النَّجْمِ عند انْقِضَاضِهِ . ومن يُخالِفُهُ يَقولُ : لَيْسَ ذلِكَ الضَّوْءُ من النَّجْمِ ، ولكن قد جَرى على الأَلْسُنِ .

---

(١) قال شارح الديوان : يبدو من كلام الشاعر أن هذه العِمارات متحركة سائرة مما يُظن معه أنها أبْنيةٌ كانت تقام فى الماء مثل « الزَّوِّ » الذى وصفه الشاعر وهو نوع من السُّفُن يقال له : القصر « ديوانه : ٢١٧٦ هامش ٢٠ » .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل والتصحيح من الديوان .

(٣) ديوانه : « جنوحٌ » بالرفع .

(٤) ديوانه ٢ : ١١٥٨ .

(٥) ديوانه : « من مدام تظنّها وَهْىَ نَجْمٌ » ، وانظر عبث الوليد : ١٢٣ ، وفيه : « من مُدام تقول ها وَهْوُ نَجْم » برفع « وهى » و « مجاجة » ويجعل « ها » دالة على التنبيه كأنه قال : هذا وهى نجم ، إلا أنه قليل فى كلامهم » .

وسيأتى شرح الآمدى لهذه اللفظة فى الأسطر التالية ، وهو ما يرجح رواية الموازنة .

(٦) ديوانه : « وتَراها » بفتح التاء .

وقدْ ذَكَر هذه اللَّفْظَةَ فى موضْعٍ آخَر مِنْ شِعْرِه فقالَ فى وَصْفِ فَرَسٍ أَشْقَرَ (١) :

/ لَوْ أُوقِدَ المِصْباحُ مِنْهُ لَسَامَحتْ     بضِيائِهِ شِيةٌ كَوَهْيِ الكَوْكَبِ

وقَوْلُهُ : « أَوْ مُجَاجَةَ شَمْسٍ » من نحوِ هذا ، يريدُ ضَوْءَ الشَّمْسِ ، وضوؤُها هو الذى تَمُجُّه علىٰ الأَرْضِ .

وقولُهُ « أُفرِغَتْ فى الزُّجاجِ من كُلِّ قَلْبٍ » ، من معانِيهِ التى يُسَأَلُ عَنْها ، وإنما أرادَ « وتُراَها إذا أُجِدَّتْ » بضمّ التاء ، أى : تَحْسَبُها أُفرِغَتْ فى الزُّجاجِ من كُلِّ قَلْبٍ ، أى : كأَن القُلوبَ كَانَتْ أَوْعِيَتَها ، فمن أَجْلِ ذَلِكَ صارت مَحْبُوبَةً إلى كُلِّ نَفْسٍ .

وقدْ قِيلَ : إنَّما أرادَ أنّ الذى يَسْكُبُها فى الإناءِ لايَسْكُبُها بتَكَلُّفٍ ولا على سبيلِ ضَرورةٍ ، ولا عملٍ كسَائِرِ الأَعْمالِ التى لَا لَذَّةَ فِيها لِمَنْ يَعْمَلُها ، لكِنْ يَسْكُبُها وهو على أَتَمِّ شَهْوةٍ (٢) لِذَلِك ومَسَرَّةٍ بِهِ ، والتَّذاذٍ لَهُ ، فكأَنَّ قَوْلَهُ : « من كُلِّ قَلْبٍ » أى يُفَرِّغُها فى كَأْسِهَا من كُلِّ قَلْبِهِ ، فهذه كَلِمَةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ ، أَلا تراهم يَقُولُونَ : ليس هذا من كُلِّ قَلْبِكَ ، فى الشَّىءِ الذى يُظَنُّ أَنَّ الإِنْسانَ قَدْ أَبْطَنَ غَيْرَهُ (٣) .

---

(١) ديوانه ١ : ٢٨٤ وفيه « كضوء الكوكب » ، وذكر رواية الموازنة فى الهامش ، ولم يعرض أحد ممن شرح هذا البيت إلى هذا المعنى الذى ذكره الآمدى ، وهو المعنى الصحيح الذى يريده الشاعر ، وقد تعددت رواياته لعدم وضوح هذا المعنى فى أذهان رواته انظر : « هامش الديوان ، وعبث الوليد : ١٢٣ » ، وأنظر : ٤١٧ من هذا الجزء .

(٢) فى الأصل : « شهمة » تحريف .

(٣) قول الآمدى : « أى يُفَرِّغُها فى كَأسِها مِن كُلِّ قَلْبِهِ » لا يَقْتَضِيه المَعْنىٰ ، فالبُحْتُرِىُّ يقولُ : « إنها أُفْرِغَتْ فى الكَأس من قلوب كُلِّ عُشَّاقِها ومحبيها » وأَكَّد هذا بقوله فى الشطر الثانى : « فهى محبوبة إلى كلّ نفس » وهو المعنى الأول الذى عرضه الآمدى .

وهذا من نَادِرِ شِعْرِهِ ومَشْهُورِ إحْسانِهِ ومَعانِيهِ .

وقالَ أبو تمَّامٍ وكَتَب بها إلى الحَسَنِ بنِ وَهْبٍ يَسْتَهْدى مِنْهُ نَبيذا [١] :

جُعِلْتُ فِداكَ عَبدُ اللهِ عِنْدِى ... بِعَقْبِ البُعْدِ مِنْهُ والبِعَادِ [٢]
لَهُ لُمَةٌ من الكُتَّابِ بِيضٌ ... قَضَوْا حَقَّ الزِّيارَةِ والوِدَادِ
وأَحْسَبُ يَوْمَهُمْ إنْ لَمْ تَجُدْهُمْ ... مُصادِفَ دَعْوَةٍ مِنْهُمْ جَمادِ
فكم نَوْءٍ من الصَّهْباءِ سَارٍ ... وآخَرَ مِنْكَ بالمَعْرُوفِ غَادِ
فهذا يَسْتَهِلُّ علىَ غَلِيلِي ... وهَذا يَسْتَهِلُّ على بِلادِى [٣]
ويَسْقِى ذَا مَذانِبَ كُلِّ عِرْقٍ ... ويُتْرِعُ ذَا قَرارَةَ كُلِّ وَادِ
دَعَوْتُهُمُ عَلَيْكَ وكُنْتَ مِمَّنْ ... نُعَيِّنُهُ على العُقَدِ الجِيَادِ [٤]

قولُهُ : « البُعْدِ والبعادِ » جعلَ البُعدَ مِنْهُ فى مَوضِعِ هَجْرِهِ ، وجَعَلَ البِعادَ الغَيْبَة ، وقوم يَرْوُونَهُ : « بِعَقْبِ الصَّدِّ مِنْهُ والبِعَادِ » والذى قَالَهُ الرَّجُلُ هو هَذا ، لأنِّى كَذا وجَدتُهُ فى الأُصولِ العُتُقِ [٥].

وقولُهُ : « فهذا يَستَهِلُّ على غَليلِى » أى : يَروِى عَطَشِى « وهذا يَسْتَهِلُّ على بِلادى » أى عَلىٰ مَواطِنِى ومَحَلِّى ، وقَومٌ يَرْوُونَهُ « يَسْتَهِلُّ على تِلَادِى » وذاك عِندى خَطأٌ ، لأنَّهُ [ لا ] يؤدى إلى مَعْنًى [٦] ، إلّا أن يُعْلِمَنَا أنَّ مَعْرُوف

---

(١) ديوانه ١ : ٤٧٥ وشرح التبريزى ٢ : ٩٦ .
(٢) ديوانه وشرح التبريزى : « بعقب الهجر » .
(٣) ديوانه وشرح التبريزى : « على تلادى » .
(٤) ديوانه : « على العقل الجياد » .
(٥) وهى أيضا رواية ابن المستوفى : « قال المرزوقى : يخبر أن صديقا له ضافه بعَقْبِ البُعْدِ من داره والبِعَادِ أى الهجران والمصارمة ، وإنما يريد أن هذه الحال تقتضى له الاحتشاد والتكلف » « النظام شرحى المتنبى وأبى تمّام ١ : ٣٦٨ » .
(٦) فى الأصل : « لأنه يؤدى إلى معنى » .

الممدوحِ انْضَافَ إلى مالٍ له تَالِدِ ، وهذا يُوجِبُ ألّا يكُونَ مَعْروفُ المَمْدوحِ وقَعَ مِنه مَوْقِعَ حاجَةٍ كوقوعِ الشَّرابِ الذى بلَّ غليلَهُ ، ولأنْ يَكونَ استَهلَّ على بِلادِهِ[1] ومَحَلِّهِ أَوْلَى ، ولَيْس هو أيضًا بالجيِّد ولا الحُلوِ .

وقال البُحْتريُّ[2] – وكتَبَ بها إلى أحمدَ بن محمدٍ بن شُجاعٍ يَسْتَهْديهِ نَبيذًا فى آخر ليلة من شعبان –:

لكَ الخَيْرُ ! مامِقْدارُ عَفْوِي وما جُهْدِي ... و « آلُ حُمَيْدٍ » عندَ آخرِهِمْ عندي ؟
تتَابَعَتِ الطَّاءانِ : « طُوسٌ » و « طَيِّءٌ » ... فَقُلْ فى خُراسَانَ وإنْ شِئْتَ فى نَجْدِ
أَتَوْنِى بلا وَعْدٍ ، وإنْ لَمْ تَجُدْ لَهُمْ ... بِرَاحِهِمُ رَاحُوا جَميعًا على وَعْدِ
ولم أَرَ خِلاًّ كالنَّبِيذِ ، إذا جَفَا ... جفَاكَ لَهُ خُلّانُهُ وذَوُو الوُدِّ
ومِمَّا دَهَى الفِتْيانَ أَنَّهُمُ غَدَوْا ... بآخِرِ شَعْبانٍ عَلَى أَوَّلِ الوِرْدِ
غَدًا يَحْرُمُ المَاءُ القُراحُ وتَنْتَوِى ... وجُوهٌ من اللَّذاتِ مُشْجِيَةُ الفَقْدِ
أَعِنَّا[3] على يَومٍ يُشَيِّعُ لَهْوَنا ... إلى لَيْلَةٍ فِيهَا لَهُ أَجَــلٌ مُرْدِ
ولَسْتُ أَعُدُّ كَمْ يَدٍ لَكَ سَامَحتْ ... يَدِىَّ ومَجْدٍ مِنْكَ شَيَّدَ لِى مَجْدِي
وما النِّعْمَةُ البيضاءُ فى شِرْكَةِ الغِنى ... بَلِ النِّعْمَةُ البَيْضاءُ فى شِرْكَةِ الحَمْدِ

وهذا من جيِّدِ الشِّعْرِ وحُلْوِ المَعانى .

قولُهُ : « عِنْدَ آخِرِهم عِنْدِى » أىْ : عن آخرِهم . « وتَنْتَوِى وجُوهٌ » : هو من النِّيَّةِ والنَّوى أى : تَبْعُدُ .

---

(١) نقل ابن المستوفى قول الصولى : تَسْتَهِلُّ على عَطَشِى ومَعروفُك يستَهِلُّ على مالى ، وقال ابن المستوفى : وبحاشية : الصحيح من غير الصولى : « على بلادى » ، « النظام شرحى المتنبى وأبى تمّام ١ لوحة ٣٦٨ » .

(٢) ديوانه : ١ : ٤٩١ .

(٣) فى الأصل : « أعننا » وديوانه : « نشيّع » .

وقَوْلُهُ : « لكَ الخَيْرُ » أَحْسنُ من قَوْلِ أبي تمَّامٍ : « جُعِلْتُ فِداكَ » .

وقال البحتريُّ يخاطِبُ أبا صالح بنَ عَمَّارٍ الحَلَبِيَّ (١) :

أَخِى إنَّهُ يومٌ أَضَعْتُ بِهِ رُشْدِى ... ولَمْ أَرَ هَزْلِى فى انْصِرافِى ولا جِدِّى (٢)
تَرَكْتُكَ لمَّا اسْتَوْقَفَ الدَّجْنُ [ رَكْبَهُ ] ... عَلَيْنا ، وطار القَلْبُ خوفًا من الرَّعْدِ (٣)
يَجُرُّ علَىَّ الغَيْثُ هُدَّابَ مُزْنَةٍ ... وآخِرُها فيـــهِ وأَوَّلُهـــا عِنـــدى (٤)
تَعجَّـلَ عن ميقاتِـهِ فكأَنَّـــهُ ... « أبو صالحٍ » قد بتُّ مِنْهُ على وَعْدِ (٥)
وظَلْتُ أُقاسِى « حارثِيَّكَ » بَعْدما انْـ ... ـصَرَفْتَ ، فَسَلْنِى عن مُعاشَرَةِ الجُنْدِ (٦)

---

(١) ديوانه ١ : ٥٦٣ قال الصولى فى أخبار البحترىّ « حدثنى عبد الله بن الحسين قال : أخبرنى البحترى قال : كنت فى دعوة أبى صالح عبد الله بن محمد بن يزداد أنا ومحمد بن عتّاب والحارثى ، فخلع علىّ جبّة خزّ خضراء ، ووصلنى ورَطُبَ الجو ، فانصرفت ، فمازال المطر على رأسي ، فكتبت إلى ابن عتّاب « أخى إنه يوم .... البيت » فبلغ شعرى أبا صالح ، فوجّه إلىّ بجُبَّةٍ أخرى من جبابه » أخبار البحترىّ ١١٥ – ١١٦ ، وذكر محقق الديوان المقدمة التى أثبتت فى بعض النسخ وهى :

وقال للحارثى – وكانا مجتمعين فى مكان على مسرة وعلى البحترىّ جبّةُ خَزٍّ دكناءُ ، وعلى الحارثى جُبَّةٌ خضراء ، فانصرف البحترىّ فأدركه المطر فى الطريق ، ووجد فى منزله ابن عمّ للحارثى من الجند ، فتأذى بعشرته وندم على انصرافه : « الأبيات » .

(٢) ديوانه : « ولم أرض » .

(٣) مابين المعقوفين ساقطة من الأصل والتصحيح من الديوان ، وفى الديوان « وطار البرق » .

(٤) ديوانه : « لجرّ » ، « أواخرها » .

(٥) أبو صالح يعنى « أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد » وأرى أن ما ذهب إليه محقق الديوان « أن أبا صالح هنا هو ابن عمار » صحيح فقد ذكر الآمدى قبل هنا : « ص ٦١٦ » أن البحترى قد خاطب أبا صالح بن عمار الحلبى بقوله « هذا كتابك فيه الجهل والعنف » ، ووجدت فى أخبار البحترىّ : « ص ١١٥ » أن القصيدة كتبت فى أبى صالح بن يزداد ، وكذلك هذه القصيدة التى ذكر قصتها الصولى وأنها قيلت فى الشخصِ نفسِهِ .

(٦) يعنى ابن عم الحارثى من الجند ، الذى وجده فى بيته عند انصرافه .

٥٢ / له خُلُقٌ جَاسِي النَّواحِي كأَنَّنِي ... أُمارِسُ مِنْه هَادِيَ الأَسَدِ الوَرْدِ(١)

وهذا من أَحْسَنِ كلامٍ وأحلىٰ مَذْهبٍ .

وقال يُخاطِبُ أبا نوحٍ ويَسْتَهْدِيه شرابًا(٢) :

قَرُبَتْ من الفِعْلِ الكَرِيمِ يَداكَا ... ودَنا على المُتَطلِّبِينَ جَداكَا(٣)

فاسْلَمْ « أبا نوحٍ » لِتَشْيِيدِ العُلَا ... وَفَدَاكَ من صَرْفِ الزَّمانِ عِدَاكَا

إنى لأُضْمِرُ للرَّبِيعِ مَحبَّةً ... إذْ كُنْتُ أَعْتَدُّ الرَّبِيعَ أَخاكَا

وأراكَ بالعَيْنِ التِى لم تَنْصَرِفْ ... أَلْحاظُها إلّا أَتَى نُعْماكَا(٤)

ما لِلْمُدامِ تَأَخَّرتْ عن فِتْيَةٍ ... عَزَمُوا الصَّبُوحَ وأَمَّلُوا جَدْوَاكَا ؟

بَكَرتْ لَهُمْ سُقْيا السَّحابِ ، وقَصَّرتْ ... عَنْهُمْ أَوَانَ تَعِلَّةٍ سُقْياكَا

مَا كَان صَوْبُ المُزْنِ يَطْمَعُ قَبْلَها ... فى أَنْ يَجِىءَ نَداهُ قَبْلَ نَداكَ

ولَدَيْكَ صَهْباءٌ كأَنَّ نَسِيمَها ... من طِيبِ عَرْفِكَ أو جَمِيلِ نَثاكَا(٥)

وكأَنَّ بِشْرَكَ فى شُعاعِ كُؤُوسِها ... لَمَّا تَوالَتْ فى الأَكُفِّ دِرَاكَا

تَجْلُو بِرَوْنَقِها العيونَ إذا أَتَتْ ... رِسْلًا ، ونَشْرَبُها على ذِكْرَاكَا(٦)

يُغْنِى النَّدِيمَ عن الغِناءِ حَدِيثُنا ... بِمحَاسِنٍ لَكَ لم تَكُنْ لِسِوَاكَا

---

(١) ديوانه : « لدى خلق » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٥٦٨ وأبو نوح عيسى بن إبراهيم كاتب الفتح بن خاقان ، هرب ليلة قتل المتوكل مع خدمه وخاصته سنة ٢٤٧ « الطبرى ٩ : ٢٢٨ » ولحق بالمعتز فى جمادى الآخرة سنة ٢٥١ مع جماعة من الكتاب ، اعتقله أصحاب صالح بن وصيف بعد أن طلب الأتراك أرزاقهم فضربوه وعذبوه حتى مات لثلاث بقين من رمضان سنة ٢٥٥ « الطبرى ٩ : ٣٩٧ » .

(٣) ديوانه : « ونأى على المتطلبين مداكا » .

(٤) ديوانه : « إلا إلى نعماكا » .

(٥) ديوانه « ولديك صافية » .

(٦) ديوانه : « إذا بدت » .

فقولُهُ : « تَجلو برونَقِها العيونَ » أى : تَجلو أبصارَنا كما يُقال : النَّظرُ إلى كذا يَجْلو البَصَرَ .

وقال :[(١)]

عَدِمْتُ « النُّغَيْلَ » فما أَدْمَرَهْ ... وأَوْلَى الصَّديقَ بِأَنْ يَهْجُرَهْ[(٢)]
إذا قُلْتُ قَدَّمَهُ كَيْسُهُ ... عَرَاهُ من النَّقْصِ ما أَخَّرَهْ[(٣)]
دعانَا إلى مَجْلِسٍ فَاحِشٍ ... قَبيحٍ بذى اللُّبِّ أَنْ يَحْضُرَهْ
فجاءَ نبيذٌ لَهُ حَامِضٌ ... يَشُقُّ على الكَبِدِ المُقْفِرَهْ
إذا صُبَّ مُسْوَدُّهُ فى الزُّجا ... جِ فكَأْسُ النَّديمِ بهِ مِحْبَرَهْ !
تَرَكْتَ مُشمَّسَ « قُطْرُبُّلٍ » ... وجَرَّعْتَنا دَقَلَ « الدَّسْكَرَهْ »[(٤)]
ومالِى أَطَعْتُكَ فى شُرْبِهِ ... كأَنْ لَمْ أُخبِّرْهُ أو لَمْ أَرَهْ !
وكَيْفَ شَرِهْتُ إلى مِثْلِهِ[(٥)] ... وما كُنْتُ أَعْهَدُنى ذا شَرَهْ !
وما يَعْتَرِينِى الذى يَعْتَرِيـ ... ـكَ بِحَقِّ السَّوادِ من الأَبْخِرَهْ

---

(١) ديوانه ٢ : ٨٩٩ « وقال يهجو ابن رباح أحمد بن إبراهيم ، وكان دعاه فسقاه نبيذا حامضا فأعلَّه » .

(٢) النُّغَيْلُ : تصغير النَّغْلِ : وَلَدُ الزِّنْيَةِ ، وقد خَصَّ الشاعِرُ ابن رَبَاح بهذا الوصفِ وكَرَّرهُ فى قصائدِهِ التى هجاه بها ، فلا محلَّ لما اعْتقَدَه مُحقِّقُ الدِّيوانِ بأنَّه قد يكون اسمَ رَجُلٍ استنادا إلى ما أُوردَه الطَبرىّ فى حوادثِ سنة ٢٨٧ ، عندما كتب المعتضد إلى وجوه أهل طرسوس بعد أن قبض على وصيف الخادم « فأقبلوا إليهم ومنهم النُّغَيْلُ وكان من رؤساءِ الثَّغْرِ وابنٌ لَهُ » الطبرى ٨ : ٢٠٣ ، فقد عَرَّض الشَّاعِرُ بِنَسبِ أحمدَ بن رباح فى عدة مواضع من قصائده التى هجَاهُ بها ، انظر « ديوانه ١ : ٤٥٤ ، و ٣ : ١٨٩٠ ، و ٤ : ٢٤٢٧ » .

(٣) ديوانه : « كِيسه » بكسرِ الأَوّل ، والكَيْسُ بالفَتْحِ : الظَّرْفُ والفطِنَةُ ، وفى ديوانه : « عناه من النَّقصِ » .

(٤) دقل : أردأ التمر ، و « الدسكرة » : بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهى .

(٥) ديوانه : « ومالى شرهت » ، « أعرفنى بالشره » .

فلأياً عَزَمْنَا على الإنْصرَا ... فِ وقد أُوْجَبَ الوقْتُ أن تَحذَرهْ
فَقُمنا عَلَى عَجَلٍ والنُّجو ... مُ مُوَلِّيَةٌ قد هَوَتْ مُدْبِرَهْ
وكانَ الجَـوازُ على عِلَّـةٍ ... وكِدْنـا نُبَيَّتُ فى المِقْطَرهْ[١]
ولمَّا نَزَلْتُ أطلَّ الخُمَـا ... رُ بِحَدِّ سَمادِيرِهِ المُسْهِرهْ[٢]
ولا تَسْأَلَنِّـى عَنْ حَالَـةٍ ... بُلِيتُ بها صَعْبَةٍ مُنْكَرهْ
ولَيْلَةِ سُوءٍ أُمِرَّتْ عَلَىَّ [م] كَلَيْلَةِ شَيْخِكَ فِى « القَوْصَرَهْ »[٣]

هذا البيتُ الأخيرُ يَدلُّ على أنَّه « النُّغَيْلُ » بالنُّونِ[٤].

وقال أبو تمّام[٥]:

قَدْ عَرَفْنَا دَلَائِلَ المَنْعِ أَوْ مَا ... يُشْبِهُ المَنْعَ فِى احْتِبَاسِ الرَّسُولِ[٦]
وَافْتَضَحْنَا عِنْدَ الزَّبِيبِ بِمَا صَحَّ [م] لَدَيْهِ مِنْ قُبْحِ وَجْهِ الشَّمُولِ
فَاجَأَتْنَا كَدْرَاءَ لَمْ تُسْبَ مِنْ تَسْـ ... ـنِيمِ جِرْيَالِهَـا وَلَا سَلْسَبِيـلِ[٧]
بِعُقَارٍ لَانَشْرُهَا نَفْحَةُ المِسْـ ... ـكِ وَلَا خَدُّها بِخَدٍّ أَسِيـلِ[٨]

---

(١) المقطرة : خشبة تثقب ويشدّ بها الأسير ، ديوانه : « فكدنا » .

(٢) الخمار : صداع الخمر وبقية السكر ، السمادير : ما يتوهمه ضعيف البصر أمامه .

(٣) القوصرة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارى ، ويشير إلى قوله يهجو أبا رباح « ديوانه : ١ : ١٨٩١ » :

أراك رَجعْتَ إلى جَدِّكَ الـ ... ـشريف وقصَّتِهِ المُفْضِلَهْ
وَمسْراك فى بَطْنِ قَوْصَرةٍ ... مُحَرَّقةِ الخُوصِ مُسْتَعملَهْ

و « ابنُ قوصرة » هو المنبوذُ أو اللقيط كما يسميه أهلُ البَصْرَةِ ، أى وُجِدُ فى قوصرةٍ ، وهذا يُعزِّز رأيى فى معنى « النُّغَيل » ، انظر « اللسان مادة « قصر » » ، وفسرها محقق الديوان بأنّها جزيرةٌ فى بحر الروم ، وهو خطأ ، وانظر تعليق الآمدى على هذا البيت .

(٤) يرد بهذا على رواية « الثقيل » ، وهى التى اعتمدها أبو العلاء فى « عبث الوليد » : ١٠٥ .

(٥) ديوانه ٣ : ٤٣٥ وشرح التبريزى ٤ : ٤٨٣ .

(٦) ديوانه وشرح التبريزى : « باحتباس » .

(٧) تسنيم : عين فى الجنة ، أو ظهور الماء على وجه الأرض ، جريالها : حمرة الخمر .

(٨) ديوانه وشرح التبريزى : « من عقار » « لاريحها » .

وَكَأَنَّ الأَنَامِلَ اعْتَصَرَتْهَا بَعد كَدٍّ مِنْ مَاءِ وَجْهِ البَخِيلِ
فَهْىَ نَزْرٌ لَوْ أَنَّهَا مِنْ دُمُوعِ الصَّـ [م] ـبِّ لم تشف منه حرَّ الغليـلِ (١)
لاتَهَدَّى سُبْلَ الْعُرُوقِ وَلَا تَنْـ ـسلُّ من مِفْصَلٍ بِغَيْرِ دَلِيلِ (٢)
احْتِسَابًا بَذَلْتَهَا أَمْ تَصَدَّقْـ ـتَ بها رَحْمَةً عَلَى ابْنِ السَّبِيلِ
قَدْ كتبْنَا لَكَ الْأَمانَ فَمَا تُسْـ ـأَلُ شَيْئًا عُمْرَ الزَّمَانِ الطَّوِيلِ (٣)
رُبَّ مُعْطٍ قَدِ امْتَحَنَّا نَدَاهُ وَعَرَفْنَا كَثِيرَهُ بِالْقَلِيـلِ (٤)

فالبحتريُّ اقْتَصَّ ماجرىٰ عليهِ . وقولُهُ : « فكأْسُ النَّديمِ به مِخْبَرة » معنًى صالح .

وذمُّ أبى تمّامٍ لشرابِهِ أجودُ وأبلغُ ، وغرضُه فيه أحسنُ ، وقولُ البحتريِّ : « وكأسُ النَّديمِ به مِخْبَرة » نحو قول ابن الرّوميّ (٥) :

لَوْ تَرَانِى وَفِى يَدِى قَدَحُ الدُّو شَابِ أَبْصَرْتَ بَازِيَارَ الْغُرَابِ

٥٣ وما قال أوّلٌ ولا آخِرٌ فى وصف الخَمْرِ والنُّدْمانِ كقولِ أبى نواس / فإنّه أبرَّ فيه على مَنْ قَبْلَه ، ولم يَطْمَعْ فى اللّحاقِ به مَنْ بَعْدَه .

---

(١) ديوانه وشرح التبريزى : « وهى » ويجب أن يُصَحَّحَ تشطير البيت فيهما .
(٢) ديوانه والتبريزى : « فى مفصل » ، ويجب تصحيح تشطير البيت فيهما .
(٣) فى الأصل : « من أن تُسأَل » والتصحيح من الديوان والتبريزى ، وفيهما « تُسْأَلُهَا عمر ذا الزمان » .
(٤) ديوانه والتبريزى : « كم مغطى قد اختبرنا نداه » ، « واعتبرنا كثيره بالقليل » .
(٥) ديوانه ١ : ٣٤٠ ، وفيه « بازيارَ غُراب » ، والبازيار : هو الذى يَحمِل البازِىّ وهودخيل ومعربه : بيزار ، والدوشابُ : نبيذ الدبس ، وجعل ابن الرومى الغراب مكان البازىّ مصورا قدحَ النبيذِ الأسود فى يده ، وورد البيت فى « غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات » لابن ظافر الأزدى منسوبا إلى البحترىّ : ١٣٩ ، وفيه « بازياً وغرابا » ، « وانظر ملحق ديوان البحترىّ ٥ : ٢٥٠٥ » ، وفى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ١ : ٣٣١ غير منسوب ، وروايته « بازيا فى غراب » .

وقال البحتريّ فى بعض بَنِى حُمَيْدٍ(١):

خيْرُ يَوْمَيْكَ فِى الهَوَى واقْتِبَالِهْ(٢)

نَعِمَتْ كَأْسُهُ بِطِيبٍ فَقُلْنا ... أُعْطِيَتْ نَشْرَ خَلَّةٍ مِنْ خِلالِهْ

إنْ فزِعْنَا إلَيْهِ فى الرَّاحِ أدَّتْـ ... ـنا إِلَيْها طَوْعًا سُيوبُ سِجَالِهْ(٣)

نَتَلَقَّى المُدَامَ منْ جُودِ كَفٍّ ... يَخْتَطِيهَا لَنَا إلى حُرِّ مَالِهْ(٤)

فتَرَكْنَا يمينَهُ لِجَدَاهُ ... وَاستَمَحْنا نَاجُودَهُ مِنْ شِمَالِهْ(٥)

وهذا ما لا مزيدَ عليه فى الحُسْن والحلاوةِ والبراعة .

وقال يمدح بعضَ بنى مَخْلَدٍ ويطلب منه شرابًا(٦):

أَرَىٰ اللّٰهَ خصَّ « بَنِى مَخْلَدٍ » ... بأَكْرَمِ مَأْثُرَةٍ لِلْعَرَبْ

تُضَافُ الْخِلَافَةُ فِى دُورِهِمْ ... فَتُخْبِرُ عَنْ سَرْوِهِمْ بِالعَجَبْ

مُلُوكٌ لَهُمْ عَادَةٌ فِى القِرَىٰ ... تَوَارَثَهَا حَسَبٌ عَنْ حَسَبْ(٧)

تَرَى الكَأْسَ صَافِيَةً كَاللُّجَيْـ ... ـنِ ، وَالخَمْرَ صَافِيَةً كَالذَّهَبْ(٨)

---

(١) ديوانه ٣ : ١٨٣٨ وفيه : « وقال يمدح أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى » وأشار فى الهامش إلى اختلاف مقدماتها ، وقد أورد بعضها بأنها قيلت فى بعض بنى حُمَيْد .

(٢) عَجُزُهُ : « يومَ يُدْنيكَ هاجرٌ من وِصَالِهْ » .

(٣) فى الأصل : « من سيوب » ، ويختل وزن البيت والتصحيح من الديوان ، وفى الديوان : « طولا سيوب سِجَالِهْ » .

(٤) ديوانه : « من يَدِحُرٍّ » وفى الأصل : « تخطينا لها » والتصحيح من الديوان .

(٥) ديوانه : « ناجودها » .

(٦) ديوانه ١ : ١٣١ « يمدح صاعدا وبنيه » .

(٧) فى الأصل : « عداة » والتصحيح من الديوان .

(٨) ديوانه : « طافية » .

وقال فى علىّ بن يَحْيَى الأرْمَنِىّ(١) :

أَبْلِغْ أَبَا حَسَنٍ بِآيَةِ جُودِهِ عِنْدِى ونِعْمَتِهِ الَّتِى لَاتُجْهَلُ
إِنِّى بَلَوْتُ لَهُ خِلَالاً لَمْ يَرُحْ فى مِثْلِ أَصْغَرِهَا الغَمَامُ المُسْبِلُ
ماذَا نَقُولُ ، فَلَمْ تَزَلْ ذَا هِمَّةٍ فَصلٍ(٢) تَقُولُ بِهَا الجَمِيلَ وَتَفْعَلُ
فِى فِتْيَةٍ بَكَرُوا عَلَىَّ تَطَرُّبًا مِنْ أَوْجُهٍ شَتَّى وَفِيهِمْ « دِعْبِلُ » ؟
وَعَلَيْكَ سُقْيَاهُمْ لَنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ فِى نَوْبَةٍ إِلَّا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ
وَأَحَقُّ مَنْ وَسِعَ النَّدَامَىٰ جُودُهُ بالرَّاحِ مَنْ كَانَتْ لَهُ « قُطْرُبُّلُ »(٣)

* * *

(١) ديوانه ٣ : ١٨٥٦ على بن يحيى هو على بن يحيى المنجم ، كان نديم المتوكل ومن جلسائه ثم انتقل إلى من بعده من الخلفاء ، وكان أبوه قد أسلم على يد المأمون واختصه ، وكان على يلوذ بمحمد بن إسحاق المصعبى ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة كتب أكثرها حكمة ، وكان راوية للأشعار والأخبار حاذقا فى صنعة الغناء ، صنف عدة كتب وله أشعار حسان ، وعاش إلى أن خدم المعتمد على الله وتوفى فى أواخر أيامه سنة ٢٧٥ بسر من رأى . « الفهرست : ١٦٠ ، وفيات الأعيان ٣ : ١٧٣ ، تاريخ بغداد ١٢ : ١٢١ » .

(٢) ديوانه : « ماذا تقول » ، « فُضُلٌ » .

(٣) « قُطْرُبُّل » : اسم قرية بين بغداد وعُكْبَرا تُنْسَبُ إليها الخمرُ ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها « معجم البلدان » .

## بابٌ فى وَصْفِ الغِلْمانِ واستِهْدائِهم

قال أبو تمّام – وأَهْدى إليه الحسنُ بنُ وَهْبٍ غُلاما – فى قصيدته التى أوَّلُها :(١)

لَمكاسِرُ الحَسَنِ بنِ وَهْبٍ أَطْيَبُ(٢)

قَدْ جاءَنا الرَّشأُ الذى أهْدَيْتَهُ ... خرِقًا ولَوْ شِئْنا لَقُلْنا المرْكَبُ
لَدْنُ البَنانِ لَهُ لِسانٌ أَعْجَمٌ ... خُرسٌ معانِيهِ وَوَجْهٌ مُعْرِبُ
يَرْنُو فَيَثْلِمُ فى القُلُوبِ بِطَرْفِهِ ... ويَعِنُّ لِلنَّظرِ الحَرُون فَيُصْحِبُ
قَدْ صَرَّفَ الرَّانُونَ خَمْرَةَ خَدِّهِ ... وأَظُنُّها بالرِّيقِ مِنْهُ سَتُقْطَبُ(٣)
حَمْدٌ حُبِيتَ به وَأَجْرٌ حَلَّقَتْ ... مِنْ دُونِهِ عَنْقَاءُ لَيْلٍ مُغْرِبُ
خُذْهُ وإنْ لَمْ تَرْتَجِعْ مَعْرُوفَهُ ... مَحْضٌ إذا ذُكِرَ الرِّجالُ مُهَذَّبُ(٤)
وانْفَحْ لَنا مِنْ طيبِ خِيمِكَ نَفْحَةً ... إنْ كانتِ الأَخْلاقُ ممَّا يوهب(٥)

---

(١) ديوانه ١ : ٢٣٢ والتبريزى ١ : ١٢٧ .

(٢) عجزه : « وأمرُّ فى حَنَك الحسودِ وأَعْذَبُ » .

(٣) سقطت فاء « صرف » من الأصل .

(٤) ديوانه والتبريزى : « مَحْضٌ إذا مُزِج الرجال » ، وفى الأصل : « محضاً » .

(٥) ديوانه والتبريزى : « مما توهَبُ » .

وقال البُحْتُرِىُّ ، وأَهْدَى إليه محمدُ بنُ علىٍّ القُمِّىُّ غلامًا ، وكان البُحْتُرِىُّ يواصِلُهُ فانْقَطَعَ عنه ، فكتَبَ إليه محمّد بنُ علىٍّ[1] :

هَجَرْتَ كَأَنَّ الوَصْلَ أَعْقَبَ وَحْشَةً ... وما خِلْتُ وَصْلًا قَبْلَهُ يُعْقِبُ الهَجْرَا

فقال البُحْتُرِىّ مُجيبًا لَهُ :

فَتى مَذْحِجٍ عَفْوًا ، فتى مَذْحِجٍ غَفْرا ... لِمُعْتَذِرٍ جاءَتْ إساءَتُـهُ تَتْـرَا[2]
ومَنْ يَهَبُ النَّيْلَ الذى سَمَحَتْ بِهِ ... يَدَاكَ بلا مَنٍّ فَلَنْ يَمْنَعَ العُذْرَا
فإنْ قُلْتَ بِى كِبْرٌ ، فمِثْلُ الذى أرى ... عَلَى النَّاسِ من نُعْمَاكَ يَمْلَؤُنِى كِبْرَا
مواهِبُ لِى مِنْها الغِنَى فَمَتى التَقَى ... بِسَاحَتِها حَمْدٌ فَلِى حَمْدُها طُرًّا
تُضَافُ إلَىٰ مَجْدى وتَجْرِى إلَىٰ يَدى ... فَأَمْلِكُها مَالًا ، وأَمْلِكُها فَخْرَا
أَتَانِى قَرِيْضٌ مِنْكَ يَحْدُوهُ نَائِلٌ ... فأَنْطَقَنِى جُودًا ، وأَفْحَمَنِى شِعْرَا
وأَكْسَبَنِى شُغْلًا عَنِ الوَصْلِ شاغِلًا ... تُعاتِبُنِى فيـهِ ، وتَعْتَدُّه هَجْـرَا[3]
فَإِنْ كُنْتَ مَشْغُوفًا بِقُرْبِىَ آنِسًا ... بِشَخْصِى فَلِمْ خَوَّلْتَنِى ذَلِكَ البَدْرَا
لَئِن كَانَ إسْعافِى بِهِ مِنْكَ قَبْلَها ... وَفاءً لَقَدْ كانَ انْفِرَادِى بِهِ غَدْرَا
وماهُوَ إلّا دُرَّةٌ لَمْ أَجِـدْ لها ... سِوَى جُودِكَ الأَمْسِىِّ مِنْ دُونِها بَحْرَا[4]
حَمَلْتَ عَلَيْهِ فِى سَبِيلِ فُتُوَّةٍ ... هِىَ الثَّغْرُ دون المَجْدِ أو تَفْضُلُ الثَّغْرَا[5]
فأنْتَ تُصِيْبُ الحَمْدَ حَيْثُ تَلأْلأَتْ ... كواكِبُهُ إن أَنْتَ لَمْ تُصِبِ الأَجْرَا[6]

---

(١) ديوان البحترى ٢ : ٩٢٦ ، وانظر تخريج هذه القصة فى الهامش ، وفى ديوانه : « ولم أرَ وَصْلا » .
(٢) ديوانه : « فتى مَذْحِجٍ غفراً ، فتى مذحج عَفْوا » .
(٣) ديوانه : « وأكسبتنى » .
(٤) ديوانه : « إذْ بَرَزَتْ » .
(٥) ديوانه : « خلف المَجْدِ بل تَفْضُلُ الثَّغْرا » .
(٦) فى الأصل : « تصيب المجد » والتصحيح من الديوان ، وقد سبق البيت فى ١ : ٣٣٣ برواية الديوان وسيأتى شرح الآمدى عليها .

وَجدتُ نَدَاكَ اليَوْمَ ألطفَ مَوْقِعًا ... وَقَدْ كان لى خِلاًّ فأَصْبَحَ لِى صِهْرَا
فإنْ أنا لَمْ أَشْكُرْكَ نُعْمَاكَ جَاهِدا ... فلا نِلْتُ نُعمىً بَعْدَها تُوجِبُ الشُّكْرَا

أخذ مَعْنَى قَوْلِه :

« فأنْتَ تُصِيبُ الحَمْدَ حيث تلألأت ... كَواكِبُهُ ......................... »

/ مِنْ قَوْلِ أبى تَمَّامٍ : ١٥٤ أ

حَمْدٌ حُبِيتَ بِهِ وأَجْرٌ حَلَّقَتْ ... مِنْ دُونِهِ عَنْقَاءُ لَيْلٍ مُغْرِبُ

وبيت أبى تَمَّامٍ أجْوَدُ .

وقال البُحْتُرِيُّ يَسْتَهْدِى أبا إسْحَاقَ ابراهيمَ بنَ المُدبِّرِ غُلامًا[1] :

عَمِرْتَ أبا إسحاقَ ماصَلَحَ العُمْرُ ... ولا انْفكَّ مَزْهُوًّا بأيامِك الدَّهْرُ
لنا كُلَّ يَوْمٍ مِن عَطَائِكَ نَائِلٌ ... وعِنْدَكَ مِن تَقْرِيظِنَا أَبَدًا نَشْرُ[2]
وَأَنْتَ نَدًى نَحْتَلُّه حَيْثُ لا نَدًى ... وَقَطْرٌ يُرَجَّى جُودُهُ حَيْثُ لاقَطْرُ[3]
على أنَّنِى بَعْدَ الرِّضَا مُتَسخِّطٌ ... ومُسْتَعْتِبٌ مِنْ خُطَّةٍ سَهْلُها وَعْرُ
وَقَدْ أوحَشَتْنِى رَدَّةٌ لَمْ أكُن لَها ... بأَهْلٍ ولا عِندِى بتأويلِها خُبْرُ
فكمْ جئتُ طَوْعَ الشَّوْقِ مِنْ بُعْدِ غايَةٍ ... إلى غَيْرِ مُشْتَاقٍ وكَمْ ردَّنِى بِشْرُ[4]
وما بالُهُ يأبَى دُخُولِى وَقَدْ رأى ... خُروجِىَ مِنْ أبوابِكم ويَدى صِفْرُ[5]

---

(١) ديوانه ٢ : ١٠٦٦ .

(٢) ديوانه : « أبداً شكر » .

(٣) ديوانه : « وأنت ندى نحيا به » .

(٤) ديوانه : فَلِمْ ... وَلِمْ ردنى بشر » و « من بُعْدِ غايتى » ، وبشر : هو بشر بن الفرج النصرانى العُكْبرى ، « انظر ديوان البحترى ٤ : ٢٢٨٩ » .

(٥) ديوانه : « من أبوابه » .

وَقَدْ أَدْرَكَ الأَقْوامُ عِنْدَكَ سُؤْلَهُمْ     وعَمَّهُمْ مِنْ سَيْبِ إحسانِكَ الكُثْرُ
فكيفَ تَرىٰ المَحْمُولَ كَرْهًا على الصَّدىٰ     وقد صَكَّ رِجْلَيْهِ بأمواجِهِ البَحْرُ
تأتَّ لِمَوْتُورٍ بدا لَكَ ضِغْنُهُ     فإنَّ الحجابَ عِنْدَ ذِى خَطَرٍ وِتْرُ
وقَدْ زَعَمُوا أَنْ لَيْسَ يَغْتَصِبُ الفَتَى     عَلَى عَزْمِهِ إلّا الهَدِيَّةُ والسِّحْرُ
فإن كُنْتَ يَوْمًا لامَحالَةَ مُهْدِيًا     فَفِى الْمِهْرَجانِ الوقْتُ إن فاتَكَ الفِطْرُ (1)
وإنْ تُهْدِ مِيخَائِيلَ تُرْسِلْ بِتُحْفَةٍ     تَقَضَّى لها العُتْبىٰ ويُغْتَفَرُ الْوِزْرُ
غَرِيرٌ تراءاهُ العُيُونُ كأنَّما     أَضاءَ لَها فى عَقْبِ دَاجِيَةٍ فَجْرُ
ولَوْ يَبْتدِى فى بِضْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً     مِنَ الشَّهْرِ مَاشَكَّ امرؤٌ أَنَّه البَدْرُ
إذا انْصَرَفَتْ يَوْمًا بعطْفَيهِ لَفْتَةٌ     أو اعْتَرَضَتْ من لَحْظِهِ نَظْرَةٌ شَزْرُ
رَأَيْتَ هوىٰ قَلْبٍ بطيئًا نُزُوعُهُ     وحاجَةَ نَفْسٍ لَيْسَ عن مِثْلِها صَبْرُ
ومِثْلُكَ أَعْطَى مِثْلَهُ لم يَضِقْ بِهِ     ذِراعًا ولَم يَحْرَجْ به أو لَهُ صَدْرُ
علىٰ أَنَّه قَدْ مَرَّ عُمْرٌ لِطِيبِهِ     ومِنْ أَعْظَمِ الآفاتِ فى مِثْلِهِ العُمْرُ
غدًا تُفْسِدُ الأَيَّامُ مِنْهُ ولَمْ يَكُنْ     بأَوَّلِ صافى الحُسْنِ غَيَّرَهُ الدَّهْرُ
١٢ ب / ويُمْنىٰ بِحِضْنَىْ لِحْيَةٍ مُدْلَهِمَّةٍ     لخَدَّيهِ مِنْها الوَيْلُ إن ساقَها قَدْرُ
تجافَ له عَنْهُ فإنَّكَ واجِدٌ (2)     به ثَمَنًا يُغْلِيهِ فِى مَدْحِكَ الشِّعْرُ
ولا تَطْلُبِ العِلّاتِ فيهِ ، وتَرْتَقِى     إلىٰ حِيَلٍ فِيها لِمُعْتَذِرٍ عُذْرُ
فَقَدْ يَتَغَابىٰ المَرْءُ فى عُظْمِ مالِهِ     ومِنْ تَحْتِ ثَوْبَيْهِ المُغِيرَةُ أَوْ عَمْرُو (3)

---

(١) ديوانه : « إذ فاتنا » .

(٢) ديوانه : « تجاف لنا » .

(٣) المغيره بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى أحد دهاة العرب ، يقال له « مغيرة الرأى » أسلم سنة ٥ للهجرة وشهد الحديبية والفتوح ، تولى الكوفة والبصرة ، رضى الله عنه « الإصابة ٨١٨٥ » .

وعمرو : هو عمرو بن العاص رضى الله عنه وكان من دهاة العرب ، وفى الأصل : « المغيرة أم عمرو » ، وفى ديوانه « ومن تحت برديه » .

وَيَخْرُقُ بالتَّبذيرِ وهو مُجَرَّبٌ    فلا يتمارىٰ القَوْمُ فى أَنَّه غُمْرُ
ومَنْ لَمْ يَرَ الإيثارَ لَمْ يَشْتَهِرْ لَهُ    فَعالٌ ولَمْ يَبْعُدْ لسُؤدَدِه ذِكْرُ (١)
فإنْ قُلتَ نَذْرٌ أو يَمِينٌ تَقَدَّمَتْ    فأىُّ جَوادٍ حَلَّ فى مالِهِ نَذْرُ ؟
أَتَعْتَدُّهُ عِلْقاً كَرِيمًا ؟ فإنَّما    مَرامُ كَرِيمِ القَوْمِ أن يَكْرُمَ الذُّخْرُ (٢)
وإنْ كُنْتَ تَهْواهُ وَتَأْبَى فِراقَهُ    فَقَدْ كَان « وَفْرٌ » قَبْلَهُ فَمضىٰ « وَفْرُ » (٣)
وأَلْطَفُ مِنْهُ فى الفُؤادِ مَحَلَّةً    ثَناءٌ تُبَقِّيهُ القَصائِدُ أو شُكْرُ

وهذا مِنْ إحسانِ أبى عُبادةَ المَشْهُورِ .

وقال يُخاطِبُ أبا جَعْفرِ بنَ حُمَيْدٍ ويستهديهِ غُلامًا فى قصيدة أَوَّلُها (٤) :

أَبُكاءً فى الدار بَعْدَ الدَّارِ (٥)

قَدْ مَلَلْناكَ ياغُلامُ ، فغادِ    بسلامٍ أو رائحٌ أو سارِ (٦)
سَرِقاتٌ مِنّى خُصوصًا فهلّا    من عَلُوٍّ أو صاحِبٍ أو جارِ (٧)
أنا مِن «ياسِرٍ» و «يُسْرٍ» و «فَتْحٍ»    لَسْتُ من « عامِرٍ » ولا « عَمَّارِ »
لا أُرِيدُ النَّظِيرَ يُخْرِجُه الشَّتْـ    ـمُ إلىٰ الاحتجاجِ والإفتخارِ
وإذا رُعْتُــهُ بناحِيَــةِ السَّوْ    طِ على الذَّنْبِ راعنى بالفِرارِ
ما بأرضِ العِراقِ ياقومِ حُرٌّ    يفتدينى من خِدْمَةِ الأَحْرارِ ؟
هَلْ جَوادٌ بأبيضٍ مِنْ بَنى الأَصْـ    ـفَرِ ، ضَخْمِ الجُدودِ مَحْضِ النِّجارِ ؟

---

(١) ديوانه : « بسؤدده » .
(٢) ديوانه : « أتعتدّهُ ذُخْراً كريماً » .
(٣) وفر : اسم غلام لابن المدبر « انظر ديوان البحترى ٤١٦ ، ١٠٥٨ » .
(٤) ديوانه ٢ : ٩٨٦ .
(٥) عجزه : « وسُلُوّاً بزينب عَنْ نوارِ » .
(٦) ديوانه : « فألّا » .
(٧) هذه أسماء غلمان وخدم . وفى ديوانه : « ..... ويسر وسعيد ... » .

لَمْ تَرُعْ قَوْمَهُ السَّرايا ولَمْ يَغْـ ... ـزُهُمُ غَيْرُ جَحْفَـلٍ جَرَّارِ (١)

أو خَمِيسٍ كَأَنَّما طُرِقُوا مِنْـ ... ـهُ بِلَيْلٍ ، أو صُبِّحوا بِنَهارِ (٢)

فى زُهاهُ أبو سعيدٍ على آ ... ثارِ خَيْلٍ قَدْ حاجَزَتْه بِثارِ (٣)

يَتَلَظَّى كأنَّهُ لِصُفُوفِ السَّـ ... ـبْىِ فى عسكريهِ ذُو الأذعارِ (٤)

فَوْقَ ضَعْفِ الصِّغارِ إِنْ وُكِّلَ الأَمْـ ... ـرُ إِلَيْهِ ، ودُونَ كيدِ الكِبارِ

١٢١ / رشأً تُخْبِرُ القَراطِقُ مِنْهُ ... عَنْ كَنارٍ تُضىءُ تَحْتَ الكَنارِ (٥)

« عن كنارٍ » أى عَنْ جِسْمٍ يُضِيء كالنَّارِ « تحت الكنار » ، أى تحت القَبَاء الذى يلبسه على جَسَدِه ، أراهُ بالرُّومِيَّةِ ، وهو اسم للقَبَاء مَعْرُوفٌ .

لك من ثَغْرِهِ وخَدَّيْهِ ما شِئْـ ... ـتَ مِنَ الأُقْحُوانِ والجُلنَّارِ

أَعْجَمِىٌّ إلا عُجالَةَ لَفْظٍ ... عَرَبِـىٌّ تَفَتُّـحَ النُّـوَّارِ (٦)

وكأنّ الذَّكاءَ يَبْعثُ مِنْـهُ ... فى سَوادِ الأُمُورِ شُعْلَةَ نَارِ

يا « أبا جَعْفَرٍ » وما أَنْتَ بالمَدْ ... عُوِّ إلّا لِكُلِّ أَمْرٍ كُبَارِ

شَمْسُ شَمْسٍ وبَدْرُ آلِ حُمَيْدٍ ... يَوْمَ عَدِّ الشُّمُوسِ والأَقْمارِ

وفتى « طَيِّىءٍ » وشَيْخُ « بنى الصا ... مِتِ » أَهْلِ الأَحْسَابِ والأَخْطَارِ

---

(١) فى الأصل : « ولمّا يَغْزُهُم ... » والتصحيح من ديوانه .

(٢) فى الأصل : « بليلة » ، ولا يصح بها الوزن ، والتصحيح من ديوانه .

(٣) فى ديوانه : « قد صبحته » .

(٤) ديوانه :

يتلظى كأنه لِصنُوفِ السَّـ ( م ) ـبِى فى عسكرٍ شهابُ النَّارِ

وفى الأصل : « ذو الأعذار » تحريف ، والتصحيح من ديوانه ، وذو الأذعار : تبع بن أبرهة « جمهرة الأنساب : ٤٣٨ » ، وفى اللسان : ذو الأذعار لقب ملك من ملوك اليمن ، لأنه زعموا أنّه حمل النسناس إلى بلاد اليمن فذعر الناس منه . وقيل : ذو الأذعار جدّ تبّع ، كان سبى سبيا من الترك فذعر الناس منه ، « اللسان – ذعر » .

(٥) القراطق : جمع قُرْطَق وهو القَبَاء . وفى ديوانه : « يُضىءُ » .

(٦) فى الأصل : « إلا تفتح النَّوار » والتصحيح من ديوانه .

لك مِنْ « حاتِمٍ » و « أوْسٍ » و « زَيْدٍ » إرْثُ أُكرومَــةٍ وإرْثُ فَخَــارِ
سُمُــحٌ بين بُرْمَــةٍ أعْشَارٍ تتكفَّــا ، وجَفْنَــةٍ أكْسَارِ
وسيــوفٍ مطبوعــةٍ بالمنايــا (١) واقعــاتٍ مواقِــعَ الأقْــدَارِ
تِلْك أفْعَالُهم عَلَى أوَّلِ الدَّهْــرِ (٢) ، وكانُــوا جَداولاً مِنْ بحارِ
أمَلِى فيكُمْ وحقِّى عَلَيْكُمْ وروَاحِــى إلَيْكُــمْ (٣) وابْتِكــارِى
واضطِرَابِى فى النَّاسِ حَتَّى إذا عُدْتُ إلى حَاجَةٍ فأنْتُمْ قَصَارى
ولَعَمْرى للْجُودُ للنَّــاسِ بالنَّاسِ سِوَاهُ بالثَّوْبِ والدِّينَــارِ
وعَزِيزٌ إلا لَدَيْكَ بهذا الـ (٤) فَجِّ أخْذُ الغِلْمــانِ بالأشْعَــارِ

وهذه ألْفَاظٌ ما أظُنُّك سمِعْتَ بمثلها ، ولا مثل ألْفاظِها وسَبْكِها وكَثْرةِ مائِها ورَوْنَقِها .

وقال البحترى – وهى مِن مُجُونه النَّادِرِ (٥) –:

يا أبا جَعْفَرٍ غَدَوْنَا حَدِيثًا فى سواجيرِ مَنْبِجٍ (٦) مُسْتَفِيضَا
عَظُمتْ عِذْرَتى (٧) إلَيْك وطالتْ فاغْفِرَن ذَنْبِىَ الطَّوِيلَ العريضا

---

(١) ديوانه : « للمنايا » .
(٢) ديوانه : « على قِدَم الدهر » .
(٣) فى الأصل : « ورواحى إليهم » والتصحيح من ديوانه .
(٤) ديوانه : « بهذا الفخ » بالخاء المعجمة .
(٥) ديوانه ٢ : ١٢١٢ وقال الصولى فى أخبار البحترى : ١٣١ : حدثنى أبو الغوث قال : كان أبو مسلم الكجى وجد على أبى لأنه اتهمه بإفساد غلام له ، فكتب إليه :

يا أبا مسلم غدونا حديثا .... البيت .

فقال له أبو مسلم : عذرك أشدّ من جرمك ، ولو كان الغلام مملوكا لوهبته ولكنه حر ، وقد وجهته إليك بأجرته لسنة ، وأمرته بخدمتك .
(٦) مَنْبِج : مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة بينها وبين الفرات ثَلاثَةُ فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ « معجم البلدان » .
والسواجير : جمع ساجور وهى العصاة التى تعلق فى عنق الكلب : وهو نهر مشهور من أعمال منبج بالشام « معجم البلدان » .
(٧) ديوانه : « عَرُضَتْ عذرتى » ، وفى الأصل : « عذرى » .

نِكْ غُلامِى إذا اتَّخذْتُ غُلامًا　　　واعْفُ إنَّ المعروفَ كان قُروضا
قَطَع « ابنُ الغلائِلِىِّ » ودادًا　　　كانَ مِنْ قَبْلُ وصلُهُ مَفْرُوضا (١)
بِتُّ أُعْطَى مِنْهُ غَرَائِبَ حُسْنٍ　　　باتَ مِن مَنْعِها الوفاءُ مَرِيضا (٢)
كَفَلًا نَاعِما ، وكَشْحًا لَطِيفًا　　　وقَوَامًا لَدْنًا ، وطَرْفًا غَضيضًا
وغِنَاءً لِمَنْ أرادَ غِنَاءً　　　وقريضًا لِمَنْ أرادَ قَرِيضاَ
مِنْ جوادٍ سَمْحٍ يُجَمِّشُ باللَّحْـ　　　ـظِ ذكاءً ويفْهَمُ التَّعْرِيضا
ومُبَاحٌ فَمَّا يُحَصِّنُهُ السُّو　　　رُ ، ولو باتَ دُونَهُ مَعْرُوضَا
وإذا ما أردتَ أَنْ تَمْنَعَ النَّا　　　سَ وُرُودَ الفُراتِ كُنْتَ بَغِيضَا

وقال أبو تمّام يخاطِبُ الحَسَنَ بن وَهْبٍ (٣) :

أبا عَلِىٍّ لِصَرْفِ الدَّهرِ والغيرِ　　　ولِلَّيالِــى ولِلْأيــامِ والعِبَــرِ (٤)
أَذْكَرْتَنِى أَمْرَ داودٍ وكنتُ فَتًى　　　مُصرَّفَ القلبِ فى الأهواءِ والذِكَرِ (٥)
أَعِنْدَكَ الشَّمْسُ قد راقت محاسِنُها　　　وأنت مُشْتَعِلُ الأحشاءِ بالقَمَرِ (٦)

---

(١) فى الأصل : « قطع ابن الغلائلى منى ودادا » ولا يصح بها الوزن ، والتصحيح من ديوانه .

(٢) ديوانه : « بات عن منعها » .

(٣) ديوانه ٣ : ٥١١ والتبريزى ٤ : ٤٦٣ ، وقال الصولى فى أخبار أبى تمّام « ص ١٩٤ » : حدثنى محمد بن موسى قال : كان أبو تمّام يعشق غلاما خزريا كان للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشق غلاما كان لأبى تمّام روميًا ، فرآه أبو تمام يوما يعبث بغلامه فقال : والله لئن أعنقت إلى الروم لنركضنَّ إلى الخزر ، فقال ابن وهب : لو شئت لحكمتنا واحتكمت ، فقال له أبو تمّام : أنا أُشبِّهُك بداود وأُشبِّهنى بخصمه فقال الحسن : لو كان هذا منظوما خفناه ، فأما منثورا فهو عارض لا حقيقة له ، فقال أبو تمّام : « الأبيات » .

(٤) ديوانه والتبريزى : « وللحوادث والأيام » ، وفى الأصل : « والأيام » ولا يصح بها الوزن .

(٥) قال الصولى : يقول : كانت لداود عليه السلام ثلاثمائة زوجة فأحب أن يتزوج امرأة رجل ليس له غيرها وكذلك أنت ، لك مائة غلام ، وتريد غلامى .

وقال التبريزى : فلما قرأ الحسن الأبيات بعث إلى أبى تمّام الغلام الخزرى فرده وكتب معه : « لمكاسر الحسن بن وهب » القصيدة التى تقدمت وفى ديوانه وشرح التبريزى : « فى الأهواء والفكر » .

(٦) فى الأصل : « عندك الشمس » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى .

إن أنت لَمْ تَتْرُكِ السَّيْرَ الحَثِيثَ إلى جآذِرِ الرُّومِ أُعْنَقْنا إلى الخَزَرِ
إنَّ النُّفورَ له مِنِّى مَقَرُّ هَوًى يَحُلُّ مِنِّى مَحَلَّ السَّمْعِ والبَصَرِ (١)
فَرُبَّ أَمْنَعَ مِنْهُ جانبًا وحِمىً قد بات لَيْلَتَهُ مِنِّى علىٰ حَذَرِ (٢)
سَيَّرتُ فيه جنودَ العَزْمِ فانكشفَتْ عَنْهُ غيابتها عَنْ نَيْكَةٍ هَدَرِ (٣)
سبحانَ من سَبَّحتْهُ كُلُّ جارِحةٍ مافيك من طَمَحانِ الأَيْرِ والنَّظَرِ
أنت المقيمُ فما تَسْرِى رواحِلُه وأَيْرُهُ أبدًا مِنْهُ على سَفَرِ (٤)

وهذا أيضًا جيِّدٌ حُلوٌ .

وقال أبو تمّامٍ أيضًا (٥) :

كَشَفَتْكَ الأيامُ ياإنسانُ لا تكن لِلَّذى أَهَنت الهوانُ
إنْ تَكُن قد فُضِضْتَ بَعْدِى فَلَيْسَتْ بِدْعَةً أَنْ يُفَلَّقَ الرُّمانُ (٦)
نَشَرتْكَ الكؤوسُ بَعْدَ عَفافٍ كُنتَ تُطْوىٰ من تَحْتِهِ وتُصَانُ (٧)
أَيُّها السّابِقُ المسامِحُ فى الـ ـلَذَّاتِ والقَصْفِ أين ذاك الحِرَانُ ؟
ماتحدَّاكَ رائضٌ لك إلَّا قُلْتُ بينى وبينَكَ المَيْدَانُ
كيف أَشْقَىٰ بكم ويَسْعَدُ غَيْرى بهواكُمْ حُبِّى إذَنْ كشخانُ (٨) ؟

(١) ديوانه والتبريزى : « إن النفور له عندى ... » .
(٢) ديوانه والتبريزى : « أمسىٰ وتِكَّتُهُ منى على خطر » .
(٣) ديوانه والتبريزى : « جردت له » وفى الأصل « فانصمت عنه » تحريف والتصحيح من ديوانه
(٤) ديوانه والتبريزى : « فما تغدو رواحِلُهُ » .
(٥) ديوانه ٣ : ٢٠٥ والتبريزى ٤ : ٤٣٣ يخاطب غلامه « عبد الله الكاتب بن يزيد المباركى » أنظر التبريزى .
(٦) ديوانه : « أن يُفَلّىٰ الرمان » .
(٧) التبريزى : « نشرتك الكفوف » .
(٨) الكشخان : الديوث . وفى ديوانه والتبريزى : « لِمَ أشقى » .

وهذا من ردىءِ شعرهِ وباردِهِ المشهورِ فى هذا المَعْنى .

ولأبى تمّامٍ فى ذِكر المُردان وهجائِهم وخروجِ اللِّحىٰ والنَّتْفِ ونحوِ هذه المعانى
١١ مقطوعاتٌ كثيرة / رديئةٌ ليس فى ذِكْرِها فائِدة .

وممّا يَدْخُلُ فى هذا البَابِ ما قاله البُحْتُرِىُّ فى غُلامِه « نسيم » ، فمن ذَلِك قولُهُ فيه وقد باعَه :(١)

قُلْ للجَنُوبِ إذا غَدْوتِ فَبلِّغى      كَبِدى نسيمًا من جَنَابِ نسيمِ
أَخُدِعْتُ عَنْكَ وأنت بَدْرٌ خَادِعٌ      لِلَّيلِ مِنْ ظُلَمٍ(٢) له وغُيُومِ ؟
كَرُمَ الزَّمانُ ولُمْتُ فيك ، ولا ترىٰ(٣)      عَجَبا سِوَى كَرَمِ الزَّمانِ ولُومِى
وظَلَمْتُ نَفسىَ جاهِدا فى ظُلْمِها      فاسْمع نَدامةَ(٤) ظالِمٍ مَظْلُومِ
قد زاد يَوْمُ البُؤْسِ بعدك أنَّهُ      أَفْضَىٰ إلىَّ بعُقْبِ يَوْمِ نَعِيمِ
وأَقَمْتَ فِى قلبى وشَخْصُكَ سائِرٌ      لاتَبْعُدَنْ من سائرٍ(٥) ومُقِيمِ
لا كان وجدى ، أين كان وأَنْتَ لى      مِلْكٌ ، وعهدى مِنْكَ غيْرُ ذميمِ
الآن أطْمَعُ فى هَوَاكَ وبينَنَا(٦)      عَيْنُ الرَّقيب وبابُ « إبراهيمِ »

---

(١) ديوانه ٣ : ١٩٩٠ وجاء فى هامشه : وقال فى غلام له يعرف بنسيم ، وكان يحبه حبا شديدا ، ويقول : لو أعطيت به منية المتمنى لما ملكه أحد ، فرام إبراهيم بن الحسن بن سهل شراءه ، فقبضه ما كان يرى من ضنّه به ، فقال له أبو العَنْبَسِ الصَّيمرى : والله لو وجد ربح عشرة دراهم بوالدته لباعها ، فكيف لا يبيع غلامه ، فزد عليه فى سومك شيئا ، فزاده ، وتقرر على مائة وخمسين دينارا ثمنه ، فلما خرج من يده قال هذه المقطعات حتى أحوج إبراهيم إلى رده عليه : « وانظر : طبقات الشعراء المحدثين : ٣٩٣ » .

(٢) ديوانه : « عن ظلم » .

(٣) ديوانه : « ولن ترى » وقال أبو العلاء فى عبث الوليد : ٢١٢ : قوله : « لمت فيك » يريد لؤمت ، وذلك ردىء جدا .

(٤) ديوانه : « فاسمع مقالة ظالم » .

(٥) ديوانه : « لا تبعدن من ظاعن ومقيم » .

(٦) ديوانه : « الآن أطمع فى هواك ودونه » .

وقال :(١)

دعا عَبْرتى تَجْرى على الجَوْرِ والقَصْدِ ... أظُنُّ « نسيمًا » قارفَ الهَجْرَ من بَعْدى

خَلا ناظِرى من طَيْفِهِ بعد شَخْصِهِ ... فيا عَجَبًا للدَّهْرِ فَقْدًا عَلَىٰ فَقْدِ

خَليلىَّ هل من نَظْرَةٍ تُوصِلَانِها ... إلىٰ وجناتٍ يَنْتَسِبْنَ إلىٰ الوَرْدِ (٢)

وَقَدٌّ يكادُ القَلْبُ يَنْقدُّ دُونَهُ ... إذا اهتزَّ فى قُرْبٍ من العَيْنِ أو بُعْدِ

بِنَفْسى حَبيبٌ نَقَّلُوهُ عن اسْمِهِ ... فباتَ غريبًا فى رَخاءٍ وفى سَعْدِ (٣)

ويا حائِلًا عن ذَلِكَ الإسمِ لاتَحُلْ ... – وإنْ جَهِدَ الأعداءُ – عن ذلك العَهْدِ

كفىٰ حَزَنًا أنَّا على الوَصْلِ نَلْتَقِى ... فَوَاقًا فَتُثْنِينا العيونُ إلى الصَدِّ

فَلَوْ تُمْكِنُ الشَّكْوى لخَبَّرَكَ البكا ... حقيقةَ ماعِنْدى وإنْ جَلَّ ماعندى

هَوًى لاجميلٌ فى بثينةَ نالَهُ ... بِمِثْلٍ ، ولا عَمْرُو بنُ عَجْلانَ فى هِنْدِ (٤)

غُصِبْتُكَ مَمْزُوجًا بنفسى ، ولا أُرَى ... لهم زَاجِرًا يَنْهَىٰ ولا حَاكِمًا يُعْدِى

فوا أسَفًا لَوْ قاتل الأسَفُ الجَوَىٰ ... ولَهْفِى لَوَ انَّ اللَّهْفَ فى ظالِمٍ يُجْدِى

أبا الفَضْلِ فى تسعٍ وتسعينَ نَعْجَةً ... غِنىً لكَ عَنْ ظَبْىٍ بِسَاحَتِنا فَرْدِ (٥)

---

(١) ديوانه ١/٥٢٧ .

(٢) فى الأصل : « إلىّ وجَنّاتٍ » والتصحيح من ديوانه .

(٣) ديوانه : « فى رجاء » بالجيم .

(٤) جميل بن معمر العذرى وبثينة قصتهما معروفة .

أما عمرو بن عجلان فهو : عبيد الله بن عجلان بن عبد الأحب الهندى ، شاعر جاهلى ، أحد المتيمين من الشعراء ، ومن قتله الحب منهم ، وكان له زوجة يقال لها « هند » فطلقها ثمّ ندم على ذلك فتزوجت زوجا غيره فمات أسفا عليها .

وفى تزيين الأسواق : ١٤٠ « ولا عبد بن عجلان » ، وانظر الأغانى ١٩ : ١٠٢ ، والشعر والشعراء ٧١٦ .

(٥) يشير إلى قصة سيدنا داود عليه السلام كما أشار قبله أبو تمّام فى بيته السابق : « أذكرتنى أمر داود وكنت فتى » وإلى ما جاء فى الآية الكريمة : « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نَعْجَةٌ واحدة فقال اكفلنيها وعزّنى فى الخطاب » « سورة ص ، آية ٢٣ » .

أتأخُذه مِنّى وقَدْ أُخذَ الجَوَىٰ   مآخِذَه ممَّا أُسِرُّ وما أُبْدِى ؟
وتخطو إليه صَبْوتِى وصَبابَتِى   ولَمْ يخْطُهُ بَثِّى ولَمْ يَعْدُهُ وَجْدِى
وقلتَ : آسْلُ عَنْهُ والجوانِحُ حَوْلَهُ   وكيفَ سُلُوُّ ابنِ المُفرِّغ عَنْ بُرْدِ (١)

وقال فيه : (٢)

أنسيمُ هَلْ للدَّهْرِ وعْدٌ صادِقُ   مِمّا يَؤَمِّلُهُ المُحِبُّ الوامِقُ ؟
مالى فَقَدتُكَ فى المنامِ ولَمْ تَزَلْ   عَوْنَ المَشُوقِ إذا جَفَاهُ الشائِقُ
أَمُنِعْتَ أنت مِن الزِّيارَةِ رِقْبَةً   مِنْهُم ، فَهَلْ مُنِعَ الخيالُ الطارقُ ؟
اليوم جَازَ بِىَ الهَوىٰ مِقْدَارَهُ   (٣) فى أهْلِهِ ، وعَلِمْتُ أنّى عاشِقُ
فَلْيَهْنِىءِ « الحسنَ بنَ وَهْبٍ » أنّه   يَلْقَى أَحِبَّتَهُ ونَحْنُ نُفارِقُ

* * *

(١) ابن المفرِّغ : يزيد بن ربيعة ابن مفرِّغ الحميرى من شعراء الدولة الأموية ، هجَّاءٌ ، صحب عباد ابن زياد ، فلم يحمد صحبته فهجاه ، فقبض عليه عباد ، واستعدى عليه غرماءه فى دين عليه فباع أمواله ومنها غلام يقال له برد كان يعدل عنده ولده فقال :

يا بُرْدُ ما مَسَّنا دَهْرٌ أضَرَّ بِنا   مِنْ قَبْلِ هذا ولا بِعْنَا لَهُ وَلَدَا

« الشعر والشعراء ٣٦٠ ، الأغانى ١٧ : ٥١ » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٥٠٩ .

(٣) ديوانه : « فى أصْلِهِ » .

# باب

## فى وصف الرياض والأنوار والسحائب والأمطار وذكر الأبنية

قال أبو تَمّامٍ فِى وَصْفِ الزَّهْرِ[1] :

| | |
|---|---|
| رَقَّتْ حواشى الدَّهْرِ فهْى تَمرمَرُ | وغَدَا الثَّرى فى حَلْيِهِ يَتكَسَّرُ |
| نَزلتْ مُقدِّمةُ المصيفِ حَميدةً | ويدُ الشِّتاءِ جديدةٌ لاتُكْفَرُ |
| لولا الذى غَرسَ الشِّتاءُ بكفِّهِ | لاقى المصيفُ هَشائِمًا لاتُثْمِرُ |
| كَمْ ليلةٍ آسَى البلادَ بِنَفْسِهِ | فيها ويومٍ وبْلُهُ مُثْعَنْجِرُ |
| مَطرٌ تنوقُ الصَّحْوَ مِنْهُ وبَعْدَهُ | صَحْوٌ يكادُ مِنَ الغضارةِ يُمْطِرُ[2] |
| ونَدًى إذا ادَّهَنَتْ بِهِ لِمَمُ الثَّرى | خِلْتَ السَّحابَ أَتَاهُ وهو مُعذِّرُ[3] |
| غَيْثانِ فالأَنْواءُ غيثٌ ظاهِرٌ | لكَ وَجْهُهُ والصَّحْوُ غيثٌ مُضْمَرُ |
| أربيعنا فى تِسْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً | حقًّا لَهِنَّكَ للرَّبيعُ الأَزْهَرُ[4] |

---

(١) ديوانه ١ : ٥٣٦ والتبريزى ٢ : ١٩١ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « ينوب الصحو منه » .

(٣) فى الأصل : « إذا هَبَّتْ به لمم الثرى » تحريف ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى .

(٤) قال الآمدى : وقال من قصيدة يمدح بها المعتصم : « وأنشد البيت » كان الربيع الذى وصفه به فى تسع عشرة ومائتين ، والمعتصم فى ذلك الوقت ببغداد قبل أن يرحل إلى سر من رأى ، لأنه رحل إلى بغداد منصرفه من طرسوس ، وقد دفن بها المأمون فى رجب من سنة ثمانى عشرة ومائتين ، ودخل بغداد مستهل شهر رمضان من هذه السنة ، وأقام بها سنتين ، ثم ارتحل إلى سر من رأى ، فدلّ ذلك على أن أبا تمّام مدحه =

ما كانتِ الأيّامُ تُسْلَبُ بَهْجَةً لو أنَّ حُسنَ الأرْضِ كان يُعَمَّرُ (١)
أوَ لاتَرىٰ الأشياءَ إنْ هِىَ غُيِّرَتْ سَمُجَتْ وحُسْنُ الأرضِ حِينَ تُغَيَّرُ
ياصاحِبَىَّ تقصَّيا نَظَرَيْكُمَا تَرَيا وجوهَ الأرْضِ كيف تُصَوَّرُ
تَرَيا نَهارًا مُشْمِسًا قد شابَهُ زَهْرُ الرُّبا فكأنَّما هُوَ مُقْمِرُ (٢)
دُنْيا مَعَاشٌ لِلْوَرىٰ حتى إذا جُلِىَ الرَّبيعُ فإنَّما هِىَ مَنْظَرُ
١٢٣ أضْحت تصوغُ بطُونُها لظُهُورِها نَوْرًا تكادُ لَهُ القلوبُ تُنَوِّرُ
مِنْ كُلِّ زاهِرَةٍ تَرَقْرَقُ بالنَّدىٰ فكأنَّها عَيْنٌ إلَيْه تَحَدَّرُ (٣)
تَبْدُو فَيَحْجُبُها الجَمِيمُ كأنَّها عذراءُ تَبْدو تارةً وتَخَفَّرُ
حتَّى غَدَتْ وهَدَاتُها ونِجادُها فِئَتَيْنِ فى حُلَلِ الرَّبيعِ تَبَخْتَرُ (٤)

---

= بهذه القصيدة فى سنة تسع عشرة ومائتين ، واتفق الربيع فى ذلك الوقت فوصفه ، ولم يذكر اسم المعتصم فى هذه القصيدة ، ولا فيها شئ يدل على أنه الممدوح غير قوله : « تسع عشرة حجة » ، وهذا من أكبر العيب « النظام ٢ لوحة ٥١ » .

(١) ديوانه والتبريزى : « حسن الروض » .

(٢) قال الآمدى : وقد أنكر عليه قوم وقالوا : إنما أراد أن النهار المشمس لصفرة الزهر صار كأنه مقمر وهذا غلط ، لأن صفرة الزهر مع ضوء الشمس مما يزيد فى ضياء النهار وكثرة الشعاع فكيف يجعل ضوء الشمس الذى قد زاد قوة وقوعه على صفرة الزهر وازداد به إشراقا ولمعانا مشبها لضوء القمر بالليل ، قالوا : وإنما كان غرضه بمشمس من أجل قوله : « مقمر » ، ولو قال :

تريا نهاراً مدجناً قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر

لكان أشبه بضوء القمر إذا كان اليوم مدجونا والشمس محجوبة ، وقال أبو عبد الله الحرشى : لو قال :

تريا نهارا مدجنا وكأنه من صفرة الأزهار ليل مقمر

كان أشبه بمذهبه ، وكان قد طابق بذكر الليل مع النهار .

وهذا لعمرى يلزم ، ولكن صفرة الزهر أشبه بضوء القمر وصفرته ، ليلا كان ذلك أو نهارا ، ومثل هذا يتسامح به ولا يدخل فى الخطأ والعيب عندى . « النظام ٢ لوحة ٥١ » .

(٣) التبريزى : « عليه تَحَدَّرُ » .

(٤) فى الأصل : « فئين » تحريف والتصحيح من ديوانه ، وفيهما « فى خِلَعِ الربيع » .

مُصْفَرَّةً مُحْمَرَّةً فكأَنَّها عُصَبٌ تَيَمَّنُ فى الوَغَىٰ وتَمضَّرُ
مِنْ فَاقِعٍ غَضٍّ النَّبَاتِ كأنَّه دُرٌّ يُشقَّقُ قَبْلُ ثُمَّ يُزَعْفَرُ
أو ساطِعٍ فى حُمْرَةٍ فكأَنَّ ما يدنو إِلَيْه مِنَ الهَواءِ مُعَصْفَرُ
صُنْعُ الذى لَوْلَا بَدائِعُ صُنْعِهِ لَمْ يُلْفَ أَصْفَرُ[١] بعد إذ هُو أَخْضَرُ

قَوْلُهُ : « تذوق الصحو منه » أى : تَتَبيّنُ أنَّه يُقْلِعُ ولا يَدُومُ ، وأنَّ الصَّحْوَ يأتى سريعًا فى أَثَرِهِ ، وقَدْ صحَّفَ بعضُ من فَسَّرَ شِعْرَ أبى تمّام فى هذه اللَّفْظَةِ فقال : « يروقُ الصَّحْو مِنه » مكان « تذوق » ، وقال آخر : « تَذوبُ الصَّخْرُ مِنْهُ »[٢] .

وقوله :

« أو لا ترىٰ الأشياء إن هِىَ غُيِّرَتْ سَمُجَتْ................... »

وقَدْ فَسَّرتُ معناه فى جُمْلَةِ أبياتٍ من شِعْرِه جعلت لتفسيرها جزءا مفردا[٣] .

---

(١) ديوانه والتبريزى : « ما عاد أصفر » .

(٢) نقل التبريزى فى النظام تعليقا للآمدى على هذا المعنى أكثر تفصيلا والراجح أنه نقله من كتابه « شرح معانى أبيات أبى تمّام » وقال : « قال الآمدى : هذا بيت يصحف الناس فيه ، فرواه قوم : « مَطَرٌ يروق الصحو منه » ورواه آخرون : « يذوب الصخر منه » وهو أعظم خطأ ، والصواب : « يذوق الصحو منه » لأنّه يصف مطر الربيع وطيب الوقت ، أى أن المطر إذا جاء تبينت فيه أنه يقلع ولا يدوم ، وإذا كان الصحو رأيته غضا نديا طلا مؤذناً بأنّ المطر سيعقبه ، و « تذوق منه » أى : يُحَسُّ فيه وتتذوقه مِنْهُ » . « النظام ٢ لوحة ٥٠ » .

(٣) هذه أول إشارة ترد عن هذا المصنف ، ولم يذكره جميع من ترجموا للآمدى ، ولم يشر إليه فى أى مرجع ، إلا فى كتاب ابن المستوفى « النظام شرحى المتنبى وأبى تمّام » فقد أكثر من النقل عنه ونصّ عليه « انظر : ٥٣٨ هـ ١ ، ٦٠٠ هـ ٢ من هذا الجزء » وسماه « شرح معانى أبيات أبى تمّام » و « تفسير الأبيات » و « تفسير معانى أبيات أبى تمّام » ، ومما نقله من هذا الكتاب تفسيره للبيت السابق : قال ابن المستوفى : قال الآمدى : هذا مما يسأل عنه من معانيه ، فيقال : ما هذه الأشياء التى إن غيرت سمجت ؟ وليس كل شئ تلك حاله ، بل من الأشياء ما إذا غيّر حسن ، ولسنا نرى الأرض تحسن فى كلّ الأحوال إذا غيّرت ، بل قد تتغير إلى القبح ، مثل أن تنضب مياهها ويجف نباتها ، ونحو ذلك من التغييرات القبيحة ، فيقال : إنما أراد أنّ =

وقوله : « فكأنَّها عين إليه تحدَّرُ » مما يُسأَل عنه أيضًا أن يكون قدّم كناية العين فيها ، وأراد بقوله : « من كُلِّ زاهرة » يعنى النَّوْرَ ، وقد ذكره فى البيت الذى قبله ، فلذلك نكَّر ، فقال : « إليه » أى : فكأنَّ عينا تتحدَّرُ إلى كلِّ زاهرةٍ ، يعنى عين ماءٍ ، وكان وجْهُ الكلامِ : فكأنَّهُ عين إليها ، أى : فكأنّ النَّدىٰ عين إلىٰ الزاهِرةِ ، فَقَلبَ فقال : « فكأنها عين إليه » (١) ، ومثل هذا القلب لايُسَوَّغُ لِمِثْلِه ، وإلىٰ واللام تعتقبان ، قال الله تعالى :

« بأنَّ ربَّك أوحىٰ لها » (٢)

---

= جديد الأرض – وهو وجهها – إذا لم يكن فيه ماء ولا نبات ولا أنهار ولا أشجار ولا أبنية ، فهو مقشعرّ قبيح ، فإذا تغيّرت الأرض فإنما تغيُّرهَا إلى النبات وإلى هذه الأشياء فتحسن ، وكلّ ما على ظهر الأرض من هذه الأشياء إذا تَغَيَّر فإنما يتغيَّر إلى التلاشى والذهاب فيقبح ويسمج ، وهذا معنى صحيح لا يعترضه ما يفسده ، قال القعقاع بن ربعى القشيرى « صحته : ربيعة ، انظر معجم الشعراء ٢٠٨ ، نوادر المخطوطات ٢ : ٣١٢ ، الوحشيات ٢٠٦ » :

ما للديارِ أراها أصبحت قَدَدا ... سُفْعَ المُتونِ ونُؤيًا هامداً لَبِدَا
ذا شامةٍ فى جديدِ الأرض غَيَّرها ... حَشُ الأكُفِّ وجمرًا ظالمًا وُقِدَا

فإنما أنكر تغيرّ الديار بتغيرّ ما عهده بها وهى عامرة بأهلها ، ألا تراه قال : « ونؤيًا هامدًا » ، وقال :

ذا شامةٍ فى جديد الأرض غيرها ... حشُ الأكُفّ ..............

وجديد الأرض : هو وجهها وترابها الذى لم يخلط الناس به شيئا من آلاتهم ، ولا غيروه بتدمينهم وآثارهم ، قال يزيد بن أنس الأسدى :

واعْلَمْ ولا تَنْسَ أنَّ اللهَ مُنْتَقِمٌ ... واعلم بأنَّ جديد الأرض مثواكا

ومما يصحح هذا المعنى قول الشاعر الأول :

تَغَيَّرَتِ البلادُ ومن عَلَيْها ... فوجهُ الأرْض مُغْبَرٌّ قبيحُ
تَغيّرَ كلُّ ذى لونٍ وطَعْمٍ ... وقلَّ بشَاشَةُ الوجْهِ المَليحُ

قال ذلك « نوح » على ما يزعم أهل الأخبار ، لأن الطوفان غرّق الأرض وأفسد كل ما على ظهرها ، فإذا تغيّرت الأرض نفسها وليس على ظهرها شئ فإنما تتغير إلى النبات وانفجار المياه وجرى الأنهار فتحسن . « النظام ٢ لوحة ٥١ » .

(١) فى الأصل : « الندى إلى كل زاهرة » والتصحيح كما يقتضيه السياق .

(٢) الزلزلة آية : ٥ .

وقال فى موضع آخر :[(١)]

« وأوحىٰ ربك إلى النَّحْلِ»[(٢)]

فإن كان هذا يجوز فى كلّ موضع ، فلعله أراد : فكأنها عَيْنٌ ، أى : فكأنّ الزاهرة عين لِلَّذى يتحدَّرُ .

وهذه أبياتٌ حِسان ، وتشبيهات وتمثيلاتٌ صحيحةٌ ، ولكنّ الصنعة وشدّةَ التَّكلُّف ظاهران فيها ، ولَيْسَ لفظها ، ولا نَسْجُها بالحُلْوِ ، والجيِّدُ النادِرُ فى هذا المَعْنَىٰ قول البُحْتُرِىِّ[(٣)] :

مثالُك من طَيْفِ الخَيالِ المُعاوِدِ[(٤)]

سقىٰ الغيثُ أكْنافَ الحمىٰ من مَحلَّةٍ ... إلىٰ الحِقْفِ من رَمْلِ النقا المتقاوِدِ[(٥)]
ولا زال مُخْضَرٌّ من الغيث يانِعٌ ... عليهِ بمُحْمَرٍّ من اللَّوْنِ جَاسِدِ[(٦)]
شقائِقُ يَحْمِلْنَ النَّدىٰ فكأنَّهُ ... دُموعُ التصابى فى خُدودِ الخَرائِدِ
كأنَّ يَدَ الفَتْحِ بنِ خاقانَ أقْبَلَتْ ... تَلِيها بتلكَ البارقاتِ الرَّواعِدِ
فمن لُؤْلُؤٍ فى الأُقْحُوانِ مُفصَّلٍ[(٧)] ... علىٰ نُكَتٍ مُصْفَرَّةٍ كالفرائِدِ
يُذَكِّرُنا ريّا الأحِبَّةِ كُلَّما ... تَنَفَّسَ فى جُنْحٍ مِنَ الليْلِ باردِ
كأنَّ جَنَى الحَوْذَانِ فى رَوْنَقِ الضُّحَىٰ ... دنانيرُ تِبْرٍ من تُؤَامٍ وفارِدِ
رِبَاعٌ تَردَّتْ بالرِّياضِ مَجُودةً ... بكُلِّ جديدِ الماءِ عَذْبِ المَوارِدِ
إذا راوحتْها مُزْنَةٌ بَكَرتْ لها ... شآبيبُ مُجْتازٍ عليها وقاصِدِ

---

(١) عبارة : « فى موضع آخر » مستدركة فى الهامش .
(٢) النحل : آية ٦٨ .
(٣) ديوانه ١ : ٦٢٢ .
(٤) عجزه : « ألَمَّ بنا من أُفْقِه المُتَباعِدِ » .
(٥) ديوانه : « رمل اللوى » .
(٦) ديوانه : « مخضر من الروض » ، « محمّر من النور » .
(٧) ديوانه : « فى الأقحوان منظّم » .

قولُهُ : « دموع التصابى » التصابى : أن يَفْعَلَ مايفعله الصَّبِىُّ – وإن لمْ يَكُن صَبِيًّا – من اللَّهْوِ واللَّعبِ والغَزَلِ ، فقول البحترى : « دموعُ التصابى » يريد دموع الدّلال [ بدلا ](١) وطلبا لشىء وتشوقا إليه ، لا دموع حزن وثُكْلٍ ومصيبة ، فتمَّم المعنى وحسَّنه وكمَّله بقوله : « دموع التصابى » .

والفرائد : جمع فريدة ، وهى شَذْرٌ يُصَاغُ كالخَرَزِ مِنَ الذَّهب يُفصَّلُ به اللُّؤلُؤُ فى العِقْد .

وقَوْلُهُ : « جَديدُ المَاءِ » يُريدُ الغَيْثَ .

وقال البُحْتُرِىُ أيضا ، وليست من فَحْلِ كلامِهِ(٢) :

أَدُمُعٌ قَدْ غَرِينَ بالهَمَلانِ(٣)

إِبْكِيَا هذه المغانى التى أَخْـ ـلَقَهَا بُعْدُ عَهْدِها بالغوانى(٤)
أسْعِدَا الغَيْثَ إذْ بَكَاها وإنْ كا ن خَلِيًّا من كُلِّ ماتَجِدَان
جادَ فيها بمائِهِ واستَجدَّتْ حُلَلًا جمَّـةً من الألْـوانِ(٥)
فَهْىَ تَهْتَزُّ بيْن إفِرِنْدِهِ الأخـ ـضَرِ حُسْنًا وَوَشْيِهِ الأُرْجُوانِ
فى سَماءٍ مِن خُضْرةِ الرَّوْضِ فيها أنْجُـمٌ من شقائِقِ النُّعْمـانِ
واصْفِرارٍ من لَوْنِهِ وابيضاضٍ كاجْتماعِ اللُّجَيْـنِ والعِقْيَـانِ(٦)
وتُريكَ الأحْبَابَ يَوْمَ تلاقٍ باعْتِنَاقِ الحَوْذَانِ والأُقْحُوانِ

---

(١) كَذَا فى الأصل ويبدو أن الناسخ قد رسمها كما هى فى النسخة التى ينقل منها ، إذ وضع بإزائها ثلاث نقط فى الهامش ، وأظنها « جذلاً » فهى أقرب إلى المعنى .
(٢) ديوانه ٤ : ٢١٩٧ .
(٣) عجزه : « وفؤادٌ قد لجَّ فى الخفقَانِ » .
(٤) ديوانه : « بَعْدَ أَهْلِهَا المِرْزَمَانِ » .
(٥) ديوانه : « حللا منهَ جمة الألوان » .
(٦) العقيان : الذهب .

صَاغَ مِنْهُ الرّبيعُ شَكْلًا لأخلا ... قِ «حُسَيْنٍ» ذى الجُودِ والإِحْسانِ[(١)]

/ فكأنَّ الأشجارَ تَعْلو رُبَاها ... بِنَثِيرِ اليَاقُوتِ والمَرْجَانِ ٢٤

وكأنَّ الصَّبا تَرَدَّدُ فيها ... بِنَسيمِ الكافورِ والزَّعْفرانِ

وهذه أبياتٌ كما تراها فى لينِها وخنوثتِها[(٢)] وشدَّةِ تكلُّفِها ، ولكن تلك على كلِّ حالٍ أَشَفُّ .

وقال البُحْتُرِىُّ[(٣)] :

أَحَرَامٌ أنْ يُنْجِزَ المَوْعُودُ[(٤)]

ذَهَبَتْ جِدَّةُ الشتاءِ ووافا ... نا شَبِيهًا بكَ الرَّبيعُ الجديدُ

أُفُقٌ مُشْرِقٌ وجَوٌّ أَضاءَتْ ... فِي سَنا نُورِهِ اللَّيالى السُّودُ

وكأنَّ الحَوْذَانَ والأُقْحُوانَ الـ ... ـغضَّ نَظْمَانِ : لُؤْلُؤٌ وفَرِيدُ

قَطَرَاتٌ مِنَ السَّحابِ وَرَوْضٌ ... نَثَرَتْ وِرْدَها عليهِ الخُدودُ

وليالٍ كُسِينَ مِنْ رِقَّةِ الصَّيْـ ... ـفِ فَخَيَّلْنَ أَنَّهُنَّ بُرُودُ

الرِّياحُ التى تَهُبُّ نَسِيمٌ ... والنُّجُومُ الَّتِي تُطِلُّ سُعُودُ

ودنا العيدُ وهو للنّاسِ حتَّى ... يَتَقَضَّى وأَنْتَ للعيد عِيدُ

وهذا من حُلوِ ألفاظِهِ ونَسْجِه ، غيرَ أنه أساء فى قوله : « فَخَيَّلْنَ أَنَّهُنّ بُرودُ » ، لأنّ البُرُودَ لاتُوصَفُ بالرِّقة ، وإنما توصف بالمَتَانةِ والصَّفَاقَةِ ، وإذا وُصِفَ الشيءُ ذو الألْوَان قيل : كأنَّه بُرْدٌ ، لأنّ البُرْدِ قَلَّ مايكون غَزْلُه من نَسْجِ لونٍ

---

(١) هو الحسين بن الحسن بن سهل ، وقد سبق فى ٢ : ٣١٩ .

(٢) فى الأصل : « لينها وخشونتها » ، والمثبت هو الأنسب للسياق .

(٣) ديوانه ٢ : ٧٢١ .

(٤) وعجزه : « مِنكِ أو يقرُبَ النَّوالُ البَعيدُ » .

واحِدٍ ، وإنَّما يكونُ من ألوانٍ ، فإنَّما عَلِقَ هذا مِن قَوْلِ أبى تَمَّام – الذّى أخْطَأَ فيه كُلَّ الخَطَأَ – يَصِفُ الحِلْمَ[(١)] :

رقيقُ حَواشِى الحِلْمِ لَوْ أنَّ حِلْمَهُ بكفَّيْكَ ما ماريْتَ فى أنَّهُ بُرْدُ

وقد ذكَرْتُ هذا فى أغالِيطِه[(٢)] ، ولَسْتُ أدْرِى كَيْفَ ذَهَبَ مِثْلهُ على البُحْتُرِىِّ مع جَوْدَةِ طَبْعِهِ وكَثْرَةِ مَذَاهِبِهِ .

وقال أبو تَمّامٍ[(٣)] :

ألا صَنَع البَيْنُ الّذِى هُو صَانِعُ[(٤)]

كأنَّ السَّحابَ الغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَها حَبِيبًا فما تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ

رُبىً شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِها إلىٰ الغَيْثِ حَتَّى جادَ وهْوَ هوامعُ[(٥)]

فَبِشْرُ الضُّحَىٰ غَدْوًا لَهُنَّ مُضاحِكٌ وجَنْبُ الثَّرى لَيْلًا لَهُنَّ مُضاجِعُ

كساك مِنَ الأنْوارِ أبْيَضُ ناصِعٌ[(٦)] وأصْفَرُ فاقِعٌ وأحْمَرُ ساطِعُ

والأبيات الثلاثة صالحة ، وهذا البيت أتيت به[(٧)] من أجْلِها ، لا طائل فيه[(٨)] .

---

(١) ديوانه ١ : ٤٧١ والتبريزى ٢ : ٨٨ .

(٢) انظر : الجزء الأول ص ١٤٣ وما بعدها .

(٣) ديوانه ٣ : ٦٢٣ والتبريزى ٤ : ٥٨٠ .

(٤) عجزه : « فإنْ تَكُ مِجْزَاعًا فما البينُ جَازِعُ » .

(٥) فى الأصل : ( هامع ) ولا يصح معها الوزن والتصحيح من ديوانه .

(٦) فى ديوانه والتبريزى :

كساك من الأنوار أصفر فاقعٌ وأبيض ناصعٌ وأحمر ساطِعُ

(٧) فى الأصل : « بها » والتصحيح كما يقتضيه السياق .

(٨) انظر نقده هذا البيت من ناحية اضطراب الوزن فى ١ : ٣٠٧ .

وقال أيضا يَصِفُ الرَّبيعَ ، وهى أُرْجُوزَةٌ رديئةٌ شديدةُ الاضطراب وجدْتُ فى كتاب أبى سعيد السُّكَّرِى[(١)] هذا القَدْرَ[(٢)] :

إنَّ الرَّبيـعَ أَثَـرُ الزَّمـانِ
لو كان ذا رُوحٍ وذا جُثْمَانِ[(٣)]
لكـانَ بسَّامـا مِنَ الفِتْيَـــانِ
بُورِكْتَ مِنْ وَقْتٍ ومِنْ أَوانِ
فالأَرْضُ نَشْوَىٰ مِنْ ثَرَى نَشْوَانِ
تَخْتَالُ فِى مُفَوَّفِ الأَلْوَانِ[(٤)]
فِى زَاهِـرٍ كالحَـدَقِ الروانِـى
من ناضِرٍ وفاقِـعٍ وقانِـى
عَجِبْتُ مِنْ ذى فِكْرَةٍ يَقْظَانِ[(٥)]
رأى جُفـونَ زَهْـرَةِ الأَفْنَـانِ
فَشَكَّ أَنَّ كُلَّ شىءٍ فانِ

* * *

كان الغرض فى ترتيب الموازَنَةِ أَنْ أبدأَ بأنواعِ المناسب التى ذكراها فى ابتداءِ قصائِدهما قَبْلَ المَدح ، ولمَّا ذَكَرتُ مَا كَانَ من وصفِهما للخَمر والرِّياض فى

---

(١) أبو سعيد السكرى هو الحسن بن الحسين بن عبد الله السكرى ، العالم بالأدب الراوية المكثر الثقة ، كان ثقة صادقا يقرئ القرآن ، انتشر عنه من كتب الأدب ما لم ينتشر عن أحد من نظرائه ، وكان إذا جمع جمعا فهو الغاية فى الاستيعاب والكثرة ، جمع أشعار كثير من الشعراء والقبائل وشرحها ، ولد سنة ٢١٢ وتوفى سنة ٢٧٥ « إرشاد الأريب ٨ : ٩٤ ، تاريخ بغداد ٧ : ٢٩٦ ، إنباه الرواة ١ : ٢٩١ » .

(٢) لم ترد هذه الأبيات فى شرحى الصولى والتبريزى لديوانه ، غير أنى وجدتها فى إحدى نسخ ديوانه المخطوطة « فاتح استانبول ٣٧٧ – نسخت قبل : ٨٦٠ ، مرتبة على حروف المعجم ، لوحة ٢٠٢ » .

(٣) ورد بيت قبل هذا فى مخطوطة الديوان وهو قوله : « مُصَوَّرًا فى صُورةِ الإنسانِ » .

(٤) الروانى : جمع رانية ، من رنا يرنو ، وهو إدَامَةُ النَظَرِ إلى الشئ .

(٥) فى المخطوطة : « زهرة الألوان » .

القَصَائِدِ وجب أن أَذْكُرَ مَاكَانَ من الأشعارِ القائِمَةِ بأنفسها فِى غَيْرِ قَصَائِدِ المَدْح ليكون البابُ بَابًا واحِدا .

ومِنْ أَلْيَقِ الأشياءِ بِوصْفِ السَّحاب [ وصفُ ](١) الأمْطَارِ ، وكَانَ الأَوْلى بالتأليف أن يَكُونَ قَبْلَ ذكر الرِّياضِ ، وأَنَا الآن أَجْعَلُ بابها فى هَذَا المَوْضِع ، ليكونَ كُلُّ نَوْعٍ مع شِكْلِهِ ونظيرِهِ .

وَقَدْ مَضَى من ذِكْرِ السحائِب والأمطارِ فى بابِ « الدُّعَاءِ للمنازِلِ والرُّبوعِ بالسُّقْيَا »(٢) ما مضى ، وهَذَا البابُ طريقُهُ غَيْرُ ذلك الطريق .

قال أبو تَمَّامٍ(٣) :

حمادِ مِنْ نَوْءٍ له حَمَــــادِ(٤)
فى ناحِراتِ الشَّهْرِ لا الدَّآدِى(٥)
أُطْلِقَ مِنْ ضيقٍ ومن تَوَادِى(٦)
فَجَاءَ يَحدُوها فنِعْمَ الحادِى
ساريةٌ مُسْمِحَـةُ القِيَـــادِ
مُسْودَّةٌ مُبْــيَضَّةُ الأيَـــادِى(٧)

---

(١) زيادة يقتضيها السّياق .
(٢) انظر : ١ : ٤٦٣ .
(٣) ديوانه ٣ : ٥٥٧ والتبريزى ٤ : ٥١٢ .
(٤) حماد : أى حمدا له .
(٥) نحر الشهر : أوّله ، الدآدى : جمع دأدأ ، ودؤدؤ : وهو آخر أيام الشهر .
(٦) فى الأصل : « نآد » تحريف ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى ، وفيهما « من صِرّ » ، والتوادى : جمع تودية وهى الخشبات التى تشدّ على أخلاف الناقه لئلا يرضعها الفصيل .
(٧) فى ديوانه والتبريزى : « سارية » منصوبة وكذلك باق الصفات بعدها ، وقد نصبت على الحالية ، ورفعت هنا على الاستئناف .

سَهّادَةٌ نَوّامَةٌ بالـــوَادِى
كثيرةُ التَعْـــريس بالوِهـــادِ
نَزالةٌ عِنـدَ رضىٰ العِبـاد (١)
قَدْ جُعِلَتْ للغَيْثِ بالمِرْصَادِ
سيقت بَبْرقٍ ضَرِمِ الزِّنادِ
/ كأنَّه ضمائِرُ الأغْمَادِ ١٢٥
ثُمَّ برعدٍ صَخِبِ الإِرْعَادِ
يَسْلُقُهـــا بألْسُنٍ حِدَادِ (٢)
لَمَّا سرتْ فِى حَاجةِ العِبـادِ
ولَحِقَ الأَعْجَـازُ بالهَـوادِى
فاخْتَلَـــطَ السَّوادُ بالسَّوَادِ (٣)
أظفـرَتِ الثَّـرىٰ بما يُغَـــادِى
وَرَوِيَتْ هاماتُـهُ الصَّوادِى (٤)
كَمْ قَدْ جَلَتْ لمُقْتِرٍ عَنْ زادِ (٥)
وعَـــنْ رواءٍ سَنَـــةٍ جَمَـــادِ (٦)
وجَلَـبَتْ من رِزْقِـهِ العتَـــادِ (٧)
مِنَ القِـلَاصِ الخورِ والجِـلَادِ

(١) ديوانه والتبريزى : « للمَحْل بالمرصاد » .
(٢) ديوانه والتبريزى : « فى حاجة البلاد » .
(٣) فى الأصل : « بِمَن يعادى » تحريف والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى .
(٤) ديوانه : « كم حملت » .
(٥) فى ديوانه والتبريزى : « دواء » وماء رواء : كثير عذب .
(٦) ديوانه والتبريزى : « وجَلَبتْ من روقه » ، والعتاد : القدح الضخم .
(٧) الخُورُ والجلادُ : الغزيرة اللبن .

والمُقرَبَاتِ الصُّفْوةِ الجيادِ (١)
ومِنْ حبير اليُمْنةِ الأبْرادِ (٢)
من أتحمِّياتٍ ومِنْ وِرَادِ (٣)
هديَّةً من صَمَدٍ جَوادِ
حَتَّى تَحُلَّ بالصَّعيدِ الثَّادِى (٤)

قوله : « حَمادِ » أى : احمدُوه من نَوْءٍ ، كَمَا تَقُولُ للجماعةِ : نَزَالِ ، أى : انزلوا ، وكذلك تقول للواحِدِ .

وقَوْله : « فى ناجِراتِ الشَّهْرِ » يريد الأيَّامِ التى هِىَ أوائِلُ الشهر التى نَحَرتْهُ ، أى جاءَتْ فى نَحْرِهِ ، و « الدَّآدِى » الثَّلاثَةُ الأيَّامِ التى هى أواخِرُ الشَّهرِ . و « الثأد » مَهْمُوزٌ هو النَّدى ، فجعَل « الثأْد » فى مكان « الثَّئِدِ » ، وخَفَّفَ وأسْقَط الهمزَةَ من أجْلِ القافِيةِ .

وَقَالَ أيْضًا (٥) :

لَمْ أرَ عِيرًا جمَّةَ الدُّؤوبِ
تواصِلُ التَّهجيرَ بالتَّأْويبِ
أبْعَدَ مَنْ أيْنٍ ومنْ لَغُوبِ
مِنْها غَداةَ الشارِقِ المهضُوبِ

---

(١) ديوانه : « الصُّفُّنِ » وفى التبريزى : « الصُفُنِ » .
(٢) حبير : البرد الموشى .
(٣) إلأتحمىُّ : ضرب من البرود ، وِرَاد : جمع وَرْدٍ ، وهو اللون الأحمر الضارب إلى الصفرة .
(٤) ثديت الأرض : إذاكثر نداها ، كَسَدِيَتْ .
(٥) ديوانه ٣ : ٥٤٨ والتبريزى ٤ : ٥٠١ .

نَجَائِبًا ولَيْسَ من نَجِيبِ (١)
شَبَّابَةَ الأعْنَاقِ بالعُجوبِ (٢)
كالليلِ أو كاللُّوب أو كالنّوبِ (٣)
مُنقادةً لِعَارضٍ غِرْبيبِ (٤)
كالشِّيعةِ الْتَفَّتْ إلى النَّقيبِ (٥)
آخِذَةٌ بطاعَةِ الجَنُوبِ
ناقِضةٌ لِمَررِ الخُطوبِ (٦)
تَكُفُّ غَرْبَ الزَّمنِ العَصيبِ (٧)
مَحّاءَةٌ للأزمَةِ اللَّزُوبِ
مَحْوَ استلام الرُّكنِ للذُّنُوبِ
لمَّا بَدَتْ للأرضِ من قَرِيبِ
تَشوَّفتْ لِوَبْلِهِ السَّكُوبِ
تَشَوُّفَ المَريضِ للطبيبِ
وطربَ المحبِّ للحبيبِ

(١) فى الأصل : « شبَّاية » بعد الألف مثناة تحتية ، وهو تحريف ، والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى ، وشبابّة : أى مرتفعة .
العُجُوب : جمع عَجْبٍ . والعَجْب : العصعص ، وهو أصل الذنب وما انضم عليه الوركان من أصل الذنب المغروز فى مؤخر العجز .
(٢) اللوب : جمع لابة وهى الحرّة ، وهى الأرض التى قد ألبستها حجارة سود . والنوب : نسبة إلى النوبة وهم جيل من السودان الواحد : نوبى .
(٣) غربيب : الشديد السواد .
(٤) ديوانه والتبريزى : « على النقيب » .
(٥) ديوانه والتبريزى : « آخذةً » وما بعدها بالنصب .
(٦) فى الأصل : « الزمن الغضيب » تصحيف والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى .
(٧) اللزب : القحط ، عيش لَزِبٌ : ضيِّق .

وفرحـــة الأديبِ بالأديبِ

وخيَّمَتْ صادِقَةَ الشُؤْبُـــوبِ (١)

وقَامَ فيها الرَّعْدُ كالخَطِيبِ

وحنَّتِ الرّيحُ حنينَ النِّيبِ (٢)

والشّمسُ ذَاتُ شارِقٍ مَحْجُوبِ (٣)

قَدْ غَرَبَتْ مِن غَيْرِ مَا غُرُوبِ

والأَرْضُ فى رِدَائِها القَشِيبِ

فِى زَاهِرٍ مِنْ نَبْتِها رَطِيبِ

بَعْدَ اشْهِبابِ الثَّلْجِ والضَّرِيبِ (٤)

كَالكَهْلِ بَعْدَ السِّنِّ والتَّحْنيبِ (٥)

تَبَـــدَّلَ الشَّبَـــابَ بالمشيبِ (٦)

كَم آنسَتْ من حاجِرٍ غَرِيبِ (٧)

وغَلَّبَتْ مِنَ الثَّرى المَغْلُوبِ

ونَفَّسَتْ عن بارِضٍ مَكْرُوبِ

---

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٢) النيب : جمع نَيُوب ، وهى الناقة المُسِنَّة .

(٣) ديوانه والتبريزى : « ذات حاجب محجوب » ، والشارق : قرن الشمس .

(٤) ديوانه والتبريزى : « بعد اشتهاب » ، وكلاهما من الشهبة ، الضريب : الجليد والصقيع .

(٥) التحنيب : الانحناء من الكبر والشيخوخة .

(٦) ديوانه والتبريزى : « تَبدُّلَ الشبابِ » .

(٧) ديوانه والتبريزى : « جانب غريب » ، والحاجِر : ما يمسك الماء من شَفَةِ الوادِى .

وسكَّنَتْ مِنْ نَافِرِ الجَنُوبِ[١]
وأقْنَعَتْ من بَلَدٍ رَغِيبِ[٢]
تحفظُ عَهْدَ الغَيْثِ بالمغيبِ
لذيذة الرِّيق مع الصَّبيبِ[٣]
كأنَّها تَهمِي على القُلُوبِ[٤]

٤٨ وهذا كُلُّه جيِّدٌ نادِرٌ لَفْظًا ومَعْنًى ، وهوَ من إحسانِه المَشْهورِ .

وَقَالَ أَيْضًا[٥] :

الرَّوْضُ مِن بين مَغْبوقٍ ومُصْطَبَحٍ ... مِنْ رِيقِ مُكْتَفِلاتٍ بالثَّرى دُلُحِ[٦]
دُهْمٍ إذا ضَحِكَتْ فى أرضِهِ[٧] طَفِقَتْ ... عُيونُ نُوَّارِها تَبكى مِنَ الفَرَحِ

وَقَالَ[٨] :

أَمَا تَرَى مَا أَصْدَقَ الأَنْوَاءَا
قَدْ أَفْنَتِ الحَجْرَةَ واللأْواءا[٩]
فَلَوْ عَصَرْتَ الصَّخْرَ صَارَ مَاءَا

---

(١) ديوانه والتبريزى : « الجُنوب » بضمّ الجيم ، جمع : جنب .
والجَنوب : هنا الريح المعروفة .
(٢) فى الأصل : « أقمعت » تحريف ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى .
(٣) فى الأصْل : « والصبيب » .
(٤) ديوانه والتبريزى : « كأنما » .
(٥) ديوانه ٣ : ٥٥٥ والتبريزى ٤ : ٥٠٧ .
(٦) فى ديوانه والتبريزى : « الغيم » .
(٧) ديوانه والتبريزى : « روضه » .
(٨) ديوانه ٣ : ٥٤٧ والتبريزى ٤ : ٥٠٠ .
(٩) الحَجْرَةُ : السّنة الشديدة ، وفى الأصل : « الحَجْر » . واللأْواءُ : الشدة والجدب « شرح الصولى » .

مِنْ لَيْلَةٍ مِنْ وَبْلِهَا لَيْلاءَا (١)
إن هى عَادَتْ ثِنْيَةً عِدَاءا (٢)
أصبحت الأَرْضُ بِها سَمَاءا (٣)

وَقَالَ أيضا : (٤)

سَارِيَةٌ لَمَ تكتَحِل بِغَمْضِ
كدراءُ ذَاتُ هَطَلانٍ مَحْضِ
مُوقَرَةً مِن خُلَّةٍ وحَمْضِ (٥)
تَمْضِى وتُبْقِى نِعَمًا لاتَمْضِى
قَضَتْ بها السَّماءُ حَقَّ الأَرْضِ

وَهَذَا كُلُّهُ جيّد لطيفُ المَعْنَى .

وَقَالَ : (٦)

ياسهمُ للبَرْقِ الذىِ استَطارَا (٧)

---

(١) ديوانه : « من ويلها » بالمثناة التحتية .
والتبريزى : « من ليلة بتنا بها ليلاء » .
(٢) ديوانه والتبريزى : « ليلة عداءا » والثِّنيةُ : جمع « ثُنيان » وهو الذى يجىء ثانيا فى السوْدد ، أى بعد السيّد ، وعداء : أى موالاة « شرح الصولى » .
(٣) فى الأصل : « أضْحَت الأرض » والتصحيح من ديوانه والتبريزى ، وفيهما : « إذن سماءا » .
(٤) ديوانه ٣ : ٥٦٢ والتبريزى ٤ : ٥١٨ .
(٥) الخُلَّة : كلُّ نَباتٍ حلو .
(٦) ديوانه ٣ : ٥٦٠ والتبريزى ٤ : ٥١٥ .
(٧) فى الأصل : « بأَسُهم البرق » تحريف والتصحيح من ديوانه والتبريزى .
وقال أبو العلاء : كان لأبى تمّام أخ يقال له سهم ، وكان شاعرا ، وهو الذى خاطبه فى هذه الأبيات ، يقول : يا سهم أعجب للبرق .
« النظام ٢ لوحة ٦١ » .

بَاتَ على رغم الدُّجَى نَهَارا
حَتَّى إذا ما أَنْجَدَ الأَبْصَارَا
وبْلاً جِهارًا وندًى سِرَارا
آض[(١)] لنـــا ماءً وكَـــانَ نَارا
/ أَرْضَى الثَّرىَ وأَسْخَطَ الغُبَارَا ١٢٦

وَهَذا أَيْضًا جيّدٌ نَادِرٌ .

وَقَالَ البُحتُرِىُّ فى صِفَةِ الغَيْثِ[(٢)]:

ذَاتُ ارْتِجَازٍ بحنينِ الرَّعْدِ مَجْرورَةُ الذَّيْلِ صَدُوقُ الوَعْدِ
مَسْفُوحةُ الدَّمعِ بغَيْرِ وَجْدِ لها نَسيمٌ كنسيمِ الوَرْدِ
ورَنَّـةٌ مِثْـلُ زئيـرِ الأُسْدِ ولَمْعُ بَرْقٍ كسيوفِ الهِندِ
جَاءَت بِهَا رِيحُ الصَّبا مِن نَجْدِ فانْتَثَرَتْ مثلَ انتِثَارِ العِقْدِ
فَراحتِ الأرضُ بِعَيْشٍ رَغْدِ من وشْيِ أَنوارِ الرُّبَا فى بُرْدِ
كأَنَّمَا غُدْرانُها فِى الوَهْدِ يَلْعَبْنَ من حَبَابِها بالنَّرْدِ

وَهَذا الذى أَبَرَّ البحترىّ فِيهِ على كُلِّ حُسْنٍ[(٣)].

---

(١) آض : أى عَادَ ورجع .

(٢) ديوانه ١ : ٥٦٧ .

(٣) روى الصولى فى أخبار البحترى قال : قال البحترى : دخلت على المتوكل وهو جالس على البركة ، والمطر يَقَعُ فيها فيعمل حجىً ، فقال : قل فى هذا شيئا ، ولم أكن صاحب بديهٍ ، فاعتزلت فقلت أبياتى « ذات ارتجاز بحنين الرعد » ثم قال الصولى : ولئن كان البحترىّ أحسن فى أبياته ، فما أتى بما أُمِرَ به وأراده منه ، لأنه أراد وصف الحِجى ، واحدتها : حجاة ، وهى كالقباب الصغار ، فاقتصر على وصف السَّحابة والمطر ولم يصفها ، وهو يفعل مثل هذا بعينه : وصف شئ مع طبعه وتقدّمه ، فيأخذ عفو طبعه ولا يتعب فِكْرَه . « أخبار البحترىّ : ٩١ » .

وَقَالَ أبو تَمَّامٍ – ويجب أَنْ يُكْتَب فى أَوَّلِ البَابِ قَبْلَ الرَّجَزِ[١] –:

دِيمَةٌ سَهْلَةُ القِيادِ سكوبُ ... مُستغِيثٌ بِهَا الثَّرى المَكْروبُ[٢]
لو سَعتْ بُقْعةٌ لإعظامِ نُعْمىٰ ... لسعى نَحْوَها المكانُ الجَدِيبُ
لَذَّ شُؤبوبُها وَطابَ فَلَوْ تَسْـ ... ـطِيعُ قَامَتْ فَعانَقَتْهَا القُلوبُ
فهِىَ ماءٌ يَجْرِى وماءٌ يَلِيهِ ... وسَحابٌ تَنْشَا وأخرى تَصُوبُ[٣]
كَشَفَ الرَّوْضُ رأسَهُ واسْتَسَرَّ الـ ... ـمَحْلُ فِيها كَمَا استسَرَّ المُرِيبُ
وإذا الرَّىُّ بَعْد مَحْلٍ وجُرْجَا ... نُ لَدَيْهَا يَبْرِينُ أو مَلْحُوبُ[٤]
أَيُّهَا الغَيْثُ حَىِّ أَهْلًا بِمَغْدا ... كَ وعِنْدَ السُّرى وحينَ تَؤوبُ

وهَذِه أيضا معانٍ حَسَنَةٌ وطَرِيقَةٌ حلوةٌ ذَهَب فِيها إلى بعضِ ماذَهَب إليه فى الأرجُوزَة التى عَلَى الباء ، ولَيْسَ للبُحترىِّ فى وَصْفِ السَّحابِ غَيْرُ هَذَهِ الأرُجوزَةِ التى ذكرتُها ، إلّا أن يكونَ البيتُ والبيتانِ متفرقةً فى القصائِد .

ولَسْتُ أُفضِّل أحَدَهما على الآخرِ فى هَذا البَابِ ، لأنَّهما جَمِيعا انْتَهَيا إلى كُلِّ غَايَةٍ وإحْسَانٍ .

ومِمَّا لَمْ يَقُل فيهِ أبو تَمَّامٍ شيئا وَصْف الأَبْنِيَة والبركِ ، وقَدْ قَالَ البحترىُّ فى ذَلِك وأحْسنَ كُلَّ الإحسانِ ، وأتى فِيهِ من ذِكْرِ الرِّياضِ والمياهِ بِمَا وَجب أن يُوصَل بهذه الأبيات التى تَقَدَّمتْ .

قَالَ البُحْترىُّ[٥] :

---

(١) ديوانه ١ : ٣٣٧ والتبريزى ١ : ٢٩١ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « سمحة القياد » .

(٣) ديوانه والتبريزى : « وعزال تنشى » .

(٤) يبرين : رمل مَعْروف فى ديار بنى سعد بن تميم ، ملحوب : وادى متالع « معجم ما استعجم ٢ ١٢٥٤ ، ١٣٨٦ » ، وهما موضعان موصوفان بكثرة العشب والكلأ فلذلك آلفهما الوحش . « النظام ١ لوحة ١٢٩ » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٥٠٤

حلفتُ لَها باللهِ يَوْمَ التَّفرُّقِ[(١)]

تَلَفَّتُّ مِنْ أعلى دِمَشْقَ ودونَنَا ... لِلُبْنانَ هَضْبٌ كالغَمَامِ المُعَلَّقِ[(٢)]

إلى الحِيرةِ البَيْضاءِ والكَرْخِ بَعْدَمَا ... ذَممتُ مُقَامِى بَيْنَ بُصْرَى وجلَّقِ

إلى مَعْقِلَىْ عِزِّى ودارَىْ إقامَتِى ... وقَصْدِ التِفاتِى بالهَوى وتَشَوُّقِ[(٣)]

مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أقبلَتْ بوجُوهِهَا ... عَلَى مَنْظرٍ من عَرْض دَجلَة مُونِقِ

كأنّ الرياضَ الحُوَّ يُكْسَيْنَ حَوْلَهَا ... أَفَانِينَ مِن أفْوَافِ وَشْيٍ مُنَمَّقِ[(٤)]

إذَا الرّيحُ هَزَّت نَوْرَهُنَّ تَضَوَّعَتْ ... روائِحُهُ من فأرِ مِسكٍ مُفَتَّقِ

كَأَنَّ القِبابَ البيضَ والشَّمسُ طَلْقَةٌ ... تُضَاحِكُها أنْصَافُ بَيْضٍ مُفلَّقِ

ومِنْ شُرُفَاتٍ فى السَّماءِ كأنَّها ... قَوادِمُ بيضانِ الحَمامِ المُحَلِّقِ

وَهَذَا من الحُسْنِ والصِّحَّةِ كَمَا تراهُ .

وَقَالَ أَيْضًا فى مَدْحِ المُعْتَزِّ[(٥)] :

لَمَّا كَمَلْتَ رَوِيَّةً وعَزِيمَةً ... أعمَلْتَ رأيكَ فى ابتناءِ « الكامِلِ »

وغَدوْتَ مِن بَيْنِ المُلوكِ مُوَفَّقًا ... مِنْهُ لأيْمَنِ حِلَّةٍ ومَنَازِلِ

ذُعِرَ الحَمامُ وقَدْ ترنَّمَ فَوْقَه ... من مَنْظَرٍ خَطِرِ المَزلَّةِ هائِلِ

رُفِعَتْ لِمُنْخَرِقِ الرِّياحِ سُمُوكُهُ ... وزَهَتْ عَجَائِبُ حُسْنِهِ المتخايِلِ

وكأنَّ حيطانَ الزُّجاجِ بجَوِّهِ ... لُجَجٌ يَمُجْنَ عَلَى جُنُوبِ سَوَاحِلِ

وكَأَنَّ تفويفَ الرُّخامِ إذا الْتَقى ... تأليفُهُ بالمَنْظَرِ المتَقَابِلِ

حُبُكُ الغَمامِ رُصِفْنَ بَيْنَ مُنَمَّرٍ ... ومُسَيَّرٍ ومُقارِبٍ ومُشاكِلِ

---

(١) عجزه : « وبالوَجْدِ من قَلْبِى بها المُتَعلِّقِ » .

(٢) ديوانه : « عليا » .

(٣) ديوانه : « فى الهوى » .

(٤) ديوانه : « ملفق » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٦٤٤ يمدحه ويصف قصره « الكامل » .

لَبِسَتْ من الذَّهَبِ الصقيلِ سُقُوفُهُ     نُورًا يُضِيءُ عَلَى الظَّلامِ الحَافِلِ
فَترى العُيونَ يَجُلْنَ فى ذِى رَوْنَقٍ     مُتلهِّبِ العالى أنيقِ السَّافِلِ
وَكأَنَّمَا نُشِرَتْ عَلَى بُسْتَانِهِ     سِيَراءُ وَشْيِ اليُمْنَةِ المُتَواصِلِ (١)
أَغْنَتْهُ دِجْلَةُ أَنَ تَلاحَق فَيْضُهَا     عَنْ صَوبِ مُنْسَجِمِ الرَّبابِ الهَاطِلِ (٢)
وتَنَفَّستْ فِيهِ الصَّبا ، فَتعطَّفَتْ     أَشْجَارُهُ مِنْ حُيَّلٍ وحوامِلِ (٣)
مَشْىَ العَذارى الغِيدِ رُحْن عَشِيَّةً     مِنْ بَيْنِ خالِيَةِ اليَدين وعاطِلِ

١٢٧ / وَقَالَ فِى « الصبيج والمَلِيح » قَصْرَى المُتَوكِّلِ (٤):

إنَّ طَيْفًا يزورُنى فِى المَنَامِ (٥)

إنَّما العَيْشُ أن تَكُونَ اللَّيَالِى     مُفْضِلاتٍ طُولًا عَلَى الأَيَّامِ
قَدْ صَفَا جَانِبُ الهَواءِ ورَقَّتْ     لَذَّةُ المَاءِ فِى مِزَاجِ المُدَام (٦)
واسْتُتِمَّ الصَّبيحُ فى خَيْرِ وَقْتٍ     فَهْوَ مَغْنَى أُنْسٍ ودارُ مُقَامِ
نَاظِرٌ وِجْهةَ المليحِ ، فَلَوْ يَنْـ     ـطِقُ حيَّاهُ مُعْلِنًا بالسَّلَامِ
أُلْبِسا بَهْجَةً [و] قَابَلَ ذَا ذَا     كَ ، فَمِن ضَاحِكٍ ومِن بَسَّامِ
كَالمحِبَّيْنِ لَوْ أطَاقَا لِقَاءً     أَفْرَطَا فى العِنَاقِ والإلتِزَامِ
تُنْفِذُ الرِّيحُ جَرْيَها بَيْن قُطْرَيْـ     ـهِ فَتَكْبُو من وَنْيَةٍ وسآمِ (٧)

---

(١) سيراء : برد يمنيّة فيها خطوط صفر .

(٢) ديوانه : « إذ تلاحق » ، « عن فيض منسجم السحاب » .

(٣) فى الأصل : « من حيّك » تحريف والتصحيح من ديوانه ، وحُيَّل : جمع حائل ، انظر « شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذى ٢ : ١٥٥ » .

(٤) ديوانه ٣ : ٢٠٠٠ .

(٥) عجزه : « لَخَلِيٌّ من لَوْعَتي وغَرَامِى » .

(٦) ديوانه : « ولذت رقة الماء » .

(٧) الوَنْيَةُ : من الونى وهو الضعف والفتور والكلال والأعياء .

مُسْتمِدٌ بِجَدْوَلٍ مِنْ عُبَابِ الـ ـمَاءِ كالأبيضِ الصَّقِيلِ الحُسَامِ
فإذَا مَا توسطَّ البِرْكَةَ الخضْـ ـراءَ أَلْقَتْ عَلَيْهِ صِبْغَ الرُّخَامِ
فَتَـراهُ كَأَنَّـهُ ماءُ بَحْـرٍ يَخْدَعُ العَيْنَ وَهْوَ مَاءُ غَمَامِ (١)
والدواليبُ إذْ يَدُرْنَ ولا نَا ضِحُ يَمْشِي بِهِنَّ غَيْرُ النَّعامِ
بِدَعٌ أُنْشِئَتْ لأولى عبادِ اللّـ ـهِ بالرُّكنِ والصَّفَا والمَقَامِ
إنَّ خَيْرَ القُصورِ أصْبَحَ مَوْهو بًا بِكُرْهِ العِدى لخَيْرِ الأنَامِ (٢)
جَاوَرَ الجَعْفَرِيَّ وانْحازَ شِبْدا زُ إليه كالرَّاغِبِ المُعْتَـامِ (٣)
حِلَلٌ من مَنَازِلِ المُلْكِ كالأنْـ ـجُمِ يَلْمَعْنَ مِن سوادِ الظَّلامِ (٤)
مُعْجَباتٌ تُعْيِى الصِّفَاتِ فَمَا تُدْ رَكُ إلّا بالظَّـنِّ والأوهـامِ
فَكَأنَّـا نُحِسُّهَـا بالأمَانِـى أو نَرَاهَا فِي طَارِقِ الأحْلَامِ
غُرَفٌ مِن بِنَاءِ دِينٍ ودُنْيا يوجِبُ اللهُ فِيه أجرَ الإمَامِ
شَوَّقتنا إلى الجِنان فزِدْنَا فى اجتِنَابِ الذُنوبِ والآثَامِ

وَقَالَ يَصِفُ بِرْكَةَ المُتَوَكِّلِ: (٥)

مِيلُوا إلى الدّارِ مِنْ لَيْلَى نُحَيِّيهَا (٦)

يامَنْ رَأى البِرْكَةَ الحَسْنَاءَ رؤيتَها والآنساتِ إذا لاحَتْ مغانِيهَا (٧)
تَحْسَبُها أنّها فى فَضْلِ زينتِها تُعَـدُّ واحِـدَةً والبَحْـرُ ثَانِيهَـا

---

(١) ديوانه : « يسقى بهنّ » .
(٢) الجعفرى وشبداز : قصران للمتوكل . وفى الأصل : « سندار » تصحيف ، والتصحيح من ديوانه .
(٣) ديوانه : « فى سواد » .
(٤) ديوانه : « مفحمات » ، « والإيهام » .
(٥) ديوانه ٤ : ٢٤١٤ .
(٦) عجزه : « نَعَمْ ونَسألْها عن بَعْض أهْليها » .
وانظر الجزء الأول من هذا الكتاب : ٤٤٢ .
(٧) ديوانه : « بِحَسْبِها أنّها من فَضْل رُتْبَتِهَا » .

مَابَالُ دِجْلَةَ كالغَيْرَى تنافِسُها ... فى الحُسْن طَوْرًا ، وأَطْوَارًا تُباهِيهَا (١)
أَمَا رَأَتْ كالِئَ الإسلامِ يكْلَؤُهَا ... مِن أن تُعابَ وبَانِى المَجْدِ يَبْنِيهَا
كَأَنَّ جِنَّ سُلَيمَانَ الذِينَ وَلُوا ... إبْدَاعَها وأَدَقُّوا فِى مَعَانِيهَا
فَلَوْ تَمُرُّ بِهَا بَلْقِيسُ عَنْ عُرُضٍ ... قَالَتْ : هى الصَّرْحُ تَمْثِيلًا وتَشْبِيهَا
تَنْحطُّ فيها وفودُ المَاءِ مُعْجَلةً ... كالخَيْلِ خارِجَةً مِنْ حَبْل مُجْرِيهَا
إذَا عَلَتْها الصَّبا أبْدَتْ لَهَا حُبُكًا ... مِثْلَ الجواشِنِ مَصْقُولاً حَواشِيهَا
فَرَوْنَقُ الشَّمسِ أحيَانًا يُضاحِكُهَا ... ورَيِّقُ الغَيْثِ أَحْيَانًا يُبَاكِيهَا
إذَا النُّجُومُ تَراءَت فى جَوانِبهَا ... لَيْلًا حَسِبْتَ سَمَاءً رُكِّبتْ فِيهَا
لايَبْلُغُ السَّمَكُ المَحْصُورُ غَايَتَها ... لبُعدِ مَابَيْنَ قَاصِيهَا ودانِيهَا
يَعُمْنَ فِيها بأوسَاطٍ مُجَنَّحَةٍ ... كالطَّيْرِ تَنْقَضُّ فى جَوٍّ خَوافِيهَا (٢)
لَهنَّ صَحْنٌ رحيبٌ فِى أسافِلَها ... إذا انْحطَطْنَ وبَهْوٌ فِى أَعَالِيهَا
صُورٌ إلى صُورةِ الدُّلْفِينِ يُؤْنِسهُا ... مِنْهُ وَفَاءٌ بِعَيْنَيْهِ يُنَاجِيهَا (٣)
تَغْنَى بساتِينُها القُصْوى برُؤْيتِهَا ... عَنْ السَّحائِبِ مُنْهلا عَزالِيها (٤)
كَأَنَّها حِينَ لَجَّتْ فِى تَدَفُّقِهَا ... يَدُ الخَلِيفَةِ لمَّا سَالَ وادِيهَا
وزَادَهَا زِينَةً مِن بَعْدِ زِينَتِهَا ... أَنَّ اسمَهُ يَوْمَ يُدْعَى من أَسَامِيهَا (٥)
مَحْفُوفَةٌ برياضٍ لاتَزَالُ تَرى ... رِيشَ الطواويسِ تَحكِيهِ ويحْكِيهَا

فَهَذا مِن مَشْهُورِ إحسانِ البُحتُرىِّ .

وإذْ قَدْ ذَكَرْتُ الأبنية فَمِن الوَاجِب أن أُثْبِت فِى هَذَا المَوْضِع قَصِيدتَهُ التى

(١) فى الأصل : « وطوراً تباهيها » والتصحيح من ديوانه .

(٢) فى ديوانه : « تنفض » بالفاء .

(٣) ديوانه : « منه انزواء بعينيه يوازيها » . وصُورٌ : جمع صَوْراء أى مائلات .

(٤) ديوانه : « منحلا » .

(٥) ديوانه : « حين يُدْعَى » .

على السينٌ ، التى يصِفُ فِيهَا إيوانَ كِسرى ، وهِيَ التى أجْمَعَ النّاسُ عَلَى استِحْسَانِها ، والاعترافِ بالفَضْلِ لَهُ فِيهَا ، ومازلت أسمَعُ أَهْلَ العِلْمِ بالشِّعْرِ يَقُولونَ أنّهم لايَعْرِفُون سينيَّةً أجْوَدَ مِنْها[1]:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي ‏ ‏ ‏ وتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ
وَتَماسَكْتُ حِينَ زَعْزَعَنِي الدَّهْـ ‏ ‏ ‏ ـرُ التِمَاسًا مِنْه لِتَعْسِي ونكسي
بُلَغٌ مِن صُبَابَةِ العَيْش [ عندى ] ‏ ‏ ‏ طَفَّفَتْها الأيامُ تَطْفِيفَ بَخْسِ[2]
وبعيـدٌ مابَيْـنَ واردِ رِفْـهٍ ‏ ‏ ‏ عَلَلٍ شُرْبُهُ و واردِ خَمْسِ
/ وكَأَنَّ الزَّمَانَ أصْبَح مَحْمُو ‏ ‏ ‏ لًا هَوَاهُ مَعَ الأخَسِّ الأخَسِّ ١٢٨
واشْتِرائِي « العِرَاق » خُطَّةُ غَبْنٍ ‏ ‏ ‏ بَعْد بيعي « الشآمَ » بيعةَ وَكْسِ
لاتُرْزِنِي مُزَاوِلاً لاخْتِبَارِي ‏ ‏ ‏ عِنْد هَذِى الجُلَّى فتُنكِرَ مَسِّي[3]
وقَدِيمًا عَهِدتَنِي ذَا هَنَاتٍ ‏ ‏ ‏ آبياتٍ على الدَّنِيَّات شُمْسِ
ولَقَدْ رابَنِي نُبُوُّ ابن عَمِّي ‏ ‏ ‏ بَعْدَ لينٍ من جَانِبَيهِ وأُنْسِ
فإِذَا مَاجُفِيتُ كُنتُ حريًّا ‏ ‏ ‏ أنْ أُرَىٰ غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي[4]
حَضَرتْ رَحْلِيَ الهُمُومُ فوجَّهْـ ‏ ‏ ‏ ـتُ إلى أبيضِ المدائنِ عَنْسِي
أَتسلَّى عن الحظوظِ ، وآسَى ‏ ‏ ‏ لمحلٍّ من « آل ساسانَ » دَرْسِ
ذَكَّرَتْنِيهِم الخُطُوبُ التَّوَالِي ‏ ‏ ‏ ولَقَدْ تُذْكِرُ الخُطوبُ وتُنْسِي[5]
وَهُمُ خافِضُونَ فِي ظلِّ عالٍ ‏ ‏ ‏ مُشْرِفٍ يَحسِرُ العُيونَ ويُخْسِي[6]

---

(١) ديوانه : ٢ : ١١٥٢ .
(٢) ساقطة من الأصل ، والتصحيح من الديوان .
(٣) ديوانه : « بعد هذى البلوى فتُنْكِرَ مَسّى » ، لا ترزنى : من رازه : أى جرّبه .
(٤) ديوانه : « جديرا » .
(٥) ديوانه : « أذكرتنيهم » ، وفى الأصل : « الخطوط التوالى » تحريف والتصحيح من ديوانه .
(٦) فى الأصل : « يخسر » بالخاء المعجمة .

مُغْلَقٌ بَابُهُ عَلَى جَبَلِ القَبْـ ـقِ إلى دارَتَىْ خِلَاطٍ ومُكْسِ (١)
حِلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلالِ سُعْدَى فِى قِفَارٍ من البَسابِس مُلْسِ
ومَسَاعٍ لولا المُحَاباةُ مِنِّى لَمْ تُطِقْها مَسعاةُ عَبْسٍ وعَنْسِ
نقل الدَّهْرُ عَهْدهُنَّ عن الجِدَّ[ م ]ةِ حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضاءَ لُبْسِ (٢)
وَكأنَّ الإيوانَ من عَدَمِ الأُنْـ ـسِ وإِخْلالِـهِ بَنِيَّـةُ رَمْسِ (٣)
لَوْ تَراهُ عَلِمْتَ أنَّ اللَّيالِى أحدَثَتْ فيه مأتَمًا بَعْدَ عُرْسِ (٤)
وَهْوَ يُنْبِيكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ لايُشَابُ البَيَانُ فِيهم بِلَبْسِ
وإذَا مَارَأيتَ صُورةَ « أنطا كِيَّةَ » ارتَعْتَ بَيْن رُومٍ وفُرْسِ
والمَنَايَـا مَوَاثِـلٌ وأنـوشَرْ وانَ يُزْجِى الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ (٥)
وعِراكُ الرِّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ فى خُفُوتٍ مِنْه وإغماضِ جَرْسِ (٦)
مِنْ مُشِيحٍ يَهْوِى بعامِلِ رُمْحٍ ومُلِيحٍ مِن السِّنَانِ بِتُرْسِ
تَصِفُ العَيْنُ أنَّهُمْ جِدُّ أحْيا ءٍ لَهُم بَيْنَهم إشارةُ خُرْسِ
يعتَلِى فِيهِمُ ارْتِيابِىَ حتى تَتَقرَّاهُـمُ يَداىَ بِلَـمْسِ (٧)
قَدْ سَقانِى وَلَمْ يُصرِّدْ « أبو الغو ثِ » عَلى العَسْكَرَيْن شَرْبَةَ خَلْسِ (٨)
مِنْ مُدَامٍ تَقُولُها وهْىَ نَجْمٌ ضَوَّأَ اللَّيْلَ أو مُجَاجَةَ شَمْسِ (٩)

---

(١) « القبق » : جبل متصل بباب الأبواب ، وهو آخر حدود أرمينية ، ويقال إن طوله خمسمائة فرسخ وهو متصل ببلاد الروم إلى حد الخزر واللان ، « خلاط » : قصبة أرمينية الوسطى ، « مُكْس » : موضع بأرمينية من ناحية البُسْفُرجّان قرب قاليقلاء . « معجم البلدان » .

(٢) ديوانه : « حتى رجعن » .

(٣) ديوانه : « فكأن الجرماز » وهو الإيوان مُعَرّبا .

(٤) ديوانه : « جعلت فيه » .

(٥) درفس : العلم الكبير .

(٦) فى الأصل : « فى خفوف منه » تحريف ، والتصحيح من ديوانه ، وفيه : « فى خفوت منهم » .

(٧) ديوانه : « يغتلى » بالغين المعجمة

(٨) أبو الغوث : يحى بن البحترىّ ، « يصرّد » ، يقلّل ، والتصريد : شِربٌ دون الرِّىّ .

(٩) ديوانه : « تظنها وهِىَ نَجْمٌ » .

وتُرَاها إذا أجدَّتْ سُرُورًا وارْتياحًا للشَّارِبِ المُتَحَسِّى
أُفْرِغَتْ فِي الزُّجَاجِ من كُلِّ قَلْبٍ فَهِـىَ محبوبـةٌ إلى كُلِّ نَفْسِ
فتوهَّمْتُ أنَّ كِسْرَىٰ « أَبَرْ ويـ ـزَ » مُعاطِيَّ و « البَلَهْبَذَّ »(١) أُنْسِى
حُلُمٌ مُطْبِقٌ على الشَّكِّ عَيْنِى أمْ أَمَانٍ غَيَّرنَ ظَنِّى وحَدْسِى
وكَأَنَّ الإيوانَ من عَجَبِ الصَّنْـ ـعةِ جَوْبٌ فِى جَنْبِ أرْعنَ جَلْسِ(٢)
يُتَظَنَّى مِنَ الكآبَةِ إذْ يَبْـ ـدُو لِعَيْنَىْ مُصبِّحٍ أو مُمَسِّى
مُزْعَجا بالفِراقِ عَنْ أُنْسِ إلْفٍ عَزَّ ، أو مُرْهَقًا بِتَطْلِيقِ عِرْسِ
عَكَسَتْ حَظَّهُ الليالِى ، وَبَاتَ الْـ ـمُشْتَرِى فيهِ وَهْوَ كَوْكَبُ نَحْسِ
فَهـو يُبْـدِى تَجلُّدًا وعَلَيْـهِ كَلْكَلٌ من كَلاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسِى
لَمْ يَعِبهُ أن بُزَّ مِن بُسُطِ الدِّيـ ـباجِ واستُلَّ مِنْ سُتُورِ الدِّمَقْسِ
مُشْمَخِرٌّ(٣) تَعْلُو لَهُ شُرفاتٌ رُفِعتْ فِى رُءوسِ رَضْوَى وقُدْسِ
لابِسَاتٌ مِنَ البياضِ فَمَا تُبْـ ـصِرُ مِنْها إلّا سَبائِخَ بُرْسِ(٤)
لَيْسَ يُدْرَىٰ أصُنْعُ إنسٍ لجنٍّ سَكَنُوُه أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لإنسِ
غير أَنِّى أراه يَشْهَدُ أنْ لَمْ يَكُ(٥) بانيهِ فى المُلوكِ بِنِكْسِ
وَكَأَنِّى أَرَى المراتِبَ والقَوْ مَ إذا مابَلَغْتُ آخِرَ حسِّى
وَكَأَنَّ الوفُودَ ضَاحِينَ حَسْرَىٰ مِن وُقوفٍ خَلْفَ الزِّحَامِ وخُنْسِ(٦)

---

(١) فى الأصل : « الشبهبذ » : تحريف والبَلَهْبَذُّ : مغنى كسرى أبرويز ، انظر « ياقوت فى الكلام على « شبداز » و « قصر شيرين » » .

(٢) « جوب » : أى خرق وقطع ، يشبه القصر بأنه لضخامته كأنه خرق أو نحت فى الجبل ، وأنظر هامش ديوانه .

(٣) المشمخرّ : الجبل العالى .

(٤) برس : القطن . وفى ديوانه : « غلائل برس » . وسبائخ القطن والريّش : ما تناثر منه .

(٥) فى الأصل : « أن لم يكن » ولا يصح معها الوزن ، والتصحيح من ديوانه .

(٦) ديوانه : « وخنس » بخاء معجمة فنون .

وكَأَنَّ القِيَانَ وسْطَ المَقَاصِيـ ـرِ يُرَجِّعْنَ بَيْنَ حُوٍّ ولُعْسِ
وَكَأَنَّ اللّقَاءَ أَوَّلُ مِنْ أَمْـ ـسِ ، ووَشْكُ الفراقِ أَوَّلُ أَمْسِ
وكَأَنَّ الذى يُرِيدُ اتِّبَاعًا طَامِعٌ فِى لَحاقِهِمْ صُبْحَ خَمْسِ (١)
عُمِّرَت لِلسُّرورِ دَهْرًا فَصارَتْ للتَّعـزِّى رباعُهُـم والتَّأَسِّى
فَلَها أَنْ أُعينَها بِدُمُـوعٍ مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبابَةِ حُبْسِ
ذَاكَ عِنْدى ولَيْسَتِ الدَّارُ دَارِى باقْتِرابٍ مِنْها، ولا الجِنْسُ [ جِنْسِى ] (٢)
غَيْرَ نُعْمَى لأَهْلِهَا عِنْد أَهْلِى غَرسُوا مِنْ زَكائِها خَيْرَ غَرْسِ (٣)
أَيَّدُوا مُلْكَنَا وشَدُّوا قُواهُ بكُمَاةٍ تَحْتَ السُّيوفِ وحُمْسِ (٤)
وأَعَانُوا عَلَى كَتَائِبِ « أَرْيا طَ » بِطَعْنٍ عَلَى النُّحورِ ودَعْسِ (٥)
129 / وأَرَانِى مِنْ بَعْدُ أَكلَفُ بالأَشْـ ـرافِ طُرًّا مِن كلِّ سِنْخٍ وأُسِّ (٦)

قَوْلُهُ : « وَهْىَ نَجْمٍ » يُريد : سُقوطَ نَجْمٍ ، مِنْ وَهَى الشىءُ يَهِي ، إذا سَقَطَ وانْحَلَّ ، وإِنَّمَا يَعْنِى ضَوْءَ النَّجْمِ إذا انْقَضَّ ، وغَيْرُنا يَزْعُمُ أَنَّ تِلْكَ نَارٌ فِى الجوِّ ، ولَيْسَتْ من النَّجْمِ ، وهَذَا ضِدُّ مَاعَلَيْهِ العَرَبُ فى كَلَامِهَا ومَعَانِيهَا ، وخِلافُ الاسلامِ والقرآنِ ، ونَصَبَ « وَهْىَ نَجْمٍ » لأَنَّ قَوْلَه : « تَقُولُها » بِمَعْنَى تَظُنُّهَا .

وقَوْلُه : « أو مُجَاجةَ شَمْسٍ » يَعْنى ضَوءَ الشَّمسِ وهو مُجاجُها عَلَى الحَقِيقَةِ ، لأَنَّها تمُجُّهُ عَلَى الأَرضِ .

---

(١) ديوانه : « فى لحوقهم » .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) فى الأصل : « عهد أهلى » تحريف ، والتصحيح من ديوانه .

(٤) ديوانه : « تحت السَّنَوَّر حمس » والسَّنَوَّرُ : الدروع .

(٥) فى الأصل : « بطعان » ، ولا يصح بها الوزن ، و « أرياط » القائد الحبشىُّ الذى غزا اليمن « تاريخ الطبرى ٢ : ١٢٥ وما بعدها » .

(٦) السنخ : الأصل من كل شئ .

وقَوْلُهُ : « مِن وقوفِ خَلْفَ الزِّحَامِ وحُبْسٍ » يَعْنِى : من وُقوفِهمْ وحَبْسِهم ، فالوقوفُ والحُبْسُ – هاهنا – مصدرَانِ ولَيْسَا جَمْعَيْنِ لواقِف وحبيسٍ ، لأَنَّ جَمْع حبيس : حُبْسٌ بالضَمِّ ، وقَدْ جَاءَ فى قَوَافِيهِ « حُبْسُ »[1] .

وَقَوْلُهُ : « أوشكَ الفِراقُ أَوَّل أمْسِ » يريد بأَوَّلِ أمْسِ ، أَوَّل نَهارِ أمسِ ، أى : كَانَ اللّقاءُ فِى مِثْل أوَّلِ مِنْ أمسِ ، أَى : فى اليَوْمِ الذى قَبْل أمسِ ، والفراقُ فِى صَدْرِ يَوْمِ أمسِ ، فَلَا يكونُ بَيْنَهُمَا إِلّا اللّيلةَ بَيْن اليومَيْنِ ، لأَنَّهُ أرَادَ التقريبَ بينَهُما ، ولو أرَادَ بأوّلَ مِن أمسِ مَا أرادَهُ بأَوَّلِ أمسِ لَمْ يَكُن فِى ذَاكَ فَائِدَةٌ .

وقَوْلُهُ :

وكَأَنَّ الذِى يُرِيدُ اتِّبَاعًا طَامِعٌ فِى لَحَاقِهِم صُبْحَ خَمْسِ

أَىّ : لَايَقْدرُ عَلَى لَحاقِهم وإِدْرَاكِهم إِلّا بَعْدَ خَمْسِ لَيَالٍ ، ضرب « خمس لَيالٍ » مَثَلا .

* * *

(١) أى فى قوافى هذه القصيدة ، إذ وردت بعد هذا البيت بأربعة أبيات ، يشير إلى اختلاف المعنى فى كلٍّ لينفى عنه الايطاء ، فالأولى اسم مصدر ، والثانية جمع حبيس ، والأصل فيها ضمُّ الباءِ .

## ذكر ما وصفا به قصائدهما

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ[1]:

كَشفْتُ قِنَاعَ الشِّعْرِ عَنْ حُرِّ وجْهِهِ وطَيَّرْتُهُ عَنْ وكْرِهِ وهْوَ واقِعُ
بغُرٍّ يَرَاها مَنْ يَرَاهـا بِسَمْعِهِ ويَدْنُو إِلَيْها ذُو الحِجَا وهْوَ شَاسِعُ[2]
يَوَدُّ وِدَادًا أَنَّ أعضَاءَ جِسْمِهِ إِذَا أُنْشِدَتْ شَوْقًا إِلَيْها مَسَامِعُ

وهَذَا البَيْتُ مِن إِحْسَانِهِ المَشْهُورِ المَعْرُوفِ .

وَقَالَ[3]:

فَلُونَكَهَا لَوْلَا لَيانُ نَسِيبِهَا لَظَلَّتْ صِلَابُ الصَّخْرِ مِنْها تَصدَّعُ

وَقَالَ[4]:

جَلَامِدُ تَخْطُوها اللَّيالِي وإِن سَرت لَهَا موضحِاتٌ فى رؤُوس الجَلامِدِ

---

(١) ديوانه ٣ : ٦٣٧ والتبريزى ٤ : ٥٩٠ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « فيدنو » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٠ والتبريزى ٢ : ٣٣٤ .

(٤) ديوانه ١ : ٤٦٤ والتبريزى ٢ : ٧٧ .

(٥) وفى ديوانه والتبريزى : « وإن بدت » ، وقال التبريزى : « جلامد » يعنى القصائد ، شبهها بالجلامد لطول بقائها عَلَى الدهر ، وقوله : « موضحات فى رؤووس الجلامد » يقول : إني إذا ذممت قوماً لهم شرف مثل شرف الجبال التى تشتمل على الجلامد ، غادرت فيها القصائد موضحات ، أى شِجاجًا ، من الشجة الموضحة التى تظهر العظم .

أى تَخْطُوهَا اللّيالي ولا تؤثر فِيهَا . « وإن سَرَتْ » يَعْنِى اللّيالِى . « لهَا مُوضِحات فِى رؤوس الجَلامِدِ » يُرِيدِ تأثِيرَ الجَلامِدِ[1] فى الحِجَارةِ ولا تؤثر فِى القَصِيدةِ . والموضِحاتُ : جَمْعُ موضِحَةٍ ، وهِىَ الشَّجَّةُ التى قد أَبْدت عَنِ العَظْمِ .

وَقَالَ[2] :

كُلَّ يَوَمٍ نَوْعٌ يُقَفِّيهِ نَوْعٌ    وَعـرُوضٌ يَتْلُـوهُ قَبْـلُ عَرُوضُ[3]
وقَوافٍ قَدْ ضَجَّ مِنْهَا لِمَا اسْتُعْـ    ـمِلَ فِيهَا المرفُوعُ والمَخْفُوضُ
المَدِيحُ الجَزِيلُ والشُّكْرُ والكَدُّ[ م ]ومُـرُّ العِتَـابِ والتَّحْـرِيضُ[4]

وَمَا كَانَ يَنْبغِى أَنْ يَنْسُبَ مَرْفُوعَ القوافِى ومَخْفُوضَهَا إلى الضَجِيجِ فى مَدْحِ المَمْدُوحِ ، وإن كَانَ مَذْهَبًا غَيْرَ خَطَأٍ ، والأجودُ هُوَ المَذْهَبُ الآخَرُ ، وذَلِكَ قَوْلُه[5] :

يُهيِّجُها بِذِكْرِكَ قِرْنُ فِكْرٍ    إذَا حَرَنَتْ فَتسْلُسُ فِى القِيادِ

وَقَالَ البُحتُرِىُّ[6] :

تَطُوعُ القَوافِى فيكُمُ فَكَأَنَّهَا    تَسِيلُ إليكُمْ من عُلوٍّ قَصِيدُها[7]
وكَمْ لِىَ مِنْ مَحْبُوكَةِ الوَشْيِ فيكُمُ    إذا أُنْشِدَتْ قَامَ امرُؤٌ يستعيِدُهَا

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعل العبارة « تأثير الليالى فى الحجارة » .

(٢) ديوانه ١ : ٥٩٩ والتبريزى ٢ : ٢٩١ .

(٣) ديوانه والتبريزى : « يقضيه نوع » ، « فيك عروض » ، وفى ديوانه فقط : « تتلوه » .

(٤) ديوانه والتبريزى : « والفكر ومُرُّ العتاب » .

(٥) ديوانه ١ : ٣٨٦ والتبريزى ١ : ٣٨١ ، وفيهما : « يُذَلّلها » .

(٦) ديوانه ٢ : ٦٥٥ .

(٧) ديوانه : « فكأنما يسيل » .

وقَوْلُ أبى تمّامٍ : « قَدْ ضَجَّ مِنْها المَرْفُوعُ والمَخْفُوضُ » لَيسَ بضدٌّ لِهَذَا المَعْنى ، لكنّه خِلافٌ لَهُ ، لأنَّه لَمْ يُرِدْ بضجيج القَوافِى[(١)] أنّها تعسَّرتْ عَلَيه ، ولا حَزُنَتْ ، وإنَّمَا ذَهَبَ إلى أنَّ الاستعْمَالَ كَثُر عليها فَمُلَّتْ ، ولَيْسَت مِنَ الاستعارَات الحُلوَةِ .

وَقَالَ : « المَديحُ[(٢)] الجزيلُ والشكرُ والكدُّ » ، فَمَا وَجْهُ اقترانِ الكَدّ بالشُّكْرِ ، وهْىَ لَفْظَةٌ لا تليقُ بألْفاظِ البَيْتِ ، وما أَقْرَبَ مَعْنَاهَا مِنْ مَعْنَى ضَجِيجِ[(٣)] القَوافِى .

وقَالَ أبُو تَمَّامٍ[(٤)] :

قَدْ جَاءَ مِن وصْفِكَ التَّفْسِيرُ مُعْتَذِرًا ... بالعَجْزِ إنْ لَمْ يُغِثْنِى اللهُ والجُمَلُ[(٥)]

وَقَدْ لَبِسْتَ أَمِيرَ المُؤمِنينَ بِها ... حَلْيًا نِظَامَاه بَيْتٌ سَارَ أَوْ مَثَلُ[(٦)]

غَرِيبةٌ تؤنِسُ الآدابُ وَحْشَتَهَا ... فَمَا تَحُلُّ على قَوْمٍ فَتَرْتَحِلُ

١٣ أ / وَقولُه : « إنْ لَمْ يُغِثْنِى اللهُ والجُمَلُ » هوَ كَمَا يَقُولُ القَائِلُ : أَنَا أعْجَزُ عَنْ شَرحِ فَضَائِلِ فُلَانٍ ، وَمَا فِيه عَلى التَّعديِدِ : هُوَ أجْوَدُ النَّاس وأدْمَثُ النّاسِ ، ونَحْوُ هَذَا مِمَّا جَرَت بِه العادةُ . وقَوْلُهُ : « والجُمَلُ » أى : هَذِهِ الجُمَلُ التى أجْمَلْتُهَا ولكنّي أُجْمِلُ لَكَ القَوْلَ ، وأقصِّرُهُ ، ولا أُطيلُهُ .

---

(١) فى الأصل : « تصحيح القوافى » تصحيف .

(٢) فى الأصل : « فالمديح » .

(٣) فى الأصل : « صحيح » تصحيف .

(٤) ديوانه ٢ : ١٨٩ والتبريزى ٣ : ١٩ .

(٥) فى الأصل : « إن لم يغثنى لديك الله والجمل » ولا يصح بها الوزن . وفى ديوانه : « إن لم يغثنى الود والجُمَلُ » .

(٦) ديوانه والتبريزى : « لقد لبست » .

وَقالَ فى تقصير شُكْرِهِ عَنْ الوَاجِبِ :(١)

فإنْ يَكُ أرْبىٰ عَفْوُ شُكْرِى عَلى نَدىٰ ... أُناسٍ لَقَد أرْبَى نداهُ على جُهْدِى(٢)
وقصَّر قَوْلِى عَنْهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَى ... أَقُولُ وأُشْجِى أُمَّةً وأَنَا وَحْدِى
بَغَيْتُ بِشعرى فاعتَلَاه بِجدِّهِ ... فَلا يَبْغِ فى شِعْرٍ لَهُ أَحَدٌ بَعْدِى(٣)

والبُحْتُرِىُّ أبَدًا يَسْلُكُ هذه الطَّرِيقَةَ ولا يَكَادُ يَجْعَلُ نَيْلَ أَحَدٍ ولَا مَعْرُوفَه فَوْقَ شُكْرِهِ ومَدْحِهِ ، ولِذَلك قَالَ :(٤)

لأَشكُرَنَّكَ إنَّ الشُكْرَ نَائِلُهُ ... أَبقَى عَلَى حَالَةٍ من نَائِلِ النَّشَبِ

وَقَالَ فى الفَتْح بنِ خَاقَان :(٥)

وإنِّى لَمحْقُوقٌ بأنْ لا يَطُولَنِى ... نَداهُ إذَا مَا طُلْتُهُ بالقَصَائِـــدِ(٦)
يُحكْنَ لَهُ حَوْكَ البُرودِ لزِينَةٍ ... ويُنْظَمْنَ مِنْ جَدْوَاهُ نَظْمَ القَلائِدِ(٧)
وَحَسْبُ أخِى النُّعمَى جَزاءً إذَا امتَطَى ... سَوائِرَ مِن شِعْرٍ عَلَى الدَّهْرِ خَالِدِ

وَقَالَ [ أَبو تَمَّامٍ ](٨) فِى هَذَا المَعْنَى :(٩)

إنَّ القَوَافِىَ والمَسَاعِىَ لَمْ تَزَلْ ... مِثْلَ النِّظَامِ إذَا أصَابَ فَرِيدَا

---

(١) ديوانه ١ : ٤٥٨ والتبريزى ٢ : ٦٧ .
(٢) فى الأصل : « على شكرى » ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى ، وفى ديوانه : « فقد أربى » .
(٣) فى الأصل : « بعثت بشعرى » تصحيف ، وفى ديوانه والتبريزى : « فاعتلاه ببذله » .
(٤) ديوانه ١ : ١٢١ .
(٥) ديوانه ١ : ٦٢٥ .
(٦) ديوانه : « إذا طاولته » .
(٧) ديوانه : « عن جدواه » .
(٨) ساقطة من الأصل .
(٩) ديوانه ١ : ٤٠٩ والتبريزى ١ : ٤٢١ .

هِىَ جَوْهَرٌ نَثْرٌ فإنْ أَلَّفْتَهُ بالنَّظْمِ صَارَ قَلائِدًا وعُقُودَا[١]
فِى كلِّ مُعْتَرَكٍ وكلِّ مَقامَةٍ يَأْخُذْنَ مِنْهُ ذِمَّةً وعُهُودَا
فإذَا القَصائِدُ لَمْ تَكُنْ خُفَراءَها لَمْ تَرْضَ مِنْها مَشْهَدًا مَشْهُودَا
مِنْ أجلِ ذَلِكَ كانَتِ العَرَبُ الأُلَى يَدْعُونَ هَذَا سُؤْدَدًا مَحْدُودَا
وتَنِدُّ عِنْدَهُمُ العُلَى إلَّا عُلًى جُعِلَتْ لَهَا مِرَرُ القَصِيدِ قُيُودَا

قَوْلُه : « يَأْخُذْنَ مِنْه ذِمَّةً وعُهودا » يَعْنِى المسَاعِىَ يأخذْنَ مِن الشِّعْرِ ، « فإذا القَصائِدُ لَمْ تَكُنْ خُفراءَ المَعَالِى » بأن تَضُمَّها وتَنْظِمَهَا « لَمْ تَرْضَ مِنْها / مَشْهَدا مَشهُودَا » أرادَ أن يَقُولَ : لَمْ يُذْكَرْ مِنْها مَشْهَدٌ ، ولَمْ يُرْوَ ، ولَمْ يُتَحَدَّثْ بِهِ ، فجَعَل مَكَانَ هَذَا « لَمْ تَرْضَ » ، وذَلِكَ أنّ الشِّعْرَ يُقَيِّدُ المآثِرَ ، والحَدِيثُ عَنْهَا مَنْثُورًا يَقَعُ فِيهِ الزِّيادَةُ والنَّقصُ ، ثُمَّ يُنْسَى ، فَهَذا هُوَ السُّؤْدَدُ المَحْدُودُ الذى لم يتَّفِقْ لَهُ من يُقَيِّدُهُ بالشِّعرِ ، وقد أَوْضَحَ هَذَا المَعْنَى بالبيت الأخِيرِ ، وكلٌّ حَسَنٌ جميلٌ . ١٣ ب

وَقَالَ البُحْتُرِىُّ[٢] :

أَيَذْهَبُ هَذَا الدَّهْرُ لَمْ يُرَ موضِعِى وَلَمْ يُدْرَ مَا مِقْدَارُ حَلىٍّ ولا عَقْدِى ؟
ويكْسُدُ مِثْلِى وَهْوَ تَاجِرُ سُؤْدِدٍ يَبِيعُ ثَمِيناتِ المَكَارِمِ والحَمْدِ
سوائِرَ شِعْرٍ جامِعٍ بَدَدَ العُلَى تَعَلَّقْنَ مَنْ قَبْلِى ، وأَتْعَبْنَ مَنْ بَعْدِى[٣]

---

(١) ديوانه : « فإن ألفته بالشعر .. » .

(٢) ديوانه ٢ : ٧٤٧ .

(٣) فى الأصل : « سرائر شعر » ، تحريف والتصحيح من ديوانه ، وهذه الأبيات وردت فى الجزء الثانى : ٢٦١ .

يُقَدِّرُ فيها صانِعٌ مُتعمِّلٌ ... لإِحْكَامِها تَقْدِيرَ دَاوُدَ فى السَّرْدِ
خَلِيلَىَّ لَوْ فِى المَرْخِ أَقْدَحُ إِذْ أَبَى ... رِجَالٌ مُؤَاتَاتِى إِذًا لَكَبا زَنْدِى
وما صادَفَتْنِى كُدْيَةٌ دونَ مَدْحِهِمْ ... فكيْفَ أُرانِى دَونَ مَعْرُوفِهم أُكْدِى؟[١]
أَأَضْرِبُ أَكْبَادَ المَطَايَا إِلَيهِمُ ... مُطَالَبَةً مِنِّى وحاجاتُهُمْ عِنْدِى ؟

قولُهُ : « سوائِرَ شِعْرٍ جَامِعٍ بَددَ العُلَى » كما قال أبو تمّام :

« إلّا عُلًى جُعِلَتْ لها مِرَرُ القصيدِ قُيودَا »

وقوله : « لَوْفِى المَرْخِ ... » فالمَرْخُ أكْثَرُ الشَّجَرِ نارًا ، إذا قُدِحَ يُورِى ، وفى المَثَلِ : « فى كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ ، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَارُ »[٢] . أى : اسْتَكْثَر من النَّارِ ، يقول : لو قدحتُ فيه لَكَبا زَنْدِى ، أى لَمْ يُورِ ، يَذُمُّ[٣] زَمَانَهُ وتَعَذُّرَ الأشياءِ عليه فيهِ ، وهذا مِنْ إحسانِه المَشْهُورِ فى وَصْفِهِ لِشِعْرِهِ .

وقال أبو تمّام فى نَحْوِهِ[٤] :

كما عَلِمَ المُسْتَشْعِرونَ بأنَّهم ... بِطَاءٌ عَنِ الشِّعْرِ الذى أنا قارِضُ
كأنِّىَ دِينارٌ يُنادى ألا فَتًى ... يبارِزُ إذ نَادَيْتُ مَنْ ذا يُعَارِضُ
فلا تُنْكِرُوا ذُلَّ القَوافِى فقد رأى ... مُحرَّمُها أَنِّى له الدّهْرَ رائِضُ[٥]

---

(١) ديوانه : « وما عارضتنى » .

(٢) مجمع الأمثال ٢ : ٤٤٥ ، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَارُ : أى استكثرا ، وأخذا من النّار ما هو حَسْبُهَما ، شُبِّها بمن يكثر العطاء طلبا للمجد ، لأنهما يسرعان الوَرْىَ . ويضرب المثل فى تفضيل بعض الشئ على بعض ، والعَفَارُ : الزند الأعلى ، والأسفل من المرخ .

(٣) فى الأصل : مكان كلمة « يذم » بياض ، ولم يبق منها إلا طرف الميم مُشَدَّدَةً .

(٤) ديوانه ١ : ٦٠٤ والتبريزى ٢ : ٣٠٠ .

(٥) التبريزى : « ذلّ القوافى » بكسر الذال ، « وفى اللسان : ذلل » : الذُّلُّ والذِّلُّ : ضِدُّ الصعوبة ذَلَّ يَذِلُّ ذُلاًّ وذِلاًّ ، وفى ديوانه والتبريزى : « أنى لها الدهر رائض » .

وهَذَا مَرْعًى ولا كالسَّعْدَان ، والبيتُ الأَوسَطُ بَيْتُ الرَّكاكَةِ .

وقال أيضاً[(١)] :

فإِنْ أنا لَمْ يَحْمِدْك عنِّىَ صَاغِرًا ... عَدُّوكَ فاعلم أننى غَيْرُ حامِدِ
بِسَيَّاحَةٍ تَنْسَاقُ مِنْ غيرِ سائقٍ ... وتَنْقَادُ فى الآفاق مِنْ غَيْرِ قَائِدِ
/ إذا شَرَدَتْ سَلَّتْ سَخِيمَةَ شَانِىءٍ ... وَرَدَّت عُزُوْبًا من قلوبٍ شَوارِدِ ١٣
أفادتْ صَدِيقًا من عَدوٍّ وغادَرتْ ... أقارِبَ دنيًا من رِجَالٍ أَبَاعِدِ
مُحبَّبَةٍ[(٢)] ما إن تَزال تَرىٰ لها ... إلىٰ كُلِّ أُفْقٍ وافِدًا غَيْرَ وافِدِ
ومُحْلِفَةٍ[(٣)] لمَّا تَرِدْ أُذْنَ سامِعٍ ... فتصدُرَ إلَّا عَنْ يمينٍ وشاهِدِ

قَوْله : « فإِنْ أَنا لَمْ يَحْمِدْك عَنِّيَ صَاغِرًا عدوُّك » ، يريد إنشادَ العَدُوِّ للقصيدةِ[(٤)] لحُسْنِها ، ونحو ذَلِكَ قَوْلُ البُحْتُرِيِّ[(٥)] :

ليواصِلَنَّكَ رَكْبُ شِعْرٍ سَائِرٍ ... يَرْوِيهِ فيكَ لِحُسْنِهِ الأَعْدَاءُ

وقوله : « إذا شَرَدَتْ سَلَّتْ سَخِيمَةَ شانِىءٍ » ، و « أَفَادَتْ صديقاً مِنْ عَدُوٍّ » ، يعنى نَفْسَهُ بهذا لا الممدوح ؛ لأنّ جَلِيلَ[(٦)] المَدْحِ يَزِيدُ علىٰ عَدَاوَةِ العَدُوِّ وشَنَاءَةِ الشانِىء وحَسَدِ الحاسِدِ ، وإنَّما يريد سلّت سخيمةَ الشانىء إذا سَمِعَ إحسانى ، وصار العدوّ لى بذلك صديقا ، وصار الغريبُ كالقَرِيبِ ، وكالَّذى مِنّى ، وقد بَيَّنَ ذلك بقوله : « مُحَبَّبَةٍ » .

---

(١) ديوانه ١ : ٤٦٤ والتبريزى ٢ : ٧٨ .
(٢) ديوانه : « محبّبةٌ » بالرفع ، والتبريزى : « مُحَبَّبَةً » بالنصب .
(٣) ديوانه والتبريزى : « ومُحْلِفَةً » بالنصب .
(٤) فى الأصل : « للقصيد » .
(٥) ديوانه ١ : ٢٢ .
(٦) فى الأصل : « خليل » تصحيف .

ونَحْوُ هَذَا قولُ البُحْتُرِىّ[١] :

مُكَرَّمَةُ الأسْبابِ فيها وسائِلٌ إلَىٰ غيرِ ما يُحْبَىٰ بها وذرائِعُ[٢]
تَنَالُ منالَ اللَّيْلِ فى كُلِّ وِجْهَةٍ وَتَبْقَىٰ كَما تَبْقَىٰ النُّجومُ الطَّوالِعُ

وقولُهُ : « تنالُ منالَ اللَّيْلِ فى كُلِّ وِجْهَةٍ » أىْ فى سَيْرِهَا الآفَاقَ ، وهذا لا شىءَ أبلغُ مِنْهُ وَلَا أَلْطَفُ ، وَأَظُنُّهُ أَخْطَرَ بِبالِهِ قَوْلَ النَّابِغَةِ[٣] :

فَإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِى هُوَ مُدْرِكِى

وقالَ فِى نَحْوِهِ[٤] :

بَلَغْنَ الأرضَ لَمْ يَلْغُبْنَ فِيهَا وَبَعْضُ الشِّعْرِ يُدْرِكُهُ اللُّغُوبُ

وقالَ فِى نَحْوِهِ[٥] :

تَبِيتُ أَمامَ الرِّيحِ مِنْهَا طَلِيعَةٌ وغَدْوَتُهَا شَهْرٌ ، ورَوْحَتُهَا شَهْرُ

وقالَ أبو تمّامٍ[٦] :

وَسَيَّارَةٍ فِى الأرضِ ليسَ بنازِحٍ عَلَىٰ وَخْدِهَا حَزْنٌ سَحِيقٌ وَلَا سَهْبُ
تَذُرُّ ذُرُورَ الشَّمْسِ فِى كُلِّ بَلْدَةٍ وَتمْضِى جَمُوحاً ما يُرَدُّ لَهَا غَرْبُ

قولُهُ : « تَذُرُّ ذُرُورَ الشَّمْسِ » أحسنُ من كُلِّ ما مَضَىٰ وأجودُ وألطفُ .

---

(١) ديوانه ٢ : ١٣٠٦ .
(٢) ديوانه : « من يحبى » ، و « مُكَرَّمَةُ الأَنسابِ » .
(٣) ديوان النابغة : ٥٦ وعجزه :
« وَإِنْ خِلْتَ أَنَّ المُنْتَأَىٰ عَنْكَ وَاسِعُ » .
(٤) ديوان البحترىّ ١ : ٢٥٩ ، « اللُّغُوبُ » : الإعياء .
(٥) ديوانه ٢ : ٨٧٥ .
(٦) ديوانه ١ : ٢٧٤ والتبريزى ١ : ١٩٦ .

وقال :[1]

نَظَمْتُ لَهُ شِعْرًا مِنَ الشِّعْرِ تَنْضُبُ الـ ـبُحُورُ وَمَادَانَاهُ مِنْ حَلْيِهَا عِقْدُ[2]
تسيرُ مَسِيرَ الرِّيحِ مُطَّرَفَاتُهُ وما السَّيْرُ مِنْها لا العَنِيقُ ولا الوَخْدُ[3]
تَرُوحُ وتغدُو بَلْ يُرَاحُ ويُغْتَدَىٰ بها وهْيَ حَيْرَىٰ لا تَروحُ ولا تَغْدُو
تُقَطِّعُ آفاقَ البلادِ سوابِقًا وما ابْتَلَّ منها لا عِذَارٌ وَلَا خَدُّ

قولُهُ : « تسيرُ مسيرَ الرِّيحِ مُطَّرَفَاتُهُ » يعنىْ مُطَّرفاتِ الشِّعْرِ ، أى مُسْتَحْدَثَاتُهُ .

وقولُ البحتريِّ : « تبيتُ أمامَ الرِّيحِ منها طليعةٌ » أبلغُ مِنْ هَـٰذا . وقدْ جعلَ فروةُ بْنُ حُمَيْضَةَ الأَسَدِيُّ[4] الرِّيحَ طليعةً ، فقالَ يَهْجُو عُمَارَةَ بنَ عَقِيلٍ :

يَخْشَىٰ الرِّيَاحَ بِأَنْ تكونَ طليعةً أَوْ أَنْ تَحِلَّ بِهِ عقوبةُ نَاذِرِ[5]

وقولُ البحتريِّ أَوْكَدُ ، لأَنَّهُ جعلَ قصيدَتَهُ طليعةً أمامَ الرِّيحِ .

وقالَ أبو تمَّامٍ :[6]

فَمَا بالُ وَجْهِ الشِّعْرِ أَغْبَرُ قَاتِمٌ وَأَنْفُ العُلَىٰ مِنْ عُطْلَةِ الشِّعْرِ رَاغِمُ[7]

---

(١) ديوانه ١ : ٤٧٤ والتبريزى ٢ : ٩٤ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « عقدا من الشعر » . وهى الأوجهُ والأحسنُ .

(٣) ديوانه والتبريزى : « مُطَّرَفَاتُهَا » .

(٤) فروةُ بْنُ حُمَيْضَةَ الأَسَدِىّ ، أخو بنى برثن ، كان أحدث حدثا فطلبه السلطان ، هاجى عمارة ابن عقيل وطال التهاجى بينهما ، فلم يُغَلَّبْ أحدُهما على صاحبه حتى قتل فروة « الأغانى ٢٠ : ١٨٣ ، المؤتلف والمختلف ١٤٨ ، والفهرست ١٨٩ ، والأشباه والنظائر للخالدين ٢ : ١٨٨ » وفى الأصل : « حميصة » تصحيف .

(٥) الأغانى وفيه : « عقوبةُ بَادِرِ » .

(٦) فى الأصل : « فقال » والبيت فى ديوانه ٢ : ٣٩٠ والتبريزى ٣ : ١٨٢ .

(٧) ديوانه والتبريزى : « أغبر قاتما » .

ثُمَّ قالَ بعدَ بيتٍ واحِدٍ[(١)] :

فقدْ هَزَّ عِطْفَيهِ القَرِيضُ تَوَقُّعًا ... لِعَدْلِكَ مُذْ رُدَّتْ إِلَيْكَ المَظَالِمُ[(٢)]

والَّذِى وَجْهُهُ أغبرُ قاتمٌ لا يهزُّ عِطْفَيْهِ ، لأنَّ هَزَّ العِطْفِ لا يكونُ إِلَّا مِنَ المَرَحِ والأَشَرِ ، ولا تكونُ المُناقضةُ إلّا هكذا ، وهٰذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَجْلُبُهُ الشَرَهُ والاستقصاءُ لِمَا يَكْفِى مِنْهُ البُلْغَةُ .

وقالَ فِى قصيدةٍ يَعْتَذِرُ فِيها إِلَىٰ ابنِ أَبِى دؤادَ[(٣)] :

خُذهَا مُثَقَّفَةَ القَوَافِى رَبُّهَا ... لِسَوَابِغِ النَّعْمَاءِ غَيْرُ كَنُودِ

حَذَّاءُ تَمْلَأُ كُلَّ أُذْنٍ حِكْمَةً ... وَبَلَاغَةً وَتُدِرُّ كُلَّ وَرِيدِ

كَالطَّعْنَةِ النَّجْلَاءِ مِنْ يَدِ ثَائِرٍ ... بِأَخِيهِ أَوْ كَالضَّرْبَةِ الأُخْدُودِ

كَالدُّرِّ والمَرْجَانِ أُلِّفَ نَظْمُهُ ... بِالشَّذْرِ فِى عُنُقِ الفَتَاةِ الرُّودِ

كَشَقِيقَةِ البُرْدِ المُنَمْنَمِ وَشْيُهُ ... فِى أرضِ مَهْرَةَ أَوْ بِلَادِ تَزِيدِ[(٤)]

يُعْطَىٰ لَهَا البُشْرَىٰ الكريمُ ويَحْتَبِى ... بِرِدَائِهَا فى المَحْفَلِ المَشْهُودِ[(٥)]

بُشْرَىٰ الغَنِىِّ أَبِى البَنَاتِ تَتَابَعَتْ ... بُشَرَاؤُهُ بالفَارِسِ المَوْلُودِ

كَرُقَىٰ الأَساوِدِ والأَرَاقِمِ طَالَمَا ... نَزَعَتْ حُمَاتَ سَخَائِمٍ وحُقُودِ[(٦)]

---

(١) روى هذا البيت فى ديوانه والتبريزى بعد بيتين .

(٢) ديوانه والتبريزى : « مُذْ صَارَتْ » .

(٣) ديوانه ١ : ٣٩٦ والتبريزى ١ : ٣٩٧ .

(٤) مَهْرَةُ : هو مَهْرَةُ بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة منازلهم الشحر من أرض اليمن « معجم ما استعجم ١ : ٢٧ » وقال أبو العلاء : والقَصْبُ يُعْمَلُ هُنَاكَ . — وتزيد : هم بنو تزيد بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة ، نزلوا عبقر من أرض الجزيرة ، فنسج نساؤهم الصوف ، وعملوا البرود التى يقال لها « التزيديّة » ، « معجم ما استعجم ١ : ٣٠٣ » .

(٥) ديوانه والتبريزى : « يُعْطَىٰ بِهَا » ، وفى الأصل : « ويجتنى » تصحيف .

(٦) حُمَات : جمع حُمَة وهو السُّمُّ « التبريزى » .

١٤ / والاعتذاراتُ لا تُخْتَمُ بتقريضِ الشِّعْرِ ، وأنْ يقولَ : « خُذْهَا » وخاصَّةً هذا الطّويلُ المُسْتَقْصَىٰ المعانِى ، لأنَّهُ فِى ذلكَ يقرِّضُ اعتذارَهُ لإعْجَابِهِ بِهِ ، وهذا قبيحٌ ومجانبٌ للعاداتِ ، والأحسنُ أنْ يُخْتَمَ الاعتذارُ بمثلِ ما خَتَمَ بِهِ اعتذارَهُ إلَىٰ موسَىٰ بنِ إبراهيمَ ، وهو قولُهُ (١) :

فَإِنْ يَكُ جُرْمٌ عَنَّ أَوْ تَكُ هَفْوَةٌ     عَلَىٰ خَطَأٍ مِنِّى فَعُذْرِى عَلَىٰ عَمْدِ

وهذا يَصْلُحُ أنْ يُقالَ بعدَ وقوعِ العُذْرِ والرِّضَىٰ ، وكذلكَ قولُ البحترىِّ خاتِمًا لاعتذارِهِ إلَىٰ الفَتْحِ (٢) :

وَمِثْلُكَ إِنْ أَبْدَىٰ الفَعَالَ أَعَادَهُ     وَإِنْ صَنَعَ المعروفَ زادَ وتَمَّمَا

وقولُهُ (٣) :

وَلَا عُذْرَ إِلَا أَنَّ بَدْءَ إِسَاءَةٍ     لَهَا مِنْ زِيَادَاتِ الْوُشَاةِ تَمَامُ

وَيُخْتَمُ الاعتذارُ قبلَ وقوعِ الصَّفْحِ بِمِثْلِ قولِ أبى تمّامٍ (٤) :

وَمَنْ يَأْذَنْ إِلَىٰ الواشينَ تُسْلَقْ     مَسَامِعُـــهُ بِأَلْسِنَـــةٍ حِدَادِ

وَبِمِثْلِ قولِ البُحترىِّ (٥) :

وَاحْتَرِسْ مِنْ ضَيَاعِ حِلْمِكَ فِى الجَفْـ     ـوَةِ وَالإنْقباضِ إِنْ ضَاعَ حِلْمِى

ولولا الإطالةُ لَذَكَرْتُ مِنْ خواتِمِ الشِّعْرِ فى الاعتذاراتِ ما يُؤَكِّدُ هَـٰذا ويَزِيدُ فى بَيَانِهِ .

---

(١) ديوانه ١ : ٤٨٩ والتبريزى ٢ : ١١٧ .
(٢) ديوانه ٣ : ١٩٨٢ .
(٣) ديوانه ٤ : ٢٠٧٠ .
(٤) ديوانه ١ : ٣٨٦ والتبريزى ١ : ٣٨٢ .
(٥) ديوانه ٣ : ١٩٣٩ .

وقالَ أبو تمّامٍ[١] :

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللِّسَانِ قِلَادَةٌ ... سِمْطَانِ فِيهَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ
حُذِيَتْ حِذَاءَ الحَضْرَمِيَّةِ أُرْهِفَتْ ... وَأَجَابَهَا التَّخْصِيرُ وَالتَّلْسِينُ[٢]
إِنْسِيَّةٌ وَحْشِيَّةٌ كَثُرَتْ بِهَا ... حركاتُ أَهْلِ الأرضِ وَهْىَ سُكُونُ[٣]
يَنْبُوعُهَا خَضِلٌ وحَلْىُ قَرِيضِهَا ... حَلْىُ الهَدِىِّ وَنَسْجُهَا مَوْضُونُ[٤]
أَمَّا المَعَانِى فَهْىَ أَبْكَارٌ إِذَا ... فُضَّتْ وَلَكِنَّ القَوَافِىَ عُونُ[٥]
أَحْذَاكَهَا صَنَعُ الضَّمِيرِ يَمُدُّهُ ... جَفْرٌ إِذَا نَضَبَ الكَلَامُ مَعِينُ[٦]
وَيُسِىءُ بالإحسانِ ظَنًّا لَا كَمَنْ ... هُوَ بِابْنِهِ وبِشِعْرِهِ مَفْتُونُ

وَهَـٰذَا كُلُّهُ جَيِّدٌ بالغٌ ، وَمِنْ إحسانِهِ المشهورِ ، وأجودُ مِنْهُ قولُهُ[٧] :

نَفَقَ المَدِيحُ ببابِهِ فَكَسَوْتُهُ ... عِقْدًا مِنَ الياقوتِ غيرَ مُثَقَّبِ
أَوْلَى المديحِ بِأَنْ يكونَ مُهَذَّبًا ... مَا كَانَ مِنْهُ فى أَغَرَّ مُهَذَّبِ
غَرُبَتْ خلائِقُهُ وأَغْرَبَ وَاصِفٌ ... فِيهِ فَأَحْسَنَ مُغْرِبٌ فِى مُغْرِبِ[٨]

---

(١) ديوانه ٣ : ٤٥ والتبريزى ٣ : ٣٢٩ .

(٢) فى التبريزى : « المعنى : أن هذه الأبيات يشبه بعضها بعضا ، كما أنَّ النَّعْلَ المَخْذُوَّةَ تُشَاكِلُ أختَها فلا تزيد عليها ولا تنقص منها » .

(٣) « كَثُرَتْ بِهَا حَرَكَاتُ أَهْلِ الأَرضِ وَهْىَ سُكُونُ » : أى طربوا لها ، أو قلقوا واضطربوا حسدا فيها .
وفى التبريزى : « سَكُونُ » بفتح السين وقال : ويروى بضم السين ، فتكون حينئذ مصدرا وصف به .

(٤) الخَضِل : المبتل ، الهَدِىّ : العروس ، المَوْضُون : المنسوج نسجا متقاربا .

(٥) ديوانه : « إذا نُصَّتْ » .
وعُونٌ : جمع عوان وهى التى ولدت مرة بعد مرة ، أى أن المعانى لم يسبق إليها ، أما القوافى فيشترك فيها الشعراء .

(٦) التبريزى : « صنع اللسان » .

(٧) ديوانه ١ : ٢٢١ والتبريزى ١ : ١٠٦ .

(٨) ديوانه والتبريزى : « وأغرب شاعر » .

لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقٍ حَقٍّ فَلَمْ آثَمْ وَلَمْ أَتَحَوَّبِ
وَمَتىٰ امْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَىٰ يَضِقْ عَنِّى لَهُ صِدْقُ المَقَالَـةِ أَكْـذِبِ (١)

وقالَ البُحْتُرِىّ (٢) :

وَمَا عَدَلَتْ عَنْكَ القصائدُ مَعْدِلاً وَلَا تَرَكَتْ فَضْلاً لِغَيْرِكَ يُحْسَبُ
يُنَظِّمُ مِنْهَا لُؤْلُؤٌ فِى سُلُوكِهِ وَمِنْ عَجَبٍ تَنْظِيمُ مَا لَا يُثَقَّبُ (٣)
يَسُرُّ افْتِنَانِى مَعْشَرًا وَيَسُوءُهُمْ وَيَخْلُدُ مَا أَفْتَنُّ فِيـهِ وَأُسْهِبُ (٤)
وَلَمْ يُبْقِ كَرُّ الدَّهْرِ غَيْرَ عَلَائِقٍ مِنَ القَوْلِ تُرْضِى السَّامِعِينَ وَتُطْرِبُ (٥)

قولُهُ : « وِمِنْ عَجَبٍ تَنْظيمُ مَا لَا يُثَقَّبُ » ، وقولُ أبى تَمَّامٍ : « غَيرَ مُثَقَّبِ » مَعْنَىٰ مُتَداوَلٌ .

وقالَ أبو تَمَّامٍ (٦) :

إِذَا أُنْشِدَتْ فِى القَوْمِ ظَلَّتْ كَأَنَّهَا مُسِرَّةُ كِبْرٍ أَوْ تَدَاخَلَهَا عُجْبُ
مُفَصَّلَةٌ باللُّؤْلُؤِ المُنْتَقَىٰ لَهَـا مِنَ الشِّعْرِ إِلَّا أَنَّهُ اللُّؤْلُؤُ الرَّطْبُ

أرادَ : مُفَصَّلَةٌ باللُّؤْلُؤِ مِنَ الشِّعْرِ ، أىْ بِلُؤْلُؤِ الشِّعْرِ ، لَاْ بِلُؤْلُؤِ الصَّدَفِ ،وَلَم يُرِدْ المُنْتَقَىٰ مِنَ الشِّعْرِ ، لأنَّهُ يكونُ مسروقًا مِنَ الشِّعْرِ ، وذلكَ عيبٌ فاحِشٌ عَلَىٰ الشاعرِ أَن يَعْتَرِفَ بِهِ .

---

(١) فى الأصل : « ومتى امتدحتَ » و « أكذبُ » .
(٢) ديوانه ١ : ١٣٨ .
(٣) ديوانه : « نُنَظِّمُ منها لُؤْلُؤاً » .
(٤) فى الأصل : « يَسُرُّ افتنانى فِيكَ مُعْسِرًا » والتصحيح من ديوانه ، وفى ديوانه : « ما أُفْتَنُ فِيهِم » .
(٥) ديوانه : « وتُغْضِبُ » .
(٦) ديوانه ١ : ٢٧٥ والتبريزى ١ : ١٩٧ .

وقولُهُ : « إلَا أنَّهُ اللُّؤْلُؤُ الرَّطْبُ »[١] أىَ : مُحْدَثٌ مِنِ اختِرَاعِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ سُبِقَ إلَيْهِ[٢] .

وقالَ البُحْتُرِىُّ[٣] :

لَأشْكُرَنَّكَ ، إنَّ الشُكْرَ نَائِلُهُ ... أبْقَىٰ عَلَىٰ حالةٍ مِنْ نَائِلِ النَّشَبِ
بكُلِّ شَاهِدَةٍ للقَــومِ غَائِبَــةٍ ... عَنْهُم جميعًا وَلَمْ يَشْهَـدْ وَلَـمْ يَغِبِ[٤]
مَرْصُوفَـةٍ بِالـلآلِي مِنْ نَوَادِرِهَــا ... مَسْبُوكَةِ اللَّفْظِ والمَعنَىٰ مِنَ الذَّهَبِ[٥]
وَلَمْ أُحَابِكَ فِى مَدْحٍ تُكَذِّبُـهُ ... بالفعلِ مِنْكَ وَبَعْضُ المَدْحِ مِنْ كَذِبِ

قولُهُ : « لَمْ أُحَابِكَ فِى مَدْحٍ تُكَذِّبُهُ » ، وقولُ أبى تمّامٍ : « وإذَا امْتَدَحْتُ سِوَاكَ ... » معنىً قدْ تداولَتْهُ الشُّعَرَاءُ أيضاً وَأَكْثَرَتْ فِيهِ .

وقال أبو تمّامٍ[٦] :

/ إلَيْكَ أثَرْتُ مِنْ تَحتِ التَّرَاقِى ... قَوَافِـىَ تَسْتَــدِرُّ بِلاَ عِصَابِ ١٤١
مِنَ القَرِطَاتِ فِى الآذَانِ تَبْقَىٰ ... بَقَاءَ الوَحْيِ فى الصُّمِّ الصِّلَابِ
عِرَاضُ الجَاهِ تَجزَعُ كُلَّ وَادٍ ... مُكَرَّمَـةً وتَفْتَــحُ كُلَّ بَابِ
مُضَمَّنَةً كلاَلَ الرَّكْبِ تُغْنِى ... غَنَاءَ الزَّادِ عَنْهُـمْ والرِّكَـابِ
إذَا عَارَضْتَهَا فِى يَوْمِ فَخْرٍ ... مَسَحْتَ خُدُودَ سَابِقَةٍ عِرَابِ
تَصِيرُ بِهَا وِهَادُ القَوْمِ هَضْبًا ... وأعْلَامًا وتَثْلِـمُ فِى الرَّوَابِى

---

(١) فى النظام ١ : لوحة ٩٦ « وقوله : « إلَّا أنَّهُ لُؤلُؤٌ رَطْبُ ... » .
(٢) ثم قال ابن المستوفى : « وروى الآمدى : لؤلؤ رَطب » ، فرواية الآمدى كما ذكرها ابن المستوفى ونقل تعليقه عليها ، ولكننى لم أجد فى النسخة الوحيدة التى بين يدى للموازنة إلّا « اللؤلؤ الرطب » .
(٣) ديوانه ١ : ١٢١ .
(٤) ديوانه : « ولمْ تَشْهَدْ ولمْ تَغِبِ » .
(٥) ديوانه : « موصوفةٍ » .
(٦) ديوانه ١ : ٣٣٥ والتبريزى ١ : ٢٨٨ .

قولُهُ : « تستدرُّ بِلا عِصَابِ » كما يُفْعَلُ بالنَّاقَةِ عند الحَلْبِ ، وهى العَصُوبُ ، وإنَّمَا قِيلَ لَهَا ذلكَ ، لأنَّهَا لاتَدُرُّ حتَّىٰ يُعْصَبَ فَخِذَاهَا .

وقولُهُ : « تَصِيرُ بِهَا وِهَادُ القومِ هَضْبًا » يريدُ أحسابَهُمُ الَّتِى لا تُذْكَرُ وقَدْ نُسِيَتْ يرفعُهَا الشِّعْرُ مِنَ الانْخِفَاضِ إِلَىٰ الارْتِفَاعِ ، وقولُهُ : « وتَثْلِمُ فِى الرَّوَابِى » يَعْنِى مِنْ جزالةِ لَفْظِهَا وصلابتِهِ ، أو لعلَّهُ ذهبَ إِلىٰ نحوِ قولِهِ : « تَجْزَعُ كُلَّ وَادٍ »[1] أىْ تقطعُ وتَشُقُّ ، وإنَّمَا يُقْطَعُ بِهَا فِى السَّيْرِ .

وقولُهُ : « مِنَ القِرَطَاتِ[2] فِى الآذانِ » يريدُ أنَّ الآذانَ إِذَا سَمِعَتْهَا لَمْ تَنْسَهَا لِحُسْنِهَا ، فتكونُ كأنَّهَا قُرْطٌ فِىْ الآذانِ لا تفارِقُهَا ، وقولُهُ : « بقاءَ الوَحْيِ فى الصُّمِّ الصِّلَابِ » يريدُ الكِتَابَ فى الحجرِ ، وهذا جارٍ فى عاداتِ النَّاسِ أنْ يقُولُوا : مِثْلَ النَّقْشِ فى الحجرِ .

وقولُ البُحْتُرِيِّ : « وَتَبْقَىٰ كَمَا تَبْقَىٰ النُّجُومُ الطَّوَالِعُ » مِنْ قولِهِمْ : ما طلعَ نَجْمٌ ، وما لاحَ كَوْكَبٌ ، ونحوِ هَـٰذَا .

وقولُهُ : « مَسَحْتَ وُجوه سَابِقَةٍ عِرَابِ » مِنْ قَوْلِ تَمِيمِ [ بْنِ أُبَيِّ بْنِ][3] مُقْبِلٍ يَصِفُ البيتَ مِن شِعْرِهِ :

---

(١) نقل ابن المستوفى فى النظام تفسير الآمدى لهذا البيت وجاءت فيه زيادة عما ورد فى الموازنة وهى قوله : « وَيُحَطُّ الحَسَبُ الرَّفِيْعُ وَيُهَدُّ إِذَا ذَمَّتْ وَهَجَنَتْ » .

(٢) قال أبو العلاء : « ويروى « من القُرُطات » بضم القاف والراء ، وهو جمع قُرْطٍ على حَدِّ قولهم : حَمَّام وحمَّامَات ، وسجِلّ وسجِلّات ، وإذا رُوِىَ « قِرَطات » فهو جمع الجمع ، كأنهم قالوا : قُرْط وقِرَطة ، ثم جمعوا القِرَطَةَ جمعاً ثانياً . « التبريزى ١ : ٢٨٩ » .

(٣) مطموسة فى الأصل .

وتميمُ بْنُ أُبَيٍّ مِنْ بَنِىْ العجلان ، أبو كعب شاعرٌ مخضرمٌ أدركَ الجاهليةَ والإسلامَ وكان يبكى أهل الجاهلية وبلغ مائة وعشرين سنة ، وكان يهاجى النجاشى الشاعرَ « طبقات ابن سَلَّامٍ ١٥٠ ، الشعر والشعراء ٤٥٥ ، الإصابة الترجمة ٨٦٣ ، سِمْطُ اللآلى ٦٨ ، وخزانة الأدب ١ : ٢٣١ » .

أَغَرَّ غَرِيبًا يَمْسَحُ النَّاسُ وَجْهَهُ ... كَمَا تَمْسَحُ الأَيْدِى الجَوَادَ المُشَهَّرَا [(١)]

أىْ : هُوَ مِنْ جِنْسٍ ما يَمْسَحُ النَّاسُ وَجْهَهُ لِحُسْنِهِ ، لَا أَنَّ هناكَ لَهُ وَجْهٌ يُمْسَحُ .

وقالَ البُحْتُرِىُّ [(٢)] :

جِئْنَاكَ نَحْمِلُ ألفاظًا مُدَبَّجَةً ... كَأَنَّمَا وَشْيُهَا مِنْ يُمْنَةِ اليَمَنِ

تُهْدِى القَرِيضَ إِلَىٰ رَبِّ القَرِيضِ مَعًا [(٣)] ... كَحَامِلِ العَصْبِ يُهْدِيهِ إِلَىٰ عَدَنِ

مِنْ كُلِّ زَهْرَاءَ كالنُّوَّارِ مُشْرِقَةٍ ... أَبْقَىٰ من الزَّمَنِ البَاقِى مِنَ الزَّمَنِ [(٤)]

قولُهُ : « أَبْقَىٰ من الزَّمَنِ البَاقِى مِنَ الزَّمَنِ » مِنْ إغراقاتِ أبى تَمَّامٍ ، إِلَّا أَنَّ هَـٰذَا لَيْسَ بِمُسْتَكرَهِ اللَّفْظِ ولا مِمَّا يَنْبُو عَنْهُ القَلْبُ .

وقالَ البُحْتُرِىُّ [(٥)] :

تَبْلَىٰ الخُطُوبُ وأَحْدَاثُ الزَّمَانِ وَلَا ... تَبْلَىٰ القَوَافِى مُثُولًا وَالأَعَارِيضُ

وقال أبو تمّامٍ [(٦)] :

فَلَيَلْقَيَنَّكَ حَيْثُ كُنْتَ قَصَائِدٌ ... فِيهَا لِأَهْلِ المَكْرُمَاتِ مَآرِبُ

فَكَأَنَّمَا هِىَ فى السَّمَاعِ [(٧)] جَنَادِلٌ ... وَكَأَنَّمَا هِىَ فِى القُلُوبِ كَوَاكِبُ

---

(١) ديوانه : ١٢٩ .

(٢) ديوانه ٤ : ٢١٩٥ .

(٣) ديوانه : « نهدى » .

(٤) فى ديوانه : « أَبْقَىٰ على الزَّمَنِ » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٢١٨ .

(٦) ديوانه ١ : ٢٦١ والتبريزى ١ : ١٧٤ . وفيهما « فَلتَلْقَيَنَّكَ » .

(٧) فى الأصل : سقطت العين من « السَّمَاع » فصارتْ « السَّمَا » ، وفى ديوانه والتبريزى : « فى العيون كواكب » .

وإنَّمَا جعلَهَا فى السَّمَاعِ جَنَادِلَ ، وفى القلوبِ كواكبَ ، فَفَرَّقَ بَيْنَ السَّمْعِ والقَلْبِ فى التَّقْسِيمِ وَحَالُهُمَا واحدةٌ ، لِأَنَّ الأشياءَ تُتَصَوَّرُ فِى القُلُوبِ وَلَا تُتَصَوَّرُ فِى الأَسْمَاعِ ، فَجَعَلَ جزالةَ اللَّفْظِ لِلأُذُنِ ، وَحُسْنَ المعانى لِلْقَلْبِ .

وقَالَ (١) :

أَمَّا القَوَافِى فَقَدْ حَصَّنْتَ غِرَّتَهَا ... فَمَا يُصَابُ دَمٌ مِنْهَا وَلَا سَلَبُ
مَنَعْتَ إِلَّا مِنَ الأَكْفَاءِ نَاكِحَهَا ... وكانَ مِنْكَ عَلَيْهَا العَطْفُ وَالحَدَبُ (٢)
وَلَوْ عَضَلْتَ عَنِ الأَكْفَاءِ أَيِّمَهَا ... وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِى أَطْهَارِهَا أَرَبُ
كَانَتْ بَنَاتِ نُصَيْبٍ حِينَ ضَنَّ بِهَا ... عَنِ المَوَالِى وَلَمْ تَحْفِلْ بِهَا العَرَبُ (٣)

قَدْ (٤) فَسَّرَ معنَى البيتِ الأَوَّلِ بالثانى بقولِهِ : « فَمَا يُصَابُ دَمٌ مِنْهَا وَلَا سَلَبُ » ، لأَنَّهُ مَنَعَ القصائِدَ أَنْ تُقَالَ إِلَّا فِى كُفْءٍ سَيِّدٍ رئيس ، فَمَا يُصَابُ دَمٌ منها وَلَا سَلَبُ ، لِأَنَّهَا إِنْ قِيلَتْ فِى وَضِيعٍ لَئِيمٍ ، فَكَأَنَّهَا مِمَّا أُصِيبَ فَذَهَبَ دَمُهُ وَسَلَبُهُ ، وهذا محْذُوٌّ عَلَى قولِ ابْنِ هَرْمَةَ (٥) :

كَأَنَّ قصائِدِى لَكَ – فاصْطَنِعْنِى – ... كَرائِمُ قَدْ عُضِلْنَ عَنِ النِّكَاحِ

وقَالَ (٦) :

خُذْهَا مُغَرَّبَةً فِى الأَرْضِ آنِسَةً ... بِكُلِّ فَهْمٍ غَرِيبٍ حِينَ تَغْتَرِبُ

---

(١) ديوانه ١ : ٣٠٧ والتبريزى ١ : ٢٥٢ .

(٢) فى الأصل : « أيِّمها » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى .

(٣) قال الصُّولى : كان لنصيب الشاعر الأسود مولى بنى أمية بنات ، وكان يرغب عن أن يزوجهن الموالى ، والعرب لا تريدهن فبقين . « ديوان أبى تمّام بشرح الصولى » .

(٤) نقل ابن المستوفى تعليق الآمدى فى النظام ١ : لوحة ١١٨ .

(٥) ديوانه : ٨٦ .

(٦) ديوانه ١ : ٣١١ والتبريزى ١ : ٢٥٨ ، وفى الأصل « بكُلّ مهم » تحريف .

مِنْ كُلِّ قافيةٍ فيها إذا اجْتُنِيَتْ     مِنْ كُلِّ ما يَشْتَهِيهِ الهَائِمُ الوَصِبُ[1]
الجِدُّ والهَزْلُ فى تَوْشِيْعِ لُحْمَتِهَا     والنُّبْلُ والسُّخْفُ والأشجانُ والطَّرَبُ[2]
لَايُستَقَىٰ مِنْ جَفِيرِ الكُتْبِ رَوْنَقُهَا     وَلَمْ تَزَلْ تَسْتَقِى مِنْ بَحْرِهَا الكُتُبُ[3]
/ حَسِيبَةٌ فى صَمِيمِ المَدْحِ مَنْصِبُهَا     إذْ أَكْثَرُ الشِّعْرِ مُلْقًى مَالَهُ حَسَبُ[4] ١٤٢

قولُهُ[5]: « الجِدُّ والهَزْلُ فى تَوشِيعِ لُحْمَتِهَا » بيتٌ فى غايةِ الحُمْقِ ، وَمَنْ يمدحُ[6] وزيرًا فَلِمَ يُضَمِّنُ قصيدَتَهُ الهَزْلَ والسُّخْفَ ؟ ، وإنْ كانَ هناكَ ما يَدُلُّ عَلَىٰ هذا فَلِمَ نَبَّه عَلَيْهِ واعْتَرَفَ بِهِ ؟ ، ولَعَمْرى إنَّ قولَهُ فِيهَا :

وَزِيرُ حَقٍّ وَوَالِى شُرْطَةٍ وَرَحَا     دِيوَانِ مُلْكٍ وَشِيعِىٌّ وَمُحْتَسِبُ

سُخْفٌ يَزِيدُ عَلَىٰ كُلِّ سُخْفٍ .

وقولُهُ[7]:

إنَّ القَصَائِدَ يَمَّمَتْكَ شَوَارِدًا     فَتَحَرَّمَتْ بِنَدَاكَ قَبْلَ تَحَرُّمِى
مَا عَرَّسَتْ حَتَّىٰ أَتَاكَ بِفَارِسٍ     رِيعانُهَا والغَزْوُ قَبْلَ المَغْنَمِ
فَجَعَلْتَ قَيِّمَهَا الضَّمِيرَ وَمُكِّنَتْ[8]     مِنْـهُ فَصَارَتْ قَيِّمًـا لِلْقَيِّـمِ
خُذْهَا فَمَا زَالَتْ عَلَىٰ اسْتِقْلَالِهَا[9]     مَشْغُولَـةً بِمُثَقِّـفٍ وَمُقَـوِّمِ
تَذَرُ الفَتِىَّ مِنَ الرَّجَاءِ وَرَاءَهَا     وَتَرُودُ[10] فِى كَنَفِ الرَّجَاءِ القَشْعَمِ

---

(١) فى التبريزى : « يجتنيه » ، وفيهما « المُدْنَفُ الوَصِبُ » .
(٢) رسم الناسخ « شيح » فوق « توشيع » إشارة إلى رواية « توشيح » ، ولم أجدها فى دواوينه .
(٣) ديوانه : « لا يُسْتَقَىٰ مِنْ خَفِىِّ » .
(٤) ديوانه : « مِنْ صميم المدح » .
(٥) نقل ابن المستوفى هذا التعليق فى النظام ١ : ١٢٠ .
(٦) فى الأصل عبارة « وَمَنْ يَمْدَحُ وَزِيرًا » مطموسةٌ لا تكادُ تُقْرَأُ ، والتصحيح من النظام .
(٧) ديوانه ٢ : ٤٣٠ والتبريزى ٣ : ٢٥٦ .
(٨) ديوانه والتبريزى : « فَجَعَلْتُ » بالإسنادِ إِلَىٰ ضميرِ المتكلمِ .
(٩) ديوانه : « فما زالتْ على اسْتِثْقَالِهَا » .
(١٠) ديوانه : « فترودُ » .

زَهْرَاءَ أَحْلَىٰ فى الفُؤَادِ مِنَ المُنَىٰ ... وَأَلَذَّ مِنْ رِيقِ الأَحِبَّةِ فى الفَمِ

وهذا البيتُ مِنْ إحسانِهِ المشهورِ .

وكانَ محمدُ بْنُ الهَيْثَمِ مُقِيمًا بفارسَ ، وأنفذَ أبو تمَّامٍ هذهِ القصيدةَ إِلَيْهِ ، أَظُنُّ ذاكَ قَبْلَ مَقْدِمِهِ عَلَيْهِ ، فلذلكَ قالَ : « حَتَّىٰ أَتَاكَ بِفَارِسٍ رَيْعَانُهَا » ، وَرَيْعَانُ كُلِّ شَيْءٍ أَوَّلُهُ ، وإِنَّمَا أرادَ : حَتَّىٰ أَتَاكَ سَابِقُهَا ، أىْ : حَتَّىٰ أَتَتْكَ سَابِقَةً ، وقولُهُ : « والغَزْوُ قَبْلَ المَغْنَمِ » لِأَنَّهُ قَصَدَهُ إِلَىٰ فَارِسَ ، وقولُهُ : « فَجَعَلْتَ قَيِّمَهَا الضَّمِيرَ » أرادَ أنْ يقولَ : فجعلتَ قلبَكَ قَيِّمَهَا ، يَعْنِى بالتأمُّلِ والتَّدَبُّرِ ، « ومُكِّنَتْ مِنْهُ » بِحُسْنِ معانِيهَا « فصارتْ قَيِّمًا للقَيِّمِ » أىْ عَلَىٰ القَيِّمِ ، وهذا مِنْ إغراقِهِ المكروهِ واستعاراتِهِ المُتَعَسَّفَةِ ، وقولُهُ : « بِمُثَقِّفٍ وَمُقَوِّمِ » أىْ : بتثقيفٍ وتقويمٍ ، وقولُهُ : « تَذَرُ الفتِىَّ مِنَ الرَّجَاءِ وَرَاءَهَا » يَعْنِى الصغيرَ من الرَّجاءِ ، أَىْ : لَا أَرْجُو إِلَّا السَّادَةَ والعُظَمَاءَ .

وقال أبو تمَّامٍ[1] :

يَاخَاطِبًا مَدْحِى إِلَىَّ بِجُودِهِ ... وَلَقَدْ خَطَبْتَ قَلِيلَةَ الخُطَّابِ

خُذْهَا ابْنَةَ الفِكْرِ المُهَذَّبِ فى الدُّجَىٰ ... والليْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الجِلْبَابِ

بِكْرًا تُوَرَّثُ[2] فى الحَيَاةِ وتَنْثَنِى ... فى السِّلْمِ وَهْىَ كَثِيرَةُ الأَسْلَابِ

وَيَزِيدُهَا مَرُّ اللَيَالِى جِدَّةً ... وَتَقَادُمُ الأَيَّامِ حُسْنَ شَبَابِ

قولُهُ[3] : « تُوَرَّثُ فى الحَيَاةِ » أىْ تصير ميراثاً[4] لِوَلَدِ الممدوحِ وأَهْلِهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ ،

---

(١) ديوانه ١ : ٢١٥ والتبريزى ١ : ٩٠ ، وفيهما : « مدحى إليه » .

(٢) ديوانه والتبريزى : « تُوَرِّثُ » بكسر الراء وأنظر تعليق أبى العلاء فى شرح التبريزى ، وضبط محقق شرح الصولى الكلمة بكسر الراء والشرح على فتحها .

(٣) نقل ابن المستوفى تعليق الآمدى فى النظام ١ : لوحة ٦١ .

(٤) فى الأصل « يصير ميراثها » ولا يستقيم مع فتح الراء فى « تورَّث » والتصحيح من النظام .

لِأَنَّ افتخَارَهُم بِمَا فِيها مِنْ مَنَاقِبِهِ فِى حَيَاتِهِ كَفَخْرِهِم [ بِهَا ][1] بَعْدَ وفاتِهِ ، وقولُهُ : « كَثِيرَةُ الأَسْلَابِ » أَىْ : يُؤْخَذُ مِنْ معانِيهَا غَصْبًا وَسَلْبًا وليسَ هناكَ حَرْبٌ[2] .

وقال أبو تمّامٍ[3] :

إِلَيْكَ بَعَثْتُ أَبْكَارَ المَعَانِى ... يَلِيهَا سَائِقٌ عَجِلٌ وَحَادِى

جَوَائِرَ عَنْ ذُنَابَىٰ القَوْمِ حَيْرَىٰ ... هوادِىَ بالجماجِمِ والهَـوَادِى[4]

شِدَادُ الأَسْرِ سَالِمَةُ النَّوَاحِى ... مِنَ الإِقْــوَاءِ فيها والسِّنَـــادِ[5]

لَهَا فى الهاجِسِ القِدْحُ المُعَلَّىٰ ... وفى كُتُبِ القَوَافِى والعِمَـادِ[6]

مُنَزَّهَةٌ عَنِ السَّرِقِ المُوَرَّىٰ ... مُكَرَّمَةٌ عَنِ المَعْنَىٰ المُعَادِ

قولُهُ : « جَوَائِرَ عَنْ ذُنَابَىٰ القَوْمِ » مثلُ قولِهِ : « تَذَرُ الفَتِىَّ مِنَ الرَّجَاءِ وَرَاءَهَا » .

وللهِ دَرُّ أبِى عُبَادَةَ إِذْ يقولُ[7] :

وَيَلُوْمُ سَائِلَ البُخَلَاءِ حِرْصًا ... وَإِسْرَافًا كَمَا لُؤْمَ البَخِيلُ

---

(١) زيادة من النظام ، والسياق يقتضيها .

(٢) وردت زيادة فى النص الذى نقله ابن المستوفى من كلام الآمدى قال : « وقال : قوله : « فى الدُّجَىٰ » أى فى الليل ، والليل هذه حاله ، أى فى جوف الليل لا فى أطرافه ، يريد به سهره لها » .

(٣) ديوانه ١ : ٣٨٥ والتبريزى ١ : ٣٨٠ .

(٤) فى الأصل : « هواد » وهو خطأ ، والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى .

(٥) فى الأصل : « شديد » والتصحيح من ديوانه والتبريزى .

(٦) ديوانه والتبريزى : « نظم القوافى » .

(٧) ديوانه ٣ : ١٨٢٠ وقد سبق فى ٢ : ٢٦٢ ، وروى هناك « وإسفافا » ، وفى ديوانه : « وإشفاقا » .

« الإِسْرَافُ » الطَّمَعُ .

وقولُ أبى تمّامٍ(١) : « لَهَا فى الهَاجِسِ القِدْحُ المُعَلَّىٰ » ، والهَاجِسُ الفِكْرُ والخاطِرُ ، و « القِدْحُ » : السّهمُ من سهامِ المَيْسِرِ ، و « المُعَلَّىٰ » : أكثرُهَا نصيبا ، وهذا تمثيلٌ مستقيمٌ ، إلّا أنَّ قولَهَ : « فى كُتُبِ القَوَافِى والعِمَادِ » ركاكةٌ مِنْهُ ، وأَىُّ فَضْلٍ لقافيةِ هذهِ القصيدةِ عَلَىٰ سائِرِ القَوَافِى حتَّىٰ يجعلَ لَهَا القِدْحَ المُعَلَّىٰ والعِمَادَ ؟ ، إِنْ كانَ أرادَ هذهِ الألفَ التى قَبْلَ الدَّالِ ، فإِنَّهُ لا يُقَالُ فيها « عِمَادٌ » ، وإِنَّمَا يُقالُ لَهَا « الرِّدْفُ » ، وأَظُنُّهُ أرادَ بالعمادِ إقامةَ الوزنِ ، وذَهَبَ إِلَىٰ العَرُوضِ ، يُقَالُ : عَمَدٌ وعِمَادٌ ، كَمَا يُقَالُ :
١ جَمَلٌ وجِمَالٌ ، أَىْ : فى كُتُبِ القَوَافِى والعَرُوضِ ، وهذا اخْتِلَالٌ قبيحٌ / وَعِىٌّ ، وزيادةُ وَصْفٍ لَمْ يَكُنْ بِهِ إِلَيْهِ حاجةٌ وَلَوْ أسقط البيت .

وقال(٢) :

تِلْكَ القَوَافِى قَدْ أَتَيْنكَ نُزَّعًا ... تَتَجَشَّمُ التَّهْجِيرَ والتَّغْلِيسَا(٣)
مِنْ كُلِّ شارِدةٍ تُغَادِرُ بَعْدَهَا ... حَظَّ الرِّجَالِ مِنَ القَرِيضِ خَسِيسَا(٤)
وجديدةُ المَعْنَىٰ إذا مَعْنَىٰ الَّتِى ... تَشْقَىٰ بِهَا الأَسْمَاعُ كَانَ لَبِيسَا
تَلْهُو بِعَاجِلِ حُسْنِهَا وَتَعُدُّهَا ... عِلْقًا لِأَعْجَازِ الزَّمَانِ نَفِيسَا
مِنْ دَوْحَةِ الكَلِمِ الَّتِى لَمْ يَنْفَكِكْ ... وَقْفًا عليكَ رَصِينُهُ مَحْبُوسَا(٥)
كالنَّجْمِ إِنْ سافرتَ كان مُواكِبًا ... وإذا حَطَطْتَ الرَّحْلَ كانَ جَلِيسَا

---

(١) نقل ابن المستوفى فى النظام تفسير الآمدى وتعليقه ، غير أن النص جاء مختصراً ، وقد يكون نقله من كتاب الآمدى المفقود « تفسير معانى أبيات أبى تمام » قال ابن المستوفى : « قال الآمدى : قوله : « لها فى الهاجس القِدْحُ المُعَلَّىٰ » أى السهم الفائز ، و « العِماد » جمع عَمَد ، مثل جبل وجبال وجَلَمَ وجلام « وَهى صغار الغنم » أي : ولها فيما يعمدها ويقويها القِدْح المُعَلَّى ، كأنه يريد إقامة الوزن ، يعنى العروض ، ورواية الآمدى « فى كُتُبِ القوافى » النظام ١ : ٢٩١ .

(٢) ديوانه ١ : ٥٨٥ والتبريزى ٢ : ٢٧٣ .

(٣) ديوانه والتبريزى : « هذى القوافى » ، « تَتَجَسَّمُ » بالسين المهملة .

(٤) ديوانه والتبريزى : « من القصيد خسيسا » .

(٥) ديوانه والتبريزى :

« ............. الَّتِى لَمْ يَنْفَكِكْ ... يُمْسِي عَلَيْكَ رَصِينُهَا مَحْبُوسَا »

ومعنىٰ هذا البيتِ مِنْ معانيهِ اللَّطِيفَةِ المشهورةِ . قولُهُ : « لِأَعْجَازِ الزَّمَانِ » أرادَ بالأعجازِ أواخِرَ الزَّمانِ ، وهذا لفظٌ وإنْ كانَ معنَاهُ صحيحا ، فإنَّهُ لا يكادُ يُسْتَعْمَلُ بِأَنْ يُقَالَ : إِذَا كانَ فى عَجُزِ الزَّمَانِ كَذَا وَكَذَا ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : إِذَا كانَ فِى آخِرِ الزَّمَانِ ، وإنَّمَا قَالَ : أعجاز الزَّمَانِ ، مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِ : « تَلْهُو بِعَاجِلِ حُسْنِهَا » ، فأرادَ أنْ يُطَابِقَ بينَ عاجِلٍ وآجِلٍ ، فَلَمْ يَسْتَوِ لَهُ آجلُ الزَّمَانِ ، فجعلَ مكانَهُ أعجازَ الزَّمَانِ ، ولَوْ قالَ : أغبارَ الزمَانِ ، وغُبَّرَ الزَّمَانِ أى : باقِى الزَّمَانِ ، كانَ أحسنَ مِنْ أَعْجَازِ الزَّمَانِ ، لِأَنَّ غابرَ الأَيَّامِ لفظٌ مُسْتَعْمَلٌ حَسَنٌ ، فإذَا وَقَعَ فى مَوْقِعِ المُسْتَعْمَلِ ما هو فى مَعْنَاهُ وَلَيْسَ بِمُسْتَعْمَلٍ فِى ذلك قَبُحَ وَهَجُنَ ، وَلَكِنْ ليستْ لأبى تمّامٍ عنايةٌ باللَّفْظِ كَعِنَايَتِهِ بالمعَانى ، فَهُوَ إِذَا جاءَهُ المَعْنَىٰ أَوْرَدَهُ بِأَىِّ لَفْظٍ اسْتَوَىٰ لَهُ ، والبُحْتُرِىُّ عنايتُهُ مصروفةٌ إِلَىٰ تَخَيُّرِ الألفاظِ كَمَا يَتَخَيَّرُ المَعَانِى وذلكَ قولُهُ (١) :

بِمَنْقُوشَةٍ نَقْشَ الدَّنَانِيرِ يُبْتَغَىٰ ... لها اللَّفْظُ مُخْتاراً كَمَا يُنْتَقَىٰ التِّبْرُ

وقولُهُ (٢) :

مَرْصُوفَةٌ بِالَّلآلِى مِنْ نَوَادِرِهَا ... مَسْبُوكَةُ اللَّفْظِ وَالمَعْنَىٰ مِنَ الذَّهَبِ (٣)

وقال أبو تمّامٍ (٤) :

إِلَيْكَ أَرَحْنا عَازِبَ الشِّعْرِ بَعْدَمَا ... تَمَهَّلَ فى رَوْضِ المَعَانى العَجَائِبِ
غَرَائِبُ لَاقَتْ فى فِنَائِكَ أُنْسَهَا ... مِنَ المَجْدِ فَهْىَ الآنَ غَيْرُ غَرَائِبِ
وَلَوْ كَان يَفْنَىٰ الشِّعْرُ أَفْنَتْهُ (٥) مَا قَرَتْ ... حِيَاضُكَ مِنْهُ فِى العُصُورِ الذَّوَاهِبِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٨٧٥ ويجب تصحيح تشطير البيت فى الديوان ، وفيه : « ينتقى لها » .
(٢) ديوانه ١ : ١٢١ .
(٣) ديوانه : « موصوفة » .
(٤) ديوانه ١ : ٢٨٥ والتبريزى ١ : ٢١٣ .
(٥) ديوانه : « أفناه » .

وَلَكِنَّهُ صَوْبُ العُقُولِ إِذَا انْجَلَتْ ... سَحَائِبُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ

وهذا إحسانُهُ المعروفُ المشهورُ المذكورُ الَّذِى لَا يُدْفَعُ ، وإنْ كَانَ مَبْنِيًّا عَلَىٰ قَوْلِ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ :

أَقُولُ بِمَا صَبَّتْ عَلَيَّ غَمَامَتِي ... وَدَهْرِى فِى حَبْلِ العَشِيرَةِ أَحْطِبُ[1]

وبيتُ أبى تمّامٍ أجودُ لفظا وسَبْكًا وتلخيصا لِلْمَعْنَىٰ ، وَهُوَ أَحَقُّ بِهِ .

وقال أبو تمّامٍ[2] :

وَوَاللهِ لَا أَنْفَكُّ أُهْدِى شَوَارِدًا ... إِلَيْكَ يُحَمِّلْنَ الثَّنَاءَ المُنَخَّلَا[3]

تَخَالُ بِهِ بُرْدًا عَلَيْكَ مُحَبَّرًا ... وَتَحْسَبُهُ عِقْدًا عَلَيْكَ مُفَصَّلَا

أَلَذَّ مِنَ السَّلْوَىٰ وأَطْيَبَ نَفْحَةً ... مِنَ المِسْكِ مَفْتُوقًا وَأَيْسَرَ مَحْمِلَا[4]

أَخَفَّ عَلَىٰ قَلْبٍ وَأَثْقَلَ قِيمَةً ... وَأَقْصَرَ فِى سَمْعِ الجَلِيسِ وَأَطْوَلَا

وَيُزْهَىٰ لَهُ قَوْمٌ وَلَمْ يُمْدَحُوا بِهِ ... إِذَا مَثَّلَ الرَّاوِى بِهِ أَوْ تَمَثَّلَا[5]

وهذا أيضاً مِنْ جَيِّدِ هَـٰذَا البَابِ وَمَشْهُورِهِ .

وَقَالَ[6] :

سَوْفَ أَكْسُوكَ مَا يُعَفِّى عَلَيْهَا ... مِنْ ثَنَاءٍ كَالْبُرْدِ بُرْدِ الصَّنَاعِ

حُسْنُ هَاتِيكَ فِى العُيُونِ وَهَذِى ... حُسْنُهَا فِى القُلُوبِ وَالأَسْمَاعِ[7]

---

(١) سبق فى ١ : ١٠٢ وانظر تخريجه هناك . وأيضا ديوانه ، وانظر شرح الصُّولى لبيت أبى تمّام وتعليق ابن المستوفى فى النظام ١ : ١٠٣ .

(٢) ديوانه ٢ : ٣١٩ والتبريزى ٣ : ١٠٩ .

(٣) ديوانه : « المبجّلا » .

(٤) فى الأصل : « أَلَذَّ من الشكوىٰ » تحريف .

(٥) فى التبريزى : « مَثَلَ » بالتخفيف ، وانظر التعليق فى الهامش .

(٦) ديوانه ٢ : ٢٩ والتبريزى ٢ : ٣٤٢ .

(٧) ديوانه والتبريزى : « وهذا حسنه » .

وَقَالَ[١] :

أَرَىٰ الدَّالِيَّتَيْنِ عَلَىٰ جَفَاءٍ لَدَيْكَ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ نُضَارُ
إِذَا مَا شِعْرُ قَوْمٍ كَانَ لَيْلًا تَبَلَّجَتَا كَمَا انْشَقَّ النَّهَارُ

وهذا غايةٌ فى حُسْنِهِ لفظاً ومَعْنَىٰ لَوْ كَانَ اقْتَصرَ عَلَيْهِ [ وَلَكِنَّهُ[٢] ] شرِهَ إِلَىٰ أَنْ قَالَ :

فَإِنْ كَانَتْ قَصَائِدُهُمْ جُدُوبًا تَلَوَّنَتَا كَمَا ازْدَوَجَ البَهَارُ[٣]
أَغرتَهُمَا وَغَيْرُهُمَا مُحَلًّى بِجُودِكَ والقَوَافِى قَدْ تُغَارُ[٤]

فقولُهُ : « وَإِنْ كانتْ قصائِدُهُمْ جُدُوبًا » هو كقولِهِ : « إِذَا مَا شِعْرُ قومٍ كانَ لَيْلًا » يريدُ مُظْلِمَةً مِنَ المَعَانى ، مُجْدِبَةً مِنْها ، وقولُهُ : « تَلَوَّنَتَا كَمَا ازْدَوَجَ البَهَارُ » / هو معنىٰ قولِهِ : « تَبَلَّجَتَا كَمَا انْشَقَّ النَّهَارُ[٥] » ، وإِنَّمَا يريدُ تَبَلَّجَتَا ١٤٤
بالمعانى ، وكذلكَ تَلَوَّنَتَا ، وهذا وإِنْ كانَ توكيدا للأَوَّلِ ، وكانَ سائغاً جائزا ، فَهُوَ مُنْحَطُ المعنىٰ عَنِ الأَوَّلِ انحطاطًا كثيرا ، فكَأَنَّهُ إِنَّمَا شَانَهُ ونَقَصَهُ وَلَمْ يَزِدْهُ .

وَقَالَ البُحْتُرِىُّ[٦] :

أَلَسْتُ المُوَالِى فِيكَ نَظْمَ قَصَائِدٍ هِىَ الأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ الليْلِ أَنْجُمَا ؟
ثَنَاءً[٧] كَأَنَّ الرَّوضَ مِنْهُ مُنَوَّرًا ضُحًى ، وَكَأَنَّ الوَشْىَ مِنْهُ مُسَهَّمَا

---

(١) ديوانه ١ : ٥١٤ والتبريزى ٢ : ١٥٨ .
(٢) لازمة للسياق .
(٣) ديوانه والتبريزى : « وإِنْ » .
(٤) قال الصولى : يقول : غارتا لَمَّا أَخَّرْتَ العطاءَ عليهما ، وأعطيتَ عَلَىٰ غَيْرِهِمَا مِنَ القصائِدِ مَنْ مَدَحَكَ ، وفى ديوانه وشرح التبريزى : « قد تغار » بفتح التاء .
(٥) فى الأصل : « البَهَار » تصحيف .
(٦) ديوانه ٣ : ١٩٨١ .
(٧) ديوانه : « ثناءٌ » بالرفع .

وَقَالَ[١] :

أَحْسِنْ أَبَا حَسَنٍ بِالشِّعْرِ إِذْ جَعَلَتْ     عَلَيْكَ أَنْجُمُهُ بِالمَدْحِ تَنْتَثِرُ
فَقَدْ أَتَتْكَ القَوَافِي غِبَّ فَائِدَةٍ     كَمَا تَفَتَّحُ غِبَّ الوَابِلِ الزَّهَرُ

وهذا ما لا شيءَ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَصَحَّ مِنْهُ .

وقال فِي مِثْلِهِ[٢] :

قَدْ تَلَافَى القَرِيضَ جُودُكَ فَارْتُـ (م) ـثَّ لَقًى مُشْفِيًا عَلَى الإِنْقِرَاضِ[٣]
نِعَمٌ أَبْدَتِ المَصُونَ المُغَطَّى     مِنْهُ تَحْتَ الجُفُونِ والإِغْمَاضِ[٤]
كَالغَوَادِي أَظْهَرْنَ كُلَّ خَفِيٍّ     مُسْتَسِرٍّ فِي زَاهِرَاتِ الرِّيَاضِ[٥]

وَقَالَ فِي نَحْوِهِ[٦] :

إِنَّ هَٰذَا القَرِيضَ نَبْتٌ مِنَ القَوْ     لِ يَزِيدُ الفَعَالُ فِي إِينَاعِهْ

وهذا كُلُّهُ غايةٌ فى حُسْنِهِ وَصِحَّتِهِ .

وقال[٧] :

هَلْ يُثْرِيَنْ فِي ابْنِ نَصْرٍ مِنْ تَطَوُّلِهِ     قَوْلٌ عَلَى أَلْسُنِ الرَّاوِينَ مَقْرُوضُ[٨]
مِثْلُ الحُلِيِّ جَلَتْهُ كَفُّ صَائِغِهِ     فِيهِ خَلِيطَانِ : تَذْهِيبٌ وَتَفْضِيضُ[٩]

---

(١) ديوانه ٢ : ٩٥٨ .
(٢) ديوانه ٢ : ١٢١١ .
(٣) فى الأصل : « وقد » ، ولا يصح بها الوزن والتصحيح من ديوانه ، و « ارْتُثَّ » حمل من المعركة جريحاً وبه رمق .
(٤) ديوانه : « تحت الخفوت » .
(٥) ديوانه : « كلَّ جَنيٍّ » .
(٦) ديوانه ٢ : ١٢٩٤ .
(٧) ديوانه ٢ : ١٢١٨ .
(٨) ديوانه : « هلِ يُثمِرَنْ » .
(٩) ديوانه : « كف صَانِعِهِ » .

وقال :(١)

وَأَرْسَلْتُ أَفْوَافَ القَوَافِى شَوَافِعًا ... إِلَيْكَ ، وَقَدْ يُجْدِى لَدَيْكَ رَسُولُهَا

زَوَاهِرُ نَوْرٍ مَا يَجِفُّ جَنِيُّهَا ... وَأَنْجُمُ لَيْلٍ مَا يُخَافُ أُفُولُهَا

وقال :(٢)

فَلَهُ فِى مَدَائِحِى حُكْمُهُ الأَوْ ... فَى وَلِى فِى نَوَالِهِ الغَمْرِ حُكْمِي(٣)

كُلُّ مَشْهُورَةٍ يُؤَلِّفُ مِنْهَا ... بَيْنَ دُرِّيَّةِ الكَوَاكِبِ نَظْمِي

أَيْنَمَا قَامَ مُنْشِدٌ لَاحَ نَجْمٌ ... يَتَلَالَا(٤) مِنْهَا عَلَىٰ إِثْرِ نَجْمِ

وقال :(٥)

إِلَيْكَ القَوَافِى نَازِعَاتٌ قَوَاصِدُ ... يُسَيَّرُ ضَاحِى وَشْيِهَا وَيُنَمْنَمُ(٦)

وَمُشْرِقَةٍ فِى النَّظْمِ غُرٌّ يَزِيدُهَا ... بَهَاءً وَحُسْنًا أَنَّهَا لَكَ تُنْظَمُ(٧)

ضَوَامِنَ لِلحَاجَاتِ إِمَّا شَوَافِعًا ... مُشَفَّعَةً أَوْ حَاكِمَاتٍ تُحَكَّمُ

وَكَأَيِّنْ غَدَتْ لِى وَهْىَ شِعْرٌ مُسَيَّرٌ ... وَرَاحَتْ عَلَىَّ وَهْىَ مَالٌ مُسَوَّمُ(٨)

وَهَـٰذَا مَعْنى فِى غَايَةِ الصِّحَّةِ والاستِقَامَةِ وَالحُسنِ .

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٧٤ .

(٢) ديوانه ٣ : ١٩٣٨ .

(٣) ديوانه : « من مدائحى » ، « من نواله » .

(٤) ديوانه : « مُتلالٍ » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٩٢٧ .

(٦) ديوانه : « نازعاتٍ قواصداً » ، ويُسيَّرُ : من السُّيورِ ، وثوب مُسيَّر : وَشْيُهُ مثلُ السيُورِ ، إذا كان مُخَططا .

(٧) ديوانه : « غُرَّاً يَزِيدُهَا » .

(٨) ديوانه : « مالٌ مُقسَّمُ » .

وقال أبو تَمَّامٍ[١] :

لَمْ تُسْقَ بَعْدَ الهَوَىٰ مَاءً أَقَلَّ قَذى ... كَمَاءِ قَافِيَةٍ يَسْقِيكَهُ فَهِمُ[٢]
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ يَكَادُ المَيْتُ يَفْهَمُهُ ... حُسْنًا وَيَعْبُدُهُ القِرْطَاسُ وَالقَلَمُ[٣]
يَظَلُّ سَالِكُهُ والفِكْرُ مَالِكُهُ ... كَأَنَّهُ مُسْتَهَامٌ أَوْ بِهِ لَمَمُ[٤]
مَالِى وَمَالَكَ مِثْلٌ وَهْىَ مُنْشَدَةٌ ... إِلَّا زُهَيْرٌ وَقَدْ أَصْغَىٰ لَهُ هَرِمُ[٥]

قولُهُ : « كَمَاءِ قَافِيَةٍ يَسْقِيكَهُ فَهِمُ »[٦] ، جعلَ للقافيةِ ماءً يُسْقَىٰ ، وجعلَ فيهِ قَذًى إِلَّا أَنَّ قَذَاهُ أَقَلَّ قذى مِنْ كُلِّ ماءٍ بَعْدَ ماءِ الهَوَىٰ ، وَجَعَلَ لِلْهَوَىٰ أيضا ماءً قليلَ القَذَىٰ ، وهذهِ استعارةٌ فى غايةِ الركاكةِ والقُبْحِ والبعدِ مِنْ صَوابِ الاستعارتِ ، لِأَنَّ الهَوَىٰ بِأَنْ تُوصَفَ بكثرةِ القَذَىٰ أَوْلَىٰ مِنْ أَنْ تُوصَفَ بِقِلَّتِهِ ، وقال : « يَسْقِيكَهُ فَهِمُ » فَحَرَّكَ الهاءَ ، وهو يريدُ فَهْمَ قَائِلِهَا ، ولَمْ يُرِد القافيةَ نَفْسَهَا ، وَإِنَّمَا أرادَ القصيدةَ .

وقولُهُ : « يَظَلُّ سَالِكُهُ » أىْ سالكُ الفهمِ الَّذى يسلكُ فى المَعْنَىٰ ، والفِكْرُ مَالِكُهُ ، « كَأَنَّهُ مُسْتَهَامٌ » يَعْنِى الفهمَ لكثرةِ تَرَدُّدِهِ وَتَسَكُّعِهِ .

وقولُهُ : « مِنْ كُلِّ بَيْتٍ يَكَادُ المَيْتُ يَفْهَمُهُ » ، فالأحياءُ ما فَهِمَتْهُ فَهَلَّا عَنِ المَوْتَىٰ !؟

---

(١) ديوانه ٣ : ٥٤٠ والتبريزى ٤ : ٤٩٠ .
(٢) ديوانه والتبريزى : « ماء على ظمأ » ، « يسقيكها فهم » .
(٣) التبريزى : « ويحسده » .
(٤) ديوانه والتبريزى : « بكُلِّ سالكةٍ لِلْفِكْرِ مَالِكَةٍ » .
(٥) ديوانه والتبريزى : « مالَى ومالك شبه حين أنشده » .
(٦) سبق البيت والتعليق عليه فى ١ : ٢٧٥ .

وقال أبو تمّامٍ فِيْ أَبِي الْمُغِيثِ[(١)]:

خُذْهَا فَمَا نَالَهَا بِضُرٍّ مَوتُ جَرِيرٍ وَلَا البَعِيثِ[(٢)]
وَكُنْ كَرِيماً تَجِدْ كَرِيماً فِي شُكْرِهِ يَا أَبَا الْمُغِيثِ

حَكَى أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ داودَ بْنِ الجَرَّاحِ أَنَّ أبا تمَّامٍ أَنْشَدَ أبا المُغِيثِ
هذهِ القصيدةَ وعِنْدَهُ يُوسُفُ بْنُ الْمُغِيرَةِ القُشَيْرِيُّ[(٣)] وكَانَ شاعرا عالما / أديبا فقالَ ١٤٥
لأبي المُغِيثِ : قَدْ هَجَاكَ بقولِهِ : « كُنْ كَرِيمًا » وهذا لا يُقَالُ لِكَرِيمٍ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ
لِلَئِيمٍ ، فَهَجَا أبو تمّامٍ يُوسُفَ بْنَ المُغِيرَةِ[(٤)] فقالَ :

أَيُوْسُفُ جِئْتَ بالعَجَبِ العَجِيبِ تَرَكْتَ النَّاسَ فِي أَمْرٍ مُرِيبِ[(٥)]
أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا إِذًا لَنَفَذْتَ فِي عِلْمِ الغُيُوبِ
سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَآدٍ وَلَمْ أَسْمَعْ بِزَجَّاجٍ[(٦)] أَدِيبِ

وغرضُ أبي تمّامٍ في هذا معروفٌ ، وإنما أرادَ : كُنْ كريمًا في أَمْرِي ، ولكنْ ليسَ بجيِّدٍ أنْ يقولَ في مَدْحِ رَجُلٍ :

---

(١) ديوانه ١ : ٣٥٨ والتبريزى ١ : ٣٢٨ .

(٢) ديوانه : « فما نالها بنقص » .

(٣) فى الأصل : « والقشميرى » ، والتصحيح من النظام ١ : لوحة ٢٥١ ، ويوسف بن المغيرة بن أبان القشيرى ، كان شاعرا عالما ، ومن المقلين ذكره المرزبانى فى الموشح ونقل اعتراضه على أبى تمّام من « الورقة » ، وفى مواضع أخرى من الكتاب سماه « اليشكرى » وذكر أنه اعترض على أبى نواس فى بعض أبياته « الموشح ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٥٠٤ » وذكره ابن النديم فيمن تكلم عنهم محمد بن دواد فى كتاب الورقة « الفهرست : ١٨٩ » .

(٤) ديوانه ٣ : ٨٦ والتبريزى ٤ : ٣١٥ ، وفيهما أنه يهجو يوسف السَّرَّاج ، وقال الجرجانى فى وساطته : « يوسف السَّرَّاج شاعر مصر فى وقته » : ٢٠ ، وقد يكون يوسف السَّرَّاج هو يوسف بن المغيرة ، والله أعلم .

(٥) ديوانه « التبريزى » : « تَركت الناس فى شكٍّ مريب » .

(٦) ديوانه والتبريزى : « بسرّاج » .

بَنَانُ مُوسَىٰ إِذَا اسْتَهَلَّتْ كانتْ ضُرُوبًا مِنَ الغُيُوثِ (١)
حَيْثُ النَّدَىٰ والسَّدَىٰ جميعًا وَمَلْجَأُ الخَائِفِ الكَرِيثِ (٢)

ثُمَّ يقولُ بَعْدَ ذَلِكَ : « وَكُنْ كَرِيمًا » ، وَلَوْ قَالَ :

وَآعْجَلْ بِجُودٍ تَجِدْ عَجُولًا بِشُكْرِهِ ..................

كانَ أحسنَ وأجملَ ، وليسَ بمنكرٍ أَنْ يقولَ الشاعرُ للمدوحِ : « كُنْ كريما » ، إِذَا كانَ مِمَّنْ يُقَالُ لِمِثْلِهِ ، بَعْدَ أَلَّا يكونَ قَدَّمَ مَدْحا فاخِرا يكونُ هذا نَقْضا لَهُ .

وقالَ البُحْتُرِيُّ (٣) :

أَيَغْضَبُ أَنْ يُعَاتَبَ بِالقَوَافِي وَفِيهَا المَجْدُ والشَّرَفُ الحَسِيبُ (٤)
وَكَمْ مِنْ آمِلٍ هَجْوِي لِيَحْظَىٰ بِذِكْرٍ مِنْهُ يَصْعَدُ أَوْ يَصُوبُ
فَكَيفَ بِسُيَّرٍ مُتَنَخَّلَاتٍ تَجُوبُ مِنَ الفَيَافِي مَا تَجُوبُ (٥)
يُنَافِسُ سَامِعٌ فِيهَا أَبَاهُ إِذَا جَعَلَتْ بِسُؤْدَدِهِ تُهِيبُ

فهذا ما وجدْتُهُ لَهُمَا فى وصفِ قصائِدِهِمَا ، فَأَمَّا أبو تمّامٍ فقدْ مَضَىٰ لَهُ عَيْنٌ نادِرٌ وَجيِّدٌ بالِغٌ وَرديءٌ سَقَطٌ ، وقدْ ذكرتُ جَوْدَةَ الجَيِّدِ فى مَوْضِعِهِ ورداءةَ الرَّدِيءِ ، فَأَمَّا العَيْنُ النَّادِرُ فقولُهُ (٦) :

---

(١) ديوانه : « للناس نابت عن الغيوث » .

(٢) فى الأصل : « الكَرِّيث » بتشديد الراء ، والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى ، والكَرِيثُ : هو المكروث الذى كرثه الهَمُّ أى أَثْقَلَهُ « التبريزى ١ : ٣٢٦ » .

(٣) ديوانه ١ : ٢٥٩ .

(٤) ديوانه : « وَالْحَسَبُ الْحَسِيبُ » .

(٥) ديوانه : « تجوب من التنائف » .

(٦) الأبيات التى سيذكرها الآمدى للشاعرين وردت فى هذا الباب .

يَوَدُّ وِدَادًا أَنَّ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ إِذَا أُنْشِدَتْ شَوْقًا إِلَيْهَا مَسَامِعُ

وقولُهُ :

كَالنَّجْمِ إِنْ سَافَرْتَ كَانَ مُوَاكِبًا وَإِذَا حَطَطْتَ الرَّحْلَ كَانَ جَلِيسَا

وقولُهُ – وَإِنْ كَانَ مَحْذُوًّا عَلَىٰ قولِ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ[1] –:

وَلٰكِنَّهُ صَوبُ العَقُولِ إِذَا آنْجَلَتْ سَحَائِبُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ

وقولُهُ :

زَهْرَاءُ أَحْلَى فِي القُلُوبِ مِنَ المُنَىٰ وَأَلَذُّ مِن رِيقِ الأَحِبَّةِ فِي الفَمِ

وقولُهُ[2] :

تَدَارَكْهُ إِنَّ الْمَكْرُمَاتِ أَصَابِعٌ وَإِنَّ حُلِيَّ الشِّعْرِ[3] فِيهَا خَوَاتِمُ

وأَمّا البُحْتُرِيُّ فَقَدْ مَضَىٰ لَهُ عَيْنٌ نَادِرٌ وَجَيِّدٌ بَالِغٌ وَلَمْ يَمْضِ لَهُ رَدِيءٌ ، فَأَمَّا العَيْنُ فقولُهُ :

فَقَدْ أَتَتْكَ القَوَافِي غِبَّ فَائِدَةٍ كَمَا تَفَتَّحُ غِبَّ الوَابِلِ الزَّهَرُ

وهذا معنى فى غايةِ الحُسْنِ والحلاوةِ ، والبيتُ أيضاً قائمٌ بنفسِهِ وغيرُ محتاجٍ إِلَىٰ ما قَبْلَهُ .

وقولُهُ :

كَالغَوَادِي أَظْهَرْنَ كُلَّ خَفِيٍّ مُسْتَتِرٍ فِي زَاهِرَاتِ الرِّيَاضِ

وهذا مُحْتَاجٌ إِلَىٰ مَا قَبْلَهُ .

---

(١) انظر ٦٩٤ من هذا الجزء .

(٢) هذا البيت لم يرد ذكره فى الباب وربما يكون قد سقط من هذه النسخة وهو فى ديوانه ٢ : ٣٩٠ والتبريزى ٣ : ١٨٢ .

(٣) ديوانه والتبريزى : « حُلَىٰ الأَشْعَارِ » .

وقولُهُ[١] :

وَكَأْيِنْ غَدَتْ لِى وَهْىَ شِعْرٌ مُسَيَّرٌ     وَرَاحَتْ عَلَىَّ وَهِىَ مَالٌ مُسَوَّمُ

فأقولُ فى الموازنةِ بَيْنهُمَا : إنَّ عُيونَ شعرِ أبى تمّامٍ أجودُ مِنْ عُيونِ شعرِ البُحتريِّ ، وَهُمَا فى جَيِّدِهِمَا متساويانِ ، وأطرحُ إساءاتِ أبى تمّامٍ فى هذا البابِ فَلَا أَعْتَدُّ بِهَا .

وَقَدْ مَدَحَتِ الأوائلُ أشعارَهَا وَوَصَفَتْهَا ، فقالَ كعبُ بْنُ زُهَيْرٍ[٢] :

فَمَنْ للقَوَافِى شَانَهَا مَنْ يَحُوكُهَا     إِذَا مَا ثَوَىٰ كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ[٣]

يَقُولُ ، فَلَا يَعيَىٰ بِشَىءٍ يَقُولُهُ     وَمِنْ قَائِلِيهَا مَنْ يُسِىءُ وَيُعْمِلُ[٤]

يُقَوِّمُهَا حَتَّىٰ تَلِينَ مُتُونُهَا     فَيَقْصرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يُتَمَثَّلُ[٥]

كَفَيْتُكَ لَاتَلْقَىٰ مِنَ النَّاسِ شَاعِرًا     تَنَخَّلَ مِنْهَا مِثْلَ مَا أَتَنَخَّلُ[٦]

وقال تَمِيمُ بْنُ أُبَىِّ بْنِ مُقْبِلٍ[٧] :

إِذَا مُتُّ عَنْ ذِكْرِ القَوَافِى فَلَنْ تَرَىٰ     لَهَا قَائِلًا بَعْدِى أَطَبَّ وَأَشْعَرَا

وَأَكْثَرَ بَيْتًا شَارِدًا ضُرِبَتْ بِهِ     حُزونُ جبالِ الشِّعْرِ حَتَّىٰ تَيَسَّرَا

/ أَغَرَّ غَرِيبًا يَمْسَحُ النَّاسُ وَجْهَهُ     كَمَا تَمْسَحُ الأَيْدِى الجَوَادَ المُشَهَّرَا ١٤٦

---

(١) فى الأصل « وقال » .

(٢) ديوانه ٥٩ ، بشرح السكرى .

(٣) فى ديوانه : « شانها » بالنون .

(٤) ديوانه : « ويَعْمَلُ » .

(٥) ديوانه : « يثقفها » ، وفى الأصل « كلها يتمثل » تحريف .

(٦) ديوانه : « من الناس واحدا » ، « مثل ما يَتَنَخَّل » ، وفى الأصل « أتنخل منها » .

(٧) ديوانه : ١٢٩ .

وقالَ سُوَيْدُ بْنُ كُرَاعٍ – جَاهِلِيٌّ إسْلَامِيٌّ(١) – :

أَبِيتُ بِأَبْوَابِ القَوَافِى كَأَنَّمَا ... أُصَادِى بِهَا سِرْبًا مِنَ الوَحْشِ نُزَّعَا(٢)
أُكَالِئُهَا حَتَّىٰ أُعَرِّسَ بعْدَ مَا ... يَكُونُ سُحَيْرًا أَوْ بُعَيْدَ فَأَهْجَعَا(٣)
عَوَاصِىَ إِلَّا مَا جَعَلْتُ وَرَاءَهَا ... عَصَا مِرْبَدٍ تَغْشَىٰ نُحُورًا وَأَذْرُعَا
أَهَبْتُ بِغُرِّ الآبِدَاتِ فَرَاجَعَتْ ... طَرِيقًا أَمَلَّتْهُ القَصَائِدُ مَهْيَعَا
بَعِيدَةَ شَأْوٍ لَا يَكَادُ يَرُدُّهَا ... لَهَا طَالِبٌ حَتَّىٰ يَكِلَّ وَيَظْلَعَا
إِذَا خِفْتُ أَنْ تُرْوَىٰ عَلَىَّ رَدَدْتُهَا ... وَرَاءَ التَّرَاقِى خَشْيَةَ أَنْ تَطَلَّعَا
وَجَشَّمَنِى خَوْفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا ... فَثَقَّفْتُهَا حَوْلًا جَرِيدًا وَمَرْبَعَا
وَقَدْ كَانَ فى نفسى عَلَيْهَا زِيَادَةٌ ... فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَنْ أُطِيعَ وَأَسْمَعَا

وَقَالَ المُسَيَّبُ بْنُ عَلَسٍ(٤):

فَلَأُهْدِيَنَّ مَعَ الرِّيَاحِ قَصِيدَةً ... مِنِّى مُغَلْغَلَةً إِلَـىٰ القَعْقَـاعِ(٥)
تَرِدُ المِيَاهَ فَلَا تَزَالُ غَرِيبَةً ... فِى القَوْمِ بَيْنَ تَمَثُّلٍ وَسَمَاعِ

---

(١) سُوَيْدُ بْنُ كُرَاعٍ العُكْلِىّ . كان شاعرا مُحْكِماً ، وكان رجل بنى عُكْل ، وذا الرأى والتقدم فيهم ، ويقال كراع أمّه ، مُخَضْرَمٌ ، عُمِّرَ إِلَىٰ أَنْ حكم بين جرير والفرزدق .

« طبقات فحول الشعراء ١٧٦ ، الشعر والشعراء ٦٣٥ ، الأغانى : ١٢ : ٣٤٠ « الدار » ، والإصابة ت ٣٧٢٦ » .

(٢) الأبيات فى البيان والتبيين ٢ : ١٢ ، والشعر والشعراء ٦٣٥ ، وبعضها فى الأغانى ١٢ : ٣٤٤ « الدار » .

(٣) فى الأصل : « أدالئها » والتصحيح من المصادر السابقة .

(٤) هُوَ زُهَيْرُ بْنُ عَابِسِ بْنِ مَالِكٍ ، خال أعشى قيس ، والمُسَيَّبُ : لَقَبٌ لُقِّبَ به ببيتٍ قاله ، وكان الأعشى روايته ، وكان يسرق شعره ويأخذ منه ، جَاهِلِىٌّ لَمْ يدرك الإسلام ، ولا عقب له .

« الشعر والشعراء ١٧٤ ، وخزانة الأدب ٣ : ٢٤٠ » .

(٥) البيتان من المفضلية رقم ١١ « أنظر التخريج هناك » .

وَالْقَعْقَاعُ هو : الْقَعْقَاعُ بْنُ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ كان عظيم القدر فى بَنِى تَمِيمٍ ، وكان يقال له : « تَيَّار الفُرَاتِ » لسخائه وهو صحابى أَدْرَكَ الإِسْلَامَ . « الإصابة ت ٧١٣٣ » .

قَوْلُهُ : « وَسَمَاعٍ » لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَغَنَّوْنَ فِي النَّشِيدِ .

أَخَذَ أَبُو تَمَّامٍ قَوْلَهُ : « فَلاَ هْدِيَنَّ مَعَ الرِّيَاحِ قَصِيدَةً » (١) فَقَالَ :

تَسِيرُ مَسِيرَ الرِّيحِ مُطَّرِفَاتُهُ ... وَمَا السَّيْرُ مِنْهَا لَا الْعَنِيقُ وَلَا الْوَخْدُ (٢)

* * *

---

(١) سبق البيت فى : ٦٨٠ من هذا الجزء .

(٢) جَاءَ فى آخرِ النسخةِ ما نَصُّهُ :

نجز كتاب الموازنة بين الطائيين والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله الطاهرين .

وَقَعَ الفراغُ من تحريره يوم الجمعة الثانى والعشرينَ من شهر ربيعٍ الآخرِ سنةَ أربعٍ وتسعينَ وستمائةٍ هجرية ، والحمدُ لله رَبِّ العالمينَ دائماً أولاً وأبداً ، بمحروسةِ حماة المأنوسة .

**تعليق من المحقق :**

الكتابُ لا يزالُ ناقصاً ، فقدْ قالَ الآمِدِيُّ « ١ : ٥٧ » : وأفرِدُ بابًا لِمَا وَقَعَ فى شعريْهِمَا مِنَ التشبيهِ ، وباباً للأمثِال ، أَخْتِمُ بهما الرسالةَ ، ثُمَّ أُتبعُ ذلكَ بالاختيارِ المجردِ مِنْ شعريْهِمَا ، وأجعلُهُ مُؤلفاً عَلَىٰ حروفِ المُعْجَمِ ... » .

فهذهِ الأبوابُ لَمْ تَرِدْ فى النُّسَخِ الَّتِى بينَ أَيدِينَا ، هذا إذا افترضنا أنَّه لم يَبْقَ غيرُها ، فعلى الرغمِ من استغراقِ ما تَمَّ تحقيقُهُ مِنَ الكتابِ معظمَ أغراضِ الشعرِ ومعانيه ، فربما بقيتْ بعضُ الأبوابِ مع تلك الأبوابِ الثلاثةِ التى ذكرها الآمديُّ لمْ تَصِلْ إليها يدُ الباحثينَ المحدثينَ حتى الآنَ ، ولعلَ اللهَ يَمُنُّ بالعثورِ عَلَىٰ نسخةٍ كاملةٍ لهذا الكتابِ النفيسِ تَجْبُرُ نَقْصَهُ وَتَسُدُّ خَلَلَهُ ، ليستوىَ لبنةً فى صرحِ تراثِ هذهِ الأمةِ العظيمةِ ، الذى نحاولُ إعادةَ تجميعِهِ توطئةً لِأَنْ تتبوأَ مكانَهَا القياديَّ فى رَكْبِ الحضارةِ الإنسانيةِ ، واللهَ أسألُ أنْ يجعلَ هذا العملَ خالصاً لوجهِهِ الكريمِ وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ الْأُمِّيِّ وَآلِهِ .

الفهارس

## ١ – فهرس الآيـــات القرآنيـــة

| م | الآيات القرآنية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| ١ | أم لهم سلّم يستمعون فيه ، فليأت مستمعهم بسلطان مبين | الطور | ٣٨ | ٨٨ |
| ٢ | بأن ربك أوحى لها .............................. | الزلزلة | ٥ | ٦٤٨ |
| ٣ | فول وجهك شطر الحرام ............................ | البقرة | ١٤٤ | ٣٩٧ |
| ٤ | قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك ..................... | الأعراف | ١٢ | ٤٦٧ |
| ٥ | لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . | الحديد | ٢٩ | ٤٦٧ |
| ٦ | ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق .......... | ص | ١٥ | ٥٤٧ |
| ٧ | مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم .................. | النور | ٣٥ | ٨٢ |
| ٨ | وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ...... | المائدة | ٦ | ٣٠٢ |
| ٩ | وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ................................ | النحل | ٦٨ | ٦٤٩ |
| ١٠ | وثيابك فطهر ............................................ | المدثر | ٤ | ٣١٤ |
| ١١ | يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد ............................................ | المائدة | ١ | ٥٥٨ |
| ١٢ | يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولاجنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيد طيبا فأمسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا .... | النساء | ٤٢ | ٣٠٢ |

* * *

## فهرس الأمثـــــال

(١)
# فهرس الأعـــلام

## الهمزة



---

(*) الأرقام المبينة بين قوسين تدل على موضع الترجمة .

– ص –



– ض –



– ط –



– ع –

– غ –



– ف –

– ن –



– هـ –



– و –

* * *

## فهرس اللغة [١]

### ( أ )



### ( ب )



### ( ت )



### ( ث )



### ( ج )



### ( ح )



---

(١) يشتمل هذا الفهرس على الكلمات التى فسرها الآمدى .

## فهرس القوافى

### ــ أ ــ

| القافية | القائــل | البحر | عدد الأبيات | ص |
|---|---|---|---|---|
| الأنواءا | أبو تمام | رجز | ٦ | ٦٥٩ |
| ابتداءَ | البحترى | الخفيف | ٢ | ١٤٣ |
| بطاءَ | البحترى | » | ٢ | ٣٤٤ |
| جزاءَ | البحترى | » | ١ | ٢٤٦ |
| سواءَ | البحترى | » | ١ | ١٧٠ |
| عطاءَ | البحترى | » | ٣ | ٣٩٢ |
| العِواءَ | البحترى | » | ٤ | ٣٤٦ |
| هَبَاءَ | البحترى | » | ١ | ١٨٤ |
| الإباءُ | أبو تمام | وافر | ٣ | ٥٤١ |
| الحِداءُ | » | » | ٢ | ٥٤١ |
| الابداءُ | البحترى | كامل | ٧ | ٢٦٤ |
| إرواءُ | طُريح الثقفى | » | ٢ | ٥١٢ |
| الأعداءُ | البحترى | » | ١ | ٦٧٨ |
| رواؤه | البحترى | خفيف | ٣ | ٩ |
| والأراءِ | البحترى | كامل | ١ | ٢٩٢ |
| بعمائهِ | البحترى | » | ٦ | ٥٣٧ ، ٥٧٢ |
| بقائها | البحترى | » | ١ | ٥٠٥ |
| تيماءِ | البحترى | » | ٢ | ٣٤٨ ، ٣٥٠ |
| بطحائها | مروان بن أبى حفصة | » | ١ | ٥٠٥ |
| حمراء | أبو تمام | » | ١ | ٦٠١ |
| إناء | البحترى | » | ١ | ٦٠٢ |
| بوعاء | أبو تمام | » | ١ | ٦٠١ |
| جرداءِ | البحترى | » | ٥ | ٣٥٨ |

— ج —

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| **خلجُ** | البحترى | متقارب | ٤٢ | ٥٧٥ |
| **نجا** | أبو تمام | البسيط | ١ | ٣٥٥ |
| إزدواجُها | البحترى | الطويل | ١ | ١٦٥ |
| تهملجُ | النابغة الجعدى | « | ١ | ٢٨٣ |
| حاجُها | البحترى | « | ٤ | ١٠٧ |
| سراجُها | البحترى | « | ٢ | ١٠٧ ، ٢٥٢ |
| يتدحرجُ | ابن الرومى | « | ١ | ٢٧٨ |
| الرجراجُ | سَلْم الخاسر | الكامل | ٣ | ٢٨٤ |
| وهَاجُ | سلم الخاسر | « | ١ | ٣٣٤ |
| **وئحرُّجى** | البحترى | الطويل | ٦ | ٥٦٤ |
| بأمواج | البحترى | البسيط | ١ | ١٦٥ |
| الهاجي | البحترى | البسيط | ١ | ١٧١ |
| المدرج | البحترى | الكامل | ١٩ | ٤١٢ |
| بنموذج | البحترى | الكامل | ١ | ٣٩٧ |
| يرهج | البحترى | « | ١ | ٣٩٤ |

— ح —

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| **الذبحْ** | الأعشى | الرمل | ١ | ٤٥ |
| **مزحَا** | البحترى | البسيط | ٢ | ٥٩ |
| **المسارحُ** | كثير | الطويل | ١ | ٩٢ |
| الطلُحُ | البحترى | البسيط | ١ | ٥٤٤ |
| السلاحُ | سعد بن مالك | الكامل | ١ | ٣٠٩ |
| ويصيحُ | أبو نواس | مجزوء الرمل | ١ | ١٣٨،١٤٠،١٨٩ |
| والصفيحُ | مسلم بن الوليد | الخفيف | ٣ | ٤٩٥ |
| **فى الجوانح** | البحترى | الطويل | ١ | ٤٦٥ ، ٤٦٨ |
| إصباح | البحترى | بسيط | ١ | ١٠ |
| ضحضاح | البحترى | البسيط | ١ | ١٢٥ |
| دلِح | أبو تمام | البسيط | ٢ | ٦٥٩ |
| فضائحِها | أبو تمام | البسيط | ٢ | ٢٢٢ |
| ممتاج | البحترى | « | ١ | ١٥٦ |

## — ع —

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| سَوَفُ | عبد الله بن أبى السِّمْط | البسيط | ١ | ٥٢ |
| كَلِفُ | البحترى | » | ١٠ | ٦١٧ |
| معروفُ | ابن عائشة | » | ٢ | ٢١٩ |
| حتوفُه | البحترى | الكامل | ١ | ١١٧ |
| رديفُه | البحترى | ٦ | ٢ | ٢٠٩ |
| سيوفُه | البحترى | » | ٢ | ٥٧ |
| منيفُه | البحترى | » | ٢ | ٢٠٤ |
| يعفو | البحترى | الخفيف | ٢ | ٩١ |
| يَشِفُّ | البحترى | » | ١ | ١٥٠ |
| وإلْفُ | البحترى | » | ١ | ٢١٥ |
| إلْفِ | البحترى | الطويل | ٢ | ١٣٥ ، ١٤٣ |
| بألوفِ | أخت الوليد بن طريف | » | ١ | ٥٢٢ |
| والحلِفِ | البحترى | » | ٩ | ٥٥١ |
| بحليفِ | اخت الولد بن طريف | » | ١ | ٢٤١ |
| والصَّرْفِ | البحترى | » | ٨ | ٥٦٢ |
| طريفِ | أخت الوليد بن طريف | الكامل | ١ | ٤٩١ |
| بمسرفِ | البحترى | » | ١ | ١٥٩ |
| شغافى | أبو تمام | » | ١٢ | ٦١٨ |
| والشَّنَفِ | البحترى | منسرح | ٣٦ | ٥٧٣ |
| تُصافِى | البحترى | الخفيف | ٢ | ٦٧ ، ١٠٠ |

ـ ق ـ

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| وأشفقا | البحترى | الطويل | ٥ | ٣٤٢ |
| متدفقا | البحترى | » | ١ | ٢٨٠ |
| معلقا | البحترى | » | ٣ | ٣٥١ |
| وريقا | البحترى | » | ١ | ١٧٤ |
| صدقا | زهير | البسيط | ٢ | ٣١٩ |
| أخرقُ | البحترى | الطويل | ١ | ٢٧ |
| أطلقُ | بكر بن النطاحَ | » | ٢ | ٤٢٦ |
| فتقلقُ | البحترى | » | ٢ | ٢٧٧ |
| حقوقُ | بشار | » | ١ | ٢٤٨ |
| ورونقُ | البحترى | » | ٢ | ٣١٠ |

— م —

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| أنينُ | أبو تمام | الكامل | ١ | ٣٥٤ |
| ركينُ | أبو تمام | « | ١ | ١٢٥ |
| زَبُونُ | أبو تمام | « | ٢ | ٨٠ |
| المكنونُ | أبو تمام | « | ٧ | ٦٨٣ |
| يلينُ | أبو تمام | « | ٢ | ٦١ |
| إحسانُهْ | البحترى | الخفيف | ٢ | ١٥٦ |
| ولسانُهْ | البحترى | « | ٢ | ١٦١ |
| الهوانُ | أبو تمام | « | ٦ | ٦٤١ |
| المنونُ | أبو الهول الحميرى | الوافر | ٤ | ٣٢٤ |
| حسنِ | أبو تمام | الطويل | ١ | ٥٣٥ |
| دوانِ | أبو الشيص | « | ٢ | ٦٢ |
| ذهنى | أبو تمام | « | ١٤ | ٦٠٧ |
| فَذَرينى | البحترى | « | ٢ | ٤٧٨ |
| وظنونى | البحترى | « | ٤ | ٥٣٠ |
| نثنى | البحترى | « | ١٠ | ٤٥١ |
| نعنى | أبو نواس | « | ١ | ٢٦١ |
| ووضينِ | البحترى | « | ١ | ٤٦٤ |
| يقينِ | البحترى | « | ٤ | ٥٢٦ |
| ينتطحانِ | النجاشى | « | ٢ | ٢٨٣ |
| يكنِ | أبو نواس | المديد | ١ | ٢١٤ |
| بأعوانِ | أبو تمام | البسيط | ٢ | ٩٤ |
| بالبَدَنِ | البحترى | « | ٣ | ٦٩ |
| حمدونِ | البحترى | « | ١٢ | ٥٥٣ |
| قَرَنِ | أبو تمام | « | ٤ | ٥٢٥ |
| وطنِ | أبو تمام | « | ١ | ٣٠٥ |
| الهُتُنِ | أبو تمام | « | ١ | ٤٦١ ، ٤٧٧ |
| يخافونى | البحترى | « | ٦ | ٥٦٣ |
| يُعنِّينى | ابن أذينة | « | ١ | ١٤١ |
| اليمنِ | البحترى | « | ٤ | ٢٧١ ، ٦٨٧ |
| كالديونِ | بشار | الوافر | ١ | ٢٤٨ |
| قانِ | البحترى | « | ١٠ | ٦٠٩ |
| الأدانى | البحترى | « | ٢ | ٩ |
| والموقفينِ | أبو تمام | « | ٢ | ٣٠١ |

* * *

## أشطار وأجزاء أبيات

### ـ أ ـ



### ـ ب ـ

— ش —



— ض —



— ط —



— ع —



— غ —



— ف —



— ق —

— ك —



— ل —



— م —



— ن —



— هـ —



— و —

* * *

## فهرس المصادر

### ( أ )

١ – القرآن الكريم .
٢ – أبو تمام بين ناقديه قديما وحديثا – رسالة ماجستير للمحقق قدمت إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية .
٣ – أبو تمام وموازنة الآمدى – محمد محمد الحسينى – القاهرة سنة ١٩٦٧ .
٤ – أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة – محمد على أبو حمدة – دار العربية – بيروت سنة ١٩٦٦ .
٥ – الاتجاهات الأدبية فى العصر العباس – د. سيد أحمد خليل – دار مكتبة الجامعة العربية – بيروت .
٦ – إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ، للشيخ أحمد بن محمد الدمياطى ( ت ١١٧ ) ، تحقيق على محمد الضباع القاهرة ١٣٥٩ .
٧ – أخبار أبى تمام لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى – تحقيق خليل محمود عساكر وآخرين – بيروت – بدون تاريخ .
٨ – أخبار البحترى لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى – تحقيق د. صالح الأشتر – دمشق سنة ١٩٦٤ .
٩ – أخبار الراضى والمتقى ( كتاب الأوراق ) لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى تحقيق جى هييورث دن – دار المسيرة - بيروت سنة ١٩٧٩ .
١٠ – أخبار الشعراء المحدثين ( كتاب الأوراق ) لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى – تحقيق جى هييورث دن دار المسيره – بيروت سنة ١٩٧٩ .
١١ – إخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين على بن يوسف القفطى مكتبة المتنبى – القاهرة – بدون تاريخ .
١٢ – أخبار النحويين البصريين للقاضى أبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى – تحقيق طه الزينى ومحمد خفاجى – القاهرة سنة ١٩٥٥ .
١٣ – أدب الكاتب لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة تحقيق محمد الدالى – مؤسسة الرسالة – بيروت سنة ١٩٨٢ .
١٤ – الإستيعاب فى معرفة الأصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد البر تحقيق على محمد البجاوى – القاهرة – بدون تاريخ .
١٥ – أسرار البلاغه لعبد القاهر الجرجانى – تحقيق هـ . ريتر دار المسيرة بيروت سنة ١٩٨٣ .
١٦ – أسماء خيل العرب وفرسانها لأبى محمد الأعرابى ( الأسود الغندجانى ) تحقيق د. محمد على سلطانى – مؤسسة الرسالة – دمشق سنة ١٩٨١ .

١٧ – الأشباه والنظائر للخالديين تحقيق سيد محمد يوسف – لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٥٨ .
١٨ – الأشتقاق لابن دريد تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون – مكتبة الخانجى – القاهرة – بدون تاريخ .
١٩ – أشعار أبى الشيص وأخباره جمع وتحقيق د. عبد الله الغبورى – بغداد سنة ١٩٦٧ .
٢٠ – أشعار أولاد الخلفاء لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى – تحقيق جى هيورث دن – دار المسيرة – بيروت سنة ١٩٧٩ .
٢١ – الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى – تحقيق على محمد البجاوى – القاهرة – بدون تاريخ .
٢٢ – الأصمعيات تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف – القاهرة – بدون تاريخ .
٢٣ – الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى – دار الكتب المصرية .
٢٤ – الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ( ساسى ) .
٢٥ – الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لأبى محمد عبد الله بن السِّيد البطليوسى تحقيق مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١ .
٢٦ – الأمالى لأبى على القالى – دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ .
٢٧ – أمالى المرتضى للشريف المرتضى تحقيق أحمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٥٤ .
٢٨ – إنباه الرواة على أنباه النحاة – جمال الدين على بن يوسف القفطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ .
٢٩ – الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى – تحقيق محمد جمال الدين عبد الحميد – الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥ .

( ب )

٣٠ – البداية والنهاية لابن كثير – مكتبة المعارف – بيروت سنة ١٩٨١ .
٣١ – بغداد لابن طيفور أبى الفضل أحمد بن طاهر الكاتب – القاهرة سنة ١٩٦٨ .
٣٢ – بغية الوعاة للسيوطى جلال الدين بن عبد الرحمن – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٦٤ .
٣٣ – بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس لأبى عمر يوسف بن عبد الله القرطبى – تحقيق محمد مرسى الخولى د. عبد القادر القط – الدار المصرية للتأليف والنشر بدون تاريخ .
٣٤ – البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة سنة ١٩٤٨ .

( ت )

٣٥ – تاج العروس للزبيدى – الكويت سنة ١٩٦٥ .
٣٦ – تاريخ الأدب الجغرافى لكراتشكوفسكى لجنة التأليف والترجمة – ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم .
٣٧ – تاريخ الأدب العربى لبروكلمان – دار المعارف بمصر – بدون تاريخ .
٣٨ – تاريخ بغداد لأبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى دار الكتاب العربى – بيروت – بدون تاريخ .
٣٩ – تاريخ حكماء الإسلام للبيهقى – تحقيق محمد كرد على – دمشق سنة ١٩٤٦ .

٤٠ – تاريخ الخلفاء للسيوطى المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة سنة ١٩٦٩ .
٤١ – تاريخ الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف القاهرة – بدون تاريخ .
٤٢ – تاريخ النقد الأدبى حتى القرن الرابع – د. محمد زغلول سلام – دار المعارف بمصر – القاهرة – بدون تاريخ .
٤٣ – تاريخ النقد الأدبى عند العرب د. إحسان عباس – دار الشروق – عمان سنة ١٩٨٦ .
٤٤ – تاريخ النقد الأدبى عند العرب – طه إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٣٧ .
٤٥ – التبيان بشرح الديوان للعكبرى ( ديوان أبى الطيب المتنبى ) تحقيق مصطفى السقا وآخرين – دار المعرفة – بيروت بدون تاريخ .
٤٦ – تجارب الأمم لأبى على أحمد بن محمد المعروف بمسكويه – شركة التمدن الصناعية بمصر سنة ١٩١٤ .
٤٧ – تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان لأبى محمد عبد الله السالمى – القاهرة بدون تاريخ .
٤٨ – تزيين الأسواق لداود الأنطاكى المعروف بالأكمه – القاهرة سنة ١٢٧٩ هـ .
٤٩ – التشبيهات لابن أبى عون تحقيق محمد عبد المعيد خان – جامعة كمبردج سنة ١٩٥٠ .
٥٠ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير – دار القلم – بيروت – بدون تاريخ .
٥١ – التمثيل والمحاضرة للثعالبى – تحقيق د. عبد الفتاح الحلو دار إحياء الكتب العربية – القاهرة سنة ١٩٦١ .
٥٢ – التنبيه لأبى عبيد البكرى – دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ .
٥٣ – تهذيب الألفاظ لابن السكيت – بيروت سنة ١٨٩٥ .

( ث )

٥٤ – ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة بدون تاريخ .

( ج )

٥٥ – جامع البيان فى تفسير القرآن – تحقيق مصطفى السقا – مصطفى البابى الحلبى – القاهرة سنة ١٩٦٨ .
٥٦ – جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس لأبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى – الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ .
٥٧ – جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى تحقيق على محمد البجاوى دار نهضة مصر – القاهرة – بدون تاريخ .
٥٨ – جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون – دار المعارف سنة ١٩٦٢ .
٥٩ – جمهرة النسب لابن الكلبى – تحقيق عبد الستار أحمد فراج الكويت سنة ١٩٨٣ .

( ح )

٦٠ – حديث الأربعاء د. طه حسين – دار المعارف بمصر – القاهرة الطبعة العاشرة – بدون تاريخ .

٦١ – حلية المحاضرة لأبى على محمد بن الحسن الحاتمى – تحقيق د. جعفر الكتانى – وزارة الثقافة والأعلام العراقية – بغداد سنة ١٩٧٩ .
٦٢ – حماسة أبي تمام – د. عبد الله عسيلان – من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٩٨١ .
٦٣ – حماسة البحترى – المكتبة التجارية – القاهرة سنة ١٩٢٩ .
٦٤ – حماسة ابن الشجرى – حيدر أباد سنة ١٣٤٥ هـ .
٦٥ – الحيوان للجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون – الطبعة الثانية – مكتبة مصطفى البابى الحلبى – القاهرة بدون تاريخ .

( خ )

٦٦ – خاص الخاص للثعالبى أبى منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل – دار مكتبة الحياة – بيروت – بدون تاريخ .
٦٧ – خزانة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادى تحقيق عبد السلام هارون – دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٦٧ .
٦٨ – الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى – تحقيق محمد على النجار – بيروت لبنان – الطبعة الثانية – بدون تاريخ .
٦٩ – الخيل لأبى عبيدة معمر بن المثنى التيمى – تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ .

( د )

٧٠ – دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى تحقيق الأستاذ محمود شاكر – مكتبة الخانجى – القاهرة سنة ١٩٨٤ .
٧١ – الديارات للشابشتى أبى الحسن على بن محمد – تحقيق كوركيس عواد بغداد سنة ١٩٦٦ .
٧٢ – ديوان أبى تمام بشرح أبى بكر الصولى تحقيق د. خلف رشيد نعمان – وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية سنة ١٩٧٨ .
٧٣ – ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى – تحقيق د. محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية بدون تاريخ .
٧٤ – ديوان أبى دهبل الجمحى ، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن – النجف سنة ١٩٧٢ .
٧٥ – ديوان أبى العتاهية بعناية كرم البستانى – دار صادر – بيروت سنة ١٩٦٤ .
٧٦ – ديوان أبى النجم العجلى ( المجموع ) ، علاء الدين أغا – النادى الأدبى بالرياض .
٧٧ – ديوان أبى نواس تحقيق أحمد الغزالى – دار الكتاب العربى بيروت – بدون تاريخ .
٧٨ – ديوان الأعشى الكبير تحقيق د. محمد محمد حسين – مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٨٣ .
٧٩ – ديوان امرىء القيس ، شرح الأعلم الشنتمرى ، تحقيق الشيخ بن أبى شنب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر سنة ١٩٧٤ .
٨٠ – ديوان امرىء القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة – الطبعة الرابعة .
٨١ – ديوان أمية بن أبى الصلت ، علق عليه سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب ، دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – بدون تاريخ .

٨٢ – ديوان أوس بن حجر تحقيق د. محمد يوسف نجم – دار صادر – بيروت سنة ١٩٧٩ .
٨٣ – ديوان البحترى تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفى – دار المعارف القاهرة – الطبعة الثالثة .
٨٤ – ديوان بشار بن برد تحقيق الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور – الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر سنة ١٩٧٦ .
٨٥ – ديوان ابن أذينة تحقيق د. يحيى الجبورى – دار القلم – الكويت سنة ١٩٨١ .
٨٦ – ديوان ابن الرومى تحقيق د. حسين نصار – الهيئة العامة المصرية للكتاب سنة ١٩٨١ .
٨٧ – ديوان ابن هرمة جمع محمد جبار المعيبد – مطبعة الآداب النجف سنة ١٩٦٩ – الجمهورية العراقية .
٨٨ – ديوان جرير ، شرح إيليا الحاوى – دار الكتاب اللبنانى – بيروت سنة ١٩٦٢ .
٨٩ – ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق د. نعمان طه دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٧١ .
٩٠ – ديوان الخنساء تحقيق كرم البستانى – دار المسيرة بيروت سنة ١٩٨٢ .
٩١ – ديوان دعبل ، صنعة د. عبد الكريم الأشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٣ .
٩٢ – ديوان ذى الرُّمة ، تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الإيمان بيروت سنة ١٩٨٢ .
٩٣ – ديوان زيد الخيل ، نورى حمودى القيسى – النجف سنة ١٩٦٨ .
٩٤ – ديوان الشماخ بن ضرار ، تحقيق صلاح الدين الهادى ، دار المعارف .
٩٥ – ديوان عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ، جمع وتحقيق ودراسة زكى ذاكر العانى – وزارة الثقافة والأعلام – الجمهورية العراقية سنة ١٩٨٠ .
٩٦ – ديوان العجاج ، تحقيق د. عزة حسن ، مكتبة دار الشرق – بيروت سنة ١٩٧١ .
٩٧ – ديوان على بن جبلة ( العَكَوَّك ) ، جمع وتحقيق د. حسين عطوان دار المعارف – الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٢ .
٩٨ – ديوان عنترة بن شداد العبسى ، تحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبى المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة بدون تاريخ .
٩٩ – ديوان القتال الكلابى ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٦١ .
١٠٠ – ديوان القطامى ، تحقيق : ج بارت ، ليدن سنة ١٩٠٢ .
١٠١ – ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، بيروت سنة ١٩٦٧ .
١٠٢ – ديوان كُثَيِّر ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٧١ .
١٠٣ – ديوان كعب بن زهير . بشرح السكرى ، دار الكتب سنة ١٣٦٩ هـ .
١٠٤ – ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د. إحسان عباس ، سلسلة التراث العربى ، وزارة الارشاد والأنباء ، الكويت سنة ١٩٦٢ .
١٠٥ – ديوان مروان بن أبى حفصة ، جمع وتحقيق د. حسين عطوان ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٧٣ .
١٠٦ – ديوان مسكين الدارمى ، جمع خليل عطية وعبد الله الجبورى ، بغداد سنة ١٣٨٩ هـ .
١٠٧ – ديوان مسلم بن الوليد ( صريع الغوانى ) مسلم بن الوليد الأنصارى ، تحقيق د. سامى الدهان ، دار المعارف سنة ١٩٧٠ .
١٠٨ – ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ، نشر مكتبة القدسى القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .

١٠٩ – ديوان منصور النمرى ، جمع وتحقيق الطيب العشاش من منشورات مجمع اللغة العربية ، دمشق سنة ١٩٨١ .
١١٠ – ديوان النابغة الذبيانى ، شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٩٨٤ .

( ر )

١١١ – رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى القاهرة ، بدون تاريخ .
١١٢ – رغبة الآمل من كتاب الكامل ، لسيد بن على المرصفى ، مطبعة النهضة القاهرة سنة ١٩٢٧ .

( ز )

١١٣ – زهر الآداب ، لأبى إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى ، ضبط وشرح د. زكى مبارك ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٢ .
ونسخة أخرى :
تحقيق على محمد البجاوى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة الطبعة الثانية .

( س )

١١٤ – سر الفصاحة ، لأبى محمد عبد الله بن محمد بن سنان – شرح عبد المتعال الصعيدى ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح القاهرة سنة ١٩٦٩ .
١١٥ – سمط اللآلى ، لأبى عبيد البكرى تحقيق عبد العزيز الميمنى الطبعة الثانية ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت سنة ١٩٨٤ .
١١٦ – سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة ١٩٨٢ .

( ش )

١١٧ – شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ، دار الفكر ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩ .
١١٨ – شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ومحمود شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة بدون تاريخ .
١١٩ – شرح ديوان الحماسة ، تحقيق الأستاذ أحمد أمين وعبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٩٦٧ .
١٢٠ – شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزى ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٢٩٠ هـ .
١٢١ – شرح شافية بن حاجب للشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الأستراباذى ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محى الدين عبد الحميد ، دار الفكر العربى القاهرة سنة ١٩٧٥ .

١٢٢ – شرح شعر زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت سنة ١٩٨٢ .
١٢٣ – شرح مشكلات ديوان أبي تمام للمرزوقي ، تحقيق د. عبد الله جربوع ، مكتبة التراث – مكة المكرمة سنة ١٩٨٦ .
١٢٤ – شرح المفضليات لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر – القاهرة – بدون تاريخ .
١٢٥ – شعر البحتري دراسة فنية ، د. خليفة عبد الله الوقيان ، رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية الآداب – جامعة عين شمس إشراف الدكتور إبراهيم عبد الرحمن سنة ١٩٧٩ .
١٢٦ – الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر دار المعارف القاهرة سنة ١٩٦٦ .
١٢٧ – الشعراء العباسيون لفون غرونباوم ، ترجمة الدكتور محمد يوسف نجم بيروت سنة ١٩٥٩ .

( ص )

١٢٨ – الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي القاهرة – بدون تاريخ .
١٢٩ – طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج دار المعارف – الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨ .
١٣٠ – طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، تحقيق الأستاذ محمود شاكر مطبعة المدني – القاهرة – بدون تاريخ .
١٣١ – الطراز للعلوي ، يحيى بن حمزة بن علي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
١٣٢ – طيف الخيال للشريف المرتضى ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، وزارة الثقافة والارشاد القومي سنة ١٩٦٢ .

( ع )

١٣٣ – عبث الوليد لأبي العلاء المعري ، تقديم شكيب أرسلان ود. محمد حسين هيكل ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة سنة ١٩٧٠ .
١٣٤ – العقد الفريد لابن عبد ربه ، لجنة التأليف والترجمة ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري ، الجزء الأول – بيروت سنة ١٩٨٢ .
١٣٥ – العمدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت سنة ١٩٧٢ .
١٣٦ – عيار الشعر لأبي الحسن محمد بن أحمد طباطبا العلوي ، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم للطباعة والنشر – الرياض سنة ١٩٨٥ .
١٣٧ – عيون الأخبار لابن قتيبة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، دار الكتب سنة ١٩٦٣ .
١٣٨ – عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة تحقيق د. نزار رضا ، نشر دار مكتبة الحياة – بيروت – بدون تاريخ .

( غ )

١٣٩ - غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة لأبى إسحاق برهان الدين الكتبى الوطواط ، بولاق سنة ١٢٨٤ هـ .

( ف )

١٤٠ - الفخرى فى الآداب السلطانية ، محمد بن على بن الطقطقى ، دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٣٩ هـ .
١٤١ - الفرج بعد الشدة للتنوخى ، أبى على المحسَّن بن على ، تحقيق عبود الشالجى - دار صادر - بيروت سنة ١٩٧٨ .
١٤٢ - فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال لأبى عبيد البكرى ، تحقيق د. عبد المجيد عابدين وإحسان عباس ، الخرطوم سنة ١٩٥٨ .
١٤٣ - فقه اللغة ، الثعالبى - طبع مصطفى البابى الحلبى المطبعة العمومية سنة ١٣١٨ هـ - القاهرة .
١٤٤ - الفن ومذاهبه د. شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر - الطبعة السابعة .
١٤٥ - الفهرست للنديم ، أبى الفرج محمد بن أبى يعقوب إسحاق المعروف بالوراق ، تحقيق رضا تجدد - طهران سنة ١٩٧١ .
١٤٦ - فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة بدون تاريخ .

( ق )

١٤٧ - قراضة الذهب لابن رشيق القيروانى ، تحقيق الشاذلى بويحيى تونس سنة ١٩٧٢ .

( ك )

١٤٨ - الكافى فى العروض والقوافى للخطيب التبريزى ، تحقيق الحسانى حسن عبد الله ، معهد المخطوطات العربية - جامعة الدول العربية - القاهرة سنة ١٩٦٩ .
١٤٩ - الكامل فى التاريخ لابن كثير ، دار الطباعة المنيرية - القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ .
١٥٠ - الكامل للمبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة ، دار نهضة مصر - القاهرة - بدون تاريخ .
١٥١ - الكتاب لسيبويه ، أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى القاهرة سنة ١٩٧٧ .
١٥٢ - كتاب المعمرين للسجستانى ، أبى حاتم سهل بن محمد بن عثمان ، مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ، القاهرة سنة ١٩١٥ .
١٥٣ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله القسطنطنى المعروف بحاجى خليفة ، المكتبة الإسلامية - طهران سنة ١٣٨٧ هـ .

( ل )

١٥٤ – لسان العرب لابن منظور ، دار المعارف – القاهرة .
١٥٥ – لطائف الإشارات للقشيرى ، تفسير صوفى للقرآن الكريم ، تحقيق د. إبراهيم بسيونى – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة سنة ١٩٨١ .

( م )

١٥٦ – المثل السائر لابن الأثير ، تحقيق د. أحمد الحوفى ود. بدوى طبانة ، دار نهضة مصر – القاهرة بدون تاريخ .
١٥٧ – مجالس ثعلب ، لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبع دار المعارف – الطبعة الثالثة – سنة ١٩٦٠ .
١٥٨ – مجمع الأمثال للميدانى ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبع عيسى البابى الحلبى – القاهرة سنة ١٩٧٧ .
١٥٩ – مجموعة المعانى ، مجهول المؤلف ، الطبعة الأولى الجوائب سنة ١٣٠١ هـ .
١٦٠ – محاضرات الأدباء ، لأبى القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهانى ، دار مكتبة الحياة – بيروت – بدون تاريخ .
١٦١ – المحاسن والمساوىء ، إبراهيم بن محمد البيهقى – دار صادر بيروت سنة ١٩٧٠ .
١٦٢ – مختارات الشجرى ، هبة الله بن على بن محمد بن حمزة العلوى ، الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ .
١٦٣ – المخصص لابن سيده ، بولاق سنة ١٣١٦ هـ .
١٦٤ – مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر – القاهرة سنة ١٩٧٤ .
١٦٥ – مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، لأبى محمد عبد الله اليافعى ، طبع مؤسسة الأعلمى – بيروت سنة ١٣٩٠ هـ .
١٦٦ – مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر – القاهرة سنة ١٩٧٣ .
١٦٧ – المزهر للسيوطى ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث – القاهرة – الطبعة الثالثة .
١٦٨ – المستطرف فى كل من مستظرف ، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى – القاهرة سنة ١٩٥٢ .
١٦٩ – المعارف لابن قتيبة ، تحقيق وتقديم دكتور ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية دار المعارف – مصر سنة ١٩٦٩ .
١٧٠ – المعانى الكبير فى أبيات المعانى لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٤ .
١٧١ – معاهد التنصيص للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – عالم الكتب بيروت سنة ١٩٤٧ .
١٧٢ – معجم الأدباء ( إرشاد الأريب ) ، دار الفكر – بيروت سنة ١٩٨٠ .

١٧٣ – معجم البلدان لياقوت الحموى – دار صادر – بيروت سنة ١٩٨٤ .
١٧٤ – معجم الشعراء لأبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج – دار إحياء الكتب العربية القاهرة سنة ١٩٦٠ .
١٧٥ – معجم ما استعجم لأبى عبيد عبد الله البكرى ، تحقيق مصطفى السقا عالم الكتب – بيروت .
١٧٦ – المغرب فى حلى المغرب لأبى الحسن نور الدين على بن موسى بن سعيد الغرناطى الأندلسى ، تحقيق د. شوقى ضيف ، طبع دار المعارف الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٣ .
١٧٧ – مفاهيم نقدية تأليف رينيه ويليك ترجمة د. محمد عصفور ، عالم المعرفة – الكويت .
١٧٨ – المفضليات تحقيق الشيخ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون ، دار المعارف – القاهرة – الطبعة السابعة .
١٧٩ – مقالات فى النقد ، ماثيو أرنولد ، ترجمة على جمال الدين عزت الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ .
١٨٠ – مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة مصطفى البابى الحلبى – القاهرة سنة ١٩٦٩ .
١٨١ – المقتضب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب – بيروت بدون تاريخ .
١٨٢ – المنتحل للثعالبى ، نشر الشيخ أحمد أبو على – المكتبة التجارية – الاسكندرية سنة ١٩٠١ .
١٨٣ – المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لأبى الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى ، الطبعة الأولى – دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٧ هـ .
١٨٤ – من حديث الشعر والنثر ، د. طه حسين ، دار المعارف بمصر – الطبعة العاشرة – القاهرة .
١٨٥ – الموازنه للآمدى ، تحقيق السيد صقر ، دار المعارف بمصر – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠ والطبعة الثانية سنة ١٩٧٢ – القاهرة .
١٨٦ – الموازنة للآمدى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة سنة ١٩٥٤ .
١٨٧ – موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس – دار القلم – بيروت – بدون تاريخ .
١٨٨ – الموشح أبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ، تحقيق على محمد البجاوى – دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥ .
١٨٩ – المؤتلف والمختلف للآمدى ، تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة عيسى الحلبى – القاهرة سنة ١٩٦٠ .

( ن )

١٩٠ – النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ، دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٠ .
١٩١ – نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنبارى ، تحقيق د. إبراهيم السامرائى – مكتبة الأندلس – بغداد سنة ١٩٧٠ .
١٩٢ – نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة لأبى على المحسن بن على التنوخى ، تحقيق عبود الشالجى – طبع دار صادر – بيروت بدون تاريخ .

١٩٣ - النقد ، د. شوقى ضيف ، سلسلة فنون الأدب العربى الفن التعليمى - دار المعارف - الطبعة الثالثة القاهرة .
١٩٤ - النقد الأدبى الحديث ، د. محمد غنيمى هلال ، دار الثقافة ودار العودة بيروت سنة ١٩٧٣ .
١٩٥ - النقد المنهجى عند العرب ، د. محمد مندور دار نهضة مصر للطبع ، القاهرة بدون تاريخ .
١٩٦ - نقد الموازنة بين الطائيين ، د. محمد رشاد محمد صالح ، المركز العربى للصحافة - القاهرة سنة ١٩٨٢ .
١٩٧ - نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، المطبعة الجمالية - القاهرة سنة ١٩١١ .
١٩٨ - نهاية الأرب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ، الهيئة العامة المصرية للكتاب - القاهرة .
١٩٩ - نوادر المخطوطات ( أسماء المغتالين ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة سنة ١٩٧٢ .

( هـ )

٢٠٠ - هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادى - اسطامبول سنة ١٩٥١ .
٢٠١ - الوافى بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، نشر فرانز شتاينر ، بفسبادن - لجنة المستشرقين الألمانية سنة ١٩٦٢ .
٢٠٢ - الوحشيات ( الحماسة الصغرى ) ، تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، ومحمود شاكر ، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٦٢ .
٢٠٣ - الورقة لمحمد بن داود بن الجراح ، تحقيق د. عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج - دار المعارف - الطبعة الثانية - القاهرة .
٢٠٤ - الوزراء والكتاب للجهشيارى أبى عبد الله محمد بن عبدوس ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة سنة ١٩٨٠ .
٢٠٥ - الوساطة بين المتنبى وخصومه ، للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى القاهرة - بدون تاريخ .
٢٠٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر - بيروت سنة ١٩٧٨ .
٢٠٧ - وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم المنقرى ، تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٩٨١ .

* * *

## الدوريـــــات

١ – الآمدى وكتاب الموازنة ، بحث للدكتور طه الحاجرى – مجلة كلية الآداب والتربية – الجامعة الليبية – المجلد الأول سنة ١٩٥٨ .

٢ – أبو تمام فى موازنة الآمدى ، سوزان بينكنى ستيكيفتش – ترجمة أحمد عثمان – مجلة فصول تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب – مجلد ٦ – العدد ٢ .

٣ – الأندلس فى شعر شوقى ونثره – مقال د. محمود على مكى – مجلة فصول – مجلد ٣ – عدد ١ .

٤ – النقد العربى القديم والمنهجية – د. عبد القادر القط – مجلة فصول – عدد ٣ – ابريل سنة ١٩٨١ .

* * *

## المخطوطـــات


١ – إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقى بن على ، دار الكتب المصرية تاريخ ١٦١٢ .
٢ – تلخيص أخبار اللغويين لابن مكتوم ، تاريخ تيمور رقم ٢٠٦٩ – دار الكتب المصرية .
٣ – ديوان أبى تمام بخط محمد بن المظفر بن أبى نصر الوزيرى ورواية الصولى ، أيا صوفيا رقم ٣٨٧٣ .
٤ – ديوان أبى تمام ، ترتيب على بن حمزة الأصفهانى دار الكتب المصرية رقم ١٠٦ أدب .
٥ – ديوان أبى تمام فاتح اسطنبول ٣٧٧٢ نسخت قبل سنة ٨٦٠ هـ .
٦ – طبقات النحويين لابن قاضى شهبة تيمور ٢١٤٦ .
٧ – الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام – مصورة معهد المخطوطات العربية .
٨ – الموازنة بين الطائيين ، برلين رقم ٣١٤٤ .
٩ – الموازنة بين الطائيين – دار الكتب المصرية رقم ١٢٦٦٢ ز .
١٠ – الموازنة بين الطائيين – نسخة أخرى وبخط سقيم جدا ، مصورة لدى مركز التراث جامعة أم القرى .
١١ – الموازنة بين أبى تمام والبحترى – القرويين بفاس ٤٠ر٦٤٦ .
١٢ – النظام شرحى المتنبى وأبى تمام لابن المستوفى الجزء الأول ، دار الكتب المصرية رقم ١٠٦٤٠ ز .
١٣ – النظام شرحى المتنبى وأبى تمام الجزء الثانى – ينى جامع باسطنبول رقم ١٠١٥ .

# ثانيا : فهارس الجزئين الأول والثانى

١ - فهرس الأعلام
٢ - فهرس القوافى
٣ - فهرس أنصاف الأبيات

## فهرس الأعـــلام

— ح —

— ل —



— م —

## ـ ن ـ

* * *

# فهرس القوافي

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| العطاءِ | بشار | الخفيف | ١ | ١ : ١٢٢ |
| ماءِ | ابن أبى عيينة | » | ١ | ٢ : ١٣٨ |
| داءِ | على بن أديم الكوفى | المجتث | ١ | ١ : ١١٨ |
| بالبهاءِ | أبو تمام | المتقارب | ٢ | ٢ : ٣٦٣ |
| دجوائِهِ | أبو النجم | رجز | ٤ | ١ : ٣٧٩ |
| جوزائِهِ | أبو النجم | رجز | ١ | ١ : ٢٠٨ |

— ب —

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| المشيبْ | آخر | مجزوء الكامل | ٤ | ٢ : ٢١٩ |
| القلوبْ | البحترى | السريع | ٢ | ١ : ٤٨٢ |
| أشيبا | الأعشى | الطويل | ٣ | ٢ : ١٢٥ |
| حبائبا | أبو تمام | » | ٤ | ٢ : ١٥٨ ، ١٥٩ |
| سبابا | أبو تمام | » | ٦ | ٢ : ٢٦٣ |
| غائبا | أبو تمام | » | ١ | ١ : ٣٣٦ |
| سوالبا | أبو تمام | » | ٢ | ٢ : ٨٩ |
| تأوّبا | البحترى | » | ٥ | ٢ : ١٧٠ ، ١٧٥ |
| وكُعَّبَا | قدامة بن ضرار الحنفى | » | ١ | ١ : ١٦٠ |
| كواعبا | أبو تمام | » | ١ | ١ : ٤٨٨ |
| آدابا | البحترى | البسيط | ١ | ١ : ٣١٨ |
| غَضِبَا | أبو تمام | » | ١ | ٢ : ٣٥٨ |
| غَيَبَا | أبو تمام | » | ١ | ١ : ١٧٩ |
| غضابا | أبو تمام | الوافر | ١ | ١ : ٣٤ |
| غرْبا | معود الحكماء | » | ١ | ١ : ٣٠٤ |
| كعابا | جرير | » | ١ | ١ : ١٦٠ |
| حبيبا | البحترى | الكامل | ٥ | ٢ : ٢٠٦ |
| ندوبا | البحترى | » | ١ | ٢ : ٧٢ |
| تصوبا | أبو تمام | الخفيف | ٢ | ١ : ٤٢٩ ، ٤٧٠ |
| تغيبا | أبو تمام | » | ١ | ١ : ٣٤٢ |
| مُجيبا | أبو تمام | » | ١ | ١ : ٤٧٣ |
| وطيبا | أبو تمام | » | ٤ | ١ : ٤٨١ |
| غريبا | أبو تمام | » | ١ | ٢ : ٢٩٢ |
| شيبا | أبو تمام | » | ١ | ٢ : ٢٩٢ |
| قضيبا | أبو تمام | » | ١ | ١ : ٣١٤ |

## ـ ت ـ

## — ح —

— د —

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| الموعدِ | البحترى | الكامل | ١ | ١ : ٢١٩ |
| ميعاد | أبو تمام | » | ٢ | ٢ : ٤٩ |
| أنكد | أبو تمام | » | ١ | ١ : ٩٨ |
| متباعد | البحترى | » | ٤ | ٢ : ١٧١ ، ١٨٥ |
| ورعوده | البحترى | » | ٣ | ١ : ٥٠٣ |
| مسعودِ | أبو تمام | » | ٣ | ١ : ٥٣٤ |
| وَقودِ | أبو تمام | » | ١ | ١ : ٥٣٥ |
| الميعادِ | البحترى | » | ٥ | ٢ : ٢١٧ |
| نُهَّدِ | أبو تمام | » | ٢ | ١ : ٢٣٥ ، ٢ : ٨٥ |
| ودادِ | الأعشى | » | ١ | ١ : ٣٧٠ |
| ودادِها | البحترى | » | ٢ | ٢ : ١٣١ |
| البارِدِ | عبد الصمد بن المُعَذَّل | السريع | ٢ | ٢ : ١٣٩ |
| الصادى | دعبل بن على | » | ١ | ١ : ٩١ |
| أُدَدِهْ | أبو تمام | المنسرح | ١ | ١ : ٢٨٩ |
| ثَمَدِهْ | أبو تمام | » | ١ | ١ : ٢٨٩ |
| طردِهْ | أبو تمام | » | ١ | ١ : ٨٢ |
| عَبَدِهْ | أبو تمام | » | ٢ | ٢ : ٣٦٢ |
| كبدِهْ | أبو تمام | » | ٢ | ١ : ٢٤٧ |
| نَجَدِهْ | أبو تمام | » | ٣ | ٢ : ٢٧٨ |
| والإنجادِ | أبو تمام | الخفيف | ١ | ٢ : ١٠ ، ٤١ |
| البُرادِ | أبو تمام | » | ٢ | ٢ : ١٠٨ |
| والبيدِ | البحترى | » | ١ | ١ : ٣٠٨ |
| تليدِ | البحترى | » | ٤ | ٢ : ٢٨٣ ، ٣٠٤ |
| رشيدِ | البحترى | » | ٢ | ٢ : ١٢٢ |
| رعودِهِ | أبو تمام | » | ١ | ١ : ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٦٢ |
| زرودِ | البحترى | » | ١ | ١ : ٥٣٦ |
| عتودِ | البحترى | » | ٢ | ١ : ٨١ ، ٢ : ٢٨٢ |
| عَمُودِهْ | البحترى | » | ٥ | ٢ : ١٨٠ |
| الفؤادِ | أبو تمام | » | ٥ | ٢ : ٢١٢ |
| الأكبادِ | أبو تمام | » | ١ | ١ : ٢٠٠ |
| غوادِ | أبو تمام | » | ٣ | ٢ : ٢٠ |
| السوادِ | أبو تمام | » | ١ | ٢ : ٢١٧ |

— ز —



— س —

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| سدفُ | قيس بن الخطيم | المنسرح | ١ | ١ : ٧٢ ، ٢ : ٩١ |
| صِنْفُ | البحترى | الخفيف | ٤ | ٢ : ١١٣ |
| صِرفُ | البحترى | » | ١ | ٢ : ١٠١ |
| ويَشفُ | البحترى | » | ١ | ٢ : ٦٧ |
| يُعْرَفُ | الراجز | الرجز | ١ | ١ : ١٨٧ |
| المتالِفِ | البحترى | الطويل | ٢ | ٢ : ١٣٦ |
| خائفِ | البحترى | » | ٣ | ٢ : ١٣١ |
| الطَّرْفِ | البحترى | » | ١ | ٢ : ٧٥ |
| العَرْفِ | البحترى | » | ٢ | ١ : ٤٥٢ |
| مُفَوَّفِ | البحترى | » | ١ | ١ : ٣٢١ ، ٢ : ١٩٧ |
| المُستَطْرِفِ | البحترى | الكامل | ١ | ٢ : ٧٢ |
| يعرِفِ | أبو تمام | » | ١ | ٢ : ٣٠٩ |
| صَدُوفِ | البحترى | » | ١ | ١ : ٤١٨ |
| المدنَفِ | البحترى | » | ٣ | ١ : ٥١٣ |
| فالأشرِفِ | البحترى | السريع | ٢ | ٢ : ٣٢٣ |
| تَذْرِفِ | البحترى | » | ١ | ٢ : ٦ |
| شرِفِ | البحترى | المنسرح | ١ | ١ : ٢٩٧ |
| الشُّنُفِ | البحترى | » | ١ | ١ : ٢٩٥ |
| عَافِ | البحترى | الخفيف | ٣ | ١ : ٤٥٦ |
| المستَشِفِّ | ابن الرومى | » | ٤ | ١ : ٣٢ |
| بكسوفِ | البحترى | » | ١ | ٢ : ١٧٢ |

## ــ ق ــ

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| تَذُقْ | البحترى | الرمل | ١ | ١ : ٤٤٥ |
| الحدقْ | البحترى | » | ٤ | ٢ : ١٣٤ |
| شقيقْ | البحترى | السريع | ١ | ١ : ١٨١ |
| أولقا | البحترى | الطويل | ١ | ٢ : ١٣ |
| صدقا | زهير | البسيط | ١ | ١ : ١٧ ، ٢٧٢ |
| والغرقا | زهير | » | ١ | ١ : ٣٨ |
| ورقا | زهير | » | ١ | ١ : ١٧٦ |
| شفيقا | البحترى | الكامل | ١ | ٢ : ٧١ |
| عقيقا | البحترى | » | ٦ | ١ : ٤٨٥ |
| نيقا | البحترى | » | ١ | ١ : ٣١٤ |

## — ن —

— هـ —

* * *

## أشطار وأجزاء أبيات

### ـ أ ـ



### ـ ب ـ

— ل —



— م —



— ن —



— هـ —



— و —

° ° °

# نضرات تحليلية في كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي ٣٧٠هـ

م.م. عدوية فياض علوان الكلية التربوية المفتوحة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي المصطفى(صلى الله عليه واله وسلم وعلى آل بيته وصحبه صلاة دائمة إلى يوم الدين وعلى من تبعهم بإحسان). أما بعد فقد وسم بحثي بـ(نضرات تحليلية في كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي ٣٧٠هـ) وهو جزء من مادة الموازنات الأدبية اشتمل هذا البحث على مقدمة بعدها تكلمت على ما يأتي :

١. **مفهوم الموازنة لغة واصطلاحاً.**
٢. **أسباب تأليف الآمدي كتابه الموازنة .**
٣. **منهج الآمدي في الموازنة وتقويمه في نظر الدارسين .**
٤. **القضايا التي طرحت في الحوار بين أنصار أبى تمام والبحتري .**
٥. **القضايا النقدية في كتاب الموازنة ومكانة الناقد فيه .**

وبعد ذلك ذكرت ابرز نتائج هذا البحث وختمت الكلام على مصادر البحث ومراجعه وكان من أسباب اختيار هذا العنوان ، قيمة كتاب الموازنة وأثره في النقد العربي قديما وحديثا ،وما كثرة الدراسات حول هذا الكتاب إلا دليل واضح يؤيد ما أقول ، فضلا عن ذلك أهمية الموضوعات التي احتوى عليها كتاب الموازنة ،وهي موضوعات نقدية كثر فيها الكلام بين القدامى ،مثل موضوع السرقات الشعرية وصناعة الشعر والناقد ،مع ميزة مهّمة انماز بها وهي تخصيص الكلام على شاعرين من قبيلة واحدة أحدهما متكلف والأخر مطبوع فعمل الآمدي موازنة نقدية مهمة كان مثار إعجاب الدارسين الباحثين على الرغم ما فيه وهو جهد عال في النقد التطبيقي لما تضمّنته الموازنة من قضايا نقدية وأدبية وبلاغية وسنلاحظ ذلك في بحثنا المشتمل على جانبين :

**الأول:الجانب النظري واشتمل آراء الآمدي نفسه ومن كتابه الموازنة .**

**الثاني :الجانب التطبيقي من كتاب الموازنة .**

اعتمد بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها :كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي .بتحقيق وتعليق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ت(١٩٧٣م) وكتاب (مقالات في تاريخ النقد العربي )للدكتور داود سلوم ،وكتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة )للدكتور قاسم موفي ،ورسالة الماجستير الموسومة بـ(الموازنة منهجاً نقدياً قديما وحديثا )للباحث إسماعيل خلباص حمادي ،فضلا عن كتب ومعجمات مثبتة في هوامش البحث ومصادره أتمنى أن يكون في هذا البحث إضافة شيّ جديد يفيد الدارس في النقد العربي عموما وفي الموازنات الأدبية على وجه الخصوص وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم عليه توكلت واليه أنيب .

**{الموازنة لغة واصطلاحا]**

الموازنة في اللغة أخذت من الفعل (وزن)وزنت الشيء وزنا وزنة ...ووازنت بين الشيئين موازنة ووزانا[١]. والوزن ثقل الشيء بشيء مثله ... وزن الشيء إذا قدره ... والميزان :المقدار الميزان :العدل ،ووازنه :عادله وقابله[٢].وتوازنا أي اتّزنا بمعنى تساويا[٣]. ونتوصل إلى أن المعنى اللغوي للموازنة هو المقابلة أو المساواة أو المعادلة بين شيئين لأغراض التقدير المتصف بالعدالة[٤]. وقد وردت الموازنة بمعنى المقابلة المعادلة في القران الكريم في قوله تعالى :(وأقيموا الوزن بالقسط )الرحمن /٢٩ أن النقاد القدامى المحدثين استخدموا ألفاظا متعددة يراد بها الموازنة منها :

**١- المفاضلة .**
**٢- المقابلة .**
**٣-المقايسة .**
**٤-المقارنة .**

بدليل قول الآمدي نفسه :(وجدتهم فاضلوا بنيهما[٥]. لغزارة شعريهما )[٦]. فهنا استخدم الآمدي (المفاضلة ) ونجده يستخدم الموازنة بدلالة قوله :

(فاما انا فلست افصح بتفضيل أحدهما على الآخر ،ولكني أوازن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ،وبين معنى ومعنى ...)[٧]. وجاء في كتاب بديع القران تعريف الموازنة بأنه (مقارنة المعاني بالمعاني ليعرف الراجح في النظم من المرجوح )[٨] وقد فصل الباحث إسماعيل خلباص حمادي في هذا الموضوع [٩] .وتوصل إلى نتيجة مهمة ،وعلى ثلاث مراحل هي :

١. المرحلة الأولى /**مرحلة الكشف من خلال المقارنة أو المقابلة أو المقايسة.**
٢. المرحلة الثانية /**مرحلة الإحصاء وتتم من خلال الموازنة .**
٣. المرحلة الثالثة / **مرحلة الحكم وتتم من خلال المفاضلة .**[١٠]

وتوصل إلى مفهوم الموازنة اصطلاحا وهو (منهج نقدي تطبيقي يرمي إلى تحقيق إحدى الغايتين الوصف والحكم أو كليهما معا وذلك بدراسة أديبيـن أو اكثر دراسة شاملة على وفق معايير نقدية تختلف من ناقد لآخر تبعا لمذهبه في الأدب ونقده ).[١١]

والموازنة هي (أن تأتي الجملة من الكلام أو البيت من الشعر فتزن الكلمات متعادل اللفظات في التسجيع والتجزئة معا في الغالب ). [١٢] والموازنة في ضوء ما مر هي المقارنة بين كل عنصرين اجتمع لهما التشابه المطلق أو التقارب النسبي في الصفات العامة .أما مفهومها بلاغيا فهي (جنس من المقابلة التي يتم بها ترتيب الملام على ما يجب فيعطى أول الكلام ما يليق به أولا وآخره ما يليق به أخراً ). [*١٣]. وعرفها ابن الأثير قائلا أن (تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن ،وان يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الألفاظ وزنا ). [*١٤].والموازنة كما تقول الدكتورة حميدة البلداوي (تعود في أصولها إلى حالة ذهنية لدى الإنسان لمعرفة الفروق في التشابه والتباين ،لتشكل ظاهرة إنسانية ولقد تحقق حضور هذه الظاهرة في التراث النقدي في اقدم عصوره ...{و}[*١٥]رافقن الموازنة ظهور الشعر فالشاعر هو أول من يقابل ويفاضل بين ألفاظه ومعانيه وأسلوب نظمه .نذكر من اشهر شعراء العربية الذين وقفوا للمفاضلة بين الشعراء

والحكم لهم أو عليهم (النابغة الذبياني )في سوق عكاظ .كما أن من أوائل النقاد الذين جعلوا الموازنة منهاجا نقديا وطبقه في دراسته :الآمدي في موازنته بين الطائيين ).[*١٦].

أسباب تأليف الآمدي كتابه الموازنة:

عندما نقرا مقدمة الآمدي في كتابه الموازنة بين أبي تمام والبحتري نلمح أسباب تأليف هذا الكتاب ومنها :[١٧]

١. حاول الآمدي أن يضع مؤلفا قائما على اعتماد الحق وتجنب الهوى في الحكم والموازنة بين الشاعرين ،وفي تفضيل شاعر على آخر في القصيدة الواحدة أو في المعنى.
٢. عدم اتفاق رواة الأشعار المتأخرين قبل الآمدي على أيهما اشعر سواء كان ذلك أبا تمام أو البحتري على الرغم من انهم فاضلوا بينهما لغزارة شعريهما وكثرة جيديهما وبدائعهما .ويذكر الآمدي في مقدمته أن الكتاب والإعراب والشعراء المطبوعين وأهل البلاغة فضلوا البحتري أما أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة فقد فضلوا أبا تمام وهناك كثير من الناس من جعلهما في طبقة واحدة .
٣. لم يكن هم الآمدي تفضيل أحدهما أو أيهما اشعر من الآخر بدلالة قوله :(ولست احب أن أطلق القول بأيهما اشعر عندي ،. لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر ،ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك فيستهدف لذم أحد الفريقين ... فأما أنا فلست افصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكني أوازن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ،وبين معنى ومعنى فأقول :أيهما اشعر في تلك القصيدة ، وفي ذلك المعنى..)[١٨].

إننا لا نعرف إذا كان الآمدي قد أهدى كتاب الموازنة إلى أحد كبار عصره ،لاسيما انه يذكر في المقدمة أو فاتحة الكتاب عبارات هي : [١٩]

١. هذا ما حثثت ـ أدام الله لك العز والتأييد ـ
٢. ووجدت أطال الله عمرك .
٣. أدام الله سلامتك.

وهو ما ذكره أيضا الدكتور قاسم موفي . [٢٠]

منهج الآمدي في كتابه الموازنة وتقويمه في نظر الدارسين :

من خلال دراستي هذا الموضوع وجدت أن افضل من كتب عن منهج الآمدي في كتابه الموازنة بين أبي تمام والبحتري هم وبحسب الترتيب الزمني :

١. الدكتور داود سلوم في كتابه المهم (مقالات في تاريخ النقد العربي ) [٢١] المطبوع سنة ١٩٨١ .
٢. الدكتور قاسم موفي في كتابه القيم (الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة ) [٢٢] المطبوع سنة ١٩٨٥م
٣. الباحث إسماعيل خلباص حمادي في رسالة الماجستير الموسومة بـ (الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا ) [٢٣] المكتوبة والمناقشة سنة ١٩٨٩م .وثمة كتب أخرى تحدثت عن كتاب الموازنة ،ومنها كتاب (تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر

الجاهلي إلى القرن الرابع ) للأستاذ طه احمد إبراهيم الذي عمل موازنة بين كتاب الموازنة للآمدي وكتاب الوساطة للجرجاني : [٢٤]
ويذكر لنا الدكتور داود سلوم أن منهج الآمدي في الموازنة قد اعتمد على أربعة مرتكزات ،هي : [٢٥] .

١. رأي أنصار البحتري وأبي تمام في تفضيل أحد الشاعرين وذم الآخر .
٢. المعايب الشعرية عند الشاعرين .
٣. فضل الشاعرين .
٤. الموازنة أو النقد التطبيقي .

ولدلالة على صحة كلامه ذكر لنا الدكتور داود سلوم أمثلة تطبيقية من كتاب الموازنة ليثبت صحة هذه المرتكزات الأربعة. [٢٦] أما الدكتور قاسم موفي فقد ذكر لنا شيئا مهما وهو لكي يكون منهج الآمدي في الموازنة دقيقا فانه عمل على ما يأتي :

١ . ذكر المصادر التي اعتمد عليها في موازنته ، وقد ذكر لنا (١٨) مصدرا في الموازنة ،فصل فيها الدكتور قاسم موفي . [٢٧]
٢. تحقيق النصوص المختلفة والتثبت منها قبل الحكم عليها .[٢٨]
٣. ذكر الروايات المتعددة وترجيح الأقوى منها والأكثر ملائمة للمعنى. [٢٩]

يقول الدكتور قاسم موفي عن كل ذلك :(هذه الظوابط المنهجية مجتمعة من أحاطة بالمصادر ،وتحقيق للنصوص وترجيح للروايات ،تدل على أن ما يشترط في العصر الحديث لكي يكون المنهج علما دقيقا ،كان الآمدي قد حققه . وهو بعد أن كفل لمنهجه هذه الظوابط اخذ يوازن بين الشاعرين ). [٣٠]
ومن كل ما مر نصل إلى أن الآمدي في الموازنة طبق منهجين مهمين :

الأول:المنهج النظري .

الثاني :المنهج التطبيقي وهو الأكثر أهمية في الكتاب .

وأضاف الدكتور داود سلوم منهجا آخر وهو (مذهب الآمدي في النقد ). [٣١]
وسأذكر أمثلة تخص هذه الجوانب النظرية والتطبيقية من كتاب الموازنة نفسه ،فمن الأمثلة على منهج الآمدي النظرية :

١. قوله :( فأما أنا فلست افصح بتفضيل أحدهما على الآخر ،ولكني أوازن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقنا في الوزن والقافية وإعراب القافية ،وبين معنى ومعنى ،فأقول :أيهما اشعر في تلك القصيدة ،وفي ذلك المعنى ،ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد والرديء ). [٣٢]
٢. قوله (وأنا ابتدئ بذكر مساوئ هاذين الشاعرين ،لأختم بذكر محاسنهما... ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ثم بين معنى ومعنى ،فان محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك ،ثم اذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوّده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ). [٣٣]
٣.قوله (وأنا اذكر بإذن الله الآن في هذا الجزء المعاني التي يتفق فيها الطائيان فأوزن بين معنى ومعنى ،وأقول أيّهما أشعر في ذلك المعنى بعينه، فلا تطالبني **أن** أتعدى هذا إلى **أن** افصح لك بأيهما اشعر عندي على الإطلاق ،فإني غير فاعل ذلك ... [٣٤] .

نلاحظ من خلال هذه الأقوال أن الآمدي عند إشرافه على الموازنة بين شعر الشاعرين قد عدّل منهجه وغيّر خطته إذ كان في القولين الأول والثاني ينوي إقامة الموازنة والمقارنة بين قصائد الشاعرين ،ولكنه في قوله الثالث أراد الموازنة في المعاني .يقول الدكتور قاسم موفي (وفي عدول الآمدي عن منهجه الأول ما يدلّ على اظطرابه وعدم استقراره على منهج معين عندما اخذ يفكّر في الموازنة بين شعر الشاعرين ... ولكنه عندما تقدّم في دراسة الشاعرين رأي خطأ منهجه وعدم صلاحيته ،لان في القصيدة الواحدة لأحد الشاعرين من المعاني الجزئية ما ليس في مثيلتها للشاعر الآخر ). [٣٥] يقول الباحث إسماعيل خلباص عن هذا التعديل (ويخيّل إلى أن تعديله هذا قد أجراه تمشيا مع هذا الباب لان أغراضه من جنس واحد وان اختلفت المعاني ثم أن هذا النوع من الموازنة ليس صعبا ،إذا علمنا انه قال بالموازنة بين المعاني المختلفة ... وبهذا فقد فسح المجال أمام الموازنة ليسري مفعولها على :

١. البيتين إذا اتفقا أو اختلفا في المعنى .
٢. القطعتين المتقاربتين في الغرض وان اختلف المعنى .
٣. القصيدتين إذا اتفقتا أو لم تتفقا في الوزن والقافية وإعراب القافية وهذا منهج مرن يسمح بالدراسة الشاملة لما نظم الشاعران ). [٣٦]

ولتقويم منهجية الآمدي نقول انه اعتمد على الموازنة ـ من خلال اسم كتابه هذا أولا فضلا عن النصوص السابقة التي ذكرناها من الكتاب نفسه ، وقد يراد من المفاضلة أو المقابلة أو المقايسة أو الأشباه والنظائر ما أريد بكلمة الموازنة وهذا ما اتضح لنا في بحث الموازنة لغة واصطلاحا.لقد اتخذ الآمدي من الخلاف بين انصار القديم وانصار الجديد منطلقا مهمّا في تفضيل محاور الجدال بين أبي تمام والبحتري إذ رصد ذلك وبدأ يقابل بين الحجج مرتبة بادئا بما قاله أنصار أبي تمام ثم بما قاله انصار البحتري مشيرا إلى أذواق من فاضلوا بينهما ،فيظهر لنا أبو تمام وقد مثل المتكلفين والبحتري وهو يمثل المطبوعين وقد ترك الآمدي البتّ في الحكم على أشعرهما للقارئ وان كان يظهر في جوانب كثيرة انه يميل إلى البحتري .علما انه اطمأن إلى الموازنة القائمة بين المعاني الموزّعة على موضوعات الشعر لدى الشاعرين . ولذلك وجدناه يوازن بين المعنى والآخر ،وينص على الجيد من شعرهما في ذلك المعنى ويفضّله وعلى الرديء ويرذله .وسيتّضح كلّ ذلك في الصفحات القادمة . أما عن منهج الآمدي التطبيقي في الموازنة ،فقد فصّل الدكتور داود سلوم والدكتور قاسم موفي والباحث إسماعيل خلباص في كل ذلك . مع اختلاف كبير بينهم ،إذ فصّل الدكتور داود سلوم في ضوء أربع نقاط ،هي:

١. آراء أنصار أبي تمام والبحتري .
٢. المعايب الشعرية عند الشاعرين .
٣. فضل الشاعرين .
٤.الموازنة أو النقد التطبيقي . [٣٧]

في حين تكلم الدكتور قاسم موفي على المنهج التطبيقي في الموازنة على أساس:[٣٨] .

١. المعاني في ابتداءات القصائد .

٢. المعاني في وسط القصائد .
٣. معاني الشاعرين في النسيب والخروج من النسيب إلى المدح .
٤. معاني الشاعرين في الأغراض الشعرية مثل المديح والرثاء والفخر والوصف ... الخ .

أما الباحث إسماعيل خلباص فقد وزّع الجانب التطبيقي في كتاب الموازنة توزيعا مهما فيه شمولية واستقصاء على أربعة أركان :
الأول:الألفاظ . الثاني : المعاني . الثالث :التركيب والأساليب. الرابع :بناء القصيدة. [٣٩]

وسأختار أمثلة من موازنة الآمدي التطبيقية من كتاب الموازنة نفسه وقبل ذلك لابدّ لنا أن نشير إلي أن الآمدي حين وجد أمر الموازنة بين قصيدة وقصيدة قد اشترطه على نفسه بأداء ذي بدء لذلك اضطر إلى أن يناقش المعاني فوازن بين معنى ومعنى . يقول الدكتور داود سلوم عن منهج الآمدي التطبيقي في الموازنة (وللوصول إلى ميزان دقيق فكان عليه أن يقسّم القصيدة العربية إلى اقتسام واضحة . فهو قد اعتبر القصيدة إنما هي قصيدة المدح أو الرثاء فقط أو لعلّه اعتبر أن ما يستحق الموازنة إنما هو هذان الغرضان فقط ،ثم نظر إلى القصيدة النظرة البدوية التقليدية من حيث الشكل والمضمون والبناء وقد قسم القصيدة إلى ثلاثة أقسام كبرى وهي :
١.الافتتاح . ٢. الخروج ٣. المدح). [٤٠]

لذلك كانت اختياراتي من كتاب الموازنة بحسب هذه التقسيمات ، وبحسب النقاط الآتية :
أولا ـ أمثلة من الموازنة في الافتتاح :
١.الابتداءات بذكر الوقوف على الديار [٤١]
قال أبو تمّام :

**ما في وقوفك ساعة من بأس نقضي حقوق الأربع الأدراس**

قال عنه الآمدي :( وهذا ابتداء جيد صالح ،وقوله :الادراس ) جمع دارس ،وقلّما يجمع فاعل على أفعال ،ومنه : شاهد وأشهاد ،وماجد وأمجاد ،وصاحب وأصحاب ). [٤٢] قال البحتري :

**ما على الرّكب من وقوف الرّكاب في مغاني الصّبا ورسم التصابي**

وقال أيضا :

**ذاك وادي الاراك فاحبس قليلا مقصرا من ملامــتي أو مطيلا**

يقول الآمدي عنهما : (وهذان ابتداءان في غاية الجودة ). [٤٣] .
ثم يخلص الآمدي في موازنته بين الطائيين في الابتداءات بذكر الوقوف على الديار إلى نتيجة تتضح بقوله : (فهذا ما ابتدأ به من ذكر الوقوف ، واجعلهما فيه متكافئين من اجل

براعة بيتي البحتري الأولين ، وانهما أجود من سائر أبيات أبي تمام ،ولان للبحتري في الباب التقصير الذي ذكرته له ،وليس لأبي تمام مثله ).[٤٤]

١. التسليم على الديار :[٤٥] قال أبو تمّام :

**دمن ألم بها فقال : سلام　　　كم حلّ عقدّة صبره الإلمام**

قال الآمدي عنه :(هذا المصراع الأول في غاية الجودة والبراعة والحسن ...،وعجز البيت أيضا جيد بالغ ).[٤٦] وقال أبو تمّام :

**سلّم على الرّبع من سلمى بذي سلم　　　عليه وسم من الأيام والقدم**

يقول الآمدي عن هذا البيت :(وهذا ابتداء ليس جيد .، لأنه جاء بالتجنيس في ثلاثة ألفاظ وإنما يحسن إذا كان بلفظين ) .[٤٧] وقال البحتري :

**حييّتما من مربع ومضيف　　　كانا محلّى زينب وصدوف**

قال الآمدي عن هذا البيت : (وهذا ابتداء صالح ) .[٤٨] وقال البحتري :

**ميلوا إلى الدّار من كيلى نحيّيها　　　نعم ، ونسألها عن بعض أهليها**

قال الآمدي عنه : (وهذا البيت رديء ، لقوله ( نعم ) وليس بالمعنى إليها حاجة ،جاء بها حشوا . ومن الحشو ما لا يقبح و( نعم ) هاهنا قبيحة ) .[٤٩]

ثانيا - أمثلة من الموازنة في السرقات الشعرية :

قال أبو تمام : ذاكرا ضوء النهار وضلمة الدخان في الحريق الذي وصفه :

**ضوء من النار والظلماء عاكفة　　　وضلمة من دخان في ضحى شحب**

**فالشمس طالعة من ذا ،وقد افلت　　　والشمس واجبة من ،ولم تجب**

يرى الآمدي أن هذا القول مأخوذ من قول النابغة الذبياني يصف يوم الحرب :

**تبدو كواكبه والشمس طالعة　　　لا النور نور ولا الاضلام اضلام [٥٠]**

٢. قال أبو تمام :

**أحلى الرجال من النساء مواقعا　　　من كان أشبههم بهن خدودا**

يرى الآمدي أن أبا تمام اخذ المعنى والصفة من قول الأعشى :

**وارى الغواني لا يواصلن امرأ　　　فقد الشباب ،وقد يصلن الأمردا**

يقول الآمدي عن سرقات أبي تمام : (... ولهذا أقول :أن الذي خفي من سرقاته اكثر مما قام منها ،على كثرتها . وأنا اذكر ما وقع إليّ في ما كتب الناس من سرقاته ،وماستنبطته أنا منها واستخرجته ... )[٥١]

٣.قال البحتري :

**يخفي الزجاجة لونها فكانها　　　في الكأس قائمة بغير أناء**

يرى الآمدي أن قول البحتري مأخوذ من قول علي بن جبلة (العكوك )[٥٢]إذ قال :

**كان يد النديم تدير منها　　　شعاعا لا يحيط عليه كاس**

٤.قال البحتري :

هل الدهر إلا غمزة وانجلاؤها وشيكا ،وإلا ضيقة وانفراجها

يرى الآمدي وهو محق أن البحتري أخذه من قول محمد بن وهيب : (٥٣)

هل الدهر إلا غمزة ثم تنجلي وشيكا ،وإلا ضيقة فتفرج

يقول الآمدي عن سرقات البحتري : ( لما كنت قد خرّجت مساوئ أبي تمام وابتدأت بسرقاته وجب أن ابتدئ من مساوئ البحتري بسرقاته ،فانه اخذ من معاني من تقدم من الشعراء وممن تأخر أخذا كثيرا ). (٥٤) ويقول عن اخذ البحتري من شعر أبي تمام ( بل استقصيت ما أخذه من أبي تمام خاصة ،إذ كان من اقبح المساوئ أن يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه ما أخذه البحتري من أبي تمام ،ولو كان عشرة أبيات ، فكيف والذي أخذه منه يزيد على مئة بيت؟) (٥٥).

**- تقويم كتاب الموازنة -**

وقبل أن اختتم كلامي هنا لابدّ من ذكر آراء الباحثين في نتائج موازنة الآمدي بين أبي تمام والبحتري ، فالدكتور داود سلوم يقول :

( أن الذي يبدو لنا هو عدم وضوح فكرة الموازنة في ذهن الآمدي حين عزم على تأليف الكتاب بسبب تعديل منهاجه اكثر من مّرة ... ونلاحظ على الآمدي انه حاول التجرد بدون موقف في الظاهر ولكنه كان في الواقع متحمسا لمدرسة الشكل وهي المدرسة التي كان يمثلها البحتري بين الشعراء ،وبذلك يكون الآمدي من البداية في جانب البحتري ...إن محاولة الآمدي دفع تهمة التعصب عن نفسه جعله يتكئ على آراء الآخرين بكثرة من المؤلفين والعلماء الذين نقل آراءهم ونظرياتهم ...إن كتاب الموازنة سيبقى اضخم نتاج عربي في النقد التطبيقي التفصيلي ... وسيكون هذا كافيا لجعل الآمدي علما من أعلام النقد العربي في تاريخه الطويل ). (٥٦) أما الدكتور قاسم موفي فقد قال : ( وما قد مناه من موازنة الآمدي بين معاني الشاعرين في الموضوعات المختلفة يوضح لنا منهجه وهو منهج يقوم في جملته على تتبع معاني الطائيين في شعريهما ،يستحسن الجيد ويستقبح الرديء كل في موضعه ،فيكون حكمه على الجزئيات أولا . ثم يوسّع حكمه فيجعله يشتمل على كل ما جاء للشاعرين في المعنى الواحد ،بل يوازن بينهما في جملة أشعارهما في موضوع معين ...والآمدي يفضل أحد الشاعرين إذا توافرت الأسباب، ويحجم عن المفاضلة إذا تكافات الأدلة ... تاركا الحكم العام للقارئ بعد أن يكون قد هداه إلى مساوئهما ومحاسنهما ...وبذلك يكون الآمدي قد وازن بي شاعرين في شعريهما بطريقة فريدة في النقد العربي ، ووضع حدا للموازنات الجزئية التي شغلت بال النقاد حتى منتصف القرن الرابع الهجري ). (٥٧)

ويقول أيضا : (إن كتاب الموازنة ...للآمدي من الكتب التي لا يمكن لدارس النقد القديم أن يتخطاها ولا أن يتجاوزها ). (٥٨) أما الباحث إسماعيل خلباص حمادي فانه قال عن موازنة الآمدي :( ترك الآمدي الحكم العام للقارئ ... ومما هو جدير بالذكر أن الآمدي قد صمت مرات عديدة ،ولم يدل بحكمه الجزئي الذي وعدنا به ،مما دعانا إلى استقراء هذه الأبواب التي صمت فيها محاولين إيجاد الكفة الراجحة في هذه المعاني ،وإضافتها إلى رصيد أحد الشاعرين الموازن بينهما ). (٥٩) وتوصل هذا الباحث في نتائج الموازنة إلى أن الشاعر البحتري هو الأفضل عند الآمدي ، لأنه جمع نقاطا اكثر وهي (٥٤) نقطة بينما حصل أبو تمام على (٩) تسع نقاط فقط وتعادلا في (١٩) تسعة عشر موضعا . (٦٠) ثم

يفصح الباحث نفسه مبينا رأيه الصريح في كتاب الموازنة قائلا : ( وعلى كل حال يبقى كتاب الآمدي (الموازنة ) من الكتب النقدية التي تتسم بالدقة والشمول والعلمية والتنظيم إلى حد بعيد ،ولا تضيره هذه أو تلك المأخذ فقلما يخلو عمل من الخطأ والزلل ...) [٦١]ويرى الدكتور شوقي ضيف أن كتاب الموازنة للآمدي يعد أول كتاب في النقد المقارن .[* ٦٢] أما الدكتور محمد مندور فيرى أن في كتاب الموازنة نغمة جديدة في تاريخ النقد العربي .[* ٦٣] ويقول الدكتور احمد أمين عن كتاب موازنة الآمدي (وهي موازنة بدائية والموازنة الصحيحة هي أن يعرف الناقد عناصر الأدب من عاطفة وخيال ومعنى وأسلوب ...والقارئ لموازنة الآمدي يرى أن له نظرا أدبيا رقيقا ،وذوقا أدبيا رفيعا وقد خطا بالنقد الأدبي خطوات واسعة ).[*٦٤]ويرى الأستاذ احمد الشايب أن موازنة الآمدي كانت موازنة منهجية في ناحيتيها المختلفتين ناحية المفاضلة وناحية استنباط الخصائص ، والمشاهد في تاريخ النقد العربي يجد أنها ظلت الوحيدة من نوعها وهي فريدة في النقد العربي ولا حد لقيمتها . [٦٥] وترى الدكتورة حميدة البلداوي أن الآمدي في كتابة الموازنة يعد من أوائل النقاد العرب الذين جعلوا الموازنة منهاجا نقديا وطبقه في موازنته بين الطائيين [*٦٦].

القضايا التي طرحت في الحوار بين أنصار أبي تمام والبحتري :

حين نقرا كتاب الموازنة للآمدي نجد بعد مقدمته المختصرة كلاما يجمع وجوه الجدل والاحتجاج في فني الشاعرين بين أنصار أبي تمام وأنصار البحتري جمعها الآمدي في عنوان موسوم ب (احتجاج الفريقين )وفي ( ٣٨) ثمان وثلاثين صفحة احتوت على (٢٤) أربع وعشرين حوارا ومحاجّة بين الشاعرين . [٦٧]يقول الآمدي عن احتجاج الفريقين : (وأنا أبتدئ بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى ،عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر ،وما ينعاه بعض على بعض ،لتتأمّل ذلك وتزداد بصيرة وقوة في حكمك أن شئت أن تحكم ،أو اعتقادك فيما لعلك تعتقده مع احتجاج الخصمين به ). [٦٨]وبدأ الآمدي يعرض الحجج التي كانت موضوعا للمحاجة بين الخصمين في حوار جميل وطريف ،إذ يقول :قال صاحب أبي تمام ويذكر الحجة ،ثم يقول : قال صاحب البحتري ويذكر الرد وسأختار قسما من ذلك لبيان القضايا التي طرحت في الحوار بين أنصار الشاعرين وكما يتضح في النقاط الآتية :

١.كيف يكون البحتري اشعر من أبي تمام وعنه اخذ وعلى حذوه احتذى ومن معانيه استقى ؟هذا ما قاله صاحب أبي تمام ويرد صاحب البحتري نافيا ذلك . [٦٩] وهذه هي الحجة الأولى .

٢.انفراد أبي تمام بمذهبه واختراعه له وكان ذلك مزية عري عن مثلها البحتري [٧٠] وهذه الحجة الثانية . [٧١] .

٣.فهم العلماء والنقاد لشعر أبي تمام جعله أولى بالتقدمة ورد صاحب البحتري مبطلا هذه الحجة عن طريق العلماء بالشعر الذي طعنوا في شعر أبي تمام . [٧٢] وهذه هي الحجة الثالثة .

٤.إن العلم في شعر أبي تمام اظهر منه في شعر البحتري ،والشاعر العالم افضل من الشاعر غير العالم وهذه حجة أبي تمام ورد صاحب البحتري ذلك مبينا أن شعر العلماء دون شعر الشعراء وهو مما تعارف عليه . [٧٣] .

٥.قال صاحب أبي تمام (إن أبا تمام أتى في شعره بمعان فلسفية ،وألفاظ غريبة ،فإذا سمع بعض شعره الأعرابي أم يفهمه ،فإذا فسر له فهمه واستحسنه ). [٧٤] وردّ صاحب البحتري هذه الحجة قائلا :(إن لصاحبكم إحسانات وإساءات،وان الإحسان للبحتري دون الإساءة ،ومن احسن ولم يسيء افضل ممن احسن وأساء ). [٧٥]
٦.تناظر الخصمان في رثاء البحتري أبا تمام ، فرأى صاحب أبي تمام أن في ذلك سببا يدعو لتقديم أبي تمام وتفضيله على البحتري ولكن صاحب البحتري ضعّف هذه الحجة مبينا أن العادة في تأبين الميت أن يسبغ عليه من الذكر الجميل أضعاف ما كان يستحقه ،وان الرثاء لا يمحو الأخطاء ولا يمنع إظهارها وكشفها . [٧٦]

هذه ابرز القضايا التي دارت بين أنصار الشاعرين ويبقى صاحب أبي تمام يفضل أبا تمام ويقدمه وصاحب البحتري يفضل البحتري ويقدمه ولكن الآمدي يميل بصريح العبارة بعد كل ذلك إلى البحتري بدلالة قوله: (وبعد ،فينبغي أن تتأملوا محاسن البحتري ومختار شعره ،والبارع من معانيه ،والفاخر من كلامه ،فإنكم لا تجدون فيه على غزره وكثرته حرفا واحدا مما أخذه من أبي تمام ،وإذا كان ذلك إنما يوجد في المتوسط من شعره فقد قام الدليل على انه لم يعتمد أخذه ، وانه كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده ). [٧٧]
وينبغي أن نشير إلى أن الدكتور قاسم موفي كان من أهم الدارسين المحدثين الذين درسوا الحوار بين أنصار الشاعرين ومناقشة الحجج دراسة متميزة مبينا اثر الآمدي في الحوار . [٧٨]

القضايا النقدية في كتاب الموازنة ومكانة الناقد فيه :

إن الناظر في كتاب الموازنة للآمدي يجد كثيرا من القضايا النقدية المهمة في هذا المؤلف فضلا عن مكانة الناقد - الآمدي فيه - ونلاحظ أن الآمدي وضح منذ البدء بأنه سيلتزم جانب الحياد المطلق في الموازنة بين الشاعرين - وهو شيء مهم - وانه سيعرض مذهب الشاعرين ويترك الحكم العام للقارئ في تفضيل أحدهما على الآخر .علما أننا نعرف أن أبا تمام من أنصار المعاني والبحتري من أنصار الشكل والأسلوب ،يقول الآمدي: (ولست احب أن أطلق القول بأيهما اشعر عندي لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر ... فان كنت - أدام الله سلامتك - ممنّ يفضّل سهل الكلام وقربه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة ... فالبحتري اشعر عندك ضرورة . وان كنت تميل إلى الصنعة والمعاني الغامضة ... فأبو تمام عندك اشعر لا محالة ) [٧٩] .

والواقع أن الآمدي لم يكن في اغلب أحكامه النقدية حياديا ، إذ يقول الدكتور داود سّلوم : (إن الآمدي في الأفكار التي طرحها في كتابه للآخرين أو لنفسه كان يدلل لنا انه من أنصار الشكل والصياغة... وبهذا يكون الآمدي في موقفه إلى جانب الشكل قد مال بشكل غير شعوري إلى البحتري ولم يتمكن من التزام الحياد النظري الذي دعا إليه في مطلع كتاب الموازنة ) [٨٠] .ومن الملاحظات النقدية التي احتوى عليها كتاب الموازنة رأى الآمدي في بعض المشاكل النقدية مثل رأيه في العمل الأدبي ومكوناته ورأيه في الناقد الأدبي وضرورة قيامه واستقلاله فقد عرض الآمدي لما أسماه (الصناعة الشعرية ) وحاول أن يطبق منهجا فلسفيا عليها ،وأنها تخضع من حيث جودة صناعتها إلى ما تخضع له الظواهر الطبيعية الأخرى بدلالة قوله: (وأنا اجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها

من شيوخ أهل العلم بالشعر ،زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود ولا تستحكم إلا بأربعة أشياء وهي :جودة الآلة ،وإصابة الغرض المقصود ،وصحة التأليف ،والانتهاء إلى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها ). (٨١) . ويضيف قائلا (وهذه الخلال الأربع ليست في الصناعات وحدها ،بل هي موجودة في جميع الحيوان والنبات .ذكرت الأوائل أن كل محدث مصنوع محتاج إلى أربعة أشياء :علة هيولانية وهي الأصل ،وعلة صورية ،وعلة فاعلة ،وعلة تمامية ). (٨٢) ويقول الناقد الآمدي عن صحة التأليف ـ وهو من أسباب جودة صناعة الشعر ـ : ( فصحة التأليف في الشعر وفي كل صناعة هي أقوى دعائمه بعد صحة المعنى ، فكل من كان اصح تأليفا كان أقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه ). (٨٣)وتحدث الآمدي أيضا عن براعة اللفظ وحسن التأليف وأثرهما في المعنى ، بدلالة قوله : ( وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا ... وإذا جاء لطيف المعاني في غير بلاغة ولا سبك جيد ولا لفظ حسن كان ذلك مثل الطراز الجديد على الثوب الخلق ،أو نفث البعير على خد الجارية القبيحة الوجه ). (٨٤) .ومن الموضوعات النقدية المهمة التي عرض لها الآمدي ( النقد والناقد ) أي نقد الشعر والناقد المتخصص وهو يتعجب لماذا يدعي كل الناس قدرتهم على تمييز الشعر ونقده ، ولا يدعون ذلك في جميع الصناعات ، إذ قال : ( إن العلم بالشعر قد خص بان يدعيه كل أحد ،وان يتعاطاه من ليس من أهله ، فلم لا يدعي أحد هؤلاء المعرفة بالعين والورق والخيل والسلاح والرقيق والطّيب وأنواعه ... حتى رجع إلى أهل العلم بجوهره وكثرة مائه ... فكيف لم يفعل مثل ذلك بالشعر لما راقه حسن وزنه وقوافيه ،ودقيق معانيه وما يشتمل عليه من مواعظ وآداب وحكم وأمثال لم يتوقف عن الحكم له على ما سواه حتى يرجع إلى من هو اعلم منه بألفاظه ،واستواء نظمه ، وصحة سبكه ، ووضع الكلام منه في مواضعه ، وكثرة مائه ورونقه ،إذ كان الشعر لا يحكم له بالجودة إلا بان تجتمع هذه الخلال فيه [و] (٨٥) الشعر قد يتقارب البيتان الجيدان النادران ،فيعلم أهل الصناعة بصناعة الشعر أيهما أجود أن كان معناهما واحدا ،أو أيهما أجود في معناه أن كان معناهما مختلفا ). (٨٦)
نتوصل من خلال رأى الآمدي هذا إلى ضرورة قيام الناقد المتخصص الذي يمكن له أن يعطي حق الحكم في الشعر والشعراء ، ويستطيع أن يصدر أحكامه التي لا ترد عليه والآمدي يقصد الناقد المثقف ثقافة أدبية عالية بدلالة قوله :( فمن سبيل من عرف بكثرة النظر في الشعر والارتياض فيه وطول الملابسة له أن يقضي له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه ،وان يسلم له الحكم فيه ،ويقبل منه ما يقوله ويعمل على ما يمثله . ولا ينازع في شيء من ذلك إذ كان من الواجب أن يسلم لأهل كل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها ،ولا ينازعهم إلا من كان مثلهم نظرا في الخبرة وطول الدربة والملابسة ). (٨٧) ونجد الآمدي يرد على الذين يعترضون على أحكام النقاد من ذوي الاختصاص ،فيقول : (ليس في وسع كل أحد أن يجعلك ـ أيها السائل المتعنت و المسترشد المتعلم ـ في العلم بصناعته كنفسه ولا يجد إلى قذف ذلك في نفسك ولا في نفس ولده ومن هو أخص الناس به سبيلا ، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة ،ولا حجة باهرة ،وان كان ما اعترضت فيه اعتراضا صحيحا وما سألت عنه سؤّالا مستقيما ، لان ما لا يدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام لا يجوز أن تحيط به في ساعة نهار ) (٨٨) .وبعد ذلك يقدم لنا الآمدي نصيحة مهمة للناقد الناشئ

والشاعر الناشئ في اختبار قدرتهما وفهمهما في صناعة الشعر ،إذ يقول : ( وبعد ،فاني أدلك على ما ينتهي بك إلى البصير والعلم بأمر نفسك في معرفتك بأمر هذه الصناعة أو الجهل بها ،وهو أن تنتظر ما اجمع عليه الأئمة في علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض،فان عرفت علّة ذلك فقد علمت وان لم تعرفها فقد جهلت ... فان علمت من ذلك ما علموه ،ولاح لك الطريق التي بها قدّموا من قدموه ،وأخروا من أخروه ،فثق حينئذ بنفسك ،واحكم يسمع حكمك وان لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك فاعلم انك بمعزل عن الصناعة ) [٨٩] .ثم يقول :(إن كنت شاعرا فلا تظهر شعرك ، وأكتمه كما تكتم سرّك ، فان قلت انك قد انتهى بك التأمل إلى علم ما علموه لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والاسباب فان لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك حتى تعلم شواهد ذلك من فهمك ودلائل من اختباراتك وتمييزك بين الجيد والرديء ). [٩٠] ونستطيع أن نجمل ابرز القضايا النقدية في كتاب الموازنة ـ فضلا عما ذكرناه سابقا ـوبحسب النقاط الآتية :

١. تعريف البلاغة والبلاغة بمفهوم الآمدي هي إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة.
٢. تناول الآمدي مسائل بلاغية كثيرة حين استعرض شعر أبي تمام ومن ذلك قبح الاستعارات والتجنيس وأورد لهما أمثلة كثيرة حتى من الشعر القديم ،مثل شعر امرئ القيس والقطامي وجرير والفرزدق .
٣. مسالة صناعة الشعر وقد وضحنا ذلك في الصفحات السابقة .
٤. مسالة نقدية مهمة وهي هل يمكن أن نحكم حكما صادقا على شاعرين ونقول ان أحدهما اشعر من الآخر ؟ أو أن هذا ليس في مقدور النقاد .
٥. مهمة الناقد وقد وضحنا ذلك .
٦. ومن أهم القضايا التي عرضها الآمدي (السرقات الشعرية )وتوصل إلى أن :

أ. السرقات ليس من كبير عيوب الشعراء .
ب. السرقة إنما هي في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة .
ج. السرقة منها ما هو خاص ومنها ما هو عام .
د.أقر الآمدي بتوارد الخواطر القائم بين أبناء البيئة الواحدة .
هـ.إذا نظم الشاعران في معنى فان الآخذ ينسب إلى المتأخر منهما .
و.السرقة ثلاثة أنواع :
١.سرقة اللفظ ٢. سرقة المعنى ٣.سرقة اللفظ والمعنى .
ولا تكون السرقة إلا في المعاني ، إذ الألفاظ مباحة ، فاللفظ يؤخذ ولا يعد أخذه سرقة.
ز.لثقافة الشاعر اثر واضح في موضوع السرقات .

٧.تحدث الآمدي عن موضوع الاستعادة ورأى إنها قديمة وموجودة في كلام الأوائل ،وان العربي يستعير المعنى لما ليس له ، ثم طبق ذلك على شعري أبي تمام والبحتري .فضلا عن قضايا نقدية أخرى مبثوثة في هذا المؤلف القيّم .

**الخاتمة ونتائج البحث**

إن أهم النتائج التي تمخض عنها هذا البحث هي :

أولا:يعد كتاب الموازنة للآمدي من أعلى كتب النقد التطبيقية في النقد العربي القديم ،وهو من أهم مؤلفات الآمدي (ت ٣٧٠هـ) وأكثرها قيمة وأثرا في الدراسات النقدية القديمة والحديثة .

ثانيا:للكتاب فضل مهم في تصوير الحياة الشعرية ، والتيارات الأدبية وأذواق النقاد في النصف الأول من القرن الرابع الهجري وقبله ،والحق أن أصول هذا الكتاب تعود إلى نقاد القرن الثالث ومؤلفيه وقد صرح الآمدي بذلك .

ثالثا: تبين لنا بالأدلة ومن خلال الدراسة الفاحصة للكتاب أن الآمدي من أولئك النقاد الذين يؤثرون الطبع على التكلف والقريحة على البحث ،ولذلك كان الآمدي بحتري الهوى متحاملا شديدا على أبي تمام ولم يستطع أن يجاهد النفس ويتجنب الغرض ،وقد وضحنا كل ذلك بالأمثلة والأدلة والشواهد في ميله الواضح إلى جانب البحتري .

رابعا : إن الآمدي لم يستطع أن يطبق نظرياته التي دعا إليها ،فقد قرر الموازنة بين الشاعرين في قصيدتين من شعرهما متفقتين في الوزن والقافية وإعراب القافية وان يوازن بين معنى ومعنى ولكنه في التطبيق وازن بين الطائيين في افتتاح القصائد من ذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الدمن والأطلال والتسليم عليها وغير ذلك ولكن فضله من جهة أخرى انه نقل النقد العربي من أحكام نقدية على الجزئيات تخصص الأبيات المفردة إلى أحكام نقدية عامة وشاملة تطبق على الكليات وبين شاعرين بين فضلهما ورديء شعرهما في مختلف الأغراض الشعرية .

خامسا : تبرز أهمية الكتاب الكبيرة في القضايا النقدية المهمة التي احتوى عليها وتكلم الآمدي عليها مثل صناعة الشعر والسرقات الشعرية ومهمة الناقد وغيرها .

سادسا : إن للموازنة دلالة تعطيها كلمات أخرى مثل المقابلة والمفاضلة والمقارنة والمقايسة وهو ما يتجلى لنا في رجوعنا إلى المعجمات العربية .

سابعا : للكتاب قيمة نقدية ولغوية كبيرة بدلالة كثرة الكتب والدراسات التي كتبت عن الموازنة للآمدي ومنها رسائل ماجستير عرضنا قسما منها .

ثامنا : تدعو الباحثة إلى دراسة جديدة لكتاب الموازنة في ضوء ما كتب عن هذا الكتاب ، لوجود وجهات نظر مختلفة لدارسي هذا الكتاب ،وتقديمه إلى القارئ كتابا نقديا مهما شاملا وجامعا لقضايا النقد العربي في ضوء الدراسات القديمة والحديثة .

تاسعا : ترى الباحثة ضرورة تحقيق كتاب الموازنة من جديد ، علما أنني اعتمدت على آخر طبعه وهي بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد الخالية من الفهارس الضرورية التي يحتاج إليها كل من يقرا هذا المؤلف المهم ،فضلا عن تقصير المحقق في جوانب مهمة من جوانب التحقيق العلمي .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

هوامش البحث

١. ينظر : تاج اللغة والصحاح العربية : ِ2213/6.
٢. ينظر :لسان العرب مادة( وزن )١٧/٣٧٧-٣٤٠.
٣. ينظر : تاج العروس مادة( وزن ) ٩ / ٣٦٠ - ٣٦١.
٤. ينظر : الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا : ١٣ .
٥. أبي بين أبي تمام والبحتري .
٦. الموازنة بين أبي تمام والبحتري (تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ): ١٠.
٧. المصدر نفسه : ١١.
٨. بديع القران : ٩٥ .
٩. ينظر :الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا : ١٣ -١٨-
١٠. ينظر : المصدر نفسه : ١٨
١١. المصدر نفسه والصفحة نفسها
١٢. تحرير التحبير : ٤٨٣ ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٣٠ / ٣٢١ - ٣٢٤ .
١٣. العمدة في محاسن الشعر وادبه ونقده : ٢ / ٢٠
١٤. المثل السائر: ١ /٣٧٧ .
١٥. زيادة يقتضيها السياق .
١٦. الموازنات الأدبية في الأندلس بواعثها وسماتها بحث للدكتورة حميدة البلداوي منشور في مجلة دراسات أندلسية العدد (٢٦ ) في ذي الحجة ١٤٢٢وجويليه ٢٠٠١م تونس
١٧. ينظر : الموازنة بين أبي تمام والبحتري : ١٠ - ١١.
١٨. المصدر نفسه : ١١ - ١٢ .
١٩. ينظر المصدر نفسه : ١١ - ١٢ .
٢٠. الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة : ٥٥ .
٢١. ينظر :مقالات في تاريخ النقد العربي : ٢٠٦ - ٢٥٣ .
٢٢. ينظر : الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة : ٨١ - ١٣٣.
٢٣. ينظر : الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا : ٦٩ - ١١٦ .
٢٤. ينظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري :١٤٢ - ١٧٥ .
٢٥. ينظر : مقالات في تاريخ النقد العربي : ٢١٥.
٢٦. ينظر : المصدر نفسه : ٢١٥ - ٢٤٨.
٢٧. ينظر : الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة : ٩٣ - ٨٤.
٢٨. ينظر : المصدر نفسه : ٨٥ - ٨٦.
٢٩. ينظر: المصدر نفسه : ٨٦.
٣٠. ينظر المصدر نفسه : ٨٧.

٣١. مقالات في تاريخ النقد العربي : ٢١٠.
٣٢. الموازنة بي أبي تمام والبحتري : ١١ ـ ١٢.
٣٣. المصدر نفسه : ٥١.
٣٤. المصدر نفسه : ٣٧٢.
٣٥. الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة : ٩٠ ـ ٩١.
٣٦. الموازنة منهجا قديما وحديثا : ٧٧. ٧٨.
٣٧. ينظر : مقالات في تاريخ النقد العربي : ٢١٥ ـ ٢٤٧.
٣٨. ينظر : الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة : ٩١ ـ ١٠٩.
٣٩. ينظر : الموازنة منهجا قديما وحديثا : ٧٩ ـ ١١٠.
٤٠. مقالات في تاريخ النقد العربي : ٢٣٨.
٤١. ينظر : الموازنة بين أبي تمام والبحتري : ٣٨٤ ـ ٣٩٤.
٤٢. المصدر نفسه : ٣٨٥.
٤٣. المصدر نفسه : ٣٨٧.
٤٤. المصدر نفسه : ٣٩٤.
٤٥. المصدر نفسه : ٣٩٤ ـ ٣٩٦.
٤٦. المصدر نفسه : ٣٩٤.
٤٧. المصدر نفسه : ٣٩٤.
٤٨. المصدر نفسه : ٣٩٥.
٤٩. المصدر نفسه : ٣٩٥.
٥٠. ينظر المصدر نفسه : ٥٣.
٥١. المصدر نفسه : ٥٢.
٥٢. المصدر نفسه : ٢٧٤.
٥٣. المصدر نفسه : ٢٧٨.
٥٤.المصدر نفسه : ٢٧٣.
٥٥. المصدر نفسه والصفحة نفسها
٥٦. مقالات في تاريخ النقد العربي : ٢٥٢ـ ٢٥٣.
٥٧. الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة : ١٠٩.
٥٨. المصدر نفسه : ٨.
٥٩. الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا : ١١١.
٦٠. ينظر المصدر نفسه :١١٤.
٦١. المصدر نفسه : ٧٢.
٦٢. ينظر : النقد : ٦٥.
٦٣. ينظر : النقد المنهجي عند العرب : ٩٤.
٦٤. النقد الأدبي : ٤٨١ ـ ٤٨٢.
٦٥. أصول النقد الأدبي : ٢٨٣.

٦٦. ينظر : الموازنات الأدبية في الأندلس بواعثها وسماتها : ٦ من مجلة دراسات أندلسية العدد ( ٢٦ ) ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٦٧. ينظر الموازنة بين أبي تمام والبحتري : ١٢ ـ ٥١.
٦٨. المصدر نفسه : ١٢.
٦٩. المصدر نفسه : ١٢ ـ ١٣.
٧٠. المصدر نفسه : ١٦ / ٢٠.
٧١. ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة : ١١٨.
٧٢. ينظر : الموازنة بين أبي تمام والبحتري : ٢٠ ـ ٢١٣.
٧٣. ينظر:المصدر نفسه : ٢٥ ـ ٢٧.
٧٤. المصدر نفسه : ٢٧.
٧٥. المصدر نفسه : ٢٧.
٧٦. ينظر : المصدر نفسه : ٤٩ وينظر : الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة : ١٢١.
٧٧. ينظر : الموازنة بين أبي تمام والبحتري : ٥١.
٧٨. ينظر:الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة : ١١٥ ـ ١٣٠.
٧٩. الموازنة بين أبي تمام والبحتري : ١١.
٨٠. مقالات في تاريخ النقد العربي : ٢١١.
٨١. الموازنة بين أبي تمام والبحتري : ٣٨١ ـ ٣٨٢.
٨٢. المصدر نفسه : ٣٨٢.
٨٣. المصدر نفسه : ٣٨٣.
٨٤. الموازنة بين أبي تمام والبحتري : ٣٨١.
٨٥. زيادة يقتضيها السياق .
٨٦. الموازنة بين أبي تمام والبحتري : ٣٧٣ ـ ٣٧٤.
٨٧. المصدر نفسه : ٣٧٤ ـ ٣٧٥.
٨٨. المصدر نفسه : ٣٧٥.
٨٩. المصدر نفسه : ٣٧٦ ـ ٣٧٧ .
٩٠. المصدر نفسه : ٣٧٧.

**مصادر البحث ومراجعه**

***القران الكريم**
*أصول النقد الأدبي ، احمد الشايب ، ط(٧ ) مكتبة النهضة المصرية / ١٩٦٤م .
*الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ) دار الكتب المصرية / ١٩٦٣م .
*بديع القران ،ابن أبي الأصبع المصري ( ٦٥٤هـ) تحقيق د.حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة مصر الأولى ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م.
*تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ )المطبعة الخيرية ، ط (١ )مصر ١٣٠٦هـ.

*تاج اللغة وصحاح العربية :الجوهري ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، ط ( ٢ ) دار العلم بيروت ١٩٧٩م
*تاريخ النقد الأدبي عند العرب في العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري : طه احمد إبراهيم ، مصر ( د. ت )
*تحرير التحبير ، ابن أبي الأصبع المصري ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، الإعلانات الشرقية ، القاهرة ١٣٨٣هـ.
*العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجبل ، بيروت ١٩٧٢م.
*لسان العرب : ابن منظور ( ٧١١هـ ) ، المطبعة العصرية ، بولاق ١٩٧٩م.
*المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ابن الأثير ، ٦٣٧هـ ، تحقيق د.احمد الحوفي و د. بدوي طبانة ، نهضة مصر القاهرة ١٩٧٥م.
*مقالات في تاريخ النقد العربي ، د. داود سلوم ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية - سلسلة دراسات ٢٧٧، ١٩٨١م.
*معجم المصطلحات البلاغية والنقدية : د. احمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧م.
*الموازنات الأدبية في الأندلس بواعثها وسماتها : د. حميدة البلداوي ، مجلة دراسات أندلسية ، العدد ( ٢٦ ) جمادى الأولى ١٤٢٢هـ / جويلية ٢٠٠١م / مطبعة المغاربة ، تونس.
*الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي دراسة وتحليل ، د. قاسم موفي مشروع النشر المشترك ، دار الشؤون الثقافية العامة - آفاق عربية - بغداد.
*الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا (رسالة ماجستير ) . أعدها إسماعيل خلباص حمادي بإشراف د. ناصر حلاوي - كلية التربية - جامعة بغداد ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
*النقد : د. شوقي ضيف ، ط ( ٢) ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٤م.
*النقد الأدبي : تأليف احمد أمين ، ط ( ٤) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ( لبنان ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.
*النقد المنهجي عند العرب : محمد منذور ، دار نهضة مصر (لارت ).